

UNIVERSAL
LIBRARY

0U_232490

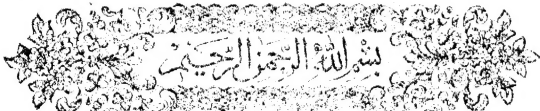
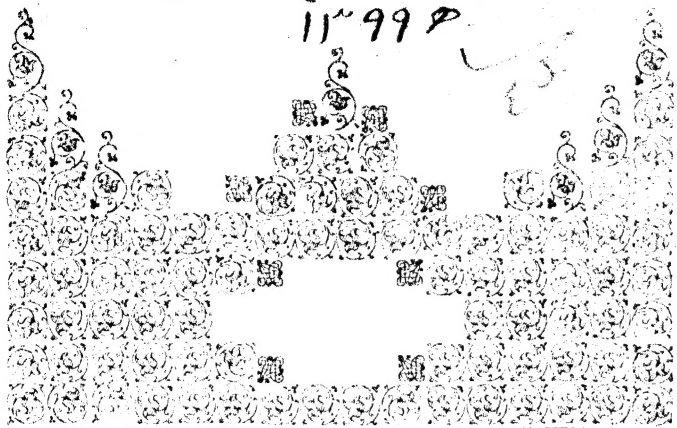
UNIVERSAL
LIBRARY

الجزء السابع من مفاتيح الغيب المشتهر بالتفسير
الكبير للإمام محمد الرازي فخر الدين
ابن العلامة ضياء الدين عمر
المشتهر بخطيب الري
نفع الله به المسلمين
آمين

و بهامشه تفسير العلامة أبي السعود *

﴿ سورة سبأ ﴾ مكية وقيل الاويرى الذين اتوا العالم الآيتة وهى أربع وخمسون آيتة ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الارض (أى له تعالى خلقنا وملكنا ونصرفنا بالايجاد والاعداد والاحياء والامانند جميع ما وجد فيها داخلنا فى حقيقة ما أخرجنا عنهم ما كنا فيها فكلنا له جميع المخاوفات كما مر فى آيتة الكرسي ووصف

١١٩٩



(سورة سبأ مكية وقيل فيها آيتة مدنية وهى ويرى الذين اتوا العالم الذى أنزل اليك الآيتة وهى أربع وخمسون آيتة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الارض وله الحمد فى الآخرة وهو الحكيم الخبير) السور المفتحة بالحمد خمس سور سورتان منها فى النصف الاول وهما الانعام والكهف وسورتان فى الاخير وهما هذه السورة وسورة المائدة والخامسة وهى فاتحة الكتاب تقرأ مع النصف الاول ومع النصف الاخير والحكمة فيها أن نعم الله مع كثرتها وعدم قدرتها على احصائها منحصرة فى قسمين نعمة اليجاد ونعمة الإبقاء فان الله تعالى خلقنا أو رزقنا وخلق لنا ما نقوم به وهذه النعمة توجد مرة أخرى بالاعادة فانه يخلقنا مرة أخرى ويخلق لنا ما يدوم فلنا حالتان الإبداء والاعادة وفى كل حالة له تعالى علينا نعمتان نعمة اليجاد ونعمة الإبقاء فقال فى النصف الاول الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الأنطماط والتور اشارة الى الشكر على نعمة اليجاد و يدل عليه قوله تعالى فيه هو الذى خلقكم من طين اشارة الى اليجاد الاول وقال فى السورة الثانية وهى الكهف الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا فيما اشارة الى الشكر على نعمة الإبقاء فان الشرائع بها البقاء ولو لا شرع يتفادله الخلق لتابع كل واحد هواه ولوقعت المنازعات فى المشتبهات وأدى الى القتال والتفانى ثم قال فى هذه السورة الحمد لله اشارة الى نعمة اليجاد الثانى و يدل عليه قوله تعالى وله الحمد فى الآخرة وقال فى الملائكة الحمد لله اشارة

تعالى بذلك لتقرير ما أفاده تعالى الحمد للعرف بالامانة بالاسم الجليل من اختصاص جميع أفراد به تعالى على ما بين فى فاتحة الكتاب بيان تفرد تعالى واستقلاله بما يوجب ذلك وكون كل ما سواه من الموجودات التى من جللتها الانسان تحت ملكوته تعالى ليس له فى حد ذاتها استحقاق الوجود فضلا عما عده من صفاتها بل كل ذلك نعم فاقضية عليها من جهته عز وجل فاهذا شأنه فهو يعمل من استحقاق الحمد الذى سنده الجليل الصادر عن القادر بالاختيار فظهر اختصاص جميع أفراد به تعالى بقوله تعالى (وله الحمد فى الآخرة) بيان لاختصاص الحمد الاخرى به تعالى اثر بيان اختصاص الديوى به على أن الجبار متعلق اما بنفس الحمد أو بما يتعلق به الخبر من الاستقرار واطلاقه عن ذكر ما يشعر بالمحمود عليه ليس للاكتفاء بذكر كونه فى الآخرة عن التعيين كما كفى فيما سبق بذكر كون المحمود عليه

فى الدنيا عن ذكر كون الحمد ايضا فيها بل ليعلم النعم الاخرى بكافى قوله تعالى الحمد لله الذى صدقنا وعده ﴿ الى ﴾ واورثنا الارض ننبأ من الجنة وقوله تعالى الذى أحسننا دار المقامة من فضله الآيتة وما يكون ذريعة الى نيلها من النعم الديوية كفى قوله تعالى الحمد لله الذى هدانا لهذا لم كنا لاجراؤه هذا من الايمان والعمل الصالح والفرق بين الحمد بن مع كون نعمتى الدنيا والآخرة بطريق

تفضل أن الأول على جميع العباد والآخر على وجه التلذذ والاختصاص وقد ورد في الخبر أنهم يلهجون بالشيخ كالمهزون النقص
وهو الحكيم الذي أحكم أمور الدين والدنيا وديرها حسب مقتضيه الحكمة (الخبر) يباطن الأشياء ومكنوناتها وقوله
مالي (يعلم ما يلج في الأرض) الخ تفصيل لبعض ما يحيط به علمه من الأمور التي نطقت بها مصالحهم الذنوبية والدينية أي
لما يبدل فيهم من الغيب والكنوز والدقائق **ط ٣** والأموات ونحوها (وما يخرج منها) كالحيوان والنبات وما الغيبون

ونحوها (وما ينزل من السماء)
كاللائكة والكتب والمقادير
ونحوها وقرئ وما ينزل
بالشديد وتون العظمة
(وما يعرج فيها) كاللائكة
وأعمال العباد والنجرة
والأدخنة (وهو الرحيم)
للعاينين على ما ذكر من نعم
(الغفور) للفرطين في ذلك
باطن وكرمه (وقال الذين
كفروا لا تأتينا الساعة)
أرادوا الصبر للكل يك جاس
البشر فاطية لا أنفسهم
أو معاصيرهم فقط كأرادوا
بني آياتها في وجودها
بالكلية لعدم حضورها
مع تحققها في نفس الأمر
واعتبروا بهن في ذلك لأنهم
كانوا يحدون بآياتها ولأن
وجود الأمور الزمانية
المستقبلية لا سيما الأجزاء الزمان
لا يكون إلا بالآيات والحضور
وقبل سوا سبيلها لا بآياتها
تعود بطريق الهوى
والشجرة كقولهم من هذا
الوعاء (قل بلى) رد الكلام
وآيات لما نفوه على معنى إسر
الأمر الآتية وقوله تعالى
(ورب لأنتنكم) تأكيد
على أنهم الوجه والكل

إلى نعمة الأبقاء ويدل عليه قوله تعالى جعل الللائكة رسلا وألائكة بأجمعهم
لا يكونون رسلا اليوم القيامة يرسلهم الله مسلمين على المسلمين كما قال تعالى وتلقاهم
اللائكة وقال تعالى عنهم سلام عليكم طمتم فادخلوها خالدين وفاتحة الكتاب لما اشتملت
على ذكر النعمتين بقوله تعالى الحمد لله رب العالمين إشارة إلى النعمة العاجلة وقوله مالك
يوم الدين إشارة إلى النعمة الآجلة قرئت في الافتتاح وفي الاختتام ثم في التفسير مسائل
(المسئلة الأولى) الحمد شكر والشكر على النعمة والله تعالى جعل ما في السموات
وما في الأرض لنفسه بقوله ما في السموات وما في الأرض ولم يبين أنه لنا حتى يجب
الشكر نقول جوابا عنه الحمد يفارق الشكر في معنى وهو أن الحمد أعم فحمد من فيه
صفات حميدة وإن لم ينعم على الخادم أصلا فإن الإنسان يحسن منه أن يقول في حق عالم
لم ينعم به أصلا أنه عالم طاهر بارع كامل يقال له الله حمد فلانا ولا يقال أنه شكره إلا إذا
ذكر نعمه أو ذكره على نعمه فإنه تعالى محمود في الأزل لا تصافد بأوصاف الكمال ودعوت
الجلال وشكركم لا يزال على ما لبس من الكرم ونسب من النعم فلا يلزم ذكر النعمة
للحمد بل يكفي ذكر العظمة وفي قوله ما في السموات وما في الأرض عظمة كاملة فله
الحمد على آياتها وقوله ما في السموات وما في الأرض يوجب شكرا أعم ما يوجب قوله
تعالى خلق لكم ما في الأرض وذلك لأن ما في السموات والأرض إذا سكن الله وحق
المنفعة وزنه لا هو يوجب ذلك شكرا لا يوجب كون ذلك لنا (المسئلة الثانية) قد ذكرتم
أن الحمد ههنا إشارة إلى النعمة التي في الآخرة فلم ذكر الله السموات والأرض فله نعم
الآخرة مرتبة فذكر الله النعم المرتبة وهي ما في السموات وما في الأرض ثم قال وله الحمد
في الآخرة ليقاس نعم الآخرة بنعم الدنيا يعلم فضلها بدوامها وفناء العاجلة ولله حال
مهمه الحكيم الخبر إشارة إلى أن خلق هذه الأشياء بالحكمة والخبر الحكمة صفة ثابتة
لله لا يمكن زوالها فممكن منها مجزأ مثال هذه مرة أخرى في آية سورة (المسئلة الثالثة)
الحكمة هي العلم الذي يصل به الفضل فالحسن من نعم أمرا ولم يأت بما يوجب عليه لا يقال له
حكيم ومن أتى بالرغم عجب على سبيل الاتفاق من غير علم لا يقال له حكيم فالحسن الذي
قوله على وفق العلم هو الحكيم والخبر هو الذي يعلم عواقب الأمور ويوافيها فله الحكيم
أي في الأشياء بخلاف ما ينبغي وخبر أي بالإنهاء يعلم ما إذا صدر من الخلق وما لا يصدر
إلى ما إذا يكون نصير كل أحد فهو حكيم في الابتداء خبر في الانتهاء * يبين الله تعالى لنا
أخبره بقوله (يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو
الرحيم الغفور) ما يلج في الأرض من الحية والأموات ويخرج منها من السنايل
والأحياء وما ينزل من السماء من أنواع رحمتها المطر ومنها الللائكة ومنها القرآن
وما يعرج فيها منها الكلم الطيب لقوله تعالى الذي يصعد الكلم الطيب ومنها الأرواح
ومنها الأعمال الصالحة لقوله والعمل الصالح يرثه وفيه مسائل (المسئلة الأولى) قدم
ما يلج في الأرض على ما ينزل من السماء لأن الحية تبتدأ ولا ثم تسقى ثانيا (المسئلة الثانية)

وقرئ لا أنتنكم على نأو بل الساعة باليوم أو الوقت وقوله تعالى (عالم الغيب) الخ أمد دلالة كيد وتبديله ارتسد بدو كسر اسوا
نكرهم واستبعادهم فإن تعقيب القسم بجلال نعوت المقسم به على الإطلاق يؤذن بغفارة شأن المقسم عليه وقوم ثباته وصحة
الحكم ذات في حكم الإتيان على الأمر ولا ريب أن المستشهد به كل من كان أجل وأعلى كانت الشهادة كدوا أقوى والمستشهد
تعبه الحق بالبوت وأولى لا سيما إذا خص بالذكر من النعم ما بد لا تعبد الأرض

بالقسم حليد كما نحن فيه فان وصفه بعلم الغيب الذي اشتهر قرأه وأدخلها في الخلق هو انقسم عليه ثلثه لهم على علة الحكم
وكونه بمالا يحوم حوله شائبة قرب موافقة الامر بهذه المرتبة من المئين أن لا يبق العالدين عندهما أصلاً منهم كانوا يعرفون أمات
وتزاهد عن وصدة الكذب فضلاً عن المئين الفاجرة وأغلب بصدقه بكتابة وقد في علام الغيب وعالم الغيوب بالرفق
على المدح (لا يعرف عنه) أي لا يدور في قلبه (كسر الهمزة) مثال ذرة مقدار $\frac{1}{2}$ كجم أصغر منه (في السموات ولا في الأرض)

قال وما يرجح فيها ولم يقل يرجح اليها إشارة إلى قبول الأفعال الصالحة ومرتبة النفوس
الراكبة وهذا لأن كلاً من الغاية فتوقل وما يرجح اليها الفهم الوقوف عند السموات فقال
وما يرجح فيها اليهم فتوقلها وصعودها منها ولهذا قال في الكلام الطيب اليه يصعد
الكلام الطيب لأن الله هو المنتهى والمرتبة فوق الوصول اليه وأما أسماء فهي دنيا
ونوعها المنتهى (المسئلة الثالثة) قال وهو الرحيم الغفور رحيم بالارتكاز حيث ينزل الرزق
من السماء غفور عند ما ترجع إليه الأرواح والأعمال فرح أولاً بالارتكاز وغفور ثانياً عند
العروج عنهم بين أن هذه النعمة التي يستحق الله بها الحمد وهي نعمة الأحرار أنكرها قوم
فقال تعالى (وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة) ثم رد عليهم وقال (قل لي وربي
لأنفسكم علم الغيب لا يعرف عند مثال ذرة في السموات ولا في الأرض) ولا أسفر من
ذات ولا أكبر في كتاب مبین يعجز الشان عنها وعلموا انصالحات أولئك لهم مغفرة
ورزق كريم) أخبر بآياتها وأكذباً بين قال ترخصي رحمة الله لوقال قال كذب يصح
السأيد بالمئين مع أنهم يقولون لا رب وان كانوا يقولون ذلك في المسئلة الأصغر
لا تبت المئين وأجاب عنه بأنه لم يقتصر على المئين بل ذكر الدليل وهو قوله يعجز الشان الذي
آمنوا وعلموا انصالحات وبيان صكوت دليلها هو أن المنى قد سبق في السابقة فبذرة
في اللغات المأجلة وعوت عليها والحسن قديم في دار الدنيا في أنتم الشديدة
وعوت فيها الملقولاد ارتكز الأجور فيها كان الأمر على خلاف ما كانوا الذين أقول
أما هو السبيل المذكور في قوله علم الغيب لا يعرف عند مثال ذرة أظهر وذلك لأنه إذا
كان علم الجميع الأشياء علم أجزاء الأجزاء بقدر علم جدها فأنسأه تمكنه القيام وقد
أخبر عنها الصادق فيكون واقعاً على هذا قوله تعالى في السموات ولا في الأرض فيه
أما هو وهي أن الإنسان له جسم وروح والأجسام أجزأها في الأرض والأرواح في
السموات فتوقل لا يعرف عند مثال ذرة في السموات إشارة إلى علمه بالأرواح وقوله ولا في
الأرض إشارة إلى علمه بالأجسام وأما علم الأرواح والاستباح وقدر على جميعها لا يبق
استباح في العاد وقوله ولا أصغر من ذلك إشارة إلى أن ذكر مثال الذرة ليس للتجديد بل
الأنه عند لا يعرف وعلى هذا القول قال فأى حاجة إلى ذكر الأكبر من علم الأصغر
من الذرة لا بد من أن يعلم الأكبر فتوقل لأن الله تعالى أراد بيان البات الأمور في
الكتاب فأوقف على الأصغر أنهم فيهم أنه ثبت انصافاً أن يكونها محل انصافاً أما
الأكبر فلا يبق إلا ما جاء في السابقة لا لا يثبت في الكتاب ليس كذلك فإن الأكبر أيضاً
فيه كبريت ثم لما بين علم الأصغر والكبريت ذكر أن جمع ذلك واثباته الجراء فقال يعجز
الذين آمنوا وعلموا انصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم ذكر فيهم أمرين الإيمان
والعمل الصالح وذكرهم أمرين المغفرة والرزق الذكر جميعاً مغفرة جزاء الإيمان فكل
مؤمن مغفوره ويدل عليه قوله تعالى أن الله لا يعرف أن يشرك به وبغير ما دون ذلك لمن
يشاء وقوله عليه السلام فيها أخبرنا تاج الدين عيسى بن أحمد بن الحكم البندهي قال

أي كائنة فيها (ولا أصغر من ذلك) أي من مثال ذرة (ولا أكبر) أي منه ورفعه على الابتداء والخبر قوله تعالى (أفي كتاب مبین) هو اللوح المحفوظ والمجلة هو كد ثلثي العرب وبقرى ولا أصغر ولا أكبر يتخلف الزاء على أن الجاس ولا يجوز أن يعطف المرفوع على ماقال ولا المرفوع على دراية فتح في جميع الجزأ لا مانع انصرف لما أن المسئلة بعد الأنا يعمل الخبر في علم الغيب ويعمل المثلث في النوح خارجاً عند البروز للفظ المئين له فيكون المعنى لا يفصل عن الغيب شيء الغيب مشهور في اللوح (يعجز الشان) أي آمنوا وعلموا انصالحات) قوله تعالى لا تبتكم بيان لما يقضي أنيائها (أولئك) إشارة إلى الموصول من حيث انصافه بما في حين الصلاة وما يبعد من معنى البعد للآيات بعد منزلة في الفضل والشرف أي أولئك المودعون بالصفات الجلية (أهم) بسبب ذلك (مغفرة) ما فرط منهم من بعض فرطات قد

يخبر عنها البسم (ورزق كريم) لا تعب ويدولان عليه (والذين سواي أياها) بانفسهم فيها وصداقاس في أخبرني عن التصديق بها (معجزين) أي معجزين كيدونوا وقرى معجزين أي مشطين عن الإيمان من أراد (أولئك لهم عذاب عظيم) فيه كالذي مر في قوله تعالى (من رجى) الساب إلى قتادة رضي الله عنه الرجز هو العذاب وقوله تعالى (أليم) يارفة صفة عذاب أي أولئك الساعون لهم عذاب من يجره عذاب شديد

لا يلام وقرى أليم بالجر صفة لجر (و يرى الذين أتوا العلم) أي علم أولو العلم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن شايعهم
من علماء الأمة أو من آمن من علماء أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه حاضري الله عنهم (الذي أرسل إليك من ربك)
أي القرآن (هو الحق) ألصق على أنه معمول ثلث ليس والمفعول الأول هو الموصول الثاني وهو ضمير المفعول وقرى بالرفع على
إفراء والخبر والمجلة هو المفعول الثاني ليس وقوله عز وجل تعالى ويرى الخ مستأنف مسوق للاشتباه بأول العلم على

لجولة لا عين تمشي بالآيات وقيل
منصوب عطفا على يجرى أي
ولم أتوا العلم عند مجي
الساعة فإني أنه الحق حسبا
عنوا لأنهم أمانا ويحبوا به
على المكذبين وقد جوز أن يراد
بأول العلم من لم يؤمن من
لا يبارى أعاو لا يؤمن بالله هو
الحق غير دائر أو مسرعة في
(نزل مني) عطفا على
الحق يستقيم الحق على الاسم
لأنه في أوله لا يملكه فله فعل
مستأنف وتبعض في
قابضات كانه قيل ويرى الذين
أتوا العلم الذي أرسل إليك
الحق وهذا ما (إلى مسراط
الذين أتوا العلم) الذي هو التوحيد
والذين أتوا العلم وقيل
مستأنف وقيل حال من الذي
أرسل على اعتبار ما بدأ به وهو
بهسي كافي قول من قال
يحيوت وأرهم ماله (وقال
الذين كفروا) هم كفار قرش
كأنهم لم يسمعوا منهم أي من
(من لم يسمعوا مني) أي من
التي عده الصلاة والسلام
وأما قصصنا بالكلية الطيرة
والسخر بفتاؤه الله عز وجل
(يحييكم أي يحييكم الله عز وجل)
تجيب وقرى بالرفع على

الخبر والذي عن يدي عن يحيى السند عن عبد الواحد الميمني عن أحمد بن عبد الله
النعيمي عن محمد بن يوسف أن رجلا عن سعد بن الصاري يخرج من الشام قال
لا اله الا الله وفي قبة رزق ذرة من إيمان والرزق الكريم من العمل الصالح وهو مناسب
فإن من عمل الحيد كريم خلافتهم بعد من العمل لا يدين الله عليه العاقل والطاهر
طعاما ووصف الرزق بالكريم فقد كرنا أنه يعني شيء كريم أو كريم أو كريم أو كريم
تخلاف رزق الدنيا فإنه عالم يطلب ويشتد فيه لا يأتي في أنفسهم مسائل (المسئلة
الأولى) قوله أولئك أليم معفرة ورزق كريم ثم جعل وجهين (أحد) أن يكون لهم ذلك
بغير إفشاء الله لهم لقوله يجرى الذين أتوا العلم (والثاني) أن يكون ذلك لهم والله لا يعلم
بشي آخر من قوله أولئك أليم جملة تاممة مبنية وقوله تعالى يجرى الذين أتوا العلم
مستأنف هذا الرابع في الشارة من قبل القائل يجرى الذين أتوا العلم (المسئلة الثانية)
اللام في يجرى للعامل معناه المخرجة لغيره قال فاعلم يا وجه المفسر فاعلم الله
أعالي أراد أن لا يطعن قوله في عمل الحافظ بغير ما كان كونوا به واصلنا بذلك أيضا
ويصل في ما يراه أديها أنكم إذا مقام وقوله الموت لم يملك مقدار ما يكون فيه
في الآخرة إنما نسبها إلى ما فيها وأذا في اليد في الله (المسئلة الثالثة) من الرزق
يا ووصف قوله كريم بما وصف المعفرة لأن المعفرة تواسع في الموت والرزق المعفرة
الزقوم والحجم وبذلك التواضع والكرام السهو يراى الرزق الحاصل لا تقاسم في العلم
المعفرة لعدم التقاسم فيها ثم قال تعالى (وأن من سبي في إيمانهم من أولئك هم بذات
من رزق أليم) لما بين حال الذين بين يوم الشهادتين صفت المتقربين وقوله وأن من سبوا
في إيمانهم أي بالاعتقاد ويكون معناه الذين الذين يأتون وحيد يكون هذا في حافة
مستأنف لأن قوله تعالى أتوا معناه معناه وهذا معناه كثير فأن قيل من أين علم كون
سبهم في الاعتقاد مع أن الله كور معاني السبي فتكون لهم من غلبة تلك المعجزات وقت
لا حال معناه معناه فبهم يرون أنفسهم يأتون في التفرق والتباعد فأن
الساعي معناه لأن القرآن وأبان الله معجزات في نفسها فأنساجها إلى أحد أو أكثر
فقد آتت بأفشاء آيات بدأت فيحتاج إلى السعي والطلب ويضع يروج الذين أليم
يخرج المتكلم به وقيل بأن الزاد من يجرى أي قد بين أنهم يعوتون الله وعلى هذا
يكون كون الساعي سائعا بالاطار في طاعة الله وأمره مستأنف مقابلة لهم رزق أليم
الآية بظاهر (الأولى) قال هؤلاء هم بذات ولم يسميهم الله وقد تضمن السب
منا أن قوله تعالى يجرى الذين أتوا العلم أن يكون الله يجرى بهم الذي آخر وقوله أولئك
لهم مغفرة أخبار عن معناه لهم المذنبين وعلى الجملة فأنساجها في ذلك هناك قائم على ما
قوله يجرى وهم تالم ينل إيجاز بهم فلم يجد ذلك (الثاني) قال هذا لهم معفرة فأنساجها
فإن رزق كريم هو تالم ينل الآلهة عذاب من رزق أليم والجواب قد تقدم مثله (الثالث)
ثم هذا لهم معفرة ورزق كريم ولم يقله عن التوضيح فلم يقل لهم فأنساجها من رزق ولا رزق

إذا فرقت كل فرق أي إذا تم ومن ذنبا جسد كل كل من يوقر كل فرق يجرى من رزق أليم (الثاني)
بذل أي مستأنف في عدل اليد عن الجملة التليد الد الفاعل الحسوت مثل يجرى أو تفرقون فلا تجد بدا للآسيا
بما تحبب وكذلك تقويم الظرف والعامل فيه عادل عليه المذنبين بل ما من مابدان لا يعمل في ما فيها ويجز
فاعل من جدد فهو جدد وقدر فهو قلنا

وقيل معنى مقول من جحد الساج الثوب اذا قطعته ثم شاع (افترى على الله كذبا) فيما قال (أمر به جند) أي جنون بوجه ذلك وبلغه على لسانه والاستدلال بهذا الترتيب على ان بين الصدق والكذب واسطة هو ما لا يكون من الأخبار عن بصيرة بين الفساد لظهور كون الافتراء أخص من الكذب (بل الذي لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والاضلال البعيد) جواب من جهة الله تعالى عن ترديدهم الوارد على طريق الاستفهام بالاضراب عن شقيدوا ايضا هما ٦ ٦ واليات قسم ثالث كاشف عن حقيقة الحال ناع

من جنس كرم وقال ههنا لهم عذاب من رجن أليم بالفتنة صالحة للتيقن وكل ذلك إشارة الى سعة الرحمة وقلة الغضب بالنسبة اليها والرجز قول أسوأ العذاب وعلى هذا من ليات الجنس كقول القائل خاتم من فضة وفي الآليم قراءة ثان الجز والرفع فالرفع على أن الآليم وصف العذاب كأنه قال عذاب أليم من أسوأ العذاب والرجز على أنه وصف الجز والرفع أقرب نظر الى المعنى والرجز نظر الى التفظاظ قيل فلم تخصص الاقسام في المؤمن الصالح عمله والمكذب الساعي العجز لجواز أن يكون أحد مؤمنا ليس له عمل صالح أو كافر متوقف فتشوب اذا علم مال الفريقين المذكورين يعلم ان المؤمن من قريب الدرجة من تقدم أمره والكافر قريب الدرجة من سبق ذكره ولا هو من مغفرة ورزق كرم وان لم يكن في الكرامة مثل رزق الذي عمل صالحا والكافر الغير المعاند عذاب وان لم يكن من أسوأ لانواع الكاذبين المعادين ثم قال تعالى (ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل اليك من ربك هو الحق ويهدى الى صراط العزيز الحميد ثمانية من يسعى في التكذيب في الآخرة بين حاله في الدنيا وهو أن يسعه بان من أوتي علما لا فتر ينكسبه وإيمان ما أنزل الى محمد صلى الله عليه وسلم حق وصدق وقوله هو الحق يشهد الصالحين ليس الحق الا ذلك وأما دلول المكذب في باطل لئلا في ما لا تزع خصمان والتزام الظاهر فيكون قول كل واحد حق في المعنى وقوله تعالى ويهدى الى صراط العزيز الحميد يحتمل أن يكون بين الكون هو الحق فانه هاد الى هذا الصراط ويحتمل أن يكون بآيات فائدة أخرى وهي أنه مع كونه حقا ما هذا بالحق واجب قبول وكيف لا يكون فيه فائدة في الاستقبال وهي التوصل الى الله وقوله العزيز الحميد بغير رغبة ورغبة فانه إذا كان عزيزا يكون ذا التقوى بينهم من الذي يسعى في التكذيب وإذا كان حميدا يشكر سعي من يعتمد عليه ويعمل صالحا في ذلك فانه انصاف الى من يسعى في الصفة التي الرحمة مع تلك أبا تسمى في بين تقدم جانب الرحمة قول كونه عن نظام الله في الدنيا لا تتغير سوى جانب الرغبة من رضا ألبار من رزق وأكرم من رضا من لا يكون كذلك فاعلمة كالتعريف تربى الله ما كان رغب عن التكذيب تروى في التصديق ليحصل القرب من العزيز ثم قال تعالى (وقال الذي كفر وأهل تدنكم على رجل يذكركم اذا من فتم كل منكم انكم في خلق جديد يريد الترتيب هو أن الله تعالى أساء بينهم أنكروا الساعة وردعاهم بقوله قل بل وري أن أنتم ومن ما يكون بعد ان يهتاهم جزاء المؤمن على عمله الصالح وجزاء الساج في التكذيب الايات بالعذاب على السببات بين حال المؤمن والكافر بعد قوله قل بل وري أن أنتم ومن ما يكون هو الذي يقول اني أنزل اليك الحق وهو يهدى وقال الكافر هو الذي يقول هو باطل ومن غاية اعتقادهم وعنادهم في ابطال ذلك فالقول على سبيل التجهيز هل تملكه على رجل منكم يذكركم اذا من فتم كل منكم انكم في خلق جديد وهذا كقول الخائل في الاستعداد جاء رجل يقول ان الشمس تطلع من المغرب الى حال

عليهم سوء حالهم وبآياتهم بما كانوا في جحد عليه الصلاة والسلام كأنه قيل ليس الأمر كما زعموا بل هو في كل اختلال العقل وغاية الضلال عن الله والادراك الذي هو الجنون حقيقة وفيما يؤدي اليه ذلك من العذاب ولذلك يقولون ما يقولون وتبين العذاب على ما يوجد به من ذلك السابغ الى بيان عاينهم ويقت في أعضائهم والاستعداد بما ليس سرعة ترديد عليه كأنه يسا بقدر خبيثته ووصف الضلال بالبداء أي هو وصف انضال الجاهل بوضع الموصول موضع ضميرهم التثنية يأتي سبع الصلاة على أن فقاما ارسكون واجتنبوا عليهم من الشناعة العظيمة كفرهم بالآخرة وما فيها من فتون العذاب لولا لما فعلوا ذلك خوفا من عائلته وقوله تعالى (أنتم روادى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء الارض) استئناف موقوف فهو يلما اجتمعوا عليه من تكذيب آيات مال واستفهاما فاقوا ليداء اصلا والاسلام فأنهم الوجه ليرزول

حاول اضع العذاب من غير بث وتأخير والفاء للعطف على متدر بتضحية المقام وقوله تعالى (ان) نبي الله ذكر انما ظنهم من المحدثون الموقوع من جهنم وفيه تنبيه على أنه لم يبق من أسباب وعذابهم لولا ما فعلوا من المنكر الهائل المستعجب فلم ينظروا الى ما لحظ بهم من جميع جوانبهم (لهم) ليرزول

على موجب جنابهم (تخسف بهم الارض) كما تخسفها بقارون (أونسط عليهم كسفا) أي قطعها (من السماء) كما اسقطها
على أصحاب الايكلا شيوخهم ذلك بما ارتكبه من الجرائم وقيل هو نذير كبر عاينونه مما يدل على كمال قدرته وما يحتمل فيه ازاحة
لاستحيائهم البعث حتى جعلوا افتراء وهو نذير وتهديد عليهم والاعنى أنهم فلم ينفروا الى ما لحاظ بحوائجهم من السماء والارض
ولم يتذكروا أنهم أشد خلقا أم هي وإن نشأ تخسف **٧** بهم الارض أونسط عليهم كسفا التذكيرهم بالآيات المتظهور

النبات فأبلى وكن على الحق
المبين وقرى تخسف و اسقط
طال الله تعالى أقرى على الله
وكسفا سكوت المسكين (ان في
ذلك) أي فيما ذكر من السماء
والارض من حيث احاطت بها
بالناظر من جميع الجوانب أو
في بلي من الوحي الشافي بما
ذكر (لا يذنب) واحدة (لكل
عبد متب) شانه الانابة الى
ربه فانه اذا تأمل فيها ما أوفى
الوحي المذكور يترجر عن
تعاطي التبايع و رتب اليه
تعالى وفيه حث بامع على اتوب
والانابة وقد أكد ذلك بقوله
تعالى (ولقد آتينا داود منا
فضلا) أي آتيناه الحسن انانية
وحسنه توبه فضلا على سائر
الانبياء عليهم الصلوة والسلام
أي نوعا من الفضل وهو ما
ذكر بعد فانه بحجة خاصة
به عليه الصلاة والسلام أو
على سائر الناس فيندرج فيه
الشوة والكتساب والمالك
والصوت الحسن فتشكرهم للتخفيف
ومتنا كيد فيجاءه الثانية
بفخامته الاضافية كافي قوله
تعالى وآتيناه من لدنا ع
وتقدم على المنعوا (الان)
للإهتمام بالمقدم على السار

من المحلات **٨** ثم قال تعالى (أقرى على الله كدبام به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة
في العذاب والصلالة البعيد) هذا يستعمل وجهين (أحدهما) أن يكون تمام قول الذين
كفروا أولا أعنى هو من كلام من قال من تدنكم ويحتمل أن يكون من كلام السامع
الجبيل لمن قال هل ذلكم كل السامع لما سمع قول القائل هل تدنكم على رجل قاله
أهو يقترى على الله كدبار كان يعتقد خلافه أم به جنة جنون ان كان لا يعتقد خلافه
(وهي هذا الطيف) وهي ان الكفار لا يرضى بأن يظهر كدبه وانما قسم ما يجرم بأنه مقرر
بل قال مقترا بخون احترامه أن يقول قائل كيف يقول بأنه مقرر مع انه جاز أن يرضى
أن الحق ذلك فظن الصديق منع نسبة القائل مقتريا وكذا في بعض التوسيع أم يرى أن
من يؤول جاء في فاذاتين أنهم يعني وقول انه كدبت يقول ما كدبت وانما سمعت من فلان
السماع فظن انه صادق فيردفم الكذب عن نفسه بانطق فهم احزروا عن تدين كدبهم
فقل عاقل ينبغي أن يحترق ظهور كدبه عند الناس ولا يكون أدنى درجة من
الكفار ثم تعالى أياهم مرة أخرى وقال بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب في
مشابهة قولهم أقرى على الله كدبا وقوله والصلالة البعيد في مقابلة قولهم به جنة
والصلالة تناسب اما العذاب ولان نسبة الكذب الى انصاف في مؤذنة لانه شهادة عليه بأنه
يستهفي العذاب فعمل العذاب عليهم حيث نسبوه الى الكذب وأما الجنون فلان نسبة
الجنون الى العاقل دونه في الغيبة لانه لا يشهد عليه بأنه يخطئ ولكن ينسبه الى عدم
الهيمنة فيبنيهم هم الضالون ثم وصف ضلالهم بالبعث من يسمى المهتدي ضلالا يكون
هو الضال لأن يسمى الهادي ضلالا يكون أصله والي عايد الصلوة والسلام كل هادي كل
معتد **٩** ثم قال تعالى (أظفروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ
تخسف بهم الارض أونسط عليهم كسفا من السماء) لما ذكر التليل بكونه عالم الغيب
وكونه جازع على السيات والحسنة ذكر دلائل اخر وذكر فيه تهديدا أما التليل فتقوله
السماء والارض فانها يدلان على الوحدة كدبهم كما بيناه مرارا وكما قال تعالى ولكن سألهم
من خالق السموات والارض ليقول الله ويدلان على الحسنة لانها يدلان على كمال قدرته
ومنها الاعادة وقد ذكرناه مرارا وقال تعالى أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر
على أن يخلق مثلهم وأما التهديد فتقوله ان نشأ تخسف بهم الارض يعني ليعمل عيث
فأفهم صارهم بالحسيف والكسيف **١٠** ثم قال تعالى (ان في ذلك لآية لكل عبد متب) أي
كل من يرجع الى الله ويترك التعصب **١١** ثم ان الله تعالى لما ذكر من شيب من عباده ذكر
منهم من آتت وأصاب ومن جعلهم داود وكافل تعالى عنه فاستقر به وخرأ كما
أتاب وبين ما اتاه الله على انانية فقال (ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبي معه
الطمر وأنا لله الحديد) وفي الآية مسائل (المسألة الاولى) قوله تعالى مثاشارة الى بيان
هناك وفيه السلام وتقر به هو ان قوله ولقد آتينا داود منا فضلا مستقر بالمعوم وتام

اذا مر قم كما جسد القديم اذا أخرجت النفس متربة لافا داود هاتين عندهما فضل تكن (يا جبال أوبي معه مثاشارة الى
بدن) أي مسبح السبح على الذنب وذلك اما بان يخلق الله تعالى فيه أصواتا مثل صوت كاخاق الكلام يشد لآلة الجبل
الجوهرية و كمن أوبي من الاوب أي ارجعي معي في السبح كما رجع فيه وكان كاسبح عليه الصلاة والسلام حصينة
مأجل من جسد متربة له عليه الصلاة والسلام

وقيل قدر في مساميرها فلا تعمل لها دقا ولا غلاظا ورد بان در وعه عليه الصلاة والسلام ان تكن مسمرة كايدي عند الانة الحديد
وقيل معنى قدر في السرد لا تصرف جمع اوقاتك اليه بل مقدار ما تحصل به القوت واما الباقي فاصرفه الى العبادة وهو الانسب بقوله
تعالى (واعملوا الصالحات) ثم الخطاب بحسب عموم التكليف له عليه الصلاة والسلام ولا هله (اني تاملون بصير) قوله لا لامر او
لوجوب الامثال به (ولسليمان الريح) أي وسخر ناله **٩** الريح وقرى برفع الريح أي ولسليمان الريح مسخرة وقرى

الريح (غديرها شهر ورواحها شهر) أي جرمها بالاناء مسيرة
شهر وجرها بها بالشي كدالك
والجمله اما سائر انباء احوال عن
الريح وقرى غديرها ورواحها
وعن الحسن رحمه الله كان
يعبر اى من دمشق فقتل
اصطبر ثم روح فيكون رواجه
بكبا وقيل كان يعبر بالري
ويشفي اسمر قدس يخكى أن
بعضهم رأى مكتوباً في منزل
بالحيرة دابة كذب بعض
اصحاب سليمان عليه السلام
فمن زنته وما يذنه ومبينا
وجذنه غديرها من اصطبر
فقتله ونحن راضون منه
فما توبوا بشأنه ان شاء الله تعالى
(وأسئلته عين القطر) أي
لحسن المذاب أسأله من معذنه
كما أن الحديد لداود عليه
السلام فضع منه ثوب من الما من
النوع وذلك سبي عينا وكان
ذلك باي وقيل كان يسيل في
الشهر ثلاثة أيام وقوله تعالى
(ومن الجن من يعمل بين يديه)
أما جملة من مبتدأ وخبر ومن
يعمل عطف على الريح ومن الجن
حال مقدمه باذن ربه بأمره
تعالى كايدي عنه قوله تعالى
(ومن يزغ منهم عن أمرنا)
أي ومن يعدل عنهم عما أمرناه به

يرأى من الملك يحسن العمل ويفقه ويجهد فيه ثم لذكر المنيب الواحد ذكر من يذنب آخر وهو
سليمان كما قال تعالى وألينا على كرسيه جسدنا ثم أناب * وذكر ما استفاد هو بالاناء فقال
(ولسليمان الريح غديرها شهر ورواحها شهر) وأسئلته عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه
بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا ذمة من عذاب السمير) وفيه مسائل (المسئلة الأولى)
قرى ولسليمان الريح الرفع وبانصب وجه الرفع ولسليمان الريح مسخرة أو سخرت سليمان
إلى ربه وجه انصب ولسليمان سخرنا لريح وشرع وجه آخر وهو أن يقال معناه ولسليمان
الريح كما يقال زيد الدار وذلك لأن الريح كانت له كالمأولك المخصص به بأمرها يساريد
حيث يريد (المسئلة الثانية) الواو لا عطف فعلى قراءة لرفع يصير عطفاً لوجه الصيغة على جملة
فعلية وهو لا يجوز أو لا يحسن فكيف هذا وقول المابين حال داود كأنه تعالى قال ما ذكرنا
لداود ولسليمان الريح وأما على انصب فعلى قولنا أو أناله الحديد كأنه قال وأنا لداود
الحديد وسخرنا لسليمان الريح (المسئلة الثالثة) المسخر لسليمان كانت رجا مخصوصة
لا هذه الريح فلهذا المنافع عامة في أوقات الحاجات وبدل عنده انهم يقرأ الآية التي الوحيدة فما
قرأ أحد الريح (المسئلة الرابعة) قال بعض الناس المراد من تخيير الجبال واستجابه عامع
داود أنها كانت تسبح كما يسبح كل شيء وإن من شيء الا يسبح بحمده وكان هو عليه السلام
يفقه تسبيحها فيسبح ومن تسبح الريح اندراض الخيل وهي كالريح وقوله شدوهها شهر
ثلاثون فرسخاً لأن من يخرج لا فرج في أنظر الأمر لا يسيراً ثم من فرسخ وربع كدالك
وقوله في حق داود وألناه الحديد قوله في حق سليمان وأسئلته عين القطر أنهم استخرجوا
تدوير الحديد والتحاس ما نارا واستعمال الآلات منهم ما وشياطين أي أناساً أو ياء
وهذا كدالك فاسد حله على هذا ضعف اعتماده وعدم اعتماده على قدرة الله فلا قادر على كل
ممكن وهذه أشياء يمكنه (المسئلة الخامسة) أقول قوله تعالى وسخرنا مع داود الجبال وقوله
ولسليمان الريح عاصفة نوقال قائل ما الحكمة في أن الله تعالى قال في الآية وسخرنا مع
داود الجبال وفي هذه السورة قل باجبال أو في معه وقال في الريح هناك وهو نوا سليمان
نقول الجبال لما سبحت شرفت بذكر الله فلم يصفها إلى داود بلام الملك بل جعلها معه
كالصاحب والريح لم يذكر فيها أنها سبحت فجعلها كالمأول كدالك وهذا حسن وفيه أمر آخر
عقول يظهري وهو أن على قولنا أو في معه سبى فالجبل في السير ليس أسهل بل هو يتحرك
مع تبعه والريح لا تتحرك مع سليمان بل تتحرك سليمان مع نفسه فلم يقل الريح مع سليمان
بل سليمان كان مع الريح وأسئلته عين القطر أي التحاس ومن الجن أي سخر ناله من الجن
هذان يذنب عن أن جميعهم ما كانوا تحت أمر وهو الظاهر واعلم أن الله تعالى ذكر ثلاثة
شياء في حق داود وثلاثة في حق سليمان عليهما الصلاة والسلام فالجبال المسخرة لداود من
سب تسخير الريح لسليمان وذلك لأن الثقل مع ما هو أخف منه إذا تحرك كما سبق
ثقل الثقل وبيق الثقل مكانه لكن الجبال كانت أثقل من الآدمي والأكبر أثقل

بأعنة سليمان وقرى يزغ **٢** سا على النبوة للمعقول من أزاغه (تذمة من عذاب السمير) أي عذاب النار في
مرة روى عن السدي رحمه الله كان معه ملك بيده سوط من نار كل من استعصى عليه ضرب به من حيث لا يراه الجن
لأنه لما يشاء) تفصيل لما ذكر من عليهم وقوله تعالى (من يحارب) الحارث لما يشاء أي من قصه حصنة

ومساكن شريفة سميت بذلك لانها يذب عنها ويحارب عليها وقيل هي المساجد (وتماثيل) وصور الملائكة والانباء عليهم الصلاة والسلام على ما اعتادوه فانها كانت تعمل حينئذ في المساجد ليها الناس ويعبدوا مثل عباداتهم وحرمة التصاوير شرع جديد وروى انهم عملوا أسدين في أسفل كرسية ونسرين فوقه فاذا أراد أن يصعد بسط الاسد ان ذراعهما اذا قد اظله النسران يا جنتهما (وجفان) جمع جفنة وهي الصفحة (كالجواب) كالخياض ﴿ ١٠ ﴾ الكبار جمع جاية من الجاية لاجتماع المله

فيها وهي من الصفات الغالبة كالداية وقرى بآيات الباء قيل كان يبعد على الجفنة ألف رجل (وقدور راسيات) ثابيات على الانافي لانزل عنها العظمها (اعلموا ال داود شكر) حكاية لما قيل لهم وشكر انصب على انه مفعول له أو مصدر لاعلموا لان العمل بالنعم شكره أو لفعله المحذوف أي اشكروا شكرا أو حال أي شاكرين أو مفعول به أي اعلموا شكرا (وقليل من عبادي الشكور) أي المتوفين على أداء الشكر بقوله ولسانه وجوارحه أكثر أوفاته ومع ذلك لا يوفي حقه لان التوفيق الشكر نعمة تستدعي شكر آخر لا إلى نهايه وذلك قيل اشكروا من يرى عجزه عن الشكر وروى أنه عليه الصلاة والسلام جراً ساعا الليل والتها على أهله فلم تكن تأتي ساعة من الساعات الا وانسان من آل داود قائم يصلي (فلما قضينا عليه الموت) أي على سليمان عليه السلام (ماداهم) أي الجن وأوله (على موته الاذابة الارض) أي الارضة أضفت الى فعلها وقرى بفتح الزاء وهو نائر

من الريح فقد رآه ان سار الثقيل مع الخفيف أي الجبال مع داود على ما قلنا أو في أي سمرى وسليمان وجنوده مع الريح الثقيل مع الخفيف أيضا والطير من جنس تسخير الجن لانها لا يجتمعان مع الانسان الطير لتفوره من الانس والانس لتفوره من الجن فان الانسان يتقي مواضع الجن والجن يطلب أبدا اصطيدا الانسان والانسان يطلب اصطيدا الطير فقد رآه ان سار الطير لا تفور من داود بل يستأنس به ويطلبه وسليمان لا يتفر من الجن بل يسخره ويستخدمه وأما القطر والحديد فنجاسهما غير خفي (وهنا لطيفة) وهي ان الآدمي ينبغي أن يتقي الجن ويحتميه والاجتماع به يقضي الى المفسدة ولهذا قال تعالى أعوذ بك من هزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون فكيف طلب سليمان الاجتماع بهم فقول قوله تعالى من يعمل بين يديه باذنه به إشارة الى أن ذلك الحضور لم يكن فيه مفسدة (والطيفة أخرى) وهي أن الله تعالى قال ههنا باذن ربه بلفظ الرب وقال ومن يرغ منهم عن أمر ناولم يقل عن أمر ربه وذلك لان الرب لفظ ينبي عن الرحمة فعندما كانت الإشارة الى حفظ سليمان عليه السلام قال ربه وعندما كانت الإشارة الى تعذيبهم قال عن أمر نالفظ العظيم الموجب لزيادة الخوف وقوله تعالى نذقه من عذاب السعير فيه وجهان (أحدهما) ان الملائكة كانوا مؤكلين بهم وبأيديهم متارعة من نار فالإشارة اليه (وثانيهما) ان السعير هي ما يكون في الآخرة فأوعدهم عاقب الآخرة من العذاب ثم قال تعالى يعملون له ماشاء من محارب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعلموا آل داود شكر أو قليل من عبادي الشكور المحارب التماثيل من النفوس ثم لما ذكر انشاء الذي هو المسكن بين ما يكون في المسكن من ماعوق الاكل فقال وجفان كالجواب جمع جاية وهي الحوض الكبير الذي يحجي المله أي يجمعه وقيل كان يجتمع على جفنة واحدة أنفس نفوس وقدور راسيات ثابيات لا تقتل لكبرها وانما يعرف منها في تلك الجفان وقبة مسائل (المسئلة الاولى) قدم المحارب على التماثيل لان النفوس تكون في الانبيسة وقدم الجفان في الذكر على القدور مع ان القدور آلة الطبخ والجفان آلة الاكل والاطبخ قبل الاكل فيقول لما بين الانبيسة الملائكة أراد بيان عظمة السمات الذي عد في تلك الدور وأشار الى الجفان لانها تكون فيه وأما القدور فلا تكون فيه ولا تحضر هناك ولهذا قال راسيات أي غير مة ولا ت ثم لابين حال الجفان العظيمة كان يقع في النفس ان الطعام الذي يكون فيها في أي شيء يطبخ فأشار الى القدور والناسبة للجفان (المسئلة الثانية) ذكر في حق داود اشغاله بالآلة الحرب وفي حق سليمان بحالة السلم وهي المساكن والمساكن وذلك لان سليمان كان ولد داود وداود قتل جالوت والملوك الجبارة واستوى داود على الملك فكان سليمان كولد ملك يكون أبوه قد سوى على ابنه الملك وجعله المال فهو يفرقه على جنوده ولان سليمان لم يقدرا أحد عليه فظن فتركوا الحرب معه وان حارب أحد

الخشب من فعلها يقال أرضت الارضة الخشب أرضا فأرضت أرضا مثل أكلت القوارح أسنانه أكلت أكلت كان منسأته أي عصاه من نسأت البعير اذا طردته لانها يطردها ما يطردها وقرى منسأته بألف سا كنهه بدل من الهمة وجمرة سا كنهه وبأجر اجها بين بين عند الوقف ومنسأته على مفعلة كبضاعة في ميسأة ومن سأته أي من طرف بعصاه من سأة

التوس وفيه لغتان كافي فحة بالكسروا الفتح وقرئ أ كالت منسأته (فلاخر تبنت الجن) من تبنت الشيء اذا علمته بعد التماسه عليك
اي علمت الجن علمائهم بعد التماس الامر عليهم (أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا في العذاب المهين) أي أنهم لو كانوا يعلمون الغيب
كأنهم يعلموا موته عليه الصلاة والسلام حينما وقع فزلبشوا بعده وحولاً في تخبيره إلى أن خرواً من تبين الشيء اذا ظهر وتجيلى
أي ظهرت الجن وأن مع مافي حيز هابل ١١ اشتغال من الجن أي ظهر أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب الخ وقرئ

تبنت الجن على البناء للمفعول
على أن المتبين في الحقيقة هو
أن مع مافي حيزها لانه بدل
وقرئ تبنت الانس والضمير
في كانوا للجن في قوله تعالى
ومن الجن من يعمل في قراءة
ابن مسعود رضى الله عنه
تبنت الانس أن الجن لو كانوا
يعلمون الغيب روى أن داود
عليه السلام أسس ببيان
بيت المقدس في موضع
فقطط موسى فتوفي قبل
تمامه فوصى به الى سليمان
عليهما السلام فاستعمل
فيه الجن والشياطين
فباشروه حتى اذا حان أجله
وعلم به سأل ربه أن يعمي
عليهم موته حتى يفرغوا منه
ولتطيل دعواهم علم الغيب
فدعاهم فبشوا عليه صرحا
من قوارير ليس له باب فتنام
يصلى متكئا على عصاه
فقبض روحه وهو متكئ
عليها حتى كذلك وهم
فيما أمروا به من الاعمال حتى
أ كالت الأرض عصاه فحز
ميتا وكانت الشياطين
تجتمع حول محرابه أينما صلى
عباده الصلاة والسلام فلم يكن
يضلهم الشيطان في صلاته

كان زمان الحرب يسيرا لادراكه اياه بالريح فكان في زمانه العظمة بالاطعام والانعام
(المسئلة الثالثة) لما قال عقيب قوله تعالى أن اعلن سابعات اعملوا صالحا قال عقيب
ما بعلمه الجن اعملوا آل داود شكرا اشارة الى ما ذكرنا ان هذه الاشياء حالية لا ينبغي ان
يجعل الانسان نفسه مستغرقة فيها وانما الواجب الذي ينبغي أن يكثر منه هو العمل
الصالح الذي يكون شكرا وفيه اشارة الى عدم الالتفات الى هذه الاشياء وقلة الاشتغال
بها كافي قوله وقدر في السرد أي اجمله بقدر الحاجة (المسئلة الرابعة) انتصاب شكرا
يحتمل ثلاثة أوجه (أحدها) أن يكون مفعولا له كقول القائل جئتكم طمعا وعبدت الله
رجاء غفرانه (وثانيها) أن يكون مصدرا كقول القائل شكرت الله شكرا ويكون المصدر
من غير لفظ الفعل كقول القائل جلست فعودا وذلك لان العمل شكر ف قوله اعملوا
يقوم مقام قوله اشكروا (وثالثها) أن يكون مفعولا به كقولك اضرب زيدا كقائل تعالى
واعملوا صالحا لان الشكر صالح (المسئلة الخامسة) قواه وقليل من عبادي الشكور
اشارة الى ان الله خفف الامر على عباده وذلك لانه لما قال اعملوا آل داود شكرا فهم منه
ان الشكر واجب لكن شكر نعمه كما ينبغي لا يمكن لان الشكر بالتوفيق وهو نعمة تحتاج
الى شكر آخر وهو بتوفيق آخر ف دائما تكون نعمة الله بعد الشكر خاتمة من الشكر
فقال تعالى ان كنتم لاتقدرون على الشكر التام فليس عليكم في ذلك حرج فان عبادي
قليل منهم الشكور ويقوى قولنا أنه تعالى أدخل الكل في قوله عبادي مع الاضافة الى
نفسه وعبادي بلفظ الاضافة الى النفس التكلم لم ترد في القرآن الا في حق الناجين كقوله
تعالى يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله وقوله ان عبادي ليس
لك عليهم سلطان فان قيل على ما ذكرتم شكر الله بتمامه لا يمكن وقوله قليل يدل على ان في
عباده من هو شاكر لانه نعمه نقول ان الشكر بقدر الطاقة البشرية هو الواقع وقليل فاعلمه
وأما الشكر الذي يناسب نعم الله فلا قدرة عليه ولا يكلف الله نفسا الا وسعها أو قول
الشاكرا التام ليس الامن رضى الله عنه وقال له يا عبادي ما آتيت به من الشكر القليل
قبلته منك وكتبته لك انك شاكر لانعمي بأسرها وهذا القول نعمة عظيمة لا اكلفك
شكرا ثم قال تعالى (فما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل
منسأته فلاخر تبنت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا في العذاب المهين) لما بين
عظمة سليمان وسحر الرجوع والروح له بين انه لم ينج من الموت وانه قضى عليه الموت تنبها
للخلق على ان الموت لا بد منه ولو نجاه أحد لكان سليمان أولى بالنجاة منه وفيه مسائل
(المسئلة الاولى) كان سليمان عليه السلام يقف في عبادة الله ليلة كاملة ويوما تاما وفي
بعض الاوقات يزيد عليه وكان له عصايتي عليها واقفا بين يدي ربه ثم في بعض الاوقات
كان واقفا على عادته في عبادته اذ توفي فظن جنوده انه في العباداة وبقي كذلك اياما
ونمادى شهورا ثم اراد الله اظهار الامر لهم فقدر ان أ كالت الارض عصاه فوقع

الاحترق فرب يوم شيطان فأنظر فاذا سليمان عليه السلام قد خر ففحقوا عنه فاذا عصاه قد أ كلتها الارض فارادوا
أن يعرفوا وقت موته فوضعوا الارض على العصا فاكلت منها في يوم وليلة مقدار الخسب واعلى ذلك فوجدوه قد مات منسأته وكان
عمره ثلاثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وبقي في ملكه أربعين سنة وابتدأ بنو بيت المقدس لاربع ماضين من ملكه
(لشدكان اسبا) بيان لاخبار بعض الكفار بنعم الله تعالى بآثار بيان أحوال الشاكرين لهم أي لاولاد سليمان يشجب بن بعرب بن

فحطان وقرى، عثم انصرف على أنه اسم القبيلة وقرى بقلب الهمزة الفاو لعله اخراج لها بين بين (في مسكنهم) وقرى بكسر الكاف كالسجد وقرى بانفذا لجمع أى مواضع سكناتهم وهى بالين يقال لها أرب بينها وبين صنعاء مائة وثلاث ايام (آية) دالة بلا حظة أحوالها السابقة واللاحقة على وجود الصانع المختار القادر على كل ما يشاء من الامور البديعة المجازى للمحسن والمسيء معاضدة لبرهان السابق كما في قصص داود وسليمان عليهما السلام ﴿ ١٢ ﴾ (جنتان) بدل من آية أو خبر مبتدأ

محذوف أى هى جنتان وفيه معنى المدح وبؤيه قراءة النصب على المدح والمراد بهما جاعتان من البساتين (عن عيين وشمال) جاعة عن عيين بلدهم وجاعة عن شماله كل واحدة من بساتين الجماعتين في تقاربهما وتضامهما كأنهما جنة واحدة أو بستانا كل رجل منهما عن عيين مسكنه وعن شماله (كأوا من رزق ربكم واشكروا له) حكايته لما قبل لهم على لسان نبيهم تكبيل النعمة وتذكير الحقوقها ولما نطق به لسان الحال أو بيان لكونهم أحقاء بان يقال لهم ذلك (بلدة طيبة ورب غفور) استئناف مبين لما يوجب الشكر المأمور به أى بلدكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم ما فيها من الطيبات وطلب منكم الشكر رب غفور افرطت من يشكره وقرى الكل بالنصب على المدح قيل كان أطيب البلاد هوا وأخصبها وكانت المرأة تخرج وعلى رأسها المكمل فعمل بيديها ونسج فيا بين الاشجار فيئى لئلا ينكسر مما يساقط فيه من الثمار وما يكن فيه من مؤذيات الهواء شئ (فأعرضوا) عن الشكر بعد ابانة الآيات الداعية لهم اليه قيل ﴿ دوام ﴾

وعلم حاله وقوله تعالى فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين كانت الجن تعلم ما لا يعلمه الانسان فظن أن ذلك القدر علم الغيب وليس كذلك بل الانسان لم يؤت من العلم الا قليلا فهو أكثر الاشياء الحاضرة لا يعلمه والجن لم تعلم الا الاشياء الظاهرة وان كانت خفية بالنسبة الى الانسان وتبين لهم الامر بأنهم لا يعلمون الغيب اذ لو كانوا يعلمونه لما بقوا في الاعمال الشاقة ظانين ان سليمان حى وقوله ما لبثوا في العذاب المهين دليل على ان المؤمنين من الجن لم يكونوا في التسخير لان المؤمن لا يكون في زمان النبي في العذاب المهين ثم ﴿ قال تعالى ﴾ (لقد كان لسبأ في مسأكنهم آية جنتان عن عيين وشمال كأوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور) لما بين الله حال الساكنين لعمد بذكر داود وسليمان بين حال الكافرين بأنهم يحكاية أهل سبأ وفي سبأ قراءتان بالفتح على أنه اسم بقعة وبالجر مع التنوين على أنه اسم قبيلة وهو الاظهر لان الله جعل الآية لسبأ والقاهم وهو العاقل لا المكان فلا يحتاج الى اضممار الاهل وقوله آية أى من فضل ربهم ثم يذنب ذكر بده بقوله جنتان عن عيين وشمال قال الزمخشري آية أى جنتين مع ان بعض بلاد العراق فيها آلاف من الجن وأنجاب بان المراد ان لكل واحد جنتين أو عن عيين بلدهم وشماله اجتماعان من الجنات ولا اتصال بعضها ببعض جعلها جنة واحدة قوله كأوا من رزق ربكم اشارة الى تكميل النعم عليهم حيث لم ينعمهم من أكل ثمارها خوف ولا مرض وقوله واشكروا له بيان أيضا التكامل النعمة فان الشكر لا يطلب الا على النعمة المتعبرة ثم لما بين حالهم في مسأكنهم وبساتينهم وأكلهم أتم بيان النعمة بان بين ان لا غفلة عليه ولا تبعة في المال في الدنيا فقال بلدة طيبة أى طاهرة عن المؤذيات لاجية فيها ولا عرق ولا وباء ولا وشم وقال ورب غفور أى لا عقاب عليه ولا عذاب في الآخرة فغنى هذا بان كمال النعمة حيث كانت لذة حامية خالية عن الفاسد المألية * ثم انه تعالى لما بين ما كان من جانبه ذكر ما كان من جانبهم فقال (فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى اكل خط وائل وشئ من سدر قليل ذلك جزيتاهم بما كفروا وهل تجازى الا الكفور) فبين كمال ظلمهم بالاعراض بعد ابانة الآية كما قال تعالى ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها ثم بين كيفية الانتقام منهم كما قال انامن المجرمين متفقون وكيفيته انه تعالى أرسل عليهم سبلا غرق أموالهم وخرب دورهم وفي العرم وجوه (أحدها) انه الجرد الذى سبب خراب السكر وذلك من حيث ان بلقيس كانت قد عمدت الى جبال يثربها شعب فسدت الشب حتى كانت مياه الامطار والعيون تتجمع فيها وتصبير كالبحر وجعلت لها ابوابا ثلاثا تمر تبة بعضها فوق بعض وكانت الابواب يفتح بعضها بعد بعض فتقب الجرد السكر وخرب انسكر بسية وانقلب البحر عليهم (وثانها) ان العرم اسم السكر وهو جمع العرمة وهى الحجارة (ثالثها) اسم للوادي خرج منه الماء وقوله وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى اكل خط بين به

الثمار وما يكن فيه من مؤذيات الهواء شئ (فأعرضوا) عن الشكر بعد ابانة الآيات الداعية لهم اليه قيل ﴿ دوام ﴾ أرسل الله اليهم ثلاثة عشر نبياف عبدهم الى الله تعالى وذكرهم بنعمه وأذروهم عقابه فكذبوه (فأرسلنا عليهم سيل العرم) أى الصعب من عرم الرجل فهو عارم وعرم اذا شرس خلقه وصعب أو المطر الشديد وقيل العرم جمع عرمة وهى الحجارة المارومة وقيل هو السكر الذى يخبس الماء وقيل هو اسم البتاء الذى يجعل سدا

وقيل هو البناء الرصين الذي بنه الملكة بلقيس بين الجبلين بالصخر والقار وحقت به ماء العيون والامطار وتركت فيه خروفا على ما يحتاجون اليه في سقيهم وقيل العرم الجرذ الذي نقب عليهم ذلك السد وهو الغار الاعمى الذي يقال له الخلد سلطه الله تعالى على سدهم فقبه ففرق بلادهم وقيل العرم اسم الوادي وقرى العرم يسكون الراة قالوا كان ذلك في الفترة التي كانت بين عيسى والنبي عليهما الصلاة والسلام ١٣ (و بدلتناهم بجنتيهم) أي أدعينا جنتيهم وآتيناهم

بدلوا (جنتي ذاتي اكل خط) أي ثمر يشع فان الخمط كل نبات أخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن أكله وقيل هو الحامض والمرن كل شيء وقيل هو ثمرة شجرة يقال لها فسوة الضبع على صورة الحشخاش لا تدفع بها وقيل هو الراك أو كل شجرة ذى شوك والتقدير أكل أكل خط فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وقرئ اكل خطا لاضافته وتخفيف اكل (وائل وشي من سدر قليل) معطوفان على اكل لاشي خطا فان الائل هو الطرفاء وقيل شجرة يشبهه أعظم منه ولا ثمرة وقرئ وأثلا وشي أعصفا على جنتيه قيل وصف الصدر بالقلة المأر جناه وهو التيق مما يطيب أكله ولذلك بغرس في البساتين والصحيح أن الصدر صنفان صنف يؤكل من ثمرة وينفع بورقه لغسل البد وصف له ثمرة عصفة لا تؤكل أصلا ولا ينفع بورقه وهو الضال والمراد ههنا هو الثاني حقاوة قناه كان شجرهم خير الشجر نصبره الله تعالى من شر السد بأعمالهم ونسيمة البدل جنتي للمساكلة والنهمك (ذلك

دوام الخراب وذلك لأن البساتين التي فيها الناس يكون فيها القواكه الطيبة بسبب العمارة فاذن تركت سنين تصير كأنغضة ولا يجد تلف الأشجار بعضها ببعض وتلتب المسدات فيها فتقل الثمار وتكثر الأشجار والخمط كل شجرة لها شوك وكل شجرة ثمرتها مرة أو كل شجرة ثمرتها لا تؤكل والائل نوع من الطرفاء ولا يكون عليه ثمرة الا في بعض الافاق يكون عليه شيء كالعنص أو أصغر منه في طعمه وطبعه والسدر معروف وقال فيه قليل لانه كان أحسن أشجارهم فقلله الله ثم بين الله أن ذلك كان مجازاة لهم على كفرانهم فقال ذلك جزيناهم بما كفروا وهل تجازي أي لا تجازي بذلك الجزاء الا الكفور قال بعضهم المجازاة تقال في النعمة والجزاء في النعمة لكن قوله تعالى ذلك جزيناهم يدل على أن الجزاء يستعمل في النعمة ولعل من قال ذلك أخذ من أن المجازاة مفاعلة وهي في أكثر الأمر تكون بين اثنين يؤخذ من كل واحد جزء في حق الآخر وفي النعمة لا تكون مجازاة لأن الله تعالى مبدئ بانعم * ثم قال تعالى (وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير وسرفها ليلالي وأياما آمنين فقالوا ربنا بادي أسفارنا وظلوا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومن قنهم كل مرق في ذلك لآيات لكل صبار شكور) أي بينهم وبين الشام فانها هي البقعة المباركة وقرئ ظاهرة أي يظهر بعضها لبعضها يرى سواد القرية من القرية الأخرى فان قال قائل هذان النعم والنعم والله تعالى قد شرع في بيان تبديل نعمهم بقوله وبدلتناهم بجنتيهم جنتين فكيف عادمرة أخرى إلى بيان النعمة بعد النعمة فتقول ذكر حال نفس بلادهم وبين تبديل ذلك بالخمط والائل ثم ذكر حال خارج بلادهم وذكر عمارتها بكثرة القرى ثم ذكر تبديله ذلك بالمفاوز والبيادي والبراري بقوله ربنا بعد بين أسفارنا وقد فعل ذلك ويدل عليه قراءة من قرأ ربنا بعد على المبتدأ والخبر وقوله وقدرنا فيها السير الا ما كن المعمورة تكون منازلها معاومة مقدرة لا تتجاوز فلما كان بين كل قرية مسيرة نصف نهار وكانوا يغدون إلى قرية أو يروحون إلى أخرى ما يمكن في العرف تتجاوز هافهو المراد بالتقدير والمفاوز لا يتقدر السير هابل يسير السائر فيها بقدر الطاقة جادا حتى يقطعها وقوله سيروافيها ليلالي وأياما أي كان بينهم ليلالي وأيام معلومة وقوله آمنين إشارة إلى كثرة العمارة فان خوف قطاع الطريق والانقطاع عن الرفيق لا يكون في مثل هذه الاماكن وقيل بأن معنى قوله ليلالي وأياما تسهرون فيه ان شتم ليلالي وان شتم أياما عدم الخوف بخلاف المواضع المخوفة فان بعضها يسلك ليلالا يعلم العدو يسيرهم وبعضها يسلك نهارا مثلا بقصدهم العدو اذا كان العدو غير مجاهر بالقصد والعداوة وقوله تعالى قافوا ربنا بعد بين أسفارنا قيل بأنهم طلبوا ذلك وهو يتحمل وجهين أحدهما أن يسالوا بطرا كاطلب اليه ودائشوم والصل ويحمل أن يكون ذلك لفساد اعتمادهم وشدة اعتمادهم على أن ذلك لا يقدر كما يقول القائل اغيروه اضربني إشارة إلى أنه لا يقدر عليه ويمكن أن يقال قالوا ربنا بعد بلسان الحال أي لما تفروا فقد

إشارة إلى مصدر قوله تعالى (جزيناهم) أو إلى ما ذكر من التبديل وما فيه من معنى البدل لأن يجدر بته في القضاة ومجمله على الأول النصب على أنه مصدر مؤكد للفعل المذكور وعلى الثاني النصب على أنه مفعول ثان له أي ذلك الجزاء الفطين جزيناهم لاجرا آخر أو ذلك التبديل جزيناهم لا غيره (بما كفروا) بسبب كفرانهم النعمة حيث نزعناها عنهم ووضعنا مكانها ضدها أو بسبب كفرهم بالرسول (وهل تجازي الا الكفور) أي وما نحتاجه هذا الحديث ١٠٧١

في الكفران أو الكفر وقرى مجازي على البناء للفاعل وهو الله عز وجل وهل مجازي على البناء للمفعول ورفع الكفور وهل يجري على البناء للمفعول أيضا وهذا بيان ما وتوامن التعم الحاضرة في مساكنهم وما فعلوا بها من الكفران وما فعل بهم من الجزاء وقوله تعالى (وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها) حكاية لما وتوامن التعم البادية في مساكنهم وما فعل بهم وما فعلوا بها من الكفران وما فعل بهم بسبب ذلك تكلمة اقتضتهم وبيانها ﴿ ١٤ ﴾ ما قبلهم وانما لم يذكر الكل معالفا في التثنية

والكبر من زيادة تبيينه وتذكيره وهو عطف على كان السبيل إلى ما بعده من الجمل الناطقة بأفعالهم أو بآثارها أي وجعلنا مع ما أتيناهم في مساكنهم من قرون التعم بينهم أي بين بلادهم وبين القرى الشامخة التي باركنا فيها للعالمين (قرى ظاهرة) متواصلة يرى بعضها من بعض انقاربا فهي ظاهرة لأعين أهلها أو أركبت الطريق ظاهرة للسابلة غير بعيدة عن مساكنهم حتى تخفى عليهم (وقد ران فيها السبر) أي جعلناها في نسبة بعضها إلى بعض على مقدار معين باقى بحال أثناء السيل قيل كان القادسي من قرية يقبل في أخرى والرائع منها يبيت في أخرى إلى أن يبلغ الشام كل ذلك كان تكميلا لما أتوا من أنواع التعم وتوفيرها في الحضرة السفر (سبر واقبها) على ازادة القول أي وقتنا لهم سبروا في تلك القرى (ليأى وأياما) أي متى شئتم من الليالي والأيام (آمين) من كل ما نكرهونه لا يختلف إلا من فيها باختلاف الأوقات أو سبروا فيها آمين

طلبوا أن يعدبوا أسفارهم ويخرب المعمور من ديارهم وقوله وظلوا أنفسهم يكون بيانا لذلك وقوله فجعلناهم أحاديث أي فعلنا بهم ما جعلناهم به مثالا يقال تفرقوا أي سبوا وقوله ومن فتاهم كل مرق بيان لجعلهم أحاديث وقوله تعالى ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور أي فمآز كثرته من حال الشاكرين ووبال الكافرين * ثم قال تعالى (ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاقبوه الا فرقا من المؤمنين) أي ظنه انه يغويهم كإفال فيعزتك لاغويتهم وقوله فاقبوه بيان لذلك أي اغواهم فاقبوه الا فرقا من المؤمنين وهم الذين قال الله تعالى في حقهم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان و يمكن أن يقال صدق عليهم ظنه في انه خير منه كإفال تعالى عنه أخير منه ولتحقق ذلك في قوله فاقبوه لان المتبوع خير من التابع والا لا يتبعه العاقل والذي يدل على ان ابليس خير من الكافر هو ان ابليس امتنع عن عبادة غير الله لكن لما كان في امتناعه ترك عبادة الله صنادا كقوله والمشرى بعدد غير الله فهو كفر بأمر أقرب الى اتوحيدهم وكفروا بأمر هو الاشرى ويؤيد هذا الذي اخبرناه الاستثناء وبيانه هو انه وان لم يظن انه يغوي الكل بدليل انه تعالى قال عنه الاعباد لك منهم الخالصين فاطن انه يغوي المؤمنين فاطنه صدقه ولا حاجة الى الاستثناء وأما في قوله أنا خير منه اعتد بالخيرية بالنسبة الى جميع الناس بدليل تعذيبه بقوله خلعتني من نار وخلقته من طين وقد كذب في ظنه في حق المؤمنين ويمكن الجواب عن هذا في الوجه الاول وهو انه وان لم يظن اغواء الكل وعلم ان البعض ناج لكن ظن في كل واحد أنه ليس هو ذلك الناجي الى ان تبين له فظن انه يغوي فكذب في ظنه في حق البعض وصدق في البعض * ثم قال تعالى (وما كان له عليهم من سلطان الا انهم من يؤمن بالاخرة من هو منها في شك ورك على كل شيء حفيظ) قد ذكرنا في تفسير قوله تعالى فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ان علم الله من الازل الى الابد محيط بكل معلوم وعلمه لا يتغير وهو في كونه عالما لا يتغير ولكن يتغير تعلق علمه فان العلم صفة كاشفة تظهر بها كل ما في نفس الامر فعلم الله في الازل ان العالم سيوجد فاذا وجد علمه موجودا بذلك العلم واذا عدم يعلمه معدوما بذلك مثاله ان المرأة المصونة ولو فيها الصفاء فيظهر فيها صورة زيدان فإبلاغها ثم اذا قابلها عرو يظهر فيها صورته والمرأة تتغير في ذاتها ولا تبدل في صفاتها انما تتغير في الخارجات فكذلك ههنا قوله الا انهم أي يقع في العلم صدور الكفر من الكافر والايان من المؤمن وكان قبله فيه انه سيكفر زيدو يؤمن من عمره وقوله وما كان له عليهم من سلطان اشارة الى انه ليس بمجلى وانما هو آية وعلامة خلقها الله لتبين ما هو في علمه السابق وقوله ورك على كل شيء حفيظ يحقق ذلك أي الله تعالى قادر على منع ابليس عنهم طامعهم فالحفظ يدخل في مفهومه العلم والقدرة اذا الجاهل بالشي لا يمكنه حفظه ولا العاجز * ثم قال تعالى (قل ادعوا الذين زعم من دون الله لعل يكون مثلهم في السموات والارض وما لهم فيها من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عند الله الا لمن اذن له

وان تطاولت مدة سفركم امتدت ليالي وأياما كثيرة أو سبروا فيها ليالي أعماركم وأيامها لا تلقون فيها الا لامن لكن لا على حق الحقيقة بل على تنزييل تمكينهم من السبر المذكور ونسوية مباديه وأسبابه على الوجه المذكور من منزلة أمرهم بذلك (فقالوا ربنا يعدبنا أسفارنا) وقرى يارب يسأطروا التعم وسعوا أطيب العيش وملوا العافية فطلبوا الكد والتعب كاطلب شاة شاة الكد والبصل مكان المن والسلوى وقالوا

لو كان جنى جناننا بعد لكان أجدر أن نشتمه وسألو أن يجعل الله تعالى بينهم وبين الشام مغاوير وفقارا ليركبو فيها الرواحل
ويزودوا الأزواد ويتناولوا فيها على الفقراء فجعل الله تعالى لهم الأجابة بخبر تلك القرى المتوسطة وجعلها بلقا لا يسمع
فيها دواع ولا محجب وقرى بعدد دور بناء بعدد بين أسفارنا و بعد بين أسفارنا على النداء واستاد القوم الى بين ورفع به كما يقال سير
فرسخان و بعد بين أسفارنا وقرى ربنا ١٥ ١٥ ١٥ بانعدين أسفارنا و بن سفارنا و بعدد ربنا على الابتداء والمعنى

على خلاف الاول وهو استبعاد
مسارهم مع قصرها و دونها
وسهولة سلوكها افراط
تعمهم وغاية رفاههم وعده
اعتدادهم بنعم الله تعالى
كأنهم يشاجون على الله تعالى
و يتحانون عليه (وظلوا
أنفسهم) حيث عرضوها
للسخط والعذاب حين بطروا
النعمة أو غطوها (بخلناهم
أحاديث) أى جعلناهم بحيث
يتحدث الناس بهم متحبين
من أحوالهم ومعتبرين
بعاقبتهم وما لهم (ومن قناه
كل ممزق) أى فرقناهم كل
تفرق على أن الممزق مصدر
أو كل مطروح ومكاف تفرق
على أنه اسم مكان وفي عبارة
التمزيق الخاص بتفريق
المتصل وخرقه من تحويل
الامر والدلالة على شدة
التأثير والابلام ما لا يخفى أى
من قناههم بمنزلة الغاية وراء
بحيث يضرب به الامثال في
كل فرقة ليس بعدها وصال
حتى لحق غسان بالشام وأما
يثرى و جذام بتهامة
والازديمان وأصل فصته
على مارواه الكلبى عن أبي
صالح أن عمرو بن عامر من

حتى اذا فرغ من قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير (لما بين الله
تعالى حال الشاكرين وحال الكافرين و ذكرهم بمن مضى عاد الى خطاياهم وقال لرسوله
صلى الله عليه وسلم قل للشركين ادعوا الذين زعمتم من دون الله ليكشفوا عنكم الضر على
سبيل التهكم ثم بين انهم لا يملكون شيئا بقوله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في
الارض * واعلم ان المذهب الفاضل الى اشرك أر بعة (أحدها) قول من يقول الله تعالى
خلق السماء والسموات وجعل الارض والارضيات في حكمهم ونحن من جملة
الارضيات فتعبد الكواكب والملائكة التى فى السماء فهم آلهتنا والله الههم فقال الله
تعالى فى ابطال قولهم انهم لا يملكون فى السموات شيئا كما اعترفتم ثم قال ولا فى الارض
على خلاف ما زعمتم (وثانيها) قول من يقول السموات من الله على سبيل الاستبعاد
والارضيات منه ولكن بواسطة الكواكب فان الله خلق العناصر والتركيبات التى فيها
بالاتصالات والحركات والطوال فعملوا لغير الله معه شركا فى الارض والاولون جعلوا
الارض لغيره والسماء له فقال فى ابطال قولهم وما لهم فيها من شرك أى الارض كالسماء
لله لا لغيره ولا لغيره فيها نصيب (وثالثها) قول من قال التركيبات والحوادث كلها من الله
تعالى لكن فوض ذلك الى الكواكب وفعل المأذون ينسب الى الآذن ويسلب عن
المأذون فيه مثاله اذا قال ملك لملك اضر به فلانا فضر به يقال فى العرف الملك ضر به
ويصيح عرفا قول القائل ما ضرب فلان فلانا واما الملك أمر بضربه فضر به فضر به ولا جعلوا
السماء بأن معيات الله فقال تعالى فى ابطال قولهم وما له منهم من ظهير ما فوض الى شئ
شيا بل هو على كل شئ حفيظ ورفيق (ورابعها) قول من قال ان الله لا يستمنا ان شئ
صورا للملائكة ليستفعلوا فقال تعالى فى ابطال قولهم ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أخذ
له فلا فائدة لعبادتك غير الله فان الله لا يأذن فى الشفاعة لمن يعبد غيره فبطل بكم الشفاعة
تفوتون على أنفسكم الشفاعة وقوله حتى اذا فرغ من قلوبهم أى أزيل الفرع عنهم
يقال فرد البعير اذا أخذ منه القراد ويقال لهذا شديدا سلب * وفى قوله تعالى حتى اذا
فرغ من قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وجوه (أحدها) الفرع الذى عند الوحي
فان الله عند ما يوحى يفرغ من فى السموات ثم يزيل الله عنهم الفرع فيقولون لجبريل عليه
السلام ماذا قال الله فيقول قال الحق أى الوحي (وثانيها) الفرع الذى من الساعة وذلك
لان الله تعالى لما أوحى الى محمد عليه السلام فرغ من فى السموات من القيامة لان ارسال
محمد عليه السلام من اشراط الساعة فلما زال عنهم ذلك الفرع قالوا ماذا قال الله قال
جبريل الحق أى الوحي (وثالثها) هو ان الله تعالى يزيل الفرع وقت الموت عن القلوب
فيعترف كل أحد بأن ما قال الله تعالى هو الحق فيرفع ذلك القول من سبق ذلك منه ثم
يقبض روحه على الايمان المتفق عليه بينه وبين الله تعالى ويضر ذلك القول من سبق منه
خلافه فيقبض روحه على الكفر المتفق بينه وبين الله تعالى اذا علمت هذا فتدول على

أولاد سبا و بينهم اثنا عشر أبوا هو الذى يقال له من يقابن ماء السماء أخبرته طريفة الكاهنة بخبر ارب و تفرق سبل
العرم الجنة وعن أبي زيد الانصاري ان عمرا رأى جردا يحفر السدف فلم أنه لا يقاله بعد و قيل انه كان كاهنا وقد علم بكهنته فبا
أملا كدوسار بقومه وهم ألوف من بلد الى بلد حتى انتهى الى مكة العظيمة وأهلها جرهم وكانوا قهروا الناس وحازوا ولايا
البيت على بنى اسمعيل عليه السلام وغيرهم فأرسل اليهم ثعلبة بن عمرو بن عامر يسألهم المقام معهم الى

أن يرجع اليه رواده الذين أرسلهم إلى أصقاع البلاد يطلبون له موضعاً يسعهم ومن معه من قومه فأبوا فافتتوا ثلاثة أيام فلما نهزم جبرهم ولم يفلت منهم إلا الشريد وأقام ثعلبة بمكة وما حوالها في قومه وعساكره حوفاً فاصابهم الجحى فاضطروا إلى الخروج وقد رجع اليه رواده فافتتقوا فرقة فرقة توجهت نحو عمان وهم الأزد وكندة وجبرون بنوهم وسار ثعلبة نحو الشام فنزل الأوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة بالبدية وهم الأنصار ومضت غسان فنزلوا ١٦ بالشام وانخرعت خزاعة بمكة فاقام بها

ربيع بن حارثة بن عمرو بن عامر وهو لحى فولى أمر مكة وجباية البيت ثم جاءهم أولاد اسمعيل عليه السلام فساوهم السكنى معهم وحولهم فاذنوا لهم في ذلك وروى عن أبي عباس رضى الله عنهما أن فروة بن مسيك الغطفاني سأل النبي عليه الصلاة والسلام عن سبأ قال عليه الصلاة والسلام هو رجل كان له عشرة أولاد ستة منهم سكنوا اليمن وهم مذحج وكندة والأزد والاشمريون وجبر وأما منهم ثعلبة وخثعم وأربعة منهم سكنوا الشام بهم نخع وجذام وعاملة وغسان لما هلك أموالهم وخربت بلادهم تفرقوا إلى سبأ شذر مذرف فزنت طوائف منهم بالحجاز ففهم جراعة نزوا بظاهر مكة ونزلت الأوس والخزرج يترقب فكانوا أول من سكنها ثم نزل عندهم ثلاث قبائل من اليهود بنو قيس سباع وبنو قريظة والنضير فحالفوا الأوس وانخرج وأقاموا عندهم ونزلت طوائف آخر منهم بالشام وهم الذين تنصروا فيما بعد وهم غسان وعاملة

القولين الأولين قوله تعالى حتى غاية متعلقة بقوله تعالى قل لانه ينه بالوحى لان قول القائل قل للفلان للانذار حتى يسمع المخاطب ما يقوله ثم يقول بهذا الكلام ما يجب قوله فلما قل قل فرع من في السموات ثم أزيل عنه الفرع وعلى الثالث متعلقة بقوله تعالى زعمتم أى زعمتم الكفر إلى غاية التفرع ثم تركتم ما زعمتم وقلتم قال الحق وعلى القولين الأولين فاعل قوله تعالى قالوا ماذا هو الملائكة السائلون من جبريل وعلى الثالث الكفار السائلون من الملائكة والفاعل في قوله الحق على القولين الأولين هم الملائكة وعلى الثالث هم المشركون وعلم ان الحق هو الموجود ثم ان الله تعالى لما كان وجوده لا يرد عليه عدم كان حقاً مطلقاً لا يرتفع بالباطل الذى هو العدم والكلام الذى يكون صريحاً يسمى حقاً لان الكلام له متعلق في الخارج بواسطة ما به متعلق بما في الذهن والذى في الذهن متعلق بما في الخارج فاذا قل القائل جاء زيد يكون هذا اللفظ متعلقه بما في ذهن القائل وذهن القائل متعلقه بما في الخارج لكن لا صدق متعلق يكون في الخارج فيصير له وجود مستتر والمكذب متعلق لا يكون في الخارج وحينئذ اما ان لا يكون له متعلق في الذهن فيكون كالعدم من الاول وهو اللفاظ التى تكون صادرة عن معاند كاذب واما أن يكون له متعلق في الذهن على خلاف ما في الخارج فيكون اعتقاد باطلاً جهلاً أو ظناً لكن لما كان له متعلق متعلق يزول ذلك الكلام ويبطل وكلام الله لا يبطلان له في أول الامر كما يكون كلام الكاذب المعاند ولا ياتيه الباطل كما يكون كلام الضان وقوله تعالى وهو العلى الكبير قد ذكرنا في تفسير قوله تعالى ذلك بأن الله هو الحق وان ما يدعون من دونه الباطل وان الله هو العلى الكبير ان الحق اشارة الى أنه كامل لانقص فيه فيقبل نسبة العدم وفوق الكاملين لان كل كامل فوقه كامل فتقوله وهو العلى انكبير اشارة الى انه فوق الكاملين في ذاته وصفاته وهذا يبطل القول بكونه جسماً وفي حيز لان كل من كان في حيز فان العقل يحكم بأنه مشار اليه وهو مقطع اشارة لان اشارة لم تقع اليه لما كان المشار اليه هو وإذا وقعت اشارة اليه فقد تنهت اشارة عنده وفي كل موقع تقف اشارة بقدر العقل على أن يفرض البعد أكثر من ذلك فيقول لو كان بين ماخذ اشارة والمشار اليه أكثر من هذا البعد لكان هذا اشارة اليه أعلى فيصير علياً بالإضافة لا مطلقاً وهو على مطلقاً ولو كان جسماً لكان له مقدار وكل مقدار يمكن أن يفرض أكبر منه فيكون كبيراً بالنسبة الى غيره لا مطلقاً وهو كبير مطلقاً * ثم قل تعالى قل من يرزقكم من السموات والارض قد ذكرنا مراراً ان العامة يعبدون الله لا لكونه الها وانما يطلبون به شيئاً وذلك اما دفع ضرر او جرتفع فبته الله تعالى العامة بقوله قل ادعوا الذين زعمتم على انه لا يدفع الضر أحد الا هو كما قال تعالى وان يمسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وقال بعد اتمام بيان ذلك قل من يرزقكم من السموات والارض اشارة الى أن جراتفع ليس الا به ومنه فاذا

ونخم وجذام وتوخ ونغلب وغيرهم وسباً تجمع هذه القبائل كلها والجمهور على أن جمع العرب قسيمان * ان كثرهم في حطائفة وعدنانية والقطمانية شعبان سبا وحضر موت والعدنانية شعبان ربيعة ومضر وأما قضاعة فتختلف فيما بين بعضهم ينسبونهم إلى حطان وبعضهم إلى عدنان والله تعالى أعلم (ان في ذلك) أى فيما ذكرنا من قصتهم (آيات) عظيمة (لكل صبار شكور) أى ثابته الصبر عن الشهوات ودواعي الهوى وعلى مشاق الطلعات والشكر على النعم

وتخصيص هؤلاء بذلك لانهم المتفوعون بها (واقعد صدق عليهم ابلis ظنه) أى حق عليهم ظنه او وجوده صادقا وقرى بالتخفيف أى صدق في ظنه أو صدق بظن ظنه ويجوز تعدية الفعل اليه بنفسه لانه نوع من القول وقرى بنصب ابليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجده ظنه صادقا ومع التخفيف بمعنى قال له الصدق حين خبل له اغواءهم ورفع حما والتخفيف على الابدال وذلك اما لظنه بساحين رأى انهما كهم في الشهوات ١٧ أو ببنى آدم حين شاهد آدم عليه السلام قد أصغى الى وسوسته

قال ان ذرته أضعف منه عزما
وقيل ظن ذلك عند اخبار الله
تعالى الملائكة أنه يجعل فيها
من يفسد فيها وبسبك الدماء
وقال لاضلهم ولا فو ينهم
(فانجوه) أى أهل سبأ والناس
(الافريقان المؤمنين) الا
فر يقاهم المؤمنون لم ينجوه
على أن من بيانية وتقليبهم
بالاضافة الى الكفار أو الا
فر يقسا من فرق المؤمنين
لم ينجوه وهم الخاسرون (وما
كان له عليهم من سلطان) أى
تسلط واستيلاء بالسوسة
والاستغواء وقوله تعالى (الانعم
من يؤمن بالآخرة ممن هو
منها في شك) استثناء مفرغ
من أعم العلل ومن موصولة أى
وما كان تسلطه عليهم الا
باعتبار علما بمن يؤمن بالآخرة
متميزا ممن هو في شك منها
تعلقا لما يترتب عليه الجزاء
أو الالتميز للمؤمن من الشاك
أو الالتميز من من قدر إيمانه
وبشك من قدر ضلاله والمراد
من حصول العلم حصول متعلقه
مبالغة (وربك على كل شيء
حفيظ) أى محافظ عليه فان
فضيلا ومفعا صيغتان
متاخيئان (قل) أى للمشركين

ان كنتم من الخواص فاعبدوه لعلوه وكبريائه سواء دفع عنكم ضرا أو لم يدفع وسواء
نفعتكم بخيرا أو لم ينفع فان لم تكونوا كذلك فاعبدوه لدفع الضر وجر النفع ثم قال تعالى
(قل الله) يعنى ان لم يقولوا هم فقل أنت الله يرزق (وهنا لطيفة) وهى ان الله تعالى عند
الضر ذكر انهم يقولون الله ويعترفون بالحق حيث قالوا الحق وعند النفع لم يقل انهم
يقولون ذلك وذلك لان لهم حالة يعترفون بأن كاشغ الضر هو الله حيث يقدون في الضر كما
قال تعالى واذمس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه وأما عند الراحة فلا تدينهم لذلك
فذلك قال قل الله أى هم حالة اذ احتجوا فلون عن الله ثم قال تعالى (وانا أنى اكم على هدى
أوفى ضلال مين) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) هذا ارشاد من الله لرسوله الله المنظرات
الجارية في العلوم وغيرها وذلك لان أحد المناظرين اذا قال للآخر هذا الذى تقوله خطأ
وأنت فيه تخطئ يعصبه وعند ان غضب لابق سداد الكفر وعند احتلاله لامتصع في
انهم فيفوت الغرض وأما اذا قال له بأن أحدنا لا يشك في انه تخطئ والتمادى في الباطل
قيح والرجوع الى الحق أحسن الاخلاق فيجتهد وينصرا على الحق المجتهد فانه يجتهد
ذلك الخصم في النظر ويترك التعصب وذلك لا يوجب نقصا في المنزلة لانه أوهم بانه في قوله
شاك وبدل عليه قول الله تعالى لنبية وانا أنى اكم مع انه لا يشك في انه هو الهادى وهو
المهتدى وهم المضالون والمضلون (المسئلة الثانية) في قوله على هدى أوفى ضلال مين
ذكر في الهدى كلمة على وفي الضلال كلمة في لان المهتدى كأنه مرتفع متطلع فذكره بكلمة
العلم والضلال منعكس في الظلمة غريق فيها فذكره بكلمة في (المسئلة الثالثة) وصف
الضلال بالبين ولم يصف الهدى لان الهدى هو الصراط المستقيم الموصل الى الحق
والضلال خلافه لكن المستقيم واحد ومو غيره كله ضلال وبعضه أبين من بعض فجز
البعض عن البعض بالوصف (المسئلة الرابعة) قدم الهدى على الضلال لانه كان وصف
المؤمنين المذكورين بقوله انا وهو مقدم في الذكر ثم قال تعالى (قل لتسألون عما أجرنا
ولانسأل عما تعملون) اضاف الاجرام الى النفس وقال في حقهم ولانسأل عما تعملون
ذكر بلفظ العمل ثلاثا يحصل الاغضاب المانع من الفهم وقوله لتسألون ولانسأل زيادة
حث على النظر وذلك لان كل أحد اذا كان مؤاخذا بجرمه فاذا احتجرت نجوا لو كان البرى
بواخذ بالجرم لما كفى النظر ثم قال تعالى (قل يجعم بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتح
العلم) أكذا يوجب النظر والتفكر فان مجرد الخطا والضلال واجب الاجتناب
فكيف اذا كان يوم عرض وحساب ونواب وعذاب وقوله يفتح قبل معناه يحكم ويمكن
أن يقال بأن الفتح ههنا مجاز وذلك لان الباب المغلق والمنفذ المسدود يقال فيه ففتح على
طريق الحقيقة ثم ان الامر اذا كان فيه انغلاق وعدم وصول اليه فاذا بينه أحد يكون قد
فتح وقوله وهو الفتح العلم اشارة الى أن حكمه يكون مع العلم لا مثل حكم من يحكم بما
يتفق له بمجرد هواه ثم قال تعالى (قل أروني الذين الحقتم به شركاء كلال هو الله العزيز

اظهار البطلان ما هم عليه وتبكيئتهم ٣ سا (ادعو الذين زعمتم) أى زعمتموهم آلهة وهم ما فعولان زعم حذف
الاول تخفيفا لعلوا لوصول بصلته والثاني لقيام صفته أعنى قوله تعالى (من دون الله) مقامه ولأسبيل الى جعله مفعولا ثانيا
لانه لا يثنى مع الخبر كالأما وكذا لا يملكون لانهم لا يزعمون والمعنى ادعواهم فيما يحكم من جلب نفع أو دفع ضرر لانهم يستجيبون
لكن أن يصح دعواكم ثم أجاب عنهم إشعارا بتعين الجواب وانه لا يقبل الشركاء كلال هو الله العزيز

مقال درة) من خبر وشرو نفع وضرر (في السموات ولا في الارض) أي في أمر ما من الامور وذكرهما للتعظيم عرفا ولأن آلهتهم بعضها سماوية كاللائكة والكواكب وبعضها أرضية كالاصنام أولان الاسباب القريبة للخير والشر سماوية وأرضية والجملة استئناف لبيان حالهم (ومالهم) أي آلهتهم (فهيها من شرك) أي شركة لا خلقا ولا ملائكة ولا نصرفا (وماله) أي الله تعالى (منهم) من آلهتهم (من ظهروا) يعني في تدبير أمرهما ﴿ ١٨ ﴾ ولا تنفع الشفاعة عنده أي لا توجد راسا كما في قوله

* ولا ترى الضب بها ينحجر
* لقوله تعالى من ذا الذي
يشفع عنده الا بذنه واتماعلق
التي ينفعها لا يرفقوها
تصير بجانب ما هو غرضهم
من وقوعها وقوله تعالى (الان
أذن له) استثناء مفرغ من أعم
الاحوال أي لا تنفع الشفاعة
في حال من الاحوال الا كائنة
لمن أذن له في الشفاعة من النبيين
والملائكة ونحوهم من المستأهلين
لمقام الشفاعة فبين حرمات
الكفرة منها بالكلية أمامنا
جهة أصنامهم فاطهورا تنفخ
الاذن لها ضرورة استحالة
الاذن في الشفاعة لجماد لا يعقل
ولا ينطق وأما من جهة من
يعبدونه من اللاتئكة فلان
أذنهم مقدور على الشفاعة
للمستحقين اهـ لقوله تعالى
لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن
وقال صوابا ومن الذين أن الشفاعة
للكفرة بعزل من الصواب
أو لا تنفع الشفاعة من الشفاعة
المستأهلين لها في حال من
الاحوال الا كائنة لمن أذن له أي
لأجله وفي شأنه من المستحقين
لها فلا تنفعهم أصلا وان فرض
وقوعها وصدرها عن الشفاعة
اذ لم يؤذن لهم في شفاعتهم

الحكيم) قد ذكرنا ان المعبود قد يعبد قوم لدفع الضرر وجمع لتوقع المنفعة وقليل من
الاشراف الاعزة يعبدونه لانه يستحق العبادة لذاته فلما بين انه لا يعبد غير الله لدفع الضرر
اذ لا يدفع الضرر غيره بقوله قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله وبين انه لا يعبد غير الله
لتوقع المنفعة بقوله قل من يرزقكم من السموات والارض بين ههنا انه لا يعبد أحد
لاستحقاقه العبادة غير الله فقال قل أروني الذين ألحقتم به شركاء كلال هو الله العزيز
الحكيم أي هو المعبود لذاته وانصافه بالبررة وهي القدرة الكاملة والحكمة وهي العلم
الناتج الذي عمله موافق له * ثم قال تعالى (وما أرسلناك الا كافة للناس بشرا ونذرا ولكن
أكثر الناس لا يعلمون) لما بين مسئلة التوحيد شرع في الرسالة فقال تعالى (وما أرسلناك
الا كافة وفيه وجهان) (أحدهما) كافة أي ارسلنا كافة أي عامة لجميع الناس منهم
من الخروج عن الانقياد لها (والثاني) كافة أي أرسلناك كافة تكلف الناس أنت من
الكفر والهوى للبانة على هذا الوجه بشرا أي تحذيرهم بالوعد ونذرا تزجرهم بالوعيد
ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك لالخفاء ولكن افعلتهم * ثم قال تعالى () يقولون متى
هذا الوعد ان كنتم صادقين) لما ذكر الرسالة بين الحشر وقال (قل لكم ميعاد يوم
لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون) قد ذكرنا في سورة الاعراف أن قوله لا تستأخرون
يوجب الانذار لان معناه عدم المهلة عن الاجل ولكن الاستعداد ما جهدهم وذكرنا هناك
وجهه وذكره ههنا انهم لما طلبوا الاستعجال بين أنه لا استعجال فيه كالا مهال وهذا
يفيد عظم الامر بخطر الخطب وذلك لان الامر الحقيق اذا طاله طاب من غيره لا يؤخره
ولا يؤقته على وقت بخلاف الامر الخطير وفي قوله تعالى لكم ميعاد يوم قرأت (أحدها)
رفعهما مع التوبين وعلى هذا يوم بدل (الثانية) نصب يوم مع رفع ميعاد والتوبين فيها
ميعاد يوما قال الزحشرى ووجهه انه منصوب بفعل محذوف كأنه قال ميعاد اعني يوما
وذلك يفيد العظيم والتهويل ويحتمل أن قال نصب على لطف في تقديره لكونه ميعاد يوما
كما يقولون اننا نأكل يومنا وعلى هذا يكون العامل فيه العلم كأنه يقول لكم ميعاد
تعملونه يوما وقوله معلوم يدل عليه كقول القائل انه متقول يوما (الثالثة) الاضافة لكم
ميعاد يوم كما في قول القائل سمعت ثوب التبيين واسناد الفعل اليهم بقوله لا تستأخرون عنه
بدلا عن قوله لا يؤخر عنكم زيادة تأكيد لوقوع اليوم * ثم قال تعالى (وقال الذين كفروا
ان لوئ ان هذا القرآن ولا بالذي بين يديه) لما بين الامور الثلاثة من التوحيد والرسالة
والحشر كانوا بالكل كافرين بين كفرهم العام بقوله وقال الذين كفروا ان لوئ ان هذا
القرآن وذلك لان القرآن مشتمل على الشك وبقوله ولا بالذي بين يديه المشهور انه التوراة
والانجيل وعلى هذا فالذين كفروا المراد منهم المشركون المتكبرون للنبوت والحشر
ويحتمل أن يقال ان المعنى هو اننا لوئ ان بالقرآن انه من الله ولا بالذي بين يديه أي والايمن
فيه من الاخبار والمسائل والآيات والدلائل وعلى هذا فالذين كفروا المراد منهم

يل في شفاعة غيرهم فعلى هذا ثبت حرماتهم من شفاعة هؤلاء بعبارة النص ومن شفاعة الاصنام بدلالته ﴿ العموم ﴾
اذ حيث حرموا هاهنا جهة اقدارين على شفاعة بعض المحتاجين اليها فلا ينجر موها من جهة العجرة عنها ولو قرى أذن له
مبينا للمفعول (حتى اذا فرغ من قلوبهم) أي قلوب الشفاعة والشفوع لهم من المؤمنين وأما الكفرة فهم من موقف
الاستشفاع بعزل وعن

التفرغ عن قلوبهم بالآلاف منزل والتفرغ الزالة الفرع ثم ترك ذكر الفرع وأسند الفعل إلى الجارو المجرور وحتى غاية لما ينبغي عنه
ما قبلها من الأشمار بوقوع الأذن لن أذنه فانه مسبق بالاستئذان المستدعي للترقب والانتظار للجواب كانه سئل كيف يؤذن
لهم فقيل يتر بصون في موقف الاستئذان والاستدعاء ويتوقفون على وجل وفرع ملبا حتى اذا أزيل الفرع عن قلوبهم بعد
النشأ والتي وظهرت لهم تبشير الاجابة ﴿ ١٩ ﴾ (قالوا) أي المشفوع لهم اذهب المحتاجون إلى الأذن والمهتمون بأمره

(ماذا قال ربكم) أي في شأن
الأذن (قالوا) أي الشفعاء
لأنهم المباشرون بالاستئذان
بالذات المتوسطون بينهم
وبينه عز وجل بالشفاعة
(الحق) أي قال ربنا القول
الحق وهو الأذن في الشفاعة
للمتحققين لها وقرئ الحق
مرفوعا أي ما قاله الحق
(وهو النبي الكبير) من تمام
كلام الشفعاء قالوه اعترافا
بغاية عظيمة جناب العزة
عز وجل وقصور شأن كل
من سواه أي هو المتفرد بالعلو
والكبرياء ليس لاحد من
أشراف الخلائق أن يتكلم
بالإبادة وقرئ فرغ فرغ على
البناء للفاعل وهو الله وحده
وقرئ فرغ بارأه المهمة
والعين المعجمة أي نفي الوجل
عنها وأفني من فرغ الزاد
إذا لم يبق منه شيء وهو من
الاستناد المجازي لأن الفراغ
وهو الخلق حال ظرفه عند
فناءه فأسند إليه على عكس
قولهم جرى الزهر وعن
الحسن تخفيف الزاء وأصله
فرغ الوجل عنها أي انتفى
عنها وفي ثم حذف الفاعل
واسند إلى الجارو المجرور

العموم لأن أهل الكتاب يؤمنوا بالقرآن أنه من الله ولا بالذي فيه من الرسالة وتفصيل
الحشر فان قيل أليس هم مؤمنون بالوحدانية والحشر فنقول اذنا بمصدق واحد ماني
الكتاب من الأمور المختصة به يقال فيه انه لم يؤمن بشيء منه وان آمن ببعض ما فيه لكونه في
غيره فيكون إيمانه لا بما فيه مثاله أن من يكذب رجلا فيقول فاذن أخبره بأن النار حارة
لا يكذب فيه ولكن لا يقال انه صدقه لانه انما صدقت نفسه فانه كان عالما به من قبل وعلى
هذا فتنبه بين يديه أي الذي هو مشتمل عليه من حيث انه واد فيه وقوله تعالى (و ترى
إذا الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا
ل الذين استكبروا) (الولا أنتم لكننا مؤمنين) لما وقع الناس من إيمانهم في هذه الدار بقولهم
أن نؤمن فانه تأييد للنبي وعدنيد عليه الصلاة والسلام بأنه يراهم على أذل حال موقوفين
للسؤال يرجع بعضهم إلى بعض القول كما يكون عليه حال جماعة أخطوا في أمر يقول
بعضهم لبعض كان ذلك بسببك ويرد عليه الآخر مثل ذلك وجواب لو مخدوف تقديره
ولو ترى إذا الظالمون موقوفون رأيت عجبنا بدأ بالاتباع لأن المضل أولى بالو ينج فقال
يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا (الولا أنتم لكننا مؤمنين إشارة إلى أن كفرهم كان
لما نفع لا لعدم المقضي لأنهم لا يكفهم ان يقولوا ما جاءنا رسول ولا ان يقولوا قصر الرسول
وهذا إشارة إلى آيتين الرسول بأعليه لأن الرسول لو همل شيئا لما كانوا يؤمنون ولو لا
المستكبرون لا ننوا ﴿ ثم قال تعالى (قال الذين استكبروا للذين استضعفوا) ردا لما قالوا
ان كفرنا كل مانع (أنحن صدقناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين) بمعنى
المانع ينبغي ان يكون راجعا على المقضي حتى يعمل عمله والذي جاء به هو الهدى والذي
صدر من المستكبرين لم يكن شيئا يوجب الامتناع من قبول ما جاء به فلم يصح تعليلكم
بالمانع ثم بين ان كفرهم كان اجرا ما من حيث ان المعذور لا يكون معذورا الا لعدم
المقضي أو لقيام المانع ولم يوجد شيء منهما ﴿ ثم قال تعالى (وقال الذين استضعفوا للذين
استكبروا بل مكر الليل والنهار اذنا مرونا ان تكفروا بالله ونجعل له أندادا) لما ذكر
المستكبرون أنما صدقناكم وما صدقناكم ما يصلح ماذا وصارفا اعتقفت المستضعفون به
وقالوا بل مكر الليل والنهار معنا ثم قالوا لهم انكم وان كنتم مدائيتهم بالصارف النطعي
والمانع القوى ولكن انضم أمركم أيانا بالكفر إلى طول الامدوامتداد المدد فكفرنا فكان
قولكم جزء السبب ويحتمل وجه آخر وهو ان يكون المراد بل مكر بالليل والنهار تخفيف
المضائق اليه وقوله اذنا مرونا أن تكفروا بالله أي تنكروا ونجعل له أندادا هذا بين ان
المشرك بالله مع انه في الصورة مثبت لكنه في الحقيقة منكر لوجود الله لأن من يساويه
المخلوق المنحوت لا يكون الها وقوله في الاول يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين
استضعفوا بلفظ المستقبل وقوله في الآيتين التائيتين قال الذين استكبروا وقال الذين
استضعفوا بصيغة الماضي مع ان السؤال والتراجع في القول لم يقع إشارة إلى ان ذلك

يعرف حال التفرغ وقرئ ارتفع عن قلوبهم بمعنى انكشف عنها (قل من يرزقكم من السموات والارض) أمر عليه الصلاة
والسلام بنبئك المشر كين بحالهم على الاقرار بأن آلهتهم لا يمكن أن تكون مثقال ذرة فيهما وأن الرزاق هو الله تعالى فانهم لا ينكرونه
كما ينطق به قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض أم من يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت
من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله وحيث كانوا يثلثون احبنا في الجواب مخافة الازام قيل له عليه الصلاة والسلام

(قل الله) اذلا جواب سواء عندهم ايضا (وانا آواباكم لعلى هدى اوفى ضلال ميين) اى وان أحد الفريقين من الذين يوحدون والمتوحد بالرزق والقدرة الذاتية ويخصونه بالعبادة والذين يشركون به في العبادة الجداد النازل في أدنى المراتب الامكانية لعلى أحد الامر من الهدى والضلال المبين وهذا بعد ما سبق من التقرير بالبلغ الناطق بتعيين من هو على الهدى ومن هو في الضلال ابلغ من ان تصريح بذلك لجريانه على سنن ﴿ ٢٠ ﴾ ان انصاف المسكت الخصم الادب وقرئ

وانا آواباكم لعلى هدى اوفى ضلال ميين واختلاف الجارين للايدان بار الهادى كن استعلى منارا ينظر الاشياء ويطلع عليها والضلال كأنه منغمس في ظلام لا يرى شيئا ويحس في مظلمة لا يستطيع الخروج منها (قل لا تسأول عما أجر منا ولا نسال عما نعملون) وهذا ابلغ من الانصاف وأبعد من الجدول والاعتصاف حيث استند فيه الاجرام وان أراد به ذلك وترك الأولى الى أنفسهم ومطلق العمل الى الخططين مع أن أعمالهم أكبر الكبائر (قل يجمع بيننا ربنا يوم القيمة عندنا حشر والحساب) ثم يفتح بيننا بالحق (اى يحكم بيننا) ويفصل بعد ظهور حال كل منا ومنكم بأن يدخل الجنة الجنة والمبطلين النار (وهو الفلاح) الحاكم الفاصل في القضايا المتعلقة (العليم) بما ينبغي أن يقضى به (قل أرؤنى الذين أحلقتم) أى أحلقتموه (به شركاء) أراد به أمرهم بإراءة الاعتصام مع كونها برأى منه عليه الصلاة والسلام اظهار خطئهم العظيم

لا بد وان يقع فان الامر الواجب الوقوع يوجد كأنه وقع الاترى الى قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون * ثم قال تعالى (واسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون) معناه انهم يتراجعون القول في الاول ثم اذا جاءهم العذاب الشاغل يسرون ذلك التراجع الدال على الندامة وقيل معنى الاسرار الاظهار اى اظهروا الندامة وتحمل ان يقال بأنهم لما تراجعوا في القول رجعوا الى الله بقولهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا لنعمل صالحا ثم ارجعوا وأخبروا بأن لا مرد لكم فأسروا ذلك القول وقوله وجعلنا الاغلال في أعناق الذين كفروا اشارة الى كيفية العذاب والى ان مجرد الرؤية ليس كافيا بل لما رأوا العذاب قطعوا بأنهم واقعون فيه فتركوا الندم ووقعوا فيه فجعل الاغلال في أعناقهم وقوله هل يجزون الا ما كانوا يعملون اشارة الى ان ذلك حقهم عدلا * ثم قال تعالى (وما أرسلنا في قرية من نذر الا قلهم انهم كفروا) وقالوا نحن أكثر أمواالا وأولادوا وما نحن بمعدين) تسلية لقلب النبي صلى الله عليه وسلم وبيان ان ابداء الكفار والاياء الاخيار ليس بدعا بل ذلك عادة جرت من قبل وانما نسب القول الى المترفين مع ان غيرهم ايضا قالوا انما أرسلناهم بكافرون لان الاغنياء المترفين هم الاصل في ذلك القول الاترى ان الله قال عن الذين استضعفوا انهم قالوا المستكبرين لو لم تأتكم الكتب لمؤمنين ثم استدلوا على كونهم مصابين في ذلك بكثرة الاموال والاولاد فقالوا نحن أكثر أمواالا وأولاد اى بسبب لزومنا لذتنا وقوله وما نحن بمعدين اى في الآخرة كأنهم قالوا احاطنا بجلا خير من حالكم وأما جلا فلا نذهب اما انكارنا عنهم العذاب رأسا أو اعتقاد الحسن حالهم في الآخرة أيضا قياسا * ثم ان الله تعالى بين خصائصهم بقوله (قل ان ربي يسئل الرزق لمن يشاء ويقدر) يعنى ان الرزق في الدنيا لا تدل سعة ووضيعة على حال الحق والمبطل فكم من مؤسر شرق وميسر شرق (واكن أكثر الناس مفسدوا) رقة الرزق وضنك العيش وكثرة المال وخصب العيش بالمسئسة غير اختصاص بغايق والصالح * ثم بين فساد استدلالهم بقوله (وما أولادكم ولا أولادكم بآبائكم تقر بكم عندنا زنى الامن آمن وعمل صالحا فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون) يعنى قولكم نحن أكثر أمواالا فحق أحسن عند الله حالنا ليس استدلالا صحيحا فان المال لا يقرب الى الله ولا اعتبار بالتعز به وانما المفيد العمل الصالح بعد الاعان الذى يدل عليه هو أن المال والولد يشغل عن الله فيبعد عنه فكيف يقرب منه والأهل الصالح اقبل على الله واشتغال بالله ومن توجه الى الله وصل ومن طلب من الله شيئا حصل وقوله فاولئك لهم جزاء الضعف أى الحسنة فان الضعف لا يكون الا في الحسنة وفي السبئية لا يكون الا مثل ثم زاد وقال وهم في الغرفات آمنون اشارة الى دوام التعيم وتأنيده فان من تقطع عنه النعمة لا يكون آمنا * ثم بين حال المسئ بقوله (والذين يسعون في آياتنا عاجزين) وقد ذكرنا تفسيره وقوله (اولئك في العذاب محضرون) اشارة الى الدوام

واطلاعهم على بطلان رأيهم أى رؤيها لانظر بأى صفة أحلقتموها بالله انذى ليس كذلك شئ في استحقاق العبادة * ايضا وفيه من يدتيك لهم بعد لازم الحجة عليهم (كلا) رد عليهم عن المشاركة بعد ابطال المقاييس (بل هو الله العزيز الحكيم) أى الموصوف بالعلية القاهرة والحكمة الباهرة فإين شركاؤكم التى أحسن الاشياء واذلها من هذه الرتبة العالية والضمير امام الله عز وجل أولشان كافي قل هو الله أحد (وما أرسلناك الا كافيا للناس) أى الارسالة عامة لهم فانها ادعاهم فقد بكتهم أن يخرج منها

أحد منهم أو الأجماع لهم في الإبلاغ فهي حال من الكاف والتاء للبيان ولا سبيل إلى جعلها حالاً من الناس لاستحالة تقدم الحال على صاحبها المجرور (بشيء أو نذير ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك فيحمله جملة على ما هم عليه من الخي والضللال (ويقولون) من فرط جهلهم وغيافة غيهم (من هذا الوديع) بطريق الاستهزاء يعنون به المشر به والنذر عنه أو الموعد بقوله تعالى بجمع يشار بنائم يفتح بيننا (إن كنتم * ٢١ * صادقين) مخاطبين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به (قل

لكم ميعاد يوم) أي وعد يوم
أوزمان وعد والاضافة
للتبيين وقرئ ميعاد يوم مؤنثين
على البدل ويوماً بضم
أعني للعظيم (لا تأخرون
عنده) عند مضاجأته
(ساعة ولا تستقدمون)
صفة لما دوى في هذا الجواب
من البالغ في التهديد ما لا يخفى
حيث جعل الاستخفاف في
الاستحالة كالاستقدام الممتنع
عقلاً وقد مر بيانه مراراً
ويجوز أن يكون في الاستخفاف
والاستخدام غير مفيد بالمفاجأة
فيكون وصف الميعاد بذلك
للتعظيم وتقريره وقال الذين
كفروا لنؤمن بهذا القرآن
ولا بالذي بين يديه) أي
من الكذب التدعية الدالة
على البعث وقيل إن كفار مكة
سألوا أهل الكتاب عن
رسول الله صلى الله عليه
وسلم فأخبروهم أنهم يجدون
نعتهم في كتبهم فغضبوا فقالوا
ذلك وقيل الذي بين يديه
القيامة (ولو ترى إذا الظالمون
المشركون بالبعث) (وفوفون
عند ربهم) أي في موقف
المحاسبة (يرجع بعضهم إلى
بعض أقول) أي يحاورون

أيضا كما قال تعالى كما أرادوا أن يخرجوا منها أعيديها وكما قال تعالى وما هم عنها
بغايبين ثم قال تعالى مرة أخرى (قل إن بي يسط الرزق لمن يشاء من عباده بقدر له وما
أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) إشارة إلى أن نعيم الآخرة لا ينفق نعمة
التي لا يزال الصالحون قد يحصل لهم في الدنيا نعم مع انقطاع حصول النعيم لهم في العقب بناء
على الوعد قطع القول من يقول إذا كانت العسجلة لتأول الآجلة لهم فالقائد أولى فقال
هذا التقدير يخص بكم فإن كثيرا من الاستغناء مدقوعون وكثير من الانقياء ممنوعون وفيه
مسائل (الاولى) ذكر هذا المعنى مرتين مرة لبيان أن كثرة أموالهم وأولادهم غير دالة
على حسن أحوالهم واعتقادهم ومرة لبيان أنه غير يخص بهم كأنه قال وجود الترف
لا يدل على الشرف ثم إن سلطانه كذلك لكن المؤمن يحصل لهم ذلك فإن الله على كل شيء
ديار كم أموالكم والذي يدل عليه هو أن الله تعالى لم يذكر أو لم يشأ من عباده بل قال إن
يشأ وما يقال لمن يشأ من عباده والعباد المضافه يراد بها المؤمنون ثم وعد المؤمنون بخلاف
مال الكافر فإن الكافر إذا بره متطوع وماله إلى الزوال وما له إلى الويل وأما المؤمن فإنه
يخلفه الله ويخلف الله خير فإن ما يلد الأنسان في معرض البوار والمف وهما لا يتطرقان
إلى ما عند الله من الخلف ثم أكد ذلك بقوله والله خير الرازقين وخبرة الرازق في أمور
(أحدها) أن لا يؤخر عر وقت الحاجة (والثاني) أن لا ينقص عن قدر الحاجة (والثالث)
أن لا ينكده بالحساب (والرابع) أن لا ينكده بطلب اشواق والله تعالى كذلك أما الاول
فلأنه عالم وقادر والثاني فلأنه غني واسع والثالث فلأنه كريم وقد ذكر ذلك بقوله يرزق
من يشأ بغير حساب وما ذكرنا هو المراد أي يرزقه حلالا لا يحاسبه عليه والرابع فلأنه
على كبير واشواق يطالبه الأدنى من الأعلى الآتري أن هبة الأعلى من الأدنى لا تنقص
ثواب (المسئلة الثانية) قوله تعالى وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه يحقق معنى قوله عليه
السلام لا اله الا هو يوم يصحح انبياء في الدنيا وكان يقول أحدهما اللهم أعط
متفنا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط مسكنا فانا وذلك لأن الله تعالى ملك على وهو غني
على فإذا قال أنفق وعلى يده فيحكم الوعد لم يملك إذا قال قائل ألق متاعك في العرو على
ضمانه فن أنفق فقد أتى بما هو شرط حصول البدل فيحصل البدل ومن لم ينفق فالزوال
لازم للمال وأدبأت بما يتحقق عليه من البدل فيفوت من غير خلف وهو الخلف ثم إن من
الحجب أن التاجر إذا علم أن ماله من أمواله في معرض الهلاك يبيع به نسبة وإن كان من
الغفراء ويقول بأن ذلك أولى من الإهماء إلى الهلاك فإن لم يبع حتى يهلك ينسب إلى
الخطأ ثم إن حصل به كليل على ولا يبيع ينسب إلى قلة العقل فإن حصل به رهن وكتب به
وثيقة ولا يبيع ينسب إلى الجنون ثم إن كل أحد يفعل هذا ولا يعلم أن ذلك قريب من
الجنون فإن أموالنا كلها في معرض الزوال المحقق والانفاق على الأهل والولد اقراض
وقد حصل الضامن إلى وهو الله العلي وقال تعالى وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه ثم رهن

ويترجعون القول (يقول الدين استضعفوا) يدل من يرجع إلى أي يقول الاتباع (الذين استكبروا) في الدنيا واستبهم في الخي
والضللال (ولأنهم) أي لولا اضلالكم وصدكم لتنازع الأيمان (لكنا مؤمنين) بإتباع الرسول عليه الصلاة والسلام (قال الذي
استكبروا والذين استضعفوا) استثناف مبنى على السؤال كأنه قيل فإذا قال الذين استكبروا في الجواب فقل قالوا (أنحن صدقنا
عن الهدى بعد أضياعكم بل كنتم مجرمين) منكربن لكونهم هم الصادق لهم عن الأيمان مثبتين أنهم هم الصادون

بأنفسهم بسبب كونهم راسخين في الاجرام (وقال الذين استضعفوا الذين استكبروا) اضربا عن اضربا بهم وابطالا له (بل مكر الليل وانهار) أى بل صدنا مكركم بنائيل والتهار فخذف المضاف اليه وأقيم مقامه الظرف اتساعا وجعل ليهم ونهارهم مكرين على الاستناد المجازى وقرئ بل مكر الليل والتهار بالتووين ونصب الظرفين أى بل صدنا مكركم فى الليل والتهار على أن التووين عوض عن المضاف اليه أو مكر عظيم على أنه للتخميم وقرئ بل مكر الليل والتهار بالرفع والنصب أى

عند كل واحد اما أرضا أو بيتا أو طاحونة أو حملا أو منفعة فان الانسان لا بد من أن يكون له صنعة أو جهة يحصل له منها مال وكل ذلك ملك الله وفى يد الانسان يحكم العارية فكانه مرمون بما تكفل الله من رزقه ليحصل له التوفيق التام ومع هذا لا يفتق ويترك ماله ليتلاف لما جورا ولا مشكور (السئلة الثالثة) قوله خير الرازقين بئى عن كثرة قى الرازقين ولا رازق الا الله فالجواب عنه فنقول له جوابان (أحدهما) ان يقال الله خير الرازقين الذين تظنونهم رازقين وكذلك فى قوله تعالى وهو أحسن الخالقين (وثانيهما) هو ان الصفات منها ما حصل لله والعبد حقيقة ومنها ما يقال لله بطريق الحقيقة ولا يبعد بطريق المجاز ومنها ما يقال لله بطريق الحقيقة ولا يقال لا يبعد لا بطريق الحقيقة ولا بطريق المجاز اعدم حصوله للعبد لاحقيقة ولا صورة مثال الاول العلم فان الله يعلم الله واحد والعبد يعلم انه واحد بطريق الحقيقة وكذلك العلم يكون التارخا غاية ما فى الباب ان علمه قديم وعلمنا حادث مثال الثانى الرازق والخالق فان العبد اذا أعطى غيره شيئا فان الله والعصى ولكن لاجل صورة العطاء منه سمى معطيا كما يقال للصورة المنقوشة على الخايط فرس وانسان مثال الثالث الازلى والله وغيرهما وقد يقال فى الاشياء فى الاطلاق على العبد حقيقة وعلى الله محذور الاستواء والازول والمعية ويد الله وجن الله ثم قال تعالى (و يوم نحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرم به ومؤمنون) لمسا بين حال النبي صلى الله عليه وسلم كمال من تقدمه من الانبياء وحال قومه كمال من تقدم من الكفار وبين بطلان استدلالهم بكثرة اموالهم وأولادهم بين ما يكون عاقبة حالهم فقال و يوم نحشرهم جميعا يعنى المكدين بك وبين تقدمك ثم يقول لمن يدعون انهم يعبدونهم وهم الملائكة فان غاية ما ترقى اليه من انهم يقولون نحن نعبد الملائكة والكواكب فيسأل الملائكة انهم كانوا يعبدونكم اهانة لهم فيقول كل منهم سبحانك نزهك عن أن يكون غيرك معبودا وأنت معبودنا ومعبود كل خلق وقولهم أنت ولينا من دونهم إشارة الى معنى لطيف وهو ان مذاهب الناس مختلفة بعضهم لا يسكن المواضع المعمورة التى يكون فيها سواد عظيم لانه لا يترأس هناك فيرضى بالضياع والبلاد الصغيرة وبعضهم لا يريد البلاد الصغيرة لعدم اجتماعه فيها بالاناس وقلة وصوله فيها الى الاكياس ثم ان الفريقين جميعا اذا عرض عليهم خدمة السلطان واستخدام الارفال الذين لا لافقات اليهم أصلا يختار السافل خدمة السلطان على استخدام من لا يؤبه به ولو أن رجلا سكن جبلا ووضع بين يديه شيئا من القاذورات واجتمع عليه الذباب والبدان وهو يقول هؤلاء أتباعى وأشياعى ولا أدخل المدينة تخافة ان احتاج الى خدمة السلطان العظيم والتردد اليه ينسب الى جنون وكذلك من رضى بأن يترك خدمة الله وعبادته ورضى باستتباع الهجم الذين هم أضل من البهائم وأول من الهوام يكون مجنونا فاقوالا أنت ولينا من دونهم يعنى كونك ولينا بالعبودية أولى وأحب لينا من كونهم أولياء بالعبادة لنا

تكررون الاغواء مكرادنا لاتقون عنه فالرفع على الفاعلية أى بل صدنا مكركم الاغواء فى الليل والتهار على ما سبق من الاتساع فى الظرف باقامته مقام المضاف اليه والنصب على المصدرية أى بل تكررون الاغواء مكر الليل والتهار أى مكرادنا وقوله تعالى (اذ تأمر ونهى) ظرف للمكر أى بل مكركم الدائم وقت أمر كما أن أن تكفر بالله وتجعله اندادا) على أن المراد بكمهم ما نفس امرهم بما ذكر كفى فى قوله تعالى يا قوم اذكروا النعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا فان الجمع بين المذكورين نعمة من الله تعالى وى نعمة واما امور آخر مقارنة لامرهم داعية الى الامتنال به من التغريب والترهيب وغير ذلك (واسمروا الندامة لما راوا العذاب) أى اضربا الفريقان الندامة على ما فعلوا من الضلال والاضلال وأخفاها كل منهما عن الآخر تخافة التعبير أو أظهر وهافاته من الاضداد وهو المناسب لخالهم (وجعلنا الاغلال فى أعناق الذين كفروا) أى فى أعناقهم

والاظهار فى موضع الاضمار للنبه والتنبه على موجب اغلالهم (هل يجزون الاما كانوا يعملون) أى ﴿ وقالوا ﴾ لا يجزون الاجراما كانوا يعملون والاماعا كانوا يعملونه على نزع الجار (وما أرسلنا قبلة) من القرى (من نذر الا قال مترفوها انابا أرسلتم بكم كفرون) تسليلا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما نهي به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به والناسفة بكثرة الاموال والاولاد والمغاخرة بحطوط الدنيا وزخارفها والتكبر بذلك

على المؤمنين والاستهانة بهم من أجله وقولهم أي الغريقين خير مما أو أحسن تدابيره لم يرسل قط إلى أهل قرية من نذر الأقال
مترقومهم مثل ما قال مترقوم أهل مكة في حقد عليه الصلاة والسلام وكادوا به نحو ما كادوا به عليه الصلاة والسلام وقاسوا أمور
الآخرة الموهومة والمتروضة عندهم على أمور الدنيا وزعموا أنهم لو لم يكرهوا على الله تعالى لما رزقهم طيبات الدنيا ولو لأن المؤمنين
هانوا عليه تعالى لما حرم موهوبها وعلى ذلك ﴿٢٣﴾ الرأي الركيك بنواحكامهم (وقالوا نحن أكرما وأولادنا ونحن

بعمدين) أمانيه على انتفاء
العذاب الاخرى رؤى رأسا أو على
اعتقاد أنه تعالى أكرمهم
في الدنيا فلا يهينهم في
الآخرة على تقدير وقوعها
(قل) رداعليهم وحسما
لمادة طمعيهم افارغ وتحققا
الحق الذي عليه يدور أمر
التكبر (ان ربي بسط الرزق
ان يشاء) أن يبسطه (و يقدر)
على من يشاء أن يقدره عليه من
غم أن يكون لاحد من الغريقين
داع إلى ما فعل به من البسط
والقدر فربما يوسع على العاصي
ويضيق على المطيع وربما
يعكس الأمر وربما يوسع عليهما
معاً وقد يضيق عليهما وقد
يوسع على شخص تارة ويضيق
عنه أخرى يفعل كل ما من ذلك
حسبما تقتضيه مشيئة العلية
على الحكم البالغة فلا يقاس
على ذلك أمر الثواب والعذاب
الذين مناطهما الطاعة
وعدمها وقرئ و يقدر
بالتشديد (ولكن أكرما الناس
لا يعلمون) ذلك فيزعمون أن
مدار البسط هو الشر في
والكرامة ومدار القدر هو
الهم وان لا يدرون أن الأول
كثيرا ما يكون بطريق

وقالوا بل كانوا يعبدون الجن أي كانوا يتفادون لأمر الجن فهم في الحقيقة كانوا
يعبدون الجن ونحن كننا كاذبة لهم لأن العباد هي الطاعة وقوله تعالى أكرهم
بهم مؤمنون لوقال قائل جميعهم كانوا تابعين للشياطين فأوجه قوله أكرهم بهم
مؤمنون فانه ينبغي أن بعضهم لم يؤمن بهم ولم يطع لهم نقول الجواب عنه من وجهين
(أحدهما) أن الملائكة احتزوا عن دعوى الاطاعة بهم فقالوا أكرهم لان الذين رأوهم
واطلعوا على أحوالهم كانوا يعبدون الجن ويؤمنون بهم ولعل في الوجود من لم يطلع
الله الملائكة عليه من الكفار (الثاني) هو أن العباد عمل ظاهر والاعتقاد عمل باطل
فقالوا بل كانوا يعبدون الجن لاطلاعهم على أعمالهم وقالوا أكرهم بهم مؤمنون عند
عمل القلب مثلا يكونوا مدعين اطلاعهم على ما في القلوب فان القلب لا اطلاع عليه الا الله
كما قال تعالى انه عليهم بذات الصدور ﴿٢٤﴾ ثم بين ان ما كانوا يعبدونه لا ينفعهم فقال (فاليوم
لا نملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضررا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب انثارتكم كنتم بها
تكذبون) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) الخطاب بقوله بعضكم مع من نقول يحتمل أن
يكون مع الملائكة لسبق قوله تعالى أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون وعلى هذا يكون ذلك
تنبها للكافرين حيث بينا لهم أن معبودهم لا ينفع ولا يضر ويصحح هذا قوله تعالى
لا تملكون الشفاعاة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا وقوله ولا يشفعون الا لمن ارضى ولانه
قال بعده ونقول للذين ظلموا ذوقوا قدرهم ولو كان الخطاب هم الكفار فقال ذوقوا
وعلى هذا يكون الكفار داخلين في الخطاب حتى يصح معنى قوله بعضكم لبعض أي
الملائكة للكفار والحاضر الواحد يجوز أن يجعل من يشاركه في أمر مخاطبا بسببه كما
يقول الشاعر لو احدا حاضر لم يركب في كلام انتم بلتم على معنى أنت قلت وهم قالوا ويحتمل
أن يكون معهم الجن أي لا يملك بعضكم لبعض أيها الملائكة والجن وإذا لم يملكوها
لافسكم فلا تملكوها غيركم ويحتمل أن يكون الخطاب للكفار لذكر اليوم يدل على
حضورهم وعلى هذا قوله ونقول للذين ظلموا انما ذكره تأكيذا لبيان حالهم في الدنم
وسبب نكاحهم من الاثم ووقال ذوقوا عذاب النار كان كافيها لكنه لا يحصل ما ذكرنا
من الفساد فانهم كلما كانوا يسمعون ما كانوا عليه من افعال والعناد والاثم والفساد
يتحسرون ويندمون (المسئلة الثانية) قوله نفعا مفيد الحسرة وأما الضرر الفائدة فيه
مع انهم لو كانوا يملكون الضرر لما نفع الكافرين ذلك فقول لما كانت العباد تقع لدفع
ضرر المعبود كما يعيد الجبار ويخمد مخافة شره بين انهم ليس فيهم ذلك الوجه الذي يحسن
لأجله عبادتهم (المسئلة الثالثة) قال ههنا عذاب انثار التي كنتم بها تكذبون وقال
في السجدة عذاب النار الذي كنتم به جعل المكذب ههنا المكذب ههنا جعل المكذب ههنا
انثار وهم كانوا يكذبون بالكل والفائدة فيها أن هناك لم يكن أول مارأوا النار بل كانوا
هم فيهم من زمان بدليل قوله تعالى كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقبل لهم

الاستدراج والثاني بطريق الابتلاء ورفع الدرجات (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقر بكم عندنا زاني) كلام مستأنف من جهته
عن وعلا خوطب به الناس بطريق التلويح والانتفاء بالغة في تحقيق الحق وتقرير ما سبق أي وما جماعة أموالكم وأولادكم
بالجماعة التي تقر بكم عندنا فربما كان الجمع المكسر عقلاؤه وغير عقلاؤه سواء في حكم التأييد أو بالحصله التي تقر بكم وقرئ
بالذي أي بالشيء الذي (الامن أمن وعلي صالحا) استثناء

من مفعول تقر بكم أي وما الأموال والأولاد تقرب أحدا المؤمن الصالح الذي أنفق أمواله في سبيل الله تعالى وعلم أولاده الخير ورباهم على الصلاح ورشحهم الطاعة وقيل من أموالكم وأولادكم على حذف المضاف أي الأموال من الخ (ما واثك) إشارة إلى من والجمع باعتبار معانها كأن الأفراد في القولين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالشار إلى اللذان يعلو وتنبهوا بعد مغزائهم في الفضل أي فأولئك المعنوتون بالاعيان والعمل ﴿٢٤﴾ الصالح (لهم جزاء الضعف) أي ثابت لهم

ذلك على أن الجار والمجرور خبر لما بعده والجملة خبر لا واثك وفيدنا كيد تكرار الاستناد أو يثبت لهم ذلك على أن الجار والمجرور خبر لا واثك وما بعده مرتفع على انفساعية وضافة الجزاء إلى الضعف من اضافة المصدر إلى المفعول صلة فأولئك لهم أن يجازوا الضعف ثم جزء الضعف ثم جزء الضعف على أن جزء الضعف لهم حسنة لهم الواحدة عشر فأفوقها وقرى جزء الضعف على جزء الضعف على أن يجازوا الضعف وجزء الضعف بالرفع على أن الضعف بدل من جزء (بما علوا) من الصالحات (وهم في الغرفات) أي غرقات الجنة (آمنون) من جميع المكارة وقرى بفتح الراء وسكونها وقرى في الغرفة على ارادة المجلس (والذين يسعون في آياتنا) بارادوا الطعن فيها (معاجزين) سابقين لآياتنا أوزاعين أنهم نفوتونا (أو شك في العذاب محضرون) لا يجديهم ما عولوا عليه نفعاً (فل أن رب يسط الرزق لمن يشاء من عباده) أي يوسع عليه تارة (وبقدر له)

ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون أي العذاب المؤبد الذي أنكرتموه بقولكم إن تمسنا النار إلا أيا ما معذرة أي قلتم إن العذاب أن وقع فلا يدوم فذوقوا الدائم وههنا أول ما رواه النار لأنه مذكور عقيب الحشر والسؤال فقول لهم هذه النار التي كنتم بها تكذبون ﴿ثم قال تعالى﴾ (واذا تبلى عليهم آياتي بينات) فأول ما هذا الأرجل يريد أن يصدقكم عما كان بعد آبائكم وقفاً وما هذا إلا أفك مفرى وقال الذين كفروا الحق لمجامعهم إن هذا إلا سحر مبين) إظهارا لفساد اعتقادهم واشداد اعتقادهم حيث تبين أن أعلى من عبادته وهم الملائكة لا يتأهل لعبادة لدواتهم فكافوا وسجناك أنت وإيا أي لأعالي شأنك لعل يدرك من دينهم أي لأعالي شأنك لأن تكون مبدون لهم ولا تنفع أو ضرر فكأن تعالي فأبوم لا يملك مضحككم بعض نفعاً ولا ضرراً ثم مع هذا كله إذا قال لهم النبي عليه السلام كلاماً من التوحيد وتلا عليهم آيات الله التي لا تعد على الله في كل شيء آيات دالة على وحدانيته أنكروها وقالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان بعد آبائكم يعني بعاصرون البرهان بالتأيد وقفاً وما هذا إلا أفك مفرى وهو يحتمل وجوهاً (أحدها) أن يكون المراد من القول بالوحدانية أفك مفرى ويدل عليه هو أن الموحدة كان يقول في حق المشرك أنه يأكف كما قال تعالى في حقهم أنكأ آلهة دون الله تدون وكافوا لهم للرسول أجنتنا فكنا نحن آلهتنا (ثانيها) أن يكون المراد ما هذا إلا أفك أي القرآن أفك وعلى الأول يكون قوله وقال الذين كفروا الحق لمساخهم إن هذا إلا سحر مبين إشارة إلى القرآن وعلى الثاني يكون إشارة إلى ما أتى به من المعجزات وعلى الوجهين قوله تعالى وقال الذين كفروا بدلاءر أن يقول وقفاً والحق هو أن إنكار الوحيد كان مختصاً بالمشر كين وأما إنكار القرآن والمعجزات كل متفقاً عليه بين المشر كين وأهل الكتاب فقال تعالى وقال الذين كفروا الحق على وجه العموم ﴿ثم قال تعالى﴾ (وما آتيناكم من كتب يدرونها وما أرسلنا اليهم قبلاً من نذير وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناكم فكذبوا رسلي فكيف كان نكير) وما أرسلنا اليهم قبلاً من نذيرنا كيدليان تقلدهم يعني يقولون عند ماتلى عليهم الآيات البينات هذا رجل كاذب وقولهم أفك مفرى من غير برهان ولا كتاب أنزل عليهم ولا رسول أرسل اليهم فالآيات البينات لا تعارض إلا بالبراهين العقلية ولم يأتوا بها أو بانتقليات وما عندهم كتاب ولا رسول غيرك والتقل المعبر آيات من كتاب الله أو خبر رسول ثم بين أنهم كالذين من قبلهم كذبوا مثل عاد وثمود وقوله تعالى وما بلغوا معشار ما آتيناكم قال المفسرون معناه وما بلغ هؤلاء المشر كون معشار ما آتينا المتقدمين من افقة والنعمة وطول العمر ثم إن الله أخذهم وما نفعهم قوتهم فكيف حال هؤلاء الضعفاء وعندى يحتمل ذلك وجهاً آخر وهو أن يقال المراد من كتب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناكم أي الذين من قبلهم ما بلغوا معشار ما آتينا قوم محمد من البيان والبرهان وذلك لأن كتاب محمد عليه السلام أكمل

أي يضيق عليه تارة أخرى فلا تحشوا الفقر وأنفقوا في سبيل الله وتعرضوا لنفحاته تعالى (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه) ﴿من﴾ عوصنا ما عجلوا وما آجلا (وهو خير الرازقين) فإن غيره واسطة في إيصال رزقه لاحقيقة لازقيته (و يوم نحشرهم جميعاً) أي المسكين والمستضعفين وما كانوا يهينون من دون الله و يوم ظرف لمضمر متأخر ساقى تقديره أو مفعول لمضمر مقدم نحو اذكر (ثم يقول للملكة أهؤلاء أياكم كانوا يعبدون) تقر بما المشر كين وتبين أنهم على نهي قوله تعالى أنت قلت للناس اتخذوني

وأما الخوافا فاطلهم عما لقوا به أطماعهم الفارغة من شفاعتهم وتخصيص الملائكة لانهم أشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم ولأن عبادتهم مبدأ الشر فكيف يظهور قصورهم عن رتبة العبودية وتزهمهم عن عبادتهم بظهر حال سائر شركائهم بطريق الأولى وقري العلقان بالنون (فالوا) استئناف مبنى على سؤال أنشأ من حكاية سؤال الملائكة كأنه قيل فإذا يقول الملائكة حينئذ فقيل يقولون متزهين عن ذلك ﴿ ٢٥ ﴾ سبحانك أنت وإيمان دونهم) والعدول الى صيغة الماضي للدلالة

على التحقق أى أنت الذى نواله من دونهم لاموالاة يشاء وينهم كأزهم ينوا بذلك برائتهم من الرضا بعبادتهم ثم أضر بواعن ذلك ونفوا أنهم عبدوهم حقيقة بقولهم (بل كانوا يعبدون الجن) أى الشياطين حيث أطاعوهم في عبادة غير الله سبحانه وتعالى وقيل كانوا يتملكون لهم ويخيلون لهم أنهم الملائكة فيعبدونهم وقيل يدخلون أجواف الاصنام فاعبدت فيعبدون بعبادتها (أكثرهم بهم مؤمنون) الضمير الاول للإنس أو للمشركين والاكثر بمعنى الكل والثاني للجن (فالوهم لا يملك بعضهم لبعض نفع ولا ضررا) من جملة ما يقال للملائكة عند جوابهم بانفسهم والتبرؤ عما نسب اليهم الكفرة يخاطبون بذلك على رؤس الاشهاد اظهرا لعجزهم وقصورهم عند عبدتهم وتصيصا على ما يوجب خيبة رجائهم بالكيفية والقالبست لقرئب ما بعد هاهن الحكم على جواب الملائكة فانه محقق أجابوا بذلك أم لا بل لقرئب الاخبار به عليه ونسبة عدم

من سائر الكتب وأوضح محمد عليه السلام أفضل من جميع الرسل وأفصح وبرهانه أوفى وبيانه أشفى ثم ان التقدمين لما كتبوا بآجاءهم من الكتب وعين أناهم من الرسل انكر عليهم وكفى لا ينكر عليهم وقد كذبوا بافصح الرسل وأوضح السبل ويؤيد ما ذكرنا من المعنى قوله تعالى وما آتيناهم من كتب يدرسونها يعنى غير القرآن ما آتيناهم كتبنا وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير فلما كان المؤتى في الآية الاولى هو الكتاب فجعل الاتباع في الآية الثانية على إنشاء الكتاب أولى ثم قال تعالى (قل انما أعظكم بواحد ان تقوموا لله مثنى وفردى ثم تفكروا ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد) ذكر الاصول الثلاثة في هذه الآية بعد ما سبق منه تقريرها بالدلائل فقوله أن تقوموا الله اشارة الى التوحيد وقوله ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم اشارة الى الرسالة وقوله بين يدي عذاب شديد اشارة الى اليوم الآخر وفي الآية مسائل (الاولى) قوله انما أعظكم بواحدة يقتضى أن لا يكون الا بالوحد والابن لا يتم الا بالاعتراف بالرسالة والحشر كيف يصح الحصر المذكور بقوله انما أعظكم بواحدة فتقول التوحيد هو المقصود ومن وحد الله حق التوحيد يشرح الله صدره ويرفع في الآخرة قدره فاشي صلى الله عليه وسلم أمرهم بما يفتح عليهم بواب العبادات ويهيئ لهم أسباب السعادات وجواب آخر وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم ما قال اني لأمركم في جميع عمرى الا بشئ واحد وانما قال أعظكم أولا بالتوحيد ولا أمركم في أول الامر بغيره لانه سابق على الكل ويدل عليه قوله تعالى ثم تفكروا فان التفكير أيضا سارما ومواربه وموعوظا (المسئلة الثانية) قوله بواحدة قال المفسرون انشأها على انها صفة خصله أى أعظكم بخصلة واحدة ويجعل أن يقول المراد حسنة واحدة لان التوحيد حسنة واحسان وقد ذكرنا في قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان ان يعدل في الآية عن غير الله والاحسان اثبات الالهية له وقيل في تفسير قوله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان أن المراد هل جزاء الايمان الاجان وكذلك يدل عليه قوله تعالى ومن احسن قولاً لمن دعائى الله (المسئلة الثالثة) قوله مثنى وفردى اشارة الى جميع الاحوال فان الانسان اذ ان يكون مع غيره أو يكون وحده فاذا كان مع غيره دخل في قوله مثنى واذا كان وحده دخل في قوله فرادى فكأنه يقول تقوموا لله مجتمعين ومنفردين لانتم كنتم الجمعية من ذكر الله ولا يجوزكم الانفراد الى معين يعينكم على ذكر الله (المسئلة الرابعة) قوله ثم تفكروا يعنى اعتزفوا عما هو الاصل والتوحيد ولا حاجة فيما تفكر ونظر بعد ما بان وظهر ثم تفكروا فاعلموا بعد من الرسالة والحشر فانه يحتاج الى تفكر وكلمة تم تفيد ما ذكرناه فان أن تقوموا لله ثم تفكروا ثم يبين ما يتفكرون فيه وهو أمر النبي عليه السلام فقال ما بصاحبكم من جنة (المسئلة الخامسة) قوله ما بصاحبكم من جنة غيد كونه رسولا وان كان لا يلزم في كل من لا يكون به جنة أن يكون رسولا وذلك لان

النفع والضرر الى البعض المبهم ﴿ ٤ ﴾ سا للبيان في ما هو المقصود الذى هو بيان عدم نفع الملائكة للعبدة بنظمه في سلك عدم نفع العبدة لهم كأن نفع الملائكة لعبدهم في الاستحالة والانفناء كنفع العبدة لهم والضرر لعدم الضرر منه أنه لا يحث عنه اصلا اما لتعميم العجز أو لجل عدم النفع على تقدير العبادة وعدم الضرر على تقدير تركها أو لان المراد دفع الضرر على حذف المضاف وتفسير هذا الحكم بذلك اليوم مع ثبوته على الاطلاق لان نفعها على تحقيق النفع

بومئذ وقوله عز وجل (وتقول الذين ظلموا) عطف على الملائكة لاعلى لاملاك كما قيل فانه ما يقال يوم القيامة خطابا للملائكة
متتابع على جوابهم المحكي وهذا حكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما يقال للعبدة بومئذ اترحكما بما يقال للملائكة أى
يوم تنحسهم جميعا ثم يقول للملائكة كذا وكذا ويقول للمشركين (ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون
يكون من الأحوال والأحوال ما لا يحيط به نطاق المقال ٢٦ ٥٠٠ وقوله تعالى (واذا نلتى عليهم آياتنا بينات) بيان لبعض

آخر من كفرانهم أى اذا نلتى
عليهم بلسان الرسول عليه
الصلاة والسلام آياتنا الشاطفة
بحقيقة التوحيد وعلان الشرك
(قالوا ما هذا) يعنون رسول
الله صلى الله عليه وسلم (ارجل
يريدان بصدرك كما كان بعد
آبائكم) فاستمعكم بما تدعيه
من غير أن يكون هناك دين
اللهي واضافة الآباء الى
المخاطبين لالى أنفسهم
لحسبك عرق العصبية منهم
مبالغ في تقريرهم على الشرك
وتفجيرهم عن التوحيد (وقالوا
ما هذا) يعنون القرآن الكريم
(الا فكل) أى كلام مصروف
عن وجهه لا مصداق له في
الواقع (مفترى) باستناد الى
الله تعالى (وقال الذين كفروا
للحق) أى لامر الدعوة أو الاسلام
أو القرآن على أن العطف
لاختلاف العنوان بأن يراد
بالاول معناه وبالثاني قطعه
المعبر (لما جاءهم) من غير تدبر
ولا تأمل فيه (ان هذا الاصحاح
مبين) ظاهر من حيث هو
تكرير الفعل والتصریح
بذكر الكفرة ومافى اللاحقين من
الإشارة الى الثقلين والمقول فيه
ومافى لما من المسارعة الى البت

التي عليه السلام كان يظهر منه أشباه لا تكون مقدور الشر وغير البشر من تظهر منه
العجائب اما الجن أو الملاك واذا لم يكن الصادر من النبي صلى الله عليه وسلم بواسطة الجن
يكون بواسطة الملاك أو بقدره الله تعالى من غير واسطة وعلى التقديرين فهو رسول الله
وهذان أحسن الطرق وهو أن ثبت الصفة التي هي أشرف الصفات في البشر بنى
أحسن الصفات فانه لو قال أولاهو رسول الله كانوا يقولون فيه النزاع فاذا قل ما هو
مجنون لمسه هم انكار ذلك لعلمهم بطول شأنه وحاله في قوة لسانه وبالله فاذا ساعدوا على ذلك
لزنهم المسئلة ولهذا قال بعده ان هو الا نذر يعنى اما هو به جنة أو هو رسول لكن تبين
انه ليس به جنة فهو نذر (المسئلة السادسة) قوله بين يدي عذاب شديد اشارة الى قرب
العذاب كما أنه قال يذركم بعذاب حاضر يسكم عن قرب بين يدي العذاب أى سوف أتى
العذاب بعده * ثم قال تعالى (قل ما سألتكم من آخر فهو ولكم ان أجرى الله وهو
على كل شىء شهيد) لما ذكر أنه ما به جنة ليزم منه كونه نبيا ذكر وجه آخر يلزم منه انه نبى
اذا لم يكن مجنونا لان من يرتكب الغناء الشديد لا فرض عاجل اذالم يكن ذلك فيه ثواب
أخروي يكون مجنونا فالتى عليه السلام يدعو الله التوبة يجعل نفسه عرضة لاهلاك عاجلا
فان كل احد يقصده وعباده ولا يطلب أجر في الدنيا فهو يفعله للأخرة والكاذب في
الأخرة معذب لامثاب فاو كان كاذبا لكان مجنونا لكنه ليس بمجنون فليس بكاذب فهو
نبى صادق وقوله وهو على كل شىء شهيد تقر رأخ لالرسالة وذلك لان الرسالة لا تثبت الا
بالدعوى والبيئة بأن يدعى شخص التوبة يظهر الله المعجزة فهي بيته شاهدة والتصدق
يا فعل يقوم مقام التصديق بالقول في افادة العلم بدليل أن من قال اقوم اتى مرسل من
هذا الملاك اليكم أكرمكم قبول قولى والملاك حاضر ناظر ثم قال للملاك أيها الملاك ان كنت
انارسوا اليهم قل لهم اتى رسولك فاذا قال انه رسولى اليكم لا يلقى فيه شك كذلك اذا قال
بأيها الملاك ان كنت انارسوا اليهم فاليسنى قبائك فلو أنزل الله قباه في عقب كلامه يجزم
انتمس بأنه رسولك كذلك حال الرسل اذا قال الانبياء اقومهم نحن رسل الله ثم قالوا يا ايها
ان كنارسلنا فأنطق هذه الحجارة أى انشر هذا الميت ففعله حصل الجزم بأنه صدوق * ثم قال
تعالى (قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب) وفيه وجهان (أحدهما) يقذف بالحق في
قلوب المحتجين وعلى هذا الوجه الآية بما قبلها تعنى وذلك من حيث ان الله تعالى لما بين
رسالة النبي صلى الله عليه وسلم بقوله انه هو الانذير لكم وأكده بقوله قل ما سألتكم من
أجر فهو ولكم وكان من عادة المشركين استبعاد تخصص واحد من ينسبوا بالانذار عليه
كأقل تعالى عنهم أنزل عليه ان ذكر من ينشأ ذكر ما يصلح جوابا لهم فقال قل ان ربي يقذف
بالحق أى في القلوب اشارة الى أن الامر بيده يفعل ما يريد يعطى ما يشاء لمن يشاء ثم قال
تعالى علام الغيوب اشارة الى جواب سؤال فاسد يذكر عليه وهو ان يفعل شيئا كما يريد
من غير اختصاص محل الفعل بشىء لا يوجد في غيره لا يكون علما وانما فعل ذلك انتفاكا

بهذا القول الباطل انكار عظيم له وتجبيل ببلغ منه (وما أتيناها من كتب يدرسونها) فيها دليل على صحة الاشارة * اذا
كان قوله تعالى أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وقوله تعالى أم أتيناها من كتب يدرسونها
وقرى يدرسونها ويدرسونها بتشديد الدال يفعلون من الدرس (وما أرسلنا اليهم قبلك من نذر) بدعوى اليه وينذرهم بالعقاب
إنهم يشركوا وقد بان من قبل ان لا وجه له بوجه من

الوجود في أن ذهبوا هذا المذهب الزائغ وهذا غاية تجهيل لهم وتسفيل لأبيهم ثم هددهم بقوله تعالى (وكذب الذين من قبلهم) من الأمم القديمة والقرون الخالية كما كذبوا (وما بلغوا معشار ما أتيناكم) أي ما بلغ هؤلاء عشر ما أتينا أولئك من القوة ودول العمر وكثرة المال وأموالهم ثم كذبوا ما أتيناهم من البينات والهدى (وكذبوا رسلي) عطف على كذب الذين الخ بطريق الفصل والتفسير قوله تعالى كذب قلوبهم ﴿٢٧﴾ قوم نوح كذبوا عبدنا الخ (فكيف كان نكير) أن أنكارى لهم بالتدمير

وليحذروا هؤلاء من مثل ذلك (قل إنما أعزضكم بإحدى) أي ما أرشدكم أو أفصح لكم الا بتخصلة واحدة هي ما دل عليه قوله تعالى (أن تقوموا لله) على أنه يدل منها أو بيان لها أو خبر مبتدأ محذوف أي هي أن تقوموا وإن تجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم أو تنصبوا للامر خالصا لوجه الله تعالى مرضا عن المراءاة والتقليد (مثنى وفردى) أي متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا فان الازدحام يشوش الافهام ويخلط الأفكار بالالهام وفي تقدم مثنى اذنان بأنه أولئك وأقرب إلى الاطمئنان (ثم تنفكروا) في أمر عليه الصلاة والسلام وما جاء به لتعلموا حقيقة وحقيقته وقوله تعالى (ما يصاحبكم من جنة) استئناف مسوق من جهته تعالى للتنبيه على طريقته انظر وتأمل بأن مثل هذا الامر العظيم الذي تحته ملك الدنيا والآخرة لا يتصدى لادعائه المجنون لا يبالى باقتضاه عند مطالبته بإبرهانه وظهور بحجته أو مؤيده من عند الله

إذا أصاب أسهم موضعا دون غيره مع تسوية المواضع في المحاذاة فقال يقذف بالحق كيف يشاء وهو عالم بما يفعله وعالم بما عوفاً بما يفعله فهو يقبل ما يريد لا كما يفعله الهامج الغافل عن العواقب وهو علام الغيوب (الوجه الثاني) أن المراد منه وهو أنه يقذف بالحق على الباطل كقائل في سورة الحديد بل يقذف بالحق على الباطل فيدمغه وعلى هذا تعلق الآية بما قبلها أيضا ظاهر وذلك من حيث أن البراهين التي وحيدة ظهرت وشبههم وحضت قال فلان رى يقذف بالحق أى على باطلهم وقوله علام الغيوب على هذا الوجه له معنى اطمئن وهو أن البرهان الباهر المقول الظاهر لم يبق الا على التوحيد والرسالة أو ما للحشر فعلى وقوعه لا يبرهان غير أخبار الله تعالى عنه وعن أحواله وأهواله ولولا بيان الله بالقول لما كان لاجد بخلاف التوحيد والرسالة فإنا نقذف بالحق أى على الباطل اشاراً إلى ظهور البراهين على التوحيد والنبوة فالعلام الغيوب أى ما يخبره عن الغيب وهو قيام الساعة وأحوالها فهو لا خلاف فيه فان الله علام الغيوب والآية تحتل تفسيراً آخر وهو أن يقال رى يقذف بالحق أى ما يقذفه بالحق لا بالباطل والباء على الوجهين الأولين متعلق بالمفعول به أى الحق مقذوف وعلى هذا الباء فيه كالباء في قوله وقضى بينهم بالحق وفي قوله فاحكم بين الناس بالحق والمعنى على هذا الوجه هو أن الله تعالى يقذف ما يقذف في قلب الرسل وهو علام الغيوب يعلم ما في قلوبهم وما في قلوبكم * ثم قال تعالى (قل جاء الحق وما يبدى الباطل وما يعبد) لما ذكر الله أنه يقذف بالحق وكان ذلك بصيغة الاستقبال ذكر أن ذلك الحق قد جاء وفيه وجوه (أحدها) أنه القرآن (الثاني) أنه بيان التوحيد والحشر وكل ما ظهر على لسان النبي صلى الله عليه وسلم (الثالث) المعجزات الدالة على نبوته محمد عليه السلام ويحتمل أن يكون المراد من جاء الحق ظهر الحق لأن كل ما جاء فقد ظهر والباطل خلاف الحق وقد بينا أن الحق هو الموجود ولما كان ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم لم يمكن انتفاؤه كالتوحيد والرسالة والحشر كان حقاً لا بدنى ولما كان ما يأتون به من الاشراك والتكذيب لا يمكن وجوده كان باطلاً لا بدنى وهذا المعنى يفهم من قوله وما يبدى الباطل أى الباطل لا يفيد شيئاً في الاول ولا في الآخرة فلا يمكن لوجوده أصلاً والحق الماتى به لا عدم له أصلاً وقبل المراد لا بدنى الشيطان ولا يعبد وفيه معنى لطيف وهو أن قوله تعالى قل ان رى يقذف بالحق لما كان فيه معنى قوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه كأن يقع لتوهم أن الباطل كان فورد عليه الحق فأبطله ودمغه فقال ههنا ليس للباطل تحقق أولاً وآخرها وإنما المراد من قوله فيدمغه أى فيظهر بطلانه الذي لم يزل كذلك واليه الإشارة بقوله تعالى في موضع آخر وهو حق الباطل ان الباطل كان زهوقاً يعنى ليس أمره مجدداً زهوق الباطل فقوله وما يبدى الباطل أى لا بدنى في الاول شيئاً خلاف الحق ولا يعبد أى لا يعبد في الآخرة شيئاً خلاف الحق * ثم قال تعالى (فلان ملأت فاما أضل على نفسي وان اهتديت فبما يوحي إلى رى اسمعير فربى)

مرشح النبوة واثني بحجته وبرهانه وادفع عنهم أنه عليه الصلاة والسلام أرجح ايمان عقل وأصدق فهم قوله وأزهرهم نفساً وأفضلهم علماً وأحسنهم عملاً وأجهم للكلمات البشرية وجب أن تصدقوه في دعواه فكيف وقد انضم اليك ذلك معجزات نحر لها صم الجبال ويجوز أن يتعلق بما قبله على معنى ثم تنفكروا فتعلموا ما يصاحبكم من جنة وقد جوز أن تكون ما استشهد به على معنى ثم تنفكروا أى شيء من آثار الجنون (ان هو الانذير لكم بين يدي عذاب شديد) هو عذاب الآخرة فانه عليه

الصلاة والسلام مبعوث في نسمة الساعة (قل ما أسألكم من أجر) أي شيء أسألكم من أجر على الرسالة (فهو لكم) والمراد في السؤال رأسا أقول من قال إن لم يعطه شيئا أن أعطيت شيئا فخذ وقيل ما موصولة أي بعبارة ما أسألكم عليه من أجر الأمن شأنا أن يخذل به سبيلا وقوله تعالى لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى واتخذ السبيل إليه تعالى متفتهم الكبرى وقربه عليه الصلاة والسلام قرباهم (ان أجرى * ٢٨) الأعلى الله وهو على كل شيء شهيد) مطلع

هذا به تقر بالرسالة أيضا وذلك لأن الله تعالى قال على سبيل العموم من اهتدى فلنفسه وقال في حق النبي صلى الله عليه وسلم وان اهتديت فيما يوحى الى ربي يعني ضلالي على نفسي كضلالك وبما اهتداني فليس بالنظر والاستدلال كاهتدالك وانما هو بالوحي المبين وقوله انه سمع أي يسمع اذا ناديت به وتستعبد به عليكم قريب بأنكم من غير تأخير ليس كمن يسمع صر بعد لا يلحق الداعي * ثم قال تعالى (ولتري اذ نوحوا فلا فوتوا وحذوا من مكان قريب) لما قال سمع قال هو قريب فان لم يعذب عاجلا ولا يعين صاحب الحق في الحال فهو الفزع آت لا فوت وانما يستعمل من يخاف الفوت وقوله ولتري جوابه محذوف أي ترى عجايبا وحذوا من مكان قريب لا يهربون وانما اخذ قبل تسكنهم من الهرب * ثم قال تعالى (وقاروا آياته) أي يعظموه والامر حيث لا يفتع أمان قالوا آت (وأني لهم التنويع) أي كيف يقدرون على التنويع بالمطلوب وذلك لا يكون الا في الدنيا وهم في الآخرة والدنيا من الآخرة بعيدة فان قيل فكيف قال في كثير من المواضع ان الآخرة من الدنيا قريبة ولهذا سماها الله الساعة وقال لعل الساعة قريب نقول الماضي كالماضي الدار بعدما يكون اذ لا وصول اليه والمستقبل وان كان بينه وبين الحاضر ستمين فانه آت فوم القيامة الدنيا بعدة لمضيها وفي الدنيا يوم القيامة قريب لا يتناهى والتناوش هو التناول عن قرب وقيل عن بعد ولما جعل الله الفعل مأخوذا كالجسم جعل ظرف الفعل وهو الزمان كظرف الجسم وهو المكان فقال (من مكان بعيد) والمراد ماضى من الدنيا * ثم بين الله تعالى أن اعانهم لنافع فيه بسبب انهم كفروا به من قبل والاشارة في قوله آياته وقوله (وقد كفروا به من قبل) الى شيء واحد اما محمد عليه الصلاة والسلام واما القرآن واما الحق الذي أتى به محمد عليه السلام وهو أقرب وأولى وقوله (ويقدفون بالغيب) ضد يؤمنون بالغيب لان الغيب ينزل من الله على لسان الرسول فيصدق الله في القلوب وبقوله المؤمن وأما الكافر فهو يقذف بالغيب أي يقول ما لا يعلمه وقوله (من مكان بعيد) يحتمل أن يكون المراد منه أن مأخذهم بعيدا خذوا الشر بك من انهم لا يقدرون على أعمال كثيرة الا اذا كانوا اشخاصا كثيرة وكذلك المخلوقات الكثيرة وأخذوا بعد الاعادة من حالهم وعجزهم عن الاحياء فان المريض يدأوى فاذا مات لا يمكنهم اعادة الروح اليه وقياس الله على المخلوقات بعيد المأخذ ويحتمل ان يقال انهم كانوا يقولون بأن الساعة اذا كانت قائمة فالثواب والنعيم لنا كقول قائمهم ولئن رجعت الى ربي انزلني عنده للعسنى فكانوا يقولون ذلك فان كان من قول الرسول لما كان ذلك عندهم حتى يقولوا عن احساس فان ما لا يجب عقلا لا يعلم بالا احساس أو يقول الصادق فهم كانوا يقولون عن الغيب من مكان بعيد فان قيل فقد كرت ان الآخرة قريب فكيف قال من مكان بعيد نقول الجواب عنه من وجهين (أحدهما) أن ذلك قريب عند من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ومن لم يؤمن لا يمكنه التصديق به فيكون بعيدا عنده (الثاني)

يعلم صدق وخلوص نيت وقرى ان أجرى يسكن الباء (قل ان ربي يقذف بالحق) أي بقلبه وبزله على من يحب من عباده أو يرمي به الباطل فيدفعه أو يرمي به في أضرار الاتفاق فيكون ويعد بالظهور الاسلام واعلاء كلمة الحق (سلام القلوب) صدق محمولة على محل ان واسمها أو بدل من المسكن في يقذف أو خبير فان لازوا بغيره بدأ محذوف وقرى بالنصب صفدرى أو مقدر بأعنى وقرى بكسر الفين وبالفصح كصبور مبالغة غائب (قل جاء الحق) أي الاسلام والتوحيد (وما يبدى الباطل وما يعبد) أي زهق الشر كبحيث لم يبق أثره أصلا مأخوذ من هلاك الحى فانه اذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة فعمل مثلا في الهلاك بالمرة ومنه قول عبيد أقفر من أهله عبيد فليس يبدى ولا يعبد وقيل الباطل ابليس أو الصنم والمعنى لا ينشئ خلفا ولا يعبد أو لا يبدى خيرا لاهله ولا يعبد وقيل ما استفهامية منصوبة بما بعدها (قل ان ضلالت)

عن الطريق (فانما اضل على نفسي) فان وبال ضلالي عليه لانه بسببها اذهى الجاهلة بالذات والامارة بالسوء * الحكاية * وهذا الاعتبار قول الشرطية بقوله تعالى (وان اهتديت فيما يوحى الى ربي) لان الاهتداء بهدائه وتوفيقه وقرى ربي يقض الباء (انه سمع قريب) بمع قول كل من المهتدى والضلال وفعله وان بالغ في اخفائها (ولتري اذ نوحوا) عند الموت والبعث أو يوم يدر وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان ثمانين ألفا يغزون الكعبة ليحرقوها فاذا دخلوا البيداء خسف

بهم وجواب لمحمد وفي اي رأيت أمر اهانلا (فلا فتوت) فلا فتوتون الله عز وجل يهرب أو تحصن (وأخذوا من مكان قريب) من ظهر الارض أو من الموقف الى النار أو من صحراء بدر الى قلبها أو من تحت أقدامهم اذا خسف بهم والجملة معطوفة على فزعوا وقبل على لا فتوت على معنى اذ فزعوا فلبتوتوا وأخذوا بؤيده أنه قرى وأخذوا عطف على محله أي فلا فتوت هنا وهناك أخذ (وقالوا آمنتاه) أي بمحمد عليه الصلاة (٢٩) والسلام وقدر ذكره في قوله تعالى ماد صا حبكم (وأنى لهم التناوش)

التناوش التناول السهل أي ومن أين لهم أن يتناولوا الايمان تناولا سهلا (من مكان بعيد) فانه في حيز التكليف وهم منه بعزل بعيد وهو تمثيل حالهم في الاستخلاص بالايمان بعد ما فات عنهم ويمتثال من يريد أن يتناول الشيء من غواة تناوله من ذراع في الاستخالة

وقرى بالهمز على قلب الواو لضمها وممن نأشت الشيء اذا طابته ومن أين عمرو والتناوش بالهمز التناول من بعد من قولهم نأشت اذا أبطأت وتأخرت ومنه قول من قال

نحى نيتشا أن يكون اطاعنى وقد حدثت بعد الامور مور (وقد كفروا به) أي بمحمد صلى الله عليه وسلم أو بأعذاب الشديد الذى أنذرهم اياه (من قيل) أي من قبل ذلك فى أو ان التكليف (وقد فتون بالغيب) ويرجون بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم فى حق الرسول عليه الصلاة والسلام من المطاعن أو فى العذاب المذكور من بيت القول ببقية (من مكان بعيد) من

ان الحكاية يوم القيامة فكانه قال كانوا يفتنون من مكان بعيد وهو الدنيا ويحمل وجهها آخر وهو أنهم فى الآخرة يقولون ريتنا بصرنا وسمعنا فارحمنا فعمل صالحا وهو قدق بالغيب من مكان بعيد وهو الدنيا ثم قال تعالى (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) من العود الى الدنيا وبين ذات الدنيا فان قيل كيف يصح ذلك ما يشتهون من العود مع أنه تعالى قال (كافلوا بشايعهم من قبل انهم كانوا فى شك مررب) وما حيل بينهم وبين العود قلنا لم قلتم انه ما حيل بينهم بل كل من جاء الملك لطلب التاخير والموعظ وأرادوا أن يؤثروا عند ظهور البأس لم يقبل وقوله مررب يحتمل وجهين (أحدهما) ذى ريب (والثاني) موقع فى الريب وسند ذكره فى موضع آخر ان شاء الله تعالى والله اعلم بالصواب والحمد لله رب العالمين وصلاته على خير خلقه محمد وآله وصحبه وأزواجه أجزين

(سورة فاطر أربعون وحس آيات مكتبة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا) قد ذكرنا فيما تقدم ان المجر يكون على النعمة فى أكثر الامور ونعم الله قسمان عاجلة وآجلة واسأله وجوده بقاء والآجلة كذلك المجاد مرة وإبقاء أخرى وقوله تعالى الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الطلقات وانور اشارة الى النعمة العاجلة التى هى الابتعاد واستدلتنا عليه بقوله تعالى هو الذى خلقكم من طين ثم قضى أجلنا وقوله فى الكهف الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب اشارة الى النعمة العاجلة التى هى الإبقاء فان البقاء واصلاح بالشرع والكتاب ولولا ما وقعت المنازعة والمحاصرة بين الناس ولا يفصل بينهم فكان يفضى ذلك الى القتال والتفانى فانزل الكتاب نعمة تعلق بها البقاء العاجل وفى قوله فى سورة سبأ الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الارض وله الحمد فى الآخرة اشارة الى نعمة الابتعاد الثانى بالخير واستدلتنا عليه بقوله يعلم ما يلج فى الارض من الاجسام وما يخرج منها وما ينزل من السماء من ارواح وما يرح فيها منها وقوله عن الكافرين وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى ورنى وهى الحمد اشارة الى نعمة البقاء فى الآخرة ويدل عليه قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا أى يجعلهم رسلا يلقون عباد الله كما قال تعالى وتلقاهم الملائكة وعلى هذا فقوله تعالى فاطر السموات يحتمل وجهين (الاول) معناه مبدعها كما نقل عن ابن عباس (والثانى) فاطر السموات والارض أى شاققها انزول الارواح من السماء وخروج الاجساد من الارض ويدل عليه قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا فان فى ذلك اليوم تكون الملائكة رسلا وعلى هذا فأول هذه السورة متصل بآخر ماضى لان قوله كافلوا بشايعهم بيان لانقطاع رجاء من كان فى شك مررب ويتقنه بأن لا يقول لتوبته ولا فائدة لقوله آمنت كما قال تعالى عنهم وقالوا آمنتاه وأنى لهم التناوش فلما ذكر حالهم بين حال الموقف وبشر ما رساله الملائكة اليهم مبشرين وبين أنه يفتح لهم

جهة بعيدة من حاله عليه الصلاة والسلام حيث ينسبونه صلى الله عليه وسلم الى الشعر والسحر والكذب وان أبعد شئ مما جاء به الشعر والسحر وأبعد شئ من عاداته المعروفة فيما بين الداني والقاصى الكذب ولعله تمثيل لحالهم فى ذلك بحال من يرى شيئا لا يراه من مكان بعيد لا بحال للوهر فى حلقه وقري و يفتنون على أن الشيطان يلقى اليهم و يلقونهم ذلك وهو معطوف على قد كفروا به على حكاية الحال الماضية أو على قالوا فيكون تمثيلا لحالهم بحال القاذف فى تحصيل ما مضى به

من الاعيان في الدنيا (وحيل بينهم وبين ما يستهون) من نعم الامان والنجاة من النار وقرى باسمهم الصم والبكم (و جعل باسماهم من قبل) أي باسماهم من كفر الامم النارجية (انهم كانوا في شك مرئيب) أي موقع في الرية أو ذرى رية والاول مشقول بمن يصح أن يكون مرئيبا من الاعيان الى المعنى والثاني من صاحب الشك الى الشك كما يقال شعر شاعر والله أعلم * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سبلحريق رسول ولا نبى الا كان له يوم القيامة رقبان * ٣٠ * ومضافا سورة الملائكة مكيدوهي

خمس وأربعون آية *
(بسم الله الرحمن الرحيم)
(الحمد لله فاطر السموات والارض) مبدعهم من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينحى من الفطر وهو النطق وقيل الشق طولا كما أنه شق لعدم باخراجهما منه واضافته محضة لانه بمعنى الماضي فهو نعت الاسم الجليل ومن جعلها غير محضة جعله بدلا منه وهو قابل في المشتق (جاعل الملائكة) الكلام في اضافته وكونه نعتا أو بدلا كقوله وقوله تعالى (رسلا) منصوب به على الوجه الثاني من الاضافة بالاتفاق وأما على الوجه الاول فكذلك عند الكسائي وأما عند البصريين فبضمير يدل هو عليه لان اسم الفاعل اذا كان بمعنى الماضي لا يعمل عندهم الامر فباللام وقال أبو سعيد السمرقاني اسم الفاعل المتعدي الى اثنين يعمل في الثاني لان باضافته الى الاول تعذرت اضافته الى الثاني فتعين نصبه له وعلل بعضهم ذلك بأنه بالاضافة أشبه المعروف باللام فعمل له

أبواب الرحمة * وقوله تعالى (أولى أجمعه مني وثلاث ورباع) أقل ما يكون لذي الجناح أن يكون له جناحان وما بعدهما زيادة وقال قوم فيه ان الجناح اشارة الى الجهة وبيانه هو أن الله تعالى أنيس فوقه شيء وكل شيء فهو تحت قدرته ونعمته والملائكة لهم وجه الى الله يأخذون منه نعمه ويعطون من دونهم مما أخذوه بذن الله كما قال تعالى نزل به الروح الامين على قلبك وقوله علمه شديد القوى وقال تعالى في حقهم فالدبرات أمرا فهما جناحان وفيهم من يفعل ما يفعل من الخير بواسطة وفيهم من يفعله لا بواسطة فالفاعل بواسطة فيه ثلاث جهات ومنهم من لا أربع جهات واكثر الظاهر ما ذكرناه وأولاهو الذي عليه اطلاق المفسرين * وقوله تعالى (يزيد في الخلق ما يشاء) من المفسرين من خصصه وقال المراد الوجه الحسن ومنهم من قال الصوت الحسن ومنهم من قال كل وصف محمود والاول أن يعزم ويقال الله تعالى قادر كامل يفعل ما يشاء فزيد ما يشاء وينقص ما يشاء وقوله تعالى (ان الله على كل شيء قدير) يقر قوله يزيد في الخلق ما يشاء * ثم قال تعالى (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلامرسله من بعده) لما بين كمال القدرة ذكر بيان نفوذ المشيئة ونفاذ الامر وقال ما يفتح الله للناس يعني ان رحم فلا مانع له وانما يرحم فلا يبعث له عليها وفي الآية دليل على سبق رحمة غضبه من وجوه (أحدها) التقديم حيث قدم بيان فتح أبواب الرحمة في الذكر وهو وان كان ضعيفا لكنه وجه من وجوه الفضل (وثانيها) هو أنه أنشأ الكناية في الاول فقال ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وجاز من حيث العربية أن يقال له ويكون عائدا الى ما ولكن قال تعالى لها ليعلم أن المفتوح أبواب الرحمة ولا ممسك لرحمته فهي واصلة الى من رحمه وقال عند الامسك وما يمسك فلامرسل له بانذ كبر ولم يقل ثم انما صرح بأنه لامرسل للرحمة بل ذكره بلفظ يحتمل ان يكون الذي لا يرسل هو غير الرحمة فان قوله تعالى وما يمسك عام من غير بيان وتخصيص بخلاف قوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فإنه مختص بيمين (وثالثها) قوله من بعده أي من بعد الله فاستثنى ههنا وقال لامرسل له الا الله فنزل له مرسلا وعند الامسك قال لا يمسك لها ولم يقل غير الله لان الرحمة اذاجات لا ترتفع فان من رحمة الله في الآخرة لا يعذبه بعدها هو ولا غيره ومن يعذبه الله فقد رحمه الله بعد العذاب كالغساق من أهل الايمان * ثم قال تعالى (وهو العزيز) أي كامل القدرة (الحكيم) أي كامل العلم * ثم قال تعالى (يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم) لما بين ان الحمد لله وبين بعض وجوه النعمة التي تستوجب الحمد على سبيل التفصيل بين نعمه على سبيل الاجال فقال اذكروا نعمة الله وهي مع كثرتها مختصرة في قسمين نعمة اليجاد ونعمة الابقاء فقال تعالى (هل من خالق غير الله) اشارة الى نعمة اليجاد في الابتداء وقال تعالى (يرزقكم من السماء والارض) اشارة الى نعمة الابقاء بالرزق الى الانتهاء ثم بين انه (لا اله الا هو) نظرا الى عظمته حيث هو عزير حكيم قادر على كل شيء قدير نافذ الارادة في كل شيء

وقرى جاعل بالرفع على المدح وقرى الذي فطر السموات والارض وجعل الملائكة أي جاعلهم وسابغ بيته تعالى * ولا * وبين أنبياءه والصالحين من عباده يلقون اليهم رسالاته بالوحى والالهام والرويا الصادقة أو بيته تعالى وبين خلفه أيضا حيث يوصلون اليهم آثار قدرته وصنيعه هذا على تقدير كون الجعل نصيريا بأما على تقدير كونه ابداعا فسرلا نصب على الحالية وقرى رسلا بسكون السين (أولى أجمعه) سفد رسلا وأولو اسم جمع لنو

كان أوله اسم جمع ولذا نظمهما في الاسماء المتكينة الخاض والخلفة وقوله تعالى (مثنى وثلاث ورباع) صفات لاجحة أى قوى أوجه متعددة متفاوتة في العدد حسب تفاوت مالهم من المراتب يتزاون بها ويعرجون أو يسرعون بها والمعنى ان من الملائكة خلق الكل واحد منهم جناحان وخلقاً أجمعه كل منهم ثلاثة وخلقاً آخر لكل منهم أربعة أجنحة وروى أن صفات من الملائكة لهم ستة أجنحة يجناحين منها يلقون ﴿ ٣١ ﴾ أجسادهم وباخرين منها يطيرون فيما أمر وأبه من جهته تعالى

وجناحان منها مخرجان على

وجوههم حياة من الله عز وجل

وعن رسول الله صلى الله عليه

وسلم انه رأى جبريل عليه

السلام لله المعراج وله ستائة

جناح وروى أنه سأل عليه

السلام أن يقرأى له في صورة

فقال لك لن تطيق ذلك قال

انى أحب أن تغفل فخرج

عليه الصلاة والسلام في ليلة

مقمرة فأتاه جبريل عليهما

السلام في صورته فغشى عليه

عليه الصلاة والسلام ثم أفاق

وجبريل مسند ومعه إحدى يديه

على صدره والاخرى بين

كفيه فقال سبحان الله ما

كنت أرى أن شيئاً من الخلق

هكذا فقال جبريل عليه

السلام فكيف لو رأيت

اسرافيل له اثنا عشر جناحاً

جناح منها بالشرق وجناح

منها بالغرب وان العرش على

كاهله وأنه ليعتاض الأحياء

عظمته الله عز وجل حتى يعود

مثل الوضع وهو العصفور

الصغير (يزيد في الخلق ما يشاء)

استشفاف مقرر لما قبله من تفاوت

أحوال الملائكة في عدد

الاجنحة ومؤذن بان ذلك

من أحكام مشيئة تعالى لا من

ولامثل لهذا ولا من بولذاته غير هذا ونظرا الى نعمته حيث لا خالق غيره ولا رازق الا هو ثم قال تعالى (فأتى نوح فكون) أى كيف تصرفون عن هذا الظاهر فكيف تشركون المبعوث بمن له الملكوت ثم لما بين الاصل الاول به التوحيد ذكر الاصل الثاني وهو الرسالة فقال تعالى (وان تكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك) ثم بين من حيث الاجال أن المكذب في اعذاب والمكذب له الثواب بقوله تعالى (والى الله ترجع الامور) ثم بين الاصل الثالث وهو الحشر فقال تعالى (يا أيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحيات الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور) أى الشيطان وقد ذكرنا ما فيه من المعنى اللطيف في تفسير سورة لقمان ونعنيده ههنا فنقول المكلف قد يكون ضعيف الذهن قليل العقل سخي الرأى فيغتر بأدنى شيء وقد يكون فوق ذلك فلا يعتربه ولكن اذا جاء غار وزين ذلك الشيء وهون عليه مفاسدهم وبين له منافع يغترلما فيها من اللذة مع ما يضم اليه من دعاء ذلك الغار اليه وقد يكون قوى الجاش غزير العقل فلا يغتر ولا يغتر فقال الله تعالى لا تغرنكم الحياة الدنيا اشارة الى الدرجة الاولى وقال ولا يغرنكم بالله الغرور اشارة الى الثانية ليكون واقفا في الدرجة الثالثة وهى العليا فلا يغتر ولا يغتر ثم قال تعالى (ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا) لما قال تعالى ولا يغرنكم بالله الغرور ذكر ما يمنع العاقل من الاغترار وقال ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ولا تسمعوا قوله وقوله فاتخذوه عدوا أى اعملوا ما يسوءه وهو العمل الصالح ثم قال تعالى (انما يدعو حربه ليجنوا من أصحاب السعير) اشارة الى معنى لطيف وهوان من يكون له عدو فله في أمره طربقان (أحدهما) أن يعاديه بحمازة له على معاداته (والثاني) ان يذهب عدوانه براضاه فلما قال الله تعالى ان الشيطان لكم عدو أمرهم بالعداوة وأشار الى أن الطريق ليس الا هذا وأما الطريق الآخر وهو الرضاء فلا فائدة فيه لانكم اذا راضتموه واتبعتموه فهو لا يؤدبكم الا الى السعير واعلم أن من علم أن له عدوا الامهبر له مندوجزم بذلك فانه يقف عنده ويصبر على قتاله والصبر معه الظفر فكذلك الشيطان لا يقدر الانسان ان يهرب منه فانه معد ولا يزال يتبعه الا أن يقف له ويهرمه فهزم الشيطان بعز يد الانسان فالطريق اثبات على الجادة والابتكال على العبادات ثم بين الله تعالى حال حربه وحال حربه فقال (الذين كفروا لهم عذاب شديد) فالعداوى للشيطان وان كان في الحال في عذاب ظاهر فهو ليس بشديد ولا انسان اذا كان عاقلا يختار العذاب المنتفع بالسير دفعاً للعذاب الشديد لما بدأ لا ترى ان الانسان اذا عرض في طريقه شوك ونار ولم يكن له بد من أحدهما يخطى الشوك ولا يدخل النار ونسبة النار التي في الدنيا الى النار التي في الآخرة دون نسبة الشوك الى النار العاجلة * وقال تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير) فقد ذكر تفسيره مرارا وبين فيه ان الايمان في مقابله المغفرة فلا يؤيد مؤمن في النار والعمل الصالح في مقابله الاجر الكبير * ثم قال تعالى (أن من زين

راجع الى ذواتهم بيان حكمه كلى ناطق بأنه تعالى يزيد في أى خلق كان كل ما يشاء أن يزيد بموجب مشيئة ومقتضى حكمته من الامور التي لا يحيط بها الوصف وماروى عن النبي عليه الصلوة والسلام من تخصيص بعض المعاني بالذكر من الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن فيبان لبعض المواد اليهودية بطريق التمثيل لا بطريق الحسرة فيها وقوله تعالى (ان الله على كل شيء قدير) لتعليل بطريق التحقيق للحكم المذكور فان شمول قدرته تعالى لجميع الاشياء بما يوجب قدرته

تعالى على أن يرشد كل ما يشاء وإيجاباً بيننا (ما يفتح الله للناس من رحمة) عبر عن إرسالها بالقبح ايذاناً بأنهم أنفُس الخزائن التي يتنافس فيها المتنافسون واعزها من لا يتكبرها الا شاعة والابهام أي شيء يفتح الله من خزائن رحمة أمة رجعة كانت من نعمة وصحة وأمن وعلم وحكمة إلى غير ذلك لا يحاط به (فلا تمسك لها أي لا أحد يقدر على امساكها) وما تمسك أي أي شيء تمسك (فلا مرسل له) أي لا أحد يقدر على إرساله واختلاف الضميرين لما أن مرجع الاول ﴿ ٣٢ ﴾ مفسر بالرجوع ومرجع الثاني مطلق

يتناولها وغيرها كما نساها كان وفيه اشعار بأن رحمة سبقت غضبه (من بعده) أي من بعد امساكه (وهو العزيز) الغالب على كل ما يشاء من الامور التي من جعلها القبح والامساك (الحكيم) الذي يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة لتبديل مقرر لما قبلها ومرب عن كون كل من القبح والامساك بموجب الحكمة التي عليها يدور أمر التكوين وبعدها بين سبحانه أنه الموجد للكل والمالكوت والمتصرف فيها بما يفيض والبسط من غير أن يكون لاحد في ذلك دخل ما يوجه من انجوع أمر الناس قاطبة أو أهل مكة خاصة بشكر نعمه فقال (يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم) أي انعامه عليكم ان جعلت النعمة مصدراً أو كائنة عليكم ان جعلت اسماً أي راعوها واحفظوها بمعرفة حقها والاعتراف بها وتخصيص العبادة والطاعة بوليها ولما كانت نعم الله تعالى مع شجب فنونها منحصرة في نعمة الامجاد ونعمة الابقاء نفي أن يكون في الوجود شيء غيره تعالى يصدر

له سوء عمله فراه حسناً فان الله بضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون (يعني ليس من عمل سيئ كالذي عمل صالحاً كما قال بعد هذا آيات وما يستوي الاعمي والبصير ولا الظلمات ولا النور وله تعلق بما قبله وذلك من حيث أنه تعالى لما بين حال المسي الكافر والمحسن المؤمن وما من أحد يعترف بأنه يعمل سيئ الا قليل فكان الكافر يقول الذي له العذاب الشديد هو الذي ينسج الشيطان وهو محمد بن قومه الذين استهوتهم الجن فأتبعوه ما والى له الاجر العظيم نحن الذين دنا على ما كان عليه آباءنا فقال الله تعالى لستم أنتم بذلك فان المحسن غير مؤمن زين له العمل السيئ فراه حسناً غير بل الذين زين لهم السيئ دون من أساء وعلم انه مسمى فان الجاهل الذي يعلم جملة والمسي الذي يعلم سوء عمله يرجع ويترقب والذي لا يعلم بصريح الذنوب والمسي العالم له صفة ذم بالاساءة وصفة مدح بالعلم والمسي الذي يرى الاساءة احساناً له صفتا ذم الاساءة والجهل ثم بين أن الكل يشبه الله وقال فان الله بضل من يشاء ويهدي من يشاء وذلك لان الناس اشخاصهم متساوية في الحقيقة والاساءة والاحسان والسيئة والحسنة يمتاز بعضها عن بعض فاذا عرفها البعض دون البعض لا يكون ذلك باستقلال منهم فلا بد من الاستناد إلى ارادة الله ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث حزن من اصرارهم بعد آياته بكل أيذنا ظاهرة وبجهر باهرة فقال فلا تذهب نفسك عليهم حسرات كما قال تعالى فلعنك باخع نفسك على آزارهم ثم بين أن حزنه ان كان منهم من الضلال فله عام بهم بما يصنعون لو أراد ايمانهم واحسانهم لصدهم عن الضلال ووجه عن الضلال وان كان نابعاً منهم من ابداء الله عالم بفعلهم يجازيهم على ما يستحقون * ثم عاد إلى البيان فقال تعالى (والله الذي أرسل الريح فثير فغباراً فتنفثه من حيث يشاء) فحينئذ به الارض بعد موتها كذلك النشور (هبوب الريح دليل ظاهري على الفاعل المختار وذلك لان الهواء قد يسكن وقد يتحرك وعند حركته قد يتحرك إلى اليمين وقد يتحرك إلى اليسار وفي حركاته المختلفة قد ينشئ السحاب وقد لا ينشئ فهذه الاختلافات دليل على مخترع مدبر ومؤثر مقدر وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) قال تعالى والله الذي أرسل بلفظ الماضي وقال فثير فغباراً بصيغة المستقبل وذلك لانه لما أسند فعل الارسل إلى الله وما يفعل الله يكون بقوله كن فلا يبقى في العدم لازماً ولا جزأً من الزمان فلم يقل بلفظ المستقبل لوجوب وقوعه وسرعة كونه كانه كان وكنه فرغ من كل شيء فهو قادر الارسل في الاوقات العلوية إلى المواضع العينية والتقدير كالارسل ولما أسند فعل الاثارة إلى الريح وهو يؤولف في زمان فقال تثير أي على هيئتها (المسئلة الثانية) قال أرسل اسناداً فعل إلى الغائب وقال حقناه اسناد الفعل إلى المتكلم وكذلك في قوله فاحيننا وذلك لانه في الاول عرف نفسه بفعل من الافعال وهو الارسل ثم لما عرف قال أنا الذي عرفني سقت السحاب واحيت الارض في الاول كان تعريفاً بالفعل المجيب وفي الثاني كان تذكيراً بالنعمة

عنه احدى الثمنتين بطريق الاستفهام الانكارى المنادى باستحالة أن يجاب عنه بنعم فقال (هل من خالق غير الله) ﴿ فان ﴾ أي هل خالق مغاير لتعالى موجود على أن خالق مبدأ محمد وفي الخبر زيدت عليه كلمة من لا كيدا العموم وغير الله نعت له باعتبار محله كما أنه نعت له في قراءة الجرباء باعتبار طفته وقرى بالنصب على الاستثناء وقوله تعالى (يرزقكم من السماء والارض) أي بالاطر والنبات كلام مبتدأ على التقدير لا يحل له من الاعراب

داخل في حيز النفي والانتكار ولا مسامح لما قبل من أنه صفة أخرى لخالق مرفوعة المحل أو مجرورته لان معناه نفي وجود خالق موصوف بوصفي المغايرة والرافية معان غير تعرض لنفي وجود ما انصف بالمغايرة فقط ولا لما قبل من أنه الخبير للبسدا ولا لما قبل من أنه مفسر لمضمر ارتفع به قوله تعالى من خالق على القاعدة أي هل يرزقكم من خالق الخ لما أن معناه ما في رازقية خالق مغايرة تعالى من غير تعرض لنفي وجوده رأسا مع أنه المراد ﴿ ٣٣ ﴾ حتما لا يرى الى قوله تعالى (لا اله الا هو) فانه استئناف

مسوق لتقرير النفي المستفاد منه قصد اوجار مجرى الجواب عما يوهيه الاستفهام صورة فحيث كان هذا ناطقا بنفي الوجود تعين أن يكون ذلك أيضا قطعا والغاء في قوله تعالى (فأني توفكون) لترتيب انكار عدوا لهم عن التوحيد الى الشرح على ما قبلها كأنه قبل واذا تبين تقدره تعالى بالالوهية والخالقية والرافية فمن أي وجه تصرفون عن التوحيد الى الشرك وقوله تعالى (وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك) تلويح للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين خطابي الناس مسارعة الى تسليمته عليه الصلاة والسلام بعموم البلية أولا والاشارة الى الوعد والوعيد ثانيا أي وان استمروا على أن يكذبوك فيما بغت اليهم من الحق المبين بعد ما أقت عليهم الحق والتمهم الحجر فأنس باولئك الرسل في المصارعة على ما أصابهم من قبل فومهم فوضع موضعه ما ذكر اكتفاء بذكر السبب عن ذكر المسبب وتكثير الرسل للتفخيم الموجب لزبد التسليمة والتوجه الى المصارعة أي رسل

فان كمال نعمة الرباح والسحب بالنسوق والاحياء وقوله سقنا وأحيينا بصيغة الماضي يؤيد ما ذكرناه من الفرق بين قوله أرسل وبين قوله تنير (المسئلة الثالثة) ما وجدته التشبيه بقوله كذلك النشور نقول فيه وجوه (أحدها) ان الارض الميتة لما قبلت الحياة الالفة بها كذلك الاعضاء تقبل الحياة (وثانيها) كان الريح يجمع القطع السحابية كذلك يجمع بين اجزاء الاعضاء وابعاض الاشياء (وثالثها) كان الناسوق الريح والسحب الى البلد الميت نسوق الروح والحياة الى البدن الميت (المسئلة الرابعة) ما الحكمة في اختيار هذه الآية من بين الآيات مع أن الله تعالى له في كل شيء آية تدل على انه واحد فتقول لما ذكرنا انه فاطر السموات والارض وذكر من الامور السماوية الارواح وارسالها بقوله لجعل الملائكة رسلا ذكر من الامور الارضية الرياح وارسالها بقوله والله الذي أرسل الرياح ثم قال تعالى (من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور) لما بين برهان الايمان اشار الى ما كان ينفع انكفار منه وهو العزة الظاهرة التي كانوا يتوهمونها من حيث انهم ما كانوا في طاعة أحد ولا يمكن لهم من يأمرهم وينهاهم فكانوا يحتجون الاصنام وكانوا يقولون ان هذه آلهتنا ثم انهم كانوا يقولون انها مع أنفسهم وآية عزة فوق العبة مع العبود فهم كانوا يطلعون العزة وهي عدم التذلل للرسول وترك الاتباع له فقال ان كنتم تطالبون بهذا الكفر العزة في الحقيقة فهي كمال الله ومن يتذلل له فهو العزير ومن يتعز عليه فهو الذليل وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) قال في هذه الآية لله العزة جميعا وقال في آية أخرى لله العزة ورسوله وللمؤمنين فتقوله جميعا يدل على أن العزة لغيره فتقول قوله لله العزة أي في الحقيقة وبالذات وقوله ورسوله أي بواسطة اقرب من العزير هو الله وللمؤمنين بواسطة فربهم من امن بالله وهو الرسول وذلك لان عزة المؤمنين بواسطة النبي صلى الله عليه وسلم لا ترى قوله تعالى ان كنتم تحبون الله فاتموني يحبكم الله (المسئلة الثانية) قوله اليه يصعد الكلم الطيب تقرير لبيان العزة وذلك لان الكفار كانوا يقولون نحن لا تعبد من لآزاه ولا تعبد عندنا لان بعد من الملك ذلة فقال تعالى ان كنتم لاصطون اليه فهو يسمع كلامكم ويقل الطيبين في كلامه وصعد اليه فهو عزير ومن رد كلامه في وجهه فهو ذليل وأما هذه الاصنام لا يبين عندها الذليل من العزير يذاذلها فكل أحد يمسها وكذلك يرى عليكم في عمل صالحا رفعه اليه ومن عمل سيأرد عليه فاعزير من يرفع الذي عمله لوجهه والذليل من يدفع الذي عمله في وجهه وأما هذه الاصنام فلا تملك شيئا فلا عزير عندها ولا ذليل فلا عزير تهاب عليها ذلة وذلك لان ذلة السيد ذلة لا بعدد ومن كان معبوده ور به والهه بحارة أو خشيا ماذا يكون هو (المسئلة الثالثة) في قوله اليه يصعد الكلم الطيب وجود (أحدها) كلمة لا اله الا الله هي الطيبة (ثانيها) سبحان الله والمجد لله ولا اله الا الله والله أكبر طيب (ثالثها) هذه

أول بيان خطير وفوق عدد كثير (والى الله ترجع ﴿ ٥ ﴾ سا الامور) لا الى غيره فيجازي كلامك ومنهم بما أنتم عليه من الاحوال التي من جعلتها صبرك وتكذيبهم وفي الاقتصار على ذكر اختصاص المرجع لله تعالى مع اتمام الجزاء ثوبا وعقبا من المبالغة في الوعد والوعيد ما لا يخفى وقرئ ترجع بفتح التاء من الرجوع والاول أدخل في التسهيل (بأبها الناس) رجوع

الى خطابهم وتكرير الداء لتأكيد العظة والتذكير (ان وعد الله) المشار اليه برجوع الامور اليه تعالى من البعث والجزاء
(حق) ثابت لا محالة من غير خلف (فلا تفرسكم الحياة الدنيا) بأن يذهلكم المتع بتاعها ويهلككم التلهي بخلافها عن تدارك
ما بهكم يوم حلول العباد والمراد منهم عن الاغترار بها وان توجه النهي صورة البها كافي قوله تعالى لا يجر منكم شقاق
(ولا يفرسكم بالله) وعفوه وكرمته تعالى (الغرور) أي ﴿ ٣٤ ﴾ المبالغ في الغرور وهو الشيطان بأن يثبكم المغفرة مع الاصرار

على المعاصي قائلا علوما ثم
الكلمات الأربع وخامسة وهي تبارك الله والخيار أن كل كلام هو ذكر الله أو هو الله
كانت صحيحة والعلم فهو اليه يصعد (المسئلة الرابعة) قوله تعالى والعمل الصالح يرفع في
الهاء وجهان (أحدهما) هي عائدة الى الكلم الطيب أي العمل الصالح هو الذي يرفعه
الكلم الطيب ورد في الخبر لا يقبل الله قولا بلا عمل (وثانيهما) هي عائدة الى العمل
الصالح وعلى هذا في الفاعل الرفع وجهان (أحدهما) هو الكلم الطيب أي الكلم
الطيب يرفع العمل الصالح بهذا بؤيده قوله تعالى من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن
(وثانيهما) الرفع هو الله تعالى (المسئلة الخامسة) ما وجه ترجيح الذكر على العمل على
الوجه الثاني حيث يصعد الكلم بنفسه ويرفع العمل بغيره فقوله الكلم شريف فان
امتاز الإنسان عن كل حيوان بالصدق ولهذا قال تعالى ولقد كرمنا بني آدم أي بالفس
الطاقة والعمل حركة وسكون يشترك فيه الإنسان وغيره والشر يف اذا وصل الى باب
الملك لا يتع من دونه لا يجد الطريق الا عند الطلب ويدل على هذا أن الكافر إذا ذكر
بكلمة التوبة كان من صدق أم من عذاب الله والآخرة وان كان ظاهرا أمن في
نفسه ودعم أهله وحرمة في الدنيا ولا كذلك العمل بالجوارح وقد ذكرنا ذلك في تفسير
قوله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات (يوجد آخر) القلب هو الاصل وقد تقدم
ما يدل عليه وقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد
كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب وما في القلب لا يظهر الا بالسلوك وما في
اللسان لا يبين صدقه الا بالفعل فالتول أقرب الى القلب من الفعل ألا ترى أن الإنسان
لا يحكم بكلمة الا عن قلب وأما الفعل فديكون لاجن قلب كالحث بالبيعة ولان الثام
لا تخاو عن فعل من حركة وتقلب وهو في أكثر الامر لا يحكم في نومه الا نادرا لما ذكرنا ان
الكلم بالقلب ولا كذلك العمل فاقول اشتر في (المسئلة السادسة) قال الرمنخري
المكر لا يعضي فهم انتصاب السيآت وقال بأن معناه الذين يكرهون المكرات السيآت
فهم ووصف مصدر مخدوف ويحتمل أن يقال استعمل المكر استعمال العمل فعده تعديته
كأقال الذين يعملون السيآت وفي قوله الذين يعملون السيآت يحتمل ما ذكرنا أن يكون
السيآت صفا لمصدر تقديره اذن يعملون السيآت وعلى هذا فيكون هذا في
مقابلة قوله والعمل الصالح يرفعه إشارة الى بقائه وارتقائه ومكره ذلك العمل السي
هو بيور إشارة الى فناءه ثم قال تعالى (والله خلقكم من تراب ثم نمر نصفه ثم جعلكم
أزواجا وماتحمل من انثى ولا تضع الابنعة وما يرعر من معمر ولا ينقص من عمره الا في
كتاب ان ذاك على الله يسير) قد ذكرنا مرارا ان الدلائل مع كثرتها وعدم دخولها في عدد
محصور منحصرة في قسمين دلائل الآفاق ودلائل الانفس كما قال تعالى سنريهم آياتنا
في الآفاق وفي أنفسهم فلما ذكر دلائل الآفاق من السموات وما يرسل منها من الملائكة
والارض وما يرسل فيها من الرياح شرع في دلائل الانفس وقد ذكرنا تفسيره مرارا

ان الله غفور يفر الذنوب جميعا
فان ذلك وان أمكن لكن يعاطى
الذنوب بهذا التوقع من قبيل
تناول السم ثم يبال على دفع
الطبيعة وتكرير قول النهي
للمبالغة فيه ولا خلاف في الغرور
في الكيفية وقرى الغرور
بالضم على أنه مصدر أو جمع
فارصكم فوجع قاعه
(ان الشيطان لكم عدو) عداوة
قدعة لا تكاد تزول وتقدم
لكم للاهتمام به فالتخو
عدوا) بمخافتكم له في عقابكم
وأفعالكم وكونكم على حذر
منه في مجامع أحوالكم وقوله
تعالى (انما يدعوا من بديكم نوا
من أصحاب السعير) تفرير
لعداوته وتخدير من طاعته
بالتبذير على غرضه في دعوة
شيعة الى اتباع الهوى والركون
الى ملاذ الدنيا ليس تحصيل
مطالبهم ومنتافعهم الدنيوية
كما هو مقصد المتحابين في الدنيا
عند سعي بعضهم في حاجة
بعض بل هو توريطهم والتأوهم
في العذاب المخلد من حيث
لا يحسبون (الذين كفر وانهم)
يسبب كفرهم واجابتهم
لدعوة الشيطان واتباعهم

لخطواته (عذاب شديد) لا شاف قدره مدد لا يبلغ مداه (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم) بسبب ما ذكرنا ﴿ ٣٥ ﴾ وذكرنا ﴿ ٣٦ ﴾
من الايمان والعمل الصالح الذي من جلته عداوة الشيطان (مغفرة) عظيمة (وأجر كبير) لا غاية لهما (أنقز بن لسوء عمله
فراء حسنا) امانته ريلما سبق من التباين البين عاقبة الفريقين بيان تباين حالهما المؤمنين الى تلك العاقبتين والافساد
لا يكثر تر تب

ما بعد هاهنا ما قبلها أي أريد كون حالهما كاذر يكون من زين له الكفر من جهة الشيطان فأنهم فيه ممن استعجبوا واجتنبوا واختاروا الإيمان والعمل الصالح حتى لا يكون عاقبتهم كاذر كخندق ما حنف للدلالة ما سبق عليه وقوله تعالى (فإن الله يضل الخ فتريله وتحقق الحق بيان أن الكل بعيشته تعالى أي فانه تعالى يضل (من يشاء) أن يضل له لاسيما به واستحبابه الضلال وصرف اختياره فيه أسفل ٣٥ سافلين (و هو من يشاء) أن يهديه بصرف اختياره إلى الهدى فيرفعه

إلى أعلى عليين وأما تهديد لما عقبه من نهيه عليه الصلاة والسلام عن الخمر والتخمر عليهم السلام ما علم سلامهم بيان أنهم ليسوا بأهل لذلك بل لأن يضرب عنهم صفحا ولا يبالى بهم فطعمه أي أريد أن حالهم كاذر كخمر عليهم خذف لمادل عليه قوله تعالى (ولا تذهب نفسك عليهم حسرات) دلالة بنية وأما تهديد نصرته عليه انصلا والسلام عما كان عليه من الحرص الشديد على إسلامهم والمبالغة في دعوتهم إليه ببيان استحالة تحولهم عن انكسار لكونه في غاية الحسن عندهم أي أبعاد ما ذكر من زين له الكفر من قبل الشيطان فراه حسنا فأنهم فيه يقبل الهداية حتى تطمع في إسلامه وتتبع نفسك في دعوته خذف ما حنف لدلالة ما مر من قوله تعالى فإن الله يضل من يشاء الخ على أنه من شاء الله تعالى أن يضل من يشاء من ناصرين وقرى فلا تذهب نفسك وقوله تعالى حسرات أاما مفعول له أي فلا

وذكرنا ما قبل من أن قوله من تراب إشارة إلى خلق آدم ثم من نصفة إشارة إلى خلق أولاده وبين أن الكلام غير محتاج إلى هذا التأويل بل خففكم خطاب مع الناس وهم أولاد آدم كلهم من تراب ومن نصفة لأن كلهم من نطفة والنطفة من غداء والغذاء بالآخره يذهب إلى الماء والتراب فهو من تراب صار نصفة وقوله وما تحمل من أنثى ولا تضع إشارة إلى كمال العلم فإن ما في الارحام قبل الانطلاق بل بعده مادام في البطن لا يعلم حاله أحد كيف والام الحاملة لا تعلم منه شيئا فلماذا كبقوله خففكم من تراب كمال قدرته بين بقوله وما تحمل من أنثى ولا تضع اد بعلمه كمال علمه ثم بين نفوذ ارادته بقوله وما تمر من معبر ولا ينقص من عمره الا في كتاب فبين انه هو القادر العالم المريد والاعتماد لا قدرة لها ولا تعلم ولا ارادة فكيف يستحق شي منها العباد وقوله ان ذلك على الله يسير أي الخلق من التراب ويحتمل أن يكون المراد التعمير والقصاص على الله يسير ويحتمل أن يكون المراد ان العلم بما تحمله الانثى يسير والكل على الله يسير والاول أشبه فإن النسب ما استعماله في الفعل ألقى * ثم قال تعالى (وما تنوى البحران هذا عذب فرات شافع شرابه هذا علم اجاج وم كل نا تكون لظنر يا وسخر جون حلية تلبسونها وترى انك فيه موا حركتوا من فضله وحكمكم تسكرون) قلنا كثرنا ففسرنا ان المراد من الآية ضرب المثل في حق الكفرة والايمن أو الكافر والمؤمن فالايمن لا يشبه بالكفر في الحسن وانفع كما لا يشبه البحران العذب الفرات والمالح الاجاج ثم على هذا فتدوله ومن كل نا تكون لظنر طر يا بيان أن حال الكافر والمؤمن أو الكفر والإيمان دون حال البحرين لأن الاجاج يشارك الفرات في خير ونفع اذا تعم الطرى يوجد فيهما والحلية توجد منهما والفك تجرى فيهما ولا نفع في الكفر والكافر وهذا على نسق قوله تعالى أو لك كالانعام بل هم أضل وقوله كالخجاجة أو أشد قسوة وان من الخجاجة لا يتغير منه الانهار والظاهر ان المراد منه ذكر دلائل آخر على قدرة الله وذلك من حيث ان البحرين يستويان في الصورة ويختلفان في الماء فان أحدهما عذب فرات والآخر ملح الاجاج ولو كان ذلك بالاجاب لما اختلف المتساويان ثم انهما بعد اختلافهما يوجد منهما امور متشابهة فان العلم الطرى يوجد فيهما والحلية تؤخذ منهما ومن يوجد في المتشابهين اختلاف ومن المختلفين اشتباها لا يكون الاقادرا مختارا وقوله وما يستوى البحران إشارة إلى أن عدم استوائهما دليل على كمال قدرته ونفوذ ارادته وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) قال اهل اللغة لا يقال في ماء البحر اذا كان فيه ملح ملوحة ملح وانما يقال له ملح وقد يدكر في بعض كتب الفقه يصير به ماء البحر مالحا ويؤخذ قائله به وهو أصح مما ذهب اليه القوم وذلك لأن الماء العذب اذا ألقى فيه ملح حتى ملح لا يقال له الامالح ومالغ يقال للماء الذي صار من أصل خلقته كذلك لان المالح شيء فيه ملح ظاهر في الذوق والماء المالح ليس ماء وملحا بخلاف الطعنام المالح قلنا العذب المالح في الملح ماء فيه ملح ظاهر

ثم لك نفسك للحسرات والجمع للدلالة على تضاعف اغتمامه عليه انصلا والسلام على أحوالهم أو على كثرة قبائح أعمالهم الموجبة للنأسف والتعسر وعليهم صلة تذهب كما يقال هلك عليه حبا ومات عليه حزنا أو هو بيان للتعسر عليه ولا يجوز أن يتعلق بحسرات لان المصدر لا يتقدم عليه صلته وأما حال كآن كلها صارت حسرات وقوله تعالى (ان الله عليم بما يصنعون) أي من القبائح لتعليل لما قبله على الوجوه الثلاثة مع ما فيه من الوعيد * عن ابن عباس رضی

الله عنهما أنما نزلت في أفي جهل ومشرى مكة (والله الذي أرسل الرياح) مبتدأ وخبر وقرى الريح وصيغة المضارع في قوله تعالى (فختم سمعها) لحكاية الحال الماضية استحضارا لتلك الصورة البديعة انسالة على كمال القدرة والحكمة ولأن المراد بيان احداثها تلك الخاصة ولذلك استدلنا على استمرار الاثارة (فسقاه الى بلديت) وقرى بان تخفيف (فأحيينا به الارض) أى بالمطر النازل منها اندلول عليه بالحيات من بينهما تلامزا ﴿٣٦﴾ في الدهن كفى الخارج او بالسحاب فانه سبب

السبب (بعد موتها) أى يسها ويراد القهلبن على صفة الماضي للدلالة على الخلق واستادها الى نون العظمة المنبى عن اختصاصهما به تعالى لما فيه من مزيد الصنع ولكمبل المائلة بين احياء الارض وبين البعث المذى شبيه بقوله تعالى (كذلك النشور) في كمال الاختصاص بالقدرة ال باينة والكاف في حيز الرفع على الطيرة أى مثل ذلك الاحياء الذى تشهدونه احياء الاموات في صحة القدورية وسهولة التانى من غير تفاوت بينهما أصلا سوى الالف في الاول دون الثانى وقيل في كيفية الاحياء يرسل الله تعالى من تحت العرش ماء فينبث منه أجساد الخلق (من كان يريد العزة) هم المشركون الذين كانوا يمززون بعبادة الاصنام كقوله تعالى واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزوا الذين كانوا يمززون بهم من الذين آمنوا بأستهم كما في قوله تعالى الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيتنون عندهم

في السؤق بخلاف ما هو من أصل خلقته كذلك فلما قال الفقيه الملح اجزاء ارضية سبعة يصير بهما البحر ما خارعى فيه الاصل فانه جملة ما جاوره ملح وأهل اللغة حيث قالوا في البحر ماؤه ملح جعلوه كذلك من أصل الخلقة والاجاج المرو قوله ومن كل تأكلون لحظرا يامن الضبر والسك وتسخر جون حلبة تلبسونها من اللؤلؤ والمرجان وترى الفلك فيه مواخر أى ما خرات تخر البحر بالجرىان أى تشق وقوله وتسفوا من فضله ولعلكم تشكرون يدل على ما ذكرناه من أن المراد من الآية الاستدلال بالبحرين وما فيهما على وجه ودائه ووجدانية وكان قدرته * ثم قال تعالى (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لجرى مسرى) استدلال آخر باختلاف الأزمنة وقد ذكرناه مرارا وذكرا أن قوله تعالى بعد وسخر الشمس والقمر جواب لسؤال يذكره المشركون وهو أنهم قالوا اختلاف الليل والنهار بسبب اختلاف القسي الواقعة فوق الارض وتحتها فان في الصيف تمر الشمس على سمت الرؤس في بعض البلاد المائلة في الافاق وحرارة الشمس هناك حامية تقع تحت الارض أقل من نصف دائرة زمان مكثها تحت الارض فيقصر الليل وفي الشتاء بالضد فيقصر النهار فقال الله تعالى وسخر الشمس والقمر يعنى سبب الاختلاف وان كان ما ذكرتم لكن سير الشمس والقمر بارادة الله وقدرته فهو الذى فعل ذلك * ثم قال تعالى (ذلكم الله بكمله الملك والذين تدعون من دونه ما عبدون من قطير) أى ذلك الذى فعل هذه الاشياء من فطر السموات والارض وارسل الارواح وارسل الرياح وخلق الانسان من تراب وغير ذلك الملك كله فلامعبود الا هو ولداته الكامل وليكونه ملكا والملك مخدوم بقدر ملكه فاذا كان له الملك كله قبله العبادة كلها ثم بين ما بنا في صفة الالهية وهو قوله والذين تدعون من دونه ما عبدون من قطير (وههنا لطيفة) وهى ان الله تعالى ذكر لنفسه نوعين من الأوصاف (أحدهما) ان الخلق بالقدرة والارادة (والثانى) الملك واستدل بهما على انه الله معبود كما قال تعالى قل أعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس ذكر الرب والملك ورتب عليهما كونه الهأى معبودا وذكر في أشركوا به سلب صفة واحدة وهو عدم الملك بقوله والذين تدعون من دونه ما عبدون من قطير ولم يذكر سلب الوصف الآخر لوجهين (أحدهما) ان كلهم كانوا معترفين بأن لا خالق لهم الا الله وانما كانوا يقولون بأن الله تعالى فوض أمر الارض والارضيات الى الكواكب التى الاصنام على صورتها وطواعتها فقال لا ملك لهم ولا ملكهم الله شيئا ولا ملكوا شيئا (وثانيهما) انه يلزم من عدم الملك عدم الخلق لانه لو خلق شيئا لملكه فاذا لم يملك قطير ما خلق قليلا ولا كثيرا * ثم قال تعالى (ان تدعوهم لاسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجبا بوالكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير) ابطلا لما كانوا يقولون ان في عبادة الاصنام عزة من حيث القرب منها والنظر اليها وعرض الحوائج عليها والله لا يرى ولا يصل اليه أحد فقال هؤلاء

العزة والجمع بين كان ويريد للدلالة على دوام الارادة واستمرارها (فقد امره جميعا) أى له تعالى وحده لا يسمعون لا لغيره عزة الدنيا وعزة الآخرة أى فليذهبها منه لامن غيره فاستغنى عن ذكره بذكر دليله اذنا بأن اختصاص العزة به تعالى موجب لتخصيص طلبها به تعالى وقوله تعالى (ايه يصعد الحكم الطيب والعمل الصالح برفعه) بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودهما اليه بمجاز

[illegible]

لا يسمعون دينا، ثم والله بصعد الكلم الطيب فسمعهم وقيل ثم نزل عن تلك الدرجة وقال هب إليهم ليعلمون كايظنون فأنهم كانوا يقولون بأن الاصنام تسمع وتعلم ولكن ما كان يكتمهم أن يقولوا إليهم يجيبون لأن تلك انكار للحسب به وعدم سعادتهم انكار لقول والنزاع وإن كان يقع في المستقبل فلا يمكن وقوعه في الحسب به ثم انه تعالى قاله يوم القيامة يكفرون بشركم كتم لكم آياتهم وعدم النطق بهم في الدنيا بين عدم النطق منهم في الآخرة بل اشارني وجود الضرر منهم في الآخرة بقوله يوم القيامة يكفرون بشركم أي بأشرككم بالله شأ كافل تعالى أن الشرك العظم أي الاشراك وقوله ولا يثبتك مثل خير يثمن وجهين (أحدهما) أن يكون سكت خطا تابع النبي صلى الله عليه وسلم ووجهه هو أن الله تعالى لما أخبر عن الخشب والحجر يوم القيامة يثمن ويكتب عابده وذلك أمر لا يمكن لأحد من المخلوقين أن يفعل ذلك ولا لاخبار الله تعالى عند انهم يكفرون بهم يوم القيامة فمراد القول مع كون الخبر عنه أمر عجبيا هو كقول لا الخبر عنه خير (وثانيهما) هو أن يكون ذلك خطا با غير شخص بأحد أي هذا الذي ذكره هو كافل ولا يثبتك أيها السامع كأنهم كنت مثل خير ثم قال تعالى (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد) لما كثر الدعاء من النبي صلى الله عليه وسلم والاصرار من الكفار قائلوا أن الله لعله يحتاج إلى عبادتنا حتى بأمرنا بها أمر بالغا وبهدونا على تركها ما بالغا فقال تعالى أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني فلا يمكنكم بأعبادة لاحتاج إليكم وانما هو لا شفاقة عليكم وفي الآيات مسائل (المسألة الأولى) التعريف في الخبر قليل والاكثر أن يكون الخبر نكرة والمبتدأ معرف وهو معقول وذلك لأن الخبر لا يخبر في الاكثر إلا بأمر لا يكون عند الخبر به علم أو في ظن التكلم ان السامع لا علم له ثم ان المبتدأ لا بد من أن يكون معلوما عند السامع حتى يقول له أيها السامع الامر الذي تعرفه أنت فيه المعنى الفلاني كقول القائل زيد قائم أو قائم أي زيد الذي تعرفه ثبت له فإعلم عندك به فان كان الخبر معلوما عند السامع والمبتدأ كذلك ويقع الخبر تنبيهها لانتهاجها بحسن تعريف الخبر غاية الحسن كقول القائل الله ربنا ومحمد نبينا حيث عرف كون الله ربنا وكون محمد نبيا وهما لما كان كون الناس فقراء أمر اظاهرا لا يخفى على أحد قال أنتم الفقراء (المسألة الثانية) قوله إلى الله اعلام بأنه لا افتقار إلا إليه ولا اتكال إلا عليه وهذا يوجب عبادته لكونه مقفرا إليه وعدم عبادة غيره لعدم الافتقار إلى غيره ثم قال والله هو الغني أي هو مع استغنائه يدعوك كل الدعاء وانتم مع احتياجكم لتحييونه ولاندعونه فيجب عليكم (المسألة الثالثة) في قوله الحميد لما زاد في الخبر الاول وهو قوله انتم الفقراء زيادة وهو قوله إلى الله اشاره لوجوب حصر العبادة في عبادة الله زائد في وصفه بالغنى زيادة وهو كونه جيدا اشارة إلى كونكم فقراء وفي مقابلة الله غنى وفقركم إليه في مقابلة نعمه عليكم لكونه جيدا واجب الشكر فليست أنتم فقراء والله مثلكم في الفقر بل هو غنى على الإطلاق وليست أنتم لما افتقرتم إليه

عليه الصلاة والسلام وقد ارتدوا وتمادوا في رأي في إحدى الثلاث التي هي الإثبات وإثبات وإخراج (لهم) بسبب مكراتهم (عذاب شديد) لا يقدر قدره ولا يؤاخذ عنده لما يكرهون (ومكر أو ثبوت) وضع اسم الإشارة موضع ضميرهم للإيذان بكمال تميزهم عنهم فيه من الشر والفساد عن سائر المفسدين واشتهارهم بذلك وما فيه من معنى البعد التوبيخ على رأي أمرهم في الطغيان وبعدم تهتهم في العدوان أي ومكر أو ثبوت المفسدين الذين أرادوا أن يعمروا به عليه

الصلاة والسلام (هو يور) أي هو يهلك ويفسد خاصة لأن مكرها وبه ولقد أبارهم الله تعالى بعد إبادته مكراتهم حيث أخرجهم من مكة وقتلهم وأبنتهم في قلب بدر فجمع عليهم مكراتهم الثلاث التي اكتشفوا في حقهم عليه الصلاة والسلام بواحدة منهم (والله خلقكم من تراب) دليل آخر على صحة البعث والنشور أي خلقكم ابتداء منه في ضمن خلق آدم عليه السلام خلقا جانيا كما مر تحقيقه مرارا (ثم من نقطة) أي خلقكم منها خلقا تفصيليا (ثم جعلكم أزواجا) ٣٨٨ أي أصنافا وذكرنا وأنا وانا عن قتادة

جعل به مضكم زوجا له من (وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه) الآية متبسة بعلمه تابعة لمشيئته (وما يعمر من عمر) أي من أحد أو انما سمى معمرًا باعتبار مصيره أي وما يمد في عمر أحد (ولا تنقص من عمره) أي من عمر أحد على طريقة قولهم لا يشب الله عبدا ولا يعبأ به الاتق لكن لا على معنى لا ينقص عمره بعد كونه زائدا بل على معنى لا يجعل من الابتداء نافصا وقيل الزيادة والنقص في عمر واحد باعتبار أسباب مختلفة أثبتت في اللوح مثل أن يكتب فيه أن حج فلان فمعه ستون والآبار بعون واليه أشجار عليه الصلاة والسلام بقوله الصدقة الصلاة تدحمان الديار ويزدان في الأعمار وقيل المراد بالنقص ما يمر من عمره وينقص فانه يكتب في الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب تحت ذلك ذهب يوم ذهب يوما وهكذا حتى يأتي على آخره وقرئ ولا ينقص على البناء الفاعل ومن عمره يسكون الميم (الا في كتاب) عن ابن عباس

ترككم غير مقضى الحاجات بل قضى في الدنيا حوائجكم وإن أتمتم بقض في الآخرة حوائجكم فهو وحيد * ثم قال تعالى (إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) بيان إغناؤه وفيه بلاغة كاملة ويأنها أنه تعالى قال إن يشأ يذهبكم أي ليس أذهابكم موقوفا على الأعلى مشيئة بخلاف الشيء المحتاج إليه فإن المحتاج لا يقول فيه إن يشأ فلازهدم داره وأعدم عقاره وإنما يقول لولا حاجة السكني إلى الدار لبعتها أو لولا الافتقار إلى العتار لتركتمهم إنه تعالى زاديان الاستغناء بقوله ويأت بخلق جديد يعني إن كان يتوهم متوهم إن هذا الملك له كمال عظمة فنوا ذهب زال ملكه وعظمته فهو قادر بأن يخلق خلقا جديدا أحسن من هذا وأجل وأتم وأكمل * ثم قال تعالى (وما ذك على الله من شيء) أي الأذهاب والأتيان وههنا مسألة وهي إن نظرت العزيز واستعمله الله تعالى تارة في القائم بفسد حيث قال في حق نفسه وكان الله قويا عززا وقال في هذه السورة أن الله عزز غفورا واستعمله في القائم بغيره حيث قال وما ذك على الله عزز وقال عزز عليم ما عظم فهل هما بمعنى واحد أم بعنيين فنقول العزيز هو الغالب في اللغة يقال من عزز أي من غلب سلب فالحق عزز أي غاب والفعل إذا كان لا يطبقه شخص يقال هو مغلوب بالشيء إلى ذلك الفعل بقوله وما ذك على الله عزز عزز أي لا يغلب الله ذلك الفعل بل هو هين على الله وقوله عزز عليم ما عظم أي عززته بوزنه كذا شغل الغالب * قوله تعالى (ولا تزوروا زورا أخرى) والتدع مشغلة إلى جعلها لا يحمل منه شي أو لو كان ذا قرين متعلق بمسألة وذلك من حيث أنه تعالى لما بين الحق بالدلائل الظاهرة والبراهين الباهرة ذكر ما يدعوههم إلى النظر فيه فقال ولا تزوروا زورا أخرى أي لا تحمل نفس ذنب نفس فإني صلى الله عليه وسلم لو كان كاذبا في دعائه لكان مذنباً وهو معتقد بأن ذنبه لا يحملونه أتم فهو يتوق ويحتمز والله تعالى غير فقير إلى عبادكم فتفكروا واعلموا أنكم إن ضللت فلا يحمل أحد عتكم وزركم وليس كما يقول أكابركم التبعوا سيئنا ولتحمل خطايكم وفي الآية مسائل (المسألة الأولى) قوله وزارة أي نفس وزارة ولم يقل ولا تزور نفس وزرا أخرى ولا جمع بين الموصوف والصفة فلم يقل ولا تزور نفس ووزارة أخرى لفائدة (أما الأولى) فلأنه لو قال ولا تزور نفس وزرا أخرى لما علم أن كل نفس وزارة مهمومة بهم وزرها متعبة في أمرها (ووجه آخر) وهو أن قول القائل ولا تزور نفس وزري أخرى قد يجتمع معها أن لا تزور زرا أصلا كالعصوم لا يزور غيره ومع ذلك لا يزور زرا أسا فقوله ولا تزور زرة بين أنها تزور زرها ولا تزور زرا غير (وأما) ترك ذكر الموصوف فظاهر الصفة ولزومها للموصوف ثم قال تعالى وإن تدع مثقلة إشارة إلى أن أحد لا يحمل عن أحد شيئا مبتدئا ولا بعد السوء فإن المحتاج قد يصبر وتقضى حاجته من غير سؤاله فإذا انتهى الافتقار إلى حد الكمال يحوجه إلى السؤال (المسألة الثانية) في قوله مثقلة زيادة بيان لما تقدم من حيث أنه قال أو لا تزور وزارة وزرا أخرى فيظن أن أحد لا يحمل عن أحد لكون ذلك الواحدا قادرا على حمله كما

رضي الله عنهما أنه ألوح وقيل علم الله عز وجل وقيل صحيفة كل إنسان (أن ذلك) أي ما ذكر من الحلق وما بعده * أن مع كونه بحمار القول والافهام (على الله تيسر) لاستغنائه عن الأسباب فكذلك البعث (وما يستوي الجحان) هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج مثل ضرب المؤمن والكافر والفرات الذي يكسر العطش والسائغ الذي يسهل التحذارة لذوته والاجاج الذي يحرق بلوحه وقرئ سبع كسب وسبع بالتخفيف وملح ككتف

وقوله تعالى (ومن كل شيء منكم فريقان) أي من كل واحد منهما (أنا كلون الحماطر ياوتسخرجون) أي من المالح خاصة (حلبة تلبسونها) أما استطراد في صفة البحرين وما فيهما من النعم والمنافع وأما تسكئة التمثيل والمعنى كما أسماوان أشتركا في بعض الفوائد لئلا يأنسوا بان من حيث انهما متفاوتان فيما هو المقصود بالذات من الماء للمخاطب أحدهما مأفئده وغيره عن كمال فطرته لا يأسوي الكافر المؤمن وإن شارك في بعض الصفات كاشجاعة والسكواة ﴿ ٣٩ ﴾ ونحوهما التباينهما حافياهما والخاصية العظمى لبقاء أحدهما على فطرته الأصلية وحيازته لكماله

اللائق دون الآخر وتفصيل للاجاء على الكافر من حيث انه يشارك العنب في منافع كثيرة والكافر خلوم من المنافع بالكيفية على طر بقوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله والمراد بالحجارة الأولى والمرجاء (وترى الفلك فيه) أي في كل منهما وأفراد صغير الخطاب مع جمعه فيما سبق والمحقق لأن الخطاب لكل أحد تأتي منه الآية دون المستفيعين بالبحر بن فقط (مواخر) شواقي للبحر بها مقابلة ومدبرة بربح واحدة (لئبتموا من فضله) من فضل الله تعالى بانهلة فيها واللام متعلقة بمواخر وقد جوز تعليقها بما يدل عليه الأفعال المذكورة أي فعل ذلك لئبتموا من فضله (ولعلكم تشكرون) أي وأنشكروا على ذلك وحرف الترجي للإذنان بكونه مرضيا عند الله تعالى (يولج الليل في النهار ويولج

النهار في الليل) زيادة أحدهما ونقص الآخر إضافة بعض أجزاء كل منهما إلى الآخر (ومحز الشمس والقمر) عطف على يولج واختلافهما بصيغة لما أن إيلاج أحد الملوين في الآخر متحد حينئذ خبا وأمان تخير النيرين فأمر لاعتدافيه وانما التعدد والمجدد آثاره وقد أشير إليه بقوله تعالى (كل يجري) أي بحسب حركته الخاصة وحركته القسرية على المدارات اليومة التعددة حسب

الهامل فيحصل عنه فقال مثقلة يعني ليس عدم الوزر لعدم كونه محلا للرجة بالثقل بل لكون النفس مثقلة ولا يحتمل منها شيء (المسئلة الثالثة) زاد في ذلك بقوله ولو كان ذاقر في أي المدعو لو كان ذاقر في لا يحتمل وفي الأول كان يمكن أن يقال لا يحتمل لعدم تعلقه به كالعبد والذي يرى عدوه تحت نعل أو الأجنبي الذي يرى أجنبيا تحت حمل لا يحتمل عنه فقال ولو كان ذاقر في أي يحصل جميع المعاني الداعية إلى الجمل من كون النفس وازرة قوية تحتمل وكون الأخرى مثقلة لا يقال كونها قوية قادرة ليس عليها حمل وكونها سائلة داعية فإن السؤال مظنة الرجعة ولو كان المسؤول قريبا فاذن لا يكون التخلف الامتناع وهو كون كل نفس تحت حمل ثقل ﴿ ثم قال تعالى ﴾ (اتمناذر الذين يخشونهم بالغيب وأقاموا أصاوة) إشارة إلى أن لا ارشاد فوق ما أتيت به ولم يفدهم فلا تنذر انذار مفيدا إلا الذين تتلى قلوبهم خشية وتجلي ظواهرهم بالعبادة كقوله الذين آمنوا إشارة إلى عمل القلب وعملوا الصالحات إشارة إلى عمل الظواهر فقوله الذين يخشونهم بالغيب وأقاموا الصلاة في ذلك المعنى ثم لما بين أن لا تز وازرة أخرى بين أن الحسنة تنفع المحسنين فقال (ومن ترك فاما يترك لنفسه) أي فترك كيته لنفسه ﴿ ثم قال تعالى ﴾ (وإني الله الصير) أي المتزكي أن لم تظهر فأنته عاجلا فالصير إلى الله يظهر عنده في يوم اللقاء في دار البقاء والواز أن لم تظهر ربه فموزره في الدنيا فهي تظهر في الآخرة إذا المسير إلى الله ﴿ ثم قال تعالى ﴾ (وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا النور ولا الجور وما يستوى الأحياء ولا الأموات) لما بين الهدى والضلالة ولم يهتد الكافر وهدى الله المؤمن ضرب لهم مثلا بالبصير والأعمى فالأعمى من بصير حيث أبصر الطريق الواضح والكافر الأعمى وفي تفسير الآية سائل (المسئلة الأولى) ما الفائدة في تكثير الأمثلة ههنا حيث ذكر الأعمى والبصير والظلمة والنور والظل والجور والإيمان نور والمؤمن بصير والبصير والكافر فالأعمى من بصير والكافر الأعمى ثم البصير وإن كان حديد البصر ولكن لا يبصر شئان لم يكن في ضوء فذكر الإيمان والكفر مثلا وقال الإيمان نور والمؤمن بصير والبصير لا يخفى عليه النور والكفر ظلمة والكافر الأعمى فله صاد ذوق صاد ثم ذكر لهما ومرجعهما مثلا وهو الظل والجور فالأعمى من بمانه في ظل وراحة والكافر بكفره في حر وتعيب ثم قال تعالى وما يستوى الأحياء ولا الأموات مثلا آخر في حق المؤمن والكافر كأنه قال تعالى حال المؤمن والكافر فوق حال الأعمى والبصير فإن الأعمى يشارك البصير في ادراكهما وبكافر غير مدرك ادراكا نافعاهم وكأيت ويدل على ما ذكرنا أنه تعالى أعاد الفعل حيث قال أولا وما يستوى الأعمى والبصير وعطف الظلمات والنور والظل والجور ثم أعاد الفعل وقال وما يستوى الأحياء ولا الأموات كأنه جعل هذا مقابلا لذلك (المسئلة الثانية) كرر كذا التي بين الظلمات والنور والظل والجور والأحياء والأموات

النهار في الليل) زيادة أحدهما ونقص الآخر إضافة بعض أجزاء كل منهما إلى الآخر (ومحز الشمس والقمر) عطف على يولج واختلافهما بصيغة لما أن إيلاج أحد الملوين في الآخر متحد حينئذ خبا وأمان تخير النيرين فأمر لاعتدافيه وانما التعدد والمجدد آثاره وقد أشير إليه بقوله تعالى (كل يجري) أي بحسب حركته الخاصة وحركته القسرية على المدارات اليومة التعددة حسب

انتم على ما الموجور دات المستوجب الحمد (ان يشاء الله بكم) ويات بخلق جديد (ليسوا على صفيتكم بل مسترون على الطاعة أو بعالم آخر غير ما عرفونه) (وما ذاك) أى ماذا كرم الازهار بهم والاثان يا خرين (على الله بغيره) بمتعذر ولا تمس (ولا تزد وازرة) أى لا تتحمل نفس ﴿ ٢١ ﴾ آية (وزر أخرى) انتم نفس أخرى بل انما تتحمل كل

منهجا و زرها و امامانی
 قوله تعالى و اجعلنا
 انقلاهم و انقلاهم
 انقلاهم من حل المضامين
 انقلاهم غير انقلاهم فهو
 حل انقلاهم اضلالاهم
 مع انقلاهم ضلالاهم
 و كلاهما اوزارهم اس
 فيها من اوزار غيرهم
 شيء (وان تدع مثله)
 اي نفس انقلاهم الاوزار
 (الى جعلها) الحبل بعض
 اوزارها (لا يحل منه
 شيء) لم يجب بحبل
 شيء (واو كان) أي
 المدعو المفهوم من الدعوة
 (ذاق ربی) ذاقا بفتح
 الذاء و قرى ذوق ربی
 و هذا فی العمل اختصارا
 و الا انقلاه اجارا لانما
 تنذر (استأنف مسوق
 الجبار من بعض بذکر ای
 انما تنذر بهذه الانذارات
 (الذين يخشون ربهم
 بالغيب) أي يخشونه تعالى
 غائبين عن عذابه أو عن
 التماس في خطواتهم
 أو يخشون تعذابه وهو
 غائب عنهم (و اماموا
 الصلوة) أي راعوها
 كما ينبغي و جعلوا اماما
 منصوبا و علام فوعا أي

جنس البصير خبر من جنس الاعمي وأما الأحياء والأموات فالغاوت بينهما كذا ما من
ميت يساوي في الإدراك حبا من الأحياء فذكر أن الأحياء لا يساؤون والأموات سواء
قابلت الجنس بالجنس أو قابلت الفرد بالفرد وأما الظلمات والنور فالق واحد وهو
التوحيد والباطل كثير وهو طرق الاشراك على ما بين أن بعضهم يعدون النكواكب
وبعضهم النار وبعضهم الاصنام التي هي على صورة الملائكة والى غير ذلك والغاوت بين
كل فرد من تلك الأفراد وبين هذا الواحد بين فقال الظلمات كلها إذا اعتبرتم لا تجد فيها
ما يساوي النور وقد ذكرنا في تفسير قوله وجعل الظلمات والنور السبب في توحيد النور
وسمى الظلمات ومن جملة ذلك أن النور لا يكون الا بوجود منور ومثل قابل للاستئارة
وعدم الحائل بين النور والمستنير مثله الشمس إذا طلعت وكان هناك موضع قابل
للاستئارة وهو الذي يسلك الشعاع فان البيت الذي فيه كوة يدخل منها الشعاع إذا كان
في مقابلة الكوة فتخرج منه الشعاع ويدخل بيتا آخر ويسقط الشعاع على أرضه
يرى البيت الثاني مضيئا والاول مظلم وان لم يكن هناك حائل كالبيت الذي لا قوة له فانه
لا يضيء فإذا حصلت الامور الثلاثة يستنير البيت والافلا تخفى الظلمة بقدر أي أمر كان
من الامور الثلاثة ثم قوله تعالى (ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من شيء الا بقدر)
وفيه احتمال معنيين (الاول) أن يكون المراد بيان كون الكفار بالنسبة الى جماعهم
كلام النبي والوحي النازل عليهم دون حال الموت فإن الله يسمع الموتى والتي لا يسمع من
مات وفيرقلوني ساءمون من الله والكفار كانوا في اليمع ومن التي اوشاقي أن
يكون المراد تسليمة النبي صلى الله عليه وسلم فانه لما بين أنه لا يسمعهم ولا يسمعهم فانه
هو لا يسمعهم الا الله فانه يسمع من يشاء ولو كان صخرة صماء وأما أنت فلا تسمع من في
القبور فاعتدك من حسابهم من شيء ثم قال تعالى (ان أنت الا نذير) بيانه تسليمة ثم
قال تعالى (اننا انزلناك بالحق بشيرا ونذيرا) فقال انزلناك بالحق بشيرا ونذيرا ثم
نلقاه نفسه انما هو نذير بان الله وارساله ثم قال تعالى (وانتم امم لاحياءها نذير)
تقريرا الامر من (احدهما) التسليمة فانه حيث دعاهم ان يغيروا كل مثله محتملا الذي اقوم
(وثانيهما) الزام التورم قبوله فانه ليس بدعا من الرسل وانما هو مثل غير بدعي مادعا
الرسل ويقرره قوله تعالى (وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم
بالبينات) يعني انت جئتهم بالبينة والكتاب فكذبوك اذوك وغيرك ايضا لانهم مثل ذلك
وقبلوا بهم ما فعلوا بك وصبروا على ما كذبوا فكذلك تلزمهم بأن من تقدم من الرسل لم يعلم
كونهم رسلا بالامارات البينات فآتيها بمحمد صلى الله عليه وسلم (بالزور والكتاب
المتبر) والكل آتيها بمحمد فاهو رسول مثل الرسل يلزمهم قبوله كالزم قبول موسى
وعيسى عليهم السلام اجمعين وهذا يكون تقريرا مع اهل الكتاب واعلم انه تعالى ذكر
امور ثلاثة اولها البينات وذلك لان كل رسول فلا بد له من معجزة وهي ادنى الدرجات ثم

بها لتدس الألبسها وغري من أرى فلما يرى وهو

التم على ما يجوز ذات السجود الحمد (ان يشاهدتهم ويات بحلق بديته) والله اعلم بالصواب
الطاعة أو بعالم آخر غير ما عرفوه (وما ذاك) أي ما ذكر من الاذهاب بهم والايان باخرين (على الله بقرين) بمعدن
ولامعسر (ولازر وازرة) أي لانحمل نفس ٤١ آية (وزر أخرى) ثم نفس أخرى بل انما تحمل كل

منها وزرها وأما ما في
قوله تعالى ولحملن
أنفالهم وأنفالا مع
أنفالهم من حمل المضلن
أنفالا غير أنفالهم فهو
حمل أنفال اسلافهم
مع أنفال حضلائهم
وكلاهما أوزارهم ليس
فيها من أوزار غيرهم
شيء (وان تدع مثقلة)
أي نفس أنفالها الأوزار
(إلى حملها) حمل بعض
أوزارها (لا يحمل منه
شيء) لم تجب بحمل
شيء منه (أو كان) أي
الدعوة لهم من الدعوة
(ذاقوا في) ذاقوا من
الداعي وفري ذوقوا في
وهذا في العمل اختاروا
والاولى له اجبارا (انما
تدبر) تدبروا مسوق
ليبين من يعظ بما ذكر أي
انما تدبر هذه الانذارات
(الذين يخشون ربهم
بالغيب) أي يخشونه تعالى
غائبين عن عذابهم وعن
الناس في خلواتهم
أو يخشون عذابهم وهو
غائب عنهم (وأقاموا
الصلاة) أي راعوها
كاي ينبغي وجعلوها مائرا
منصوبا وعلموا فوعا أي

جنس البصير خير من جنس الاعمي وأما الاحياء والاموات فالتفاوت بينهما كثر اذا ما من
منبت يساوي في الادراك حيا من الاحياء فذكر ان الاحياء لا يساويون الاموات سواء
قابلت الجنس بالجنس أو قابلت الفرد بالفرد وأما الظلمات والنور فالحق واحد وهو
التوحيد والباطل كثير وهو طرق الاشراك على ما بينا أن بعضهم يعبدون الكواكب
وبعضهم النار وبعضهم الاصنام التي هي على صورة الملائكة والى غير ذلك والتفاوت بين
كل فرد من تلك الافراد وبين هذا الواحد بين فظلمات كلها اذا اعتبرتها لا تجد فيها
ما يساوي النور وقد ذكرنا في تفسير قوله وجعل الظلمات والنور السبب في توحيد النور
وجمع الظلمات ومن جملة ذلك أن النور لا يكون الا بوجود منور ومحل قابل للاستنارة
وعدم الخائل بين النور والمستنير مثله الشمس اذا طلعت وكان هناك موضع قابل
للاستنارة وهو الذي يسك الشعاع فان البيت الذي فيه كوة يدخل منها الشعاع اذا كان
في مقابلة الكوة منفذ يخرج منه الشعاع ويدخل بيتا آخر ويسقط الشعاع على ارضه
يرى البيت الثاني مضيئا والاول مظلم وان لم يكن هناك حائل كالباب الذي لا كوة له فانه
لا يضيء فاذا حصلت الامور الثلاثة يستنير البيت والافلا تحقق الظلمة بقدرة أي أمر كان
من الامور الثلاثة * ثم قوله تعالى (ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور)
وفيه احتمال معنيين (الاول) أن يكون المراد بيان كون الكفار بالنسبة الى سماعهم
كلام النبي والوحي النازل عليهم دون حال الموت فان الله يسمع الموتى والتي لا يسمع من
مات وغير الموتى سماعون من الله والكفار كالموتى لا يسمعون من النبي (والثاني) أن
يكون المراد تسليمة النبي صلى الله عليه وسلم فانه لما بين انه لا يسمعهم ولا يسمعهم قال له
هؤلاء لا يسمعون الله فانه يسمع من يشاء ولو كان صخرة صماء وأما أنت فلا تسمع من في
القبور فاعلمك من حسابهم من شيء * ثم قال تعالى (ان انت الانذير) بيان انك لا شيء
قال تعالى (انما أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا) قال ان انت الانذير بين انه ليس نذير من
تلقاه نفسه انما هو نذير بان الله وأمر الله * ثم قال تعالى (وان من امة الا خلا بها نذير)
تقريرا لأمرين (احدهما) التسليمة قلبه حيث يعلم ان غيره كل مثله تخفلا الذي اقوم
(وثانيهما) الزام اقوم قبوله فانه ليس بدعا من الرسل وانما هو مثل غيره يدعي ما ادعاه
الرسل ويقرره * قوله تعالى (وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم
بالبينات) يعني انت جئتهم بالبينة والكتاب فكذبوك وكذبوا غيرك ايضا اتاهم مثل ذلك
وقبلوا بهم ما فعلوا بك وصبروا على ما كذبوا فكذلك تلزمهم بأن من تقدمهم الرسل لم يعلم
كونهم رسلا بالاعجازات البينات وقد آتيناها محمد صلى الله عليه وسلم (بالزبور والكتاب
المتبر) والكل آتيناها محمد فهو رسول مثل الرسل يلزمهم قبوله كالزم قبول موسى
وعيسى عليهم السلام اجمعين وهذا يكون تقريرا مع اهل الكتاب واعلم انه تعالى ذكر
امور ثلاثة اولها البينات وذلك لان كل رسول فلا بد له من معجزة وهي ادنى الدرجات ثم

انما يتبع انذارك وتحذيرك هؤلاء ٦٦ سا من قومك دون من عداهم من اهل الترد والعدا (ومن تركي)
أي تطهر من أوصار الأوزار والاعاصي بالانذار من هذه الانذارات (فانما يتركى لنفسه) لا تقصارت نفسه عليها كما ان من تدنس
بها لا يتدسس الا عليها وقرى من أرى فانما يتركى وهو

اعتراض مقرر خشيتهم وافلتهم الصلاة لانهم من معظم يادى التركى (والى الله المصير) لالى احدثه استغلا
أواشراكا فجازهم على تركهم أحسن الجزاء (وما يستوى الاعى والبصير) أى الكافر والمؤمن (ولا انطلمت ولا النور)
أى ولا الباطل ولا الحق وجمع انطلمت مع افراد النور لعدد قوتون ٤٢ ٤٣ الباطل واتحاد الحق (ولا الظل ولا الحرور)

أى ولا الثواب ولا العقاب
وادخل الاعلى المتقاربين
لذكرى نبي اذ استنوا
وتوسمها بينهم حالاً أكد
والحرور فعول من الطر
غالب على العموم وقبل
السموم ما يهب نهارا
والحرور ما يهب ليلا
(وما يستوى الاحرار ولا
الاموات) تشمل آخر
المؤمنين والكافرين
أينع من الاول وذلك
كراته على وأورصيحة
الجمع في طرفين تصفيا
للتباين بين افراد الشريعتين
وقلى تشمل العلماء والجهلة
(ان الله سمع من يشاء)
أرسله يدعو يوقه نهار
أياته والاتعاظ بحضاته (وما
انت تصنع من في النور)
ترسيع التبيين المصيرين
على الكفر بالاموات
واشباع في اقتضا على
الصلاة والسلام من
ايمانهم (ان أنت لا تذر)
ما عليك الا الانذار وأما
الاستماع البتة فليس
من وظائف ولا جيلة لك
اليه في المطبوع على قلوبهم
(اننا أرسلنا بالحق) أى
محققين ونحتمل أنت وأرسالا
مصحو بالحق وبحوزان

قد ينزل عليه كتاب يكون فيه مواعظ وتنبهات وان لم يكن فيه نسخ واحكام مشروعة شرعا
ناسخا ومن ينزل عليه مثله أعلى مرتبة من لا ينزل عليه ذلك وقد نسخ شريعته الشرائع
وينزل عليه كتاب فيد احكام على وفق الحكمة الالهية ومن يكون كذلك فهو من
اولى العزم فقال الرسل تبين رسالتهم بالبينات وان كانوا على مرتبة فالروان كانوا على
فالكتاب والنبى آياته الكل فهو رسول أشرف من الكل لكون كتابه انمو وأكل من كل
كتاب ثم قال تعالى (ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير) أى من كذب بالكتاب
النزل من قبله وبالرسول المرسل أخذه الله تعالى فكذلك من يكذب بالنبي عليه السلام
وقوله فكيف كان نكيره قال النكر برقاظم علوا اشارة انكار الله عليهم واثباته بالامر المنكر
من الاستئصال ثم قال تعالى (ألم تر ان الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا
ألوانها) وهذا استدلال بدليل آخر على وحدانية الله وقدرته وفي تفسير هامان (المسئلة
الاولى) ذكر هذا الدليل على طريقة الاستخبار وقال ألم تره ذكر الدليل المتقدم على طريقة
الاستخبار وقال والله الذى أرسز الرياح وفيه وجهان (الاول) ان انزال الماء أقرب الى
المنعم النفس فيه أظهر فانه يخفى على أحد في الرؤية أن الماء منه حياة الارض فمعظم
دلالة بالاستفهام لان الاستفهام الذى للقرى لا يشال الا في اشئ الظاهر جدا كأن من
أبصر الهلال وهو خفى جدا فقال له غمه أين هو فانه يقول له في الموضع الفلانى فالحل له
يقول له الحق معك انه خفى وأنت معذور وإذا كان بارزا يقول له اماراه هذا هو ظاهر
(والثاني) وهو أنه ذكره بعدما قرر المسئلة بدليل آخر وظهر بمسئله تقديم المدعو بصارة
يوجوه الدلالات فقال له أنت صرت بصيرا بما ذكرناه ولم يبق لك عذرا الا ترى هذه الآية
(المسئلة الثانية) المتخاطب من هو يحتمل وجهين (أحدهما) الذى صلى الله عليه وسلم
وفيه حكمة وهي ان الله تعالى لما ذكر الدلائل ولم تنفعهم قطع الكلام معهم وانفتحت الى
غيرهم كان السبب ان تضع بعض العبيد ومنعهم من الفساد ولا تنفعهم الارشاد يقول
لغيره اسمع وان تكن مثل هؤلاء يكرر معه ما ذكره مع الاول ويكون فيه اشعار بأن الاول
فيه نقص لا يستاهل الخصاب فيلجئه الى يدفع عن نفسه تلك النقص (والآخر) أن
لا تخرج الى كلام أجنى عن الاول بل يأتى بما يقاربه لئلا يسمع الاول كلاما آخر فيترك
الفكر فيما كان فيه من النصيحة (المسئلة الثالثة) هذا استدلال على قدرة الله
واختاره حيث أخرج من الماء الواحد ثمرات مختلفة وفيه لطائف (الاولى) قال أنزل
وقال أخرجنا وقد ذكرنا فائدته ونعدها فتقول قال الله تعالى ألم تر ان الله أنزل فان كان
جاهلا يقول نزل الماء بالطبع لقله فيقال له فالأخراج لا يمكنك ان تقول فيه انه بالطبع
فهو بإرادة الله فلما كان ذلك أظهر أسنده الى التكلم (ووجه آخر) هو ان الله تعالى لما
قال ان الله أنزل علم الله بدليل وقرب المتكبر فيه الى الله تعالى فصار من الحاضرين
فقال له أخرجنا لقر به (ووجه ثالث) الأخراج اتم نعمة من الانزال لان الانزال لغائده

شعلق بقوله (بشرا ونذيرا) أى بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق (وان من أمة) أى ٤٤ الأخراج
مأمون أمة من الامم الدار جده في الازمنة الماضية (الاخلا) أى مضى (فيها نذير) من نبى أو عالم ينذرهم والاكتفا بذكره ناعلم

بان النارة قرينة البشارة لاسيما وقد اقترنا آنفا ولان الانذار هو الانسب بالمقام (وان يكذبوك) أي وما على تكذيب
فلا تبال بهم (وقد كذب الذين من قبلهم) من الأمم اذ اتفقا جاءتهم رسلهم بالبينات (أي الحجرات الساهرة
الدالة على نبيهم) (وبالزبر) أي بالكتب (وكذبوا) أي كذبوا رسلهم (وكانوا لا يؤمنون) وان نور وسلي ارادة

الفضيل دون الجمع
ويجوز أن يراد بها
واحد والعطف لغاير
التوكيد (ثم أخذت
الذين كفروا) وضع
الموصول موضع ضميرهم
لأنهم من جنس الصلوة
والاشارة إلى الأخذ
(فكيف كان تكثير أي
انكارى بالمتوفيه
من يتشديد وهو بل
لها (أله) استئناف
مستوفى لغير ما قبله
من اختلاف أسواق
الناس بين أن الاختلاف
والثقاوت أمر عاقد
في جميع المخلوقات من
النبات والحيوان
والروية فأي شيء
تعل (أن الله أنزل من
السموات ماء فخرج منه
بذات الماء والافاق
لأنها ركال الاعشاء
بأنه لا فائدة من الصنع
البدع التي عن كان
السورة والكملة (ثم ات
مختلفا ألوانها) أي
أجناسها أو أصنافها
على أن كلامهم ساد
أصناف مختلفا بها كما
وأشكالها أو ألوانها
من الصغيرة والخضرة

الخراج فاستدل لانه ان نفسه بصيغة التكلم وما دونه بصيغة الغائب (المظنية الثانية)
قال تعالى (ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس
والدواب والانعام مخلف ألوانه كذلك) كان قلنا قال اختلاف الثمرات لاختلاف
النباتات الا ترى أن بعض النباتات لا تلبث بعض البلاد كالزيتون وغيره فتتعالى
اختلاف النبات ليس الا لارادة الله والافهم صار بعض الجبال في موضع حمر وموضع
بيض والجبل دمج حدة وهي الخطئة أو اطر بصفة قبل ألوان في ومن الجبال والتفسيرها
تقول هي تخلف وجهين (أحدهما) أن تكون الاستئناف كأنه قال تعالى وأخرجنا
بالله ثمرات مخلفة ألوان وفي الأشياء الكائنات من الجبال جدد بيض دالة على
القدرة رادة على من ينكر الارادة في اختلاف ألوان الثمار (ثانيهما) أن تكون الاستئناف
تقديرها وخلق من الجبال قل لم يخشى أراد فوجد (والسطيف الثالثة) ذكر الجبال
ولم يذكر الأرض كقال في موضع آخر وفي الأرض قطع متجاورات مع أرضها السبل
مثل ذلك وذلك لأن الله تعالى لما ذكر في القول أخرجنا ثمرات كان نفس الخراج
الثمار دليلا على القدرة ثم زاد عليه بيانها وقال مخلفة كذلك في الجبل في نفسها دليل
للا قدرة والارادة لان كون الجبل في بعض نواحي الأرض دون بعضها والاختلاف الذي
في هيئة الجبل فان بعضها يكون أخضر وبعضها أبيض دليل القدرة والاختيار ثم زاد
بيانها وقال جدد بيض أي مع دلالتها بنفسها هي دالة باختلاف ألوانها لأن الخراج
الثمار في نفسها دلائل واختلاف ألوانها دلائل (المسئلة الرابعة) مختلف ألوانها انعام
أن الاختلاف راجع الى كل لون أي يمتزج مختلف ألوانها وخرجت مختلف ألوانها لا لاختلاف
فديكون على لون الجص وقد يكون على لون التراب الأبيض دون بيض الجص وكذلك
الاحمر واو كان المراد أرابيض والجر مخلف ألوانا لكان مجرد تأكيد والاول أول
وعلى هذا فيقول لم يزد كرمخلف ألوانها بعد البيض والجر والسود بل ذكره بعد البيض
والجر وآخر السود الغرابيب لان الاسود لما ذكره مع البياض وهو الغرابيب يكون باقا
غاية السود فلا يكون فيه اختلاف (المسئلة الخامسة) قبل بأن غرابيب مؤكدا للسود
يقال أسود غرابيب والمؤكد لا يمتزج الامتزاخا فكيف جاء غرابيب مسود تقول قال
الزمخشري غرابيب مؤكدا لذي لون مقدر في الكلام كأنه تعالى قال سود غرابيب ثم أعاد
السود مرة أخرى وفيه فائدة وهي زيادة التأكيد لانه تعالى ذكره مضرا ومظهرا منهم
من قال هو على التقديم والتأخير ثم قال تعالى ومن الناس والدواب والانعام استدللا
آخر على قدرته واداته وكأن الله تعالى قسم دلائل الخلق في العالم الذي نحن فيه وهو
عالم المركبات قسمين حيوان وغير حيوان وغير الحيوان أمانيات وأما بعدد والنباتات
أشرف وأشار اليه بقوله فأخرجنا ثمرات ثم ذكر المحدث بقوله ومن الجبال ثم ذكر
الحيوان وبنينا بشرف منها وهو الانسان فقال ومن الناس ثم ذكر الدواب لان منافعها
والجر وغيرها وهو الاوفق لما في قوله تعالى (ومن الجبال جدد) أي ذو جدد أي لخطوط ولراني وبقول جدد الطمار
للخطئة السوداء على ظهره وقرئ جدد بالضم جمع جديدة بمعنى الجدد توجد بفتحين وهو اطر بقى الواضع (بيض
وحمر مختلف ألوانها) بالشدة والاضيف

(وفايت سود) عطف على يعنى اولى جدد كأنه قيل ومن الجبال مخطط ذو جدد ومنها ما هو على اون واحد
فرايت وهو كأنه قيل يفسره ما بعده فان العريش تأكيد لاسم كالنظم للاصغر والثاني للآخر ومن حق
اننا كيد ان يبعث المؤمنون في الصفه قول اشاعة * والمؤمنون * ٤١ * انما ثبات الطير معها * وفي مثله

من يدنا كيدنا فقدم
التركيب باعتبار الاختلاف
والاظهار (ومن الناس
والدواب والانس
مختلف انواعه) أي ومن
بعض مختلف انواعه او
وبعضهم مختلف انواعه
على ما مر في قوله تعالى
ومن الناس من يقول
آمن بالله ويراد بمختلف
اسميتين مع مشاركتها
ما قبلها من الجملة
المتعلقة في الاستشهاد
بعضونهم على بيان
الناس في الاحوال
الباطنة لما كان اختلاف
الجبال والناس والدواب
والانعام فيما ذكر من
الانواع امر مستغرب
عنه بما يدل على الاستمرار
وأما اخراج الثمرات
الخاصة فثبت كان أمرا
حادثا غير عند ما يدل
على الحدوث ثم لما كان
فيه نوع خفاء علق به
الزوية ثم يعزى
الاستفهام التقرى
المنبئ عن الحمل عليها
والترغيب فيها بخلاف
أحوال الجبال والناس
وغيرهما فانها شاهدة
غنية عن الأمل فذلك

في حياتها والاعلام منفعتها في الاكل منها أولان الدابة في العرف تطلق على الفرس وهو
أحد الانسان أشرف من غيره وقوله يختلف أنواعه القول فيه كأنها في أنفسها
دلائل كذلك في اختلافها دلائل وأقوله يختلف أنواعه قد كرر لكون الانسان من جملة
الذكورين وكون الشد كبير أعلى وأولى * ثم قال تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء
ان الله عز وجل غفور) الخشية بقدر معرفة الخشي والعالم يعرف الله فيخاف ويرجوه وهذا
دليل على أن العالم أعلى درجة من العابد لأن الله تعالى قال ان أكرمكم عند الله أتقاكم
فبين أن اكرامه بقدر التقوى والتقوى بقدر العلم بالكرامة بقدر العلم بقدر العمل فم
العالم اذا ترك العمل قدح ذلك في عمله فان من يراى يقول لو علم لعمل ثم قال تعالى ان الله
عز وجل غفور ذكر ما يوجب الخوف بالرجاء فكونه عز وجل اذا اتقاكم يوجب الخوف التام
وكونه غفورا لما دون ذلك يوجب الرجاء البالغ وقراءة من قرأ بتصب العلماء ورفع الله
عناها انما عظم ويحل * ثم قال تعالى (ان الذين يتلون كتاب الله) لما بين العلماء بالله
وخشيتهم وكرامتهم بسبب خشيتهم ذكر العالمين بكتاب الله العالمين بما فيه وقوله يتلون
كتاب الله اشارة الى الذكر وقوله تعالى (واقاموا الصلاة) اشارة الى العمل البدني وقوله
(وانفقوا مما رزقناهم) اشارة الى العمل المالي وفي الآيتين حكمة باغة فقوله انما يخشى
الله اشارة الى عمل القلب وقوله ان الذين يتلون اشارة الى عمل اللسان وقوله واقاموا
الصلاة وانفقوا مما رزقناهم اشارة الى عمل الجوارح ثم ان هذه الاشياء الثلاثة متعلقة
بجانب تعظيم الله والشغف على خلقه لأننا ان من يعظم ملكا اذا رأى عبدا من عباده
في حاجة يلزمه قضاء حاجته وانما هو فيه يخل بالتعظيم والى هذا أشار بقوله عبدي
مرست فاعتدني يقول العبد كيف ترض وأنت رب العالمين فيقول الله مرض عبدي
فلان وما رزقته واوزرت لوجدتني عنده يعني انه عظيم متعلق بالشفقة حيث لا شفقة على
خلق الله لا تعظيم بجانب الله وقوله تعالى (سرا وعلاية) حيث على الاتفاق كقوله تعالى
فانهم اسرافوا ذلك ونعم والافعلانية ولا يمتنع ظنه أن يكون رياء فان ترك الخير مخافة أن
يقال فيه انه مرء عين الرياء ويمكن أن يكون المراد بقوله سرا أى صدقة وعلاية
أى زكاة فان الاعلان بالزكاة كالاعلان بالقرض وهو مستحب وقوله تعالى (يزجون
تجارة لن تبور) اشارة الى الاخلاص أى ينفقون لا يقال انه كريم ولا شئ من الاشياء
غير وجه الله فان غير الله بأمر والتاجر فيه نخافته بأمره وقوله تعالى (لوفيهم أجورهم)
أى ما يتوقعونه ولو كان أمر بالغ الغاية (يزيدهم من فضله) أى يعطهم ما لم يخطر ببالهم
عند العمل ويحتمل أن يكون يزيدهم النظر اليه كالجاء في تفسير الزيادة (انه غفور)
عند اعطاء الاجور (شكور) عند اعطاء الزيادة * ثم قال تعالى (والذى أوحينا اليك
من الكتاب مع الحق) لما بين الاصل الاول وهو وجود الله الواحد بأنواع الدلائل من
قوله والله انذى أرسل الريح وقوله والله خافكم وقوله الم تر أن الله أنزل ذلك

جاءت عن التليق
بالروية فتدبر وقوله تعالى (كذلك) مصدر تشبهى بقوله تعالى يخاف أى صفة لمصدره * الاصل *
المؤكد تقديره يختلف اخلافا كأننا كذلك أى باختلاف الثمار والجبال وقرئ ألوانا وقرئ والدواب بالخفيف
مبالغة في الهرب من الفناء الساكنين وقوله تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) تكلمة

لقوله تعالى انما يشعرون الذين يخشون ربهم بالغيب تعيين من يشعرون عز وجل من الناس بعد بيان اختلاف طبقاتهم وتبيان مراتبهم
الماضي الاوصاف المعنوية فبطريق التمثيل والماضي الاوصاف المصورية فبطريق التصریح ترفیة لكل واحدة منهما
حقها الثلاثي يها من البيان أي انما تشعرون تعالى ٤٥٠ به بالغيب العالمون به عز وجل وما يلقى به من صفاته الجالبة وأفعاله

الجميلة لما انما دار الخشية
معرفة الخشي والعلم
بشؤنه فمن كان أعلم به
تعالى كان أخشى منه
عز وجل كما قال عليه
الصلوة والسلام انما
أخشاكم الله وأنفاكم له
وذلك عقب ذكر أفعاله
الدالة على كمال قدرته
وحيث كان الكفرة
يعمل من هذه المعرفة
امتنع انذارهم بالكلية
وتقديم المفعول لأن
المقصود من صير الفاعلية
وأواخره كس الامر
وقرى برفع الاسم
الجليل ونصب الفعل
على أن انشئية مستعارة
للتعظيم فان المعظم
يكون مهيأ (ان الله
عز يز عفور) تعليل
لوجوب الخشية لدلالته
على أنه معاقب للمصر
على طغيانه عفور للثبات
عن عصيانه (ان الذين
يتلون كتاب الله) أي
يدأومون على قرأته
أومتابعة ما فيه حتى
صارته سنة لهم وعنوانا
والمراد بكتاب الله تعالى
القرآن وقيل جنس
كتب الله فيكون ثناء
على المصدقين من الأمم

الاصل الثاني وهو الرسالة فقال والذي أوحينا اليك من الكتاب هو الحق وأيضا كما قد
ذكر أن الذين يتلون كتاب الله يؤمنون به والذي أوحينا اليك من الكتاب هو الحق
تقر بالمؤمنين من الاجر والثواب في تلاوة كتاب الله فانه حق وصدق فتايد محقق ومحقق
وفي تفسيرها مسائل (المسئلة الاولى) قوله من الكتاب يستعمل أن يكون لا يتعداه الغاية
كما يقال أرسل الى كتاب من الأمير أو الوالي وعلى هذا فان كتاب يمكن أن يكون المراد
منه الوحي المحفوظ بمعنى الذي أوحينا من الوحي المحفوظ اليك حتى ويحتمل أن يكون
المراد هو القرآن بمعنى الارشاد والبيان الذي أوحينا اليك من القرآن ويحتمل أن يكون
البيان كما يقال أرسل الى فلان من الشيايب والتماس به (المسئلة الثانية) قوله
هو الحق أكد من قول القائل الذي أوحينا اليك حق من وجهين (أحدهما) أن يعرف
الخبر يدل على أن الامر في غاية الظهور لأن الخبر في الأكثر يكون نكرة لأن الاخبار في
العالم يكون اعلاما بثبوت أمر لا معرفة للسامع به الامر يعرفه السامع كقولنا زيد يقوم
فان السامع ينبغي أن يكون عارفا بزيد ولا يعلم قيامه فيخبر بما اذا كان الخبر أيضا معلوما
فيكون الاخبار للتبينة فعر فان بالام كقولنا زيد انما علم في هذه المدينة اذا كان علمه
مشهورا (المسئلة الثالثة) قوله (مصدقا لما بين يديه) حال مؤكدة ليكونه حقا لان
الحق اذا كان لا خلاف يشدو بين كتب الله يكون حاييا عن احتمال البطلان وفي قوله
مصدقاً تقر بليكوته وحيا لان النبي صلى الله عليه وسلم لما لم يكن قارئا مكتابا وأتى ببيان
ما في كتب الله لا يكون ذلك الا من الله تعالى وجواب عن سؤال المكثار وهو أنهم كانوا
يقولون بأن التوراة ورد فيها كذا والانجيل ذكر فيه كذا وكانوا يفتنون من التثليث غيره
وكانوا يقولون بأن القرآن فيه خلاف ذلك فقال التوراة والانجيل لم يبق بهما وثوق
بسبب تعيير كتمه هذا القرآن ما ورد فيه ان كان في التوراة فهو حق وباق على ما نزل وان لم
يكن فينبو يكون فيه خلافة فهو ليس من التوراة فالقرآن مصدق للتوراة (وفيه وجد
آخر) وهو أن يقال ان هذا الوحي مصدق لما تقدم لان الوحي لولم يكن وجوده لكتب
موسى وعيسى عليهما السلام في انزال التوراة والانجيل فاذا وجد الوحي ونزل على
محمد صلى الله عليه وسلم علم جوازه وصدق به ما تقدم وعلى هذا فيقيد لطيفة وهي أنه تعالى
جعل القرآن مصدقا لما مضى مع أن ما مضى أيضا مصدق له لان الوحي اذا نزل على واحد
جاز أن ينزل على غيره وهو محمد صلى الله عليه وسلم ولم يجعل ما تقدم مصدقا للقرآن لان
القرآن كونه مجزئة يكفي في تصديقه بأنه محي وأما ما تقدم فلا بد معه من مجزئة تصدقه
(المسئلة الرابعة) قوله (ان الله يعبداءه خير بصير) فيه وجهان (أحدهما) انه تقرير
ليكونه هو الحق لانه وحى من الله والله خير عالم بالباطن بصير عالم بالظواهر فلا يكون
باطلا في وجهه لافي الباطن ولا في الظاهر (وثانيهما) أن يكون جوابا لما كانوا يقولونه انه
لم يزل على رجل عظيم فيقال ان الله يعبداءه خير بصير يعلم بواطنهم وبصير يرى ظواهرهم

بعد اقتصاص حال المكذبين منهم واسدال القاتل تصبغه المضارع متبادية باستمرار مشروعية تلاوته والعمل بما فيه
واستنباعها لما سياتي من توفية الاجور وزبادة الفضل وحملها على حكاية الحان الماضية مع كونه تفعيلا

ظاهرا على السبيل اليه كيف لا والله صود الترتيب في دين الاسلام والعمل بالقرآن الناصح لما بين يديه من الكتب فالعرض
بيان حقيقتها قبل انتساخها والاشباع في ذكر استماعها لما ذكر من اغواها العظيمة بما يورث الرغبة في تلاوتها
والاقبال على العمل بها وتخصيص الالوة على نسخها بطا ٢٦ * قطعنا ان الباقي مشروعا وليس الاكتفاء

بل من حيث انه حكم
القرآن وأما تلاوتها
فبمعزل من المشروعية
والاستماع الاجبري
فقدبر (واقاموا الصلوة
والقوامر فقامهم سر
وعلاية) كذا ما اتفق
من غير قصد اليهم
وقبل السر في المستوة
والعلاية في المروضة
(يرجون تجارة) تحصيل
ثواب بالعبادة وهو
خبر ان قوله تعالى
(لن ثبور) أي ان
نكسب وان تملك
بالخسران أصلا صفة
المارة حتى بها للدلالة
على انها ليست كسائر
الحوارات الفائرة بين
الربح والخسران لانه
اشترى باق بفان والاخبار
برجاءهم من اكبر
الاكرمين عدة قطعية
بحصول مرجوهم وقوله
تعالى (يوفيههم أجورهم)
متعلق بلان ثبور على معنى
انه يوفي عنها الكساد
وتتفق عند الله تعالى
ليوفيههم أجور أعمالهم
(ويؤيدهم من فضله)
على ذلك من خرائن
رجحه ما يشاء وقيل

فاختار محمد عليه السلام ولم يختار غيره فهو أصلح من الكل * ثم قل تعالى (ثم أورثنا
الكتب الذين اصطفينا من عبادنا فهم ظالم انفسهم ومقتصدون منهم سابق بالخيرات
بإذن الله) يتفق أصك المفسرين على أن المراد من الكتاب القرآن وعلى هذا فالذين
اصطفينا هم الذين اتفقوا بالكتاب وهم المؤمنون والظالم والمقتصد والسابق كلهم منهم
ويدل عليه قوله تعالى يثبات عدن يدخلونها أخبر بدخولهم الجنة وكذا أورثنا أيضا
تدل عليه لان الارث اذا كان بعد الإحياء ولا كتاب بعد القرآن فهو الموروث والارث
المراد منه الاعطاء به ذهاب من كان يده المعطى ويحتل أن يقال المراد من الكتاب هو
جنس الكتاب كقوله تعالى جاتهم رسلكم بالبينات وبالزبور والكتاب المنير والمعنى
على هذا اننا نصفي الكتاب الذين اصطفينا وهم الانبياء ويدل عليه ان لفظ المصطفى على
الانبياء اطلاقا كثيرا ولا كذلك على غيرهم ولأن قوله من عبادنا يدل على أن العباد أكثر
مكرمون بالإضافة اليهم ان المصطفين منهم أشرف منهم ولا يبق ممن يكون أشرف من
الشرفه ان يكون ظالم مع أن لفظ الظالم أطلقه الله في كثير من المواضع على الكافر
وسمى اشرك ظلاما على اوجه الاول التفسير فظاهر بين معناه آيتنا القرآن رأيت محمد
وأخذوه عنه واقتروا فافهم ظالم وهو لم يئى ومقتصد وهو الذي خططه لاصلاحوا آخر
سبأ وسابق بالخيرات وهو الذي أخلص العمل لله وجرده عن السبآت فان قال قائل
كيف قال في حق من ذكر في حقه انه من عبادوه أنه مقتصد في ظالم مع أن الظالم يطلق على
الكافر في كثير من المواضع فنقول المؤمن عند المعصية يضع نفسه في غير موضعه فهو
ظالم لنفسه حال المعصية واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم لا يرى الزاني حين يزني وهو
مؤمن ويصيح هذا قول عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ظالمنا مغفوره
وقال آم عليه السلام مع كونه مقتصد في ربنا ظلمنا أنفسنا وأما الكافر فيضع قلبه الذي
بداعتها الجسد في غير موضعه فهو ظالم على الإطلاق وأما قلب المؤمن فمطمئن بالآمان
لا يضيع في غير التفكير في آلا الله ولا يضع فيه غير محبة الله وفي المراتب الثلاثة أقوال
كثيرة (أحدها) الظالم هو اجمع السبآت والمقتصد هو الذي تساوت سيئاته وحسناته
والسابق هو الذي ترجعت حسناته (ثانيها) ظالم هو الذي ظاهره خير من باطنه والمقتصد
من تساوى ظاهره وباطنه والسابق من باطنه خير (ثالثها) الظالم هو الموحد بلسانه الذي
تخالفه جوارحه والمقتصد هو الموحد الذي يمنع جوارحه من الخسافة بالتكليف
والسابق هو الموحد الذي يسب التوحيد عن اتوحيد (رابعها) الظالم صاحب الكبيرة
والمقتصد صاحب الصغيرة والسابق المصوم (خامسها) الظالم اتالي للقرآن غير العالم به
والعامل بموجبه والمقتصد اتالي العالم والسابق اتالي العالم العامل (سادسها) الظالم
الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم (سابعها) الظالم أصحاب الشأمة والمقتصد
أصحاب الخيفة والسابق السابقون المقربون (ثامنها) الظالم الذي يخاف فيدخل النار

أما هم المرصية أي فعلوا ذلك ليوفيهم الخ وقيل يرجون على أن اللام للماقبة (انه يغفور لشكون)
تعليل لما قبله من التواء السبعة ادعاء فوفروا لهم شكر اطاعتهم أي تجازيهم عليها وقيل هو خبران الذين يرجون
عالم من واد
كتاب

وهو الهوان ومن للتبين أو الجنس ومن للتبعيض وقيل الالواح ومن للابتداء (هو الحق مصدقا لما بين يديه) أي
أحده مصدقا لما تقدمه من الكتب السماوية كذا لأن حقيقته تستلزم موافقته إياه في العقائد وأصول الأحكام
(إن الله بعبد الخبير بصير) محيط بواطن ٤٧ أمورهم وظواهرها فلو كان في أحكام ما بين في الشوق لم يوح

اليك مثل هذا الحق المجيز
الذي هو عبارة على سائر
الكتب وتقديم الخبر
للتبديد على أن العبد
هي الأمور الروحانية
(ثم أوردنا الكتاب) أي
قصصنا توريثه منك أو
نوره وتبصير عسا بالمضي
لفرده وتحققه وقيل
أوردناه من الامم السابقة
أي أخرنا عنهم أعطينا
(الذين اصطفتنا من
عبادنا) وهم علماء الامم
من الصحابة ومن بعدهم
من يسر سريتهم أو الأمة
باسرهم فإن الله تعالى
اصطفاهم على سائر
الامم ووجه لهم أمم موصفا
ليكونوا شهداء على الناس
واختصهم بكرامة الانبياء
الافضل رسله عليهم
السلام والاسلام وايسر
من ضرورة ورأفة
الكتاب مراعاته حق
رعايته لقوله تعالى فخلق
من بعدهم خلف ورثوا
الكتاب الآية (فهم
ظالم لنفسه) بالتقصير
في العمل به وهو المرجأ
لامر الله (ومنهم مقتصد)
يعمل به في أغلب الاوقات
ولا يخلو من خلط السيئ

والمقتصد الذي يحاسب فيدخل الجنة والسابق الذي يدخل الجنة من غير حساب
(تاسعها) الظالم المصير على المعصية والمقتصد هو التادم والثاب والسابق هو المقبول
التوبة (عاشرها) الظالم الذي أخذ القرآن ولم يعمل به والمقتصد الذي عمل به والسابق
الذي أخذ وعمل به وبين الناس العمل به فعملوا به بقوله فهو كامل ومكمل والمقتصد
كامل والاضاها ناقص والخيار هو أن الظالم من خالف فترك أو أمر الله وأرتكب ما نهى
فانه واضع للشئ في غير موضعه والمقتصد هو المجتهد في ترك الخالفه وان لم يوفق لذلك ونذر
منه ذنب وصدر عنه ثم فانه اقتصد واجتهد وقصد الحق والسابق هو الذي لم يخالف
يتوفيق الله ويدل عليه قوله تعالى (ياذن الله) أي اجتهد ووفق لما اجتهد فيه وفيما اجتهد
فهو سابق بالخير يقع في قلبه فيسبق اليه قبل تسويل النفس والمقتصد يقع في قلبه فتدبره
النفس والاضاها تغلب النفس وتقول بعبارة أخرى من غلبته النفس الامارة وأمرته
فأطاعها ظالم ومن جاهد نفسه فغلب تاروق غلب أخرى فهو والمقتصد ومن جاهد نفسه فهو
السابق ودوله (ذلك هو الفضل الكبير) يتحمل وجوها (أحدها) التوفيق المبدول عليه
يقوله ياذن الله ذلك هو الفضل الكبير (ثانيها) السبق بالخيرات هو الفضل الكبير
(ثالثها) الأبرار فضل كبير هذا على الوجه المشهور من التفسير أما الوجه الآخر وهو
أن يقال ثم أوردنا الكتاب أي جنس الكتاب كقَالَ تعالى جاتهم رسالهم بالبينات والذين
وبالكتاب المنير يدعونه أسئلة (أحدها) ثم الترخي وإيتاء الكتاب بعد الانبياء الى محمد
صلى الله عليه وسلم يكن ظالم اذ يكلمه ثم تقول معناه ان الله خير بصير خبيرهم وأبصرهم
ثم أوردتهم الكتاب كأنه قال تعالى اتانا علما البواطن وأبصرنا الظواهر فاصطفينا عبادا
ثم أوردناهم الكتاب (ثانيها) كيف يكون من الانبياء ظالم لنفسه تقول منهم غير اجمع الى
الانبياء المصطفين بل المعنى ان الذي أوحينا اليك هو الحق وأنت المصطفى كما اصطفتنا
رسلا وأنبأهم كتباً ومنهم أي من قومك ظالم كفر بك وبما أنزل اليك ومقتصد آمن بك
ولم يأت بجسيم ما أمرته به وسابق آمن وعمل صالحا (وثالثها) قوله جنات عدن يدخلونها
الداخلون هم المذكورون وعلى ما ذكرتم لا يكون الظالم داخلنا نقول انداخلون هم
السابقون وأما المقتصد فأمرة موقوف أو هو يدخل النار أو لا ثم يدخل الجنة والبيان
لأول الامر لا لما بعده ويدل عليه قوله يحملون فيها من أساور من ذهب وقوله أذهب عنا
الحرن * ثم قال (جنات عدن يدخلونها يحملون فيها من أساور من ذهب وثقواواياهم
فيها حارير) وفي الداخلين وجوه (أحدها) الاقسام الثلاثة وهي على قولنا ان الظالم
والمقتصد والسابق اقسام المؤمنين (والثاني) الذين يتلون كتاب الله (والثالث) هم
السابقون وهو أقوى لقب بذكرهم ولانه ذكر اكرامهم بقوله يحملون فلنكرم هو
السابق وعلى هذا فيه انجات (الاول) تقديم الفاعل على الفعل وتأخير المفعول عنه
موافق لترتيب المعنى اذا كان المفعول حقيقيا كقولنا الله خلق السموات وقول القائل

(ومنهم سابق بالخيرات ياذن الله) قيل هم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار وقبلهم المداومون على إقامة
مواجبه علماء وعلماء وعلما وقوله تعالى ياذن الله أي يتبصره وتوفيقه تنبيه على رضة مثال هذه الرية وضعوا بهما أخذها

وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقبل الضالم المجرم والمقتصد الذي خلط الصالح بالسيئ والسابق الذي ترجحت حسناته بحيث صارت سيئاته مكفرة وهو معنى قوله عليه الصلاة والسلام أما الذين سبقوا فإني قد بدخلون الجنة يرفعون فيها بأفعالهم وأما المقتصد فأولئك يحسبون حسابا ﴿٤٨﴾ يسيرا وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك

يعذبون في طول المشعر ثم يتلقاهم الله تعالى برحمة وقد روي أن عمر رضي الله عنه قال وهو على المنبر قد رسل الله صلى الله عليه وسلم سابقا سابق ومقتصدان واح وظالم معصورة (ذاك) إشارة إلى السبق بالخيرات وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالشارع لا إشعار بعلو مرتبة وبعده عن التفتي الشرف (هو الفضل الكبير) من الله عز وجل لا نال إلا يؤتيه الله تعالى (جنات عدن) أمثال من الفضل الكبير بتزويل السبب من السبب أو مبتدأ خبر (يدخلون) وعلى القول هو مستأنف وجمع الغنم لأن المراد السابق الجنس وتخصيص حال السابقين وما بهم بالذكر والسكوت عن الفريقين الآخرين وإن لم يدل على جرما منهم من دخول الجنة مطافا لكن قيد تحذير الهم بالانقياس وتصحيح وتحذير أيضا على السعي في ادراك الشأ والسابقين وفري جنات عدن

يدخل الجنة فإن الله موجود قبل كل شيء ثم له فعل هو الخلق ثم حصل به المفعول وهو السموات وكذلك زيد قبل البناء ثم الجدار من بناءه وأذا لم يكن المفعول حقيقا كقولنا زيد دخل الدار وضرب عمرا فإن اندار في الحقيقة ليس مفعولا للدخل وإنما فعل من أفعاله تحقق بالنسبة إلى الدار وكذلك عمرو فعل من أفعال زيد يتعلق به قسمي مفعولا لا يحصل هذا الترتيب ولكن الأصل تقديم الفاعل على المفعول ولهذا يعاد المفعول المقدم بالغنم يقول عمر اضرب زيد يفتوقعه بعد الفعل بالهاء العائدة إليه وحينئذ يطول الكلام فلا يتخار الخكيم إلا الفائدة ما الفائدة في تقديم الجنات على الفعل الذي هو الدخول وإعادة ذكرها بالبناء في بدخلونها وما الفرق بين هذا وبين قول القائل يدخلون جنات عدن تقول السامع إذا علم أن له مدخلا من الداخل وله دخول ولم يعلم عين المدخل فاذا قيل له أنت تدخل قال أن يسبق الدار أو السوق يبقى متعلق القلب بأنه في أي المدخل يكون فاذا قيل له دار زيد دخلها فبذلك الدار يعلم مدخله وباعنده من العلم السابق بأنه له دخولا يعلم الدخول فلا يبقى له توقف ولا سبب الجنة والنار فإن بين المدخلين بونا بعيدا (الثاني) قوله يقولون فيها إشارة إلى سرعة الدخول فإن التحلية لو وقعت خارجا لكان فيه تأخير الدخول يقال يدخلونها وفيها تقع تحلية بهم (الثالث) قوله من أساور يجمع الجمع فانه جمع أسورة وهي جمع سوار وقوله ولباسهم فيها خير ليس كذلك لأن الكثرة من اللباس يدل على حاجة من دفع يد أو غيره والاكثر من الزينة لا يدل إلا على الثنى (الرابع) ذكر الأساور من بين سائر الخلى في كثير من المواضع منها قوله تعالى وحلوا أساور من فضة وذلك لأن الخلى عشرين (أحدهم) الظاهر كون الخلى غير متبدل في الأشغال لأن الخلى لا يكون على الطبع والفعل أو تابعهما فغيره الاستعداد عن الأشياء والظواهر القدرة على الأشياء وذلك لأن الخلى أمابا لا كالأشياء والجواهر وأما بالذهب والفضة والخلى بالجواهر والأشياء من على أن الخلى لا تعجز عن الوصول إلى الأشياء الكثيرة عند الحاجة حيث لم تعجز عن الوصول إلى الأشياء القليلة الوجود لا الحاجة والخلى بالذهب والفضة يدل على أنه غير محتاج حاجة أصلية ولا تصرف الذهب والفضة أي دفع الحاجة إذا عرفت هذا فنقول الأساور تحملها الأيدي وأكثر الأفعال لا يبد فأنها لا تطش فاذا حلت بالأساور علم انفراغ الذهب والوأو إشارة إلى التوسيع الذين منهم الخلى * ثم قال تعالى (وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور) في الحزن أقوال كثيرة والاول أن يقال المراد اذهاب كل حزن والآف والذم الجرس واستغراقه وذهاب الحزن بحصول كل ما ينبغي وبقائه دائما فان شيئا عندنا لم يحصل لكن الحزن موجودا بسببه وإن حصل ولم يدم لكن الحزن غير ذاهب بعد سبب زواله وخوف فواته وقوله إن ربنا لغفور شكور ذكر الله عنهم أمورا كلها تفيد الكرامة من الله (الاول) الحمد فإن الحمد مثاب (الثاني) قولهم ربنا فإن الله ينادي بهذا اللفظ الاستجاب لهم اللهم الآن يكون المنادى

رحمهم من الله تعالى على النصب بفعل يفسره الظاهر وقرئ بدخلونها على البناء للمفعول (يحاولونها) خبر ﴿قد﴾ تعذر دل عليه من وقري يحلون من حلت المرأة فهي حايبة (من أساور) هي جمع أسورة جمع سوار (من ذهب) من الاول تظليل لما قبله من وقري يحلون من حلت المرأة فهي حايبة (من ذهب) من الاول حال من وأساور

آن الـصـب نفس المشقة والكلفة والافقوب ما يحدث منه من القنور والتصریح یحیی الثاني مع استلزام فی الاول له ونكر بر الفضل
المنفی للمبالغة فی بیان انتفاء كل منهما (والذين كفروا ﴿٥٠﴾ لهم نار جهنم لا یقضی علیهم) لایحکم علیهم

بموت ثان (فیوتوا)
وبستریحووا وضد باضمار
أن وقرئ فتوتون
عطفا علی بعضی أقوله
تعالی ولا یؤذن لهم
فیعتدون (ولا یخفف
عنهم من عذابها) بل
كلاخت زیداسعارها
(كذلك) أى مثل ذاك
الجزء القطع (یحیی
كل كفور) مبالغ فی الكفر
أو الكفران لاجراء الخف
وأدنی شد وقرئ یحیی
صلی البنا للمفعول واستاده
الی الكلال وقرئ یجازی
(وهم یسطرخون
فیها) یستغیثون
والاصطراخ أفعال من
الاصراخ استعمل فی الآ
ستعانة لجهنم المستغیث
صوته (ربنا أخرجنا فعل
صالحا غیر الذی كذا
فعل) باضمار القول
وتقید العمل الصالح
بالوصف المذکور
المحصر علی ما عملوه من
غیر الصالح والاعتراف به
والإشعار بأن استغراجهم
لئلا ینبذوا وأنهم كانوا
یحسبونه صالحا والآن
تبین خلافه وقوله تعالی

بالذین یتلون کتاب الله علی ما یبئنا وقوله جنات عدن یدخلونها قد ذکرنا أنه علی بعض
الأقوال راجع الی الذین یتلون کتاب الله * ثم قال تعالی (لا یقضی علیهم فیوتوا) أى
لا یسترحون بالموت بل العذاب دائم (ولا یخفف عنهم من عذابها كذلك یحیی كل
كفور) أى النار وفیدامائف (الاولی) ان العذاب فی الدنیا ان دام كثير یقتل فان لم
یقتل یعتاده البدن ویصیر من اجا فاسدا مفعکنا لایحس به العذب فقال عذاب نار
الآخرة لیس كعذاب الدنیا اما أن یفنی واما أن یألفه البدن بل هو فی كل زمان شدید
والعذب فید دائم (الثانیة) راعی الترتیب علی أحسن وجه وذلك لان الترتیب أن
لا یقطع العذاب ولا یفسد فقال لا یذهب ولا یأدوی الاسباب وهو الموت حتی یمنون
الموت ولا یجانبون كما قال تعالی ونادوا یا مالک لیقض علینا ربك أى بالموت (الثالثة) فی
المعذبین اکتفی بأنه لا یقصر عذابهم ولا یقلز یدهم عذابا وفی المشابین ذکرنا زیادة بقوله
و یرزقهم من فضله ثم لما بین ان عذابهم لا یقف قال تعالی (وهم یسطرخون فیها) أى
لا یخفف وان اصطرخوا واضطر بوا لا یخفف الله من عذبه انعاما الی أن یطأوا بل یطأون
ولا یجندون والاصطرأخ م الصراخ واصراخ صوت العذب وقوله تعالی (ربنا أخرجنا)
أه صراخهم بهذا أى یقولون ربنا أخرجنا لان صراخهم كلام وفید إشارة الی ان
ایلامهم تعذب لنادی وذلک لان الموءب اذا قال مؤذنه لا یأرجع الی ما قدماته یتسما
فعلت بتركه وأما العذب فلا وترتبه حسن وذلک لانه لما بین انه لا یخفف عنهم بالکلیة
ولا یعفو عنهم انه لا یقبل منهم وعدا وهذا لان المحبوس یصیر له یخرج من غیر سؤال
فاذا طبل لبثه تطلب الاخراج من غیر قطیعة علی نفسه فان یفده یقع علی نفسه
قطیعة ویقول اخرجنی أفعلم کذا وكذا واعلم أن الله تعالی قدید ان من یتکون فی الدنیا
ضالافه و فی الآخرة ضال كما قال تعالی ومن کان فی هذه أعمى فهو فی الآخرة أعمى ثم
اذهم أم یأوا ان العود الی الدنیا بعد محال بحکم الاخبار وعلی هذا قالوا (نعمل صالحا)
جائزین من غیر استعانة بالله ولا مشاورة فیہ ولم یقولوا ان الامر ید الله فقال الله لهم اذا
کان اعتمادکم علی أنفسکم فقد عمر بکم مقدارا عک التذکر فیہ والایان بالایمان
والاقبال علی الاعمال وقواهم (غیر الذی کنا نعمل) إشارة الی ظهور فساد عملهم لهم
وکان الله تعالی کالم یهدهم فی الدنیا لم یهدهم فی الآخرة فاقالوا ربنا زدنا للمحسنین
حسنات بفضلک لایعملهم ونحن أخرج الی تخفیف العذاب منهم الی تضعیف الثواب
فأفعل یأمانت أهله نظر الی فضلك ولا تفعل یأمانحن أهله نظر الی عذاک وانظر الی
مفترک المبالغة ولا تنظر الی معذرتنا الباطلة وكما هدی الله المؤمن فی الدنیا هداء فی
العقب حتی دعاه بأقرب دعاء الی الاجابة وائی علیه بأطیب ثناء عند الانابة فقالوا الحمد لله
فقالوا ربنا غفور اعترافا بقصیرهم شکورا قرارا بوصول مالم یخطر ببالهم الیهم وقالوا
أحلنا دار المقامة من فضله أى لا عمل لنا بالنسبة الی نعم الله وهم قالوا أخرجنا نعمل صالحا

(اولهم لم ياتذرك فيه من تذرك) جواب من جهته تعالى وتوحيهم والهمزة للانكار والتثنية والواو للعطف على مقدر
يقضيه المقام وانكره موصوفة هو اي المنة لكم او لم تؤخركم ولم نعمركم عرايتكم فيه من تذرك اي تمكن فيه المذكور

من التذكر والتفكر قيل
هو اربعون سنة وعن
ابن عباس رضي الله
عنهما ستون سنة وروى
ذاك عن علي رضي الله عنه
وهو العمر الذي أعذر الله
فيه الى ابن آدم قال
عليه الصلاة والسلام
أعذر الله الى امرئ
آخر أجله حتى بلغ ستين
سنة وقوله تعالى (وجاءكم
التذير) غطف على
الجملة الاستفهامية لانها
في معنى قد علمناكم كافي
قوله تعالى الم نشرح
لك صدر ذلك ووضعنا الخ
لانه في معنى قد شرحنا
الخ والمراد بالتذير
رسول الله صلى الله عليه
وسلم وأما مع من القرآن
وقيل انقل وقيل
الشيب وقيل موت
الاقارب والاقصار
على ذكر التذير لانه
الذي يقضيه المقام
والفاء في قوله تعالى
(قد وقوا) لترتيب
الامر بالدوق على
ما قبلها من التعبر
ومحى التذير وفي قوله
تعالى (خالظا لمن
من نصير) للتعليل

انما ضاف في حق تعظيمه واعراضه عن الاعتراض بعجزهم عن الاتيان بما يناسب عظمتهم انه
تعالى بين انه اتاهم ما يتعلق بقبول الخلق من العمر الطويل وما يتعلق بالفاعل في الخلق
فان النبي صلى الله عليه وسلم كفاعل الخير فيهم ومظهر السعادات فقال تعالى (اولهم لم ياتذرك
ما يذكرك فيه من تذرك وجاءكم التذير) فان المانع اما ان يكون فيهم حيث لم ياتذركوا من
النظر فيما أنزل الله واما ان يكون في مرشدكم حيث لم ياتذركوا ما يرشدكم ثم قال تعالى
(قد وقوا خالظا لمن نصير) وقواد قد وقوا اشار الى الدوام وهو امر اهانة لخالظا لمن
الذين وضعوا أفعالهم وأقوالهم في غير موضعها أتوا بالمعذرة في غير وقتها من نصير في
وقت الحاجة نصيرهم قال بعض الحكماء قوله خالظا لمن نصير وقوله وما لظالمين من
أنصار تحتل أن يكون المراد من الظالم الجاهل جهلا امر كبار هو الذي يعتقد الباطل حقا
في الدنيا وما له من نصير أي من علم يقع في الآخرة والذي يدل عليه من الله تعالى معنى
البرهان سلطانا كما قال تعالى فأتوا بسطان أقوى ناصر اذ هو اية والولاية
وكلاهما نصير والحق التعميم لان الله لا ينصره وليس غير نصير لافهم من نصير أصلا
ويمكن ان يقال ان الله تعالى قال في آل عمران وما لظالمين من أنصار وما في يدي من
أمن الله وما لهم من ناصر ين وقال ههنا لظالمين من نصير أي هذا وقت كونهم واقعين
في النار فقد ليس كل منهم من كانوا يتوقعون منهم النصرة ولم يبق الا توقعهم من
الله فقال ما لكم من نصير أصلا وهناك كان الامر شكيا في الدنيا أوفى أو انزل الحشر فتق
ما كانوا يتوقعون منهم النصرة وهم ألهتهم ثم قال تعالى (ان الله عالم غيب السموات
والارض انه عليم بذات الصدور) تقريرا للدوامهم في العذاب وذلك من حيث ان الله
تعالى لما قال وجزا منسية سيئة مثلها ولا يزال عليه فلو قال فائل الكافر ما كفر بالله الاياما
معدودة فكان ينبغي أن لا يعذب الا مثل تلك الايام فقال تعالى ان الله لا يخفى عليه غيب
السموات فلا يخفى عليه ما في الصدور وكان يعلم من الكافرين في قلبه تمكن الكفر بحيث
أودا الى لا بد لما طاع الله ولا عبده وفي قوله تعالى بذات الصدور مسئلة قد ذكرناها
مرة ونعنيها أخرى وهي ان فائل ان يقول الصدور هي ذات اعتقادات وظنون
فكيف سمي الله الاعتقادات بذات الصدور ويقرر السؤال قولهم أرض ذات أشجار
وذاك جنى اذا كان فيها ذلك فكذلك الصدور فيه اعتقاد فهو ذات اعتقاد فيقال له لما كان
اعتبار الصدر بما فيه صار ما فيه كاسا كالمالك حيث لا يقال الدار ذات زيدو يصح
ان يقال زيد ذو دار وما وان كان هو فيها ثم قال تعالى (هو الذي جعلكم خلائف في
الارض) تقريرا لتطوع جهنم فانهم لما قالوا ربنا أخرجنا مما عمل صالحا وقال تعالى أولهم نسركم
ما يذكرا إشارة الى أن التكمين والامهال مدة يمكن فيها المعرفة قد حصل وما آتاهم وزاد
عليه بقوله وجاءكم التذير أي آتيناكم عقولا وأرسلنا اليكم من يؤيد المعقول بالدليل
المقول زاد على ذلك بقوله تعالى هو الذي جعلكم خلائف في الارض أي يهكم عن مضى

(ان الله عالم غيب السموات والارض) بلاضافة وفري بالتوين ونصب غيب على المعنوية أي لا يخفى عليه
خافية فيهما فلا يخفى عليه أحوالهم

(انه عليهم بذات الصدور) قيل انه تعليل لما قبله لانه اذا علمت الصدور هي اخفى ما يكون كان أعلم بغيرها (هو الذي جعلكم خلائف في الارض) يقال للمستخلف خليفة وخليف **﴿ ٥٢ ﴾** والاول يجمع خلائف والثاني

خلفاء والمعنى انه تعالى جعلكم خلفاء في أرضه وألقاكم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها وأباح لكم منافعتها أو جعلكم خلفاء عن قبلكم من الانبياء وأورثكم ما يديهم من منافع الدنيا الشكر والواجب والطاعة (فمن كفر) منكم مثل هذه النعمة السابقة ونقضها (فعليه كفرة) أي وبال كفرة لا يعدها الى غيره وقوله تعالى (ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقادير) لا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا (يسان اوبال الكفر) وغالته هو سفت الله تعالى اياهم أي بقصد الشد يد الذي ليس وراءه خزي وخسار وخسار الآخرة الذي ما بعده شر وخسار والتكرار زيادة التقرير والتشديد على أن اقتضاء الكفر الكل واحد من الامرين الهائلين القويحين بطريق الاستقلال والاعمال

وحال من انقضى فادركهم لو لم يحصل لكم علم بأن من كذب الرسل أهلك لكن عندكم اخفى وضادكم أخف لكن أهملتم وعزتم وأمرتم على اسان الرسل بأمرهم وجعلتم خلائف في الارض أي خليفة بعد خليفة تعلمون حال الماضين ونصيحون بحالهم راضين (فمن كفر) بعد هذا كاذب (فعليه كفرة ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقادير) لان الكافر السابق كان غفوتا كاذبا الذي لا يتقدم سيد واللاحق الذي انذره الرسول ولم يتب اعقت كاذبا الذي يتبعه الذميج وأمره بخدمة سيده وبعده وبوعده ولا يتب الذميج ولا يتبعه والتالي لهم الذي رأى عندهم من تقدم ولم يخش عذابه اعقت الكل ثم قال تعالى (ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا) أي الكفر لا ينفع عند الله حيث لا يزيد الا المقات ولا ينفعهم في أنفسهم حيث لا ينفذهم الا الخسار فان العمر كراس مال من اشترى به رضا الله ربح ومن اشترى به سخطه خسر **﴿ ٥٣ ﴾** قال تعالى (قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك في السموات أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه بل ان بعد الظالمون بعضهم بعضا يغفرون) تقريرا للتوحيد وإبطال الاشراك وقوله أرأيتم المراد منذ أخبروني لان الاستفهام يستدعي جوابا يقول القائل أرأيتم ماذا فعل زيد فيقول السامع باع واشترى والله لا يخفى معنى أخبرني والانا كل الجواب الاقوله لا أو نعم وقوله شركاءكم انما اضاف الشركاء اليهم من حيث ان الانسان في الحق لم يكن شركاء الله وانما هم جعلوها شركاء فقال شركاءكم أي الشركاء جعلكم ويحتمل أن يقال شركاءكم أي شركاءكم في التاركة قوله تكبروا تعبسون من دون الله حسب جهنم وهو قريبيو يعمل ان يقال هو بعد لان اتفاق المفسرين على الاول وقوله أروني يدل على أن رأيتم لان كايها يفيد معنى أخبروني ويحتمل أن يقال قوله أرأيتم استفهام حقيقي وأروني أمر تبيين للتبيين فافعال رأيتم بمعنى أعلمتم ههنا التي تدعونها كاهي وعلى ما هي عليهم من المعجز أو تنوهم فيها قدرة فان كنتم تعلمونها عاجزة وكيف تعبسونها وان كان وقع لكم ان لها قدرة فأروني قدرتها في أي شيء هي أهى في الارض كما قال بعضهم ان الله اله السماء وهؤلاء الهه الارض وهم الذين طافوا أورد الارض من الكواكب والاصنام صورها أم هي في السموات كما قال بعضهم ان السماء خلقت بالعبادة الملائكة والملائكة شركاء في خلق السموات وهذه الاصنام صورها ثم قدرتها في الشفاعة لكم كما قال بعضهم ان الملائكة ما خلقوا شيئا ولكنهم مقربون عند الله فتعبدوا ليشفعوا فانهم معهم كتاب من الله فبذاته لهم بالشفاعة وقوله أم آتيناهم كتابا ياتي العائد اليه الضمير وجهان (أحدهما) انه عائد الى الشركاء أي هل آتيناهم الشركاء كتابا (وثانيهما) انه عائد الى المشركين أي هل آتيناهم المشركين كتابا وعلى الاول فمناه ما ذكرنا أي هل مع ما جعل شركاءكم كتاب من الله فيه أن له شفاعة عند الله فان أحدا لا يشفع عنده الا بآذنه وعلى الثاني فمناه ان عبادة هؤلاء اما بالعقل ولا عقل لمن يعبد من

(قل) تبكيك اليهم (أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله) أي آلهتكم والاضافة اليهم **﴿ ٥٤ ﴾** لم لانهم جعلوها شركاء لله تعالى من غير أن يكون له أصل ما أصلا

وقبل جماعهم شركاء لانفسهم فيما يملكونه وبابها سباق النظم الكريم وسيا قد (أروني ماذا خلقوا من الارض) بدل اشتغال
من أرايتهم كأنه قبل أخبرني عن شركائكم ﴿٥٣﴾ أروني أي جزء خلقوا من الارض (أم لهم شركاء في السموات)

أي أم لهم شركاء مع الله سبحانه في خلق السموات ليستحقوا بذلك شركة في الاوهية ذاتية (أم آتيناكم كتابا) ينطق بآنا اتخذناهم شركاء (فهم على بينة منه) أي حجة ظاهرة من ذلك الكتاب بان لهم شركاء جعلتة ويجوز أن يكون ضمير آتيناهم للمشركون كما في قوله تعالى أم أراينا عليهم سلطانا لغيري على بينات وفيها آية إلى أن الشرك أمر خطير لا يد في اثباته من تعاضد الدلائل (بل إن بعد الظالمون بعضهم بعضا الاغشورا) لما في أنواع الجمع في ذلك اضرب عند بدكر ما جعلهم عليه وهو تغير الاسلاف للاخلاف واضلال الرؤساء لاتباع بانهم شفعاء عند الله يشفعون لهم بانقر رب البسه (ان الله عسك السموات والارض أن تزولا) استئناف مسوق لبيان غاية قبح الشرك وهوله أي يسكنهما كراهة

لم يخلق من الارض جزءا من الاجزاء ولا في السماء شيئا من الاشياء واما بالنقل ونحن ما آتينا المشركين كتابا فهم أمرا بالعبادة لهؤلاء وأول أمرنا بالعبادة لهم أمرا بالعبادة لهم والى جهة الكعبة فهذه العبادة لاعقلية ولا عقلية فوسد بعضهم بعضا ليس الاغشورا فخرجهم الشيطان وزين لهم عبادة الاصنام ثم لما بين انه لا خلق للاصنام ولا قدر له ولا على جزء من الاجزاء بين ان الله قادر بقوله (ان الله عسك السموات والارض أن تزولا وإن زلزلنا أن أمسكهم من أحد من بعده انه كان حليما غفورا) ويحتمل ان يقال لما بين شركهم قال مقضى شركهم زوال السموات والارض كما قال تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن وأدوا يدل على هذا قوله تعالى في آخر الآية انه كان حليما غفورا كان حليما ما ترك تعذيبهم الاخوانه والاكلوا يستحقون اسقاط السماء وانطابق الارض عليهم وإنما أخر ازاله السموات إلى قيام الساعة حليما وتحمل الآية وجهان الاول هو أن يكون ذلك من باب التسليم والنيات المطلوب على تقدير التسليم أيضا كأنه تعالى قال شركاءكم ما خلقوا من الارض شيئا ولا في السماء جزءا ولا قدروا على الشفاعة والعبادة لهم وهب انهم فعلوا شيئا من الاشياء فهل يقدرون على امساك السموات والارض ولا يمكنهم القول بانهم يقدرون لانهم ما كانوا يقولون به كما قال تعالى ونسألتهم من خلق السموات والارض يقولون الله ويريد هذا قوله وإن زلزلنا أن أمسكهم من أحد من بعده فإذا تبين أن لا معبود الا الله من حيث ان غيره لم يخلق من الاشياء وأما قال الكافر بأن غيره خلق فخلق مثل ما خلق فلا شرك له انه كان حليما غفورا حليما حيث لم يجعل في هلاكهم بعد اضرامهم على اشراكهم وغفورا يعفر لمن تاب ورجعه وان استحق العذاب ثم قال تعالى (وأقسموا بالله جهد أيمانهم من جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الامم فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا استكبارا في الارض ومكر السيئ ولا يخفى المصكر السيئ الاباهله) لما بين انكارهم التوحيد ذكر تكذيبهم للرسول ومبايعتهم فيه حيث انهم كانوا يقسمون على انهم لا يكذبون الرسل اذا تبين لهم كونهم رسلا وقالوا انما نكذب محمد صلى الله عليه وسلم لكونه كاذبا واوتيين لنا كونه رسولا كما قال تعالى عنهم وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية لؤمنن بها وهذا مبايعة منهم في التكذيب كان من يشكركم ان كان قديقول والله لو علمت ان له شيئا على قضيتة وزدت له اظهم ان لكونه مطايبا باطل فكذلك هم طاعندوا وقالوا والله اوجاءنا رسول لكننا أهدى الامم فلما جاءهم نذير أي محمد صلى الله عليه وسلم جاءهم أي صحح مجيئه لهم بالبينه ما زادهم الا نفورا فانهم قبل الرسالة كانوا كافرين بالله وبعد اصابوا كافرين بالله ورسوله ولأنهم قبل الرسالة ما كانوا معذبين كما صاروا بعد الرسالة وقال بعض المفسرين ان أهل مكة كانوا يلعنون اليهود والنصارى على انهم كذبوا برسلهم لما جاءهم وقالوا الجاءنا رسول لاطعنا واتبعنا وهذا فيه اشكال من حيث أن المشركين

زوالهما أو تنهما أن تزولا لان امساكك منكم (ولئن زلزلنا أن أمسكهم) أي ما أمسكهم (من أحد من بعده) من بعد امساككم تعالى أو من بعد الزوال

والجملة سادة مسد الجوابين ومن الاولى من يدنا كيد العموم والثانية للابتداء (انه كان جليلا غفورا) غير معاجل بالغفوة بقاى تستوجبها اجاباتهم حيث امسكهما وكاشا جذيرتين ❦ ٥٤ ❦ بان تهدا احسبا قال تعالى تكاد السحوات

يتفطرن منسه ونسحق
الارض وقرى ولوزا
(واقسموا بالله جهد
ايمانهم انهم جاءهم نذير
ايكون اهدى من احدى
الامم) بالغ قرى شافيل
مبعث رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان اهل
الكتاب كذبوا رسالهم
فقالتوا ليس الله اليهود
والنصارى انهم الرسل
فكذبوا هم فوالله ان
انما نارسول النكون
اهدى من احدى الامم
اليهود والنصارى
وغيرهم اومن الامة
التي يقال لها احدى
الامم تفضيلا لها على
غيرها في الهدى
والاستقامة (فلما جاءهم
نذير) وأي نذير اشرف
الرسول عليهم الصلاة
والسلام (ما زانهم)
أي النذير أو مجيئ
(الانفورا) تباعدا
عن الحق (استكبارا
في الارض) بدل من نفور
أو مغفول له (ومكر
السبي) اعطاه وأن
مكر والسبي أي
ثم مكر السبي وقرى
بسكون الهمز في الوصل

كانوا متكرين للرسالة والحشر مطبعا فكيف كانوا يعترفون بالرسول فمن أين عرفوا ان
اليهود كذبوا وما جاءهم كتاب ولولا كتاب الله وبيان رسوله من أين كان يعلم المشركون
انهم صدقوا شيئا وكذبوا في شيء بل المراد ما ذكرنا انهم كانوا يقولون نحن لوجه نارسول
لا نكفر وانما نكفر كون محمد رسولا من حيث انه كاذب ولو صح كونه رسولا لا تناو قوله
فلما جاءهم أي فلما صح لهم بحبسه بالهجرة وفي قوله اهدى وجهان (أحدهما) أن يكون
المراد اهدى مما نحن عليه وعلى هذا قوله من احدى الامم اللتين كما يقول القائل زيد
من المسلمين ويدل على هذا قوله تعالى فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا أي صاروا أفضل
مما كانوا وكانوا يقولون نكفون اهدى (وثانيهما) أن يكون المراد أن نكون اهدى من
احدى الامم كما يقول القائل زيد اولى من عرو وفي الامم وجهان (أحدهما) أن يكون
المراد العموم أي أي احدى الامم وفيه تعريض (وثانيهما) أن يكون المراد
تعريف العهد أي أمة محمد موسى وعيسى ومن كان في زمانهم ثم قال تعالى استكبارا في
الارض ونصبه يحتل ثلاثة أوجه (أحدها) أن يكون حالاً أي مستكبرين في الارض
(وثانيها) أن يكون مفعولاً أي للاستكبار (وثالثها) أن يكون بدلا عن النفور وقوله
ومكر السبي إضافة الجنس الى نوعه كما يقال علم الفقه وحرفة الحدادة وتحقيقه أن يقال
مستاه ومكروا مكر استباح ثم ترك التعريف باللام وأضيف الى
السبي لكون السوء فيه أي بين الامور ويعمل ان يقال بأن المكرب يستعمل استعمال
العمل كذا ذكرنا في قوله تعالى والذين يكرهون السيئات أي يعملون السيئات ومكرهم
السبي وهو جوع ما كان يصدر منهم من القصد الى الايذاء ومنع الناس من الدخول في
الايمن واظهار الاستكبار ثم قال ولا يحق المكر السبي الأباهله أي لا يحيط الابغضه وفي
قوله ولا يحق وقوله الأباهله فوالله ما قوله بتحقيق ذهبي أنها تأتي عن الاحاطة التي هي
فوق الحقوق وفيه من التحذير ما ليس في قوله ولا يلحق أو لا يصل وأما في قوله بأنه فقيه
ما ليس في قول القائل ولا يحق المكر السبي الا بما كرى لا يأمن من المسي فان من أساء
ومكره سي آخر قد لحقته جزاء على سيئه وأما اذا لم يكن سيئا فلا يكون أهلا فيأمن المكر
السبي وأما في التي والاثبات فقائده الحصر بخلاف ما يقول القائل المكر السبي بتحقيق
بأهله فلا ينبغي عن عدم الحقيق بغير أهله فان قال قائل كثير ما نرى ان الماكر يكر ويبيده
المكرو ويقلب الحصر بالمكرو الآية تدل على عدم ذلك فنقول الجواب عنه من وجوه
(أحدها) ان المكر المذكور في الآية هو المكر الذي مكروه مع النبي صلى الله عليه وسلم
من العرب على القتل والاخراج ولم يحق الا بهم حيث قتلوا يوم بدر وغيره (وثانيها) هو ان
نقول المكر السبي عام وهو الاصح فان النبي عليه السلام نهى عن المكرو وأخبر عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال لا تمكروا ولا تعينوا مأكرا فان الله يقول ولا يحق المكر السبي
الأباهله وعلى هذا فذلك الرجل المذكور به يكون أهلا فلا يرد نفضا (وثالثها) ان الامور

وله اختلاس فلن سكونا ووقفة حقة وقرى مكراسيا (ولا يحق المكر السبي الأباهله) ❦ بموافيقها ❦

فهل ينظرون) أى ما ينظرون (الاسنة * ٥٥ (الاولين) أى سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم (فلن تجد لسنة الله

تبديلا) بأن يضع موضع
العذاب غير العذاب
(ولن تجد لسنة الله
تحويلا) بأن ينقله من
المكذبين الى غيرهم
وانقاء لتعليل ما يفعله
الحكم بانظارهم العذاب
من تحيئة نفى وجدان
التبديل والتحويل
عبارة عن نفى وجودهما
بالطريق البرهاني
وتخصيص كل منهما
بنفى مستقل لا يكيد
انتفاهما (أوليسيراوا
في الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم) استشهد
على ما قبله من جريان
سنة تعالى على تعذيب
المكذبين بما يشاهدونه
في مسيرهم الى الشام
واليمن والعراق من
آثار دمار الامم الماضية
العانية والهجرة للانكار
والنفى والاولاء عطف
على مقدر يلين بالقام
أى أقدموا في مساكنهم
ولم يسيراوا في الارض
فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم
(وكانوا أشد منهم
قوة) واطول أعمارا

بمواقبها ومن مكر به غير، ونقد في المنكر عاجلا في الظاهر في الحقيقة هو الفائز والمناكر
هو الهالك وذلك مثل راحة الكافر ومشقة المسلم في الدنيا وبين هذا المعنى قوله تعالى
فهل ينظرون الاسنة الاولين يعنى اذا كان لمكرهم في الحبال رواج فالعاقبة للقوى
والامور بنواحيها فهل يكون كما هلك الاولون * وقوله تعالى (فهل ينظرون الاسنة
الاولين) أى ليس لهم بعدها الانتظار الاهلاك وهو سنة الاولين وفيه مسائل
(المسئلة الاولى) الاهلاك ليس سنة الاولين انما هو سنة الله بالاولين فتقول الجواب
نعم من وجهين (أحدهما) أن المصدر الذي هو المفعول المطلق يضاف الى الفاعل
والمفعول لتعلقه بهما من وجه دون وجه فيقال فيما اذا ضرب زيد عرا عجت من
ضرب عمرو وكيف ضرب مع ماله من العزم والقوة وعجت من ضرب زيد كيف ضرب مع ماله
من العلم والحكمة فكذلك سنة الله بهم أضافها اليهم لانها سنة سنتهم وأضافها الى
نفسه بعدها بقوله (فلن تجد لسنة الله تبديلا) لانها سنة من سنن الله اذا علمت هذا فتقول
أضافها في الاول اليهم حيث قال سنة الاولين لان سنة الله الاهلاك بالاشراك والاكرام
على الاسلام فلا يعلم انهم ينظرون ايها فاذا قال سنة الاولين تميزت وفي الثاني أضافها
الى الله لانها لما علمت فالأضافة الى الله تعظمها وتبين أنها امر واقع ليس لها من دافع
(وثانيهما) ان المراد من سنة الاولين استمرارهم على الانكار واستكبارهم عن الاعتراف
وسنة الله استنصافهم باصرارهم فكانه قال انتم تريدون الاتيان بسنة الاولين والله يأتي
بسنة لا تبديل لهما ولا تحويل عن مستحقها (المسئلة الثانية) التبديل نحويل فما الحكمه
في التكرار بقوله فلن تجد لسنة الله تبديلا حصل العلم بان العذاب لا تبديل له بغيره
وبقوله (ولن تجد لسنة الله تحويلا) حصل العلم بان العذاب مع انه لا تبديل له بالتحويلات
لا يتحول عن مستحقه الى غيره فيتم تعذيب المنى (المسئلة الثالثة) المخاطب بقوله فلن تجد
يشتمل وجهين وقد تقدم مرارا (أحدهما) ان يكون عاما كأنه قال فلن تجد ايها السامع
لسنة الله تبديلا (والثاني) ان يكون مع محمد صلى الله عليه وسلم وعلى هذا فكانه قال
سنة الله انه لا يهلك ما بقى في القوم من كتب الله ايمانه فاذا آمن من في علم الله انه يؤمن
بهلك الباقي كما قال نوح انا ان تذرهم أى تعجل الامر وجاء وقت سنك * ثم قال تعالى
(أولم يسيراوا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة)
لما ذكر ان الاولين سنة وهى الاهلاك بينهم يند كبر حال الاولين فانهم كانوا مارين
على ديارهم راين آثارهم واعلمهم كان فوق املهم وعلمهم كان دون علمهم اما الاول
فأطول أعمارهم وشدة اقتدارهم واما علمهم فلانهم لم يكذبوا مثل محمد ولا محمد وأتم
بأهل مكة كذبهم محمد ومن تقدمه قوله تعالى وكانوا أشد منهم قوة قد ذكرنا في سورة
الروم بقى فيه الجحك (الاول) قال هناك كانوا أشد من غير واو وقال ههنا بالاولاء والفرق
نقول قول القائل اما رأيت زيدا كيف أكرمنى وأعظم منك يفيدان القائل يخبره بان زيدا

فانفعهم طول المدى وما أغنى عنهم شدة القوى ومحل الجملة النصب على الحالية

وقوله تعالى (وما كان الله ليعجزه من شيء) أى ليسبقه ويفوته * ٥٦ * (فى السموات ولا فى الارض)

أعظم وإذا قال أما رأيته كيف أكرمنى هو أعظم منك يفيد انه تقرر ان كلا المعنيين حاصل عند السامع كأنه رآه أكرم دوراه أكرمه ولا شك ان هذه العبارة الأخيرة تفيد كون الأمر الثانى فى الظهور مثل الأول بحيث لا يحتاج الى اعلان من المتكلم ولا اخبار اذا علمت هذا فتقول المذكور ههنا كونهما أشد منهم قوة لا غير وأعل ذلك كان ظاهرا عندهم فقال يا وائى نصر كم كما يقع على عاقبة أمرهم يقع على قوتهم وأما ههنا كذا كور أشياء كثيرة فانه قال كانوا أشد منهم قوة وأما رآوا الارض وعروها وفى موضع آخر قال أفلم يسبروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآمروا فى الارض وأعل علمهم لم يحصل بانارتهم الارض أو يكثرتهم ولكن نقص القوة وبرهانهم فيما علمهم كان معلوما عندهم فان كل طائفة تعتقد فى نفسها أنهم أقوى منهم ولا نزاع فيه * وقوله تعالى (وما كان الله ليعجزه من شيء فى السموات ولا فى الارض انه كان عليا قديرا) يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون بيانا لهم أى ان الاولين مع شدة قوتهم ما عجزوا الله وما قاتوه فهم أول بار لا يعجزوه (والثانى) أن يكون قطعاً لا يطلع الجهنم فان قائلا لو قال هب ان الاولين كانوا أشد قوة وأطول أعمارا لكننا نسخرج بك كاشما يزيد على قواهم ونستعين بأمور أرضية بها خواص أو كواكب سماوية لها آثار فقال تعالى (وما كان الله ليعجزه من شيء فى السموات ولا فى الارض انه كان عليما بأفعالهم وأقوالهم قديرا على اهلاكم واستقصائهم * ثم قال تعالى (ولو يؤاخذ الله الناس بآثامهم لفسدوا) أى لفسدوا على ظنهم من دابة ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم من الله كان لعباده بصيرا) لما خوف الله المكذبين من مسمى وكانوا من شدة عنادهم وفساد اعتقادهم يستعجلون بالعذاب ويقولون عجل لنا عذابا فقال الله للعذاب أجل والله لا يؤاخذ الناس بنفس الظلم فان الانسان ظلموم جهول والناس يؤاخذ بالضرار وحصول بأس الناس عن ايمانهم ووجود الايمان من كتب الله ايمانه فاذ لم يبق فيهم من يؤمن بهلك المكذبين ولو أخذهم بنفس الظلم لكان كل يوم اهلاك وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اذا كان الله يؤاخذ الناس بما كتبوا فإياك الدواب بهلكون تقول الجواب من وجوه (أحدها) ان خلق الدواب نعمة فاذا كفر الناس بربيل الله النعم والدواب أقرب انهم لان المفرد أو لائم المركب والمركب اما أن يكون معدنيا واما أن يكون ناميا والنامى اما أن يكون حيوانا واما أن يكون نباتا والحيوان اما انسان واما غير انسان فالدواب أعلى درجات المخاوف فى عالم العناصر للانسان (الثانى) هو ان ذلك بيان لشدة العذاب وعمومه فان بقاء الاشياء بالانسان كما ان بقاء الانسان بالاشياء وذلك لان الانسان يدبر الاشياء ويصلحها فتبقى الاشياء ثم ينفع بها الانسان فيبقى الانسان فاذا سكن الهلاك عاما لا يبقى من الانسان من يعمر فلا تبقى الابنية والزروع فلا تبقى الحيوانات الاهلية لان بقاءها يحفظ الانسان ايها عن التلف والهلاك بالنسبة والعلف

اعتراض مقرر لما يفهم مما قبله من استئصال الائم السالفة وقوله تعالى (انه كان عليا قديرا) أى مبالغا فى العلم والقدرة ولذلك علم بجميع أعمالهم السبئية فعاقبهم عوجبها لتعليل لذلك (ولو يؤاخذ الله الناس بآثامهم لفسدوا) أى من السبآت كما فعل أولئك (ما زلت على ظنهم) أى على ظنهم الارض (من دابة) من نسمة تدب عليها من نى آدم وحواء ومن غيرهم أيضا من شوم معاصيهم وهو المروى من ابن مسعود وأبو اسحق بن عيسى عنهما (ويؤاخذ الاول قواه تعالى) ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى (وهو يوم اقيامة) فإذا جاء أجلهم فان الله كان لعباده بصيرا) فيجازيهم عند ذلك بأعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر * عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (والسلام من قرأ سورة المائدة كدعت ثمانية أبواب الجنة أن أدخل من أى باب شئت والله تعالى أعلم

فيس مكية وعنه عليه الصلاة والسلام تدعى ﴿ ٥٧ ﴾ المكية ثم صاحبها خبر الدارين والدافعة والقاضية

تدفع عنه كل سوء وتغني له كل حاجة وأنها ثلاث وتماون ﴿ باسم الله الرحمن الرحيم ﴾ * (يس) اما سر ود على هذا التعديد فلا حظ له من الاعراب أو اسم السورة كالتص عليه الخليل وسبويه وعليه الأكثر فعمله الرفع على أنه خبرية تدل بحذف أو التخصيص على أنه مفعول الفعل مضمر وعليهما مدار قراءة يس بالرفع والتخصيص أي هذه يس أو أقرأ يس ولا مسامح للتخصيص باعتبار فعل التسم لأن ما بعده مفسر به وقيل أبو الجهم بين قسعين على شيء واحد قبل التخصيص أو قول ولا مجال لا مطلق لا خلا فيهما اعتراضا وقيل هو مجرور باعتبار ما التسم مفتوح ليكون غير منصرف كما سلف في فاتحة سورة البقرة من أن ما كانت من هذه الفواتح مفردة مثل صاد وقاف وتون أو كانت موازنة لمجرد نحو طس ويس وحج

ثالث) هو أنزال المطر هو انعام من الله في حق العباد فإذا لم يستحقوا الانعام قطعت مطار عنهم فيظهر الجفاف على وجه الأرض فتوت جميع الحيوانات وقوله تعالى ترك على ظهرها من دابة نوع الدابة الثالثة لأن بسبب انقطاع الأمطار توت حيوانات رماحي ونباتات الجحر فتعاش بها البحار (المسئلة الثانية) قوله تعالى على ظهرها كتابة في الأرض وهي غير مذكورة فكيف علم نقول مما تقدم وبما أخر أماما تقدم فقوله بأن الله لا يعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض فهو أقرب المذكورات الصالحة ود الهائل بها وأما تأخر قوله من دابة لأن الدواب على ظهر الأرض فإن قيل يف يقال لما عليه الخلق من الأرض وجه الأرض وظهر الأرض مع أن الوجه مقابل ظهر كالمضاد نقول من حيث أن الأرض كالدابة الحاملة للأنفال والخلق يكون على ظهر يقال له ظهر الأرض ومن حيث أن ذلك هو المقابل للخلق المواجه لهم يقال له وجهها على أن الظاهر في مقابلة البطن والظاهر والظاهر من باب البطن والبطن من ب فوجه الأرض ظهر لأنه هو الظاهر وغيره منها بطن وبطن (المسئلة الثالثة) في قوله تعالى ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى وخو (أجدها) إلى يوم القيامة وهو مسمى مذکور في مواضع (تأخوها) يوم لا يوجد في الخلق من يؤمن على ما تقدم (تأخوها) لكل أمه أجل ولكل أجل كتاب وأجل قوم محمد صلى الله عليه وسلم أيام القتل الأسير كيوم يدرونها (المسئلة الرابعة) قوله تعالى فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده صبورا قاسية للمؤمنين وذلك لأنه تعالى لما قال ما ترك على ظهرها من دابة وقال لا تصبرين الذين ظلموا منكم خاصة قال فإذا جاء الهلاك قاله بالعباد بصير إمامان يتجهن أو يكون لوفيهن مقر بيامن الله لا تعذيبا لا يقال قد ذكرت أن الله لا يؤخذ بعجز الظلم والنار أخذ حين يجتمع الناس على الضلال وتقول أنه تعالى عند الإهلاك يهلك المؤمن من فكيف هذا نقول قد ذكرنا أن الإمامة والأئمة إن كان لا تعذيب فهو مؤاخفة بالنسب وأهلاك وإن كان لا يوصل الشواب فليس يهلك ولا يؤخذ عذبة والله لا يؤخذ إلا بالنسب الاعتد عدم الكفر وقوله بصيرا تعظائم في النسبية من العليم وغيره لأن البصير بالشيء الناظر اليد أولى بالأنبياء من العالم بحاله دون أن يراد الله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(سورة يس ثمانون وثلاث آيات مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يس والقرآن الحكيم قد ذكرنا كلاما كليسا في حروف التهجى في سورة العنكبوت وذكرنا أن في كل سورة بدأ الله فيها بحرف التهجى كان في أوائلها ذكر أو الكتاب أو القرآن ولتذكر ههنا إجماعنا (البحث الأول) هو أن في ذكر هذه الحروف في أوائل السور أمور تدل على أنها غير خالية عن الحكمة ولكن علم الإنسان لا يصل إليها بعينها

الوازنة أقاويل وهما يلين أني فيهما الاعراب ﴿ ٥٨ ﴾ سا لا تقضى ذكر سبويه في باب أاما

السور من كتابه وقبل هـ ما حررنا بناءً على حيش وأين ﴿٥٨﴾ حسبما يشهد بذلك قراءة بس بالكسر كبير وقبل

الفتح والكسر تحريك
للجد في الهرب من القاء
الساكنين وعن ابن
عباس رضي الله عنهما
أن معناه يا انسان في نقذ
حبي قاتوا المراد به رسول
الله صلى الله عليه وسلم
ولعل أصله يا أنيسين
فاقصم على شطره كما
قيل من الله في أين الله
(والقرآن) بالجر على
أنه مقسم به ابتداء وقد
جوز أن يكون عطفاً على
يس على تقدير كونه
مجروراً بضمير باد القسم
(الحكيم) أي المتفهمين
للحكمة أو الناطقين بها
بمخرج الاستعارة
أو المتصرف بها على الأ
سناد المجازي وقد جوز
أن يكون الأصل الحكيم
قائله فحذف المضاف
وأقيم المضاف إليه مقامه
في ابتداءه مفعولاً بعد
الجر استكن في الصفة
المشبهة كما مر في صدر
سورة لقمان (انك لمن
المرسلين) جواب للسقم
والجملتان دلتان الكفرة
بقولهم في حقه عليه
الصلاة والسلام لست
مرسلاً وهذه الشهادة

فقول ما هو الكلي من الحكمة فيها أما بيان أن فيها ما يدل على الحكمة فهو أن الله
تعالى ذكر من الحروف نصفها وهي أربعة عشر حرفاً وهي نصف ثمانية وعشرين حرفاً
وهي جميع الجروف التي في لسان العرب على قولنا الهمزة ألف متحركة ثم انه تعالى قسم
الحروف ثلاثة أقسام تسعة أحرف من الألف الى الذال وتسعة أحرف أخرى آخر
الحروف من الفاء الى الياء وعشرة من الوسط من الراء الى العين وذكر من القسم الاول
حرفين هما الألف والهاء وترك تسعة وترك من القسم الآخر حرفين هما الفاء والواو
وذكر تسعة ولم يترك من القسم الاول من حروف الخلق والصدر الا واحداً لم يذكره وهو
الخاء ولم يذكر من القسم الآخر من حروف الشفة الا واحداً لم يتركه وهو الميم والعشر
الاواسط ذكر منها حرفاً وترك حرفاً فذكر الراء وترك الراء وذكر السين وترك السين وذكر
الصاد وترك الضاد وذكر الطاء وترك الطاء وذكر العين وترك العين وليس هذا أمر يقع
اتفاقاً بل هو ترتيب مقصود فهو لحكمة وأما أن عن بعضها غير معلومة فظاهر وهب أن
واحداً يدعى فيدشئنا فاذ يقول في كون بعض السورة مفتحة تعرف كسورة نون وص
وبعضها بخرفين كسورة حم وبس وطس وطله وبعضها بثلاثة أحرف كسورة الم
وطسم والار وبعضها بأربعة كسورة في المرو والمص وبعضها بخمسة أحرف كسورة
حم عسق وكهيمص وهب أن قلنا يقول أن هذا إشارة الى أن الكلام اما حرف واما
فعل واما اسم والحرف كثيرا ما جاء على حرف كواو والعطف وفاء والتعقيب وهذه
الاستفهام وكاف التشديد والاصاق وغيرها وجاء على حرفين كمن للتبعض وأوال تخيير
وأم الاستفهام المتوسط وإن الشرط وغيرها والاسم والفعل والحرف جاء على ثلاثة أحرف
كالي وعلى في الحرف والى وعلا في الاسم والأيا لوعلا يعملو في الفعل والاسم والفعل
جاء على أربعة والاسم خاصة جاء على ثلاثة وأربعة وخمسة كفعل وسبحل وجر دخل
فجاء في القرآن إشارة الى أن تركيب العربية من هذه الحروف على هذه الوجوه فإذا
يقول هذا القائل في تخصيص بعض السور بالحرف الواحد والبعض بأكثر فلا يعا
تمام السر الا الله ومن أعلم الله به اذا علمت هذا فتقول اعلم أن العباد منها قلبية ومنها
لسانية ومنها جارية وكل واحدة منها قسمان قسم عقل معناه وحقيقته وقسم لم يعلم أما
القلبية مع انها أبعد عن الشك والجهل ففهم ما لم يعلم دليله عقلا وانما واجب الايمان به
والاعتقاد سمعا كالصراط الذي أرق من الشجرة واحد من السيف وعمر عليه المؤمن
والموقن كالبرق الخاطف والميران الذي توزن به الاعمال التي لا تنقل لها في نظر الناظر
وكيفات الجنة والنار فان هذه الاشياء وجودها لم يعلم بدليل عقلي وانما المعلوم بالعقل
امكانها ووقوعها معلوم مقطوع به بالسمع ومنها ما علم كالتوحيد والنبوة وقدرة الله
وصدق الرسول وكذلك في العبادات الجارية ما علم معناه وما لم يعلم كمقادير النصب
وعدد الركبات وقد ذكرنا الحكمة فيه وهي ان العبد اذا أتى بما أمر به من غير ان يعلم

و يبينكم وفي تخصيص القرآن بالاقسام به أولا ٥٩ و بوصفه بالحكيم ثانيا تنويه بشأنه وتنبية على أنه

ما فيه من الفائدة لا يكون الآتيا بمحض العبادة بخلاف ما لو علم القائدة فرما يأتي
للفائدة وان لم يؤمن كالوقال السيد اعبد هذه الحجارة من ههنا ولم اجد بها في النفل
فقلها ولو قال انقلها فان تحتها كنزها ولك ينقلها وان لم يؤمن اذا علم هذا فكذلك في
العبادات الاسانية الذكري فوجب أن يكون منها ما لا يفهم معناه حتى اذا تكلم به العبد
علم معناه لا يقصد غير الانقياد لامر العبود الامر الناهي فاذا قال حميس الملمس
علم انه لم يذكر ذلك ليعني يفهمه أو يفهمه فهو يتلفظ به اقامة لما أمر به (البحت الثاني)
قيل في خصوصه يس انه كلام هو نداء معناه يا انسان وتقريره هو ان تصغر انسان
انيسين فكانه حذف المصدر منه واخذ العجز وقال يس اي انيسين وعلى هذا يحمل أن
يكون الخطاب مع محمد صلى الله عليه وسلم ويدل عليه قوله تعالى بعده انك لمن المرسلين
(البحت الثالث) قرئ يس اما بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف هو قوله هذه كأنه قال
هذه يس واما بالضم على نداء المفرد أو على انه معنى كيث وقرئ يس اما بالنصب على
معنى اتل يس واما بالفتح كآين وكيف وقرئ يس بالكسر كجبر لاسكان الياء وكسرة
ما قبلها ولا يجوز أن يقال بالجر لان ضمائر الجار غير جاز و يس فيه حرف قسم ظاهر وقوله
تعالى والقرآن الحكيم أي ذى الحكمة كهيئة راضية أي ذات رضا وعلى انه ناطق
بالحكمة فهي كالحى المتكلم وقوله تعالى (انك لمن المرسلين) مقسم عليه وفيه مسائل
(المسئلة الاولى) الكفار انكروا كون محمد رسلا والمطالبت ثبت بالدليل لانا قسم
فما الحكمة في اقسام نقول فيه وجوه (الاول) هو أن العرب كانوا يتوقفون الايمان
بالفاجرة وكانوا يقولون ان المؤمنين الفاجرة توجب خراب العالم وصحح النبي صلى الله عليه
وسلم ذلك بقوله المؤمنين الكاذبة تدع الدليل بلا قوم ثم انهم كانوا يقولون ان النبي صلى الله
عليه وسلم يصيبه من آهنتهم عذاب وهي الكواكب فكان النبي صلى الله عليه وسلم
يخلف بأمر الله وازال كلامه عليه وبأشياء مختلفة وما كان يصيبه عذاب بل كان كل
يوم أرفع شأنه وأمنع مكانا فكان ذلك يوجب اعتقاد انه ليس بكاذب (الثاني) هو ان
المنظرين اذا وقع بينهما كلام وغلب أحدهما الآخر بمشقة دليله وأسكنه يقول
المطلوب انك قررت هذا بقوة جدالك وانت خير في نفسك بضعف مقابلك وتعلم أن الامر
ليس كما تقول وان أتت عليه صورة دليل وعجزت أناعق القدر فيه وهذا كثير الوقوع
بين المناظرين فعند هذا لا يجوز أن يأتي هو بدليل آخر لان الساكت المنقطع يقول في
الدليل الآخر ما قاله في الاول فلا يجد أمرا الا المؤمنين فيقول والله اني لست مكابرا وان
الامر على ما ذكرت ولو علمت خلافة رجعت اليه فههنا يتعين اليقين فكذلك النبي صلى
الله عليه وسلم لما أقام البراهين وقالت الكفرة ما هذا الا رجل يريد أن يصدكم وقالوا
الحق لما جاءهم ان هذا الاسحريين تعين التسك بالايمان لعدم فائدة الدليل (الثالث)
هو ان هذا ليس مجرد الحلف وانما هو دليل خرج في صورة اليقين لان القرآن معجزة ودليل

كاشد برسالته عليه
الصلوة والسلام من
حيث نطقه المعجز
المنطوي على بدائع
الحكم يشهد بها من
هذه الحثية أيضا لما
أن الاقسام بالشئ
استشهادية على تحقق
مضمون الجملة القسمية
وتقوية شبهة فيكون
شاهدا به ودليلا عليه
قطعا وقوله تعالى (على
صراط مستقيم) خبر
آخر لان أحوال من
المستكن في الجبار
والجبرور على أنه عبارة
عن الشريعة الشريفة
بكالها لا عن التوحيد
فقط وفائدته بيان
أن شريعته عليه
الصلوة والسلام أقوم
الشرائع وأعدلها
كما عرّب عنه التكبير
التفخيم والوصف
أثر بيان أنه عليه
الصلوة والسلام من
جملة المرسلين بالشرائع
(تنزيل العزيز الرحيم
نصب على المدح
وقرئ بالرفع على أنه
خير مبتدأ محذوف
وبالجر على أنه بدل
من القرآن وأيا ما كان فهو مصدر بمعنى المفعول عبر به عن القرآن بيانا لكمال عراقته في كونه منزلا من عند الله عز وجل كأنه نفس

الكريمين العزيرين
عن الغلبة العامة والافعة
العامة حث على الايمان
به ترهيبا وترغيبا
واسعار بأن تنزيله ناشئ
عن غاية الرحمة حسبا
فطبق به قوله تعالى
وما أرمناك الا رحمة
للعالمين وقبل النصيب
على أنه مصدر مؤنكد
لفعله المضمر أى نزل
تنزيل العزيز الرحيم
على أنه استشفاف موقو
ليبان ما ذكر من فخامة
شأن القرآن وعلى كل
تقدير ففريد فضل
بأن كيد لمضمون الجملة
القسمية (لتذرك) متعلق
بتزويل على الوجوه
الاول وبما له المضمر
على الوجه الاخير أى
لتذرك به كافي صدر
الاعراف وقيل هو
متعلق بما يدل عليه من
المرسلين أى أنك
مرسل لتذرك (قوما
ما أُنذروا أبائهم) أى
لم يذنبوا أبائهم الا قربون
تطاول مدة الفترة
على أن ما نافية فيكون
صفة مبنية نغاية
احتياجهم الى الانذار

كونه مرسل هو المعجزة والقرآن كذلك فان قيل فلم يذكر في صورة الدليل وما
الحكمة في ذكر الدليل في صورة اليقين قلنا الدليل ان ذكر لا في صورة اليقين قد لا يقبل عليه
سامع فلا يقبله فؤاده فاذا ابتدئ به على صورة اليقين واليدين لا يقع لاسيما من العظيم
الاعلى أمر عظيم والامر العظيم تتوفر الدواعى على الاصغاء اليه فلو صورة اليقين تشرب
اليه الاجساد ولكونه دليلا شافيا ينشر به انقوائه فيقع في السمع وينفع في القلب
(المسئلة الثانية) كون القرآن حكما عندهم لكون محمد رسولا فلهم ان يقولوا ان هذا
ليس بقسم تقول الجواب عنه من وجهين (أحدهما) ان كون القرآن معجزة بين ان
أنكروه قبل لهم فأنوا بسورة من مثله (والثاني) ان العاقل لا يفتي بين غيره الا اذا حلف
بما يعتقد عظيما فكافران حلف بمحمد لا نصدقه كما نصدقه لو حلف بالصليب والصنم ولو
حلف بديننا الحق لا يؤثق بل ما يؤثق او حلف بدينه الباطل وكان من المعلوم ان النبي صلى
الله عليه وسلم وأصحابه يعظمون القرآن لحلفه به هو الذي يوجب تقديهم به * وقوله تعالى
(على صراط مستقيم) خبر بعد خبر أى لك على صراط مستقيم والمستقيم أقرب الطرق
الموصلة الى المقصد والدين كذلك فانه توجه الى الله تعالى وتولى عن غيره والمقصود هو الله
والتوجه الى المقصد أقرب اليه من المولى عنه والمنحرف منه ولا يذهب فهم أحد الى ان
قوله أنك منهم على صراط مستقيم بمنزلة عن غيره كما يقال ان محمدا من الناس مجنى لان جميع
المرسلين على صراط مستقيم وانما المقصود بيان كون النبي صلى الله عليه وسلم على الصراط
المستقيم الذى يكون عليه المرسلون وقوله على صراط مستقيم فيه معنى لطيف يعلم منه
فساد قول المباحية الذين يقولون المكاف بصير واصلا الى الحق فلا يبقى عليه تكليف
وذلك من حيث ان الله بين ان المرسلين ما داموا في الدنيا فهم سالكون سالكون مهتدون
متجهون الى السبيل المستقيم فكيف ذلك الجاهل العاجز * وقوله تعالى (تنزيل
العزيز الرحيم) قرئ بالجر على أنه بدل من القرآن كأنه قال والقرآن الحكيم تنزيل
العزيز الرحيم انك لمن المرسلين لتذرك وقرئ بالتصديق وجهان (أحدهما) انه مصدر
فعله منوى كأنه قال تنزيل العزيز الرحيم لتذرك ويكون تصديره نزل القرآن
أو الكتاب الحكيم (والثاني) انه مفعول فعل منوى كأنه قال والقرآن الحكيم أعنى
تنزيل العزيز الرحيم انك لمن المرسلين لتذرك وهذا ما اخبره الزمخشري وقرئ الرفع على
انه خبر مبتدأ منوى كأنه قال هذا تنزيل العزيز الرحيم لتذرك ويحتمل وجها آخر على
هذه القراءة وهو أن يكون مبتدأ خبره لتذرك كأنه قال تنزيل العزيز للانذار وقوله
العزيز الرحيم اشارة الى أن الملك اذا أرسل رسولا فالرسل اليهم اما أن يخافوا المرسل
ويهيئوا المرسل وحيتند لا يقدر الملك على الانتقام منهم الا اذا كان عزرا أو يخافوا
المرسل ويكرموا المرسل وحيتند برحمة الملك أو تقول المرسل يكون معه في رسالته منع
عن أشياء واطلاق لأشياء فالمنع يؤكد المرة والاطلاق يدل على الرحمة * وقوله تعالى

أوالذى أنذره أو شيئا أنذره أبائهم الابدون على أنها موصولة أو موصوفة فيكون مفعولا ثانيا * لتذرك
لتذرك أو انذار أبائهم الابدمين

على أنها مصدرية فيكون تعال مصدر * ٦١ * مؤكداً أي لتنذر انذاراً كأنما مثل انذارهم (فهم غافلون)

(انشذرو قوماً انذاراً بهم فهم غافلون) قد تقدم تفسيره في قوله لتنذر قوماً انذاراً بهم من نذير من قبلك وقبل المراد الالبيات وهو على وجهين (أحدهما) لتنذر قوماً انذاراً بأنهم فتكون ما مصدرية (الثاني) ان تكون موصولة معناه لتنذر قوماً الذين انذاراً بأنهم فهم غافلون فعلى قولنا ما نافية تفسيره ظاهر فإن من لم ينذر أباًؤه بعد الانذار عنه فهو يكون غافلاً وعلى قولنا هي الالبيات كذلك لان معناه لتنذرهم انذاراً بأنهم فانهم غافلون وفيه مسائل (المسئلة الاولى) كيف يفهم التفسيران وأحدهما يقتضي أن لا يكون أباًؤه منذرين والآخر يقتضي أن يكونوا منذرين وبينهما تضاد نقول على قولنا ما نافية معناه ما انذاراً بأنهم الاولين لا يعني أن يكون المتقدمون من أبائهم منذرين والمتأخرون منهم غير منذرين (المسئلة الثانية) قوله لتنذر قوماً ما انذاراً بأنهم يقتضي ان لا يكون النبي صلى الله عليه وسلم ما موراً بانذار اليهود لان أبائهم انذروا نقول ليس كذلك اما على قولنا ما لالبيات لان في فطاهر وأما على قولنا هي نافية فكذلك وقد بينا ذلك في قوله تعالى بل هو الحق من ربك انشذرو قوماً ما انذاراً بهم من نذير من قبلك وقولنا ان المراد ان أبائهم قد انذروا بعد ضلالهم وبعذار سال من تقدم فان الله اذا أرسل رسلاً سلفاً دام في القوم من بين دين ذلك النبي وأمره لا يرسل الرسول في أكثر الأمر فاذا لم يبق فيهم من بين ويضل الكل وبقا عهدهم ويفشوا الكفر يبعث رسلاً آخر مقرر الدين من كان قبله أو واضع الشريعة آخر فمعنى قوله تعالى لتنذر قوماً ما انذاراً بأنهم أي ما انذروا بعد ما ضلوا عن طريق الرسول المتقدم واليهود والتصاري دخلوا فيه لانهم لم تنذر أباًؤه الاولين بعد ما ضلوا وهذا دليل على كون النبي صلى الله عليه وسلم عبوا بالحق الى الخلق كافة (المسئلة الثالثة) قوله فهم غافلون دليل على أن البعثة لا تكون الا عند الغفلة اما ان حصل لهم العلم بما أنزل الله بان يكون منهم من يبلغهم شريعة ويحالفونه فتحق عليهم الهلاك ولا يكون ذلك تعديماً من قبل أن يبعث الله رسلاً وكذلك من خالف الامور التي لا تنفق الى بيان الرسل يستحق الاهلاك من غير بعثه وليس هذا قولاً بذهب المعتزلة من التحسين والتفويض العنلي بل معناه ان الله تعالى لو خلق في قوم علماً بوجوب الاشياء وتركوه لا يكونون غافلين فلا يوقف تعذيبهم على بعثة الرسل ثم قال تعالى (لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون) لما بين أن الارسل أو الانزال للانذار أشار الى أن النبي صلى الله عليه وسلم ليس عليه الهداية المستلزمة للاهتداء وانما عليه الانذار وقد لا يؤمن من المنذرين كثيراً في قوله تعالى لقد حق القول وجوه (الاول) وهو الماشهور ان المراد من القول هو قوله تعالى حق القول مني لا ملأن جهنم منك ومن تبعك (الثاني) هو أن معناه لقد سبق في علمه ان هذا يؤمن وان هذا لا يؤمن ففسال في حق البعض انه لا يؤمن وقال في حق غيره انه يؤمن فحق القول أي وجد وثبت بحيث لا يبدل بغيره (الثالث) هو أن يقال المراد منه لقد حق القول الذي قاله الله على لسان الرسل من

على الوجه الاول
متعلق بنى الانذار
مترتب عليه والضرب
الفرعيين أي لم تنذر
أباًؤه فهم جميع الاجله
غافلون وعلى الوجه
الباقية متعلق بقوله
تعالى لتنذروا بما يفيد
انك لمن المرسلين وارد
لتعليل انذاره عليه
السلام أو ان سأل
يفعلهم الخوذة اليها
شئى أن الضمير القوم
خاصة فالعنى فهم
غافلون عند أي عما انذر
أباًؤه الاقدمون لامتداد
المدة واللام في قوله
تعالى (لقد حق القول
على أكثرهم) جواب
القسى أي والله لقد ثبت
وتحقق عليهم البتة
لكن لا بطريق الجبر
من غير أن يكون من قبلهم
ما يقتضيه بل بسبب
اصرارهم الاختيارى
على التكفر والانتكار
وعدم اثرهم من التذكير
والانذار وغلوهم في
العنوا والطغيان وتدابيرهم
في اتساع خطوات
انشطار بحيث لا يابوهم
مسارفة ولا يثبهم عاطف

كيف لا والمراد بما حق من القول قوله تعالى لا ليس عند قوله لاغويهم أجمعين لا ملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين وهو المعنى بقوله

تعالى لاملأنا جنهم من الجنة والناس أجمعين كما يلوح به تقديم الجنة على ﴿ ٦٢ ﴾ الناس فإنه كاترى قد اوقع فيه الحكم

النوحيد وغيره وبأن برهانه فأكثرهم لا يؤمنون بعد ذلك لأن من يتوقف لاستماع الدليل في مهلة النظر يرجح منه الايمان اذا بان له البرهان فاذا تحقق وأكديا لايمان ولم يؤمن أكثرهم فأكثرهم تبين انهم لا يؤمنون لمضى وقت رجاء الايمان ولا نهم للم يؤمنوا عند ماحق القول واستمر وافان كانوا يريدون شيأ أو ضح من البرهان فهو العيان وعند العيان لا يفيد الايمان وقوله على أكثرهم على هذا الوجه معناه أن من لم تبلغه الدعوة والبرهان فليؤمن فحق القول على أكثر من لم يوجد منه الايمان وعلى الاول والثاني ظاهراً أكثر الكفار ماتوا على الكفر ولم يؤمنوا (وفيه وجه رابع) وهو أن يقال لقد حقت كلمة العذاب العاجل على أكثرهم فهم لا يؤمنون وهو قريب من الاول ثم قال تعالى (انا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي الى الاذقان فهم مقمحون) الما بين انهم لا يؤمنون بين أن ذلك من الله قال انا جعلنا وفيه وجوه (أحدها) أن المراد انا جعلناهم مسكين لا يتقنون في سبيل الله كما قال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك (والثاني) أن الآية نزلت في ابي جهل وصاحبيه المخزوميين حيث حلف أبو جهل انه يرضخ رأس محمد فراه ساجداً وأخذ صخرة ورفعها ليرسلها على رأسه فالتزقت بيده وبه بعنقه (والثالث) وهو الأقوى وأشد مناسبة لما تقدم وهو أن ذلك كناية عن منع الله اياهم عن الاهتداء وفيه مسائل (المسئلة الاولى) هل لا وجهين الاولين مناسبة مع ما تقدم من الكلام نقول الوجه الاول له مناسبة وهي ان قوله تعالى فهم لا يؤمنون يدخل في انهم لا يصلون كما قال تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم أى صلاتكم عند بعض المفسرين وانزكاة مناسبة للصلاة على ما بينا فكانه قال لا يصلون ولا يزكون وأما على الوجه الثاني فمناسبة حقيقة وهي انه لما قال لقد حقت القول على أكثرهم وذكرنا أن المراد به البرهان قال بعد ذلك بل عاينوا أو بصروا ما يقرب من الضرورة حيث التزقت يده بعنقه ومنع من ارسال الحجر وهو يضطر الى الايمان ولم يؤمن من علم انه لا يؤمن أصلاً والتفسير هو الوجه الثالث (المسئلة الثانية) قوله فهي راجعة الى ماذا نقول فيها وجهان (أحدهما) انها راجعة الى الايدي وان كانت غير مذكورة ولكنها معلومة لان المغلول تكون أيديه مجموعة في الغل الى عنقه (وثانيهما) وهو ما اختاره التخشري انها راجعة الى الاغلال معناه انا جعلنا في أعناقهم أغلالاً لا تغلاظ بحيث تنبع الى الاذقان فلم يتمكن المغلول معهم أن يبطأ طي رأسه (المسئلة الثالثة) كيف يفهم من الغل في العنق المنع من الايمان حتى يجعل كناية فقول المغلول الذي بلغ الغل ذفته وبقي مضحاً رافع الرأس لا يبصر الطريق الذي عند قدمه وذكر بعده ان بين يديه سداً ومن خلفه سداً فهو لا يقدر على انتهاج السبيل ورويته وقد ذكر من قبل أن المرسل على صراط مستقيم فهذا الذي يهديه النبي الى الصراط المستقيم العنق جعل ممنوعاً كالمغلول الذي يجعل ممنوعاً من إبصار الطريق الحسى ويحتمل وجهاً آخر وهو أن يقال الاغلال في الاعناق عبارة عن عدم الانقياد فان المنقاد

بادخال جنهم على من تبع ابليس وذلك لتعليل له ببعيته قطعاً وثبوت القول على هؤلاء الذين عبر عنهم بأكثرهم ايماناً وليكونهم من جهة أولئك المفسرين على تبعية ابايس أبدأوا ذقتين أن مناط ثبوت القول وتحققه عليهم اصرارهم على الكفر الى الموت طهر أن قوله تعالى (فهم لا يؤمنون) متفرع في الحقيقة على ذلك لا على ثبوت القول وقوله تعالى (انا جعلنا في أعناقهم أغلالاً) تقرير لتعصيمهم على الكفر وعدم ارتدائهم عنه بمشيل حالهم تعالى الذين غلت أعناقهم (فهي الى الاذقان) أى لا اغلال متبهة الى اذقانهم فلا تدعهم يلتفتون الى الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه ولا يبطأون رؤسهم له (فهم مقمحون) رافعون رؤسهم غاضون أبصارهم بحيث لا يكدون يرون الحق أو يضربون جبهة (وجعلناون الى أيديهم سداً ومن بين

امانة للتبثيل وتكميله اى ٦٣ * تكميل اى وجعلنا مع ما ذكر من امامهم سدا عظيما ومن

ورائهم سدا كذلك
فقطبينهما ابصارهم
فهم بسبب ذلك لا يقدر
على ابصار شئ ما
اصلا واما تبثيل مستقل
فان ما ذكر من جعلهم
مخصورين بين سدين
هائلين قد غطيا
ابصارهم بحيث لا يرون
شيئا قطعا كفى في
الكشف عن كمال فطاعة
حالههم وكونهم محبوسين
في مطبوعة الخيال الجبال
محرومين عن النظر في
الادلة والآيات وقرئ
سدا بالضم وهى لغة
فيه وقيل ما كان من
عمل الناس فهو ياتق
وما كان من خلق الله
فبالضم وقرئ فاعشينا
من العشا وقيل الايمان
في بني مخزوم وذلك ان
ابا جهل حلف لبني
راى رسول الله صلى الله
عليه وسلم يصلى ليرى خن
رأسه فأتاه وهو عليه
الصلاة والسلام يصلى
ومعه حجر ليدفعه فلما
رفع يده انشبت يده الى
عنقه ولحق الحجر يده
حتى فكوه عنها بمجد
فرجع الى قومه فأخبرهم
بذلك فقال مخزومي آخر أنا قتله بهذا الحجر فذهب فاعنى الله تعالى بصره (وسواء عليهم

يقال فيه انه وضع رأسه على الخط وخضع عنقه والذي في رقبته الغل الخن الى الذن
لا يطل رأسه ولا يحركه تحريك المصدق وبصدق هذا قوله مخصون فان المقصع هو
الرافع رأسه كالتأني يقال بعير قاصح اذا رفع رأسه فلم يشرب الماء ولم يطأ طئه للشرب
والايمان كالماء الزلال الذى به الحياة وكأنه تعالى قال انا جعلنا في اصفاهم اغلا لا فهم
مقصون لا يخضون الرقاب لآمر الله وعلى هذا قوله تعالى (وجعلنا من بين أيديهم سدا
ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون) يكون متعنا لمعنى جعل الله اباهم مغلولين
لان قوله وجعلنا من بين أيديهم سدا اشارة الى انهم لا يشعرون سبيل الرشاد فكانه قال
لا يبصرون الحق فيقادون له لكان السد ولا يقادون لك فيبصرون الحق فيقادون له
لمكان الغل والايمان المورث لايقان اما اتباع الرسول أولا فتلوح له الحقائق ثانيا واما
بظهور الامور ولا اتباع الرسول ثانيا ولا يبعون الرسول أولا لانهم مغلولون فلا يظهر
لهم الحق من الرسول ثانيا ولا يظهر لهم الحق أولا لانهم واقعون في السد فلا يبعون
الرسول ثانيا (وفيدوجه آخر) وهو ان يقال المانع اما أن يكون في النفس واما أن يكون
خارجا عنها اولهم المانعان جميعا من الايمان اما في النفس فاعل واما من الخارج فالسد
ولا يقع نظرهم على أنفسهم فيرون الآيات التي في أنفسهم كما قال تعالى سترهم آياتنا في
الآفاق وفي أنفسهم وذلك لان المقصع لا يرى نفسه ولا يقع بصره على يديه ولا يقع نظرهم
على الآفاق لان من بين السدين لا يبصرون الآفاق فلا تبين لهم الآيات التي في الآفاق
وعلى هذا قوله انا جعلنا في اصفاهم وجعلنا من بين أيديهم اشارة الى عدم هدايتهم
لآيات الله في الانفس والآفاق وفي تفسير قوله تعالى وجعلنا من بين أيديهم سدا مسائل
(المسئلة الاولى) السد من بين الابدى ذكره ظاهر الفائدة فأنهم في الدنيا سالكون
ويذنبون أن يسلكوا الطريقة المستقيمة ومن بين أيديهم سدا فلا يقدر على السلوك
واما السد من خلفهم فالفائدة فيه فنقول الجواب عنه من وجوه (الاول) هو ان
الانسان له هداية فطرية والكافر قدير كرها وهداية نظرية والكافر ما أدركها
فكانه تعالى يقول جعلنا من بين أيديهم سدا فلا يسلكون طريقة الاهتداء التي هي
نظرية وجعلنا من خلفهم سدا فلا يرجعون الى الهداية الجبلية التي هي النظرية (الثاني)
هو ان الانسان مبدؤه من الله ومصيره اليه فعلى الكافر لا يبصر ما بين يديه من المصير
الى الله ولا ما خلفه من الدخول في الوجود بخلق الله (الثالث) هو ان السالك اذا لم يكن
له بد من سلوك طريق فان انسد الطريق الذي قد ادمه يفوته المقصود لكنه يرجع واذ
انسد الطريق من خلفه ومن قد ادمه فالوضع الذي هو فيه لا يكون موضع اقامة لانه
مهلك فقوله وجعلنا من بين أيديهم ومن خلفهم اشارة الى اهلاكهم (المسئلة الثانية)
قوله تعالى فأغشيناهم بحرف الفاء يقتضى أن يكون للاغشاء بالسد تعلق وبكون
الاغشاء مرتب على جعل السد فكيف ذلك فتقول ذلك من وجهين (أحدهما) أن يكون

ذلك فقال مخزومي آخر أنا قتله بهذا الحجر فذهب فاعنى الله تعالى بصره (وسواء عليهم

أأندرتهم أم لم تندرتهم) بيان لشأنهم بطريق التصريح اربانه ﴿ ٦٤ ﴾ بطريق التمثيل أي مستوعدهم

انذارك اياهم وعدمه
حسباً من تحقيقه في
سورة البقرة وقوله تعالى
(لا يؤمنون) استئناف
مؤكد لما قبله يبين لما
فيه من اجمال ما فيه
الاستواء اوصال مؤكداً
له أو يدل منه ولما بين
كون الانذار عندهم
كعدمه عقب بيان من
يتأثر منه قليل (انما تنذر)
أي انذاراً مستبغاً الاثر
(من اتبع الذكر) أي
القرآن بالتأمل فيه أو
الوعظ ولم يصبر على
اتباع خطوات الشيطان
(وخشى الرحمن بالغيب)
أي خاف عقابه وهو
غائب عنه على أحوال
من التفاعل أو المتقول
أو خافه في سريرة
ولم يغتر برجته فانه
مستقم قهار كما أنه رحيم
شفار كما نطق به قوله
تعالى نبي عبادي أنا
الغفور الرحيم وأن عذابي
هو العذاب الاليم (فيشره
بمعفرة) عطية (واجر
كريم) لا يقدر قدره
والفاء لترتيب البشارة أو
الامر بها على ما قبلها من
اتباع الذكر والحشية

ذلك بياناً لامور مرتبة يكون بعضها سبباً للبعض فكانه تعالى قال انا جعلنا في أعناقهم
أغلالاً فلا يصرون أنفسهم لا قاحهم وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فلا
يصرون ما في الأفاق وحينئذ يمكن أن يروا السماء وما على أيديهم وشمالهم فقال بعد
هذا كله وجعلنا على أبصارهم غشاوة فلا يصرون شيئاً أصلاً (وثانيهما) هو ان ذلك
بيان لكون السدقير يامنهم بحيث يصبرون على انقشاة على أبصارهم فان من جعل من خلفه
ومن قدومه سدين ملتزمين به بحيث بقي بينهما ملتزماً بينهما حتى عينه على سطح السد فلا
يصبر شيئاً ما غير السد فلحجاب واماعين السد فلكون شرط المرئ أن لا يكون قريبا
من العين جدا (المسئلة الثالثة) ذكر السدين من بين الأيدي ومن خلف ولم يذكر من الجبين
والشمال ما الحكمة فيه فتقول اما على قولنا انه اشارة الى الهداية الفطرية والنظرية
فظاهر واما على غير ذلك فتقول بما ذكر حصل العموم والمنع من انتهاج المناهج المستقيمة
لانهم ان قصدوا السلوك الى جانب الجبين أو جانب الشمال صاروا متوجهين الى شيء
ومولين عن شيء فصار ما اليه توجههم مابين أيديهم فيجعل الله السد هناك فيمنعه من
السلوك فكيف ما توجه الكافر يجعل الله بين يديه سداً (ووجه آخر) أحسن مما ذكرنا
وهو ان لما بينا ان جعل السد صار سبباً للاغشاء كان السد ملتزماً به وهو ملتزم بالسدين
فلا قدرة له على الحركة فينة ولا يسرة فلا حاجة الى السد عن الجبين وعن الشمال وقوله تعالى
فأغشيناهم فهم لا يصرون يحتمل ما ذكرنا انهم لا يصرون شيئاً ويحتمل ان يكون المراد
هوان الكافر مصدود وسبيل الحق عليه مسدود وهو لا يصبر السد ولا يعلم الصدد فيظن
انه على الطريقة المستقيمة وغيره ضال ثم انه تعالى بين ان الانذار لا ينفعهم مع ما فعل الله بهم
من العمل والسد والاعشاء والاعاء بقوله تعالى (وإسواء عليهم أأندرتهم أم لم تندرتهم
لا يؤمنون) أي الانذار وعدمه بيان بالنسبة الى الإيمان منهم اذ لا وجود له منهم على
التقديرين فان قيل اذا كان الانذار وعدمه سواء فلماذا الانذار تقول قد أجبت في غير
هذا الموضع انه تعالى قال سواء عليهم وما قال سواء عليك فالانذار بالنسبة الى النبي صلى الله
عليه وسلم ليس كعدم الانذار لان أحدهما يخرج له عن المعهدة وسبب في زيادة سيادته
عاجلاً وسعاً دونه أجلأ واما بالنسبة اليهم على السواء فانذار النبي صلى الله عليه وسلم يخرج
عائليه وينال ثواب الانذار وإن لم ينفعوا به لما كتب عليهم من البوار في دار القرار ﴿ ثم
قال تعالى ﴾ (انما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن باغيب فبشره بمعفرة وأجر كريم)
والترتيب ظاهر وفي التفسير مسائل (المسئلة الاولى) قال من قبل لتندر وذلك يقتضي
الانذار العام على ما بينا وقال انما تنذر وهو يقتضي التخصيص فكيف الجمع بينهما تقول
من وجوه (الاول) هوان قوله لتندر أي كيف ما كان سواء كان مقبداً أو لم يكن وقوله
انما تنذر أي الانذار المفيد لا يكون الا بالنسبة الى من يتبع الذكر ويخشى (الثاني) هو
ان الله تعالى لما قال ان الارسل والانزال للانذار وذكر ان الانذار وعدمه سبباً بالنسبة

(انما نحن نحي الموتى) بيان لشان عظيم ﴿ ٦٥ ﴾ ينطوي على الانذار والتبشير انطوا اما جاليا أي نبعثهم بعد

مآلهم وعن الحسن
احياوهم اخرآ جهنم
من الشرك الى الايمان
فهو حينئذ عدة كريمة
يتخففق البشر به
(ونكتب ما قدموا)
أي ما سلفوا من الاعمال
الصالحات وغيرها
(وآثارهم) التي أبجوها
من الحسنات كعلم علوه
أو ككتاب ألفوه أو حنيس
وقفوه أو بناء بنوه من
المساجد والرباطات
والنظار وغير ذلك من
رجوه البر ومن السيئات
كناسيس قوانين الظلم
والعدوان وترتيب مبادئ
النشر والفساد فيما بين
العباد وشبه ذلك من فروع
النسور والى أحدثوها
وسنوها إلى بعدهم من
المفسدين وقيل هي آثار
المشائين إلى المساجد ولعل
المراد أنها من جملة
الآثار وقيل يكتب
على البناء المفعول ورفع
آثارهم (وكل شيء) من
الاشياء كالشئ ما كان
(أحصينا في امام مبين)
أصل عظيم الشأن يظهر
لجميع الاشياء بما كان وما
سيكون وهو الواح المحفوظ

الى أهل العناد قال تبيين ليس انذارك غير مفيد من جرم الوجوه فأندرك على سبيل العموم
وانما تنذر بذلك الانذار العام من يتبع الذكر كأنه يقول يا محمد انك بانذارك تهدي
ولا تدرى من تهدي فأندرك الاسود والاحمر ومقصودك من يتبع انذارك وينتفع بذكرك
(الثالث) هو ان نقول قوله لتندرك أي أولا فأندركت وباعت وباعت واستهرا البعض
وتولى واستكبروا ولي فأعرض بعد ذلك فانما تنذر الدين اتبعوك (الرابع) وهو قرىب من
الثالث انك تنذر الكل بالاصول وانما تنذر بالفروع من ترك الصلاة والزكاة من اتبع
الذكر وآمن (المسئلة الثانية) قوله من اتبع الذكر يحمل وجوه (الاول) وهو المشهور
من اتبع القرآن (الثاني) من اتبع ما في القرآن من الآيات ويدل عليه قوله تعالى
والقرآن ذى الذكر فاجعل القرآن نفس الذكر (الثالث) من اتبع البرهان فانه ذكر
يكمل القطرة وعلى كل وجه فمما انما تنذر العلماء الذين يخشون وهو قوله تعالى انما
يخشى الله من عباده العلماء وكقوله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات فقوله اتبع
الذكر أي آمن وقوله وخشى الرحمن أي عمل صالحا وهذا الوجه يتأيد بقوله فبشره
بغفرة وأجر كريم لاننا ذكرنا مرارا أن الغفران جزء الايمان فكل مؤمن مغفور والاجر
الكريم جزء العمل كقوله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق
كريم ونفسبم الذكر بالقرآن يتأيد بتعريف الذكر بالالف واللام وقد تقدم ذكر القرآن
في قوله تعالى والقرآن الحكيم وقوله وخشى الرحمن فيه لطيفة وهي أن الرحمة تورث
الاستكمال والرجاء فقال مع أنه رحن رحيم فالعقل لا ينبغي أن يترك الخشية فان كل من
كانت نعمته بسبب رحمة أكثر فالخوف منه أتم مخافة أن يقطع عند النعم المتواترة
وكلمة اللطيفة هي ان من اسماء الله اسمين يخصان به هما الله والرحمن كقوله تعالى
قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن حتى قال بعض الأئمة هما علما اذا عرفت هذا فالله اسم
يبنى عن الهيبة والرحمن يبنى عن العاطفة فقال في موضع رجوا الله وقال ههنا وخشى
الرحمن يعني مع كونه ذاهبية لا تنقطعوا عنه رجاءكم ومع كونه ذارحة لانما نوه وقوله
بالغيب يعني بالدليل وان لم يمتد الى درجة المرتى المشاهد فان عند الانتهاء الى تلك الدرجة
لا يبقى للخشية فائدة والمشهور ان المراد بالغيب ما غاب عنا وهو أحوال القيا وقيل
ان الوجدانية تدخل فيه وقوله فبشره فيه اشارة الى الامر الثاني من ام
فان النبي صلى الله عليه وسلم بشير ونذير وقد ذكر أنه أرسل لينذروا ذكر ان الانذار يسفع
عند اتباع الذك فقال بشر كما اندرت ونفعت وقوله بمغفرة على التكبر أي بمغفرة واسعة
تستر من جميع الجوانب حتى لا يرى عليه أثر من آثار النفس ويظهر عليه أنوار الروح
الزكية وأجر كريم أي ذى كرم وقد ذكرنا في الذكر في قوله ورزق كريم وفي قوله ورزقا
كرما قال تعالى (انما نحن نحي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في
امام مبين) في الترتيب وجوه (أحدها) ان الله تعالى لما بين الرسالة وهو أصل من الاصول

وقرى كل شيء بالرفع (واضر بهم

مثلاً أصحاب القرية) صرب المثل يستعمل تارة ﴿ ٦٦ ﴾ في تطبيق حالة غريبة بحالة أخرى مثلها كما في قوله

تعالى ضرب الله مثلا
للذين كفروا امرأة نوح
وامرأة لوط واخرى
في ذكر حاله غريبة
ويأنها الناس من غير
قصد الى تطييعها
بنظرة لها كما في قوله
تعالى وضربناكم الامثال
على احدا وجهين اى
بينناكم احوال البديعة
هى فى الغريبة كالامثال
قال على على الاول جعل
أصحاب القرية لهؤلاء
العالمى الكفر والاصرار
على تكذيب الرسل
اى طبق حالهم بها
على أن مثلامفعول ثان
لاضرب وأصحاب القرية
مفعول الاول أخرجه
ليقتل به ما هو وشرحه
ويأنها وعلى الثانى اذكر
وبين لهم قصه هى فى
الغريبة كالمثل وقوله
تعالى أصحاب القرية
بدل منه بتقدير المضاف
أو بيان له اقرية انطاكية
(اذبحها المرسلون) بدل
استمال من أصحاب القرية
وهم رسل عيسى عليه
السلام الى أهلها ونسبة
ارسالهم اليه تعالى فى قوله
(اذرسلناهم اثنين)

الثلاثة التي يصير بها المكلف مؤمنا مسلما ذكر أصلا آخر وهو الحشر (وثانيها) وهو أن الله تعالى لما ذكر الانذار والنبأ بقوله وبشره بمغفرة ولم يظهر ذلك بكماله في الدنيا فقال إن لم يبق في الدنيا فله يحى الموتى ويجزى المذنبين ويجزى المبشرين (وثالثها) أنه تعالى لما ذكر خشية الرحمن بالغيب ذكر ما يؤكده وهو أحياء الموتى وفي التفسير مسائل (المسئلة الأولى) أنا نحن يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون مبتدأ وخبرنا كقول القائل * أنا أبو القيم وشعري شعري * ومثل هذا يقال عند الشهرة العظيمة وذلك لأن من لا يعرف يقال من أنت فيقول أنا ابن فلان فيعرف ومن يكون مشهورا إذا قيل له من أنت يقول أنا أي لا معرف لي أظهر من نفسي فقال أنا نحن معروفون بأوصاف الكمال وإذا عرفنا بأنفسنا فلا نتذكر قدرتنا على أحياء الموتى (وثانيهما) أن يكون الخبر نحيي كأنه قال أنا نحى الموتى ونحن يكون تأكيذا والاول أولى (المسئلة الثانية) أنا نحن فيه إشارة الى التوحيد لأن الاشتراك الذي يجب التمييز بغير النفس فإن زيدا إذا شارك غيره في الاسم فلو قال أنا زيدا لم يحصل التعريف التام لأن السامع أن يقول أنا زيدا فيدفعول ابن عمرو ولو كان هناك زيدا آخر أبوه عمرو لا يكفي قوله ابن عمرو فلما قال الله أنا نحن أى ليس غيرنا أحدينا كفاحتي نقول أنا كذا فتماز وحيتند تصير الأصول الثلاثة مذكورة لرسالة والتوحيد والحشر (المسئلة الثالثة) قوله ونكتب ما قدموا فيه وجوه (أحدها) المراد ما قدموا وأخروا فاكنتي بذكر أحدهما بما في قوله تعالى سراييل تقيمكم الخ والمراد بالبرد أيضا (وثانيها) المعنى ما سألوا من الاعمال صالحة كانت أو فاسدة وهو كما قال تعالى بما قدمت أي بما قدمت في الوجود على غيره أوجدته (وثالثها) نكتب نيابتهم فإنها قبل الاعمال وآثارهم أى أعمالهم على هذا الوجه (المسئلة الرابعة) وآثارهم فيدوجوه (الاول) آثارهم أقدامهم فإن جماعة من أصحابه بعدت دورهم عن المساجد فأرادوا الغفلة فقال صلى الله عليه وسلم إن الله يكتب خطواتكم ويثيبكم عليه فآرموا بيوتكم (الثاني) هى السنن الحسنة كالكتب المصنفة والناظر البنية والحياتس الدارة والسنن السيئة كالظلمات المستمرة التي وضعها ظالم والكاتب المضلة وآلات الملاهى وأدوات المناهى المعمولة الباقية وهو في معنى قوله صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجر العامل شئ ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزن عمل بها من غير أن ينقص من أجرها من الأعمال (الثالث) ما ذكرنا من الآثار الاعمال وما قدموا الثبات فإن النية قبل العمل (المسئلة الخامسة) الكتابة قبل الأحياء فكيف آخر في الذكر حيث قال نحيي ونكتب ولم يقل نكتب ما قدموا ونحييهم نقول الكتابة معظمة لأمر الأحياء لأن الأحياء إن لم يكن للحساب لا يعظم والكتابة في نفسها إن لم تكن أحياء وإعادة لا يبي لها أثر أصلا فالأحياء هو المعبر والكتابة مؤكدة معظمة لأمره

﴿ فلها ﴾

بناء على أنه كان بأمره تعالى لتكميل التمثيل وتبجيم التسليمة

وهما يختاروا بولس وقبل غيرهما ٦٧ (فكذبوهما) أي قاتباهم فدعواهم الى الحق فكذبوهما في الرسالة

(فمزنا) أي قوينا
يقال عز النظر الارض
ذالدها وقرى بالتخفيف
من عزه اذا غلب وقهره
وحذف المفعول للدلالة
ما قبله عليه ولان
المقصد ذكر المعز به
(بثالث) هو شمعون
(فقالوا) أي جميعا
(انا اليكم مرسلون)
مؤكدين كلامهم
لسبق الإنكار لما ان
تكذب بهما تكذب
لثالث لاتحاد كلهم
وذلك أنهم كانوا عبدة
أصنام فارس للهم
عيسى عليه السلام
الذين فلما فرغوا من المدينة
رأى شيخنا رعى غنيمات
له وهو حبيب البحار
صاحب إسفسا لهما
فاخبراه قال أممك آية
فقال أنشئني المريض
ونبى الاكمة والابرص
وكان له ولد مريض
منذستين فسحاه فقام
فأم من حبيب وفشا
الخبر وشفى على أيديهما
خلق وبلغ حديثهما
الى الملك وقال لهما
أنا اله سوى آلهتنا
قالنهم من أوجسدك
وقيل ضرب بهما وقبل حبسا ثم بعث عيسى عليه السلام شمعون
فدخل مشكرا وطاشر حاشية الملك

فلها أقسم الاحياء ولانه تعالى لما قال ان نحن وذلك يفيد العظمة والجبروت والاحياء
عظيم يختص بالله والكتابة دونة فقرن بالنعريف الامر العظيم وذكر ما عظم ذلك العظيم
وقوله وكل شيء أحصيناه في امام مبين يحتمل وجوها (أحدها) أن يكون ذلك بيانا
لكون ما قدموا وآثارهم امرا مكتوبا عليهم لا يبدل فان القلم جف بما هو كان فاما قال
نكتب ما قدموا بين ان قبل ذلك كتابة أخرى فان الله كتب عليهم أنهم سيئة لون كذا
وكذا ثم اذا فعلوه كتب عليهم انهم فعلوه (وثانيها) أن يكون ذلك مؤكدا للمعنى قوله
ونكتب لان من يكتب شيئا في أوراق ويرميها فلا يجدها فكأنه لم يكتب فقال نكتب
ونحفظ ذلك في امام مبين وهذا كقوله تعالى عليها عذر بي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى
(وثالثها) أن يكون ذلك نعتيا بعد التخصيص كأنه تعالى يكتب ما قدموا وآثارهم
وليست الكتابة مقتصرة عليه بل كل شيء يخص في امام مبين وهذا يفيد أن شتام
الاقوال والافعال لا يعزب عن علم الله ولا يفوته وهذا كقوله تعالى وكل شيء فعلوه في الزبر
وكل صغير وكبير مستطر يعني ليس ما في الزبر مختصا فيما علو بل كل شيء فعلوه مكتوب
وقوله أحصيناه ابلغ من كتيبته لان من كتب شيئا مفرقا يحتاج الى جمع عدده فقال هو
محصى فيه وسمى الكتاب اماما لان الملائكة يتبعونه فما كتب فيه من أجل أوزر وقواحياء
وامانة اتبعوه وقيل هو اللوح المحفوظ وامام جاء جمعا في قوله تعالى يوم تدعوا كل أناس
إمامهم أي بأنفسهم وحينئذ فاعلم اذا كان فردا فهو ككتاب وحجاب واذا كان جمعا فهو
كتاب وحبال والمبين هو المظهر للامور لكونه مظهر الملائكة ما يفعلون والناس
ما يفعلون وهو الفارق يفرق بين احوال الخلق فيجعل فر يقافي الجنة و فر يقافي السعير
ثم قال تعالى (واضرب لهم مثلا اصحاب القرية اشجاها المرسلون) وفيه وجهان
والترتيب ظاهر على الوجهين (الوجه الاول) هو أن يكون المعنى واضرب لاجلهم مثلا
(والثاني) أن يكون المعنى واضرب لاجل نفسك اصحاب القرية لهم مثلا أي مثابهم عند
نفسك باصحاب القرية وعلى الاول نقول لما قال الله انك لمن المرسلين وقال انتذر قال
قل لهم ما كنت بدعا من الرسل بل قبلي بقليل جاء اصحاب القرية بدمر سنون وأنذروهم بما
انذرتكم وذكروا التوحيد وخوفوا بالقيامة وبشروا بنعيم دار الاقامة وعلى الثاني
نقول لما قال الله تعالى ان الانذار لا يغني عن أضله الله وكتب عليه انه لا يؤمن قال لاني
عليه الصلاة والسلام فلا تأس واضرب لنفسك وقومك مثلا أي مثل لهم عند نفسك
مثلا حيث جاءهم ثلاثة رسل ولم يؤمنوا وصبر الرسل على القتل والايذاء وأنت جئتهم
واحدًا وقومك أكثر من قوم الثلاثة فانهم جاؤا قرية وأنت بعثت الى العالم وفي التفسير
مسائل (المسئلة الاولى) ما معنى قول القائل ضرب مثلا وقوله تعالى واضرب مع أن
الضرب في اللغة اما أساس جسم جسا بعنف واما السير اذا قرن به حرف في كقوله
تعالى اذا ضرب يرم في الارض نقول قوله ضرب مثلا معناه مثل مثلا وذلك لان الضرب
وآهتك فقال حتى أنظر في أمر كافيهما الناس وقيل ضرب بهما وقبل حبسا ثم بعث عيسى عليه السلام شمعون
فدخل مشكرا وطاشر حاشية الملك

حتى استأنسوا به ورفعوا خبره الى الملك فأنس به فقال له يوما بلقي ٦٨ ﴿ أنك حنيت رجلين فهل سمعت

ما يقولانه قال لآحال
الغضب بيني وبين ذلك
فدعاهما فقال سمعون
من أرسلكما قال الله
الذي خلق كل شيء
وليس له شريك فقال
صفادوا وجرأقا لا يفعل
ما يشاء ويحكم ما يريد
قال وما آيتكما قال ما
يقتي الملك فستأبى الام
معهوس العيسين
ودعوا الله تعالى حتى
انشق له بصرفا خذا
بندقتين فوضعا هما
في جديته فصارا
مقتلين ينظر بهما
فقال له سمعون أرايت
لوسات الهك حتى
يصنع مثل هذا فيكون
لك وله الشرف قال
ليس لي عنك سر ان الهنا
لا يبصر ولا يسمع ولا
يضر ولا ينفع وكان
سمعون يدخل معهم
على الصنم فيصلى
ويتضرع وهم يحسبون
أنه منهم ثم قال ان قدر
الهكم على احياء ميت
آمنابه فدعوا بسلام
مات من سبعة أيام فقام
وقال اني أدخلت
في سبعة أودية من النار

امم النوع يقال هذه الاشياء من ضرب واحد أى اجعل ههنا وذلك من ضرب واحد
(المسئلة الثانية) أصحاب القرية معناه واضرب لهم مثلا مثل أصحاب القرية فترك المثل
وأقيم الاصحاب مقامه في الاعراب كة وله واسأل القرية هذا قول الزخشرى في الكشف
ويحتمل أن يقال لاحاجة الى الاضمار بل المعنى اجعل أصحاب القرية لهم مثلا أو مثل
أصحاب القرية بهم (المسئلة الثالثة) اضجاءها المرسلون اذ منصوبه لانها بدل من أصحاب
القرية كأنه قال تعالى واضرب لهم وقت محجي المرسلين ومثل ذلك الوقت بوقت محيكت
وهذا أيضا قول الزخشرى وعلى قولنا ان هذا المثل مضروب لنفس محمد صلى الله عليه
وسلم تسلية فيحتمل أن يقال اذ ظرف منصوب بقوله اضرب أى اجعل الضرب كأنه
حين يحييهم وواقع قيد والقرية انطاكية والمرسلون من قوم عيسى وهم أقرب مرسل
أرسل الى قوم الى زمان محمد صلى الله عليه وسلم وهم ثلاثة كابن الله تعالى وقوله اذ أرسلنا
يحمل وجهين (أحدهما) أن يكون اذ أرسلنا بدلا من اضجاءها كأنه قال اضرب لهم مثلا
اذ أرسلنا الى أصحاب القرية اثنين (وثانيهما) وهو الاصح الاوضح أن يكون اذ ظرفا
والفعل الواقع فيه جاءها أى جاءها المرسلون حين أرسلناهم اليهم أى لم يكن مجيئهم من
تمام أنفسهم وانما جاءهم حيث أمروا وهذا فيه الفية وهي ان في الحكاية ان الرسل كانوا
مبعوثين من جهة عيسى عليه السلام أرسلهم الى انطاكية فقال تعالى ارسل عيسى
عليه السلام هو ارسلنا ورسول رسول الله باذن الله رسول الله فلا يقع لك يا محمد أن أوثقت
كانوا رسل الرسول وأنا رسول الله فان تكذيبهم كتكذيبك فتم التسلية بقوله اذ أرسلنا
وهذا يؤيد مسئلة فتحية وهي أن وكيل الوكيل باذن الموكل وكيل الموكل لا وكيل الوكيل
حتى لا يعزل بعزل الوكيل اياه ويتولى اذ اعزله الموكل الاول وهذا على قولنا واضرب لهم
مثلا ضرب المثل لاجل محمد صلى الله عليه وسلم ظاهر وقوله اذ أرسلنا اليهم اثنين
فكذبوهما (في بعثه الاثنين حكمة بالغة وهي انهما كانا مبعوثين من جهة عيسى باذن
الله فكان عليهما انتهاء الامر الى عيسى والاثنان بما أمر الله والله عالم بكل شيء لا يحتاج
الى شاهد يشهد عنده وأما عيسى فهو بشر فأمر الله بأرسال اثنين ليكون قولهما على
قومهما عند عيسى حجة تامة وقوله (فعرزنا بثالث) أى قوبنا وقرى فعرزنا بثالث
مخفيا من عز اذا غلب فكأنه قال فعلينا نحن وقهرنا بثالث والاول اظهر وأشهر وترك
المفعول حيث لم يقل فعرزناهما معنى لطيف وهو أن المقصود من بعثهما نصره الحق
لا نصرتهما والكل معقود للدين المتين بالبرهان المبين وفيه مسائل (المسئلة الاولى) النبي
صلى الله عليه وسلم بعث رسله الى الاطراف واكتفى بواحد وعيسى عليه السلام بعث
اثنين نقول النبي بعث ثلثي القروع وهو دون الاصول فاكتفى بواحد فان خبر الواحد
في القروع مقبول وأماهما فبعثا بالاصول وجعل لهما معجزة تفيد اليقين والا لما كفى
ارسل اثنين أيضا ولا ثلاثة (المسئلة الثانية) قال الله تعالى لموسى عليه السلام سنشد

وانى أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا وقال فتحت أبواب السماء فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء ﴿ عضدك
الثلاثة قال الملك من هم قال سمعون وهذان فتعجب الملك فلما رأى سمعون أن قوله

قد أثر فيه نصحه فآمن وآمن قوم ومن آمن يؤمن ﴿ ٦٩ ﴾ صاخر عليهم جبريل عليه السلام فهل كانوا هكذا قالوا ولكن

لا يساعده سياق النظم
الكريم حيث اقتصر
فيه على حكاية تماديهم
في الغنادول الحجاج وركوبهم
متن المكابرة في الحجاج
ولم يذكر فيه من يؤمن
أحد سوى حبيب ولو
أن الملك وقوما من
حواشيته آمنوا لكان
أظاھر أن يظاھروا
الرسول ويساعدوه
قبلوا في ذلك أو قتلوا
كذلك التجار الشهيد
ولكان لهم فيه ذكر ما
يوجد من الوجوه اللهم
الآن يكون إيمان الملك
بطريق الخفية على
خوف من عتاة ملته
فيعتزل عنهم معتذرا
بعذر من الاعتذار (قالوا)
أي أهل انطباكية
الذين لم يؤمنوا بخاطبين
للاثلاث (ما أنتم إلا بشر
مثلنا) من غير منزلة
لصكم علينا موجبة
لاختصاصكم بمائدعونه
ورفع بشر لا تخاض
التقى المقضى لا محال
مابالا (وما أنزل الرحمن
من شيء) مما تدعونه
من الوحي والرسالة
(ان أنتم إلا تكذبون)

عضدك فذكر المفعول هناك ولم يذكره هنا مع ان المقصود هناك أيضا نصرة الحق بقول
موسى عليه السلام كان أفضل من هرون وهرون بعث بطلبه معه حيث قال فأرسله معي
فكان هرون مبعوثا ليصدق موسى فيما يقول ويقوم بما يأمره وأماهما فكل واحد
مستقل ناطق بالحق فكان هناك المقصود تقوية موسى وإرسال من يؤنس معه وهو هرون
وأما ما نال المقصود تقوية الحق فظهر الفرق * ثم بين الله ما جرى منهم وعليهم مثل ما جرى
من محمد صلى الله عليه وسلم وعليه (فقالوا انا إياكم مرسلون) كما قال انك ان المرسلين وبين
ما قال أقوم بقوله (قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء) جعلوا أنفهم بشرا
مثلهم دليلا على عدم الإرسال وهذا علم من المشركين قالوا في حق محمد أنزل عليه الذكر
وأما ظنوه دليلا بناء على أنهم لم يستقدوا في الله الاختيار وإنما قالوا فيه انه موجب
بالذات وقد استوفينا في البشرية فلا يمكن الرجوع والله تعالى رد عليهم قولهم بقوله الله
أعلم حيث يجعل رسالته وبقوله الله يجزي اليد من إيشاء إلى غير ذلك وقوله وما أنزل الرحمن
من شيء يمتثل وجهين (أحدهما) أن يكون ممثلا لما ذكره فيكون الكل شبهة
واحدة ووجه هو أنهم قالوا أنتم بشر فأنزلتم من عند الله وما أنزل الله إليكم أحدا
فكيف صرتم رسلا لله (وثانيهما) أن يكون هذا شبهة أخرى مستقلة ووجه هو أنهم لما
قالوا أنتم بشر مثلنا فلا يجوز رجحانكم علينا ذكر والشبهة من جهة النظر إلى المرسلين ثم
قالوا شبهة أخرى من جهة الرسل وهو أنه تعالى ليس بمنزل شيء في هذا العالم فان تصرفه
في العالم العلوي والعلويات التصرف في السفليات على مذهبهم فأنزل الله تعالى لم ينزل شيئا من
الاشياء في الدنيا فكيف أنزل إليكم وقوله الرحمن إشارة إلى الرد عليهم لأن الله لما كان
رحمن الدنيا والإرسال رحمة فكيف لا ينزل رحمة وهو رحمن فقال انهم قالوا ما أنزل
الرحمن شيئا وكيف لا ينزل الرحمن مع كونه رحمن شيئا هو الرحمة الكاملة * ثم قال تعالى
(ان أنتم إلا تكذبون) أي ما أنتم إلا كاذبين (قالوا ربنا يعلم انا إياكم لمسلون) إشارة إلى
أنهم مجرد التكذيب لم يسأمو أو لم يتركوا بل أعادوا ذلك انهم وكرروا القول عليهم
وأكدوه باليمين وقالوا ربنا يعلم انا إياكم لمسلون وأكدوه باللام لأن يعلم الله يجري مجرى
انقسم لأن من يقول يعلم الله فيما لا يكون فقد نسب الله إلى الجهل وهو سب العتاب كما
ان الحث سببه وفي قوله ربنا يعلم إشارة إلى الرد عليهم حيث قالوا أنتم بشر وذاك لأن الله
إذا كان يعلم انهم لمسلون يكون كقوله تعالى الله أعلم حيث يجعل رسالته يعني هو عالم
بالامور وقادر فاخترنا بعلجه رسالته * ثم قال (وما علينا إلا البلاغ المبين) تسليية لانفسهم
أي نحن خرجنا عن عهد فمنا علينا وحثناهم على التطرف انهم لما قالوا ما علينا إلا البلاغ
كل ذلك يوجب تفكيرهم في أمرهم حيث لم يطلبوا منهم أجرا ولا قصدوا راسخا وإنما كان
شغلهم التبليغ والذكر وذلك مما يحمل العاقل على النظر والمبين يحتمل أمورا (أحدها)
البلاغ المبين للعق عن الباطل أي الفارق بالمعزة والبرهان (وثانيها) البلاغ المظهر

في دعوى

لما أرسلنا لكل أمة رسلنا أن يبلغ الرسالة إلى شخص أو شخصين (وثالثها) البلاغ المظهر
 للحق بكل ما يمكن فإذا تم ذلك ولم يقبلوا بحق هناك الهلاك ثم كان جوابهم بعد هذا
 انهم (قالوا ان نصير نايكم) وذلك انه لما ظهر من الرسل المباعدة في البلاغ ظهر منهم التعنؤ
 التكذيب فلما قال المرسلون انا اليكم المرسلون قالوا ان اتم الانكذبون ولما أكد الرسل
 قولهم باليمين حيث قالوا رنا يعلم اكدوا قولهم بالتطير بهم فكأنهم قالوا في الاول كنتم
 كاذبين وفي الثاني صرتم مصرين على الكذب سافعين مقسمين عليه واليمين الكاذبة تدع
 الديار بالافق فتشاء منا بكم ثانيا وفي الاول كما تركتم في الثاني لانكم كنتم لكون الشؤم
 مدركنا بسببكم فقالوا (اثنان نتهوا لئلا نرجنكم وليسكنم منا عذاب اليم) وقوله لئلا نرجنكم
 نعتل وجهين (أحدهما) لنشتنكم من الرجم بالقول وعلى هذا فتقوله وليسكنكم ترق
 كآتهم قالوا ولا يكتفى بالشتم بل يودي ذلك إلى الضرب والابلام الحسي (وثانيهما) أن
 يكون المراد الرجم بالحجارة وجئت قوله وليسكنكم بيان للرجم يعني ولا يكون الرجم
 رجما قليلا لئلا يرجنكم بحجر وحجرين بل ندعم ذلك عليكم إلى الموت وهو عذاب اليم ويكون
 المراد لئلا يرجنكم وليسكنكم بسبب الرجم عذاب مائاليم وقد ذكرنا في الاليم أنه بمعنى المولم
 والفعل بمعنى مفعول قليل ويحتمل أن يقال هو من باب قوله عيشة راضية أي ذات رضا
 فالعذاب الاليم هو ذؤالم وجئت يكون فعلا بمعنى فاعل وهو كثير * ثم أجابهم المرسلون
 بقولهم (قالوا طاركم معكم) أي شوكم معكم وهو الكفر * ثم قالوا (ان ذكرتم) جوابا
 عن قولهم لئلا يرجنكم يعني أنفعلون بنا ذلك وان ذكرتم أي بين لكم الأمر بالمعجزة والبرهان
 (بل أنتم قوم مسرفون) حيث نجعلون من تبرك به كن يشاء به ونقصدون ابلام من يجب
 في حقه الأكرام أو مسرفون حيث تكفرون ثم تصرون بعد ظهروا الحق بالمعجزة والبرهان
 فان الكافر مسمى فإذا تم عليه الدليل وأوضح له السبل وبصر يكون مسرفا والمسرف هو
 المجاوز الحد بحيث يبلغ الضد وهم كانوا كذلك في كثير من الاشياء أما في التبرك والتشاؤم
 فقد علم وكذلك في الاليم والأكرام وأما في الكفر فلان الواجب اتباع الدليل قال لم
 يوجد به فلا أقل من أن لا يجوز بتقصيدهم جزموا بالكفر بعد البرهان على الإيمان فان
 قيل بل للاضراب فالأمر المضرب عنه نقول يحتمل أن يقال قوله أن ذكرتم وأرد على
 تكذيبهم ونسبهم الرسل إلى الكذب بقولهم ان اتم الانكذبون فكأنهم قالوا أن نحن
 كاذبون وان جئنا بالبرهان لابل أنتم قوم مسرفون ويحتمل أن يقال أن نحن مشؤمون
 وان جئنا ببيان صحة ما نحن عليه لابل أنتم قوم مسرفون ويحتمل أن يقال أن نحن
 مستحقون للرجم والابلام وان ينصحنا ما يتنا به لابل أنتم قوم مسرفون وأما الحكاية
 فمشهورة وهي ان عيسى عليه السلام بعث رجلين إلى انطاكية فدعيا إلى التوحيد وأظهرا
 المعجزة من إيراد الالكة والارص واحياء الموتى فحبسهما الملك فأرسل بعدهما شعبون
 فأتى الملك وليدع الرسالة وقرب نفسه إلى الملك بحسن التدبير ثم قال له اني أسمع أن في

رسالته (قالوا رنا يعلم
 انا اليكم المرسلون)
 استشهدوا ويعلم الله تعالى
 وهو يجري بحرى القسم
 مع ما فيه من تعذيبهم
 معارضة علم الله تعالى
 وزادوا اللام المؤكدة
 لما شاهدوا منهم من
 شدة الانكار (وما علينا)
 أي من جهة ربنا
 (الابلاغ المبين) أي
 الابلاغ رسالته تليها
 طسارها بينا بالآيات
 الشاهدة بالحق وقد
 خرجنا عن عهدته
 فلاموا اخذنا بعد ذلك
 من جهة ربنا أو ما
 علينا شئ نطالب به
 من جهنكم الابلاغ
 الرسالة على الوجه
 المذكور وقد فعلناه
 فأى شئ نطلبون منا حتى
 تصدقونا بذلك (قالوا)
 لما ضاقت عليهم الحيل
 وعيت بهم العال (انا)
 تطير نايكم) تشاء منا بكم
 جريا على دين الجبهة
 حيث كانوا يمينون بكل
 ما يوافق شهواتهم وان
 كان مستحبيا لكل شر
 ووبال وينسأهون
 بما لا يوافقها وان كان

مستتبعا للسعادة الدارن أو بناء على أن الدعوة لا تخلو عن الوعيد بما يكرهونه من اصابة ضرر فعلق الحسب

الحبس رجلين يدعيان أمرا بديعا أفلا يحضران حتى نسمع كلامهما قال الملك لى فأحضرا وذكرا مقالتهم الحق فقال لهما شمعون فهل لكم يا بنى فلانهم فأرأوا الآكة والاربع وأحيا الموتى فقال شمعون أيها الملك ان شئت أن تغلبهم فقل للألهة التي نعبدونها نفعل شيئا من ذلك قال الملك أنت لا تخفى عليك أنها لا تبصر ولا تسمع ولا تقدر ولا تعلم فقال شمعون فاذن ظهر الحق من جانبهم فأمن الملك وقوم وكفر آخرون وكانت الغلبة للكذابين ثم قال تعالى (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين) وفي فائدته وتعلقه بما قبله وجهان (أحدهما) انه بيان لكونهم أتوا بالبلاغ المبين حيث آمن بهم الرجل الساعى وعلى هذا قوله من أقصى المدينة فيه بلاغة باهرة وذلك لانه لما جاء من أقصى المدينة رجل وهو قد آمن دل على أن انذارهم واظهارهم بلغ الى أقصى المدينة (وثانيهما) ان ضرب المثل للمكان لمحمد صلى الله عليه وسلم تسلية لقلبه ذكر بعد الفراغ عن ذكر الرسل سعى المؤمنين في تصديق رسلهم وصبرهم على ما أؤذوا ووصول الجزاء الاوفى اليهم ليكون ذلك تسلية لقلب أصحاب محمد كما ان ذكر المرسلين تسلية لقلب محمد صلى الله عليه وسلم وفي التفسير مسائل (المسئلة الاولى) قوله وجاء من أقصى المدينة رجل في تكبر الرجل مع انه كان معروفا معلوما عند الله فائدتان (الاولى) أن يكون تعظيما لشأنه أى رجل كامل في الرجولية (الثانية) أن يكون مفيد الظهور الحق من جانب المرسلين حيث آمن رجل من الرجال لا يعرفه انهم به فلا يقال انهم تواطؤوا والرجل هو حبيب التجار كان يفتح الاصلام وقد آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل وجوده حيث صار من العلماء بكتاب الله ورأى فيه نعمت محمد صلى الله عليه وسلم وبعثته (المسئلة الثانية) قوله يسعى تبصرة للمؤمنين وهذا به لهم ليكونوا في التصحيح باذنين جهدهم وقد ذكرنا فائدة قوله من أقصى المدينة وهي تبليغهم الرسالة فبحث انتهى الى من أقصى المدينة والمدينة هي انطاكية وهي كانت كبيرة شاسعة وهي الآن دون ذلك ومع هذا فهي كبيرة وقوله تعالى قال يا قوم اتبعوا المرسلين فيه معان لطيفة (الاول) في قوله يا قوم فانه ينبى عن اشفاق عليهم وشفقة فان اضافتهم الى نفسه بقوله يا قوم يفيد انه لا يريد بهم الا خيرا وهذا مثل قول مؤمن آل فرعون يا قوم اتبعوا فان قيل قال هذا الرجل اتبعوا المرسلين وقال ذلك اتبعونى فما الفرق فنقول هذا الرجل جاءهم وفي أول مجيئه نصيحهم وما رآوا سيرته فقال اتبعوا هؤلاء الذين اظهروا لكم الدليل وأوضحوا لكم السبيل واماموهم أن فرعون فكان فيهم واتبع موسى ونصحهم مرارا فقال اتبعونى في الايمان بموسى وهرون عليهما السلام واعلموا انه لو لم يكن خيرا لما اخترته لنفسى وأتم تعلمون أنى اخترته ولم يكن للرجل الذى جاء من أقصى المدينة أن يقول أنتم تعلمون اتبعوا لهم (الثاني) جمع بين اظهار النصيحة واظهار ايمانه فقوله اتبعوا نصيحة وقوله المرسلين اظهار انه آمن (الثالث) قدم اظهار النصيحة على اظهار الايمان لانه كان ساعيا

بنفسهم وأهلهم وأموالهم ان لم يؤمنوا فكانوا ينفرون عنه وقدروى أنه حبس عنهم القطر فقالوه (لئن لم ننزهو) أى عن مقالكم هذه (لنرجنكم) بالحجارة (وليسكنكم منا عذاب أليم) لا يقادر قدره (فالواظرونكم) أى سبب شؤمكم (معكم) لامن قبلنا وهو سوء عقيدتكم وقبح اعمالكم وقرى طيركم (أن ذكرتم) أى ونظمتهم بما فيه مآدئكم وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه أى تضيرتم وتوددتهم بالرجم والتعذيب وقرى بألف بين الهمزتين وفتح أن بمعنى أنضيرتم لأن ذكرتم وأن ذكرتم وأن ذكرتم بغير استفهام وأن ذكرتم بمعنى طأركم معكم حيث جرى ذكركم وهو أبلغ (بل أنتم قوم مسرفون) اضراب عما تقتضيه الشرطية من كون التذكير سببا للشؤم أو مصححا للتوعد أى ليس الامر كذلك بل أنتم قوم عادتكم الاسراف فى العصيان فلذلك أنا كم الشؤم أوفى الظلم والعدوان ولذلك توعدتم

ونشاء منهم بن يحب اكرامه والتبرك به (وجاء من أقصى المدينة * ٧٢ * رجل يسعى) هو حبيب التجار وكان

النصح وأما الايمان فكان قد آمن من قبل وقوله رجل يسعى يدل على كونه مريدا للنصح وما ذكر في حكايته انه كان يقتل ويقول اللهم اهد قومي * ثم قال تعالى (اتبعوا من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون) وهذا في غاية الحسن وذلك من حيث انه لما قال اتبعوا المرسلين كأنهم منهم كونهم مرسلين فبرزل درجة وقال لاشك ان الخلق في الدنيا سالكون طريقا وطالبون للاستقامة والطريق اذا حصل فيه دليل يدل يجب اتباعه والامتناع من الاتباع لا يحسن الا عند أحد أمرين امام مسألة الدليل في طلب الاجرة واما عدم الاعتماد على اهدائه ومعرفة الطريق لكن هو لاه لا يطلبون أجرة وهم مهتدون عالون بالطريقة المستقيمة الموصلة الى الحق فهب انهم ليسوا بمرسلين هادين اليسو بمهتدين فاتبعوهم * ثم قال تعالى (وما لي بأعبد الذي فطرنى) لما قال وهم مهتدون بين ظهور اهتدائهم بأنهم يدعون من عبادة الجداد الى عبادة الحق التوبى ومن عبادة ما لا ينفع الى عبادة من منه كل نفع (وفيه اطناف) الاول قوله مالى أى مالى مانع من جانيه اشارة الى أن الامر من جهة المعبود ظاهر لا خفاء فيه فى منفع من عبادته يكون من جانيه مانع ولا مانع من جانيه فلا جرم عبده وفي العبدول عن مخاطبة القوم الى حال نفسه حكمة أخرى وايضا ثانياً وهى أنه لو قال مالكم لا تعبدون الذى فطركم لم يكن فى البيان مثل قوله ومالى لانه لما قال ومالى وأحد لا يخفى عليه حال نفسه علم كل أحد انه لا يطلب العلة وبيانها من أحد لانه أعلم بحال نفسه فهو يبين عدم المانع وأما لو قال مالكم جاز أن يفهم منه أنه يطلب بيان العلة لكون غيره أعلم بحال نفسه فان قيل قال الله مالكم لا ترجون لله وقارا نقول القائل هناك غير مدعو وإنما هو دواع وههنا الرجل مدعو الى الايمان فقال ومالى لأعبد وقد طلب منى ذلك (الثانية) قوله الذى فطرنى اشارة الى وجود المقتضى فان قوله ومالى اشارة الى عدم المانع وعند عدم المانع لا يوجد الفعل ما لم يوجد المقتضى فتقوله الذى فطرنى ينبئ عن الاقتضاء فان الخالق ابتداء مالك والمالك يجب على المملوك اكرامه وتعظيمه ومنع بالايحاء والمنع يجب على المنع عليه شكر نعمته (الثالثة) قدم بيان عدم المانع على بيان وجود المقتضى مع أن المسحوق تقديم المقتضى حيث وجد المقتضى ولا مانع فيوجد لان المقتضى اظهره كان مستغنيا عن البيان رأساً فلا أقل من تقديم ما هو أولى بالبيان لوجود الحاجة اليه (الرابعة) اختار من الآيات فطرة نفسه لانه لما قال ومالى لأعبد باستناد العبادة الى نفسه اختار ما هو أقرب الى ايجاب العبادة على نفسه وبيان ذلك هو ان خالق عرو يجب على زى بعبادته لان من خلق عرا لا يكون الا كامل القدرة شامل العلم واجب الوجود وهو مستحق للعبادة بالنسبة الى كل مكلف لكن العبادة على زى لا يتخلق زيد أظهر ايجاباً واعلم أن المشهور فى قوله فطرنى خلقنى اختراعاً وابتداعاً والغريب فيه أن يقال فطرنى أى جعلنى على الفطرة كما قال الله تعالى فطرة الله التى فطر الناس عليها وعلى هذا قوله ومالى لأعبد أى لم يوجد فى مانع فأنا ناق

يبحث أستاذهم وهو من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ويتبع شهادته سنة كما آمن به تبع الا كبر ورقة بن نوفل وغيره اولم يؤمن بى غير عليه الصلاة والسلام أحد قبل بعثته وقيل كان فى غار بعد الله تعالى فلما بلغه خبر الرسل عليهم الصلاة والسلام أظهر دينه (قال) استأنف وقع جواباً عن سؤال نشأ من حكاية مجيد ساعياً كأنه قيل فاذا قال عند مجيد فقيل قال (يا قوم اتبعوا المرسلين) تعرض لقنوان رسالتهم حثا لهم على اتباعهم كما أن خطابهم يا قوم تأليف قلوبهم واستدراجهم قبول نصيحته وقوله تعالى (اتبعوا من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون) تكرر لئلا كيدوا للوسل به الى وصفهم بما يرغبهم فى اتباعهم من التزنى عن الغرض الدينى والاهتداء الى خير الدنيا والدين (ومالى لأعبد الذى فطرنى) تلطف فى الارشاد بإرادته فى

معرض المناصحة لنفسه والمحاض النصح حيث أراهم انه اختار لهم ما يختار لنفسه والمراد تقرر بعهم على * على * ترك عبادة خالقهم الى عبادة غيره

على فطرة ربي والفطرة كافية في الشهادة والعبادة فان قيل فعلى هذا يختلف معنى الفطر
في قوله فاطر السموات فنقول قد قيل بأن فاطر السموات من الفطر الذي هو الشق فالتحذير
لازم او نقول المعنى فيهما واحد كأنه قال فطر المكلف على فطرته وفطر السموات على
فطرتها والاول من التفسير أظهر * وقوله تعالى (واليه ترجعون) اشارة الى الخوف
والرجاء كما قال ادعوه خوفا وطمعا وذلك لان من يكون اليه المرجع يخاف منه ويرجى
وفيه ايضا معنى لطيف وهو ان العابد على أقسام ثلاثة ذكرنا امرارا (فالاول) عابد يعبد
الله لكونه الها مالم يكسوا أنهم بعد ذلك أولم ينعم كالعبد الذي يجب عليه خدمة سيده
سواء أحسن اليه أو أساء (والثاني) عابد يعبد الله للنعمة الواصلة اليه (والثالث) عابد
يعبد الله خوفا مثال الاول من يخدم الجواد ومثال الثاني من يخدم العائم فجعل القائل
نفسه من القسم الاعلى وقال ومالي لأعبد الذي فطرني أي هو مالكي أعبد لانه نظر الى
ما سيطرني ولانظر الى أن لا يعذبني وجعلهم دون ذلك فقال واليه ترجعون أي خوفكم
منه ورجاؤكم فيه فكيف لا تعبدونه ولهذا لم يقل واليه أرجع كما قال فطرني لانه صار
عابدا من القسم الاول فرجوعه الى الله لا يكون لانه كرام وأيسر سبب عبادة ذلك بل
غيره * ثم قال تعالى (أتأخذ من دونه آلهة) ليتم التوحيد فان التوحيد بين التعطيل
والاشراك فقال ومالي لأعبد اشارة الى وجود الآله وقال أتأخذ من دونه اشارة الى
غيره فتحقق معنى لاله الا الله * وفي الآية أيضا اطائف (الاولى) ذكره على طريق
الاستفهام فيه معنى وضوح الامر وذلك ان من أخبر عن شيء فقال مثلا لا تأخذ
يصح من السامع أن يقول له لم تأخذ فبأسأله عن السبب فاذا قال أتأخذ يكون كلامه
انه مستغن عن بيان السبب الذي يطالب به عند الاخبار كأنه يقول استشرتك فباني
والمستشار يتفكر فكانه يقول تفكر في الامر تفهم من غير اخبار مني (الثانية) قوله
من دونه وهي اطيقت بحجية وبيانها هو انه لا بين انه يعبد الله بقوله الذي فطرني بل ان من
دونه لا يجوز عبادته فان عبد غير الله وجب عبادة كل شيء مشارك للمعبود الذي اتخذ
غير الله لان الكل يحتاج مقتصر حادث فلو قال لا اتخذ آلهة اقبل له ذلك يختلف ان اتخذ
الها غير الذي فطره ولو لم يترك عقلان اتخذ آلهة لا حصر لها وان كان الهك ربك وخافك
فلا يجوز أن اتخذ آلهة (الثالثة) قوله أتأخذ اشارة الى أن غيره ليس باله لان المتخذ
لا يكون الها ولهذا قال تعالى ما اتخذ صاحبة ولا ولدا وقال الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا انه
تعالى لا يكون له ولد حقيقة ولا يجوز وانما النصراني قالوا باني الله عيسى وسماه ولدا فقال
ولم يتخذ ولدا ولا يقال قال الله تعالى فاتخذوه كيلا في حق الله تعالى حيث قال رب المشرق
والمغرب لاله الا هو فاتخذوه كيلا فنقول ذلك أمر متجدد وذلك لان الانسان في أول الامر
يكون قليل الصبر ضعيف القوة فلا يجوز أن يترك أسباب الدنيا ويقول اني أتوكل فلا
يحسن من الواحد منا أن لا يشغل بأمر أصلا ويترك أطفاله في ورطة الحاجة ولا يوصل

كما ينبغي * عنه قوله (واليه
ترجعون) مبالغة في
التهديد ثم عاد الى المساق
الاول فقال (أتأخذ من
دونه آلهة) انكاروا نفي
لا تخاذل آلهة على
الاطلاق وقوله

الى أهله نفقتهم ويجلس في مسجد وفليد متعلق بعطاءز يدور عرفاذاقوى بالعبادة قلبه
ونسى نفسه فضلا عن غيره وأقبل على عبادة ربه بجمع قلبه وترك الدنيا وأسبابها
وفوض أمره الى الله حينئذ يكون من الاررار الاخيار فقال الله لرسوله أنت علمت ان
الامور كلها بيد الله وعرفت الله حق المعرفة وتيقنت أن المشرق والمغرب وما بينهما وما يقع
بينهما بأمر الله ولا اله يطلب لقضاء الخواص الا هو فالتخذ وكلا وفوض جميع أمورك
اليه فقد ارتقيت عن درجة من يؤمر بالكسب الحلال وكنت من قبل تبصر في الحلال
ومعنى قوله فالتخذ وكلا أى في جميع أمورك وقوله تعالى لاتغن عني محتمل وجهين
(أحدهما) أن يكون كالنورف كأنه قال ألتخذ آلهة غير مغنبة عند ارادة الرحمن في
ضرا (وثانيهما) أن يكون من أمسانغا كأنه قال لا ألتخذ من دونه آلهة * ثم قال تعالى
(ان يردن الرحمن بضرا لافتي شفاعتهم شيئا ولا يقفون) وفيه مسائل (المسألة الاولى)
قال ان يردن الرحمن بضرا معبود بل ان يرد الرحمن بضرا وكذلك قال تعالى ان أرادني الله
بضر هل هن كاشفات حرمة عبيدته نقل ان أراد الله بضرا نقول الفعل اذا كان متعديا الى
مفعول واحد تعدى الى مفعول آخر كالأمر بتعدي بحرف في قولهم ذهب به وخرج
به ثم ان المتكلم الزايع يجعل المفعول بغير حرف ما هو أول بوقوع الفعل عليه ويجعل
الآخر مفعولا بحرف فاذا قال انما قال مثلا كيف حال فلان يقول اختصه الملك بالكرامة
والنعمه فاذا قال كيف كرامة الملك يقول اختصها بـ يد فمفعول المسئول مفعول لا بغير حرف
لانه والمقصود اذا علمت هذا فالقصد فماتن فيه بيان كون العبد تحت تصرف الله
يقبله كيف يشاء في البؤس والرخا وليس الضر بمقصود بيانه كيف والقائل مؤمن
يرجو الرحمة والنعمه بناء على ايمانه بحكم الله والله يؤيد هذا قوله من قبل الذي فطرني
حيث جعل نفسه مفعول الفطرة فكذلك استعملها مفعول الارادة * الضر وقوع تبعا
وكذا القول في قوله تعالى ان أرادني الله بضر المقصود بيان أنه يكون كإرادة الله وليس
الضر بخصوصه مقصود بالذكري يؤيده ما تقدم حيث قال تعالى أليس الله بكافي عبده
يعنى هو تحت ارادته ويتأيد ما ذكرناه بالنظام قوله تعالى قل من ذا الذي يعصمكم من الله
ان اراد بكم سوا حيث خالف هذا النظم وجعل المفعول من غير حرف السوء وهو كالضر
والمفعول بحرف هو المكلف وذلك لان المقصود ذكر الضر للتخفيف وكونهم محلا له
وكيف لاوهم كفرة استحقوا العذاب بكفرهم فجعل الضر مقصودا بالذكري لئلا يجرهم فان قيل
قد ذكر الله الرحمة أيضا حيث قال أو اراد بكم رحمة نقول المقصود ذلك ويدل عليه قوله
تعالى من بعده ولا يجحدون لهم من دون الله ولما ولا نصبرا وانما ذكر الرحمة نعمة للامر
بالقسيم الحاصر وكذلك اذا تأملت في قوله تعالى يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم قل
فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا أو اراد بكم نفعا فان الكلام أيضا مع الكفار
وذكر النفع وقع تبعا لحصر الامر بالتقسيم ويدل عليه قوله تعالى بل كان الله بعامتهم

(ان يردن الرحمن بضر
لاتغن عني شفاعتهم شيئا)
أى لاتغني شيئا من النفع
(ولا يقفون) من ذلك
الضر بالفساد والمظاهرة
استشاف سبق تعاليل
التي المذكور وجعله
صفة لا آلهة كإلهه
بعضهم بما يوجبهم أن
هناك آلهة ليست كذلك
وقرى ان يردن بفتح الاء
على معنى ان يوردني ضرا
أى يجعلني موردا للضر

(انى اذا) أى اذا اتخذت من دونه آلهة ﴿٧٥﴾ (انى ضلال مبين) فان اشراك ما ليس من شأنه النفع ولا دفع

الضرر بالخالق المقدر
الذى لا قادر غيره ولا خير
الاخبره ضلال بين لا يخفى
على أحد من انه تمييز فى
الجملة (انى آمنتم بربكم)
خطاب منه للرسول
بطريق التلوين قبل
لما صح قومه بما ذكر
هموا بوجه فأسرع نحو
الرسول قبل أن يقتلوه
فقال ذلك وانما أكد
لاظهار صدوره عنه
بكمال الرغبة والنشاط
وأضاف الرب الى ضميرهم
روما لزيادة التفسير
وطهار الاختصاص
والافتداء بهم كأنه قال
بربكم الذى أرسلكم
أو الذى تدعوننا الى
اليمان به (فاسمعون) أى
اسمعوا إيمانى واشهدوا
لى به عند الله تعالى
وقيل الخطاب للكفرة
شافهم بذلك اظهارا
للتصليب فى الدين وعدم
المبالاة بالقتل وإضافة
الرب الى ضميرهم لتحقيق
الحق والتبني على
بطلان ما هم عليه من
اتخاذ الاصنام أربابا
وقيل للناس جميعا

خيراته للتخويف وهذا كقوله تعالى وانا أوياكم على هدى أو فى ضلال مبين والمقصود
انى على هدى وأنتم فى ضلال ولو قال هكذا لمنع مانع فقال بالتقسيم كذلك ههنا المقصود
الضرر واقع بكم ولجل دفع المانع قال الضرر والنفع (المسئلة الثانية) قال ههنا ان يردن
الرحن وقال فى الزمر ان أرادنى الله فإا الحكمة فى اختيار صبغة الماضى ههناك
واختيار صبغة المضارع ههنا وذكر المر يد باسم الرحن ههنا وذكر المر يد باسم الله ههناك
نقول اما الماضى والمستقبل فان فى الشرط تصير الماضى مستقبلا وذلك لان
المذكور ههنا من قبل بصبغة الاستقبال فى قوله آلتخذ وقوله وما لى لأعبد والمذكور
هناك من قبل بصبغة الماضى فى قوله أفرا أنتم وكذلك فى قوله تعالى وان يمسك الله بضمر
ثم يكون المتقدم عليه مذكورا بصبغة المستقبل وهو قوله من يصرف عنه وقوله انى
أخاف ان عصيت والحكمة فيه هو ان الكفار كانوا يخوفون النبي صلى الله عليه وسلم بضمر
بصبغة من آتاهم فكانه قال صدر منكم التخويف وهذا ما سبق منكم وههنا ابتداء
كلام صدر من المؤمن للتقرير والجواب ما كان يكن صدوره منهم فافترق الامر ان واما
قوله ههناك ان أرادنى الله فنقول قد ذكرنا ان الاممين المختصين بواجب الوجود الله
والرحن كما قال تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحن والله تاهية والعظمة والرحن
للرافة والرحمة وههنا وصف الله بالعمة والانتقام فى قوله ليس الله يعزى انتقام وذكر
ما يدل على العظمة بقوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض فذكر الاسم الدال
على العظمة وقال ههنا ما يدل على الرحمة بقوله الذى فطرني فانه نعمة هي شرط سائر النعم
فقال ان يردن الرحن بضمر ثم قال تعالى لاتن عنى شفاعتهم شيئا ولا يتقنون على ترتيب
ما يقع من العقلاء وذلك لان من يريد دفع الضرر عن شخص أضمر به شخص يدفع بالوجه
الاحسن فيشفع أولا فان قبله واليدفع فقال لاتن عنى شفاعتهم ولا يتقنون على
اتقاذى بوجه من الوجوه وفى هذه الآيات حصل بيان ان الله تعالى معبود من كل وجه
ان كان نظرا الى جانبته فهو فاطر ورب مالك يستحق العبادة سواء أحسن بعد ذلك أولم
يحسن وان كان نظرا الى احسانه فهو رحن وان كان نظرا الى الخوف فهو يدفع ضرره
وحصل بيان ان غيره لا يصلح أن يعبد بوجه من الوجوه فان أدنى مرتبة أن يعبد يوم كريمة
وغير الله لا يدفع شيئا الا اذا أراد الله وان يرد فلا حاجة الى دافع ثم قال تعالى (انى اذا انى
ضلال مبين) يعنى ان فعلت ذلك فأناضل ضلالا بينا والمبين فعل يعنى فعل كاجاء
عكسه فعل يعنى مفعول فى قوله أليم أى مؤلم ويمكن أن يقال ضلال مبين أى مظهر
الامر للناظر والاول هو الصحيح ثم قال تعالى (انى آمنتم بربكم فاسمعون) فى الخطاب
بقوله بربكم وجوه (أحدها) هم المرسلون قال المفسرون قبل القوم عليه يريدون قتله
فأقبل هو على المرسلين وقال انى آمنتم بربكم فاسمعوا فولى واشهدوا الى (وثانيها) هم الكفار
كانه لما نصحه ومانعه قال فانا آمنتم فاسمعون (وثالثها) بربكم أيها السامعون

(قبل ادخل الجنة) قيل له ذلك لما قتلوه اكراماله بدخولها حينئذ كسائر الشهداء وقيل لما هموا بقتله رفعه الله تعالى الى الجنة قاله الحسن وعن قتادة أدخله الله الجنة ﴿٧٦﴾ وهو فيها حتى يرزق وقيل معناه البشرى بدخول الجنة

وأنه من أهلها وإنما لم يقل له لان الغرض بيان المقول لا المقول لا قوله هورده والجماع في المسارعة الى بيانه والجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية حاله ومقاله كأنه قيل كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصديق دينه والتسخطى بروحه اوجهه تعالى فقيل قيل دخل الجنة وكذلك قوله تعالى (قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين) فانه جواب عن سؤال نشأ من حكاية حاله كأنه قيل فاذا قال عندئذ تلك الكرامة السنية فقيل قال الخ وإنما نرى علم قومه بحاله ليعلمهم ذلك على اكتساب مثله بالتوبة عن الكفر والدخول في الإيمان والطساعة جرياعلى سنن الاولياء في اظم اليفظ والترحم على الاعداء اولعولوا أنهم كانوا على خطأ عظيم في أمره وأنه كان على الحق وأن عساوتهم

فاسمعون على العموم كما قلنا في قول الواعظ حيث يقول يا مسكين ما أكثر أملاك وما أزر علكم يريد به كل سامع يسمعه وفي قوله فاسمعون فوائد (أحدها) انه كلام متروم تفكر حيث قال فاسمعون فان المنكلم اذا كلن يعلم ان الكلام جملة سامعين يتذكر (وثانيها) ان يذبه القوم ويقول اني أخبركم بما فعلت حتى لا تقولوا لم أخفيت عنا أمرك ولوا ظهرت لا تمنعك (وثالثها) ان يكون المراد السماع الذي بمعنى القول يقول القائل فصحة فهم قول أي قبله فار قلت لم قال من قبل واملى لأعيد الذي فطرتي وقال ههنا آمنت بربكم ولم يقل آمنت بربى تقول على قولنا الخطاب مع الرسل أمر ظاهر لانه لما قال آمنت بربكم فظهر عند الرسل انه قبل قولهم وآمن بالرب الذي دعوه اليه ولو قال بربى لعلمهم كانوا يقولون كل كافر يقول لربى وآمن مؤمن بربى واملى قولنا الخطاب مع الكفار فقيده بيان للتوحيد وذلك لانه لما قال أعبد الذي فطرتي ثم قال آمنت بربكم فهم انه يقول لربى وربكم واحد وهو الذي فطرتي وهو بعينه ربكم بخلاف ما قال آمنت بربى فيقول الكافر وأنا أيضا آمنت بربى ومثل هذا قول تعالى الله ربنا وربكم ثم قال تعالى (قيل ادخل الجنة) فيه وجهان (أحدهما) انه قيل ثم قيل له ادخل الجنة بعد القتل (وثانيهما) قيل ادخل الجنة عقيب قوله آمنت وعلى الاول * قوله تعالى (قال يا ليت قومي يعلمون) يكون بعد موته والله أخبر بقوله وعلى الثاني قال ذلك في حياته وكأنه سمع الرسل انه من الداخلين الجنة وصدقهم وقطع به وعلمه فقال يا ليت قومي يعلمون كما علمت فيؤمنون كما آمنت وفي معنى قوله تعالى قبل وجهان كما ان في وقت ذلك وجهان (أحدهما) قيل من القول (والثاني) ادخل الجنة وهذا كما في قوله تعالى إنما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ليس المراد القول فيوجد بل هو الفعل أى يفعله في حينه من غير تأخير وتراخ وكذلك في قوله تعالى وقيل يا أرض ابلعي فوجد جعل الأرض بالعماءها * وفي قوله تعالى (بما غفر لي ربي) وجوه (أحدها) ان ما استفهامية كأنه قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي حتى يستغفوا به وهو ضعيف والالكان الاحسن أن تكون ما عند وفاة الالف يقال بم وفيم وعم ولم (وثانيها) خبر به كأنه قال يا ليت قومي يعلمون بالذي غفر لي ربي (وثالثها) مصدرية كأنه قال يا ليت قومي يعلمون بغفرة ربي والوجهان الآخران هما المختاران * ثم قال تعالى (وجعلني من المكرمين) قد ذكرنا أن الإيمان والعمل الصالح يوجبان أمرين هما الغفران والاكرام كما في قوله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك اهلهم مغفرة ورزق كريم والرجل كان من المؤمنين الصالحاء والمكرم على ضد المهان والاهانة بالحاجة والاكرام بالاستغناء فيغنى الله الصالح عن كل أحد ويدفع جميع حاجاته بنفسه ثم انه تعالى لما بين حال المخلفين المخالفين له من قومه بقوله تعالى (وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء) اشارة الى هلاكهم بعد سر بعلى أسهل وجه فانه لم يخرج الى ارسال جند يهلكهم وفيه مسائل (المسئلة

لم تكسبه الاسعادة وقرى من المكرمين وما موصولة أو مصدرية والباء صلة يعلمون أو استفهامية ﴿الاولى﴾ وردت على الاصل والباء متعلقة بغفر لي أى شئ غفر لي ربي يريد به تخفيف شأن

المهاجرة عن ملتهم والمصاهرة على أذيتهم ﴿ ٧٧ ﴾ (وما أنزلنا على قومه من بعده) من بعد قوله أوفعه (من جند

من السماء) لاهلاكهم
والاستقام منهم كما قولناه
يوم بدر والحق بل
كفينا أمرهم بصيحة
ملك وفيه استحقار لهم
ولا هلاك لهم وإيمان إلى
تقجيهم شأن الرسول
صلى الله عليه وسلم (وما
كنتمزلين) (وما صح
في حكمتنا أن نزل
لا هلاك قومه جندنا من
السماء لما أنقذنا لكل
شيء سبباً حيث أهلكتنا
بعض من أهلكتنا من
الأمم بالحاسب وبعضهم
بالصيحة وبعضهم
بالخسف وبعضهم
بالاغراق وجعلنا الزل
الجد من خصائصك
في الانتصار من قومك
وقبل ما ووصله معطوفة
على جندأي وما كنا
منزليين على من قبلهم
من حجارة وريح وأمطار
شديدة وغيرها (ان
كانت) أي ما كانت
الأخذة أو العنوبة
(الاصيحة واحدة)
صاح بها جبريل عليه
السلام وقرئ الاصيحة
بالرفع على أن كان تأمة
وقرئ الاريقية واحدة

الاولى) قال ههنا وما أنزلنا باسناد الفعل الى النفس وقال في بيان حال المؤمن قيل ادخل
الجنة باسناد اقول الى غير مذكور وذلك لان العذاب من باب الهيبة فقال بلغف
التعظيم وأما في ادخل الجنة فقال قيل ليكون هو كما ههنا يقول الملائكة حيث يقول له
كل ملك وكل صالح يراه ادخل الجنة خائداً فيها هو كثير ما ورد في القرآن قوله تعالى وقيل
ادخلوا اشارة الى أن الدخول يكون دخولاً باكرام كما يدخل العريس البيت المزين على
رؤس الاشهاد عينه كل أحد (المسئلة الثانية) لم يضاف انقوم اليه مع أن الرسل أولى
يكون الجمع قوماً لهم فان الواحد يكون له قوم هم آله وأصحابه والرسول لكونه مرسل
يكون جميع الخلق وجميع من أرسل اليهم قوماً له يقول لوجهين (أحدهما) ليبين الفرق بين
اثنين ههنا من قبيلة واحدة أكرم أحدهما غاية الاكرام بسبب الايمان وأهين الآخر غاية
الاهانة بسبب الكفر وهذا من قوم أولئك في النسب (وثانيهما) أن العذاب كان مختصاً
بأقارب ذلك لان غيرهم من قوم الرسل آمنوا بهم فلم يصيبهم العذاب (المسئلة الثالثة)
خصص عدم النزول بما بعده والله تعالى لم ينزل عليهم جنداً قبله أيضاً فائدة التخصيص
نقول استحقاقهم العذاب كان بعده حيث أصروا واستكبروا فبين حال الهلاك أنه
لم يكن يجند (المسئلة الرابعة) قال من السماء وهو تعالى لم ينزل عليهم ولأرسل اليهم جندا
من الارض فافائدة التقييد نقول الجواب عنه من وجهين (أحدهما) أن يكون المراد
وما أنزلنا عليهم جندا بأمر من السماء فيكون العموم (وثانيهما) أن العذاب نزل عليهم من
السماء فبين أن النازل لم يكن جندا لهم عظيمة وإنما كان ذلك بصيحة أنجذت نارهم
وخربت ديارهم (المسئلة الخامسة) ﴿ وما كنتمزلين ﴾ (وما كنتمزلين) أي فائدة فيه مع أن قوله وما أنزلنا
يستلزم أنه لا يكون من المنزليين نقول قوله وما كنا أي ما كنا ينبغي لنا أن نزل لان الأمر كان
يتم بدون ذلك فأنزلنا وما كنا محتاجين الى الزل أو نقول وما أنزلنا وما كنا منزالين في مثل
تلك الواقعة جنداً في غير تلك الواقعة فان قيل فكيف أنزل الله جنوداً في يوم بدر وفي غير ذلك
حيث قال وأنزل جنوداً لم ترها نقول ذلك تعظيماً لمحمد صلى الله عليه وسلم والاك ان تحريك
ريشة من جناح ملك كافي في استئصالهم وما كان رسل عيسى عليه السلام في درجة
محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ ثم بين الله تعالى ما كان بقوله (ان كانت) الواقعة (الاصيحة) وقال
الزنجشيري أصله ان كان شيء الاصيحة فكان الاصل ان يذكر لكنه تعالى انت لما بعده من
المفسر وهو الاصيحة ﴿ قوله تعالى (واحدة) ﴾ تأكيدياً لكون الأمر ههنا عند الله ﴿ وقوله تعالى
(فاذا هم خامدون) ﴾ فيه اشارة الى سرعة الهلاك فان خلودهم كان مع الصيحة وفي وقتها
لم يتأخرو وصفهم بالخمود في غاية الحسن وذلك لان الحى في الحرارة الغريزية وكلما كانت
الحرارة أوفر كانت القوة الغضبية والشهوانية أتموهم كانوا كذلك اما الغضب فانهم
قلوا مؤمناً كان ينصحبهم وأما الشهوة فلا تنهم احتملوا العذاب الدائم بسبب استيفاء
اللذات الحالية فذن كانوا كائنات الموفدة ولانهم كانوا اجبارين مستكبرين كانوا ومن

من زقا الطائر اذا صاح (فاذا هم خامدون) ميتون شبهوا بانشار الخادمة ومزا الى أن الحى كانتا الساطعة في
الحركة الاتعاب الميت كلاً ما كانا لشد ومالاً كالاشعاب وضوءه يحور ماداً بعد اذ هو ساطع

(ياحسرة على العباد) تعالى فهذه من الاحوال التي حقها أن تحضري فيها وهي ما ذل عليه قوله تعالى (ما أتيتهم من رسول الا كانوا به يستهزئون) فان المستهزئين بالناسحين الذين ﴿ ٧٨ ﴾ نيطت بصانحهم سعادة الدارين أحقها

بأن يحسروا ويتحسروا عليهم المتحسرون أو قد تلهف على حالهم الملائكة والمؤمنون من القليلين وقد جوز أن يكون تحسرا عليهم من جهة الله تعالى بطريق الاستعارة لتعظيم ما جئوه على أنفسهم ويؤيده قراءة يحسرونا لان المعنى يا حسرتي ونصها الطواهي بما يتعلق بها من الجار وقبل باعتبار فعلها والمنادي بخدوش وقرئ يا حسرة العباد بالاضافة الى الفاعل او المفعول وياحسره على العباد باجراء الوصل بحرى الوقف (المروا) أى ألم يعلموا وهو معلق عن العمل في قوله تعالى (كم أهلكنا قبلهم من القرون) لان كم لا يعمل فيها ما قبلها وان كانت خبرية لان أصلها الاستفهام خلا أن معناه نافذ في الجملة كنفذ في قواك المبر ان زيدا لمنطلق وان لم يعمل في لفظه (انهم اليهم لا يرجعون) بدل من كم أهلكنا على المعنى أى المروا أكثره أهلكنا من قبلهم من المذكورين أنفوا من غيرهم كونهم غير بادية

راجعين اليهم وقرئ بالكسر على الاستئناف وقرئ المروا من أهلكنا والبدل حيث تبدل اشتمال

(وان كل لما جمع لدينا محضرون) يالرجوع الدل الى المحشر بعد بيان عدم الرجوع الى الدنيا وان نافية وتنوين كل عوض عن المضاف اليه ولما بمعنى الراجع * ٧٩ * فعمل بمعنى مفعول ولدينا ظرف له ولما بعده والمعنى ما كلهم الا

بادية وعرف نفسه وطلب منه امر اهيان فكذبه ولم يجبه الى ماداة ثم وقف بين يديه وهو على سر رملة فرفد انه ذاك يكون عنده من الندامة ما لا من يدعيه فكذلك الرسل هم ملوك وأعظم منهم باعزاز الله اياهم وجعلهم نوابه كما قال ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وجاهوا وعرفوا أنفسهم ولم يكن لهم عظمة ظاهرة في الخس ثم يوم القيامة أو عند ظهور البأس ظهرت عظمتهم عند الله لهم وكان ما يدعون اليه امر اهيان نفعه علنا اياهم من عبادة الله وما كانوا يسألون عليه اجرا فعند ذلك تكون الندامة الشديدة وكيف لا وهم لم يشتعوا بالاعراض حتى آذوا واستهزؤا واستخفوا واستهانوا وقوله ما اتيهم الضمير يجوز ان يكون علنا الى قوم حبيب أي ما اتيهم من رسول من الرسل الثلاثة الا كانوا يستهزؤن على قولنا الحسرة عليهم ويجوز ان يكون علنا الى الكفار المصيرين * ثم ان الله تعالى لما بين حال الاولين قال المحاضرين (الم يروا كم اهلكتنا قبلهم من القرون) أي الباقون لا يرون ما جرى على من تقدمهم ويحتمل أن يقال ان الذين قيل في حقهم بالحسرة هم الذين قال في حقهم الم يروا ومعناه ان كل مهلك تقدمه قوم كذبوا وأهلكوا الى قوم نوح وقوله * وقوله (انهم اليهم لا يرجعون) بدل في المعنى عن قوله كم اهلكتنا وذلك لان معنى كم اهلكتنا الم يروا اكثر اهلانا كذا وفيه معنى الم يروا المهلكين الكثيرين انهم اليهم لا يرجعون وحيث يكون كبديل الاشتغال لان قوله انهم اليهم لا يرجعون حال من احوال المهلكين أي اهلكوا بحيث لا يرجعون اليهم فيصير كقولك ألا ترى زيدا أدبه وعلى هذا فقله انهم اليهم لا يرجعون فيه وجهان (أحدهما) اهلكوا اهلانا كالارجوع لهم الى من في الدنيا (وثانيهما) هوانهم لا يرجعون اليهم أي الباقون لا يرجعون الى المهلكين بسبب ولا ولادة يعني اهلكتناهم وقطعنا نسلهم ولا شك في أن الاهلاك الذي يكون مع قطع النسل أتم وأنعم والوجه الاول أشهر نقلا والثاني أظهر عقلا * ثم قال تعالى (وان كل لما جمع لدينا محضرون) لما بين الاهلاك بين انه ليس من اهلكه الله تركه بل بعده جمع وحساب وجس وعقاب ولأن من اهلك ترك لكان الموت راحة ونعم ما خال القائل

ولو أنا اذا متنا تركنا * لكان الموت راحة كل حي
ولكننا اذامتنا بعثنا * ونسئل بعده عن كل شيء

وقوله وان كل لما في ان وجهان (أحدهما) انها تخفف من الثبلة واللام في لما فارقة بينها وبين النافية وما زائدة مؤكدة في المعنى والقرأة حيث بالتخفيف في لما (وثانيهما) انها نافية ولما بمعنى الا قال سيويه يقال نشدك بالله لما فعلت بمعنى الانعتل والقرأة حيث بالتشديد في لما يوئيد هذا ما روى ان أيا قرأ وما كل الراجع وفي قول سيويه لما بمعنى الاوارد معنى مناسب وهوان لما كأنها حرفان في جمعا وهما لم وما فاذن كذا في وللهذا يقال في جواب من قال قد فعل لما بفعل وفي جواب من قال فعل لم بفعل والا كأنها حرفان في

الآية هي الارض (وأخرجنا منها خبا) جنس الحب (فخدأ كلون) تقديم الصلة للدلالة على ان الحب معظم ما يؤكل

ويعاش به (وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب) أي من أنواع * ٨٠ * النخل والعنب ولذلك جمعادون الحب

فإن الدال على الجنس مشعر بالاختلاف ولا كذلك الدال على الأنواع وذكر النخيل دون التور لطابق الحب والأعناب لاختصاص شجرها بمن يد النفع وأما الصنم (وفجرنا فيها) وقرئ بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفخيخ فظنا ومعنى (من العيون) أي بعضهم البعض خفف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه أو العيون ومن مزينة على رأى الاختش (أي كلاً من ثمره) متعلق بجعلنا وتأخيره عن تفجير العيون لأنه من مبادئ الآثار رأى جعلنا فيها جنات من نخيل ورتبنا مبادئ ثمارها ليا كلاً من ثمر ما ذكر من الجنات والنخيل بأجراء الضمير لله تعالى بطريق الالتفات إلى التسمية والإضافة لأن الثمر مخلقه تعالى وقرئ بضمتين وهي لغة فائدة أو جمع ثمار بضم وسكون (وما علمته أيديهم) عطف على ثمره وهو ما يتخذ منه مد العصور والدبس ونحوهما

ان ولا فاستعمل أحدهما مكان الآخر قال الزمخشري فإن قال قائل كل وجع بمعنى واحد فكيف جعل جميعاً خبر الكل حيث دخلت اللام عليه إذا التقدير وإن كل لجمع تقول معنى جميع مجموع ومعنى كل كل فرد بحيث لا يخرج عن الحكم أحد فصار المعنى كل فرد مجموع مع الآخر مضوم اليه ويمكن أن يقال محضرون يعني عماد كره وذلك لأنه لو قال وإن جميع لجمع محضرون لكان كلاماً صحيحاً ولم يوجد ما ذكره من الجواب بل الصحيح أن محضرون كالصفة للجمع فكانه قال جميع جميع محضرون كما يقال الرجل رجل عالم والنبى نبي مرسل والواو في وإن كل اعطف الحكاية على الحكاية كأنه يقول بينت لك ما ذكرت وأبين أن كلاً لدينا محضرون وكذلك الواو في قوله تعالى * وأبنة لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حياة فبها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليا كلاً من ثمره وما علمته أيديهم أفلا يشكرون) كأنه يقول وأقول أيضاً آية لهم الأرض الميتة وفيه مسائل (المسئلة الأولى) ما وجه تعلق هذا بما قبله تقول مناسب لما قبله من وجهين (أحدهما) أنه لما قال وإن كل للماجع كان ذلك إشارة إلى الحشر فذكر ما يدل على إمكانه قطعاً لانكارهم واستبعادهم وأصرارهم وعنادهم فقال وآية لهم الأرض الميتة أحييناها كذلك نحي الموتى (وثانيهما) أنه لما ذكر حال المرسلين وأهلاكم المكذبين وكان شغلهم التوحيد ذكر ما يدل عليه وبدأ بالأرض لكونها مكانهم لامفارقة لهم منها عند الحركة والسكون (المسئلة الثانية) الأرض آية مطلقاً فمخصصها بهم حيث قال وآية لهم تقول الآية تعدد وتسرّد لمن لم يعرف الشيء بأبلغ الوجوه وأما من عرف الشيء بطريقه الرؤية لا يدكر له دلائل فإن النبي وعباد الله المتخلصين عرفوا الله قبل الأرض والسماء فليست الأرض معرفة لهم وهذا كما قال تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق وقال أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد يعني أنت كفالك ربك معرفة به عرفت كل شيء فهو شهيد لك على كل شيء وأما هؤلاء يتبين لهم الحق بالآفاق والأنفس وكذلك ههنا آية لهم (المسئلة الثالثة) أن قلنا أن الآية مذكورة للاستدلال على جواز إحياء الموتى فيكون قوله أحييناها ولا حاجة إلى قوله وأخرجنا منها حياً وغير ذلك وأن قلنا أنها للاستدلال على وجود الإله ووحدته فلا فائدة في قوله الأرض الميتة أحييناها لأن نفس الأرض دليل ظاهر وبرهان بآثارهم هي أنها غير كافية بقوله الميتة أحييناها كاف في التوحيد فافائدة قوله وأخرجنا منها حياً تقول مذكورة للاستدلال عليها ولكل ما ذكره الله تعالى فائدة أما قوله وأخرجنا منها حياً فائدة بالنسبة إلى إياها إحياء الموتى وذلك لأنه لما أحيانا الأرض وأخرج منها حياً كان ذلك إحياء تاماً لأن الأرض الخضر التي لا تثبت الزرع ولا تنخرج الحب دون ما تنبت في الحياة فكانه قال تعالى الذي أحيانا الأرض أحيانا كاملاً مثبناً للزراعة يحيى الموتى أحياء كاملاً بحيث تدرك الأمور وأما بالنسبة إلى التوحيد فلا فائدة بتعديدها نعم كأنه يقول آية لهم الأرض

وقبل ما نافية والمعنى أن الثمر يخلق الله تعالى لآية لهم وعلى الجملة النصيب على الحالبية ويؤكداً الأولى قراءة ﴿فانها﴾ تحت بلاها فان حذف المائدة من الصلة أحسن من الحذف من غيرها (أفلا يشكرون) انكار

فانما مكانهم ومهدهم الذي فيه تحر يكهم واسكانهم والامر الضروري الذي عنده وجودهم وامكانهم وسواء كانت بيعة أو لم تكن فهي مكان لهم لا بد لهم منها فهي نعمة ثم احباؤها بحيث تخضر نعمة ثانية فانها تصبروا حسن وأثره ثم اخرج الحب منها نعمة ثالثة فان قوتهم يصير في مكانهم وكان يمكن ان يجعل الله رزقهم في السماء أو في الهواء فلا يحصل لهم الوثوق ثم جعل الجنات فيها نعمة رابعة لان الارض تثبت الحب في كل سنة واما الاشجار بحيث تؤخذ منها الثمار فتكون بعد الحب وجودا ثم فيجرب فيها العيون ليحصل لهم الاعتماد بالحصول ولو كان ماؤها من السماء لحصل ولكن لم يعلم انهم أين تغرس وأين يقع المطر وبمثل القطرو بالنسبة الى بيان احباها الموتى كل ذلك مفيد وذلك لان قوله وأخرجنا منها حبا كالإشارة الى الامر الضروري الذي لا بد منه وقوله وجعلنا فيها جنات كالامر المحتاج اليه الذي ان لم يكن لا يعنى الانسان لكنه يبيح تحت الحال وقوله وفجرنا فيها من العيون اشارة الى ازالة التي ان لم تكن لا تعنى الانسان ولا يبقى في ورطة الحاجة لكنه لا يكون على أحسن ما ينبغي وكان حال الانسان بالحب كحال الفقير الذي له ما يسد خلته من بعض الوجوه ولا يدفع حاجته من كل الوجوه وبالثمار يعتبر حاله كحال المكتفي بالعيون الجارية التي يعتمد عليها الانسان ويقوى بها قلبه كالاستغنى التفتي المدخر لقوت سنين فيقول الله عز وجل كما فعلنا في موات الارض كذلك نفعل في الاموات في الارض فتحببهم ونعطيهم ما لا بد لهم منه في بقائهم ويكونهم من الاعضاء المحتاج اليها وقواها كالعين والقوة الباصرة والاذن والقوة السامعة وغيرهما ونزلهما ما هو رزق كالعقل الكامل والادراك الشامل فيكون كأنه قال نحبى الموتى احبا تاما كما احببنا الارض احبا تاما (المسئلة الرابعة) فقال عند ذكر الحب فنه يأكلون وفي الاشجار والثمار قال ليأكلوا من ثمره وذلك لان الحب قوت لا بد منه فقال فنه يأكلون أى هم يأكلوه وأما الثمار ليست كذلك فكانه تعالى قال ان كنتمما أخرجنها كانوا يبقون من غير أكل فأخرجناها ليأكلوها (المسئلة الخامسة) خصص التخييل والاعجاب بالذكر من سائر الفواكه لان الأذامطعوم الخلاوة وهي فيها أتم ولان التمر والعنب قوت وفاكهة ولا كذلك غيرهما ولا نهما نعم نفعاً فالها تحمل من البلاد الى الاماكن البعيدة فان قيل فقد ذكر الله الرمان والزيتون في الانعام والتضب والزيتون والتين في مواضع نقول في الانعام وغيرها المقصود ذكر الفواكه والثمار الأتري الى قوله تعالى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به الى قوله فليظفر الانسان الى طعامه فاستوفى الانواع بالذكر وههنا المقصود ذكر صفات الارض فاخترنا منها الاذامطعوم وقد ذكرنا في سورة الانعام ما يستفاد منه الفواكه ويعلم منه فائدة قوله تعالى فاكهة ونخل ورمان (المسئلة السادسة) في المواضع التي ذكر الله الفواكه لم يذكر التمر بل فقط شجرته وهي التخله ولم يذكر العنب بل فقط شجرته بل ذكره بلفظ العنب والاعناب ولم يذكر الكرم وذلك لان العنب شجرته بالنسبة الى ثمرته حقيرة قليلة

واستباح اعدم شكرهم
للتعم المعدودة والفاء
للدطف على قدر
يقضيه المقام أى ايرون
هذه التعم أو أيتعمون
بها فلا يشكرونها
(سبحان الذى خلق
الازواج كلها) استئناف
مسوق لتزج به تعالى عما
فعله من ترك شكره على
الآله المذكورة واستعظام
ما ذكر في حين الصلاة
من بدائع آمار قدرته
وأسرار حكمته وروائع
نعماته الموجبة للشكر
وتخصيص العبادة به
والتعجب من اخلاصهم
بذلك والحال هذه
وسبحان علم التسييح
الذى هو التباعد عن السوء
اعتقادا وقولا أى اعتقاد
البعد عنه والحكم به
من سبيح في الارض والماء
اذا أبعده فيهما

القائدة والتخل بالنسبة الى ثمرته عظيمة جليلة القدر كثيرة الجدوى فان كثيرا من الظروف
منها يتخذ ولحائها ينفع ولها شبه بالحیوان فاختر منها ماهو الاعجب منها وقوله تعالى
وفجرنا فيها من العيون آية عظيمة لان الارض اجزاء وها يحكم العادة لا تصعد ونحن نرى
منابع الانهار والعيون في المواضع المرتفعة وذلك دليل القدرة والاختيار والقائلون
بالعياض قالوا ان الجبال كالنسيب المبينة والابخرة ترتفع اليها كما ترتفع الى سطوف
الجماعات وتكون هناك فطرات من الماء ثم تجتمع فان لم تكن قو به تحصل المياه الراكدة
كالاتار وتجري في السنوات وان كانت قوية تشق الارض وتخرج انهارا جارية وتجتمع
فتحصل الانهار العظيمة وعمدها مياه الامطار والثلوج فتقول اختصاص بعض الجبال
بالعيون دليل ظاهر على الاختيار وما ذكره تصف فالحق هو ان الله تعالى خلق الماء
في المواضع المرتفعة وساقها في الانهار والسواقي اوصعد الماء من المواضع المنخفضة الى
الاماكن المرتفعة بأمر الله وجري في الاودية الى البقاع التي انعم الله على أهلها ثم قال
تعالى لياكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون والترتيب ظاهر ويظهر أيضا في
التفسير وفيه مسائل (المسئلة الاولى) لما أخرج التنبيه على الانتفاع بقوله لياكلوا عن ذكر
الثمار حتى قال وفجرنا فيها من العيون وقال في الحب عنه يا كلون عقيب ذكر الحب ولم
يقبل عقيب ذكر التخل والاعتاب لياكلوا نقول الحب قوت وهو يتم وجوده بيبس
الامطار ولهذا يرى أكثر البلاد لا يكون بها شيء من الاشجار والزرع والحراث لا تبطل
هناك اعتمادا على ماء السماء وهذا لطيف من الله حيث جعل ما يحتاج اليه الانسان اعم
وجودا وأما الثمار فلا تتم الا بالانهار ولا تصير الاشجار حاملة للثمار الا بعد وجود الانهار
ولهذا أخرج (المسئلة الثانية) الضمير في قوله من ثمره عائدا الى أي شيء نقول المشهور انه عائدا
الى الله أي لياكلوا من ثمر الله (وفيه لطيفة) وهي ان الثمار بعد وجود الاشجار وجريان
الانهار لم توجد الا بالله تعالى واو لا خلق الله ذلك لم توجد فالثمر بعد جميع ما يظن الظن انه
سبب وجوده بس الا بالله تعالى وارادته فهي ثمره ويحتمل ان يعود الى التخل وترك
الاعتاب لحصول العلم بانها في حكم التخل ويحتمل ان يقال هو راجع من المذكور أي من
ثمر ما ذكرنا وهذا الوجهان نعلمهما الزمخشري ويحتمل وجه آخر أغرب وأقرب وهو ان
يقال المراد من الثمر الفوائد يقال ثمرة التجارة الربح ويقال ثمرة العبادة الثواب ويحتمل
يكون الضمير عائدا الى التعبير المداول عليه بقوله وفجرنا فيها من العيون تغييرا لياكلوا
من فوائد ذلك التعبير وفوائده أكثر من الثمار بل يدخل فيه ما قال الله تعالى اناصينا الماء
صبا الى أن قال فأخرجنا به حبا وعسبا وقضبا وزيتونا ونخلًا وحنانًا غلبا وفاكهة وأبا
والنخيل أقرب في الذكر من التخل ولو كان عائدا الى الله لقال من ثمرنا كما قال وجعلنا
وفجرنا (المسئلة الثالثة) ما في قوله وما عملته من أي المآت هي نقول فيها وجود (أحدها)
نافية كأنه قال وما عملت التغيير أيديهم بل الله فخر (وثانيها) موصولة بمعنى الذي كأنه قال

وأمن ومنه فرس سبوح
أي واسع الجري وانتصابه
على المصدرية ولا يكاد
يذكر ناصبه أي أصبح
سبحانه أي أنزهه عما
لا يليق به عقدا وعلا
نزهة خاصا به حقيقة
بشأنه وفيه مبالغة من
جهة الاشتقاق من السبح
ومن جهة النقل الى
التفصيل ومن جهة العدول
عن المصدر الدال على
الجلس الى الاسم الموضوع
له خاصة لاسيما العلم
المشير الى الحقيقة الخاضرة
في الذهن ومن جهة
اقامته مقام المصدر مع
الفعل وقيل هو مصدر
كغفران أر يديه التزّه
التام والتباعد الكلي
عن السوء ففيه مبالغة
من جهة اسناد التزّه
الى الذات المقدسة فالعق
تزه بذاته

والذي علمته أيديهم من الفراس بعد التغيير يأكلون منه أيضا أو يأكلون من ثمر الله الذي
أخرجها من غير سعي من الناس فعضف الذي علمته أيدي على ما خلقه الله من غير مدخل
للإنسان فيه (وثالثها) هي مصدرية على قراءة من قرأ وما علمت من غير ضمير عالمه
ليأكلون من ثمره وعمل أيديهم يعني يفرسون والله يبتتها ويخلق ثمرها فيأكلون مجموع عمل
أيديهم وخلق الله وهذا الوجه لا يمكن على قراءة من قرأ مع الضمير (المسئلة الرابعة) على
قولنا ما موصولة يحتمل أن تكون بمعنى وما علمته أي بالجملة كأنه ذكر نوعي ما باكل
الإنسان بهما وهما الزراعة والتجارة ومن النبات ما يؤكل من غير عمل الأيدي كالغيب
والنمر وغيرهما ومنه ما يعمل فيه عمل صنعة فيؤكل كالأشياء التي لا تؤكل الأمطبوخة
أو كالزيتون الذي لا يؤكل إلا بعد اصلاح ثم لما عدد النعم أشار إلى الشكر بقوله
أفلا يشكرون وذكر بصيغة الاستفهام لما بينا من فوائد الاستفهام فيياتقدم * ثم قال
تعالى (سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون)
قد ذكرنا أن لفظة سبحان علم دال على التسبيح وتقديره سبحانه تسبيح الذي خلق الأزواج
كلها ومعنى سبحانه زوجه ووجه تعلق الآية بما قبلها هو أنه تعالى لما قال أفلا يشكرون وشكر
الله بالعبادة وهم تركوها ولم يقتنعوا بما ترك بل عبدوا غيره وأتوا بالشرك فقال سبحان الذي
خلق الأزواج وغيره لم يخلق شيئا فقال أو تقول لما بين أنهم أنكروا الآيات ولم يشكروا
بين ما ينبغي أن يكون عليه العاقل فقال سبحان الذي خلق الأزواج كلها أو تقول لما بين
الآيات قال سبحان الذي خلق ما ذكره عن أن يكون له شريك أو يكون عاجزا عن إحياء
الموتى وفيه مسائل (المسئلة الأولى) قوله كلها يدل على أن أفعال العباد مخلوقة لله لأن
الزوج هو الصنف وأفعال العباد أصناف ولها أشباه هي واقعة تحت اجناس الاعراض
فتكون من الكل الذي قال الله فيها أنه خلق الأزواج كلها لا يقال مما تنبت الأرض
يخرج الكلام عن العموم لأن من قال أعطيت زيدا كل ما كان لي يكون للعموم أن
اقتصر عليه فإذا قل بعده من الثياب لا يبقى الكلام على عمومه لأننا نقول ذلك إذا كانت
من البيان التخصيص أما إذا كانت لتأكيد العموم فلا بدليل أن من قال أعطيت كل
شيء من الدواب والثياب والتعبيد والجوارى يفهم منه أنه بعدد الأصناف لتأكيد العموم
ويؤيد هذا قوله تعالى في حم الذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام
ما تركبون من غير تقيد (المسئلة الثانية) ذكر الله تعالى أمور ثلاثة ينحصر فيها المتحولات
فقوله مما تنبت الأرض يدخل فيها ما في الأرض من الأمور الظاهرة كالنبات والثمار
وقوله ومن أنفسهم يدخل فيها الدلائل النفسية وقوله ومما لا يعلمون يدخل ما في أقطار
السموات وتحت الأرض وهذا دليل على أنه لم يذكر ذلك للتخصيص بدليل أن الانعام بما
خلقها الله والمعادن لم يذكرها وإنما ذكر الأشياء لتأكيد معنى العموم كما ذكرنا في المثال
(المسئلة الثالثة) قوله ومما لا يعلمون فيه معنى لطيف وهو أنه تعالى إنما ذكر كون الأكل

عن كل ما لا يليق به نزلها
خاصا به فالجملة على
هذا إخبار من الله تعالى
ببشرهم وبرايته عن كل
ما لا يليق به مما فعلوه
ومأثر كونه وعلى الأول
حكم منه عز وجل بذلك
وتلقين المؤمنين أن
يقولوه ويعتقدوا معصونه
ولا يقلوا ولا يفعلوا عنه
والمراد بالأزواج الأصناف
والأنواع (مما تنبت
الأرض) بيان لها
والمراد به كل ما تنبت
فيها من الأشياء المذكورة
وغيرها (ومن أنفسهم)
أي خلق الأزواج من
من أنفسهم أي الذكر
والأنثى (ومما لا يعلمون)
أي والأزواج مما
يطالعهم الله تعالى على
خصوصياته لعدم
قدرتهم على الاحاطة
بها ولما يتعلق بذلك
شيء من مصالحهم
الدينية والدنيوية

مخلوقا لله عن الشريك فان المخلوق لا يصلح شريكا للخالق لكن التوحيد الحقيقي لا يحصل الا بالاعتراف بأن لا اله الا الله فقال تعالى اعلموا أن التشريك فيما تعملون وما تعملون لان الخلق عام والمانع من الشريك الخلق فلا تشركوا بالله شيئا تعملون فانكم تعملون أنه مخلوق ومما لا تعملون فان عند الله كله مخلوق يكون كله ممكنا * ثم قال تعالى (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون) لما استدلل الله بأحوال الارض وهي المكان الكلي استدلل بالليل والنهار وهو الزمان الكلي فان دلالة المكان والزمان مناسبة لان المكان لا تستغني عنه الجوهر والزمان لا تستغني عنه الاعراض لان كل عرض فهو في زمان ومثله مذکور في قوله تعالى ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ثم قال بعده ومن آياته أنك ترى الارض خاشعة فاذا أمرنا عليها الماء اهتزت وربت حيث استدلل بالزمان والمكان هناك أيضا لكن المقصود أولا هناك اثبات الوجودانية بدليل قوله تعالى لا تسجدوا للشمس ثم الحشر بدليل قوله تعالى ان الذي أحياها المحيي الموتى وههنا التصودا ولا اثبات الحشر لان السورة فيها ذكر الحشر أكثر بدليل عليه النظر في السورة وهناك ذكر التوحيد أكثر بدليل قوله تعالى فيه قل أنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين الى غيره وآخر السورتين بين الامر وفيه مسائل (المسئلة الاولى) المكان يدفع عن أهل السنة شبه الفلاسفة والزمان يدفع عنهم شبه المشبهة (اما بيان الاول) فذلك لان الفلاسفي يقول لو كان عدم العالم قبل وجوده لكان عند فرض عدم العالم قبل وقبل وبعد لا يتحقق الا بالزمان قبل العالم زمان والزمان من جملة العالم فيلزم وجود الشيء عند عدمه وهو محال فتقول لهم قد وافقونا على أن الامكنة متناهية لان الابعاد متناهية بالاتفاق فاذن فوق السطح الاعلى من العالم يكون عدم وهو موصوف بالوقفية وفوق وتحت لا يتحقق الا بالمكان فتقول العالم مكان والمكان من العالم فيلزم وجود الشيء عند عدمه فان أجابوا بأن فوق السطح الاعلى لا خلا ولا لا تقول قبل وجود العالم لأن ولا زمان موجود (واما بيان الثاني) فلان المشبهة يقول لا يمكن وجود موجود الا في مكان قاله في مكان فتقول فيلزمكم ان تقولوا الله في زمان لان الوهم كما لا يمكنه ان يقول هو موجود ولا يمكن لا يمكنه ان يقول هو كان موجودا ولا زمان وكل زمان فهو حادث وقد أجمعنا على ان الله تعالى قديم (المسئلة الثانية) اوقال قائل اذا كان المراد منه الاستدلال بالزمان فلم اختار الليل حيث قال وآية لهم الليل نقول لمما استدلل بالمكان الذي هو المظلم وهو الارض وقال وآية لهم الارض استدلل بالزمان الذي فيه الظلمة وهو الليل (ووجه آخر) وهو أن الليل فيه سكن الناس وهذا الاصوات وفيه النوم وهو كالبوت ويكون بعده طلوع الشمس كالنمخ في الصور فيتحرك الناس فذكر الموت كما قال في الارض وآية لهم الارض الميتة فذكر من ازمانين أشبههما بالموت كما ذكر من المكانين أشبههما بالموت (المسئلة الثالثة) ما معنى سلخ النهار من الليل نقول معناه تميزه منه يقال

وانما أطلعهم على ذلك بطريق الاجال على منهاج قوله تعالى ويخلق ما لا تعملون للنيط به وقوفهم على عظيم قدرته وسعة ملكه وسلطانه (وآية لهم الليل) جملة من خبر مقدمه ومبتدا مؤخر كما مر وقوله تعالى (نسلخ منه النهار) جملة مبنية لكيفية كونه آية أي نزيلة ونكتته عن مكانه مستعار من السلخ وهو ازالة ما بين الحيوان وجملة من الاتصال والاضايب في الاستعمال تعليقه بالجلد يقال سلخت الاهداب من انشاة وقديعكس ومنه الشاة المسلوخة (فاذا هم مظلمون) أي داخلون في الظلام مفاجأة وفيه رمز الى أن الاصل هو الظلام

انسلم النهار من الليل اذا أتى آخر النهار ودخل أول الليل وسلم الله منه فانسلم هو منه
وأما اذا استعمل بغير كمة من قبل سلمت النهار أو الشمس فغناه دخلت في آخره فان قيل
فالليل في نفسه آية فأية حاجته الى قوله نسلخ منه النهار نقول الشيء تبين بضده منافعه
ومحاسنه ولهذا لم يجعل الله الليل وحده آية في موضع من المواضع الا وكر آية النهار
معها وقوله فاذا هم مظلون أى داخون في الظلام واذا المفاجأة أى ليس يندهم بعد
ذلك أمر ولا بد لهم من الدخول فيه * وقوله تعالى (والشمس تجري لمستقر لها ذلك
تقدير العزيز العليم) يحتمل أن يكون الواو للعطف على الليل تقديره وآية لهم الليل
نسلخ والشمس تجري والشمس قدرناه فهي كلها آية وقوله والشمس تجري إشارة الى
سبب سلخ النهار فانها تجري لمستقر لها وهو وقت الغروب فينسلخ النهار وفائدة ذكر السبب
هو أن الله لما قال نسلخ منه النهار وكان غير بعيد من الجهال ان يقول قائل منهم سلخ النهار
ليس من الله انما يسلخ النهار بغروب الشمس فقال تعالى والشمس تجري لمستقر لها بأمر
الله فغرب الشمس سالخ النهار فبد كذا السبب يبين صحة الدعوى ويحتمل ان يقال بان
قوله والشمس تجري لمستقر لها إشارة الى نعمة النهار بعد الليل كانه تعالى لما قال وآية لهم
الليل نسلخ منه النهار ذكر أن الشمس تجري فتطلع عند انقضاء الليل فيعود النهار بمنافعه
وقوله لمستقر اللام يحتمل أن تكون للوقت كقوله تعالى أقم الصلاة لدلوك الشمس وقوله
تعالى فطلمسوهن بعدتهن ووجه استعمال اللام للوقت هو ان اللام المكسورة في الاسماء
تحقيق معنى الاضافة لكن اضافة الفعل الى سببه أحسن الاضافات لان الاضافة
لغيره المضاف بالمضاف اليه كافي قوله دار زيد لكن الفعل يعرف بسببه فيقال انجر
لربح واشترى لاكل واذا علم أن اللام تستعمل للتعليل فنقول وقت الشيء يشهد بسبب الشيء
لان الوقت يأتي بالامر السكأن فيه والامور متعلقة باوقاتها فيقال خرج لعشر من كذا
وأقم الصلاة لدلوك الشمس لان الوقت معروف كالسبب وعلى هذا غناه تجرى الشمس
وقت استقرارها أى كلما استقرت زمانا أمرت بالجري فجرت ويحتمل أن تكون بمعنى الى
أى الى مستقر لها وتقريره هو أن اللام تذكر للوقت والوقت طرفان ابتداء وانتهاء يقال
سرت من يوم الجمعة الى يوم الخميس فجاز استعمال ما يستعمل فيه في أحد طرفيه لما بينهما
من الاتصال ويؤيد هذا قراءة من قرأ والشمس تجري الى مستقرها وعلى هذا في ذلك
المستقر وجوه (الاول) يوم القيامة وعنده تستقر ولا يبقى لها حركة (الثاني) السنة
(الثالث) الليل أى تجرى الى الليل (الرابع) ان ذلك المستقر ليس بالنسبة الى الزمان بل
هو المكان وجبته ففيه وجوه (الاول) هو غاية ارتفاعها في الصيف وغاية انخفاضها
في الشتاء أى تجرى الى أن تبلغ ذلك الموضع فتزج (الثاني) هو غاية مشارقتها فان كل
يوم لها مشرق الى ستة أشهر ثم تعود الى تلك المنقطرات وهذا هو القول الذي تقدم
في الارتفاع فان اختلاف المشارق بسبب اختلاف الارتفاع (الثالث) هو وصولها الى

والنور عارض (والشمس
تجري لمستقر لها) لحد
معين ينتهي اليه دورها
فشيء بمستقر المسافر اذا
قطع مسيره أول كبد السماء
فان حركتها فيه توجد
أبدا بحيث يظن أن لها
هناك وقفة قال * والشمس
حيرى لها بالجو ندوم *
أولا استقرار لها على
نهب مخصوص أو انتهى
مقدر لكل يوم من المشارق
والمغرب فان لها في
دورها ثلثمائة وستين
مشرقاً ومغرباً تطلع
كل يوم من مطلع وتغرب
من مغرب ثم لا تعود اليهم
الى العام القابل أول نقطه
جربها عند خراب العالم
وقرى الى مستقرها
وقرى لا مستقر لها أى
لا تكون لها فانها
متحركة دائماً وقرى

ينتهي في الابتداء (الرابع) هو الدائرة التي عليها حركتها حيث لا تميل عن منطقة البروج على مرور الشمس وسنذكرها ويحتمل أن يقال لاستقر لها أي تجرى مجرى مستقرها فإن أصحاب الهيئة قالوا الشمس في فلك والفلك يدور فيدير الشمس فالشمس تجرى مجرى مستقرها وقالت الفلاسفة تجرى لمستقرها أي لا مر لو وجدها لاستقر وهو استخراج الأوضاع الممكنة وهو في غاية السقوط وأجاب الله عنه بقرينة ذلك تقدير العزيز العليم أي ليس لأرادتها وإنما ذلك بإرادة الله وتقديره وتدبيره وتسخيره إياها فإن قيل حددت الوجوه الكثيرة وما ذكرت المختار فالوجه المختار عندك نقول المختار هو أن المراد من المستقر المكان أي تجرى لبلوغ مستقرها وهو غاية الارتفاع والانخفاض فإن ذلك يشمل المشارق والمغارب والمجرى الذي لا يختلف والزمان وهو السنة والليل فهو أتم فائدة وقوله ذلك يحتمل أن يكون إشارة إلى جري الشمس أي ذلك الجري تقدير الله ويحتمل أن يكون إشارة إلى المستقر والمستقر لها وذلك المستقر تقدير الله والعزيز الغالب وهو بكمال القدرة يغلب والعليم كامل العلم أي الذي قدر على أجزائها على الوجه الأنفع وعلم الأنفع فاجراها على فلك ويانه من وجوه (الأول) هو أن الشمس في ستة أشهر كل يوم تمر على مسافة شيء لم تمر من أمسها على تلك المسافة ولو قدر الله مرورها على مسافة واحدة لاحتقرت الأرض التي هي مسافة لمرورها وبقي المجموع مستوليا على الأماكن الآخرة فقدر الله لها بعد التجمع الرطوبات في باطن الأرض والأشجار في زمان الشتاء ثم قد فر بها بتدريج لتخرج النباتات والثمار من الأرض والشجر وتنضج وتبقيف ثم تبعد ثلثا يحترق وجه الأرض واغصان الأشجار (الثاني) هو أن الله قدر لها في كل يوم طلوعا وفي كل ليلة غروبا لئلا تكل القوى والأبصار بالسهرة والتعب ولا يخرب العالم بترك العمارة بسبب الظلمة الدائمة (الثالث) جعل سيرها أبدا من سير القمر وأسرع من سير زحل لأنها كاملة النور فلو كانت بطيئة السير لدامت زمانا كثيرا في مسامتة شيء واحد فقصره ولو كانت سريعة السير لما حصل لها لث بقدر ما ينضج الثمار في بقعة واحدة * ثم قال تعالى (والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم) قال الزمخشري لا بد من تقدير لفظ يتم بمعنى الكلام لأن القمر لم يجعل نفسه منازل فالتعني أنا قدرناه مسيره منازل وعلى ما ذكره يحتمل أن يقال المراد منه والقمر قدرناه ذات منازل لأن ذا الشيء قريب من الشيء ولهذا جاز قول القائل عبثة راضية لأن ذا الشيء كالتعني به الشيء فأتوا بلفظ الوصف وقوله حتى عاد كالعرجون القديم أي رجع في الدقة إلى حالته التي كان عليها من قبل والعرجون من الانعراج يقال لعود العذق عرجون والقديم المتقادم الزمان قيل إن ما غبر عليه سنة فهو قديم والصحيح أن هذه بعينها لا تشترط في جواز إطلاق القديم عليه وإنما تعتبر العادة حتى لا يقال لمدينة بنيت من سنة وستين إنها بناء قديم أو هي قديمة ويقال لبعض الأشياء أنه قديم وإن لم يكن له سنة ولهذا جاز أن يقال بيت قديم وبناء قديم

لا مستقر لها على أن لا يعني ليس (ذلك) إشارة إلى جريها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالشار إليه للأيذان بعلورتبه وبعد منزلته أي ذلك الجري البديع المصنوع على الحكم الزائفة التي تحار في فهمها العقول والأفهام (تقدير العزيز) الغالب بقدرته على كل مقدور العليم المحبط علمه بكل معلوم (والقمر قدرناه) بالنصب بأخبار فعل يفسر الظاهر وقرئ بالرفع على الابتداء أي قدرناه (منازل) وقيل قدرناه مسيره منازل وقيل قدرناه ذات منازل وهي اثني وعشرون الشرطان البطيئين اثريا السبران الشهمة الهنعة الذراع

ولم يحزن أن يقال في العالم انه قديم لان القدم في البيت والبناء يثبت بحكم تقادم العهد
ومرور السنين عليه واطلاق القديم على العالم لا يعتاد الا عند من يعتقد انه لأول له
ولاسابق عليه * ثم قال تعالى (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار
وكل في فلك يسبحون) اشارة الى أن كل شيء من الاشياء المذكورة خلقها على وفق
الحكمة فالشمس لم تكن لتصلح لها سرعة الحركة بحيث تدرك القمر والليل كان في شهر واحد
صيف وشتاء فلا تدرك النمار وقوله ولا الليل سابق النهار قيل في تفسيره ان سلطان الليل
وهو القمر ليس يسبق الشمس وهي سلطان النهار وقيل معناه ولا الليل سابق النهار اى
الليل لا يدخل وقت النهار والثاني بعيد لان ذلك يقع ايضا كما لا واضح والاول صحيح ان
أرديبه ما يشته وهو ان معنى قوله تعالى ولا الليل سابق النهار ان القمر اذا كان على
أفق المشرق أيام الاستقبال تكون الشمس في مقاربه على أفق المغرب ثم ان عند غروب
الشمس يطلع القمر وعند طلوعها يغرب القمر كان لها حركة واحدة مع ان الشمس تتأخر
عن القمر في ليلة مقدارا ظاهرا في الحس فلو كان للقمر حركة واحدة بها يسبق الشمس
ولا تدرك الشمس والقمر حركة واحدة بها تتأخر عن القمر ولا تدرك القمر بل في القمر
والشمس مدة مديدة في مكان واحد لان حركة الشمس كل يوم درجة فخلق الله تعالى
في جميع الكواكب حركة أخرى غير حركة الشهر والسنة وهي الدورة اليومية وبهذه
الدورة لا يسبق كوكب كوكبا أصلا لان كل كوكب من الكواكب اذا طلع
غرب مقابله وكما تقدم كوكب الى الموضع الذي فيه الكوكب الآخر بالنسبة اليها
تقدم ذلك الكوكب فبهذه الحركة لا يسبق القمر الشمس فتبين ان سلطان الليل
لا يسبق سلطان النهار فالمراد من الليل القمر ومن النهار الشمس فقوله لا الشمس ينبغي
لها أن تدرك القمر اشارة الى حركتها البطيئة التي تتم الدورة في سنته وقوله ولا الليل سابق
النهار اشارة الى حركتها اليومية التي بها تعود من المشرق الى المشرق مرة أخرى في
يوم وليلة وعلى هذا فغيب مسائل (المسئلة الاولى) ما الحكمة في اطلاق الليل وارادة
سلطانها وهو القمر وماذا يكون لو قال ولا القمر سابق الشمس نقول لو قال ولا القمر سابق
الشمس ما كان يفهم ان اشارة الى الحركة اليومية فكان يتوهم التفاضل فان الشمس
اذا كانت لا تدرك القمر والقمر أسرع ظاهرا واذا قال ولا القمر سابق يظن أن القمر
لا يسبق فليس بأسرع فقال الليل والنهار ليعلم أن اشارة الى الحركة التي بها تتم الدورة
في مدة يوم وليلة ويكون لجميع الكواكب أو عليها طلوع وغروب في الليل والنهار
(المسئلة الثانية) ما الفائدة في قوله تعالى لا الشمس ينبغي لها أن تدرك بصيغة الفعل وقوله
ولا الليل سابق النهار بصيغة اسم الفاعل ولم يقل ولا الليل يسبق ولا قال مدركة القمر
نقول الحركة الاولى التي للشمس ولا تدرك بها القمر مختصة بالشمس فعملها كالصادرة منها
وذكر بصيغة الفعل لان صيغة الفعل لا تطلق على من لا يصدر منه الفعل فلا يقال هو

النزة الطرف الجبهة
الزبرة الصرفة العواء
السمالك الففر الزباني
الاكليل القلب الشولة
النعام البلدة سعد الذامح
سعد بلع سعد السعود
سعد الاخبية فرغ الدلو
المقدم فرغ الدلو المؤخر
الشاو هو بطن الحوت
ينزل كل ليلة في احد
منها لا يتخطاها ولا
تقاصر عنها فاذا كان
في آخر منازلها وهو الذي
يكون قبيل الاجتماع دق
واستقوس (جنى عاد
كالعرجون) كالشراخ
المعسوج فملسون من
الانزعاج وهو الاعوجاج
وقرى كالعرجون وهما
لعتان كالبزبون والبزبون
(القديم) العتيق وقيل
هو مامر عليه حول
فصاعدا (لا الشمس
ينبغي لها) أى يصح
وينهل (أن تدرك
القمر) في سرعة السبر

يخيط ولا يكون يصدر منه الخياطة والحركة الثانية ليست مختصة بكوكب من الكواكب بل الكل فيها مشتركة بسبب حركة فلك ليس ذلك فلك الكوكب من الكواكب فالحركة ليست كالصادرة منه فأطلق اسم الفاعل لانه لا يستلزم صدور الفعل يقال فلان خياط وان لم يكن خياطاً فان قيل قوله تعالى يمشي الليل النهار يطلبه حثيثا يدل على خلاف ما ذكرتم لان النهار اذا كان يطلب الليل فليل سابقه وقلتم ان قوله ولا الليل سابق النهار معناه ما ذكرتم فيكون الليل سابقا ولا يكون سابقا فنقول قد ذكرنا ان المراد بالليل ههنا ساعان الليل وهو القمر وهو لا يسبق الشمس بالحركة اليومية السريعة والمراد من الليل هناك نفس الليل وكل واحد لما كان في غيب فلكه طالبه فان قيل فلم ذكر ههنا سابق النهار وقد ذكر هناك يطلبه ولم يقل طالبه نقول ذلك لما بينا من ان المراد في هذه السورة من الليل كواكب الليل وهي في هذه الحركة كأنها لا حركة لها ولا تسبق ولا من شأنها انها سابقة والمراد هناك نفس الليل والنهار وهما زمانان والزمان لا قرار له فهو يطلب حثيثا لصدور الفعس منه وقوله تعالى وكل في فلك يسبحون ويحقق ما ذكرنا في ذلك طالع وغروب في يوم وليلة لا يسبق بعضها بعضا بالنسبة الى هذه الحركة وكل حركة في فلك تخصه وفيه مسائل (المسئلة الاولى) التتوين في قوله وكل عوض عن الاضافة معناه كل واحد واسقاط التتوين للاضافة حتى لا يجمع التعريف والتكثير في شئ واحد فاما سطر المضاف اليه فانظر التتوين عليه لفظا وفي المعنى معر فبالاضافة فان قيل فهل يختلف الامر عند الاضافة لفظا وتركها فنقول نعم وذلك لان قول القائل كل واحد من الناس كذا لا يذهب الفهم الى غيرهم فيفيد اقتصار الفهم عليه فاذا قل كل كذا يدخل في الفهم غموم أكثر من العموم عند الاضافة وهذا كما في قبل وبعد اذا قلت افعل قبل كذا فاذا حذفت المضاف وقلت افعل قبل أعاد فهم الفعل قبل كل شئ فان قيل فهل بين قولنا كل منهم وبين قولنا كلهم وبين كل فرق فنقول نعم عند قولك كلهم تثبت الامر للاقتصار عليهم وعند قولك كل منهم تثبت الامر أولا للعموم ثم استدركت بالتخصيص فقلت منهم وعند قولك كل تثبت الامر على العموم وتركه عليه (المسئلة الثانية) اذا كان كل بمعنى كل واحد منهم والمذكور الشمس والقمر فكيف قال يسبحون نقول الجواب عنه من وجوه (أحدها) ما بينا أن قوله كل للعموم فكله أجبر عن كل كوكب في السماء سائر (ثانيها) ان لفظ كل يجوز أن يوحد نظرا الى كونه لفظا موحدا غير مثنى ولا مجموع ويجوز أن يجمع ليكون معناه جمعا وأما التثنية فلا يدل عليها اللفظ ولا المعنى فعلى هذا يحسن أن يقول القائل زيد وعمرو كل جاء أو كل جاؤا ولا يقول كل جا بالثنية (وثالثها) لما قل ولا الليل سابق النهار والمراد ما في الليل من الكواكب قال يسبحون (المسئلة الثالثة) الفلك ماذا نقول الجسم المستدير أو السطح المستدير أو الدائرة لان أهل اللغة اتفقوا على أن فلكه المفرل سميت فلكه لاستدارتها وفلكه الخيمة

فان ذلك يخل بتكون النبات وتعيش الحيوان أو في الاستمرار والمنافع أو المكان بأن تنزل في منزله أو في سلطانه فتطمس نوره وإبلاء حرف الى الشمس للدلالة على انها مسخرة لا يبتسر لها الا ما قدر لها (ولا الليل سابق النهار) أي يسبقه فيغوته ولكن يعاقبه وقيل المراد بهما آياتهما وهما التبران والسبق سبق القمر الى سلطان الشمس فيكون عكسا الاول وإيراد سبق مكان الادراك لانه اللانم سرعة سيره (وكل) أي وكلهم على أن التتوين عوض عن المضاف اليه الذي هو الضمير العائد الى الشمس والقمر والجمع باعتبار الكثرة العارضة لهما بتكاثر مطالعتهما فان اختلاف الاحوال يوجب تعدد ما في الذات أو الى الكواكب فان ذكر هما مشعر بها (في فلك يسبحون) يسبحون بانسباط وسهولة

هي الخسبة المسطحة المستديرة التي توضع على رأس العمود ثلاث مرق العمود الخبية
 وهي صفحة مستديرة فان قيل فعلى هذا تكون السماء مستديرة وقد اتفق أكثر
 المفسرين على أن السماء مبسوطة لها أطراف على جبال وهي كالسقف المستوي ويدل
 عليه قوله تعالى والسقف المرفوع نقول ليس في التصوص ما يدل دلالة قاطعة على كون
 السماء مبسوطة غير مستديرة ودل الدليل الحسي على كونها مستديرة فوجب المذهب الينا
 أما الاول فظاهر لان السقف المقيب لا يخرج عن كونه سقفا وكذلك كونها على جبال
 وأما الدليل الحسي فوجوه (أحدها) ان من آمن في السير في جانب الجنوب يظهر له
 كواكب مثل سهيل وغيره ظهورا ألبيا حتى ان من يرصد براد المناويخ يرى عليه ثبات نعل
 وغيرها خفاء ألبيا ولو كان السماء مسطحة مستويا بان الكل لكل بخلاف ما اذا كان
 مستديرا فان بعضه حينئذ يستتر بأطراف الارض فلا يرى (الثاني) هو ان الشمس اذا
 كانت مقاربة للحمل مثلا فاذا غربت ظهر لنا كوكب في منطقة البروج من النحل الى
 الميزان ثم في كل قليل يستتر الكوكب الذي كان غروبه بعد غروب الشمس ويظهر الكوكب
 الذي كان طلوعه بعد طلوع الشمس وبالعكس وهو دليل فاعلم وان بحث في دبر صغير قطعا
 (الثالث) هو ان الشمس قبل طلوعها وبعد غروبها يظهر ضوءها ويستتر الجوب بعض
 الاستارة ثم يطالع ولولا ان بعض السماء تستتر بالارض وهو محل الشمس فلا يرى جرمها
 وينتشر نورها لما كان كذلك بل كان عند اعادتها الى السماء يظهر لكل أحد جرمها
 ونورها معا لكون السماء مستوية حينئذ مكشوفة كلها لكل أحد (الرابع) الشعر اذا
 انكسف في ساعة من الليل في جانب المشرق ثم سئل أهل المغرب عن وقت الكسوف
 أخبروا عن الكسوف في ساعة أخرى قبل تلك الساعة التي رأى أهل المشرق فيها
 الكسوف لكن الكسوف في وقت واحد في جميع نواحي العالم والليل يختلف فدل على أن
 الليل في جانب المشرق قبل الليل في جانب المغرب فالشمس غربت من عند أهل المشرق
 وهي بعد في السماء ظاهرة لأهل المغرب فعلم أن استتارها بالارض واو كانت مستوية لما
 كان كذلك (الخامس) او كانت السماء مبسوطة لكان القمر عندما يكون فوق رؤسنا
 على المسامنة أقرب الينا وعند ما يكون على الافق أبعد منا لان العمود أصغر من القطر
 والوند وكذلك في الشمس والكواكب كان يجب أن يرى أكبر لان القريب يرى أكبر
 وليس كذلك فان قيل جاز أن يكون وهو على الافق على سطح السماء وعند ما يكون على
 مسامنة رؤسنا في بحر السماء غار فيها لان الخرق جاز على السماء نقول لا تنازع في جواز
 الخرق لكن القمر حينئذ تكون حركته في دائرة لا على خط مستقيم وهو غرضنا
 ولان نقول او كان كذلك لكان القمر عند أهل المشرق وهو في منتصف نهارهم أكبر
 مقدارا لكونه قريبا من رؤسهم ضرورة فرضه على سطح السماء الأدنى وعندنا في بحر
 السماء بالجملة الدلائل كثيرة والاكتفاء منها يلبي بكتب الهيئة التي الغرض منها بيان

ذلك العلم وليس الغرض في التفسير بيان ذلك غير أن القدر الذي أوردناه يكفي في بيان كونه فلنكا مستديرا (المسئلة الرابعة) هذا يدل على أن لكل كوكب فلكا فاقولك فيه نقول أما السبعة السيارة فلكل فلك وأما الكواكب الاخر فقل لكل فلك واحد ولندكر كلاما مختصرا في هذا الباب من الهيئة حيث وجب الشروع بسبب تفسير الفلك فنقول قيل ان للقمر فلكا لان حركته أسرع من حركة الستة الباقية وكذلك لكل كوكب فلك لا اختلاف غيرها بالسرعة والبطء والمعرفان بعضها يمر في دائرة وبعضها في دائرة أخرى حتى في بعض الاوقات يمر بعضها ببعض ولا يكسفه وفي بعض الاوقات يكسفه فلكل كوكب فلك ثم ان أهل الهيئة قالوا فكل فلك هو جسم كرة وذلك غير لازم بل اللازم أن نقول لكل فلك هو كرة أو صفحة أو دائرة يفعلها الكوكب بحركته والله تعالى قادر على أن يخلق الكوكب في كرة يكون وجوده فيها كوجود مسمار مغرق في ثخن كرة بحوفة و يدور الكرة فيدور الكوكب بدوران الكرة وعلى مذهب أرباب الهيئة حركة الكواكب السيارة على هذا الوجه وكذلك قادر على أن يخلق حلقة يحيط بها أربع سطوح متواز يقبها فأنها أربع دوائر متوازية تكبر الرشي اذا قورناه وأخر جنا من وسطه طاحونة من طواحين اليدويق منه حلقة يحيط بها سطوح ودوائر كذا تكون الكواكب فيه وهم فلك فتدور تلك الحلقة وتدير الكوكب والحركة على هذا الوجه وان كانت مقصورة لكن لم يذهب اليه أحد من يعتبر وكذلك هو قادر على أن يجعل الكواكب بحيث تشق السماء فيجعل دائرة متوهمة كالو فرضت سمكة في الماء على وجهه تنزل من جانب وتصلع الى موضع من الجانب الآخر على استدارة وهذا هو المفهوم من قوله تعالى وكل في فلك يسبحون والظاهر ان حركة الكواكب على هذا الوجه وأرباب الهيئة انكروا ذلك وقالوا لا يجوز الحركة على هذا الوجه لان الكوكب له جرم فاذا شق السماء وتحرل فاما أن يكون موضع دورانه ينشق و يلتئم كالماء تحركه السمكة أو لا ينشق ولا يلتئم بل هناك خلا يدور الكواكب فيه لكن الخلاء محال والسماء لا تقبل الشق والالتئام هذا ما اعتدوا عليه ونحن نقول كلاهما جائز أما الخلاء فلا يحتاج اليه ههنا لان قوله تعالى يسبحون يفهم منه انه يشق واللتئام وأما امتناع الشق والالتئام فلا دليل لهم عليه وشبهتهم في المحدد للجهات وهي هناك ضعيفة ثم انهم قالوا على ما بينا تخرج الحركات وبه علمنا الكسوفات واوكان لها حركات مختلفة لما وجب الكسوف في الوقت الذي يحكم فيه بالكسوف والخسوف وذلك لاننا نقول للشمس فلكان (أحدهما) مركزه مركز العالم (ثانيهما) مركزه فوق مركز العالم وهو مثل بياض البيض بين صفرة وبين القهين والشمس كرة في الفلك الخارج المركز تدور بدورانه في السنة دورة فاذا جعلت في الجانب الاعلى تكون بعيدة عن الارض فيقال انها في الاوج واذا حصلت في الجانب الاسفل تكون قريبة من الارض فتكون في الحضيض وأما القمر فله فلك شامل لجميع

أجرامه وأفلاكه وملاك آخر هو بعض من الفلك الاول محيطه كالقشرة الفوقانية من
 البصلة وفلك ثالث في الفلك التحتاني كما كان في الفلك الخارج المركز في فلك الشمس وفي
 الفلك الخارج المركز كرة مثل جرم الشمس وفي الكرة القمر مركز كسما في كرة مغرق
 فيها ويسمى الفلك الفوقاني الجوزهر والخارج المركز الفلك الحامل والفلك التحتاني
 السدي فيه الفلك الحامل المائل والكرة التي في الحامل تسمى فلك التدوير وكذلك
 قالوا في الكواكب الخمسة الباقية من السيارات غير ان الفوقاني الذي سموه فلك
 الجوزهر لم يثبتوا له فاقبتوا أربعة وعشرين فلكا لفلك الاعلى وفلك البروج وزحل
 وثلاثة أفلاك المثل والحامل وفلك التدوير وللمشترى ثلاثة فلكا زحل والبرج كذلك
 ثلاثة وللشمس فلكان المثل والخارج المركز وازهرة ثلاثة أفلاك كالأعطيات واعطارد
 أربعة أفلاك الثلاثة التي ذكرناها في العلويات وفلك آخر يسمونه المدير والقمر أربعة
 أفلاك والرابع يسمونه فلك الجوزهر والمدير ليس كالجوزهر لان المدير غير محيط بأفلاك
 عطارد وفلك الجوزهر محيط ومنهم من زاد في الخمسة في كل فلك فلكين آخرين وجعل
 تدويراتها مركبة من ثلاثة أفلاك وقالوا ان بسبب هذه الاجرام تختلف حركات
 الكواكب ويكون لها عروض ورجوع واستقامة وبطء وسرعة هذا كلامهم على
 سبيل الاختصاص والاقصار ونحن نقول لا يعد من قدرة الله خلق مثل ذلك وأما على سبيل
 الوجوب فلانهم ورجوعها واستقامتها بارادة الله وكذلك عرضها وطولها وبطؤها
 وسرعتها وقربها وبعدها هذا تمام الكلام (المسئلة الخامسة) قال المتجمعون
 الكواكب أحياء بديل انه تعالى قال يسبحون وذلك لا يطلق الاعلى العاقل نقول ان
 أردتم انقدر الذي يصح به التسبيح فتقول به لانه ما من شيء من هذه الاشياء الا وهو يسبح
 بحمد الله وان أردتم شيئا آخر فلم يثبت ذلك والاستعمال لا يدل كافي قوله تعالى في حق
 الاصنام ما لكم لا تنطقون وقوله لا تنطقون * ثم قال تعالى (وآية لهم أنا جعلناهم
 في الفلك المشحون) ولها مناسبة مع ما تقدم من وجهين (احدهما) انه تعالى لما من باحياء
 الارض وهي مكان الحيوانات بين انه لم يقتصر بل جعل للانسان طريقا يتخذ من البحر
 خيرا ويوسطه أو يسير فيه كالسير في البر وهذا حينئذ كقوله وجعلناكم في البر والبحر
 ويؤيد هذا قوله تعالى وخلقنا لهم من مثله ما يركبون اذا فسرناه بأن المراد الابل فانها
 كسفن البراري (وثانيهما) هو انه تعالى لما بين سبحانه الكواكب في الافلاك وذكر
 ما هو مثله وهو سباحة الفلك في البحار ولها وجه ثالث وهي ان الأمور التي أنعم الله بها على
 عباده منها ضرورة وبه منافعها الاولى للعاجلة والثاني للزينة فخلق الارض وحياتها
 من القبيل الاول فانها المكان الذي لولاه لما وجد الانسان ولولا احيائها لما عاش والليل
 والنهار في قوله وآية لهم الليل أيضا من القبيل الاول لانه الزمان الذي لولاه لما حدث
 الانسان والشمس والقمر وحركتهما لم تكن للمعاش ثم انه تعالى لما ذكر من القبيل

(وآية لهم أنا جعلناذرهم)

أولادهم الذين يمشونهم

الى تجاراتهم أو صبيانهم

ونساءهم السدين

يستحبونهم فان

الذرية تطلق عليهم

لا سيما مع الاختلاط

وتخصيصهم بالذكر

لما ان استقرارهم في

السفن أشق واستمسكهم

فيها أبدا (في الفلك

المشحون) أي المملوء

وقبل هو فلك نوح عليه

السلام وحمل ذرياتهم

فيها حمل آبائهم الاقدمين

وفي أصلاتهم هؤلاء

وذرياتهم وتخصيص

أعقابهم بالذكر دونهم

لانه أبلغ في الامتنان

وأدخل في التعجب الذي

عليه يدور كونه آية

الاول آيتين ذكر من القبيل الثاني وهو الزينة آيتين (احدهما) الفلك التي تجري في البحر
فيسخر من البحر ما يترين به كما قال تعالى ومن كل تأكلون لمخاطر يا وتسخرون حلية
تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر (وثانيهما) الدواب التي هي في البر كالفلك في البحر في
قوله وخلقنا لهم من مثله ما يركبون فان الدواب زينة كما قال تعالى والخيول والبغال والحمير
لتركبوها وزينة وقال ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون فيكون استدلالا
عليهم بالضرورة والنافع لا يقال بان النافع ذكره في قوله جنات من نخيل وأعناب فانها
للزينة لانا نقول ذلك حصل تبعاً للضرورة لان الله تعالى لما خلق الارض منبتة لدفع
الضرورة وأزل الماء عليها كذلك لزم أن يخرج من الجنة النخيل والأعناب بقدره الله
وأما الفلك فمقصود لاتبع اذا علمت المناسبة في الآيات اثبات لغوية ومعنوية (اما
اللفوية) قال المفسرون الذرية هم الآباء أي حملنا آباءكم في الفلك والالف واللام
للتعريف أي ذلك نوح وهو مدكور في قوله واصنع الفلك ومعلوم عند العرب فقال الفلك
هذا قول بعضهم وأما الاكثرون فعلى أن الذرية لا تطلق الاعلى الولد وعلى هذا فلا بد من
بيان المعنى فنقول الفلك اما أن يكون المراد الفلك المعين الذي كان لنوح واما أن يكون
المراد الجنس كما قال تعالى وجعل أكرم من الفلك والانعام ما تركبون وقال تعالى وترى
الفلك فيه مواخر وقال تعالى فاذا ركبوها في الفلك الى غير ذلك من استعمال لام التعريف
في الفلك ابيان الجنس فان كان المراد سفينة نوح عليه السلام ففيه وجوه (الاول) أن
المراد انا حملنا أولادكم الى يوم القيامة في ذلك الفلك ولولا ذلك لما بقي الادمي نسل ولا عقب
وعلى هذا فقولنا ذريتهم بدل قوله حملناهم اشارة الى كمال النعمة أي لم تكن النعمة
مقتصرة عليكم بل متدنية الى اعقابكم الى يوم القيامة هذا ما قاله الزمخشري ويحتمل
عندي أن يقال على هذا انه تعالى انما خص الذرية بالذكر لان الموجودين كانوا كفارا
لا فائدة في وجودهم فقال حملنا ذريتهم أي لم يكن الحمل جلالهم وانما كان جلالا لما في
اصلاهم من المؤمنين كما ان من حل صندوقا لا قيمة له وفيه جواهر اذا قيل له لم تحمل هذا
الصندوق وتعب في حمله وهو لا يشتري بشيء يقول لا أحل الصندوق وانما أحل ما فيه
(الثاني) هو ان المراد بالذرية الجنس معناه حملنا اجناسهم وذلك لان ولد الحيوان من
جنسه ونوعه والذرية تطلق على الجنس ولهذا يطلق على النساء نهي النبي صلى الله عليه
وسلم عن قتل الذراري أي النساء وذلك لان المرأة وان كانت صنفا غير صنف الرجل لكنها
من جنسه ونوعه يقال ذراري أي أمثالنا فنقولنا انا حملنا ذريتهم أي أمثالهم وآبائهم
حينئذ تدخل فيهم (الثالث) هو ان الضعيف في قوله وآية لهم عائد الى العباد حيث قال يا حسرة
على العباد وقال بعد ذلك وآية لهم الارض وقال وآية لهم الليل وقال وآية لهم انا حملنا
ذريرتهم اذا علم هذا فكأنه تعالى قال وآية للعباد انا حملنا ذريات العباد ولا يلزم أن يكون
المراد بالضمية في الموضعين اشخاصا معينين كما قال تعالى ولا تقتلوا أنفسكم ويريد بعضهم

(وخلقنا لهم من مثله) بما يماثل الفلك (ما يركبون) من الابل فانما سافن البرا وما يماثل ذلك الفلك من السفن والزوارق وجعلها مخلوقة لله تعالى مع كونها ﴿ ٩٣ ﴾ من مصنوعات العباد ليس لجبر تكون صنعهم باقدار الله تعالى والهامة

بعضا وكذلك اذا تقابل قوم ومات الكل في القتال يقال هؤلاء القوم هم قتلوا أنفسهم فهم في الموضعين يكون عائد الى القوم ولا يكون المراد اشخاصا معينين بل المراد ان بعضهم قتل بعضا كذلك قوله تعالى وآية لهم أي آية لكل بعض منهم انما جعلنا ذرية لكل بعض منهم أو ذرية بعض منهم وأمان قلنا ان المراد جنس الفلك فهو أظهر لان سفينة نوح لم تكن تحضر نهرهم ولم يعلموا من حمل فيها فاما جنس الفلك فانه ظاهر لكل أحد وقوله تعالى في سفينة نوح وجعلنا آية العالمين أي بوجود جنسها ومثلها وبوئده قوله تعالى ألم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليرىكم من آياته ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور فتقول قوله تعالى جعلنا ذرية لهم أي ذريات العباد ولم يقل جعلناهم لان سكان الارض عام لكل أحد يسكنها فقال وآية لهم الارض المنيعة الى ان قال فند يأكلون لان الأكل عام وأما الحمل في السفينة فمن الناس من لا يركبها في عمره ولا يحمل فيها ولكن ذرية العباد لابد لهم من ذلك فان فهم من يحتاج اليها فيحمل فيها (المسئلة الثانية) جعل الفلك تارة جمعا حيث قال وترى الفلك فيه ما خرجه ماخره وأخرى فردا حيث قال في الفلك المشحون تقول فيه تدفق ملبح من علم اللغة وهو ان الكلمة قد تكون حركتها مثل حر كذا تلك الكلمة في الصورة والحركتان مختلفتان في المعنى مثالها قواك سجدي يسجد بسجود المصدر وهم قوم يسجدون في جمع ساجد نظن انها مكلفة واحدة لعينين وليس كذلك بل السجود عند كونه مصدرا حر كذا أصلية اذا قلنا ان الفعل مشتق من المصدر وحر كذا السجود عند كونه للجمع حركة متغيرة من حيث ان الجمع يشق من الواحد وينبغي أن يلحق المشتق بتغير في حركة أو حرف أو في مجموعهما فساجد لما اردنا أن يشق منه لفظ جمع غيرناه وجعلنا بلفظ السجود فاذا السجود المصدر والجمع ليس من قبيل الالفاظ المشتركة التي وضعت بحركة واحدة لعينين اذا عرفت هذا فنقول الفلك عند كونه واحدا مثل قفل وبرد وعند كونها جمعا مثل خشب ومرد وغيرهما فان قلت فاذا جعلته جمعا ما ذا يكون واحداها نقول جاز ان يكون واحداها فليكن أو غيرها بما لم يستعمل كواحد النساء حيث لم يستعمل وكذا القول في امام ميين وفي قوله دعوا كل اناس بامامهم أي بأئمتهم عند قوله تعالى امام ميين امام كرام وكتاب وعند قوله تعالى كل اناس بامامهم امام كرام وجواب وهذا من دقيق التصريف (واما المعنوية) فتذكرها في مسائل (المسئلة الاولى) قال همنا جعلنا ذرية لهم من عليهم يحمل ذريةهم وقال تعالى انما ناطقي الماء جعلناكم في الجارية من هناك عليهم يحمل أنفسهم تقول لان من ينفع المتعلق بالغير يكون قد نفع ذلك الغير ومن يدفع الضرر عن المتعلق بالغير لا يكون قد دفع الضرر عن ذلك الغير بل يكون قد دفعه مثاله من أحسن الى ولد انسان وفرح فرح أبوه وادفع واحدا لآل من ولد انسان يكون قد فرح أبوه ولا يكون في الحقيقة قد زال الألم عن أبيه فعند طغيان الماء كان الضرر بالجنسهم فقال دفعتم الضرر ولو قال دفعتم عن أولادكم الضرر لم يحصل

بل لمزيد اختصاص أصلها بقدرته تعالى وحكمته حسبما يعرب عنه قوله عز وجل واصنع الفلك يا عينا ووحينا والتعبير عن ملاسهم بهذه السفن بالركوب لانها باختيارهم كأن التعبير عن ملاسهم بقلك نوح عليه السلام بالحمل لكونها بغير شعور عنهم واختيار (وان نشأ نفر فهم) الخ من تمام الآية فانهم معترفون بنصونه كما ينطق به قوله تعالى وادعائهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين وقرى نفرهم بالشديد وفي تعليق الاغراق بمحض المشيئة اشعار بأنه قد تكامل ما يوجب اهلاكهم من معاصيهم ولم يبق الا تعلق مشيئته تعالى به أي ان نشأ نفر فهم في اليم مع ما جعلناهم فيه من الفلك فتحدث خلق الابل حينئذ كلام يبي به في خلال الآية بطريق الاستطراد لكسالة التماثل بين الابل والفلك فكانها نوع منه أو مع ما يركبون السفن والزوارق (فلا صريح لهم) أي فلا مضى لهم يجرهم من الفرق ويدفعه عنهم قبل

وقوعه وقيل فلا استفاضة لهم من قولهم أنهم الصريح (ولا هم يتقنون) أى يتجوزون منه بعد وقوعه وقوله تعالى
(الأرحمة منا وثباتا) استثناء مفرغ من أعم العلل الشاملة للباحث * ٩٤ * المتقدم والغاية المتأخرة أى لا يتقنون

ولا يتقنون لشيء من
الاشياء الأرحمة عظيمة
من قبلنا داعية الى
الانقضاء والافناء وتنتج
بالحياة عزرب عليها
ويجوز أن يراد بالرحمة
ما يقارن التمتع من الرحمة
الدنيوية فيكون كلاهما
غاية الانقضاء والافناء
أى نوع من الرحمة وتنتج
(الى حين) أى الى زمان
قدر فيه آجالهم كقيل
ولم أسلم اليك ابقي ولكن *
سلبت من الحمام الى الحمام *
(واذا قيل لهم اتقوا)

بيان لأعراضهم عن
الآيات التنزيلية بعد
بيان أعراسهم عن الآيات
الأنفوسية التى كانوا
يشاهدونها أو عدم
تأملهم فيها أى اذا قيل
لهم بطريق الانذار
بما نزل من الآيات أو بغيره
اتقوا ما بين أيديكم وما
خلفكم) من الآفات
والنوازل فانها محيطة
بكم أوما يصيبكم من
المكاره من حيث
تحتسبون ومن حيث
لا تحتسبون أو من الوقائم
النازلة على الأمم الخالية
قبلكم والعذاب المعد لكم

بيان دفع الضرر وههنا أراد بيان المنافع فقال جئنا ذريتهم لأن النعم حاصل بنفع
الذرية ويدلك على هذا ان ههنا قال في الفلك المشعشع فان امتلاء الفلك من الاموال
يحصل بذكره بيان المنفعة وأما دفع المضرة فلأن الفلك كلما كان أثقل كان الخلاص به
أبطأ وههنا السلامة فاختار ههنا ما يدل على الخلاص من الضرر وهو الجرى وههنا
ما يدل على كمال المنفعة وهو الشحن فان قيل قال تعالى وجئناهم في البر والبحر ولم يقل
وجئنا ذريتهم مع أن المقصود في الموضوعين بيان النعمة لادفع النعمة نقول لما قال في البر
والبحر ع الخلق لأن ما من أحد الا وحل في البر أو البحر وأما الحمل في البحر فلم يعم فقال ان
كنما حملناكم بأنفسكم فقد حملنا من يهلككم أمره من الاولاد والاقارب والاخوان
والاصدقاء (المسئلة الثانية) قوله المشعشع فيقيد ما قد ذكرنا وهو ان آدمي
يرسب في الماء ويفرق فعمله في الفلك واقع بقدرته لكن من الطبيعيين من يقول الخفيف
لا يرسب في الماء لان الخفيف يطلب جهة فوق فقال الفلك المشعشع انقل من الثقال التى
ترسب ومع هذا حل الله الانسان فيدمع ثقله فان قالوا ذلك لامتناع الخلاص نقول قد ذكرنا
الدلائل الدالة على جواز الخلاص في الكتب العقلية فاذن ايس حفظ الثقل فوق الماء
الابارادة الله (المسئلة الثالثة) قال تعالى وآتاهم الارض وقال وآتاهم النابل ولم يقل
آتاهم الفلك جعلنا هاتين تحت حملهم وذلك لان حملهم في الفلك هو العجب أما نفس
الفلك فليس يعجب لانه كبيت مبنى من خشب وأما نفس الارض فعجب ونفس الليل عجب
لا قدرة عليهم لاحد الا الله * ثم قال تعالى (وخلقناهم من مثله ما يركبون) وفيه مسائل
(المسئلة الاولى) من حيث اللغة والمعنى أما اللغة فقوله لهم يحتمل أن يكون عائدا الى
الذرية أى حملنا ذريتهم وخلقنا لهم ماركبون ويحتمل أن يكون عائدا الى العباد
الذين عاداهم وقوله وآتاهم وهو الحق لان الظاهر عود الضمائر الى شيء واحد (المسئلة
الثانية) من يحتمل وجهين (احدهما) أن يكون صله تقديره وخلقناهم مثله وهذا على رأى
الاخفش وسيبويه يقول من لا يكون صله لا عند النفي تقول ما جئنا من أحد كما في قوله
تعالى وما من آمن من أعوب (وثانيهما) هى مبنية كما في قوله تعالى بغفر لكم من ذنوبكم
كأنه لما قال خلقناهم والمخلوق كان اشياء قال من مثل الفلك البيان (المسئلة الثالثة)
الضمير في مثله على قول الأكثرين عائدا الى الفلك فيكون هذا قوله تعالى وآخر من شكله
أزواج وعلى هذا فالظاهر أن يكون المراد الفلك الآخر الموجود في زمانهم ويؤيد هذا
قوله تعالى قال وان نشأ نغرقهم ولو كان المراد اابل على ما قاله بعض المفسرين لكان
قوله وخلقناهم من مثله ما يركبون فاصلا بين متصلين ويحتمل أن يقال الضمير عائدا الى
معلوم غير مذكور تقديره أن يقال وخلقناهم من مثل ما ذكرنا من المخلوقات في قوله خلق
الازواج كلها مما تنبت الارض وهذا كما قالوا في قوله تعالى لبا كلوا من ثمره ان الهاء
عائدا الى ما ذكرنا أى من ثمر ما ذكرنا (وعلى هذا فقوله خلقناهم فيه لطيفة) وهى ان ما من

الآخرة أو ما تقدم من الذنوب وما تأخر (اعلمكم ترجون) اما حال من واثقوا أو غاية له أي راجين أن ترجوا أو
ترجوا فنجوا من ذلك لما عرفتم أن مناط النجاة * ٩٥ * ليس إلا رحمة الله تعالى وجواب إذا اخذوا ثقة بانفعالهم

من قوله تعالى (وما نأثمهم
من آية من آيات ربهم
الا كانوا عنها معرضين)
انفعالهم أي ما إذا كان
الانذار بالآية الكريمة
فعبارة النص وأما إذا
كان بغيرها فدلالة لانفعالهم
حين أعرضوا عن آيات
ربهم فلا نأثمهم
عن غيرها بطريق
الاولوية كانه قيل وإذا
قيل لهم اتقوا العذاب
أعرضوا حسبا اعتادوه
وما نأثمهم وصيغة المضارع
للدلالة على الاستمرار
التجددي ومن الاولى
مزينة لنا كيد العموم
والثانية تبعية واقعة
مع مجرورها صفة لآية
واضافة الآيات الى
اسم الرب المضاف الى
ضميرهم لتفخيم شأنها
المستتبع لثبوتها
اجبة وأعلى في حقها
والمراد بها اما الآيات
النزلية فآياتها نزولها
والمعنى ما ينزل اليهم
آية من الآيات القرآنية
التي من جعلها هذه
الآيات الناطقة بما فصل
من بدائع صنع الله تعالى
وسوانح آلائه الموجهة

احد الاول ركوب مركب من الدواب وليس كل أحد يركب انفلك فقال في انفلك حللنا
ذريتهم وان كنا ما حللناهم وأما الخلق فلهم عالم وما يركبون فيه وجهان (احدهما) هو
الفلك الذي مثل فلک نوح (وثانيهما) هو الابل التي هي سفن البر فان قيل اذا كان المراد
سفينة نوح فواجبه مناسبة الكلام نقول ذكركم بحال قوم نوح وان المكذبين هلكوا
والؤمنين فازوا فكذلك هم ان آمنوا يغفروا وان كذبوا يهلكوا * ثم قال تعالى
(وان نشأ نرقمهم) اشارة الى فائدتين (احدهما) ان في حال النعمة ينبغي أن لا يأمنوا
عذاب الله (وثانيتهما) هو ان ذلك جواب سؤال مقدر وهو ان الطبيعي يقول السفينة
تحمّل بقتضى الطبيعة والجوف لا يرسب فقال ليس كذلك بل لو شاء الله أغرقهم وليس
ذلك بقتضى الطبع ولو صح كلامه الفاسد لكان لقائل أن يقول أليس توافق ان من
السفن ما يقلب وينكسر ومنها ما يتقوى ثاقب فيرسب وكل ذلك بمشيئة الله فان شاء الله
أغرقهم أغرقهم من غير شيء من هذه الاسباب كما هو مذهب أهل السنة أو بشيء من تلك
الاسباب كما تسلم أنت * وقوله تعالى (فلا صريح لهم) أي لا مغيث لهم يمنع عنهم العرق
(ولا هم يتقنون) اذا أدركهم العرق وذلك لان الخلاص من العذاب اما ان يكون يدفع
العذاب من أصله أو يرفعه بعد وقوعه فقال لا صريح لهم يدفع ولا هم يتقنون بعد الوقوع
فيه وهذا مثل قوله تعالى لا تغن عني شدائهم شيئا ولا يتقنون فتقوله لا صريح لهم ولا هم
يتقنون فبدل فائدة أخرى غير الحصر وهي أنه تعالى قال لا صريح لهم ولم يقل ولا متقن لهم
وذلك لان من لا يكون من شأنه أن ينصر لا يشرع في النصرة بخافة أن يغلب ويذهب ماء
وجهه وانما ينصر ويغيث من يكون من شأنه ان يغيث فقال لا صريح لهم وأما ان
لا يكون من شأنه ان يتقن اذا رأى من يعز عليه في ضره يشرع في الانقاذ وان لم يثق بنفسه
في الانقاذ ولا يغلب على ظنه وانما يدل المجهود فقال ولا هم يتقنون ولم يقل ولا متقن لهم
ثم استثنى فقال (الارحة بنا ومنا الى حين) وهو يفيد أمرين (احدهما) انقسام
الانقاذ الى قسمين الرحمة والمنازع أي فمن علم الله منه انه يؤمن فينقذه الله رحمة وفيمن علم
انه لا يؤمن فليمتنع زمانا ويزداد انما (وثانيهما) انه بيان لكون الانقاذ غير مفيد للدوام
بل الزوال في الدنيا لا بد منه فينقذه الله رحمة ويمتنع الى حين ثم يميتهم فالزوال لازم ان يقع
* ثم قال تعالى (واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم لعلكم ترحون) وجه تعلق
الآية بما قبلها هو ان الله تعالى للماعد الآيات بقوله وآية لهم الارض وآية لهم المائل
وآية لهم اما حللنا ذريتهم وكانت الآيات تفيد اليقين وتوجب القطع بما قال تعالى
ولم تغدهم اليقين قال فلا أقل من ان يحجزوا عن العذاب فان من أخبر بوقوع عذاب
يقينه وان لم يقطع بصدق قول المخبر احتياطا فقال تعالى اذا ذكر لهم الدليل القاطع
لا يعترفون به واذا قيل لهم اتقوا لا يتقنون فهم في غاية الجهل ونهاية الغفلة لأمثل العلماء
الذين يتبعون البرهان ولا أمثل الذين يبنون الامر على الاحوط ويدل على ما ذكرنا

للاقبال عليها والايان بها الا كانوا عنها معرضين على وجه التكذيب

والاستهزاء وامامايها وغيرها من الآيات الكونية الشاملة للحجرات وغيرها من تعجيب المصنوعات التي من جللتها
الآيات الثلاث المعدودة آنفا المراد بآياتها ما يبرز نزول الوحي وظهور * ٩٦ * تلك الامور لهم والمعنى ما يظهرونهم

آية من الآيات التي من
جللتها ما ذكر من شؤنه
الشاهدة بواحدانيته
تعالى وتفرده بالاوهية
الا كانوا عنها معرضين
تاركين للنظر الصحيح
فيها المودى الايمان به
تعالى واشاره على أن
يقال الاعراض عنها
كما وقع شمله في قوله
تعالى وان روا آية معرضوا
ويقولوا سحر مستمر
للدلالة على استمرارهم
على الاعراض حسب
استمرار اتيان الآيات
وعن متعلقه معرضين
قدمت عليه مراعاة
للفواصل والمجمل في حيز
النصب على انه محال
من مفعول تأتي او من
فاعله المتخصص
بالوصف لاشتهالها على
ضمير كل منهما والاستناد
مفرغ من اعم الاحوال
أى ما تأتيهم من آية
من آيات ربهم في حال
من أحوالهم الاحال
اعراضهم عنها (واذا
فيسلهم انفتقوا مما
رزقكم الله) أى أعطاكم
بطريق التفضل
والانقسام من أنواع

قوله تعالى لعلمكم ترجون بحرف التثنية أى في ظنكم فان من يخفى عليه وجهه البرهان
لا يترك طريقة الاحتراز والاحتياط وجواب قوله اذا قيل لهم اتقوا مخدوف معناه واذا
قبل لهم ذلك لا يتقون أو يعرضون وانما حذف الدلالة ما بعده عليه وهو قوله تعالى وما
تأتيهم من آية من آيات ربهم وفي قوله تعالى ما بين أيديكم وما خلفكم وجوه (أحدها) ما بين
أيديكم الآخرة فانهم مستقبلون لها وما خلفكم الدنيا فانهم تاركون لها (وثانيها) ما بين
أيديكم من أنواع العذاب مثل العرق والحرق وغيرهما المداول عليه بقوله تعالى وان نشأ
نفركهم فلا صريح لهم ولاهم يتقذون وما خلفكم من الموت الطالب لكم ان نجوتهم من
هذه الاشياء فلا نجاة لكم منه يدل عليه قوله تعالى ومتاعا الى حين (وثالثها) ما بين أيديكم
من أمر محمد صلى الله عليه وسلم فانه حاضر عندهم وما خلفكم من أمر الحشر فانكم اذا
اتقيتم تكذب محمد صلى الله عليه وسلم والتكذيب بالحشر رحكم الله وقوله تعالى لعلمكم
ترجون مع أن الرحمة واجبة فيه وجوه ذكرناها مرارا وتزيد ههنا وجها آخر وهو أنه
تعالى لما قال اتقوا بمعنى أنكم ان لم تقطعوا بناء على البراهين فاتقوا احتياطاً قال لعلمكم
ترجون يعنى أرباب اليقين يرجون جرماً وأرباب الاحتياط يرجون أن يرجوا والحق
ما ذكرنا من وجهين (أحدهما) اتقوا راجين الرحمة فان الله لا يحب عليه شئ (وثانيهما)
هو ان الاتقاء نظراً الى أمر يفيد الطين بالرحمة فان كان يقطع به أحد الأمر من خارج
فذلك لا ينفع الرجاء فان الملك اذا كان في قلبه أن يعطي من يخدمه أكثر من أجرته أضعافاً
مضاعفة لكن الخدمة لا تقتضى ذلك يصح منه أن يقول اعمل كذا ولا يبعد أن يصل
اليك أجرتك أكثر مما تستحق * ثم قال تعالى (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا
عنها معرضين) وهذا متعلق بما تقدم من قوله تعالى يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول
الا كانوا به يستهزئون وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين يعنى اذا
جاءتهم الرسل كذبوهم فاذا أتوا بالآيات أعرضوا عنها وما اتقوا اليها وقوله ألم يروا كم
اهلكنا قبلهم من القرون الى قوله لعلمكم ترجون كلام بين كلامين متصلين ويحتمل أن
يقال هو متصل بما قبله من الآية ويأني هو أنه تعالى لما قال واذا قيل لهم اتقوا وكان فيه
تقدير أعرضوا قال ليس أعرضهم مقتضراً على ذلك بل هم عن كل آية معرضون أو يقال
اذا قيل لهم اتقوا افترحوا آيات مثل انزال الملك وغيره فقال وما تأتيهم من آية من آيات
ربهم الا كانوا عنها معرضين وعلى هذا كانوا في المعنى يكون زائداً معناه الا يعرضون عنها
أى لاتنصهم الآيات ومن كذب بالبعض هان عليه التكذيب بالكل * وقوله تعالى (واذا
قبل لهم أنفقوا مما رزقكم الله) اشارة الى أنهم يبخلون بجميع ما على المكلف
وذلك لان المكلف عليه التعظيم لجانب الله والشعقة على خلق الله وهم تركوا التعظيم
حيث قبل لهم اتقوا فلم ينفقوا وتركوا الشعقة على خلق الله حيث قبل لهم اتقوا فلم
ينفقوا (وفيه لطائف) الاولى خوطبوا بأدنى الدرجات في التعظيم والشعقة فلم يأتوا بشئ

على منهاج قوله تعالى وأحسن كما أحسن الله اليك وتنبها على عظم جنايتهم في ترك الامثال بالامر وكذلك من التبعية
أى اذا قبل لهم بطريق النصيحة انفقوا ٩٧ بعض ما أعطاكم الله تعالى من فضله على المحتاجين فان ذلك

منه وعباد الله المخلصون خوطبوا بالادنى فأتوا بالاعلى انما قلنا ذلك لانهم في التقوى أمروا
بأن ينقوا ما بين أيديهم من العذاب والآخرة وما خلفهم من الموت والعذاب وهو أدنى
ما يكون من الاتقاء وأما الخاص فبقى تغيير قلب الملك عليه وان لم يعاقبه ومنقى العذاب
لا يكون الا للبعيد فهم لم يتقوا معصية الله ولم يتقوا عذاب الله والمخلصون اتقوا الله
واجتنبوا مخالفته سواء كان يعاقبهم عليه أو لا يعاقبهم وأما في الشفقة فقبل لهم انفقوا
أى بعض ما هو لله في أيديكم فلم ينفقوا والمخلصون آثروا على أنفسهم وبدلوا كل ما في
أيديهم بل أنفسهم صرفوها الى نفع عباد الله ودفع الضرر عنهم (الثانية) كما ان في جانب
التعظيم ما كان فائدة التعظيم راجعة الاليهم فان الله مستغن عن تعظيمهم كذلك في جانب
الشفقة ما كان فائدة الشفقة راجعة الاليهم فان من لا يرزقه المتول لا يموت الابا جله
ولا يدمن وصول رزقه اليه لكن السعيد من قدر الله إيصال الرزق على يده الى غيره
(الثالثة) قوله مازركم اشارة الى امرين (أحدهما) ان البخيل به في غاية التقيح فان البخيل
البخل من يبخل بمال الغير (وثانيهما) أنه لا ينبغي أن يمنعكم من ذلك مخافة الفقر فان الله
رزقكم فاذا أنفقتم فهو يخلفكم ثانيا كما رزقكم أولا وفيه مسائل أيضا (المسئلة الاولى)
عند قوله تعالى واذا قبل لهم اتقوا اخفى الجواب وههنا أجاب وأتى بأكثر من الجواب
وذلك لانه تعالى لو قال واذا قبل لهم اتقوا قالوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه لكن
كافا فاما الفائدة في قوله تعالى قال الذين كفروا للذين آمنوا نقول الكفار كانوا يقولون
بأن الاطعام من الصفات الحميدة وكانوا يفخرون به وانما أرادوا بذلك القول رد على
المؤمنين فقالوا نحن نطعم الضيف معتقدين بأن افعالنا شئنا واولا اطعامنا لما اندفع
حاجة الضيف وأتمتعوا ان انهم يرزق من يشاء فلم يقولوا لنا أنفقوا فلما كان
غرضهم الرد على المؤمنين لا الاستماع من الاطعام قال تعالى عنهم قال الذين كفروا للذين
آمنا اشارة الى الرد وأما في قولهم اتقوا ما بين أيديكم فلم يكن لهم رد على المؤمنين
فأعرضوا وأعرض الله عن ذكر اعراضهم لحصول العلم به (المسئلة الثانية) ما الفائدة في
تغيير اللفظ في جوابهم حيث لم يقولوا اتفق على من لو يشاء الله رزقه وذلك لانهم أمروا
بالانفاق في قوله واذا قبل لهم اتفقوا فكان جوابهم بأن يقولوا اتفق فيقالوا انطعم نقول
فيه بيان غاية مخالفتهم وذلك لانهم اذا أمروا بالانفاق والانفاق يدخل فيه الاطعام وغيره
لم يأتوا بالانفاق ولا بأقل منه وهو الاطعام وقالوا لا نطعم وهذا كما يقول القائل لغيره أعط
زيد دينارا يقول لأعطيه درهم مع أن المطابق هو ان يقول لأعطيه دينارا ولكن
المخالفة في هذا الوجه أتم فكذلك ههنا (المسئلة الثالثة) كان كلامهم حقا فان الله لو شاء
أن يطعمهم فلماذا ذكره في معرض الذم نقول لان مرادهم كان الانكار لقدرة الله وألعدم
جواز الامر بالانفاق مع قدرة الله وكلاهما فاسدين الله ذلك في قوله مازركم فانه يدل
على قدرته ويصحح أمره بالأعطاء لان من كان له في يد الغير مال وله في خزائنه مال فهو

مساير البلاء ويدفع
المكارة (قال الذين
كفروا) بالصانع عز وجل
وهم زنادقة كانوا يكة
(الذين آمنوا) تم كما بهم
وبما كانوا عليه من تعليق
الامور بمشئة الله تعالى
(أنطعم) حسب انطقتوا به
(من لو يشاء الله أطعمه)
أى صلى زكركم وعن ابن
عباس رضى الله عنهما
كان يكة زنادقة اذا
أمروا بالصدقة على
المساكين قالوا لا والله
أنفق الله ونعمه نحن
وقيل قاله مشركو قريش
حين استطعمهم فقراء
المؤمنين من أموالهم التي
زعموا أنهم جعلوها لله
تعالى من الحرث والاعنام
يوهمون أنه تعالى لما
أمرنا بطعامهم وهو قادر
عليه فقص أحق بذلك
وما هو الا فرط جهالتهم
قال الله تعالى يطعم عباده
بأسباب من جعلتها حيث
الاعنياء على اطعام الفقراء
وتوفيقهم لذلك (ان اتم
الافى ضلالا من حيث
نأمر وتنا بما يخالف مشيئة
الله تعالى وقد جوز أن
يكون جوابا لهم من جهته

تعالى او حكاية لجواب المؤمنين لهم ١٣ سا (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) أى فيما

تعدونابه من قيام الساعة مخاطبين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لما أنهم أيضا كانوا يتلون عليهم آيات الوعيد بقيامها ومعنى التوب في هذا الما بطريق الاستهزاء ﴿ ٩٨ ﴾ واما باعتبار قرب العهد بالوعد (ما ينظرون)

جواب من جهة تعالى
أى ما ينظرون (الاصححة
واحدة) هى النسخة الأولى
(تأخذهم) مفاجأة (وهم
يخصمون) أى يتخاصمون
في متاجرهم ومعاملاتهم
لا يخطر ببالهم شئ من
مخايلها كقوله تعالى
فأخذتهم الساعة بغتة
وهم لا يشعرون فلا يغتروا
بعدم ظهور عدائهم ولا
يزعموا أنهم الأبرار أنهم أصل
يخصمون يتخصمون
فسكنت النار وأدغمت
في الصاد ثم كسرت الحاء
لالتقاء الساكنين وقرئ
بكسر الباء لالتقاء وفتح
الحاء على افتاد حركة اللام
عليه وقرئ على
الاختلاس وبالسكان على
تجويز الجمع بين الساكنين
إذا كان الثاني مدغما
وان لم يكن الأول حرف
مد وقرئ يتخصمون
من خصمه إذا جادله (فلا
يستطيعون توصية) في
شئ من أمورهم ان كانوا
فيما بين أهلهم (ولالى
أهلهم يرجعون) ان كانوا
في خارج أبوابهم بل
تفتهم الصيحة فيموتون
حيثا كانوا (ووقف في

مخير ان أراد أعطى مسا في خزانته وان أراد أمر من عنده المال بالاعطاء ولا يجوز ان
يقول من بيده ماله في خزانتي أكثر مما في يدى أعطه منه وقوله ان أنتم الا في ضلالمين
اشارة الى اعتقادهم انهم قطعوا ألوئمين بهذا الكلام وان أمرهم بالانفاق مع قولهم
بقدره الله ظاهر الفساد واعتقادهم هو الفاسد وفيه مباحث لغوية ومعنوية (أما
اللفوية) فتقول ان وردت للثى بمعنى ما وكان الاصل في ان تكون للشرط والاصل في
ما ان تكون للثى لكنهما اشتراكا من بعض الوجوه ففارقا واستعمل ما في الشرط
واستعمل ان في الثى أما الوجه المشترك فهو ان كل واحد منهما حرف مركب من حرفين
متقار بين فان الهمزة تقرب من الالف والميم من التون ولا بد من أن يكون المعنى الذى
يدخل عليه ما وان لا يكون ثابتا ما في ماضيا واما في ان فلاك اذا قلت ان اجابنى زيد
أكرمه ينبغي ان لا يكون له في الحال مجيى فاستعمل ان مكان ما وقيل ان زيد قائم أى ما زيد
بقائم واستعمل ما في الشرط تقول ما تصنع اصنع والذى يدل على ما ذكرنا ان ما التانية
تستعمل حيث لا تستعمل ان وذلك لانك تقول ما ان جلس زيد فيقول ان سله ولا تقول ان
جلس زيد بمعنى الثى وبمعنى الشرط تقول ما ان يجلس فيقول ان أصلا وما صلة فدلنا هذا على
ان ان في الشرط أصل وما دخل وما في اننى باليكس (البحث الثاني) قد ذكرنا ان قوله ان
أنتم الا يفيد ما لا يفيد قوله أنتم في ضلال لانه يوجب الحصر وانهم ليسوا في غير الضلال
(البحث الثالث) وصف الضلال بالبين قد ذكرنا معناه انه لظهور بين نفسه انه ضلال
أى في ضلال لا يخفى على أحد انه ضلال (البحث الرابع) قد ذكرنا ان قوله في ضلال غيد
كونهم معذورين فيه غائبين وقوله في مواضع على بينة وعلى هدى اشارة الى كونهم
راكبين بين الطريق المستقيم قادرين عليه (وأما المعنوية) فهى أنهم انما وصفوا الذين
آمَنوا بكونهم في ضلال بين لكونهم ظانين ان المؤمن كلامه مشاوض ومن تناقض كلامه
يكون في غاية الضلال انما قلنا ذلك لانهم قالوا أنظم من لو يشاء الله أطعمه اشارة الى ان
الله ان شاء أن يطعمهم كان يطعمهم فلا تقدر على اطعامهم لانه يكون تحصيلا للحاصل
وان لم يشأ اطعامهم لا يقدر أحد على اطعامهم لامتناع وقوع ما لم يشأ الله فلا قدرة لنا
على الاطعام فكيف تأمرنا بالاطعام (ووجه آخر) وهو انهم قالوا أراد الله تجويعهم فلو
أطعمناهم يكون ذلك سعيًا في ابطال فعل الله وانه لا يجوز أنتم تقولون اطعموهم فهو
ضلال ولم يكن في الضلال الا هم حيث نظر والى المردول ينظر والى الطلب والامر وذلك
لان العبد اذا أمره السيد بأمر لا ينبغي ان يكشف سبب الامر والاطلاع على المقصود
الذى أمر به لاجله مثاله الملك اذا أراد ان يركب للبحر على عدوه بحيث لا يطلع عليه
أحد وقال لعبد أحضر المركوب فلو تطلع واستكشف المقصود الذى لاجله الركوب
لنسب الى أنه يريد أن يطلع عدوه على الخدنة وكشف سره فلا دى في الطاعة وهو اتباع
الامر لتسبغ المراد فآله تعالى اذ قال انفقوا مما رزقكم لا يجوز ان يقولوا لم يطعمهم

وبين الأولى أربعون سنة أى ينفع فيه وصيغته الماضى للدلالة على تحقق الوقوع (فأذا هم من الأحداث) أى القبور جمع
جدث وقرئ بالغاء (الى ربه) ١٩ مالاك أمرهم على الإطلاق (ينسون) يسرعون بطريق الاجبار دون

الاختيار لقوله تعالى
لديننا محضرون وقرئ
بضم السين (قالوا)
أى فى ابتداء بعثهم
من القبور (يا ويلنا)
احضر فهذا أوانك
وقرئ (يا ويلنا) (من
بشنا من مرقدا)
وقرئ من أهنا من
هب من نومها إذا انتبه
وقرئ من هينا بمعنى
أهينا وقيل أصله هب
بتفخفى الجار واوصل
الفاعل الى الضمير قبل
فيه ترشيح ورمى
واشعار بأنهم لاختلاط
عقولهم يظنون أنهم
كانوا إماما وعن مجاهد
ان للكفار هجمة يجدون
فيها طمأنينة فذا صبح
بأهل القبور يقولون
ذلك وعن ابن عباس
وأبى بن كعب وقادة
رحمهم الله تعالى ان
الله تعالى يرفع عنهم
العذاب بين الفتنين
فيرقدون فإذا بعثوا
بالنفس السانية
وشاهدوا من أهوال
القيامة ما شاهدوا دعوا
بالويل وقالوا ذلك
وقيل اذا عاينوا جهنم

الله ما فى خزائنه ثم قال تعالى (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) وهو إشارة الى
ما اعتقدوه وهوان القوى المأمور بها فى قوله واذا قيل لهم اتقوا والاتفاق المذكور فى
قوله تعالى واذا قيل لهم اتقوا لافائدة فيه لان الوعد لاحقيقة له وقوله متى هذا الوعد أى
متى يقع الموعود به وفيه مسائل (المسئلة الأولى) وهى ان ان للشرط وهى تستدعى جزاء
ومتى استفهام لا يصلح جزاءها الجواب نقول هى فى الصورة استفهام وفى المعنى انكار انهم
قالوا ان كنتم صادقين فى وقوع الحشر فتقوا أى متى يكون (المسئلة الثانية) الخطاب مع من
فى قولهم ان كنتم نقول الظاهر أنه مع الانبياء لانهم لما أنكروا الرسالة قالوا ان كنتم يابها
المدعون بالرسالة صادقين فاجبرونا متى يكون (المسئلة الثالثة) ليس فى هذا الموضوع وعند
فلا إشارة بقوله هذا الوعد الى أى وعد نقول هو ما فى قوله تعالى واذا قيل لهم اتقوا ما بين
أيديكم وما خلفكم من قيام الساعة أو نقول هو معلوم وان لم يكن مذكورا لكون الانبياء
مقيمين على تذكيرهم بالساعة والحساب والثواب والعقاب ثم قال تعالى (ما ينظرون الا
صيحة واحدة) أى لا ينظرون الا الصيحة المعلومة والتكبير للكثير فان قيل هم ما كانوا
ينظرون بل كانوا يجزمون بدمها فنقول الانتظار فعلى لانهم كانوا يفعلون ما يستحق به
فاعله البوار وتعميل العذاب وتغريب الساعة لولا احكام الله وقدرته وعلمه فانهم لا يقولون
أو نقول لما لم يكن قوله متى استفهاما حقيقة قال ينظرون انتظارا غير حقيقى لان القائل
متى يفهم من الانتظار نظرا الى قوله وقد ذكرناه هنا فى الصيحة أمور ابدل على هولها
وعظمتها (احدها) التكبير يقال فلان مال أى كثير وله قلب أى جرى (وثانيها) واحدة
أى لا يحتاج معها الى ثابته وثالثها) تأخذهم أى تعهم بالأخذ وتصل الى من فى مشارق
الارض ومغاربها ولاشك ان مثلها لا يكون الاعظمية وقوله (بأخذهم وهم يخصمون فلا
يستطيعون توصيه ولا الى أهلهم يرجعون) مما يعظم به الامر لان الصيحة المعساة اذا
وردت على غافل يرجف فان المقبل على مهم اذا صاح به صاحج يرجف فواده بخلاف
المنتظر للصيحة فإذا كان حال الصيحة ما ذكرناه من الشدة والقوة وترد على الغافل الذى
هو مع خصمه مشغول بكون الارتجاف أتم والارتجاف أعظم ويحتمل أن يقال يخصمون
فى البعث ويقولون لا يكون ذلك أصلا فيكونون غافلين عنه بخلاف من يعتد انه يكون
فيتهيأ له وينظر وقوعه فانه لا يرتجف وهذا هو المراد بقوله تعالى فصعق من فى السموات
ومن فى الارض الامن شاء من اعتقد وقوعها فاستعد لها وقدم مثل ذلك فىن شام رقا وعلم
ان سيكون وعد ومن لم يشمه ولم يعلم ثم رعد الاعد ترى الشأم العالم ثابنا والغافل المذاهل
مغشبا عليهم بين شدة الاخذ وهى بحيث لائمهم الى أن يوصوا وفيه أمور مينة لا شدة
(احدها) عدم الاستطاعة فان قول القائل فلان فى هذه الحال لا يوصى دون قوله
لاستطيع التوصية لان من لا يوصى قد يستطيعها (اثنان) التوصية وهى بالقول
والقول يوجد اسرع مما يوجد الفعل فقال لا يستطيعون كلمة فكيف فعلا يحتاج الى زمان

وما فيها من أنواع العذاب يصير عذاب القبرى جنبها مثل النوم فيقولون ذلك وقرئ من بعثنا ومن هينا بن الجارة
والمصدر والم قد اما مصدر أى من رقادنا أو اسم مكان أو مده

الجنس فينتظم مرأقدا نكل (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) جملة من مبتدأ وخبر وما موصولة مخدوفة العائد أو مصدر يه وهو جواب من قبل الملائكة أو المؤمنون عدله عن سنن ١٠٠ ﴿سؤالهم تذكير الكفرهم وتقرير بعالمهم

عليه وتنبئها على أن الذي يهمهم هو السؤال عن نفس البعث ماذا هو دون البساعت كأنهم قالوا بعثكم الرحمن الذي وعدكم ذلك في كتابه وأرسل اليكم الرسل فصدقوك فيه وليس الأمر كما توهمونه حتى تسألوا عن الباعث وقيل هو من كلام الكافرين حيث يتذكرون ما سمعوه من أرسل عليهم الصلاة والسلام فيحيون به أنفسهم أو بعضهم بعضا وقيل هذا صفة لم رقدنا وما وعدنا الخ خبر مبتدأ مخدوف أو مبتدأ خبره مخدوف أي ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق (إن كانت) أي ما كانت النفعة التي حكمت أنفا (الاصيصة واحدة) حصلت من نفع اسرافيل عليه السلام في الصور (فاذا هم جمع) أي مجموع (لدينا معضرون) من غير لبث ما طرفة عين وفيه من تهوين

طويل من أداء الواجبات ورد المظالم (الثالث) اختيار التوصية من بين سائر الكلمات يدل على أنه لا قدر له على أهم الكلمات فإن وقت الموت الحاجة إلى التوصية أمس (الرابع) استكبر في التوصية للعميم أي لا يقدر على توصية ما ولو كانت بكلمة بسيرة ولأن التوصية قد تحصل بالإشارة فالعاجز عنها عاجز عن غيرها (الخامس) قوله ولا إلى أهلهم يرجعون بيان لشدة الحاجة إلى التوصية لأن من يرجو الوصول إلى أهله فليس يك من التوصية لعدم الحاجة إليها أو ما من يقطع بأنه لا وصول له إلى أهله فلا بد له من التوصية فاذا لم يستطع مع الحاجة دل على غاية الشدة وفي قوله ولا إلى أهلهم يرجعون وجهان (أحدهما) ما ذكرنا أنهم يقطعون بأنهم لا يهلون إلى أن يحضروا بأهلهم وذلك يوجب الحاجة إلى التوصية (وثانيهما) أنهم إلى أهلهم لا يرجعون يعني يتوكلون ولا يرجعون إليهم إلى الدنيا ومن يسافر سفرا أو يعلم أنه لا يرجع له من ذلك أسفر ولا اجتماع أهله مرة أخرى يأتي بالتوصية ثم بين ما بعده الصحيحة الأولى فقال (ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث إلى ربهم ينسلون) أي نفخ فيه أخرى كما قال تعالى ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون وفيه مسائل (المسئلة الأولى) قال تعالى في موضع آخر ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون وقال ههنا فاذا هم من الاجداث إلى ربهم ينسلون وقيام غير انسلان وقوله في الموضعين اذا هم يقتضي أن يكونا معانول (الجواب) عنه من وجهين (أحدهما) أن القيام لا ينافي المشي السريع لأن الماشي قائم ولا ينافي النظر (وثانيهما) أن لسرعة الامور كان الكل في زمان واحد كقول القائل ﴿مكره مكره مقبل مدبر معا﴾ (المسئلة الثانية) كيف صارت النفختان مؤثرتين في امرين متضادين الاحياء والامادة نقول لا مؤثر غير الله والنفخ علامة تم ان الصوت الهائل يزلزل الاجسام فعند الحياة كانت اجزاء الحى مجمعة فزلاها فحصل فيها تفرق بقى وحالة الموت كانت الاجزاء متفرقة فزلاها فحصل فيها اجتماع فالخاصل ان النفختين يؤثران تزلزلا وانتقالا للاجرام فعند الاجتماع تنفرد وعند الافتراق تجتمع (المسئلة الثالثة) ما التحقيق في اذا التي للفساجاة تقول هي اذا التي للطرف معناه نفخ في الصور فاذا نفخ فيه هم ينسلون لكن الشيء قد يكون ظرفا للشيء معلوما كونه ظرفا فعند الكلام يعلم كونه ظرفا وعند المشاهدة لا يجد عدل كقول القائل اذا طلعت الشمس اضاء الجو وغير ذلك فاذا رأى اضاءة الجو عند الطلوع علم بتجدد علم زائد وما اذا قلت خرجت فاذا اُسد بالباب كان ذلك الوقت ظرف كون الاسد بالباب لكنه لم يكن معلوما فاذا رآه علمه فحصل العلم بكونه ظرفا له مفاجأة عند الاحساس فقبل اذا المفاجأة (المسئلة الرابعة) أين يكون في ذلك الوقت اجداث وقد زلزلت الصيحة الجبال نقول يجمع الله اجزاء كل واحد في الموضع الذي قبله فيخرج من فاك الموضع وهو وجدته (المسئلة الخامسة) لموضع موضع ذكر الهيبة وتقدم ذكر الكافر وانظر الى يدل على رحمة فلو قال بدل الرب المضاف اليهم لفظ ادا الاعلى الهيبة هل يكون أليق أم لا (فلنا) هذا

أمر البعث والحشر والايذان باستغنائهم عن الاسباب ما لا يخفى (فالיום لا تظلم نفس) من النفوس برة كانت أو فاجرة (شيا) من الظلم (ولا تعجزون الا ما كنتم تعملون) أي الاجزاء

ما كنتم تعملونه في الدنيا على الاستمرار من الكفر والمعاصي على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه للتبنيه على قوة التلازم والارتباط بينهما كأنهما ﴿ ١٠١ ﴾ شيء واحد أو الابداء كنتم تعملونه أي بمقابلته أو بسببه ونعجم

الخطاب المؤمنين بـرده
أنه تعالى يوفهم أجورهم
ويزيدهم من فضله
أضعافاً مضاعفة وهذه
حكاية لما سيقال لهم
حين يرون العذاب
العدا لهم تحقياً للحق
وتقر إيمانهم وقوله تعالى
(أن أصحاب الجنة اليوم
في شغل فاكهون) من
جلة ما سيقال يومئذ زيادة
لحسرتهم وندامتهم فإن
الاخبار بحسن حال
أعدائهم الثرياسوا
حالهم مما يزيدهم مساة
وفي هذه الحكاية من جرة
الهلواء الكسرة عماهم
عليه ومدعاة الى الاقتداء
بسيرة المؤمنين والشغل
هو الشان الذي يصد
المرء ويشغله عما سواه
من شؤنه لكونه أهم
عنده من الكل اما لاجابه
كالمسرة والبهجة
أو كالمساة والغم
والمراد ههنا هو الاول
وما فيه من التنكير
والايهام الا ليدان
بارتفاعه عن رتبة البيان
والمراد به ما هم فيه
من فنون الملاذ التي
تلهيهم عاذاهم بالكلية

اللفظ أحسن ما يكون لأن من أساء واضطر إلى التوجه إلى من أحسن إليه يكون ذلك أشد ألماً وأكثر تنبهاً من غيره (المسئلة السادسة) المسمى إذا توجه إلى المحسن يقدم رجلاً ويؤخر أخرى والتمسك هو سرعة المشي فكيف يوجد منهم ذلك نقول ينسلون من غير اختيارهم وقد ذكرنا في تفسير قوله فإذا هم ينظرون أنه أراد أن يبين كمال قدرته ونفوذه وأرادته حيث ينفخ في الصور فيكون في وقته جمع وتركيب وأحياء وقيام وعدو في زمان واحد وقوله فإذا هم من الأحداث إلى ربهم ينسلون يعني في زمان واحد يشهون إلى هذه الدرجة وهي التسلان الذي لا يكون إلا بعد مراتب * ثم قال تعالى (فأولواياو ينلنا من بعثنا من مردنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) يعني المابعوا قالوا ذلك لأن قوله وشفخ في الصور يدل على أنهم يبعثوا وفيه مسائل (المسئلة الأولى) لو قال قائل لو قال الله تعالى فإذا هم من الأحداث إلى ربهم ينسلون يقولون ياو ينلنا كان أبقى نقول معاذ الله وذلك لأن قوله فإذا هم من الأحداث إلى ربهم ينسلون على ما ذكرنا إشارة إلى أنه تعالى في أسرع زمان يجمع أجزائهم ويؤلفها ويجمعها ويحرکہا بحيث يقع تسلاتهم في وقت النفع مع أن ذلك لا بد له من الجمع والتأليف وقول قائل يواون الحان ذلك من الحلال ينسلون أي ينسلون قائلين ياو ينلنا وليس كذلك فإن قوتهم ياو ينلنا قبل أن ينسلوا وإنما ذكر التسلان لما ذكرنا من القوائد (المسئلة الثانية) لو قال قائل وقد عرفنا معنى النداء في مثل يا حسرتوا يا حسرتا وياو ينلنا لكرها ما الفرق بين قولهم وقول الله حيث قال يا حسرتا على العباد من غير إضافة وقالوا يا حسرتا وياو ينلنا نقول حيث كان انشأ هو المكلف لم تكن لاحد علم الانجلاء أو مجال من قرب منه فكان كل واحد مشغولاً بنفسه فكان كل واحد يقول يا حسرتا وياو ينلنا نقوله قالوا ياو ينلنا أي كل واحد قال ياو يلى وأما حيث قال الله قال على سبيل العموم الشمول علم بحالهم (المسئلة الثالثة) ما وجد تعاقب من بعثنا من مردنا يقولهم ياو ينلنا نقول لما بعثوا تذكر ما كانوا يعملون من الرسل فقالوا ياو ينلنا من بعثنا أبعثنا الله البعث الموعود به أم كنا نبام فبعثنا وهذا كما إذا كان إنسان موعوداً بان يأتيه عدو لا يضيقة ثم يرى رجلاً هائلاً يقبل عليه فيرتجف في نفسه ويقول هذا ذلك أم لا ويدل على ما ذكرنا قولهم من مردنا حيث جعلوا القبور موضع الرقاد إشارة إلى أنهم شكوا في أنهم كانوا نباماً فبعثوا أم كانوا موتى وكان الغالب على ظنهم هو البعث فجمعوا بين الأمرين فقالوا من بعثنا إشارة إلى ظنهم أنه بعثهم الموعود به وقالوا من مردنا إشارة إلى توهمهم احتمال الانبياء (المسئلة الرابعة) هذا إشارة إلى ما ذا نقول فيه وجهان (أحدهما) أنه إشارة إلى المرفد كأنهم قالوا من بعثنا من مردنا هذا فيكون صفة للمرفد يقال كلامي هذا صدق (وثانيهما) هذا إشارة إلى البعث أي هذا البعث ما وعد به الرحمن وصدق فيه المرسلون (المسئلة الخامسة) إذا كان هذا صفة للمرفد فكيف يصح قوله تعالى ما وعد الرحمن وصدق المرسلون نقول يكون ما وعد الرحمن مبتدأ خبره مخدوف

واما ان المراد به اقتضاؤا الابكار أو السماع وضرب الاوتار أو التزاور

أو ضيافة الله تعالى أو شغلهم غمافيه أهل النار على الإطلاق أو شغلهم عن أهاليهم في النار لا يهملهم أمرهم ولا يبالون بهم كيلا يدخل عليهم تنغيص في نعمهم كما روى كل واحد منها ١٠٢ هـ عن واحد من أكابر السلف قال ليس مرادهم

بذلك حصر شغلهم فيما ذكره فقط بل بيان أنه من جملة أشغالهم وتخصيص كل منهم كلاً من تلك الأمور بانذكرهم على اقتضاه مقام إيمان إياهم وهو مع جوار خبر لان وفاكهون خير آخر لها أي أنهم مستترون في شغل وأي شغل في شغل عظيم الشأن مستعمون بنعم مقيم فائزون بملك كبير والتعبير عن حالهم هذه بالجملة الاسمية قبل تحققها بتزليل المتروك المتوقع منزلة الواقع الايدان بغاية سرعة تحققها ووقوعها وزيادة مساهمة الخطاطين بذلك وقرئ في شغل يسكون الغين وفي شغل يفهتين وبفتحها وسكون والكل انصت وقرئ فكهمون للبيان وفكهمون بضم الكاف وهي انصت فكهمون وفكهمين على الحال من المستكن في الطرف وقوله تعالى (هم وأزاجهم في ظلال على الارائك متكئون) استئنا مسوق لبيان

تقديره ما وعد الرحمن حق والمرسلون صدقوا أو يقال ما وعد به الرحمن وصدق فيه المرسلون حق والاول أظهر لأنه الاضمار أو يقال ما وعد الرحمن خبر مبتدأ محذوف تقديره هو ما وعد الرحمن من البعث ليس تنبيهاً من التوهم وصدق المرسلون فيما أخبرواكم به (المسئلة السادسة) ان فلنا هذا اشارة الى المرقف أو الى البعث فجواب الاستفهام يتوهم من بعضنا أين يكون نقول لما كان غرضهم من قوالهم من بعضنا حصول العلم بأنه بعث أو تنبيه حصل الجواب بقوله هذا بعث وعد الرحمن به ليس تنبيهاً كما أن الخائف اذا قل لغيره ماذا تقول أيقظني فلان فله أن يقول لا تخف وسكت لعله ان غرضه ازالة الرعب عنه وبه يحصل الجواب ثم قال تعالى (ان كانت الاصيحة واحدة فاذاهم جميع لدينا محضرون) أي ما كانت النسخة الاصيحة واحدة يدل على النسخة قوله تعالى ونفخ في الصور ويحتمل أن يقال ان كانت الواقعة وقرئت الاصيحة مرفوعة على ان كان هي التامة بمعنى ما وقعت الاصيحة وقال المتخشي لو كان كذلك لكان الاحسن أن يقال ان كان لان المعنى حينئذ ما وقع شيء الاصيحة لكن التأنيث جازا لاجل حالة على الظاهر ويمكن أن يقول الذي قرأ بالرفع ان قواها اذا وقعت الواقعة تأنيث تهويل ومبالغة يدل عليه قوله ليس لوقعها كاذبة فانها للبيان فكذلك ههنا قال ان كانت الاصيحة مؤنثة تأنيث تهويل وانها جاءت اسماء يوم الحشر كلها مؤنثة كاتقيامة والقارعة والحاقة والطامة والصاخة الى غيرها والمتخشي يقول كاذبة بمعنى ليس لوقعها نفس كاذبة وتأنيث اسماء الحشر ليكون الحشر مسمى بالقيامه وقوله محضرون دل على أن كونهم ينسلون اجباري لا اختياري * ثم بين ما يكون في ذلك اليوم بقوله تعالى (قالوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الاماكنتم تعملون) فتعني في ذلك اليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الاماكنتم تعملون لئلا يس الجرم الكافرو فيه مسائل (المسئلة الاولى) ما القايدة في الخطاب عند الاشارة الى بأس الجرم بقوله ولا تجزون وترك الخطاب في الاشارة الى امان المؤمن من العذاب بقوله لا تظلم ولم يقل ولا تظلمون أي المؤمنون نقول لان قوله لا تظلم نفس شيئا يفيد العموم وهو كذلك فانها لا تظلم أبدا ولا تجزون مختص بالكاكفر فان الله يجزي المؤمن وان لم يفعل فان الله فضلا مختص بالمؤمن وعد لا ما فيه اشارة (المسئلة الثانية) ما المقضى لذكر فاء التعقيب نقول لما قال محضرون مجموعون والجمع للفصل والحساب فكأنه تعالى قال اذا جمعوا لم يجمعوا الا لفصل بالعدل فلا تظلم عند الجمع للعدل فصار عدم الظلم مترتباً على الاحضار للعدل ولهذا يقول القائل لا والى أول القاضى جلست للعدل فلا تظلم أي ذلك يقضى هذا ويستغنى (المسئلة الثالثة) لا يجزون عين ما كانوا يعملون بل يجزون بما كانوا وعلى ما كانوا وقوله ولا تجزون الاماكنتم تعملون يدل على أن الجزاء عين العمل لا يقال جزى بتعدي بنفسه وبالباء يقال جزى به خبرا وجزى به بخير لان ذلك ليس من هذا لانك اذا قلت جزى به بخير لا يكون الخبر مفعولك بل تكون الباء للقبالة والسببية كأنك تقول جزى به جزاء بسبب

أزواجهم لهم فيما هم فيه من الشغل والفكاهة على أن هم مبتدأ وأزواجهم عطف عليه ومتكئون خبر والجاران
صلتان له قدمنا عليه لإلحاط الفواصل ١٠٣ هـ وهو والجاران بالعلاق به من الاستقرار أخبار معتزة وقيل

الخبر هو الظرف الاول
والثاني مستأنف على
أنه متعلق بتكئون وهو
خبر مبتدأ محذوف وقيل
على أنه خبر مقدم
ومتكئون مبتدأ مؤخر
وقرى متكئين بلا همز
نصبا على الحال من
المستكن في الظرفين
أو أحدهما وقيل هم
تأ كيد المستكن في خبر
ان ومتكئون خبر آخر لها
وعلى الأرائك متعلق به
وكذا في ظلال أو هذا
بمضمر هو حال من
المضطوفين والاضلال
المضطوفين والاضلال
جمع ظل كشعب جمع
شعب أو جمع ظلة كقباب
جمع قبة ويؤيده قراءة
في ظلال والأرائك جمع
أريكة وهي السرير
الزين بالتياب والستور
قال نعلب لا تكون أريكة
حتى تكون عليها حيلة
وقوله تعالى لهم فيها
فاكهة الخ بيان لما
يتبعون به في الجنة من
المأكول والمشرب
ويتلذذون به من الملاذ
الجسمانية والروحية
بعد بيان ما لهم فيها من

ما فضل فتقول الجواب عنه من وجهين (أحدهما) أن يكون ذلك إشارة على وجه المبالغة
إلى عدم الزيادة وذلك لأن الشيء لا يزيد على عينه فنقول قوله تعالى يجزون بما كانوا
يعملون في المساواة كأنه عين ما عملوا يقال فلان يجاوبني حرفا يحرف أي لا يترك شيئا وهذا
يوجب البأس العظيم (الثاني) هو أن ما غير راجع إلى الخصوص وإنما هي الجنس تقديره
ولا يجزون إلا الجنس العمل أي ان كان حسنة حسنة وإن كانت سيئة سيئة فقجرون
ما تعملون من السيئة والحسنة وهذا كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها * ثم بين حال
الحسن وقال (إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وأزواجهم في ظلال على
الأرائك متكئون لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون) وقوله في شغل يحتمل وجوها (أحدها)
في شغل عن هول اليوم بأخذ ما أتاهم الله من الثواب فاعندهم خبر من عذاب ولا حساب
وقوله فاكهون يكون متعاليين سلامتهم قاله لوقال في شغل جاز أن يقال هم في شغل
أعظم من التفكير في اليوم وأهواله فإن من يصيبه فتنة عظيمة ثم يعرض عليه أمر من
أمره ويخبر بخسران وقع في ماله يقول أنا مشغول عن هذا بأهم منه فقال فاكهون أي
شغلوا عنه بالذلة والسرور بالآل والى والبور (وثانيها) أن يكون ذلك بياناً لخالصهم ولا يريد
أنهم شغلوا عن شيء بل يكون معناه هم في عمل ثم بين عملهم بأنه ليس بشاق بل هو ما لذ محبوب
(وثالثها) في شغل عما توفقه فأنهم تصوروا في الدنيا أموراً وقالوا نحن إذا دخلنا الجنة
لا نطلب إلا كذا وكذا فرأوا ما لم يخطر ببالهم فاشتغلوا به وفيه وجوه غير هذه ضعيفة
(أحدها) قيل إقصاؤهم الأيثار وهذا ما ذكرناه في الوجه الثالث أن الإنسان قد يتبرح
في نظره الآن مداعبة الكواعب فيقول في الجنة التذبيها ثم إن الله ربما يؤتبه ما يشغله
عنها (وثانيها) قيل في ضرب الأوتار وهو من قبيل ما ذكرناه نوههم (وثالثها) في التزاور
(ورابعها) في ضيافة الله وهو قريب مما قلنا لأن ضيافة الله تكون بالذم ما يمكن وجبته
تشغله تلك عاتوهم في دنياه وقوله فاكهون خبر ان وفي شغل بيان ما فاكهتهم فيه يقال
زيد على عمله مقبل وفي بيته جالس فلا يكون الجار والمجور خبراً ولو نصبت جالساً لكان
الجار والمجور خبراً وكذلك لوقال في شغل فاكهين لكان معناه أصحاب الجنة مشغولون
فاكهين على الحال وقرى بالنصب والفاكهة الملتذ المتعم به ومنه الفاكهة لأنها لا تكون
في السعة اللذة فلا تؤكل لدفم ألم الجوع وفيه معنى لطيف وهو أنه أشار بقوله في شغل
عن عدمهم الألم فلا ألم عندهم ثم بين بقوله فاكهون عن وجدانهم اللذة وعدم الألم قد
لا يكون واجداً للذة فيبين أنهم على أتم حال ثم بين الكمال بقوله هم وأزواجهم وذلك لأن من
يكون في لذة قد تنفص عليه بسبب تفكره في حال من همه أمره فقال هم وأزواجهم
أيضا فلا يبقى لهم تعلق قلب وأمان في النار من أثار بهم وأخوانهم فيكونون هم عنهم
في شغل ولا يكون منهم عندهم ألم ولا يشتهون حضورهم والأزواج يحتمل وجهين (أحدهما)
أشكالهم في الاحسان وأشأنهم في الايمان كما قال تملك من شكله أزواج (وثانيها)

بحال الانس ومحافل القدس تكمل لبيان كيفية ما هم فيه من الشغل والبهجة أي لهم فيها فاكهة

كثيرة من كل نوع من أنواع الفواكه وما في قوله تعالى (والله ما يدعون) موصولة أو موصوفة عبر بها عن مدعو
عظيم الشأن معين أو مهم أيدنا بأنه الحقيق بالدعاء دون ماعده ١٠٤ ثم صرح به رومالزادة التقرير

بالتحقيق بعد التشويق
كاستدركه أو هي باقية
على عمومها قصد بها
التميم بعد تخصيص
بعض المواد المعتاد بالذكر
وأيا ما كان فهو مبتدا
ولهم خبره والخلة معطوفة
على الخلة السابقة وعدم
الاكتفاء بعطف ما
يدعون على فاكهة ثلاثا
يتوهم كون ما عبارة عن
توابع الفاكه وتوابعها
والعنى ولهم ما يدعون
به لأنفسهم من مدعو
عظيم الشأن أو كل
ما يدعون به كما شاءا كان
من أسباب البهجة
وموجبات السرور
وأيا ما كان فقه دلالة
على أنهم في أقصى غاية
البهجة والغبطة و يدعون
يقتلون من الدعاء كما
أشير إليه مثل استوى
واجتمل إذا شوى وجل
لنفسه وقبل بمعنى
يتداعون كالارتقاء
بمعنى الترامي وقبل بمعنى
يتنون من قولهم ادع
على ما شئت بمعنى تمته
على وقال الزجاج هو
من الدعاء أى ما يدعو به
أهل الجنة بأنهم فيكون

الازواج هم أنفسهم من زوج المرأة وزوجة الرجل كما في قوله تعالى الأعلى أزواجهم
أو ما ملك أيمانهم وقوله تعالى ويدعون أزواجا فإن المراد ليس هو الاشكال قوله
في ظلال جمع ظل وظلل جمع ظلة والمراد به الوقايه عن مكان الآلام فإن الجالس تحت كن
لا يخشى المطر ولا حر الشمس فيكون به مستعدا لدفع الآلام فكذلك لهم من ظل الله ما يقبهم
الاسواء كما قال تعالى لا يمسننا فيها نصب ولا يمسننا فيها غوب وقال لا يرون فيها شمسا
ولا زهرا إشارة الى عدم الآلام (وفيه لطيفة) أيضا وهي ان حال المكلف امانا
يكون اختلاها بسبب ما فدى من الشغل وان كان في مكان عال كالقاع في حرا الشمس في البستان
المتزه أو يكون بسبب المكان وان كان الشغل مطلوبه كاللعبه الكواعب في المكان
المكتوف واما ان يكون بسبب الماء كل كالتفرج في البستان اذا أعوزه الطعام واما
بسبب فقدا الحبيب والى هذا يشير أهل القلب في شرائط السماع بقولهم الزمان والمكان
والاخوان فقال تعالى في شغل فاكهون إشارة الى أنهم ليسوا في تعب وقال هم
أزواجهم إشارة الى عدم الوحدة والوحشة وقال في ظلال على الأرائك متكون إشارة
الى المكان وقال لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون إشارة الى دفع جميع حوائجهم وقوله
متكون إشارة الى أدل وضع على القوة والفراغة فإن الدعاء قد يقوم لشغل والقاعد قد
يقعد لهم وأما التكني فلا يشكى الأغصان الفرغ والتدرة لأن الرضى لا يقدر على
الارتكاز وانما يكون مضطجعا أو مستلقيا والأرائك جمع أريكة وهي السرير الذي عليه
الفرش وهو تحت الخلات فيكون مرتبها هو وما فوقه وقوله لهم فيها فاكهة إشارة الى أن
لا جوع هناك وليس الأكل لدفع ألم الجوع وانما ما كولهم فاكهة وأوكل لما حاربا
لا يشاق قوله تعالى ولحم طير مما يشتهون يدل على التغاير وصدق الشهوة وهو الجوع لانا
نقول قوله مما يشتهون يؤكده معنى عدم الآلام لأن أكل الشيء قد يكون للتداوى من غير
شهوة فقال مما يشتهون لأن لحم الطير في الدنيا يؤكل في حالتين (أحدهما) حالة المتهم
(والثانية) حالة ضعف المعدة وحينئذ لا يأكل لحم طير يشتهي وانما يأكل ما يوافقه
وبأمره به الطبيب وأما انه يدل على التغاير فنقول مسلم ذلك لأن الخاص يخالف العام
على ان ذلك لا يندح في فرضنا لانا نقول انما اختار من أنواع الماء كوال الفاكه في هذا
الموضع لانها أدل على التمتع والتلذذ وعدم الجوع والتكبر لبيان الكمال وقد ذكرناه
مرارا وقوله لهم فيها فاكهة ولم يقل يأكلون إشارة الى كون زمام الاختيار بيدهم
وكونهم مالكيين وقادرين وقوله ولهم ما يدعون فيه وجوه (أحدها) لهم فيها ما يدعون
لأنفسهم أى دعائهم مستجاب وحينئذ يكون هذا اقناعا بمعنى الفعل كلاحتمال بمعنى
الاحتمال والارتحال بمعنى الرحيل وعلى هذا فليس معناه انهم يدعون لأنفسهم دعاء فيستجاب
دعائهم بعد الطلب بل معناه ولهم ما يدعون لأنفسهم أى ذلك لهم فلا حاجة لهم الى الدعاء
والطلب كأن الملك اذا طلب منه مملوكه شيئا يقول لك ذلك فيفهم منه تارة ان طلبك محباب

الافعال بمعنى الفعل كلاحتمال بمعنى الحمل والارتحال بمعنى الرحلة ويعضده القراءة بالتحفيف كما ذكره الكواشي (وان)

وقوله تعالى (سلام) على التقدير الاول بدل ﴿ ١٠٥ ﴾ من ما يدعون أو خبر لبتدأ محذوف وقوله تعالى (قولا)

مصدر مؤ كد فعل هو
صفة اسلام وما بعده
من الجار متعلق بمصدر
هو صفة له كأنه قيل
ولهم سلام وما يدعون
سلام يقال لهم قولا كأنها
(من) جهة (رب رحيم)
أي يسلم عليهم من جهته
تعالى بواسطة الملك
أو بدونها مبالغة
في تعظيمهم قال ابن
عباس رضي الله عنهما
والسلاكة يدخلون
عليهم بالحقبة من رب
العالمين وأما على التقدير
الثاني فقد قيل انه خبر
لما يدعون ولهم لبيان
الجهة كما يقال لهذا الشرف
متوفر على أن الشرف
مبتدأ ومتوفر خبره
الجار والمجرور لبيان
من له ذلك أي ما يدعون
سالم لهم خالص لا شوب
فيه وقولا حينئذ مصدر
مؤكد لمضمون الجملة
أي عدة من رب رحيم
والاوجه أن ينصب
على الاختصاص وقيل
هو مبتدأ محذوف الخبر
أي لهم سلام أي تسليم
قولا من رب رحيم
أو سلامة من الآفات

وأن هذا أمر هين بأنه على ما ظلت وبفهم تارة منه الردو بيان أن ذلك لك حاصل فلم تطلبه
فقال تعالى ولهم ما يدعون ويطلبون فلا طلب لهم وتقديره هو أن يكون ما يدعون بمعنى
ما يصح أن يطلب ويدعى بمعنى كل ما يصح أن يطلب فهو حاصل لهم قبل الطلب أو نقول
المراد الطلب والاجابة وذلك لأن الطلب من الله أيضا فيه لذة فلو قطع الله الأسباب بينهم
وبينه لما كان يطيب لهم فابقي أشياء يعطيهم إياها عند الطلب ليكون لهم عند الطلب لذة
وعند العطاء فإن كون المملوك بحيث يتمكن من أن يخاطب الملك في حوائجه منصب عظيم
والملك الجبار قد يدفع حوائج المالك بأسرها قصد منه أن لا يخاطب (الثاني) ما يدعون
ما يتدعون وحينئذ يكون افتعا لا بمعنى التفاعل كالاقتتال بمعنى القتال ومعناه
ما ذكرناه أن كل ما يصح أن يدعو أحدهما إليه أو يطلبه أحدهما صاحبه فهو حاصل
لهم (الثالث) ما يتدعون (الرابع) بمعنى الدعوى ومعناه حينئذ أنهم كانوا يدعون في الدنيا
أن لهم الله وهو مولاهم وإن الكافرين لا مولى لهم فقال لهم في الجنة ما يدعون به في الدنيا
فتكون الحكاية تحكية في الدنيا كأنه يقول في يومئذ الكرم أي المؤمنون غدا ما تدعون
اليوم لا يقال بأن قوله أن أصحاب الجنة اليوم في شغل فأكفون هم وأزواجهم في ظلال
يدل على أن القول يوم القيامة لا نأقول الجواب عنه من وجهين (أحدهما) أن قوله هم
مبتدأ وأزواجهم عطف عليهم فيحتمل أن يكون هذا الكلام في يومئذ أخبرنا أن المؤمن
وأزواجه في ظلال غدا وله ما يدعونه (والجواب الثاني) وهو أولى هو أن قول معناه لهم
ما يدعون أي ما كانوا يدعون لا يقال بأنه استمرار حيث لا ضرورة وأنه غير جائز لا نأقول
على ما ذكرنا يبقى الادعاء مستعملا في معناه المشهور لأن الدعاء هو الاتيان بالدعوى وإنما
قلنا ان هذا أولى لأن قوله سلام قولا من رب رحيم هو في دار الآخرة وهو كال تفسير لقوله
ما يدعون ولأن قوله ما يدعون مذكور بين جل كها في الآخرة فما يدعون أيضا ينبغي أن
يكون في الآخرة وفي الآخرة لا يبقى دعوى وبينة لظهور الأمور والفصل بين أهل الشور
والجور وقوله تعالى (سلام قولا من رب رحيم) هو أكمل الأشياء وهو آخرها الذي
لأنه فوقه ولتبينه في مسائل (المسئلة الاولى) ما زال فم لقوله سلام نقول يحتمل ذلك
وجوها (أحدها) هو بدل مما يدعون كأنه تعالى لما قال لهم ما يدعون بينه بيده فقال
لهم سلام فيكون في المعنى كالابتداء الذي خبره جار ومجرور كما يقال في الدار رجل
ولزيد مال وإن كان في الجواب كذلك بل هو بدل وبدل الشكر من المعرفة جائز
فتكون ما بمعنى الذي معرفة وسلام نكرة ويحتمل على هذا أن يقال ما في قوله تعالى
ما يدعون لا موسوفة ولا موصولة بل هي نكرة تقديره لهم شيء يدعون ثم بين بذكر البدل
فقال سلام والاول هو الصحيح (وثانيها) سلام خبر ما ولهم لبيان الجهة تقديره ما يدعون
سالم لهم أي خالص والسلام بمعنى السالم الخالص أو التسليم يقال عبد سلام أي سليم من
العيوب كما يقال لزيد اشرف متوفر الجار والمجرور يكون لبيان من له ذلك والاشرف

فيكون قولاً مصدراً مؤكداً للمضمون الجملة كما سبق ﴿ ١٠٦ ﴾ وقيل تقديره سلام عليهم فيكون حكاية لاسيغال

هو المبتدأ ومتوفر خبره (ومآلهما) قوله تعالى سلام متقطع عما تقدم وسلام مبتدا وخبره محذوف تقديره سلام عليهم فيكون ذلك اخباراً من الله تعالى في يومنا هذا كأنه تعالى حكى لنا وقال ان اصحاب الجنة اليوم في شغل ثم لائين كمال حالهم قال سلام عليهم وهذا كاف في قوله تعالى سلام على نوح وسلام على المرسلين فيكون الله تعالى أحسن الى عباده المؤمنين كما أحسن الى عباده المرسلين وهذا وجه مبتدأ جديد ما يدل عليه منقول أو نقول تقديره سلام عليكم ويكون هذا نوعاً من الالتفات حيث قل لهم كذا وكذا ثم قال سلام عليكم (المسألة الثانية) قولاً منصوب بماذا نقول يحتمل وجوهاً (أحدها) نصب على المصدر تقديره على قولنا المراد لهم سلام هو ان يقال لهم سلام بقوله الله قولاً أو بقوله الملائكة قولاً وعلى قولنا ما يدعون سالم لهم تقديره قال الله ذلك قولاً ووعدهم بأن لهم ما يدعون سالم وعداؤهم على قولنا سلام عليهم تقديره أقوله قولاً وقوله من رب رحيم يكون لبيان ان السلام منه أي سلام عليهم من رب رحيم أقوله قولاً ويحتمل ان يقال على هذا انه تمخير لان السلام قد يكون قولاً وقد يكون فعلاً فان من يدخل على الملك فيعطى رأسه يقول سلمت على الملك وهو حينئذ كقول القائل البيع موجود حكماً لا حساً وهذا ممنوع عنه قطعاً لا ظناً (المسألة الثالثة) قال في السلام من رب رحيم وقال في غيره من أنواع الاكرام تلا من غفور رحيم فهل بينهما فرق نقول نعم أما هناك فلان النزول ما يرزق النزول أو لا وذلك وان كان يدل عليه ما بعده فان النزول اذا كرم أو لا يدل على انه مكرم وإذا دخل اكرامه في الاول يدل على انه مهان دائماً غير ان ذلك غير مقطوع به لجواز ان يكون الملك واسع الرزق فيرزق نزله أو لا ولا يمنع منه الطعام والشراب ويناقشه في غيره فقال غفور لما صدر من العبيد ليا من العبد ولا يقول بأن الاطعام قد يوجد بمن يعاقب بعده والسلام يظهر من ربه تعظيمه للمسلم عليه لا بغفرة فقال رب غفور لان ربه الشئ مالكة الذي اذا نظر الى علو مرتبته لا يرجي منه الالتفات اليه بالتعظيم فاذا سلم عليه بحجب منه وقيل انظر هو سيده ويسلم عليه ثم قوله تعالى (وامتازوا اليوم ايها المجرمون) وفيه وجوه منها تبين وجد التوبيخ ايضاً (الاول) امتازوا في انفسكم وتفرقوا كما قال تعالى تكاد تميز من الغيظ اي بعضهم من بعض غير أن غيرهم من الحسرة والتدافع ووجه الترتيب حيثئذ ان المجرم يرى منزلة المؤمن ورفقته وتزول دركته وضعته فيخسر فيقال لهم امتازوا اليوم اذ لا دواء لكم ولا شفاء لاسمكم (الثاني) امتازوا عن المؤمنين وذلك لانهم يكونون مشاهدين لما يصل الى المؤمن من الثواب والاكرام ثم يقال لهم تفرقوا وادخلوا مساكنكم من النار فليريق لكم اجتماعهم ابداً (الثالث) امتازوا بعضهم عن بعض على خلاف ما للمؤمن من الاجتماع بالاخوان الذي أشار اليه بقوله تعالى هم وأزواجهم فأهل النار يكون لهم العذاب الاليم وعذاب الفرقة ايضاً ولا عذاب فوق الفرقة بل العتلاء قالوا بان كل عذاب فهو بسبب تفرق اتصال

لهم من جهته تعالى يومئذ وقيل خبر القوم المقدر ناصباً لقولاً وقيل خبره من رب رحيم وفري سلاماً بالنصب على الحالية أي لهم مرادهم سالماً خاصاً وفري سلم وهو بمعنى السلام في المعنيين (وامتازوا اليوم) عطف ما على الجملة السابقة المسوقة لبيان أحوال أهل الجنة لا على أن المقصود عطف فعل الأمر بخصوصه حتى يتجمل له مشاكل يصح عطفه عليه بل على أنه عطف قصة سوء حال هؤلاء وكيفية عقابهم على قصة حسن حال أولئك ووصف ثوابهم كما مر في قوله تعالى وبشر الذين آمنوا وآتوا وكان تغير السبك لتخييل كمال التباين بين الفريقين وحالهما وما على مضمر ينساق اليه حكاية حال أهل الجنة كأنه قبل اثر بيان كونهم في شغل عظيم الشأن وفوزهم بنعيم مقيم يقصر عنه البيان فليقروا بذلك عنا وامتازوا

عنهم (أيها المجرمون) إلى مصبركم وعن قتادة (١٠٧) ﴿اعتزلوا عن كل خبر وعن الضحك لكل كافر بيت من النار﴾

يكون فيه لا يرى ولا يرى
وأما ما قيل من أن المضمر
فليتنازوا فيجعل من السداد
لما أن المحكي عنهم ليس
مصبرهم إلى ما ذكر من
الحسالة المرضية حتى
ينسحق ترتيب الأمر
المدكور عليه بل إنما هو
استقرارهم عليه بما فعل
وكون ذلك بطريق
تنزيل المتروك منزلة
الواقع لا يجدي نفعا
لأن مناط الاضمار انسياق
الافهام إليه وانصباب
نظم الكلام عليه فبعد
ما تواترت تلك الحالة منزلة
الواقع بالفعل لما اقتضاه
المقام من الشكوة البارعة
والحكمة الرائعة حسبا
مربياته واسعة كونها
مترتبة عن درجته الاعتبار
بالكتابة يكون التصدي
لاضمار شيء يتعلق
به آخر اجالة نظم الكريم
عن الجزالة بالمره (ألم
أعهد إليكم يا بني آدم
أن لا تعبدوا الشيطان)
من جملة ما يقال لهم
بطريق التقرير والالزام
والتبكيك بين الأمر
بالاستياز وبين الأمر
بدخل جهنم

فإن من قطع يده أو أحرق جسمه فالتماثل بسبب تفرق المتصلات بعضها عن بعض لكن
التفرق الجسمي دون التفرق العقلي (الرابع) امتازوا عن شفاعتكم وقرنائكم فالتكم
اليوم جهم ولا شفيع (الخامس) امتازوا عما ترجون واعتزلوا عن كل خبر والمجرم هو
الذي يأتي بالجرية ويحتمل أن يقال أن المراد منه أن الله تعالى يقول امتازوا فيظهر
عليهم سيما يعرفون بها كما قال تعالى يعرف المجرمون بسيماهم وحينئذ يكون قوله تعالى
امتازوا أمر تكوينا كما أنه يقول كن فيكون كذلك يقول امتازوا فيميزون بسيماهم
ويظهر على جباههم أوفى وجوههم سواد * ثم قال تعالى (ألم أعهد إليكم يا بني آدم
أن لا تعبدوا الشيطان أنه لكم عدو مبين) لما ذكر الله تعالى حال المؤمنين والمجرمين
كان لقائل أن يقول أن الإنسان كل ظلوما جهولا والجهل من الاعتذار فقال الله
ذلك عند عدم الأذار وقد سبق إيضاح السبل بإيضاح الرسل وعهدنا إليكم وتلونا عليكم
ما ينبغي أن تفعلوه وما لا ينبغي * وفي الآية مسائل (المسئلة الأولى) في اللغات التي في
أعندوهي كثيرة (الأولى) كسرهم زعمهم بوجوه الاستقبال كلها تنكسر إلا اليباء
فلا يقال يعلم ويعلم (الثانية) كسر الهاء من باب ضرب يضرب (الثالثة) قلب العين جيما
ألم أجد ذلك في كل عين بعدها هاء (الرابعة) ادغام النهاء في الحاء بعد القلب فيقال
ألم أجد وقد سمع قوم يقولون دحاجا أي دعها معها (المسئلة الثانية) في معنى أعهد
وجوه أفر بها أو أفاها أأوص إليكم (المسئلة الثالثة) في هذا العهد وجوه (أول)
أنه هو العهد الذي كان مع آيين آدم بقوله وعهدنا إلى آدم (الثاني) أنه هو الذي كان مع
ذر يآدم بقوله تعالى ألتبر بكم قالوا بلى فإن ذلك يقتضي أن لا تعبد غير الله (الثالث)
وهو الأقوى أرذبت كما مع كل قوم على لسان رسول وذاك اتفق العقلاء على أن
الشيطان يأمر بالشروان اختلفوا في حقيقته وكيفيته (المسئلة الرابعة) قوله لا تعبدوا
الشيطان معناه لا تطيعوه بدليل أن انتهى عنه ليس هو السجود له فحسب بل الانقياد
لأمره والاضاعة فأنطاعة عبادة لا يقال فنكون نحن مأمورين بعبادة الأمر حيث
أمرنا بطاعتهم في قوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم لأننا نقول
طاعتهم إذا كانت بأمر الله لا تكون الاعباد لله وطاعة له وكف لا نفس السجود
والركوع لا غير إذا كان بأمر الله لا يكون الاعباد لله ألا ترى أن الملائكة سجدوا لآدم
ولم يكن ذلك الاعباد لله وإنما عبادة الأمر هو طاعتهم فيقال يأذن الله فيه فإن قيل
بما ذاب طاعة الشيطان من طاعة الرحمن مع أن لا نسمع من الشيطان خبرا ولا نرى منه
أمر نقول عبادة الشيطان في مخالفة أمر الله أو الاتيان بما أمر الله لآلانه أمر به ففي
بعض الاوقات يكون الشيطان يأمرك وهو في غيرك وفي بعض الاوقات يأمرك وهو فيك
فاذا جاءك شخص بأمرك بشي فأنظر ان كان ذلك موافقا لأمر الله أو ليس موافقا
فإن لم يكن موافقا فذلك الشخص معه الشيطان يأمرك بما يأمرك به فأرطه فقد

بقوله تعالى اصلوها اليوم الخ والعهد الوصية والتقدم ١٠٨ بأمر فيه خير ومنفعة والمراد همنا ما كفهم الله

تعالى على أسنة الرسل
عليهم الصلاة والسلام
من الأوامر والنواهي
التي من جملتها قوله
تعالى يا بني آدم لا يفتنكم
الشیطان كما أخرج
أبوكم من الجنة الآية
وقوله تعالى ولا تتبعوا
خطوات الشيطان انه
لكم عدو مبين وغيرهما
من الآيات الكريمة
الواردة في هذا المعنى
وقيل هو الميثاق المأخوذ
عليهم حين أخرجوا
من ظهور بني آدم
وأشهدوا على أنفسهم
وقيل هو ما نصب لهم
من الحجج العقلية والسمعية
الآمرة بعبادته تعالى
الزاجرة عن عبادة
غيره والمراد بعبادة
الشیطان طاعته فيما
يؤسوس به اليهم زينه
لهم عبرتها بعبادة
لزيادة التحذير والتنفير
عنها ولو وقع في مقابلة
عبادته عز وجل
وقرىء العهد بكسر
الهمزة واعهد بكسر
الهاء واحهد بضمه كما
العين واحد بالادغام
وهي لغة بني تميم

عبت الشيطان وان دعيت نفسك الى فعل فانظر أهو مأذون فيه من جهة الشرع
أو ليس كذلك فان لم يكن مأذوناً فيه فنفسك هي الشيطان أو معها الشيطان يدعوك فان
اتيمته فقد عبدته ثم ان الشيطان بأمر أو لا يخافه الله ظاهر اذن أطاعه فقد عبدته ومن
لم يطعه فلا يرجع عنه بل يقول له اعبدا الله كي لا تهان وليرتفع عند الناس شأنك وينفع
بك اخوانك واعوانك فان أجاب اليه فقد عبدته لكن عبادة الشيطان على تفاوت وذلك
لان الاعمال منها ما يقع والعامل موافق فيه جنانه ولسانه وأركانه ومنها ما يقع والجنان
واللسان مخالف للجوارح أو لا ركان فمن الناس من يرتكب جرعة ككارتها بقلبه
لما يفتقر ذنبه مستغفراً له به يعترف بسوء ما يفتقر فهو عبادة الشيطان بالأعضاء
الظاهرة ومنهم من يرتكبها وقلبه طيب ولسانه رطب كالك تبتد كثيرا من الناس يفرح
بكونه مترددا الى أبواب الظلمة للسعاية وبعد من المحاسن كونه سار يامع الملوك ويفخر
به لسانه وتجدهم يفرحون بكونهم أمراء الملوك بالظلم والملك يتفاد لهم أو يفرحون
بكونه يأمرهم بالظلم فيظلمون فرحين بما ورد عليهم من الأمر اذا عرفت هذا فاطاعة
التي بالأعضاء الظاهرة والبواطن طاهرة مكفرة بالاسقام والآلام كما ورد في الاخبار
ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم الخ من فجع جهنم وقوله صلى الله عليه وسلم السيف مجاهد
للدنوب أي مثل هذه الذنوب ويدل عليه ما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث إنها كفارات
وما يكون بالقلوب فلا خلاص عنه إلا بالتوبة والتدم وإقبال القلب على الرب وما يكون
باللسان فهو من قبيل ما يكون بالقلب في الظاهر والمثال بوضع الحال فنقول اذا كان
عند السلطان أميره غلمان هم من خواص الامير واتباع بعده هم من عوام الناس
فاذا صدر من الامير مخالفة ومسارة مع عدو السلطان ومصادقة بينهما لا يعفو الملك عن
ذلك الا اذا كان في غاية الصفح أو يكون للامير عنده يد سابقة أو توبة لاحقة فان صدر
من خواص الامير مخالفة وهو به عالم ولم ينجره عدت المخالفة موجودة منه وان كان
كارها وأظهر الانتكار حسنت معاتبته دون معاقبته لان اقدام خواصه على المخالفة
دليل على سوء الترتيب فان كان الصادر من الحواشي الأبعد وبلغ الامير ولم ينجره حوتب
الامير وان زجرهم استحق الامير بذلك الزجر الاكرام وحسن من الملك أن يسدى الى
المنجور الاحسان والانعام ان علم حصول الزجر اذا علمت هذا فالقلب أمير واللسان
خاصته والاعضاء خدمه فاذا صدر من القلب فهو العظيم من الذنوب فان أقبل على محبة
غير الله فهو الويل العظيم والاضلال المبين المستعقب لآلئيم والعذاب المهين
وما يصدر من اللسان فهو محسوب على القاب ولا يقبل قوله ان لم ينكر فعله وما يصدر من
الاعضاء والقلب قد أظهر عليه الانتكار وحصل له الانتجار فهو الذنب الذي حكى النبي
صلى الله عليه وسلم عن ربه أنه قال لولم تذبحوا خلقت أوداء لا يذنبون ويسفرون فاعف
لهم (وهنا لطيفة) وهي ان الشيطان قد يرجع عن عبادة الله فرحانا فيظن انه قد

(انه لكم عدو مبين) أى ظاهر العداوة ﴿ ١٠٩ ﴾ وهو تعليل لوجوب الانتهاء عن النهي عنه وقيل تعليل

للهي (وأزاعيدوني)
عطف على أن لا يعبدوا
على أن فيهم مفسدة
للعهد الذى فيه معنى
أقول بالنهي والامر
أو مصدرية حذف
عنها الجار أى ألم أعهد
اليكم فى ترك عبادة
الشیطان وفى عبادتى
وتقديم النهي على الامر
لما أن حق التخلية القدم
على التخلية كما فى كلمة
التوحيد وليتصل به
قوله تعالى (هذا صراط
مستقيم) فانه اشارة الى
عبادته تعالى التى هى
عبادة عن التوحيد
والاسلام وهو المشار
اليه بقوله تعالى هذا
صراط على مستقيم
والمقصود بقوله تعالى
لأقعدن لهم صراطك
المستقيم والتكثير للتفخيم
واللام فى قوله تعالى
(ولقد أضل منكم جبلا
كثيرا) جواب قسم
مخدوف والجملة استئناف
مستوفى لتشديد التوبيخ
ونأى كيد التفرع ببيان
أن جناباتهم ليست
بتقص العهد فقط بل
به وعدم الاتعاظ بما

حصل مقصوده من الاغواء حيث يرى ذلك العبد ارتكب الذنب ظاهر او يكون ذلك
رافعا لدرجة العبد فان بالذنب يتكسر قلب العبد فيتخصص من الانتجاب بنفسه وعبادته
وبصير أقرب من المقر بين لان من لم يذنب مقرب عند الله كما قال تعالى اهم درجات عند
ربهم والذنب التائب التادم منكسر القلب والله عنده كما قال صلى الله عليه وسلم حاكيا
عن ربه أنا عند المنكسرة قلوبهم وفرق بين من يكون عند الله وبين من يكون عنده الله
وأول ما يتكسر من الذنوب الصادرة عن الايمان من هذا القبيل لتحصل لهم الفضيلة على
الملائكة حيث ينجحوا بأنفسهم بقولهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك وقد يرجع
الشیطان عن آخر يكور قد أمره بشئ فلم يفعله والشخص يظن انه غلب الشيطان ورد
خائبا فيتجح فى نفسه وهو لا يعلم ان الشيطان رجع عنه محصل المقصود مقبولا غير مردود
ومن هذا بين أمر اصولى وهوان الناس اختلفوا فى ان المذنب هل يخرج من الايمان
أم لا وسبب النزاع وقوع نظر الخصمين على أمرين متباينين فالذنب الذى بالجسد لا بالقلب
لا يخرج بل قد يزيد فى الايمان والذى بالقلب يخاف منه الخروج عن ربة الايمان
ولذلك اختلفوا فى عصمة الانبياء من الذنوب والاشبه ان الجسد جازر عليهم والقرآن
دليل عليه والقلبي لا يجوز عليهم ثم انه تعالى لما نهى عباده عن عبادة الشيطان ذكر
ما يحملهم على قبول ما أمروا به والانتهاء عما نهوا عنه بقوله انه لكم عدو مبين وفيه
مسائل (المسئلة الاولى) من أين حصلت العداوة بين الشيطان والانسان فقول
ابتدأوها من الشيطان وسببه تكريم الله بنى آدم لما رأى ابليس ربه كرم آدم وبنيه
عاداهم فعاداه الله تعالى والاول منه وأوم والثانى من الله كرم أما الاول فلان الملك اذا كرم
شخصا ولم ينقص من الآخر شيئا اذ لا ضيق فى الخزانة فعداوة من يعادى ذلك المكرم
لا تكون الا أوما وأما الثانى فلان الملك اذا علم ان اكرامه ليس الامنة وذلك الضعيف
ما كان بقدر ان يصل الى بعض تلك المنزلة لولا اكرام الملك يعلم أن من ينقصه يتكر فعل
الملك أو ينسب الى خزانته ضيقا وكلاهما يحسن التعذيب عليه فعبادته انما مالا اكرام
والا كالا لا فضل ثم ان كثيرا من الناس على مذهب ابليس اذا رأوا واحدا عند ملك
محترما بغضوه وسعوا فيه اقامة لسنة ابليس فالملك ان لم يكن متخفيا باخلاق الله لا يعبد
الساحى ويستمع كلامه ويتك اكرام ذلك الشخص واحترامه (المسئلة الثانية) من أين
ابانة عداوة ابليس نقول لما كرم الله آدم عاداه ابليس وظن أنه يبنى فى منزلته وآدم
فى منزلته مثل متباغضين عند الملك والله كل عالما بالضمائر وأبعده وأظهر أمره وأظهر
هو من نفسه ما كان يخفيه ليزال ما كان يحمله على اخفاء فقال لأقعدن لهم صراطك
المستقيم وقال لاحترقك فزينه (المسئلة الثالثة) اذا كان الشيطان للانسان عدوا
مبينا فبالانسان يميل الى مرضيه من الشر والزنا وبكره مساخطه من المجاهدة
والعبادة نقول سبب ذلك استعانة الشيطان باعدوان من عند الانسان وترك استعانة

شاهدوا من العقوبات النازلة على الامم الخالية بسبب طاعتهم ﴿ ١١٠ ﴾ للشيطان فالخطاب المتأخر بهم

الذين من جعلتهم كفار
مكة خصوصا بزيادة
التوبيخ والتقريع
لتضاعف جنسائاتهم
والجبل بكسر الجيم والياء
وتشديد اللام الخلق
وقرى بضمين وتشديد
وبضمين وتخفيف
وبضمة وسكون وبكسرتين
وتخفيف وبكسرة وسكون
والكل لغات وقرى
جبل جمع جبلة كقطر
وخلق في جمع فطرة
وخلقة وقرى جبلا بياها
وهو الصنف من الناس
أى وبالله قد أضل منكم
خلقا كثيرا أو صنف
كثيرا عن ذلك الصراط
المستقيم الذى أمرتكم
بالتبات عليه فاصبرم
لاجل ذلك ما أصابهم
من العقوبات الهائلة
التي ملأ الأفق أخبارها
وبقى مدى الدهر آثارها
والله فى قوله تعالى (أفلم
تذكروا أنتم المولود للعصف
على مقدر يقتضيه المقام
أى أكنتم تشاهدون
آثار عتو باتهم فلم تكونوا
تعقلون أنها لصلاتهم
أو فلم تكونوا تعقلون
شيئا أصلا حتى

الانسان بالله فيستعين بشهوته التي خلقها الله تعالى فيه لمصالح بقائه وبقائه نوعه
ويجعلها سببا لفساد حاله ويدعوه بها الى مساك الممالك وكذلك يستعين بفضبه الذى
خلقها الله فيه لادفع المفسد عنه ويجعله سببا لوباله وفساد أحواله وميل الانسان الى
المعاصي كبل المريض الى المضار وذلك حيث ينحرف المزاج عن الاعتدال فيزى المحموم
يريد الماء البارد وهو يريد في مرضه * ومن به فساد المعدة فلا يهضم القليل من الغذاء
يميل الى الاكل الكثير ولا يشبع بشئ وهو يزيد في معدته فسادا وصحح المزاج لا ينشهى
الاميا يفعه فالدنيا كالهواء الوبي لا يستغنى الانسان فيه عن استنشاق الهواء وهو
المفسد لمرآجه ولا طريق له غير اصلاح الهواء بالروائح الطيبة والاشياء الزكية والارش
بالحل والمالور من جملة المصلحات فكذلك الانسان فى الدنيا لا يستغنى عن أمورها
وهى المعينات للشيطان وطريقه ترك الهوى وتقليل التأميل وتحرى الهوى بالذك
الطيب والزهد فاذا صح مزاج عقله لا يميل الى الحق ولا يبق عليه فى التكليف كلفة
ويحصل له مم الامور الالهية الفة وهناك يعترف الشيطان بأنه ليس له عليه سلطان
* ثم قال تعالى (وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم) لما منع من عبادة الشيطان حل على
عبادة الرحمن والشارع طيب الارواح كان الطيب طيب الاشباح وكما ان الطيب
يقول للر بى لا تفعل كذا ولانا كل من ذا وهى الحجة التي هى رأس الدواء الثلاثي
مرضه ثم يقول له تناول الدواء الثلاثي تقوية لقوته المقاومة للر بى كذلك اشارع
منع من المفسد وهو اتباع الشيطان وحل على المصلح وهو عبادة الرحمن وفيه مسائل
(المسئلة الاولى) عندنا منع من عبادة الشيطان قال انه لكم عدوميين لان اعداؤا ابغ
الموانع من الاتباع وعند الامر بعبادة الرحمن لم يقل انه لكم حبيب لان المحبة لا توجب
متابعة المحبوب بل ربما يورث ذاك الاتكال على المحبة فيقول انه يحبني فلا حاجة الى
تحمل المشقة في تحصيل مرضيه بل ذكر ما هو ابغ الاشياء الى الحمل على العبادة وذلك
كونه طريقا مستقيما وذلك لان الانسان فى دار الدنيا فى منزل قفر محذوف وهو متوجه
الى دار اقامة فيها اخوانه وانازل فى بادية خالية يخاف على روحه وماله ولا يكون عنده
شئ أحب من طريق قريب آمن فلما قال الله تعالى هذا صراط مستقيم كان ذلك سببا
حائا على اسأوك وفى ضمن قوله تعالى هذا صراط اشارة الى ان الانسان يحتاج لانه لو كان
فى دار اقامة فتوله هذا صراط مستقيم لا يكون له معنى لان القيم يقول وماذا فعل
بالطريق وانما من القيم (المسئلة الثانية) ماذا يدل على كونه طريقا مستقيما نقول
الانسان مسافر امام مسافة راجع الى وطنه وامام مسافة تاجر له متاع تجر فيه وعلى
الوجهين فانه هو المقصد وأما الوطن فلانه لا يوطن الا فى آمن ولأمن الاتكال لا يزول
ملكته من عند زوال ملك الملوك لا يبق الا فى الأمن والراحة والله سبحانه هو الذى ملكه دائم
وكل ما عداه فهو فان وأما التجارة فلان التاجر لا يقصد الا الى موضع يسمع أو يعلم ان

ترددوا عما كانوا عليه كي لا يهتق بكم ﴿ ١١١ ﴾ العتاب وقوله تعالى (هذه جنهم التي كنتم توعدون)

يخاطبون به بعد تمام
الوحي والتسريع
والإلزام والتبكيت
عند اشراقهم على
شفير جهنم أي كنتم
توعدونها على السنة
الرسول عليهم الصلاة
والسلام بمقابلة عبادة
الشیطان مثل قوله
تعالى لا ملأ من جهنم
منك ومن تبعك منهم
أجمعين وقوله تعالى
قال اذهب فإني تبعك
منهم فإن جنهم جزأؤكم
جزاء موفورا وقوله
تعالى قال اخرج منها
مذموما مسحورا لمن
تبعك منهم لا ملأ من جهنم
منكم أجمعين وغير ذلك
من الأحكام وقوله تعالى
(اصلوها اليوم بما
كنتم تكفرون) أمر
بتكثير وإهانة كقوله
تعالى ذق إنك أنت
العزیز الخ أي ادخلوها
من فوق وقاسوا فتون
عذابها اليوم بكفرهم
المستمر في الدنيا وقوله
تعالى (اليوم نختم
على أفواههم) أي
ختمنا بجمعها عن الكلام
النفاس إلى القبيحة
للايدان بأن ذكر أحوالهم القبيحة

لما عده هناك زواجا والله تعالى يقول ان العمل الصالح عنده مثاب عليه مقابل باضعاف
ما يستحق والله هو المقصود بعبادته توجه اليد ولا شك ان القاصد لجهة اذا توجه اليها
يكون على الطريق المستقيم (المسئلة الثالثة) السادة تنبئ عن معنى التذلل فلما قال
لا تعبدوا الشيطان لزم أن يتكبر الانسان على ماسوى الله ولما قال وأن اعبدوني ينبئ
أن لا يتكبر على الله لكن التكبر على ماسوى الله ليس معناه انه يرى نفسه خيرا من غيره
فان نفسه من جهة ماسوى الله فينبئ أن لا يلتفت اليها ولو كانت متجملعة بعبادة الله
بل معنى التكبر على ماسوى الله ان لا يتقاد لشيء الا باذن الله وفي هذا التكبر غاية التواضع
فانه حينئذ لا يتقاد الى نفسه وحظ نفسه في التفوق على غيره فلا يتفوق فيحصل اتواضع
التام ولا يتقاد لامر الملوك اذا خالفوا أمر الله فيحصل التكبر التام فيرى نفسه بهذا
التكبر دون الفقير فوق الامير * ثم ان الله تعالى ذكر ما يذم اعداؤه الشيطان بقوله تعالى
(ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون) وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى)
في الجبل ست فوات كسر الجيم والباء مع تشديد اللام وضمة هاء مع كسر هاء مع
التخفيف وضمة هاء مع وتسكين الباء وتخفيف اللام مع ضم الجيم ومع كسره (المسئلة
الثانية) في معنى الجبل الجيم والباء واللام لا تخلص عن معنى الاجتماع والجبل فيه اجتماع
الاجسام الكثيرة وجبل الطين فيه اجتماع أجزاء الماء والغراب وشاة جلياء اذا كانت
مجتمعة اللبن الكثير لا يقال الحجة نقض على ما ذكرتم فانه تنبئ عن التفريق فان الابلج
خلاف المقسرون لاننا نقول هي لاجتماع الاماكن الحالية التي تسع المتكاثرات فان البلجة
والبلدة بمعنى البلد سمي بلدا للاجتماع لالتفريق فالجبل الجمع العظيم حتى قيل ان دون
العشرة آلاف لا يكون جبلا وان لم يكن صحيحا (المسئلة الثالثة) كيف الاضلال نقول
على وجهين أحدهما ان الاضلال تولية عن المقصود وصد عنه فالتسليط بأمر البعض
بترك عبادة الله وعبادة غيره فهو تولية فان لم يقدر بأمره بعبادة الله لأمر غير الله من
رياسة وجار وغيرهما فهو صدوه وبغضه الى التولية لان مقصوده لو حصل لترك الله وأقبل
على ذلك الغير فيحصل التولية * ثم بين ما لاهل الضلال بقوله تعالى (هذه جنهم التي كنتم
توعدون) وحال الضلال كحال شخص خرج من وطنه مخافة عدوه فوقع في مشقة ولو أقام
في وطنه لعل ذلك العدو كان لا يظفر به أو يرجه كذلك حال من لم يتحرك اطاعة
ولا عصيان كالجنائين وحال من استعمل عقله فأخطأ الطريق فان المجنون من اهل التهمة
وان لم يكن من اهل الدرجات وقد قيل بأن البلاهة أدنى الى الخلاص من فطنة بترء
وذلك ظاهر في المحسوس فان لم يعرف الطريق اذا أقام بمكانه لا يبعد عن الطريق
كثيرا ومن سار الى خلاف المقصود يبعد عنه كثيرا * ثم بين انهم واصلون اليها حاصلون فيها
بقوله تعالى (اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون) وفي هذا الكلام ماوجب شدة تدايهم
وحسرتهم من ثلاثة أوجه (أحدها) قوله تعالى اصلوها فانه أمر بتكثير وإهانة كقوله

استدعى أن يعرض عنهم ويحكي أحوالهم القطيعة ١١٢ ✽ لغيرهم مع ما فيه من الإيحاء إلى أن ذلك من

متنضيات الختم لأن الخطاب لثقي الجواب وقد انقطع بالكلمة وقرئ نختم (ونكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) يروى أنهم يحدون ويخاصمون فيشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائهم فيخلفون ما كانوا مشركين فيختم نختم على أفواههم ونكلم أيديهم وأرجلهم وفي الحديث يقول العبد يوم القيامة اني لأجيز على شهادة الامن نفسي فيختم على فيه ويقال لا مكانه انطى فتنتطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعد الكن وبعثا فممكن كنت أناضل وقيل تكليم الاركان وشهادتها دلائها على أفعالها وظهور آثار المعاصي عليها وقرئ وتكلم أيديهم وقرئ وتكلمنا أيديهم وتشهد بلامى والتصب على معنى ولذلك نختم على أفواههم وقرئ وتكلمنا أيديهم وتشهد بلام الجزم

ذق انك أنت العزيز الكريم (والثاني) قوله اليوم يعني العذاب حاضر ولذا نكلمهم وأبواهسا قد انقضت وبقى اليوم العذاب (الثالث) قوله تعالى بما كنتم تكفرون فإن الكفر والكفران يثنى عن نعمة كانت يكفر بها وحياء الكفور من النعم من أشد الالام ولهذا كثيرا ما يقول العبد المجرم افعلوا بى ما يأمى به السيد ولا تحضرونى بين يديه والى هذا المعنى أشار القائل

أليس بكاف لذى نعمة ✽ حياء المسئ من المحسن

ثم قال تعالى (اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) في الترتيب وجوه (الاول) انهم حين يسمعون قوله تعالى بما كنتم تكفرون يريدون ينكرون كفرهم كما قال تعالى عنهم ما أشركنا وقالوا آتينا به فيختم على أفواههم فلا يقدرون على الإنكار وينطق الله غير لسانهم من الجوارح فيعتفون بذنوبهم (الثاني) لما قال الله تعالى لهم ألم أعهد اليكم لم يكن لهم جواب فسكتوا وخرسوا وتكلمت أعضاؤهم غير اللسان وفي الختم على الأفواه وجوه (أفواه) ان الله تعالى يسكت السنتهم فلا ينطقون بها وينطق جوارحهم فتشهد عليهم وأنه في قدرة الله يسير أما الاسكات فلا يخفاء فيه وأما الانطاق فلان اللسان عضو متحرك بحركة مخصوصة فكما جاز تحركه بها جاز تحرك غيره بمثلها والله قادر على الممكنات والوجه الآخر انهم لا يتكلمون بشئ لا تعطاع أعذارهم وانهم تلك أسرارهم فيقفون ناكسى الرؤس وقوف القنوط اليأس لا يجد عذرا فيعتذر ولا مجال توبة فيستغفر وتكلم الأيدي ظهور الامور بحيث لا يسع معه الإنكار حتى تنطق به الأيدي والابصار كما يقول القائل الجيطان تبكى على صاحب الدار اشارة الى ظهور الحزن والاول الصحيح وفيه لطائف الغيبة ومعنوية (اما القطيعة فالاولى) منها هي ان الله تعالى أسند فعل الختم الى نفسه وقال نختم وأسند الكلام والشهادة الى الأيدي والارجل لانه لو قال تعالى نختم على أفواههم وتنطق أيديهم يكون فيه احتمال ان ذلك منهم كان جبرا وقهرا والافرار بالاجبار غير مقبول فقال تعالى تكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم أى باختيارها بعد ما يقدرها الله تعالى على الكلام ليكون أدل على صدور الذنب منهم (الثانية) منها هي ان الله تعالى قال تكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم جعل الشهادة للارجل وان الكلام للأيدي لان الأفعال تستند الى الأيدي قال تعالى وما علمته أيديهم أى ما علموه وقال ولا تلقوا بأيديكم أى ولا تلقوا بأنفسكم فاذا الأيدي كاعاملة والشاهد على العامل ينبغي أن يكون غيره فجعل الارجل والجلود من جملة الشهود ليدأضافة الأفعال اليها أما المعنوية (فالاولى) منها ان يوم القيامة من تقبل شهادته من القربين والصديقين كلهم أعداء للمجرمين وشهادة العدو على العدو غير مقبولة وان كان من الشهود العدول وغير الصديقين من الكفار وانساق غير مقبول الشهادة فيجعل الله الشاهد عليهم منهم لا يقبل الأيدي والارجل أيضا صدرت

أفواههم وقرئ وتكلمنا أيديهم وتشهد بلام الامر والجزم

(ولو نشاء لطمسنا على أعينهم) الطمس تعمية شق العين حتى تعود مسوحة ومفعول المشبهة مخدوق على القاعدة المستقرة التي هي وقوفها شرطاً وكون مفعولاً مضنون الجراء أي لو نشاء أن نطمس على أعينهم فاعلمناه وإيضار صيغة الاستقبال وإن كان المعنى على المضى لفائدة أن عدم الطمس على أعينهم لاستمرار عدم المشبهة فالضار المذوق الواقع موقع الماضي لبس بخص في لفائدة اتقاء استمرار الفعل بل قد يفيد ١١٣ استمرار اتقائه بحسب المقام كما مر في قوله تعالى ولو يجعل الله للناس

الشر استسجأ لهم بالخير فاستسقوا
 الصراط أي فأرادوا أن
 يستبقوا إلى الطريق الذي
 اعتادوا سلوكه على أن اتصابه
 بزع الجبار أو هو بتفصيل
 الاستباق معنى الابتدار
 أو بالقرينة (فأني بصرون)
 الطريق بجهة السلوك
 (ولو نشاء لمسخناهم) بتغيير
 صورهم وإبطال قواهم (على
 مكائهم) أي مكائهم الآن
 المكائفة المخصوص كالقادة والمقام
 وقرئ على مكائهم أي
 لمسخناهم مسخاً يبعد هم
 مكائهم لا قدره أن يرجوه
 بأفعال وأدبار ولا يرجوع وذلك
 قوله تعالى (فأنا استمعاوا
 مضياً ولا يرجعون) أي
 لا يرجعوا فوضع موضعه الفعل
 لمراعاة الفاعلة عن ابن عباس
 مضى الله عنهما فقدره وتنازير
 وفيه عسارة وعن قتادة
 ما قدمناهم على أرجلهم
 وأزعمهم قرئ مضياً بكسر
 الميم وقهها وليس مساق
 الشرطيتين لمجرد بيان قدرته
 تعالى على ما ذكر من عقوبة
 الطمس والمسخ بل إبان
 أنهم بما هم عليه من الكفر
 ونقض العهد وعدم الاعتاط

الذنوب منها فهي فسقه فينبغي أن لا تقبل شهادتهم إلا أن يقول في رد شهادتها قبول شهادتها
 لأنها إن كذبت في مثل ذلك اليوم فقد سدر الذنب منها في ذلك اليوم والمذنب في ذلك
 اليوم مع ظهور الأمور لا بد من أن يكون مذنباً في الدنيا وإن صدقت في ذلك اليوم فقد
 صدر منها الذنب في الدنيا وهذا كما قال الفلاسق إن كذبت في نهار هذا اليوم فمدي حر
 فقال الفلاسق كذبت في نهار هذا اليوم عتق العبد لأنه إن صدق في قوله كذبت في نهار
 هذا اليوم فقد وجد الشرط وحب الجزاء وإن كذب في قوله كذبت فقد كذب في نهار
 ذلك اليوم فوجد الشرط أيضاً بخلاف ما قال في اليوم الثاني كذبت في نهار اليوم الذي
 عتقت عتق عبدك على كذبي فيه (المسئلة الثانية) الختم لازم الكفار في الدنيا على
 قلوبهم وفي الآخرة على أفواههم في الوقت الذي كان الختم على قلوبهم كان قولهم
 بأفواههم كما قال تعالى ذلك قولهم بأفواههم فلما ختم على أفواههم أيضاً لم أن يكون
 قولهم بأعضائهم لأن الإنسان لا يملك غير القلب واللسان والأعضاء فإذا لم يبق القلب
 ولهم تعين الجوارح والأركان ثم قال تعالى (ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستسقوا
 الصراط فأني بصرون ولو نشاء لمسخناهم على مكائهم فاستمعاوا مضياً ولا يرجعون)
 قد ذكرنا مراراً أن الصراط المستقيم هو بين الجبر والقدر وهو الطريقة الوسطى والله
 تعالى في كل موضع ذكر ما يملك به الحجة ذكر عقبيه ما يملك به القدرة وبالعكس
 وههنا كذلك لما قال الله تعالى وشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون وقال أصاؤها
 اليوم بما كنتم تكفرون وكان ذلك مملك القدرة حيث أسند الله الفكر والكسب
 إليهم وأحال الخير والشر عليهم ذكر عقبيه ما يملك على أن كفرهم وكسبهم بشيء الله وذلك
 لأن الكفر يعنى البصرة وبضعف القوة العقلية وعنى البصرة بارادة الله ومشيئته
 إذا شاء أعى البصائر كما أنه لو شاء لطمس على أعينهم البصرة وسلب القوة العقلية
 باختياره ومشيئته كان سلب القوة الجسمية بمشيئته حتى لو شاء لمسخ الكلاب على
 مكائهم وأقامه بحيث لا يتحرك بمنزلة ولا بصيرة ولا تدبر على الماضي والرجوع فاعلمنا
 البصائر سلبه كإعفاء البصائر وسلب القوة العقلية كسلب القوة الجسمية فقال لو نشاء
 لطمسنا على أعينهم إشارة إلى أنه شاء وأراد إعفاء بصائرهم ففعلوا أنه لو نشاء لمسخناهم
 لما اعتدوا إلى طريقهم الظاهرة وشاء واختار سلب قوة عقولهم ففعلوا أنه لو نشاء سلب
 قوة أجسامهم ومسخناهم لمساقدروا على تقدم ولا تأخر وفي آيتين أبحاث عقلية
 (البحت الأول) في قوله فاستبقوا الصراط قال المفسر في وجوه (الأول) أنه يكون
 فيه حذف حرف إلى واتصال الفعل من غير حرف وأصله فاستبقوا إلى الصراط (الثاني)
 أن يكون المراد من الاستباق الابتدار فاعلمنا أعمال الابتدار (الثالث) أن يجعل
 الصراط مستبقاً لاستبقا إليه يقال استبقنا فسبقتهم وحيث يكون مباحة في الإهداء
 إلى الطريق كأنه يقول الصراط الذي هو معهم ليسوا طائرين له فاصدين إياه وانما هم

بما شهدوا من آثار دمار أمثالهم أحقاه بأن يفعل ١٥ سا بهم في الدنيا تلك العقوبة كما فعل بهم في الآخرة
 عقوبة الختم وأن المانع من ذلك لبس الاعمى تعلق المشبهة الالهية به كأنهم قبل لو نشاء عقوبتهم بما ذكر من الطمس والمسخ
 جربا على موجب جنائهم المستدعية الهالة فاعلمناها ولكننا لم نشأ جربا على سنن الرحمة والحكمه الداعيتين إلى إمامهم
 (ومن نمره) أي نطل عمره (تنكسه في الخلق) أي نغلبه فيه

وتخلفه على عكس ما خلقناه أولا فلا يزال يترادصه وتنافس قوته وتنفص بنية وتغير شكله وصورته حتى يعود الى حالته شبهة بحال الصبي في ضعف الجسد وقلة العقل والخلو عن الفهم والادراك وقرئ: تنكس من الثلاثي المجرد وتنكسه من الانكس (أفلا يعقلون) أي أبرون ذلك فلا يعقلون أن من قدر على ذلك بقدر على ما ذكر من الشمس والمسخ وأن عدم إيقافهما لعدم تعلق مشيئته تعالى بهما وقرئ: تعالون بالله * ١١٤ ﴿ جرى الخطأ قبله (وما علمناه الشعر) رد

وابطال لما كانوا يقولونه في حقه عليه الصلاة والسلام من أنه شاعر وما يقوله شعراى ما علمناه الشعر بتعليم القرآن على معنى أن القرآن ليس بشعر فإن الشعر كلام متكلف موضوع ومقال مزخرف مصنوع منسوج على منوال الوزن والقافية مبنى على خيالات وأوهام وأهبة فاين ذلك من التنزيل الجليل الخطر المتزه عن مماثلة كلام البشر المشعور بفنون الحكم والاحكام الباهرة الموصولة الى سعادة الدنيا والآخرة ومن أين اشتبه عليهم الشون واختلط بهم الطنون فأنزلهم الله أنى يؤفكون (وما ينبغي له) وما يصح له الشعر ولا يتأتى له لو طلبه أى جعلناه بحيث لو أراد فرض الشعر لم يتأت له كما جعلناه أميالا يعتدى للخط لتكون اللمحة أثبت والشبهة أدهض وأما قوله عليه الصلاة والسلام أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب وقوله عليه الصلاة والسلام هل أنت الاصبع وميت * وفي سبيل الله ما لقيت * فن قيل الانفاقات الواردة من غير قصد اليها

عليه اذا طمس الله على أعينهم لا يصرونه فكيف ان لم يكونوا على الصراط (البحث الثاني) قدم الطمس والاعماء على المسخ والانعاج ليكون الكلام مدرجا كما أنه قال ان أعماهم لم يروا الطريق الذى هم عليه وحيتئذ لا يهتدون اليه فان قال قائل الاعمى قد يهتدى الى الطريق بامارات عقلية أو حسية غير حس البصر كالاصوات والمشي بحس اللمس فارتق وقال فلو مسخهم وسلب قوتهم بالكلية لا يهتدون الى الصراط بوجه من الوجوه (البحث الثالث) قدم المضى على الرجوع لان الرجوع أهون من المضى لان المضى لا يذني عن سلوك الطريق من قبل وأما الرجوع فينبى عنه ولا شك ان سلوك طريق قد رؤى مرة أهون من سلوك طريق لم رفق لا يستطيعون مضيا ولا أقل من ذلك وهو الرجوع الذى هو أهون من المضى * ثم قال تعالى (ومن نعمه تنكسه في الخلق أفلا يعقلون) قد ذكرنا ان قوله تعالى ألم أعهد اليكم قطع الاعذار بسبق الانذار ثم لا قرر ذلك وأعمه شرع في قطع عذر آخر وهو ان الكافر يقول لم يكن لبنا في الدنيا الايسرا ولو عرنا لما وجدت منا نقصا فقال الله تعالى أفلا تعقلون أنكم تكاد خلت من السن ضعفتم وقد عمرناكم مقدار ما تتكثرون من البحث والادراك كما قال تعالى أولام نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر ثم انكم علمتم ان الزمان كما يعبر عليكم يزاد ضعفكم فضعفتم زمان الامكان فلو عمرناكم كما كثر من ذلك لكان بعده زمان الازمان ومن لم يأت بالواجب زمان الامكان ما كان يأتي به زمان الازمان * ثم قال تعالى (وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين) في الترتيب وجهان قد ذكرنا ان الله في كل موضع ذكر أصلين من الاصول الثلاثة وهى الوحداية والرسالة والحشر ذكر الاصل الثالث منها وهو هذا ذكر الاصلين الوحداية والحشر اما الوحداية ففي قوله تعالى ألم أعهد اليكم باى آدم أن لا تعبدوا الشيطان وفي قوله وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم وأما الحشر ففي قوله تعالى اصلوها اليهم وفي قوله اليوم نختم على أفواههم الى غير ذلك فلما ذكرهما بينهما ذكر الاصل الثالث وهو الرسالة فقال وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين وقوله وما علمناه الشعر اشارة الى أنه معلوم من عند الله فعله ما أراد ولم يعلمه مالم يرد في تفسير الآية مباحث (البحث الاول) خص الشعر بنى التلخيص مع أن الكفار كانوا ينسبون الى النبي صلى الله عليه وسلم أشياء من جللتها السحر ولم يقل وما علمناه السحر وكذلك كانوا ينسبونه الى الكهانة ولم يقل وما علمناه الكهانة فقوله ألم الكهانة فكانوا ينسبون النبي صلى الله عليه وسلم اليها عند ما كان يخبر عن الغيوب ويكون كما يقول وأما السحر فكانوا ينسبونه اليه عند ما كان يفعل ما لا يقدر عليه الغير كشق القمر وتكليم الحصى والجذع وغير ذلك وأما الشعر فكانوا ينسبونه اليه عند ما كان يتلو القرآن عليهم لكن صلى الله عليه وسلم ما كان يتعدى الا بالقرآن كما قال تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله الى غير ذلك ولم يقل ان كنتم في شك من رسالتي فأنظروا

وعزم على ترتيبها وقيل الضمير في له القرآن أى بما ينبغي للقرآن أن يكون شعرا (ان هو) أى ما القرآن (الاذكر) ﴿ الجوزع أى عظمه من الله عز وجل وارشاد للتقنين كما قال تعالى ان هو الا ذكر للعالمين (و قرآن مبين) أى كتاب سماوى بين كونه كذلك أو فارق بين الحق والباطل بقرا في المحارب ويتلى في المعابد ويتلى بتلاوته والعمل بما فيه فوز

الدار بن فكهم يتنوع بين ما قالوا (لينذر) أى القرآن أو الرسول عليه الصلاة والسلام ويؤيده القراءة بآلناه وقرئ لينذر من نذر به أى علمه ولينذر مبدأ للمفعول من الانذار (من كان حيا) أى عافلاتا ملاما فان الغافل بمنزلة الميت أو موتنا فى علم الله تعالى فان الحياة لا يدبها الايمان وتخصيص الانذار به لانه المتنعم به (و يحق القول) أى يجب كلمة العذاب (على الكافرين) المصرين على الكفر وفى إرادهم بمقابله من كان حيا * ١١٥ * اشعار بأنهم ظلوم عن آثار الحياة وأحكامها التى هى المعرفة

أموات فى الحقيقة (ألم يروا)

الهزلة للانكار والتعجب

والواله لطف على جملة

منهفة مقدره مستعدة لللطوف

أى ألم تفكروا وألم تلاحظوا

والم يعلموا علما يقينيا متاخبا

للعناية (انا خلقناهم) أى

لأجلهم وافتقاعهم (مما علمت

الديانة) أى مما تولىنا إحداثه

بالذات وذكر الابدى واستناد

العمل اليها استعارة تعيد

مباغتة فى الاختصاص والنفرد

بالأحداث والاعتناء به (انعاما)

مفعول خلقنا وتأخيره عن

الجار بن المتعلقين به مع أن

حقه القدم عليها لما مر مرارا

من الاعتناء باقدمه والتشويق

الى المؤخر فان ما حقه القديم

إذا أخرت بنى النفس مرقبة له

فيمكن عند وروده عليها

فضل تمكن لاسيما عند كون

المقدم مبنيا عن كون المؤخر

أمر انا فاعطاهما كافي النظم

الكريم فان الجار الاول العرب

عن كون المؤخر من متافعهم

والثانى المنفصع عن كونه من

الامور الخطيرة يزيدان النفس

شوقا اليه ورغبة فيه ولاننى

تأخيره جعل بينه وبين أحكامه

النفرة عليه بقوله تعالى

الجدوع أو أشعوا الخلق العظيم أو أخبروا بالغيوب فلما كان تحديه صلى الله عليه وسلم بالكلام وكانوا ينسبونه الى الشعر عند الكلام خص الشعر بنى التعليم (البحث الثانى) ما معنى قوله وما ينبغي له قلنا قال قوم ما كان يتأتى له وآخرون ما يتسهل له حتى انه ان تمثل ببيت شعر سمع منه من احفا يروى أنه كان يقول صلى الله عليه وسلم ويا نبيك من لم يزود بالخبار (وفده وجه) أحسن من ذلك وهو ان يحمل ما ينبغي له على مفهومه الظاهر وهو ان الشعر ما كان يلقى به ولا يصلح له وذلك لان الشعر يدعو الى تغيير المعنى لمرعاة الالفاظ والوزن فاشعار يكون اللفظ منه تعبعا للمعنى والشاعر يكون المعنى منه تبعا لالفاظ لانه يفسد لفظا به يصح وزن الشعر وأما فيه فيحتاج الى التحيل لمعنى يأتى به لأجل ذلك اللفظ وعلى هذا نقول الشعر هو الكلام الموزون الذى قصد الى وزنه قصدا أو بآيا وامام من يفسد المعنى فيصدر موزونا معق فلا يكون شاعرا ألا ترى الى قوله تعالى اننا ناولو البر حتى تنفقوا مما تحبون ليس بشعر والشاعر اذا صدر منه كلام فيه مخمرات وسكاكنات بعدد ما فى الآية تقطعه بفعلاتى فاعلاتى يكون شعر لانه فصد الالبان بأفانظ حروفها متحر كفو ساكنة كذلك والمعنى تبعه والحكيم قصد المعنى فجاء على تلك الالفاظ وعلى هذا يحصل الجواب عن قول من يقول ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر بيت شعر وهو قوله أنا النبي لا كذب * أنا عبد ابن المطلب أو يبين لانا نقول ذلك ليس بشعر لعدم قصده الى الوزن والقافية وعلى هذا لو صدر من النبي صلى الله عليه وسلم كلام كثير موزون معق لا يكون شعرا لعدم قصده اللفظ قصدا أولا ويؤيد ما ذكرنا أنك اذا تبعت كلام الناس فى الاسواق تجد فيه ما يكون موزونا واقعا في بحر من مجرور الشعر ولا يسمى التكلم به شاعرا ولا الكلام شعرا لفقد القصد الى الالفاظ أو لم قوله تعالى ان هو الاذ كر وقرآن مبین يحقق ذلك المعنى أى هو ذكر وموعظة للقصد الى المعنى والشعر لفظ من خرف بالقافية والوزن (وههنا لطيفة) وهى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان من الشعر الحكمة يعنى قد يفسد الشاعر اللفظ فوافقه معنى حكيمى كأن الحكيم قد يقصد معنى فوافقه وزن شعري لكن الحكيم بسبب ذلك الوزن لا يصير شاعرا والشاعر بسبب ذلك الذكر يصير حكيميا حيث سمي النبي صلى الله عليه وسلم شعره حكمة ونفى الله كون النبي شاعرا وذلك لان اللفظ قالب المعنى والمعنى قلب اللفظ وروحه فاذا وجد القلب انظر الى القلب فيكون الحكيم الموزون كلامه حكيميا ولا يخرج عن الحكمة وزن كلامه والشاعر الموعظ كلامه حكيميا * ثم قال تعالى (لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين) قرئ بآلناه والباء بآلناه خطا بامع النبي صلى الله عليه وسلم والباء على وجهين (أحدهما) أن يكون النذر هو النبي صلى الله عليه وسلم حيث سبق ذكره فى قوله وما علمناه وقوله وما ينبغي له (وثانيهما) أن يكون المراد أن القرآن ينذر والاول أقرب الى المعنى (والثانى) أقرب الى اللفظ اما الاول

(فهم لم امالكون) الآيات الثلاث أى فليكنها اياهم واثار الجملة الاسمية على ذلك الدلالة على استقرار مالكيتهما واستقرارها واللام متعلقة بالكون مقو به لعله أى فهم مالكون لها بملكنا اياهم متصرفون فيها بالاستقلال مخصوص بالانتفاع بها لا يراحمهم فى ذلك غيرهم أو فادرون على منجنها متمكنون من التصرف فيها باقدارنا وتمكيننا ونخبرنا اياهم كافي قول من قال

أصبحت لأجل السلاح ولا * أملاك رأس العبران نفرأ الاول هو الاظهر ليكون قوله تعالى (وذللناهم) تأسيباً للنعمة على
حيالها لا لئلا يظنوا انهم صبروا بما فاداهم بحيث لا تستعصى عليهم في شيء مما يريدون بها حتى الذبح حسبما ينطق به قوله تعالى
(فبما آذواكم) الخ قال الصادق لم يفرع ابراهيم حكام الدنيا عليه وتفصلها أي بعض منها كركوبهم أي من كركبهم أي معظم
مناعها الزكوة ونحوها تعرض للحرب والكره * ثقات الزكوة * ١١٦ * وفي ركنهم وهي بمعنى كذا

والخلو بذوقه الزكوة *
جمع وفرد زكوة
ذوق كركوبهم ونحوها تكون
أي وبعضها أي كركوبهم
(ولهم فيها) أي في الانعام
بكل ما قسمها (منافع) أي غير
الركوب والاكل كالمشاة
والاصواف والابار وغيرها
وكالحراثة بالثيران (ومشارب)
من اللبن جمع مشرب وهذا
يحمل ما قبل في سورة الفحل
(أفلا يشكرون) أي أبشاهدور
هذه النعم أو يشتمون بها
فلا يشكرون المنعم بها (واتخذوا
من دون الله) أي معجوزين
الله تعالى الذي شاهدوا تفرد
بتلك القدرة الباهرة وتفصله
عليهم بما يليك اتبع المتظاهرة
(آلهة) من الاصنام وأشر كوما
به تعالى في العبادة (علمهم
ينصرون) رجا أن ينصروا
من جهنم فيما حزنهم من
الامور أو يشنعوا لهم
في الآخرة وقوله تعالى
(لا يستطيعون نصرهم) الخ
استثناف سبق إيان بطلان
رايهم وخيبة رجائهم وانعكاس
تدبيرهم أي لا قدر آلهتهم
على نصرهم (وهي) أي
المشركون (أي لا آلهتهم
(جند محضرون) يشيرونهم عند مسافهم الى النار وقيل معدون في الدنيا لحفظهم وخدمتهم والذب عنهم * وأزواجهم *
ولا يساعده مساق انظم الكبر على الله في قوله تعالى (فلا يحزنك قولهم) لغيريت النهي على ما قبله فلا بد أن يكون عبارة عن
خسرانهم وحرمانهم عما دنوا به أطعاهم الفارغوا منه انكاس الامر عليهم بترك الشر على ما رتبوا رجاء الخبر فان ذلك مما يهون
الخطب ويورث السوء وأما كونهم معدين لحرقهم

جند محضرون يشيرونهم عند مسافهم الى النار وقيل معدون في الدنيا لحفظهم وخدمتهم والذب عنهم * وأزواجهم *
ولا يساعده مساق انظم الكبر على الله في قوله تعالى (فلا يحزنك قولهم) لغيريت النهي على ما قبله فلا بد أن يكون عبارة عن
خسرانهم وحرمانهم عما دنوا به أطعاهم الفارغوا منه انكاس الامر عليهم بترك الشر على ما رتبوا رجاء الخبر فان ذلك مما يهون
الخطب ويورث السوء وأما كونهم معدين لحرقهم

وجعلهم جميعاً من ذلك وانتهى وان كان بحسب الظاهر متوجهاً إلى قولهم لكنه في الحقيقة متوجه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى له عليه السلام عن الأثر منه بطريق الكناية على أبلغ وجه وأكده قال انتهى عن أسباب الشيء ومبادئه أنودية إليه انتهى عندنا بطريق البرهان وأبطال السببية وقد يوجه انتهى في المسألة ويراد من معنى السببية كإي قوله لا أرى بك ههنا رتبة نهى مخاطبة عن المحذور لديه * ١١٧ والراد بقولهم ما يلي عنده ما ذكر من خذم الصانع المنة قل ذلك

وأما ما ذكر وما كانوا يبررون من دور الله ههنا صراط الحليم قوله وشك في العذاب محضرون وهي محكي مشين (أحدهما) أن يكون العابدون جنوداً للتخديع آلهة كاذبة (الثاني) أن يكون الأصنام جنوداً للعابدين وعلى هذا فقيه معنى اضيف وهو أنه تعالى لما قال لا يستطيعون نصرهم أم كدها بأنهم لا يستطيعون نصرهم حال ما يكونوا عند الله ومحضرون لنصرهم فإن ذلك حال على عدم الاستطاعة فإن من حضر واجتمع ثم جرحهم الله من أن يكون في غاية الضعف بخلاف من لم يكن مثاهلهم تجمع أنصاره * ثم قد تعالى وقد قيلك فيهم إشارة إلى الرتبة التي لا خلاف فيها بينه وبين تسليته عليه دليل آخر له واستباره عليه * وقوله تعالى (فأذم مايسرون ومايعتنون) لم يحصل وجوها (أحدها) أن يكون ذلك تهديفاً للمنافقين والكافرين فتوابع مايسرون من الاتفاق ومايعتنون من الشرك (والثاني) مايسرون من العلم بك ومايعتنون من الكفر بك (الثالث) مايسرون من العقائد الفاسدة ومايعتنون من الأفعال الفبيحة ثم نه تعالى لما ذكر دليلاً من الآفاق على وجوب عبادته بقوله أولم يروا أنا خلقناهم مما علمت أيدينا أنما مادرك دليلاً من النفس * فقال (أولم يروا أناساً أنا خلقناهم من نطفة) قيل إن ما لا بد من أنس أن خلف فإن الآية وردت فيه حيث أخذ عطفاً بالياء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ولم يقل انك تقول إن الهك محبي هذه العظام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ويدخلك جهنم وقد ثبت في أصول الفقه أن الاعتبار بمسوم اللفظ لا بخصوص السبب ألا ترى أن قوله تعالى قد سمع الله قول التي تعادلك في زوجها زلت في واحدة وأراد الكل في الحكم فكذلك كل إنسان يشكر الله أو الشكر فبهذه الآية ر عباداً علمت عمومها فتقول فيها الطائف (الطائفة الأولى) قوله أولم يروا أنا خلقناهم مما علمت أيدينا معناه الكافرون المشركون لأنهم كانوا عباداً لله المتخذون من دونه آلهة أولم يروا خلق الأنعام لهم وعلى هذا فقه قوله تعالى أولم يروا الإنسان كلام أعظم من قوله أولم يروا لأنه مع جنس الإنسان وهو مجموع منهم فتقول سبب ذلك أن دليل الانفس أشبه وأكل وأتم والزعم فإن الإنسان فديققل عن الأنعام وخلقها عند غيبها ولكن هو مع نفسه متى ما يكون وأما يكون فقال أرغاب عن الحيوان وخلقها فهو لا يغيب عن نفسه فبإيه أولم يروا أنا خلقناهم من نطفة وهو أنهم نعمتان سائر أنهم بعد وجوده وقوله من نطفة إشارة إلى وجه الدلالة وذلك لأن خلقها لو كان من أشياء مختلفة الصور كان يمكن أن يقال العظم خلق من جنس صلب واللحم من جنس رخو وكذلك الحبال في كل عضو ولما كان خلقه من نطفة متشابهة الأجزاء وهو مختلف الصور دل على الاختيار والقدرة قال هذا وأشار بقوله تعالى يبقى بناء واحد * وقوله (فأذا هو خصم مبين) فيه اضافة غريبة وهي أنه تعالى قال اختلاف صوراً أعضائه مع تشابه أجزائه ما خلق منه آية ظاهرة ومع هذا فهناك ما هو أظهر وهو نطفة فهم ذلك لأن النطفة جسم فبها نجاها لا يقول أنه استحبال

يعلم أن الأرواح مبدية مدبر في القلب قبل ذلك فتعلق علمه تعالى بحالته الأولى متقدم على تعلقه بخالده الثانية حقيقة (أولم يروا أناساً أنا خلقناهم من نطفة) كلام متأنف موق لبيان بطلان إنكارهم البعث بعد ما شاهدوا في أنفسهم وأوضح دلالته وأعدل شواهد كإن ما سبق موق لبيان بطلان إنكارهم بالله تعالى بعد ما علموا في بالديهم ما يوجب التوحيد والاسلام وأما ما قيل من أنه تسليط فأنذر سما الله صلا الله عليه وسأله ما نفعه من تسليطه ما نفعه من تسليطه

انكارهم الخشوع والاعتراف بالانكار والعجب والاول والعطف على جلة مقدرة هي مستتعة للمطوف كما مر في الجملة
الانكارية السابقة أي لم يفكر الانسان ولم يعلم علمائنا خلقنا من نطفة الخ أو هي عين الجملة السابقة أعيدت تأكيداً
للتكبر السابق وتمهيداً لانكار ما هو أحق منه بالانكار والتعجب لما أن المنكر هناك عدم علمهم بما يتعلق بخلق أسباب معاشهم
وهو ناعم عليهم بما يتعلق بخلق أنفسهم ولا ريب في أن علم الانسان ﴿ ١١٨ ﴾ بأحوال نفسه أهم وأحاطت بهما أسهل

وأكل فالانكار والتعجب من الاخلال بذلك أدخل كأنه قيل ألم يعلموا خلقه تعالى لاسباب معاشهم ولم يعلموا خلقه تعالى لأنفسهم أيضاً مع كون العلم بذلك في غاية الظهور ونهاية الأهمية على معنى أن المنكر الأول بعيد قبيح والثاني أبعد وأقبح ويجوز أن تكون الواو والعطف الجملة الانكارية الثابتة على الاولى على أنها مقدمة في الاعتبار وان تقدم الهمزة عليها لاقتضاءها الصدارة في الكلام كما هو رأي الجمهور وإيراد الانسان مورد الضمير لان مدار الانكار متعلق بأحواله من حيث هو انسان كما في قوله تعالى أولاً يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً وقوله تعالى (فاذا هو خصيم مبين) أي شديد الخصومة والجدال بالباطل عطف على الجملة المنفية داخل في حيز الانكار والتعجب كأنه قيل أولاً برأنا خلقناه من أخس الاشياء وأمهتها فافاجأ خصوصتنا في أمر يشهد بصحته وتحققه مبدأ فطرته شهادة يتنهد وإراد

وتكون جسماً آخر لكن القوة الناطقة والذوة الفاعلة من أين تقتضيها النطفة فإبداع النطق والفهم أعجب وأقرب من إبداع الخلق والجسم وهو إلى ادراك القدرة والاختيار منه أقرب فقوله خصيم أي ناطق وإنما ذكر الخصيم مكان الناطق لأنه أعلى أحوال الناطق فإن الناطق مع نفسه لا يبين كلامه مثل ما يبينه وهو يتكلم مع غيره والتكلم مع غيره إذا لم يكن خصماً لا يبين ولا يجتهد مثل ما يجتهد إذا كان كلامه مع خصمه وقوله مبين إشارة إلى قوة عقله واختار الإبانة لأن العاقل عند الافهام أعلى درجة منه عند عدمه لأن المبين بان عنده الشيء ثم إبانته فقوله تعالى من نطفة إشارة إلى أدنى ما كان عليه وقوله خصيم مبين إشارة إلى أعلى ما حصل عليه وهذا مثل قوله تعالى ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة إلى أن قال تعالى ثم أنشأناه خلقاً آخر فساتقدم من خلق النطفة علقة وخلق العلقة مضغة وخلق المضغة عظماً إشارة إلى التغيرات في الجسم وقوله ثم أنشأناه خلقاً آخر إشارة إلى ما أشار إليه بقوله فاذا هو خصيم مبين أي ناطق عاقل * ثم قوله تعالى (وضربنا أمثالاً ونسى خلقه) إشارة إلى بيان الخشوع في هذه الآيات إلى آخر السورة غرائب وعجائب نذكرها قدر الامكان إن شاء الله تعالى فنقول المنكرون الخشوع منهم من لم يذكر فيه دليلاً ولا شبهة واكتفى بالاستبعاد وادعى الضرورة وهم الأكثرون ويدل عليه قوله تعالى حكاه عنهم في كثير من المواضع بلغة الاستبعاد كما قالوا أنذا ضللتنا في الأرض أناتلبي خلقاً جديداً ثمنا وكنا تراباً وعظاماً أنالبعوثون أنك لمن المصدقين أنذا ممنا وكنا تراباً وعظاماً أنالمدينون إلى غير ذلك فكذاك ههنا قال (قال من يحيى العظام وهي رميم) على طريق الاستبعاد قبل أن يأتى بإبطال استبعادهم بقوله ونسى خلقه أي نسي أنا خلقناه من تراب ومن نطفة متشابهة الاجراء ثم جعلناهم من النواصي إلى الاقدام أعضاء مختلفة الصور والقوام وما استكنفينا بذلك حتى أودعناهم مالمس من قبيل هذه الاجرام وهو النطق والعقل الذي هما استهفوا الأكرام فإن كانوا يفتخرون بمجرد الاستبعاد فهل يستبعدون خلق الناطق العاقل من نطفة قد ذرة لم تكن محل الحياة أصلاً ويستبعدون إعادة النطق والعقل إلى محل كان فيه ثم إن استبعادهم كان من جهة ما في المعاد من التفتت والتفرق حيث قالوا من يحيى العظام وهي رميم اختاروا العظم للذكر لأنه أبعد عن الحياة لعدم الاحساس فيه وضعفه بما يقوى جانب الاستبعاد من البلا والتفتت والله تعالى دفع استبعادهم من جهة ما في المعبد من القدرة والعلم فقال وضرب لنا مثلاً أي جعل قدرتنا كقدرتهم ونسى خلقه العجب وبدء الغريب ومنهم من ذكر شبهة وإن كانت في آخرها تعود إلى مجرد الاستبعاد وهي على وجهين (أحدهما) أنه بعد العدم لم يبق شيئاً فكيف يصح على العدم الحكم بالوجود وأجاب عن هذه الشبهة بقوله تعالى (قل يحييها الذي أنشأها أول مرة) يعني كإخلق الانسان ولم يكن شيئاً مذكوراً كذلك بعينه وإن لم يبق شيئاً مذكوراً (وثانيهما)

الجملة الاسمية للدلالة على استقراره في الخصومة واستمراره عليه ما روى أن جماعة من كفار قريش منهم أبي أن خلف الجحفي وأبو جهل والماص بن وائل والوليد بن المغيرة تكلموا في ذلك فقال لهم أبي بن خلف اتزونا إلى ما يقول محمد إن الله يبعث الأموات ثم قالوا اللات والعزى لاصبرن إليه ولا تخفنه وأخذ عظاماً بالياً فجعل يفتنه بيده ويقول بالمحمد أنرى الله يحيي هذا بعد ما رم قال صلى الله عليه وسلم نعم ويعطيك ويدخلك جهنم فترأت وقبل معنى قوله تعالى فاذا هو خصيم مبين فاذا

فصحة عجبية في زعمه واستبعدها
وعدها من قبيل المثل وأنكرها
أشد الانكار وهي أحياءنا
أيها وجعل إنسانا مثلا ونظيرا
من الخلق وفلس قدر تناعلي
قدرتهم وفي الكل على العموم
وقوله تعالى (ونسي خلقه) أي
خلقنا إياه على الوجه المذكور
الدال على بطلان ما ضربه
أما عطف على ضرب داخل
في حيز الانكار والتعجب أو
حال من فاعله باضمار قد أو
بدونه وقوله تعالى (قال)
استئناف وقع جوابا عن سؤال
نשא من حكاية ضربه المثل
كأنه قيل أي مثل ضرب أو
ماذا قال فقيل قال (من يحيي
العظام) منكره أشد التكبير
مؤكد له بقوله تعالى (وهي
رميم) أي بالية أشد البلية بعدة
من الحياة غاية البعد فالثل
على الأول هو انكار أحيائه
تعالى للعظام فإنه أمر عجيب
في نفس الأمر حقيقة لقربائه
وبعد من العقول بأن يعد مثلا
ضرورة جزم العقول ببطلان
الانكار ووقوع المنكر لكونه
كالإنسان بل أهون منه في قياس
العقل وعلى الثاني هو أحياءه
تعالى لها فإنه أمر عجيب في
زعمه قد استبعده وعده من

فَقِيلَ الْمَثَلُ وَأَنْتَ كَرِهَ أَشَدَّ الْإِنْكَارِ مَعَ أَنَّهُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ أَقْرَبُ شَيْءٍ مِنَ الْوُقُوعِ لِمَا سَبَقَ مِنْ كَوْنِهِ مِثْلَ الْإِنْشَاءِ أَوْ أَهْوَنُ مِنْهُ وَأَمَّا عَلَى
الْثَالِثِ فَلَا فَرْقَ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ الْمَثَلُ هُوَ الْإِنْكَارُ أَوِ الْمُنْكَرُ وَعَدَمُ تَأْيِيدِ الرَّبِّ مَعَ وَقُوعِهِ خِبرُ الْبُلُوْثِ لِأَنَّهُ اسْمُ الْمَالِي مِنَ الْعِظَامِ غَيْرِ
مُكْتَفٍ كَالرَّغَاتِ وَقَدْ تَمَسَّكَ بِظَاهِرِ الْآيَةِ الْكَرِئَةِ مِنْ تَأْيِيدِ الْعِظَامِ حَيَاةَ وَبَنَى عَلَيْهِ الْحُكْمَ بِفَجَاسَةِ عِظَمِ الْمُتَعَدِّ وَأَمَّا

أصحابنا فلا يقولون بحياته كالشعر يقولون المراد بأحياء العظام ردها إلى ما كانت عليه من الغضاضة والربط يبقى بدن
حتى حساس (قل) بتكياته بتدبيره من فطرته الدالة على حقيقة الحال وإرشاده إلى طريقة الاشتهاد بها (بحييتها
الذي أنشأها أول مرة) فإن قدرته كما هي لاستحالة التغير فيها والمادة على حالها (وهو كل خلق عليم) بما في العلم تفاصيل
كيفية الخلق واليجاد وإعادة محيط بجميع الأجزاء المنفصلة ١٢٠ * التبدد لكل شخص من الأشخاص أصولها

وقروصها وأوصاف بعضها
من بعض من الاتصال، الا
فصل والافتراق
فيبعد كلامي ذلك على النمط
السابق مع التوضيح التي كانت
قبل والجملة أما اعتراض تذييلي
مقرر لمضنون الجواب أو معطوفة
على الصلة والدول إلى الجملة
الاحدية التفسيرية على أن علم
تعييب بما ذكر أمر مستبعد
كأنشاء المناشآت وقوله تعالى
(الذي جعل لكم من الشجر
الأخضر ناراً) بدل من الموصول
الأول وعدم الاتصال بمعطوف
صلته على صلته بالأكيد
ولفائدهما في كفة الدلالة
أي خلق لأجلكم وشفقتكم
عنه ناراً على أن الشجر الذي
والجار من متعلق به قد ما على
مقوله المبرمج مع تأخرهما
عنه رتبة لما من الاعتناء
بالقدم والتشويق إلى المؤخر
وصف الشجر بالأخضر نظراً
إلى ما قد قرئ في الخضراء
نظراً إلى المعنى وهو ما
والغبار يقطع الرجل منهما
عصيتين مثل السواكين وهما
خضراء إن يقطر منهما الماء
فيصنع المرح بهود ذكر على
العقار وهو أن يفتح النار

بأذن الله تعالى وذلك قوله تعالى (فاذا أنتم متوفدون) فمن قد على أحداث التار من الشجر الأخضر مع * معنى *
مع ما فيه من المنايا المضادة لها بكيفية كان أقدر على إعادة الغضاضة إلى ما كان غصنا مطراً عليه البوسة والبلا وقوله
تعالى (أوليس الذي خلق السموات) الخ استأناف مسوق من جهته عر وجل التحقيق مضنون الجواب الذي أمر عليه

بذلك يلزمهم الحجة والهمزة لانكاروا التني والواو له طلق على مقدر يقتضيه المقام أى اليس الذى انشاها اول مرة وليس الذى جعل لهم من الشجر الاخضر ناراً ﴿ ١٢١ ﴾ وليس الذى خلق السموات والارض مع كبر جرمها

وعظم شأنهما (بقادر على أن يخلق مثلهم) فى الصغروا التمام بالنسبة اليهما فان بديهة العقل قاضية بأن من قدر على خلق خلقهما فهو على خلق الاناسى أقدر كما قال تعالى لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس وقرئ يفدر وقوله تعالى (بلى) جواب من جهته تعالى - تصريح بمسأفاده الاستغناء الانكارى من تقرير ما بعد اننى وايدان بتعين الجواب نطقوا به او تعلموا فيه مخافة الارزام وقوله تعالى (وهو الخلاق العليم) عطف على ما بيده الإيجاب أى بلى هو قادر على ذلك وهو البالغ فى الخلق والعلم كفاؤكما (انما أمره) أى شأنه (اذا اراد شيئاً) من الاشياء (أن يقول له كن) أى أن يعلق به قدرته (فيكون) فيحدث من غير توقف على شئ آخر أصلاً وهذا تشبيل لتأثير قدرته تعالى فيما أراد به بأمر الأمر المطاع المأمور

معنى الحدوث ولكن الاطلاق موهم فذكر جدوا لا نقل المجموع حادث من غير بيان مرادك فان ذلك قديهم من ان الجميع حادث بل حقيق الاشارة بوجود العبارة وقل أحد طرفي المجموع قديم والاخر حادث ولم يكن الاخر معه فى الازل واما قوله كن من الحروف نقول الكلام يطلق على معنيين (أحدهما) ما عند المتكلم (والثاني) ما عند السامع ثم أحدهما يطلق عليه انه هو الآخر من هذا يظهر قولنا ما بيان ما ذكرناه فلان الانسان اذا قال لغيره عندي كلام أريد أن أقوله لك فدا ثم ان السامع أثناء غدا وسأله عن الكلام الذى عنده أسس فيقول له انى أريد أن تحضر عندي اليوم فهذا الكلام أطلق عليه المتكلم انه كان عندك أسس ولم يكن عند السامع ثم حصل عند السامع بحرف وصوت ويطلق عليه أن هذا الذى سمعت هو الذى كان عندي ويعلم كل عاقل أن الصوت لم يكن عند المتكلم أسس ولا الحرف لأن الكلام الذى عنده جاز أن يذكره بالمر في فيكون له حروف وجاز أن يذكره بالشارسية فيكون له حروف آخر والكلام الذى عنده ووعده واحد والحروف مختلفة كثيرة فاذا معنى قوله هدا ما كان عندي هو ان هذا يؤتى اليك ما كان عندي وهذا أيضاً مجاز لأن الذى عنده ما انتقل اليه وانما علم ذلك وحصل عنده به علم مستفاد من السمع أو البصر فى القراءة والكتابة أو الاشارة اذا علمت هذا فالكلام الذى عند الله وصفه له ليس بحرف على ما بان والذى تحصل عند السامع حرف وصوت وأحدهما الآخر لما ذكرنا من المعنى وتوسع الاطلاق فاذا قال تعالى يقول له حصل قائل وسمع فاعتبرها من جانب السامع لكون وجود الفعل من السامع لذلك القول فعبء بالكاف والنون الذى يحدث عند السامع ويحدث به المطلوب * ثم قال تعالى (فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ) واليه ترجعون لما تقررت الوجدانية والاعادة وأنكروها وقالوا بأن غير الله آلهة قال تعالى وتنزه عن الشريك الذى بيده ملكوت كل شئ وكل شئ ملكه فكيف يكون المملوك للمالك شريكاً وقالوا بأن الاعادة لان يكون فقال واليه ترجعون رداعليهم فى الامر من وقد ذكرنا ما يتعلق بالحق فى قوله سبحان أى سبحوا تسبيح الذى أوسج من فى السموات والارض تسبيح الذى فسبحان علم للتسبيح والتسبيح هو التنزيه والملكوت مبالغة فى الملك كالرحوت والرهوت وهو فعلول أو فعلوت فيه كلام ومن قال هو فعلول جعلوه لمحتابه * ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لكل شئ قلباً وقلب القرآن بس وقال الغزالي فيه ان ذلك لان الايمان صحته بالاعتراف بالحشر والحشر مقرر فى هذه السورة بأبلغ وجه فبحله قلب القرآن لذلك واستحسنه فخر الدين الرازى رحمه الله تعالى سمعته يترجم عليه بسبب هذا الكلام ويمكن ان يقال بأن هذه السورة ليس فيها الاقرار بالاصول الثلاثة بأقوى البراهين فابتدأوها بيان الرسالة بقوله انك لمن المرسلين ودليلها ما قدمه عليها بقوله والقرآن الحكيم وما آخر عنها بقوله لتذرنها قوماً وانتهأوها بيان الوجدانية والحشر بقوله فسبحان الذى بيده

الطبع فى سرعة حصول المأمور به ﴿ ١٦ ﴾ سا من غير توقف على شئ ما وقرئ فيكون بالنصب عطفًا على يقول

ايجاب كما أن وصفه تعالى
 بالملك الحكيم المصلح
 الأشعار بأنها مفضة
 لذلك أم اقتضاء
 والمالكوت مبالغة في الملك
 كالرحوت والرهوت
 وقرئ ملك كل شيء
 وملك كل شيء (وايه
 ترجمون) لا الى غيره
 وقرئ ترجمون بفتح
 التاء من الرجوع وفيه
 من الوعد والوعد
 ما لا يخفى * عن ابن عباس
 رضي الله عنهما كنس
 لأعلم ماروي في فضائل

يس وقراءتها كيف
خصت بذلك فإذا نه لهذه
الآية قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم إن لكل
شيء قنبا وإن قلب القرآن
يس من قنباير يدها
وجه الله تعالى غفر الله له
وأعطى من الاجر كما
قرأ القرآن اثنى
وعشرين مرة وأما
مسلم قرئ عنده إذا نزل
به ملك الموت سورة يس
نزل بكل حرف منها
عشرة أملاك يقومون
بين يديه صفوا يصلون
عليه ويستغفرون له
يشهدون غسله ويتبعون

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

بِأَذْنِ اللَّهِ يَشْهَدُونَ غَمَلَهُ وَيَنْبَغُونَ
مَعَهَا فَبِهِ تَهْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْهِ وَ
تَعَالَى (أَرْوَحُهُ حَتَّى يَجِيئَهُ

مع فافية. ^{١٠} ويصلون عليه ويشهدون دفنه وإمامهم قرأ يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك ^{١١} ويقفون ^{١٢} تعالى (أروحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنة بشربة

من شراب الجنة فيشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو زيان وعكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة ﴿ ١٢٣ ﴾ وهو ريان وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان في القرآن سورة

تشفع لقارنها وتستغفر

لصحتها الا وهي سورة يس

* (سورة والصفات

مكبة وآيها مائة واحدى

أو اثنتان وثمانون آية) *

* (بسم الله الرحمن

الرحيم) * (والصفات

صفا) اقسام من الله

عز وجل بطوائف

الملائكة الفاعلات

للصفوف على أن المراد

ايضا نفس الفعل من

غير قصد الى المفعول

أو الصفات أنفسها

أي الناطقات لها في

ملك الصفوف بقيامها

في مقاماتها المعلومة

حسبا ينطق به قوله

تعالى وما نالا مقام

معلوم وعلى هذين

المعنيين مدار قوله تعالى

وانا نحن الصافون

وقيل اصفاء أقدامها

في الصلاة وقيل

اجمعتها في الهواء

(فالزجرات زجرا) أي

الفصالات للزجر

والزجرات لما يتطبه زجر

من الاجرام العلوية

واسفلية وغيرها على

وحد يابى بالزجور ومن

جمله ذلك زجر العباد

ويقفون منتظرين وصول أمر الله اليهم ويحتمل ايضا أن يقال معنى كونهم صفوفًا أن لكل واحد منهم مرتبة معينة ودرجة معينة في الشرف والفضيلة أو في اذات والعلية وتلك الدرجة المرتبة باقية غير متغيرة وذلك يشبه الصفوف وأما قوله فالزجرات زجرا فقال الليث يقال زجرت البعير فأنا أزجره زجرا اذا أحنثه ليحضى وزجرت فلانا عن سوء فانزجر أى نهته فانتهى فعلى هذا الزجر للبعير كالخث والانسان كالنهى اذا عرفت هذا فنقول في وصف الملائكة بالزجروجه (الاول) قال ابن عباس يريد الملائكة الذى وكلوا بالسمحاب زجرونها بمعنى أنهم يأتون بها من موضع الى موضع (الثانى) المراد مندان الملائكة لهم تأثيرات في قلوب بنى آدم على سبيل الالهامات فهم زجرونها عن المعاصى زجرا (الثالث) لعل الملائكة أيضا يزجرون الشياطين عن التعرض لبنى آدم بالشر والايذاء وأقول قد ثبت في العلوم العقلية أن الموجودات على ثلاثة أقسام مؤثر لا يقبل الاثر وهو الله سبحانه وتعالى وهو أشرف الموجودات ومناثر لا يؤثر وهم عالم الاجسام وهو أخس الموجودات وموجود يؤثر في شئ ويتأثر عن شئ آخر وهو عالم الارواح وذلك لانها تقبل الاثر عن عالم كبرياء الله ثم انها تؤثر في عالم الاجسام واعلم أن الجهة التي باعتبارها تقبل الاثر من عالم كبرياء الله غير الجهة التي باعتبارها تستولى على عالم الاجسام وتقدر على التصرف فيها وقوله فالتاليات ذكرنا اشارة الى الاشرف من الجهة التي باعتبارها تقوى على التأثير في عالم الاجسام اذا عرفت هذا فقوله والصفات صفا اشارة الى وقوفها صفا صفا في مقام العبودية والطاعة بالخشوع والخضوع وهى الجهة التي باعتبارها تقبل تلك الجواهر القدسية أصناف الانوار الالهية والكمالات الصمدية وقوله تعالى فالزجرات زجرا اشارة الى تأثير الجواهر الملكية في تنوير الارواح القدسية البشرية واخراجها من القوة الى الفعل وذلك لثبت أن هذه الارواح النطية البشرية بالنسبة الى ارواح الملائكة كالقطرة بالنسبة الى البحر وكاشلة بالنسبة الى الشمس وان هذه الارواح البشرية المتأثقل من القوة الى الفعل في المعارف الالهية والكمالات الروحانية بتأثيرات جواهر الملائكة ونظيره قوله تعالى يزيل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده وقوله نزل به الروح الامين على قلبك وقوله تعالى فالتاليات ذكرنا اذا عرفت هذا فقول في هذه الآية دققة أخرى وهى ان الكمالات المطلق الشئ انما يحصل اذا كان تاما فوق التام ويكونه تاما انما يحصل جميع الكمالات الملائكة به حصولا بالفعل والمراد بكونه فوق التام أن تفيض منه أصناف الكمالات والسمادات على غيره ومن المعلوم ان كونه كاملا في ذاته مقدم على كونه مكتملا لغيره اذا عرفت هذا فقوله والصفات صفا اشارة الى استكمال جواهر الملائكة في ذاتها وقت وقوفها في مواقف العبودية وصفوف الخدمة والطاعة وقوله تعالى فالزجرات زجرا اشارة الى كيفية تأثيراتها في ازالة ما يبغي عن جواهر الارواح البشرية وقوله تعالى فالتاليات ذكرنا

عن المعاصى وزجر الشياطين عن الوسوسة والاعواء وعن استراق السمع كاسيأتى وصفا وزجرا مصدرا من مؤكدا لما قبلها أى صفا بديها وزجرا بليغا وأما ذكرنا

في قوله تعالى (فالتاليات ذكرا) فمفعول التاليات أي التاليات ذكرا عظيم الشأن من آيات الله تعالى وكتبه للترجمة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وغيرهما من التسبيح ﴿ ١٢٤ ﴾ والتعديس والتحميد والتعجيل وقيل هو

إشارة إلى كيفية تأثيراتها في إفاضة الجلايا القدسية والانوار الإلهية على الأرواح الناطقة البشرية فهذه مناسبات عقلية واعتبارات حقيقية تنطبق عليها هذه الألفاظ الثلاثة قال أبو مسلم الأصفهاني لا يجوز حل هذه الألفاظ على الملائكة لأنها مشعرة بالتأنيث والملائكة مبرؤون عن هذه الصفة والجواب من وجهين (الاول) ان الصفات جمع الجمع فانه يقال جماعة صافقة ثم يجمع على صافات (والثاني) انهم مبرؤون عن التأنيث المعنوي أما التأنيث في اللفظ فلا وكيف وهم يسمعون بالملائكة مع أن علامة التأنيث حاصلة في هذا الوجه (الثاني) ان تحمل هذه الصفات على النفوس البشرية الطاهرة المقدسة المقتلة على عبودية الله تعالى الذين هم ملائكة الارض وبيانهم من وجهين (الاول) ان قوله تعالى والصفات صفا المراد الصفوف الحاصلة عند أداء الصلوات بالجماعة وقوله فالزاجرات زجرا إشارة إلى قراءة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم كأنهم بسبب قراءة هذه الكلمة يزحرون الشياطين عن التاء الوسواس في قلوبهم في أثناء الصلاة وقوله فالتاليات ذكرا إشارة إلى قراءة القرآن في الصلاة وقيل فالزاجرات زجرا إشارة إلى رفع الصوت بالقراءة كأنه يزجر الشيطان بواسطة رفع الصوت روى انه صلى الله عليه وسلم طاف على بيت أصحابه في الليالي فسمع أبا بكر يقرأ بصوت منخفض وسمع عمر يقرأ بصوت رفيع فسأل أبا بكر لم تقرأ هكذا فقال المعبود سمع سليم وسأل عمر لم تقرأ هكذا فقال أوقف البوسان وأطرد الشيطان (الوجه الثاني) في تفسير هذه الألفاظ ثلاث في هذه الآية ان المراد من قوله والصفات صفا اصغوف الحاصلة من العلماء المحققين الذين يدعون إلى دين الله تعالى والمراد من قوله والزاجرات زجرا انه ألهم بالزجر عن الشهوات واشبهات والمراد من قوله فالتاليات ذكرا التاليات ذكرنا اشتغالهم بالدعوة إلى دين الله والتزجيب في العمل بشرائع الله (الوجه الثالث) في تفسير هذه الألفاظ الثلاثة أن تجعلها على أحوال الغزاة والمجاهدين في سبيل الله فتقوله والصفات صفا المراد منه صفوف القتال لقوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا وأما الزاجرات زجرا فالزجيرة والصيحة سواء والمراد منع رفع الصوت بزجر الخيل وأما التاليات ذكرنا فالمراد اشتغال الغزاة وقت شروعهن في محاربة العدو بقراءة القرآن وذكر الله تعالى بالتسليم والتعديس (الوجه الرابع) في تفسير هذه الألفاظ الثلاثة ان تجعلها صفات لآيات القرآن فتقوله والصفات صفا المراد آيات القرآن فانها أنواع مختلفة بعضها في دلائل التوحيد وبعضها في دلائل العلم والقدرة والحكمة وبعضها في دلائل النبوة وبعضها في دلائل المعادو بعضها في بيان التشكيك والاحكام وبعضها في تعليم الاخلاق الفاضلة وهذه الآيات مرتبة ترتيبا لا يتغير ولا يتبدل فهذه الآيات تشبه اشخاصا واقفين في صفوف معينة وقوله فالزاجرات زجرا المراد منه الآيات الزجيرة عن الأفعال المنكرة وقوله فالتاليات ذكرنا المراد منه الآيات الدافعة على وجوب الأقدام على أعمال البر والخير وصف الآيات بكونها تالية على قانون

ايضا مصدر موكد لما قبله فان التلاوة من باب الذكر ثم ان هذه الصفات ان أجريت على الكل فغطفها بالفاء للدلالة على ترتيبها في الفضل أما يكون الفضل لصف ثم الزجر ثم التلاوة وأعلى العكس وان أجريت كل واحدة منهن على ما سوائف معينة وهو ولد لانه على ترتيب الموصولات في مراتب الفضل يعني أنطوائف لصفات ذوات فضل والزاجرات أفضل والتاليات أهر فضلا وأعلى العكس وقيل المراد بالذكورات نفوس العلماء العمال الصفات أنفسها في صفوف الجماعات وأقدامها في الصلوات الزاجرات بالمواضع والصالح التاليات آيات الله تعالى الدارسات شرائعه وأحكامه وقيل طوائف الغزاة الصفات أنفسهم في مواطن الحروب كأنهم يبيان مرصوصا وطوائف قوادهم الصفات لهم

فيها الزاجرات الخيل للجهاد سوا والعدو في المعارك طردا التاليات آيات الله تعالى وذكره ﴿ ما يقال ﴾ وتيسره في تضاعيف ذلك والكلام في العطف ولاتيه على ترتيب الصفات في الفضل أو ترتيب موصوفاتها فيه

كأنه سلف وأما الدلالة على الترتيب في الوجود كما في قوله بالهف زبانه الحشر الصالح فلننام فلا يب فغير ظاهرة في شيء من الطوائف المذكورة فإنه هو ١٢٥ بسم تقدم الصف على الزجر في الملاشكة والقراءة فتأخر التلاوة عن الزجر

غير ظاهر وقيل الصفات الطير من قوله تعالى والطير صافات والزاجرات كل ما يزجر عن المعاصي والتاليات كل من تلو كتاب الله تعالى وقيل الزاجرات القوارع القرآنية وقرئ بادغام الثاني الصاد والزاي والذال (أن الهكم واحد) جواب القسم والجملة تحقيق للحق الذي هو التوحيد بما هو المأروف في كلامهم من التأكيذ القسمي وتهديد لما يعقبه من البرهان الناطق به أعني قوله تعالى (رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق) فلوجودها وانتظامها على هذا النمط البديع من أوضح دلائل وجود اصناف وعلمه وقدرته وأعدل شواهد وحدته كما مر في قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لغسدا ورب خبر ثان لأن أو خبر لبيتنا محذوف أي مالك السموات والأرض وما بينهما من الموجودات

ما يقال شعر شاعرو كلام قائل قال تعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم وقال يس والقرآن الحكيم قيل الحكيم بمعنى الحكا فلهذه جملة الوجوه المحتملة على تقدير ان يجعل هذه الالفاظ الثلاثة صفات لشي واحد (وأما الاحتمال الثاني) وهو أن يكون المراد بهذه الثلاثة أشياء متفارقة فقيل المراد بقوله والصفافات صفافا الطير من قوله تعالى والطير صافات والزاجرات كل ما يزجر عن معاصي الله والتاليات كل ما يئلي من كتاب الله وأقول فيه وجه آخر وهو أن مخلوقات الله اما جسمانية واما روحانية أما الجسمانية فإنها مرتبة على طبقات ودرجات لاستيعاب البنية فالارض وسط العالم وهي محفوفة بكرة السماء والسماء محفوف بالهواء والهواء محفوف بالنار ثم هذه الاربعة محفوفة بكرات الابلاك الى آخر العالم الجسماني فهذه الاجسام كأنها صفوف واقفة على عتبة جلال الله تعالى وأما الجواهر الروحانية المملكية فهي على اختلاف درجاتها وتبين صفاتها مشتركة في صفتين أحدهما التأثير في عالم الأجسام بالتحريك والتصرف واليه الاشارة بقوله فالزاجرات زجرا فانا بيننا أن المراد من هذا الزجر السوق والتحريك والثاني الادراك والعرف والاستغراق في معرفة الله تعالى واشاء عليه واليه الاشارة بقوله تعالى فالتاليات ذكرا ولما كان الجسم أدنى منزلة من الارواح المستقلة فالنصرف في الجسمانيات أدون منزلة من الارواح المستغرقة في معرفة جلال الله الملقلة على تسبيح الله كما قال ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته لاجرم بدأ في المرتبة الاولى بذكر الاجسام فقال الصافات صفافا ثم ذكر في المرتبة الثانية الارواح الدورية لاجسام هذا العالم ثم ذكر في هذه المرتبة اشياء أعلى الدرجات وهي الارواح المقدسة الموجهة بكنيتهم الى معرفة جلال الله والاستغراق في اشاء عليه فهذه احتمالات خطلت بالبال والعالم باستمرار كلام الله تعالى ليس الا الله (المسئلة الشائكة) للناس في هذا الموضع قولان (الاول) قول من يقول القسم به ههنا خلق هذه الاشياء لابعان هذه الاشياء واحتجوا عليه بوجوه (الاول) انه صلى الله عليه وسلم نهى عن الحلف بغير الله فكيف يليق بحكمة الله أن يحلف بغير الله (والثاني) ان الحلف بالشيء في مثل هذا الموضع تعظيم عظيم للحعاقف به ومثل هذا التعظيم لا يليق الا بالله (ثالث) أن هذا الذي ذكرناه تأكد بما أنه تعالى صرح به في بعض السور وهو قوله تعالى والسماء وما بناها والارض وما طحاها ونفس وما سواها (والقول الثاني) قول من يقول ان القسم واقع باعيان هذه الاشياء واحتجوا عليه بوجوه (الاول) أن القسم وقع بهذه الاشياء بحسب ظاهر اللفظ فالمدلول عنه خلاف الدليل (والثاني) أنه تعالى قال والسماء وما بناها فعلق لفظ القسم بالسماء ثم عطف عليه القسم بالاني للسماء فلو كان المراد من القسم بالسماء القسم بمن بني السماء لزم التكرار في موضع واحد وأنه لا يجوز (الثالث) انه لا يبعد أن تكون الحكمة في قسم الله تعالى بهذه الاشياء التبيه على شرف ذواتها

ومر بها وبلغها الى كالاتها والمراد بالشارق مشارق الشمس واعادة الرب فيها غاية ظهور آثار الربوبية فيها ومجدها كل يوم فلها ثمانية

وستون مشرقا تشرق كل يوم من مشرق منها وبمجردها تختلف المغارب وتغرب كل يوم في مغرب منها وأما قوله تعالى رب المشرقين ورب المغربين فهما شرقا الصيف والشتاء ومغربا هما (١٢٦) (١) أما زينا السماء الدنيا أى القربى

منكر (زينة) صبيحة بدبعة (الكواكب) بالجر بدل من زينة على أن المراد بها الاسم أى ما يزان به لا المصدر فإن الكواكب بانفسها وأوضاع بعضها من بعض زينة وأى زينة وقرى بالاضافة على أنها يابنة لما أن الزينة مبهمة صادقة على كل ما يزان به فتقع الكواكب يسانا لها ويجوز أن يراد زينة الكواكب ما زينت هي به وهو ضوؤها وروى عن ابن عباس رضى الله عنهم ا زينة الكواكب بضو الكواكب هذا وأما على تقدير كون الزينة مصدرا فالعنى على تقدير اضاافتها الى الفعل بان زانت الكواكب اناها وأصله زينة الكواكب وعلى تقدير اضاافتها الى المفعول بان زان الله الكواكب وحسناها وأصله زينة الكواكب والمراد هو التزيين فى رأى ائمة فان جميع الكواكب من اثواب

وكل حفاظها لاسيما اذا حللتا هذه الالفاظ على الملائكة فانه تكون الحكمة فى انفسها بالانبياء على جلاله درجاتها وكل مراتبها والله أعلم فان قيل ذكر الحلف فى هذا الموضع غير لائق وبيان من وجوه (الاول) ان المقصود من هذا القسم اما اثبات هذا المطلوب عند المؤمن أو عند الكافر والاول باطل لان المؤمن مقر به من غير هذا الحلف والثانى باطل لان الكافر لا يقر به سواء حصل الحلف أو لم يحصل فلهذا الحلف عديم الفائدة على كل التقدير (الثانى) انه تعالى حلف فى أول هذه السورة على ان الاله واحد وحلف فى أول سورة والذاريات على أن القيامة حق فقال والذاريات فزروا الى قوله انما اتوعدون اصادق وان الدين اواقع واثبتت هذه المطالب العالية الشريفة على المخالفين من الدهرية وأمثالهم بالحلف واليمين لا يلقى بالعناء والجواب من وجوه (الاول) انه تعالى قرر التوحيد وصحة البعث والقيامة فى سائر السور بالدلائل البينة فلما تقدم ذكر تلك الدلائل لم يبعد تقريرها فذكر القسم تأكيد المساتقدم لاسيما والقرآن انما أنزل بلغة العرب واثبتت المطالب بالحلف واليمين طريقة مألوفة عند العرب (والوجه الثانى) فى الجواب انه تعالى لما قسم بهذه الاشياء على صحة قوله تعالى ان الهكم لواحد ذكر عقيدته ما هو كالدليل البين فى كون الاله واحدا وهو قوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق وذلك لانه تعالى بين فى قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ان انتظام احوال السموات والارض يدل على ان الاله واحد ففهمنا قال ان الهكم لواحد أردفه بقوله رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق كأنه قيل قد بينا ان النظر فى انتظام هذا العالم يدل على كون الاله واحدا فتأملوا فى ذلك الدليل ليحصل لكم العلم بالتوحيد (الوجه الثالث) فى الجواب ان المقصود من هذا الكلام الرد على عبدة الاصنام فى قولهم بانها آلهة فكأنه قيل هذا المذهب قد بلغ فى السقوط والركاكة الى حيث يكفى فى ابطالها مثل هذه الحجة والله أعلم (المسئلة الرابعة) اما دلالة احوال السموات والارض على وجود الاله القادر العالم الحكيم وعلى كونه واحدا منزها عن الشريك قد سبق تقريرها فى هذا الكتاب مرارا وأطوارا وأما قوله تعالى ورب المشارق فيحتمل أن يكون المراد مشارق الشمس قال السدى المشارق ثلثمائة وستون مشرقا وكذلك المغارب فانه تطلع الشمس كل يوم من مشرق وتغرب كل يوم فى مغرب ويحتمل أن يكون المراد مشارق الكواكب لان لكل كوكب مشرقا ومغربا فان قيل لم اكنفى بذكر المشارق قلنا الوجهين (الاول) أنه اكنفى بذكر المشارق كقوله تعيكم الحر والثانى أن اشروق أقوى حالا من الغروب وأكثر نفعا من اغروب فذكر الشرق تبيينا على كثرة احسان الله تعالى على عباده ولم يزل هذه الدقيقة استدلالا ابراهيم عليه السلام بالشرق فقال ان الله يأتى بالشمس من المشرق (المسئلة الخامسة) اخرج لاصحاب بقوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما على كونه تعالى خافيا

والسيارات تيدون نظري كائنات جواهر ملائكة فى سطح سماء الدنيا بصور بدبعة واشكال رائعة لا أعمال ولا ينفذ فى ذلك ارتكاز الثواب فى القللك الثامن وما عدا انصرف فى الستة المتوسطة

ان ثبت ذلك (وحفظا) منصوب امامه طغفه على زينة باعتبار المعنى كانه قبل ان اخلتنا الكواكب زينة السماء وحفظا
(من كل شيطان مارد) أى خارج عن الطاعة ﴿ ١٢٧ ﴾ روى الشهاب وامامنا عن ارفعه وامامنا عن ارفعه وامامنا عن ارفعه

به كانه قبل وحفظا من
كل شيطان مارد زينة
بالكواكب كقوله تعالى
ولقد زيننا السماء الدنيا
بمصابيح وجعلناها
رحوماً للناسطين وقوله
تعالى (لا يسمعون الى الملا
الاعلى) كلام مبتدأ
مسوق لبيان حالهم بعد
بيان حفظ السماء عنهم
مع التنبيه على كيفية
الحفظ وما يترجم في
أشياء ذلك من العذاب
ولاسبيل الى جعله صفة
لكل شيطان ولا جوابا
عن سؤال مقدر لعدم
استقامة المعنى ولا على
الحفظ على أن يكون
الاصول ثلاثا يسمعون
محذوف اللام كما حذف
من قولك جئتكم أن
تكرموني فبقي أن لا يسمعون
ثم يحذف أن ويهدر
عملها كما في قول من قال
* ألا يا هذا الزاجري
أحضر الوغى * لما أن
كل واحد من ذينك
الحاذفين غير متكررا بفراده
فاما اجتماعهما فن أنكر
التكررات التي يجب
تزيده ساحة التزييل
الجليل عن أمثالها وأصل

لأعمال العباد قالوا لأن أعمال العباد موجودة فيما بين السموات والارض وهذه الآية
دالة على أن كل ما حصل بين السموات والارض فالله ربه ومانكه فهذا يدل على أن
قول العبد حصل بخلق الله وأن قالوا الاعراض لا يصح وصفها بأنها حصلت بين السموات
والارض لأن هذا الوصف انما يليق بما يكون حاصله في حيز وجهة والاعراض ليست
كذلك قلنا انها لما كانت حاصلة في الاجسام الحاصلة بين السموات والارض فهي
أبضا حاصلة بين السماء والارض * ثم قال تعالى (انما زين السماء الدنيا بزينة الكواكب
وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون الى الملا الاعلى) ويقذفون من كل جانب
دحورا ولهم عذاب واصب الا من خطف الخططة فاتبعه شهاب ثاقب) في الآية
مسائل (المسئلة الاولى) قرأ حرة وحفظ عن عاصم زينة منونة الكواكب بالجر وهو
قراءة مسروق بن ابيدع قال الفراء وهو رد معرفة على نكرة كما قال بالناسية ناصية
فرد نكرة على معرفة وقال الزجاج الكواكب بدل من الزينة لانها هي كما نقول مررت
بأبي عبد الله زيد وقرأ عاصم بالتثنية في الزينة ونصب الكواكب قال الفراء يريد
زينة الكواكب وقال الزجاج يجوز أن تكون الكواكب في النصب بدلا من قوله
زينة لان زينة في موضع نصب وقرأ الباقون زينة الكواكب بالجر على الاضافة
(المسئلة الثانية) بين تعالى انه زين السماء الدنيا وبين انه انا زينها للنفعتين (احدهما)
تحصيل الزينة (والثانية) الحفظ من الشيطان المارد فوجب ان نحقق الكلام في هذه
المطالب الثلاثة (أما الاول) وهو تزئين السماء الدنيا بهذه الكواكب فلنقول أن يقول
انه ثبت في علم الهيئة ان هذه الثوابت مركوزة في الكرة الثامنة وان السيارات الستة
مركوزة في الكرات الستة المحيطة بسماء الدنيا فكيف يصح قوله انما زيننا السماء الدنيا
زينة الكواكب والجواب أن الناس الساكنين على سطح كرة الارض اذا نظروا الى
السماء فانهم يشاهدونها من زينة بهذه الكواكب فصح قوله تعالى انما زيننا السماء الدنيا
زينة الكواكب وعلى انا قد بينا في علم الهيئة ان الفلاسفة لم يتم لهم دليل في بيان ان
هذه الكواكب مركوزة في الفلك الثامن ولعلنا شرحنا هذا الكلام في تفسير سورة
تبارك الذي بيده الملك في تفسير قوله تعالى ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح (وأما المطلوب
الثاني) وهو كون هذه الكواكب زينة السماء الدنيا فبفتح بحثان (البحث الاول) ان
الزينة مصدر كانه نسبة واسم لما ران به كالقيمة اسم لما تلاق به الدواء قال صاحب
الكشاف وقوله بزينة الكواكب يحتملها فان أردت المصدر فعلى اضافته الى الفاعل
أى بأن زينهم الكواكب أو على اضافته الى المفعول أى بأن زان الله الكواكب
وحسنه لانهم انما زينوا السماء بحسنها في أنفسها وان أردت الاسم فلاضافة وجهان
أن تقع الكواكب بيانا للزينة لان الزينة قد تحصل بالكواكب وبغيرها وان يراد
ما زينت به الكواكب (البحث الثاني) في بيان كيفية كون الكواكب زينة للسماء

يسمعون يسمعون والملا الاعلى الملائكة وعن ابن عباس رضى الله عنهما هم الكتبة وعند أنسراف الملائكة عليهم

الصلاة والسلام أي يطلبون السماء والاصفاء اليهم وقرئ يسعون بالتخفيف (وبقدفون) يرمون (من كل جانب)
من جيع جوانب السماء اذا قصدوا الصعود اليها (دحورا) ﴿ ١٢٨ ﴾ علة للنفق أي للدحور وهو الطرد

وحوه (الاول) أن النور والضوء أحسن الصفات وأكملها فان تحصل هذه الكواكب
المشرقة المضيئة في سطح الغلاك لاجرم بقي الضوء والنور في جرم الغلاك بسبب حصول
هذه الكواكب فيها قال ابن عباس يزينة الكواكب أي بضوء الكواكب (الوجه الثاني)
يجوز أن يراد اشكالها المتناسبة المختلفة كشكل الجوزاء وبنات نعش والثريا وغيرها
(الوجه الثالث) يجوز أن يكون المراد بهذه الزينة كيفية طلوعها وغروبها (الوجه
الرابع) ان الانسان اذا نظر في آيات الله الظلمة الى سطح غلاك ورأى هذه الجواهر الزاهية
مشرقة لامعة ملاءمة على ذلك السطح الأزرق فلا شك انهم أحسن الاشياء وأكملها
في التركيب والجوهر وكل ذلك يفيد كون هذه الكواكب زينة (وأما المصوب الثالث)
وهو قوله وحفظا من كل شيطان مارذفيه بحثان (البحث الاول) فيما يتعلق بالغة فقوله
وحفظا أي وحفظناها قال المبر اذا ذكرت فعلا من عصف عليه مصدر فعل آخر نصبت
المصدر لانه قد يدل على فعله مثل قولك افعل كرامة لانه لما قال افعل علم ان الاسماء
لا تصنف على الافعال مكان المعنى افعل ذلك وأكرمك كرامة قال ابن عباس من يريد حفظ
السماء بالكواكب من كل شيطان مارذير الذي تمرد على الله قيل انه الذي لا يتكلم منه
وأصله من الملاسة وقوله صرح بمردونه الامر دوزكرنا تفسير المارد عند قوله مر دوا
على التقاق (البحث الثاني) فيما يتعلق بالمباحث العقلية في هذا الموضع فنقول
الاستعصاء فيه مذکور في قوله تعالى ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها
رجوما للشياطين قال المفسرون الشياطين كانوا يصعدون الى قرب السماء فر بما
سمعوا كلام الملائكة وعرفوا به ما سيكون من العيوب وكانوا يخبرونهم به ويؤمنونهم
انهم يعلمون الغيب فغمهم الله تعالى من الصعود الى قرب السماء بهذه الشهب فانه تعالى
يرميهم بها فيحرقهم بها (وبقي ههنا سؤال الات السؤال الاول) هذه الشهب هل هي من
الكواكب التي زين السماء بها أم لا والاول باطل لان هذه الشهب تبطل وتضمحل
فلو كانت هذه الشهب تلك الكواكب الحقيقية لوجب أن يظهر نقصان كثير في
أعداد كواكب السماء ومعلوم ان هذا المعنى لم يوجد البتة فان أعداد كواكب السماء
باقية على حاله واحدة من غير تغير البتة وأيضا فجعلها رجوما للشياطين مما يوجب
وقوع النقصان في زينة السماء فكان الجمع بين هذين المقصودين كالتمتعص وأما
القسم الثانية وهوان يقال ان هذه الشهب جنس آخر غير الكواكب المركوزة في الغلاك
فهذا أيضا مشكل لانه تعالى قال في سورة تبارك الذي بيده الملك ولقد زيننا السماء الدنيا
بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فالضخيم في قوله وجعلناها ما دلى المصابيح فوجب
ان تكون تلك المصابيح هي الرجوم بأعيانها من غير تفاوت والجواب ان هذه الشهب
غير تلك الثوابق الباقية وأما قوله تعالى ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها
رجوما للشياطين فنقول كل نير يحصل في الجو العالي فهو مصابيح لاهل الارض الا ان

أحوال بمعنى مدحورين
أو مصدر مؤكده
لانها من واد واحد
وقرئ دحورا بفتح
الدال أي قذف دحورا
مباغيا في الطرد وقدر جوز
أن يكون مصدرا
كالقول والنوع (ولهم
عذاب واسيب) أي
ولهم في الآخرة غير
ما في الدنيا من عذاب
الرحم بالشهب عذاب
شديد أم غير منه قطع
كقوله تعالى واعتدنا لهم
عذاب السعير (الامن
خطف الخطفة) استثناء
من واو يسعون ومن
بدل منه والخطف
الاختلاس والمراد
اختلاس كلام الملائكة
مسارقة كما عرب عنه
تعريف الخطفة وقرئ
بكسر الخاء والطاء
المشددة ويقع الخاء
وكسر الطاء وتشديدها
وأصلهما اختطف
(فاتبعه شهاب) أي
تبعه ولحقه وقرئ فاتبعه
والشهاب ما يرى منقضا
من السماء (تأقب) مضى
في الغاية كأنه يقب الجو
بضوءه يرجم به الشياطين

اذا صعدوا لاستراق السمع فيقتلهم أو يحرقهم أو يخطبهم قالوا وانما يعود من يسلم منهم حيا طمعا ﴿ تلك ﴾
في السلامة ونيل المراد كرايب السيفينة

تلك المصاييح منها باقية على وجه الدهر آمنة من التغير والفساد ومنها ما لا يكون كذلك
وهي هذه الشهب التي يحدتها الله تعالى ويحلمها رجوما للشياطين وبهذا التقدير فقد
زال الاشكال والله أعلم (السؤال الثاني) كيف يجوز أن تذهب الشياطين الى حيث
يعاون بالتجويز ان الشهب تحرقهم ولا يصلون الى مقصودهم البتة وهل يمكن أن يصدر
مثل هذا الفعل عن عاقل فكيف من الشياطين الذين لهم مزية في معرفة الحيل الدقيقة
والجواب ان حصول هذه الحالة ليس له موضع معين والام يذهبوا اليه وانما يمنعون من
المصير الى مواضع الملائكة ومواضعها مختلفة فرما صاروا الى موضع تصيبهم فيه الشهب
وربما صاروا الى غيره ولا يصادفون الملائكة فلا تصيبهم الشهب فلما هلكوا في بعض
الاقوات وساءوا في بعض الاوقات جاز أن يصيروا الى مواضع يغلب على ظنونهم انه
لا تصيبهم الشهب فيها كما يجوز فيمن يسلك البحران يسلكه في موضع يغلب على ظنه
حصول النجاة هذا ما ذكره أبو علي الجبائي من الجواب عن هذا السؤال في تفسيره ولقائل
ان يقول انهم اذا صعدوا قاما ان يصلوا الى مواضع الملائكة أو الى غير تلك المواضع
فان وصلوا الى مواضع الملائكة احترقوا وان وصلوا الى غير مواضع الملائكة لم يفوزوا
بمقصودهم أصلا فعلى كلاتقديرين المقصود غير حاصل واذا حصلت هذه التجربة وثبت
بالاستقراء ان الفوز بالمقصود محال وجب ان يمتنعوا عن هذا العمل وان لا يقدموا عليه
أصلا بخلاف حال المسافرين في البحر فان الغالب عليهم السلامة والفوز بالمقصود أما همنا
فالشيطان الذي يسلم من الاحتراق انما يسلم اذا لم يصل الى مواضع الملائكة واذا لم يصل
الى تلك المواضع لم يفز بالمقصود فوجب أن لا يعود الى هذا العمل البتة والا قرب في
الجواب أن نقول هذه الواقعة انما تتفق في الندرة فلعلمها لا تشتهر بسبب كونها نادرة بين
الشياطين والله أعلم (السؤال الثالث) قالوا دلت التواريخ المتواترة على ان حدوث
الشهب كان حاصلا قبل مجي النبي صلى الله عليه وسلم فان الحكماء الذين كانوا
موجودين قبل مجي النبي صلى الله عليه وسلم بزمان طويل ذكروا ذلك وتكلموا في سبب
حدوثه واذا ثبت ان ذلك كان موجودا قبل مجي النبي صلى الله عليه وسلم امتنع حله على
مجي النبي صلى الله عليه وسلم أجاب القاضي بأن الاقرب ان هذه الحالة كانت موجودة
قبل النبي صلى الله عليه وسلم لكنها كثرت في زمان النبي صلى الله عليه وسلم فصارت بسبب
الكثرة معجزة (السؤال الرابع) الشيطان مخلوق من النار قال تعالى حكاية عن ابليس
خلقتني من نار وقال والجان خلقناه من قبل من نار السموم ولهذا السبب يقدر على
الصعود الى السموات واذا كان كذلك فكيف يعقل احراق النار بالنار والجواب يحتمل
ان الشياطين وان كانوا من النيران الا انها نيران ضعيفة فاذا وصلت نيران الشهب اليهم
وتلك النيران أقوى حالاً منهم لاجرم صار الأقوى مبطلاً للاضعف ألا ترى ان السراج
الضعيف اذا رجع في النار القوية فانه ينطفئ فكذلك ههنا (السؤال الخامس) ان مقر

الملائكة هو السطح الاعلى من الفلك والشياطين لا يمكنهم الوصول الا الى الاقرب من السطح الاسفل من الفلك فيبقى جرم الفلك ما نعا من وصول الشياطين الى القرب من الملائكة ولعل الفلك عظيم القدر رفع حصول هذا المانع العظيم كيف يفعل أن تسمع الشياطين كلام الملائكة فان قلتم ان الله تعالى يقوى سمع الشيطان حتى يسمع كلام الملائكة فنقول فعلى هذا التقدير اذا كان الله تعالى يقوى سمع الشيطان حتى يسمع كلام الملائكة وجب ان لا ينفى سمع الشيطان وان كان لا يريد منع الشيطان من العمل في الغائبة في رميده بالرجوم فالجواب مذهبننا ان أفعال الله تعالى غير مغالة فيفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد ولا اعتراض لاحد عليه في شئ من أفعاله فهذا ما يتعلق بمباحث هذا الباب واذا اضيف ما كتبناه ههنا الى ما كتبناه في سورة الملك وفي سائر الآيات المشتملة على هذه المسئلة بلغ تمام الكفاية في هذا الباب والله أعلم * وأما قوله لا يسمعون الى الملا الأعلى ففيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأ حرة والكسائي وحفص عن عاصم لا يسمعون بتشديد السين والميم وأصله يسمعون فادغمت التاء في السين لاشتراكهما في الهمس والسمع تطلب السماع يقال تسمع سمع أولم يسمع والباقون بتحقيق السين واختار أبو عبيد التشديد في يسمعون قال لا بالعرب تقول سمعت الى فلان ويقولون سمعت فلانا ولا يكادون يقولون سمعت الى فلان وقيل في تقوية هذه القراءة اذ انفى التسمع فقد نفى سمع ووجه القراءة الثانية قوله تعالى انهم عن السمع لم عزولون وروى مجاهد عن ابن عباس ان الشياطين يسمعون الى الملا الأعلى ثم ينعون فلا يسمعون وللاولين ان يجيبوا فيقولون التخصيص على كونهم معزولين عن السمع لا يمنع من كونهم معزولين أيضا عن السمع بدلالة هذه الآية بل هو أقوى في ردع الشياطين ومنعهم من استماع أخبار السماء فان الذي منع من الاستماع فبان يكون ممنوعا من السمع أولى (المسئلة الثانية) الفرق بين قولك سمعت حديث فلان وبين قولك سمعت الى حديثه بأن قولك سمعت حديثه يفيد الادراك وسمعت الى حديثه يفيد الاصغاء مع الادراك (المسئلة الثالثة) في قوله لا يسمعون الى الملا الأعلى قولان (الاول) وهو المشهور ان تقدير الكلام لئلا يسمعوها فلما حذف الناصب عاد الفعل الى الرفع كما قال بين الله اليكم أن تضلوا وكما قال رواسى أن تميد بكم قال صاحب الكشاف حذف أن واللام كل واحد منهما جائز بانفراده أما اجتماعهما ففي الشكرات التي يجب صون القرآن عنها (والقول الثاني) وهو الذي اختاره صاحب الكشاف انه كلام مبتدأ منقطع عما قبله وهو حكاية حال المسترقفة للسمع وانهم لا يقدر ان يسمعوها الى كلام الملائكة وينسمعوها وهم مقدوفون بالشهب مدحورون عن ذلك القصود (المسئلة الرابعة) الملا الأعلى الملائكة لانهم يسكنون السموات وأما الانس والجن فهم الملا الأسفل لانهم سكان الارض واعلم أنه تعالى وصف أولئك الشياطين بصفتين ثلاثة (الاولى) انهم لا يسمعون (الثانية) انهم يشقون

من كل جانب دحور اوفيه ابحاث (الاول) قد ذكرنا معنى الدحور في سورة الاعراف عند قوله اخرج منها مذوئاً مدحوراً قال المبرد الدحور أشد الصغار والذل وقال ابن قتيبة دحرته دحرا ودحورا أى دفعته وطردته (البحث الثاني) في انتصاب قوله دحورا وجوه (الاول) انه انتصب بالمصدر على معنى يدحرون دحورا ودل على الفعل قوله تعالى ويقذفون (الثاني) التقدير ويقذفون للدحور ثم حذف اللام (الثالث) قال مجاهد دحورا مطرود بن فعلى هذا هو حال سميت بالمصدر كالركوع ، السجود والحضور (البحث الثالث) قرأ أبو عبد الرحمن السلمي دحورا بفتح الدال قال الفرأ كانه قال يقذفون يدحرون بايدحرون ثم قال واستشهدى انفتح لانه نوجب ذلك على صحة لكان فيها اياه كاتقول يقذفون بالحجارة ولا تقول يقذفون الحجارة لانه جائز في الجملة كما قال الشاعر * نعال اللحم للاضياف نيشا * أى نعال بالعلم (الصفة الثالثة) قوله تعالى ولهم عذاب واصب والمعنى انهم مرجومون بالذهب وهذا العذاب مسلط عليهم على سبيل الدوام وقد ذكرنا تفسير الموصب في سورة النحل عند قوله تعالى وله الدين واصبا فانوا كما هم انه الدائم قال ابو احدى ومن فسر الموصب بالشدين والموجم فهم معنى وليس بتفسير * ثم قال تعالى الامن خطف الحطفة ذكرنا معنى الخطف في سورة الحج قال الزجاج وهو اخذ الشيء بسرعته واصل خسف اخطف قال صاحب الكشاف من في محل لرفع بدل من الواو في لا يسمعون أى لا يسمع الشياطين الا الشيطان الذى خطف الحطفة أى اخلس اكلمه على وجه المسارقة فأتبعه يعنى لحقه واصابه يقال تبعه وأتبعه اذا مضى فى أثره واتبعه اذا لحقه وأصله من قوله تعالى فاتبعه الشيطان وقدمر تفسيره وقوله تعالى شهاب نأب قال الحسن نأب أى مضى وأقول سمي نأبا لانه يشب بنوره الهواء قال ابن عباس في تفسير قوله والنجم الناقب قال انه رجل سمي بذلك لانه يشب بنوره سمك سبع سموات والله أعلم * قوله تعالى (فاستفهمهم أهم أشد خلقا) من خلقنا اما حقناهم من طين لازب) في الآيات مسائل (المسئلة الاولى) في بيان النظم اعلم أنا قد ذكرنا أن المقصد الاقصى من هذا الكتاب الكريم اثبات الاصول الاربعة وهى الالهيات والمعاد والنبوة واثبات القضاء والقدر فنقول انه تعالى افتتح هذه السورة بآيات مابدل على وجود الصانع ويدل على علمه وقدرته وحكمته ويدل على وحدانيته وهو خلق السموات والارض وما بينهما وخلق المشرق والمغرب فلما أحكم الكلام في هذا الباب فرع عليها اثبات القول بالحشر والنشر والقيامة واعلم أن الكلام في هذه المسئلة يتعاقب بطرفين أولهما اثبات الجواز العقلى وثانيهما اثبات الوقوع أما الكلام في المطلوب الاول فاعلم أن الاستدلال على الشيء يقع على وجهين (أحدهما) أى يقال انه قدر على ما هو أصعب وأشد واشق منه فوجب أيضا أن يقدر عليه (والثاني) أن يقال انه قدر عليه في احدى الحالتين والفاعل والقابل باقيين كما كانا فوجب أن تبقى القدرة عليه في

(فاستفهمهم) فاستفهم
مشرى مكة (أهم أشد
خلقاً) أى أقوى خلقه
وأمتن بنية أو أصعب
خلقاً واشق إيجاداً (أهم
من خلقنا) من الملائكة
والسما والارض وما
بينهما والمشارق
والكواكب والشهب
الثواب ومن لتغلب
العمل على غيرهم ويدل
عليه اطلاقه وبحيثة
بعد ذلك لاسيما قراءة
من قرأ ام من عددنا
وقوله تعالى (انا خلقناه
من طين لازب) فانه
القارق بينهم وبينها
لا بينهم وبين من قبل
من الامم كعاد وثمود ولا
المراد اثبات المعاد ورد
استحسانهم والامر فيها
بالاضافة اليهم والى
من قبلهم سواء وقرئ
لازم ولاتب

الحالة الثانية والله تعالى ذكرهذين الطريقتين في بيان أن القول بالبعث والقيامة أمر جائز يمكن (أما الطريق الاول) فهو المراد من قوله فاستقتهم أهم أشد خلقا والتقدير كأنه تعالى يقول استفت بالمحمد هؤلاء المنكرين أهم أشد خلقا آمن خلقنا من خلق السموات والارض وما بينهما وخلق المشارق والمغارب وخلق الشياطين الذين يصعدون الفلك ولا شك أنهم يعترفون بأن خلق هذا القسم أشق وأشد في العرف من خلق القسم الاول فلما ثبت بالدلائل المذكورة في اثبات التوحيد كونه تعالى قادرا على هذا القسم الذي هو أشد وأصعب فبان يكون قادرا على إعادة الحياة في هذه الاجساد كان أولى ونظير هذه الدلالة قوله تعالى في آخر يس أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم وقوله تعالى خلق السموات والارض أكبر من خلق الناس (وأما الطريق الثاني) فهو المراد من قوله انا خلقناهم من طين لازب والمعنى ان هذه الاجسام قابلة للحياة اذ لو لم تكن قابلة للحياة لما صارت حية في المرة الاولى والاله قادر على خلق هذه الحياة في هذه الاجسام ولو لا كونه تعالى قادرا على هذا المعنى لما حصلت الحياة في المرة الاولى ولا شك أن قابلية تلك الاجسام باقية وان قدرية الله تعالى باقية لان هذه القابلية وهذه القادرية من الصفات الذاتية فامتنع زوالها فثبت بهذين الطريقتين ان القول بالبعث والقيامة أمر ممكن ولما بين تعالى امكان هذا المعنى بهذين الطريقتين بين وقوعه بقوله قل نعم وأنتم داخرون وذلك لانه ثبت صدق الرسول صلى الله عليه وسلم لاجل ظهور المعجزات عليه والصادق اذا أحبر عن أمر ممكن الوقوع وجب الاعتراف بوقوعه فهذا تقرير نظم هذه الآية وهو في غاية الحسن والله أعلم (المسئلة الثانية) في تفسير ألفاظ هذه الآية أما قوله فاستقتهم يعني أنه لما ثبت بالدلائل الفاطمية كونه تعالى خالق السموات والارض وما بينهما فاستفت هؤلاء المنكرين وقل لهم أهم أشد خلقا أم هذه الاشياء التي بينا كونه تعالى خالقها ولم يحكم عنهم أنهم أقروا أن خلق هذه الاشياء أصعب لاجل ان ظهور ذلك كالمعلوم بالضرورة فلا حاجة أن يحكى عنهم صحة ان الامر كذلك ثم قال تعالى انا خلقناهم من طين لازب يعني اننا لما قدرنا على خلق الحياة في ذواتهم أولا وجب ان نبقي قادرين على خلق الحياة فيهم ثانيا لما بينا أن حال القابل وحال الفاعل ممتنع التغير وفيه دقة أخرى وهي ان القوم قالوا كيف يعقل تولد الانسان لامن التطفه ولو من الابوين فكأنه قيل لهم انكم لما أقررتم بحدوث العالم واعترفتم بان السموات والارض وما بينهما انما حصل بتخليق الله تعالى ونكويته فلا بد وان تعترفوا بان الانسان الاول انما حدث لامن الابوين فاذا اعترفتم بذلك واعترفتم به فقد سقط قولكم الانسان كيف يحدث من غير التطفه ومن غير الابوين وأيضا قد اشتهر عند الجمهور أن آدم مخلوق من الطين اللازب ومن قدر على خلق الحياة في الطين اللازب فكيف يعجز عن إعادة الحياة الى هذه الذوات وأما كيفية خلق الانسان من الطين اللازب فهي مذكورة في السورة المتقدمة واعلم ان

هذا الوجه انما يحسن اذا قلنا المراد من قوله تعالى انا خلقناهم من طين لازب هو انا
 خلقنا اباهم آدم من طين لازب وفيه وجوه آخر وهو ان يكون المراد انا خلقنا كل انسان
 من طين لازب وتقريره ان الحيوان انما يتولد من المني ودم الطائش والمني يتولد من الدم
 فالحيوان انما يتولد من الدم والدم انما يتولد من الغذاء والغذاء اما حيواني واما نباتي اما
 يتولد الحيوان الذي صار غذاءه فالكلام في كيفية تولده كالكلام في تولد الانسان فثبت ان
 الاصل في الاغذية هو النبات والنبات انما يتولد من امتزاج الارض بالماء وهو الطين
 اللازب واذا كان الامر كذلك فقد ظهر ان كل الخلق متولدون من الطين اللازب واذا
 ثبت هذا فنقول ان هذه الاجزاء التي منها تركب هذا الطين اللازب قابلة للحياة والله تعالى
 قادر عليها وهذه القابلة والقادرة واجبة البقاء فوجب بقاء هذه الصفة في كل الاوقات
 وهذه بيانات ظاهرة واضحة واما اللازب فقليل اللاصق وقبل الزج وقبل الحندوا كثر
 اهل اللغة على ان الباء لازب بدل من الميم يقال لازب ولازم ثم قال تعالى (بل عجبت
 ويسخرون) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) تقرير الكلام ان يقال ان هؤلاء المنكرين
 اقروا بانه تعالى قادر على تكوين اشياء اصعب من اعادة الحياة الى هذه الاجساد وقد
 تقرر في صرائح العقول ان القادر على الاشق الاشد يكون قادرا على الاسهل الايسر ثم
 مع قيام هذه الحجة البديهية بقي هؤلاء الاقوام مصرين على انكار البعث والقيامة وهذا في
 موضع التعجب الشديد فان مع ظهور هذه الحجة الجلية الظاهرة كيف يعقل بقاء القوم على
 الاصرار فانت يا محمد تعجب من اصرارهم على الانكار وهم في طرف الانكار وصلوا
 الى حيث يسخرون منك في قولك باثبات الحشر والنشر والبعث والقيامة فهذا هو المراد
 من قوله بل عجبت ويسخرون (المسئلة الثانية) قرأ سورة الكهف عجبتم بضم التاء
 والياقوت يفتحها قال الواحدي والضم قراءة ابن عباس وابن مسعود وبراهم ويحيى
 ابن وثاب والاعمش وقراءة اهل الكوفة واختيار ابي عبيدة اما الذين قروا بالفتح فقد
 احتجوا بوجوه (الاول) ان القراءة بالضم تدل على اسناد العجب الى الله تعالى وذلك محال
 لان التعجب حاله تحصل عند الجهل بصفة الشيء ومعلوم ان الجهل على الله محال (والثاني)
 ان الله تعالى اضاف التعجب الى محمد صلى الله عليه وسلم في آية اخرى في هذه المسئلة فقال
 وان تعجب فاعجب قولهم انذا كنا رايا (الثالث) انه تعالى قال بل عجبت ويسخرون
 والظاهر انهم انما يسخروا لاجل ذلك التعجب فلما سخروا منه وجب ان يكون ذلك التعجب
 صادرا عنه واما الذين قروا بضم التاء فقد اجابوا عن الحجة الاولى من وجوه (الاول) ان
 القراءة بالضم لانهم انما تدل على اسناد التعجب الى الله تعالى وبيانه انه يكون التقدير
 قل يا محمد بل عجبت ويسخرون ونظيره قوله تعالى اسمعهم وابصر معناه ان هؤلاء ما يقولون
 فيه اثم هذا النعم من الكلام وكذلك قوله تعالى فاصبرهم على النار الثاني سلبا ان
 ذلك يقتضي اضافة التعجب الى الله تعالى فلم اقم ان ذلك محال ويروى ان شريكا كان

(بل عجبت) أى من
 قدرة الله تعالى على هذه
 الخسائر العظيمة
 وانكارهم للبعث
 (ويسخرون) من
 تعجبك وتقريرك للبعث
 وقري بضم التاء على
 معنى انه بلغ كمال قدرتي
 وكثرة مخلوقاتى الى
 حيث عجبتم منها وهو لاه
 لجهلهم يسخرون منها او
 عجبت من ان ينكروا البعث
 من هذه افعاله ويسخروا
 من يحوزه والعجب
 من الله تعالى اما على
 الفرض والتخييل او على
 معنى الاستعظام اللازم له
 فانه روعة تعمري الانسان
 عند استعظام الشيء وقيل
 انه مقدر بالقول أى
 قل يا محمد بل عجبت

(واذاذكروا) أي وذائبهم المستتر أنهم اذا وعظوا بشي من المواظ (لا يذكرون) لا يفتنون واذا ذكر لهم ما يدل على صحة البعث لا يفتنون به لزيادة بلادتهم وقصور فكرهم ﴿ ١٣٤ ﴾ (واذا ذكروا آية) أي معجزة تدل على صدق القائل

به (يستخرون) يبالغون في المحزنة ويقولون انه سحر أو مستدعى بعضهم من بعض أن يستخرونها (يقالون هذا) أي ما يروونه من الآيات الباهرة (الاسحر مبین) ظاهر سحرته (انذمتا) كما تراءوا عظاما (أي كان بعض أجزائنا تراءوا وبعضها عظمنا) وتقدم التراب لانه منقلب من الاجزاء الدينية والاعمال في اذا ما دل عليه معوثون في قوله تعالى (أنا لمعوثون) أي نبت لانفسه لان دونه خطوبا وتفر دواخذ منها الكفي في المنع وتقديم الظرف لتقوية الانكار للبعث بتوجيهه الى حالة منافاة له غاية المنافاة وكذا تكرير الهمزة في أناللة بالغة والتشديد في ذلك وكذا تحلية الجملة بان واللام لتأكيد الانكار لانكار التاكيد كايوهمه ظاهر النظم الكريم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كافي مثل قوله أملا تعقلون على رأى

يختار القراءة بالنصب ويقول العجب لا يليق الابن لا يعلم قال الاعشى فذكرت ذلك لاراهيم فقال ان شريحا يعجب بعلمه وكان عبدا لله أعلم وكان نورا باضم ونحقيق القول فيه أن نقول دل القرآن والخبر على جواز اضافة العجب الى الله تعالى أما القرآن فقوله تعالى وان تعجب فعجب قولهم والمعنى وان تعجب يا محمد من قولهم فهو ايضا عجب عندي وأجيب عنه انه لا يمتنع أن يكون المراد وان تعجب فعجب قولهم عندكم أما الخبر فقوله صلى الله عليه وسلم عجب بكم من الكرم وقنوطكم وعجب بكم من شارب لبسته صوبة واذا ثبت هذا فقول العجب من الله تعالى خلاف العجب من الآدميين كقوله ويمكرون ويكر الله وقال سحر الله منهم وقال تعالى وهو خادعهم والمكر والخداع والسحر يفتن الله تعالى بخلاف هذه الاحوال من الابد وقد ذكرنا ان الثانون في هذا الباب ان هذه الانفاط محمولة على نهايات الاعراض لا على بدايات الاعراض وكذلك ههنا من تعجب من شئ فانه يستغفمه فالتعجب في حق الله تعالى محمول على أنه تعالى يستغفم تلك الحسنة ان كانت فيحبه فيرتب العقاب العظيم عليه وان كانت حسنة فيرتب الثواب العظيم عليه فهذه انعام الكلام في هذه المناظرة والاقرب ان يقال القراءة باضم ان ثبت بالتواتر وجوب المصير اليها ويكون الأول ما ذكرنا وان لم تثبت هذه القراءة بالتواتر كانت القراءة بفتح التاء أولى والله أعلم ﴿ ثم قال تعالى (واذا ذكروا آية) واذا ذكروا آية يستخرون وقالوا ان هذا الاسحر مبین انذمتا وتراءوا عظاما أنا لمعوثون أو أبونا الاولون فلنعم واتهم داخرون) اعلم أنه تعالى لما قرر الدليل القاطع في اثبات إمكان البعث والقيامة حكى عن المنكرين أشياء أولها أن النبي صلى الله عليه وسلم يستعجب من اصرارهم على الانكار وهم يستخرون منه في اصراره على الآيات وهذا يدل على انه صلى الله عليه وسلم مع أولئك الاقوام كانوا في غاية التباعد وفي طرفي النقيض وتاليها قوله واذا ذكروا آية يذكرون وثانيها قوله واذا ذكروا آية يستخرون ويجب أن يكون المراد من هذا الثاني والثالث غير الاول لان العطف يوجب التغاير ولان التكرير خلاف الاصل والذي عندي في هذا الباب أن يقال القوم كانوا يستبدعون الحشر والقيامة ويقولون من مات وصارت اربا وتفرقت اجزائه في العالم كيف يعقل عوده بعينه وبلغوا في هذا الاستبعاد الى حيث كانوا يستخرون ممن يذهب الى هذا المذهب واذا كان كذلك فلا طريق الى ازالة هذا الاستبعاد عنهم الا من وجهين (أحدهما) ان يذكر لهم الدليل الدال على صحة الحشر والنشر مثل أن يقال لهم هل تعلمون أن خلق السموات والارض أشد وأصعب من إعادة انسان بعد موته وهل تعلمون ان القادر على الاصعب الاشق يجب أن يكون قادرا على الاسهل اليسر فهذا الدليل وان كان جليا قويا بالأنا وتلك المنكرين اذا عرص على عقولهم هذه المقدمات لا يفهمونها ولا يقنون عليها واذا ذكروا لم يذكرها والاشد بلادتهم وجهلهم فلا جرم لم يشفها وهذا النوع من البيان (والعربي

الجمه ورعان المعنى عندهم تعجب الانكار لانكار التعجب كاهو المشهور وقرئ بطرح الهمزة ﴿ الثاني ﴾

(الثاني) ان ثبت الرسول صلى الله عليه وسلم جهة رسالته بالمعجزات ثم يقول لما ثبت بالمعجز كونى رسولا صادقا من عند الله فانا أخبركم بأن البعث والقيامة حق ثم ان أوثقت المذكورين لا ينفكون بهذا الطريق أيضا لانهم اذا رأوا معجزة قاهرة وآية باهرة جلوها على كونها سحرا وسحرها وبها واستهزؤا منها وهذا هو المراد من قوله واذا رأوا آية يستسخرون فظهر بالبيان الذي ذكرناه أن هذه الالفاظ الثلاثة منبهة على هذه القوائد الجلية واعلم أن أكثر الناس لم يفقهوا على هذه الدقائق فقالوا انه تعالى قال بل عجبت ويسخرون ثم قال واذا رأوا آية يستسخرون فوجب أن يكون المراد من قوله يستسخرون خسر ما تقدم ذكره من قوله ويسخرون فقال هذا القائل المراد من قوله ويسخرون اقتدامهم على السخرية والمراد من قوله يستسخرون طلب كل واحد منهم من صاحبه ان يقدم على السخرية وهذا التكليف انما لزمهم لعدم وقوفهم على القوائد التي ذكرناها والله أعلم (والرابع) من الامور التي حكاها الله تعالى عنهم أنهم قالوا ان هذا الاسحر مبين يعني أنهم اذا رأوا آية ومعجزة سحروا منها والسبب في تلك السخرية اعتقادهم أنها من باب السحر وقوله مبين معناه ان كونه سحرا أمر بين لاشبهة لاحد فيه ثم بين تعالى ان السبب الذي يحسنهم على الاستهزاء بالقول بالبعث وعلى عدم الالتفات الى الدلائل الدالة على صحة اقوال وعلى الاستهزاء بجميع المعجزات هو قواهم ان الذي مات وتفرقت أجزاؤه في جلة العالم فافيد من الارضية اختلط بقراب الارض وما فيد من المائية والهوائية اختلط بخارات العالم فهذا الانسان كيف يعقل عوده بعينه حيا فاعلموا فهذا الكلام هو الذي يحسنهم على تلك الاحوال الثلاثة المتقدمة ثم انه تعالى لما حكى عنهم هذه الشبهة قال قل يا محمد نعم وأنتم داخرون وأنما كنتم تعلمون بهذا القدر من الجواب لانه ذكر في الآية المتقدمة بالبرهان البينى الظهري انه أمر مبين واذا ثبت الجواز القطعى فلا سبيل الى القطع بالوقوف الا بالخبار بالخبر اصادق فلما قامت المعجزات على صدق محمد صلى الله عليه وسلم كان واجب الصدق فكان مجرد قوله قل نعم دليلا قاطعا على الوقوع ومن تأمل في هذه الآيات علم أنها وردت على أحسن وجه الترتيب وذلك لانه بين الامكان بالدليل العقلى وبين وقوع ذلك الممكن بالدليل السمعى ومن العلوم ان الزيادة على هذا البيان كالامر المستع * أما قوله أو باؤنا لمعنى أو تبعت أبائنا وهذه ألف الاستفهام دخلت على حرف العطف وقرأ نافع وابن طاهر ههنا وفي سورة الواقعة ساكنة الواو وذكرنا الكلام في هذا في سورة الاعراف عند قوله أو أمن أهل القرى * أما قوله تعالى قل نعم فنقول قرأ الكسائي وحده نعم بكسر العين * أما قوله تعالى وأنتم داخرون أى صاغرون قال أبو عبيد الدخور أشد الصغار وذكرنا تفسير هذه الالفاظ عند قوله سجد الله وهم داخرون * قوله تعالى (فانما هى زجرة واحدة فاذا هم ينظرون وقالوا يا ربنا هذا يوم الدين هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون) اعلم أنه تعالى لما بين في الآية المتقدمة فانما هى الخ والزجرة الصبغة من زجر الراعى غنمه اذا صاح عليها وهى النفخة

الاولى وبطرح الثانية فقط (آبائنا الاولون) رفع على الابتداء وخبره محذوف عند سببه أى وآبائنا الاولون أيضا مبعوثون وقيل عطف على محل ان واسمها وقيل على الضمير في مبعوثون للفصل بجملة الانتكار الجارية مجرى حرف النفي في قوله تعالى ما أشر كنا ولا آبائنا وأياما كان فرادهم زيادة لا تباعدنا على أنهم أقدم فبعثهم أبعد على زجرهم وقرئ أو آبائنا (قل) تبكى عليهم (نعم) والخطاب في قوله تعالى (وأنتم داخرون) لهم ولا يأتهم بطريق التغليب والجملة حال من فاعل ما دل عليه نعم أى كنتم مبعوثون والحال أنكم صاغرون أو ذلاء وقرئ نعم بكسر العين وهى لغة فيه (فانما هى زجرة واحدة) هى اما ضمير به يفسر خبره أو ضمير البعثة والجملة جواب شرط مضمرة أو تعليل انتهى مقدر أى اذا كان كذلك فانما هى الخ ولا تستصعبوه

ما يدل على إمكان البعث والقيامة ثم أردفه بما يدل على وقوع القيامة ذكر في هذه الآيات بعض تفاصيل أحوال القيامة وأنه تعالى ذكر في هذه الآية أنواعاً من تلك الأحوال (فالحالة الأولى) قوله تعالى فأنما هي زجرة واحدة فإذا هم ينظرون وفيه البعث (البحث الأول) قوله فأنما جواب شرط مقدر والتقدير إذا كل كذلك فأنما هي الزجرة واحدة (البحث الثاني) الضمير في قوله فأنما هي ضمير على شريطة التفسير والتقدير فأنما البعث زجرة واحدة (البحث الثالث) الزجرة في اللغة الصيحة التي يزجر بها كالزجرة بالنعم والابل عند الخيل ثم كثر استعمالها حتى صارت بمعنى الصيحة والى لم يكن فيها معنى الزجر كما في هذه الآية وأقول لا بد أن يقال إن تلك الصيحة إنما سميت زجرة لأنها تزعج الموق عن الرقود في القبور وتحثهم على القيام من القبور والحضوا في موقف القيامة فإذا عرفت هذا فنقول المراد من هذه الزجرة ما ذكره الله تعالى في قوله ثم نفع فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون فبالنفعة الأولى يموتون وبالنفعة الثانية يحيون ويقومون * وههنا سوالات (السؤال الأول) ما الفائدة في هذه الصيحة فإن القوم في تلك الساعة أموات لأن النفعة جارية تجري السبب لحياتهم فنكون مقدمة على حصول حياتهم فثبت أن هذه الصيحة إنما حصلت حال كون الخلق أمواتاً فنكون تلك الصيحة عديمة الفائدة فهي عبث والعبث لا يجوز في فعل الله (والجواب) أما أمحاجنا فيقولون يفعل الله ما يشاء وأما المعتزلة فقال القاضي فيه وجهان (الأول) أن تعتبر بها الملائكة (الثاني) أن تكون الفائدة التخويف والارهاب (السؤال الثاني) هل تلك الصيحة تأثير في إعادة الحياة والجواب لا بدليل أن الصيحة الأولى استعفت الموت والثانية الحياة وذلك يدل على أن الصيحة لأثرها في الموت ولا في الحياة بل خلق الموت والحياة هو الله تعالى كما قال الذي خلق الموت والحياة (السؤال الثالث) تلك الصيحة صوت الملائكة أو الله تعالى مخلقة ابتداء (الجواب) الكل جائز إلا أنه روي أن الله تعالى يأمر أسرافيل حتى ينادي أيتها العظام الخشنة والجلود البالية والأجزاء المتفرقة اجتمعوا بأذن الله تعالى (اللفظ الرابع) من الالفاظ المذكورة في هذه الآية قوله تعالى فإذا هم ينظرون فيحتمل أن يكون المراد ينظرون ما يحدث بهم ويحتمل ينظر بعضهم إلى بعض وإن يكون المراد ينظرون إلى البعث الذي كذبوا به (الحالة الثانية) من وقائع القيامة ما أخبر الله عنهم أنهم بعد القيام من القبور قالوا يا ويلنا هذا يوم الدين قال الزجاج أو يل كلمة يقولها القائل وقت الهلكة والمقصود أنهم لما شاهدوا القيامة قالوا هذا يوم الدين أي يوم الجزاء هذا والمقصود أن الله تعالى ذكر في آيات كثيرة من القرآن أنا نرى في الدنيا محسننا ومسيئنا وعاصينا وصديقنا وندينا واوربنا أنه لم يصل إليهم في الدنيا ما يليق بهم من الجزاء فوجب القول بآيات القيامة ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى وبالجملة فهذا يدل على أن الجزاء إنما يحصل بعد الموت والكفار وإن سمعوا هذا الدليل

الثانية (فإذا هم) قائمون من مرافدهم أحياء (ينظرون) بصرون كما كانوا أو ينظرون ما يفعل بهم (وقالوا) أي المبعوثون وصيغة الماضي للدلالة على التحقق والتقرر (يا ويلنا) أي هلاكنا أحضر فمنا أو أن حضورك وقوله تعالى (هذا يوم الدين) تعليل لدعائهم الويل بطريق الاستشاف أي اليوم الذي نجازي فيه بأعمالنا وأنما علموا ذلك لأنهم كانوا يسمعون في الدنيا أنهم يبعثون ويحاسبون ويجزون بأعمالهم فلما شاهدوا البعث أيقنوا بما بعده أيضاً وقوله تعالى (هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون) كلام الملائكة جواباً لهم بطريق التوبيخ والتقريع وقيل هو أيضاً من كلام بعضهم لبعض والفصل القضاء أو الفرق بين فرق المهدي والضلال

وقوله تعالى (احشروا الذين ظلموا) خطاب من الله عز وجل للملائكة أو من بعضهم بعض بحشر الظلمة من مقامهم الى الموقف وقيل من الموقف الى الجحيم (وأزواجهم) أى أشباههم ونظراء هم من العصاة عابد الصنم مع عبده وطايد الكوكب مع عبده كقوله تعالى وكنتم ١٣٧ ﴿ أزواجاً ثلاثة وقيل قرناً هم من الشياطين وقيل نساءهم

القوى لكنهم أنكروا وتمردوا ثم انه تعالى اذا أحياهم يوم القيامة فإذا شاهدوا القيامة يذكرون ذلك اليوم ويقولون هذا يوم الدين أى يوم الجزاء الذى ذكر الله الدلائل الكثيرة عليه فى القرآن فكفرتنا بها ونظيره ان من خوف بشئ ولم يذنب اليه ثم عاينه بعد ذلك فقد يقول هذا يوم الواقعة الغلابة فكذاهمنا وفيد احتمال آخر وهو انه تعالى قال فى سورة الغاشية تلك يوم الدين فبين أنه لا مائل فى ذلك اليوم الا الله فقولهم هذا يوم الدين اشارة الى أن هذا هو اليوم الذى لاحكم فيه لاحد الله وانما ذكره ولما حصل فى قلوبهم من الخوف الشديد أما قوله تعالى هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون فقيه بجثان (الاول) اختلفوا فى أن هذا هل هو من بقية كلام الكفار أو يقال تم كلامهم عند قوله تعالى هذا يوم الدين وأما قوله هذا يوم الفصل فهو كلام غيرهم فبعضهم قال بالاول وزعم ان قوله يوم الفصل الآية من كلام بعضهم البعض والاكثر على القول الثانى واحتجوا بوجهين (الاول) ان قوله كنتم به تكذبون من كلام بعضهم البعض خطاب مع جسم الكفار فقال هذا اقول لا بد وأن يكون غير الكفار (الثانى) أن قوله احشروا الذين ظلموا وأزواجهم منسوق على قوله هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون فلما كان قوله احشروا الذين ظلموا كلام غير الكفار فكذلك قوله هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون يجب أن يكون كلام غير الكفار وعلى هذا التقدير فتقوله هذا يوم الدين من كلام الكفار وقوله هذا يوم الفصل من كلام الملائكة جواباً لهم والوجه فى كونه جواباً لهم ان أولئك الكفار لما اعتقدوا فى انفسهم كونههم محضين فى انكار دعة الانبياء عليهم السلام وكونهم محضين فى تلك الاديان الفاسدة فقالوا هذا يوم الدين أى هذا هو يوم الذى يصل فيه بيننا جزاء طاعتنا وخيراتنا فلما لائكة يقولون لهم انه لا اعتبار بظواهر الامور فى هذا اليوم فان هذا اليوم يفصل فيه الجزاء الحقيقى عن الجزاء الظاهرى ويميز فيه الطاعات الحقيقية عن الطاعات المقرونة بالرياء والسمة فهذا الطريق صار هذا الكلام من الملائكة جواباً لما ذكره الكفار * ثم قال تعالى (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم) وفى الآية ابجاث (البحث الاول) علم انه لا نزاع فى ان هذا من كلام الملائكة فان قيل ما معنى احشروا مع انهم قد حشروا من قبل وحضروا فى محفل القيامة وقالوا هذا يوم الدين وقالت الملائكة لهم بل هذا يوم الفصل أجاب القاضى عنه فقال المراد احشروهم الى دار الجزاء وهى النار ولتلك قال بعده فاهدوهم الى صراط الجحيم أى خذوهم الى ذلك الطريق ودلوهم عليه ثم سال نفسه فقال كيف يصح ذلك وقد قال بعده وقفوهم انهم مسئولون ومعلوم أن حشرهم الى الجحيم انما يكون بعد المسئلة وأجاب انه ليس فى العطف بحرف الواو ترتيب فلا يمتنع ان يقال احشروهم وقفوهم مع انما بقولنا نعلم أن الوقوف كان قبل الحشر الى النار هذا ما قاله القاضى وعندي فيه وجه آخر وهو ان يقال انهم اذا قاموا من قبورهم لم يعودوا أن يقفوا هناك بحيرة لتفهم بسبب

اللاتى على دينهم (وما كانوا يعبدون من دون الله) من الاصنام ونحوها زيادة فى تحسيرهم وتخييلهم قبل هو عام مخصوص بقوله تعالى ان الذين سبق لهم من الحسنى الآية الكريمة وأنت خير بان الموصول عبارة عن المشركين خاصة بجى به لتعليل الحكم بما فى خير صلته فلا عموم ولا تخصيص فاهدوهم الى صراط الجحيم) أى عرفوهم طريقها وجوههم اليها وفيه تهكم بهم (وقفوهم) احبسوهم فى الموقف كأن الملائكة سارعوا الى ما أمروا به من حشرهم الى الجحيم فأمرؤا بذلك وعمل بقوله تعالى (انهم مشواون) ايذانا من أول الامر بأن ذلك ليس للعفو عنهم ولا يستريحوا بتأخير العذاب فى الجملة بل ليسوا والكن لاعتقائهم وأعمالهم كاقبل فان ذلك قد وقع قبل الامر بهم الى الجحيم بل غاب عن قوله تعالى (ما ليكم لاتناصرون)

لربى التوبخ والتفريع وأنتهم أى ١٨ ﴿ سا لا ينصر بعضهم بعضاً كنتم تزعون فى الدنيا وتأخير هذا السؤال الى ذلك الوقت لانه وقت تجز العذاب وشدة الحاجة الى النصرة وحالة انقطاع الرجاء عنها بالكلية فو يبح والتفريع حينئذ أشد وقعاً وتأثيراً وقرئ لاتناصرون ولاتناصرون بالادغام (بل هم

اليوم مستسلمون) متقادون خاضعون اظهروا عجزهم وانسداد باب الجبل عليهم أو أسل بعضهم بعضا وخلفه من
عجزه تكلمهم مستسلم غير منصرف (وأقبل) حينئذ (بعضهم على بعض) هم الاتباع والرؤساء والكفرة والقرناء (يتسألون)
يسأل بعضهم بعضا سؤال توخي بطريق الحسوم ﴿ ١٣٩ ﴾ والجذان (قالوا) استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ

من حكاية نسأولهم
كأنه قيل كيف تسألون
فقيل قالوا أي الاتباع
للرؤساء أو الكل القرناء
(اسكنكم كنتم تأتوننا)
في الدنيا (من المؤمنين)
عن أقوى الوجوه
وأمتها أوعى الدين
أو عن الخير كأنكم
تتغنوننا نفع السامع
فتبعناكم ههنا استعار
من عين الإنسان الذي
هو أشرف الجنبين
وأقواهما وأفعهما
والذات سمى عينا وتغير
بالسامع أو عن القوة وأفسر
فتغنوننا على غنى وهو
الوقوف للجواب أي عن
الحلف حيث كانوا
يخلفون أنهم على الحق
(قالوا) استئناف كاسبق
أي قال الرؤساء والقرناء
(بل لم تكونوا مؤمنين)
أي لم تمنعكم من الإيمان
بل لم تؤمنوا باختياركم
وأعرضتم عنه مع تكسركم
منه وأترتم الكفر عليه
(وما كان لنا عليكم من
سلطان) من قهر وتسلط
نسايكم به اختياركم
(بل كنتم قومًا طاغين)
مختارين للظفان مصرين
عليه (فحق علينا) أي

مما بينة أحوال اقيامه ثم إن الله تعالى يقول للملائكة احشروا الذين ظلموا واهدوهم
إلى صراط الجليم أي سوفوهم إلى طريق جهنم وقفوهم هناك وتحصل المسئلة ههنا من
هناك يسألون إلى التارو على هذا التقدير فظا من النظم موافق لما عليه الوجه (البحث
الثاني) الأمر في قوله تعالى احشروا الذين ظلموا هو الله فهو تعالى أمر الملائكة أن
يحشروا الكفار إلى موقف أسؤال والمراد من الحشر أن الملائكة تسوفونهم إلى ذلك
موقف (البحث الثالث) أن الله أمر الملائكة بحشر ثلاثة أشياء الضالين وأزواجهم
والأشياء التي كانوا يعبدونها وفي قوله (القائدة الأولى) أنه تعالى قال احشروا الذين
ظلموا ثم ذكر من صفات الذين ظلموا أن يكونهم عابدين لغير الله وهذا يدل على أن الظالم المظلم
هو الكافر وذلك يدل على أن كل وعيد ورد في حق الظالم فهو مصروف إلى الكفار وما
يؤكد هذا قوله تعالى والكافرون هم الظالمون (القائدة الثانية) اختلاف في المراد
بأزواجهم فيدل ثلاثة أقوال (الأول) المراد أزواجهم أشباههم أي احزابهم ونفراؤهم
من الكفرة فاليهودي مع انبيئهم والنصراني مع انبيئهم والبندي يدل على جواز أن
يكون المراد من أزواج الأشباه وجوه (الأول) قوله تعالى وكنتم أزواج لثلاثة أي
أشكالًا وأشباها (الثاني) لك تقول عندي من هذا أزواج أي أمثال وتكون زوجان من
الحلف لكون كل واحد منهما نظير الآخر وكذلك الرجل والمرأة ميماران حين لكونهما
متشابهين في أثر أحكام النكاح وكذلك العدد الزوج سمي بهذا الاسم لكون كل
واحد من سبعة مثالا لثلاثة الثاني في العدد الصحيح قالوا واحد في هذا القول يجب أن
يكون المراد بالذين ظلموا الرؤساء لأنك وجعلت الذين ظلموا عاماني كل من أشرك لم يكن
للزواج معنى (القول الثاني) في تفسير الأزواج أن المراد قرنائهم من الشياطين لقوله
تعالى وإخوانهم بعدونهم في الغي ثم لا يصرحون (والقول الثالث) أن المراد نسأولهم
اللوائي على دينهم أمافوله وما كانوا يعبدون من دون الله فقبه قولان (الأول) المراد
ما كانوا يعبدون من دون الله من الأوثان والطواغيت ونظيره قوله فاتقوا النار التي
وقودها الناس والحجارة قبل المراد بالناس عباد الأوثان والمراد بالحجارة الاصنام التي هي
أحجار منحوتة فإن قيل إن تلك الأحجار جادات فما الغائبة في حشرها إلى جهنم أجاب
الناهي بأنه ورد الخبر بأنها تعاد وتحيى لتحصل المبالغة في توخي الكفار الذين كانوا
يعبدونها ولغائل أن يقول هب أن الله تعالى يحيى تلك الاصنام أم أن لم يصدر عنها ذنب
فكيف يجوز من الله تعالى تعذيبها والأقرب أن يقال إن الله تعالى لا يحيى تلك الاصنام بل
يتركها على الجمادية ثم يلقبها في جهنم لأن ذلك مما يزيد في تحجيل الكفار (القول الثاني)
أن المراد من قوله وما كانوا يعبدون من دون الله الشياطين الذين دعوهم إلى عبادة
ما عبدوه فلما قبلوا منهم ذلك الدين صاروا كأعابدين لا وثك الشياطين وتأ كدها بقوله
تعالى ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشياطين والقول الأول أولى لأن الشياطين

لزمنا وثقت علينا (قول رينا) وهو قوله تعالى لا ملأنا جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين (اناذا نقون) ﴿ عتلاء ﴾
أي العذاب الذي ورد به الوعد (فأعوزناكم) فدعوناكم إلى دعوة غير ملجئة فاستجيت لنا باختياركم واستجابكم الغي
على الرشدا (انا كنا غاوين) فلا عتب علينا في تعرضنا لأغوائكم بتلك

المرتبة من الدعوة لتكونوا امثالنا في القوابة (فانهم) أى الاتباع والتسويين (يومئذ في العذاب مشتركون)
 حسبنا كانوا مشتركين في القوابة (انا كذلك) أى مثل ذلك الفعل البديع الذى تقضيه الحكمة التشريعية
 (نفعل بالمجرمين) المتساهين في الاجرام ط ١٣٩ هـ وهم المشتركون كما يعرب عنه التعليل بقوله تعالى (انهم

كانوا اذا قيل لهم)
 بطريق الدعوة
 والتلقين (لاله الا الله
 يستكبرون) عن القبول
 (ويقولون اننا لناركوا
 آهت الشاعر مجنون بل
 جاء بالحق وصدق
 المرسلين) رد عليهم
 وتكذيب لهم ببيان ان
 ما جاء به من التوحيد هو
 الحق الذى قام به البرهان
 واجمع عليه كافة الرسل
 عليهم الصلوة والسلام
 فابن الشعر والجون من
 ساحر الرضيا (انكم)
 بما فعلتم من الاشراك
 وتكذيب الرسول عليه
 الصلوة والسلام والاستكبار
 (اننا نقول العذاب الاليم)
 والاثبات لانهما كان
 الغضب عليهم وقرئ
 ينصب العذاب على
 تقدير اللون كقوله
 ولذا كره الله الاقليات
 وقرئ اننا نقول العذاب
 على الاصل (وما يجزون
 الا ما كنتم تعملون) أى
 الاجزاء ما كنتم تعملونه
 من السيئات والاعمال
 التى كنتم تعملونها (الا بعد
 الله المخلصين) استثناء
 متطاع من ضمير قدوة

عقلا، وكله ما لا يتلى بالعقل، والله أعلم ثم قال فاهدوهم الى صراط الجحيم قال ابن عباس
 دلوهم يقال هديت الرجل اذا دللته وانما استعملت الهداية ههنا لانه جعل بدل الهداية
 الى الجنة كما قال فبشرهم بعذاب أليم فوقعت البشارة بالعذاب لهؤلاء لابل البشارة بالنعيم
 لا وثلك وعن ابن عباس ناهدوهم سوقوهم وقال الاصم قدموهم قالوا واحد وهذا
 وهم لانه يقال هدى اذا تقدم ومنه الهداية والهوادى والهاديات لوحش قال ولا يقال
 هدى بمعنى قدم ثم قال وقفوهم يقال وفقت الدابة اقفاها وقفا فوقفت هى وقفا والعنى
 احبسوهم وفى الآية قولان (أحدهما) على التقديم والتأخير والمعنى فغوهم واهدوهم
 والاصوب أنه لاحاجة اليه بل كانه قيل فاهدوهم الى صراط الجحيم فاذا انتهوا الى
 الصراط قيل وقفوهم فان السؤال يقع هناك وقوله انهم مسؤولون قيل عن اعمالهم في
 الدنيا وقوله وقيل المراد سألهم الخزنة ألم بأنكم رسل منكم بالنبات قالوا بلى ولكن
 حقت كلمة العذاب على الكافرين ويجوز ان يكون هذا السؤال ما ذكر بعد ذلك وعرفوه
 تعالى ما كنتم لاتعصرون أى انهم يستولون تو يخالوهم فيمال ما كنتم لاتعصرون قال ابن
 عباس رضى الله عنهما لا يصبر بعضكم بعضا كما كنتم في الدنيا وذلك ان ابا جهل قال يوم
 بدر نحن جميع منتصر فقبل لهم يوم القيامة ما كنتم غيبتا منكم وقيل يقول للكفار
 ما كنتم تاتونكم فيمنعكم من العذاب ثم قال تعالى (بل هم مستملكون) يقال
 استسلم للشيء اذا انقاد له وخضع ومعناه فى الاصل طلب السلامة بترك المنازعة والمنصود
 انهم صاروا متقادين لاحلته لهم فى دفع تلك المضار لا العابد والامويود ثم قال تعالى
 (فاقبل بعضهم على بعض) قيل هم والشياطين وقيل الرؤساء والاتباع (يتساءلون) أى
 يسأل بعضهم بعضا وهذا التساؤل عبارة عن الخصم وهو سؤال التبكيت يقولون
 غررتموا بيقول أو ثقتا بقتلهم متا والجملة فليس ذلك تساول المستغصمين بل هو تساول
 التوبيخ والوعظ والله أعلم بقوله تعالى (قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين قالوا لم تكذبوا
 معكم) وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين فحق علينا قول ربنا
 لنذاقون فاغوا شاكم انا كنا غايبين فانهم يومئذ في العذاب مشتركون انا كذلك نفعل
 بالمجرمين انهم كانوا اذا قيل لهم لاله الا الله يستكبرون ويقولون اننا لناركوا آهت
 لشاعر مجنون بل جاء بالحق وصدق المرسلين انكم لنذاقوا العذاب الاليم وما يجزون الا
 ما كنتم تعملون الا بعد الله المخلصين (واعلم ان الله تعالى لما حكى عنهم انه اقبل بعضهم على
 بعض يتساءلون شرح كيفية ذلك التساؤل فقال قالوا انكم تأتوننا عن اليمين وهذا
 قول الاتباع لمن دعاهم الى الضلالة وفى تفسير اليمين وجوه (الأول) ان لفظ اليمين ههنا
 استعارة عن الخيرات والسعادات وبيان كيفية هذه الاستعارة ان الجانب اليمين أفضل
 من الجانب الايسر لوجوه (أحدها) اتفاق الكل على ان أشرف الجانبين هو اليمين
 (واشانى) لا يباشرون الاعمال الشريفة الا باليمين مثل مصافحة الاخيار والاكل

وما بينهما اعتراض بجى به مسارعة الى تحقيق الحق ببيان أن ذوقهم العذاب ليس الا من جهة واحدة لا من جهة
 ضميرهم أصلا ووجهه استثناء من ضمير يجزون على معنى أن الكفرة لا يجزون الا بقدر أعمالهم دون عباد الله المخلصين فانهم
 يجزون أعضاءا مضاعفة مما لا يوجد له أصلا لا سيما جملته استثناء متصلا بتعظيم الخطاب في تجزون لجميع المكلفين فانه

ليس في حيز الاحتمال فالحق انكم لنذاقوا العذاب الا ليم لكن عباد الله المخلصين الموحدين ليسوا كذلك وقوله تعالى (اولئك) اشارة اليهم الايدان بأنهم يمتازون بما تصفوا به من الاخلاص في عبادة الله تعالى عن عداهم امتيازاً بائناً منظموه بسببه في تلك الامور الشاهدة ١٤٠ وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد

بالمشار اليه الاشعار
بعلو طبقهم وبعد
منازلهم في الفضل وهو
مبتدا وقوله تعالى (لهم)
اما خبره وقوله تعالى
(رزق) مرتفع على
الفاعلية بما فيه من
الاستقرار او مبتدا فيهم
خبر مقدم والجملة خبر
لا ذلك والجملة الكبرى
استئناف مبين لما فاده
الاستثناء اجمالاً ايانا
تفصيلياً وقيل هي خبر
الاستثناء المنقطع على أنه
متأول بالبدا وقوله
تعالى (معلوم) أي معلوم
الخصائص من حسن
النظر ولذة الطعم
وطب الرائحة ونحوها
من نعمت الكمال وقيل
معلوم الوقت كقوله
تعالى ولهم رزقهم فيها
بكرة وعشا وقوله تعالى
(فواكه) اما بدل من
رزق او خبر مبتدأ مضمر
أي ذلك الرزق فواكه
وتخصيصها بالذكر لان
أرزاق أهل الجنة كلها
فواكه أي ما يؤكل بمجرد
التلذذ دون الاقتيات
لانهم مستغنون عن
القوت ليكون خلقهم

والشرب وما على العكس منه يباشرونه باليد اليسرى (الثالث) انهم كانوا يتفادون
وكانوا يثبتون بالجانب الايمن ويسمونه بالبارح (الرابع) ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يحب الثياب من في كل شيء (الخامس) ان الشريعة حكمت بأن الجانب الايمن
لكتاب الحسنة والابسر لكتاب السيئة (السادس) ان الله تعالى وعد المحسن أن
يؤتي كتابه بيده اليمنى أن يؤتي كتابه يساره ثبت ان الجانب الايمن أفضل من الجانب
اليسر وإذا كان كذلك لاجرم استعير لفظ اليمين للخيرات والحسنة والصالحات فقوله
انكم كنتم تأتوننا عن اليمين يعني انكم كنتم تدعوننا وتوهمون لنا ان مقصودكم من
الدعوة الى تلك الايدان نصرته الحق وتقوية الصدق (والوجه الثاني) في التأويل انه
يقال فلان يمين فلان اذا كان عنده بالمعزة الحسنة فقال هؤلاء الكفار لما نزلهم الذين
اشلوهم وزيلوا لهم الكفر انكم كنتم تدعوننا وتوهمون لنا اننا نريدكم بزلنا للدين أي
بالمعزة الحسنة فوثقنا بكم وقبلنا عنكم (الوجه الثالث) ان أئمة الكفار كانوا قد خلقوا
لهؤلاء المستضعفين أن ما يدعونهم اليه هو الحق فوثقوا بآمانهم وتمسكوا به وهدموا الى
عهددهم لهم فحقى قوله كنتم تأتوننا عن اليمين أي من ناحية الموائيق والايمان التي
قدمتموها لنا (الوجه الرابع) أن أئمة اليمين مستعارة من القوة والقهر لان اليمين موصوفة
بالتهور وبها يقع البطش والمعنى انكم كنتم تأتوننا عن القوة والقهر وتقصصوننا عن
السلطان والعزة حتى تحملونا على اضلال وتعبورنا عليه ثم حكي الله تعالى عن الرؤساء
انهم أجابوا الاتباع من وجوه (الاول) انهم قالوا لهم بل لم تكونوا مؤمنين يعني انكم
ما كنتم موصوفين بالايمان حتى يقال اننا زلناكم عنه (الثاني) قولهم وما كان لنا عليكم
من سلطان يعني لا قدرة لنا عليكم حتى نقهركم ونجبركم (الثالث) بل كنتم قومًا طاعين أي
ضالين غالين في معصية الله (الرابع) قواهم فحق علينا قول ربنا اننا نؤمن والمعنى ان الله
تعالى لما أخبر عن وقوعنا في العذاب فلولم يحصل وقوعنا في العذاب لما كان خبر الله حقا
بل كان باطلا ولما كان خبر الله أمرا واجبا لاجرم كان الوقوع في العذاب الا ليم لازما
قال مقاتل قوله تعالى فحق علينا قول ربنا اشارة الى قول الله لا بليس لاملان جهنم منك
وعن يعك منهم أجمعين وقوله تعالى اننا لنأفون يعني لما وجد أن يحق علينا قول ربنا
وجب أن نكون ذائعين لهذا العذاب (الخامس) قولهم فأغوا بنا كما كنا غاوين
والمعنى اننا اتينا أقدمنا على اغوائكم لانا كنا موصوفين في أنفسنا بالغواية وفيه دققة
أخرى كأنهم قالوا ان اعتقدتم ان غوايتكم بسبب اغوائنا فغوايتنا ان كانت بسبب
اغوائنا وآخر لازم التسلسل وذلك محال فعلنا أن حصول الغواية والرشاد ليس من قبلنا
بل من قبل غيبتنا وذلك الغير هو الذي ذكره فيما قبل وهو قوله فحق علينا قول ربنا ولما حكي
الله تعالى كلام الاتباع للرؤساء وكلام الرؤساء للاتباع قال بعده فانهم يومئذ في العذاب
مشتركون يعني فالتبوع والتابع والمخدوم والخادم مشتركون في الوقوع في العذاب

بحكمة محفوظة من التحلل المحوج الى البذل وقيل لان الفواكه من أتباع سائر الأطعمة فذكرها من جن ذكرها (وهم مكرمون) عند الله عز وجل لا يلحقهم هوان وذلك أعظم المشوبات وألقها بالولههم وقيل مكرمون في نبله حيث يصل اليهم بغير تعب وسؤال كما هو شأن أرزاق الدنيا وقرى مكرمون بالتشديد (في جنات العليم)

أى في جنات ليس فيها إلا التعيم وهو طرف أوحال من المستكن في مكرمون أو خبرتان لاولئك وقوله تعالى (على سرر)
محمل المحالية والخبرية وقوله تعالى (متقابلين) حال من المستكن فيه أوفى مكرمون وقوله تعالى (يضاف عليهم) اما
استئناف منى على سؤال تشاؤم حكايه في ١٤١ في تكامل مجالس أنفسهم أوحال من الضعيف في متقابلين أوفى أحد

الجارين وقد جوز كونه
صفه لمكرمون (بكأس)
باناء فيه خبر أو ضمير
فان الكأس تطلق
على نفس الجر كما في قول
من قال وكأس شربت
على لذة وأخرى
تداولت منها بها
(من معين) متعلق
بضمير هو صفه الكأس
أى كاشفة من شراب معين
أومن سر معين وهو
الجارى على وجه
الأرض انما هو العيون
أو الخارج من العيون
من عل الماء فانزع وصف
به الجر وهو لئلا لانها
تجرى في الجنة في أنهار
كما تجري الماء قال تعالى
وأنا من خمر يبيضاء
الذة للشاربين) صفتان
أيضا الكأس ووصفها
بلذة اما للبالغة كأنها
نفس اللذة أو لانها
تأنيث اللذة بمعنى اللذيذ
وزنه فعل قال
ولذ قطع الصرخى
تركته بأرض العدا
من خيفة الحدثان يريد
النوم (لا فيها غول) أى
غائلة كما في خور الدنيا
من غاله اذا فسد

كما كانوا في الدنيا مشتركين في اغواية ثم قال أيضا اننا كذلك فعل بالجرين وعنى
بالجرين ههنا الكفار بدليل انه تعالى قال بعد هذه الكلمة انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون والضعيف في قوله انهم عائد الى المذكور السابق وهو قوله بالجرمين وهذا
يدل على أن لفظ المجرم المطلق مخصص في القرآن بالكافرين بين تعالى انهم انما قوا في ذلك
المناد انهم كانوا مكذبين بالتوحيد والشبهة اما التكذيب بالتوحيد فهو قوله تعالى
انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون معنى يكفرون ويتعصبون لآيات الشريك
ويستكفون من الاقرار بالتوحيد وأما التكذيب بالشبهة فهو قولهم اننا نشارك
آلهتنا الشاعرين مجنون ويعنون مجما ثم انه تعالى كذبهم في ذلك الكلام فقال بل جاء بالحق
وصدق المرسلين وتقرير هذا الكلام انه جاء بالدين الحق لانه ثبت بالحق انه تعالى بزمه
عن الضعفاء والشركاء فاسحا مجمدا على الله عليه وسلم بتقرير هذا المعنى كما في
بالدين الحق قرأ ابن كثير اننا نشارك آلهتنا بهجرة وباء بعدها خفة ساكنة بلام
وقرأنا مع رواية قالوا وابوعمر وعلى هذا التفسير ويدان وانما قول يجرنين بلام
وقوله تعالى وصدق المرسلين معنى صدقهم في محبتهم بالتوحيد وفى الشريك وهذا تنبيه
على أن أقول بالتوحيد دين لكل الانبياء ولما حكى الله عنهم تكذيبهم بالتوحيد والشبهة
نقل الكلام من الغيبة الى الحضور فقال لانكم لذاتكم العذاب الانهم كانوا قتل فكيف
يلين بالرحيم الكريم تعالى عن النفع والضراى يعذب عباده فأجاب عنه بقوله وما
تجزون الا ما كنتم تعملون والمعنى ان الحكم يقتضى الامر بالحسن والطاعة والنهي عن
القبح والمعصية والامر والنهي لا يكمل المقصود منها الا بالترغيب في الثواب والترهيب
بالعقاب واذا وقع الاخبار عنه وجب تحقيقه صوتا للكلام عن الكذب فلهذا السبب
وقوع العذاب ثم قال الاعباد الله المخلصين معنى ولكن عباد الله من الاستثناء المنقطع
وقوله تعالى (اولئك لهم رزق معلوم فوا كدوهم مكرمون في جنات التعيم على سرر متقابلين
يضاف عليهم بكأس من معين يبيضاء لذة للشاربين ولا هم عنها ينزفون وعندهم
قاصرات الطرف عين كنهن يبيض مكنون فاقبل بعضهم على بعض يسألون) اعلم انه
تعالى لما وصف أحوال المتكبرين عن قبول التوحيد المصرين على انكار الشبهة أردفه
بذكر حال المخلصين في كيفية الثواب وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ذكرنا في فتح اللام
وكسر هاء المخلصين قرأتين فالفتح ان الله تعالى أخلصهم بلا طغى واصطفاهم بفضل
والكسر هو انهم اخلصوا للطاعة لله تعالى (المسئلة الثانية) اعلم انه تعالى وصف رزقهم
بكونه معلوما ولم يبين ان أى الصفات منه هو المعلوم فلذلك اختلفت الاقوال قليل معناه
ان ذلك الرزق معلوم الوقت وهو مقدار غدوة وعشية وان لم يكن ثمة لا بكرة ولا عشيّة قال
تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وقل معناه ان ذلك الرزق معلوم الصفة لكونه
مخصوصا بخصائص خلقه الله فيه من طيب طعم ورائحة ولذة وحسن منظر وقل معناه

وأهلكه ومنه القول (ولا هم عنها ينزفون) يسكرون من زلف الشارب فهو تزيف ومزوف اذا ذهب عقله ويقال
للطعون زنى فأت اذا خرج دمه كله أفرد هذا بالنفى مما اندرجه فيما قبله من نفي القول عنها لما أنه من معظم مفاسد الجمر
كانه جنس برأسه والمعنى لا يميتها

نوع من أنواع الفساد من مفسد أو صداع أو خمار أو عر بدة أو لغوا وتاتم ولا هم يسكرون وقرى يترفون بكسر الزاي من انترف الشارب اذا نغد عقله أو شرابه وقرى يترفون بضم الزاي من ترّف يترّف بضم الزاي فيهما (وعندهم قاصرات الطرف) قصرن أبصارهن على أزواجهن لا يعدن طرفا لي ﴿ ١٤٢ ﴾ غيرهم (عين) نجل العيون جمع

عيناء والنجل سعة العين (كأنهن بعض مكنون) شبهن ببعض النساء المصون من العيار ونحوه في الصفاء واليباض المخلوط بأدنى صفرة فان ذلك أحسن ألوان الابدان (فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) معطوف على إطلاق أي بشر بوزن فقهادهون على الشرب كما هو عادة الشرب قال وما بقيت من اللذات الا

أدبيت الكرام على الدماء فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عن الفضائل والعارف وعما جرى لهم وعليهم في الدنيا فالتعبير عنه بصيغة الماضي للأنكيد والاندانة على تحقق الوقوع حتما (قال قائل منهم) في تضاعيف بحار روايتهم (الى كائن) في الدنيا (قرين) مصاحب (يقول) على طريقة التوبيخ بما كنت عليه من الايمان والتصديق بالبعث (أنك لمن المصدقين) أي بالبعث وقرى بتشديد الصاد

انهم يتفتنون دوامه لا كرزق الدنيا الذي لا يعلم متى يحصل ومتى ينقطع وقيل معناه انه القدر الذي يستحقونه بأعمالهم من ثواب الله وكرامته عليهم وقد بين تعالى انه يعطيهم غير ذلك على سبيل التفضل ثم لما ذكر تعالى أن لهم رزقا بين أن ذلك الرزق ما هو فقال فواكه وفيه قولان (الاول) أن الفاكهة عبارة عما يؤكل لاجل التلذذ لا لاجل الحاجة وازرق أهل الجنة كما هو فواكه لانهم مستنون عن حفظ الصحة بالاقوات فانهم أجسام محكمة مخروفة لا يبدل فكل ما ياكلونه فهو على سبيل التلذذ (والثاني) أن المقصود من ذكر الفاكهة التنبية بالادنى على الاعلى يعني لما كانت الفاكهة حاضرة أبدا كان الادم أول بالحضور والقول الأول أقرب الى التحقيق واعلم انه تعالى لما ذكر الاكل بين ان ذلك الاكل حاصل مع الاكرام التعظيم فقال وهم مكرمون لان الاكل الخالى عن التعظيم يليق بالبهائم ولما ذكر تعالى ما أكلوه وصف تعالى مساكنهم فقال في جنات النعيم على سرر متقابلين ومعناه انه لا كلفة تعبهم في اتلاقي الانس والتخاطب وفي بعض الاخبار انهم اذا أرادوا القرب سار السرى بهم ولا يجوز أن يكونوا متقابلين الامع حصول الخوطر والسرار وان يكونوا كذلك الامع التفتحة والسعة ولا يجوز أن يسمع بعضهم خطاب بعض وراه على عبد الابان عوى الله أبصارهم وأسماعهم وأصواتهم ولما شرح الله سفة المأكّل والمسكر ذكر بعده صفات شراب فقال اطاف عليهم بكأس من معين يقال للزجاجة التي فيها الخمر كأس أو تسمى الخمرة نفسها كأسا قال * كأس شراب على يد * وعن الأخفش كل كأس في القرآن فهي الخمر وقوله من معين أي من شراب معين أو من نهر معين المعين مأخوذ من عين الماء أي يخرج الماء يسمى معينا لظهوره يقال كان الماء اذا ظهر جارا ياقاه ثمة فهو مفعول من العين نحو مبيع ومكيل وقيل سمي معينا لانه يجرى ظنهر العين ويجوز أن يكون فعلا من المعين وهو الماء الشديد الجرى ومنه أمن في المبر اذا شد فيه وقوله يضاء صفة الخمر قال الأخفش خير الجنة اشد يياضا من اللبن وقوله لذة فيه وجود (أحدها) انها وصفت باللذة كأنها تنفس اللذة وعينها كما يقال فلان جود وكرم اذا أرادوا الباقعة في وصفه لانه التين الصفتين (وثانيها) قال الزجاج أي ذات لذة فلي هذا خندق المضاف (وثانيها) قال الليث اللذ واللذ يجرى بان يجرى واحدا في التعت ويقال شراب اللذ والذ يقال تعالى يضاء لذة للشار بين وقال تعالى من خير لذة للشار بين ولذلك سمي التوم لانه لا يستلذ اذ وعلى هذا لذة بمعنى اللذة والأقرب من هذه الوجوه الاول ثم قال تعالى لافيهما غول وفيه ابجاث (البحث الاول) قال القراء العرب تقول ليس فيها غلبة وغائلة وغول سواء وقال أبو عبيدة القول ان يقال عقولهم وأنشد قول مطيع بن ابيس

وما زالت الكأس تغالهم * وتذهب بالاول الاول

وقال الليث الغول الصداق والمغى ليس فيها صداع كما في خرا نديسا قال الواحدى

من التصديق الاول هو الاوفق لقوله تعالى (أذمات او كناترا با وعدها ما أشلندنيون) أي لم يوثقون ﴿ رحمه ﴾ ويجز بون من الدين بمعنى الجزاء أو لم يسوسون يقال دانه أي سامه ودهته الحديث العاقل من دان نفسه وقيل كان رجلا تصدق بماله لوجه الله تعالى فاحتاج فاستجدي بعض اخوانه فقال أين مالك قال تصدقت به ليموضني الله

تعالى في الآخرة خير مما نفعهم في الدنيا * فمن المصدقين يوم الدين أو من المصدقين يطلب الثواب والله لا أعطيكم شيئا
فيكون الترضي لذكر موتهم وكونهم ترابا وعظاما حيث نلتنا كيدنا نكار الجزاء المبني على أنكار البعث (قال) أي ذلك
القائل بعد ما حكى جلساءه حالة قرينه * في ١٤٣ في الدنيا (هل أنتم مطلعون) أي إلى أهل النار لا ريبكم ذلك

القرين يرب بذلك بيان
صدقه فيما أحكمه وقيل
الغائل هو الله تعالى أو
بعض الملائكة يقول لهم
هل تحبون أن تطلعوا
إلى أهل النار لا ريبكم
ذلك أقر من فعله أن
متركتكم من مترتهم
قيل إن في الجنة كوى
ينظر منها أهلها إلى
أهل النار (فاطلع) أي
عليهم (فأراه) أي قرينه
(في سواء الجحيم) أي في
وسطها وقرى فاطم
على لفظ المضارع
المصوب وقرى مطلعون
فاطم وفاطم بالتخفيف
على انقطاع الماضي والمضارع
المصوب يقال طلع علينا
فلان واطم وأطلع
بمعنى واحد والمعنى هل
أنتم مطلعون إلى القرين
فاطم أنا أيضاً وعرض
عليهم الاطلاع فقبلوا
معرضه فاطم هو بعد
ذلك وإن جعل الاطلاع
منقطعاً فالمعنى أنه لما شرط
في اطلاعه اطلاعه
كما هو ديدن الجلساء
فكأنهم مطلعون وقيل
الخطاب على هذا اللانك
وقرى مطلعون بكسر

رحمته وحقيقته الإهلاك يقال غولا أي أهلكه وأغول وأغائل المهلك ثم سمي
الصداع غولاً لأنه يؤذي إلى الإهلاك ثم قال تعالى ولا هم عنها ينزفون وقرى بكسر الزاي
قال الفراء من كسر الزاي فله معنيان يقال انزف الرجل إذا نفذت خبرته وأنزف إذا
ذهب عقله من السكر ومن فتح الزاي فعناه لا يذهب عقلهم أي لا يسكرون يقال نزف
الرجل فهو منزف ومنزف والمعنى ليس فيها قط نوع من أنواع الفساد التي تكون
في شراب الخمر من صداع أو خمار أو غير ذلك وذهب بسكرور أيضاً وخصه بالذكور لأنه
أعظم فساد في شرب الخمر * ثم قال الله تعالى سقواهم من غير أن يذوقوا سقمهم
من ذلك أو جه (الاول) قوله وعندهم فاصرات المفروق ومعنى انصرف في اللغة الحبس ومنه
قوله تعالى حور مقصورات في الخيام والمعنى أنهن يحسن زهرهن ولا ينفرن إلى غير
أزواجهن (السف الثانية) قوله تعالى عين قار الزجاج كبار الاعمى حساسه واحدها عي
(الصفة الثالثة) قوله تعالى كأنهم يبيض مذكون بالذكور في اللغة المنور يقال كذات
اشي واكتنه ومعنى هذا التشبيه ان ظاهر البيض باض شوبه قليل من الصفرة فاذ
كانوا كذا وكان مصروناع العير والمقرة فكان هذا اللون في غاية الحسن والعرب كانوا
يسمون النساء يبيضات الحدور ولما تم الله صفات أهل الجنة قال فأقبل بعضهم على
بعض ينساءون قال قيل على أي شيء عطف قوله فأقبل بعضهم على بعض ينساءون فقلنا
على قوله يطاف عليهم والمعنى يشربون ويحادثون على السرور قال الشاعر
وما بقيت من لذات الا * محادثة الكرام على المدام

والمعنى فيقبل بعضهم على بعض ينساءون عما جرى لهم وعابهم في الدنيا * قوله تعالى (قال)
قائل منهم اني كان لي قرين يقول انك لمن المصدقين أنذامتنا وكننا ترابا وعظاما ما كنا
لديون قال هل أنتم مطلعون فأراه في سواء الجحيم قال تالله ان كدت لتردين ولولا
نعمة ربى لكنت من المحضرين فأجابني بيئتين الاموتنا الاول وما نحن بمعذبين ان هذا
لهو الفوز العظيم لئلا هذا فليعمل العاملون في الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم انه
تعالى كما ذكر في أهل الجنة أنهم ينساءون عند الاجتماع على شرب خمر الجنة فان
محادثة العقلاء بعضهم مع بعض على الشرب من الامور اللذيذة وتذكر الخلاص عند
اجتماع أسباب الهلاك من الامور اللذيذة ذكر تعالى في هذه الآية ان أهل الجنة اذا
اجتمعوا على الشرب وأخذوا في المكالمة والمسالمة كان من جملة تلك الكلمات أنهم
يتذكرون أنهم كان قد حصل لهم في الدنيا ما يوجب لهم الوقوع في عذاب الله ثم انهم
تخلصوا عنه وفازوا بالسعادة الابدية والمقصود من ذكر هذه الاشياء ان أهل الجنة
بتكامل سرورهم وبهجته اما قوله قال قائل منهم اني كان لي قرين أي قال قائل من
أهل الجنة اني كان لي قرين في الدنيا يقول انك لمن المصدقين أي كان يوتني على
التصديق بالبعث والقيامة ويقول تعجباً أنذامتنا وكننا ترابا وعظاما ما كنا لمديون أي

النون أراد مطلعون أي موضع المتصل موضع المنفصل كقوله * هم الفاعلون والخبر والآمر به أو شبه اسم الفاعل
بالمضارع لا يذهب ما من انما أي القائل مخاطب القرينه (تالله ان كدت لتردين) أي لهلكتي بالافواء وقرى
لتعوين والتاء فيه معنى التعجب وان هي المخففة من ان وضيم الشان الذي هو اسمها

مخوف واللام فارقة أى تألق ان الشأن كدت لقد دين (ولولا نعم ربي) بالهداية والعصبة (لكنتم من المحضرين) أى من الذين أحضروا العذاب كما حضرته أنت وأمر ربك وقوله تعالى (أفأنت بمنيتين) أرجوع الى محاوره جلساته بعد اتمام الكلام مع قرينه تبعجها وابتهاجا أتاح الله عز وجل ﴿ ١٤٤ ﴾ لهم من الفضل العظيم والتعظيم المقيم

والهمزة للتعريف وفيها
معنى التعجب والفاء
للعطف على مقدر
يقضيه نظم الكلام
أى أنحن مخلدون
منعمون فأنحن بميتين
أى بمن شانه الموت وقرئ
بمائين (الاموتنا الاولى)
التي كانت في الدنيا وهى
مناولة لما في القبر بعد
الاحياء للسؤال قاله
تصديقاً لقوله تعالى
لا يذوقون فيها الموت
الاموتة الاولى وقيل
ان أهل الجنة أول ما
دخلوا الجنة لا يعلمون
أنهم لا يموتون فإذا حي
بالموت تنلى سورة كاش
اللمح فذبح نودى يا أهل
الجنة خلود فلا موت
ويا أهل النار خلود ولا
موت يعلمونه وبواو
فذلك تحدثا بمنعم الله
تعالى واغتباطا بها
(وأنحن بمعدين)
كالكفار فان النجاة من
العذاب أيضاً نعمه جليلة
مستوجبة للتحدث بها
(ان هذا) أى الامر
العظيم الذى نحن فيه
(لهو الفوز العظيم)
وقيل هو من قول الله

لحاسبون ومجازون والمعنى أن ذلك القرن كان يقول هذه الكلمات على سبيل الاستنكار ثم أن ذلك الرجل الذي هو من أهل الجنة يقول لجلسائه يدعوهم إلى حال السرور بالإطلاع إلى النار لمشاهدة ذلك القرن ومخاطبته هل أنتم مطلعون فاطلع والاقرب أنه تكلف أمراً اطلع معه لأنه لو كان مطلعاً بلا تكلف لم يكن إلى اطلاعه حاجة فلذلك قال بعضهم أنه ذهب إلى بعض أطراف الجنة فاطلع عندها إلى النار فرآه في سواء الجحيم أي في وسط الجحيم قال له وبخات الله ان كنت لتردين أي لتهلكني بدعائك إلى إنكار البعث والقيامة ولولا نعمة ربي بالإرشاد إلى الحق والصحة عن الباطل لكنت من المحضرين في النار مثلك ولما تم ذلك الكلام مع الرجل الذي كان في الدنيا يرآه وهو الآن من أهل النار عاد إلى مخاطبة جلسائه الذين هم من أهل الجنة فقال أفتأمن بعين وفيه قولان (الاول) أن أهل الجنة لا يعلمون في أول دخولهم في الجنة أنهم لا يموتون فإذا جرى بالوت على صورة كبش أملح وذبح فعند ذلك يعلمون أنهم لا يموتون فاعل هذا الكلام حصل قبل ذبح الوت (والثاني) أن الذي يتكامل خيره وسعاده ما أعظم نعيمه بما قد يقول أي يوم هذا إلى أفيبقى هذا إلى وإن كان على يقين من دوامه ثم عند فراغهم من هذه المباحثات سواور أن هذا هو الفوز العظيم وأما قوله مثل هذا فليعمل العاملون فقبل أنه من بقية كلامهم وقيل أنه ابتداء كلام من الله تعالى أي اطلب مثل هذه العادات يجب أن يعمل العاملون (المسئلة الثانية) قال بعضهم المراد من هذا العامل ومن قرأه ما ذكره الله تعالى في سورة الكهف في قوله وأطع بأمرهم ثلاثاً رجائين إلى آخر الآيات وروى أن رجلين كانا شريكين فحصل لهما ثمانية آلاف دينار ففاز أحدهما للأخر فأحسك ففاسمه واشترى داراً بالدف ديناراً فأمرها صاحبها وقال وكيف ترى حسنهما قال ما أحسنها فخرج وقال اللهم إن صاحبي هذا قد ابتاع هذه الدار بألف دينار وأنى أسألك داراً من دور الجنة فتصدق بألف دينار ثم إن صاحبه تزوج بامرأة حسنة بألف دينار فتصدق هذا بألف دينار لاجل أن يزوجها الله من الحور العين ثم إن صاحبه اشترى بيتاً بنى ديناراً فتصدق هذا بألف دينار ثم إن الله أعطاه في الجنة ما طلب فعند هذا قال أنه كان في قرن فاطلع فرآه في سواء الجحيم (المسئلة الثالثة) قوله أئتتكم لمن المصدقين أئدستوا وكنتارباو عظما أئدستون اختلف ائراء في هذه الاستفهامات الثلاثة قرأ نافع الأولى والثانية بالاستفهام بجمرة غير معدودة والثالثة بكسر الالف من غير استفهام ووافقه الكسائي إلا أنه يستفهم الثالثة بجهرتين وقرأ ابن عامر الأولى والثالثة بالاستفهام بجهرتين والثانية بكسر الالف من غير استفهام وقرأ الباقون بالاستفهام في جميعها ثم اختلفوا في كثير يستفهم بجمرة واحدة غير مطولة وبعدها ياء ساكنة خفيفة أو بوعمر مطولة وعاصم وحزة بجهرتين وأما قوله ان كنت لتردين قرأ نافع برواية ورش لتردين بآيات الباء في الوصل والباقون بمحذوها (المسئلة الرابعة) احتج أصحابنا على أن الهدى

عز وجل تفريرا قولهم ونصديقه وقاله وقرى اهو الرزق العظيم وهو ما رزقوه من السعادة العظمى ﴿ والصلاة ﴾ (مثل هذا فيعمل العاملون) أى لئلا هذا المرام الجليل يجب أن يعمل العاملون للحفاظ على الدينونة السريعة الانصرام المشبهة بنفوس الآلاء هذا أيضا محتمل أن يكون من كلام العدة

ذلك خير زلا أم شجرة الزقوم) أصل النزل الفضل والرابع فاستعير للحاصل من الشيء وانتصابه على التمييز أي أذلك
 زق العلوم التي حاصله اللذة والسرور خير زلا أم شجرة الزقوم التي حاصلها الألم والغم ويقال النزل لما يقام ويبدأ
 الطعام الحاضر للنازل فانتصابه على الحالية والمعنى أن الرزق العلوم نزل أهل الجنة وأهل النار زلهم شجرة الزقوم
 بها خير في كونه زلا والزقوم اسم شجرة صغيرة ﴿ ١٤٥ ﴾ الورق دفرة مرة كريهة الرائحة تكون في تمامه سميت

به الشجرة الموصوفة (أنا
 جعلناها فتنة للظالمين)
 محنة وعذابا لهم في الآخرة
 وابتلاء في الدنيا فانهم
 لما سمعوا أنها في النار
 قالوا كيف يمكن ذلك
 والنار تحرق الشجر ولم
 يعلموا أن من قدر على خلق
 حيوان يعيش في النار
 ويتلذذ بها أو قدر على خلق
 الشجر في النار وحفظه
 من الأحراق (أنها
 شجرة تخرج في أصل
 الجحيم) منبتها في قعر
 جهنم وأغصانها ترتفع
 إلى دركاها وقرى نائية
 في أصل الجحيم (طلعها)
 أي حلها الذي يخرج
 منها مستعار من طلع
 النخلة لمشاركته له
 في الشكل والاطلاع
 من الشجر قالوا أول القوم
 طلع ثم خلال ثم بلغ ثم يسر
 ثم رطب ثم تمر (كأنه
 رؤس الشياطين) في
 تناهى القبح والهول
 وهو تشبيه بالخيل كتشبيه
 الفائق في الحسن بالملك
 وقيل الشياطين الحيات
 الهائلة القبيحة المنظر

الضلال من الله تعالى بقوله تعالى ولولا نعمة ربى لكنت من المخضرين وقالوا مذهب
 لخصم أن كل ما فعله الله تعالى من وجوه الأنعام في حق المؤمن فقد فعله في حق الكافر
 إذا كان ذلك الأنعام مشتركا فيه امتنع أن يكون سببا لحصول الهداية للمؤمن وإن
 يكون سببا لخلاصه من الكفر والردى فوجب أن تكون تلك النعمة المخصوصة أمرا
 ابتدأ على تلك الأنعامات التي حصل الاشتراك فيها وما ذلك إلا بقوة الداعي إلى الإيمان
 بتكميل الصارف عن الكفر (المسئلة الخامسة) احتج نفاة عذاب القبر بقول الرجل
 لذى من أهل الجنة أفأنا نحن بين الاموتنا الأولى فهذا يدل على أن الإنسان لا يموت إلا
 مرة واحدة ولو حصلت الحياة في القبر لكان الموت حاصلًا مرتين (والجواب) أن قوله لا
 وتتنا الأولى المراد منه كل ما وقع في الدنيا والله أعلم بقوله تعالى (أذلك خير زلا أم شجرة
 زقوم أنا جعلناها فتنة للظالمين) أي شجرة تخرج في أصل الجحيم طلعها كأنه رؤس
 الشياطين فانهم لا كانوا منها فالظالمون منها البطون ثم إن لهم عذابا شديدا من جحيم ثم
 من جحيمهم إلى الجحيم أنهم أقوا بأنهم ضالين فهم على آثارهم يرجعون ولقد فضل قلبهم
 كثير الأولين وقد رسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين الأعداء لله
 للخصمين (اعلم أنه تعالى لما قال بعد ذكر أهل الجنة ووصفها مثل هذا فليس عمل العالمون
 تبعه بقوله أذلك خير زلا أم شجرة الزقوم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يورد ذلك
 على كفار قومه ليصير ذلك زاجر لهم عن الكفر وكما وصف من قبل ما أكل أهل الجنة
 مشار بهم وصف أيضا في هذه الآية ما أكل أهل النار ومشار بهم * ما قوله أذلك خير زلا
 أم شجرة الزقوم فاعلم أن الرزق العلوم المذكور لأهل الجنة خير زلا أي خير حاصلًا أم
 شجرة الزقوم وأصل النزل الفضل الواسع في الطعام يقال طعام كثير النزل فاستعير للحاصل
 من الشيء ويقال أرسل الأمير إلى فلان زلا وهو الشيء الذي يصلح حال من يزل سيده إذا
 مرفت هذا فتقول حاصل الرزق العلوم لأهل الجنة اللذة والسرور وحاصل شجرة الزقوم
 الألم والغم ومعلوم أنه لا نسبة لأحدهما إلى الآخر في الخير بل لأنه جاء هذا الكلام أما
 لي سبيل الشجرة بهم وأجل أن المؤمنين لما اختاروا ما أوصلهم إلى الرزق الكريم
 الكافرين اختاروا ما أوصلهم إلى العذاب الأليم فقبل لهم ذلك توخا لهم على سوء
 ختبارهم وأما الزقوم فقال الواحدى رحمه الله لم يذكر المفسرون للزقوم تفسيرًا إلا
 لكلى فانه روى أنه لما نزلت هذه الآية قال ابن الزبير أكره الله في بيوتكم الزقوم
 أن أهل الجن يسمون النمر والزبد بالزقوم فقال أبو جهل لجاريته زقينا فأتته بزبد وتمر
 قال تزقوا ثم قال الواحدى ومعلوم أن الله تعالى لم يرد بالزقوم ههنا نال بدو النمر قال ابن
 زيد لم يكن للزقوم اشتقاق من التزق وهو الأقرط من أكل الشيء حتى يكره ذلك يقال
 تفلان يترقم وظاهر لفظ القرآن يدل على أنها شجرة كريهة الطعم منتنة الرائحة شديدة
 لحسونة موصوفة بصفات كل من تناولها أعظم من تناولها ثم تعالى يكره أهل النار على

لغيره وقيل إن شجرة ﴿ ٩١ ﴾ يقال له لاسن خشنا منتنار منكر الصورة يسمى ثمرة رؤس الشياطين (فانهم
 كلهم منها) أي من الشجرة أو من طلعها فالتأنيث مكتسب من المضاف إليه (فالظالمون) الأغلبية الجوع أو القسر
 أكلها وإن كرهوها ليكون ذلك بابا من العذاب (ثم إن لهم عليها) على الشجرة التي ملأوها بها بطونهم بعد ما شبعوا
 بها وغلبهم العطش وطلعت استسقاؤهم

كأنيبي عنه كلمة فهو يجوز أن تكون لما في شرابهم من من يد الكراهة والاشاعة (لشوبا من حبيب) لشراب من غساق أو صديد مشوبا بآباء حبيب يقطع معاءهم وقرى بالضم وهو اسم لما يشاب به والاول مصدر سمي به (ثم ان مرجعهم) أي مصيرهم وقد قرئ كذلك (الاي الحبيب) لاي دركانها أولى نفسها فان الزقوم والحميم نزل يقدم اليهم قبل دخولها وقبل الحميم خارج عنها لقوله تعالى هذه جهنم التي في ١٤٦ ﴿ يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين

حبيب أن يذهب بهم عن مقارهم ومنازلتهم في الحميم الى شجرة الزقوم فيأكلونها منها الى أن يملأوا ثم يسقون من الحميم ثم يردون الى الحميم ويؤيدونه قرئ ثم ان مثلبهم (انهم) ألقوا آباءهم ضالين) لتعليل لاسحقاقهم باذكر من فزون العذاب بغيره الآية في الدين من غير أن يكون لهم ولا آباءهم شيء يمكن به أصلا أي وجدوهم ضالين في نفس الامر ليس لهم ما يصلح شبهة فضلا عن صلاحية الدليل (فهم على آثامهم يهرعون) من غير أن يتدبروا وهم على الحق أولامع ظهور كونهم على الباطل بأدنى تأمل والاهراع الاسراع الشديد كأنهم ينجحون ويحتون خنثا على الاسراع على آثامهم وقبل هو اسراع فيه شبهة رعدة (وتفضل قبليهم) أي قبل قومك قرئش (أكثر الاولين) من الامم

تناول بعض اجزائهم أما قوله تعالى اناجعلنا هفتة للظالمين ففيه أفعال (الاول) انها لما صارت فتنة للظالمين من حيث ان الكفار لما سموا هذه الآية قالوا كيف يعقل أن تثبت الشجرة في جهنم مع ان النار تعرق الشجرة والجواب عنه ان خالق النار قادر على أن يمنع النار من احراق الشجر ولا ما إذا حاز أن يكون في النار زبانية والله تعالى يمنع النار عن احراقهم فلم لا يجوز مثله في هذه الشجرة إذا عرفت هذا السؤل والجواب فيكون شجرة الزقوم فتنة للظالمين هو أنهم لما سموا هذه الآية وقعت تلك الشبهة في قلوبهم وصارت تلك الشبهة سببا لتأديهم في الكفر فهذا هو المراد من كونها فتنة لهم (والوجه الثاني) في التفسير أن يكون المراد صيرورة هذه الشجرة فتنة لهم في النار لانهم إذا كلفوا تناولها وشق ذلك عليهم فحينئذ يصير ذلك فتنة في جهنم (الوجه الثالث) أن يكون المراد من انفسه الامتحان والاختبار فان هذا شيء يسيد عن العرف والعادة يخاف الله الوفاء والوفاء فاذار دعى سبع المؤمن فوض عليه الله واذا ورد على الزنيق توسل به الى الطعن في القرآن والنسبة ثم انه تعالى لما ذكر هذه الشجرة وصفها بصفتين (الصفة الاولى) قوله انها شجرة تخرج في أصل الجحيم قبل منتهى في قمر جهنم أعصانها ترتفع من دركانها (الصفة الثانية) قوله طلعها كأنه رؤس الشياطين قال صاحب الكتاب في السمع للخلعة فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من جلها اما الاستعارة لفظية أو معنوية وقال ابن قتيبة سمي طلعها لطلعها كل سنة ولذلك قيل طلع الخيل الاول ما يخرج من ثره واما تشبيه هذا الطلع برؤس الشياطين ففيه سؤال لانه قيل انما رأيت رؤس الشياطين فكيف يمكن تشبيه شيء بها وأنجاوا عنه من وجوه (الاول) وهو الصحيح ان الناس لما اعتقدوا في الملائكة كمال الفضل في الصورة والسيرة واعتقدوا في الشياطين نهاية القبح والتسوية في الصورة والسيرة فكما أحسن التشبيه بالملك عند ارادة تقرير الكمال والفضيلة في قوله ان هذا الا ملك كريم فكذلك وجب أن يحسن التشبيه برؤس الشياطين في القبح ونشويه الخلقة والحاصل ان هذا من باب التشبيه لايحسوس بل بالخيال كأنه قيل ان أقبح الاشياء في الوهم والخيال هو رؤس الشياطين فهذه الشجرة تشبهها في قبح النظر ونشويه الصورة والذي يؤكدها ان العلاء اذا راوا شيئا شديدا اضطراب منكر الصورة فيج الخلقه قالوا انه شيطان واذا راوا شيئا حسن الصورة والسيرة قالوا انه ملك وقال امرؤ القيس أتفتلني والمشر في مضاجعي * ومسنونة زرق كآنياب اغوال (والقول الثاني) أن الشياطين حيات لها رؤس واعراف وهي من أقبح الحيات وبها يضرب المثل في القبح والعرب اذا رأته منظر أقيحها قالت كأنه شيطان الحماظة والحماظة شجرة معينة (والقول الثالث) ان رؤس الشياطين ثبت معروف فيج الرأس والوجه الاول هو الجواب الحق واعلم انه تعالى لما ذكر هذه الشجرة وذكر صفتها بين أن الكفار لا تكون معها فاشون منها البطون واعلم أن اقدامهم على ذلك الاكل يحتمل وجهين

السالف وهو جواب قسم محذوف وكذا قوله تعالى (ولقد أرسلنا فيهم منذرين) أي أنبياء أولى عدد * الاول كثير وذو شأن خطيئهم يبتوالهم بطلان ما هم عليه وأنذروهم عاقبة الخيبة وتكرير القسم ليراز كمال الاعتناء بتحقيق مضعون كل من الجملتين (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) من الهول والفضاعة للملم يلقون الى الانذار ولم يرفعوا له رأسا والخطاب اما رسول الله صلى الله عليه وسلم أول لكل احد ممن يمكن من مشاهدة آثامهم وخيث

كان المعنى انهم اهلكوا اهلاكا فظيعا استثنى منهم المخلصون بقوله تعالى (الاعباد الله المخلصين) اي الذين اخلصهم الله تعالى بتوفيقهم للايمان والعمل بموجب الانذار وقرئ المخلصين بكسر اللام اي الذين اخلصوا دينهم لله تعالى (ولقد نادانا نوح) نوع تفصيل لما اجل فيما قبل ببيان احوال بعض المرسلين وحسن عاقبتهم متضمن لبيان سوء عاقبة بعض المنذرين ﴿ ١٤٧ ﴾ حسبا أشير اليه بقوله تعالى فانظر كيف كان عاقبة

المنذرين كقوم نوح
وآل فرعون وقوم لوط
وقوم الناصب ولبيان حسن
عاقبة بعضهم الذين
اخلصهم الله تعالى
ووقفهم الامان كأشار
اليه الاستثناء كقوم يونس
عليه السلام ووجه
تقديم قصة نوح على
سائر القصص غنى عن
البيان واللام جواب
سهم متشوف وكذا في
قوله تعالى (فلنعم الجبينون)
اي والله لقد دعا نوح
حين يئس من ايمان قومه
بعدمادعاهم اليه احفابا
يذهبوا فلم يذهبوا فدعاه
الافراروا ففروا فاجابته
احسن الاجابة فوالله
نعم الجبينون نحن فعذف
ما حذف ثقة بدلالة ما
ذكر عليه والجمع دليل
الاعظم والكسبرياء
ونحيته وأهله من
الكبر العظيم) أي
من الفرق وقيل من اذ
قومه (وجعلنا ذريته
لباقين) فحسب حيث
اهلكنا الكفرة بموجب
دعائه رب لا تدرك على

(الاول) انهم اكلوا منها شدة الجوع فان قبل وكيف ياكلونها مع نهاية خشوتها ونبتها
ومرارة طعمها فلما ان الواقع في الضرر العظيم رما استروح منه الى ما يفر به في الضرر
فاذا جوعهم الله جوع الشدي فزعوا في ازالة ذلك الجوع الى تناول هذا الشيء وان
كان بالصفة التي ذكرتموها (الوجه الثاني) ان يقال الزبانية يكرهونهم على الاكل من
تلك الشجرة فكيف لا ياكلونها واعلم انهم اذا شعروا فحينئذ شدة عطشهم ويحتاجون الى
الشرب فعندها وصف الله شرابهم فقال نعم ان لهم عليها لشوبا من حميم قال الزماج
الشوب اسم علم في كل ملاحظة بقية والحميم الماء الحار المتساهى في الحرارة والمعنى انه اذا
غلبهم ذلك العطش الشديد وامن ذلك الحميم فحينئذ يشربون من الحميم فعوذ بالله منهم
واعلم ان الله وصف شرابهم في القرآن بأشدها كونه غساقا ومنه اقواله وسوءا ما حسيما
فقطم اعماءهم ومنه ما ذكره في هذه الآية (فان قيل) ما الفائدة في كونه في قوله نعم ان لهم
عليها لشوبا من حميم متنافيه وجهان (الاول) انهم يملئون بها قلوبهم من شجرة الزقوم وهو
حار يحرق بطونهم فيعظم عطشهم ثم انهم لا يستقون الا بعد مدة مديدة والغرض تكميل
التعذيب (والثاني) انه تعالى ذكر الطعام بذلك البشاعة والكراهة ثم وصف الشراب
بما هو اشد منه فكان المقصود من كونه في قوله نعم ان لهم المشروب في البشاعة انهم من
حال المأكول ثم قال تعالى ثم انهم يجمعون الى الجحيم قال من انزل اي بعد اكل الزقوم
وشرب الجحيم وهذا يدل على انهم عند شرب الجحيم لم يكونوا في الجحيم وذلك بان يكون الجحيم
من موضع خارج عن الجحيم فهم يوردون الجحيم لاجل الشرب كما تورد الابل الى الماء ثم
يوردون الى الجحيم وهذا قول مقاتل واحجج على صحة بقوله تعالى هذه جهنم التي يكذب بها
المجرمون بطونهم يذهبوا بين حميم ان ذلك يدل على صحة ما ذكرناه ثم انه تعالى لما وصف
عذابهم في اكلهم وشرابهم قال نعم القوا اليهم ضالين فهم على انارهم بهرعد وقال
انفرا الا هراع الاسراع يقال هراع وأهراع اذا استعفت والمعنى انهم يلبسون ابدانهم
اتباعا في سرعة كأنهم يزعجون الى اتباع اباؤهم والمقصود من الآية انه تعالى عال
استحقاقهم لوقوع في تلك الشدائد كلها بتقليد الآباء في الدين وترك اتباع الدليل ولو لم
يوجد في القرآن آية غير هذه الآية في ذم التقليد لكانت ثم انه تعالى ذكر لرسول ما يوجب
التسليم له في كفرهم وتكذيبهم فقال ولقد فضل قبضهم انتم الاولين ولقد ارسنا فيهم
منذ بين فبين تعالى ان ارساله للرسول قد تقدم والتكذيب لهم قد ساقف ويجب أن يكون له
صلى الله عليه وسلم أسوة بهم حتى يصبر كما صبروا ويستمر على الدعاة الى الله وان تردوا فليس
عليه الا البلاغ ثم قال تعالى فانظر كيف كان عاقبة المنذرين وهذا وان كان في الظاهر
خطابا مع الرسول صلى الله عليه وسلم الا ان المقصود منه خطاب الكفار لانهم سمعوا
بالاخبار جميع ماجرى من انواع العذاب على قوم نوح وعلى عاد وثمود وغيرهم فانهم
يعلموا ذلك فلا أمل من ظن وخوف يصلح أن يكون زاجرا لهم عن كفرهم * وقوله تعالى

الارض من الكافرين ديارا وقد روى انه مات كل من كان معه في السفينة غير ابناءه وأزواجهم اوهم الذين بقوا
متساقلين الى يوم القيامة قال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح عليه السلام وكان له ثلاثة اولاد سام وحام وياث
قسام أبو العرب وفارس والروم وحام أبو السودان من المشرق الى المغرب وياث أبو الترك وياث جوج وياث جوج (وترك
عليه في الآخرين) من الائم (سلام على نوح) أي هذا الكلام بعينه وهو وارد على الحكاية كقولك قرأت

سورة أزلناها والمعنى يسلمون عليه تسليماً ويدعون له على الدوام امة بعد امة وقيل ثمة قول مقدر اى فقلنا وقيل ضمن تركنا معنى قلنا وقوله تعالى (في العالمين) متعلق بالجاء والمجرور ومعناه الدعاء بثبات هذه النعمة واستمرارها أبداً في العالمين من الملائكة والقلوب جميعاً وقوله تعالى (انا كذلك نجزي المحسنين) تعليل لما فعل به عليه الصلاة والسلام من انكرمة السنية من اجابة دعائه ﴿ ١٤٨ ﴾ أحسن اجابة وابقاء ذريته وتبقيه ذكره

الجميل وتسليم العالمين عليه الى آخر السدر بكونه من زمرة المعروفين بالاحسان الراغبين فيه وأن ذلك من قبيل مجازاة الاحسان بالاحسان وذلك اشارة الى ما ذكر من الكرامات السنية التي وقعت جزاء عليه الصلاة والسلام وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالشارع الى الان يعلو رتبته وبعده ميزته في الفضل والشرف والكاف متعلقة بما بعد هاهنا مثل ذلك الجاء الكامل نجزي المكاملين في الاحسان لاجراء أدنى منه وقوله تعالى (نعم عبادنا المؤمنين) تعليل لكونه من المحسنين بخلوص عبوديته وكال ايمانه وفيه من الدلالة على جلالة قدرهما مالا يخفى (ثم أغرقنا الآخرين) أى المغايرين لنوح وأهله وهم كفار قومه أجمعين وان من شيعته أى من شايعه في اصول السدين

الاعباد الله المخلصين فيه قولان (أحدهما) انه استثناء من قوله ولقد فضل قبلهم أكثر الاولين (والثاني) انه استثناء من قوله كيف كان عاقبة المنتدزين فانها كانت أقبح العواقب وأفظعها الا عاقبة عباد الله المخلصين فانها كانت مقرونة بالخير والراحة ﴿ قوله تعالى (وقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ونجيناك وأهلكنا من الكفر العظيم وجعلنا ذريته هم الباقين تركنا على الآخرين السلام على نوح بنى العالمين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين ثم أغرقنا الآخرين) اعلم انه تعالى لما قال من قبل ولقد فضل قبلهم أكثر الاولين وقال فانظر كيف كان عاقبة المنتدزين أتبعه بشرح وقائع الانبياء عليهم السلام (والقصة الاولى) حكاية حال نوح عليه السلام وقوله ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون فيه مباحث (الاول) ان اللام في قوله فلنعم المجيبون جواب قسم محذوف والمخصوص بالمدح محذوف أى فلنعم المجيبون نحن (البعث الثاني) انه تعالى ذكر ان نوحاً نادى ولم يذكر ان ذلك النداء فى أى الوقائع كان لاجرم حصل فيه قولان (الاول) وهو المشهور عند الجمهور انه نادى الرب تعالى فى أن ينجيه من تخمة العرق وكرب تلك الواقعة (والقول الثاني) ان نوحاً عليه السلام لما اشتغل بدعوة قومه الى الدين الحق بالغوا في ايدائه وقصدوا قتله ثم انه عليه السلام نادى ربه واستنصره على كفار قومه فأجاب به الله تعالى ومنعه من قتله وايدائه واخرج هذا القائل على ضعف القول الاول بانه عليه السلام نادى الله عليهم لاجل أن ينجيه الله تعالى وأهلكه وأجاب الله دعائه فيه فكان حصول تلك النجاة كالعلوم المتفق في دعائه وذلك يمنع من أن يقال المطلوب من هذا النداء حصول هذه النجاة نعم انه تعالى لما حكى عن نوح انه نادى فقال بعد فلنعم المجيبون وهذا اللفظ تدل على أن تلك الاجابة كانت من التعم العظيم وببانه من وجوه (الاول) انه تعالى عبر عن ذاته بصيغة الجمع فقال ولقد نادانا نوح ، اعقار العظيم لا يليق به الا الاحسان العظيم (والثاني) انه أعاد صيغة الجمع في قوله فلنعم المجيبون وذلك ايضا يدل على تعظيم تلك النعمة لاسيما وقد عطف تلك الاجابة بأذنه انصمت الاجابة (والثالث) أن الغاء في قوله فلنعم المجيبون يدل على أن حصول هذه الاجابة مرتب على ذلك النداء والحكمة المرتبة على الوصف المناسب يقتضى كونه معللة وهذا يدل على ان النداء بالاحسان سبب لحصول الاجابة ثم انه تعالى لما بين سبحانه نعم المجيب على سبيل الاجال بين أن الانعام حصل في تلك الاجابة من وجوه (الاول) قوله تعالى ونجيناك وأهلكنا من الكبر العظيم وهو على القول الاول الكبر الحاصل بسبب الخوف من الفرق وعلى الثاني الكبر الحاصل من اذى قومه (والثاني) قوله وجعلنا ذريته هم الباقين يفيد الحصر وذلك يدل على أن كل من سواه وسوى ذريته فقد فنى وقال ابن عباس ذريته بنوه الثلاثة سام وحام ويافت فنام أبو العرب وفارس والروم وحام أبو السودان ويافت أبو الترك (التعم الثالث) قوله تعالى وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين يعنى يذكر هذه الكلمة فان

(ابراهيم) وان اختلف فروع شرائعهمسا ويجوز أن يكون بين شريعتيهما اتفاق كللى أو كثرى ﴿ قيل ﴾ وعن ابن عباس رضى الله عنهما من أهل دينه وعلى سنته أو بمن شايعه على التصلب في دين الله ومصارفة المكذبين وما كان بينهما الاثنيان هو وصالح عليهم السلام وكان بين نوح و ابراهيم الفان وسنمته وأربعون سنة (اذجا ربه) منصوب باذكر أو متعلق بما في الشيعه من معنى المشايخه (بقلب

سليم) أي من آفات الطوب أومن السلايق المشاغلة عن التبتل الى الله عز وجل ومعنى المحيى به ربه اخلاصه له كأنه جاءه متحفاً انه بطريق التبتل (اذفال لايه وقومه ماذا تعبدون) بدل من الاول أو ظرف لجاء أو تسليم أى شئ تعبدونه (أنفكاً آلهة دون الله تريدون) ١٤٩ * أى تريدون آلهة من دون الله أفنكأى الالفك تقدم المفعول على

الفعل للعناية ثم المفعول له على المفعول به لان الالهة مكافئهم بأنهم على أدك وباطل في شمسهم وهو يجوز أن يكون افكاً مفعولاً به بمعنى أتريدون افكاًكم يفسر الالفك بقوله آلهة من دون الله دلالة على أنها افك في نفسها لليلة أو يراد بها عبادتهم بخذف المضاف ويجوز أن يكون حالاً بمعنى أوكين (فاظنكم رب العالمين) أى بمن هو حقيق بالعبادة لكونه رباً للعالمين حتى تركتم عبادته خاصة وأشركتم به أحسن مخلوقاته فوظنكم به أى شئ هو من الأشياء حتى جعلتم الاصنام له أنداداً أو فظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعا فبكم بعد ما فعلتم ما فعلتم من الاشراك به (فتنظر نظرة في النجوم) قيل كانت له عليه الصلاة والسلام حيل لهاوية معينة في بعض ساعات الليل فتنظر ليعرف هل هي تلك الساعة فإذا

قيل فامعنى قوله في العالمين قلنا معناه الدعاء بثبوت هذه الحجة فيهم جميعاً أى لا يخلو أحد منهم منها قيل أثبت الله التسليم على نوح وأداه في الملائكة والقبليين فيسألون عليه بكليتهم ثم انه تعالى لما شرح تفاصيل انعامه عليه قال انا كذلك نجبري المحسنين والمعنى انا انما خصصنا نوحاً عليه السلام بتلك النشريات الرفيعة من جعل الدنيا ملوأة من ذريته ومن تبقية ذكره الحسن في السنة جميع العالمين لاجل انه كان محسناً ثم علل كونه محسناً بأنه كان عبداً لله مؤمناً والمقصود منه بيان ان أعظم الدرجات وأشرف المقامات الايمان بالله والانقياد لمطاعته (انقصة الثانية) اقصداً ابراهيم عليه السلام * قوله تعالى (وان شيعته ابراهيم اذا جاءه به بقلب سليم اذ قال لا اله الا الله وقومه ماذا تعبدون أنفكاً آلهة دون الله تريدون) فاظنكم رب العالمين فتنظر نظرة في النجوم فقال انى سقيم فتولوا عنه مدبرين فراغوا ان الله بهم فقال انا لا تكون مالكم لا تنطقون فراغوا عنهم ضرباً باليمين فاقبلوا اليه يزفون) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) الضمير في قوله من شيعته الى ماذا يعود وقد قولان (الاول) وهو الاظهر انه عائداً الى نوح عليه السلام أى من شيعته نوح أى من أهل بيته وعلى دينه ومن هاجد لابراهيم قالوا وما كان بين نوح وابراهيم الا انبئان هو ودوا صاوح وروى صاحب الكشاف انه كان بين نوح وابراهيم ألفان وستائة وأربعون سنة (الثاني) قال الكلبي المراد من شيعته محمد لا ابراهيم بمعنى انه كان على دينه ومن هاجد فهو من شيعته وان كان سابقاً له والاول اظهر لانه تقدم ذكر نوح عليه السلام ولم يتقدم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فعوداً للضمية الى نوح اول (المسئلة الثانية) العامل في اذما دل عليه قوله وان من شيعته من معنى الشايعة يعنى وان من شايعة على دينه وتقواه حين جاء ربه بقلب سليم لابراهيم أمأ قوله اذا جاءه به بقلب سليم ففقه مسائل (المسئلة الاولى) في قوله بقلب سليم قولان (الاول) قال مقاتل والكلبي يعنى خاص من الشرك والمعنى انه سلم من الشرك فلم يشرك بالله (والثاني) قال الازد وبنو المراد ان عاش ومات على طهارة القلب من كل دنس من المعاصي فيدخل فيه كونه سليماً عن الشرك وعن الشرك وعن الغل والغش والحقد والحسد عن ابن عباس انه كان يحب للناس ما يحب لنفسه وسلم جميع الناس من غشم وظلمه وأسلم الله تعالى فإبعدل به أحد واخرج الناهبون الى القول الاول بانه تعالى ذكر بعد هذه الكلمة انكاره على قومه الشرك بالله وهو قوله اذ قال لا اله الا الله وقومه ماذا تعبدون واخرج الناهبون الى القول الثاني بأن اللفظ مطلق فلا يقيد بصفة دون صفة ويتأ كدهذا بقوله تعالى ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكننا عابدين مع انه تعالى قال الله أعلم حيث يجعل رسالته وقال وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين فان قيل مامعنى المحيى بقلبه به قلنا معناه انه اخلص لله قلبه فكانه انحف حضرة الله بذلك القلب ورايت في التوراة ان الله قال لموسى أجب الهك بكل قلبك واعلم انه تعالى لما ذكر ان ابراهيم جاءه بقلب سليم ذكر ان من جملة آثار تلك السلامة ان دعا

هي قد حضرت (فقال انى سقيم) وكان صادقا في ذلك فجعله عذراً في تخلفه عن عيدهم وقيل أراد انى سقيم القلب تكفر كقول نظري عليها أوفى كتبها أوفى أحكامها ولا يمنع من ذلك حيث كان قصده عليه الصلاة والسلام ايجامهم حين أرادوا أن يخرجوا به عليه الصلاة والسلام الى معيدهم ليركوه فان القوم كانوا انجاسين فأومهم أنه قد استدل بآماره

في علم النجوم على انه سقيم أي مشارف السقم وهو الطاعون وكان اغلب اسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ليعتبروا عنه فظهر بواضته الى معيديهم وتركوه في بيت الاصنام وذلك قوله تعالى (فقلوا عنه مذبذب) أي هار بين تخافة العدوى (فراغ الى آلهتهم) أي ذهب اليها في خفية وأصله الميل بحيلة (فقال) ﴿١٥٠﴾ للاصنام استهزاء (ألا تأكلون)

أي من الطعام الذي كانوا يصنعونه عندها لتبرك عليه (مالككم لا تطقون) أي يجاوب (فراغ عليهم) فقال مستعابا عليهم وقوله تعالى (ضر يا أيها الذين آمنون) مصدر مؤكدا لراغ عليهم فانه يعني ضرهم أو فعل مضارع هو حال من فاعله أي فراغ عليهم بضرهم ضاربا وهو الحبل منه على أنه مصدر بمعنى الفاعل أي فراغ عليهم ضاربا باليمين أي ضرب باليد اليمنى فوباء ذلك لأن اليمين أقوى الجوارحين وأشدّها قوة والآلة تقضي قوة الفعل وشدة وقيل بالقوة والمناطة كأي قوله اذا ماراة رفعت لجد تلقاها عرابه باليمين أي بالقوة وعلى ذلك مدار تسمية الحلف باليمين لانه يقوى الكلام ويؤكد وقيل بسبب الحلف وهو قوله تعالى وتأله لا يكذبن أصنامكم (فأقبلوا اليه) أي المأمورون باحضاره

أباه وقومه الى التوحيد فقال اذقل لايه وقومه ماذا تعبدون والمقصود من هذا الكلام تبيين تلك الطريقة وتبيينها ثم قال أنفكا آلهة دون الله تريدون قال صاحب الكشف أنفكا مفعول له تقديره أتريدون آلهة من دونه أفكنا وإنما قدم المفعول على الفعل للناية وقدم المفعول له على المفعول به لانه كان الهم عنده أن يقرر عندهم بأنهم على أفك وباطل في شركهم ويجوز أن يكون أفكنا مفعول به يعني أتريدون أفكنا فسر لافك بقوله آلهة دون الله على أنها أفك في أنفسها ويجوز أن يكون حالا بمعنى أتريدون آلهة من دون الله آفكين ثم قال فاعظكم رب العالمين وفيه وجهان (أحدهما) أنظنون رب العالمين انه يجوز جعل هذه الجمادات مشاركة في العبودية (وثانيها) أنظنون رب العالمين انه من جنس هذه الأجسام حتى جعلته وهما مساوية في العبودية فتبهم بذلك على انه ليس كذلك شي ثم قال فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم عن ابن عباس انهم كانوا يعاطون علم النجوم فعلمهم على مقتضى عادتهم وذلك انه أراد أن يكادهم في أصنامهم ليلزمهم الحجة في أنها غير معبودة وكان لهم من العديوم عبيد يخرجون اليه فأراد أن يخفف عنهم لينبئ خالبا في بيت الاصنام فيقدر على كسرهما وهما سواء (الاول) ان النظر في علم النجوم غير جائز فكيف أقدم عليه ابراهيم (والثاني) انه عليه السلام ما كان سقيما فلما قال اني سقيم كان ذلك كذبا واعلم أن العلماء ذكروا في الجواب عنهما وجوها كثيرة (الاول) انه نظر نظرة في النجوم في أوقات الليل والنهار وكانت تأتيه سقامة كالجمي في بعض ساعات الليل والنهار فنظر ليعرف هل هي في تلك الساعة وقال اني سقيم فجعله عذرا في تخلفه عن العيد الذي اقيم وكان صادقا فيما قال لان السقيم كان يأتيه في ذلك الوقت وإنما تخلف لاجل كسر أصنامهم (الوجه الثاني) في الجواب أن قوم ابراهيم عليه السلام كانوا أصحاب النجوم بعضهم كانوا يقضون بساعة على غائب الامور فذلك نظر ابراهيم في النجوم أي في علوم النجوم وفي معانيه لانه نظر بعينه اليها وهو كما يقال فلان نظر في الفقه وفي النحو وإنما أراد أن يوبههم انه يعلم ما يعلمون ويتعرف من حيث يتعرفون حتى اذقال اني سقيم سكنوا الى قوله وأما قوله اني سقيم فعنه ساقم كقوله انك ميت أي سموت (الوجه الثالث) أن قوته فنظر نظرة في النجوم هو قوله تعالى فلما جن عليه الليل رأى كوكبا الى آخر الآيات وكان ذلك النظر لاجل أن يتعرف أحوال هذه النكواب هل هي قديمة أم محدثة وقوله اني سقيم يعني سقيم القلب غير عارف برى وكل ذلك قبل البلوغ (الوجه الرابع) قال ابن زيد كان له نجم مخصوص وكلما طلع على صفة مخصوصة مرض ابراهيم ولاحظ هذا الاستقراء لما رآه في ذلك الوقت طالعاً على تلك الصفة المخصوصة قال اني سقيم أي هذا السقم واقع للاحالة (الوجه الخامس) أن قوله اني سقيم أي مريض القلب بسبب اطباق ذلك الجمع العظيم على الكفر والشرك قال تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم اعلك يا خعم نفسك (الوجه السادس) في الجواب اننا لنسلم أن النظر في

عليه الصلاة والسلام بهد ما رجوا من عيدهم الى بيت الاصنام فوجدوها مسورة فسالوا عن الفاعل ﴿١٥١﴾ علم فظنوا أنه عليه الصلاة والسلام فعلة فأتوا به (يزفون) حال من وأوا فقلوا أي يسرعون من زيف التعام وقرئ يزفون من أرف اذا دخل في الزيف أو من أرفه أي حمله على الزيف أي يرف بعضهم بعضا يزفون

على البناء للمفعول أي يحملون على الزئيف ويزفون من وزف يزف إذا أسرع ويزفون من زفاه إذا حذاه كأن بعضهم يزفون بعضا تسارعهم اليه عليه الصلاة والسلام (قال) أي بعدما أتوا به عليه الصلاة والسلام وجرى بينه صلى الله عليه وسلم وبينهم من المحاورات ما نطق به ﴿ ١٥١ ﴾ قوله تعالى قالوا أنت فعلت هذا يا إبراهيم أتبعنا ما هؤلاء

علم التجوم والاستدلال بمقايستها حرام لأن من اعتقد أن الله تعالى خص كل واحد من هذه الكواكب بقوة وبخاصية لاجلها يظهر منه أثر مخصوص فهذا العلم على هذا الوجه ليس باطل. وأما الكذب فغير لازم لأنه ذكر قوله أني سقيم على سبيل التريض بمعنى أن الإنسان لا ينفك في أكثر أحواله عن حصول حالة مكروهة إما في بدنه وإما في قلبه وكل ذلك سقم (الوجه السابع) قال بعضهم ذلك القول عن إبراهيم عليه السلام كذب ووردوا فيه حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما كذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات قلت لبعضهم هذا الحديث لا ينبغي أن يقبل لأن نسبة الكذب إلى إبراهيم لا يجوز فقال ذلك الرجل فكيف يحكم بكذب الرواة العدول قلت لما وقع التعارض بين نسبة الكذب إلى الراوي وبين نسبته إلى الخليل عليه السلام كان المعلوم بالضرورة أن نسبته إلى الراوي أولى ثم نقول لم يجوز أن يكون المراد بكونه كذبا خبرا شبيها بالكذب (والوجه الثامن) أن المراد من قوله فتنظر نظرة في التجوم أي نظر في نجوم كلامهم ومتفرقات أقوالهم فإن الأشياء التي تحدث قطعة قطعة يقال إنها نتيجة أي متفرقة ومنه نجوم الكناية والمعنى أنه لما سمع كلامهم المتفرقة نظر فيها حتى يستخرج منها حيلة يقدر بها على إقامة عدل لنفسه في التخلف عنهم فلم يجد عدرا أحسن من قوله أني سقيم والمراد أنه لا بد من أن أصير سقيما كما تقول لمن رأيته على أوقات السفر أنك مسافر واعلم أن إبراهيم عليه السلام لما قال أني سقيم تولوا عنه معرضين فتركوه وعذروه في أن لا يخرج اليوم فكان ذلك مراده فراغ إلى آلهتهم يقال راغ إليه إذا مال إليه في السرعة على سبيل الخفية ومنه روغان الثلب وقوله ألا تأكلون يعني الطعام الذي كان بين أيديهم وإنما قال ذلك استهزاء بها وكذا قوله ما لكم لا تطعمون فراغ عليهم ضربا فاقبل عليهم مستخفيا كأنه قال فضر بهم ضربا لأن راغ عليهم في معنى ضر بهم أو فراغ عليهم ضربا بمعنى ضاربا * وفي قوله اليين قولان (الأول) معناه بالقوة والشدة لأن اليين أقوى الجارحين (والثاني) أنه أنى بذلك الفعل بسبب الخلف وهو قوله تعالى عنه وتالله لا أكيدن أصنامكم ثم قال فاقبلوا إليه يزفون قرأ حزة يزفون بضم الباء والباقون بفتحها وهما اعتان قال ابن عرفة من قرأ بالنصب فهو من زف يزف ومن قرأ بالنصب فهو من أزف يزف قال الزجاج يزفون يسرعون وأصله من زفيف النعامة وهو ابتداء عدوها وقرأ حزة يزفون أي يحملون غيرهم على الزئيف قال الأصمعي يقال أزفت الأبل إذا حلتها على أن ترف قال وهو سرعة الخطو ومقابلة المشي والمفعول محذوف على قراءته كأنهم حلوا دوابهم على الأسراع في المشي فإن قيل مقتضى هذه الآية أن إبراهيم عليه السلام لما كسرها عبدوا إليه واخذوه وقال في سورة أخرى في عين هذه القصة قالوا من فعل هذا يا آلهتنا انه ابن الظالمين قالوا سمعنا في يد كرههم يقال له إبراهيم وهذا يقتضى انهم في أول الأمر ما عرفوه فبين هاتين الآيتين تناقض قلنا لا يبعد أن يقال إن جماعة عرفوه فدعوا إليه مسرعين والا كثرون ما عرفوه فتعرفوا أن ذلك

تعالى لقد علمت ما هؤلاء
يتطفون (أنبيدون
ماتحون) ماتحونه
من الأصنام وقوله تعالى
والله خلقكم مما تعلمون
حال من فاعل تعبodon
مؤكدة لا تنكاروا الله شيخ
أمر والملك أنه تعالى
خلقكم وخلق مما تعلمونه
فان جواهر أصنامهم
ومادتها بخلقها تعالى
وشكها وان كان بعد لهم
لكنه باقاره تعالى إياهم
عليه وخلق ما يتوقف
عليه فعلهم من الدواعي
والعدد والأسباب وما
تعملون اما عبارة عن
الأصنام فوضعه موضعه
صغيرا تحتون لا يذنان
بأن مخلوقاته الله عز وجل
ليس من حيث نختهم
لهما فقط بل من حيث
سائر أعمالهم أيضا من
التصوير والتحلية
والترزين ونحوها وما
على عمومها فينتظم الأصنام
انتظاما أوليا مع ما في
من تحقيق الحق ببيان
أن جميع ما يعملونه كأ
ما كان مخلوقا له سبحانه
وقيل ما مصدرية أن
عليكم على أنه بـ

المفعول وقيل بمعناه فان فعلهم إذا كان بخلق الله تعالى كان مفعولهم المتوقف على فعلهم أولى بذلك (قالوا ابنو بنينا فالقوة في الجحيم) أي في النار الشديدة الاتقاد من الحجمة

وهي شدة التاج واللام عوض من المضاف اليه أي حيم ذلك النيان وقد ذكر كيفية بنائهم له في سورة الانبياء (فارادوا به كيدا) فانه عليه الصلاة والسلام لما قهرهم بالحجة وألهمهم الحجة فصدوا ما قصدوا واللائطه ر للامة عجزهم (فجعلنا هم الاسفلين) الاذلين باطال كيدهم وجملة برهاننا على علو ١٥٢ هـ شأنه عليه الصلاة والسلام بجعل النار

عليه برادوسلاما (وقال اني ذاهب الى ربّي) أي مهاجر الى حيث أمرني ربي كما قال اني مهاجر الى ربي وهو الشام أو الى حيث أتجد فيه لعبادته تعالى (سهيدين) أي الى ما في صلاح ديني أو الى من تصدىق وبت القول بذلك لسبق الوعد او فرط توكده أو البناء على عاقبة تعالى معه ولم يكن كذلك حال موسى عليه السلام حيث قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل ولفظ أني بصيغة التوقع (رب هب لي من الصالحين) أي بعض الصالحين يعني على الدعوة والطاعة ويؤنسني في الغربة يعني الولد لان لفظ الهبة على الاطلاق خاص به وان كان قد ورد مقيدا بالاخوة في قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا لقوله تعالى (فبشرناه بالام حليم) فانه صريح في أن المبشر به عين ما استو به عليه الصلاة والسلام ولقد جمع فيه بشارات ثلاث

الكاسر من هو والله أعلم * قوله تعالى (قال أتعبدون ما تبحنون والله خلكم وما تعملون قالوا ابناؤه بئسنا ما قوه في الحيم فارادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين رب هب لي من الصالحين فبشرناه بفلام حليم) وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم أن اقوم لما عاتبوا ابراهيم على كسر الاصنام فهم وأيضاً ذكر لهم الدلائل الدال على فساد المصير الى عبادتها فقال أتعبدون ما تبحنون والله خلكم وما تعملون ووجد الاستدلال ظاهراً وهو ان الخشب والحجر قبل التحت والاصلاح ما كان معبود للانسان البتة فاذا تحته وشكاه على الوجه المخصوص لم يتحدث فيه الا آثار تصرفه فلو صار معبوداً عند ذلك لكان معناه ان الشيء الذي ما كان معبوداً لما حصلت آثار تصرفاته فيه صار معبوداً عند ذلك وفساد ذلك معلوم بيدهم العقل (المسئلة الثانية) اخرج جهود الاصحاب بقوله والله خلكم وما تعملون على أن قل العبد مخلوق لله تعالى فقالوا الخويون اغفوا على أن لفظ مامع مابعد في تقدير المصدر فتوله وما تعملون معناه وعينكم وعلى هذا التقدير صار معنى الآية والله خلقكم وخلق علكم فان قيل هذه الآية محجة عليكم من وجوه (الاول) انه تعالى قال أتعبدون ما تبحنون اصناف العبادات والتحت اليهم اضافاً للفعل الى الفاعل ولو كان ذلك واقفاً بتخنيق الله لاستحالة كونه فعلاً للعبد (الثاني) انه تعالى اتماماً كرهذه الآية تو يخالفهم على عبادة الاصنام لانه تعالى بين انه خالقهم وخالق تلك الاصنام والخالق هو المستحق للعبادة دون المخلوق فلما تركوا عبادة سبحانه وهو خالقهم وعبدوا الاصنام لاجرم انه سبحانه وتعالى وبخهم على هذا الخطا العظيم فقال أتعبدون ما تبحنون والله خلكم وما تعملون ولو لم يكونوا فاعلين لافعالهم لما جاز تو يخفهم عليها سلتنا أن هذه الآية ليست بحجة عليكم لكن لانفسنا انها حجة لكم قوله لفظه مامع مابعد في تقدير المصدر قلنا هذا ممنوع وبيانه أن سيدي به والاختفش اختلغاني أنه لم يجوز أن يقال أعجبتني ماقت أي قيامك بفوزه سيدي به ومنه الاختفش وزعم أن هذا لا يجوز الا في الفعل المتعدي وذلك يدل على أن مامع مابعد في تقدير المفعول عند الاختفش سلتنا أن ذلك قد يكون بمعنى المصدر لكنه أيضاً قد يكون بمعنى المفعول ويدل عليه وجوه (الاول) قوله أتعبدون ما تبحنون والمراد بقوله ما تبحنون المنحوت لا التحت لانهم ماعبدوا التحت وانما عبدوا المنحوت فوجب أن يكون المراد بقوله ما تعملون المفعول لا العمل حتى يكون كل واحد من هذين اللفظين على وفق الآخر (والثاني) انه تعالى قال فاذا هي تلقف مايا فكون وليس المراد انها تلقف نفس الافك بل أراد العصي والحبال التي هي متعلقات ذلك الافك فكذلكها هنا (الثالث) أن العرب تسمى محل العمل علان قال في الباب والحاتم هذا عمل فلان والمراد محل عمله فثبت بهذه الوجوه الثلاثة أن لفظه مامع مابعد في كاتجبي بمعنى المصدر بة فقد تجبي أيضاً بمعنى المفعول فكان حله ههنا على المفعول أولى لان المقصود في هذه الآية تزييف مذهبه في

بشارة أنه ضالم وأنه يبلغ أو ان الحلم وأنه يكون حليماً أو أي حليماً عادل حله عليه الصلاة والسلام حين عرض عليه عبادته أبو الذبح فقال يا بئت اقل ما أتوسل من سجدتي ان شاء الله من الصابرين وقبل ما نعت الله الانبياء عليهم الصلاة والسلام بأقل مما نعتهم بالحلم العزة وجوده غير ابراهيم وابنه فانه تعالى نعتهم به وسالهما المحكية بعد اعدل بينة بذلك والفا في قوله تعالى

(فلما بلغ معه السعي) فصبيحة معربة عن مقدار ١٥٣ قد حذف تعويلا على شهادة الحال وايدانا بعد الحاجة

الى التصريح بالاستحالة
المنخفف والتأخر بعد
البشارة كما مر في قوله
تعالى فلما رأى أنه أكبره
وفي قوله تعالى فلما رأى
مستقرا عند ماى فوهبناه له
فنشأ فلما بلغ رتبة أن يسبح
معه في أشغاله وحوادثه
ومعه متعلق بمحذوف
يبنى عنه السعي لا بنفسه
لان صلة المصدر لا تقدمه
ولا يبلغ لان بلوغها
لم يكن معاكرا لما ذكر
السعي قيل مع من قيل
معه وتخصيصه لان
الابأكل في الرفق
والاستصلاح فلا
يستعيبه قيل أوانه
أولانه استوهبه لذلك
وكان له يومئذ ثلاث
عشرة سنة (قال) أى
ابراهيم عليه السلام
(يابنى انى فى المنام
انى أذبحك) أى ارى
هذه الصورة بعينها
أوما هذه عبارته وتأويلها
وقيل انه رأى ليلة
التوبة كأنه قال يقول
ان الله يأمرك بالذي ابتك
هذا فلما أصبح روى
في ذلك من الصباح الى
الرواح أمن الله هذا

عبادة الاصنام لايمان انهم لا يوجدون افعال أنفسهم لان الذى جرى ذكره في اول
الآية الى هذا الموضع هو مسألة عبادة الاصنام لا خلق الاعمال واعلم أن هذه السؤالات
قوية وفي دلالتها كثرة فالاولى ترك الاستدلال بهذه الآية والله أعلم واعلم أن ابراهيم عليه
السلام لما أورد عليهم هذه الحجة القوية ولم يقدروا على الجواب عاينوا الى طريق الايداء
فقالوا ابناؤه ببيان واعلم أن كيفية ذلك البناء لا يدل عليه اللفظ القرآن قال ابن عباس
بنو حاطم بن جبر طوله في السماء ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وملؤه نارا
فطرحوه فيها وذلك هو قوله تعالى فألقوه في الجحيم وهى النار العظيمة قال الزجاج كل نار
بعضها فوق بعض فهى جحيم والالف واللام في الجحيم يدل على النهاية والمعنى في جميعه أى
في جحيم ذلك البنيان ثم قال تعالى فأرادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين والمعنى ان في وقت
الحاجة حصلت الغلبة وعند ما ألقوه في النار صرف الله عنه ضرر النار فصار هو
الغالب عليهم واعلم انه لما انقضت هذه الواقعة قال ابراهيم انى ذاهب الى ربى سيهدين
ونظير هذه الآية قوله تعالى وقال انى مهاجر الى ربى وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ادلت
هذه الآية على أن الموضع الذى تكبر فيه الاعداء يجب مهاجرته وذلك لان ابراهيم
صلوات الله عليه وسلامه مع ان الله سبحانه خصه بأعظم أنواع النصرة لما أحس منهم
بالعداوة الشديدة هاجر من تلك الديار فلان يجب ذلك على الغير كل أولى (المسئلة الثانية)
في قوله انى ذاهب الى ربى قولان (الاول) المراد منه مفارقة تلك الديار والمعنى انى ذاهب
الى مواضع دين ربى (والقول الثانى) قال الكلبي ذاهب بعبادتي الى ربى فدل القول
الاول المراد بالذهاب الى الرب هو الهجرة من الديار وبه اقتدى موسى حيث قال كلا ان
معى ربى سيهدين وعلى القول الثانى المراد رعاية أحوال اقلوب وهوان لا يأتى شئ من
الاعمال الا الله تعالى كما قال وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض قيل ان القول
الاول أولى لان المقصود من هذه الآية يبار مهاجرته الى أرض الشام وأيضا يمدح له
على الهداية في الدين لانه كان على الدين في ذلك الوقت الآن يحمل ذلك على الثبات عليه
أو يحمل ذلك على الاهتداء الى الدرجات العالية والمراتب الرفعة في أمر الدين (المسئلة
الثالثة) قوله سيهدين يدل على ان الهداية لا تحصل الا من الله تعالى كما يقول أصحابنا ولا
يمكن حل هذه الهداية على وضع الأدلة وإزاحة الاعتذار لان كل ذلك قد حصل في الزمان
الماضى وقوله سيهدين يدل على اختصاص تلك الهداية بالمستقبل فوجب حل الهداية
في هذه الآية على تحصيل العلم والمعرفة في قلبه فان قيل ابراهيم عليه السلام جزم في هذه
الآية بأنه تعالى سيهديه وان موسى عليه السلام لم يجزم به بل قال عسى ربى أن يهدينى
سواء السبيل فما الفرق قلنا العبد اذا تجمل له مقامات رحة الله فقد يجزم بحصول المقصود
واذا تجمل له مقامات كونه غنيا عن العالمين فحينئذ يستحق نفسه فلا يجزم بل لا يظهر
الالراجاء والطمع (المسئلة الرابعة) قوله تعالى انى ذاهب الى ربى يدل على فساد تسك

أمن الشيطان في نمة سعى يوم التوبة فلما ٢٠ سا أمسى رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله تعالى
فمن نمة سعى يوم عرفة ثم

رأى مثله في الليلة الثالثة فهم بخره فسمى اليوم يوم الخمر * ١٥٤ * وقبل ان الملائكة حين بشرته بغلام حلیم

المشبهة بقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب لان كلمة الى موجودة في قوله اني ذاهب الى
ر في مع الغلام لئلا يكون الاله موجودا في ذلك المكان فكذلك ههنا واعلم انه صلوات
الله عليه لما هاجر الى الارض المقدسة اراد ان ولد فقال هب لي من الصالحين أي هب لي
بعض الصالحين يريد ان ولد لان لفظ الهذا غلب في الولدان كان قد جاء في انخ في قوله
تعالى ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا وقال تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب ووهبنا
له يحيى وقال على بن ابي طالب لابن عباس رضي الله عنهم حين هبوا له ولد على ابي الاملاك
شكرت الوهاب وبورك لك في الوعوب والذاك وقعت التسمية بهبة لله تعالى وبهبة
الوهاب وبهوب ووهب واعلم ان هذا الدعاء اشهر على ثلاث اشياء هي ان الولد
غلام ذكر وانه يبلغ الحلم وانه يكون حلما وأي حلم يكون أعظم من ولد حين عرض
عليه أبو السرح قال سمعتني ان شاء الله بن الصابر بن ثم استسلم لذلك وأيضا ما ن ابراهيم
عليه السلام كان موصوفا بالحلم قال تعالى ان ابراهيم لاواه حلیم ان ابراهيم
حلیم اواه متب فيبن اواده موصوف بالحلم وانه قائم مقامه في صفات الشرف والفضيلة
واعلم ان الصلاح افضل الصفات بدليل ان الخليل عليه السلام طلب الصلاح لنفسه
فقال رب هب لي حكما وأخفني بالصالحين وطلبه الواسع قال هب لي من الصالحين وطلبه
سليمان عليه السلام بعد كان درجته في الدين والدنيا وأدخلني برحمتك في عبادك
الصالحين وذلك يدل على ان الصلاح اشرف مقامات العباد * قوله تعالى فلما بلغ معه السعي
قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابي اتق الله ما تؤمر سجدني
ان شاء الله من الصابرين فلما اسما واثله للجبين ونادياه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا
كذلك تجري المحسنين ان هذا هو البلاء المبين وفديته بذبح عظيم وتركتنا عليه في الآخرة
سلام على ابراهيم كذلك تجري المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه باسحق نبيا من
الصالحين وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين واعلم انه
سجدته وتعالى لما قال فبشرناه بغلام حلیم أتبعه بما يدل على حصول ما بشر به وبلوغه فقال
فلما بلغ معه السعي ومعناه فلما أدرك وبلغ الحد الذي يقدر فيه على السعي وقوله معه في
موضع الحال والتقدير كأننا معه والقائدة في اعتبار هذا المعنى أن الاب ارفق الناس
بالولد وغيره بما عطف به في الاستسعاء فلا يَحتمل له لانه لم تستحكم قوته قال بعضهم كان في
ذلك الوقت ابن ثلاث عشرة سنة والمقصود من هذا الكلام ان الله تعالى لما وعده في الآية
الاولى بكون ذلك الغلام حلما بين في هذه الآية ما يدل على كمال علمه وذلك لانه كان به من
كمال الحلم وفيمنحة الصدر ما قواه على احتمال تلك البلية العظيمة والاتبان بذلك الجواب
الحسن اما قوله اني ارى في المنام اني اذبحك ففيه مسائل (المسئلة الاولى) في تفسير هذه
اللفظة وجهان (الاول) قال السدي كان ابراهيم حين بشر باسحق قبل ان يولده قال
هو اذن لله ذبيح فذبح لابراهيم وقد نذر نذرا فف بذرك فلما أصبح قال يا بني اني ارى في

قال اذن هو ذبيح الله
فلما ولد وبلغ حد السعي
معه فذبحه ابي بذرك
* والظاهر الاشهر ان
المخاطب اسحق عليه
السلام اذ هو الذي وهب
أثر المهاجرة ولان ابشاره
باسحق بعده معطوف
على البشارة بهذا الغلام
وقوله عليه الصلاة
والسلام انا بن الدايحين
فأحدهما مجاز اسحق
عليه السلام والاخر ايوه
عبد الله فان عبد المطلب
نذر ان يذبح واسم النمل
الله تعالى حفر بئر زمزم
أو بلغ بنوه عشرة فلما
حصل ذلك وخرج
السهم على عبد الله فذاه
بخاتمة من الابل ولذلك
سنت الديمة مائة ولان
ذلك كان بركة وكان
قرنا الكباش معلقين
بالكمة حتى احترقوا في
أيام ابن الزبير ولم يكن
اسحق ثمة ولان بشارة
اسحق كانت مقرونة
بولادة يعقوب منه فلا
يناسبه الامر بذبحه
مراحمقا وما روى انه عليه
الصلاة والسلام مثل ابي
النسب اشرف فقال

يوسف صديق الله ابن يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله * التسام *

فأصبح أنه عليه الصلاة

والسلام قال يوسف بن يعقوب بن ١٥٥ * اسحق بن ابراهيم والزوائد من الراوى وما روى من أن

يعقوب كتب الى يوسف
مثل ذلك لم يثبت وقرئ
ان يفتح الياء فيهما
(فانظر ماذا ترى) من
الرأى وانما شاوره فيه
وهو أمر محتوم ليعلم
ما عنده فيما نزل من بلا الله
تعالى فثبت قدمه
ان جزع وبامن عليه
ان سلم وابوطن نفسه عليه
فيهون ويكتب
المثوبة عليه بالانقياد له
قبل زوله وقرئ ماذا
ترى يضم آتاء وكسر
الراء ويضمها مبنيا
للمفعول (قال يا بأتا فعل
ما تؤمر) أى تؤمر به
فخفف الجار أولا على
الشاعرة المطردة ثم
خفف العائد الى الموصول
بعد انعلا به منصوبا
بالفعل الى الفعل أوحدا
دفعه أو أفعل أمر ك على
اضافة المصدر الى
المفعول وتسمية المأمور به
أمر أو قرئ ما تؤمر به
وصيغة المضارع للدلالة
على أن الأمر متعلق به
متوجه اليه مستر الى حين
الاستئصال به (سجدنى
ان شاء الله من الصابر بن)
على الذبح أو على قضاء الله

المنام الى اذبحك وروى من طريق آخر انه رأى الله التروية في منامه كأنه يقول له
ان الله بأمرك بذبح ابنك هذا فلما أصبح يرى في ذلك من الصباح الى الرواح امن الله هذا
الحلم أم من الشيطان فمن سعى يوم التروية فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف انه من الله
فسمى يوم عرفة ثم رأى مثله في الليلة الثالثة فهم بخبره فسمى يوم النحر فهذا هو قول أهل
التفسير وهو يدل على أنه رأى في المنام ما يوجب أن يذبح ابنه في اليقظة وعلى هذا فقد دبر
اللفظانى أرى في المنام ما يوجب أن اذبحك (واقول الثانى) انه رأى في المنام انه يذبحه
ورؤى بالانبياء عليهم السلام من باب الوحي وعلى هذا القول فالرئى في المنام ليس الا انه
يذبح قال قيل اما أن يقال انه ثبت بالدليل عند الانبياء عليهم السلام ان كل مارأى في
المنام فهو حق حجة أو ما ثبت ذلك بالدليل عندهم فان كان الاول فمراجع الولد في هذه
الواقعة بل كان من الواجب عليه أن يشتغل بتحصيل ذلك الأمور وان لا يرجع الولد
فيه وان لا يقول له فانظر ماذا ترى وان لا يوقف العمل على أن يقول له الولد فعل ما تؤمر
وأبضا فقد قلتم انه في اليوم الاول متفكرا وارثبت عنده بالدليل ان كل مارأى في
النوم فهو حق لم يكن الى هذا التعوى والتفكر حاجة وان كان الثانى وهو انه لم يثبت
بالدليل عندهم ان ما يروونه في المنام حق فكيف يجوز له أن يقدم على ذبح لك الطفل
بغير درؤى لم يدل الدليل على كونها حجة (والجواب) لا يعد أن يقال انه كان عند الرويا
متزدا فيه ثم تأكدت الرويا بالوحي الصريح والله أعلم (المسئلة الثانية) اختانوا في ان
هذا الذبيح من هو قيل انه اسحق وهذا قول عمرو بن العباس بن عبد المطلب وابن
مسعود كتب الاخبار وقتادة وسعيد بن جبيرة ومسروق وعكرمة والزهرى والسدى
ومقاتل رضى الله عنهم وقيل انه اسمعيل وهو دول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن
السبيب والحسن والشعبي ومجاهد والكلبي واحتج القائلون بأنه اسمعيل بوجه
(الاول) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنا نبيكم وقال له أسراى بالانبياء
فيسمى مثل عن ذلك فقال ان عبد المطلب لما حفر بئر من بئر الله شرب الله له أسره
ليذبح أحولده فخرج السهم على عبد الله ففعل أحواله وقأواله افتدبك بائة من
الابل ففداء بمائة من الابل والذبيح الثانى اسمعيل (الحجة الثانية) نقل عن الأصمعي انه
قال سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا أصمعي أين عقلك وسى كان اسحق بكمة
وانما كان اسمعيل بكمة والذي بنى البيت مع أبيه والمتجر بكمة (الحجة الثالثة) ان الله
تعالى وصف اسمعيل بالصبر دون اسحق في قوله واسمعيل والبسم وذا الكفل كل من
الصابر بن وهو صبره على الذبح وصفه أيضا بصدق الوعد في قوله انه كان صادق الوعد
لانه وعد أباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى به (الحجة الرابعة) قوله تعالى فبشرنا بها اسحق
ومن وراء اسحق يعقوب فتقول لو كان الذبيح اسحق لكان الأمر بذبحه اما أن يقع
قبل ظهور يعقوب منه أو بعد ذلك (فالاول) باطل لانه تعالى لما بشرها باسمعيل وبشرها

تعالى (فلما أسيا) أى استسلا لامر الله تعالى وانقادا وخضعا له يقال سلم الامر لله وأسلم

واستسلم بمعنى واحد وقد قرئ بهن جميعاً وأصلها ﴿ ١٥٦ ﴾ من قولك سلم هذا الغلان إذا خالص له ومعناه

سلم من أن ينزع فيه وقولهم سلم لأمر الله وأسلم له منقولان منه ومعناها خالص نفسه لله وجعلها سالمة له وكذلك معنى استسلم استخلص نفسه له تعالى وعن قتادة رضي الله عنه في أسلم أسلم إبراهيم ابنه واسمعه لنفسه (وله للجهنم) صرعه على شقذ فوق جبينه على الأرض وهو أحد جانبي الجبهة وقيل كبه على وجهه بإشارته كيلا يرى منه ما يورث رقعة تحول بينه وبين أمر الله تعالى وكل ذلك عند الصخرة من منى وقبل في الموضع المشرف على مسجد منى وقيل في النحر الذي ينحرم اليوم فيه (ونادينه أن يا إبراهيم قد صدقت الرويا) بالعزم على الاتيان بالأمور به وترتيب مقدماته وروى أنه أمر السكين بقوته على حلقه مراراً فلم يقطع ثم وضع السكين على فقهه فانقلب السكين فعند ذلك وقع النداء وجواب لما منحوف

معه بأنه يحصل منه يعقوب قبل ظهور يعقوب منه لم يجز الأمر بذبحه والاحصل الخلف في قوله ومن وراء اسحق يعقوب (والثاني) باطل لأن قوله فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني أرى في المنام أني أذبحك يدل على أن ذلك الابن لما قدر على السعي ووصل الى حد القدرة على الفعل أمر الله تعالى إبراهيم بذبحه وذلك بنا في وقوع هذه القصة في زمان آخر ثبت أنه لا يجوز أن يكون الذبيح هو اسحق (الحجة الخامسة) حكى الله تعالى عنه أنه قال اني ذاهب الى ربي سيهدين ثم طلب من الله تعالى ولذا استأنس به في غربته فقال رب هب لي من الصالحين وهذا السؤال انما يحسن قبل أن يحصل له الولد لانه لو حصل له ولد واحداً لطلب الولد الواحد لأن طلب الحاصل محال وقوله هب لي من الصالحين لا يفيد الا طلب الولد الواحد وكلمة من السبعين وأقل درجات البعوضة الواحد فكان قوله من الصالحين لا يفيد الا طلب الولد الواحد فثبت أن هذا السؤال لا يحسن الا عند عدم كل الاولاد فثبت أن هذا السؤال وقع حال طلب الولد الاول وأجمع الناس على أن اسمعيل مقدم في الوجود على اسحق فثبت أن المطلوب بهذا الدعاء هو اسمعيل ثم إن الله تعالى ذكر عقيب قصة الذبيح فوجب أن يكون الذبيح هو اسمعيل (الحجة السادسة) الانذار بالكثرة في تعليق قرن الكبش بالكعبة فكان الذبيح بمكة ولو كان الذبيح اسحق لكان الذبيح بأشام وأخرج من قال أن ذلك الذبيح هو اسحق بوجهين (الوجه الاول) أن أول الآية وآخرها يدل على ذلك اماً وأولها فانه تعالى حكى عن إبراهيم عليه السلام قبل هذه الآية أنه قال اني ذاهب الى ربي سيهدين وأجمعوا على أن المراد منه مهاجرته الى الشام ثم قال فبشرناه بغلام حلیم فوجب أن يكون هذا الغلام ليس الا اسحق ثم قال بعده فلما بلغ معه السعي وذلك يقتضي أن يكون المراد من هذا الغلام الذي بلغ معه السعي هو ذلك الغلام الذي حصل في الشام فثبت أن مقدمة هذه الآية تدل على أن الذبيح هو اسحق وأما آخر الآية فهو أيضاً يدل على ذلك لانه تعالى لما تم قصة الذبيح قال بعده وبشرناه باسمعيل نبيا من الصالحين ومعناه أنه بشره بكونه نبيا من الصالحين وذكر هذه البشارة عقيب حكاية تلك القصة يدل على أنه تعالى انما بشره بهذه النبوة لاجل أنه تحمل هذه الشدائد في قصة الذبيح فثبت بما ذكرنا أن أول الآية وآخرها يدل على أن الذبيح هو اسحق عليه السلام (الحجة الثانية) على صحة ذلك ما اشتهر من كتاب يعقوب الى يوسف عليه السلام من يعقوب اسراييل نبي الله ابن اسحق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله فهذا جملة الكلام في هذا الباب وكان الزجاج يقول الله أعلم أيهما الذبيح والله أعلم واعلم انه يتفرع على ما ذكرنا اختلافهم في موضع الذبح فالذين قالوا الذبيح هو اسمعيل قالوا كان الذبيح بمكة والذين قالوا انه اسحق قالوا هو بأشام وقيل بيت المقدس والله أعلم (المسئلة الثالثة) اختلف الناس في أن إبراهيم عليه السلام كان أموراً بهذا بما رأى وهذا الاختلاف مفرع على مسئلة من مسائل أصول الفقه وهي انه هل يجوز نسخ الحكم قبل حضور مدة الامتثال فقال أكثر أصحابنا انه يجوز وقالت المعتزلة وكثير من فقهاء الشافعية والخنفية انه لا يجوز

من استبشارهما وشكرهما لله تعالى على ١٥٧ ما أنعم به عليهما من دفع البلاء بعد حواره والتوفيق للملم يوفق

فعلى القول الاول انه سبحانه وتعالى أمره بالذبح ثم انه تعالى نسخ هذا التكليف قبل
حضور وقته وعلى القول الثاني انه تعالى ما أمره بالذبح وانما أمره بتقديم الذبح وهذه
مسئله شريفة من مسائل باب النسخ واحتج أصحابنا على انه يجوز نسخ الامر قبل مجي
مدة الامتثال بأن الله تعالى أمر ابراهيم عليه السلام بالذبح وادغم انه تعالى نسخه عنه قبل
اقدامه عليه وذلك بقيد المظنوب انما قلنا انه تعالى أمره بالذبح الواسع اوجبهين (الاول)
انه عليه السلام قال لولده انى ارى فى المنام انى اذبحك فقال لولدا فعل ما تؤمر وهذا يدل
على انه عليه السلام كل ما موراً بتقديم الذبح لا بنفس الذبح ثم انه اتى بتقديم الذبح
وأدخلها فى الوجود فحينئذ يكون قد أمر بشئ وقد ادى به وفى هذا الموضع لا يحتاج الى
القدام لكنه احتاج الى الغناء بدليل قوله تعالى وقد بيناه بالذبح عظيم فدل هذا على انه اتى
بالمأمور به وقد ثبت انه اتى بكل مقدمات الذبح وهذا يدل على انه تعالى كان قد أمره
بنفس الذبح اذا ثبت هذا فنقول انه تعالى نسخ ذلك الحكم قبل اثباته وذلك يدل على
المقصود وقات المعترفة لانسلم الله أمره بالذبح الواسع بل نقول انه تعالى أمره بتقديم
الذبح وبذل عليه وجوه (الاول) انه ما اتى بالذبح وانما اتى بتقديم الذبح ثم ان الله تعالى
أخبر عنه بأنه اتى بما أمره بدليل قوله تعالى ونادى به أن ابراهيم قد صدقت الرواية وذلك
يدل على انه تعالى انما أمره فى المنام بتقديم الذبح لا بنفس الذبح وتلك المقدمات عبارة عن
اضجاعه ووضع السكين على حلقه والعزم الصحيح على الاتية بذلك الفعل ان ورد (الامر
الثاني) الذبح عبارة عن قطع الحلقوم فدل ابراهيم عليه السلام قطع الحلقوم الا انه كلما
قطع جزءاً أعاد الله التأليف اليه فلهذا السبب لم يحصل الموت (والوجه الثالث) وهو
الذى عليه تعويل القوم انه تعالى أوامر شخصاً معيناً بإيقاع فعل معين فى وقت معين فهذا
يدل على أن إيقاع ذلك الفعل فى ذلك الوقت حسن فاذانها عنه فذلك انتهى يدل على أن
إيقاع ذلك الفعل فى ذلك الوقت قبيح فلو حصل هذا انتهى عقيب ذلك الامر لم أحد
أمرين لانه تعالى ان كان عالماً بحال ذلك الفعل لم أن يقال انه أمر بالذبح أو نهى
عن الحسن وان لم يكن عالماً به لم يجهل الله تعالى وانه محال فلهذا تم الكلام فى هذا
الباب (والجواب) عن الاول اننا قد دللنا على انه تعالى انما أمره بالذبح ما قوله تعالى
قد صدقت الرواية فهذا يدل على انه اعترف بكون تلك الرواية واجب العمل بها ولا يدل على
انه اتى بكل ما رآه فى ذلك المنام وما قوله ثانياً كلما قطع ابراهيم عليه السلام جزءاً
أعاد الله تعالى التأليف اليه فنقول هذا باطل لان ابراهيم عليه السلام لو اتى بكل
ما أمر به لما احتاج الى الغناء وحيث احتاج اليه علمنا انه لم يأت بما أمر به وأما قوله
ثالثاً انه يلزم اما الامر بالذبح واما الجهل فنقول هذا بناء على ان الله تعالى لا يأمر الا بما
يكون حسناً فى ذاته ولا ينهى الا عما يكون قبيحاً فى ذاته وذلك بناء على تحسين العقل
وتقبيحه وهو باطل أضافه بأننا سلمنا ذلك الا اننا نقول لم يجوز أن يقال ان الامر بالشئ

أحد مثله واطهار
فضلهما بذلك على
العالين مع احراز الثواب
العظيم الى غير ذلك
(انما كذلك تجري
الحسنين) تعالين لفرج
تلك الكربة باحسانهما
واحتج به من جاوز
النسخ قبل وقوع
المأمور به فانه عليه
الصلاة والسلام كان
مأموراً بالذبح لقوله
تعالى افعل ما تؤمر
ولم يحصل (ان هذا
هو البلاء المبين) الابتلاء
البن الذى يتميز فيه
المخلص عن غيره والخنة
البنية الصعبة الا لا شئ
أصعب منها (وقد بيناه
بالذبح) بما يدعى بذله
فقيم به الفعل (عظيم)
أى عظيم الجنة معين أو
عظيم القدر لانه بقضى
به الله نبيا ابن نبي وأى
نبي من نسله سيد المرسلين
قبل كان ذلك كبشاً من
الجنة عن ابن عباس
رضي الله عنهما انه
الكبش الذى قرب به
هايل فقبل منه وكان
يرعى فى الجنة حتى فدى به
اسماعيل عليه السلام

وقبل فدى بوعلى أبط عليه من ثبر وروى انه هرب من ابراهيم عليه السلام عند الحجرة فرماه بسبع حصيات حتى
أخذه فبقى سنة فى الرمي وروى انه رمى الشيطان

حين تعرض له بالسوسة عند ذبح والده وروى أنه لما ذبحه ﴿ ١٥٨ ﴾ قال جبريل عليه السلام الله اكبر الله اكبر

فقال الذبيح لاله الا الله
والله اكبر فقال ابراهيم
الله اكبر والله الحمد فبقى
سنة والغدا في الحقيقة
هو ابراهيم وانما قيل
وفديناه لانه تعالى هو
المعطى له والا تربه على
التجوز في القداء والاستناد
(وزكنا عليه
في الآخرين سلام على
ابراهيم) فاسلف بيانه
في خاتمة قصة نوح
عليه السلام (كذلك
نجى المحسنين) ذلك
اشارة الى ابناء ذكره
الجل فيما بين الامم
لالى ما اشير اليه فيما سبق
فلانكار وعدم تقدير
الجملة بان لا لاكتفاء
بما مر آنفا انهم عبادنا
المؤمنين (الراسخين
في الايمان على وجه
الايقان والاطمئنان
وبشرونا باحق نبيا
من الصالحين) أى
مقتضى ائبوتهم مقدرا كونه
من الصالحين وبهذا
الاعتبار وقعا حائنين
ولا حاجة الى وجود
المبشر به وقت البشارة
فان وجود ذى الحال
ليس بشرط وانما الشرط

تارة يحسن اصكون المأمور به حسنا وتارة لاجل ان ذلك الامر يفيد صحة مصلحة من
المصالح وان لم يكن المأمور به حسنا الا ترى ان السيد اذا أراد أن يروض عبده فانه يقول
له اذا جاء يوم الجمعة فافعل الفعل الفلاني و يكون ذلك الفعل من الافعال الشاقة ويكون
مقصود السيد من ذلك الامر ليس أن يأتي ذلك العبد بذلك الفعل بل أن يوطن العبد
نفسه على الانقياد والطاعة ثم ان السيد اذا علم منه انه وطن نفسه على الطاعة فقد يزيل
عنه ذلك التكليف فكذا ههنا فإلم تقيموا الدلالة على فساد هذا الاحتمال يتم كلامكم
(المسئلة الرابعة) احتج أصحابنا بهذه الآية على ان الله تعالى قد يأمر بما لا يريد وقوعه
والدليل عليه انه أمر بالذبح وأمر بوقوعه أماته أمر بالذبح فلما تقدم في المسئلة الاولى
واماته ما أراد وقوعه فلا ن عندنا ان كل ما أراد الله وقوعه فانه يقع وحيث لم يقع هذا
الذبح علمنا انه تعالى ما أراد وقوعه واما عند المعتزلة فلان الله تعالى نهى عن ذلك الذبح
والنهي عن الشيء يدل على ان التناهي لا يريد وقوعه فثبت انه تعالى أمر بالذبح وثبت انه
تعالى ما أراد و ذلك يدل على ان الامر قد يوجد بدون الارادة وتام الكلام في ان الله تعالى
أمر بالذبح ما تقدم في المسئلة المتقدمة والله أعلم (المسئلة الخامسة) في بيان الحكمة في
ورود هذا التكليف في التورم لافى القبطه و بيانه من وجوه (الاول) ان هذا التكليف
كان في نهاية المشقة على الذابيح والمذبح فوردا و لافى التورم حتى يصير ذلك كالبشره لورود
هذا الكليف الشاق ثم يتأكد حال التورم بأحوال اليضة فينشد لا يحجم هذا
التكليف دفعة واحدة بل بدأ فبدأ (الثانى) ان الله تعالى جعل روبا الانبياء عليهم السلام
حقا قال تعالى في حق محمد صلى الله عليه وسلم لقد صدق الله رسوله الربا با الحق لتدخلن
المسجد الحرام وقال عن يوسف عليه السلام انى رأيت احدى عشر كوكبا والشمس واقمر
رأيتهم لى ساجدين وقال فى حق ابراهيم عليه السلام انى أرى فى المنى انى أذبحك
والقصود من ذلك تقوية الدلالة على كونه صادقين لان الحاصل اما حال يقنعة واما حال
مقام فاذ انما ظهرت الخاتمة على الصدق كان ذلك هو النهاية فى بيان كونهم شجرة من صادقين
فى كل الاحوال والله أعلم ثم نقول مقامات الانبياء عليهم السلام على ثلاثة أقسام منها
ما يقع على وفق الروية كفى قوله تعالى فى حق رسولنا صلى الله عليه وسلم لتدخلن المسجد
الحرام ثم وقع ذلك الشئ بعينه ومنها ما يقع على الضد كفى حق ابراهيم عليه السلام فانه
رأى الذبيح وكان الحاصل هو القداء والنجاة ومنها ما يقع على ضرب من التأويل والمناسبة
كفى روبا يوسف عليه السلام فلهذا السبب أطبق أهل التعبير على أن التمامات واقعة
على هذه الوجوه الثلاثة (المسئلة السادسة) قرأ حجة والكسائى ترى بضم التاء وكسر
الراء أى ما ترى من نفسك من الصبر والتسليم وقبل ما تشيرون بالاقون بفتح التاء ثم منهم من
يعمل ومنهم من لا يعمل (المسئلة السابعة) الحكمة فى مشاورة الابن فى هذا الباب أن يطلع
ابنه على هذه الواقعة ليعلم صبره طاعة الله فتكون فيه قرة عين لابراهيم حيث يراه قد

مقارنة لتعلق الفعل به لاعتبار معنى الحال فلا حاجة الى تقدير مضاف يجعل عاملا فيهما مثل وبشرونا ﴿ بلع ﴾
بوجود اى معنى أى بأن يوجد اى معنى

نبا من الصالحين ومع ذلك لا يصح نظيره قوله ﴿ ١٥٩ ﴾ تعالى فادخلوها خالدين فان الداخلين كانوا مقدرين خلودهم

وقت الدخول واستحق

عليه السلام لم يكن

متقدرا بنوبة نفسه

وصلاحيها حين ما يوجد

ومن فسر الفلام بالحق

جعل المقصود من البشارة

نبوته عليه الصلاة

والسلام وفي ذكر اصلاح

بعد النبوة تعظيم اسائه

وايعاد الى انه العايد بها

لشفعتها معنى الكمال

وانتكميل بانفعل على

الاطلاق (وباركنا

عليه) على ابراهيم في

اولاده (وعلى اسحق)

بان آخر جنات صليبه

انبياء بني اسرائيل

وغيرهم كايوب وشعيب

عليهم السلام أو أفضنا

عليهم بركات الدين

والدنيا وقرى وباركنا

(ومن ذريتها محسن)

في عمله أولئك بالاعان

والطاعة (وظالم لنفسه)

بالكفر والمعاصي (مبين)

ظاهر ظلمه وفيه تنبيه

على أن التسبب لا تأثير له

في الهداية والضلال

وأن الظلم في اعتقائهم

لا يعود اليها بنقيصة

ولا عيب (وقدمنا على

موسى وهرون) أي أنعمنا

بلغ في الحلم الى هذا الحد العظيم وفي الصبر على أشد المكاره الى هذه الدرجة العالية
ويحصل الابن الثواب العظيم في الآخرة واثناء الحسن في الدنيا ثم انه تعالى حكى عن ولد
ابراهيم عليه السلام انه قال أفوس ماتوا من وعثاء افعال ماتوا من به خذف الجار كخذف
من فوله أمرتك الخير فافعل ما أمرت ثم قال سجدني ان شاء الله من الصابرين وانما عاق
ذلك بمشيئة الله تعالى على سبيل البرك واليمن وانه لا حول عن معصية الله الا به صفة الله
ولا قوة على طاعة الله الا بتوفيق الله ثم قال تعالى فلما أسلموا قال لهم الله وأسلموا واستسلم
بمعنى واحد وقد قرى بهن جميعا اذا تقادله وخضع وأصلها من ذلك سلم هذا فلان ذا
خلص له ومناه سلم من أن ينزع فيه وقولهم سلم لأمر الله وأسلمه مقولان عند الهمز
وحقيقة معناها أخلص نفسه لله وجعلها سائنة له خالصة وكذلك معنى استسلم استخلص
نفسه لله وعن قيادة في أسلم هذا البند وهذا نفسه ثم قال تعالى وتله لجبين أي صرعه
على شقه فوقع أحد جبينه على الارض والوجه جبينان والجهة بينهما قال الاعرابي
الليل والمنلول المنصروع والمثل الذي يثله أي يصرع فالتعني انه صرعه على جبينه وقال
مقاتل كبه على جبهته وهذا خطأ لأن الجبين غير الجهة * ثم قال تعالى ونادياته أن يا ابراهيم
قد صدقت الرويا وفيه قولان (الاول) ان هذا جواب فلما عند الكوفيين والفراء والروا
زائدة (والقول الثاني) أن عند البصريين لا يجوز ذلك والجواب مقدر وتقدير فلما ذل
ذلك وناداه الله أن يا ابراهيم قد صدقت الرويا بعد سعادة عظيمة وآتاه الله نبوة ولده وأجرل
له الذواب قالوا وحذف الجواب ليس بغير في القرآن والقائدة فيه انه اذا كان محذوفا
كل أعظم وأختم قال المفسرون لما أضغعه الذبح نودي من الجبل يا ابراهيم قد صدقت
الرويا قال المحققون السبب في هذا التكليف كمال طاعة ابراهيم لتكليف الله تعالى فلما
كلفه الله تعالى به هذا التكليف الشاق الشديد وظهر منه كمال الطاعة وظهر من ولده كمال
الطاعة والانقياد لاجرم قال قد صدقت الرويا يعني حصل المقصود من تلك الرويا وقوله
انا كذلك نجزي المحسنين ابتداء اخبار من الله تعالى وليس يتصل بما تقدم من الكلام
والعنى أن ابراهيم وولده كانا محسنين في هذه الطاعة فكما جزي بنا هذين المحسنين فكذلك
نجزي كل المحسنين * ثم قال تعالى ان هذا هو البلاء المبين أي الاختيار البين الذي يميز فيه
المخلصون من غيرهم والمحنة البينة الصعوبة التي لا محنة أصعب منها وفديناه بذبح عظيم
الذبح مصدر فذبح والذبح أيضا ما بذبح وهو المراد في هذه الآية وههنا مباحث تتعلق
بالحكايات (فالاول) حكى في قصة الذبح ان ابراهيم عليه السلام لما أراد ذبحه قال
يا بني خذ الخبل والمذبة وانطلق بنا الى الشعب نخطب فلما توسطوا شعب ثيبا أخبره بما أمر به
فقال يا أبت اشد رب باطلي في كي لا اضربك وأسرع امر ارحا على خاني ليكون أهون فان الموت شديد
واقرا على أي سلامي وان رأيت ان ترد فجي على أي فافعل فانه عسى أن يكون أسهل

عليها بالنوبة وغيرهما من التهم الدينية والدينية (ونجيناها وقومها) وهم بنو اسرائيل (من الكرب العظيم) هو
ملكه آل فرعون وتسلطهم عليهم بألوان الغشم والعذاب كما في قوله تعالى

وإذا نجيناكم من آل فرعون وقبل هو الفرق وهو بعيد لانه لم يكن ﴿ ١٦٠ ﴾ عليهم كربا ومشفة (ونصرناهم) أى

إياهم وقومهم على عدوهم (فكانوا) بسبب ذلك (هم الغالبين) عليهم غلبة لاغاية وراءها بعد أن كان قومهم فى أسرهم وقسرمهم مقهورين تحت أيديهم العادية يسومونهم سوء العذاب وهذه النجية وان كانت بحسب الوجود مقارنة لما ذكر من النصر والغلبة لكنهما كانت بحسب المفهوم عبارة عن التخليص من المكروه بدى بهائم النصر الذى يتحقق مدلوله بمحض نتيجة المنصور من عدوه ومن غير تعليل عليه ثم بالعلية التوفيقية مقاس الامتحان حقه بانها رأت كل مرتبة ثم هذه المراتب الثلاث نعمة جليلة على حيائها (وآتيناهم) بعد ذلك (الكتاب المستبين) أى البليغ فى البيان والتفصيل وهو التوراة (وهديناهم) بذلك (الصراط المستقيم) الموصل الى الحق والصواب بما فيه من تفاصيل الشرائع وتفاصيل الاحكام (وتركنا عليهم فى الآخرة سلام

لها فقال ابراهيم عليه السلام نعم العون أنت يا بنى على أمر الله ثم أقبل عليه بقبلة وقد ربطه وهما يركبان ثم وضع السكين على حلقه فقال كنى على وجهى فألقى إذا نظرت وجهى رجعتى وأدركتك رققت تحول بينك وبين أمر الله سبحانه وتعالى ففعل ثم وضع السكين على فقهه فانقلب السكين ونودى بالابراهيم قد صدقت الرؤيا (البحت الثانى) اختلقوا فى ذلك الكيش فقيل انه الكيش الذى تقرب به هابيل ابن آدم الى الله تعالى فقبلة وكان فى الجنة يرى حتى فدى الله تعالى به اسمعيل وقال آخرون أرسل الله كشا من الجنة قدرعى أربعين خريفا وقال السدى نودى ابراهيم فالتفت فإذا هو بكيش ألمع انحط من الجبل فقام عند ابراهيم فأخذه فذبحه وخلقى عن ابنه ثم اصتق ابنه وقال يا بنى اليوم وهبتلى وأما قوله عظيم فقيل سمى عظيما لعظمه وسمته وقال سعيد بن جبير حق له أن يكون عظيما قدرعى فى الجنة أربعين خريفا وقيل سمى عظيما لعظم قدره حيث قبله الله تعالى فداء عن ولد ابراهيم ثم قال تعالى انه من عباد المؤمنين الضمير فى قوله انه عابد الى ابراهيم ثم قال تعالى وبشرناه باسمحق نبيا من الصالحين فقوله نبيا حال مقدرة أى بشرناه بوجود اسمحق مقدرة نبوته ولم يقل ان النبى هو اسمعيل أى يخرج هذه الآية وذلك لان قوله نبيا حال ولا يجوز أن يكون المعنى فبشرناه باسمحق حال كون اسمحق نبيا لان البشارة به مقدمة على خبر ورثته نبيا فوجب أن يكون المعنى وبشرناه باسمحق حال ما قدرناه نبيا وحال ما حكمنا عليه فصبر وإذا كان الامر كذلك فحينئذ كانت هذه البشارة بشارة بوجود اسمحق حاصلة بعد قصة الذبيح فوجب أن يكون الذبيح غير اسمحق اقصى ما فى الباب أن يقال لا يبعد أن يقال هذه الآية وان كانت متأخرة فى التلاوة عن قصة الذبيح الا انها كانت مقدمة عليها فى الوقوع والوجود ألا ما قول الاصل رعاية الترتيب وعدم التغير فى التضم والله اعلم بالصواب ثم قال تعالى وباركنا عليه وعلى اسحق وفى نفسه هذه البركة وجهان (الاول) انه تعالى أخرج جميع أنبياء بنى اسرائيل من صلب اسمحق (والثانى) انه أتى الشاء الحسن على ابراهيم واسحق الى قيام القيامة لان البركة عبارة عن الدوام والثبات ثم قال تعالى ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين وفى ذلك تنبيه على انه لا يلزم من كثرة فضائل الاب فضيلة الابن ثلاث نصير هذه الشبهة سببا لمغايرة اليهود ودخل تحت قوله محسن الانبياء والمؤمنون وتحت قوله ظالم الكافر والفاسق والله اعلم * قوله تعالى (ولقد مننا على موسى وهرون ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم ونصرناهم فكانوا هم الغالبين وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم وتركنا عليهما فى الآخرة سلام على موسى وهرون انا كذلك نجى المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين) اعلم ان هذا هو القصة الثالثة من القصص المذكورة فى هذه السورة واعلم ان وجوه الانعام وان كانت كثيرة الا انها محصورة فى نوعين ايصال المنافع اليه ودفع المضار عنه والله تعالى ذكر القسامين ههنا فقوله ولقد مننا على موسى وهرون اشارة الى ايصال

على موسى وهرون) أى أبقينا فى ايام الامم الآخرة هذا الذكر الجليل والثناء الجزيل (انا كذلك) المنافع (الجزء الكامل) الذين هم امن جلتهم لاجزاء فاصرا عنه (انها من عبادنا المؤمنين) سبق بانه

(وان الياس لمن المرسلين) هو الياس بن ياسين من سبط هرون أخى موسى عليهم السلام بعث بعده وقبل ادر يس لانه قرى مكانه ادر يس وادراس وقرى ايليس وقرى الياس بخذف الهجزة (اذقال لقومه الاتقون أى عذاب الله تعالى (أندعون بعلا) أتعبدونوه وتطلبون الخير وهو اسم صنم كان لاهل بك من الشام وهو البلد المعروف اليوم بعلبك قبل كان من ذهب طوله عشرون ذراعاً وله أربعة أوجه فتوا به وعظموه حتى أخذوه ١٦١ هـ أر بعامة سادن وجعلوهم أنبياء فكان الشيطان يدخل

جوفه ويتكلم بشريعة الضلالة والسنة يحفظونها ويعلمونها الناس وقيل البعل الرب بلغة اليمن أى أتعبدون بعض العول (وتذرون أحسن الخالقين) أى وتتركون عبادته وقد أشير الى المقضى الانكار المعنى بالهجرة ثم صرح به بقوله تعالى (الله ربكم ورب آبائكم الاولين) بالنصب على البديلة من أحسن الخالقين وقرى بالرفع على الابتداء والتعرض لذكر ربوبيته تعالى لأبائهم تأكيد انكار تركهم عبادته تعالى والاشعار ببطان آراء آبائهم أيضاً (فكذبوه فأنهم) بسبب تكذيبهم ذلك (المحضرين) أى العذاب والاطلاق للاكتفاء بالقرائ على ان الاحضار المطلق مخصوص بالشرعاً (الاعباد الله المخلصين) استثناء من ضمير محضرون (وتركنا عليه في الآخرين) سلام على آل ياسين (هولفة) فى الياس كسبناه فى سبني وقيل هو جمل له أريد به هو وأتباعه كالمهلين والخبيثين وفيه أن العلم اذا جم يجب تعريفه كالمثالين وقرى باضافه الى ياسين لانهما فى المصحف

المنافع اليهما وقوله ونجينا هما وقومهما من الكرب العظيم اشارة الى دفع المضار عنهما (أما القسم الاول) وهو اوصال المنافع فلا شك أن المنافع على قسمين منافع الدنيا ومنافع الدين أما منافع الدنيا فالوجود والحياة والعقل والبرية والصحة وتحصيل صفات الكمال فى ذات كل واحد منهما وأما منافع الدين فالعلم والطاعة وأعلى هذه الدرجات النبوة الرفيعة المقرونة بالمعجزات الباهرة ولما ذكر الله تعالى هذه التفاصيل فى سائر السور لاجرم اكتفى ههنا بهذا الرمز (وأما القسم الثانى) وهو دفع الضرر فهو المراد من قوله ونجينا هما وقومهما من الكرب العظيم وفيه قولان قيل انه العرق أغرق الله فرعون وقومه ونجى الله نبي اسرائيل وقيل المراد انه تعالى نجاهم من ايذاء فرعون حيث كان يذبح ابنائهم ويستحى نساءهم واعلم انه تعالى لما ذكر انه من على موسى وهرون فصل أقسام تلك المنه والهناء فى قوله ونصرناهم أى نصرنا موسى وهرون وقومهما وكانوا هم الغالين فى كل الاحوال بظهور المحبة وفى آخر الامر بالدولة والرفعة (وثانيهما) قوله تعالى آتينا هما الكتاب المستبين والمراد منه التوراة وهو الكتاب المشتمل على جميع العلوم التى يحتاج اليها فى مصالح الدين والدنيا كما قال انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور (وثالثها) قوله تعالى وهديناهما الصراط المستقيم أى دللناهما على طريق الحق فعلا وسمعاً وأمدناهما بالتوفيق والعصمة وتشبيه الدلائل الحقة بالطريق المستقيم الواضح (ورابعها) قوله تعالى وتركنا عليهما فى الآخرين وفيه قولان (الاول) ان المراد وتركنا عليهما فى الآخرين وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم قولهم سلام على موسى وهرون (والثاني) ان المراد وتركنا عليهما فى الآخرين وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم اشاء الحسن والذكر الجليل وعلى هذا التقدير فقوله بعد ذلك سلام على موسى وهرون هو كلام الله تعالى ولما ذكر تعالى هذه الاقسام الاربع من أبواب التعظيم والفضل قال انا كذلك نجى المحسنين وقد سبق تفسيره ثم قال تعالى اذ هما من عبادنا المؤمنين والمقصود التنبيه على ان الفضلة الحاصلة بسبب الايمان أشرف وأعلى وأكمل من كل الفضائل ولولا ذلك لما حسن ختم فضائل موسى وهرون بكونهما من المؤمنين والله أعلم * قوله تعالى (وان الياس لمن المرسلين) اذ قال لقومه ألا تتقون أندعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين الله ربكم ورب آبائكم الاولين فكذبوه فانهم لمحضرون الاعباد الله المخلصين وتركنا عليه فى الآخرين سلام على آل ياسين انا كذلك نجى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين (اعلم أن هذه القصة الرابعة من القصص المذكورة فى هذه السورة وفيه مسائل) (المسئلة الاولى) قرأ ابن عامر وان الياس بغير همزة على وصل الالف والياقون بالهمزة وقطع الالف قال أبو بكر بن مهران من ذكر عند الوصل الالف فقد أخطأ وكان اهل الشام ينكرونه ولا يعرفونه قال الواحدى وله وجهان (احدهما) انه حذف الهمزة من الياس حذفاً كاحذفها ابن كثير من قوله انها الاحدى الكبرى وكقول الشاعر

مفصولان فيكون ياسين أبا الياس * ٢١ * سا (انا كذلك نجى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين) مر تفسيره (وان لوطا لمن المرسلين اذ نجينا) أى اذكر وقت نجيتنا اياه (وأهله أجمعين) العجوز فى الغارين) أى الباقي فى العذاب (والماضين) (ثم دمرنا الآخرين) فان فى ذلك شواهد على جليلة أمره وكونه من جملة المرسلين (وانكم) بأهل مكة (لنرون عليهم) على منازلهم فى متاجرهم الى الشام وتشاهدون آثارهم فأنسبهم فى طريق الشام

(صباحين) داخلين في الصباح (وبالليل) أي ومساء أو نهارا وليلا ولعلها وقت بقر منزل يمر بها المرتحل عنه صباحا والفاصله مساء (أفلا تعلمون) أنشاهدون ذلك فلا تعلمون حتى تعتبروا به وتخافوا أن يصيبكم مثل ما أصابهم (وان يونس لمن المرسلين) وقرى يكسر النون (إذا بق) أي هرب وأصله الهرب من السيل لكن لما كان هربه من قومه بغياذنه به حسن اطلاقه عليه (إلى القلث المشحون) أي المملوء ﴿ ١٦٢ ﴾ (فساهم) فتنارع أهله (فكان من المدحضين) فصار

و يلها في هواء الجوطالبة والآخراته جعل الهمة التي تصحب اللام للتعريف كقوله واليسع (المسئلة الثانية) في الياس قولان يروى عن ابن مسعود انه قرأ وان ادر يس وقال ان الياس هو ادر يس وهذا قول عكرمة وأما أكثر المفسرين فهم متفقون على انه نبي من أنبياء بني اسرائيل وهو الياس بن ياسين من ولد هرون أخي موسى عليهم السلام ثم قال تعالى اذ قال لقومه الاتقون والتقديرا ذكر يا محمد لقومك اذ قال لقومه الاتقون أي الاتخافون الله وقال الكلبي الاتخافون عبادة غير الله واعلم انما يخوفهم أولا على سبيل الاجال ذكر ما هو السبب لذلك الخوف فقال أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين وفيه ابحاث الاول في بعل قولان (أحدهما) انه اسم علم ائتمن كان لهم كناية وهبل وقيل كان من ذهب وكان طوله عشرين ذراعا وله أربعة أوجه وقتوا به وعظموه حتى عينوا له أربعة سادات وجعلوهم أنبياء وكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشعر بعة الضلالة والسذاجة فظنوها وعلما بها الناس وهم أهل بعلبك من بلاد الشام وباسميت مدينة بهم بعلبك واعلم أن قولهم بعل اسم ائتمن من أسماهم لآباس به وأما قولهم ان الشيطان كان يدخل في جوف بعلبك ويتكلم بشعر بعة الضلالة فهذا مشكل لان جوزنا هذا كان ذلك قاصدا في كثير من المعجزات انه نقل في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم كلام الذئب معه وكلام الجمل معه وتبين الجدعه لوجوزنا أن يدخل الشيطان في جوف جسم ويتكلم فحينئذ يكون هذا الاحتمال قائما في الذئب والجمل والجدع وذلك يتضح في كون هذه الاشياء معجزات (والقول الثاني) أن البعل هو الرب بلغة الذين يقال من بعل هذه الدار أي من ربها وسعى الزوج بعل لهذا المعنى قال تعالى وبعوثهن أحنى بردهن وقال تعالى وهذا بعلى شيخنا فولى هذا التفسير المعنى أنهم يدعون بعض البعول ويتركون عبادة الله (البحث الثاني) المعتزلة اذ احتجوا بهذه الآية على كون العبد خائفا لا فعال لنفسه فنا والولم يكن غير الله خالقا للمجاز وصف الله بأنه أحسن الخالقين والكلام فيه قد تقدم في قوله تعالى وتبارك الله أحسن الخالقين (البحث الثالث) كان الملقب بالرشيد الكاتب يقول لو قيل أتدعون بعلا وتدعون أحسن الخالقين أو هم انه أحسن لانه كان قد تحصل فيه رعاية معنى الحسين وجوابه ان فصاحة القرآن ليست لاجل رعاية هذه التكاليف بل لاجل قوة المعاني وجزالة الالفاظ واعلم انه لما جاءهم على عبادة غير الله صرح بالتوحيد ونفى الشركاء فقال الله ربكم ورب آبائكم الاولين وفيه مباحث (الاول) اما ذكرنا في هذا الكتاب أن حدوث الاشخاص البشرية كيف يدل على وجود الصانع المختار وكيف يدل على وحدته وبراهنه عن الاضداد والانداد فلا فائدة في الاعادة (البحث الثاني) قرأ حرة والكسائي وحفص عن عاصم الله ربكم ورب آبائكم كلها بالنصب على البذل من قوله أحسن الخالقين والباقيون بالرفع على الاستئناف والاول اختيارا في حاتم وأبي عبيدة ونقل صاحب الكشاف أن حرة اذا وصل نصب واذا

من المغلوبين بالقرعة وأصله المزلق عن مقام الظفر روى أنه عليه الصلاة والسلام لما وعد قومه بالعباد خراج من بينهم قبل أن يأمره الله تعالى به فركب السفينة ووقفت فقالوا فيها عبد أبى فافزعوا فخرجت القرعة عليه فقال أمة الأبى ورمى بنفسه في الماء (فالتقمة الحوت) فالتقمة من الناقة (وهو ملين) داخل في الملاءة وأت بما يلزم عليه أو ملين نفسه وقرى ملين بالفتح ملين ليم كتيب في مشوب (فلولا انه كان من المسبحين) التذاكرين الله كثير بالتسبيح مدة عمره أوفى بطن الحوت وهو قوله لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين وقيل من المصلين فانه عليه الصلاة والسلام كان كثير الصلاة في الرخاء (البث في بطنه الى يوم يبعثون) حيا وقيل ميتا وقد حدث على اكثر النذر وتوطين لسانه ومن أقبل عليه في السراء أخذ يديه عند الضراء (فيبتذله بالراء) بأن جعلنا الحوت على لفظه بالمكان الخالى عما يغطيه من شجر أو نبت روى

أن الحوت سار مع السفينة رافعا رأسه بنفس فيه يونس عليه السلام ويسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا الى البر ﴿ وقف ﴾ فلفظه سالما لم يتغير منه شيء فاسلوا وروى أن الحوت قد دفعه بساحل قرية من الموصل واختلف في مقدار لبثه فقيل أر بعون يوما وقيل عشرون وقيل سبعة وقيل ثلاثة وقيل لم يلبث الا قليلا ثم أخرج من بطنه بعد الوقت الذي اتم فيه روى عطاء أنه حين ابتلعه أوحى الله تعالى الى الحوت انى جعلت بطنك له سجنا ولم اجعله لك طعاما (وهو سقيم) بما ناله قيل صار بدنه كبدين

الطفل حين يولد (وابتشاعليه) أي ذوقه مغفلة عليه (شجرة من بقطين) وهو كل ما ينسبط على الأرض ولا يقوم على ساق كشجر
الطبخ والقتاء والخنظل وهو يفعل من قطن بالمكان إذا أقام به والاكثرون على أنه الدبا غطت بأوراقها من الذباب فانه لا يقع
عليه ويدل عليه أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك تحب القرن قال أجل هي شجرة أخى يونس وقيل هي التين وقيل الموز
تغطي بورقه واستظل بأغصانه وأفطر ﴿ ١٦٣ ﴾ على ثماره وقيل كان يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختف ابنة فيشرب
من لبنها (وأرسلنا إلى مائة

ألف) هم قومه الذين هرب
منهم وهم أهل نينوى والمراد
به إرساله السابق أخبر أولا
أنه من المرسلين على الإطلاق
ثم أخبر بأنه قد أرسل إلى أمة
جدة وكان توبيخا وتذكروا وقت
هر به إلى الفلك وما بعده
ينبها لتذكير سببه وهو ما
جرى بينه وبين الصلاة والسلام
وبين قومه من إنذاره إياهم
عذاب الله تعالى وتبينته أوقات
حلوله وتعليلهم وتعليمهم
لإيمانهم بظهور أماراته كما
تفصيله في سورة يونس يعلم
أن إيمانهم الذي سيحكي بعد
لم يكن عقوب الإرسال كما هو
المتبادر من ترتيب الإيعان على
بالفعل بعد التناوالت وقيل
هو إرسال آخر اليهم وقيل
غيرهم وليس بظاهر (أوزيريدو
أي من رأى الناظر فانه إذا نذر
اليهم قال انهم مائة ألف) أي
يزيدون والمراد هو الوصف
بالكثرة وقري بالواو (فأمنوا
أي بعد ما شاهدوا علما
حلول العذاب إيماناً خالصاً
(فغناهم) أي بالحياة الدنية
(إلى حين) قدره الله سبحانه
لهم قبل وامل عدم ختم هذه

وقف رفع ولما حكى الله عنه أنه قرر مع قومه التوحيد قال فكذبوه فانهم لمحضرون أى
لمحضرون اتارغدا وقد ذكرنا الكلام فيه عند قوله لكنت من المحضرين ثم قال تعالى
الاعباد الله المخلصين وذلك لأن قومه ما كذبوه بكليتهم بل كان فيهم من قبل ذلك التوحيد
فلم يذال قال تعالى الاعباد الله المخلصين يعني الذين أتوا بالتوحيد الخالص فانهم لم يخلصوا
ثم قال وتركتنا عليه في الآخرين سلام على آل ياسين قرأ نافع وابن عامر و يعقوب آل ياسين
على اضافة نط إلى لفظ ياسين والياقون بكسر الالف وجزم اللام موصولة بياسين
أما القراءة الأولى فبفتحها وجوه (الأول) وهو الأقرب إذا ذكرنا الياقون بياسين فكان
الياس آل ياسين (الثاني) آل ياسين آل محمد صلى الله عليه وسلم (والثالث) أن ياسين اسم
القرآن لأنه قيل سلام الله على من آمن بكتاب الله الذي هو ياسين والوجه هو الأول لأنه
أبقي بسبق الكلام وأما القراءة الثانية ففيها وجوه (الأول) قال الزجاج يقول بكال
وبيكال وبكالكين فكذلكها الياقون والياسين (والثاني) قول القراء هوجع وأراد به
الياس وأتباعه من المؤمنين كدليلهم الميمون والحدوث قال
﴿ أنا ابن سعد أكرم السعديين ﴾ ثم قال تعالى أنا أنزلتك نجى المحسنين انهم من عبادنا
الأمين وقد سمع تسعوه والله أعلم ﴿ فبأمره تعالى ﴾ (وإن أول ما لى المرسلين إذ تخيروه وأهله
أجمعين المتخوذين في الغابرين ثم دمرنا الآخرين وانكم تعلمون عليهم مصيبتهم وبالآل
أولا تمقون) هذا هو القصة الخامسة وأنه تعالى إنما ذكر هذه القصة ليعبر بها مشركوا
العرب فإن الذين كفروا من قومه هلكوا والذين آمنوا نجوا وقد تقدم شرح هذه القصة
وقد تبينهم بقوله تعالى وانكم تعلمون عليهم مصيبتهم وبالآل وذلك لأن التزم كانوا يأسفون
إلى الشام والمسافر في أكثر الأسماء المتأخري في الليل وفي أول النهار فلهمذا السبب عين
تعالى هذين الوقتين ثم قال تعالى أفلا تعلمون يعني أليس فيكم عقول تعتبر بها والله أعلم
﴿ قوله تعالى ﴾ (وإن يونس لمن المرسلين إذ ألقى إلى الفلك المشحون فساهم فكان من
المدحضين فاتممه الحوت وهو مليم فلولا أنه كان من المسبحين لابت في بطنه إلى يوم يبعثون
فتبذناه بالعراء وهو سقيم وابتشاعليه شجرة من بقطين وأرسلنا إلى مائة ألف أوزيريدو
فأمنوا فغناهم إلى حين) اعلم أن هذا هو القصة السادسة وهو آخر القصص المذكورة
في هذه السورة وإنما صارت هذه القصة خامسة للقصص لاجل أنه لما لم يصير على أذى
قومه وأبقى إلى الفلك وقع في تلك الشدة فبصبر هذا سبباً لتبصير النبي صلى الله عليه وسلم على
أذى قومه أما قوله وإن يونس لمن المرسلين إذ ألقى إلى الفلك المشحون ففيه مسائل (المسألة
الأولى) قال صاحب الكشاف قري يونس بضم النون وكسرها (المسألة الثانية) دلت
هذه الآية على أن هذه الواقعة إنما وقعت ليونس عليه السلام بعد أن صار رسولا لأن قوله
وإن يونس لمن المرسلين إذ ألقى إلى الفلك معناه أنه كان من المرسلين حين ما ألقى إلى الفلك
ويمكن أن يقال أنه جاء في كثير من الروايات أنه أرسله ملك زمانه إلى أولئك القوم ليدعوه

القصة وقصة لوط بما ختم به سائر القصص لتفرقة بينهما وبين أرباب الشرائع وأولى العزم من الرسل أو اكتفاء بالتسليم
الشامل لكل الرسل المذكورين في آخر السورة (فاستغفهم) أمر الله عز وجل في صدر السورة الكريمة رسوله صلى الله عليه
وسلم بنبئكم قريش وإبطال مذاهبهم في إنكار البعث بطريق الاستغناء وساق البراهين القاطعة بتحقيقه لا محال فوير
وقوعه وما سبقونه عند ذلك من قنوت العذاب واستثنى

منهم عباده المخلصين وفصل ما لهم من النعم المقيم ثم ذكر انه قد فصل من قبلهم كذا الاولين وانه تعالى ارسل اليهم منذر من على وجه الاجال ثم اورد قصص كل واحد منهم على وجه التفصيل مبينا في كل قصة منها أنهم من عبادة تعالى واصفانهم تارة بالاخلاص واخرى بالايان ثم امر عليه الصلاة والسلام ههنا بنبيتهم بطريق الاستفتاء عن وجه امر منكر خارج عن العقول بالكلية وهي القصة الباطلة اللازمة لما كانوا عليه من الاستعداد الزائع **١٦٥** حيث كانوا يقولون كعبن اجناس العرب

جهينة وبنى سلة وخرافة وبنى ملج الملائكة بنات الله والغاء لترتيب الامر على ما سبق من كون أولئك الرسل الذين هم اعلام الخلق عليهم الصلاة والسلام عبادة تعالى فان ذلك مما يؤيد كذا التبريت ويظهر بطلان مذهبهم الفاسد ثم تبريتهم بما يتفق كفرهم المذكور من الاستهانة بالملائكة فيعلم اننا انما ابطال اصل كفرهم المنظوي على هذين الكافرين وهونسية الولد اليه سبحانه وتعالى عن ذلك عاوا كبيرا ولم ينظمه في سلك التبريت لمشاركتهم للتصاري في ذلك أي فاختصهم (أربك البنات) اللاتي هن وضع الجنسين ((واهم البنون)) الذين هم ارفعها فان ذلك مما لا يقول به من له أدنى شيء من العقل وقوله تعالى (أم خلقنا الملائكة اناثا) اضراب وانتقال من التبريت بالاستفتاء السابق الى التبريت بهذا كما أشير اليه أي بل اخلقنا الملائكة الذين هم من أشرف الخلائق وأبعدهم من صفات الاجسام ورفايل الطبايع اناثا والاوث من أخس صفات الحيوان

الى الله ثم أبى وانتبه الحوت فعند ذلك أرسله الله تعالى والحاصل أن قوله لمن المرسلين لا يدل على انه كان في ذلك الوقت مرسلا من عند الله تعالى ويمكن أن يجاب بأنه سبحانه وتعالى ذكر هذا الوصف في معرض تعظيمه ولن يفيد هذه الفائدة الا اذا كان المراد من قوله لمن المرسلين انه من المرسلين عند الله تعالى (المسئلة الثالثة) أبى من اباقي العبد وهو هر به من سيده ثم اختلف المفسرون فقال بعضهم انه أبى من الله تعالى وهذا بعيد لان ذلك لا يقال الا فين يتعمد مخالفة ربه وذلك لا يجوز على الانبياء واختلفوا فيما لاجله صار محطنا فقيل لانه أمر بالخروج الى بني اسرائيل فلم يقبل ذلك التكليف وخرج مضطرا به وهذا بعيد سواء أمر الله تعالى بذلك بوحى أو بإسان نبى آخر وقيل ان فيه انه ترك دعاء قومه ولم يصبر عليهم وهذا ايضا بعيد لان الله تعالى نأمر بهذا العمل فلا يجوز أن يتركوا الاقرب فيه وجهان (الاول) ان فيه كان لان الله تعالى وعده ازال الاهلاك بقومه الذئ كذبوه فظن انه نازل لاجل هذا فلاجل هذا الظن لم يصبر على دعائهم فكان الواجب عليه أن يستمر على الدعاء لجواز أن لا يملكهم الله بالعذاب وان ازلوه وهذا هو الاقرب لانه اقدام على أمر ظهر ت اماراته فلا يكون تعمد المعصية وان كان الاول في مثل هذا الباب أن لا يعمل فيه بالظن ثم انكشف ايونس من بعدائه خطأ في ذلك الظن لاجل انه ظهر الايمان منهم فمضى قوله اذا أبى الى الفلك ما ذكرناه (الوجه الثاني) أن يونس كان وعد قومه بالعذاب فلما تأخر عنهم العذاب خرج كالمتور عنهم فتصد البحر وركب السفينة فذلك هو قوله اذا أبى الى الفلك وتام الكلام في مشكلات هذه الآية ذكرناه في قوله تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه وقوله الى الفلك المشحون مفسر في سورة يونس والسفينة اذا كان فيها الحمل الكثير والناس يقال انها مشحونة ثم قال تعالى فساهم المساهمة هي المقارعة يقال أسهم اقوم اذا افرعوا قال البرد وانما أخذ من السهام التي تجال للقرعة فكان من المدحضين أى المغلوبين يقال ادحض الله حجة قدحضت أى ازالها فزالت وأصل الكلمة من الدحض الذى هو الزاق يقال دحضت رجل البعير اذا زلقت وذكر ابن عباس في قصة يونس عليه السلام انه كان يسكن مع قومه فلسطين فغزاهم ملك وسبي منهم تسعة اسباط ونصفاوا بنى سبطان ونصف وكان الله تعالى أوحى الى بنى اسرائيل اذا اسركم عدوكم وأصابكم مصيبة فادعوني أستجب لكم فلما ندوا ذلك وأسروا أوحى الله تعالى بعد حين الى بنى من أنبيائهم أن اذهب الى ملك هؤلاء الاقوام وقل له حتى يعث الى بنى اسرائيل نيبا فاختار يونس عليه السلام لقوته وأمانته قال يونس الله أمرك بهذا قال لا ولكن أمرت أن أبعث قويا أميناً وانت كذلك فقال يونس وفي بنى اسرائيل من هو أقوى منى فلم لا تبعه فالح الملك عليه فعضب يونس منه وخرج حتى أتى بحر الروم ووجد سفينة مشحونة فحملوه فيها فلما دخلت لجة البحر أشرفت على الفرق فقال الملاحون ان فيكم عاصيا والام يحصل في السفينة مازاء من غير ريح ولا سبب فظاهر وقال البخار قد جربنا

وقوله تعالى (وهم شاهدون) استهزاء بهم وتجهيل لهم كقوله تعالى أشهدوا خلقهم وقوله تعالى ما أشهدتهم خلق **مثل** السموات والارض ولا خلق أنفسهم فان أمثال هذه الامور لا تعلم الا بالاشهادة اذ لا سبيل الى معرفتها بطريق العقل وانتفاء النقل مما لا ريب فيه فلا بد أن يكون القائل بأنهم شاهدوا عند خلقهم والجملة اما حال من فاعل خلقنا أى بل اخلقناهم انانا والخال انهم حاضرون حينئذ أو عطف على خلقنا أى بل أهم شاهدون

وقوله تعالى (ألا إنهم من أفكهم ليعولون ولد الله) استئناف من جهة غير داخل تحت الأمر بالاستفتاء مسوق لإبطال أصل مذهبهم القاسد ببيان أن ميثاء ليس إلا ألافك الصريح والافتراء القبيح من غير أن يكون لهم دليل أو شبهة قطعا) وإنهم لكاذبون) في قولهم ذلك كذبنا لا رب فيه وقرئ ولد الله على أنه خبر مية ماحذف أي الملائكة ولده تعالى عن ذلك علوا كبيرا فان الولد فعل بمعنى مفعول ﴿١٦٥﴾ يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث (أصطفى النبات على البنين)

النبات لأفكهم وتقرير الكذب
فيما قالوا ببيان استلزامه
لأمر بين الاستحالة هو
اصطفاه تعالى النبات على
البنين والاصطفاء أخذ
صفوة الشيء لنفسه وقرئ
يكسر الهمزة على حذف
حرف الاستفهام ثقة بدلالة
القرآن عليه وجهه بدلا من
ولد الله ضعيف وتقدير القول
أي لكاذبون في قولهم
اصطفى الخ تسعف بعيد
(مالككم كيف تحكمون)
بهذا الحكم الذي يقضي
بطلانه بدبهة العقل (أفلا
تذكرون) يحذف إحدى
التائين من تذكرون وقرئ
تذكرون من ذكروا الفاء
لأنه على مقدر أي
أفلا حظون ذلك فلا
تذكرون بطلانه فانه
مر كوز في عقل كل ذي وعي
(أم لكم سلطان مبين) اضطراب
وانتقال من توجيههم وتبكيهم
بما ذكر إلى تبكيهم بتبكيهم
ملا يدخل تحت الوجود
أصلا أي بل أنكم حجة واضحة
نزلت عليكم من السماء بان
الملائكة بناته تعالى ضرورة
أن الحكم ببنك لابنله من

مثل هذا فإذا رأيتاه فترع عن خرج سهمه ففرقه فلان يفرق واحد خبر من غرق الكل
فخرج سهم يونس فقال التجار نحن أولى بالمعصية من نبي الله ثم عادوا وأنبأوا بالثأير عون
فخرج سهم يونس فقال ياهولاء أنا العاصي وتلفق في كساء ورمى نفسه فأتبعته السمكة
فأوحى الله تعالى إلى الحوت أن تكسر منه عظما ولا تقطعه وصلاته ان السمكة أخرجه
إلى نيل مصر ثم إلى بحر فارس ثم إلى بحر العباب ثم دجلة فصعدت به وروته بأرض نصيبين
بالعراء وهو كالفرج المتوفى لاشعروا بالحلم فأثبت الله عليه شجرة من بطنين فكان
يستظل بها يأكل من ثمرها حتى تشدد ثم ان الأرض أكلتها فخرجت من أصلها فخرج
يونس لذلك حزنا شديدا فقال يارب كنت أستظل تحت هذه الشجرة من الشمس والريح
وأعص من ثمرها وقد سقطت قبيل له يا يونس تحزن على شجرة أمنت في ساعة وأفنت في
ساعة ولا تحزن على مائة ألف أو يزيدون تركهم أنطلق إليهم فأنطلق إليهم والله أعلم بخبره
الواقعة ثم قال تعالى فأنقذه الحوت وهو مليم يقال النقمه والتهمه والكل بمعنى واحد
وقوله تعالى وهو مليم يقال أذاني بما يلزم عليه فالمليم المستحق للوم الآتي بما يلزم
عليه ثم قال تعالى فلو لانه كان من المسيحين لآبث في بطنه إلى يوم يعثون وفي تفسير كونه
من المسيحين قولان (الاول) أن المراد منه ما حكى الله تعالى عنه في آية أخرى انه كان يقول
في تلك الظلمات لا اله الا أنت سبحانك أي كنت من الظالمين (الثاني) انه لو لانه كان قبل
أن النقمه الحوت من المسيحين يعني المصلين وكان في أكثر الاوقات مواظبا على ذكر الله
وطاعة الله في بطن ذلك الحوت وكان بطنه قبرا له إلى يوم البعث قال بعضهم أذكروا الله
في الرخايد كركم في الشدة فان يونس عليه السلام كان عبدا صالحا إذا ذكر الله تعالى فإلما وقع
في بطن الحوت قال الله تعالى فلو لانه كان من المسيحين لآبث في بطنه إلى يوم يعثون وان
فرعون كان عبدا طاغيا ناسيا فإلما أدركه الفرق قال أمنت انه لا اله الا الذي أمنت به بنوا
اسرائيل قال الله تعالى الآن وقد عصيت قبل واختلفوا في انه لم يلبث في بطن الحوت ولفظ
القرآن لا يدل عليه قال الحسين لم يلبث الا قليلا وأخرج من بطنه بعد الوقت الذي النقمه
وعن مقاتل بن حيان ثلاثة أيام وعن عطاء سبعة أيام وعن الفتحاح عشرين يوما وقيل
شهر أو لأدري بأي دليل عينوا هذه المقادير وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال سمح يونس في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبح فقالوا ربنا اننا نسمع صوتا
ضعيفا بأرض غريبة فقال ذلك عبد يونس عصاني فعبسته في بطن الحوت في البحر فقالوا
العبد الصالح الذي كان يصعد اليك منه في كل يوم وإلهه عل صالح قال نعم فشفوه فأنقذه
الحوت فأنقذه في الساحل فذلك هو قوله فتنبأناه بالعراء وفيه مباحث (الاول) العراء
المكان الخالي قال أبو عبيدة انما قيل له العراء لانه لا شجر فيه ولا شيء يعطيه (الثاني) انه
تعالى قال فتنبأناه بالعراء وأضاق ذلك التنبأ بنفسه والتنبأ انما حصل بفعل الحوت
وهذا يدل على أن فعل العبد مخلوق لله تعالى ثم قال تعالى وهو سقيم قبل المراد انه بلى لحمه

سند حسني أو عفتي وحيث اتنى كلاهما فلا بد من سند نقلي (فأتوا بكتابكم) التاطق بصحة دعواكم (ان كنتم صادقين)
فها وفي هذه الآيات من الانباء عن المسخط العظيم والانكار القطيع لاقا ولهم والاستبعاد الشديد لباطيلهم وتسفيه
أحلامهم وتركك عقولهم

وأفهامهم مع استهزائهم وتعجب من جهلهم ما لا يخفى على من تأمل فيها وقوله تعالى (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا)
 الثقات إلى الغيبة لا يذنبان بقطعهم عن الجواب سقوطهم عن درجة الخطاب واقتضاه حالهم أن يعرض عنهم وتحكي
 جناباتهم لا تحزن والمراد بالجنة الملائكة قالوا الجنس واحد ولكن من خبت من الجن ومن دوا كان شركا فله فهو شيطان ومن
 طهر منهم ونسك وكان خيرا كاهن فهو ملك وانما عبيد عنهم بذلك الاسم ﴿ ١٦٦ ﴾ وضعاء منهم وتقصير بهم مع عظم شأنهم

فيما بين الخلق أن يلقوا منزلة
 المناسبة التي أضافوها إليهم
 فجعلهم هذا عبارة عن قولهم
 الملائكة بنات الله وانما
 أعيد ذكره تمهيدا لما يقبضه
 من قوله تعالى (ولقد علمت
 الجنة أنهم لمحضرون) أي
 وبالله تد علمت الجنة التي
 عظموها بأن جعلوا بينه
 تعالى ونسبواهم الملائكة أن
 الكفرة لمحضرون النار
 معذبون بهما لكذبهم
 وافترائهم في قولهم ذلك
 والمراد به المباينة في التكذيب
 بين أن الذين يدعى هؤلاء
 لهم تلك النسبة ويملكون
 أنهم أعلم منهم بحقيقة الحال
 يكذبونهم في ذلك ويحكمون
 بأنهم معذبون لاجله حكما
 مؤكدا وقيل إن قوما من
 الزنادقة يقولون الله تعالى
 وإبليس أخوان فلهذا هو الخير
 الكريم وإبليس هو الشرير
 اللئيم وهو المراد بقوله تعالى
 وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا
 قال الامام الرازي وهذا
 القول عندى اقرب الاقوال
 وهو مذهب الجوس القائلين
 بيزدان واهلهم وقال مجاهد
 قالت قرأ بش الملائكة بنات الله

وصار ضعيفا كالطفل المولود كالفرخ المبعوط الذي ليس عليه ريش وقال مجاهد سقيم أي
 سلب ثم قال تعالى وابتدأ عليه شجرة من يقطين ظاهر اللفظ يدل على أن الحوت لما نبهه في
 العراء فله تعالى أبنت عليه شجرة من يقطين وذلك المعبر عنه قال المبرد والزجاج كل شجر
 لا يقوم على ساق وانما يتد على وجه الأرض فهو يقطين نحو الدباء والخنظل والبطيخ قال
 الزجاج أحسب اشتقاقيها من قطن بالمكان إذا أقام به وهذا الشجر ورقه كله على وجه
 الأرض فلذلك قيل له اليقطين روى القراءات قين عند ابن عباس هو ورق القرع فقال
 ومن جعل القرع من بين الشجر يقطينا كل ورقة اتسعت وسرت فهي يقطين قال
 الواحدى رحمه الله والآية تقتضى شيئين أحدهما أن يكون المفسرون (أحدهما) أن هذا
 اليقطين لم يكن قبل فأبنته الله لاجله (والآخر) أن اليقطين معروشا يحصل له ظل لانه
 لو كان منبسطا على الأرض لم يكن أن يستظل به ثم قال تعالى وأرسلناه إلى مائة ألف
 أو يزيدون وفيه مباحث (الأولى) يحتمل أن يكون المراد وأرسلناه إلى أن يلقاه الحوت
 وعلى هذا الأرسال وإن ذكر بعد الاتقام فالمراد به التسميم والواو معناه الجمع ويحتمل
 أن يكون المراد به الأرسال بعد الاتقام عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كانت
 رساله نوح عليه السلام بعد ما نبهه الحوت وعلى هذا التفسير يجوز أن يكون أرسل إلى
 قوم آخرين سوى القوم الأول ويجوز أن يكون أرسل إلى الأولين ناسبا بشرا بعد ما قوما
 به (البحث الثاني) ظاهر قوله أو يزيدون يرجع إلى أن الله تعالى محال ونظيره
 قوله تعالى عذرا أو ندرا وقوله تعالى امله يتذكر أي يخشى وقوله تعالى اعلمهم يتقون
 أو يحدث لهم ذكر أو قوله تعالى وما أمر الساعة الا كلمع البصر وهو أقرب وقوله تعالى
 فكان قاب قوسين أو أدنى وأجابوا عنه من وجوه كثيرة والاصح منها وجه واحد وهو أن
 يكون المعنى أو يزيدون في تقدير كم بمعنى أنهم إذا راهم الرائي قال هؤلاء مائة ألف
 أو يزيدون على المائة وهذا هو الجواب عن كل ما يشبه هذا ثم قال تعالى فأتوا فاختصناهم
 إلى حين والمعنى أن أولئك الاقوام لما آمنوا أزال الله الخوف عنهم وآمنهم من العذاب
 ومنعهم الله إلى حين أي إلى الوقت الذي جعله الله أجلا لكل واحد منهم * وقوله تعالى
 (فاستفتحهم أربك البنات) ولهم البنون أم خلقنا الملائكة انما هوهم شاهدون الانهم من
 افكهم لقوا ولدا لله وانهم يكاذبون أصطلى البنات على البنين مالكم كيف تحكمون
 أفلا تذكرون أم لكم سلطان مبين فأتوا بكتبا بكم ان كنتم صادقين وجعلوا بينه وبين الجنة
 نسبا وقد علمت الجنة أنهم لمحضرون سبحانه الله عما يصفون الاعباد الله المخلصين) وفيه
 مسائل (المسئلة الأولى) اعلم انه تعالى لما ذكر اقصيص الانبياء عليهم السلام عاد إلى
 شرح مذاهب المشركين وبيان فحشها وسخافتها ومن جملة أقوالهم الباطلة أنهم أثبتوا
 الاولاد لله سبحانه وتعالى ثم زعموا انها من جنس الاناث لا من جنس الذكور فقال
 فاستفتحهم أربك البنات ولهم البنون وهذا معطوف على قوله في أول السورة فاستفتحهم اهم

فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه في أمهاتهم تبيكتهم فقالوا سروات الجن وقيل معنى جعلوا بينه * اشد
 وبين الجنة نسبا جعلوا بينهم مناسبة حيث أشرخوا به تعالى الجن في استحقاق العبادة فعلى هذه الاقوال يجوز أن

يكون الضمير في أنهم لمحضرين للصبي فاعلموا لقد علمت الشياطين أن الله تعالى يحضرهم النار ويصذبهم بها ولو كانوا مناسين له تعالى أو شركاء في استحقاق العادة لما عذبهم والوجه هو الأول فإن قوله (سبحان الله عما يصفون) حكاية لتزبه الملائكة إياه تعالى عما وصفه المشركون به بعد تكذيبهم لهم في ذلك بتقدير قول معطوف على علت وقوله تعالى (الاعباد لله الخالصين) شهادة ١٦٧ ✽ منهم براءة الخالصين من أن يصفوه تعالى بذلك متضمنة

لتبرئهم منه بحكم اندراجهم في زمرة الخالصين على ابلغ وجه وأكده على أنه استثناء منقطع من واو يصفون كأنه قيل ولقد علمت الملائكة أن المشركين لمعذوب لقولهم ذلك وقالوا سبحان الله عما يصفونه به لكن عباد الله الذين نحن من جنتهم برآء من ذلك الوصف وقوله تعالى (فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه بغاثين) تعاديل وتحقيق براءة الخالصين بمداد بيان عجزهم عن اغوائهم واضلالهم والالتفات إلى الخطاب لظهور كمال الاعتناء بتحقيق مضمون الكلام وما تعدرن عبارة عن الشياطين الذين أغروهم وفيه إيذان بتبرئهم عنهم وعن عبادتهم كقولهم بل كانوا يعبدون الجن وما نافية وأنتم خنساء لهم ولعبودهم تغليباً على متعلقة بغاثين يقال فتى فلان على فلان أمر أنه أى أفسدها عليه والمعنى فانكم ومعبودكم أيها المشركون استم بغاثين عليه تعالى بإفساد عبادهم واضلالهم (الامن هو صال المحجم) منهم أى داخلها لعلمه تعالى بأنه

أشد خلقاً أم خلقنا وذلك لأنه تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم باستفتاء قرين عن وجه انكار البعث أولاً ثم ساق الكلام ووصولا بعضه ببعض إلى أن أمره بأن يستفتيهم في أنهم لم يؤمنوا بالله سبحانه والنبات والنفوس البنية ونقل الواحد من المفسرين أنهم قالوا ان قريناً و اجناس العرب جهينة وبنى سلة و خراعة و بنى مليم قالوا الملائكة نبات الله واعلم أن هذا الكلام يشتمل على أمرين (أحدهما) اثبات النبات لله وذلك باطل لأن العرب كانوا يستنكفون من البنت والشئ الذي يستنكف المخوف منه كيف يمكن اثباته للخالق (والثاني) اثبات أن الملائكة ناث وهذا أيضاً باطل لأن طريق العلم إما الحس وإما الخبر وإما النظر أما الحس ففقود ههنا لانهم ما شهدوا كيفية تخليق الله الملائكة وهو المراد من قوله أم خلقنا الملائكة إنا ما وهم شاهدون وأما الخبر ففقود أيضاً لأن الخبر إنما يفيد العلم إذا علم كونه صدقاً قطعاً وهؤلاء الذين يخبرون عن هذا الحكم كذايون أمّا كونهم لا يدل على صدقهم لادلالة ولا مارة وهو المراد من قوله الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم تكاذبون ✽ وأما النظر ففقود وبيان من وجهين (الاول) أن دليل العقل يقتضي فساد هذا المذهب لأن الله تعالى أكل الموجودات والاكل لا يليق به اصطفاً لا الخس وهو المراد من قوله أصطفى النبات على البنية ما أنكم كيف تحكمون يعني اسناد الأفضل إلى الأفضل أقرب عند العقل من اسناد الأخس إلى الأفضل فإن كان حكم العقل معتبراً في هذا الباب كالقولكم باطلاً (والوجه الثاني) أن ترك الاستدلال على فساد مذهب بل نطالهم بآيات الدليل الدال على صحة مذهبهم فإذ لم يجدوا ذلك الدليل فعنده يظهر أنهم يوجبون ما يدل على صحة قولهم وهذا هو المراد من قوله أم أنكم سلطان مبين فأتوا بكم أيكم ان كنتم صادقين فثبت بما ذكرنا ان القول الذي ذهبوا اليه لم يدل على صحة لا الحس ولا الخبر ولا النظر فكان المصير اليه باطلاً قطعاً واعلم انه تعالى لما طالهم ما يدل على صحة مذهبهم دل ذلك على ان التقليد باطل وان الدين لا يصح الا بالدليل (المسئلة الثانية) قوله أصطفى النبات على البنية قراءة العامة بفتح الهجزة وقصعها من أصطفى ثم تحذف ألف الوصل وهو استفهام توبيخ وتفرع كقوله تعالى أم اتخذ مما يخلق بنات وقوله تعالى أم له البنات ولكم البنون وقوله تعالى ألكم الذكر وله الأنثى وكما ان هذه المواضع كلها استفهام فكذلك في هذه الآية وقرأنا فنعرف بعض الروايات لكاذبون أصطفى موصولة بغير استفهام وإذا ابتدأ كسر الهجزة على وجه الخبر والتقدير أصطفى النبات في زعمهم كقوله في ذلك أنت العزى والكرهم في زعمهم واعتقاده ثم قال تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا واختلفوا في المراد بالجنة على وجه (الاول) قال مقاتل أثبتوا نسباً بين الله تعالى وبين الملائكة حين زعموا أنهم نبات الله وعلى هذا القول فالجنة هم الملائكة سمو جنة لاجتماعهم عن الابصار أولانهم خزان الجنة وأقول هذا القول عندى مشكل لأنه تعالى أبطل قولهم الملائكة نبات الله ثم عطف عليه قوله وجعلوا بينه

يصبر على الكفر بسوء اختياره ويصبر من أهل النار لاجتماعهم وأما الخالصون منهم فأنهم يعزل من افسادهم واضلالهم فهم لاجرم برآء من أن يفتنوا بكم ويسلكوا مسلككم في وصفه تعالى بما وصفوه به وفري صال بضم اللام على أنه جمع محمول على معنى من قد

سقط واوه لانتفاء الساكنين وقوله تعالى (واما الله مقام معلوم) تبين جليلة أمرهم وتعيين خبرهم في موقف اليهودية بعد مآذرك من تكذيب الكفرة فيما قالوا وتزييه الله تعالى عن ذلك وتبرئة المخلصين عنه واطهاره لصور شأنهم وقائهم أي واما الله أحد الاله مقام معلوم في العبادة والانتفاء الى أمر الله تعالى مقصور عليه لا يتجاوز ولا يستطيع أن يزل عنه خضوعا لعظمته وخشوعا لهيبته وتواضعا لجلاله ﴿ ١٦٨ ﴾ كإروى فذهبهم راكم لا يقيم صلبه وساجد

لا يرفع رأسه قال ابن عباس رضي الله عنهما ما في السموات موضع شبرا الا وعليه ملك يصلي أو يسبح ويرى أنه عليه الصلاة والسلام قال أظلت السماء وحق لها أن تظط والذي نفسي بيده ما فيها موضع أربع أصابع الا وفيه ملك واضح جبهته ساجد لله تعالى وقال السدي الاله مقام معلوم في القرية والمشاهدة (وانا نحن الصافون) في موافق الصائفة ومواطن الخدمة (وانا نحن المسبحون) المقدسون لله سبحانه عن كل ما يلبس بحجاب كبريائه وتحليه كلامهم بفنون التاكيد لا يرازان صدورهم عنهم بكمال الرغبة والشايط هذا هو الذي تقتضيه جزالة التبريل وقد ذكر في تفسير الآيات الكريمة وأعرابها وجوه أخر فتأمل والله الموفق (وانا كانوا يقولون) ان هي الخففة من القليلة وصغير الشان مخذوف واللام هي الفارقة أي ان الشان كانت فريش تقول (لو ان عندنا ذكر من الاولين) أي كتابا من كتب الاولين من التوراة والانجيل (لكننا عبادة الله المخلصين) أي

وبين الجنة ونسبا والعطف يقتضي كون المعطوف مقابرا للمعطوف عليه فوجب أن يكون المراد من هذه الآية غير ما تقدم (الثاني) قال مجاهد قالت كفار قريش الملائكة بنات الله فقال لهم أبو بكر الصديق فن أمهاتهم قالوا سروا الجن وهذا أيضا عندي بعيد لان المصاهرة لا تسمى نسبا (والثالث) روي في تفسير قوله تعالى وجعلوا لله شركاء الجن ان قوما من الزنادقة يقولون الله وابليس اخوان الله الخير الكريم وابليس هو الاخ الشرير الخبيس فقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا المراد منه هذا المذهب وعندى ان هذا القول اقرب الاقوال وهو مذهب الجوس القائلين يزدان وهو من ثم قال تعالى ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون أي قد علمت الجنة ان الذين قالوا هذا القول لمحضرون النار وبعيدون وقيل المراد ولقد علمت الجنة انهم سيحضرون في العذاب فملى القول الاول الضمير ما دل على ان هذا القول وعلى القول الثاني ما دل على ان الجنة أنفسهم ثم انه تعالى نزه نفسه عما قالوا من الكذب فقال سبحانه الله عما يصفون الا يهاب الله المخلصين وفي هذا الاستثناء وجوه قيل استثناء من المحضرين يعني انهم ناجون وقيل هو استثناء من قوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وقيل هو استثناء منقطع من المحضرين ومعناه وان كان المخلصين برآء من أن يصفوه بذلك والمخلص بكسر اللام من أخلص العبادة والاعتقاد لله ويفقههم من أخلاصه لله بلطفه والله أعلم * قوله تعالى (فانكم مانتعبدون ما أنتم عليه بغايتين) من هو صال الحميم واما الله مقام معلوم وانا نحن الصافون وانا نحن المسبحون وان كانوا ليقولون لو ان عندنا ذكر من الاولين لكننا عبادة الله المخلصين فكفروا به فسوف يعلمون) فيه مسائل (المسئلة الاولى) اعلم انه تعالى لما ذكر الدلائل على فساد مذهب الكفار اتبعه بما فيه به على ان هؤلاء الكفار لا يقدر على حل أحد على الضلال الا اذا كان قد سبق حكم الله في حقه بالعذاب والوقوع في النار وذكر صاحب الكشاف في قوله فانكم مانتعبدون ما أنتم عليه بغايتين قولين (الاول) الضمير في عليه لله عز وجل معناه فانكم ومعبودكم ما أنتم وهم جبابغايتين على الله الأصحاب النار الذين سبق في علم الله كونهم من أهل النار فان قيل كيف يفتنونهم على الله قلنا يفتنونهم عليه يا غواهم من قولك فتى فلان على فلان أمر أنه كما تقول أفسدها عليه (والوجه الثاني) أن تكون الواو في قوله ومانتعبدون بمعنى مع كافي قولهم كل رجل وضيعته فكما جاز السكوت على كل رجل وضيعته فكذلك جاز أن يسكت على قوله فانكم مانتعبدون لان قوله ومانتعبدون ساد مسد الخبر لان معناه فانكم مع مانتعبدون والمعنى فانكم مع آلهتكم أي فانكم قرناؤهم وأصحابهم لا تتركون عبادتها ثم قال تعالى ما أنتم عليه أي على مانتعبدون بغايتين يباعثن أو حاملين على طريق الفتنة والاضلال الامن هو صال الحميم مثلكم وقرأ الحسن صال الحميم بضم اللام ووجه أن يكون جمعا وسقوط واوه لانتفاء الساكنين فان قيل كيف يستقيم الجمع مع قوله من هو قلنا من موحد اللفظ بجمع المعنى

لا خاصنا العبادة لله تعالى ولما خلفنا كما خلفوا وهذا كقولهم لنن جانا نذير لنكون أهدى من احدى ﴿ فحمل ﴾ الامم والغاة في قوله تعالى (فكفروا به) فصيحة كافي قوله تعالى أن اضرب بعصاك البحر فانطلق أي فجاءهم ذكروا ذكريد الاذكار وكتاب مهيمن على سائر الكتب والاسفار فكفروا به (فسوف يعلمون) أي عاقبه كفرهم وغائله

(ولقد سقت كلتنا لعيادنا المرسلين) استئناف مقرر للوعد وتصديره بالقسم لغاية الاعتناء بتحقق مضمونه أي وبالله لقد سبق وعدنا لهم بالنصرة والغلبة وهو قوله تعالى (انهم لهم المنصورون وإن جندنا) وهم أتباع المرسلين (لهم الغالبون) على أعدائهم في الدنيا والآخرة ولا يقدح في ذلك انهزامهم في بعض المشاهد فان قاعدة أمرهم وأساسه الغفر والنصرة وإن وقع في نضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والحكم الغالب ١٦٩ وعن ابن عباس رضي الله عنهما إن لم ينصروا في الدنيا انصروا في الآخرة وقرئ على عبادنا

بتضمين سبقت معنى حققت ونسبتهما كلمة مع انها كلمات لاتنظامها في معنى واحد وقرئ كلاتنا (فتقول عنهم) فاعرض عنهم واصبر (حتى حين) الى مدة يسيرة وهي مدة الكف عن القتال وقيل يوم بدر وقيل يوم الفتح (وأبصرهم) على أسوأ حال وأقطع نكال حل بهم من القتل والأسر والمراد بالامر بإبصارهم الايدان بغاية قربه كأنه بين يديه (فسوف يبصرون) ما يقع حينئذ من الأمور وسوف الوعيد دون التعبد (أبعدنا) يستجزل (روى أنه أنزل فسوف يبصرون) قالوا متى هذا فنزل (فاذا نزل بساحتهم) أي فاذا نزل العذاب الموعود بفنائهم كاله جيش قد هجمهم وأناخ بفنائهم بغته فشن عليهم الغارة وقطع دابرهم بالمرء وقيل المراد نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وقرئ نزل بساحتهم على اسناده الى الجار والمجور وقرئ نزل مبيناً لمفعول من التنزيل أي نزل العذاب (فساه صباح المنذرين) فبئس صباح

فحمل هو على لفظه والصالون على معناه (المسئلة الثانية) احتج أصحابنا بهذه الآية على انه لا تأثير لاغواء الشيطان ووسوسته وإنما المؤثر قضاء الله تعالى وتقديره لأن قوله تعالى فانكم وما تتبعون ما كنتم عليه بفساتين تصریح بأنه لا تأثير لقولهم ولا تأثير لاحوال معبوديهم في وقوع الفتنة والضلال وقوله تعالى الامن هو صال الجحيم يعني الامن كان كذلك في حكم الله وتقديره وذلك تصریح بأن مقتضى اوقوع هذه الحوادث حكم الله تعالى وكان عمر بن عبد العزيز ينجح بهذه الآية في اثبات هذا المطلوب قال الجاني المراد ان الذين عبدوا الملائكة يزعمون انهم بنات الله لا يكفرون أحداً الامن ثبت في معلوم الله انه سيكفر قتل هذا على أن من ضل بدعاء الشيطان لم يكن ليؤثر من بالله لو منع الله الشيطان من دعائه والا كان يمنع الشيطان فصيح بهذا ان كل من بعصى لم يكن ليصلح عنه شيء من الافعال والجواب حاصل هذا الكلام انه لا تأثير لاغواء شياطين الانس والجن وهذا النزاع فيه اذاً وجد الاستدلال انه تعالى بين انه لا تأثير لكلامهم في وقوع الفتنة ثم استثنى عنه ما في قوله تعالى الامن هو صال الجحيم فوجب أن يكون المراد من وقوع الفتنة هو كونه محكوماً عليه فانه صال الجحيم وذلك تصریح بأن حكم الله باسعادنا والسفاقة هو الذي يؤثر في حصول السفاقة واسعادنا واعلم ان أصحابنا يقررون اهذه الحجة بالحديث المشهور وهو انه حج آدم موسى قال القاضى هذا الحديث لم يقبله علماء التوحيد لانه يجوز أن لا يلام أحد على شيء من الذنوب لانه ان كان آدم لا يجوز لموسى أن يلوم على عن كتبه الله عليه قبل أن يخلقه فكذلك كل مذنب فان صححت هذه الحجة لآدم عليه السلام فلماذا قال موسى عليه السلام في الوكرة هذا من عمل الشيطان انه عدو مضلل مبين ولماذا قال فلنأكون ظهيرا للمجرمين ولماذا لام فرعون وجنوده على أمر كتبه الله عليهم ومن عجيب أمرهم انهم يكفرون القدرة وهذا الحديث يوجب أن آدم كان قد ربا فلزمهم أن يكفروه وكيف يجوز مع قول آدم وحواه عليه السلام بناظرنا انفسنا وارلم نغفر لنا وترحنا لنكون من الخامسین أن ينجح على موسى أنه لا لوم عليه وقد كتب عليه ذلك قبل أن يخلقه هذا جلة كلام القاضى فيقال له هب أنك لا تقبل ذلك الخير فهل ترده هذه الآيات لا فائداً لنا أن تصریح هذه الآية يدل على انه لا تأثير لا لوسوس في هذا الباب فان الكل يحصل بحكمة الله تعالى والذي يدل عليه وجوه (الاول) ان الكافر ان ضل بسبب وسوسة الشيطان فضلال الشيطان ان كان بسبب شيطان آخر لم تسلسل الشياطين وهو محال وارتأى الى ضلال يحصل بسبب وسوسة مقدمة وهو المطلوب (الثاني) أن كل أحد يريد ان يحصل لنفسه الاعتقاد الحق والدين الصدق فيحصل ضده يدل على أن ذلك ليس منه (الثالث) أن الافعال موقوفة على الدواعي وحصول الدواعي بخلق الله فيكون الكل من الله تعالى (الرابع) انه تعالى لما اقتضت حكمته شيئاً وعلم وقوعه فلزم يقع ذلك الشيء انقلب ذلك الحكم كذا وانقلب ذلك العلم جهلاً

المنذرين صباحهم واللام للجنس والصباح ٢٢ سا مستعار من صباح الجيش المبين لوقت نزول العذاب ولما كثرت منهم الغارة في الصباح سموها صباحاً وان وقت ليلاروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أتى خيبر وكانوا خارجين الى من ارضهم ومعهم المساحي قالوا لمحمد والحيس ورجعوا الى حصنهم فقال عليه الصلاة والسلام الله اكبر خبرت خيبراً اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين (وتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف

بصبرون) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم اثر تسليته وتأكيده لوقوع المعاد غرضاً تكيد مع ما في اطلاق الفعلين عن
لفعل من الايدان بان ما يبصره عليه الصلاة والسلام حينئذ من فنون المسار وما يبصره من أنواع المضار لا يحيط به
الوصف والبيان وقيل أراد بما لا يول عذاب الدنيا والثاني عذاب الآخرة (سيحار) بكسر السين العزة عما يصفون) تنزيهه لله سبحانه
عن كل ما يصفه المشركون به الا ليقبح حساب ﴿١٧٠﴾ كبريائه وجبروته مما ذكر في السورة الكريمة وما لم يذكر من الامور

وهو محال واما الآيات التي تمسك بها القاضى فهي معارضة بالآيات الدالة على أن الكل
من الله والقرآن كالنجر المملوء من مثل هذه الآيات فتنبى الدلائل العقلية التي ذكرناها سليمة
والله اعلم ثم قال تعالى وما منا الا له مقام معلوم فالجهر على أنهم الملائكة وصفوا
أنفسهم بالبنانة في العبودية فانهم يصطقون للصلاة والتسبيح والغرض منه التنبيه على
فساد قول من يقول أنهم أولاد الله وذلك لان مخالفتهم في العبودية تدل على اعتراضهم
بالعبودية واعلم أن هذه الآية تدل على ثلاثة أنواع من صفات الملائكة (فاولها) قوله
تعالى وما منا الا له مقام معلوم وهذا يدل على أن لكل واحد منهم مرتبة لا يتجاوزها
ودرجة لا يتعدى عنها تلك الدرجات اشارة الى درجاتهم في العبودية في أجسام هذا
العالم والى درجاتهم في معرفة الله تعالى أما درجاتهم في الصفات والافعال فهي قوله
وانا نحن الصافون والمراد كونهم صافين في أداء اصغيات ومنازل الخدمة والعبودية
أما درجاتهم في المعارف فهي قوله تعالى وانا نحن المسبحون والتسبيح تنزيهه الله عما
لا يليق به واعلم أن قوله انا نحن الصافون وانا نحن المسبحون يفيد الحصر ومعناه أنهم
هم الصافون في مواقف العبودية غيرهم وأنهم هم المسبحون لا غيرهم وذلك يدل على أن
طاعات الشجرة معارفهم بالنسبة الى طاعات الملائكة والى معارفهم كالمهم حتى يصح
هذا الحصر وبالجملة فهذا اللفظ الثلاثة تدل على أسرار عجيبة من صفات الملائكة
فكيف يجوز مع هذا الحصر أن يقال البشر أقرب درجته من الملك فضلاً عن أن يقال
هل هو أفضل منهم لا سيما قوله وان كانوا ايتوا لوان عندنا ذكر من الاولين لكننا عباد
الله المخلصين فاعلم أن مشركي فارس وغيرهم كانوا يقولون لو ان عندنا ذكر أى كتابا من
كتب الاولين الذين نزل عليهم التوراة والانجيل لأخلصنا العبادة لله ولا كذبنا كما
كذبوا ثم جاءهم الذكر الذي هو سيد الاذكار والكتاب المهين على كل الكتب وهو
القرآن فكفروا به ونظم هذه الآية قوله تعالى فلما جاءهم نذير ما زادهم انفوراً ثم قال
تعالى فسوف يعلمون أى سوف يعلمون عاقبة هذا الكذب والالكاذب * قوله تعالى (ولقد
سبقت لكتلتنا اعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان عندنا لهم العاقلون قول عنهم حتى
حين وأبصرهم فسوف يبصرون أفعدنا يستجوبون فإذا نزل بسألتهم فساء صباح
المنذرين وتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون سبحانه ربك رب العزة عما يصفون
وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين) اعلم انه تعالى لما هدد الكفار بقوله تعالى
فسوف يعلمون عاقبة كفرهم أردفه بما يقوى قلب الرسول صلى الله عليه وسلم فقال ولقد
سبقت لكتلتنا اعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان عندنا لهم العاقلون فيبين أن وعده
ببصرتهم قد تقدم والدليل عليه قوله تعالى كتب الله لا تخلفن أنا وأورسلى وأيضاً ان
الخبر مفعلى بالذات والشر مفعلى بالعرض وبالمبالغة أقوى مما بالعرض واما البصيرة
والعقيدة فقد تكون بقوة الحجة وقد تكون بالدولة والاستيلاء وقد تكون بالعوام والشعبات

التي من جعلتها ترك انجاز
وعود على وجب كافة السابقة
لا سيما في حق رسول الله صلى
الله عليه وسلم كما ينبغي عنه
العرض لعنوان الربوبية
المعرفة عن الترية والتكميل
والمالكية الكلية مع الاضافة
الى صفته عليه الصلاة والسلام
أولاً الى العزة لتأكيده قبل
سبحان من هو مريك ومكمل
وما لا الشجرة والعقيدة على الا
طلاق عما يصفه المشركون به
من الاشياء التي من باب ترك نصرتك
عليهم كما يدل عليه استعمالهم
بالعذاب وقوله تعالى (سلام
على المرسلين) تشرىفهم
عليهم السلام بعد تزيينها
تعالى عما ذكر وتوحيه بشأدهم
وايدان بأنهم سلوة عن كل
المكاره غائرة بجمع لما قرب
وقوله تعالى (الحمد لله رب
العالمين) اشارة الى وصفه عن
وجل بصفاته الكريمة الشوية
بعد التنبيه على انصافه تعالى
بجميع صفاته السليمة وايدان
باستبانتها للافعال الجملة
التي من جعلتها افاضته عليهم
من فنون الذكرات السنية
والكلمات الدينية والدينية
واسباغها عليهم وعلى من تبهم

من صنوف النعماء الظاهرة والباطنة الموجبة لحمدته تعالى واشعار بأن ما وعده عليه الصلاة والسلام من النصرة ﴿فالؤمن﴾
والعقيدة قد تحققت والمراد تنبيه المؤمنين على كيفية تسبيحه تعالى وتحميده والتسليم على رسله الذين هم وسائط بينهم وبينه
هو روعلا فيضان الكلمات الدينية والدينية بتعليقهم ولعل توسط التسليم على المرسلين بين تسبيحه تعالى وتحميده لخم
السورة الكريمة بحمده تعالى مع ما فيه من الاشعار

بأن توفيقه تعالى للتسليم عليهم من جملة نعمه الموجبة للحمد * عن علي رضي الله عنه من أحب أن يكتب بالكمال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحانه ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين * وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ الصافات أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد كل جن وشيطان وتباعدت عنه الشياطين و يرى من اشكره وشكره * ١٧١ * حافظه يوم يوم اقبامه أنه كان مؤثرا بالمرسلين * (سورة ص مكية وآياتهاست

او ثمان وثلاثون آية) *

(بسم الله الرحمن الرحيم) *

(ص) بالسكوت على الموقف
وفرى باسمه وسر والفتح لانهاء
السكوتين ويجوز أن يكون
الفتح باضمار حرف التسم
في موضع الجر تقولهم الله
لا اله الا هو وان يكون ذلك
نفسا باضمار اذكر او اذرا
فهما كما مر في فاتحة سورة
البقرة وامتدح الصوف
للتعريف والتأنيث لانها علم
السورة وقد صرفها من
قرأصا بالتثنية على انه
اسم الكتاب أو التثنية وقيل
هو في قراءة الكسر أمر
من المصادفة وهي المعارضة
والمقابلة ومنها الصدى الذي
ينعكس من الاجسام الصلبة
الصوت ومعناه عارض القرآن
بملك فاعلم بأوامره وانه
عن نواهيده وتخلق بأخلاقه
ثم ان جعل اسما للحرف
مسرودا على منهاج التهديد
أو الرمز الى كلام مثل
صدق الله أو صدق محمد كما نقل
عن اكار السلف أو اسما
للسورة خبر المبتدأ محذوف
أو نصبا على اضمار اذكر
أو اقرأ أمر من المصادفة

فلو من وان صار مغلوبا في بعض الاوقات بسبب ضعف احوال الدنيا فهو اغالب ولا يلزم على هذه الآية أن يقال فقد قبل بعض الانبياء وقد هزم كثير من المؤمنين ثم قال تعالى رسوله وقد اخير بما تقدم فتول عنهم حتى حين والمراد ترك مقاتلتهم وشبهه بما وعدناهم الى حين يتمعون ثم تول بهم الحسرة والندامة واختلف المفسرون فقيل ان اراد الى يوم بدر وقيل الى فتح مكة وقيل يوم القيامة ثم قال وأبصرهم فسوف يبصرون والمعنى فأبصرهم وما يقضى عليهم من القتل والاسرى الدنيا والعذاب في الآخرة فسوف يبصرونك مع ما قد راك من العسرة البائسة في الدنيا والثواب العتق في الآخرة والمراد من الامر بأبصارهم على الحال المتوقعة لعودة الدابة على أنها كانت واقعة لا تخافه وان كنت غير آمنة كأنها قد ادمت ناظر يك و قوله فسوف يبصرون للتهديد والوعيد ثم قال أفعبدا يستعملون والمعنى ان الرسول عليه السلام كان يمددهم بالعذاب وما راها شيئا فكأنوا يستعملون نزول ذلك العذاب على سبيل الاستهزاء فيقال تعالى ان ذلك الاستعمال جهل لان لكل شئ من افعال الله تعالى وقفا علينا لا يقدم ولا يتأخره كما يطلب حدوده قبل مجيء ذلك الوقت جهلا ثم قال تعالى في صفة العذاب الذي يستعملونه فاذا نزل يساحتم أي هذا العذاب فسا صباح النذر بين وما يقع هذا التعذيب من هذه العساكن لانهم كانوا يقدمون على القارة في وقت الصباح فيجعل ذلك الوقت كما تقدمت ذلك العساكن أعاد قوله لي قول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون وقيل المراد من هذه الكلمة احوال الدنيا وفي هذه الكلمة احوال القيامة وعلى هذا التقدير فالتكرير زائل وقيل المراد من اشكر في المبالغة في التهديد والتهويل ثم تعالى ختم السورة بخاتمة شريفة جامعة لكل المطالب العالية وذلك لان أهم المهمات للعاقل معرفة احوال ثلاثة (فأولها) معرفة الله العالم بقدر الطائفة البشرية وأقصى ما يمكن عرفانه من صفات الله تعالى ثلاثة أنواع (أحدها) تزيينه وتقديسه عن كل ما يليق بصفات الالهية وهو لفظه سبحانه (وثانيها) وصفه بكل ما يليق بصفات الالهية وهو قوله رب العزة فان الربوبية اشارة الى الترتيب وهي دالة على كمال الحكمة والرحمة والعزة اشارة الى كمال القدرة (وثالثها) كونه متزهيا في الالهية عن الشريك والتظير وقوله رب العزة يدل على انه القادر على جميع الحوادث لان الالف واللام في قوله العزة تفيد الاستغراق واذا كان الكل ملكا له وملكاه لم يبق لغيره شئ فثبت ان قوله سبحانه ربك رب العزة عما يصفون كلمة محتوية على أقصى الدرجات وأكمل النهايات في معرفة العالم (والمهم الثاني) من مهمات العاقل أن يعرف انه كيف ينبغي أن يعامل نفسه ويعامل الخلق في هذه الحياة الدنيا ويعلم أن أكثر الخلق ناقصون ولا بد لهم من مكمل يعلمهم ومربي يشدهم وهادي يهديهم وما ذاك الا الانبياء عليهم الصلاة والسلام وبيدهم القطرة شاهدة بأنه يجب على الناقص الاقتداء بالكمال فبيد على هذا الحرف بقوله وسلام على المرسلين لان هذا اللفظ يدل على انهم في

قالوا في قوله تعالى (والقرآن ذي الذكر) للتسم وان جعل مقصده فبيد اللطيف عليه فان اردنا قرآن كله فالخاتمة بينهما حقيقة وان اردنا غير السورة فهي اعتبارية كما في قولك مررت بالرجل الكريم وبالنسبة المباركة وأيا ما كان ففي التكرير مزيد تاكيد لصحون الجملة المقسم عليها والذكر الشرف والنباهة كما في قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك أو الذكري والموصظة أو ذكر ما يحتاج اليه في أمر

الذين من الشرائع والأحكام وغيرها من أفاصيل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأخبار الأمم الدارجة والوحد والوحد
وجواب القسم على الوجه الأول والرابع والخامس محذوف هو ما ينبغي عنه التحدى والأمر والاقسام به من كون التحدى به معجزا
وكون المأمور به واجبا وكون القسم به حقيقيا بالأعظام أى أقسم بالقرآن أو بصادق به المعجز أو بأوجب العمل به أو لتحقيق بالأعظام
وأما على الوجهين الباقيين فهو الكلام المرموز إليه ونفس الجملة المذكورة ﴿ ١٧٢ ﴾ قبل القسم فإن التسمية تنويه بشأن

المسمى وتبيينه على عظم
خطره أى أنه إصداق
والقرآن ذى الذكر وهذه
السورة عظيمة الشأن والقرآن
الحق على طريقتيه قولهم هذا
حاتم والله والما كان كل واحد
من هذه الأجوبة متبينا عن
انتفاء الرب عن مضمونه
بالتكليف لئلا ينشأ كان قوله
تعالى بل الذين كفروا فى سورة
وشقاقى (اضربا عن ذلك
كأنه قبل لا ريب فيه فطعا
وليس عدم ادعاء الكفر له
لشأنه ريب ما فيه بل هم
فى استكبار وحية شديدة
وشقاق يعبد الله تعالى ورسوله
ولذلك لا يذعنون له وقيل
الجواب ما دل عليه الجملة
الاضرابية أى ما كثر به
من كفر لخل وجده فيه
بل الذين كفروا الخ وقرئ
فى غرة أى فى غفلة عما يجب
عليهم التنبه له من مبادئ
الايان ودواعيه (كم أهلكنا
من قبلهم من قرن) وعيد لهم
على كفرهم واستكبارهم
بيان ما أصاب من قبلهم من
المستكبرين وكما مفعول
أهلكنا ومن قرن تمييز والمعنى
وقرنا كثيرا أهلكنا من

الكمال اللاحق بالشراف واغبرهم ولا جرم يجب على كل من سواهم الاقتداء بهم (والمهم
الثالث) من جهات العاقل أن يعرف أنه كيف يكون حاله بعد الموت واعلم أن معرفة
هذه الحالة قبل الموت صعبة فلا عتد فيها على حرف واحد وهو أنه العالم غنى رحيم
والغنى الرحيم لا يعذب فيه على هذا الحرف بقوله والحمد لله رب العالمين وذلك لأن
استحقاق الحمد يحصل بالإبانة نعم العظم فينبهنا كونه نعمنا وظاهره أنه غنى عن
العالمين ومن هذا ما قد كان الغالب منه هو الرحمة والفضل والكرم فكان هذا الحرف
منه على سلامة الحال بعد الموت فظهر بما ذكرنا أن هذه الخاتمة كانت صدقة المحنوية على
درر أشرف من درارى الكواكب ونسأل الله سبحانه وتعالى حسن الخاتمة والعافية فى
الدنيا والآخرة ثم تفسر هذه السورة ضحوة يوم الجمعة السابع عشر من ذى القعدة سنة
١٣٨٠ وسنة ١٣٨١ والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله وصحبه
وأزواجه وذريته أجمعين

(سورة ص ثمانون وثلاثون آيات مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ص) والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا فى عز وشقاق كم أهلكنا من قبلهم من قرن
فنادوا ولات حين مناص (وفيه مسائل (المسئلة الأولى) الكلام المستقصى فى أمثال
هذه الفروع مذكور فى أول سورة البقرة ولأبأس بأعادة بعض الوجوه فالأول أنه مقتح
أسماء الله تعالى التى أولها صاد كقولنا صادق الوعد صانع المصنوعات صمد (والثانى)
معناه صدق محمد فى كل ما أخبر به عن الله (الثالث) معناه صد الكفار عن قبول هذا
الدين كما قال تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله (الرابع) معناه أن القرآن مر ك
من هذه الحروف وأنتم قادرون عليها واستم قادرين على معارضة القرآن فدل ذلك على
أن القرآن معجز (الخامس) أن يكون صاد بكسر الدال من المصادقة وهى المعارضة ومنها
الصدى وهو ما يعارض صوتك فى الأماكن الخالية من الأجسام الصلبة ومعناه عارض
القرآن يعملك فاعل بأمره وانتدع نواهي (السادس) أنه اسم السورة والتقدير
هذه صاد فإن قيل ههنا اشكالان أحدهما أن قوله والقرآن ذى الذكر قسم وأين المقسم
عليه (والثانى) أن كلمة بل تفتضى رفع حكم نيت قبلها وأيات حكم بعدها بنافض الحكم
السابق فابن هذا المعنى ههنا والجواب عن الأول من وجوه (الأول) أن يكون معنى
صاد بمعنى صدق محمد صلى الله عليه وسلم فيكون صاد هو المقسم عليه وقوله والقرآن ذى
الذكر هو القسم (الثانى) أن يكون المقسم عليه محذوفا والتقدير سورة ص والقرآن
ذى الذكر أنه لكلام معجز لا نأين أن قوله صاد تنبيه على التحدى (والثالث) أن يكون صاد
اسما للسورة يكون التقدير هذه صاد والقرآن ذى الذكر لما كان المشهور أن محمدا

القرآن الخالية (فنادوا) ههنا نزول بلاس او حذول تقمنا استغاثه وتوبة لينجوا من ذلك وقوله تعالى (ولات حين) عليه ﴿

مناص) حال من ضمير نادوا أى نادوا واستغاثوا طلبا للنجاة والحال أن اس الحين حين مناص أى قوت ونجاة من ناصه أى فاته
لا من ناص بمعنى تأخر ولاهى المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث لئلا يكيد كما زيدت على ربو ثم وخصت بنى الاحياء ولم يبرز
الا أحد ممولها والاكثر حذف اسمها وقيل هى النافية للجنس زيدت عليها تاء وخصت بنى الاحياء وحين مناص منصوب

على انه اسمها أى ولا حين مناص لهم او بفعل مضمر أى ولا أرى حين مناص وقرى بأرقم فهو على الاول اسمها والخبر محذوف
أى وليس حين مناص حاصل لهم وعلى الثاني مبتدأ محذوف الخبر أى ولا حين مناص كأن لهم وقرى بالكسر كما في قوله * طلبوا
صلحنا ولا ت أوان * فأجنبنا لأن حين بقاء * اما لان تجر الاحيان كأن لولا تجر الضمائر في نحو قوله * لولاك هذا العام
لما حجج * أولان أوان شبه باذافي قوله * نهيتك (١٧٣) عن طلبك أم عمرو * بعافية وأنت اذا صحح * في أنه زمان قطع

منه المضاف اليه وعوض
التون لان أصله أوان صلح
ثم حل عليه حين مناص
تزيلا لقطع المضاف اليه
من مناص اذا وصله حين
مناصهم منزلة قطعه من
حين لما بين المضافين من
الاتحاد ثم بين الحين لاضافته
الى غير ممكن وقرى لأن
الكسر كجبر ويقف الكسريون
عليها بانتهاء ككلام
والبصريون بالناء كالافعال
وما نزل من أن الناء من
على حين لاتصالها به في الامام
بما لا وجه له فان خط لمصحف
خارج عن انساب (وعجبوا
أن جاءهم منذر منهم) حكاية
وباطلهم للمنع على ما حكى
من استنبارهم وشفاهم أى
يجبوا من أن جاءهم رسول من
الرياسة الدنيوية والمال على
معنى أنهم عدوا ذلك أمرا
عجيبا خارجا عن احتمال
الوقوع وأنكروا شد الانكار
لأنهم اعتقدوا وقوعه ونجوا
منه (وقال الكافرون) وضع
فيه الظاهر ووضع الضمير
غضب عليهم وايدنا بأنه
لا يتجاسر على مثل ما يقولون

عليه السلام يدعى في هذه السورة كوها مجزة كان قوله هذه ص جار يجرى قوله هذه
هى السورة المجزة ونظيره قولك هذا حاتم والله أى هذا هو المشهور بالسخا (والجواب)
عن السؤال الثاني أن الحكم المذكور قبل كلمة بل كون محمد صادقا في تدليغ الرسالة
أو كون القرآن أو هذه السورة مجزة والحكم المذكور بعد كلمة بل ههنا هو المنازعة
والمنافاة في كونه كذلك فحصل المطلوب والله أعلم (المسئلة الثانية) قرأ الحسن صاد
بكسر اندال لاجل التاء الساكنين وقرأ عيسى بن عمر بنصب صاد وتون وتحذف حرف
النسم وابطصال فقله كقولهم الله لافعلن وأ كثر القراء على الجزم لان الاسماء الدار بفتح
الواو مل تدكر موقوفة الاواخر (المسئلة الثالثة) في قوله ذى الذكر وجهان (الاول)
المراد ذى الشرف قال تعالى وانه لذكرك واقومك وقال تعالى لقد أنزنا اليكم كتابا فيه
ذكركم وبما جاز هذا من قولهم فلان ذكر في الناس كما يقولون له صيت (الثاني) ذى البياضين
أى فيه قصص الاولين والآخرين وفيه بيان العاوم الاصلية والفرقة وبما جاز من قوله
ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر (المسئلة الرابعة) قالت المفسرة ان قرآن ذى الذكر
والذكر حدث (بيان اول) قوله تعالى وانه لذكرك واتومك وهذا ذكر مبارك والقرآن
ذى الذكر ان هو الاذكر وقرآن مبين (بيان ثانى) ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث
ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث (والجواب) انما تصرف ذلك الى الحروف والاصوات
وهى محدثة اما قوله بل الذين كفروا هم الكفار من رؤساء قريش الذين يجوز على
مثلهم الانجاب على احد والتكبر عن الانقياد الى الحق والعزة ههنا التعظيم وبعينه
الانسان في نفسه من الاحوال التى تتعبد من متابعتها غير قوله تعنى واذا قبل له ان الله
أخذته العزة بالاثم والشقاق هو ظهور المخافة على جهة المساواة للتحفاف أو على جهة
الفضيلة عليه وهو مأخوذ من الشق كأنه يرتفع عن أن يلزمه الانقياد له بل يجعل نفسه
في شق وخصمه في شق فيريد أن يكون في شق نفسه ولا يجرى عليه حكم خصمه ومثله المحادة
وهو أن يكون أحدهما في عدوة والآخر في عدوة وهى جانب الوادي وكذلك المعادة أن
يكون هذا في حد غير هذا الآخر ويقال انحرف فلان عن فلان وجانب فلان فلان أى
صار منه على حرف وفي جانب غير جانبه والله أعلم ثم انه تعالى لما وصفهم بالعزة والشقاق
خوفهم فقال كم أهلكنا قبلهم من قرن فنادوا والمعنى أنهم نادوا عند نزول العذاب فى
الدنيا ولم يدركوا بى شئ نادوا وفيه وجوه (الاول) وهو الاظير أنهم نادوا بالاستغاثة لان
نداء من نزل به العذاب ليس الا بالاستغاثة (الثاني) نادوا بالايان والتوبة عند معاناة
العذاب (الثالث) نادوا أى رفعوا أصواتهم يقال فلان اندى صوتا من فلان أى ارفع
صوتا ثم قال ولات حين مناص يعنى ولم يكن ذلك الوقت وقت فرار من العذاب وهو قوله
فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا وقال حتى اذا أخذنا مترقبهم بالعذاب اذاهم يجارون والجار
رفع الصوت بالتضرع والاستغاثة وكقوله الآن وقد عصيت قبل وقوله فم يك ينفعهم

لا المتوغلون في الكفر وفي انفسوق (هذا ساحر) في يظهره من الخوارق (كتاب) فيما يسند الى الله تعالى من الارسال
بالانزال (أجعل الآلهة الها واحدا) بان نقي الالهية عنهم وقصرها على واحد (ان هذا شئ عجب) ببلغ في العجب وذلك
لانه خلاف ما ألفوا عليه آباءهم الذين أجمعوا على ألوهيتهم وواظبوا على عبادتهم كبرا عن كبر فان مدار كل ما يتون
يما ينرون من أمور دينهم هو

التقليد للاعتقاد فيمدون ما يخالف ما اعتادوه عجيبا بل محالاً وأما جعل مدارعبيهم عدم وفاء علم الواحد وقدرته بالاشياء
الكثيرة فلا وجه له لما أنهم لا يدعون أن لا إلهتهم علواً وقدره ومدخل في حدوث شيء من الاشياء حتى يلزم من نفي ألوهيتهم بقاء
الاشياء بلا مؤثر وقرى عجبا بالتشديد وهو أبلغ ككرام وروى أنه لما أسلم عمر رضي الله عنه شق ذلك على فرس فاجتمع
خمس وعشرون من صناديدهم فاثوا بأطال فقالوا أنت شيخنا وكبرنا ﴿١٧٤﴾ وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وقد

جئتكم لنفسي بينا وبين ابن
أخيك فاستحضر رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن
أخي هؤلاء قومك بسأؤوك
السؤال فلا تمل كل الميل على
قومك فقال صلى الله عليه
وسلم إذا سألتوني قالوا رخصنا
وأرفض ذكر الهتنا وتدنيتك
والهتك فقال صلى الله عليه
وسلم أرايتم أن أعصيتكم ما
سألتكم أعطيتكم كل واحدة
تملكون بالعرب وتدينكم
بها العجم قالوا نعم وعشر أعز
قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا
فذلك (واضاف الملائكة)
أى ونطق الاشرف من
قرىش عن مجلس أبي طالب
بعد ما يكتمهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالجواب العتيد
وشاهدوا نصيبه عليه الصلاة
والسلام في الدين وعزيمته
على أن يظهره على الدين كله
ويأسوا مما كانوا يرجونه
بوسط أبي طالب من المصالحة
على الوجه المذكور (أن أمشوا)
أى قائلين بعضهم لبعض على
وجه النصيحة أمشوا (واصبوا
على آلهم) أى وأهبنوا على
عبادتها فمخاملين لتسبعونه
في حقهم القدر وأنهم

أيمانهم لما رأوا بأستاذي ههنا البحت (البحت الاول) في تحقيق الكلام في لفظ لا زعم
الجل وسبويه ان لا تهي لا المشبهة بليس ز بدت عليها تاء التأنيث كاز بدت على رب وثم
لأن كيدو بسبب هذه زيادة حدث لها أحكام جديدة منها انها لا تدخل الاعلى الاحيان
ومنها ان لا يبرز إلا حد جزيها اما الاسم واما الخبر ويمتنع بروزها جميعا وقال الاخفش
انها التا في الجنس ز بدت عليها التاء وخصت بنى الاحيان وحين مناص منصوب بها
كأنك قلت ولات حين مناص لهم ويرتفع بالابتداء أى ولات حين مناص كأنهم
(البحت الثاني) الجمهور يقفون على التاء من قوله ولات والكسائي يقف عينا بانها كما
يقف على الاسماء المؤنثة قال صاحب الكشف واما قول أبي عبيدة التاء داخل على الحين
فلا وجه له واستشهاده بأن التاء ملزقة بحين في مصحف عثمان فضعيف فكيف دعت في
المصحف أشياء خارجة عن قياس الخط (البحت الثالث) المناس المجاوزة القون بفار ناصه
يؤصه اذا غائته واستنصا طلب المناس والله أعلم * قوله تعالى (عجبوا أن جاءهم منذر
منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب أجعل آلهم ابنا واحدا ان هذا شيء عجيب
واضلن الملائكة ان أمشوا واصبروا على آياتكم ان هذا شيء أريد منكم بما في الملة
الآخرة ان هذا الاخلاق) اعلم انه تعالى لما حكى عن الكفار كونهم في عزة وشقاق
أردف بشرح كذاتم افساد فقال وعجبوا أن جاءهم منذر منهم ون قوله منهم وجهان
(الاول) انهم قالوا ان محمد امساو لنا في الحلقة الصاهرة والاخلاق الباطنة والنسب
والشكل والصورة فكيف يعقل أن يختص من بيننا بهذا المنصب العالي والدرجات
الرفعة (والثاني) أن الغرض من هذه الكلمة التنبيه على كمال جهالتهم وذلك لانه جاءهم
رجل يدعوهم الى التوحيد وتظيم الملائكة والترغيب في الآخرة والتفجير عن الدنيا
ثم ان هذا الرجل من أقاربهم يعلمون أنه كان بعيدا من الكذب والهمة وكل ذلك مما
يوجب الاعتراف بتصديقه ثم ان هؤلاء الاقوام لمخافتهم تعجبون من قوله ونظيره قوله أم
لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون فقال وعجبوا أن جاءهم منذر منهم ومعناه ان محمد
كان من ربه طهم وعشيرتهم وكان مساويا لهم في الاسباب الدنيوية فاستنكفوا من
الدخول تحت طاعته ومن الانقياد لتكاليفه وعجبوا أن يختص هو من بينهم برسالة الله
وان غير عنهم بهذه الخاصية الشريفة وبالجملة فما كان لهذا التعجب سبب الا الحسد ثم
قال تعالى وقال الكافرون هذا ساحر كذاب وانما لم يقل وقالوا بل قال وقال الكافرون
اظهارا للتعجب ودلالة على ان هذا القول لا يصدر الا عن الكفر التام فان الساحر هو
الذي يمنع من طاعة الله ويدعو الى طاعة الشيطان وهو عندكم بالعكس من ذلك
والكذاب هو الذي يخبر عن الشيء لاعلى ما هو عليه وهو يخبر عن وجود الصانع القديم
الحكيم العليم وعن الحشر والنشر وسائر الاشياء التي تثبت بدلائل القبول صحتها فكيف
يكون كذابا ثم انه تعالى حكى جميع ما عملوا عليه في اثبات كونه كاذبا وهي ثلاثة أشياء

المفسرة لان الانطلاق عن مجلس التناول لا يخلو عن القول وقبل المراد بالانطلاق الاندفاع في القول وامشوا ﴿١٧٥﴾ احدها
من مشيت المرأة اذا كثرت ولاذنها ومنه الماشية للتناول أى اجتمعوا وكثروا وقرى أمشوا بغير أن على اختيار القول وقرى يمشون
أن اصبروا (ان هذا الشيء يراد) تقليل الامر بالصبر ولو جوب الامثال به اى هذا الذي شاهدناه من محمد صلى الله عليه وسلم
من أمر التوحيد ونفي آلهتنا وابطال أمرها لشيء يراد أى

من جهته عليه الصلاة والسلام امضوا وتنفيذها لاجلنا من غير صارف بلويه ولا عاطف يشبه لا قول يقال من طرف اللسان
أو امر يرجى فيه المسامحة بشفاعته أو امتنان فاقطعوا أطعاكم عن استئذائه من ربه بوساطة أبي طالب وشفاعته وحسبكم
أن لا تنعموا من عبادة آلهتكم بالكيفية فاسبروا عليها وتحملوا ما نسبتمونه في حقها من النسخ وسوء القالة وقيل ان هذا الامر
لشيء يريد الله تعالى ويحكم بامضائه ﴿ ١٧٥ ﴾ وما أراد الله كونه فلا امر له ولا ينفع فيه الا الصبر وقيل ان هذا الامر

لشيء من نواب الدهر راد
بنا فلا تغفلك لناعته وقيل ان
ديتكم لشيء يرادى يطلب
ليؤخذ منكم وتقلوا عليه
وقيل ان هذا الذي يدعيه
من التوحيد او يقصده من
الرياسة والرفع على العرب
والعجم لشيء يغني ويريد كل
أحد فامل في هذه الاقاويل
واختر منها ما يساعد النظم
الجزيل (ماستعاجدا) الذي
يقوله (في الملة الآخرة) أي
الملة النصرانية التي هي آخر
المرافق ملة أبي الملة التي
ادركنا عليها آباءنا ويجوز
أن يكون الجار والمجرور حالا
من هذا أي ماستعاجدا من
أهل الكتاب ولا الكهان
كأبا في الملة المزيعة ولقد
كذبوا في ذلك اقبح كذب فان
حديث البشة وان وجد كان
أشهر الامور قبل الظهور
(ان هذا) أي ما هذا (الا
اختلاق) أي كذب اختلقه
(أهزل عليه الذكر) أي اقرآن
(من بيننا) ونحن رؤساء
الناس وأشرافهم كقولهم
لولا نزل هذا القرآن على رجل
من القريتين عظيم ومراهم
انكار كونه ذكرا متزائلا من

(أحدها) ما يتعلق بالالهيات (وثانيها) ما يتعلق بالنبوات (وثالثها) ما يتعلق بالمعاد اما
الشبهة المتعلقة بالالهيات فهي قواهم اجعل الالهة اله واحد ان هذا الشيء عجيب
روى انه لما أسلم عمر فرح به المسلمون فرحاشديدا وشق ذلك على فريش فاجتمع خمسة
وعشرون نفسا من صناديدهم ومشوا الى أبي طالب وقالوا أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت
ما فعل هؤلاء السفهاء بمنون المسلمين فبئس لك القضاء بيننا وبين ابن أخيك فاستحضر أبو
طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن أخي هو لاء قومك يسألونك السؤال فلا تمل
كل الميل على قومك فقال صلى الله عليه وسلم ماذا يسألونني قالوا ارفضنا وارفض ذكر
آلهتنا وندعك والهك فقال صلى الله عليه وسلم أرأيتم ان أعطينكم ما سألتم ان تصدقوني انتم
كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لکم العجم قالوا نعم قال تعالى لا اله الا الله فقاموا
وقالوا اجعل الآلهة اله واحد ان هذا الشيء عجيب أي يبلغ في التعجب وأقول منشأ
التعجب من وجهين (الاول) هو ان القوم ما كانوا من أصحاب النظر والاستدلال بل
كانت أوهامهم تارة للحسوسات فلما وجدوا في الشاهد أن القائل الواحد لا يفي بقرته
وعمله يحفظ الخلق اعظم فاسأوا الغائب على الشاهدة أو لا يفي حفظ هذا العالم بكثير
من الالهة كثيرة يتكفون كل واحد منهم بصفة نوع آخر (والوجه الثاني) ان آلهة فهم
لكثرتهم وقوة عقولهم كانوا مطمئنين على الشرك فسألوا عن العجيب أن يكون
أولئك الاقوام على كثرتهم وقوة عقولهم كانوا جاعلين ببطلين وهذا الانسان الواحد
يكون بمحض صاذا وأقول لعمري لو سلمنا اجراء حكم الشاهد على الغائب من غير دليل
وجبة لكانت الشبهة الاولى لازمة ولما توافقنا على فسادها علمنا ان اجراء حكم الشاهد
على الغائب فاسد قطعنا واذ بطلت هذه القاعدة فتبدل أصل الكلام المشبهة في الذات
وكلام المشبهة في الاصل اما المشبهة في الذات فهو انهم يقولون لما كان كل موجود في
الشاهد يجب أن يكون جسمنا وخصا بعجز وجب في الغائب أن يكون كذلك واما المشبهة
في الاصل فهم المعتزلة الذين يقولون ان الامر القلاني فيجب منا فوجب أن يكون فيهما
من الله فثبت بما ذكرنا انه ان صح كلام هؤلاء المشبهة في الذات وفي الافعال لم يقطع
بصحمة شبهة هؤلاء المشركين وحيث توافقنا على فسادها علمنا أن عدة كلام المجسمات وكلام
المعتزلة باطل فاسد واما المشبهة الثانية فلعمري لو كان التقليد حقا لكانت هذه المشبهة
لازمة وحيث كانت فاسدة علمنا أن التقليد باطل بغير ههنا الحاث (البصير الاول) أن
العجيب هو العجيب الا انه أبغ من العجيب كقواهم طوبى وطوال وعرض وعراض
وكبير وكبار وقد يشدد للباقة كقوله تعالى ومكروا مكرا كبيرا (الثاني) قال صاحب
الكشاف قرى عجبا بالتخفيف والتشديد فقال والتشديد أبغ من التخفيف كقوله تعالى
مكرا كبيرا ثم قال تعالى وانطلق الا منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم قد ذكرنا ان
الملاخبة عن القوم الذين اذا حضروا في المجلس فانه تنبى القلوب والعيون من مهايتهم

عند الله عز وجل كقولهم لو كان خير امسبقونا اليه وامثال هذه المقالات الباطلة دليل على أن مناط تكذيبهم ليس الخسدة
وقصر النظر على الخطام الديني (بل هم في شك من ذكرى) أي من القرآن أو الوحي ليلهم الى التقليد واعراضهم عن
النظر في الادلة الودية الى العلم بحقيقته وليس في عقيدتهم ما يثبتونه فهم مذبذبون بين الاوهام ينسبون نارة الى السحر
وأخرى الى الاختلاق (بل لما يذوقوا عذاب) أي بل لما يذوقوا بعدينا في اذا ذاقوه تبين لهم حقيقة

الحال وفي لادلالة على أن ذوقهم على شرف الوقوع والمعنى أنهم لا يصدقون به حتى يمسهم العذاب وقيل لم يذوقوا عذاب الموعود في القرآن ولذلك شكوا فيه (أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب) بل أعندهم خزائن رحمة تعالى يصرفون فيها حسبما يشاؤون حتى يصيبوا بها من شاؤوا ويصرفوها عن شاؤوا ويحكموا فيها بمقتضى آرائهم فيخبروا النبوة بعض مناديدهم والمعنى أن النبوة عطية ﴿ ١٧٦ ﴾ من الله عز وجل يفضل بها على من يشاء من

عباده المصطفين لما نفع له فإنه العزيز يرى الغالب الذي لا يغالب الوهاب الذي له أن يهب كل ما يشاء وفي إضافة اسم الرب النبي عن التريفة والتبليغ إلى الكمال إلى صميمه عليه الصلاة والسلام من تشرعوا بالطاعة ما لا يخفى وقوله تعالى (أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما) ترشيح لما سبق أي بل أم لهم ملك هذه العوالم العلوية والسفلية حتى يتكلموا في الأمور الباطنية ويحكموا في التباين الإلهية التي يستأثر بها رب العزة والكبرياء وقوله تعالى (فليرتقوا في الأسباب) جواب شرط محذوف أي إن كان لهم ما ذكر من الملك فليصعدوا في المنارج والمناهج التي توصل بها إلى العرش حتى يستووا عليه ويدروا أمر العالم وينزلوا الوحي إلى من يختارون ويستصوبون وفيه من انتهم بهم ملاغاة وراءه والسبب في الأصل هو الوصلة وقيل المراد بالأسباب السموات لأنها أسباب الحوادث السفلية وقيل أبوابها (جند ما هنالك

وعظمتهم وقوله منهم أي من قرئش انطلقوا عن مجلس أبي طالب بعدما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجواب العتيد قائلين بعضهم لبعض أن امشوا واصبروا على آلهتهم وفيه مباحث (البحث الأول) القراءة المشهورة أن امشوا وقرأ ابن أبي عملة امشوا بخذف أن قال صاحب الكشف أن معنى أي لأن المنطقين عن مجلس القول لا بد لهم من أن يتكلموا ويتفاوضوا فيما يجري في المجلس المتقدم فكان انطلقهم مضتاً معنى القول وعن ابن عباس وانطلق الملائكة منهم يشون (البحث الثاني) معنى أن امشوا أنه قال بعضهم لبعض امشوا واصبروا فلا حيلة لكم في دفع أمر محمدان هذا الشيء يراد وفيه ثلاثة أوجه (أحدها) ظهر وردن محمد صلى الله عليه وسلم ليس له سبب ظاهر فثبت أن تزايد ظموره ليس إلا لأن الله يريد ما أراد الله كونه فلا دفع له (وثانيها) أن الأمر كشيء من نوائب الدهر فلا تفكك لثامته (وثالثها) أن ذلكم شيء يراد أي اطلب ليؤخذ منكم قال القائل هذه كلمة تذكر تهديده التخويف وكان معناها أنه ليس غرض محمد من هذا القول تفرير الدين وإنما غرضه أن يستولى علينا فيحكم في أمواتنا وأرلادنا بما يريد ثم قال ماسعنا بهذا في الملة الآخرة والملة الآخرة هي ملة النصراني فقالوا إن هذا التوحيد الذي أتى به محمد صلى الله عليه وسلم ماسعنا في دين النصراني أو يكون المراد الملة الآخرة ملة قرئش التي أدرأوا آباءهم عليها ثم قالوا ما هذا الاختلاف افعال وكذب يحصل الكلام من هذا الوجه أنهم قالوا نحن ماسعنا عن أسلافنا القول بالتوحيد فوجب أن يكون باطلا ولو كان القول بالتوحيد حقا لكان كلام هؤلاء المشركين حقا وحيث كان باطلا علمنا أن القول بالتوحيد باطل ﴿ قوله تعالى ﴾ (أنزل عليه الذكر من بيننا) في شك من ذكرى بل لما يذوقوا عذاب أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما فليرتقوا في الأسباب جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب) اعلم أن هذا هو الشبهة الثالثة لأنك الكفار هي الشبهة المتعلقة بالنبوة وهي قواهم أن يحمدا لملك مساويا لغيره في الذات والصفات والحلقة الظاهرة والباطنة فكيف يعقل أن يخص هو بهذه الدرجة العالية والميزة الشريفة وهو المراد من قولهم أنزل عليه الذكر من بيننا فإنه استفهام على سبيل الإنكار وحكي الله تعالى عن قوم صالح أنهم قالوا مثل هذا القول فقالوا أأتى الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشد وحكي الله تعالى عن قوم محمد صلى الله عليه وسلم أيضا أنهم قالوا لو أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وعظام الكلام في تقرير هذه الشبهة أن قالوا النبوة أشرف المراتب فوجب أن لا تحصل إلا لشرف الناس ومحمد ليس أشرف الناس فوجب أن لا تحصل له النبوة والمقدسات الأولى لكن الثالثة كاذبة وسبب رواج هذا التغليب عليهم أنهم ظنوا أن الشرف لا يحصل إلا بالمال والاعوان وذلك باطل فإن مراتب السعادة ثلاثة أعلاها هي النفسانية وأوسطها هي البدنية وأدونها هي الخارجية

مهزوم من الأحزاب) أي هم جند ما من الكفار المخزيين على الرسل مهزوم مكسور غما قريب فلا تنال ﴿ وهي ﴾ بما يقولون ولا تكثرت بما يهددون وما من يدة للتقليد والتجبر نحو قولك أكلت شيئا ما وقيل للتعظيم على الهزء وهناك إشارة إلى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم

وقوله تعالى (كذب قبلهم قوم نوح وعلو فرعون ذوالاوتاد) الخ استئناف مقرر لمفعول ما قبله ببيان أحوال العاة الطغاة الذين هؤلاء جنودهم مما فعلوا من التكذيب وفعل بهم من العقاب وذوالاوتاد منه ذوالملك الثابت أصله من نبات البيت المنسوب أو ناده فاستعمل ثبات الملك ورسوخ الأمانة واستقامته الأمر قال الاسودجيني * قد سئلوا فيهم أنهم يشبهون * ويطعن ملك ثابت الاوتاد * أو ذو الجموع الكثيرة معبر * ١٧٧ * بذلك لأن بعضهم يشبهه كالمديد والنايل أو قيل نصب أو رفع سوار

وكان يديدي الملك ورسليه
الهاوي يضرب عليه أو ناده
و يتركه حتى يموت وقيل كان
عديدين أو بعدة أو ناده في الأرض
ويرسل عليه العنابر والمات
وقيل كانت ذوالاوتاد رجل
نعت سوارين له (وشبهه قوم
نوطوا أصحاب أدية أصحاب
العصاة من قوم شبه عليه
السلام وقوله تعالى (أولئك
الاحزاب) أما يدل من
الطوائف المذكورة كما أن ذلك
الكتاب يدل من المعنى على أحد
الوجوه وفيه فضل تأكيدي
وتنبيذ على أنهم الذين جعل
الجند المهزوم منهم وقوله
تعالى (إن كل الأكاذب الرسل)
استئناف جي به تقرير التكذيب
وبيناها بكيفية وتبيها
لما يعقبه أي ما كل أحد من أحاد
أولئك الاحزاب وما كل حزب
منهم الا كذب الرسل لأن
تكذيب واحد منهم تكذيب
لهم جميعا لانفاق الكل على
الحق وقيل ما كل حزب الا
كذب رسوله على نهي الجمع
بالجمع وأيما كان فالاستثناء
مفرغ من أعم العام في خبر
المنبأ أي ما كل أحد منهم
مخوكوما عليه بأنه كذب الرسل

بهى المال والجاه فالقوم عكسوا القضية وظنوا باخس الراتب أشرف فيها فلم وجدوا المال
والجاه عند غيرهم أكثر ظنوا أن غيره أشرف منه فعمدوا لعقد هذا القياس القاسد
في أفكارهم ثم أنه تعالى أجاب عن هذه الشبهة من وجوه (الأول) قوله تعالى بل هم في شك
من ذكرى بل لما يذوقوا عذاب فيه وجهان (أحدهما) أن قوله بل هم في شك من ذكرى
أي من الدلائل التي لو نظرنا فيها لزال هذا الشك عندهم ذلك لأن كل ما ذكره من
الشبهات فهي كلمات متعينة وأما الدلائل التي تدل بنفسها على صحة نبوته فهي دلائل
قاطعة فلو تأملوا حق التأمل في الكلام لوقفوا على ضعف الشبهات التي تمسك بها في
ابطال النبوة ليعرفوا صحة الدلائل الدالة على صحة نبوته فبحثوا ليعرفوا ذلك كل لابل
أنهم تركوا النظر والاستدلال فأما قوله تعالى بل لما يذوقوا عذاب فوقع من هذا الكلام
أنه تعالى يقول هؤلاء انما تركوا النظر والاستدلال لأنهم لم اذقهم عذابى ولو اذقوا لم يقع
منهم الا الاقبال على أداء المأمورات والانتها عن المنهيات (وثانيها) أن يكون المراد من
قوله بل هم في شك من ذكرى هو أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم من عذاب الله
أو أصروا على الكفر ثم أنهم أصروا على الكفر ولم ينزل عليهم العذاب فصارت ذكبيبا
لشكهم في صدقه وقالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من
السما فقل بل هم في شك من ذكرى معنى ما ذكرناه وقوله تعالى بل لما يذوقوا عذاب
معناه ان ذلك الشك انما حصل بسبب عدم نزول العذاب (والوجه الثاني) من الوجوه
التي ذكرها الله تعالى في الجواب عن تلك الشبهة قوله تعالى أم عندهم خزائن رحمة ربك
العزيز الوهاب وتقر بهذا الجواب أن منصب النبوة منصب عظيم ودرجة عالية
والقادر على هبتها يجب أن يكون عزيزا أي كامل القدرة وهابيا أي عظيم الجود وذلك
هو الله سبحانه وتعالى وإذا كان هو تعالى كامل القدرة وكامل الجود لم يتوقف كونه
واهبا لهذه النعمة على كون الموهوب منه غنيا أو فقيرا ولم يختلف ذلك أيضا بسبب أن
أعداءه يحبونه أو يكرهونه (والوجه الثالث) في الجواب عن هذه الشبهة قوله تعالى
أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما فليترقوا في الأسباب واعلم أنه يجب أن يكون
المراد من هذا الكلام مقابر المراد من قوله أم عندهم خزائن رحمة ربك والفرق أن
خزائن الله تعالى غير متناهية كما قال وان من شيء الا عندنا خزائنه ومن جله تلك الخزائن
هو هذه السموات والأرض فلذا ذكر الخزائن أولا على عمومها أردفها بذكر ملك السموات
والأرض وما بينهما يعني ان هذه الاشياء أحد أنواع خزائن الله فاذا كنتم عاجزين عن
هذا القسم فبأن تكونوا عاجزين عن كل خزائن الله كان أولى فهذا ما يمكنني ذكره
في الفرق بين الكلامين أما قوله تعالى فليترقوا في الأسباب فالعنى انهم اذ ادعوا ان لهم
ملك السموات والأرض فعند هذا يقال لهم ارتقوا في الأسباب واصعدوا في المعارج التي
يتوصل بها الى العرش حتى يرتقوا عليه ويدبروا أمر العالم وملكوت الله وينزلوا الوحي

وقيل ما كل واحد منهم مخبر عنه مخبر * ٢٢ * سا الا مخبر عنه بأنه كذب الرسل وفي اسناد التكذيب الى الطوائف
المذكورة على وجه الإبهام أو لا الايدان بأن كل منهم حزب على حiale تحرب على رسوله ثانيا وتبين كيفية تكذيبهم بالجملة
الاستثنائية ثالثا فنون من المبالغة مسجلة عليهم باستحقاق أشد العذاب وأفظعه ولذلك رتب عليه قوله تعالى
(فحق عقاب) أي ثبت

وقوم على كل منهم عقابي الذي كانت توجه جلالته من أصناف العقوبات المفصلة في مواقعها ولما مبتدأ وقوله تعالى أن كل
 الأكاذب الرسل خبره بخذ العائد أي أن كل منهم الخ والجملة استئناف مقرر لما قبله مؤكداً لمضيقه مع ما قبله من بيان كيفية
 تكذيبهم والتنبيه على أنهم الذين جعل الجند المهزوم منهم كادراً وقيل هو مبتدأ وخبر والمعنى أن الأحزاب الذين جعل
 الجند المهزوم منهم هم هم وأهل الذين وجد منهم التكذيب ١٧٨ فقدر وأما ما قبل من أنه خبره المبتدأ وقوله تعالى

وعاد الخ أو قوله وتوم أوط
 الخ فما يجب تنزيهه ساحة
 التنزيل عن أمثاله وما يظن
 هو (أن) ثم وعبر عن إتيان عقاب
 كفار مكة إتيان عقاب
 أضربهم من الأحزاب الذين
 أخبر فيأخذ في يأذم جند
 منهم مهزوم من ضرب فإن
 ذلك مما يوجب الانتظار السامع
 وزقيدان يانه فاعلموا في
 الإشارة إليهم يوم الأختبر
 لشأنهم وتهوون مصرهم وأما
 جعله إشارة إلى الأحزاب
 باعتبار حضورهم بحسب
 الذكر أو حضورهم في علم
 الله عز وجل فلا يس في خبر الأ
 حتمال أصلا كيف لا والانتظار
 سواء كان حقيقته أو استهزاء
 بما يتصور في حق من لم يقرب
 على أعماله نتائجها بعد
 ما بين عقاب الأحزاب
 واستئصالهم بالرمق إلى قوما
 أريد بيانه من عقوباتهم أمر
 منتظر وإنما الذين في مرصد
 الانتظار كفار مكة حيث
 ارتكبوا من عظام الجرائم
 وكبار الجرائم الموجبة لشد
 العقوبات مثل ما ارتكب
 الأحزاب وأشد منه ولما بلوا
 بعد شئنا من غوائلها أي وما
 ينظر هؤلاء الكفرة الذين

علم من يخافون واعلم أن حكماً بالإسلام استدلو بقوله فليزفوا في إذ سبب على أن
 الإجماع الفلكية وما أودع الله فيها من القوى والخواص أسباب لحوادث العالم السفلي
 لأن الله تعالى سعى الفلكيات أسباباً وذلك يدل على ما قلناه والله أعلم أما قوله تعالى جند
 ما هنالك مهزوم من الأحزاب فبقي ما قلنا من البحث (أحدهما) في تفسير هذه الألفاظ
 (والثاني) في كيفية تعلقها بما قبلها (أما المقام الأول) فقوله جند مبتدأ وما بعده بهام
 كقوله جند مسمى ما وعندي طعام ما ومن الأحزاب صفة لجند وهم يوم خبرنا فبقيت وأما
 قوله هنالك فيجوز أن يكون سبغ لجند أي جند ذات هنالك ويجوز أن يكون متعلقاً بهزوم
 معناه أن الجند من الأحزاب مهزوم هنالك أي في ذلك الموضع الذي كانوا يدكرون فيه
 هذه الكلمات المتعاقبة في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (وأما المقام الثاني) فهم والله تعالى لما
 قال أن كانوا يذكرون السموات والأرض فليزفوا في الأسباب ذكر عقوبة أنهم جند من
 الأحزاب مهزومون منه فون فكيف يكونون ما في السموات والأرض وما بينهما قال
 قتادة هنالك إشارة إلى يوم بدر ما أخبر الله تعالى أن مكة تسير من جند المشركين فجاءت وأولها
 يوم بدر قبل يوم الحديق والأصوب عندي حله على يوم فتح مكة وذلك لأن المعنى أنهم جند
 سيصرون مهزومين في الموضع الذي ذكرنا فيه هذه الكلمات ذلك الموضع هو مكة فوجب
 أن يكون المراد أنهم سيصرون مهزومين في مكة وما ذاك إلا يوم الفتح والله أعلم وقوله تعالى
 (كذب قلمهم قوم نوح عاد وفرعون والأوتاد) ومحمد وقوم لوس أصحاب الأيكة أولئك
 الأحزاب أي كل الأكاذب الرسل الخ عقاب ما ينظر هؤلاء الأصحاح واحدة ما هنا من
 فواق (اعلم أنه تعالى لما ذكر في الجواب عن شبهة القوم أنهم إنما أتوا أنوكا سلوا في النظر
 والاستدلال لأجل أنهم لم يزل بهم العقاب بين تعالى في هذه الآية أن أقوام سائر الأنبياء
 هكذا كانوا بالآخرة نزل ذلك العقاب والمفسود منه تخويف أولئك الكفار الذين
 كانوا يكذبون الرسول في أخباره عن نزول العقاب عليهم فذكر الله ستة أصناف منهم
 أولهم قوم نوح عليه السلام ولما كذبوا نوحاً أهلكتهم الله بالغرق والطوفان (والثاني)
 عاد وقوم هود لما كذبوه أهلكتهم الله بالريح (و الثالث) فرعون لما كذب موسى أهلكتهم الله
 بم قومه بالغرق (والرابع) يهود قوم صالح لما كذبوه وأهلكوا بالصيحة (والخامس) قوم
 لوط كذبوه فأهلكوا بالحسف (والسادس) أصحاب الأيكة وهم قوم شعيب كذبوه
 فأهلكوا به ذات يوم الظلة قالوا وإنما وصف الله فرعون بكونه ذا الأوتاد لجوهره (الأول)
 أن أصل هذه الكلمة من ثبات البيت المطبق بآواته ثم استعمل لثبات العزم والمالك قال
 الشاعر
 ولقد غنوا فيها بالعم عيشة * في ظل ملك ثابت الأوتاد
 قال القاضي حل الكلام على هذا الوجه أول لانه لما وصف بكذب الرسل فيجب فيما
 وصف به أن يكون تفخيماً لأمر ملكه ليكون الزجر بما ورد من قبل الله تعالى عليه من
 الهلاك مع قوة أمره أبلغ (والثاني) أنه كان ينصب الحطب في الهواء وكان يمد يده

هم أمثال أولئك أطوائف المهلكة في الكفر والتكذيب (الأصححة واحدة) هي النسخة الثانية لا بمعنى أن عقابهم هو العذاب
 نفسها بما فيها من الشدة والهول فانهادية بعم هولها جاع الامرها فاجر هابل بمعنى أنه ليس بينهم وبين حلول ما أعد لهم من
 العقاب الفظيع الأهي حيث أخرت عقوبتهم إلى الآخرة لما أن تعذيبهم بالاستئصال حسبما يستحقونه والنبي عليه الصلاة
 والسلام بين أظهرهم خارج عن السنة الإلهية المبينة على الحكم الباهرة كإنطق به وقوله تعالى وما كان ليعذبهم وأنت فيهم

وأما ما قبل من أنها النسخة الأولى فما لا يوجد له أصلاً لأنه لا يشاهد هولها ولا يصدق بها الأمن كان حياً عند وقوعها وليس عقابهم الموعود واقفاً مقبياً ولا العذاب المطلق مؤخراً إليها بل يحل بهم من حين موتهم (مالهام فوق) أي من توقف مقدار فوات وهو ما بين الحلبتين وقرى بضم الفاء وهما لغتان وفواه تعالى (وقاوار بنا عجل لنا قننا قبل يوم الحساب) حكاية لما قالوه ﴿ ١٧٩ ﴾ عند سماعهم بتأخير عقابهم إلى الآخرة أي قالوا بطريق الاستهزاء

والسخرية عجل لنا فطمان العذاب الذي توعدها به ولا تؤخره إلى يوم الحساب الذي مبدؤه الصيحة المذكورة والعط القطعة من الشيء من قطعه إذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس وقد فسرهما أي عجل لنا صحيفة أعمالنا لننظر فيها وقيل ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد الله تعالى المؤمنين الجنة فقالوا لنبي الله الهزول به عجل لنا نصيبنا منهم تصدير عذابهم للتأخر المذكور الاستهزاء كأنهم يدعون ذلك بكمال الرغبة واليهما لا يرجون ما يتوكلون من أمثال هذه المقالات المأثلة (واذكر) لهم (عبرنا) أي قصته فهو بالأمر المعصية في أنفسهم وليست عليهم على كمال قبح ما يجب قروا عليه من ما صحت عنه عليه الصلاة والسلام مع علو شأنه واختصاصه بعلمنا ثم التمس والكرامات المأثم بصغيرة نزل عن منزلته وبخفة الملائكة بالتيسيل والتعريض حتى تغفلن فاستغفر به وأتاب ووجدت ما يحكي من بكانه الدائب وغمة الواصب وتبعه

العذب ورجليه إلى تلك الحشب الأربع ويضرب على كل واحد من هذه الأعضاء وتدا ويتركه مطلقاً في الهواء إلى أن يموت (والثالث) أنه كان يد العذب بين أربعة أوتاد في الأرض ويرسل عليه العقارب والحيت (الرابع) قال قتادة كانت أوتاداً وأرسنا وملاعب يلعب بها عنده (والخامس) أن عساكره كانوا كثيرين وكلاوا كثيرى الأهبة عظمى التهم وكانوا يكثر من الأوتاد لأجل الخيام فعرف بها (والسادس) ذو الأوتاد والجموع الكثيرة وسميت الجموع أوتاداً لأنهم يفرقون أسره ويشدون مملكتهم كما يتقوى الوتد البناء وأما الآية فهي الغيبة الملقبة ثم قال تعالى أولئك الأحزاب وفيه أقوال (الأول) أن هؤلاء الذين ذكرناهم من الأمم الذين تحزبوا على أنبيائهم وأهلكتهم فكذلك نعمل بقومك لأنه تعالى بين بقوله جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب أن قوم محمد صلى الله عليه وسلم جند من الأحزاب أي من جنس الأحزاب المتقدمين فلما ذكرناهم جند الأحزاب المتقدمين بالأهلاك كان ذلك تحويها شديداً لقوم محمد صلى الله عليه وسلم (الثاني) أن معنى قولنا أولئك الأحزاب مبالغة وصفهم بالقوة والكثرة كما يقال فلان هو الرجل والمعنى أن أولئك الأحزاب مع كل قوتهم لما كان هو الهلاك واليوار وكيف حال هؤلاء الضعفاء الساكنين وأهل أن هؤلاء الأقوام أن صدقوا بهذا الخبر فهو تعذيب وإن لم يصدقوا به فهو تحذير أيضاً لأن آثار هذه الوتدات مقيمة وهو يقيد النظر القوي فيحذرون ولأن ذكر ذلك على سبيل التنكير يوجب التحذير أيضاً ثم قال إن كل الأكاذيب الرسل فحق عقاب أي كل هذه الطوائف الأكاذيب أي الكذابين في التعذيب والترهيب لأجله من العقاب عليهم وإن كان ذلك بعد حين بالنقص ووجدت زجر السامع ثم بعد أن قال أن هؤلاء الكذابين وإن تأخر هلاكهم فكانه واقع بهم فقال ما يقرر هؤلاء الأصحوة واحدة مالهام فوق وفي تفسير هذه الصيحة قولنا (الأول) أن يكون المراد عذاباً يبعثهم ويحبسهم دفعة واحدة كما يقال صباح الزمان بهم إذا هلكوا قال الشاعر

صباح الزمان بأل يرمك صيحة * خر والشدة على الأذنان

ويشبه أن يكون أصل ذلك من الغارة إذا غاصت القوم فوقع من الصيحة فيهم وضيقه وولع تعالى فهنا ينظرون الأمثال أيام الذين خاوا من قبلهم أي به (والقول الثاني) أن هذه الصيحة هي صيحة النسخة الأولى في الصور كما قال تعالى في سورة يس ما ينظرون الصيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون والمعنى أنهم وإن لم يدعوا عندنا في الدنيا فهو بعد ما هم يوم القيامة فكانهم بذلك العذاب وقد جاءهم فجعلهم منتظرين لها على معنى قربها منهم كالرجل الذي ينظر الشيء فهو ما اطرف إليه يطعم كل ساعة في حضوره ثم إنه سبحانه وصف هذه الصيحة قتل مالهام فوق فراجرة والكسائي فوق بضم الفاء والباقون بفخها قال الكسائي والفراء وأبو عبيدة والآخر هما لغتان من فوق النافذة وهو ما بين حلبتين النافذة وأصله من الرجوع يقال أفاق من مرضه أي رجع إلى الصحة فازمان

الدائم فالظن بهؤلاء الكفرة الذين من كل ذليل المرتكبين لا كبر الكبار المصيرن على أسطهم المعاصي أو تذكر قصته عليه الصلاة والسلام وصن نفسك أن تزل فيما كلفت من مصائبهم وتحمل أذيتهم كي لا يعلق ما فيه من العافية (ذا الابد) أي ذا القوة يقال فلان يدو ويد أو يد بمعنى وإذا د كل شيء ما يتقوى به (أنه أو اب) رجاء إلى امر ضاة الله تعالى وهو تعبد لكونه ذا الابد دليل على المراد به القوة في الدين فإنه عليه الصلاة والسلام كان يصوم يوماً ويفطر يوماً ويقوم نصف الليل (انا سخرنا الجبال معه) استشفاف

مُسَوِّقٌ لِغَيْبِ قُوَّتِهِ فِي الدِّينِ وَأَوَائِيَّتِهِ إِلَى مَرَضَاتِهِ تَعَالَى وَنُوعِ مُتَعَلِّقَةٍ بِالتَّخْفِيرِ وَإِثَارِهَا عَلَى اللَّامِ لِأَشْرَافِهِ فِي سُورَةِ الْاَنْبِيَاءِ مِنْ
أَنْ تَخْفِرَ الْجِبَالُ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَمْ يَكُنْ يَطْرُقُ تَقْوِيضُ التَّصَرُّفِ الْكُلِّيِّ فِيهَا إِلَيْهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَتَخْفِيرِ
الرَّجْعِ وَغَيْرِهَا سَلِمَ مِنْ عَلَيْهِ الصَّلَامُ بِلْ يَطْرُقُ التَّخْفِيرُ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالْاِقْدَانُ بِهِ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَقِيلَ مُتَعَلِّقَةٌ بِمَا
بَعْدَهَا وَهُوَ أَقْرَبُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا فِي سُورَةِ الْاَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَآلِهِمُ السَّلَامُ (يُسَبِّحُنَ) أَيُ يَفْسُدُنَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ

الحاصل بين الحبستين اعود اثنين الى الضرع يسمى قواها بالفتح وبضم كقولك فصاص
الشعر وقصاصه قال الواحدى والفواق والفواق اسمان من الافاقه والافاقه معناها
الرجوع والسكون كافقه المريض الآن الفواق بالفتح يجوز أن يقام مقام المصدر
والفواق بالضم اسم لذلك الزمان الذي يعود فيه اللين الى الضرع وروى الواحدى في
السبعين أى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في هذه الآية يأمر الله سرافيل
فينفخ نفخة الفزع قال فيدها وبطولها وهى التى يقول ما لها من فواق ثم قال الواحدى
وهذا يحتمل معنيين (أحدهما) ما لها سكون (والثانى) ما لها رجوع والمعنى ما تسكن تلك
الصبيحة ولا ترجع الى السكون ويقال لكل من بقى على حالة واحدة انه لا ينفق منه
ولا يستغنى والله اعلم * قوله تعالى (وقاوار يناعجل لنا قننا قبل يوم الحساب اصبر على
ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الابدانه اواب) اعلم انا ذكرنا في تفسير قوله وعجبوا أن
جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب أن القوم انما يعجبوا الشبهات ثلاثة
(أولها) تتعلق بالالهيات وهو قوله اجعل الالهة الهيا واحدا (والثانية) تتعلق
بالنبوات وهو قوله أنزل عليه الذكر من بيننا (والثالثة) تتعلق بالمعاد وهو قوله تعالى
وقاوار يناعجل لنا قننا قبل يوم الحساب وذلك لان اليوم كانوا في نهاية الانكار لا يقول
بالخشع والنشر فكانوا يستدلون بفساد القول بالخشر والنشر على فساد نبوته والقسط
انقطع من اشئى لانه قطع منه من قطعه اذ قطعوه ويقال بصحيفة الجازة قط ولما ذكر
رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالمؤمنين بالجنة قالوا على سبيل الاستهزاء عجل لنا نصيبا
من الجنة أو عجل لنا صحيفة أعمالنا حتى نعلم فيها ما نعلم أن الكفار لما بقوا في السفاهة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قالوا انه ساحر كذاب قاله على سبيل الاستهزاء
عجل لنا قننا أمره الله بالصبر على سفاهتهم فقال اصبر على ما يقولون قال قيل أى تعلق بين
قوله اصبر على ما يقولون وبين قوله واذكر عبدنا داود فننا بيان هذا التعلق من وجوه
(الاول) كأنه قيل ان كنت قد شاهدت من هؤلاء الجبابرة جرائعهم على الله وانكارهم
الخشر والنشر فاذكر قصة داود حتى تعرف شدة خوفه من الله تعالى ومن يوم الخشر فان
بقصر ما يزداد أحد الصديقين ما يزداد الضد الآخر نقصانا (والثاني) كأنه قيل لمحمد
صلى الله عليه وسلم لا يفتنى صدرك بسبب انكارهم قولك ودينك فاهم اذا خالفوك
هالاكبر من الانبياء وقولك (والثالث) ان للناس في قصة داود قولين منهم من قال انها
تدل على ذنبه ومنهم من قال انها لاتدل عليه (فن قال بالاول) كل وجهة المناسبة فيه كأنه
قيل لمحمد صلى الله عليه وسلم ان حزنك ليس الا لان الكفار يكذبونك وأما حزن داود
فكان بسبب وقوعه في ذلك الذنب ولا شك أن حزنه أشد فناما في قصة داود وما كان فيه
من الحزن العظيم حتى تحف عليك ما أنت فيه من الحزن (ومن قال بالثاني) قال الحصمان
الذان دخلا على داود كأنهم بالنشر وانما دخلا عليه لصدقه فحافى منهم داود ومع

بصوت يتخلله أو تخلق الله
تعالى فيها الكلام أو بلسان
الحال وقيل يسرن معده من
السباحة وهو حال من الجبال
وضع موضع مسجرات للدلالة
على تجديد التسبيح حالاً بعد حال
أو استئناف مبين لكيفية
التسبيح (بالعنى والاشراق)
أى ووقت الاشراق وهو حين
تشرق الشمس أى تضئ
وبصفة وشاعها وهو وقت
الضحى وأما نشر وقها
فطلو عنها يقال شرفت الشمس
ولما تشرق وعن أم هانئ رضى
الله عنها أنه عليه الصلاه والسلام
صلى صلاة الضحى وقال هذه
صلاة الاشراق وعن ابن
عباس رضى الله عنه ما عرفت
من قوله يعنى انهم لا يبد
أولاً من بعد ف على الجبال
(محمودة) حال من الظير
وأما سحرنا الظير حال
كونها محسوسة عن ابن عباس
رضى الله عنها كل اذا سجد
جاوبت الجبال بالتسبيح واجتمعت
السماوات فسجدت وذلك
حشرها وقرئ والظير محسوسة
بالرفع على الابتداء والخبر
(كله اواب) استئناف مقرر
لمضمون ما قبله مصرح بما فهم
منه اجال ان تسبيح الظير أى
كل واحد من الجبال والظير

لاجل تسبيحه رجاء الى التسبيح ووضع الاواب موضع المسح امانها كانت ترجع التسبيح والمرجع رجاء لانه محذوف ذلك
يرجع الى قوله رجوعاً بعد رجوع وأما لان الاواب هو اتواب الكثير الرجوع على الله تعالى ومن دأبه اكثار الذكروادامة التسبيح
والتهديس وقيل الضمير لله عز وجل أى كل من داود والجبال والظير لله اواب أى مسبح مرجع التسبيح (وشددنا ملكه) قوبناه
بالمهية والنصرة وكثرة الجنود وقرئ بالتشديد للبالغة قبل كان بيت حول محرابه أربعون

ألف مستلثم وقيل ادعى رجل على آخر بقره ونحوه من إقامة البينة فأوحى الله تعالى اليه في المنام أن اقل الدعي عليه فأخبر فاعبده الوحي في البقعة فاعلمه الرجل فقال إن الله تعالى لم يأخذني بهذا الذنب ولكن باني قنلت بأهداغيلة فقال الناس إن اذنب أحد ذنباً أظهره الله تعالى عليه فقتله فيها وبوه وعظمت هيئته في القلوب (وآتيناه الحكمة) النبوة وكال العلم واقتان العمل وقيل الزبور وعلم الشرائع وقيل كل كلام وافق الحق هو ١٨١ فهو حكمة (وفصل الخطاب) أي فصل الخصام بغير الحق عن الباطل

أو الكلام المختص الذي يذبه الخطاب على المرام من غير التباس لما قدر وعي فيه مظان الفصل والوصل والمطف والاستئناف والاطهار والاختصار والحذف والتكرار وإنما سمي به أما بعد لأنه يفصل المقصود عما سبق تمهيداً له كالحمد والصلوة وقيل هو الخطاب انفصل الذي ليس فيه إيجاز محض ولا طائفة بل كاجابة نعمت كلام النبوة فصل لا تزور ولا هذر (وهل ألكنا الخصم)

استفهام معناه التعجب والتشويق الى الاستماع ما في حيزه لا يذانه بانه من الانبياء البديعة التي حقها ان تشيع فيما بين كل حاضرو باد والخصم في الاصل مصدر ولذلك يطلق على الواحد وما فوقه كالضيف ومعنى خصمان فرقان (اذ تسورا المحراب) اذ تصعدوا أسوره وتزاور اليه والصور الحائظ المرتفع وظاهره تسميه اذا علا سنامه وتذراه اذا علا ذروته واذ تعانة بمجذوف أي بانها كالمخصم اذ تسورا أو بانها على أن المراد به الواقع في عهد داود عليه السلام وأن اسناد لايتان انيد

ذلك فلم تعرض لا يذانهما ولا دعا عليه حاسبوه بل استغفر لهما على ما سيجي في تقرير هذه الطريقة فلا جرم أمر الله تعالى محمداً عليه السلام بان يقتدى به في حسن الخلق (والخامس) ان قر بشا لما كذبوا محمدًا عليه السلام واستخفوا به لقواهم في أكثر الاصر انه يقيم فقيرهم انه تعالى قص على محمد كمل ملكة داود ثم بين انه مع ذلك ما سلم من الاحزان والغموم يعلم أن الخلاص عن الحزن لا سبيل اليه في الدنيا (والسادس) أن قوله تعالى اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود وغيره مقصود على داود فقط بل ذكر عقيب قصة داود قصص سائر الانبياء فكأنه قال فاصبر على ما يقولون واعتبر بحال سائر الانبياء ليعلم ان كل واحد منهم كان مشغولاً بهم خاص وحزن خاص فحينئذ يعلم أن الدنيا لا تنفك عن الهموم والاحزان وان استحقاق الدرجات العالية عند الله لا يحصل الا بتحمل المشاق والمتاعب في الدنيا وهذه وجوه ذكرناها في هذا المقام وههنا وجه آخر أقوى وأحسن من كل ما تقدم وسيجي ذكره ان شاء الله تعالى عند الانتهاء الى تفسير قوله كتاب أنزلناه اليك مباركاً ليدبروا آياته واعلم انه تعالى ذكر بعد ذلك حال تسعة من الانبياء فذكر حال ثلاثة منهم على التفصيل وحال ستة آخرين على الاجمال (فالقصة الاولى) قصة داود واعلم أن مجامع ما ذكره الله تعالى في هذه القصة ثلاثة أنواع من الكلام (فالاول) تفصيل ما لى الله داود من الصفات التي توجب سعادة الآخرة والدنيا (والثاني) شرح تلك الواقعة التي وقعت له من أمر الخصمين (والثالث) استخلاص الله تعالى اياه بعد وقوع تلك الواقعة (أما النوع الاول) وهو شرح الصفات التي آتاهها الله داود من الصفات الواجبة لكمال السعادة فهي عشرة (الاول) قوله ل محمد صلى الله عليه وسلم على جلالة قدره بان يقتدى بالصبر على طاعة الله ب داود وذلك تشريف عظيم واكرام تام لداود حيث أمر الله أفضل الخلق محمدًا صلى الله عليه وسلم بان يقتدى به في مكارم الاخلاق (والثاني) أنه قال في حقه عبدنا داود فوصفه بكونه عبداً له وعبر عن نفسه بصفة الجمع الدالة على نهاية التعظيم وذلك غاية التشريف التي لا يرى انه سبحانه وتعالى لما أراد أن يشرف محمدًا عليه السلام لم يلبه المراج قال سبحانه الذي أمسى بعبد فنهتابل على ذلك التشريف لداود فكار ذلك دليلاً على علو درجته أيضاً فان وصف الله تعالى الانبياء بعبوديته مشعر بانهم قد حققوا معنى العبودية بسبب الاجتهاد في العادة (والثالث) قوله ذا الابدأ ذا القوة على أداء الصاعة والاحتراز عن المعاصي وذلك لانه تعالى للمامحة بالقوة وجب أن تكون تلك القوة موجبة للمدح والقوة التي توجب المدح العظيم ليست الا بالقوة على فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه والامد المذكور ههنا كما به المذكورة في قوله يا محيي خذ الكتاب بقوة وقوله تعالى وكتبنا له في الاواوح من كل شيء موعظة وتقصيلاً لكل شيء فخذها بقوة أي باجتهاد في أداء الامانة وتشدد في القيام بامدوة وترك اظهار الوهي والضعف والابد

على حذف مضاف أي قصة بيا الخصم أو بالخصم الماذية من معنى الخصومة لا في لان آياته الر ول على الله عليه وسلم لم يكن حينئذ وقوله تعالى (اذ دخلوا على داود) بدل مما قبله أو ظرف تسورا (فمن عندهم) روى أنه تعالى بعث اليه ملكين في صورة انسانين قبل هاجر بربل وميكائيل عليهما السلام فطلبوا أن يدخلوا عليه فوجداه في يوم عبادته ههنا الحرس فتسورا عليه المحراب بين معهما من الملائكة فليشعر الا وهما بين يديه جالسان ففرغ منهم لانهم تزاوروا عليه من فوق على خلاف العادة

والحرس حوله في غير يوم الحكومة والقضاء قال ابن عباس رضي الله عنهما ان داود عليه السلام اجزا زماته اربعة جزءا يوما للعبادة و يوما للقضاء و يوما للاشتغال بخاصه نفسه و يوما لوعظ والتذكير (قالوا) استثناف وقم جوابا عن سؤالنا من حكمية فرضه عليه الصلاة والسلام كانه قيل فاذا قالت الملائكة عند مشاهدتهم نقرعه فقيل قالوا الزالة لقرعه (لا تخف خصمان) أي نحن فوجان متخاصمان على تسمية صاحب الحسم حصما (بني بعضنا على ١٨٢) بعض) هو على الفرض وفصد التعريض

فلا كذب فيه (فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) أي لا تجر الخ في الحكومة وقرئ ولا تشطط أي لا تبعد عن الحق وقرئ ولا تشطط ولا تشطط وكلها من معنى الشطط وهو تجاوز الحد ونخطى الحق (واهدنا الى سواء الصراط) الى وسط طريق الحق بزجر الباغي عما سلكه من طريق الجور وارشاده الى منهج العدل (ان هذا اخي) استثناف لبيان ما فيه الخصومة أي أخى في الدين أو في الصفة والتمريض لذلك تمهيد لبيان كمال قبح ما فعل به صاحبه (له نفسه وتسعون نعمة ولى نعمة واحدة) هي الاثنى من الله أن وقد يكنى بها عن المراءاة الكناية والتعريض أن يغنى المقصود وقرئ تسع وتسعون بفتح الدال ونعمه بكسر النون وقرئ ولى نعمة بسكون الباء (فقال أفلنبيها) أي ملكيتها وحقبة اجعني اكفلها كما أكفل ما تحت يدي وقيل اجعلها كفى أي نصيبى (وعزنى في الخطاب) أي غلبنى في مخاطبته اباى محاجة فان جاء بحجج لم أقدر على رده أو في مغالته اباى في الخطبة يقال خطبت المرأة وخطبها هو مخاطبتي خطابا أي غابني في الخطبة فقلبتى حيث هو

والقوة سواء ومنه قوله تعالى هو الذى أيدك بنصره وقوله تعالى وأيدناه بروح القدس وقال السماء ببناءها يايد وعن قتادة أعطى قوة في العبادة وفقها في الدين وكان يقوم الليل ويصوم نصف الدهر (الرابع) قوله انه أوأب أي ان داود كان رجافا في أموره كلها الى طاهتى والابواب فعال من آب اذا رجع كما قال تعالى ان لنا اياهم وفعال بناء المبالغة كما يقال قتال وضرب فانه أبلغ من قاتل وضارب (الخامس) قوله تعالى انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق وظهر هذه الآية قوله تعالى يا جبال أو بي معه والطير وفيه مباحث (البث الاول) وفيه وجوه (الاول) ان الله سبحانه خلق في جسم الجبل حياة وعقلا وقدره ومنطقا وجنود صار الجبل مسبحا لله تعالى وظهره قوله تعالى فلما تجلجج به للجبل فان معناه انه تعالى خلق في الجبل عقلا وفهمائهم خلق فيه روية الله تعالى فكذا هيئت (الثاني) في التأويل مارواه الثقال في تفسيره انه يجوز أن يقال ان داود عليه السلام قد أوتى من شدة الصوت وحسنه ما كان له في الجبال دوى حسن وما يصغى الطير اليه لحسنه فيكون دوى الجبال وتصويت الطير معه واصفاؤها اليه تسبيحا وذكر محمد بن اسحق ان الله تعالى لم يعط أحدا من خلقه مثل صوت داود حتى انه كان اذا قرأ القرآن بور دنت منه الوحوش حتى يأخذ بها عنافها (الثالث) ان الله سبحانه سخر الجبال حتى اذا كانت تسير الى حيث يريد داود وجل ذلك السير تسبيحا لانه كان يدل على كمال قدرة الله تعالى وحكمته (البث الثاني) قال صاحب الكشاف يسبحن في معنى مسبحات فان قالوا هل من فرق بين يسبحن ومسبحات فلنأمنه فان صيغة الفعل تدل على الحدوث والتجدد وصيغة الاسم على الدوام على ما بينته عبادنا فاهر الكوفي في كتاب دلائل الإعجاز اذا ثبت هذا فقول قوله يسبحن يدل على حدوث التسبيح من الجبال شيئا بعد شيئا وحالا بعد حال وكان السامع محاضرا تلك الجبال يسبحها تسبيحا (البث الثالث) قال الزجاج قال شرقت الشمس اذا طلعت وأشرقت اذا أضاءت وقيل هما بمعنى (والاول) أن تشرق الشمس شرقت الشمس والماء بشرق (البث الرابع) اجمعوا على شرعية صلاة الضحى هذه الآية غير أم هانئ قالت دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فندبا بوضوء وضأثم صلى صلاة الضحى وقال يا أم هانئ هذه صلاة الاشراق وعن طاوس عن ابن عباس قال هل تجدون ذكر صلاة الضحى في القرآن قالوا لا فأناسخرا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق (الصفة السادسة) من صفات داود عليه السلام قوله تعالى والطير محشورة كل له أبواب وفيه مباحث (البث الاول) قوله والطير معطوفة على الجبال والتقدير وسخرنا الطير محشورة قال ابن عباس رضي الله عنهما كان داود اذا سبج جاوبته الجبال واجتمعت اليه الطير فبحثت معه واجتماعها اليه هو حشرها فيكون على هذا التقدير حاشرها والله (قال قيل) كيف يصدر تسبيح الله عن الطير

على رده أو في مغالته اباى في الخطبة يقال خطبت المرأة وخطبها هو مخاطبتي خطابا أي غابني في الخطبة فقلبتى حيث هو زوجها دوى وقرئ وعازنى أي غابني وتخفيف الزاى طاب الخفة وهو تخفيف غرب كانه قيس على ظلت ومست (قال لقد ظلمك بسؤال نعصك اى نجاهه) جواب قسم محذوف قصد به عليه الصلاة والسلام المبالغة في انكاره لصاحبه ومحبين طمعه في نعمة من ليس له غير هاعم أن له قطيعا منها ولله عليه الصلاة والسلام قال ذلك بعد اعترافى صاحبه بما دامه

عليه أو بناء على تقدير صدق المدعى والسؤال مصدر مضاف الى مفعوله وتعد به الى مفعول آخر بالي لتضمنه معنى الاصناف والضم
(وان كثيرا من الخطا) أي الشر كذا الذي خلطوا اموالهم (اليعني) ليعتدي وقرى بفتح الياء اكتفاء بالكسرة (بعضهم
على بعض) غرر مع الحق الصعبة والشركة (الالذين آمنوا وعملوا الصالحات) منهم فانهم يحكامون عن النبي والعدوان (وقليل
ماهم) أي وهم قليل وما من بدلة للاهم والتعجب ﴿١٨٣﴾ من قتلهم والجملة اعتراض (وظ) داود أمانته (الظن مستعار

للعلم الاستدلال لما يذهب حامن
المشابهة الظاهرة أي علم بما
جري في مجلس الحكومة وقبل
لما قضى بينهما حانظا أحدهما
الى صاحبه فضحك ثم صعد
الى السماء خيال وجهه فلم عليه
الصلاة والسلام انه تعالى
اختلاه وليس المعنى على تخصيص
الفتنة به عليه الصلاة والسلام
دون غيره بتوجيه القصر
المستفاد من كلمة تعالى المفعول
بالقياس الى مفعول آخر كما هو
الاستعمال الشائع انوار
على توجيه القصر الى متعلقات
الفعل وقبوه باعتبار النفي
فيه والاثبات فيها كافي مثل
فولك انما ضربت زيدا وانما
ضربت تاديبا بل على تخصيص
حاله عليه الصلاة والسلام
بالفتنة بتوجيه القصر الى نفس
الفعل بالقياس الى مغايرة من
الافعال لكن لا باعتبار النفي
والاثبات معاني خصوصية
الفعل فانه غير ممكن قطعاً بل
باعتبار النفي فيما فيه من معنى
مطلق الفعل واعتبار الاثبات
فيما يقارنه من المعنى المخصوص
فان كل فعل من الافعال
المخصوصة يفعل صندا لتحقيق
الى معنى مطلق هو مدلول

انه لا سلا لها فقلنا لا يريد أن يقال الله تعالى كان يخلق لها عقلا حتى تعرف الله فتسبحه
حينئذ كل ذلك كان معجزة لداود عليه السلام (البحث الثاني) قال صاحب الكشف
قوله محشورة في مقابلة يسبح الا انه ليس في الحشر مثل ما كان في التسبيح من ارادة
الذلالا تعني الحدوث شيئا بعد شي فلا جرم جئ به اسم الافعال ذلك لوقبل وسخر ما الطير
بحسرة يسبح على تقدير ان الحشر وجد من حاشرها جملة واحدة دل على ان قدر
المذكور وانه علم (البحث الثالث) قرئ والطير محشو فبالرفع (الصفة السابعة) من
صفات داود عليه السلام قوله تعالى كل الامرات ومعناه كل واحد من الجبال والدير أبواب
أي رجاء أي كلما رجع داود الى التسبيح جاوبته هذه الاشياء أيضا كانت ترجع الى
تسبيحها تها والفرق بين هذه الصفة وبين ما قبلها أن فيما سبق علمنا ان الجبال والطير سبحت
مع تسبيح داود عليه السلام وهذا اللفظ فهما دوام تلك الموافقة وقيل التعبير في قوله كل
له اواب لله تعالى أي كل من داود والجبال والطير لله اواب أي مسبح مرجع للتسبيح
(الصفة الثامنة) قوله تعالى وشددنا ملكه أي قوته بانه وقال تعالى شددت عضدك يا خيك
وقيل شددنا على الملائكة وأما الاسباب الموجبة لحصول هذا الشد فكبيرة وهي اما
الاسباب السبوية أو البدنية أما الاول فذكرها في وجهين (الاول) روى الواحدى
عن سبعين جبر عن ابن عباس رضى الله عنهم انه كان يحسد كل ليلة ستة وثلاثون ألف
رجل فاذا أصبح قبل ارجعوا فندرضى عنكم نبي الله وزاد آخرون فذكرها اربعين الفا
قالوا وكان أشدهم ملك الارض سلطانا وعن عكرمة عن ابن عباس أن رجلا ادعى عند
داود على رجل أخذ منه بقره فانكر المدعى عليه فقال داود للمدعى أقم البينة فقم بهما
فراى داود في منامه ان الله يأمره أن ينزل المدعى عليه فثبت داود وقال هو منام فأتاه
الوحي بعد ذلك بان تغله فاحضره وأعلم أن الله أمره بقتله فقال المدعى عليه صدق الله
انى كنت قتلت أباهذا الرجل غيلة فقتله داود فهذه الواقعة شددت ملكه وأما الاسباب
البدنية الموجبة لهذا الشد فهي الصبر والتأمل التمام والاحتياط الكامل (الصفة
التاسعة) قوله وآتاه الحكمة واعلم انه تعالى قال ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا
كثيرا واعلم أن الفضائل على ثلاثة أقسام النفسانية والبدنية والخارجية والفضائل
النفسانية محصورة في قسمين العلم والعمل أما العلم فهو ان تصير النفس بالتصورات
الحقيقية والتصديقات النفسانية بمقتضى الطاقة البشرية وأما العمل فهو ان يكون
الانسان آتيا بالعمل الاصلح الاصوب بمصالح الدنيا والآخرة فهذا هو الحكمة وانما
سمى هذا بالحكمة لان اشقاق الحكمة من احكام الامور وتقويتها وتبديد ما عن اسباب
الرخاوة والاضف والاعتقادات الصائبة الصحيحة لتقبل النسخ والتقص فكانت في غاية
الاحكام وأما الاعمال المطابقة لمصالح الدنيا والآخرة فانها واجبة الرعاية ولا تقبل النقص
والنسخ فلهذا السبب سميت تلك المعارف وهذه الاعمال بالحكمة (الصفة العاشرة)

لفظ القول وان معنى مخصوص بقارنه وبقيله وهو أثره في الحقيقة فان معنى نصر مثلا فعل التصبر يرشدك الى ذلك قولهم معنى
فلان يعطى وينعم بفعل الاعطاء والمنع وفرد القصر في الحقيقة مما يتعلق بالفعل باعتبار النفي فيه والاثبات فيما يتعلق به فالعنى
وعلم داود عليه السلام أنما فعلنا به الفتنة لا غير قبل ابتلياه بامرأة أور يا قويل امتحناه بتلك الحكومة هل ينتبه بها لما قصد منها
وايثار طريق التمثيل لانه أبلغ في التوبيخ

فان التأمل فيه اذا داه الى الشعور بما هو الغرض كان أرقم في نفسه وأعظم تأثيرا في قلبه وأدعى الى التنبه للخطا مع فيه من مراعاة
حرمته عليه الصلاة والسلام والامام بترك انجازه والاشعار بأنه أمر يستحق من التصريح به وتصويره بصورة الخاطا لئلا يجهل عليه
السلام والسلام الى التصريح به فنفق الى التفتيح تنبيهه عليه الصلاة والسلام على أن أو يا بصدا الحصام (فاستغفرو به)
أمر ما علم أن ما صدر عنه ذنب (وخررا كما) أي ساجدا على تحية السجود في ١٨٤٥ ركونا له به. وأخر للسجود را كما

أي مصلحا كأنه أحرر بركن
الاستغفار (وأنا) أي رجع
الى الله تعالى بالتوبة * وأصل
الذنب أن داود عليه السلام
رأى امرأته رجل يقول له أوريا
قال قلبه اليها فأسأله أن يطفئها
فاستجى أن يرد. ففعل
فتزوجها وهي أم سليمان
عليه السلام وكان ذلك جائزا
في شريعة معتادا فيما بين
أمتهم غير بل الرواة حيث كان
يسأل بعضهم بعضا أن يزول
له عن امرأته فيزوجها اذا
اعتجته وقد كان الانصار في
صدر الاسلام يواسون
المهاجرين بمثل ذلك من غير
تكبر خلا أنه عليه الصلاة
والسلام أعظم منزلته وارتفاع
مرتبته وعلا شأنه بنبيه بالتبديل
على أنه لم يكن ينبغي له أن
يتعاطى ما يتعاطاه الخدام
ويسأل رجلا ليس له امرأه
واحدة أن يزول عنها فيزوجها
مع كثرة نسائه بل كان يجب
عليه أن يغالب هواه ويفهر
نفسه ويصبر على ما تحسن به
وقبل لم يكن أوريا تزوجها
بل كان خطبها ثم خطبها داود
عليه السلام فآثره عليه
السلام أهلها فكان ذنبه عليه

الصلاة والسلام أن خطب على خطبة أخيه المسلم هذا وأما ما ذكر من أنه عليه الصلاة والسلام دخل ذات
يوم محرابه وأغلق باباه وجعل يصلي ويقرأ الزبور فيمهاو كذلك اذ جاءه الشيطان في صورة حمامة من ذهب فغديه لياخذها
لابن صغله فطار فوقه فوقفته فبصر امرأته جيلة قد نقضت شرها فقطى بدنها وهي امرأة أوريا وهو من غزاة
البلقاء فكتب الى أيوب بن صور باهو صاحب بيت البلقاء أن أبعث أوريا وقد علم على

الصغيرة (وثالثهما) بحيث لا تدل على الكبيرة ولا على الصغيرة فأما القول الاول فحاصل كلامهم فيها ان داود عشق امرأته أوريا فاحتال بالوجوه الكثيرة حتى قتل زوجها ثم تزوج بها فأرسل الله اليه ملكين في صورة المتخاضين في واقعة شبيهة بواقعة وعرضتا تلك الواقعة عليه فحكم داود بحكم لزم منه اعترافه بكونه مذنباً ثم تذبذبه بذلك فاشتغل بالنوبة والذي أدب به وأذهب اليه ان ذلك باطل ويدل عليه وجوه الاول ان هذه الحكاية لو نسبت الى أفسق الناس وأشدهم فجوراً لاستنكف منها والرجل الحشوي الخبيث الذي يقرر تلك القصة لونسب الى مثل هذا العمل لباغ في تنزيه نفسه ور بما لعن من ينسب اليها وإذا كان الامر كذلك فكيف يليق بالعاقل نسبة المصوم اليه (الثاني) ان حاصل القصة يرجع الى أمرين الى السعي في قتل رجل مسلم بغير حق وإلى الطمع في زوجته (أما الاول) فأمر منكرف قال صلى الله عليه وسلم من سعى في دم مسلم ولو بشطر كفة جاء يوم القيامة مكثوباً بين عينيه آيس من رحمة الله (وأما الثاني) فمكروه عظيم قال صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وان أوريا لم يسلم من داود لاني روجه ولا في منكوحه (والثالث) ان الله تعالى وصف داود عليه السلام قبل ذكر هذه القصة بالصفات العشرة المذكورة ووصفه أيضاً بصفات كثيرة بعد ذكر هذه القصة وكل هذه الصفات تتفق في كونه عليه السلام موصوفاً بهذا الفعل النكرو والعمل القبيح ولا بأس بإعادة هذه الصفات لاجل المبالغة في البيان فنقول: (أما الصفة الاولى) فهي انه تعالى أمر محمد صلى الله عليه وسلم بأن يقتدى بداود في المصاهرة مع المكابدة ولوقلنا ان داود لم يصبر على مخالفة النفس بل سعى في اراق دم امرئ مسلم لغرض شهوته فكيف يليق بأحكام الحاكمين أن يأمر محمداً أفضل الرسل بأن يقتدى بداود في الصبر على طاعة الله (وأما الصفة الثانية) فهي انه وصفه بكونه عبداً له وقد بينا ان المقصود من هذا الوصف بيان كون ذلك الموصوف كاملاً في موقف العبودية تاماً في القيام بإداء الطاعات والاحتراز عن المحظورات ولوقلنا ان داود عليه السلام اشتغل بتلك الاعمال الباطلة فحينئذ ما كان داود كاملاً في عبوديته لله تعالى بل كان كاملاً في طاعة الهوى والشهوة (الصفة الثالثة) هو قوله ذا اليد أي ذا القوة ولا شك أن المراد منه القوة في الدين لان القوة في غير الدين كانت موجودة في ملوك الكفار ولا معنى للقوة في الدين الا القوة الكاملة على أداء الواجبات والاجتناب عن المحظورات وأي قوة لم يلزم ملك نفسه عن القتل والرغبة في زوجة المسلم (الصفة الرابعة) كونه أبا الكثير الرجوع الى الله تعالى وكيف يليق هذا بمن يكون قلبه مشغولاً بالقتل والتجور (الصفة الخامسة) قوله تعالى اناسمخرنا الجبال معه أفقياً أنه سمخرت له الجبال ليتخذها وسيلة الى القتل والتجور (الصفة السادسة) قوله والطير محشورة وقيل انه كان محرماً عليه صيد شيء من الطير وكيف يعقل أن يكون الضير آمناً منه ولا يجمونه الرجل المسلم على روحه ومنكوحه (الصفة السابعة) قوله تعالى وشددنا ملكه ومحال أن يكون

النايون وكان من تقدم
على النايون لا يحل له أن
يرجم حسني يفتح الله
عليه أو يستشعره ففتح
الله تعالى على يده وسلم
فأمر برده مرة أخرى
وثالثه حتى قتل وأناه خبر
قله فلم يحزن كما كان
يحزن على الشهداء
وتزوج امرأته فافك
مبتدع مكروه ومكر
مخترع بأس مامكروه
تجديلا لا سمع وتفرغه
الطباع ويل لمن ابتدعه
وأشاعه وتيا لمن اخترعه
وأذاعه ولذلك قال علي
رضي الله عنه من حدث
بحديث داود عليه السلام
على ما روي القصاص
جلده مائة وستين وذلك
حد القرية على الانبياء
صلوات الله تعالى وسلامه
عليهم هذا وقد قيل
ان قوما قصدوا أن
يقتلوه عليه الصلاة
والسلام فصوروا
الحراب ودخلوا عليه
فوجدوا عنده أقواما
فصنعوا بهذا التحاكم
فعلم عليه الصلاة والسلام
غرضهم فهم بأن ينقم
منهم فظن أن ذلك

قوله الصفة الثامنة الخ الموافق لما ذكره في أول القصة ﴿ ١٨٦ ﴾ أن يجعل قوله وآتيناه الحكمة هي التاسعة

وقوله وفصل الخطاب
هي الشجرة و
أسقطنا يوم هو قوله
كل الأبواب وقول بعد
ذلك وأما الصفات
المذكورة بعد ذكر القصة
فهي عشرة لا ينبغي ما
فيه فتأمل ابتداءه
من الله عز وجل فاستغفر
ربه مما به من آثام
(فقه ناله ذلك) أي
ما استغفر منه وروى أنه
عليه الصلاة والسلام
يقى ساجدا أربعين يوما
وليلة لا يرفع رأسه إلا الصلاة
مكتوبة أولها لا إله إلا الله
ولا يرقد معه حتى يثب
منه العشب إلى رأسه ولم
يشرب ماء الاثلاثاء مع
وجهد نفسه راغبا إلى
الله تعالى في العفو عنه
حتى كاد يهلك واشتغل
بذلك عن الملك حتى وثب
إليه يقال له يا شاعلي
ملكه ودعا إلى نفسه
فاجتمع إليه أهل الزنج
من بني إسرائيل فلما غفر له
حاربه فهنأه (وأنه
عندنا زنجي) لقرية وكرامة
بعد المغفرة (وحسن ما ب)
حسن مرجع في الجنة
(داود) أنا جعلناك خليفة

المراد أنه تعالى شد ملكه بأبواب الدنيا بل المراد أنه تعالى شد ملكه بما يقوى الدين
وأسباب إعادة الآخرة والمراد تشديد ملكه في الدين والدنيا ومن لا يملك نفسه عن
القتل والتجور كيف يليق به تلك (الصفة الثامنة) قوله تعالى وآتيناه الحكمة وفصل
الخطاب والحكمة اسم جامع لكل ما ينبغي علما وعملا فكيف يجوز أن يقول الله تعالى
أن آتينا الحكمة وفصل الخطاب مع إصراره على ما يستكشف عنه الحديث الشيطان
من مزاجه اخلص أصحابه في الروح والنكوح فهذه الصفات المذكورة قبل شرح
تلك القصة دالة على براءة ساحته عن تلك الأكاذيب * وأما الصفات المذكورة بعد ذكر
القصة فهي عشرة (الأول) قوله وإن الله عندنا زنجي وحسن ما ب وذكر هذا الكلام إنما
يناسب لودلت القصة المقدمة على قوله في طاعة الله أما لو كانت القصة المقدمة دالة
على سعيه في القتل والتجور لم يكن قوله وإن الله عندنا زنجي لأثابه (الثاني) قوله تعالى
ياد داود أنا جعلناك خليفة في الأرض وهذا يدل على كذب تلك القصة من وجوه (أحدها)
أن الملك أكبر إذا حكى عن بعض عبيده أنه فسد دما الناس وأموالهم وأزواجهم
فبعد فراغه من شرح تلك القصة علمه من الناس يفتح منه أن يقول عقيبها أما العبد
أني فوضت إليك خلافتي ونيايتي وذلك لأن ذكر تلك القبايح والأفعال المنكرة يناسب
الزجر والتحذير فاجعله تأييدا وخليفة لنفسه فذلك البتة مما لا يليق (وثانيها) أنه ثبت في
أصول الفقه أن ذكر الحكم عقيب الوصف يدل على كون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف
فما حكى الله تعالى عنه تلك الواقعة القبيحة ثم قال بعده أنا جعلناك خليفة في الأرض
أشهر هذا بان الموجب لتفويض هذه الخلافة هو آتيانه بتلك الأفعال المنكرة ومعلوم أن
هذا فاسد أما لو ذكر تلك القصة على وجوه تدل على براءة ساحته عن المعاصي والذنوب
وعلى شدة مصابته على طاعة الله تعالى فحينئذ يناسب أن يذكر عقيبها أنا جعلناك خليفة
في الأرض فثبت أن هذا الذي نختاره أولى (والثالث) وهو أنه لما كانت مقدمة الآية
دالة على مدح داود عليه السلام وتواضعه وموخرتها أيضا دالة على ذلك فلو كانت الواسطة
دالة على القبايح والمعاصي لجرى مجرى أن يقال فلان عظيم الدرجة على المرتبة في طاعة
الله يقتل ويؤذي ويسرق وقد جعله خليفة في أرضه وصوب أحكامه وكما أن هذا الكلام مما
لا يليق بالعاقل فكذا همنا ومن المعلوم أن ذكر العشق والسعي في القتل من أعظم أبواب
العيوب (والرابع) وهو أن النازلين بهذا القول ذكروا في هذه الرواية أن داود عليه
السلام عني أن يحصل له في الدين كما حصل للأنبياء المتقدمين من المنازل العالية مثل
ما حصل للخليل من الالتقاء في النار وحصل للذبيح من الذبح وحصل ليعقوب من الشدائد
الموجبة لكثرة الثواب فأوحى الله إليه أنهم إنما وجنوا تلك الدرجات لأنهم لما ابتلوا
صبروا فصدق ذلك سأل داود عليه السلام الابتلاء فأوحى الله إليه أنك ستبلى في يوم كذا
فبالتيم في الاحتراز ثم وقعت الواقعة فقول أول حكايته يدل على أن الله تعالى يبتلي بالبلاء

في الأرض) أما حكاية لما خوطب به عليه الصلاة والسلام مينة زلقاه عذره عز وجل وأما ﴿ الذي ﴾
مقول قول مقدر هو معطوف على

غفرنا أحوال من فاعله أى وقتاله ﴿ ١٨٧ ﴾ أو قائلين له يادادود الخ أى استخلفناك على الملك فيها والحكم

فيما بين أهلها أو جملتك
خليفة عن كان قبلك من
الانبياء القائمين بالحق
وفيه دلائل بين على
أن حاله عليه الصلاة
والسلام بعد التوبة كما
كانت قبلها لم تتغير قط
(فالحكم بين الناس بالحق)
بحكم الله تعالى فإن
الخلافة بكل ما عليه
مقتضية له (وما ولا تبع
الهوى) أى هوى النفس
في الحكومات وغيرها
من أمور الدين والدنيا
(وفضلك من سبيل الله)
بالنصب على أنه جواب
الهوى وقيل هو مجزوم
بما عطف على النهي
مفتوح لاقتداء الساكنين
أى فيكون الهوى
أو اتباعه سبب لضللك
عن دلائله التي نصبها
على الحق لتكونا
رئيسا بما وفوه تعالى
(وإن الذين يضلّون
عن سبيل الله) تعليل
أقله بيسار غايته
وأظهار

الذي يزبدى مقبته ويكمل مراتب إخلاصه فالسعي في قتل النفس بغير الحق والافراط
في العشق كيف يليق بهذه الحساسة ويثبت أن الحكاية التي ذكرها ينساقض أولها
آخرها (الخامس) أن داود عليه السلام قال وإن كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على
بعض إلا الذين آمنوا استثنى الذين آمنوا عن البغى فلو قلنا أنه كان موصوما بالبغى لزم أن
يقال أنه حكم بعدم الإيمان على نفسه وذلك باطل (السادس) حضرت في بعض المجالس
وحضر فيه بعض أكابر الملوك وكان يزيد أن يتعصب لقرير ذلك القول الفاسد والقصة
الخبثية لسبب اقتضى ذلك قتلته لاشك أن داود عليه السلام كان من أكابر الانبياء
والرسل ولقد قال الله تعالى الله أعلم حيث يجعل رسالاته ومن مدحه الله تعالى بمثل هذا
المدح العظيم لم يجز لنا أن نتابع في الطعن فيه وأيضاً فيقدر أنه ما كان نبيا فلا شك أنه كان
مسلماً ولقد قال صلى الله عليه وسلم لا تذكروا موتاكم لا تخبر ثم على تقدير أن لا تلتفت إلى
شيء من هذه الدلائل إلا أن تقول أن من المعلوم بالضرورة أن بتقدير أن تكون القصة
التي ذكرتموها حقة صحيحة فإن روايتها وذكرها لا يوجب شيئا من الثواب لأن اشاعة
الفاحشة إن لم توجب العقاب فلا أقل من أن لا توجب الثواب وأما بتقدير أن تكون
هذه القصة باطلة فاسدة فإن ذكرها يستحق أعظم العقاب والواقعة التي هذا شأنها
وصفتها فإن صريح العقل يوجب السكوت عنها ثبت أن الحق ما ذهبنا إليه وإن شرح
تلك القصة محرم محذور فلما سمع ذلك الملك هذا الكلام سكوت ولم يذكر شيئا (السابع) أن
ذكر هذه القصة وذكر قصة يوسف عليه السلام يقتضى اشاعة الفاحشة فوجب أن يكون
محرمًا لقوله تعالى إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا (الثامن) لو سعى
داود في قتل ذلك الرجل لدخل تحت قوله من سعى في دم مسلم ولو شطرنج كلفنا يوم إقامة
مكتوبه بآيين عبيد آيس من رحمة الله وأيضاً لو فعل ذلك الملك ظلما وكان يدخل تحت قوله
أ لعنة الله على الظالمين (التاسع) عن سعيد بن المسيب أن علي بن أبي طالب عليه
السلام قال من حدثكم بتحديث داود على ما رويہ القصص جلدته مائة وستين وهو
حد الفريد على الانبياء وما يتقوى هذا منهم لما قالوا إن المغيرة بن شعبه زنى وشهد ثلاثة من
عسول الصحابة بذلك وأما الرابع فانه لم يقل بأى رأيت ذلك العمل بمعنى فإن عمر بن
الخطاب كذب أولئك الثلاثة وجلد كل واحد منهم ثمانين جلدة لاجل أنهم قد فوا وإذا
كان الحال في واحد من أحاد الصحابة كذلك فكيف الحال مع داود عليه السلام مع أنه
من أكابر الانبياء عليهم السلام (العاشر) روى أن بعضهم ذكر هذه القصة على ما في كتاب
أنه تعالى فقتل زبني أن يزاد عليها وإن كانت الواقعة على ما ذكرت ثم أنه تعالى لم يذكرها
لاجل أن يستتر تلك الواقعة على داود عليه السلام فلا يجوز له ادعاء أن يسعى في ذلك ذلك
الستر بعد ألف سنة أو أوفى أو أكثر فقال عمر سماعي هذا الكلام أحب إلى مما طلعت عليه
الشمس فثبت بهذه الوجوه التي ذكرناها أن القصة التي ذكرها فاسدة باطلة فإن قال قائل

سبيل الله في موقع الاضمار لزيادة التقرير والابتنان * ١٨٨ * بكمال شناعة الضلال عنه (لهم عذاب

شديد) جملة من خبر
ومبتدأ وقعت خبر الان
أو الظرف خبر لان
وعذاب مرتفع على
الفاعلية بما فيه من معنى
الاستقرار (بمناشوا)
بسبب نسيانهم وقوله
تعالى (يوم الحساب)
امام مفعول لنسوا فيكون
تعليل لصريح الثبوت
العذاب الشديد لهم
بنسيان يوم الحساب بعد
الاشعار بعلمية ما يستتبعه
ويستلزمه أعنى الضلال
عن سبيل الله تعالى فانه
مستلزم للنسيان يوم
الحساب بالمرّة بل هذا
فرد من أفراد أو ظرف
لقوله تعالى لهم أي لهم
عذاب شديد يوم القيامة
بسبب نسيانهم الذي هو
عبارة عن ضلالهم
ودن ضرورته أن يكون
مفعوله سبيل الله فيكون
التعليل المصرح به
حبيث عين التعليل
المشعر به بالذات غيره

ان كثير من اكابر المحدثين والمفسرين ذكروا هذه القصة فكيف الحال فيها فالجواب
الحقيقي انه لما وقع التعارض بين الدلائل القاطعة وبين خبر واحد من اخبار الآحاد
كان الرجوع الى الدلائل القاطعة أولى وأيضاً فالاصل براءة الذمة وأيضاً فلما تعارض
دليل التحريم والتجليل كان جانب التحريم أولى وأيضاً طرقة الاحتياط توجب ترجيح
قوانا وأيضاً فحقن نعلماً بالضرورة ان يتقدروا وقوع هذه الواقعة لا يقول الله لنا يوم القيامة
للم تسعوا في تشهير هذه الواقعة وأما بتقدير كونها باطلة فان علينا في ذكرها أعظم
العقاب وأيضاً فقال عليه السلام اذا علمت مثل الشمس فاشهدوه ههنا لم يحصل العلم
ولا الظرف في صحة هذه الحكاية بل الدلائل القاهرة التي ذكرناها فائمه فوجب أن لا تجوز
الشهادة بها وأيضاً كل المفسرين لم يتفقوا على هذا القول بل الاكثرون المحققون
والمحققون منهم يرونه ويحكمون عليه بالكذب والفساد وأيضاً اذا تعارضت أقوال
المفسرين والمحدثين فيه تساقطت وبقي الرجوع الى الدلائل التي ذكرناها فهذا تمام
الكلام في هذه القصة (أما الاحتمال الثاني) وهو ان نحمل هذه القصة على وجود يوجب
حصول الصغيرة ولا يوجب حصول الكبيرة فتقول في كيفية هذه القصة على هذا التقدير
وجوه (الاول) ان هذه المرأة خطبها أوريا فاجابوه ثم خطبها داود فأثّر أهلها فكان
ذنبه ان خطب على خطبة أخيه المؤمن مع كثرة نسيانه (الثاني) قالوا انه وقع بصره عليها
فقال قلبه اليها وليس له في هذا ذنب البتة أما وقوع بصره عليها من غير قصد فذلك ليس
بذنب وأما حصول الميل عقيب النظر فليس أيضاً ذنباً لان هذا الميل ليس في وسعه فلا
يكون مكافئه بل لما اتفق أن قتل زوجها لم يأت ذنباً عظيماً بسبب قتله لاجل انه طمع أن
يتزوج بذلك المرأة فحصلت الزنا بسبب هذا المعنى وهوانه لم يشق عليه قتل ذلك الرجل
(والثالث) انه كان أهل زمان داود عليه السلام يسأل بعضهم بعضاً أن يطلق امرأته
حتى يتزوجها وكانت عادتهم في هذا المعنى ما لو فته معروفه وبنان الانصار كانوا يواسون
المهاجرين بهذا المعنى فاتفق ان عين داود عليه السلام وقفت على تلك المرأة فأحبها فاسأله
النزول عنها فاستحيا أن يرده ففعل وهي أم سليمان قيل له هذا وان كان جائزاً في ظاهر
الشريعة الا انه لا يليق بك فان حسنت الابرار سياآت المقر بين فهذه وجوه ثلاثة
أوحلنا هذه القصة على واحد منها لم يلزم في حق داود عليه السلام الا ترك الافضل
والاولى (وأما الاحتمال الثالث) وهو أن هذه القصة على وجه لا يلزم الحاق الكبيرة
والصغيرة بـ داود عليه السلام بل يوجب الحاق أعظم أنواع المدح والثناء به وهو أن تقول
رعى أوجاعه من الاعداء سألوا في أن يقتلوا نبي الله داود عليه السلام وكان له يوم
تخلّوه ينفس ويشتغل بضاعة به عاشقاً والفرصة في ذات اليوم تسوروا المحار فلما
دخلوا عليه وجدوا عنده أقواساً وثقوباً منهم فمخّافوا فوضعوا أيديهم وقالوا اخصمان نبي
بعضنا على بعض الى آخر القصة وليس في لفظ القرآن ما يمكن أن يخرج منه في الحاق الذنب

بداود الألفاظ أربعة (أحدها) قوله وظن داود انما فتاه (وثانيها) قوله تعالى فاستغفر
 ربه (وثالثها) قوله وأتاب (ورابعها) قوله فغفرنا له ذلك ثم نقول وهذه الألفاظ لا يدل
 شئ منها على ما ذكره وتقريره من وجوه (الاول) انهم لما دخلوا عليه لم يطلب قلة بهذا
 الطريق ولم يدع داود عليه السلام ذلك دعاء الغضب الى أن يشتغل بالانتقام منهم الا انه مال
 الى الصفح والتجاوز عنهم طلبا لمرضاة الله قال وكانت هذه الواقعة هي الفتنة لانها جارية
 مجرى الابتلاء والافتحان ثم انه استغفر ربه بما هم به من الانتقام منهم وتاب عن ذلك
 المهم وأتاب فغفر له ذلك القدر من المهم والعزم (الثاني) أنه وان غلب على ظنه أنهم
 دخلوا عليه ليقناوه الا انه ندم على ذلك الظن وقال لما لم تقم دلالة ولا اشارة على أن الامر
 كذلك فبنسما علمت بهم حيث ظننت بهم هذا الظن الردي فكان هذا هو المراد من
 قوله وظن داود انما فتاه فاستغفر ربه وخيرا كما وأتاب منه فغفر الله له ذلك (الثالث)
 أن دخولهم عليه كان فتنة لداود وعليه السلام الا انه عليه السلام استغفر لذلك الداخل
 العازم على قتله كما قال في حق محمد صلى الله عليه وسلم واستغفر الذنوبك وللوثنين والمؤمنات
 فداود عليه السلام استغفر لهم وأتاب أي رجع الى الله تعالى في طلب مغفرة ذلك
 الداخل القاصد للقتل وقوله فغفرنا له ذلك أي غفرنا له ذلك الذنب لاجل احترام داود
 وتعظيمه كما قال بعض المفسرين في قوله تعالى يغفر لك الله ما تقدم من ذنبك ان معناه ان
 الله تعالى يغفر لك ولا جلك ما تقدم من ذنبك (الرابع) هب انه تاب داود عليه السلام
 عن زلة صدرت منه لكن لانسلم أن تلك الزلة وقعت بسبب المرأة فلم لا يجوز أن يقال ان
 تلك الزلة انما حصلت لانه قضى لاحد الخصمين قبل أن يسمع كلام الخصم الثاني فانه لما
 قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه فتحكم عليه بكونه ظلما بمجرد دعوى الخصم بغير
 بينة ليكون هذا الحكم مخالفا للصواب فعندهذا اشتغل بالاستغفار والتوبة لأن هذا
 من باب ترك الافضل والاول وثبت بهذه البيانات انا اذا جئنا هذه الآيات على هذا الوجه
 فانه لا يلزم اسناد شئ من الذنوب الى داود عليه السلام بل ذلك يوجب اسناد أعظم
 الظلمات اليه ثم نقول وحل الآية عليه أولى لوجوه (الاول) ان الاصل في حال السلم
 البعد عن المناهي لاسيما وهو رجل من اكابر الانبياء والرسل (الثاني) انه أحوط
 (والثالث) أنه تعالى قال أول الآية لمحمد صلى الله عليه وسلم اصبر على ما يقولون
 واذا كرر عبدنا داود فان قوم محمد عليه السلام لما أظهروا السفاهة حيث قالوا انه
 ساحر كذاب واستهزؤا به حيث قالوا ربنا يحجل لنا فطنا قبل يوم الحساب قال تعالى في أول
 الآية اصبر يا محمد على سفاهتهم وتحمّل ولا تطهر الغضب واذا كرر عبدنا داود فهدا
 الذكر انما يحس اذا كرر داود عليه السلام قد اصبر على ايذائهم وتحمل سفاهتهم وحلم
 ولم يظهر الغضب والبش والفتنة وهذا المعنى انما يحصل اذا جئنا الآية على ما ذكرناه انا اذا
 جئنا على ما ذكره صار الكلام متافصا فاسدا (والرابع) ان تلك الرواية انما تنشئ

بالعنوان ومن لم يتنبه
 لهذا السر السري
 قال بسبب نسبائهم وهو
 ضلالهم عن السبيل
 فان تذكره يقتضي ملازمة
 الحق ومخالفة الهوى
 فتدبر (وما خلقنا السماء
 والارض وما بينهما
 باطلا) كلام مستأنف
 مقرر لما قبله من أمر
 البعث والحساب والجزاء
 أي وما خلقناهما وما
 بينهما من المخلوقات على
 هذا النظام البديع الذي
 نتحر في فهمه العقول
 خلقا باطلا أي خالبا
 عن الغاية الجليلة والحكمة
 الباهرة بل منطويا على
 الحق البين والحكم
 البالغة حيث خلقنا من
 بين ما خلقنا نفوسا
 أو دعنا العقل والتمييز
 بين الحق والباطل والنافع
 والضار ومكنها من
 التصرفات العلية والعلمية
 في استجلاب منافعها
 واستدفاع مضارها
 ونصنأ الحق دلائل
 آفاقية وأفقية ومعجزة
 القدرة على الاستشهاد
 بها ثم لم نقصر على

إذا قلنا الخصمان كانا ملكين ولما كانا من الملائكة وما كان بينهما مخالصة وما بيني
أحدهما على الآخر كان قولهما خصمان يعني بعضنا على بعض كذبافهذه الرواية
لا تتم الابشيتين (أحدهما) اسناد الكذب الى الملائكة (والثاني) أن يتوسل باسناد
الكذب الى الملائكة الى اسناد أفحش القباح الى رجل كبير من أكابر الانبياء فأما إذا
حملنا الآية على ما ذكرنا استغنيا عن اسناد الكذب الى الملائكة وعن اسناد القبح
الى الانبياء فكان قولنا أولى فهذا ما عندنا في هذا الباب والله أعلم بأسرار كلامه ونرجع
الآن الى تفسير الآيات أما قوله وهل أناك يا الخصم قال الواحدى الخصم مصدر
خصمته اخصمه خصما ثم يسمى به الاثنان والجمع ولا يثنى ولا يجمع يقال هسا خصم وهم
خصم كما يقال هما عدل وهم عدل والمعنى ذو اخصم وذو خصم وأرى يد بالخصم ههنا
الشخصان اللذان دخلا على داود عليه السلام وقوله تعالى اذ تسوروا المحراب يقال
تسورت السور تسورا اذا علوته ومعنى تسوروا المحراب أى أتوه من سوره وهو أعلاه
يقال تسور فلان الدار اذا أتاه من قبل سورها وأما المحراب فالمراد منه البيت الذى كان
داود يدخل فيه ويشتمل بطاعة به وسمى ذلك البيت بالمحراب لاشتغاله على المحراب كما
يسمى الشئ بأشرف أجزائه وههنا مسئلة من علم أصول الفقه وهى أن أقل الجمع اثنان
عند بعض الناس وهو لا يتمسكوا بهذه الآية لانه تعالى ذكر صيغة الجمع في هذه الآيات
في أربعة مواضع (أحدها) قوله تعالى اذ تسوروا المحراب (وثانيها) قوله اذ دخلوا
(وثالثها) قوله منهم (ورابعها) قوله قالوا لا تخف فهذه الالفاظ الاربعة كلها صيغ الجمع
وهم كانوا اثنين يدلل أنهم قالوا اخصمان قالوا فهذه الآية تدل على أن أقل الجمع اثنان
(والجواب) لا يمتنع أن يكون كل واحد من الخصمين جمعا كثيرا لاننا بينا ان الخصم
اذا جعل اسمافانه لا يثنى ولا يجمع ثم قال تعالى اذ دخلوا على داود والفائدة فيه انهم
ر بما تسوروا المحراب وما دخلوا عليه فلما قال اذ دخلوا عليه دل على انهم بعد التسور
دخلوا عليه قال القراء وقد يجاء بأذمرتين ويكون معناه ما كالأوحد كقولك ضربتك اذ
دخلت على اذا اجترأت مع أنه يكون وقت الدخول ووقت الاجتراء واحدا ثم قال تعالى
ففرع منهم والسبب أن داود عليه السلام لما رأى اهما قد دخلوا عليه لامن الطريق المعتاد
علم أنهم ائتمادخلوا عليه للشر فلا جرم فرع منهم ثم قال تعالى قالوا لا تخف خصمان يعني
بعضنا على بعض وفيه مسائل (المسئلة الاولى) خصمان خبر مبتدأ محذوف أى نحن
خصمان (المسئلة الثانية) ههنا قولان (الاول) انها كانا ملكين نزلا من السماء وأراد
تسليم داود عليه السلام على قبح العمل الذى أقدم عليه (وثالثي) انها كانا انسانين
دخلا عليه للشر واقتل فضنا فهما يمجدهانه خاليا فلما رأيا عنده جماعة من الخدم اختلعا
ذلك الكذب لدفع الشر وأما المنكرون لكونه ما ملكين فقد أحجوا عليه بانهم لو كانا
ملكين لكانا كاذبين في قولهما خصمان فانه ليس بين الملائكة خصومة وان كانا كاذبين

لك المقدار من الاطاف بل أرسلنا اليها رسلا
وأزلنا عليها كتابينا
فيها كل دقيق وجليل
وأزحنا عليها بالنكبة
وعرضناها بالتكليف
للمنافع العظيمة وأعدنا
لها عاقبة وجزاء على
حسب أعمالها (ذلك)
اشارة الى مانفى من
خلق ما ذكر باطلا (ظن
الذين كفروا) أى
مظنونهم فان جحدهم
بأمر البعث والجزاء
الذى عليه يدور فلك
تكوين العالم قول منهم
يبطالان خلق ما ذكرنا
خلوه عن الحكمة سبحانه
وتعالى عما يقولون علوا
كبرا (قو بل الذين
كفروا) مبتدأ وخبر
والفاء لافادة ترتب ثبوت
الو بل لهم على ظهم
انباطل كما أن وضع
وسول ووضع ضميرهم
شعار بمانى خير الصلة
بعلية كفرهم له ولا تنافى
بينهما لان ظنهم
من باب كفرهم ومن
في قوله تعالى (من النار)
تعليلية كائى قوله تعالى

فويل لهم مما كتبت أيديهم ونظأروهم عقيدة ﴿ ١٩١ ﴾ لعلمية النار الثبوت الى بل لاهم صريحاً بعد الاشعار بعلمية

ما يؤدى اليها من ظنهم
وأنهم أي قول لهم
بسبب النار المترتبة على
ظنهم وكفرهم (أم جعل
الذين آمنوا وعملوا
الصالحات كالمفسدين
في الارض) أم منقطعة
وما فيها من بل للاضراب
الانتقال عن تقرير رأس
البعث والحساب والجزاء
بما مر من نفي خلق العالم
خالياً عن الحكم والمصالح
الى تقريره وتحقيقه بما
في الهمزة من انكار
التسوية بين الفريقين
ونفيها على أبلغ وجه
وأكد أي بل يجعل
المؤمنين المصلحين
كالكفرة المفسدين في
أقطار الارض كما يقتضية
عدم البعث وما يترتب
عليه من الجزاء لاستواء
الفريقين في التمتع بالحياة
الدنيائيل الكفرة أو فر
حظاً منهما من المؤمنين
لكن ذلك الجدل محال
فتعين البعث والجزاء
حتماً رفع الاولين الى
أعلى عليين ورد الآخرين
الى أسفل سافلين وقوله
تعالى (أم نجعل المتقين
كالفجار) اضراب

في قولهم أي بعضنا على بعض ولكننا كاذبين في قولهم ان هذا أخيه تسع وتسعون
نقطة فثبت انهم لو كانوا ملكين لكانا كاذبين واسكذب على الميت غير جائز لقوله تعالى
لا تستنصوا به بقول وقوله ويعلمون ما يؤمرون أجاب الداعبون الى القول الاول عن هذا
الكلام بأن قالوا ان الملكين انما ذكرهما الكلام على سبيل ضرب المثل لا على سبيل
التحقيق فلم يلزم الكذب وأجيب عن هذا الجواب بأن ما ذكرتم يقتضي العدول عن
ظواهر اللفظ ومعلوم انه على خلاف الاصل أما اذا حملنا الكلام على أن الحصين كانا
رجلين دخلنا عليه لغرض الشر ثم وضعنا هذا الحديث الباطل فحينئذ لم استناد الكذب
الى شخصين فاسقين فكان هذا أولى من القول الاول والله أعلم وأما الفائلون بكونهما
ملكين فقد أجابوا بوجه (الاول) اتفاق أكثر القمير بن عليه (والثاني) انه أرفم منزلة
من أريد سور عليه آحاد الرعية في حال تعبه فوجب أن يكون ذلك من الملائكة (الثالث)
أن قوله تعالى قالوا لا تخف كالدلالة على كونهما ملكين لان من هو من رعيته لا يكاد يقول
له مثل ذلك مع رفعة منزلته (الرابع) ان قولهما ولا تشطط كالدلالة على كونهما
ملكين لان أحدا من رعيته لا يتجاسر أن يقول له لا تشطط ولا تتجاوز عن الحق واعلم أن
ضعف هذه الدلائل ظاهر ولا حاجة الى الجواب والله أعلم (المسئلة الثالثة) بغي بعضنا
على بعض أي تعدى وخرج عن الحديث قال بغي الجرح اذا أفرط وجعه وانتهى الى الغاية
ويقال بغي المرأة اذا زنت لان الزنا كبيرة منكرة قال تعالى ولا تكرر هو فتياكم على البغاء
ثم قال فاحكم بيننا بالحق معنى الحكم الاحكام الامر في امضاء تكليف الله عليهما
في الواقعة ومنه حكمة الدابة لانها تمنع من الجساح ومنه بناء محكم اذا كان قولاً وقوله
بالحق أي بالحكم الحق وهو الذي حكم الله به ولا تشطط يقال شط الرجل اذا بعد ومنه
قوله شطت الدار اذا بعدت قال تعالى لقد قلنا اذا شططنا أي قولاً بعيداً عن الحق فقوله
ولا تشطط أي لا تبعد في هذا الحكم عن الحق ثم قال واهدنا الى سواء الصراط وسواء
الصراط هو وسطه قال تعالى فاطلع فراه في سواء الحجيم ووسط الشيء أفضله وأعدله قال
تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطاً وأقول انهم عبروا عن المقصود الواحد بثلاث عبارات
(أولها) قولهم فاحكم بالحق (وثانيها) قولهم ولا تشطط وهي نهي عن الباطل (وثالثها)
قولهم واهدنا الى سواء الصراط يعني يجب أن يكون سعيك في إيجاد هذا الحق وفي
الاحتراز عن هذا الباطل أن تردنا من الطريق الباطل الى الطريق الحق وهذا مبالغة
تامة في تقرير المطلوب واعلم انهم لما أخبروا عن وقوع الخصومة على سبيل الاجال
أردفوه ببيان سبب تلك الخصومة على سبيل التفصيل فقال ان هذا أخيه تسع وتسعون
نقطة وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قال صاحب الكشاف أخى بدل من هذا أو خبر
لقوله ان والمراد أخوة الدين أو أخوة الصداقة والالفة أو أخوة الشركة والخلطة وقوله
تعالى وان كثيراً من الخطاء وكل واحدة من هذه الاخوات توجب الامتناع من الظلم

وانتقال من اثبات ما ذكر بلزوم الحال الذي هو التسوية بين ﴿ ١٩٢ ﴾ الفريقين المذكورين على الإطلاق

والاستدعاء (المسئلة الثانية) قال صاحب الكشاف قرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونسبة بكسر النون وهذا من اختلاف اللغات نحو نطم ونفع وقوة ونشوة وهي الاثنى من العقبان (المسئلة الثالثة) قال الليث النعجة الاثنى من الضأن والبقرة الوحشية والشاة الجبلية والجمع النعجات والعرب جرت عادتهم يجعل النعجة والنعجة كناية عن المرأة (المسئلة الرابعة) قرأ عبدالله تسع وتسعون نعمة أنشأ وهذا يكون لاجل التأكيده كقولهم تعالى وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين إنما هو هوال واحد ثم قال أكلتنيها وعزني الخطاب قال صاحب الكشاف أكلتنيها حقيقة اجعلني أكلها كما أكلت ما تحت يدي وعزني غلبني يقال عزه يعزه والمعنى جافني بحجاجة لم أقدر أن أورد عليه ما أردت به وقرئ وعازني من المعازة وهي المغالبة واعلم ان الذين قالوا ان هذين الخصمين كانا من الملائكة زعموا ان المقصود من ذكر اتعاج التمثيل لان داود كان تحته تسع وتسعون امرأة ولم يكن لاوريا الامراء واحدة فذكرت الملائكة تلك الواقعة على سبيل الزمر والتمثيل ثم قال تعالى قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه أي سؤال اضافة نعجتك الى نعاجه وروى انه قال له ان رمت ذلك ضرب بنا منك هذا وهذا وأشار الى الانف والجبهة فقال يا داود انت احق ان تضرب منك هذا وهذا وانت فعلت كبت وكبت ثم نظر داود فلم ير أحدا فعرف الحال فان قيل كيف جاز لداود أن يحكم على أحد الخصمين بمجرد قول خصمه قلنا ذكرنا فيه وجوها (الاول) قال محمد بن اسحق لما فرغ الخصم الاول من كلامه نظر داود الى الخصم الذي لم يتكلم وقال لئن صدق لقد ظلمته والحاصل ان هذا الحكم كان مشروطا بشرط كونه صادقا في دعواه (والثاني) قال ابن الانباري لما ادعى أحد الخصمين اعترف الثاني بحكم داود عليه السلام ولم يدرك الله تعالى ذكر الاعتراف لدلالة ظاهر الكلام عليه كما تقول أمرتلك بالتجارة فكسبت تريد اتجرت فكسبت وقال تعالى ار اضرب بعصاك البحر فانقلب أي فاضرب فانقلب والثالث أن يكون التقدير أن الخصم الذي هذا شأنه يكون قد ظلمك ثم قال وان كثيرا من الخطاء ليبنى بعضهم على بعض قال الليث خلبط الرجل مخالطه وقال الزجاج الخلطاء الشركاء فان قيل لم خص داودا بالخطاء ببنى بعضهم على بعض مع أن غير الخطاء قد يفعلون ذلك والجواب لاشك أن المخالطة توجب كثرة المنازعة والمخاصمة وذلك لانها اذا اختلطوا اطلع كل واحد منهما على أحوال الآخر فكل ما يملكه من الاشياء ان يقسمه اذا اطلع عليه عظمت رغبته فيه فيفضي ذلك الى زيادة المخاصمة والمنازعة فلهذا السبب خص داود عليه السلام الخطاء بزيادة البغى والعدوان ثم استثنى عن هذا الحكم الذين آمنوا وعملوا الصالحات لان مخالطة هؤلاء لا تكون الا لاجل الدين وطلب السعادات الروحية الحقيقة فلا جرم مخالطتهم لا توجب المنازعة وأما الذين تكون مخالطتهم لاجل حب الدنيا لا بد وان تصبر مخالطتهم سببا لمزيد البغى والعدوان واعلم أن هذا الاستثناء يدل على ان الذين آمنوا

الى آياته بلزوم ما هو أظهر منه استعماله هو التسوية بين انقياء المؤمنين واشقياء الكفرة وحل الفجار على جفرة المؤمنين مما لا يساعده المقام ويجوز أن يراد بهذين الفريقين عين الاولين ويكون التكرير باعتبار وصفين آخرين هما أدخل في انكار التسوية من الوصفين الاولين وقيل قال كفار قرئش للوه منسين انا نعطى في الآخرة من الخير ما تعطون فزناك (كتاب) خبر مبتدأ محذوف هو عبارة عن القرآن أو السورة وقوله تعالى (أنزلناه اليك) صفته وقوله تعالى (مبارك) خبر ثان للمبتدأ أو صفة الكتاب عند من يجوز تأخير الوصف الصريح وقرئ مبارك على أنه حال من مفعول أنزلناه ومعنى المبارك الكثير المنافع الدينية والدنيوية وقوله تعالى (ليدبروا آياته) متعلق بأنزلناه أي أنزلناه ليعتبروا في

وعملوا الصالحات لا ينبغي بعضهم على بعض فلو كان داود عليه السلام قد بنى وتعدى على ذلك الرجل لزم بحكم فتوى داود أن لا يكون هو من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ومعلوم أن ذلك باطل فثبت أن قول من يقول المراد من واقعة أنجحة قصة داود قول باطل ثم قال تعالى وقليل ما هم واعلم أن الحكم بقلة أهل الخير كثير في القرآن قال تعالى وقليل من عبادى الشكور وقال داود عليه السلام في هذا الموضع وقليل ما هم وحكى تعالى عن إبليس أنه قال ولا تجد أكثرهم شاكرين وسبب القلة أن الدواعى إلى الدنيا كثيرة وهى الخواص الباطنة والظاهرة وهى عشرة والشهوة والغضب والقوى الطبيعية السبعة فالجموع تسعة عشر واقفون على باب جهنم البدن وكماها تدعو إلى الخلق والدنيا واللذة الحسية وأما الداعى إلى الحق والدين فليس إلا العقل واستيلاء القوة الحسية والطبيعية على الخلق أكثر من القوة العقلية فيهم فلهذا السبب وقمت القلة فى جانب أهل الخير والكثرة فى جانب أهل الشر قال صاحب الكشف وما فى قوله وقليل ما هم إلا بهام وفيه تعجب من قلتهم قال وإذا أردت أن تتحقق قائمتها وموقعها فاطرحتها من قول امرئ القيس وحديث ما نلى قصره وانظر هل بقى له معنى قط ثم قال تعالى وطن داود أنما افتناه قالوا معناه وعلم داود أنما افتناه أى امتحناه قالوا والسبب الذى أوجب حل لفظ الظن على العلم ههنا أن داود عليه السلام لما قضى بينهما نظرا أحدهما إلى صاحبه فضحك ثم صعدا إلى السماء قبل وجهه فعلم داود أن الله ابتلاه بذلك فثبت أن داود علم ذلك وأنما جاز حل لفظ الظن على العلم لأن العلم الاستدلال يشبه الظن مشابهة عظيمة والمماثلة علة لجواز المجاز وأقول هذا الكلام أنما يلزم إذا قلنا الحصمان كأنما لم يكن أما إذا لم نقل ذلك لا يلزمنا حل الظن على العلم بل لنا أن يقول أنه لما غلب على قلته حصول الابتلاء من الله تعالى اشتغل بالاستغفار والامانة أما قوله فاستغفر ربه أى سأل الغفران من ربه ثم ههنا وجهان أن قلنا بأنه قد صدرت زلة منه فحلنا هذا الاستغفار عليها وإن لم نقل به قلنا فيه وجوه (الاول) أن القوم لما دخلوا عليه فاصدين قتله وأنه كان سلطانا شديد القهر عظيم القوة ثم أنه مع انه مع القدرة الشديدة على الانتقام ومع حصول الفرع فى قلبه عفا عنهم ولم يقل لهم شيئا قرب الامر من أن يدخل فى قلبه شيء من العجب فاستغفر ربه عن تلك الحالة وأتاب إلى الله واعترف بأن اقدامه على ذلك الخير ما كان إلا بتوفيق الله فغفر الله له وتجاوز عنه بسبب طرياق ذلك الخاطر (الثاني) أنه لم يهمل ما كان القوم ثم قال انه لم يدل دليل قاطع على هؤلاء قصدوا الشر فعفا عنهم ثم استغفر عن ذلك الهم (الثالث) لعل القوم تابوا إلى الله وطلبوا منه أن يستغفر الله لهم لأجل أن يقبل توبتهم فاستغفر وتضرع إلى الله فغفر الله ذنوبهم بسبب شفاعته ودعائه وكل هذه الوجوه محتملة ظاهرة والقرآن مملوء من أمثال هذه الوجوه وإذا كان اللفظ محتملا لما ذكرناه ولم يبق دليل قطعى ولا ظنى على التزام التكرار التى يذكرونها فالذى يحملنا على التزامها

آياته التى من جملتها هذه الآيات المعربة عن أسرار الكون والتشريع فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من المعاني الفاسقة والنأويلات اللائقة وقرئ ليتدبروا على الاصل ولتدبروا على الخطاب أى أنت وعلماء أمك بخذف احذى الثاني (وليتدكر أولو الابواب) أى وليتأمل به ذوو العقول السليمة أو ليتخضروا ما هو كالمركوز فى غفولهم من فرط تمكنهم من معرفته لما نصب عليه من الدلائل فان الكتب الالهية مينة للملايعرف الابالشرع ومرشدة إلى ما لا سبيل للعقل اليه (وههنا الداود سليمان نعم العبد) وقرئ نعم العبد أى سليمان كما يبنى عند تأخيرهم عن داود مع كونه مغفولا لصريحهما لوهبنا لأن قوله تعالى (انه أواب) أى رجاع إلى الله تعالى بالتوبة أو إلى التسبيح مرجع له لتعليل اللوح وهو من حال لما أن الضمير المجزور فى قوله تعالى (اذعرض

عليه (راجع اليه عليه
الصلاة والسلام قطعا
واذ منصوب باذكر اى
اذكر ما صدر عنه اذ عرض
عليه (بالعشي) هو من
الظهور الى آخر النهار
(الصافات) فانه يشهد
بانه اواب وقيل ظرف
لاواب وقيل نعم وتأخير
الصافات عن الظرفين
للمرمر ارامن التشويق
الى المؤخر الصافن من
الجيل الذى يقوم على
طرف سبك يدورجل
وهو من الصفات المحمودة
فى الجيل لا يكاد يتفق الا
فى العراب الخالص وقيل
هو الذى يجمع بديه
ويسويهما واما الذى
يقف على سبكه فهو
المنعيم (الجياد) جمع
جواد وجود وهو الذى
يسرع فى جريه وقيل
الذى يجود عند الرخص
وقيل وصفت بالصفون
والجودة لبيان جمهاين
الوصفين المحمودين
واقفة وجارية أى اذا
وقفت كانت ساكنة
مضطربة فى موافقها
واذا جرت كانت سراعا
خفقا فى جريه وقيل

هو جمع جيد

واقول بها والذى يؤكده أن الذى ذكرناه أقرب وأقوى أن يقال ختم الله هذه القصة
بقوله وان له عندنا لى وحسن مأب ومثل هذه الخاتمة انما تحسن فى حق من صدر منه
عمل كثير فى الخدمة والطاعة وتعمل أنواعا من الشدائد فى الموافقة والانقياد أما اذا
كان المذكور السابق هو الاقدام على الجرم والذنب فان مثل هذه الخاتمة لا تليق به قال
مالك بن دينار اذا كان يوم القيامة أتى بمنبر رفيع و يوضع فى الجنة و يقال يا داود مجدى
بذلك الصوت الحسن الرخيم الذى كنت تجدى به فى الدنيا والله أعلم بقى ههنا مباحث
(فالاول) قرى فتنه وفتناه على ان الالف ضمير للملكين (الثانى) المشهور ان الاستغفار
انما كان بسبب قصة النجعة والعاج وقيل أيضا انما كان بسبب انه حكم لاحد الخصمين
قبل ان سمع كلام الثانى وذلك غير جائز (الثالث) قوله خرا كما و اناب يدل على حصول
الركوع واما السجود فقد ثبت بالاخبار وكذلك البكاء الشديد فى مدة أربعين يوما ثبت
بالاخبار (الرابع) ان مذهب الشافعى رضى الله عنه ان هذا الموضع ليس فيه سجدة
التلاوة قال لانه نوبة نبي فلا توجب سجدة التلاوة (الخامس) استشهد أبو حنيفة
رضى الله عنه بهذه الآية فى سجود التلاوة على ان الركوع يقوم مقام السجود * قوله تعالى
(يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فىضلك
عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله اهم عذاب شديد باناسوا يوم الحساب
وما خلقتنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا
من النار أم يجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالفسدين فى الارض أم نجعل المتقين
كالفجار كتاب انزلنا اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب) اعلم انه تعالى
لما تم الكلام فى شرح القصة أورد فيها بيان انه تعالى فوض الى داود خلافة الارض وهذا
من أقوى الدلائل على فساد القول المشهور فى تلك القصة لان من البعيد جدا أن يوصف
الرجل بكونه ساعيا فى سبيل دماء المسلمين راجعا فى انتزاع أزواجهم منهم ثم يذكر عقيب
ان الله تعالى فوض خلافة الارض اليه ثم يقول فى تفسير كونه خليفة وجهان (الاول)
جعلناك تخلف من تقدمك من الانبياء فى الدعاء الى الله تعالى وفى سياسة الناس لان خليفة
الرجل من خلفه وذلك انما يعقل فى حق من يصح عليه الغيبة وذلك على الله محال
(الثانى) انا جعلناك مائلا للناس ونافذ الحكم فيهم فهذا التأويل يسمى خليفة ومنه
يقال خلفا لله فى أرضه وحاصله ان خليفة الرجل يكون نافذا للحكم فى رعيته وحقيقة
الخلافة بمنعته فى حق الله فلما امتنعت الحقيقة جعلنا اللفظة مفيدة الزوم فى تلك الحقيقة
وهو نافذ الحكم ثم قال تعالى فاحكم بين الناس بالحق واعلم ان الانسان خلق مدينا
بالطبع لان الانسان الواحد لا ينظم مصالحه الا عند وجود مدينة تامة حتى ان هذا
يبحث وذلك يطحن وذلك يغبر وذلك ينسج وهذا يخطط وبالجملة فيكون كل واحد منهم
مشغولا بهم وينظم من أعمال الجميع مصالح الجميع فثبت ان الانسان مدنى بالطبع

وعند اجتماع في الموضع الواحد يحصل بينهم منازعات ومخاصمات ولا بد من انسان قادر قاهر يقطع تلك الخصومات ويفصل تلك الحكومات وذلك هو السلطان الذي ينفذ حكمه على الكل فثبت انه لا ينظم مصالح الخلق الا بسلطان قاهر سائس ثم ان ذلك السلطان القاهر السائس ان كان حكمه على وفق هواه واطلب مصالح دنياه عظم ضرره على الخلق فانه يجعل الرعية فداء لنفسه ويتوسل بهم الى تحصيل مقاصد نفسه وذلك يفضي الى تخریب العالم ووقوع الهرج والمرج في الخلق وذلك يفضي بالآخرة الى هلاك ذلك الملك اما اذا كانت أحكام ذلك الملك مطابقة للشريعة الحقة الالهية انتظمت مصالح العالم واتسعت ابواب الخيرات على أحسن الوجوه فهذا هو المراد من قولهم فاحكم بين الناس بالحق يعني لا بد من حاكم بين الناس بالحق فكأن أنت ذلك الحاكم ثم قال ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله الآية وتفسيره ان متابعة الهوى توجب الضلال عن سبيل الله والضلال عن سبيل الله يوجب سوء العذاب فينتج ان متابعة الهوى توجب سوء العذاب (أما المقام الاول) وهوان متابعة الهوى توجب الضلال عن سبيل الله فقريه أن الهوى يدعو الى الاستغراق في اللذات الجسمانيات والاستغراق فيها يمنع من الاشتغال بطلب السعادات الروحانية التي هي الباقيات الصالحات لانها محالان متضادتان فبمقدار ما يزداد أحدهما ينقص الآخر (أما المقام الثاني) وهوان الضلال عن سبيل الله يوجب سوء العذاب فالامر فيه ظاهر لان الانسان اذا عظم الغف بهذه الجسمانيات ونسى بالكلية أحواله الروحانيات فاذا مات فقد فارق المحبوب والمعشوق ودخل ديار ليس له باهل تلك الديار الف وليس عينه قوة مطالعة أنوار تلك الديار فكانت فارق المحبوب ووصل الى المكروه فكان النجاة في أعظم العناء والبلاء فثبت ان متابعة الهوى توجب الضلال عن سبيل الله وثبت ان الضلال عن سبيل الله يوجب العذاب وهذا بيان في غاية الكمال ثم قال تعالى بما نسوا يوم الحساب يعني ان السبب الاول لحصول ذلك الضلال هو نسيان يوم الحساب لانه لو كان متذكرا ليوم الحساب لما عرض عن اعداد الزاد ليوم المعاد ولما صار مستغرقا في هذه اللذات الفاسدة * روى عن بعض خلفاء بني مروان انه قال لعمر بن عبد العزيز هل سمعت ما بلغنا ان الخليفة لا يجري عليه القلم ولا يكتب عليه معصية فقال يا أمير المؤمنين الخلفاء أفضل أم الأنبياء ثم لا هذه الآية ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ثم قال تعالى وما خلقتنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ونظيره قوله تعالى بما خلقت هذا باطلا سبحانه فتناء عذاب النار وقوله تعالى ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا ليجوز أن يكون خالقا لاعمال العباد قال لانها مشتملة على الكفر والنسق وكلها باطل فلما بين تعالى أنه ما خلق السموات والارض وما بينهما

رؤى أنه عليه الصلاة والسلام غزا أهل دمشق ونصيبين وأصاب ألف فارس وقيل أصابها أبوه من العاقلة فورثها منه وقيل خرجت من البحر لها أجنحة فتعد يوم بعد ما صلى الظهر على كرسيه فاستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس ونفل عن العصر أو عن ورد كان له من الذكر وقتئذ وتهيبوه فلم يعاوه فاغتم لما فاته فاسترد هافعة زها تقربا لله تعالى وبقي مائة ثمانى أيدي الناس من الجياد فمن نسلها وقيل لما عقرها بأبله الله خيرا منها وهي الریح تجري بأمره (فقال اني أحبيت خب الخير عن ذكر ربى) قاله عليه الصلاة والسلام عند غروب الشمس اعترفا بما صدر عنه من الاشتغال به عن الصلاة وتدبر عليه وتعميد لما يعقبه من الامر يرد هاهو عقرها والتعقيب باعتبار أواخر العرض المستمر دون ابتدائه واتاكيد للدلالة على أن اعترافه وندمه عن صميم القلب لا تحقيق مضمون الخبر وأصل أحديث أن

باطلا دل هذا على انه تعالى لم يخلق أعمال العباد ومثله قوله تعالى وما خلقنا السموات
والارض وما بينهما الا بالحق وعند المجرة أنه خلق الكافر لاجل أن يكفر والكافر باطل
وقد خلق الباطل ثم أكد تعالى ذلك بأن قال ذلك ظن الذين كفروا أى كل من قال بهذا
القول فهو وكافر فهذا تصریح بان مذهب المجرة عين الكفر واحتج أصحابنا رحمه الله
بأن هذه الآية تدل على كونه تعالى خالقا لأعمال العباد فقالوا هذه الآية تدل على كونه
تعالى خالقا لكل ما بين السموات والارض وأعمال العباد حاصلة بين السماء والارض
فوجب أن يكون الله تعالى خالقها (المسئلة الثانية) هذه الآية دالة على صحة القول
بالحشر والنشر والقيامة وذلك لانه تعالى خلق الخلق في هذا العالم فلما ان يقال انه خلقهم
للاضرار أو للانقاذ أو لا لانفاغ أو لا لانضار والاول باطل لان ذلك لا يليق بالرحيم
الكریم والثالث أيضا باطل لان هذه الحالة حاصلة حين كانوا معدومين فيرى في الآن يقال
انه خلقهم للانقاذ فتقول وذلك الانقاذ اما أن يكون في حياة الدنيا أو في حياة الآخرة
والاول باطل لان منافع الدنيا قليلة ومضارها كثيرة وتحمل المضار الكثيرة للنفعة
القليلة لا يليق بالحكمة ولما بطل هذا القسم ثبت القول بوجود حياة أخرى بعده
الحياة الدنيوية وذلك هو القول بالحشر والنشر والقيامة واعلم أن هذا الدليل يمكن
تقريره من وجوه كثيرة وقد خصناها في أول سورة يونس بالافتضاء فلا سبيل الى التكرار
فثبت بما ذكرنا انه تعالى ما خلق السموات والارض وما بينهما باطلا واذالم يكن خلقها
باطلا كان القول بالحشر والنشر لازما وان كل من أنكر القول بالحشر والنشر كان شاكاً
في حكمه قاله في خلق السموات والارض وهذا هو المراد من قوله ذلك ظن الذين كفروا
فويل للذين كفروا من النار ولما بين الله تعالى على سبيل الاجال ان انكار الحشر والنشر
يوجب الشك في حكمه الله تعالى بين ذلك على سبيل التفصيل فقال أم نجعل الذين آمنوا
وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض أم نجعل المفسدين كالتقيا وتقر به اننا را في
الدنيا من أطاع الله واحتز عن معصيته في الفقر والزمانة وأنواع البلاء ونرى الكفرة
والفساق في الراحة والعبطة فلو لم يكن حشر ونشر ومعاد فحينئذ يكون حال المطيع
أدون من حال العصاة وذلك لا يليق بحكمة الحكيم الرحيم وإذا كان ذلك فادحا
في الحكمة ثبت أن انكار الحشر والنشر يوجب انكار حكمه قاله * ثم قال تعالى كتاب
أزناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب وفيه مسائل (المسئلة الاولى)
قالت المعتزلة دلت الآية على انه تعالى انما أنزل هذا القرآن لاجل الخير والرحمة
والهداية وهذا يفيد أمرين (أحدهما) أن أفعال الله معاملة برعاية المصالح (والثاني) أنه
تعالى أراد الايمان والخير والطاعة من الكل بخلاف قول من يقول انه أراد الكفر من
الكافر (المسئلة الثانية) في تقرير نظم هذه الآيات فتقول لسائل أن يسأل فيقول انه
تعالى حكى في أول السورة عن المستهزئين من الكفار أنهم بالغوا في انكار البعث

يقعدى يعلى لانه بمعنى
آتت لكن لما أتيت مناب
أثبت عدى تعديته وجب
الخبر مفعوله كانه قيل
أثبت حب الخير عن ذكر
ربى ووضعته موضعه
والخبر المبال الكشبر
والمراد به الخيل التي
شغلته عليه الصلاة
والسلام ويحتمل أنه
سمها خبرا لتعلق الخير
بها قال عليه الصلاة
والسلام الخير مفعود
بنواصى الخيل الى يوم
القيامة وقرى اى (حتى
توارت بالحجاب) متعلق
بقوله أحييت باعتبار
استمرار المحبة ودوامها
حسب استمرار العرض
أى أثبت حب الخير عن
ذكر ربى واسترد ذلك
حتى توارت أى غربت
الشمس تشبيها لغروبها
في مغربها بتوارى الخجاة
بجحائها واضمارها من
غير ذكر لدلالة العشى
عليها وقبل الضمير
للمصافات أى حتى
توارت بحجاب الليل
أى بظلامه (ردوها
على) من تمام مقالة
سليمان عليه السلام

والقيامة وقالوا ربنا عجل لنا قسطنا قبل يوم الحساب ولما حكى الله تعالى عنهم ذلك لم يذكر
الجواب بل قال اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ومعلوم انه لا تعلق لذكر داود عليه
السلام بان القول بالقيامة حق ثم انه تعالى اطبق في شرح قصة داود ثم اتبعه بقوله
وما خلقنا السماء والارض ومعلوم انه لا تعلق لمسئلة اثبات حكمة الله بقصة داود
ثم لما ذكر اثبات حكمة الله وفرع عليه اثبات أن القول بالحشر والنشر حق ذكر بعده أن
القرآن كتاب شريف فاضل كثير النفع والخير ولا تعلق لهذا القول بالكلمات المتقدمة
واذا كان كذلك كانت هذه الفصول فصولا متباعدة لا تعلق لبعض منها ببعض فكيف
يلحق بهذا الموضوع وصف القرآن بكونه كتابا شريفا فاضلا لهذا السؤل (م الجواب)
أن نقول اننا العلاء فالو امان ابني نخضم جاعل مصر متعصب ورأه قسناض في ذلك
التعصب والاصرار وجب عليه أن يقضم الكلام معه في تلك المسئلة فانه تلبس كان
فوضه في تقريره أكثر كانت نفرتة عن قبول أشد فاطربق حينئذ أن يقضع الكلام
عنه في تلك المسئلة وأن يخوض في كلام آخر أجني عن المسئلة الاولى بالكلمة ويطنب
في ذلك الكلام الاجنبى بحيث يشى ذلك المتعصب تلك المسئلة الاولى فاذا استغل
لخاطره بهذا الكلام الاجنبى ونسي المسئلة الاولى فحينئذ يدرج في اثبات الكلام في هذا
الفصل الاجنبى مقدمة مناسبة لتلك المطلوب الاول فان ذلك المتعصب يعلم هذه
المقدمة فاذا سلمها فحينئذ يتسك بها في اثبات المطلوب الاول وحينئذ يصير ذلك الخصم
المصر المتعصب منقطعا فنعما اذا عرفت هذا فنقول ان الكفار بلغوا في انكار الحشر
والنشر والقيامة الى حيث قالوا على سبيل الاستهزاء ربنا عجل لنا قسطنا قبل يوم الحساب
فقال الحمد اقطع الكلام معهم في هذه المسئلة واشرع في كلام آخر اجنبى بالكلمة عن
هذه المسئلة وهى قصة داود عليه السلام فان من المعلوم أنه لا تعلق لهذه القصة بمسئلة
الحشر والنشر ثم انه تعالى اطبق في شرح تلك القصة ثم قال في آخر القصة يا داود
اناجعلنك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق وكل من يسمع هذا قال نعم ما فعل
خير امره بالحكم بالحق ثم كائنه تعالى قال وأنا لا آمرك بالحق فقط بل انا مع أى رب
العلمين لأفعل الا بالحق ولا أقضى بالباطل فههنا الخصم يقول نعم ما فعل حيث لم يقض
الا بالحق فعند هذا يقال لما سلت أن حكم الله يجب أن يكون بالحق لا بالباطل لزمك أن
تسلم صحة القول بالنشر والنشر لانه لو لم يحصل ذلك لزم أن يكون الكفار ارجاء على المسلم
في اوصول الخبرات البذو ذلك ضد الحكمة وعين الباطل فبهذا الطريق الاطيف أورد الله
تعالى الا لزام القاطع على منكبرى الحشر والنشر ايرادا لا يمكنهم الخلاص عنه فصار
ذلك الخصم الذى بلغ في انكار المعاد الى حد الاستهزاء فنعما لمز ما هذا الطريق ولما ذكر
الله تعالى هذه الطريقة الدقيقة في الا لزام في القرآن لاجرم وصف القرآن بالكمال
والفضل فقال كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب فان من

ومرمرى غرضه من تقديم
ما قدمه ومن لم يشمله
مع ظهوره توهم أنه متصل
بعضه هو جواب لبعض
آخر كان سائلا قال فاذا
قال سليمان عليه السلام
فقبل قال ردوها فأملى
والفساء في قوله تعالى
(فططق مسحا) فصيحة
مفصصة عن جملة قد
حذفت ثقة بدلالة الحال
عليها وايدنا بامامة سرعة
الامثال بالامر أى
فردوها عليه وأخذ عسخ
السيف مسحا (بالسوق
والاعتناق) أى بسوقها
وأغناقها يقطعها من
قواهم مسخ علاوته أى
ضرب عنقه وقبل جعل
يسخ يسده أغناقها
وسوقها حبالها وانجبا
بها وايس بذالك وقرئ
بالسوق على همر الواو
لصقتها كما فى أدور
وقرى بالسوق تنزيلا
لعنة السين منزلة صفة
الواو وقرئ بالساق
اكتفاء بالواحد عن الجمع
لامن الالباس (ولقد فتنا
سليمان والقيامة على كرسبه
جسد اثم أناب) أظهر
ما قيل في فتنه عليه
مرنونا أنه قال لا طوفن

الصلاة والسلام ماروى

الدليل على سبعين امرأة
تأتي كل واحدة بفارس
بجاهد في سبيل الله تعالى
ولم يقل ان شاء الله تعالى
فطاق عليهم فلم تحمل
الامراة واحدة جاءت
بشق رجل والذي نفسي
بيده لو قال ان شاء الله
لجاهدوا في سبيل الله
فرسانا أجمعون وقيل
ولسده ابن فاجتعت
الشياطين على قتله فعمل
ذلك فكان يغذوه في
السحاب فاشعر به الآن
أتى على كرسية مينا
فتنبه لخطئه حيث لم
يتوكل على الله عز وجل
وقيل انه غرام صيدون
من الجزائر قتل ملكها
وأصاب بناله تسمى
جرادة من أحسن الناس
فاصطفاها لنفسه وأسلب
واحباها وكان لا يرقا
دمعها جزع على أبيها
فأمر الشياطين قتلوا
لها صورته وكانت تعدو
اليها وزوج مع ولاندها
ليسجدن لها كما دتهن
في ملكه فأخبره آصف
بذلك فكسر الصورة
وعاقب المرأة ثم خرج

لم يتدبر ولم يتامل ولم يساعده التوفيق الالهى لم يقف على هذه الاسرار العجيبة المذكورة في
هذا القرآن العظيم حيث يراه في ظواهر الحال مقرونا بسوء الترتيب وهو في الحقيقة مشتمل
على أكل جهات الترتيب فهذا ما حضرنا في تفسير هذه الآيات وبالله التوفيق * قوله
تعالى (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه أواب اذ عرض عليه بالعشى الصافات الجياد
فقال انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب ردوها على فطفت منحتها
بالسوق والاعناق) واعلم أن هذا هو القصة الثانية وقوله نعم العبد فيه مباحث (الاول)
نقول الخصوص بالمذبح في نعم العبد نحو وف قيل هو سليمان وقيل داود والاول أولى لانه
أقرب المذكورين ولانه قال بعده انه أواب ولا يجوز أن يكون المراد هو داود لان وصفه
بهذا المعنى قد تقدم في الآية المتقدمة حيث قال واذكر عبدنا داود ذا الأيد انه أواب فلو
قلنا لفظ الأواب ههنا أيضا صفة داود لزم التكرار ولو قلنا انه صفة لسليمان لزم كون
الابن شبيهها لايه في صفات الكمال في الفضيلة فكان هذا أولى (البحث الثاني) أنه قال ولا
نعم العبد ثم قال بعده انه أواب وهذه الكلمة للتعليل فهذا يدل على انه انما كان نعم العبد
لانه كان أوابا فلزم ان كل من كان كثير الرجوع الى الله تعالى في أكثر الاوقات وفي أكثر
المهمات كان موصوفا بأنه نعم العبد وهذا هو الحق الذي لا شبهة فيه لان كمال الانسان في
أن يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به ورأس المعارف ورئيسها معرفة الله تعالى
ورأس الطاعات ورئيسها الاعتراف بأنه لا يتم شيء من الخيرات الا بإعانة الله تعالى ومن
كان كذلك كان كثير الرجوع الى الله تعالى فكان أوابا فثبت أن كل من كان أوابا
وجب أن يكون نعم العبد أما قوله اذ عرض عليه ففقه وجوه (الاول) التقدير نعم العبد هو
اذا كان من أعماله انه فعل كذا (الثاني) انما ابتداء الكلام والتقدير اذ ذكر يا محمد اذ عرض
عليه كذا وكذا والعشى هو من حين العصر الى آخر النهار عرض الخيل عليه لينظر اليها
ويقف على كيفية أحوالها والصافات الجياد وصفت بوصفين (أولهما)
الصافات قال صاحب الصحاح الصافن الذي يصفن قدميه وفي الحديث كنا اذا صاينا
خلفه فرفع رأسه من الركوع فتنافسونا أى تنافسنا فقدمنا وأقول على كلا
التقديرين فالصافون صفة دالة على فضيلة الفرس (والصفة الثانية) للخبيل في هذه الآية
الجياد قال المبرد والجياد جمع جواد وهو الشديد الجرى كما ان الجواد من الناس هو
السريع البذل فالصعود وصفها بالفضيلة والكمال حائى وقوفها وحر كنهها اما حال
وقوفها فوصفها بالصافون وأما حال حركتها فوصفها بالجياد يعنى انها اذا وقفت كانت
ساكنة مطمئنة في مواقفها على أحسن الاشكال فاذا جرت كانت ممرعا في جريها فاذا
طلبت لحقت واذا طابت لم تلحق ثم قال تعالى قال انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى وفى
تفسير هذه اللفظة وجوه (الاول) أن يضمن أحببت معنى فعل يتعدى بعن كانه قيل أنبت
حب الخير عن ذكر ربى (والثاني) ان أحببت بمعنى ألزمت والمعنى انى ألزمت حب الخيل

وحدته الى فلاة وفرش له
الرماد فجلس عليه
تائباً الى الله تعالى باكياً
متضرعاً وكانت له أم ولد
يقال لها امينة اذا دخل
لأطهارة أو لأصابة
امرأة به طيها خاتمه
وكان ملكه فيه فأعطاهما
يوماً فتمثل لهما بصورته
سيطسان اسمه صخر
وأخذ الحسام فتختم به
وجلس على كرسيه
فاجتمع عليه الخلق ونفذ
حكمه في كل شيء الا في
نساءه وغير سليمان عن
هينته فأنى أمينة لطلب
اخاتمه فأكرهته وطردته
فعرف ان الخطيئة قد
أدركته فكان يدور
على البيوت يتكفف
واذا قل أناسليان حثوا
عليه التراب وسبوه ثم عمد
الى السماكين ينقل لهم
السك فيعطونه كل يوم
سكنتين فكث على ذلك
أربعين صباحاً عدد
ماعد الوثن في بيته
فأنكر آصف وعظماء
بنى اسرائيل حكمه
الشيطان ثم طار اليمين
وقذف الخاتم في البحر

عن ذكر ربي أي عن كتاب ربي وهو التوراة لان ارتباط الخليل كأنه في القرآن ممدوح
فكذلك في التوراة ممدوح (والثالث) ان الانسان قد يحب شيئاً لكنه يحب أن لا يحب
كل ربي الذي يشتهي ما يزيد في مرضه والاب الذي يحب ولده الرديء وأما من أحب
شيئاً وأحب أن يحب ذلك غاية المحبة فقولته أحب حب الخير بمعنى أحببت حب الخير
الخليل ثم قال عن ذكر ربي بمعنى ان هذه المحبة الشديدة انما حصلت عن ذكر الله وأمره
لا عن الشهوة والهوى وهذا الوجه أظهر الوجوه ثم قال تعالى حتى توارث أقول الضمير في
قوله حتى توارث وفي قوله ردوها محتمل أن يكون كل واحد منهما عائداً الى الشمس لانه
جري ذكر ماله تعلق بها وهو العشي ويحتمل أن يكون كل واحد منهما عائداً الى الصافات
ويحتمل أن يكون الاول متعلقاً بالشمس والثاني بالصافات ويحتمل أن يكون بالعكس من
ذلك فهذه احتمالات أربعة لا مزيد عليها (فالاول) أن يعود الضميران معالي الصافات
كأنه قال حتى توارث الصافات بالحجاب ردوا الصافات على والاحتمال الثاني أن يكون
الضميران معائدين الى الشمس كأنه قال حتى توارث الشمس بالحجاب ردوا الشمس
وروي أنه صلى الله عليه وسلم لما اشغل بالخليل فأنته صلاة العصر فقال الله أن برد الشمس
فقوله ردوها على اشارة الى طلب برد الشمس وهذا الاحتمال عندى بعيد والذي يدل عليه
وجوه (الاول) ان الصافات مذكرة تصير يحاوش الشمس غير مذكرة وعود الضمير الى
المذكور أولى من عوده الى المقدر (الثاني) أنه قال اتي أحببت حب الخير عن ذكر ربي
حتى توارث بالحجاب وظاهر هذا اللفظ يدل على أن سليمان عليه السلام كان يقول اتي
أحببت حب الخير عن ذكر ربي وكان بعيد هذه الكلمات الى أن توارث الحجاب فلو قلنا
المراد حتى توارث الصافات بالحجاب كان معناه انه حين وقع بصره عليها حال جريها كان
يقول هذه الكلمة الى أن غابت عن عينه وذلك مناسب ولو قلنا المراد حتى توارث الشمس
بالحجاب كان معناه انه كان بعيد عين هذه الكلمة من وقت العصر الى وقت المغرب وهذا في
غاية البعد (الثالث) اننا لو حكمتنا بعود الضمير في قوله حتى توارث الى الشمس وحسبنا اللفظ
على انه ترك صلاة العصر كان هذا منافياً لقوله أحببت حب الخير عن ذكر ربي فان تلك
المحبة لو كانت عن ذكر الله لما نسي الصلاة ولما ترك ذكر الله (الرابع) انه بتقدير انه عليه
السلام بقى مشغولاً بالخليل حتى غربت الشمس وفاتت صلاة العصر فكان ذلك ذنباً
عظيماً وجراماً فبالاثر بقى هذه الحالة الضرع والبكاء والمباعدة في اظهار التوبة
فأما أن يقول على سبيل التهور والعظمة لاله السلام ورب العالمين ردوها على مثل هذه
الكلمة العارضة عن كل جهات الادب عقيب ذلك الجرم العظيم فهذا لا يصدر عن أحد
الناس عن الخير فكيف يجوز استناده الى الرسول المطهر المنكرم (الخامس) ان القادر على
تحريك الافلاك والكواكب هو الله تعالى فكان يجب أن يقول ردوها على ولا يقول
ردوها على فان قالوا انما ذكر صيغة الجمع للتبنيى على تعظيم الخطاب فقول قوله ردوها

ألف مشعر بأعظم أنواع الإهانة فكيف يليق بهذا اللفظ رعاية التعظيم (السادس)
 الشمس لو رجعت بعد الغروب لكان ذلك مشاهداً لكل أهل الدنيا ولو كان الأمر
 كذلك لتوفرت الدواهي على نقله وانظاره وحيث لم يقل أحد ذلك علمنا فساد
 (السابع) أنه تعالى قال اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد ثم قال حتى توارت
 بالحجاب وعود الضمير إلى أقرب المذكورين أولى وأقرب المذكورين هو الصافنات
 الجياد وأما العشي فابعدهم سافكان عود ذلك الضمير إلى الصافنات أولى فثبت بما ذكرنا
 أن حمل قوله حتى توارت بالحجاب على توارى الشمس وأن حمل قوله ردوها على أن
 المراد منه طلب أن يردها الله الشمس بعد غروبها كلام في غاية البعد عن النظم ثم قال تعالى
 فندفق مسبحاً بالسوق والاعتناق أي ففعل سليمان عليه السلام مسبح سوقها واعتناقها
 قال الأكثرون معناه أنه مسبح السيف بسوقها واعتناقها أي قطعها قالوا أنه عليه السلام
 لما تشد صلاة العصر بسبب اشتغالها بالنظر إلى تلك الخيل استردها وعقر سوقها واعتناقها
 تفر إلى الله تعالى وعندى أن هذا أيضاً بعيد يدل عليه وجوه (الأول) أنه لو كان معنى
 مسبح السوق والاعتناق قصه الكنانة معنى قوله وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم فطعها وهذا
 مما لا يقوله حافل بل لو قيل مسبح رأسه بالسيف فربما فهم منه ضرب العنق أما إذا لم يذكر
 لفظ السيف لم يفهم البتة من المسح العقر والذبح (الثاني) القائلون بهذا القول جمعوا
 على سليمان عليه السلام أنواعاً من الأفعال المذمومة (وأولها) ترك الصلاة (وثانيها) أنه
 استولى عليه الاشتغال بحب الدنيا إلى حيث نسي الصلاة وقال صلى الله عليه وسلم حب
 الدنيا رأس كل خطيئة (وثالثها) أنه بعد الاتيان بهذا الذنب العظيم لم يشتغل بالنبوة
 والثانية البتة (ورابعها) أنه خاطب رب العالمين بقوله ردوها على وهذه كلمة لا يدكرها
 الرجل الحبيب إلا مع الخادم الخسيس (وثاسعها) أنه أتبع هذه المعاصي بعقر الخيل في
 سوقها واعتناقها وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن ذبح الحيوان إلا لأكله
 فلهذا أنواع من الكبرياء نسبها إلى سليمان عليه السلام مع أن لفظ القرآن لم يدل على
 شيء منها (وسادسها) أن هذه القصص إنما ذكرها الله تعالى عقيب قوله وقالوا بنا
 نبحل لنأخذننا قبل يوم الحساب وإن الكفار لما بلغوا في السفاهة إلى هذا الحد قال الله
 تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم اصبر يا محمد على سفاهتهم واذكر عبدنا داود وذكر قصة داود
 ثم ذكر عقيبها قصة سليمان وكان التقدير أنه تعالى قال لمحمد عليه السلام اصبر يا محمد على
 ما يقولون واذكر عبدنا سليمان وهذا الكلام إنما يكون لأنفسنا لو قلنا إن سليمان عليه
 السلام أتى في هذه القصة بالأعمال الفاضلة والأخلاق الحميدة وصبر على طاعة الله
 وأعرض عن الشهوات واللذات فأما لو كان المقصود من قصة سليمان عليه السلام في
 هذا الموضع أنه أقدم على الكبار العظماء والذنوب الجسيمة لم يكن ذكر هذه القصة لأننا
 بهذا الموضع فثبت أن كتاب الله تعالى ينادي على هذه الأقوال الفاسدة بالرد والافساد

فإنه سمكة فوقت
 في يد سليمان فبقر إبطها
 فإذا هو بالحمام فتحتم
 به وخر ساجداً عاد إليه
 ملكه وجاب صخرة
 لصخر فجعله فيها وسد
 عيه بأخرى ثم أوقفهما
 بالحديد والرصاص
 وقذفه في البحر وعلى
 هذا فليسد عبارة عن
 صخر سمى به وهو جسم
 لا روح فيه لأنه قال
 يعلم يكن كذلك والخطيئة
 تعاذله عليه الصلاة
 والسلام عن حال أهله
 لأن اتخاذ التماثيل لم يكن
 محظوراً حينئذ وموجود
 الصورة بغير علم منه
 لا يفسره (قال) يدل من
 أناب وتفسيره (رب
 اغفر لي) أي ما عذر
 عني من الزلة (وعبدى
 ملكاً لا ينبغي لأحد من
 بعدي) لا بد من جعله
 ولا يكون مجزأة في مناسبة
 لحالي فإنه عليه الصلاة
 والسلام لما نشأ في بيت
 الملك والنبوة وورثها
 مع الاستدعى من ربه
 مجزأة جاءه ملكهما
 أولاً ينبغي لأحد أن
 يسلبه من بعده

والابطال بل التفسير المطابق للحق لا فاقا القرآن والصواب أن تقول ان رباط الخيل
كان منذو باليه في دينهم كانه كذلك في دين محمد صلى الله عليه وسلم ثم ان سليمان عليه
السلام احتاج الى الغزو فجلس وأمر باحضار الخيل وأمر باجرأها وذكر اني لأحبها
لأجل الدنيا ونصيب النفس وانما أحبها لأمر الله وطلب تقوية دينه وهو المراد من قوله
عن ذكر ربي ثم انه عليه السلام أمر باعدادها وتسييرها حتى توارت بالحجاب أي غابت عن
بصره ثم أمر الزائدين بأن يردوا تلك الخيل اليه فلما عادت اليه طفق يمسح سوقها
وأعناقها والعرض من ذلك المسح أمور (الاول) تشریفها وإيادتها الكون بها من
أعظم الاعوان في دفع العدو (الثاني) أنه أراد أن يظهر انه في ضبط السياسة والملك يضع
الى حيث يباشرا أكثر الامور بنفسه (الثالث) انه كان أعلم بأحوال الخيل وأمر اضنها
وعيوها فكان يتحننها ويمسح سوقها وأعناقها حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض فهذا
التفسير الذي ذكرناه ينطبق عليه لفظ القرآن انطباقا مطابقة موافقا ولا يلزمنا نسبة
شي من تلك المنكرات والمخذورات وأقول أنا شديد الإعجب من الناس كيف قبلوا هذه
الوجوه الضعيفة مع ان العقل والنقل يردوها وليس لهم في اثباتها شبهة فضلا عن حجة فان
قبل فالجهد وفسر الآية بذلك الوجه فما ذاك فيه فتقول انما مقامان (المقام
الاول) ان تدعي ان لفظ الآية لا يدل على شيء من تلك الوجوه التي يذكرونها وقد
ظهر والمجد لله ان الامر كما ذكرناه وظهوره لا يرتاب العاقل فيه (المقام الثاني) أن يقال
هب ان لفظ الآية لا يدل عليه الا انه كلام ذكره الناس فما ذاك فيه وجوابنا ان الدلالة
الكبيرة قامت على عصبة الانبياء عليهم السلام ولم يدل دليل على صحة هذه الحكايات
ورواية الأحاديث لمصلح معارضة للدلائل القوية فكيف الحكايات عن أقوام لا يبالى بهم
ولا يلتفت الى أقوالهم والله أعلم * قوله تعالى (واقذفنا سليمان والقيصا على كرسية جسدنا
ثم اناب قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي انك انت الوهاب فسخرنا
له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين
في الاصفاد هذا عطاؤنا فامتن أو أمسك بغير حساب وان له عندنا ثلثي وحسن ما أب
اعلم ان هذه الآية شرح واقعة ثانية لسليمان عليه السلام واختلغو في المراد من
قوله واقذفنا سليمان ولاهل المشو والرواية فيه قول ولاهل العلم والتحقيق قول آخر
اما قول أهل المشو فذكر وافيد حكايات (الاولى) قالوا ان سليمان بلغه خبر مدينة
في البحر فخرج اليها بجنوده تحمل له الريح فأخذها وقتل ملكها وأخذ ثنائه استهاجرادة
من أحسن الناس وجها فاصطفها لنفسه واسلمت فاجبها وكانت تبكي أبدا على أبيها فامر
سليمان الشيطان فخلل لها صورة أبيها فكسرتها مثل كسوته وكانت تذهب الى تلك الصورة
بكثرة وعشيا مع جوارها يسجدن لها فاخبر أخصاف سليمان بذلك فكسر الصورة وعاقب
المرأة ثم خرج وحده الى قلاية وفرش الرماح فجلس عليه تائبا الى الله تعالى وكانت له أم ولد

يقال لها أمانة إذا دخل الظهارة أو لاصابة امرأة وضع خاتمه عندها وكان ملكه في خاتمه
فوضعه عندها يومافأناها الشيطان صاحب البحر على صورة سليمان وقال يا أمانة خاتمي
فتختم به وجلس على كرسي سليمان فأتى عليه الطير والجن والانس وتبعته هيئة سليمان فأتى
أمانة اطلب الخاتم فأذكرته وطردته فحرف ان الخطيئة قد أدركته فكان يدور على
البوت يتكفف وإذا قال أنا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ثم أخذ يخدم السمك
يقول لهم السمك في بطونه كل يوم سمكتين فكث على هذه الحالة أربعين يوما بعد ما عب
الون في بيته فذكر أصف وعظما بني اسرائيل حكم الشيطان وسأل أصف نساء سليمان
قتلن ما يدع امرأة منافي دمها ولا يفتسل من جنابة وقيل بل لقد حكمه كل شيء الا فيمن
ثم طار الشيطان وقذف الخاتم في البحر فابتلعه سمكة ووقعت السمكة في يد سليمان فبقر
بطنها فاذا هو بالخاتم فتختم به ووقع ساجدا لله ورجع اليه ملكه وأخذ ذلك الشيطان
وأدخله في صخرة وألقاها في البحر (الرواية الثانية) للعشوية ان تلك المرأة أقدمت
على عبادة تلك الصورة ففتن سليمان وكان يسقط الخاتم من يده ولا يتجاسك فيها فقال له
أصف انت لمفتون بدينك فنبأ الى الله (والرواية الثالثة) لهم قالوا ان سليمان قال لبعض
الشياطين كيف تفتنون الناس فقال ارني خاتمك أخبرك فلما أعطاه اياه نبه في البحر
فذهب ملكه وقدم هذا الشيطان على كرسيه ثم ذكر الحكاية الى آخرها اذا عرفت هذه
الروايات فهؤلاء قالوا المراد من قوله ولقد فتنا سليمان ان الله تعالى ابتلاه وقوله وألقينا
على كرسيه جسدا هو جلوس ذلك الشيطان على كرسيه (والرواية الرابعة) انه كان سبب
فتنه احتجابه عن الناس ثلاثة أيام فسلب ملكه والى على سريره شيطان عقوبته واعلم
أن أهل التحقيق استبعدوا هذا الكلام من وجوه (الاول) ان الشيطان لو قدر على أن
يتشبه بالصورة والخلق بالانبياء فجعلنا لا يبقى اعتماد على شيء من الشرائع فاعل هؤلاء الذين
راؤهم الناس في صورة محمد وعيسى وموسى عليهم السلام ما كانوا وانك بل كانوا شياطين
تشبهوا بهم في الصورة لاجل الاغواء والاضلال ومعلوم ان ذلك يبطل الدين بالكلية
(الثاني) ان الشيطان لو قدر على ان يعامل نبي الله سليمان مثل هذه المعاملة لوجب أن
يقدر على مثلهامع جميع العلماء والزهاد وحيتذوجب أن يقتلهم وأن يمزق تصانيفهم
وان يخرب ديارهم ولما بطل ذلك في حق آحاد العلماء فلا ينحل مثله في حق كابر
الانبياء أولى (الثالث) كيف يليق بحكمة الله واحسانه أن يسلط الشيطان على أزواج
سليمان ولا شك انه قبيح (الرابع) لو قلنا ان سليمان أذن لتلك المرأة في عبادة تلك الصورة
فهذا كفر منه وان لم يذن فيه البتة فالذنوب على تلك المرأة فكيف يؤخذ الله سليمان
بفعله لم يصدر عنه فأما الوجوه التي ذكرها أهل التحقيق في هذا الباب فأشياء (الاول) ان
فتنة سليمان أنه ولله ابن قتات الشياطين ان عاش صار مسلطا علينا مثل أيه فسيبنا أن
نقله فلم سليمان ذلك فكان يريد في السحاب فيفعل هو شغل بهماته ذاتي ذلك الولد

(حيث أصاب) أي حيث
قصده وأراد حكي
الاضحى عن العسر
أصاب الصواب فاخط
الجواب (والشياطين)
عطف على الرخ (كل
بناء وغواص) بدل من
الشياطين (وأخرين
مقرنين في الاصفاة)
عطف على كل بناء داخل
في حكم البديل كأنه عليه
الصلوة والسلام فصل
الشياطين الى عملة
استعملهم في الاعمال
الشاقة من البناء والغوص
ونحو ذلك والى مرده
قرن بعضهم مع بعض
في السلاسل لكفهم عن
الشر والفساد ولعل
أجسامهم شفاقة فلا ترى
صلبة فيمكن تعذيبها
ويقدرون على الاعمال
الصعبة وقد جوز أن
يكون الاقران في الاصفاة
عبارة عن كفهم عن
الشرور بطريق التمثيل
والصفاء القيد وسمي به
الطاهر لانه يرتبط بالتمتع
عليه وفرقوا بين فعلهم ما
فعلوا صفة قبه
وأصفه أعطاه على
عكس وعدوا وعدوه قوله
تعالى (هذا) الخ اما حكاية لما خوطب به سليمان عليه السلام

مينا على كرسيه فنبه على خطئه في انه لم يتوكل فيه على الله فاستغفر ربه وأتاب (الثاني)
 روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قال سليمان لأطوفن الليلة على سبعين امرأة
 كل واحدة تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل
 الا امرأته واحدة فجات بشق رجل فنجى به على كرسيد فوضع في حجره فوالذي تقبى بيده
 لو قال ان شاء الله لجاهدوا كلهم في سبيل الله فرسانا أجمعون فذلك قوله ولقد فتنا سليمان
 (الثالث) قوله ولقد فتنا سليمان بسبب مرض شديد ألقاه الله عليه وأيقننا على كرسيه منه
 جسدا وذلك لشدة المرض والعرب تقول في الضعيف انه لحم على وضغ وجسم بلا روح
 ثم أتاب أي رجع الى حال الصحة فأنقذ بحمل هذه الوجود ولا حاجة البتة الى حله على تلك
 الوجود الركبة (الرابع) أقول لا يعد أيضا أن يقال انه اغلاه الله تعالى بتسلط خوف
 أو توقع بلا من بعض الجهات عليه وصار بسبب قوة ذلك الخوف كالجسد الضعيف الملقى
 على ذلك الكرسي ثم انه أزال الله عنه ذلك الخوف وأعاد الى ما كان عليه من القوة
 وطيب القلب أما قوله تعالى قال رب اغفر لي الذين حملوا الكلام المتقدم على
 صدور الرأفة منه تسكوا بهذه الآية فانه لو لا تقدم الذنب لما طلب المغفرة ويمكن أن يجاب
 عنه بان الانسان لا يترك البتة عن ترك الافضل والاولى وحينئذ يحتاج الى طلب المغفرة
 لان حسنات الابراسيات الممر بين ولا نهيم أبدا في مقام هضم النفس واطهار الذات
 والخضوع كما قال صلى الله عليه وسلم وانى لاستغفر الله في اليوم واليلة سبعين مرة ولا يعد
 أن يكون المراد من هذه الكلمة هذا المعنى والله اعلم ثم قال تعالى وهب لي ملكا لا ينبغي
 لاحد من عبادي ذات هذه الآية على انه يجب تقديم مهم الدين على مهم الدنيا
 لان سليمان طلب المغفرة أولا ثم بعده طلب المملكة وأيضا الآية تدل على ان طلب المغفرة
 من الله تعالى سبب لانفتاح ابواب الخيرات في الدنيا لان سليمان طلب المغفرة أولا ثم توسل به
 الى طلب المملكة ونوح عليه السلام هكذا فعل أيضا لانه تعالى حكى عنه انه قال فقلت
 استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين وقال
 لمحمد صلى الله عليه وسلم وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك
 فان قيل قوله عليه السلام ملكا لا ينبغي لاحد من عبادي معناه بالجسد والجواب عنه
 ان القائلين بان الشيطان استولى على ملكته قالوا معنى قوله لا ينبغي لاحد من عبادي هو
 أن يعطيه الله ملكا لا تقدر الشياطين أن يقوموا مقامه البتة فاما المنكرون لذلك فقد
 أجابوا عنه من وجوه (الاول) ان الملك هو القدرة فكان المراد أقدرني على أشياء لا يقدر
 عليها غيري البتة ليصير اقتداري عليها معجزة تدل على صحة تنبؤي ورسالتى والدليل على
 صحة هذا الكلام انه تعالى قال عقبه فسخرنا له الریح تجري بأمره رياء حيث أصاب فكون
 الریح جارا بأمره قدرة معجبة وملك عجب ولا شك انه معجزة دالة على نبوته فكان قوله
 هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من عبادي هو هذا المعنى لان شرط المعجزة أن لا يقدر غيره على

منابة لعظم شأن ما أوتي
 من الملك وأنه مفوض
 اليه تفويضاً كاملاً وأما
 مقول لقول مقدر هو
 معطوف على سخرنا
 أو حال من فاعله كما مر
 في خاتمة قصة داود
 عليه السلام أي وقتنا
 له أو قائلين له هذا الأمر
 الذي أعطيناكه من
 الملك العظيم والبسطة
 والتسلط على عالم
 يسلم عليه غيرك
 (عطائنا) الخاص بك
 (فامتن أو امست)
 فاعط من شئت وامنع
 من شئت (بغير حساب)
 حال من المستكن في الأمر
 أي غير محاسب علمه
 وامسأله لغو بعض
 التصرف فيه البك على
 الإطلاق أو من العطاء
 أي هذا عطائنا ملتبساً
 بغير حساب لغاية كثرتة
 أو صلة له وما بينهما
 اعتراض على التقديرين
 وقيل الإشارة الى تمخير
 الشياطين والمراد بالان
 والامساك الاطلاق
 والتقييد (وان له عندنا
 لأن) في الآخرة مع
 ما له من الملك العظيم في الدنيا (وحسب ما ب) هو الخطة قل فتنا سليمان عليه السلام بعد ما ملك عشرين سنة وملك بعد

معارضتها بقوله لا ينبغي لاحد من بعدى يعنى لا يقدر أحد على معارضته (والوجه
 الثانى) فى الجواب انه عليه السلام لما مرض ثم عاد الى الصحة عرف ان خبرات الدنيا
 صائرة الى الغي بارت أو سبب آخر فسأل ربه ملكا لا يمكن أن ينقل منه الى غيره وذلك
 الذى سأل به بقوله ملكا لا ينبغي لاحد من بعدى أى ملكا لا يمكن أن ينقل عنى الى
 غيرى (والوجه الثالث) فى الجواب ان الاحتراز عن طيبات الدنيا مع القدرة عليها أشق
 من الاحتراز عنها حال عدم القدرة عليها فكأنه قال يا الهى أعطنى ملكة فائقة على
 ممالك البشر بالكلية حتى احتراز عنها مع القدرة عليها بصبر ثوابى أكل وأفضل
 (الوجه الرابع) من الناس من يقول ان الاحتراز عن لذات الدنيا عسر صعب لان هذه
 اللذات حاضرة وسعادات الآخرة نسيئة والتقد يصعب بعه بالنسيئة فقال سليمان
 أعطنى يارب ملكة تكون أعظم الممالك الممكنة للبشر حتى اتى أبى مع تلك القدرة
 الكاملة فى غاية الاحتراز عنها ليطهر الخلق ان حصول الدنيا لا ينفع من خدمة المولى
 (الوجه الخامس) ان من لم يقدر على الدنيا يبقى ملئت القلب اليها فظن ان فيها
 سعادات عظيمة وخيرات نافذة فقال سليمان يارب العزة أعطنى أعظم الممالك حتى
 يقف الناس على كمال حالها فتحثذ بظهور العقل انه ليس فيها فائدة وحيث يعرض القلب
 عنها ولا يلتفت اليها وأشتغل بالعبودية ساكن النفس غير مشغول القلب بملائق الدنيا
 ثم قال فمخترنا له أريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب رخاء أى رخوة لينية وهى من
 الرخوة والريح اذا كانت لينية لاتزعزع ولا تمتنع عليه كانت طيبة فان قيل أليس انه
 تعالى قال فى آية أخرى وسليمان الريح عاصفة تجرى بأمره قلنا الجواب من وجهين
 (الاول) لامنافة بين الآيتين فان المراد ان تلك الريح كانت فى قوة الريح العاصفة
 الا انها لما جرت بأمره كانت لذينة طيبة فكانت رخاء (والوجه الثانى) من الجواب أن
 تلك الريح كانت لينية مرة وعاصفة أخرى ولا منافاة بين الامرين وقوله تعالى حيث
 أصاب أى قصد وأراد وحكى الاصمغى عن العرب انهم يقولون أصاب الصواب فخطأ
 الجواب وعن ربيعة ان رجلين من أهل الافة قصدا ليلسأله عن هذه الكلمة فخرج
 اليهما فقال ان تصبيان فقالا هذا مطلوبنا وبالجمل فالتقصود أنه تعالى جعل الريح
 مسخرة له حتى صارت تجرى بأمره على وفق ارادته ثم قال والشياطين كل بناء وغواص قال
 صاحب الكشف الشياطين عطف على الريح وكل بناء بدل من الشياطين وآخرين
 عطف على قوله كل بناء وهو بدل الكل من الكل كانوا يبنون له ما شاء من الابنية
 ويفوصون له فيستفرجون الأولو وقوله مفرنين يقال قرنهم فى الجبال والتشديد للكثرة
 والاصغاد الاغلال واحدها صغد والصفد العطية أيضا قال التابغة * ولم اعرض
 أبيت الا بى بالصفد * فعلى هذا الصفد القيد فكل من شدته شدا وثقا فقد صففته
 وكل من أعطيته عطاء جز بلا فقد أصغفته وههنا بحث وهوان هذه الآيات دالة على

فئة عشرين سنة
 ذكر العقبة أبو حنيفة
 حمد بن داود الديلمى
 تاريخه أن سليمان
 عليه السلام ورث
 ملك أيسه فى عصر
 كى خسرو بن سياروش
 وسار من الشام الى
 العراق فبلغ خبره
 كى خسرو فهرب الى
 خراسان فلم يأت حتى
 هلك ثم سار سليمان
 عليه السلام الى مرو ثم
 الى بلاد الترك فوغل
 فيها ثم جاز بلاد الصين
 ثم عطف الى ان وافى
 بلاد فارس فزالها ألبا
 ثم عاد الى الشام ثم أمر
 ببناء بيت المقدس فلما
 فرغ منه سار الى تهامة
 ثم الى صنعاء وكان من
 حديثه مع صاحبته
 ما ذكر الله تعالى وغزا
 بلاد المغرب الاندلس
 وطلحة وغيرهما والله
 تعالى أعلم

(واذكر عبدنا أيوب) عطف على اذكر عبدنا داود وعدم تصدير قصة سليمان بهذا العنوان لكمال الاتصال بينه وبين داود عليهما السلام ﴿٢٠٥﴾ وأيوب هو ابن عيص بن اسحق عليه السلام (اذنادى ربه)

بدل اسمال من صيدنا
وأيوب عطف بيان له
(أنى) باني (مسنى
الشيطان) بفتح باء مسنى
وقرى بادكنا
واسقاطها (بصب) أى
تع وبقرى بفتح التون
وبفتحين وبفتحين
للتعقل (وعذاب) أى
ألم ووصير بدمر ضه
وما كان يقاسيه من
فنون الشدائد وهو
المراد بالضرب في قوله انى
مسنى الضم وهو حكاية
لكلامه الذى ناداه به
بعبارة والاقبل انه
مسد الخ والاستناد الى
الشيطان امالاه تعالى
مسه بذلك لما فعل
يوسوسه كاقبل انه
أعجب بكثرة ماله أو استغائه
مفلوم فلم يغنه أو كانت
مواشيه فى ناحية ملك
كافر فداهته ولم يعزه
أو لا تخان صبره فيكون
اعترا فبالنبا وأمر اعا
للادب أولانه وسوس
الى أتباعه حتى رفضوا
وأخرجوه من ديارهم
أولان المراد بالنصب
والعذاب ما كان يوسوس
به اليه فى مرضه من تعظيم

أن الشياطين لها قوة عظيمة وبسبب تلك القوة قدر واعلى بناء الابنية التوبة التى لا يقدر
عليها البشر وقدر واعلى العوص فى البحار واحتاج سليمان عليه السلام الى قيديهم
ولقائل أن يقول ان هذه الشياطين اما أن تكون أجسادهم كثيفة أو لطيفة فان كان
الاول وجب أن يراهم من كان صحيح الحاسة اذ لو جاز أن لا يراهم مع كثافة أجسادهم
فليجرب أن تكون محض تراجيب عالية وأصوات هائلة ولا تراها ولا تسمعها وذلك دخول
فى السفطة وان كان الثانى وهو أن أجسادهم ليست كثيفة بل لطيفة رقيقة مثل هذا
يمتنع أن يكون موصوفها بقوة الشديدة وأيضاً لزم أن تفرق أجسادهم وأن تترك بسبب
الرياح القوية وأن يموتوا فى الحال وذلك يمنع من وضعهم بينا الابنية القوية وأيضاً
الجن والشياطين ان كانوا موصوفين بهذه القوة والشدّة فلم لا يقتلون العلماء والزهاد فى
زماننا ولم لا يفر بون ديار الناس مع أن المسلمين مبانعون فى اظهار اعينهم وعداوتهم
وحبهم لم يحس شئ من ذلك علنا أن القول باثبات الجن والشياطين ضعيف واعلم أن
اصحابنا يجوزون أن تكون أجسامهم كثيفة مع انالازها وأيضاً لا يعد أن يقال
أجسامهم لطيفة بمعنى عدم اللون ولكنها صلبة بمعنى انها لا تقبل التفرق والتجزؤ وأما
الجباى فقد سلم انها كانت كثيفة الاجسام وزعم ان الناس كانوا يشاهدونهم فى زمن
سليمان ثم انه لما توفى سليمان عليه السلام أمات الله أولئك الجن والشياطين وخلق
نوعاً آخر من الجن والشياطين تكون أجسامهم فى غاية الرقة ولا يكون لهم شئ من
القوة والموجود فى زماننا من الجن والشياطين ليس الا من هذا الجنس ثم قال تعالى هذا
عطاؤنا فاقمى أو أمسك بغير حساب وفيه قولان (الاول) قال ابن عباس رضى الله عنهما
أعطى من شئت وامنع من شئت بغير حساب أى ليس عليك حرج فيما أعطيت وفيما
أمسكت (الثانى) ان هذا فى أمر الشياطين خاصة والمعنى هو لاء الشياطين المستخرون
عطاؤنا فاقمى على من شئت من الشياطين فخل عنه واحبس من شئت منهم فى العمل بغير
حساب ولما ذكر الله تعالى ما أنعم به على سليمان فى الدنيا أردفه بالنعامة عليه فى الآخرة
فقال وان له عندنا زلفى وحسن ما ب وقد سبق تفسيره ﴿٢٠٦﴾ قوته تعالى (واذكر عبدنا
أيوب اذ نادى ربه أى مسنى الشيطان بنصب وعذاب اركض رجلك هذا معتل يارد
وشراب ووهبنا له اهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولى الالباب وخذ يدك ضعفا
فاضرب به ولا تخش اننا وجدناه صابراً نعم العبد انه أواب (اعلم ان هذا هو القصة الثالثة
من القصص المذكورة فى هذه السورة واعلم ان داود وسليمان كانا ممن أفاض الله عليه
اصناف الآلاء والنعماء وأيوب كان ممن خصه الله تعالى بانواع البلاء والمقصود من
جميع هذه القصص الاعتبار كان الله تعالى قال يا محمد اصبر على سقاة قومك فانه
ما كان فى الدنيا أكثر نعمة وما لا وجها من داود وسليمان عليهما السلام وما كان
أكثر بلاء ومحنة من أيوب فتأمل فى أحوال هؤلاء لتعرف ان أحوال الدنيا لا تنظم لاحد

ما نزل به من البلاء والقنوط من الرحمة وبغيره على الكراهة والجزع فالتجأ الى الله تعالى فى أن يكتبه ذلك بكشف
الإلاد أو بالتوفيق لدفعه وردة بالصبر الجليل وليس هذا تمام

وان العاقل لا بد له من الصبر على الكاره وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قال صاحب
الكشاف أيوب عطف بيان واذيل اشتمال منه انى مسنى أى باني مسنى حكاية
لكلامه الذى ناداه بسببه ولولم يحك لنفسه لانه مسد لانه غالب وقرئ بنصب بضم النون
وقتها مع سكون الصاد وقحتها وضعها فالنصب والنصب كالرشد والرشد والعدم
والعدم والسقم والسقم والنصب على أصل المصدر والنصب تنفيل نصب والمعنى
واحد وهو التعب والمشقة والعذاب والألم واعلم انه كان قد حصل عنده نوعان من
المكروه الغم الشديد بسبب زوال الخيرات وحصول المكروهات والألم الشديد في الجسم
ولما حصل هذان النوعان لاجرم ذكر الله تعالى لفظين وهما النصب والعذاب (المسئلة
الثانية) الناس في هذا الموضع قولان (الاول) ان الآلام والاسقام الحاصلة في جسمه
انما حصلت بفعل الشيطان (الثاني) انها انما حصلت بفعل الله والعذاب المضاف
في هذه الآية الى الشيطان هو عذاب البوسوسة والقاء الخواطر الفاسدة (وأما القول
الاول) فتقريره ماروى ان ابليس سأل ربه فقال هل في عبيدك من اولسطينى عليه
يمتنع منى فقال الله نعم عبيدى أيوب فجعل يأتيه بوساوس وهو يرى ابليس عيانا ولا يلتفت
اليه فقال يارب انه قد امتنع على فسلطنى على ماله وكان يحيشه ويقول له هلك من مالك
كذا وكذا يقول الله اعطى وأتمه أخذهم ثم بحمد الله فقتل يارب ان أيوب لا يبالي بماله
فسلطنى على ولده ففجأ وزل الدار فهلك أولاده بالكلبة فجاءه وأخبره به فلم يلتفت اليه
فقال يارب لا يبالي بماله وولده فسلطنى على جسده فآخن فيه فتفخ في جلد أيوب وحده
اسقام عظيمة وآلام شديدة فيه فكش في ذلك البلاء سنين حتى صار يجيش استنفره أهل
بلده فخرج الى الصحراء وما كان يقرب منه أحد فجاء الشيطان الى امرأته وقال لو أن
زوجك استعان بي لخلاصه من هذا البلاء فذكرت المرأة ذلك لزوجها فحلف بالله ان عافاه
الله ان يجلد نهائة جلدة وعند هذه الواقعة قال انى مسنى الشيطان بنصب وعذاب
فأجاب الله دعاءه وأوحى اليه أن اركض برجلك فأظهر الله من تحت رجله عين اباردة
طيبة فاحتسل منها فأذهب الله عنه كل داء في ظاهره وباطنه ورد عليه أهله وماله (والقول
الثاني) ان الشيطان لا قدر له البتة على ايقاع الناس في الامراض والآلام والدليل
عليه وجوه (الاول) اننا لو جوزنا حصول الموت والحياة والصحة والمرض من الشيطان
قلع الواحد منا انما وجد الحياة بفعل الشيطان واهل كل ما حصل عندنا من الخيرات
والسعادات فقد حصل بفعل الشيطان وجئنا لا يكون لنا سبيل الى أن نعرف ان معطى
الحياة والموت والصحة والسقم هو الله تعالى (الثاني) ان الشيطان لو قدر على ذلك فلم
لا يستعجى في قتل الانبياء والاولياء ولم لا يخرب دورهم ولم لا يقتل أولادهم (الثالث) انه
تعالى حكى عن الشيطان انه قال ما كنلى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم
لى فصرح بأنه لا قدر له في حق البشر الا على القاء الوسوس والخواطر الفاسدة وذلك

دعائه عليه الصلاة والسلام بل من جلته
قوله وأنت أرحم الراحمين
فاكتفى ههنا عن ذكره
بما في سورة الانبياء كما
ترك هناك ذكر الشيطان
ثقة بما ذكره ههنا وقوله
تعالى (اركض برجلك)
الح اما حكاية لما قيل له
أو مقول قول مقدر
معطوف على نادى
أى قفلنا له اركض
برجلك أى اضرب
بها الارض وكذا قوله
تعالى (هذا مقتل
بارد وشرب) فانه أيضا
اما حكاية لما قيل له بعد
امثاله بالامر ونوع
الماء أو مقول قول مقدر
معطوف على مقدر
يلساق اليه الكلام
كانه قيل فضر بها
فنبعت عين فقلنا هذا
مقتل تغسل به وتشرب
منه فيبرأ ظاهرك وباطنك
وقبل نبعت عينان حارة
للافتسال وباردة للشرب
وبآباء ظاهر النظم الكريم
وقوله تعالى (ووهبنا له
أهله) معطوف على مقدر
مرتب على مقدر آخر
يقضيه القول المقدر
أنما كانه قبل فاضل وشرب فكشفنا بذلك ما به من ضر كافي سورة الانبياء

ووهبنا له أهله أبا يحيى ثم بعد ٢٠٧ هلاكهم وهو المرقى عن الحسن أو يجمعهم بعد تفرقهم كما قيل

(ومثلهم معهم) عطف

على أهله فكان له

من الأولاد ضعف

ما كان له قبل (رحمة منا)

أي رحمة عظيمة عليه

من قبلنا (وذكرى

لأولي الأسباب)

ولذلك كبرهم بذلك ليصبروا

على الشدة كما صبر

ولجئوا إلى الله عز وجل

فما يحيى بهم كما لجأ

ليفعل بهم ما فعل به

من حسن العاقبة

(وخذ بيدك ضعفا)

معطوف على أركض

أو على وهبنا بتقدير

قلنا أي وقلنا خذ بيدك

الح والاول أقرب لفظا

وهذا أنسب بمعنى فإن

الحاجة إلى هذا الأمر

لأنهم الأبعد الصحة

فإن أمراته رحمة بنت

أفرايم بن يوسف وقيل

ليسابت بعقوب وقيل

ما صر بنت ميثاين

يوسف عليه السلام

ذهبت لحاجة فأبطأت

فحالف أن يرى ليضر بنها

مائة ضربة فأمره الله

تعالى بأخذ الضغث

والضغث الحزمة

الصغيرة من الخشيش

ونحوه وعن ابن عباس رضي الله عنهما قبضة من التيجير وقال (فأضرب به) أي بذلك

يدل على قول من يقول إن الشيطان هو الذي ألقاه في تلك الأمراض والآفات فإن
قال قائل لم يجوز أن يقول إن الفاعل لهذه الأحوال هو الله تعالى لكن على وفق الناس
الشيطان قلنا فإذا كان لابد من الاعتراف بأن خالق تلك الآلام والاستقام هو الله
تعالى فأي فائدة في جعل الشيطان واسطة في ذلك بل الحق أن المراد من قوله أي مسنى
الشيطان بنصب وعذاب أنه بسبب لقاء الوسواس الفاسدة والخواطر الباطنة كان
يلقيه في أنواع العذاب والعناء ثم القائلون بهذا القول اختلفوا في أن تلك الوسواس
كيف كانت وذكروا فيه وجوها (الاول) أن علة كانت شديدة الألم ثم طالت مدة تلك
العلة واستعذره الناس ونفروا عن مجاررتة ولم يبق له شيء من الأموال البتة وأمر أنه
كانت تخدم الناس وتحصل له قدر الثوت ثم باغت نفرة الناس عند أن أن منعوا أمر أنه
من الدخول عليهم ومن الاستغفال بخدمتهم والشيطان كان يذكركم اسمع أني كانت
والآفات التي حصلت وكان يحتال في دفع تلك الوسواس فلما قويت تلك الوسواس في
قلبه خاف وتضرع إلى الله وقال أي مسنى الشيطان بنصب وعذاب لأنه كلما كانت
تلك الخواطر أكثر كان ألم قلبه منها أشد (الثاني) أنها لما طالت مدة المرض جاءه
الشيطان وكان يقطعه من ربه ويزين له أن يجزع فخاف من تأكد خطراته ووطئ قلبه
فتضرع إلى الله تعالى وقال أي مسنى الشيطان (الثالث) قيل إن الشيطان لما قلل الأمر أنه
لو اطاعني زوجك أزلت عنه هذه الآفات فذكرت المرأة ذلك فعلم على فلند أن الشيطان
طمع في دينه فشق ذلك عليه فتضرع إلى الله تعالى وقال أي مسنى الشيطان بنصب وعذاب
(الرابع) روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه بقي أيوب في البلاء ثمان عشرة سنة حتى
رضخه القريب والبعد الأرجلين ثم قال أحدهما لصاحبه لقد أذنب أيوب ذنبا ما أنى
به أحد من العالمين ولولاه ما وقع في مثل هذا البلاء فذكروا ذلك لايوب عليه السلام
فقال لأدري ما تقولان غير أن الله يعلم أني كنت أمر على الرجلين يذرعان فذكر أن الله
تعالى فارجع إلى بيتي فأنظر عنهما كراهية أن يذكرك الله تعالى في الحق (الخامس) قيل
إن أمر أنه كانت تخدم الناس فأخذ منهم قدر الثوت وتبعي به إلى أيوب فاتفق أنهم
ما استخدموها البتة وطلب بعض النساء منها قطع إحدى ذؤابدها على أن تعطيها قدر
الثوت ففعلت ثم في اليوم الثاني ففعلت مثل ذلك فلم يبق لها ذؤابة وكان أيوب عليه
السلام إذا أراد أن يتحرك على فراشه تعلق بتلك الذؤابة فلما يجد الذؤابة وقعت الخواطر
المؤذية في قلبه واشتد غمه فعند ذلك قال إن مسنى الشيطان بنصب وعذاب (السادس)
قال في بعض الأيام يارب لقد علمت ما واجعت على أمر إن الآثرت طاعتك ولما أعطيتني
المال كنت للارامل قريبا ولابن السبيل معينا وليتامي أبا فنودي من غمامة يا أيوب
من كان ذلك التوفيق فأخذ أيوب التراب ووضع على رأسه وقال منك يارب ثم خاف
من الخطر الاول فقال مسنى الشيطان بنصب وعذاب وقد ذكروا أقوالا أخرى والله

ونحوه وعن ابن عباس رضي الله عنهما قبضة من التيجير وقال (فأضرب به) أي بذلك

الضغث (ولا تحت) في نيمك فان البر يتحقق به وقد شرع الله ﴿ ٢٠٨ ﴾ سبحانه هذه الرخصة رحمة خفية

وعليه الحسن خدمتها
اياء ورضاء عنها وهي
باقية ويجب ان يصيب
المضروب كل واحد
من المائة اما اطرافها
قائمة أو بأعراضها
مبسوطة على هيئة
الضرب (انا وجدناه
صابرا) فيما أصابه
في النفس والاهل والمال
وليس في شكواه الى الله
تعالى اخلا لبلثك فانه
لا يسمى جزا كني
العاقبة وطلب الشفاء
على أنه قال ذلك خوفا
الفتنة في الدين حيث
كان الشيطان يوسوس
الى قومه بأنه لو كان نيا
لما بلى بمثل ما بلى به
وارادة القوة على الطاعة
فقد باع أموره الى أن لم
يق منه الا القلب
واللسان وروى أنه
عليه الصلاة والسلام
قال في مناجاته الهى
قد علمت أنه لم يخالف
لساني قلبي ولم ينزع
قلبي بصري ولم يمتني
ما لم كنت يميني ولم أكل
الاومى يميني ولم أبت
شعرا ولا كاسيا ومجي
جائعا وعرايان فكشف الله

تعالى عنه (نعم العبد) أي أيوب (انه أواب) تعليل لمدهد أي رجاء الى الله تعالى ﴿ وقالت ﴾

(واذ كرم عبدنا ابراهيم واسحق ويعقوب) عطف بيان لعبادنا وقرئ عبدنا ما على ان ابراهيم وحده لمن يدشره عطف بيان وقيل بدل وقيل نصب باعتبار اعمى والباقيان عطف على عبدنا وما على ان عبدنا اسم جنس وضع موضع الجمع (أولى الأيدي والأبصار) أولى القوة في الطاعة والبصرة في الدين أو أولى الأعمال الجليلة والعلوم الشرعية فغير الأيدي عن الأعمال لأن كنهها تباشرها وبالابصار عن المعارف ﴿٢٩﴾ لأنها أقوى مبادها وقد نمر بعض الجاهلة الباطلين أنهم كالزمن في

والعساء وتوبخ على تركهم الجهاد والتأمل مع محكمهم منهم وقرئ أولى الأيدي بطرح الياء والاكتفاء بالكسر وقرئ أولى الأيدي على جمع الجمع (أنا أخلصناهم بخالصة) تعليل لما وصفوا به من شرف العبودية وطول التبة في العلم والعمل أي جمعناهم خالصة لنا خالصة لخاصة عظيمة الشأن كما ينبغي عند التكبير والتفخيم وقوله تعالى (ذكرى الدار) بيان لأخصاصة عبدنا بها وللتفخيم أي تذكر للدار الآخرة دأنا فان خلاصتهم في الطاعة بسبب تكرمهم لها وذلك لأن مطمع انفسهم ومطرح افكارهم في كل ما يأتون وما يذرون جوار الله عز وجل والفوز ببقائه ولا ينسفي ذلك الا في الآخرة وقيل أخلصناهم بتوفيقهم لها والاطف بهم في اختيارها وبعض الأول قراءة من قرأ خالصتهم واطلاق الدار للشعار بانها الدار في الحقيقة وانما الدنيا عين

مات المعزلة وقوله تعالى رحمة منا وذكري أولى الألباب يعني انما فاعناه لهذه الاغراض والمقاصد وذلك يدل على ان ادع الاله واحكامه معاملة بالاعراض والمصالح والكلام في هذا الباب قد مر غير مرة اما قوله تعالى ويخذ بيدك ضغثا فهو معطوف على اركض والضغث الخزمة الصغيرة من حشيش أو رعيان أو غير ذلك واعلم ان هذا الكلام يدل على تقديم من منه في الخبر انه حلف على أفديه ثم اخذها في السبب الذي لاجله حلف عليها ويعد ما قبل انما رغبت في طاعة الشيطان ويعد ايضا ما روى انها قطعت الذوائب عن رأسها لان المضطر انما اعطاهم باح له ذلك بل الاقرب أنها اخذته في بعض المهمات وذلك أنها هذبت في بعض المهمات قابضات فحلف في مر حشد بضربها مائة اذا برئ ولما كانت حسنة الخليفة له لاجرم حلل الله عنه بأهون شيء عليه وعليها وهذا الرخصة باقية وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه أتى بمجذوم خبث بأمة قتال خذوا عشا كالأمة مائة شراخ فاضربوه به ضربة ثم قال تعالى انا وجدناه صابرا فان قيل كيف وجدناه صابرا وقد شكى اليه والجواب من وجوه (الأول) انه شكى من الشيطان اليه وشكى منه الى أحد (الثاني) ان الالم حين كان على الجسد لم يذ كر شيئا فلما عظمت الوسواس خاف على القلب والدين فاضرع (الثالث) ان الشيطان عدو والشكاية من العدو الى الجنب لا تندح في الصبر ثم قال نعم العبد انه أواب وهذا يدل على أن تشرىف نعم العبد انما حصل لكونه أوابا وصحت بعضهم قال المأزول وقوله تعالى نعم العبد في حق سليمان عليه السلام تارة وفي حق ايوب عليه السلام آخر عظمه نعم في قأوب أم شمع صلى الله عليه وسلم وقالوا ان قوله تعالى نعم العبد في حق سليمان تشرىف عظيم فان اجتمعنا الى اتفاق ملكة مثل ملكة سليمان حتى نجد هذا التشرىف لم نقدر عليه وان اجتمعنا الى تحمل بلا مثل ايوب لم نقدر عليه فكيف السبيل الى تحصيله فانزل الله تعالى قوله نعم المولى ونعم النصير والمراد انك ان لم تكن نعم العبد فانا نعم المولى وان كان منك الفضل في الفضل وان كان منك التقصير في الرحمة والتيسير ﴿٣٠﴾ وقوله تعالى (واذ كرم عبدنا ابراهيم واسحق ويعقوب) أولى الأيدي والأبصار انا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار واذهم عندنا لمن المصطفين الاخبار واذ كر اسمعيل واليسع وذا النكثل وكل من الاخيار في الآية مسائل (المسئلة الأولى) قرأ ابن كثير عبتا على الواحد وهي قراءة ابن عباس ويقول ان قوله عبدنا تشرىف عظيم فوجب ان يكون هذا التشرىف شخصيا وصاريا أعظم الناس المذكورين في هذه الآية وهو ابراهيم وقرأ الباقون عبدنا قالوا لان غير ابراهيم من الأنبياء فاجرى عليه هذا الوصف فجاء في عيسى ان هو الا عبدنا نعمنا عليه وفي ايوب نعم العبد وفي نوح انه كان عبدا شكورا فن قرأ عبدا ناجعا ابراهيم وحده عطف بيان له ثم عطف ذكره على عبدنا وهي اسحق ويعقوب ومن قرأ عبدا ناجعا ابراهيم واسحق ويعقوب عطف بيان لعبادنا (المسئلة الثانية) تقدير الآية كأنه تعالى قال فاصبر على ما يقولون واذ كرم عبدنا

وقرئ بانسانة خالصة الى ذكرى أي بخلص ﴿٢٧﴾ سا من ذكرى الدار على معنى أنهم لا يشربون ذكرها لهم آخر أصلا وتذكرهم الآخرة وترغبهم فيها وتزهدهم في الدنيا كما هو شأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فذكر الدار البناء الجملا في الدنيا الصدق الذي ليس لهم فيه (ما نهم عندنا)

المصطفين الاخيار لمن المختارين من امثالهم المصطفين عليهم في الخير والاخبار جمع خير كشر واشهر از وقيل جمع خير
 او خير مختلف منه كما موات في جمع ميت وميت (واذ كرا سمعيل) فصل ذكر عذ كرايه واخيه للاشعار بمرافقه في الصبر
 الذي هو الملقب صوبه بالذكور (واليسع) هو ابن اخطوب بن العجوز استخلفه الياس على بني اسرائيل ثم استنفي واللام فيه
 حرفي زمر بف دخل على اسم كافي قول من قال * رأيت الوليد بن * البريد ببارك * وفري واليسع كان

أصله ليسع فبعل من اليسع
 دخل عليه حرف التعريف
 وقيل هو على التثنية
 علم انجمن دخل عليه
 اللام وقيل هو يوشع
 (وذا الكفل) هو ابن عم
 يسع أو بشر بن أيوب
 واختلف في نبوته ولقبه
 فقيل فرال ما ذنبي من
 بني اسرائيل من القتل
 فأوهم وكفاهم وقيل
 كمل بمر رجل صالح
 كان يصلي كل يوم مائة
 صلاة (وكل) أي وكلامهم
 (من الاخبار) المشهورين
 بالخبرية (هذا) إشارة إلى
 ما تقدم من الآيات الناطقة
 بمحاسنهم (ذكر) أي
 شرف لهم وذكر جليل
 يذكرهم بأبد أو نوع
 من الذكرا الذي هو الثمر
 وباب منه مشتمل على انباء
 الانبياء عليهم السلام
 وعن ابن عباس رضي الله
 عنهما هذا ذكر من مضى
 من الانبياء وقوله تعالى
 (وان للفقين لحسن مآب)
 شروع في بيان أجرهم
 الجزيل في الآجل بعد
 بيان ذكرهم الجليل في

داود إلى أن قال واذا كرا عبدنا ابراهيم أي واذا كرا يحمود صبرا ابراهيم حين ألقى في النار
 وصبرا سمح للذبح وصبرا يعقوب حين فقد ولده وذهب بصره ثم قال أولى الأيدي والأبصار
 واعلم أن اليد آلة لا كثر الاعمال والبصر آلة لا قوى الادراكات فحسن التعبير عن العمل
 باليد وعن الادراك بالبصر اذا عرفت هذا فتقول النفس الناطقة الانسانية لها قوتان
 عاملة وعالمة أما القوة العامة فاشرف ما يصدر عنها طاعة الله وأما القوة العامة فأشرف
 ما يصدر عنها معرفة الله وماسوى هذين القسمين من الاعمال والمعارف فكما لعبت والباطل
 فقوله أولى الأيدي والأبصار إشارة إلى هاتين الخاتمتين ثم قال تعالى انا أخلصناهم
 بخلاصة ذكرى الدار وفيه مثلان (المسئلة الاولى) قوله بخلاصة قري بالتثنية والاضافة
 فمن نون كان التقدير أخلصناهم أي جعلناهم خالصين لنا بسبب خصلته الخاصة لا شوب
 فيها وهي ذكرى الدار ومن قرأ بالاضافة فاعني بما خلاص من ذكرى الدار يعني ان ذكرى
 الدار قد تكون لله وقد تكون لغيره فالعني انا أخلصناهم بسبب ما خلاص من هذا الذكرا
 (المسئلة الثانية) في ذكرى الدار وجوه (الاول) المراد انهم استغفروا في ذكرى الدار
 الآخرة وبلغوا في هذا الذكرا حيث نسوا الدنيا (الثاني) المراد حصول الذكرا
 الجليل الرفيع لهم في امداد الآخرة (الثالث) المراد أنه تعالى إلى النبي لهم الذكرا الجليل في الدنيا
 وقيل دعاهم في قوله واجعل لي اسان صدق في الآخرين ثم قال تعالى وانهم عندنا
 ان المصطفين الاخبار أي المختارين من ابناء جنسهم والاخبار جمع خيرا وخير على التخفيف
 كما موات في جمع ميت أو ميت واحتج العلماء بهذه الآية في اثبات عصمة الانبياء قالوا لانه
 تعالى حكم عليهم بكونهم اخبارا على الاطلاق وهذا يعنى حصول الخبرية في جميع الافعال
 والصفات بدليل صحة الاستثناء وبدليل دفع الاجمال ثم قال واذا كرا سمعيل واليسع
 وذكر الكفل وكل من الاخبار وهم قوم آخرون من الانبياء نحموا الشناد في دين الله وقد
 ذكرنا الكلام في شرح هذه الاسماء وفي صفات هؤلاء الانبياء في سورة الانبياء وفي سورة
 الانعام فلا فائدة في الاعادة وههنا آخر الكلام في قصص الانبياء في هذه السورة * قوله
 تعالى (وهذا كروا للفقين حسن مآب جنات عدن مفتحة لهم الابواب متكئين فيها
 يدعون فيها بما كرهت كثيرة وشراب وندهم فاصرات الطرف ارباب هذا ما توعدون يوم
 الحساب ان هذا الرزق ما له من نقاد اعلم ان في قوله ذكر وجهين (الاول) انه تعالى
 انما شرح ذكر كراحوال هؤلاء الانبياء عليهم السلام لاجل أن يصبر محمد عليه السلام على
 تحمل سقاه قوم فقام بيان هذا الطريق وأراد أن يذكر تعذيبه طريقا آخر بوجوب
 الصبر على سقاه الجاهل وأراد أن يميز أحد البابين عن الآخر لاجل ما قال هذا ذكر ثم شرع
 في تفرير الباب الثاني فقال وان للفقين كان المصنف اذا تم كلاما قال هذا باب ثم شرع في باب
 آخر واذا فرغ الكتاب من فصل من كتابه وأراد الشروع في آخر قال هذا وقد كان
 كتب وكبت والدليل عليه انه لما أتهم ذكر أهل الجنة وأراد أن يردفه بذكر أهل النار قال

العاجل وهو باب آخر من أبواب التزييل والمراد بالفقين اما الجنس وهم داخلون في الحكم دخولاً أو اياماً * هذا
 نفس المذكورين عبر عنهم بذلك مدحاً لهم بالقوى التي هي اغايبها قاصية من السكرال (جنات عدن) عطفت بيان لحسن
 مآب عند من يجوز زخا لهما قمر نقاد كرا فان عندنا

معرفة لقوله تعالى جنات عدن التي وعد الرحمن عباده أو بدل منه أو نصيب على المدح وقوله تعالى (مفتحة لهم الابواب) حال من جنات عدن واما صير مقدر كما هو رأى البصر بين أى الابواب منها أو الالف واللام القائمة مقامه كما هو رأى الكوفيين اذا لاصل ابوابها وقرئ (٢١١) من فوعين على الابتداء والخبر أو على أنهم خبران لمحدوف

أى هى جنات عدن هى

مفتحة (متكئين فيها)

حال من ضمير لهم

والعامل فيها مفتحة

وقوله تعالى (يدعون

فيها بفاكهة كثيرة

وشراب) استنساغ

ليبان حالهم فيها وقيل

هو أيضا حال مما ذكر

أومن ضمير متكئين

والاقتصار علىطاء

الفاكهة الايدان بأن

مطاعمهم لخص التفكه

واللذذ دون التذنى

فانه لخصيل بدل

التمحلل ولاتحلل ثمة

(وعندهم قاصرات

الطرف) أى على

أزواجهن لا ينظرن

الى غيرهم (أرباب

لدات لهم فان العباب

بين الاقران أرسخ

أو بعضهم لبعض

لا يجوز فهن ولا صبية

واشتاقه من التراب فاز

يسمهم في وقت واحد

(هذا ما توعدون ليوم

الحساب) أى لاجله فاز

الحساب علة للوصول

الى الجزاء وقرئ بالياء

هذا وان للطاغين (الوجه الثاني) في التأويل ان المراد هذا شرف وذكر جيل لهؤلاء الانبياء عليهم السلام يذكرون به أبدأ والاول هو الصحيح أما قوله وان للتقين لحسن مآب فاعلم انه تعالى لما حكى عن كفار قرىش سفاهتهم على النبي صلى الله عليه وسلم بان وصفوه بأنه ساحر كذاب وقالوا له على سبيل الاستهزاء ربنا نجعل لنا فطنا فعد هذا أمر محمداً يا صبر على تلك السفاهة و بين ان ذلك الصبر لازم من وجهين (الاول) أنه تعالى لما بين ان الانبياء المتقدمين صبروا على المحاراة والاشداد فيجب عليك أن تقتدى بهم في هذا المعنى (الثاني) انه تعالى بين في هذه الآية أن من أطاع الله كان له من الثواب كذا وكذا ومن خالفه كان له من العقاب كذا وكذا وكل ذلك يوجب الصبر على تكاليف الله تعالى وهذا نظم حسن وترتيب لطيف أما قوله تعالى وان للتقين لحسن مآب المتأب المرجع والجميع القائلون بقدم الارواح بهذه الآية وكل آية تشتمل على لفظ الرجوع ووجه الاستدلال أن لفظ الرجوع انما يصدق لو كانت هذه الارواح موجودة قبل الاجساد وكانت في حضرة جلال الله ثم تعلقت بالابدان فعند انفصالها عن الابدان يسمى ذلك رجوعا وجوابه ان هذا ان دل قائما يدل على أن الارواح كانت موجودة قبل الابدان ولا يدل على قدم الارواح ثم قال تعالى جنات عدن وهو بدل من قوله لحسن مآب ثم قال مفتحة لهم الابواب وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ذكرنا في تأويل هذا اللفظ وجوها (الاول) قال الفراء معناه مفتحة لهم ابوابها والعرب تجعل الالف واللام خلفا من الاضافة تقول العرب مررت برجل حسن الوجه فالالف واللام في الوجه بدل من الاضافة (والثاني) قال الزجاج المعنى مفتحة لهم الابواب منها (الثالث) قال صاحب الكشف الابواب يدل من الضمير وتقديره مفتحة هى الابواب كقولك ضرب زيد باليد والرجل وهو من يدل الاشتغال (المسئلة الثانية) قرئ جنات عدن مفتحة بالرفع على تقدير أن يكون قوله جنات عدن مبتدأ ومفتحة خبره وكلاهما خبر مبتدأ محذوف أى هو جنات عدن مفتحة لهم (المسئلة الثالثة) اعلم انه تعالى وصف من أحوال أهل الجنة في هذه الآية أشياء (الاول) أحوال مساكنهم فقوله جنات عدن يدل على أمرين (أحدهما) كونها جنات وبساتين (والثاني) كونها دائمة آمنة من الانقضاء وفي قوله مفتحة لهم الابواب وجود (الاول) أن يكون المعنى ان الملائكة الموكلين بالجنان اذا رأوا صاحب الجنة فتحوا له ابوابها وحيوه بالسلام فيدخل كذلك مخوفاً بالملائكة على أعز حال وأجل هيئة قال تعالى حتى اذا جاءوها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتموها سلام عليكم طمتم فادخلوها خالدين (الثاني) أن تلك الابواب كلما أرادوا انفتاحها انفتحت لهم وكلما أرادوا انغلاقها انغلت لهم (الثالث) المراد من هذا الفتح وصف تلك المساكن بالسعة ومسافة العيون فيها وشاهدة الاحوال اللذيذة الطيبة ثم قال تعالى متكئين فيها يدعون فيها وفيه مباحث (الاول) انه تعالى ذكر في هذه الآية كونهم متكئين في الجنة وذكر في سائر الآيات

ليوافق ما قبله والصفات التي يقع الامتان والكريم (ان هذا) أى ما ذكر من ألوان النعم والكرامات (لرزقنا)

أعطيناكموه (ماله من نضاد) انقطاع أبدا (هذا) أى الامر هذا أو هذا كما ذكر أو هذا ذكر وقوله تعالى

(وان للطاغين لشر مآب) شروع في بيان أضداد الفريق السابق (جهنم) اعرايه كاسلف (يصلونها)

أى يدخلها حال من جهنم (فبئس المهاد) وهو المهذ والمفرس مستعار من فراش البائم والخصوص

بالذم محذوف وهو جهنم لقوله تعالى لهم من جهنم مهاذ (هذا قلندوقوه) أي لينذوقوا هذا فلينذوقوه لقوله تعالى
وأيأى قارهبون أو العذاب هذا فلينذوقوه أو هذا مبتدأ خبره (حجيم وفساق) وما بينهما اعتراض وهو على الأولين
خبر مبتدأ محذوف أي هو حجيم والفساق ما يفسق من صلبه أهل النار من غسقت العين إذا سال دمعها وقبل الحميم
يحرق بدمعه والفساق يحرق بدمه وقبل أو قطرت ﴿٢١٢﴾ منه قطرة في المشرق لتنت أهل المغرب ولو قطرت

قطرة في المغرب لتنت
أهل المشرق وقيل
الفساق عذاب لا يعلمه
اللا اله تعالى وقرئ
بتخفيف السين (أو آخر
من شكاه) أي ومنذوق
آخر أو عذاب آخر من
مثل هذا المذوق
أو العذاب في الشدة
والقطاعة وقرئ وآخر
أي ومنذوقات آخر
وتوحيد ضمير شكاه
بنا ويل ماذكر أو الشراب
الشامل للحميم والفساق
أو هو راجع إلى الفساق
(أزواج) أي أجناس
وهو خبر لا آخر لأنه يجوز
أن يكون ضروبا أو صفة
له أو الثلاثة أو مرتفع
بالجار والخبر محذوف
مثل لهم (هذا فوج
مقتحم معكم) حكاية
ما يقال من جهة الخزنة
لرؤساء الطاغين إذا
دخلوا النار أو اقتحمها
معهم فوج كانوا يتجهزون
في الكفر والضلالة
والاقتحام الدخول
في الشيء بشدة قال
الراغب الاقتحام بوسط

كيفية ذلك الانكاه فقال في آية على الأراك متكون وقال في آية أخرى متكين على
رفرف خضر (البحث الثاني) قوله متكين فيها حال قدمت على العامل فيها وهو قوله
يدعون فيها والمعنى يدعون في الجنات متكين فيها ثم قال بفاكهة كثيرة وشراب والمعنى
بالأوان الفاكهة وأوان الشراب والتقدير بفاكهة كثيرة وشراب كثير والسبب في ذكر
هذا المعنى أن ديار العرب حارة قابلة للقواكه والأشجار بقرعهم الله تعالى فيه ولما بين تعالى
أمر المسكن وأمر المأكول والمشروب ذكر عتيبه أمر المتكوج فقال وعندهم قاصرات
الطرف وقد سبق تفسيره في سورة الصافات وبالجملة فالعنى كونهن قاصرات الطرف عن
غيرهم مقصورات القلب على محبتهم وقوله أتراب أي على سن واحد ويحتمل كون الجوارى
أتراب ويحتمل كونهن أترابا للزواج قال النفاذ والسبب في اعتبار هذه الصفة أنهن
لما تشابهن في الصفة والسن والحلية كان الميل إليهن على السوية وذلك يقتضى عدم
الغيرة ثم قال تعالى هذا ما توعدون ليوم الحساب يعني أن الله تعالى وعده المتقين بأشواب
الموصوف بهذه الصفة ثم أنه تعالى أخبر عن دوام هذا الثواب فقال إن هذا لرفقنا ما له من
نفاد وقوله تعالى (هذا وان لطاغين لشر ما ب جهنم يصلونها فبئس المهاد هذا فلينذوقوه
حجيم وفساق وآخر من شكاه أزواج هذا فوج مقتحم معكم لأمير حبا بهم أنهم صالوا النار
قالوا بل أنتم لأمير حبا بهم أنتم قد منتمونا فبئس القرار قالوا ربنا من قد مننا هذا فزده
هذا باضعاف في النار وقالوا ما لنا نرى رجلا كنا نعدهم من الأشرار اتخذناهم سخرى ما
زأغت عنهم البصائر أن ذلك لحق تخصص أهل النار (اعلم أنه تعالى لما وصف ثواب المتقين
وصف بعده عذاب الطاغين ليكون الوعيد مذكورا عقيب الوعد والترهيب عقيب
الترغيب واعلم أنه تعالى ذكر من أحوال أهل النار أنواعا (فالأول) مرجعهم وما بهم
فقال هذا وان لطاغين لشر ما ب أو هذا في مقابلة قوله وان للمتقين لحسن ما ب فبين
تعالى أن حال الطاغين مضادة لحال المتقين واختلفوا في المراد بالطاغين فأكبر المفسرين
حواه على الكفار وقال الجبائي أنه محمول على أصحاب الكبائر سواء كانوا كفارا أو أم
يكونوا كذلك واحتج الأولون بوجوه (الأول) أن قوله لشر ما ب يقتضى أن يكون ما بهم
شرا من ما ب غيرهم وذلك لا يليق إلا بالكفار (الثاني) أنه تعالى حكى عنهم أنهم قاوا
اتخذناهم سخرى ما ب وذلك لا يليق إلا بالكفار لأن الفاسق لا يتخذ المؤمن سخرى (الثالث) أنه
اسم ذم والاسم المطلق محمول على الكمال والكمال في الطغيان هو الكافر واحتج الجبائي
على صحة قوله بقوله تعالى إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى وهذا يدل على أن الوصف
بالطغيان قد تحصل في حق صاحب الكبره ولا ن كل من تجاوز عن تكليف الله تعالى
وتعدها فقد طغى إذا عرفت هذا فقول قال ابن عباس رضى الله عنهما المعنى إن الذين
طغوا وكذبوا رسلهم شر ما ب أي شر مرجع ومصيرهم قال جهنم يصلونها والمعنى أنه
تعالى لما حكى بأن الطاغين لهم شر ما ب فسر بقوله جهنم يصلونها ثم قال فبئس المهاد

شدة تخفيفه وقوله تعالى (لأمر حبا بهم) من انعام كلام الخزنة بطريق الدعاء على الفوج أو صفة ﴿وهو﴾
للفوج أو حال منه أي متول أو موقولا في حقهم لأمر حبا بهم أي لأنأوا أمر حبا أولا رحبت بهم الدار مر حبا
(أنهم صالوا النار) تعليل من جهة الخزنة لاستحقاقهم الدعاء عليهم أو وصفهم بما ذكره وقيل لأمر حبا بهم
إلى هنا كلام الرؤساء في حق أتباعهم عند خطاب الخزنة لهم باقتحام الفوج معهم فذكر أمهات مقارنتهم

وشفر من مصاحبهم وقيل كل ذلك كلام الرؤساء بعضهم مع بعض في حق الاتباع (قالوا) أي الاتباع عند سماعهم ما قيل في حقهم ووجه خطابهم للرؤساء في قولهم (بل أنتم لأمر حبابكم) الخ على الوجهين الآخرين ظاهر وأما على الوجه الأول فلهذا خطابهم مع أن الظاهر أن يقولوا بطريق الاعتذار إلى الخزي بل هم لأمر حبابهم الخ قصد انهم إلى اظهار صدقهم بالخاصة مع الرؤساء والتحاكم في ٢١٣ إلى الخزي طمعا في قضائهم بتخفيف عذابهم أو

لضعف عذاب خصصناهم
أي بل أنتم أحق بما قيل
لنا أو قلتم وقوله تعالى
(أنتم قد علموه لنا) تعالى
لأحقية هم بذلك أي أنتم
قد علم العذاب أو الصلي
لنا أو ففعلنا فيه بتقديم
ما يؤذي اليه من العقاب
الزائفة والأعمال السيئة
وترد ينهنا في أعيننا
واغرائنا عليها لأننا
أشرنا هاهنا فقلنا أنفسنا
(فبئس القرار) أي فبئس
المقر جهنم قصصوا
بذمها تغليظ جنسية
الرؤساء عليهم (قالوا)
أي الاتباع أيضا وتوسيطه
بين كلامهم لما ينهضهم من
التبائن بين ذاتهم وخطاياهم
أي قالوا معرضين عن
خصومتهم متضرعين
إلى الله تعالى (ربنا من
قدم لنا هذا فرد عذابا
ضعفنا النار) كتبناهم
ربنا هو لا أضلونا فاعلم
عذابا ضعفا من النار أي
هذا باضعفا أي ذا
ضعف وذلك بأن يزيد
عليه مثله ويكون ضعفين
كقولنا ربنا أضعفنا
من العذاب وقيل المراد
بالضعف الحيات والأفاعي

وهو قوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش شبه الله ما تحتهم من النار بالمهاد الذي
يفترشه النائم ثم قال تعالى هذا فليذوقوه حليم وغساق وفيه مسائل (المسألة الأولى) فيه
وجهان (الأول) أنه على التقديم والتأخير والتقدير هذا حليم وغساق فليذوقوه (الثاني)
أن يكون التقدير جهنم يصلونها فبئس المهاد هذا فليذوقوه ثم يتدى فيقول حليم وغساق
(المسألة الثانية) الغساق بالتخفيف والتشديد فيه وجوه (الأول) أنه الذي يغسق من
صد يد أهل النار يقال غسقت العين إذا سال دمعها وقال ابن عمر هو القيح الذي يسيل
منهم كجذع فستونه (الثاني) قيل الحليم يخرق بخره والغساق يخرق بخره ود كرا زهرى
أن الغساق الباردها هذا قيل لليل غاسق لأنه أبرد من النهار (الثالث) أن الغساق المني
حكى الزجاج لو قطرت منه قطرة في المشرق لأدنت أهل المغرب ولو قطرت منه قطرة في
المغرب لأدنت أهل المشرق (الرابع) قال كعب الغساق عين في جهنم يسيل اليها اسم كل
ذات حمة من حرق وحية (المسألة الثالثة) قرأ خزي والكسائي وحفص عن عاصم غساق
بتشديد السين حيث كلن والباقون بالتخفيف قال أبو علي الفارسي الاختيار التخفيف
لأنه إذا شد لم يخل من أن يكون اسما أو صفة فإن كان اسما فلا سماء تمجى على هذا
الوزن الأقل وأما صفة فقد أقيم مقام الموصوف والأصل أن لا يجوز ذلك ثم قال
تعالى وآخر من شكله أزواج وفيه مسائل (المسألة الأولى) قرأ أبو عمرو وآخر بضم الألف
على جمع أخرى أي اصناف آخر من العذاب وهو قراءة مجاهد والباقون آخر على الواحد
أي عذاب آخر أما على القراءة الأولى فقولوا أخرى ومدونات آخر من شكل هذا الذوق
أي من مثله في الشدة والنقطة أزواج أي اجناس وأما على القراءة الثانية فالتقدير
وعذاب أو مذوق آخر وأزواج صفة لا آخر لأنه لا يجوز أن يكون ضمرا بأوصاف الثلاثة
وهم حليم وغساق وآخر من شكله قال صاحب الكشف وقرئ من شكك بالكسر وهو
لغو وأما الفج فبالكسر لا غير وأعلم أنه تعالى لما وصف مسكن الطاغين وما كواهم حكى
أحوالهم مع الذين كانوا أحببناهم في الدنيا أولا ثم مع الذين كانوا أهدأهم في الدنيا ثانيا
(أما الأول) فهو قوله هذا فوج مقتحم معكم وأعلم أن هذا حكاية كلام رؤساء أهل النار
يقوله بعضهم لبعض بدائل أن ما حكى بعدهما من أقوال الاتباع وهو قوله قالوا بل أنتم
لأمر حبابكم أنتم قد علموه لنا وقول أن قوله هذا فوج مقتحم معكم كلام الخزي لرؤساء
الكفرة في اتباعهم وقوله لأمر حبابهم أنهم صالوا النار كلام الرؤساء وقوله هذا فوج
مقتحم معكم أي هذا جهم كشف قد أفهم معكم النار كما كانوا قد أفهموا معكم في الجمل
والضلال ومنى أفهم معكم النار أي دخل النار في صحبتكم والافهم ركوب الشدة
والدخول فيها والافهم الشدة وقوله تعالى لأمر حبابهم دعاء منهم على اتباعهم يقول
الرجل لمن يدعو له من حباب أي أتيت رجبا في البلاد لأضيقا أو رجبت بلادك رجبا ثم دخل
عليه كلمة في دعاء السوء وقوله بهم بيان للمدعو عليهم أنهم صالوا النار لتعليل لاستيحابهم

(وقالوا) أي الطاغون (مالنا لا ترى زجلا كنا نعدهم من الأشرار) يعنون فقراء المسلمين الذين كانوا يستزدلونهم
ويستخرون منهم (اتخذناهم سخرى) بهمة استفهام سقطت لاجلها همزة الوصل والجملة استئناف لا محل لها
من الإعراب قالوا إنكارا على أنفسهم وتأنينا لها في الاستبصار منهم (أم زانت

عنهم (الابصار) متصل بأخذناهم على أن أم متصلة والمعنى أي الأمرين فعملنا بهم الاستخار منهم أم الأزدياء بهم
وتخبرهم وإن أبصارنا كانت ترغ عنهم وتقصمهم على معنى انكار كل واحد من الفعلين على أنفسهم تو يخالها أو على
انها منقطعة والمعنى أخذناهم سخر يابل أزاعت عنهم أبصارنا فكذلك أن يدعندك أم عندك عمر وعلى معنى تو يخ
على الاستخارهم الاضراب والانتقال منه الى التوبيخ ﴿٢١٤﴾ على الأزدياء والتحقير وقرئ أخذناهم بغير همزة

على أنه صيغة أخرى
رجلا لقوله تعالى أم زاعت
متصل بقوله ما لنا لا نرى
والمعنى ما لنا لا نراه في
النار اليسوا فيها فلدنك
لا نراه أم زاعت عنهم
أبصارنا واهم فيها
وقد جوز أن تكون الهمزة
مقدرة على هذه القراءة
وقرئ سخر يا بضم
السين (ان ذلك) أي
الذي حكى من أحوالهم
(الحق) لا بد من وقوعه
الشيء وهو قوله تعالى
(فخاصم أهل النار) خبر
مبتدأ مخدوف والجملة
بيان لذلك وفي الإبهام
أولاً والتبيين ثانياً أمر يد
تقريره وقيل بدل من
تحل ذلك وقيل بدل من
حق أو عطف بيان له
وقرئ بالنصب على أنه
بدل من ذلك وما قيل من
أنه صفة له فقد قيل عليه
ان اسم الإشارة لا يوصف
الابن يعرف باللام يقال
بهذا الرجل ولا يقال
بهذا غلام الرجل (قل)
أمر لرسول الله صلى الله
عليه وسلم أن يقول
للمشركين (إنما أنا منذر)
من جهنم تعالى أنذرهم

الدعاء عليهم ونظير هذا الآية قوله تعالى كما دخلت أمة لنت أختها قالوا أي الاتباع
يل أنتم لأمر حجابكم يريدون ان الدعاء الذي دعوتهم به علينا أي الرؤساء أنتم أحق به
وعلاؤ ذلك بقولهم أنتم قد صتمونا والصبر للعذاب أو لصبرهم فان قيل ماعنى تقديمهم
العذاب لهم قلنا الذي أوجب التقديم هو عمل السوء قال تعالى وذوقوا عذاب الحريق
ذلك بما قدمت أيديكم إلا أن الرؤساء لما كانوا السبب فيه باغواهم وكان العذاب
جزاءهم عليه قيل أنتم قدمتمونا فجعل الرؤساء هم المقدمين وجعل الجزاء هو المقدم
والصبر في قوله قد صتموه كناية عن الطغيان الذي دل عليه قوله وان لأطاعين أشر ما ب
وقوله فنبس القرار أي بس المستقر والمسكن جهنم ثم قالت الاتباع ربنا من قدم لنا هذا
فردده عذابا ضعفا أي مضاعفا ومعناه ذاصعفا ونظير قوله تعالى ربنا هؤلاء أصلونا فآتهم
عذابا ضعفا وكذلك قوله تعالى ربنا أنأطعنا ساداتنا وكبرنا فآصلونا بالسيلار ربنا آتهم
ضعفين من العذاب فان قيل كل مقدار يفرض من العذاب فان كان بقدر الاستحقاق
لم يكن مضاعفا وان كان زائدا عليه كان ظلما وأنه لا يجوز قلنا المراد منه قوله عليه السلام
ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة والمعنى انه يكون أحد
القسمين عذاب الضلال والثاني عذاب الاضلال والله أعلم وهما آخر شرح أحوال
الكفار مع الذين كانوا احبا اليهم في الدنيا وأما شرح أحوالهم مع الذين كانوا أعداء
لهم في الدنيا فهو قوله وقالوا ما لنا لا نرى رجلا لا كنا نعدهم من الاشرار يعني ان الكفار اذا
نظروا الى جوانب جهنم فحينئذ يقولون ما لنا لا نرى رجلا لا كنا نعدهم من الاشرار يعني
فقراء المسلمين الذين لا يؤمنون بهم وسعوه من الاشرار اما معنى الاراذل الذين لا خير فيهم
ولا جدوى أولانهم كانوا على خلاف دينهم فكانوا عندهم اشرارا ثم قالوا أخذناهم
سخر يا وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأ ابو عمرو وحزرة والكسائي من الاشرار
أخذناهم بوصل ألف أخذناهم والباقون بفتحها على الاستفهام قال ابو عبيدو بالوصل
يقر لأن الاستفهام متقدم في قوله ما لنا لا نرى رجلا ولأن المشركين لا يشكون في اتخاذهم
المؤمنين في الدنيا سخر يا لانه تعالى قد أخبر عنهم بذلك في قوله فأتخذهم وهم سخر يا حتى
أنسوكم ذكرى فكيف يحسن أن يستفهموا عن شيء علوه أجاب الفراء عنه بان قال هذا
من الاستفهام الذي معناه التعجب والتوبيخ ومثل هذا الاستفهام جائز عن الشيء
المعلوم أما وجه قول من ألحق الهمزة للاستفهام انه لا بد من المصير اليه ليعادل قوله
أخذناهم بأم في قوله أم زاعت عنهم فان قيل فما الجملة المعادلة لقوله أم زاعت على القراءة
الاولى قلنا انها مخدوفة والمعنى المقصودون هم أم زاعت عنهم ابصار (المسئلة الثانية)
قرأ نافع سخر يا بضم السين والباقون بكسرها وقيل هما بمعنى واحد وقيل بالكسر
هو الهزؤ وبالضم هو التذليل والتسخير (المسئلة الثالثة) اختلفوا في نظم الآية على
قولين بناء على القراءتين المذكورتين أما القراءة على سبيل الاخبار فالتقدير ما لنا لا نراه

عذابه (وما من له) في الوجود (الاله الواحد) الذي لا يقبل الشراكة والكثرة أصلا (القهار) حاضرين
لكل شيء سواء (رب السموات والارض وما بينهما) من المخلوقات فكيف يتوهم أن يكون له شريك منها (العزيز)
الذي لا يغلب في أمر سن أموره (العفار) البالغ في المغفرة يغفر ما يشاء لمن يشاء وفي هذه النعوت من تقرير

التوحيد والوعيد للوحدان والوعيد للشر كين ما لا يخفى وتنبؤ ما يشعر بالوعد من وصف التهور والعزة وتقديهما على وصف المغفرة لتوفية مقام الانذار حقها (قل) نكرير الامر لا يبدان بان المقول امر جليل له شأن خطير لا بد من الاعتناء به امرا وانذارا (هو) أي ما أنبأكم به من انذار من جهته تعالى وأنه تعالى واحد لا شريك له وأنه متصف بما ذكر من الصفات الجلية والاطهر انه القرآن ٢١٥ وما ذكر داخل فيه دخولا ولما كان شهد به آخر السورة الكريمة

وهو قول ابن عباس
ومجاهد وقسادة
(نبا عظيم) وارد من
جهته تعالى وقوله
تعالى (أنتم عنه
معرضون) استئناف
تابع لعلهم سوء صنعهم
به يبدان أنهم لا يقدر
وقدره الجليل حيث
يعرضون عنه مع
عظمته وكونه موجبا
للاقبال الكلي عليه
وناقية بخس القبول
وقيل صفة أخرى لتبأ
وقوله تعالى (ما كان لي
من علم بالملا الأعلى)
الخ استئناف مسوق
للتعقيل انه نبا عظيم
وارد من جهته تعالى
بذكرنا من أنبأه على
التفصيل من غير سابقة
معرفة به ولا مباشرة
سبب من اسباب المعتادة
فان ذلك حجة دالة
على ان ذلك بطريق
الوحي من عند الله تعالى
وان سائر أنبائه أيضا
كذلك والملا الأعلى
هم الملائكة وآدم عليهم
السلام وابليس عليه

حاضرين لاجل انهم لحقوا بهم تركوا أولا لاجل انهم زاعغت عنهم الابصار وقع التعبير
عن حقارتهم بقولهم اتخذناهم سخرى وأما قراءة على سبيل الاستفهام فالتقدير لاجل
اننا قد اتخذناهم سخرى وما كانوا كذلك فلم يدخلوا النار لاجل انه زاعغت عنهم الابصار
واعلم انه تعالى لما حكى عنهم هذه المنافرة قال ان ذلك الذي حكيتاه عنهم حتى لا يد وان
يتكلموا به ثم بين ان الذي حكيتاه عنهم ما هو وقال تخصص اهل النار وانما سمى الله تعالى
تلك الكلمات تخصصا لان قول الرسول الامر حيا بهم وقول الاتباع بل انتم الامر حيا
بكم من باب الخصومة وقوله تعالى (قل انما أنا نذير وما من اله الا الله الواحد القهار رب
السماوات الارض وما بينهما العزيز الغفار قل هو نبا عظيم أنتم عنه معرضون ما كان لي
من علم بالملا الأعلى ان يخصصون ان يوحى الى الانبياء انذارهم بين (اعلم انه تعالى لما حكى
في أول السورة أن محمدا صلى الله عليه وسلم لما دعا الناس الى أنه لا اله الا الله واحد الى انه
رسول مبین من عند الله والى أن القول بالغيامة حق فأولئك الكفار أظهروا السفاهة
وقالوا انه ساحر كذاب واستهزؤا بقوله انه تعالى ذكره قصص الانبياء اوجهين (الأول)
ليصير ذلك حاملا لمحمد صلى الله عليه وسلم على الناس بالانبياء عليهم السلام في الصبر على
سفاهة القوم (والثاني) ليصير ذلك رادعا للكفار على الاصرار على الكفر والسفاهة
وذاعبا الى قبول الايمان ولان الله تعالى ذلك الطريق أدرفه بطريق آخر وهو شرح نعم
أهل الثواب وشرح عقاب أهل العقاب قلنا الله تعالى هذه البيانات عاد الى تقرير
المطالب المذكورة في أول السورة وهي تقرير التوحيد والنبوة والبعث فقال قل يا محمد
انما أنا نذير ولا بد من الاقرار بأنه ما من اله الا الله الواحد القهار فان الترتيب الصحيح
ان تذكر شبهات الخصوم أولا ويحجب عنها ثم تذكر عقيب الدلائل الدالة على صحة المطالب
فكذلك هنا اجاب الله تعالى عن شبهتهم ونبه على فساد كلامهم ثم ذكر عقيبه ما يدل على صحة
هذه المطالب لان ازالة ما لا يخفى مقدمة على اثبات ما ينفى وغسل الخواص من النقوش
الفاصلة مقدم على كتب النقوش الصحيحة قيد ومن نظر في هذا الترتيب اعترف بأن
الكلام من أول السورة الى آخرها قد جاء على أحسن وجوه الترتيب وانظم ما فيه قل
انما أنا نذير يعني أبلغ أحوال عقاب من أنكر التوحيد والنبوة والمعاد وأحوال ثواب
من أقربها وكابد في أول السورة بأدلة التوحيد حيث حكى عنهم انهم قالوا أجعل
الالهة الهما واحدا فذلك بدأ ههنا بتقرير التوحيد فقال وما من اله الا الله الواحد
القهار وفي هذه الكلمة اشارة الى الدليل الدال على كونه عزيزا عن الشريك والتقدير
وبيانه ان الذي يجعل شريكا لله في الالهية اما ان يكون موجودا قادرا على الاطلاق على
التصرف في العالم أولا يكون كذلك بل يكون جادا عاجزا (والأول) باطل لانه لو كان
شريكة قادرا على الاطلاق لم يكن هو قادرا فاهرا ان يتقدر ان يريده شيئا ويريد شريكه
ضد ذلك الشيء لم يكن حصول أحد الامرين أولى من الآخر فيفضي الى انقراض كل واحد

اللعنة وقوله تعالى (اذ يمتصصون) متعلق بمحذوف يقتضيه المقام اذ المراد اني علم عليه الصلاة والسلام بحالهم لا بدواتهم
والتقدير ما كان لي فيما سبق علم ما يوجه من الوجوه بحال الملا الأعلى على وقت اختصاصهم وتقدير الكلام كما اختاره
الجمهور من محجب للواسع فان علمه عليه الصلاة والسلام غير مقصور على ما جرى بينهم من الاقوال فقط بل علم لها
والافعال أيضا من سجدة الملا تسكعة ما سكتها الله عنه كقوله حسبا نطقه به العجز

فلا بد من اعتبار العموم في نفيه أيضا لا محالة وقوله تعالى (ان يوحى الى الانعام انانذير مبين) اعتراض وسط بين اجمال اختصاصهم وتفصيله تقريرا لثبوت علمه عليه الصلاة والسلام وتعييننا لسببه الا ان ان افتقاه فيما سبق لما كان منبأ عن ثبوته الا ان ومن البين عدم ملائسته عليه الصلاة والسلام بشئ من مبادئ اليهودية تعين انه ليس الا بطريق الوحي حتما فجعل ذلك امر اسم للثبوت غلبا على الاخبار به قصد اوجمل ٢١٦ مصب الفائدة والمقصود اخبار

ما هو داخ الى الوحي
ومصحح له تحقيقا لقوله
تعالى انما انا منذر
في ضمن تحقيق علمه
عليه الصلاة والسلام
بقصة الملا الأعلى
فاقام مقام الفاعل
ليوحى اما ضمير عائد
الى الحلال القدر
او ما عمنه وغيره فالعنى
ما يوحى الى حال الملا
الا على او ما يوحى الى
ما يوحى من الامور
الغيبية التي من جملتها
حالهم الانما انا نذير
مبين من جهته تعالى
فان كونه عليه الصلاة
والسلام كذلك من
دواحي الوحي اليه
ومن موجباته حتما واما
ان التائم مقام الفاعل
هو الجار والمجرور
او هو انما انا نذير مبين
بلا تقدير الجار وان
المعنى ما يوحى الى
الا الانذار او ما يوحى
الى الا ان اذير وأبلغ
ولا افرط في ذلك كما
قيس لفع ما فيه من
الاضطرار الى التكلف

منهم بلا آخر وجب ان لا يكون قادرا فاعلم ان كل عاجز اضعية او عاجز لا يصلح للالهية
قوله الا الله الواحد القهار اشارة الى ان كونه قهارا يدل على كونه واحدا (واما الثاني)
وهو ان يقال ان الذي جعل شمس يكاد لا يقدر على شئ البتة مثل هذه الاوثان فهذا أيضا
قاسد لان صريح العقل يحكم بان عبادة الاله القادر القاهر أولى من عبادة الخلق الذي
لا يسمع ولا يبصر ولا ينفى عنك شيئا فتوبه وامن اله الا الله الواحد القهار يدل على هذه
الدلائل واعلم ان كونه سبحانه قهارا مشر بالترهيب والتخويف فلذا ذكر ذلك اوردفه بما
يدل على الرجاء والترغيب فقال رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار فكونه ربا
مشر بالترهيب والاحسان والكرم والجود وكونه غفارا مشر بالترغيب وهذا الموجود
هو الذي يجب عبادته لانه هو الذي يخشى عقابه ويرجى فضله وثوابه ونذ كر طريفة أخرى
في تفسير هذه الآيات فتقول انه تعالى ذكر من صفاته في هذا الموضع خمسة الواحد
واقهار والرب والعزيز والغفار اما كونه واحدا فهو الذي وقع الخلاف فيه بين أهل
الحق وبين المشركين واستدل تعالى على كونه واحدا بكونه قهارا وقدينا وجه هذه
الدلالة الى ان كونه قهارا وان دل على اثبات الواحدانية الا انه يوجب الخوف الشديد
فأردفه تعالى بذكر صفات ثلاثة دالة على الرحمة والفضل والكرم (اولها) كونه ربا
للسموات والارض و بينهما وهذا انما تم معرفته بالنظر في آثار حكمته الله تعالى في خلق
السموات والارض والعناصر الاربعة والمواليذ الثلاثة وذلك بعرضه لاجلها فاذا تأملت
في آثار حكمته ورحمته في خلق هذه الاشياء عرفت حينئذ تر بيته لا كل وذلك بقيد الرجاء
العظيم (وثانيها) كونه عزيزا والفائدة في ذكره ان القائل ان يقول هب ان رب و مربي وكرم
الا انه غير قادر على كل المقدرات فاجاب عنه بانه عز ربا قادر على كل الممكنات فهو يغلب
السمي ولا ينافيه شئ (وثالثها) كونه غفارا والفائدة في ذكره ان القائل ان يقول هب ان رب
وعسى ولكنه يكون كذلك في حق المطيعين الخالصين في العبادة فاجاب عنه بأن من اتى على
الكفر سمعه من سخطه تاب فاني ازيل اسمه عن ديوان المنيعين واستقر عليه بنفسه على ورحمته جميع
ذنوبه وأوصله الى درجات البرار واعلم انه تعالى لما بين ذلك قال قل هو نبي أعظم اتم عنه
معروضون وهذا النبأ العظيم يحتمل وجوها فيمكن أن يكون المراد ان القول بان الاله واحد
بأعظم ويمكن أن يقال المراد ان القول بالنبوة بأعظم ويمكن أن يقال المراد ان القول
باثبات الحشر والنشر والقيامة بأعظم وذلك لان هذه المطالب الثلاثة كانت مذكورة
في أول السورة ولاجلها انجز الكلام الى كل ما سبق ذكره ويمكن أيضا أن يكون المراد كون
اقرآن معجزا لان هذا أيضا قد تقدم ذكره في قوله كتاب ازلنا اليك مبارك ليدروا آياته
وهؤلاء الاقوام اعرضوا عنه على ما قل قل هو نبي أعظم اتم عنه معروضون وأعلم أن قوله
اتم عنه معروضون ترغيب في النظر والاستدلال ومنع من التقليد لان هذه المطالب مطالب
شريفة عالية فان تقدير أن يكون الانسان فيها على الحق يفوز بأعظم ابواب السعادة

في توجيه قصر الوحي على كونه الانذار في الاول وقصره على الانذار في الثاني فلا يساعده ويتقدير
سياق النظم الكريم وساقه كيف لا والاعتراض حينئذ يكون اجنبيا مما توسط بينهما من اجمال الاختصاص وتفصيله
فتأمل والله الرشيد وقرئ انما بالكسر على الحكاية

وقوله تعالى (اذقل ربك للملائكة) شروع في تفصيل ما أجل من الاختصاص الذي هو ما جرى يشتهم من القاول وحيث كان نكيبه تعالى اياهم بواسطة الملك صبح ٢١٧ هـ استناد الاختصاص الى الملائكة واذ يدل من اذالاولى وليس

و بتقدير أن يكون الانسان فيها على الباطل وقع في أعظم أبواب الشقاوة فكانت هذه المباحث أنباء عظيمة ومطالع عالية مهمة وصرح العقل بوجوب على الانسان أن يأتي فيها بالاحتياط التام وان لا يفتنى بالساهلة والمساهة اما قوله تعالى ما كان لي من علم بالملائكة الا على اذنيهم فاعلم انه تعالى رغب المكنة في الاحتياط في هذه المسائل الاربعة وبالغ في ذلك الترغيب من وجوه (الاول) أن كل واحد منها بأعظم والنبأ العظيم يجب الاحتياط فيه (الثاني) أن الملائكة على اختصاصهم وأحسن ما قبل فيه انه تعالى لما قال اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني أعلم ما لا تعلمون والمعنى انهم قالوا أي فائدة في خلق البشر مع انهم يشغلون بقضاء الشهوة وهو المراد من قوله من يفسد فيها وبإمضاء الغضب وهو المراد من قوله ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك فقال الله سبحانه وتعالى اني أعلم ما لا تعلمون وتقرير هذا الجواب والله أعلم أن يقال ان المخلوقات بحسب القسمة العقلية على أقسام أربعة (أحدها) الذين حصل لهم العقل والحكمة ولم تحصل لهم النفس والشهوة وهم الملائكة فقط (وثانيها) الذين حصل لهم النفس والشهوة ولم يحصل لهم العلم والحكمة وهي البهائم (وثالثها) الاشياء الخالية عن القسمين وهي الجمادات وبقى في القسم قسم رابع وهو الذي حصل فيه الامران وهو الانسان والمقصود من تخليق الانسان ليس هو الجهل والتقليد والتكبر والتمرد فان كل ذلك صفات البهائم والسباع بل المقصود من تخليقه ظهور العلم والحكمة والطاعة فقوله اني أعلم ما لا تعلمون يعني ان هذا النوع من المخلوقات وان حصلت فيه الشهوة الداعية الى الفساد والغضب الحامل له على سفك الدماء لكن حصل فيه العقل الذي يدعو الى المعرفة والمحبة والطاعة والخدمة واذ اذبت أنه تعالى انما اجاب الملائكة بهذا الجواب وجب على الانسان أن يسعى في تحصيل هذه الصفات وان يجتهد في اكتسابها وان يحترز عن طريقة الجهل والتقليد والاصرار والتكبر واذا كان كذلك فكل من وقف على كيفية هذه الواقعة صار وقوفه عليها داعيا الى الجد والاجتهاد في اكتساب المعارف الحقة والاخلاق الفاضلة زاجر له عن اضدادها ومقابلاتها فلهمذا السبب ذكر الله تعالى هذا الكلام في هذا المقام فان قيل الملائكة لا يجوز أن يقال انهم اختصوا بسبب قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فان الخاصة مع الله كفر قلنا لاشك أنه جرى هناك سؤال وجواب وذلك يشابه الخاصة والمناظرة والمشابهة على لجواز المجاز فلهمذا السبب حسن اطلاق لفظ الخاصة عليه ولما أمر الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم أن يذكر هذا الكلام على سبيل الرمز أمره أن يقول ان يوحى الى الانما أنا نذير مبين يعني انما عرفت هذه الخاصة الابالوحي وانما وحي الله الى هذه النصة لانه لم يصر هذه القصة حاصلة لكم على الاخلاص في الطاعة والاحتراز عن الجهل والتقليد * قوله تعالى (اذقل ربك

من ضرورة البدلية دخولها على نفس الاختصاص بل يكفي اشتغال ما في خبرها عليه فان القصة ناطقة بذلك تفصيلا واشرع اعوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام لتسريفة والايدان بأن وحي هذا النبأ البتريية وتأيدله عليه الصلاة والسلام والكاف واراد باعتبار حال الامر لكونه أدل على كونه وحيا من لا من عنده تعالى كافي وقوله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم الخ دون حال الامور والاقبل ربي لانه داخل في خبر الامر (اني خالق) أي فيعاساني وفيه ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على أنه تعالى فاعل له البتة من غير صارف يلو به ولا عاطف بثنية (بشرا) قبل أي جسمما كشفا يلاق و يباشر وقيل خلقا بادى البشارة بلا صوف ولا شعرا وعل ما جرى عند وقوع المحكي ليس هذا الاسم الذي لم يخلق مسماء حينئذ فضلا عن ٢٨ هـ ساء تسميته به بل عبارة كاشفة عن حاله

والتامة ختم هذا الاسم عند الكتابة (من طين) لم تعرض لوصافه من الغير والاسوداد والمستوية اكتفاء بما ذكر في مواقع آخر (فاذا سويت) أي صورته بالصورة الانسانية ٢١٨ هـ والخليفة البشرية أوسويت أجزائه منه

للملائكة اني خالق بشرا من طين فاذا سويت وتفتحت فيه من روعي فقه والله ساجدين
 فيجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس استكبر وكان من الكافرين قال يا ابليس
 ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي استكبرت أم كنت من العالين قال أنا خير منه خلقتني
 من نار وخلقته من طين قال فآخرج منها فانك رجيم وان عليك لعنتي الى يوم الدين قال
 رب فأظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المظرين الى يوم الوقت المعلوم قال فبعزتك
 لأغوينهم أجمعين الا عبداك منهم المخلصين قال فالحق والحقي أقول لا ملأن جهنم
 منك ومن قومك منهم أجمعين اعلم أن القصة ود من ذكر هذه القصة المنع من الحسد والكبر
 وذلك لان ابليس انما وقع فيما وقع فيه بسبب الحسد والكبر والكفار انما زعموا محمدا عليه
 السلام بسبب الحسد والكبر فآله تعالى ذكر هذه القصة ههنا ليصير سماعها زاجرا لهم
 عن هاتين الخصلتين المذمومتين والحاصل انه تعالى رغب المكافين في النظر والاستدلال
 ومنعهم عن الاصرار والتقليد وذكر في تقريره أمورا أربعة (أولها) انه نبأ عظيم
 فيجب الاحتياط فيه (والثاني) ان قصة سؤال الملائكة عن الحكمة في تخلق البشر يدل
 على أن الحكمة الاصلية في تخلق آدم هو المعرفة والطاعة لا الجهل والكبر (الثالث) ان
 ابليس انما خصم آدم عليه السلام لاجل الحسد والكبر فيجب على العاقل أن يحترز عنهما
 فهذا هو وجد النظم في هذه الآيات واعلم أن هذه القصة قد تقدم شرحها في سور كثيرة فلا
 فائدة في الاعادة الا ما لا بد منه وفيها مسائل (المسئلة الاولى) في قوله اني خالق بشرا من طين
 سؤالات (الاول) ان هذا النظم انما يوضح او ممكن خلق البشر من الطين كما اذا قيل انا
 متخذ سوارا من ذهب فهذا انما يستقيم لو امكن اتخاذه من الفضة (الثاني) ذكر ههنا
 انه خلق البشر من طين وفي سائر الآيات ذكر انه خلقه من سائر الاشياء كقوله تعالى في آدم
 انه خلقه من تراب وكقوله من صلصال من حمأ مسنون وكقوله خلق الانسان من عجل
 (الثالث) أن هذه الآية تدل على أنه تعالى لما أخبر الملائكة بأنه خلق بشرا من طين
 لم يقولوا شيئا وفي الآية الاخرى وهي التي قال اني جاعل في الارض خليفة بين انهم
 أوردوا السؤال والجواب فينبهنا تناقض الجواب عن الاول ان اتقدير كانه سبحانه
 وصف لهم أولان البشر شخص جامع لقوة البهيمية والسبعية والشيطنية والملكية فلما
 قال اني خالق بشرا من طين فكأنه قال ذلك الشخص المستجمع لتلك الصفات انما خلقه
 من الطين والجواب عن الثاني ان المادة البعيدة هو التراب وأقرب منه الطين وأقرب منه
 الحمأ المسنون وأقرب منه الصلصال فثبت انه لا منافاة بين الكل والجواب عن الثالث انه
 في الآية المذكورة في سورة البقرة بين لهم أنه يخلق في الارض خليفة بالآية المذكورة
 ههنا بين أن ذلك الخليفة بشر مخلوق من الطين (المسئلة الثانية) قال فاذا سويت وتفتحت
 فيه من روعي وهذا يدل على أن تخلق البشر لا يتم الا بأمرين التسوية أولا ثم نفخ الروح
 ثانيا وهذا حق لان الانسان مركب من جسد ونفس اما الجسد فانه انما يتولد من المني

بتعديل طبائعه (وتفتحت فيه من روعي) التفتيح
 اجراء الریح الى تجويف
 جسم صالح لا مساكها
 والامتلاء بها وليس ثمة
 نفخ ولا نفوخ وانما هو
 تمثيل لافاضة ما به الحياة
 بالفعل على المادة القابلة
 لها أي فاذا كملت
 استعدادها وأفضت عليه
 ما يحيا به من الروح التي
 هي من أمری (فقه والله)
 أمر من وقع وفيه دليل
 على أن الامور به ليس
 مجرد الانحاء كما قيل أي
 اسقطوا له (ساجدين)
 تحية له ونكر بما (فسجد
 الملائكة) أي فخلقهم
 فسواء فتفخ فيه الروح
 فيسجد له الملائكة (كلهم)
 بحيث ابقى منهم أحد
 الاسجد (أجمعون) أي
 بطريق المعية بحيث
 لم يتأخر في ذلك أحد
 منهم عن أحد ولا
 اختصاص لافادة هذا
 المعنى بالحالية بل يفيد
 التأكيد أيضا وقيل
 أكدنا كيدن مبالغة
 في التعظيم هذا وأما أن
 بوجودهم هذا اهل ترتب
 على ما حيى من الامر

والتي في سورة الحجر فان ظاهرهما يستدعي ترتيبه عليه من غير أن توسط بينهما شيء غير ما تفصح عنه الغاء
الفصيحة من الحلق والتسوية ونفخ الروح ﴿ ٢١٩ ﴾ أو على الامر التجيزي كما يتضح في سورة البقرة

وما في سورة الاعراف

وما في سورة بني اسرائيل

وما في سورة الكهف

وما في سورة طه من

الآيات الكريمة فقد مر

تحقيقه بتوفيق الله عز

وجل في سورة البقرة

وسورة الاعراف

(الابليس) استثناء

متصل لما كان جنسيا

مفردا مغفورا بالوف

من الملائكة موصوفا

بصفاتهم فقلوبوا عليه

ثم استثنى استثناء واحد

منهم وألان من الملائكة

جنسا يتوالدون وهو

منهم أو مقطوع وقوله

تعالى (استكبر) على

الاول استثناف مبين

لكيفية ترك السجود

المفهوم من الاستثناء

فان تركه يحتمل أن يكون

للتأمل والتقوى وبه

يتحقق أنه لا باء

والاستكبار وعلى الثاني

يجوز اتصاله بما قبله

أي لكن ابليس استكبر

(وكان من الكافرين)

أي وصار منهم بمخالفة

الامر واستكباره عن

الطاعة أو كان منهم

في علم الله عز وجل (قال

والمنى انما يتولد من دم الطمث وهو انما يتولد من الخلط الاربعه وهى انما تتولد من
الاركان الاربعه ولا بد في حصول هذه التسوية من رعاية مقدار مخصوص لكل واحد
منها ومن رعاية كيفية امتزاجها وتركباتها ومن رعاية المدة التي في مثلها حصل ذلك
المزاج الذي لاجله يحصل الاستعداد لقبول النفس الناطقة وأما النفس فاليها الاشارة
بقوله ونفخت فيه من روحي ولما أضاف الروح الى نفس دل على أنه جوهر شريف علوى
قدسى وذو شأن الحلو قال ان كل من تدل على التبويض وهذا يومهم أن لروح جزء من
أجزاء الله تعالى وهذا في غاية الفساد لان كل ماله جزء وكل فهو مركب ويمكن الوجود
لذاته ومحدث وأما كيفية نفخ الروح فاعلم أن الاقرب أن جوهر النفس عبارة عن أجسام
شفافة نورانية علوية العنصر قدسيتها الجوهر وهى تسرى في البدن سريان الضوء في الهواء
وسريان النار في الفحم فهذا التدرج معلوم أما كيفية ذلك التفخ فما لا يعلمه الا الله تعالى
(المسئلة الثالثة) الغاء في قوله فعقوله ساجدين تدل على انه كانت نفخ الروح في الجسد
توجه أمر الله عليهم بالسجود واما أن المأمور بذلك السجود ملائكة الارض أو دخل
فيه ملائكة السموات مثل جبريل وميكائيل والروح الاعظم المذكور في قوله يوم يقوم
الروح والملائكة صفاء فبه مباحث عميقة وقال بعض الصوفية الملائكة الذين أمروا
بالسجود لا آدم هم القوى النباتية والحيوانية الحسية والحركة فانه في بدن الانسان
خودا من النفس الناطقة وابليس الذى لم يسجد هو القوة الوهمية التى هى المنازعة للجوهر
العقل والكلام فيه طويل وأما بقية المسائل وهى كيفية سجود الملائكة لا آدم وان
ذلك هل يدل على كونه أفضل من الملائكة أم لا وان ابليس هل كان من الملائكة أم لا
وأنه هل كان كافرا أصليا أم لا فكل ذلك تقدم في سورة البقرة وغيرها (المسئلة الرابعة)
احتج من أثبت الأعضاء والجوارح لله تعالى بقوله تعالى ما منعك أن تسجد لما خلقت
بيدي في اثبات يدى الله تعالى بأن قالوا ظاهر الآية يدل عليه فوجب المصير البدن والآيات
الكثيرة الواردة على وفق هذه الآية فوجب القطع به واعلم أن الدلائل الدالة على نفي كونه
تعالى جسماء كبا من الاجزاء والأعضاء قد ثبتت الا أن تذكر ههنا نكتات بارقة تجري
الازمات الظاهرة (فالاول) ان من قال انه مركب من الأعضاء والاجزاء فلما ان ثبت
الأعضاء التى ورد ذكرها في القرآن ولا يزيد عليها واما أن يزيد عليها فان كان الاول لزمه
اثبات صورة لا يمكن أن يزداد عليها في التجميع لانه يلزمه اثبات وجه بحيث لا يوجد منه
الاجزاد رقة الوجه لقوله كل شيء هالك الا وجهه والوجه لا يوجد في تلك الرقة عيوننا
كثيرة لقوله تجري بأعيننا وان ثبت جنبا واحدا لقوله تعالى يا حسرتا على ما فرطت في
جنب الله وان ثبت على ذلك الجنب أيدي كثيرة لقوله تعالى مما علت أيدينا وبتمديد أن
يكون له يدان فانه يجب أن يكون كلاهما على جانب واحد لقوله صلى الله عليه وسلم الحجر
الاسود يمسح به في ارض من حيث له ساقا واحدا لقوله تعالى يوم يكشف عن ساق
يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) أى خلقه بالذات من غير توسط أب وأم والتمية لابرار كال الاعتناء

بمخلفه عليه الصلاة والسلام المستدعي لاجلاله واعظامه قصدا الى تأكيد الانكار وتشديد التوبيخ (استكبرت) بهمة الانكار وطرح همة الوصل أي أنكبرت ﴿ ٢٢٠ ﴾ من غير استحقاق (أم كنت من العالين)

المستحقين للرفق وقبل
استكبرت الآن أم أتزل
منك كنت من المستكبرين
وقرى بمخفى همة
الاستفهام ثمة ببدلالة
أم عليها وقوله تعالى
(قال أنا خير منه) ادعاء
منه شيء مستلزم لمنعه
من السجود على زعمه
واشعار بأنه لا يليق
أن يعبد الا فضل
للفضول كما يعرب عنه
قوله لم أكن لأسجد
لبشر خلقته من صلصال
من حمأ مسنون وقوله
تعالى (خلقني من نار
وخلقني من طين)
دليل لادعاء من فضله
عليه عليه الصلاة
والسلام ولقد أخطأ
الاعين حيث خص
الفضل بثمان جهة
المادة والعنصر وزل
عند ما من جهة التفاعل
فأثبتا عند قوله تعالى
لما خلقنا نبي ومامن
جهة الصورة كآية
عليه قوله تعالى ونفخت
فيه من روحي ومامن
جهة اتقية وهو سلاك
الامر وانك أمر
الملائكة بسجود عليهم

فيكون الحاصل من هذه الصورة مجرد ردة الوجه ويكون عليها عيون كشمه وجنب
واحد ويكون عليه أيد كثيرة وساق واحد ومعلوم ان هذه الصورة أقيج الصور ولو كان
هذا عبدا لم يرغب أحد في شرائه فكيف يقول العاقل ان رب العالمين موصوف بهذه
الصورة (واما القسم الثاني) وهو ان لا يقصر على الاعضاء المذكورة في القرآن بل يزيد
وينقص على وفق التأويلات فيجئني بطل مذهبه في الحمل على مجرد الظواهر ولا بد له من
قول دلائل العقل (الحجة الثانية) في ابطال قولهم انهم اذا أثبتوا الاعضاء لله تعالى فان
أثبتوا له عضو الرجل فهو رجل وان أثبتوا له عضو النساء فهو أنثى وان نفوهما فهو
خصي أو وحش وتعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا (الحجة الثالثة) انه في ذاته سبحانه
وتعالى امان ان يكون جسما صليبا لا يتغير البتة فيكون حجرا صليبا واما ان يكون قابلا
للافعال فيكون ايضا قابلا للتفرق والتفرق وتعالى الله عن ذلك (الحجة الرابعة) انه ان كان
يحيت لا يمكنه أن يتحرك عن مكانه كان كل من المقعد العاجز وان كان بحيث يمكنه أن
يتحرك عن مكانه كان محلا للغيرات فدخل تحت قوله لأحب الآفلين (الحجة الخامسة)
ان كان لا يأكل ولا يشرب ولا ينام ولا يتحرك كان كاليت وان كان يفعل هذه الاشياء
كان انسانا كثيرا التهمة محتاجا الى الاكل والشرب والوقاع وذلك باطل (الحجة السادسة)
انهم يقولون انه ينزل كل ليلة من العرش الى السماء الدنيا فيقول لهم حين نزوله هل بقي
مدبرا للعرش وبقي مدبرا للسماء الدنيا حين كان على العرش وحيد لا يبق في النزول
فائدة وان لم يبق مدبرا للعرش فمئذ نزوله يصير معزولا عن الهية العرش والسموات (الحجة
السابعة) انهم يقولون انه تعالى أعظم من العرش وان العرش بالنسبة لعظمته الى عظمة
الكبرى وعلى هذا الترتيب حتى تنهي الى السماء الدنيا فاذا كان كذلك كان السماء الدنيا
بالنسبة الى عظمة الله كالذرة بالنسبة الى البحر فلا تزل فاما ان يقال ان الاله بصير صغيرا
بحيث تسعه السماء الدنيا واما ان يقال ان السماء الدنيا تصير أعظم من العرش وكل ذلك
باطل (الحجة الثامنة) ثبت ان العالم كرة فان كان فوق بالنسبة الى قوم كان تحت بالنسبة
الى قوم آخرين وذلك باطل وان كان فوق بالنسبة الى الكل فيجئني بكون جسمه محيطا
بهذا العالم من كل الجوانب فيكون هذا العالم على هذا القول فلكا من الافلاك (الحجة
التاسعة) لما كانت الارض ككرة وكانت السموات كرات فكل ساعة تفرض من
الساعات فانها تكون ثلث النبل في حق أقوام معينين من سكان كرة العوارض فلو نزل
من العرش في ثلث النبل وجب أن يبقى أبدا نازلا عن العرش وأن لا يرجع الى العرش
البتة (الحجة العاشرة) انما تميز بقا الهية الشمس والقمر لانهما أنواع من العيوب (أولها)
كونه مؤلفا من الاجزاء والاباض (وثانيها) كونه محدودا متناهيا (وثالثها) كونه
موسوقا بالمركد والسكون والطلوع والغروب فاذا كان له المشبهة مؤلفا من الاعضاء
والاجزاء كان من كسها فاذا كان على العرش كان محدودا متناهيا وان كان ينزل من العرش

السلام حين ظهر لهم أنه أعلم منهم بما يدور عليه أمر الخلافة في الارض وأزله خواص ويرجع
ليست أغبره (قال فأتخرج منها) الغاء

لترتيب الامر على ماظهر من اللعين من المخالفة للامر الجليل وتعليقها بالا باطل أى فاخرج من الجنة أو من زمرة
الملائكة وهو المراد بالامر ﴿ ٢٢١ ﴾ بالهبوط لالهبوط من السماء كما قيل فان وسوسته لأدم عليه السلام كانت

ويرجع اليه كان موصوفا بالحركة والسكون فهذه الصفات الثلاثة ان كانت متنافية
للالهية وجب تنزيه الاله عنها بأسرها وذلك بطل قول المشبهة وان لم تكن متنافية للالهية
فحينئذ لا يتدرأ حد على الطعن في الهية الشمس والقمر (الحجة الحادية عشرة) قوله تعالى
قل هو الله أحد وافظد الاحد مبالغة في الوحدة وذلك يشافي كونه مركبا من الاجزاء
والاباض (الحجة الثانية عشرة) قوله تعالى والله العنى وأنتم الفقراء ولو كان مركبا من
الاجزاء والاباض لكان محتاجا اليها وذلك يمنع من كونه غنيا على الإطلاق ثبت بهذه
الوجوه أنا نقول بالثبات الاعضاء والاجزاء لله تعالى ولما ثبت بالدلائل القينية وجوب
تنزيه الله تعالى عن هذه الاعضاء فنقول ذكر العلماء في لفظ اليد وجوها (الاول) اريد
عبارة عن القدرة تقول العرب ما لي بهذا الامر من يد أى من قوة وطاقة قال تعالى
أو يعفوا الذى يدهم عدة الكاح (الثاني) اليد عبارة عن النعمة يقال أبدي فلان في حق
فلان ظاهرة والمراد النعم والمراد باليدين النعم الظاهرة والباطنة وأنعم الدين والدنيا
(الثالث) ان لفظ اليد قد زاد لأا كيد كقول القائل لمن جنى بالسان هذا ما كسبت
يدك وكقوله تعالى بشرا بين يدي رحمتي وقائل أن يقول حمل اليد على القدرة هي ما غير
حائز ويدل عليه وجوه (الاول) ان ظاهر الآية يقتضى اثبات اليدين فلو كانت اليد
نبارة عن القدرة لزم اثبات قدرتين لله وهو باطل (والثاني) أن الآية تقتضى أن كون
أدم مخلوقا باليدين يوجب فضيلته وكونه معجودا للملائكة فلو كانت اليد عبارة عن
القدرة لكان آدم مخلوقا بالقدرة لكن جميع الاشياء مخلوقة بقدرة الله تعالى فكما أن آدم
عليه السلام مخلوق بيد الله تعالى فكذلك ابليس مخلوق بيد الله تعالى وعلى تقدير أن
تكون اليد عبارة عن القدرة لم تكن هذه الدالة على كون آدم معجودا لابليس أولى
من أن يكون ابليس معجودا لآدم حينئذ يغلب نظم الآية ويحطل (الثالث) انه جاء في
الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال كان يديه ينى ومعلوم أن هذا لا يوصف لا يلى بالقدرة
(وأما التأويل الثاني) وهو حمل اليدين على التمجيد فهو أيضا باطل وهو (الاول) ان
نعم الله تعالى كثيرة كما قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وظاهر الآية يدل على أن اليد
لا تزيد على الاثنين (الثاني) لو كانت اليد عبارة عن النعمة فنقول النعمة مخلوقة لله تعالى
لا يكون آدم مخلوقا لله تعالى بل يكون مخلوقا لبعض المخلوقات وذلك بأن يكون سببا لمزيد
انقصان أولى من أن يكون سببا لمزيد التكمال (الثالث) لو كانت اليد عبارة عن النعمة
لكان قوله تبارك الذى بيده الملك معناه تبارك الذى بنعمته الملك وكان قوله بيدك
الخير معناه نعمتك الخير وكان قوله يده ميسوطتان معناه نعمته ميسوطتان ومعلوم
ان كل ذلك فاسد (وأما التأويل الثالث) وهو قوله ان لفظ اليد قد ذكر زيادة لاجل
التأكيد فنقول لفظ اليد قد يستعمل في حق من يكون هذا النعم ماصلا له وفي حق من
لا يكون هذا النعم ماصلا في حقه (وأما التأويل) فكقوله في حق من جنى بالسان هذا

بعد هذا الطرد وقد
بين كيفية وسوسته
في سورة البقرة وقبل
اخرج من الحلقة التي
كنت فيها وانسلخ منها
فانه كان يفخر بخلقه
فغير الله خلقته فاسود
بعد ما كان ابيض وفتح
بعد ما كان حسنا وأظلم
بعد ما كان نورانيا وقوله
تعالى (فانك رجيم)
تعليل الامر بالخروج
أى طرده من كل خير
وكرامة فان من يطرد
يرجم بالحجارة وشيطان
يرجم بالشه (وان
عليك لعنتى) أى ابعادى
عن الرحمة وتقبيدها
بالاضافة مع اطلاقها
في قوله تعالى وان عليك
العنة لما أنعته الا لعنين
من الملائكة والنفلين
أيضا من جهته تعالى
وأنهم يدعون عليه لعنة
الله تعالى وابعاده من
الرحمة (الى يوم الدين)
أى يوم الجزاء والعقوبة
وفيها ايدان بأن اللعنة
مع كل ذنبا عظم اليست
جزاء لجنايته بل هي
أنموذج لما سيلقاه مستقرا

الى ذلك اليوم لكن لا على انها تنقطع يومئذ كما يوهم ظاهر التوقيت بل على أنه سباق يومئذ من ألوان العذاب
وأفانين العقاب ما ينشئ عنه العنة وتقدر كالزائل الأرى الى قوله تعالى فاذن مؤذن عنهم أن لعنة الله على

الظالمين وقوله تعالى ويعلن بعضهم بعضا (قال رب فأظنني) أي أمهلني وأخرني والغاء متعلق بمحذوف ينسحب عليه الكلام أي إذا جعلتني رجيا فأمهلتني ولا تمنني (اليوم يومنون) ٢٢٢ ﴿ أي آدم وفرشته الجبراء بعد فناءهم

وأراد بذلك أن يجد فسحة لا غواؤهم وياخذ منهم ثأره ويخج من الموت بالكلية إذ لا موت بعد يوم البعث (قال فانك من المنظرين) ورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشئ ما سألته الآخرين على وجود يشعر بكون السائل تبعاهم في ذلك دليل واضع على أنه اخبار بالانظار المقدر لهم ان لا لا انشا الانظار خاص به فدفع اجابة ادعائه وأن استنظاره كان طلبا لتأخير الموت اذ به يتحقق كونه منهم لا لتأخير العقوبة كما قيل فان ذلك معلوم من اضافة اليوم الى الدين أي انك من جملة الذين أخرت آجالتهم ان لا جسم ما تقتضيه حكمه ان يكون (اليوم الوقت المعلوم) الذي قدره الله وعينه لغناء الخلائق وهو وقت النفقة الاول لالي وقت البعث الذي هو المسئول فالفاء ليست لربط نفس الانظار بالاستنظار بل الربط

ما كسبت يدك والسبب في هذا أن محل اقدرة هو ايد فاطلق اسم اليد على اقدرة وعلى هذا التقدير فيصير المراد من لفظ اليد اقدرة وقد تقدم ابطال هذا الوجه (وأما الثاني) فكقولهم بين يدي عذاب شديد وقوله بين يدي الساعة الأنا نقول هذا المجاز بهذا اللفظ مذكور والمجاز لا يقاس عليه ولا يكون مطردا فلا جرم لا يجوز أن يقال ان هذا المعنى انما حصل بيد العذاب وبيد الساعة ونحن نسلم أن قوله لا تنقدموا بين يدي الله ورسوله قد يجوز أن يراد به التأكيد والمصلة أما المذكور في هذه الآية ليس هذا اللفظ بل وقوله تعالى خلقت يدي وان كان القياس في المجازات بالانقطاع سطو كلامهم بالكلية فهذا منهى البحث في هذا الباب والذي تلخص عندي في هذا الباب ان السلطان العظيم لا يقدر على عمل شئ بيده الا اذا كانت غاية عنايته مصروفة الى ذلك العمل فاذا كانت العناية الشديدة من لوازم العمل لا يمكن جعله مجازا عنه عند قيام الدلائل القاطعة فهذا ما لم خصناه في هذا الباب والله أعلم أما قوله تعالى استكبرت أم كنت من العالين فالمعنى استكبرت الآن أم كنت أبدا من المتكبرين العالين فأجاب إبليس بقوله أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فالمعنى اني اوكنت مساويا له في الشرف لكن يرفع أمرى بسجودى له فكيف وأنا خير منه ثم بين كونه خيرا متدبا أصله من النار والنار أشرف من الطين فصيح أن أصله خير من أصل آدم ومن كان أصله خيرا من أصله فهو خير منه فهذه مقدمات ثلاثة (المقدمة الاولى) ان إبليس مخلوق من النار يدل عليه قوله تعالى حكايته عنه خلقتني من نار وخلقته من طين وقوله تعالى والجان خلقناه من قبل من نار السموم (المقدمة الثانية) ان النار أفضل من الطين ويدل عليه وجوه (الاول) ان الاجرام الفلكية أشرف من الاجرام العنصرية والنار أقرب العناصر من الفلك والارض أبعدا عنه فوجب كون النار أفضل من الارض (الثاني) ان النار خليفة الشمس واقمر في اضاءة هذا العالم عند غيبتهما والشمس والشمس أشرف من الارض فخليفة هما في الاضاءة أفضل من الارض (الثالث) ان الكيفية الفاعلة الاصلية اما الحرارة والبرودة والحرارة أفضل من البرودة لان الحرارة تناسب الحياة والبرودة تناسب الموت (الرابع) الارض كثيفة والنار لطيفة والاطافة أشرف من الكثافة (الخامس) النار مشرقة والارض مظلمة والنور خير من الظلمة (السادس) النار خفيفة تشبه الروح والارض ثقيلة تشبه الجسد والروح أفضل من الجسد فان النار أفضل من الارض ولذلك فان الاطباء أطبقوا على أن العنصرين الثيبين أعون على تركيب الاجساد وان العنصرين الخفيفين أعون على تولد الارواح (السابع) النار صاعدة والارض هابطة والصاعد أفضل من الهابط (الثامن) ان أول بروج الفلك هو الحمل لانه هو الذي يبدأ من نقطة الاستواء الشمالي ثم ان الحمل على طبيعة النار وأشرف أعضاء الحيوان القلب والروح وهما على طبيعة النار وأخس أعضاء الحيوان هو العظم وهو بارد يابس أرضي (التاسع) ان الاجسام الارضية كلها كانت

الاخبار المذكور به كما في قول من قال فان ترجع فانت لذاك اهل * فانه لا مكان لجعل الفاء فيه لربط * اشد * ماله تعالى من الاهلية التدبيرة للرحمة بوقوع الرحمة الحادثة بل هي لربط الاخبار بتلك الاهلية

للرحمة بوضعها هذا وقد ركب التوفيق في سورة الاعراف ٥ ركب التنداء والفاء في الاستنظار والانتظار وهو لا على
 ما ذكره هنا وفي سورة الحجر وان خطر ببالك ﴿٢٢٣﴾ أن كل واحد من وجوه النظم الكريم لابد أن يكون له مقام
 أشد من رتبة ومشاكلة بانوار كانت أشرف وكلما كانت أكثر غيرة وكثافة وكثورة ومشاكلة
 بالارض كانت أخس مثله الاجسام الشبيهة بانوار الذهب والياقوت والاحجار النضائية
 الثورية ومثاله أيضا من اشيااب الابرسيم وما يتخذ منه وامان كل ما كان أكثر أرضية
 وغبرة فهو أخس فالامر ظاهر (العاشر) ان القوة الباصرة قوة في غاية الشرف والجلالة
 ولا يتم عملها الا بالشعاع وهو جسم شبيه بانوار (الحادي عشر) ان أشرف اجسام العالم
 الجماني هو الشمس ولا شك انه شديد بالنار في صورته وطبيعته وأثره (الثاني عشر) ان
 التضييع والهضم والحياة لانهم الا بالحرارة والولا قوة الحرارة لانهم الزواج وتولد البركات
 (الثالث عشر) ان أقوى العناصر الاربع في قوة الفعل هو النار واكثرها في قوة الانفعال
 هو الارض والفعل أفضل من الانفعال فالتأثير أفضل من الارض أما القسائلون
 بتفضيل الارض على النار فذكروا أيضا وجوها (الاول) ان الارض ادين مصلح فاذا
 اودعها حبة ردتها اليك شجرة مثمرة والنار خائفة تفسد كل ما سلمته اليها (الثاني)
 ان الحس البصري اثني على النار فليستع ما يقوله الحس الملمس (الثالث) ان الارض
 مستوية على النار فانها تغطي النار وأما النار فانها لا تؤثر في الارض الخالصة (واما
 المقدمة الثالثة) فهي ان من كان أصله خيرا من أصله فهو خير منه فاعلم ان هذه المقدمة
 كاذبة جدا وذلك لان أصل الرماد النار وأصل البساتين الزهرة والاشجار الممرضة هو الطين
 ومعلوم بالضرورة ان الاشجار الممرضة خير من الرماد وأيضا فهب ان اعتبار هذه الجهة
 يوجب الفضيلة الان هذا يمكن ان يصير معارضا لهذه أخرى توجب الرجحان مثل انسان
 نسيب عارض كل الفضائل فان نسبته يوجب رجحانه الان الذي لا يكون نسبيا قد يكرن
 كثير العلم والزهدي يكون هو أفضل من ذلك النسيب بدرجات لاحداها فالقدمة الكاذبة
 في القياس الذي ذكره ابليس هو هذه المقدمة فان قال قائل هب ان ابليس أخطأ في هذا
 اقياس لكن كيف لزمه الكفر من تلك الخالفة وبيان هذا السؤال من وجوه (الاول)
 ان قوله اسجدوا أمر والامر لا يقتضي الوجوب بل التدب وتحافة التدب لا توجب
 العصيان فضلا عن الكفر وأيضا فالذين يقولون ان الامر للوجوب فهم لا ينكرون
 كونه محتملا للتدب احتمالا ظاهرا ومع قيام هذا الاحتمال الظاهر كيف يلزم العصيان فضلا
 عن الكفر (الثاني) هب انه للوجوب الان ابليس ما كان من الملائكة فأمر الملائكة
 بمجدود آدم لا يدخل فيه ابليس (الثالث) هب انه يتناول الان تخصيص العام بالتبليس
 جائز فخصص نفسه عن عموم ذلك الامر باقياس (الرابع) هب انها اسجد مع علمه بأنه
 كان مأمورا به الان هذا القدر يوجب العصيان ولا يوجب الكفر فكيف لزمه الكفر
 (والجواب) هب ان صيغة الامر لا تدل على الوجوب ولكن يجوز أن ينضم اليها من
 القرآن ما يدل على الوجوب وههنا حصلت تلك القرائن وهي قوله تعالى استكبرت أم
 كنت من العالين فلما أتى ابليس بقياسه الفاسد دل ذلك على انه انما ذكر ذلك القياس
 بالآخر أي فأقسم بعزتك (لاغوينهم أجمعين) أي ذرية آدم بقرتين المعاصي لهم (الاعبادك منهم المخلصين) وهم
 الذين أخلصهم الله تعالى اطاعته وعصمهم من الغواية وقرى المخلصين على صيغة المفاعل اي الذين أخلصوا

تعالى (قال) أتى الله عز وجل (فالحق والحق أقول) برفع الاول على أنه مبتدا محذوف الخبر وأخبر محذوف المبتدأ وانصب الثاني على أنه منقول لما بعده قدم عليه للتصرأى لأقول الاالحق وانفاد الترتيب ما بهدما على ما قبلها أى فالحق قسمي (لاملان - ههم) على أن الحق اما اسمه تعالى أو نقيض الباطل عظمه الله تعالى باقسامه أو فانا الحق أو قولي الحق وقوله تعالى لاملان جهنم الخ حينئذ جواب ثم ٢٢٤ هـ القسم محذوف أى والله لاملان

الخ وقوله تعالى والحق أقول على كل تقدير اعتراض مقرر على الوجهين الاولين لمضنون الجملة النسبية وعلى الوجه الثالث لمضنون الجملة المتقدمة أعني قولي الحق وقولنا منصوبين على أن الاول مقسم به كقولك الله لا فعلى وجوابه لاملان وما بينهما اعتراض وقربا مجرورين على أن الاول مقسم به قد أضمر حرف قسمه كقولك الله لا فعلى والحق أقول على حكاية لفظ المقسم به على تقدير كونه نقيض الباطل ومعناه التأكيد والتشديد وقرئ بجرح الاول على اضماع حرف القسم ونصب الثاني على المفعولية (منك) أى من جنسك من الشياطين (ومن تبعك) فى العوابة والضلال (منهم) من ذرية آدم (أجمعين) تأكيد للكاف وما عطف

ليتمسك به الى التدرج فى أمر الله وتكليفه وذلك بوجب التكثير * اذا عرفت هذا فقول ان ابليس لما ذكر هذا القياس الفاسد قال تعالى اخرج منها فانك رجيم واعلم انه ثبت فى اصول الفقه ان ذكر الحكم عقيب الوصف المناسب يدل على كون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف وههنا الحكم بكونه رجما ورد عقيب ما يحكى عنه انه خصص النص بالقياس فهنا يدل على أن تخصص النص بالقياس بوجب هذا الحكم وقوله منها أى من الجنة أو من السموات والرجيم المرجوم وقد قولان (الاول) انه مجاز عن الطرد لان الظاهر ان من طرد فقد رمى بالحجارة وهو الرجم فلما كان الرجم من لوازم الطرد جعل الرجم كناية عن الطرد فان قالوا الطرد هو اللعن فلو جعلنا قوله له رجيم على الطرد لكان قوله بعد ذلك وان عليك لعنتي تكرارا والجواب من وجهين (الاول) اننا نحمل الرجم على الطرد من الجنة أو من السموات ونحمل اللعن على الطرد من رحمة الله (والثاني) اننا نحمل الرجم على الطرد ونحمل قوله وان عليك لعنتي الى يوم الدين على ان ذلك الطرد يمتد الى آخر القيامة فيكون هذا قاعدة زائدة ولا يكون تكريرا (واقول الثاني) فى تفسير الرجم ان نحمله على الحقيقة وهو كون الشياطين مرجومين بالذهب والله أعلم فان قبل كلمة الى انتهاء الغاية فقولنا الى يوم الدين يقتضى انقطاع تلك اللعنة عند مجئ يوم الدين ايجاب صاحب الكشاف بأن اللعنة باقية عليه فى الدنيا فاذا جاء يوم القيامة جعل مع اللعنة أنواع من العذاب تصير اللعنة مع حضورها منسية * واعلم أن ابليس لما صار ملعونا قال فانظرنى الى يوم يبعثون قبل انما يطلب الانظار الى يوم يبعثون لاجل أن يتخلص من الموت لانه اذا انظر الى يوم البعث مات قبل يوم البعث وعند مجئ يوم البعث لا يموت أيضا فحينئذ يتخلص من الموت فقال تعالى انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم ومعناه انك من المنظرين الى يوم يعلم الله ولا يعلم أحد سواه فقال ابليس فبمرتك وهو قسم بمررة الله وسلطانه لا غو عنهم أجمعين فههنا أضاف الاغواء الى نفسه وهو على مذهب القدر وقال مرة أخرى رب بما أغويتني فأضاف الاغواء الى الله على ما هو مذهب الجبر وهذان يدل على انه متعبر فى هذه المسئلة وأما قوله الاعبادك منهم المخلصين ففقه فوائد (لغاية الاولى) قيل غرض ابليس من ذكره هذا الاستثناء أن لا يقع فى كلامه الكذب لانه لوام يذكر هذا الاستثناء وادعى انه يغوى الكل لكان يظهر كذبه حين يجرح عن اغواء عباد الله الصالحين فكان ابليس قال انما ذكرت هذا الاستثناء لئلا يقع الكذب فى هذا الكلام وعند هذا يقال ان الكذب شئ يستكف منه ابليس فكيف يلبق بالسلم الاقدام عليه فان قيل كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله وما أرسلنا من رسول الاذاعتنى أتى الشيطان فى أمثنته فلما ان ابليس لم يقل انى لم أقصد اغواء عباد الله الصالحين بل قال لا غو عنهم وهو وان كان يقصد الاغواء الا انه لا غو بهم (الفائدة الثانية) هذه الآية تدل على أن ابليس لا ينوى عباد الله المخلصين وقال تعالى فى صفة يوسف انه من عبادنا المخلصين فتحصل من مجموع هاتين

عليه أى لاملانهم من المتبعين والاتباع أجمعين كقوله تعالى ان تبك منهم لاملان جهنم منكم أجمعين (الآيتين) وهذا القول هو المراد بقوله تعالى ولكن حق القول منى لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وحيث كان مناط الحكم ههنا اتباع الشيطان اتضح أن مدار عدم المشيئة فى قوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هدايا اتباع الكفرة للشيطان بسوء اختيارهم لا بتحقيق القول فليس فى ذلك شائبة الجبر قد تدبر

لئلا ما أسألكم عليه) على القرآن وأعلى تبليغ ما يوحى إلى (من أجرا دنيوي وروحي) حتى أتتكم النبوة وأقول القرآن (أن هو) أي ماهو (الاذكر) من الله عز وجل (للعالمين) أي للعالمين كافة (ولتعلن نبأه) أي ما أنبأ به من الوعد والوعيد وغيرهما وصحة خبره وأنه الحق والصدق (بعد حين) بعد الموت أو يوم القيامة أو عند ظهور الإسلام وفشوه وقبل من بقي علم ذلك * ٢٢٥ * إذا ظهر أمره وعلا ومن مات علمه بعد الموت وفيه من

التهديد ما لا يخفى * عن

رسول الله صلى الله

عليه وسلم من قرأ سورة

ص كان له يومئذ كل

جبل سخره الله لا دوز

عشر حسنة وعصم أن

يصر على ذنب صغير

أو كبير وقال أبو أمامة

عصمه الله تعالى من كل

ذنب صغير أو كبير والله

أعلم * (سورة الزمر مكية

الاوله) قل لعبادي الآيات

وآيهم ساجد وسبعون

أو ثمان وسبعون * (بسم الله الرحمن

الرحيم) * (تنزيل

الكتاب) خبر لمبتدا

مخدوف هو اسم إشارة

أشير به إلى السورة تنزيلا

لها من زمانها الحاضر

المشار إليه لكونها على

شرف الذكر والحضور

كأمر مرارا وقد قيل هو

ضمير عائذ إلى الذكر في

قوله تعالى إن هو الا ذكر

للعالمين وقوله تعالى (من

الله العزيز الحكيم)

صلة للتنزيل أو خبر ثان

أو حال من التنزيل

أو حال من التنزيل

أو حال من التنزيل

أو حال من التنزيل

أو حال من التنزيل

أو حال من التنزيل

أو حال من التنزيل

أو حال من التنزيل

أو حال من التنزيل

الآيتين إن ابليس ما أغوى يوسف عليه السلام وذلك يدل على كذب الحشوية فيما ينسبون إلى يوسف عليه السلام من القبايح واعلم أن ابليس لما ذكر هذا الكلام قال لله تعالى فالحق والحق أقول لا ملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأ أعاصم وحجرة فالحق بالرفع والحق بالنصب والباقيون بالنصب فيهما أما الرفع فتقديره فالحق قسمي وإما النصب فلهي القسم أي فبالحق كذلك والله لا فطن وأما قوله والحق أقول انتصب قوله والحق بقوله أقول (المسئلة الثانية) قوله منك أي من جنسك وهم الشياطين ومن تبعك منهم من ذرية آدم فان قيل قوله أجمعين تأكيديا إذا قلنا يحتمل أن يؤكده الضمير في منهم أو الكاف في منك مع من تبعك ومعناه لا ملأن جهنم من المشركين والتابعين لأنك منهم أحدا (المسئلة الثالثة) أخرج الصحابيات هذه الآية في مسألة أن الكل بقضاء الله من وجوه (الاول) أنه تعالى قال في حق ابليس أخرج منها فأنك رجيء وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين فهذا أخبار من الله تعالى بأنه لا يؤمن قلوبا آمن لتقلب خبر الله الصدق كذبا وهو محال فكان صدور الإيمان منه محالا مع أنه أمر به (والثاني) أنه قال فبترك لا غوى بينهم أجمعين فالحق تعالى علم أنه لا يغويهم وسمع منه هذه الدعوى وكان قادرا على منع ذلك والقادر على المنع إذا لم يمنع كان راضيا به فان قالوا بعل ذلك المنع ففسد قلنا هذا قول فاسد لأن ذلك المنع يخص ابليس عن الضلال ويخلص بني آدم عن الضلال وهذا عين المصلحة (الثالث) أنه تعالى أخبر أنه يملأ جهنم من الذمرة فاولم يكفر والزمن الكذب والجهل في حق الله تعالى (الرابع) أنه لو أراد أن لا يكفر الكافر لوجب أن يسقي الأنبياء والمسلمين وإن عبت ابليس والشياطين وحيث قلب الأمر قلنا أنه فاسد (الخامس) أن تكليف أولئك الكفار بالإيمان يقتضي تكليفهم بالإيمان بهذه الآيات التي هي دالة على أنهم لا يؤمنون البتة وحيث يلزم أن يصبروا مكلفين بأن يؤمنوا بأنهم لا يؤمنون البتة وذلك تكليف بما لا يطاق والله أعلم * قوله تعالى (قل ما أسألكم عليه من أجر هذه الدعوة أجرا وما لا ومن الظاهر أن الكذاب لا يقطع طمعه عن طلب المال البتة وكان من الظاهر أنه صلى الله عليه وسلم كان بعيدا عن الدنيا عديم الرغبة فيها وأما كيفية الدعوة فقال وما أنا من المتكلمين والمفسرون ذكروا قبيح وجوها والذي يغلب على الظن أن المراد أن هذا الذي ادعوك إليه ليس يحتاج في معرفته صحة إلى التكلمات الكثيرة بل هو دين يشهد صريح العقل بصحته فإني أدعوك إلى الإقرار بوجود الله وألأم أدعوك نانيا

أومن الكتاب الذي هو * ٢٩ * سا مفعول معني عاملها المضاعف وقيل هو

أوفي بمقتضى المقام الذي هو بيان أن السورة أو القرآن تنزيل الكا

تعالى لا من غيره كما يفيد الوجه الأخير وقرئ تنزيل الكتاب بالنصب على اختيار فعل نحو اقرأ أو أزم

والعرض لوصفي العزة والحكمة الايدان بظهور اثره في كتابي بمران احكامه ونفاذا وامرة ونواهيته من غير مدافهم ولا ممانع وبإثباته جبين ما فيه على أساس الحكم الباهرة وقوله تعالى (انا انزلنا اليك الكتاب بالحق) شروع في بيان شأن المنزل اليه وما يجب عليه اثر بيان شأن المنزل وكونه من عند الله تعالى والمراد بالكتاب هو القرآن واطهاره على تقدير كونه والمراد بالاول ايضا العظمية ومن زيد الاعتناء ٢٢٦ ببناءه والباء امامتة بالانزال أي بسبب الحق

وايثباته واطهاره أو بداعية الحق واقضاءه للانزال واما بمخدوف هو حال من تون العظمة أو من الكتاب أي انزلناه اليك مخفين في ذلك أو انزلناه ملتبسا بالحق والصواب أي كل ما فيه حق لا ريب فيه موجب للعمل به جماعا والغاية قوله تعالى (فاحمد الله مخلصا له الدين) لترتيب الامر بالعبادة على انزال الكتاب اليه عليه الصلاة والسلام بالحق أي فاحمد الله تعالى معوضا له الدين من شوائب الشرك والرياء حسبا بين في تضاعيف ما أنزل اليك وقرئ

الى تنزيهه وتقديسه عن كل ما يلبق به يقوى ذلك قوله ليس كمثل شئ وامثاله ثم ادعوك ثانيا الى الاقرار بكونه موصوفا بكمال العلم والقدرة والحكمة والرحمة ثم ادعوك رابعا الى الاقرار بكونه منزها عن الشرك والاضداد ثم ادعوك خامسا الى الامتناع عن عبادة هذه الاوثان التي هي جادات خسيسة ولا منفعة في عبادتها ولا مضرة في الاعراض عنها ثم ادعوك سادسا الى تعظيم الارواح الطاهرة المقدسة وهم الملائكة والانباء ثم ادعوك سابعا الى الاقرار بالبعث والقيامة ليجري الذين أساؤا باعمالهم ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى ثم ادعوك ثامنا الى الاعراض عن الدنيا والاقبال على الآخرة فهذه الاصول الثمانية هي الاصول القوية المعتبرة في دين الله تعالى ودين محمد صلى الله عليه وسلم وبداية العقول وأوائل الافكار شاهد بهذه الاصول الثمانية ثبت أني لست من المتكافئين في الشريعة التي ادعوا لخلق البهائم كل عقل سليم وطبع مستقيم فانه يشهد بصحتها وجلالتها وبعدها عن الباطل والفساد وهو المراد من قوله ان هو الاذكر للعالمين ولما بين هذه المقدمات قال ولتعلن نباه بعد حين والمعنى انكم ان أصرتم على الجهل والتقليد وأبستم قبول هذه البيانات التي ذكرناها فستعلمون بعد حين انكم كنتم مصيبين في هذا الاعراض أو مخطين وذکر مثل هذه الكلمة بعد تلك البيانات المتقدمة مما لا من بعد عليه في الخوف والترهب والله أعلم قال المصنف رحمة الله عليه ثم تفسر هذه السورة يوم الخميس في آخر الثلاثاء الثاني من شهر ربيع القعدة سنة ثلاث وستمئة والحمد لله على آلائه ونعمائه والصلاة على المطهرين من عبادته في أرضه وسماحه والمدح والشاء كايلى بصفاته وأسمائه والتعظيم التام لانياته وأوليائه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين

(سورة الزمر سبعون وخمس آيات مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم انا انزلنا اليك الكتاب بالحق فاحمد الله مخلصا له الدين الله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا لقر بونا الى الله زانق ان الله يحكم فيهم فيما هم فيه يختلفون ان الله لا يهدي من هو ككاذب كفار لو اراد الله أن يخذلنا للاصطفي مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار اعلم ان في الآية مسائل (المسئلة الاولى) ذكر الفراء والزجاج في رفع تنزيل وجهين (أحدهما) أن يكون قوله تنزيل مبتدا وقوله من الله العزيز الحكيم خبر (الثاني) أن يكون التقدير هذا تنزيل الكتاب فيضمر المبتدا كقوله سورة أنزلناها أي هذه سورة قال بعضهم الوجه الاول أولى اوجوه (الاول) أن الاضمار خلاف الاصل فلا يصار اليه الا ضرورة ولا ضرورة ههنا (الثاني) انا اذا قلنا تنزيل الكتاب من الله جملة تامة من المبتدا والخبر

يرفع الدين على أنه مبتدا خبره الظرف المقدم عليه لنا كبد الاختصاص المستفاد من اللام والجملة استئناف وقع تعليلا للامر باخلاص العبادة وقوله تعالى (الله الدين الخالص) استئناف مقرر لما قبله من الامر باخلاص الدين له تعالى ووجوب الامتثال به وعلى القراءة الاخيرة

مؤكدا لاختصاص الدين به تعالى أي ألهو الذي يجب أن يخص باخلاص انطاعة له لأنه المفرد بصفات افاد الالهية التي من جعلها الاطلاع على السر وأثره وقوله تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء) تحقيق لحقيقة ما ذكر من اخلاص الدين الذي هو عبارة عن التوحيد ببيان بطلان الشرك الذي هو عبارة عن ترك اخلاصه والموصول

عبارة عن المشركين ومحلّه الرفع على الابتداء خبره ماسياتي من الجملة المصدرية بأن والأولياء عن الملائكة وعيسى عليهم السلام والاصنام وقوله تعالى (ما نعبدكم الا ليقربونا الى الله زلفى) حال يتقدرا القول من واولئخذ وامينة لكيفية اشراكهم وعدم خلوص دينهم والاستثناء مفرغ من اعم العاقل وزاني مصدره وكذا على غير لفظ المصدر ملاقيه في المعنى أى والذين لم يخلصوا العبادة لله تعالى بل شاؤوا بها نحو ٢٢٧ عبادا غير فائدين ما نعبدكم لشي من الاشياء الا ليقربونا الى

الله تعالى تقريرا (ان الله

يحكم بينهم) أى وبين

خصماتهم الذين هم

المخلصون للدين وقد

حذف لدلالة الحال عليه

كفى وقوله تعالى لا تفرق

بين أحد من رسله على

أحد الوجهين أى بين

أحدهم وبين غيره

وعليه قول النابتة * غا

كان بين الخير لوجها سائلا

* أبو حجر الابلال فلائ

أى بين الخير وبينى وقيل

ضمير بينهم للفرقيين

جميعا (فيما هم فيه

يختلفون) من الدين

الذى اختلفوا فيه بالتوحيد

والاشراك وادعى كل

فرق منهم صحة ما اتبعه

وحكمه تعالى في ذلك

ادخال الموحدين الجنة

والمشركين النار الضمير

للفريقين هذا هو الذى

يستعيد مساقى النظم

الكرام وأما تصوير

أن يكون الموصول عبارة

عن المعبودين على حذف

العائد اليه واضمار

المشركين من غير ذكر

تعو بلا على دلالة المساق

أفاد فائدة شريفة وهى ان تنزيل الكتاب يكون من الله لا من غيره وهذا الحصر معنى معتبرا ما اذا أضمرنا المبتدأ لم تحصل هذه الفائدة (الثالث) اذا أضمرنا المبتدأ صار التقدير هذا تنزيل الكتاب من الله وحينئذ يلزمنا مجاز آخر لان هذا اشارة الى السورة والسورة ليست نفس التنزيل بل السورة منزلة فحينئذ يحتاج الى أن نقول المراد من المصدر المفعول وهو مجاز تحمضه لا ضرورة (المسئلة الثانية) (القانون بخلاف القرآن اجنحوا بان قالوا انه تعالى وصف القرآن بكونه تنزيلا ومنزلا وهذا الوصف لا يليق الا بالحدث المخلق والجواب اننا نحمل هذه اللفظة على الصنيع والحرى (المسئلة الثالثة) الآيات الكثيرة تدل على وصف القرآن بكونه تنزيلا وآيات آخر تدل على كونه منزلا (أما الاول) فقوله تعالى انه تنزيل رب العالمين وقال تنزيل من حكيم حميد وقال حم تنزيل من الرحمن الرحيم (وأما الثانى) فقوله لانحن نزلنا الذكر وقال وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وأنت تعلم أن كونه منزلا أقرب الى الحقيقة من كونه تنزيلا فكونه منزلا مجاز أيضا لانه ان كان المراد من القرآن الصفة القائمة بذات الله فهو لا يقبل الانفصال والنزول وان كان المراد منه الحروف والاصوات فهى أعراض لا تنقل الانتقال والنزول بل المراد من النزول نزول الملك الذى بلغها الى الرسول صلى الله عليه وسلم (المسئلة الرابعة) قالت المعتزلة العزير هو القادر الذى لا يغلب فهذا اللفظ يدل على كونه تعالى قادرا على ما لا نهاية له والحكيم هو الذى يفعل لداعية الحكمة للداعية الشهوة وهذا انما يتم اذا ثبت انه تعالى عالم بجميع المعلومات وانه غنى عن جميع الحاجات اذا ثبت هذا فنقول كونه تعالى عزيزا حكيم يدل على هذه الصفات الثلاثة العلم بجميع المعلومات والقدرة على كل الممكنات والاستغناء عن كل الحاجات فن كان كذلك امتنع أن يفعل الفسح وأن يحكم بالقيح واذا كان كذلك فكل ما يفعله يكون حكمة وصوابا اذا ثبت هذا فنقول الانتفاع بالقرآن توقف على أصلين (أحدهما) أن يعلم ان القرآن كلام الله والدليل عليه انه ثبت بالعجز كون الرسول صادقا وثبت بالتواتر انه كان يقول القرآن كلام الله فيحصل من مجموع هاتين المقدمتين ان القرآن كلام الله (والاصل الثانى) ان الله أراد بهذه الالفاظ المعانى التى هى موضوعة لها ما بحسب اللغة أو بحسب القرينة العرفية أو الشرعية لانه لو لم يرد بها ذلك لكان ذلك تلبسا وذلك لا يليق بالحكيم فثبت بما ذكرنا ان الانتفاع بالقرآن لا يحصل الا بعد تسليم هذين الاصلين وثبت أنه لا سبيل الى اثبات هذين الاصلين الا بالاثبات كونه تعالى حكيمًا وثبت أنه لا سبيل الى اثبات كونه حكيمًا الا بالثناء على كونه تعالى عن يرافقه هذا السبب قال تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم أما قوله تعالى انما أنزلنا اليك الكتاب بالحق ففيه سؤالان (السؤال الاول) لفظ التنزيل يشعر بأنه تعالى أنزله عليه نجتما نجتما على سبيل التدرج ولفظ الانزال يشعر بأنه تعالى أنزله عليه دفعة واحدة فكيف يجمع بينهما والجواب بان صح الفرق بين التنزيل

عليهم ويكون التقدير والذين اتخذهم المشركون أولياء فائدين ما نعبدكم الا ليقربونا الى الله ان الله يحكم بينهم أى بين العبد والمعبودين فيما هم فيه يختلفون حيث يرجو العبد شفاعتهم وهم يلعنونهم فبعد الاغضاء عما فيه من العسفات بعزل من السداد كيف لا وليس فيما ذكر من طلب الشفاعاة واللحن مادة يختلف فيها الفرقان اخلافا

محوها الى الحكم والفصل وانما ذلك ما بين فرقي الموحدين والمشركين في الدين من الاختلاف في الدين الباقي الى يوم
القيامة وقرى قالوا ما نعبدهم فهو بذل من الصلة لا خبر للموصول كما قيل اذا ليس في الاخبار بذلك من يذهب به وقرى
ما نعبدهم الا لثقتهم بونا حكاية لما خاطبوا به آلهتهم وقرى نعبدهم اتباعا لآباء (ان الله لا يهدي) أى لا يوفق للاهتداء الى الحق
الذى هو طريق النجاة عن المكروه والنفع بالمطلوب (من هو كاذب) كقار) أى راسخ في الكذب مبالغ

و بين الاثرال من الوجه الذى ذكرتم فطريق الجمع أن يقال المعنى اننا حكمنا حكمنا كليا بجزء ما
بأن يوصل اليك هذا الكتاب وهذا هو الاثرال ثم أوصلناه نجما نجما اليك على وفق
المصالح وهذا هو التنزيل (السؤال الثاني) ما المراد من قوله اننا نزلنا اليك الكتاب بالحق
والجواب فيه وجهان (الاول) المراد أنزلنا الكتاب اليك ملتبسا بالحق والصدق
والصواب على معنى كل ما أوعدناه فيه من اثبات التوحيد والنسوة والمساد وأنواع
التكاليف فهو حق وصدق يجب العمل به والمصير اليه (الثاني) أن يكون المراد اننا نزلنا
اليك الكتاب بناء على دليل حق دل على أن الكتاب نازل من عند الله وذلك الدليل هو ان
الفصحى عجزوا عن معارضته ولولم يكن معجزا لم يجزوا عن معارضته ثم قال فاعبد الله
مخلصه الدين وفيه مسائل (المسئلة الاولى) انه تعالى لما بين في قوله اننا نزلنا اليك الكتاب
بالحق ان هذا الكتاب مشتمل على الحق والصدق والصواب أرفق هنا به من ما فيه من
الحق والصدق وهو أن يشتغل الانسان بعبادة الله تعالى على سبيل الاخلاص وتبرا
عن عبادة غير الله تعالى بالكليّة فأما اشتغاله بعبادة الله تعالى على سبيل الاخلاص فهو
المراد من قوله تعالى فاعبد الله مخلصا واما برأته من عبادة غير الله تعالى فهو المراد بقوله
ألا لله الدين الخالص لان قوله ألا لله ينفذ الحصر ومعنى الحصر أن ثبت الحكم في
الذكر كور وينتفى عن غير المذكور واعلم أن العبادة مع الاخلاص لا تعرف حقيقة
الاذا عرفنا أن العبادة ماهى وان الاخلاص ماهو وان الوجوه المتنافية للاخلاص ماهى
فهذه أمور ثلاثة لا بد من البحث عنها (أما العبادة) فهى فعل أو قول أو ترك فعل أو ترك
قول يوثق به لمجرد اعتقاد أن الامر به عظيم يجب قبوله (وأما الاخلاص) فهو ان يكون
الداعى الى الاتيان بذلك الفعل أو الترك مجرد هذا الانتقياد والامثال فان حصل منه
داع آخر فاما أن يكون جانب الداعى الى الطاعة راجعا على الجانب الآخر أو معادله
أو مرجوحا أو ماعلى ان المعادل والمرجوح ساقط وأما اذا كان الداعى الى طاعة الله
راجعا على الجانب الآخر فقد اختلفوا في انه هل يفيد أم لا وقد ذكرنا هذه المسئلة مرارا
ولفظ القرآن يدل على وجوب الاتيان به على سبيل الخلوص لان قوله فاعبد الله مخلصا
صريح في أنه يجب الاتيان بالعبادة على سبيل الخلوص وتأ كدهذا بقوله تعالى وما
أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وأما بيان الوجوه المتنافية للاخلاص فهى الوجوه
الداعية للشريك وهى اقسام (أحدها) أن يكون للربا والسمة فيه مدخل (وثانيها)
أن يكون مقصوده من الاتيان بالطاعة الفوز بالجنة والخلص من النار (وثالثها)
أن يأتى بها أو يعتقد أنها تأثيرا في إيجاب الثواب أو دفع العقاب (ورابعها) وهوان
يخلص تلك الطاعات عن الكبار حتى تصير مقبولة وهذا القول انما يعتبر على قول المعتزلة
(المسئلة الثانية) من الناس من قال فاعبد الله مخلصه الدين المراد منه شهادة ان لا اله
الا الله واحتجوا بما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا اله الا الله حصنى ومن دخل

في الكفر كما عرّب عنه
قراءة كذاب وكذوب
فانهما بافادان للصيرة
غير قابلين للاهتداء
لتغيرهما الفطرة الاصلية
بالتمرن في الضلالة
والتمادي في الغي والجملة
تعليل لما ذكر من حكمه
تعالى (لو أراد الله أن
يتخذ ولدا) الخ استئناف
مستوفى لتحقيق الحق
وابطال القول بأن
الملائكة بنات الله وعيسى
ابنه تعالى عن ذلك
علوا كبيرا ببيان استحالة
اتخاذ الولد في حقه تعالى
على الاطلاق ليندرج
فيه استحالة ما قبل
اندرجا أوليا أى
لو أراد الله أن يتخذ ولدا
(لاصطنى) أى لا يتخذ
(مما خلق) أى من جملة
ما خلقه أو من جنس ما
يخلق (ما يشاء) ان يتخذه
اذ لا موجود سواء الا هو
مخلوق له تعالى لا متنازع
تعدد الواجب ووجوب
استناد جميع ما عده اليه
ومن البين أن اتخاذ الولد

منوط بالمثالة بين المتخذ والمتخذ وأن المخلوق لا يماثل خالقه حتى يمكن اخذ ذم ولد اذا فرضناه من اتخاذ ولد لم يكن
اتخاذ ولد بل اصطفا عبد واية أشرف حيث وضع الاصطفا موضع اتخاذ الذى تقضيه الشرطية تنبها على استحالة
مقدمها لاستلزام فرض وقوعه بل فرض ارادة وقوعه انتفاء أى لو أراد الله تعالى أن يتخذ ولدا لفعل شيأ ليس هو من
اتخاذ الولد في شيأ أصلا بل انما

هو اصطفا عبد ولا رب في ان ما يستلزم فرض وقوعه انتفاءه فهو متعق قلعاً فكانه قيل اواراد الله ان يخضع ولدا لا متع ولم يصح لكن لا على أن الامتناع منوط بتحقيق الارادة بل على أنه متحقق عند عدمه بطريق الاولى على منوال ولم يخف القلم بعصه وقوله تعالى (سبحانه) نقر بلاما كرم استخالة اتخاذ الولد في حقه تعالى وان كيداً ببيان تنزهه تعالى عنه أي تنزه الذات عن ذلك تنزهه في ٢٢٩ الخالص به على ان السبحان مصدر من سبح اذا بعد أو أسبحه تسبحاً لا تقا به على أنه

حصني أمن من عذابي وهذا قول من يقول لا تضر المعصية مع الايمان كالاستغفار الطاعة مع الكفر وأما الأكثرين فقالوا الآية متناولة لكل ما كلف الله به من الاوامر والنواهي وهذا هو الاولى لان قوله فاعبد الله عام وروى ان امرأه الفرزدق لمسا قرب وفاتها وصت أن يصلي الحسن البصري عليها فلما صلى عليها ودنت قال الفرزدق يا أبا فراس ما الذي أعددت لهذا الامر قال شهادة أن لا اله الا الله فقال الحسن رضي الله عنه هذا العمود فأين الطنب فين بهذا اللفظ الوجيز ان عود الخيمة لا يتدفع به الامم الطنب حتى يمكن الانتفاع بالخيمة قال القاضي فأما ما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ وأبي الدرداء وان زني وان سرق على رغم أنف أبي الدرداء فان صح فانه يجب أن يتحمل عليه بشرط التوبة والا لم يجز قبول هذا الخبر لانه مخالف للقرآن ولانه يوجب أن لا يكون الانسان من جورا عن الزنا والسرقه وان لا يكون متعبدا بفعلهما الا منع مشددة شهوته للقبیح يعلم أنه لا يضره مع مسكه بالشهادتين فكان ذلك اغراء بالقبيح والكل يتأني حكمة الله تعالى ولا يلزم أن يقال ذلك فاقول بأنه يزول ضرره بالتوبة يوجب أيضا اغراء بالقبيح لانا نقول ان من اعتقد أن ضرره يزول بالتوبة فقد اعتقد أن فعل القبيح مضره الا انه يزول ذلك الضرر بفعل التوبة بخلاف قول من يقول ان فعل القبيح لا يضر مع التمسك بالشهادتين هذا عام كلام القاضي فيقال له أما قولك ان القول بالمغفرة مخالف للقرآن فليس كذلك بل القرآن يدل عليه قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال وان ربك ذو معرفة للناس على ظاههم أي حال ظاههم كما يقال رأيت الامير على أكله وشربه أي حال كونه اكلًا وشربًا واو قال يا عبادي الذين أسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا وأما قوله ان ذلك يوجب اغراء بالقبيح فيقال له ان كان الامر كذلك وجب أن يغفر غفرانه عقلا وهذا مذهب البغداديين من المعتزلة وأنت لا تقول به لان مذهب البصريين أن عذاب المذنب جائز عقلا وايضا يلزم عليه أن لا يحصل الغفران بالتوبة لانه اذا علم أنه اذا أذنب ثم تاب غفر الله له لم ينجروا أما الفرق الذي ذكره القاضي فيعبد الله اذا علم أنه اذا أذنب ثم تاب غفر الله له لم ينجروا أما ذلك المذنب البتة ثم نقول مذهبنا اننا نقطع بحصول الغفر عن الكبائر في الجملة فأما في حق كل واحد من الناس فذلك مشكوك فيه لانه تعالى قال ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فقطع بحصول المغفرة في الجملة الا أنه سبحانه وتعالى لم يقطع بحصول هذا الغفران في حق كل أحد بل في حق من شاء واذا كان الامر كذلك كان الخوف حاصلًا فلا يكون الاغراء حاصلًا والله أعلم (المسئلة الثالثة) قال صاحب الكشف قري الدين بالرغم ثم قال وحق من رفعه أن يقر انحطاطا بفتح اللام قوله تعالى وأخلصوا دينهم لله حتى يطابق قوله لا اله الا الدين الخالص والخالص واحد الا أنه وصف الدين بصفة صاحبه على الاسناد المجازي كقولهم شعر شاعر واعلم انه تعالى لما بين ان رأس العبادات ورئيسها الاخلاص

تسبحاً لا تقا به على أنه علم للتسبيح وقوله تعالى (هو الله الواحد القهار) استئناف مبين لتنزهه تعالى بحسب الصفات اثنان تنزهه تعالى عنه بحسب الذات فان صفة الاول هي المستتعبة لساير صفات الكمال الثانية لسمات التفصيص والوحدة الذاتية الموجبة لامتناع المماثلة والمشاركة بينه تعالى وبين غيره على الاطلاق مما يقتضي تنزهه تعالى عما قالوا قضاءه متناوذا ووصف القهار بقا أن اتخاذ الولد شأن من يكون تحت ملكوت الغير عرصة للقضاء يقوم ولده مقامه عند فناءه ومن هو مستحيل القضاء قهار لكل الكائنات كيف يصور أن يتخذ من الاشياء القانية ما يقوم مقامه وقوله تعالى (خلق السموات والارض بالحق) تفصيل لبعض أقواله تعالى الدال على

تفرده بما ذكر من الصفات الجليلة أي خلقهما وما بينهما من الموجودات ملتبسة بالحق والصواب مشتملة على الحكم والمصالح وقوله تعالى (يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) بيان لكيفية تصرفه تعالى فنيها بعد بيان خلقهما فان حدوث الليل والنهار في الارض منوط بتحرك السموات أي بغشي كل واحد منهما الآخر كأنه

يلفقه عليه لف الباس على الالباس أو يغيبه به كايغيب الملقوف باللقافة أو يجعله كار عليه كروا متابعات تابع اكوار العامة وصيغة المضارع للدلالة على التجدد (وسخر الشمس والقمر) جعلها متتابعين لأمره تعالى وقوله تعالى (كل يجري لأجل مسمى) بيان الكيفية تسخيرهما أى كل منهما يجري لنتهى دورته أو متقطع حركته وقد مر تفصيله غير مرة (الأهو العزيز) القلب القادر على كل شيء من الأشياء التي من جنسها عقاب **ع** ٢٣٠ **ع** العنصرة (العنار) المبالغ في المغفرة

ولذلك لا يعاجل بالعتوبة
وسلب ما في هذه الصنائع
البدنية من آثار الرحمة
وتصدير الجملة بحرف
التنبيه لاظهار كمال
الاعتناء بمضمونها
(خلقكم من نفس واحدة)
بيان لبعض آخر من
أفعاله الدالة على ما ذكر
وترك عطفه على خلق
السموات للآذان
بإستقلاله في الدلالة
ولعلاقة بالعلم السفلى
والبداء بتخلق الإنسان
لعراقته في الدلالة لما فيه
من تعجب آثار القدرة
وأسرار الحكمة وأوصالته
في المعرفة فان الإنسان
يحال نفسه أعرف والمراد
بالنفس نفس آدم عليه
السلام وقوله (ثم جعل
منها زوجها) عطف
على محذوف هو صفة
لنفس أى من نفس
خلقها ثم جعل منها
زوجها أو على معنى واحدة
أى من نفس وحدث ثم
جعل منها زوجها
فشفعها أو على خلقكم
لتفاوت ما بينهما في

في التوحيد أردفه بدم طرفة المشركين فقال والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم
الا ليقربونا إلى الله زلفى وتقدير الكلام والذين اتخذوا من دونه أولياء يقولون ما نعبدهم
الا ليقربونا إلى الله زلفى وعلى هذا التقدير فغير والذين محذوف وهو قوله يقولون واعلم
ان الضمير في قوله ما نعبدهم الا ليقربونا إلى الله زلفى عائد على الأشياء التي عبدت من دون
الله وهي قسمان العنلاء وغير العنلاء أما العنلاء فهو أن قوما عبدوا المسيح وعزرا
والملائكة وكثير من الناس يعبدون الشمس والقمر والنجوم ويعتقدون فيها أنها أحياء
عاقلة ناطقة وأما الأشياء التي عبدت مع أنها ليست موصوفة بالحياة والعقل فهي الاصنام
إذا عرفت هذا فنقول الكلام الذي ذكره الكفار لاثني بأعلاء أمابغير العنلاء فلا يليق
وبينه من وجهين (الاول) ان الضمير في قوله ما نعبدهم ضمير للعنلاء فلا يليق بالاصنام
(الثاني) أنه لا يعبدان يعتقد أولئك الكفار في المسيح والعزير والملائكة أن يشفعوا لهم
عند الله أما بعد من العاقل أن يعتقد في الاصنام والجمادات أنها تقربه إلى الله وعلى
هذا التقدير فمرادهم أن عبادتهم لها تقربهم إلى الله ويمكن أن يقال ان العاقل لا يعبد
الصنم من حيث انه خشب أو حجر وإنما يعبدونه لاعتقادهم انها تماثيل الكواكب
أو تماثيل الأرواح السماوية أو تماثيل الأنبياء والصالحين الذين مضوا ويكون
مقصودهم من عبادتها توجيه تلك العبادات إلى تلك الأشياء التي جعلوا هذه التماثيل
صورا لها وحاصل الكلام لعباد الاصنام أن قالوا ان الله الاعظم أجل من أن يعبد
البشر لكن اللاتي بالبشر أن يشتغلوا بعبادة الأصاكر من عباداته مثل الكواكب
ومثل الأرواح السماوية ثم انها تشتغل بعبادة الاله الاكبر فهذا هو المراد من قولهم
ما نعبدهم الا ليقربونا إلى الله زلفى واعلم أن الله تعالى لما حكى مذاهبهم أوجب عنهما من
وجوه (الاول) انه اقتصر في الجواب على مجرد التهديد فقال ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه
يختلفون واعلم أن الرجل المبطل اذا ذكر مذبا بطلا ولا كان مصرا عليه فاطر يق في
علاجه أن يحال بحيلة توجب زوال ذلك الاصرار عن قلبه فاذا زال الاصرار عن قلبه
فبعد ذلك يسمعه الدليل الدال على بطلانه فيكون هذا الطريق أفضى إلى المقصود
والاطباء يقولون لابد من تقديم المنضخ على سقى المسهل فان تناول المنضخ تصير المواد
الفاسدة رخوة قابلة للزوال فاذا سقىته المسهل بعد ذلك حصل النفاذ فكذا هذهنا
اسماع التهديد والتخويف ولا يجري مجرى سقى المنضخ ولا وسماع الدليل ثانياً يجري
مجرى سقى المسهل ثانياً فهذا هو الفائدة في تقديم هذا التهديد ثم قال تعالى ان الله لا يهدي
من هو كاذب كفار والمراد أن من أصر على الكذب والكفر بقى مخروما عن الهداية
والمراد بهذا الكذب وصفهم لهذه الاصنام بأذهال آلهة مستحقة للعبادة مع علمهم بأنها
جمادات خسيسة وهم يخونها وتصرفوا فيها والعلم الضروري حاصل بأن وصف هذه
الأشياء بالالهية كذب محض وأما الكفر فيحتمل أن يكون المراد منه الكفر بالراجح إلى

الدلالة فانهما وان كانتا آيتين دالين على ما ذكر لكن الأولى لاستمرارها صارت معتادة وأما الثانية **ع** الاعتقاد **ع**
فحيث لم تكن معتادة خارجة عن قياس الأولى كما يشعر به التعبير عنها بالاجل دون الخلق كانت أدخل في كونها آية وأجلب
للتعجب من السامع فطفت على الأولى ثم دلالة على مباينتها لها فضلاً ومنزلة وترأخها عنها فيما

يرجع الى زيادة كونها آية فهو من التواخي في الحال والمغزاة وقيل اخرج ذرية ادم من ظهره كالذر ثم خلق منه حواء ففية ثلاث آيات معتبرة على خلق آدم عليه السلام بلا أب وام وخلق حواء من قصيره ثم تشعب الخلق الفئات المحصر منها وقوله تعالى (وأنزل لكم) بيان لبعض آخر من أفعاله الدالة على ما ذكر أي قضى أو اقسم لكم فان قضانا وقسمه توصف بالنزول من السماء حيث تكتب في اللوح المحفوظ ﴿ ٢٣١ ﴾ أو أحدث لكم سباب نازلة من السماء كالأماطار وأشمة

الكواكب (من الانعام ثمانية أزواج) ذكر أو أنثى هي الأبل والبقر والضأن والاعن وقيل خلقهن في الجنة ثم أنزلها وتقديم الطرفين على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بما قدم والتشويق الى ما أخر فان كون الانزال

لنفعهم وكونه من الجبهة العالية من الامور المهمة المشوقة الى ما أنزل لاجلها وقوله تعالى (تخلفكم في بطون أمهاتكم) استئناف مسوق لبيان كيفية خلقهم وأطوارهم المختلفة الدالة على القدرة الباهرة وصيغة المضارع للدلالة على التدرج والتجديد وقوله تعالى (خلقنا من بعد خلق)

مصدر مؤكداي تخلفكم فيها خلقا كأنهم بعد خلق أي خلقا مدرجا حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد موضع مختلفة من بعد موضع غير مختلفة

الاعتقاد والامر ههنا كذلك فان وصفهم لها بالالهية كذب واعتقادهم فيها بالالهية جهل وكفرو محتمل أن يكون المراد كفران النعمة والسبب فيه أن العبادة نهائية التعظيم ونهاية التعظيم لا تليق الا بمن يصدر عنه غاية الانعام وذلك المنعم هو الله سبحانه وتعالى وهذه الاوثان لا تدخلها في ذلك الانعام فلا تشغل بعبادة هذه الاوثان يوجب كفران نعمة المنعم الحق ثم قال تعالى لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار والمراد من هذا الكلام اقامة الدلائل الشاهرة على كونه مزيها عن الولد وبيانه من وجوه (الاول) أنه لو اتخذ ولدا لما رضى الابأ لكل الاولاد وهو الاين فكيف نسبتم اليه البنت (الثاني) أنه سبحانه واحد حقيقي والواحد الحقيقي يمنع أن يكون له ولد أمانة واحدة حقيقي فلانه لو كان مركبا لاحتاج الى كل واحد من أجزائه وجزؤه غيره فكان محتاج الى غيره والمحتاج الى الغير يمكن لذاته والممكن لذاته لا يكون واجب الوجود لذاته وأما أن الواحد لا يكون له ولد فلو جوه (الاول) أن الولد عبارة عن جزء من أجزا الشيء ينفصل عنه ثم يحصل له صورة مساوية لصورة الولد وهذا انما يعقل في الشيء الذي ينفصل منه جزء والفرد المطلق لا يقال ذلك فيه (الثاني) شرط الولد أن يكون مماثلا في تمام الماهية للوالد فنكون حقيقة ذلك الشيء حقيقة نوعية محمولة على شخصين وذلك محال لان تعيين كل واحد منهما ان كان من لوازم تلك الماهية لزم أن لا يحصل من تلك الماهية الا الشخص الواحد وان لم يكن ذلك التعيين من لوازم تلك الماهية كان ذلك التعيين معلوما بسبب منفصل فلا يكون الها واجب الوجود لذاته ثبت أن كونه الها واجب الوجود لذاته يوجب كونه واحدا في حقيقته وكونه واحدا في حقيقته يمنع من ثبوت الوالد له ثبت أن كونه واحدا يمنع من ثبوت الولد (الثالث) أن الولد لا يحصل الا من الزوج والزوجة وان كان لا بد وأن يكونا من جنس واحد فلو كان له ولدا كان واحد بل كانت زوجته من جنسه وأما ان كونه فها را يمنع من ثبوت الولد فلان المحتاج الى الولد هو الذي يموت فيحتاج الى ولد يقوم مقامه فاحتاج الى الولد هو الذي يكون مقهورا بالوت أما الذي يكون قاهرا ولا يقهره غيره كان الولد في حقيقته لا ثبت ان قوله هو الله الواحد القهار الفاظ مشتقة على دلائل قاطعة في ان الولد عن الله تعالى ﴿ قوله تعالى ﴾ خلق السموات والارض بالحق يكور القابل على النهار ويكور النهار على الليل وسبحنا الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى أهوا المعنيز الغفار خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منهن أزواجه وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج تخلفكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فاني تصرفون ان تكفرو فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تسبكروا برضه لكم ولاتزواجه وزرا أخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون انه عليم بذات الصدور اعلم ان الآية لا مقدمة دلت على انه تعالى بين كونه مزيها

من بعد خلقه من بعد نطفة (في ظلمات ثلاث) متعلق بخلقكم وهي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة أو ظلمة الصلب والبطن والرحم (ذلكم) اشارة الى تعالى باعتبار أفعاله المذكورة وما قبله من معنى البعد الايذان ببعد ميزته تعالى في العظمة والكبرياء ومحوه الرفع على الابتداء أي ذلكم العظيم الشأن الذي عدت أفعاله (الله) وقوله تعالى (ربكم)

خبر اخر اى من يكف فيما ذكر من الاطوار وفيما بعد ما لاكم المستحق تخصيص العبادته (له الملك) على الاطلاق في الدنيا والاخرة ليس غيره شركة في ذلك بوجه من الوجوه والجملة خبر آخر وكذا قوله تعالى (لا اله الا هو) والقائه في قوله تعالى (فاني تصرفون) لترتيب ما بعدها على ما ذكر من شؤنه تعالى اى فكيف تصرفون عن عبادته تعالى مع وفور موجباتها ودواعيها وانفناء الصارف عنها ﴿ ٢٣٢ ﴾ بالكلية الى عبادة غيره من غير داع

اليها مع كثرة الصارف عنها (ان تكفروا) به تعالى بعد مشاهدة ما ذكر من ذنوب نعمائه ومعرفة شؤنه العظيمة الموجبة للايمان والشكر (فان الله غنى عنكم) اى فاعلموا انه تعالى غنى عن ايمانكم وشكركم غير متأثر من انشغالهما (ولا يرضى لعباده الكفر) اى عدم رضاه بكفر عباده لاجل منفعتهم ودفع مضرتهم رحمة عليهم لا لتضرره تعالى به (وان تشكروا يرضه لاكم) اى يرض الشكر لاجلكم ومنفعتكم لانه سبب لنوركم بعبادة الدارين لا لا تشغافه تعالى به وانما قيل لعباده لاكم لتعميم الحكم وتعليله بكونهم عباده تعالى وقرى باسكان الهاء (ولا تزر وازرة وزر اخرى) بيان لعدم سرية كفر الكافر الى غيره أصلاً اى لا تحتمل نفس حاصلة للوزر جعل نفس اخرى

عن الولد بكونه الها واحداً وقهاراً غالباً اى كامل القدرة فلما بين ذلك المسئلة على هذه الاصول ذكر عقيبها ما يدل على كمال القدرة وعلى كمال الاستغناء وأيضاً فانه تعالى طعن في الهية الاصنام وذكر عقيبها الصفات التي باعتبارها تحصل الالهية واعلم اننا بينا في مواضع من هذا الكتاب ان الدلائل التي ذكرها الله تعالى في اثبات الهية اما أن تكون فلكية أو عنصرية أو ما الفلكية فاقسام (أحدها) خلق السموات والارض وهذا المعنى يدل على وجود الاله القادر من وجوه كثيرة شرحناها في تفسير قوله تعالى الحمد لله الذي خلق السموات والارض (والثاني) اختلاف أحوال الليل والنهار وهو المراد ههنا من قوله يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وذلك لان النور والظلمة عسكرة مهيان عظمتان وفي كل يوم يغلب هذا ذاك تارة وذلك هذا أخرى وذلك يدل على ان كل واحد منهما مغلوب ومهزوم ولا يد من غالب فاهل لها ما يكونان تحت تدبيره وقهره وهو الله سبحانه وتعالى والمراد من هذا التذكير انه يزيد في كل واحد منهما بقدر ما ينقص عن الآخر والمراد من تكوير الليل والنهار ما ورد في الحديث نعوذ بالله من الحور بعد الكور اى من الادبار بعد الاقبال واعلم انه سبحانه وتعالى عبر عن هذا المعنى بقوله يكور الليل على النهار بقوله يغشى الليل والنهار وبقوله يولج الليل في النهار وبقوله وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر (والثالث) اعتبار أحوال الكواكب لاسيما الشمس والقمر فان الشمس سلطان النهار والقمر سلطان الليل وأكثر مصالح هذا العالم من بوطه بهما وقوله كل يجري لاجل مسمى الاجل المسمى يوم القيامة لا يزلان تجريان الى هذا اليوم فاذا كان يوم القيامة ذهباً ونظيره قوله تعالى وجمع الشمس والقمر والمراد من هذا التسخير ان هذه الافلاك تدور كدور المجنون على حد واحد الى يوم القيامة وعنده تطوى السماء كطوى السجل للكتاب ولما ذكر الله هذه الانواع الثلاثة من الدلائل الفلكية قال لا هو العزى الغفار والمعنى ان خلق هذه الاجرام العظيمة وان دل على كونه عزى اى كمال القدرة لانه غفار عظيم رحمة والفضل والاحسان فانه لما كان الاخبار عن كونه عظيم القدرة يوجب الخوف والرهبة فكونه غفاراً يوجب كثرة الرحمة وكثرة الرحمة توجب الرجاء والرغبة ثم انه تعالى أتبع ذكر الدلائل الفلكية بذكر الدلائل المأخوذة من هذا العالم الاسفل فبدأ بذكر الانسان فقال خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجهما ودلالة تكون الانسان على الاله المخارق سبق بيانها مراراً كثيرة فان قيل كيف جازان يقول خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجهما والزوج مخلوق قبل خلقهم أجابوا عنه من وجوه (الاول) ان كلمة ثم كما ينبغي لبيان كون احدي الواقعتين متأخرة عن الاخرى فكذلك ينبغي لبيان تأخر أحد الكلامين عن الآخر كقول القائل بلغنى ما صنعت اليوم ثم ما صنعت أمس اعجب ويقول أيضاً قد أعطيتك اليوم شيئاً ثم الذى أعطيتك أمس اكبر (الثاني) ان يكون التقدير خلقكم من نفس خلقت وحدها ثم جعل منها

(ثم الى ربكم مرجعكم بالبعث بعد الموت) فبينتكم) عند ذلك (بما كنتم تعملون) اى كنتم زوجهما ﴿ ٢٣٣ ﴾ تعملونه في الدنيا من اعمال الكفر والايمان اى يجاز بكم بذلك ثواباً وعقاباً (انه علم بذات الصدور) اى بضمير القلوب فكيف بالاعمال الظاهرة وهو تعليل للتنبؤ

(واذا مس الانسان ضر) من مرض وغيره (دعاه به منياليه) راجعا اليه مما كان يدعو في حاله الرضا اعلم بأنه يقول من القدرة على كشف ضرره وهذا وصف الجنس بحال ﴿ ٢٣٣ ﴾ بعض أفراده كقوله تعالى ان الانسان اظلم كقار (ثم

اذا خوله نعمة منه) أى اعطاه نعمة عظيمة من جنابه تعالى من التحول وهو التعهد أى جملة خائل مال من قولهم ولان خائل مال اذا كان منه هذله حسن القيام به أو من الخول وهو الافتقار أى جملة يخول أى يتخلل ويتفرق (نسى ما كان يدعو اليه) أى نسي الضرر الذى كان يدعو الله تعالى فيما سبق الى كشفه (من قبل) أى من قبل التخويل أو نسي ربه الذى كان يدعو به يتضرع اليه اما بناء على أن ما معنى من كفى قوله تعالى وما خلق الذكر والانثى وقوله تعالى ولا أنتم عابدون ما عبدوا وما أنا بدينان نسيانه بلغ الى حيث لا يعرف مدعوه ما هو فضلا عن أن يعرفه من هو كما مر في قوله تعالى عما أُرْسِيت ليضل الله أناداً) (وجعل الله أناداً) شركاء في العبادة (ليضل) الناس بذلك (عن سبيله) الذى هو التوحيد وقرئ ليضل بفتح الياء أى

زوجها) (الثالث) أخرج الله تعالى ذر بذآدم من ظهره كالذر ثم خلق بعد ذلك حواء واعلم انه تعالى لما ذكر الاستدلال بخلق الانسان على وجود الصانع ذكر عقيقه الاستدلال بوجود الحيوان عليه فقال وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج وهى الابل والبقر والضأن والمعز وقد بينا كيفية دلالة هذه الحيوانات على وجود الصانع في قوله والانعام خلقها لكم فيها داف وفي تفسير قوله تعالى وأنزل لكم وجوه (الاول) ان قضاء الله وتقديره وحكمه موصوف بالزول من السماء لاجل انه كتب في الاوح المحفوظ لكل كائن يكون (الانى) ان شيئا من الحيوان لا يعيش الا بالنبات والنبات لا يقوم الا بالماء والتراب والماء ينزل من السماء وفصار التقدير كانه أنزلها (الثالث) انه تعالى خلقها في الجنة ثم أنزلها الى الارض وقوله ثمانية أزواج أى ذكر وأنثى من الابل والبقر والضأن والمعز والزوج اسم لكل واحد منهما آخرها اذا انفرد فهو فرد منه قال تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى ثم قال تعالى يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق وفيه ايجاث (الاول) فأحره يكسر الالف والميم والكسائي بكسر الهمزة وفتح الميم والياقون أمهاتكم بضم الالف وفتح الميم (الثاني) انه تعالى لما ذكر تخليق الناس من شخص واحد وهو آدم عليه السلام أردفه بخلق الانعام وانما خصها بالذكر لانها أشرف الحيوانات بعد الانسان ثم ذكر عقيب ذكرهما حالة مشتركة بين الانسان وبين الانعام وهى كونها مخلوقة في بطون أمهاتهم وقوله خلقا من بعد خلق المراد منه ما ذكره الله تعالى في قوله ولقد خلقنا الانسان من سلاة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظما فأكسونا العظام لحاثم أنشأناه خلقا آخر فبارك الله أحسن الخالقين وقوله في ظلمات ثلاث قبل الظلمات الثلاث البطن والرحم والمشيمة وقبل الصلب والرحم والبطن ووجه الاستدلال بهذه الحالات قد ذكرناه في قوله هو الذى يصور كفى الارحام كيف يشاء واعلم انه تعالى لما شرح هذه الدلائل ووصفها قال ذلكم الله بكم أى ذلكم الشئ الذى عرفتم عجائب أفعاله هو الله بكم وفى هذه الآية دلالة على كونه سبحانه وتعالى مزها عن الاجزاء والاعضاء وعلى كونه مزها عن الجسمية والمكانية وذلك أنه تعالى عندما أراد أن يعرف عباده ذاته المخصوصة لم يذكر الا كونه فاعلا لهذه الاشياء ولو كان جسما امر كبا من الاعضاء لكان تعريفه بتلك الاجزاء والاعضاء تعريفا للشئ بأجزائه حقيقة وأما تعريفه بأحواله وافعاله وآثاره فذلك تعريفه بأمور خارجة عن ذاته والتعريف الاول أكمل من الثانى ولو كان ذلك القسم ممكنا لكان الأكفء بهذا القسم الثانى تفصيلا ونقصانا وذلك غير جائز فلعنا ان الاكفء بهذا القسم انما حسن لان القسم الاول محال متمم الوجود وذلك يدل على كونه سبحانه وتعالى متعاليا عن الجسمية والاعضاء والاجزاء ثم قال تعالى وهذا يفيد الحصر أى له الملك لا غيره ولما ثبت انه لملك الا له وجب القول بأنه لاله الا هو لانه لو ثبت اله آخر فذلك اله اما أن يكون له الملك أو لا يكون

يزاد ضلا لا أو ثبت عليه والا ﴿ ٣٠ ﴾ سا فاصل الضلال غير متأخر عن الجمل المذكور واللام لام العاقبة كفى قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا

خلا أن هذا أقرب إلى الحقيقة لأن الجاعل ههنا قاصد يجعله المذكور حقيقة الاضلال والضلال وإن لم يعرف لجهله
أنهما اضلال وضلال وأمال فرعون فهم غير قاصدين ﴿٢٣٤﴾ بانقطاعهم العداوة أصلا (قل) تهديد ذلك

الضلال والمضل وبياناً
لجلاله ومآله (تمتع بكفرك
قليلاً) أى تمتعاً قليلاً
أورزنا قليلاً (انك من
أصحاب النار) أى من
ملازميها والعذبين فيها
على الدوام وهو تعليل
لقلة التمتع وفيه من الاقناظ
من التجاسة ما لا يخفى
كأنه قيل اذ قد آيت
قبول ما أمرت به من
الايان والطاعة فمن
حقك أن تؤمر بتركه
لندوق عقوبته (أمن
هو قانت آتاء الليل) الخ
من تمام الكلام المأمور به
وأمّا منصلة قد حذف
معاد لها ثقة بدلالة مساق
الكلام عليه كأنه قيل له
تأكيد التمهيد وتذكيره
أنت أحسن حالاً وما لا
أم من هو قائم بواجب
الطاعات ودائم على
أداء وظائف العبادات
في ساعات الليل حاتئ
السراء والضراء لا عند
فساس الضر فقط
كسداً بك حال كونه
(ساجداً وقائماً) أى
جامعاً بين الوصفين
المحمودين وتقديم
السجود على القيام
لكونه أدخل في معنى العبادة وقرى كلاهما بالرفع على أنه خبر بعد خبر (يخذاً الآخرة) حال أخرى ﴿سلطان﴾
على الترادف أو التداخل أو استئناف وفهم جواباً عما نشأ

لكنه أدخل في معنى العبادة وقرى كلاهما بالرفع على أنه خبر بعد خبر (يخذاً الآخرة) حال أخرى ﴿سلطان﴾
على الترادف أو التداخل أو استئناف وفهم جواباً عما نشأ

من حكاية حاله من القنوت والمجود والقيام كأنه قيل ما ياله يفعل ذلك قبل يحذر عذاب الآخرة (و يرجو رحمة به) فيجوز بذلك ما يحذره ويفوز بما يرجوه * ٢٣٥ * كإني عنه العرض لعنوان ال بوبية المنبئة عن التبليغ الى

الكمال مع الاضافة الى ضمير الراجي لانه يحذر ضر الدنيا ويرجو خيرا فقط وامانة قطعة وما فيها من الاضراب للانتقال من التهديد الى التثبيت بتكليف الجسواب الملقى الى الاعتراف بما يدينهم من التائبين الذين كأنه قيل بل أمن هو فانت الخ أفضل أم من هو كافر مثلك كاهو المعنى على قراءة التخفيف (قل) يا نالحق وتنبها على شرف العلم والعمل (هل يستوى الذين يعلمون) حقائق الاحوال فيعملون بموجب علمهم كالفات المسذكور (والذين لا يعلمون) أى ما ذكر أوشيا فيعملون بمقتضى جهلهم وضلالهم كدأبك والاستفهام للتنبية على ان كون الاولين فى اعلى معارج الخير وكون الآخرين فى اقصى مدارج الشر من الظهور بحيث لا يكاد يخفى على أحد من منصف ومكابر وقيل هو وارد على سبيل

سلطان فعلى هذا التقدير قوله ولا يرضى لعباده الكفر أى ولا يرضى للمؤمنين الكفر وذلك لا يضرنا (الثاني) اننا نقول الكفر بإرادة الله تعالى ولا نقول انه يرضى الله لان الرضا عبارة عن المدح عليه والثناء بفعله قال الله تعالى لقد رضى الله عن المؤمنين أى بمدحهم ويثنى عليهم (الثالث) كان الشيخ الواو الدعياء الذين غر رحه الله يقول الرضا عبارة عن ترك اللوم والاعتراض وليس عبارة عن الإرادة والدليل عليه قول ابن ذر يد

رضيت قسرا وعلى القسر رضا * من كان ذا سخط على صرف القضا

أثبت الرضا مع التسر وذلك يدل على ما قلناه (الرابع) هب ان الرضا هو الإرادة الا ان قوله ولا يرضى لعباده الكفر عام فخص بصد بالآيات الدالة على انه تعالى يري بد الكفر من الكافر كقوله تعالى وما تشاؤون الا أن يشاء الله والله أعلم ثم قال تعالى وان تشكروا يرضه لكم والمراد انه لما بين انه لا يرضى الكفر بين أنه يرضى الشكر وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اختلف القراء فى هاء يرضه على ثلاثة أوجه (أحدها) قرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة بنهم الهاء مختلصة غير مشبعة (وثانيها) قرأ أبو عمرو وحمزة فى بعض الروايات يرضه ساكنة الهاء للتخفيف (وثالثها) قرأ نافع فى بعض الروايات وابن كثير وابن عامر والكسائي مضعومة الهاء مشبعة قال الواحدي رحمه الله من القراء من أشبع الهاء حتى ألحق بها واو الان ما قبل الهاء تحرك فصار بمنزلة ضربه وله فكما ان هذا مشبع عند الجميع كذلك يرضه ومنهم من خرك الهاء ولم يلحق الواو لان الاصل يرضاه والالف المحذوفة للجزم ليس يلزم حذفها فكانت كالباقية ومع بقاء الالف لا يجوز اثبات الواو فكذا ههنا (المسئلة الثانية) الشكر حالة مركبة من قول واعتقاد وعمل (أما القول) فهو الاقرار بحصول النعمة (وأما الاعتقاد) فهو اعتقاد صدور النعمة من ذلك النعم ثم قال تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى قال الجبائي هذا يدل على انه تعالى لا يعذب أحدا على فعل غيره فلو فعل الله كفرهم لما جاز أن يعذبهم عليه وأيضا لا يجوز أن يعذب الاولاد بذنوب الآباء بخلاف ما يقول القوم واحتج بعضهم أنكر وجوب ضرب البدية على العاقل هذه الآية ثم قال تعالى ثم الى ربكم مرجعكم واعلم اننا ذكرنا كثيرا ان أهم المطالب للانسان أن يعرف خالقه بقدر الامكان وان يعرف ما يشره وما يتفعله فى هذه الحياة الدنيوية وان يعرف احواله بعد الموت فى هذه الآية ذكر الدلائل الكثيرة من العالم الاعلى والعالم الاسفل على كمال قدرة المصانع وعلمه وحكمته ثم أجاب بان أمره بالشكر ونهاه عن الكفر ثم بين احواله بعد الموت بقوله ثم الى ربكم مرجعكم وفيه مسائل (المسئلة الاولى) المشبهة تمسكوا بلفظ الى على ان الله العالم فى جهة وقد أجبنا عنه مرارا (المسئلة الثانية) زعم القوم ان هذه ارواح كانت موجودة قبل الاجساد وتمسكوا بلفظ الرجوع الموجود فى هذه الآية وفى سائر الآيات (المسئلة الثالثة) دلت هذه الآية على اثبات البعث والقيامة ثم قال فينبذكم بما كنتم تعملون وهذا تهديد للعاصي وبشارة

التشبيه أى كالأستوى العاقلون والجاهلون لا يستون القانتون والعاصون وقوله تعالى (انما يذكر أولوالباب) كلام مستقل غير داخل

في الكلام المأمورية وأرد من جهته تعالى بعد الأمر بما ذكر من القوارح الزاجرة عن الكفر والمعاصي إبان عدم تأثيرها في قلوب الكفرة لاختلال عقولهم كافي قول من قال ﴿ ٢٣٦ ﴾ * عوجوا فحجروا النعمى دمنة الدار * ماذا تحبون

من نوى وإخبار أى
انما يحفظ بهذه البيانات
الواضحة أصحاب
العقول الخالصة عن
شوائب الخلال وهؤلاء
يبرز من ذلك وقرئ
انما يذكر بالادغام (قل
يا عبادى الذين آمنوا
اتقوا ربكم) أمر رسول الله
صلى الله عليه وسلم
بتذكير المؤمنين وحملهم
على التقوى والطاعة
الترخيص التذكير
بأولى الآيات اذ انما بهم
هم كما صرح به أى
قل لهم قول هذا بينه
وفيه تشرى بفهمهم
بأخصا فهم الى ضمير
الجلالة ومن يدعاه
بشأن المأمورية فان
نقل عين أمر الله أدخل
في إيجاب الأمثال به
وقوله تعالى (للذين
أحسنوا) تعليل للأمر
أول وجوب الأمثال به
وإيراد الاحسان في حيز
الصلة دون القوى
للإيدان بأنه من باب
الاحسان وانهم
متلازمان وكذا الصبر
مرفى قوله تعالى ان الله مع
الذين اتقوا والذين هم

للأعظم وقوله تعالى انه عليم بذات الصدور كالملة لما سبق يعنى انه انما يمكنه أن ينشكم
بأعمالكم لانه عالم بجميع المعلومات فيعلم ما فى قلوبكم من الدواعى والصوارف وقال
صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى أفعالكم ولكن ينظر الى قلوبكم
واعلموا انكم * قوله تعالى (واذا مس الانسان ضرعا به منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه
نسى ما كان يدعو اليه من قبل وجعل لله أندادا بفضل عن سبيله قل مع بكفرك قليلا انك
من أصحاب النار ارم من هو قانت آناه الليل ساجدا وناحيا تحذرا لآخره ويرجو رحمة ربه
قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولو الالباب) واعلم ان الله
تعالى لما بين فساد القول بالشرك وبين أن الله تعالى هو الذى يجب أن يعبد بين في هذه
الآية أن طريقة هؤلاء الكفار الذين يعبدون الاصنام متناقضة وذلك لانهم اذا قسمهم
نوع من أنواع الضرب يرجعوا في طلب دفعه الى الله تعالى عند حصول الضرر لانه هو القادر
الى عبادة الاصنام ومعلوم أنهم انما يرجعوا الى الله تعالى عند حصول الضرر لانه هو القادر
على ابطال الخلق ودفع الضرر واذا عرفوا ان الامر كذلك في بعض الاحوال كان الواجب
عليهم أن يعترفوا به في كل الاحوال فثبت ان طريقهم في هذا الباب متناقضة اما قوله
تعالى واذا مس الانسان قفيل المراد بالانسان أقوام معينون مثل عبدة بن ربيعة وغيره
وقيل المراد به الكافر الذى تقدم ذكره لان الكلام يخرج على معهود تقدم وأما قوله ضر
فيدخل فيه جميع المنكره سواء كان في جسمه أو في ماله أو أهله أو ولده لان اللفظ مطلق فلا
معنى للتقييد ودعا به أى استجار بربه وناداه ولم يؤمل في كشف الضرر سواء فلذلك قال
منيبا اليه أى راجعا اليه وحده في ازالة ذلك الضرر لان الانابة هى الرجوع ثم اذا خوله
نعمة منه أى أعطاه قال صاحب الكشف وفي حقيقته وجهان (أحدهما) جعله خائلا
مال من قولهم هو خائل مال وخال مال اذا كان متعهدا بحسن القيام به ومنه ما روى عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يخول أصحابه بالوعضة (والثاني) جعله يخول من
خال يخول اذا اختال واقتصر وفي المعنى قالت العرب * ان الغنى طويل الذيل مباس *
ثم قال تعالى نسي ما كان يدعو اليه من قبل أى نسي ربه الذى كان يتضرع اليه ويتهل اليه
وما معنى من كقوله تعالى وما خلق الذكر والانشى وقوله تعالى ولا أنتم عابدون ما أعبد وقوله
تعالى فانكحموا مطاب لكم من النساء وقبل نسي الضرر الذى كان يدعو اليه الى كشفه
والمراد من قوله نسي أى ترك دعاءه كأنه لم يفرع الى ربه ولو اراد به التسبب الحقيق لما دعه
عليه ويحتمل أن يكون المراد انه نسي أن لا يفرع وأن لا اله سواه فعاد الى اتخاذ الشرك كما
مع الله ثم قال تعالى وجعل لله أندادا بفضل عن سبيله وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأ
ابن كثير وأبو عمرو لبطل بفتح الياء والباقون لبطل بضم الياء على معنى لبطل غيره
(المسئلة الثانية) المراد انه تعالى يعجب العقلاء من متناقضتهم عندها تين الحالتين فعند
الضرر يعتقدون أنه لا مفرع الى ما سواه وعند النعمة يعودون الى اتخاذ آلهة معه

يحسنون وفي قوله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين وقوله تعالى (في هذه الدنيا) * ومعلوم *
متعلق بأحسنوا أى عملوا الاعمال الجسنة في هذه الدنيا على

وجبة الاخلاص وهو الذي عبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سئل عن الاحسان بقوله عليه السلام ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه براك (حسنه) ٢٢٧ أي حسنة عظيمة لا يكتسبها غيره الا وهي الجنة وقيل هو متعلق

بعبادة الله تعالى انه تعالى اذا كان انما يفرغ اليه في حال الضر لاجل انه هو القادر على الخير والشر وهذا المعنى باق في حال الراحة والفرغ كان في تقرير حالهم في هذين الوقتين ما يوجب المناقضة وقلة العقل (المسئلة الثالثة) معنى قوله ليضل عن سبيله انه لا يقتصر في ذلك على أن يضل نفسه بل يدعو غيره اما به لعله أو قوله الى أن يشارك في ذلك فغير ادائها على الله واللام في قوله ليضل لام العاقبة كدوله فالتقطه كل فرعون ليكون لهم عدوا وخزنا ذكرا لله تعالى عنهم هذا الفعل المتناقض هدهم فقال قل تمتع بكم فرك قليلا وليس المراد منه الامر بل الجزر وأن يعرفه فله تمتعه في الدنيا ثم يكون مصيره الى النار ولما شرح الله تعالى صفات المشركين والضالين ثم تسكهم بغير الله تعالى أردف به شرح احوال المتقين الذين لا يرجعون لهم الا الى الله ولا يعتمدونهم الا على فضل الله فقال آمن هو فانت آمن آتاه الدليل ساجدا قائما وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأ نافع وابن كثير وجزءه أن يحتفقه الميم والباقيون بالتشديد اما التحفيف ففيه وجهان (الاول) أن الالف الف الاستفهام داخلة على من والجواب محذوف على تقدير كن ليس كذلك وقبل كاذبي جعل لله أندادا فاكنتي بما سبق ذكره (والثاني) أن يكون ألف نداء كأنه قيل يا من هو فانت أنت من أهل الجنة وأما التشديد فقال القراء الاصل أم من فادغمت الميم في الميم وعلى هذا القول هي أم التي في قولك أزيد افضل أم عرو (المسئلة الثانية) القانت القائم بما يجب عليه من الطاعة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم افضل الصلاة القنوت وهو القيام فيها ومنه القنوت في الصبح لانه يدعو قائما عن ابن عمر رضي الله عنه انه قال لأعلم القنوت الاقراء القرآن وطول القيام وتلا من هو فانت وعن ابن عباس القنوت طاعة الله لقوله كل له فانتون أي مطيعون وعن قتادة آتاه الليل ساعات الليل أوله ووسطه وآخره وفي هذه اللفظة تنبيه على فصل قيام الليل وأنه أخرج من قيام النهار يؤكده وجوده (الاول) ان عبادة الليل استعرت العيون فتكون ابعاد عن الرياء (الثاني) ان الفضلة تمتع من الابصار ونوم الخلق يمنع من السماع فاذا انصارت القلوب فارغوا عن الاشتغال بالاحوال الخارجية عاد الى المطلوب الأصلي وهو معرفة الله وخدمته (الثالث) ان الليل وقت النوم فتركه يكون أشق فيكون الثواب أكثر (ازاييم) قوله تعالى ان ناشئة الليل هي أشد وطرا وأقوم قبلا وقوله ساجدا حال وقرئ ساجد وقام على أنه خبر والموار للجمع بين الصفتين واعلم ان هذه الآية والذلي اسرار بحجية قائلها انه بدأ فيها بذكر العمل وختم فيها بذكر السلام اما العمل فيكون قائما ساجدا قائما وأما العلم فتدبره هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وهذا يدل على ان كمال الانسان في هذين المقصودين قائم هو البداية والعلم والمكاشفة هو النهاية (القائدة الثانية) انه تعالى يريد على ان الانتفاع بعمل الله يحصل اذا كان الانسان مواظبا عليه فان القنوت عبادة عن كون الرجل قائما بما يجب عليه من الطاعات وذلك يدل على ان العمل انما يبدأ اذا واطب عليه الانسان وقوله ساجدا وقائما

بعبادة الله تعالى انه تعالى اذا كان انما يفرغ اليه في حال الضر لاجل انه هو القادر على الخير والشر وهذا المعنى باق في حال الراحة والفرغ كان في تقرير حالهم في هذين الوقتين ما يوجب المناقضة وقلة العقل (المسئلة الثالثة) معنى قوله ليضل عن سبيله انه لا يقتصر في ذلك على أن يضل نفسه بل يدعو غيره اما به لعله أو قوله الى أن يشارك في ذلك فغير ادائها على الله واللام في قوله ليضل لام العاقبة كدوله فالتقطه كل فرعون ليكون لهم عدوا وخزنا ذكرا لله تعالى عنهم هذا الفعل المتناقض هدهم فقال قل تمتع بكم فرك قليلا وليس المراد منه الامر بل الجزر وأن يعرفه فله تمتعه في الدنيا ثم يكون مصيره الى النار ولما شرح الله تعالى صفات المشركين والضالين ثم تسكهم بغير الله تعالى أردف به شرح احوال المتقين الذين لا يرجعون لهم الا الى الله ولا يعتمدونهم الا على فضل الله فقال آمن هو فانت آمن آتاه الدليل ساجدا قائما وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأ نافع وابن كثير وجزءه أن يحتفقه الميم والباقيون بالتشديد اما التحفيف ففيه وجهان (الاول) أن الالف الف الاستفهام داخلة على من والجواب محذوف على تقدير كن ليس كذلك وقبل كاذبي جعل لله أندادا فاكنتي بما سبق ذكره (والثاني) أن يكون ألف نداء كأنه قيل يا من هو فانت أنت من أهل الجنة وأما التشديد فقال القراء الاصل أم من فادغمت الميم في الميم وعلى هذا القول هي أم التي في قولك أزيد افضل أم عرو (المسئلة الثانية) القانت القائم بما يجب عليه من الطاعة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم افضل الصلاة القنوت وهو القيام فيها ومنه القنوت في الصبح لانه يدعو قائما عن ابن عمر رضي الله عنه انه قال لأعلم القنوت الاقراء القرآن وطول القيام وتلا من هو فانت وعن ابن عباس القنوت طاعة الله لقوله كل له فانتون أي مطيعون وعن قتادة آتاه الليل ساعات الليل أوله ووسطه وآخره وفي هذه اللفظة تنبيه على فصل قيام الليل وأنه أخرج من قيام النهار يؤكده وجوده (الاول) ان عبادة الليل استعرت العيون فتكون ابعاد عن الرياء (الثاني) ان الفضلة تمتع من الابصار ونوم الخلق يمنع من السماع فاذا انصارت القلوب فارغوا عن الاشتغال بالاحوال الخارجية عاد الى المطلوب الأصلي وهو معرفة الله وخدمته (الثالث) ان الليل وقت النوم فتركه يكون أشق فيكون الثواب أكثر (ازاييم) قوله تعالى ان ناشئة الليل هي أشد وطرا وأقوم قبلا وقوله ساجدا حال وقرئ ساجد وقام على أنه خبر والموار للجمع بين الصفتين واعلم ان هذه الآية والذلي اسرار بحجية قائلها انه بدأ فيها بذكر العمل وختم فيها بذكر السلام اما العمل فيكون قائما ساجدا قائما وأما العلم فتدبره هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وهذا يدل على ان كمال الانسان في هذين المقصودين قائم هو البداية والعلم والمكاشفة هو النهاية (القائدة الثانية) انه تعالى يريد على ان الانتفاع بعمل الله يحصل اذا كان الانسان مواظبا عليه فان القنوت عبادة عن كون الرجل قائما بما يجب عليه من الطاعات وذلك يدل على ان العمل انما يبدأ اذا واطب عليه الانسان وقوله ساجدا وقائما

الاطوان (أجرهم) بمقابلة ما كابدوا من الصبر (بغير حساب) أي بحيث لا يحصى ولا يحصى عن ابن عباس رضي الله عنهما لا يهتدى اليه حساب الحساب ولا يعرف

وفي الحديث انه تنصب الموازين يوم القيامة لاهل الصلاة والصدقة والحج فيوتون بهما أجورهم ولا تنصب لاهل البلاء
يل يصب عليهم الاجر صياحي يعني اهل العافية في الدنيا ان ﴿٢٣٨﴾ أجسادهم تفرض بالمقار بض مما يذهب به اهل

البلاء من الفضل (قل
اني أمرت أن أعبد الله
مخلصا له الدين) أي
من كل ما ينافيه من
الشرك والرياء وغير ذلك
أمر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ببيان ما أمر به
نفسه من الاخلاص
في عبادة الله الذي هو
عبارة عما أمر به المؤمنون
من القوى بمباعدة في
حتمهم على الاتيان بما
كلفوه وتمهيد لما يعقبه
مما خوطب به المشركون
(وأمرت لأن أكون
أول المسلمين) أي وأمرت
بذلك لأجل أنا أكون
مقدمهم في الدنيا
والآخرة لأن احراز
قصب السبق في الدين
بالاخلاص فيه والعطف
للمغفرة الشاى الاول
بتفديه بالعلم والاشعار
بأن العبادة المدكورة
كانت قضي الامر بها
لذا تم تقضيه لما
يلزمه من السبق في الدين
ويجوز أن يجعل الامم
مزينة كما في أردت لأن
أقوم ببدل قوله تعالى
وأمرت أن أكون أول
من أسلم فالمعنى وأمرت
أن أكون أول من أسلم من أهل زمانى أو من قومي أو أول من دعا غيره الى ما دعا اليه نفسه (قل انى اعلم)

اشارة الى أصناف الاعمال وقوله يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه اشارة الى ان الانسان
عند الموازنة يتكشف له في الاول مقام القهر وهو قوله يحذر الآخرة ثم بعده مقام الرحمة
وهو قوله ويرجو رحمة ربه ثم يحصل أنواع المكاشفات وهو المراد بقوله هل يستوى الذين
يعاون والذين لا يعلمون (الفائدة الثالثة) انه قال في مقام الخوف يحذر الآخرة فما أضاف
الحذر الى نفسه وفي مقام الرجاء أضافه الى نفسه وهذا يدل على أن جانب الرجاء أكمل
واليق يحضرة الله تعالى (المسئلة الثالثة) قيل المراد من قوله آمن هو كانت آباء الابل عثمان
لانه كان يحجى الابل في ركعة واحدة ويقرأ القرآن في ركعة واحدة والصحيح ان المراد
منه كل من كان موصوفا بهذه الصفة فيدخل فيه عثمان وغيره لأن الآية غير مقصورة
عليه (المسئلة الرابعة) لا شبهة في أن في الكلام حذفا والتقدير آمن هو كانت كعبه وانما
حسن هذا الحذف دلالة الكلام عليه لانه تعالى ذكر قبل هذه الآية الكفار وذكر
بعدها قل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون وتقدير الآية قل هل يستوى الذين
يعلمون وهم الذين صفتهم انهم يقتون آباء الابل سجدوا قياما والذين لا يعلمون وهم الذين
وصفهم عند البلاء والخوف بوحدون وعند الراحة والفرغ يشركون فاذا قدرنا هذا
التقدير ظهر المراد وانما وصف الله الكفار بأنهم لا يعلمون لانهم وان آباءهم الله آله العلم
الأنهم أعرضوا عن تحصيل العلم فلهذا السبب جعلهم كأنهم ليسوا بأولى الابواب من
حيث انهم لم يشعروا بقولهم وقلوبهم واما قوله تعالى قل هل يستوى الذين يعلمون والذين
لا يعلمون فهو تنبيه عظيم على فضيلة العلم وقد بان في تقرير هذا المعنى في تفسير قوله تعالى
وعلم آدم الاسماء كلها قال صاحب الكشف أراد بالذين يعلمون الذين سبق ذكرهم وهم
النافسون بالذين لا يعلمون الذين لا يأتون بهذا العمل كانه جعل الثقاتين هم العلماء وهو
تنبيه على أن من لم يعمل فهو غير عالم قال وفيه ازراء عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم
لا يقتنون ويفتتون فيها ثم يقتنون بالدنيا فهم عند الله جهلة ثم قال تعالى انما يتذكر أولو
الالباب يعني هذا الثقات العظم الحاصل بين العلماء والجهال لا يعرفه أيضا الأولو
الالباب قيل بعض العلماء انكم تتولون العلم أفضل من المال ثم زى العلماء مجتمعون
عند أبواب الملوك ولا ترى الملوك مجتمعين عند أبواب العلماء فأجاب العالم بأن هذا أيضا
يدل على فضيلة العلم لان العلماء علموا ما في المال من المنافع فضلموه والجهال لم يعرفوا
ما في العلم من المنافع فلا جرم تركوه * قوله تعالى (قل يا عبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم
للذين أحسنوا في هذا الدنيا حسنة وأرض الله واسعة) انما يوفى الصابرون أجرهم بغير
حساب قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين قل انى
اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم قل الله اعبد مخلصا له الدين فأعبدوا ما شئتم من دونه
قل ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم واهليهم يوم القيامة الا ذلك هو الخاسران المبين
لهم من فوقهم ظلم من النار ومن تحتهم ظلم ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون

أن أكون أول من أسلم من أهل زمانى أو من قومي أو أول من دعا غيره الى ما دعا اليه نفسه (قل انى اعلم)

اخاف ان عصيت ربى) بترك الاخلاص والميل الى ما أتم عليه من الشرك

(عذاب يوم عظيم) هو يوم القيامة وصف بالعظمة اعظمه ما فيه من الداهي والاهوال (قل الله أعبد) لا غيره
لا استغلا ولا اشتراكا (مخلصه ديني) ٢٣٩ من كل شوب أمر عليه الصلاة والسلام أولا يبين كونه

مأمورا بعبادة الله تعالى
واخلاص الدين له
ثم بالخبر بخوضه
من العذاب على تقدير
العصيان ثم بالخبر
بامثاله بالامر على
أبلغ وجهه وأكده
أظهار النصيحة في الدين
وحسما لاطمئنانهم
الفسارعة وتهيبا
اتهديدهم بقوله تعالى
(فاعبدوا ما شئتم)
أن تعبدوه (من دونه)
تعالى وفيه من الدلالة
على شدة الغضب عليهم
ما لا يخفى كأنهم لما
لم ينتموا وعانوها عنه
أمروا به كي يحل
بهم العتاب (قل
إن الخاسرين) أي
الكاملين في الخسران
الذي هو عبارة عن
اضاعة ما يهدون وتلاف
ملا بد منه (الذين
خسروا أنفسهم
وأهلهم) باختيارهم
الكفر لهما أي
أضاعوهما وتلفوهما
(يوم القيامة) حين
يدخلون النار حيث
عرضوهما للعذاب
السرمدى وأوقفوهما

اعلم انه تعالى لما بين في المساواة بين من يعلم وبين من لا يعلم اتبعه بأن أمر رسوله بأن
يخاطب المؤمنين بأنواع من الكلام (النوع الاول) قوله قل يا عبادي الذين آمنوا
انتقوا ربكم والمراد ان الله تعالى أمر المؤمنين بأن يعضموا الى الايمان التوحي وهذان
أدل الدلائل على ان الايمان يقي مع المعصية قال القاضي أمرهم بالقوى لكيلا يعبطوا
ايانهم لان عند الانتقاء من الكبائر يسلم لهم الثواب والاقدام عليها يعبط فيقال له هذا
بأن يدل على ضد قولك أولى لانه لما أمر المؤمنين بالقوى دل ذلك على انه يقي مؤمنا
مع عدم القوى وذلك يدل على أن النقص لا يزال الايمان واعلم انه تعالى لما أمر المؤمنين
بالانتقاء بين لهم ما في هذا الانتقاء من الفوائد فقال تعالى للذين أحسنوا في هذه الدنيا
حسنة قفوه في هذه الدنيا لتحمل أن يكون صلته لقوله أحسنوا أو تسنة على التقدير
الاول معناه للذين أحسنوا في هذه الدنيا كلهم حسنة في الآخرة وهي دخول الجنة
والتكبر في قوله حسنة للتعظيم يعني حسنة لا يصل العقل الى كنهه كآلهها (وأما على
التقدير الثاني) فمعناه الذين أحسنوا ففهم في هذه الدنيا حسنة والقائمون بهذا القول
قالوا هذه الحسنة هي الصحة والعافية وأقول الاولى ان تحمل على الثلاثة المذكورة في
قوله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ليس لها نهاية الأمن والصحة والكفاية ومن الناس من
قال القول الاول أولى ويدل عليه وجوه (الاول) ان التكبر في قوله حسنة يدل على
النهاية والجلالة والرفعة وذلك لا يليق بأحوال الدنيا فانها خبيسة ومنقطة وأما
يليق بأحوال الآخرة فانها شريفة وآمنة من الانقضاء والانقراض (والثاني) ان ثواب
الحسن بالزوحيد والاعمال الصالحة إنما يحصل في الآخرة قال تعالى اليوم تجزي كل
نفس بما كسبت وأيضا نعمة الدين من الصحة والأمن والكفاية حاصلة للكفار وأيضا
فحصولها للكافر أكثر وأتم من حصولها للمؤمن كما قال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن
المؤمن وجنة الكافر وقال تعالى لعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقما من فضة
ومعارج عليها يظهرون (الثالث) ان قوله للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة يفيد الحصر
بمعنى يفيد أن حسنة هذه الدنيا لا تحصل الا للذين أحسنوا وهذا باطل اما لو جازنا هذه
الحسنة على حسنة الآخرة صح هذا الحصر فكان حله على حسنة الآخرة أول ثم قال
الله تعالى وأرض الله واسعة وفيه قولان (الاول) المراد انه لا عذر البتة للتصبرين
في الاحسان حتى أنهم ان اعتلوا بأوطانهم وبلادهم وانهم لا يمتنعون فيها من التوفرة
على الاحسان وصرف الهمم اليه قل لهم فان أرض الله واسعة وبلاد كثيرة فتحوا وان
هذه البلاد الى بلاد تقدرون فيها على الاشتغال بالطاعات والعبادات واقعدوا بالانبياء
والصالحين في مهاجرتهم الى غير بلادهم ليردادوا احسانا الى احسانهم وطاعة الى طاعتهم
والمقصود منه الترغيب في الهجرة من مكة الى المدينة والصبر على مفارقة الوطن ونظيره
قوله تعالى قالوا فيم كنتم قالوا كنا منضعين في الارض قالوا ألم تكن أرض الله واحدة

في هلكة لاهلكة وراها وقيل خسروا أهلهم لانهم ان كانوا من أهل النار فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم
وان كانوا من أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا ياب بعده وفيه أن المخذور ذهاب ما لا ياب لا تنفع به الخاسر وذلك
غير منصور في الشق الاخير وقيل خسروهم

لاهم لم يدخلوا مدخل الذين لهم أهل في الجنة وخسروا أهلهم الذين كانوا يجتمعون بهم لو آمنوا وأياما كان قلبهم المراد بمجرد تعريف الكاملين في الحسنات بما ذكر بل بيان أنهم ﴿ ٢٤٠ ﴾ كما يجعل الوصول عبارة عنهم

أو عاينهم مندرجون فيه اندراجا أوليا وما في قوله تعالى (الَّذِينَ هُوَ الْحَسْرَانِ الْمَبِينِ) من استثنائهم الجنة وأصديروا بحرف التبيين والإشارة بذلك إلى بعد منزلة المشار إليه في الشر وتوسيط ضمير الفصل وتعریف الحسنات ووصفه بالبين من الدلالة على كمال هوله وقضا عنه وأنه لا حسران وراءه ما لا يخفى وقوله تعالى (لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظِلٌّ مِنَ النَّارِ) الخ نوع بيان لحسرتهم بعد توريه بطريق الإيهام على أن لهم خسرة اظلال ومن فوقهم متعلق بمحذوف قبل هو حال من ظلال والناظر أنه حال من الضمير في الظرف المقدم ومن النار صفة اظلال أي لهم كائنة من فوقهم ظلال كثيرة متراكبة بعضها فوق بعض كائنة من النار (ومن تحته) أيضا (ظلال) أي أطباق كثيرة بعضها تحت

ففيها يروا فيها (والقول الثاني) قال أبو مسلم لا يتبع أن يكون المراد من الأرض أرض الجنة وذلك لأنه تعالى أمر المؤمنين بالتقوى وهي خشية الله ثم بين أن من أتى ذلك في الآخرة الحسنة وهي الخلود في الجنة ثم بين أن أرض الله أي جنته واسعة لقوله تعالى نزلوا من الجنة حيث نشاء وقوله تعالى وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين (والقول الأول) عندي أولى لأن قوله إنما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب لا يليق إلا بالاول وفي هذه الآية مسائل (المسألة الأولى) ما تحقيق الكلام في ماهية الصبر فتذكرنا في سورة البقرة والمراد ههنا بالصابرين الذين صبروا على مفارقة أوطانهم وعشائرهم وعلى تجرع الفصص واحتمال البلايا في طاعة الله تعالى (المسألة الثانية) تنمية المنافع وعد الله بها على الصبر بالاجر تورع ان العمل على الثواب لأن الاجر هو المستحق الا انه قامت الدلائل القاهرة على أن العمل ليس عليه الثواب فوجب حمل لفظ الاجر على كونه أجرة بحسب الوعد لا بحسب الاستحقاق (المسألة الثالثة) انه تعالى وصف ذلك الاجر بأنه بغير حساب وفيه وجوه (الاول) قال الجبائي المعنى انهم يعطون ما يستحقون ويزادون تفضلا فهو بغير حساب ولو لم يعطوا الاستحقاق لكان ذلك حسبا قال القاضي هذا ليس بصحيح لأن الله تعالى وصف الاجر بأنه بغير حساب ولو لم يعطوا الا الاجر المستحق والاجر غير التفضل (الثاني) ان الثواب له صفات ثلاثة (أحدها) انها تكون دائمة الاجر لهم وقوله بغير حساب معناه بغير نهاية لأن كل شيء دخل تحت الحساب فهو متناه خال ان نهايته كان خارجا عن الحساب (وثانيها) انها تكون منافع كاملة في أنفسها وعقل المطيع ما كان يصل الى كنه ذلك الثواب قال صلى الله عليه وسلم ان في الجنة ما لا عين رأت ولا ذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وكل ما يشاء عدونه من انواع الثواب وجدوه أزيد مما تصوروه وتوقعوه وما لا يتوقعه الانسان فتدبر قال انه ليس في حسابه فتقوله بغير حساب محمول على هذا المعنى (والوجه الثالث) في التأويل ان ثواب أهل البلاء لا يقدر بالميزان والمكيال روى صاحب الكشاف عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ينصب الله الموازين يوم القيامة فيؤتى بأهل الصلاة فيوزون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل الصدقة فيوزون بالموازين ويؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصعب عليهم الاجر صبا قال الله تعالى إنما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب حتى يغنى أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تقرض بالفقر يضرب له أهل البلاء من الفضل (النوع الثاني) من البيانات التي أمر الله رسوله أن يذكرها قوله تعالى قل اني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين قال مقاتل ان كفارا قرأ يش فالواللبي صلى الله عليه وسلم ما يحملك على هذا الدين الذي آتيت به الانتظر الى ملكة إليك وجلك وسادات قومك يعبدون اللات والعزى فأمر الله قل يا محمد اني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأقول ان التكليف نوعان (أحدهما) الامر بالاحتراز عما لا ينبغي (والثاني) الامر بتحصيل

بعض ظلال لاخرين بل لهم أيضا عذاب تدرجهم في درجاتها (ذلك) العذاب القطيع هو الذي ﴿ ما ينبغي ﴾ (يخوف الله به عباده) ويحذروهم اباء بآيات الوعيد ليحذروا ما يوقعهم فيه (يا عباده فاقفون) ولا تضرروا ما يوجب مخطي وهذه عظة من الله تعالى بالغة منطوية على غاية اللطف والمرحمة

ما ينبغي والمرتبة الأولى مقدمة على المرتبة الثانية بحسب الرتبة الواجبة اللازمة إذا ثبت
هذا فنقول انه تعالى قدم الامر بإزالة ما ينبغي فقال اتقوا ربكم لان التقوى هي
الاحتراز عما لا ينبغي ثم ذكر عقبيه الامر بتحصيل ما ينبغي فقال اني أمرت أن أعبد الله
مخلصا له الدين وهذا يشتمل على تبيين (أحدهما) الامر بعبادة الله (والثاني) كون
تلك العبادة خالصة عن شوائب الشرك الجلي وشوائب الشرك الخفي وبما يخص الله
تعالى الرسول بهذا الامر لينبه على أن غيره بذلك أحق فيه وأكثر تريب للغير وقوله تعالى
وأمرت لأن أكون أول المسلمين لاشبهته في أن المراد اني أول من تمسك بالعبادات التي
أرسلت بها وفي هذه الآية فائدتان (الفائدة الأولى) كأنه يقول اني لست من الملوك
الجبارة الذين يأمرون الناس بأشياء وهم لا يفعلون ذلك بل كل ما أمرتكم به فانا
أول الناس شروعا فيه وأكثرهم مداومة عليه (الفائدة الثانية) انه قال اني أمرت أن
أعبد الله والعبادة لها ركنتان عمل القلب وعمل الجوارح وعمل القلب أشرف من عمل
الجوارح فقدم ذكر الجزء الأشرف وهو قوله فاعبدوا الله الذي ثم ذكر عقبيه الادون وهو عمل
الجوارح وهو الاسلام فان النبي صلى الله عليه وسلم فسر الاسلام في خبر جبريل عليه
السلام بالأعمال الظاهرة وهو المراد بقوله في هذه الآية وأمرت لأن أكون
أول المسلمين وليس قائلا أن يقول ما الفائدة في تكرير لفظ أمريت لأننا نقول ذكر لفظ
أمريت أولا في عمل القلب وثانيا في عمل الجوارح ولا يكون هذا تكريرا (الفائدة
الثالثة) في قوله وأمرت لأن أكون أول المسلمين النبي على كونه رسولا من عند الله
واجب الطاعة لأن أول المسلمين في شرائع الله لا يمكن أن يكون المراد رسول الله لأن أول من
يعرف تلك الشرائع والتكاليف هو الرسول المبلغ والمبين لله تعالى أمره بالانحلال
بالقلب والأعمال المخصوصة وكان الامر يحتمل الوجوب ويحتمل الترتيب بين أن ذلك
الامر الوجوب فقال قل اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم وفيه فوائد (الفائدة
الأولى) ان الله أمر محمد صلى الله عليه وسلم أن يجري هذا الكلام على نفسه ولما تصود
منه المبالغة في زجر الفسيع عن المعاصي لانه مع جلالة قدره وشرف نبوته اذا وجب أن
يكون خائفا حذرا عن المعاصي فعبر بذلك أولى (الفائدة الثانية) دلل الآية على أن
المرتبة على المعصية ليس حصول العقاب بل الخوف من العقاب وهذا يطابق قولنا ان
الله تعالى قد عفو عن المذنب والكبيرة فيكون الالتزام عند حصول المعصية هو الخوف
من العقاب لانفس حصول العقاب (الفائدة الثالثة) دلل هذه الآية على ان ظاهر
الامر للوجوب وذلك لانه قال في أول الآية اني أمرت أن أعبد الله ثم قال بعده قل اني
أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم فيكون معنى هذا النصيان ترك الامر الذي تقدم
ذكره وذلك يفضي أن يكون ترك الامر عاصيا والمعاصي بترتيب تدليه الخوف من
العقاب ولا معصية للوجوب الا ذلك (النوع الثالث) من الاشياء التي أمر الله رسوله أن

وقرى يا عبادي (والذين
اجتنبوا الطاغوت) أي
البالغ أقصى غاية الطغيان
فعلوت منه بفتح ديم اللام
على العين بنى للمبالغة في
المصدر كالجحوت
والعظمت ثم وصف به
المبالغة في التبعت والمراد
به هو الشيطان (أن
يعبدوها) بدل الاشتغال
منه فان عبادة غير الله
تعالى عبادة للشيطان
اذ هو الآخر بها والمزب
لها (وأنا بوال الله)
وأقبلوا اليه معرضين
عاصوا أقبالا كليا (لهم
البشرى) بأشواب على
أسنة

يذكرها قوله قل الله أعبد مخلصا له ديني فان قبل ما معني التكرير في قوله قل اني أمرت أن
أعبد الله مخلصا له الدين وقوله قل الله أعبد مخلصا له ديني قلنا هذا ليس يتكرر لان الاول
اخبار بأنه مأمور من جهة الله بالانتيان بالعبادة والثاني اخبار بأنه أمر بأن لا يعبد
أحدًا غير الله وذلك لان قوله أمرت أن أعبد الله لا يفيد الحصر وقوله تعالى قل الله
اعبد يفيد الحصر يعني الله أعبد ولا أعبد أحدا سواه والدليل عليه انه لما قال بعده
قل الله أعبد قال بعده فاعبدوا ما شئتم من دونه ولا شبهة في أن قوله فاعبدوا ما شئتم
من دونه ليس أمرا بل المراد منه الجزر كأنه يقول لما بلغ البيان في وجوب رعاية التوحيد
الى العاقبة القصوى فبعد ذلك أنتم أعرف بأنفسكم ثم يبين تعالى كمال الجزر بقوله قل ان
الخاسرين الذين خسروا أنفسهم لوقوعها في هلاك لا يعقل هلاك أعظم منه وخسروا
أهلهم أيضا لانهم ان كانوا من أهل النار فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم وان كانوا
من أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا يرجع بعده البتة وقال ابن عباس ان لكل
رجل منزلا وأهلا وخداما في الجنة فان أطاع أعطى ذلك وان كان من أهل النار حرم
ذلك فخسر نفسه وأهله ومنزله وورثه غيره من المسلمين والخاسر المتيقن ولما شرح الله
خسرانهم وصف ذلك الخسران بغاية القضاة فقال ألا ذلك هو الخسران المبين كان
التكرير لاجل التأكيد (الثاني) انه تعالى ذكر في أول هذه الكلمة حرف ألا وهو
للتنبيه وذكر التنبيه في هذا الموضع يدل على التعظيم كأنه قيل انه بلغ في العظمة الى
حيث لا اتصل عندكم اليها فتنبهوا لها (الثالث) ان كلمة هو في قوله هو الخسران المبين
تفيد الحصر كأنه قيل كل خسران فانه بصرفي مقارنته كلا خسران (الرابع) وصفه
بكونه مبينا يدل على التهويل وأقول قد بينا ان لفظة الآية يدل على كونه خسرانا مبينا
فليس ينحسب المبساح العقلية كونه خسرانا مبينا وأقول نفقر الى بيان أمرين
الى بيان كونه خسرانا ثم الى بيان كونه مبينا (اما الاول) فنشره انه تعالى أعطى
هذه الحياة وأعطى العقل وأعطى المكنة وكل ذلك رأس المال اما هذه الحياة فالتصور
منها أن يكسب فيها الحياة الطيبة في الآخرة وأما العقل فانه عبارة عن العلوم البديهيّة
وهذه العلوم هي رأس المال والنظر والفكر لامتني له الاتريث علوم ليتوصل بذلك
الترتيب الى تحصيل علوم كسبية فلك العلوم البديهيّة المسماة بالعقل رأس المال
وتركيبتها على الوجوه المخصوصة يشبه تصرف الناجر في رأس المال وتركيبها على
الوجوه الباعية والشراء وحصول العلم بالنتيجة يشبه حصول الربح وأيضاً حصول
القدرة على الاعمال يشبه رأس المال واستعمال تلك القوة في تحصيل الاعمال البر والخير
يشبه تصرف الناجر في رأس المال وحصول أعمال الخير والبر يشبه الربح اذا ثبت
هنا فنقول ان من أعطاه الله الحياة والعقل والمكنة ثم انه لم يستفد منها الا معرفة الحق
ولا عمل الخير البتة كان محروما عن الربح بالكسبة واذا مات فقد ضاع رأس المال

الربح أو الملائكة عند
حضور الموت وحين
يحشرون وبعد ذلك
(فبشر عبادي الذين
يسمّون القول فبشرون
أحسنه) هم الموصوفون
بالاجتناب والانابة
بأعابانهم لكن وضع
موضع ضميرهم الظاهر
تشرى يقالهم بالاضافة
ودلالة على أن مدار
انصافهم بالوصفين
الجليلين كونهم نقادا
في الدين يميزون الحق
من الباطل ويؤمنون
بالأفضل فالأفضل
(أوئك) اشارة إليهم

بالكلية فكان ذلك خسرا فهاذا بيان كونه خسرا (واما الثاني) وهو بيان كون ذلك
الخسران مبينا فهو ان الميرج الزيادة ولكنه مع ذلك سلم من الآفات والمضار فهذا
كالم يحصل له من ينفع لم يحصل له أيضا من يضرر أما هؤلاء الكفار فقد استمروا على ما هم
التي هي رأس مالهم في استخراج وجوه الشبهات وتقوية الجهالات والضلالات
واستمروا قواهم وقدرهم في افعال الشر والباطل والفساد فهم قد جدوا بين أمور
في غاية الرداءة (أولها) أنهم اتبعوا أيدانهم وعقولهم طائبا في تلك العقائد الباطلة
والاعمال الفاسدة (وثانيها) أنهم عند الموت يضع عنهم رأس المال من غير فائدة
(وثالثها) أن تلك المناعب الشديدة التي كانت موجودة في الدنيا في نصرة تلك الضلالات
تصير أسبابا لعنوبة الشديدة والبلاء العظيم بعد الموت وعند الوقوف على هذه المعاني
يظهر انه لا يعاقب خسرا أقوى من خسراهم ولا حرمان أعظم من حرمانهم ونعوذ بالله
منه ولما شرح الله تعالى أحوال حرمانهم عن الرمح وبين كيفية خسراهم بين أنهم
لم يقصروا على الحرمان والخسران بل ضغوا اليه استحقاق العذاب العظيم والعقاب
الشديد فقال لهم من فوقهم ظل من النار ومن تحتهم ظل والمراد احاطة النار بهم من
جميع الجوانب ونظيره في الاحوال النفسانية احاطة الجهل والحرمان والحرص وسائر
الاخلاق الذميمة بالانسان فان قيل الظل ماعلى الانسان فكيف سمي ماتحته بالظل
والجواب من وجوه (الاول) انه من باب اطلاق اسم أحد الضدين على الآخر كقوله
وجزاء سيئة سيئة مثلها (الثاني) ان الذي يكون تحته ظلة لانسان آخر تحته لان
الدار دركات كما أن الجنة درجات (والثالث) أن الظلة تختبئ اذا كانت مشابة
للظلة الفوقانية في الحرارة والاحراق والابناء أطلق اسم أحدهما على الآخر لاجل
المماثلة والمشابهة قال الحسن هم بين طبقتين من النار لا يدرون ما فوقهم أكثر ماتحتهم
ونظير هذه الآية قوله تعالى يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقوله
تعالى لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش ثم قال تعالى ذلك يخوف الله به عباده أى
ذلك الذي تقدم ذكره من وصف العذاب فقوله ذلك مبتدأ وقوله يخوف الله به عباده
خبر وفي قوله يخوف الله به عباده قولان (الاول) التقدير ذلك العذاب المعد للكفار هي
الذي يخوف الله به عباده أى المؤمنين لانا بينا أن لفظ العباد في القرآن مختص بأهل
الايمن وانما كان تخويفا للمؤمنين لاجل أنهم اذا سمعوا ان حال الكفار ماتقدم خافوا
فأخلصوا في التوحيد والطاعة (الوجه الثاني) ان هذا الكلام في تقدير جواب عن
سؤال لانه يقال انه تعالى غنى عن العالمين مغر عن الشهوة والانتقام وداعية الابداء
فكيف يلحق به أن يعذب هؤلاء المساكين الى هذا الحد العظيم وأجيب عنه بأن المقصود
منه تخويف الكفار والضلال عن الكفر والضلال فاذا كان التكليف لا يتم الا
بالتخويف والتخويف لا يكمل الانتفاع به الا باذخال ذلك الشيء في الوجود وجب ادخال

باعتبار انصافهم بما
ذكر من التعمت الجلية
وما فيه من معنى البعد
الايدان بعلو رتبهم
وبعد منزلتهم في الفضل
ومحله الرفع على الابتداء
خبره ما بعده من
الموصول أى أولئك
المنعوتون بالمحاسن
الجليلة (الذين هداهم
الله) للدين الحق
(وأولئك هم أولو
الاسباب) أى هم
أصحاب العقول
السلية عن معارضة
الوهم ومنازعة الهوى
المستحقون للهداية

ذلك النوع من العذاب في الوجود تحصيلاً لذلك المطلوب الذي هو التكليف (والوجه الأول) عندى أقرب والدليل عليه أنه قال بعده يا عباد فأتقون وقوله يا عباد الاظهر منه ان المراد منه المؤمنون فكانت قبل المقصود من شرح عذاب الكفار للمؤمنين تخويف المؤمنين فبايها المؤمنون بانعوا في الخوف والخذر والتقوى وقوله تعالى (والذين اجتنبوا الطاغوت ان يسجدوها وأنابوا الى الله لهم البشرى فبشر عبادي الذين يستمعون اقوال فينبغون احسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الابواب أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تتخذ من في النار ذكراً الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقهم غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار وعاد الله لا يخلف الله الميعاد) اعلان الله تعالى بالذكر وعيد عبادة الاصنام بالاثوان ذكر وسد من اجتناب عبادتها واحتراز عن الشرك ليكون الوعد مقروناً بعيد أبداً فيحصل لكل الترغيب والترهيب وفيه مسائل (المسألة الاولى) قال صاحب الكشف الطاغوت فعلت من الطغيان كالملكوت والرحوت الآن فيها قلباً بتقديم اللام على العين وفي هذا اللفظ أنواع من المبالغة (احدها) التسمية بالمصدر كان عين ذلك الشيء الطغيان (وثانيها) ان البناء بناء المبالغة فان الرحوت الرحمة الواسعة والملكوت الملك المتوسط (وثالثها) ما ذكرنا من تقديم اللام على العين ومثل هذا انما يصار اليه عند المبالغة (المسألة الثانية) اختلفوا في أن المراد من الطاغوت ههنا الشيطان أم الاوثان فقبل انه الشيطان فان قيل انهم ما عبدوا الشيطان وأما عبدوا الصنم قلنا الداعي الى عبادة الصنم لما كان هو الشيطان كان الاقدام على عبادة الصنم عبادة للشيطان وقيل المراد بالطاغوت الصنم وصيبت طواغيت على سبيل المجاز لانه لا فعل لها والطاعة هم الذين يعبدونها الا انهم حصل الطغيان عند مشاهدتها والقرب منها وصفت بهذه الصفة اطلاقاً لاسم المسبب على السبب بحسب الظاهر وقبل كل ما يعبد ويطاع من دون الله فهو طاغوت ويقال في التواريخ ان الاصل في عبادة الاصنام ان القوم كانوا مشبهة اعتقدوا في الاله انه نور عظيم وفي الملائكة انهم انوار مختلفة في الصغر والكبر فوضعوا تماثيل وصوراً على وفق تلك الخيالات فكانوا يعبدون تلك التماثيل على اعتقاد انهم يعبدون الله والملائكة وأقول حاصل الكلام في قوله والذين اجتنبوا الطاغوت أى أعرضوا عن عبودية كل ما سوى الله قوله تعالى وأنابوا الى الله أى رجعوا بالكلية الى الله ورأيت في السفر الخامس من التوراة ان الله تعالى قال لموسى يا موسى ارجع الى قلبك وأقول مادام يبقى في القلب الغايات الى غير الله فهو ما أجاب الله بكل قلبه وانما تحصل الاجابة بكل القلب اذا عرض القلب عن كل ما سوى الله من باب الطاعات فكيف يعرض عنها مع انه بالحس يشاهد الاسباب المفضية الى السببات في هذا العالم فنلبيس المراد من اعراض القلب عنها أن يقضى عليها بالعدم فان ذلك دخول في السفسطة وهو باطل بل المراد ان

لاغيرهم وفيه دلالة على ان الهداية تحصل بفعل الله تعالى وقبول النفس لها (أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تتخذ من في النار) بيان لاحوال أصداد المذكورين على طريقة الاجال وتجميل عليهم بحرمان الهداية وهم عبدة الطاغوت ومشبوه خطواتها كما يلوح به التعبير عنهم بمن حق عليهم كلمة العذاب فان المراد بها قوله تعالى لا يابيس لاملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين وقوله تعالى لمن تبعك

يعرف أن واجب الوجود لذاته واحد وان كل ما سواه فانه يمكن الوجود لذاته وكل ما كان
ممكنا لذاته فانه لا يوجد الا بتكوين الواجب وابتدائه ثم انه سبحانه وتعالى جعل تكوينه
للأشياء على قسمين منها ما يكون بغير واسطة وهي عالم السموات والارض حائيات ومنها ما يكون
بواسطة وهو عالم العناصر والعالم الاسفل فاذا عرفت الاشياء على هذا الوجد عرفت أن
الكل لله ومن الله وبالله وأنه لا مدبر الا هو ولا مؤثر غيره وجب ان يتقطع نظره عن هذه
الممكنات ويبقى مشغول القلب بالوثر الاول والوجد الاول فانه إن كان قد وضع الاسباب
الروحانية والجسمانية بحيث يتأسى الى هذا المطلوب فهذا الشيء يحصل وان كان قد وضع
بحيث لا يقضى الى حصول هذا الشيء لم يحصل وهذا الطريق يتفهم نظره عن الكل
ولا يبقى في قلبه الشك الى الشيء الا الى الموجود الاول وقد اتفق اني كنت أسمع بعض
الصبيان في حفظ العرض والمال فعارضني وقال لا يجوز الاعتماد على الجود والجهل بل يجب
الاعتماد على قضاء الله وقدره فقلت هذه كلمة حقة سمعتها ولكنك ما عرفت معناها وذلك
لانه لا شبهة ان الكل من الله تعالى الا انه سبحانه ذكر الاشياء على قسمين منها ما جعل حدوده
وحصوله معللا بأسباب معلومة ومنها ما جعله من غير واسطة هذه الاسباب (أما القسم
الاول) فهو حوادث هذا العالم الاسفل (وأما القسم الثاني) فهو حوادث هذا العالم الاعلى
واذا ثبت هذا فنقول من طلب حوادث هذا العالم الاسفل لامن الاسباب التي عينها
الله تعالى لها كان هذا الشخص منازعا لله في حكمته مخالفا في تدبيره فان الله تعالى
حكم بحدوث هذه الاشياء بناء على تلك الاسباب المعينة المعلومة وأنت تريد تحصيلها
لامن تلك الاسباب فهذا هو الكلام في تحقيق الاعراض عن غير الله والاقبال
بالكلية على الله تعالى فقله تعالى والذين اجنبوا الطاغوت اشارة الى الاعراض عن
غير الله وقوله تعالى وأنا انزل الى الله اشارة الى الاقبال بالكلية على عبادة الله ثم انه تعالى
وعده هؤلاء بأشياء (أحدها) قوله تعالى لهم البشرى واعلم ان هذه الكلمة تتعلق
بجهات (أحدها) ان هذه البشارة متى تحصل فنقول انها تحصل عند القرب من الموت
وعند الوضع في القبر وعند الخروج من القبر وعند الوقوف في عرفة القيامة وعند
ما يصبر فريق في الجنة وفريق في السعير وعند ما يدخل المؤمنون الجنة في كل موقف
من هذه المواقف تحصل البشارة بنوع من الخير والروح والراحة والرحمان (وثانيها)
ان هذه البشارة فيما اذا تحصل فنقول ان هذه البشارة تحصل بزيوال المكروهات
وبحصول المراتد اما زوال المكروهات فقله تعالى أن لا تخافوا ولا تحزنوا وال خوف
انما يكون من المستقبل والحزن انما يكون بسبب الاحوال الماضية فقله ان لا تخافوا
يعني لا تخافوا فيما تستقبلونه من احوال القيامة ولا تحزنوا بسبب ما فاتكم من خيرات
الدنيا ولما أزال الله عنهم هذه المكروهات بشرهم بحصول الخيرات والسعادات فقال
وأبشروا بالجنة وقال أيضا في آية أخرى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم

منهم لاملان جهنم
منكم أجمعين وأصل
الكلام أمن حق عليه
كلمة العذاب فانت تنفذه
على أنها شرطية دخل
عليها الهمة لانكار
مضمونها ثم القاء
لعطفها على جملة
مستتمة لها مقدرة
بعد الهمة ليتعلق
الانكار والتنفذ
بعضه وبهجتها معا أي
أأنت مالك أمر الناس
فمن حق عليه كلمة
العذاب وأنت تنفذه
ثم كررت الهمة
في الجزاء لأكد
الانكار وتذكيره
لما طال الكلام ثم وضع
وضع الضمير من في النار

الفاعل فهو الله سبحانه وهو المراد من قوله أولئك الذين هداهم الله وأما القابل فالبه
 الإشارة بقوله وأولئك هم أولو الألباب فإن الإنسان ما لم يكن عاقلا كامل الفهم امتنع
 حصول هذه المعارف الحقيقية في قلبه وإنما قلنا إن الفاعل لهذه الهداية هو الله وذلك
 لأن جوهر النفس مع ما فيها من نور العقل قابل للاعتقاد الحق والاعتقاد الباطل وإذا
 كان الشيء قابلا للتصديق كانت نسبة ذلك القابل اليهما على السوية ومتى كان الأمر
 كذلك امتنع كون ذلك القابل سببا لرجحان أحد الطرفين ألا ترى أن الجسم لما كان قابلا
 للحركة والسكون على السوية امتنع أن تصير ذات الجسم سببا لرجحان أحد الطرفين على
 الآخر فقلوا لا نقول إن ذات النفس والعقل يوجب هذا الرجحان بل نقول أنه يريد
 تخصيص أحد الطرفين فتصير تلك الإرادة سببا لذلك الرجحان فتقول هذا باطل لأن ذات
 النفس كما أنها قابلة لهذه الإرادة فكذلك ذات العقل قابلة لإرادة مضادة لتلك الإرادة فيمتنع
 كون جوهر النفس سببا لتلك الإرادة فثبت أن حصول الهداية لا بد لها من فاعل ومن
 قابل (أما الفاعل) فيمتنع أن يكون هو النفس بل الفاعل هو الله تعالى (وأما القابل)
 فهو جوهر النفس فلهذا السبب قل أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب
 ثم قال أفن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تتخذ من في النار وفيه مسائل (المسألة الأولى)
 في لفظ الآية سؤال وهو أنه يقال أنه قال أفن حق عليه كلمة العذاب ولا يصح في الكلام
 العربي أن يدخل حروف الاستفهام على الاسم وعلى الخبر معا فلا يقال أريد أن تغتله بل
 ههنا شيء آخر وهو أنه كما دخل حرف الاستفهام على الشرط وعلى الجزاء فكذلك دخل
 حرف النفي عليه عامار هو قوله أفن حق أفأنت تتخذ ولاجل هذا السؤال اختلف النحويون
 في كروا وفي وجوها (الأولى) قال الكسائي الآية جملتان والتقدير أفن حق عليه كلمة
 العذاب أفأنت تصيرون أفأنت تتخذ من في النار (الثاني) قال صاحب التفسير أصل
 الكلام أفن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تتخذ وهي جملة شرطية دخل عليها همزة
 الانكسار والفاء فاف الجزاء ثم دخلت الفاء التي في أوامها بالخطف على محذوف بدل عليه
 الخطف والتقدير أفأنت ما لك أمرهم أفن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تتخذ والهمزة
 الشاذية هي الأولى كررت لتوكيد معنى الانكسار والمتبعاد ووضع من في النار موضع
 الضمير والآية على هذا جملة واحدة (الثالث) لا يبعد أن يقال إن حرف الاستفهام
 اندرود ههنا لإعادة معنى الانكسار ولما كان اشتراكه هذا المعنى كاملا تماما لا جرم ذكر
 هذا الحرف في الشرط وأعاد في الجزاء تليها على المبالغة التامة في ذلك الانكسار
 (المسألة الثانية) احتج الأصحاب بهذه الآية في مسألة الهدى والضلال وذلك لأنه
 تعالى قال أفن حق عليه كلمة العذاب فإذا حققت كلمة العذاب عليه امتنع منه
 فعل الإيمان والطاعة والألزم انقلاب خبر الله الصدق ككذبا وانقلاب علمه
 جهلا وهو محال (والوجه الثاني) في الاستدلال بالآية أنه تعالى حكى بأن

وهم المخاطبون أيضا في
 سبق بقوله تعالى يا عبادي
 الذين آمنوا اتقوا ربكم
 الآية وبين أن لها
 درجات عالية في جنات
 النعيم يقال ما لك كفرة
 من دركات سائلة في الجحيم
 أي لهم تلال بعضها
 فوق بعض (مبني) بناء
 المنازل المبنية المؤسسة
 على الأرض في الرصانة
 والاحكام (تجري من
 تحتها) من تحت تلك
 العرف (الانهار) من
 غير تفاوت بين العلو
 والسفل (وعند الله)
 مصدر مؤداة قوله تعالى
 لهم غرف الخ فانه وعدو
 أي وعد (لا يخاف الله
 المباد) لاستحالة عليه
 سبحانه

(ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً واستنشقوا ورداً ما التمثيل الحياة الدنيا في سرعة الزوال وقرب الاضمحلال بما ذكر من أحوال الزرع تغريباعن زحارفها وزينتها وتحذرها) ٢٤٩ من الاعتزاز بزهرتها كما في نظائر قوله تعالى انما مثل الحياة

الدنيا الآتية أو الاستشهاد

على تحقق الموعود من

الانهار الجارية من تحت

العرف بما يشاهد من

انزال الماء من السماء وما

يترتب عليه من آثار

قدرته تعالى واحكام

حكيمه ورحمته والبراد

بالماء المطر وقيل كل ماء

في الارض فهو من

السماء ينزل منها الى

الصخرة ثم يتسعه الله

وعلى بين الباق (ففسلكه)

فادخله ونظمه (يتابع

في الارض) أى عيوننا

ومجاري كالعروق في

الاجساد وقيل مياهها

تابعة فيها فان الينوع

يطبق على المنوع والنابع

فنصبه على الحال وعلى

الاول بفتح الجارأى

في يتابع (ثم يخرج به

زراعة فلساً ألوانه)

أصنافه من بروشعير وغير

هما أو كفيته من الألوان

والنوعوم وغيرهما وكلة

ثم العراخي في الترسية

أو ازمان وصيغة المضارع

لاستحضار الصورة (ثم

يخرج) أى يتم جفافه

ويشرف على أعلى أن

يؤرم من نباته (فقرأه

مصحفاً) من بعد ٣٢ سا

خضرته ونضرتة وقرئ مصفرا (ثم يبعده

حطاما) فثاقما كسيرة

حقيقة كلمة العذاب توجب الاستنكار التام من صدور الايمان والطاعة منه ولو كان ذلك ممكناً ولم تكن حقيقة كلمة العذاب عارضة منه لم يبق لهذا الاستنكار والاستبعاد معنى (السئلة الثالثة) احتج القاضي بهذه الآية على ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يشتم لاهل الكبر قال لانه حق عليهم العذاب فذلك الشفاعة تكون جارية بمجرد انتقادهم من النار وان الله تعالى حكم عليهم بالانكار والاستبعاد فيقال له لانسان اهل الكبر قد حق عليهم العذاب وكيف يخفى عليهم العذاب عليهم مع ان الله تعالى قال ان الله لا يغير ان يشرك به ويغير ما دون ذلك لمن يشاء ومع قوله ان الله لا يغير الذنوب جميعاً والله أعلم (النوع الثاني) من الاشياء التي وعد بها الله هؤلاء الذين اجتنبوا او اتوا بواحدة من قولته تعالى لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية وهذا كالمقابل لما ذكر في وصف الكفار اهلهم من فوقهم ظلل من النار ومن نعمهم ظلل فان قيل ما معنى قوله مبنية قلنا لان المنزل اذا بنى على منزل آخر تحته كان القوفاً أضعف بناء من التحتاني فقوله مبنية معناه انه وان كان فوق غيره لكنه في القوة والشدّة مساو للمنزل الاسفل والحاصل ان المنزل القوفاً والتحتاني حصل في كل واحد منهما فضيلة ومنفعة أما القوفاً فضيلته العلو والارتفاع ونقصانه الرخاوة والخسافة وأما التحتاني فبالضد منه اما منازل الجنة فانها تكون مستجمعة لكل الفضائل وهي عالية مرتفعة وتكون في غاية القوة والشدّة وقال حكماء الاسلام هذه الغرف المبنية بعضها فوق البعض مثله من الاحوال النفسانية العلوم الكسبية فان بعضها يكون مبنياً على البعض والنتائج الآخرة التي هي عبارة عن معرفة ذات الله وصفاته تكون في غاية القوة بل تكون في القوة والشدّة كالعلوم الاصلية البديهية ثم قال فيجري من تحتها الانهار وذلك معلوم ثم ختم الكلام فقال وعنده لا يخلف الله الجواد فقوله وعنده الله مصدر مؤن كدلان قوله اهلهم غرف في معنى وعندهم الله ذلك وفي الآية دققة غير يفوقه هي انه تعالى في كثير من آيات او قد صرح بأن هذا وعد الله وانه لا يخلف وعده ولم يذكر في آيات الوعيد البتة بل هذا التأكيد والتوثيق وذلك يدل على أن جانب الوعيد أرفع من جانب الوعيد بخلاف ما يقوله المتزلة فانوا أليس الله قال في جانب الوعيد ما يدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد قلنا قوله ما يدل القول لدى ليس تصريحا بجانب الوعيد بل هو كلام عام يتناول القسمين أعني الوعيد والوعد فثبت ان الترجيح الذي ذكرناه حق والله أعلم وقوله تعالى (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فسلكه ينابيع في الارض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يجمع قترانه صفراً ثم يجعله حطاباً ان في ذلك لذكرى لأولي الابصار) اعلم انه تعالى الموصوف الآخرة بصفات توجب الرغبة العنيفة لأولي الابصار فيها ووصف الدنيا بصفة توجب اشتداد التفرقة عنها وذلك انه تعالى بين انه أنزل من السماء ماء وهو المطر وقيل كل ما كان في الارض فهو من السماء ثم انه تعالى ينزله الى بعض المواضع ثم يتسعه ففسلكه يتابع في الارض أى فيدخله ويضمد مصفراً) من بعد ٣٢ سا خضرته ونضرتة وقرئ مصفرا (ثم يبعده حطاما) فثاقما كسيرة كان لم يبق بالأمس ولكن هذه

للإيدان بعد معرفته في التوبة والدلالة على ما قصد به ٢٥٠ (الذكرى) تذكر أعظمها (لاولى الألباب) لأصحاب

القول الخالصة عن
شوايب الحال وتبليها
لهم على حقيقة الحال
يتذكرون بذلك أن حال
الحياة الدنيا سرعة
النفسي والانصرام
كما يشاهدونه من حال
الحطام كل عام فلا
يعتبرون بها شيئا
ولا يفتخرون بها شيئا أو
يجزمون بأن من قدر على
انزال المساء من السماء
وأجرأ في شياخ الأرض
قادر على اجراء النهار
من تحت العرف هذا
وأما ما قيل أن في ذلك
تذكيرا وتنبها على أنه
لا بد من صنائع حكيم
وأنه كان عن تقدير
وتدبير لا عن تعطل
وأما ما قيل من
تفسير الآية الكريمة
وأما ما قيل ذلك ما ذكر
ما ذكر من الآثار والنبأ
والأفعال الجميلة من غير
استناد إليها سوى مؤثرا
فحيث ما ذكرت معنية
إلى الله عز وجل تعين
أن يكون متعلقا بتذكير
والتنبيه شأنه تعالى
أوشون آثاره حسما
بين الوجوده تعالى

يتابع في الأرض عبونا ومساكن ونجارى كالعروق في الأجسام ثم يخرج بهز عائلتها
أولاه من خضرة وحجرة وصفرة وبياض وغير ذلك أو مختلفا أصنافه من ر وشعر ومسم
ثم يخرج وذلك لأنه إذا تم حقاؤه جازله أن يفصل عن مثابه وان لم تفرق أجزاؤه فذلك
الاجزاء كأنها اجبت لأن تتفرق ثم يصير حطاما إما أن في ذلك لذكرى بمعنى أن من
شاهد هذه الأحوال في النبات علم أن أحوال الحيوان والإنسان كذلك وأنه وان طال
عمره فلا بد له من الانتهاء إلى أن يصير مصفرا اللون مخطم الأعضاء والأجزاء ثم يكون
عاقبة الموت فإذا كانت مشاهدة هذه الأحوال في النبات تذكر حصول مثل هذه
الأحوال في نفسه وفي حياته فحينئذ تظم نفقته في الدنيا وطيباتها والحاصل أنه تعالى في
الآيات المتقدمة ذكر ما يقوى الرغبة في الآخرة وذكر في هذه الآية ما يقوى النفرة
عن الدنيا وشرح صفات القيامة يقوى الرغبة في طاعة الله وشرح صفات الدنيا يقوى
النفرة عن الدنيا وأما قدم الترغيب في الآخرة على التنفير عن الدنيا لأن الترغيب في
الآخرة مقصود بالذات والتنفير عن الدنيا مقصود بالعرض والمقصود بالذات مقدم
على المقصود بالعرض فبهذا تمام الكلام في تفسير الآية بقي ههنا ما يتعلق بالبحث عن
الانقضاء قال الواحدى والنسايي جمع ينبوع وهو يفعل من ينبع يقال ينبع
الماء ينبع وينبع وينبع ثلاث لغات ذكرها الكسائي والقراء وقوله ينبع نصب
بعضف الخافض لأن التقدير فسلوكه في شياخ ثم يخرج أى يخضر والحطام ما يخف ويفت
وبكسر من الذب بقوله تعالى (أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه قيل
الاسبق وهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين الله عز وجل أحسن الحديث كتابا تشابهها
مثلى تفصح عن جوارح الدين أضواء ربهم ثلث جوارحهم وقولهم إلى ذكر الله ذلك هدى
التي هدى به من يشاء ومن فضل الله ما من هاد أفمن يتق بوجهه سوء العذاب يوم
القيامة قيل لا اله الا الله ما من ذو قرا ما كنتم تكسبون كتب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب
من حيث لا يشعرون ماذا فهم الله الخرى في الحياة الدنيا والعذاب الآخرة أكبر لو كانوا
يعلمون وقد طهر بالناس في هذا القرآن من كل مثل لعالمهم يتذكرون قرأنا غير يساغير
ذى عوج لعالمهم يتقون (وقد مسائل (المسألة الأولى) اعلم أنه تعالى لما بالغ في تقرير
البيانات الدالة على وجوب الأقبال على طاعة الله تعالى ووجوب الإعراض عن الدنيا
بين بعد ذلك أن الاستغناء بهذه البيانات لا يكمل الا اذا شرح الله الصدور ونور القلوب
فقال أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه واعلم انما يقا في سورة الانعام في
تفسير قوله فمن يرده الله إلى ربه يشرح صدره للإسلام في تفسيره شرح الصدور وفي تفسير
الهداية ولا بأس بالعادة كلام قيل ههنا فتقول أنه تعالى خلق جواهر النفوس مختلفة
بالمهية فبعضها خيرة نورانية شريفة تدل على الآيات عظمى الرغبة في الاتصال
بالروحانيات وبعضها تدل كدرة خسيسة تدل على الجسمانيات وهذا التفاوت أمر

وقوله تعالى (أفمن شرح الله صدره للإسلام) الخ استئناف جار مجرى التعليل لما قبله من تخصيص الذكرى **ع** حاصل **ع**
أول

الالباب وشرح الصدر للاسلام عبارة عن تكميل الاستعداد له فانه محل للقلب الذي هو مشرب الروح التي تتعلق بها النفس القابلة للاسلام فانشرحه مستدع ﴿٢٥١﴾ كما لتوسع القلب واستضاءته بخوره فانه روي انه عايد الصلاة والسلام

قال اذا دخل النور
القلب انشرح وانفتح
فقبل فاعلا فذلك قال
عليه الصلاة والسلام
الانابة الى دار الخلود
والنجاة عن دار الغرور
والاغباب الموت قبل
نزوله والكلام في العمرة
والفداء كائني مر في قوله
اعلى اثن حق عليه
كلمة العذاب وخبر من
مخدوف لئلا ما بعده
عليه والتقدير اكل الناس
سواء في شرح الله صدره
أي خلقه منسج الصدر
مستعد للاسلام فبقي على
القطرة الاصليبة ولم
يغير العوارض المكتسبة
القادرة فيها (فهو)
بوجوب ذلك مستقر
(على نور) عظيم (من)
ربه (وهو اللطف
الالهى الفائض عليه
عند مشاهدته الآيات
التكوينية والتنزيلية
والتوفيق للاهتمام بها
الى الحق كمن قسا قلبه
وحرج صدره بسبب
تبدل فطرة الله بسوء
اختياره واستولى عليه
ظلمات النجى والضلالة
فاعرض عن تلك الآيات

حاصل في جواهر النفوس البشرية والاستقراء يدل على ان الامر كذلك اذا عرفت هذا
فتقول المراد بشرح الصدور هو ذلك الاستعداد الشديد الموجود في فطرة النفس واذا
كان ذلك الاستعداد الشديد حاصل لا في خروج تلك الخالق من القوة الى الفعل بأدنى
سبب مثل الكبريت الذي يشتعل بأدنى نار اما اذا كانت النفس بعيدة عن قبول هذه
الجلالات القدسية والاحوال الروحية بل كانت مستغرقة في طلب الحسنيات قليلة النثار
عن الاحوال المناسبة للالهيات فكانت قابلية كسرة طاسية وكلما كان ايراد الدلائل
التي تبيد البراهين الباهرة عليها اكثر كانت قسوتها وظلمتها اقل اذا عرفت هذه القاعدة
فتقول اما شرح الصدور فهو ما ذكرناه واما النور فهو عبارة عن الهدى التي توافقه وتطهره
يحصل شرح الصدور اولاه يحصل النور ثانيا واما كان الحاصل هو القوة النفسانية
لم يحصل الانتفاع البتة لسماع الدلائل وربما سارع السالك في بيان زيادة القسوة
واشددة الغفلة فهذه اصول قديمة يجب ان تكون معلومة عند الانسان حتى يصح كنه
الوقوف على معاني هذه الآيات اما استدلال أختنا في مسئلة الجبر والقدر وكلام
الخصوم عليه فقد تقدم هناك والله أعلم (المسئلة الثانية) من محضوف الخبر كائني قوله
أمن هو قالت والتقدير أفي شرح الله صدره للاسلام فانفتحت كمن طمع على قلبه فلم يفتد
لقسوته والجواب مقرر ذلك لان الكلام المذكور دل عليه وهو قوله تعالى فويل للقاسية
قلوبهم من ذكر الله (المسئلة الثالثة) قوله فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله فينبسوا ل
وهو ان ذكر الله سبب لحصول النور والهداية وزيادة الاطمئنان كما قال الأبي بكر الله
تطمئن القلوب فكيف جملة في هذه الآية سبب لحصول قسوة القلب والجواب ان تقول
ان النفس اذا كانت خبيثة الجوهر كدرة العنصر بعيدة عن مناسبة الى وحائيات شديدة
الميل الى الطبايع البهيمية والاخلاق الذميمة فان سمعها المذكور الله يزيدها قسوة وكدورة
وتقرر بهذا الكلام بالامثلة فان الفاعل الواحد يختلف أفعاله بحسب اختلاف القوابل
كنور الشمس يسود وجه القصار ويبيض ثوبه وحرارة الشمس تلين الشمع وتعتد الملح وقد
نرى انسانا واحدا يكر كلاما واحدا في مجلس واحد فيستطيعه واحد ويستكرهه غيره
وما ذاك الا ما ذكرناه من اختلاف جواهر النفوس ومن اختلاف أحوال تلك النفوس
ولما نزل قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين وكان قد حضر هناك عمر بن
الخطاب وانسان آخر فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قوله تعالى ثم انشأناه
خلقا آخر قال كل واحد منهم فتبارك الله أحسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اكتب فهكذا أنزلت فاذداد عمر ايمانا على ايمان وازداد ذلك الانسان كفرا على كفر
اذا عرفت هذا لم يعد ايضا أن يكون ذكر الله يوجب النور والهداية والاطمئنان في
النفوس الفاسدة الروحية ويوجب القسوة والبعد عن الحق في النفوس الخبيثة
الشيطنية اذا عرفت هذا فتقول ان رأس الادوية التي تفيد الصحة الروحية ورئيسها

بالكلية حتى لا يتدكر بها ولا يعتنقها (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) أي من أجل ذكره الذي حقيق
أن تنشئ سواه الصمد .

وتطهير القلب متى اذا ذكر الله تعالى عندهم أو آياته اشعار وأمن أجله وازدادت قلوبهم قسوة كقوله تعالى فزادتهم
ريسا وقري عن ذكر الله أي عن قبوله (أولئك) البعداء ٢٥٢ الموصوفون بما ذكر من قسوة القلوب

هو ذكر الله تعالى فانما اتفق بعض النفوس ان يسار ذكر الله تعالى شيئا لا يزيد من ضلالتها
كان من جنس تلك النفس من ضلالتها يرجي زواله ولا يوقع علاجه وكانت في نهاية الشر
والرداء فان هذا المعنى قال تعالى قول بل لا تأسوا قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين
وهذا الكلام كامل تحتق ولم يبين تعالى ذلك أردفه بإبدل على أن القرآن سبب لموصول
النور والشفاء والهداية وزيادة الاطمئنان والمقصود منه بيان ان اشراق لما كان
موصوفا بهذه الصفات ثم انه في حق ذلك الانسان صار سببا لمزيد انوار ذلك على أن
جوهر تلك النفس قد بلغ في الرذالة والطساسة الى أقصى الغايات فقول انه تعالى وصف
القرآن بأنواع من صفات الكمال (المصنف الاول) قوله تعالى انزل الله أحسن الحديث
وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ان القرآن يحدث القرآن أحسن الحديث وهذه الآية من وجوه
(الاول) انه تعالى وصفه بكونه حديثا في هذه الآيات وفي آيات أخرى منها قوله تعالى
فلما أتوا بحديث مثله ومثلهما قوله تعالى أفبهذا الحديث أنتم مدهنون والحديث لا بد وان
يكون حادثا فلما أوّل الحديث أقوى في الدلالة على الحدوث من الحادث لانه يصح أن يقال
هذا حديث وليس عتيق وهذا عتيق وليس بحديث ولا يصح أن يقال هذا عتيق وليس
بحدث فثبت أن الحديث هو الذي يكون قرب العهد بالحديث وسمى الحديث حديثا
لانه وألف من الحروف والكلمات وتلك الحروف والكلمات تحدث حالا فجاء الاوساعة
فساعة فهذا تمام تقرير هذا الوجه (أما الوجه الثاني) في بيان استدلال القوم ان قالوا
انه تعالى وصفه بأنه نزله والمنزل يكون في محل تصرف الغير وما يكون كذلك فهو محدث
وحدث (أما الوجه الثالث) في بيان استدلال القوم ان قالوا ان قوله أحسن الحديث
يقضي أن يكون هو من جنس سائر الاحاديث كما ان قوله زيد افضل الاخوة يقتضي أن
يكون زيد مشاركا لذو تلك الاقوام في صفة الاخوة ويكون من جنسهم فثبت أن القرآن
من جنس سائر الاحاديث ولما كان سائر الاحاديث حادثا وجب أيضا ان يكون القرآن
حادثا (أما الوجه الرابع) في الاستدلال ان قالوا انه تعالى وصفه بكونه كتابا والكتاب
مشتق من الكتبة وهي الاجتماع وهذا يدل على انه يجمع عجامع ومحل تصرف وتصرف
وذلك يدل على كونه محدثا (والجواب) ان نقول نحمل هذا الدليل على الكلام المؤلف من
الحروف والاصوات والالفاظ والعبارات وذلك الكلام عندنا محدث مخلوق والله أعلم
(المسئلة الثانية) كون القرآن أحسن الحديث اما أن يكون أحسن الحديث بحسب
لفظه أو بحسب معناه (القسم الاول) أن يكون أحسن الحديث بحسب لفظه وذلك من
وجهين (الاول) أن يكون ذلك الحسن لاجل الفصاحة والجزالة (الثاني) أن يكون
بحسب النظم في الاسلوب وذلك لان القرآن ليس من جنس الشعر ولا من جنس الخطب
ولا من جنس الرسائل بل هو نوع يخالف الكل مع أن كل ذي طبع سليم يستطيه ويستأنده
(القسم الثاني) ان يكون كونه أحسن الحديث لاجل المعنى وفيه وجوه (الاول) انه

(في ضلال) به من
الحق (عين) بظاهر كونه
ضلالا لكل أحد قبل
نزل الآية في حشر تعالى
رضي الله عنه وما وأي
أهبط وولده وقيل في
عمار بن ياسر رضي الله
عنه وأي جهل وذو به
(الله نزل أحسن الحديث)
هو القرآن الكريم روى
أن أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم
ما واهله فقالوا له عليه
الصلوة والسلام حدثنا
حديثا عن ابن مسعود
وابن عباس رضي الله
عنه فقالوا الوجه الثاني
فثبت والمعنى ان فيه
مندوحة عن سائر
الاحاديث وفي ايفاع
الاسم الجليل مبتدأ وبنه
نزل عليه من تفضيل أحسن
الحديث ورفع شأنه
والاستشهاد على حسنة
وبنا كيدا استدلاله تعالى
وأنه من عنده لا يمكن
صدوره عن غيره والتبديع
على أنه وحى معجز لا
يخفى (كتابا) بدل من
أحسن الحديث أو حال
منه سواء اكتسب من
المضاف اليه نعر يفا

أولافان مساعجى الحال من التكرار المضادة اتفاقا ووقوعه حالا مع كونه احسن الاصل فاما ان تصافه كتابا
بقوله تعالى (متشابهها) أولئك كونه في قوة مكتوبا

ومعنى كونه متشابهها تشابه معانيه في الصحة والاحكام والاثبات على الحق والصدق واستباح منافع الخلق في المعاد والمعيش وتناسب ألقاظه في التصاحف نحو ٢٥٣ وكما يوافق نفسه في الانجاز (مثالي) صفة أخرى

كتابنا أوصل أخرى

مشرعهم مثنى مثنى

مردود ومكر لما في

من قصصه وأنبأه

وأحكامه وأوامره

ونواهيته ووعده ووعده

وهو وأعطاه وقبل لأنه

يشي في الملاوة وقيل

هو جمع مثنى مثنى من

التثنية بمعنى التكرير

والإعادة كافي قوله تعالى

فارجع البصر كرتين

أي كرة بعد كرة ووقوعه

صفة لكتابنا باعتبار

تفاصيله كما يقال القرآن

سور وآيات ويجوز أن

ينصب على التمييز من

متشابهها كما يقال رأيت

رجلا حسنا شمائل أي

شماله والمعنى متشابهة

مثنائية (تقشر منه جلود

الذين يخشون ربهم) قل

صفة لكتابنا أو حال منه

التخصيص بالصفة

والأظهر أنه استئناف

مستوفى إيمان آثاره

الظاهرة في سابعه بعد

بيان أوصافه في نفسه

ولتقرير كونه أحسن

الحديث والافتقار

التبصير يقال أفسح

الجلد إذا تبصير تبصيرا

كتاب منه عن التناقض كإفاد تعالى ولو كان من عند غير الله لوجعلوا آياته الخلقا كثيرا ومثل هذا الكتاب إذا خلا عن التناقض كان ذلك من المميزات (التي هي الأولى) اشتد على القلوب الكثيرة في الماضي والمستقبل (الوحد الثالث) أن العلوم الموجودة فيه كثيرة جدا وضبطها العلماء أن يقولوا العلوم النافعة هي ما ذكره الله في كتابه في قوله والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرنا لك ربنا وإليك المصير فهذا أحسن ضبط يمكن ذكره لعلوم النافعة (أما القسم الأول) وهو الإيمان بالله فاعلم أنه يشتمل على خمسة أقسام معرفة الذات والصفات والأفعال والاحكام والأسماء أما معرفة الذات فهي أن يعلم بوجود الله وقد مدد وبقائه وأما معرفة الصفات فهي ثم عان (أحدها) ما يجب تفرده عنده وهو كونه جوهرًا ومركبًا من الأعضاء والأجزاء وكونه متحصصًا بغير وجهة ويجب أن يعلم أن الألفاظ الدالة على التثنية أربع ليس ولم وما ولا وهذه الأربع المذكورة في كتاب الله تعالى إيمان التثنية إما كلمة ليس قوله ليس ككلمة شيء وأما كلمة لم قوله لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وأما كلمة ما قوله وما كان ربك نسيا ما كان لله أن يتخذ من ولد وأما كلمة لا قوله تعالى لا تأخذه سنة ولا نوم وهو يطعم ولا يطعم وهو يعبر ولا يعبر عليه وقوله في سبعة وثلاثين موضعًا من القرآن لا اله الا الله (وأما النوع الثاني) وهي الصفات التي يجب كونه موصوفًا من القرآن (فأولها) العلم بالله والعلم بكونه محدثًا خالقًا قال تعالى الحمد لله الذي خلق السموات والأرض (وثانيها) العلم بكونه قادرًا قال تعالى في أول سورة القيامة بلى قادرين على أن نسوي بنانه وقال في آخر هذه السورة أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى (وثالثها) العلم بكونه تعالى عالمًا قال تعالى هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة (ورابعها) العلم بكونه عالما بكل المعلومات قال تعالى وعنده مفاتيح الغيب لا يعيها الا هو وقوله تعالى الله يعلم ما تخمّل كل شيء (خامسها) العلم بكونه حيًا قال تعالى هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين (وسادسها) العلم بكونه مرادًا قال الله تعالى فمن يراد الله أن يهديه يشرح صدره الاسلام (وسابعها) كونه سمعًا بصيرًا قال تعالى وهو السميع البصير وقال تعالى انني معكم أسمع وأرى (وثامنها) كونه متكلمًا قال تعالى وإوان ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر عرس من بعده سبعة أبحر ما فقدت كائنات الله (وتاسعها) كونه آمرًا قال تعالى لله الأمر من قبل ومن بعد (وعاشرها) كونه رحيمًا ملكًا قال تعالى الرحمن الرحيم ملك يوم الدين فهذا ما يتعلق بمعرفة الصفات التي يجب اتصافها بها (وأما القسم الثالث) وهو الأفعال فاعلم أن الأفعال إما أرواح وإما أجسام أما الأرواح فلا سبيل لتوقيف عليها إلا التقليل كما قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وأما الأجسام فهي إما العالم الأعلى وإما العالم الأسفل أما العالم الأعلى فالبحث فيه من وجوه (حدها) البحث عن أحوال السموات (وثانيها) البحث عن أحوال الشمس والقمر كما

شديدًا وتركيبه من القسم وهو الأديم اليابس قد ضم إليه الزا ليكون رباعيًا ود الإ

على معنى زائد يقال أقدم تجلده وقف شجرة إذا عرض له خوف شديد من منكر هائل دهمه بغمة والمراد أما بيان
أفراط خشيتهم بطريق التشيل والتصوير أو بيان حصول ٢٥٤ تلك الحالة وعروضه ألهم بطريق

التحقيق والمعنى أنهم
إذا سمعوا القرآن
وقوارع آيات وعنده
أصابتهم هيبه وخشية
تفسر منها جلودهم
وإذا ذكروا رحمة الله
تعالى تبدلت خشيتهم
رجاء ورهبتهم رغبة
وذلك قوله تعالى
(ثم لنين جلودهم
وقلوبهم إذ ذكرا لله)
أي ساكنة مطمئنة
إلى ذكر رحمة تعالى
وأنس لم يصرح بها
أيذنا بأنيها أول
ما يخطر بالبال عند
ذكره تعالى (ذلك)
أي الكتاب الذي
شرح أحواله (هدى الله
بهدى به من يشاء) أن
يعليه بصرف مقاديره
إلى الاهتداء بتأمله فيما
في تضاعفه من شواهد
الحقبة ودلائل كونه
من عند الله تعالى
(ومن يضل الله) أي
يخلق فيه الضلالة
بصرف قدرته إلى
مباديها وأعراضه
عمائريه إلى الحق
بالكلية وعدم تأثره
بوعده ووعده أصلا

أو ومن يضل (غاله من هاد) يخلصه من ورطة الضلال وقبل ذلك الذي ذكر من الخشية ﴿الخلق﴾
والرجاء أثر هداية تعالى يهدي بذلك

الآثر من يشاء من عباده ومن يضلل أي ومن لم يؤثر فيه لطفه لتسوية قلبه واصراره على فجوره فإله من هاذ من مؤثر فيه بشئ قط (أفمن ينهى عن الجهاد) ٢٥٥ الخ استئناف جار مجرى التعليل لما قبله من بيان حال

المهتدي والضلال
والكلام في الهزيمة
والقاء وحذف الخبر
كالذي مر في نظيره
والقدیر أكل الناس
سواء من شأنه أنه بقى
نفسه بوجهه الذي
هو أشرف أعضائه
(سوء العذاب) أي العذاب

السبي الشديد (يوم
القيامة) ليكون يده
التي بها كان يقي المكاره
والخلاف مغلوله الى
عقده كمن هو آمن
لا يمتريه مكروه
ولا يحتاج الى الالتئام
بوجه من الوجوه وقيل
نزلت في أبي جهل
(وقيل للظالمين)
عطف على بقى أي
ويقال لهم من جهة
خزنة النار وصيغة
الماضي للدلالة على
الحقق والقرر وقبل
هو حال من ضمير بقى
بإضمار قد ووضع
الماض في مقام المضارع
للتجسيل عليهم بالظلم
والاشعار بعلة الأمر
في قوله تعالى (ذوقوا)
ما كنتم تكسبون
أي وبال ما كنتم

الاخلاق الفاضلة والاخلاق الفاسدة والقرآن يشتمل على كل ما لابد منه في هذا
الباب قال الله تعالى إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء
والمنكر والبغى وقال خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین (وأمّا الثاني) فهو
التكاليف الحاصلة في أعمال الجوارح وهو المسمى بعلم الفقه والقرآن مشتمل على جملة
أصول هذا العلم على أكل الوجوه (وأمّا القسم الخامس) وهو معرفة أسماء الله تعالى
فهو مذکور في قوله تعالى ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها فهذا كتاب يتعلق بمعرفة الله
(وأمّا القسم الثاني) من الأصول المعتمدة في الإيمان الاقرار باللائكة كقوله تعالى
والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته والقرآن يشتمل على شرح صفاتهم تارة على سبيل
الاجال وأخرى على سبيل إيقان حصولها بالاجال فقوله وملائكته وأمّا بالفضل فيها
ما يدل على كونهم رسل الله قال تعالى جاعل الملائكة رسلًا وهم لها مدرات أي لها العلم
فإن تعالى فالتسميات أمرها لدرجات أمرها وقوله تعالى والصفافات صفوا منها جملة العرش
قال ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ومنها الملائكة حول العرش فليدركوا
الملائكة حافين من حول العرش ومنها خزنة النار قال تعالى عليها ملائكة خلائق شداد
ومنها الكرام الكاتبون قال وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين ومنها الملائكة قال تعالى
له معقبات من بين يديه ومن خلفه وقد يصل بأحوال الملائكة أحوال الجن والشياطين
(وأمّا القسم الثالث) من الأصول المعتمدة في الإيمان معرفة الكتب والقرآن يشتمل
على شرح أحوال كتاب آدم عليه السلام قال تعالى فأنزلنا من ربك كتابا ومنها أحوال
صالح إبراهيم عليه السلام قال تعالى وإذا نبلى إبراهيم ربه بكلمات فأنزلنا ومنها أحوال
التوراة والإنجيل والفرقان (وأمّا القسم الرابع) من الأصول المعتمدة في الإيمان معرفة
الرسول والله تعالى قد شرح أحوال الرسل وأقسام أحوال الباقين قال منهم من قصصنا
عليك ومنهم من لم نقص عليك (القسم الخامس) ما يتعلق بأحوال المكلفين وهم على
ثلاثة (الأول) أن يقرروا بنسب هذه التكليف عليهم وهو المسمى بقرآن وقالوا سمعنا
وأطعنا (والثاني) أن يمتثلوا بصدر التفسير عنهم في تلك الاعمال ثم يطوبوا المغفرة وهو
المراد من قوله فمما نزلت ربنا فيه لما كانت مقادير رؤية التفسير في مواقف العبودية
بحسب المكلفات في مطالعة عن الرواية أكثر كانت المكشافات في تفسير
العبودية أكثر كان قوله غفرانك زينا أكثر (القسم السادس) معرفة المعاد والبحث
والقيامة وهو المراد من قوله واليك المصير وهذا هو الإشارة الى معرفة المطالب المهمة
في طلب الدين والقرآن بجملة لا نهاية له في تقرير هذه المطالب وتبريقها وشرحها ولا يرى
في مشارق الأرض ومعاربها كتابا يشتمل على جملة هذه العلم كاستعمال القرآن عليها
ومن تأمل في هذا التفسير علم التأمل ذكر من جمل فضائل القرآن أنه قفزة ناكثنا لا امر
على هذه الجملة لا جرم مدح الله عز وجل القرآن فقال تعالى الله تولى أحسن الحديث
تكسيبه في الدنيا على الدوام من الكفر والمعاصي (كذب الذين من قبلهم) استئناف مسوق لبيان

ما أصاب بعض الكفرة من العذاب الذي أوتى بيان ما يصاب الكل من العذاب الاخرى أى كذب الذين من قبلهم من الامم السالفة (فأماهم العذاب) المنذر لكل ﴿ ٢٥٦ ﴾ أمه منهم (من حيث لا يشعرون)

من الجهة السنى
لا يحسبون ولا ينظر
بإلهم اتيان الشر
منها (فأذا فهم الله
الخرى) أى الذل
والصغار (فى الحية
الدنيا) كالمسخ
والخسف والقتل
والسبي والاجلاء
وتحوذك من قون
النكال (واعتذاب
الآخرة) المعتدلهم
أكبر لشدة وسرمدته
(أولئك يعلمون)
أى لو كان من شأنهم
أن يعلموا شيئا لعلوا ذلك
واعتبروا به (ولقد
ضر بنا للناس فى هذا
القرآن من كل مثل)
يحتاج اليه الناظر
فى أمور دينه (لعلهم
يتذكرون) كيتذكروا
به ويتعظوا (فرأنا
عربيا) حال مؤكدة
من هذا على أن مدار
التأكيده هو الوصف
كقولك جاءنى زيد
رجلا صالحا أو مدحله
(غير ذى عوج)
لا اختلاف فيه بوجه
من الوجوه فهو أبلغ
من المستقيم وأخص
بالمعنى وقيل المراد بالعوج الشك (لعلهم يتقون) علة أخرى مرتبة على الاولى

والله أعلم (الصفة الثانية) من صفات القرآن قوله تعالى كتابا متشابها أما الكتاب فقد
فسرنا فى قوله تعالى ذلك الكتاب لا ريب فيه وأما كونه متشابها فاعلم ان هذه الآية
تدل على ان القرآن كله متشابها وقوله هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن
أما الكتاب وأخر متشابها تدل على كون البعض متشابها دون البعض وأما كونه كله
متشابها كما فى هذه الآية فقال ابن عباس معناه انه يشبه بعضه بعضا وأقول هذا التشابه
يحصل فى أمور (أحدها) ان الكتاب البليغ اذا كتب كتابا طويلا فانه يكون بعض
كلماته فصيحاً ويكون البعض غير فصيح والقرآن يخالف ذلك فانه فصيح كامل الفصاحة
يجمع أجزائه (وثانيها) ان الفصيح اذا كتب كتابا فى واقعة أو ألفاظ فصيحة فلو كتب
كتابا آخر فى غير تلك الواقعة كان الغالب ان كلامه فى الكتاب الثانى غير كلامه
فى الكتاب الاول والله تعالى حكى قصة موسى عليه السلام فى مواضع كثيرة من القرآن
وكلامه متساوية متشابها فى الفصاحة (وثالثها) ان كل ما فيه من الآيات والبيانات فانه
يقوى بعضها بعضا ويؤكد بعضها بعضا (ورابعها) ان هذه الانواع الكثيرة من العلوم
التي عددناها متشابها مشاركة فى ان المقصود منها بإسرها الدعوى الى الدين وتقرير
عظمة الله ولذلك فانك لا ترى قصة من القصص الا ويكون محصلها المقصود الذي ذكرناه
فهذا هو المراد من كونه متشابها والله الهادى (الصفة الثالثة) من صفات القرآن كونه
مثانى وقد بالغنا فى تفسير هذه اللفظة عند قوله تعالى ولقد آتيناك سبعاً من المثانى وبالجملة
فأكثر الاشياء المذكورة وقعت زوجين زوجين مثل الامر والنهى والعام والخاص والمجمل
والمفصل وأحوال السموات والارض والجنة والنار والظلمة والضوء واللوح والقلم
والملائكة والشياطين والعرش والكرسى والوصد والوعيد والرجاء والخوف والمقصود
متشابهان كل ما سوى الحق زوج ويدل على ان كل شئ مبني على نفسه ونقيضه وان الفرد
الاحد الحق هو الله سبحانه (الصفة الرابعة) من صفات القرآن قوله تقشعر منه جلود الذين
يتخشعون بهم ثم تليين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وفيه مسائل (المسئلة الاولى) معنى
تقشعر جلودهم تأخذهم قشيرة وهى تغير يحدث فى جلد الانسان عند الوجع والخوف
قال المفسرون والمعنى انهم عند سماع آيات الرحمة والاحسان يحصل لهم الفرح فتليين
قلوبهم الى ذكر الله وأقول ان المحققين من العارفين قالوا السائررون فى مبدأ جلال الله ان
نظروا الى عالم الجلال طاشوا وان لاهم أؤمن عالم الجمال عاشوا ويجب علينا ان نذكر
فى هذا الباب من يشرح وتقرير فتقول الانسان اذا تأمل فى الدلائل الدالة على انه يجب
تزيه الله عن الخلق والجهة فهم هناية شعر جلده لان آيات موجوده داخل العالم ولا خارج
ولا متصل بالعالم ولا منفصل عن العالم بما يصعب تصوره فهم هناية تقشعر الجلود اما اذا تأمل
فى الدلائل الدالة على انه يجب أن يكون فردا أحدا وثبت أن كل متغير فهم ومنقسم فهم هناية
يلين جلده وقلبه الى ذكر الله وأيضا اذا أراد أن يحيط عقله بمعنى الازل فيقدم فى ذهنه

(ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون) يريد مثل من الامثال القرآنية بعد بيان أن الحكمة في ضربها هو التذكير والاتعاظ بما يحصل القوي ﴿٢٥٧﴾ والمراد بضرب المثل ههنا تطبيق حالة عجيبة بأخرى مثلها

وجعلها أمثالا كما مر في سورة يس وملائم مع قول أن لضرب رجلا مثله الاول أخر عن الثاني لتسوية اليد وليصل به ما هو من تمدد التي هي العمدة في التمثيل وفيه ليس بصلية لشركاء كما قيل بل هو ضرب له وبيان أنه في الأصل كذلك مما لا

حاجة اليه والجملة في حين الضرب على أنه وصف رجلا أو الوصف هو الجار والمجرور وشركاء مر تقع به على الفاعلية لاعتقاد على الموصوف فالعنى جعل الله تعالى مثلا للشركاء حسما بقوله اليم منه به من ادعاء كل من معبوده عبودية عبدا يتشارك فيه جماعة يتجاذبون به ويتعارفونه في مهماتهم المتباينة في ضميره وتوزع قلبه (ورجلا) أى للوحد مثلا رجلا (سالم) أى خالصا (رجل) فرد ليس لغيره عليه سبيل أصلا وقرئ: سالم يتخج السين وكسر هاءم سكون اللام والكل مصدر من سلمه كذا أى خلص نعت بهما لغلظة وحذف منها

بقدر ألف ألف سنة ثم تقدم أيضا لضرب كل لحظة من لحظات تلك المدة ألف ألف سنة ولا يزال يتخلل ويتقدم ويتخجل في الفهم فاذ باطل وتوغل ونظر إلى استحضار معنى الازل قال العقل هذا ليس بشئ لأن كل ما استحضرت في فهو معناه والازل هو الوجود المتقدم على هذه المدة المنتهية فههنا يتغير العقل ويتشعر الجلد وما اذا ترك هذا الاعتبار وقال عهنا وجود والوجود اما واجب واماممكن فإن كان واجبا فهو دائما معناه عن الاول والآخر وان كان ممكنا فهو محتاج الى الواجب فيكون أزليا أبديا فاذا استبرأ العقل ففهم معنى الازلية فههنا يبين جلد وقوله الى ذكر الله فليت ان المتأملين المذكورين في الآية لا يجب قصرهما على سماع آية العذاب وآية الجزاء بل ذلك الأول تمام الواجب وبه مراتب لاحادها ولا حصر في حصول تلك الحالتين المذكورتين (المسئلة الثانية) روى الواحدى في التيسير عن قتادة انه قال القرآن دل على أولياء الله موفون بأنهم عند المكاشفات والمجاهدات تارة فتشعر بجلودهم وأخرى تلتين جلودهم وفاو بهم الى ذكر الله وليس فيه ان عقولهم تزول وأن أعضائهم تضطرب فدل هذا على أن تلك الاحوال لو حصلت لكانت من الشيطان وأقول ههنا بحث آخر وهو ان الشيخ أبان ما دل الغزالي أورد مسئلة في كتاب احياء علوم الدين وهى أن ترى كثيرا من الناس يظهر عليه الوجد الشديد التام عند سماع الآيات المشتملة على شرح الوصل والتهجير وعند سماع الآيات لا يظهر عليه شئ من هذه الاحوال ثم انه سلم هذا المعنى وذكر العذر فيه من وجوه كثيرة وأنا أقول انى خلقت شعروا مع هذا المعنى فأتى ظنا تأملت في أسرار القرآن أفسر جلادى ووقف على شرى وحصلت في قلبي دهشة وروع وكنا سمعت تلك الاشعار غلب الهزل على وما وجدت البتة في نفسى منها أثرا وأظن أن المنهج القويم والصراط المستقيم هو هذا ويانه من وجوه (الاول) ان تلك الاشعار تلك مسئلة على وصل وهجر وبغض وحسب تليق بانطق والثناء في حق الله تعالى كثر وأما الانتقال من تلك الاحوال الى معان لا تلهى بجلال الله فلا يصل اليها الا العلماء الراغبون في العلم واما ما لى انى يستل عليه القرآن فهى أحوال لا تلهى بجلال الله فمن وقف عليها عظم الوله في قلبه فان من كان عنده نور الايمان وجب أن يعظم اضطرابه عند سماع قوله وعند صفائح الغيب لا يعلمها الا هو الى آخر الآية (والثاني) وهو أنى سمعت بعض المشايخ قال كان الكلام له أثر فكذلك صدور ذلك الكلام من القائل المعين له أثر لأن قوة نفس النازل تعين على نفاذ الكلام في الروح والتمثيل في القرآن هاهنا والله بواسطة جبريل ينبلغ الرسول الموصوم والقائل هناك شاعر كذاب معلوم من الشهوة وداعية الفجور (والثالث) ان مدار القرآن على الدعوة الى الحق قال تعالى واتك تهدي الى الصراط مستقيم صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض وأما الشعر فصاره على الباطل قال تعالى والشعراء يئيبهم اغاوتون ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأهم يقولون ما لا يفعلون فهذه الوجوه الثلاثة فروق ظاهرة واما ما يتعلق

فرو قرئ: سالما وسلم أى وهناك ﴿٢٣﴾ سا رجل سالم أو تخصيص الرجل لانه أفضن لما يجري عليه من الضرب

والنفع (هل يستويان مثلا) انكار واستبعاد لاستوائهما ونفى له على ابلغ وجه واكد وايدان بأن ذلك من الجلاء والظهور بحيث لا يقدر أحد أن يتصور باستوائهما أو يتلصق به ﴿٢٥٨﴾ في الحكم بينهما ضرورة أن أحدهما

في أعلى عليين والآخر في أسفل سافلين وهو السر في إيهام انفاضل والمفضل وانصباب مثلا على التمييز أي هل يستوي حالاهما وصفتهما والافتصاف في التمييز على الواحد لبيان الجنس وقري مثلين كقوله تعاز أكثر أموالا وأولادا الأشعار باختلاف النوع أولان المراد هل يستويان في الوصفين على أن الضمير للمثلين لأن التقدير مثل رجل فيدالخ ومثل رجل الخ وقوله تعالى (الجدلة) نفرير لما قبله من نفي الاستواء بطريق الاعتراض وتبيينه للوحدان على أن ما لهم من إزابة توفيق الله تعالى وأنها نعمة جلية موجبة عليهم أن يداوموا على حمده وعبادته أو على أن يأنه تعالى بضرب المثل أن لهم المثل الأعلى والمشركين مثل السوء صنع جبل واطف تام من عذ وجل مستوجب الحمد وغبادته وقوله تعالى (بل أكثرهم لا يعاون)

بالوجدان من النفس فإن كل أحد إنما يخبر عما يجده من نفسه والذي وجدته من النفس والعقل ما ذكرته والله أعلم (المسئلة الثالثة) في بيان ما بقي من المشكلات في هذه الآية ونذكرها في معرض السؤال والجواب (السؤال الأول) كيف تركيب لفظ القشعريرة الجواب قال صاحب الكشف تركيبه من حروف التشع وهو الاديم اليابس مضموما اليها حرف رابع وهو الراء ليكون رباعيا ودالاعلى معنى زائد يقال أقشعر جلده من الخوف وقف شعره وذلك مثل في شدة الخوف (السؤال الثاني) كيف قال تلين جلودهم وقولهم إلى ذكر الله وما الوجد في تعذيبه بحرف الى والجواب التقدير تلين جلودهم وقولهم حال وصولها إلى حضرة الله وهو لا يمس بالادراك (السؤال الثالث) لم قال إلى ذكر الله ولم يقل إلى ذكر رحمة الله والجواب أن من أحب الله لأجل رحته فمما أحب الله وإنما أحب شيئا غيره وأما من أحب الله لأشئ سواه فهذا هو المحب الحق وهو الدرجة العالية فلهذا السبب لم يقل ثم تلين جلودهم وقولهم إلى ذكر رحمة الله بل قال إلى ذكر الله وقد بين الله تعالى هذا المعنى في قوله تعالى فمن ير الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام وفي قوله لا بد لك الله تطحنن القلوب وأيضا قال لامة موسى يا بني اسرأيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وقال أيضا لامة محمد صلى الله عليه وسلم فاذكروني أذكركم (السؤال الرابع) لم قال في جانب الخوف قشعريرة الجلود فقط وفي جانب الرجاء لين الجلود والقلوب معا والجواب لأن المكشوفة في مقام الرجاء أكل منها في مقام الخوف لأن الخير مطلوب بالذات والشمر مطلوب بالعرض ومحل المكشوفات هو القلوب والأرواح والله أعلم أنه تعالى لما وصف القرآن بهذه الصفات قال ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضل الله فاله من هاد ق قوله ذلك إشارة إلى الكتاب وهو هدى الله يهدي به من يشاء من عباده وهو الذي شرح صدره أولا بقوله هذه الهداية فاله من هاد واستدل أصحابنا بهذه الآية وسوالات المعتزلة وجوابات أصحابنا عين ما تقدم في قوله فمن ير الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام أما قوله تعالى أفن يتقى بوجه سوء العذاب يوم القيامة فاعلم أنه تعالى حكى على القاسية قلوبهم يحكم في الدنيا وبحكم في الآخرة أما حكمهم في الدنيا فهو الضلال التام كقوله ومن يضل الله فاله من هاد وأما حكمهم في الآخرة فهو العذاب الشديد وهو المراد من قوله أفن يتقى بوجه سوء العذاب يوم القيامة وتقديره أن أشرف الأعضاء هو الوجه لأنه محل الحسن والصباحة وهو أيضا صومعة الخواس وإنما يتميز بعض الناس عن بعض بسبب الوجه وأثر السعادة والشقاوة لا يظهر إلا في الوجه قال تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها فطرة أولئك هم الكفرة الفجرة ويقال لمقدم القوم بأوجه العرب ويقال للطريق الدال على كنه حال الشيء وجهه كذا هو كذا فثبت بما ذكرنا أن أشرف الأعضاء هو الوجه فاذا وقع الإنسان في

نوع من أنواع العذاب فانه يجعل يده وقاية لوجهه وفداء له واذا عرفت هذا فتقول اذا كان القادر على الانتقاء يجعل كل مأسوى الوجه فداء للوجه لاجرم حسن جعل الانتقاء بالوجه كناية عن العجز عن الانتقاء ونظيره قول النابغة

ولا عيب فيهم غير أن سبوفهم * بين فلول من قراع الكتاب

أى لا عيب فيهم الا هذا وهو ليس بعيب فلا عيب فيهم اذن يوجد من الوجوه فكذا هيها لا يقدر على الانتقاء بوجه من الوجوه الا بالوجد وهذا ليس بانتقاء فلا قدرة لهم على الانتقاء البتة ويقال ايضا ان الذى يلقى في النار يلقى مغلوله يده الى عنقه ولا يتهيأ ان يلقى النار الا بوجهه اذا عرفت هذا فتقول جوابه محذوف وتقديره أفنى حتى يوجهه سوء العذاب يوم القيامة كى هو آمن من العذاب فحذف الخبر كما حذف في نظائره وسوء العذاب شدته ثم قال تعالى وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون ولما بين الله تعالى كيفية عذاب القاسية قلوبهم في الآخرة بين أيضا كيفية وقوعهم في العذاب في الدنيا فقال كذب الذين من قبلهم فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون وهذا تنبيه على حال هؤلاء لان النقاء في قوله فاتاهم العذاب يدل على أنهم إنما أتاهم العذاب بسبب التكذيب فاذا كان التكذيب حاصلًا ههنا لزم حصول العذاب استدلالًا بالعلل على المعلول وقوله من حيث لا يشعرون أى من الجهة التى لا يشعرون ولا يخطر ببالهم ان الشرر يأتيهم منها بينما هم آمنون اذ أتاهم العذاب من الجهة التى توقعوا الأمن منها ولما بين تعالى انه أتاهم العذاب في الدنيا بين أيضًا انه أتاهم اخرى وهو النك والصفار والهوان والفائدة في ذكر هذا القيد أن العذاب النام هو ان يحصل فيه الامم فمرونا بالهوان والنك ثم قال ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون يعنى أن أولئك وان نزل عليهم العذاب والخزى كما تقدم ذكره فالعذاب المدخر لهم في يوم القيامة أكبر وأعظم من ذلك الذى وقع والمقصود من كل ذلك التخويف والترهيب فلما ذكر الله تعالى هذه القوائد المكاثرة والنقائس المتوافرة في هذه المطالب بين تعالى انه بلغت هذه البيانات الى حد الكمال والتمام فقال ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون والمقصود ظاهر وقالت المعتزلة لذات الآية على ان افعال الله وأحكامه معللة ودلت أيضا على انه يريد الايمان والمعرفة من الكل لان قوله ولقد ضربنا للناس مشعر بالتعليل وقوله في آخر الآية لعلمهم يتذكرون مشعر بالتعليل أيضا ومشعر بأن المقصود من ضرب هذه الامثال ارادة حصول التذكرو العلم ولما كانت هذه البيانات الشافعة والبيانات الباهرة موجودة في القرآن لاجرم وصف القرآن بالمدح والثناء فقال قرآننا غير ذي عوج لعلمهم يتقون وفيه مسائل المسئلة الاولى اخرج القائلون بحديث القرآن بهذه الآية من وجوه الاولى ان قوله ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون يدل على انه تعالى إنما ذكر هذه الامثال ليحصل لهم التذكرو الشئ الذى يوتى به لغرض آخر يكون نوعا فان القديم

المشركون لا يعلمون ذلك مع كمال ظهوره فيقرون في ورطة الشرك والضلال وقوله تعالى (انك ميت وانهم ميتون) تمهيد لما يعقبه من الاختصاص يوم القيامة وقرئ مائت ومائتون وقيل كانوا يترى يصون برسول الله صلى الله عليه وسلم موته أى اذكركم جميعا بصدد الموت (ثم انكم يوم القيامه عند ربكم) أى مالكم أموركم (تخضعون) فتخضع أنت عليهم بأنك باعهم ما أرسلت به من الاحكام والمواظع التى من جلتها ما فى تضاعيف هذه الآيات واجتهدت في الدعوة الى الحق حق الاجتهاد وهم قد لجوا في المكابرة والعناد وقيل المراد به الاختصاص العام الجارى في الدنيا بين الانام

والاول هو الاظهر
الاناسب بقوله تعالى
(فمن اظلم ممن كذب على
الله) فانه الى آخره
مسوق لبيان كل من
طر في الاختصاص
الجارى في شأن الكفر
والايمان لا غير اى اظلم
من كل ظلام من افترى
على الله سبحانه وتعالى
بان اضاف اليه الشريك
والولد (وكذب
بالصدق) اى بالامر
الذى هو عين الحق
ونفس الصدق وهو
ما جاء به النبي صلى الله
عليه وسلم (اذجاءه)
اى فى اول مجيئه من
غير تدبر فيه ولا تأمل
(الابس فى جهنم مثوى
للكافرين) اى اهؤلاء
الذين افتروا على الله
سبحانه وسارعوا الى
الكذب بالصدق
من اول الامر والجمع
باعتبار معنى من كان
الافراد فى الضمائر
السابقة باعتبار
لفظها وانجلس الكفرة
وهم داخولون فى الحكم
دخولا اوليا

هو الذى يكون موجودا فى الازل وهذا يستلزم أن يقال انه انما أتى به لغرض كذا وكذا
(والثانى) انه وصفه بكونه عرييا وانما كان عرييا لان هذه الالفاظ انما صارت دالة على
هذه المعانى بوضع العرب وباصطلاحهم وما كان حصوله بسبب أو وضع العرب
واصطلاحاتهم كان مخالفا لمحمدنا (الثالث) انه وصفه بكونه قرآنا وقرآن عبارة عن
القرأة والقراءة مصدر والمصدر هو المفعول المطلق فكان فعلا ومفعولا والجواب أنا
نحمل كل هذه الوجوه على الحروف والاصوات وهى حادثة ومحدثة (المسئلة الثانية) قال
الزجاج قوله عرييا منصوب على الحال والمعنى ضرر بالناس فى هذا القرآن فى حال عرييته
وبيانه ويجوز أن ينصب على المدح (المسئلة الثالثة) انه تعالى وصفه بصفات ثلاثة
(أولها) كونه قرآنا والمراد كونه متلوا فى المحارب الى قيام القيامة كما قال اننا نحن زلنا
الذكر واناله لحافظون (وثانيها) كونه عرييا والمراد انه أعجز الفصحى والبلاء عن
معارضته كما قال قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله
ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً (وثالثها) كونه غير ذى عوج والمراد براءته عن الناقص
كما قال ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وأما قوله لعلمهم يتقون فالعقولة
يتسكون به فى زهليل أحكام الله تعالى (وفيه بحث آخر) وهو انه تعالى قال فى الآية
الاولى لعلمهم يتذكرون وقال فى هذه الآية لعلمهم يتقون والسبب فيه أن التذكير مقدم
على الانتقاء لانه اذا تذكره وغر فيه ووقف على فحواه وأحاط بعنايه حصل الانتقاء والاحتراز
والله أعلم* قوله تعالى (ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل
هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون المكيت وانهم يتيقنون ثم انكم يوم القيامة
عند ربكم تفرقون فمن اظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذجاءه ابليس فى جهنم
مثوى للكافرين) اعلم انه تعالى لما بالغ فى شرح وعيد الكفار أردفه بتكرير ما يدل
على فساد مذهبهم وقبح طريقته فقال ضرب الله مثلا وفيه مسائل (المسئلة الاولى)
المتشاكسون المختلفون العسرون يقال شكس يشكس شكوسا وشكسا اذا عسر وهو
رجل شكس أى عسر وتشاكس اذا تعاسر قل اليبث التشاكس التنازع والاختلاف
ويقال الليل والنهار متشاكسان أى انها متضادان اذجاء احد هما ذهب الآخر وقوله
فيه صلة شركاء كما تقول اشتركوا فيه (المسئلة الثانية) قرأ ابن كثير وأبوعرو سلما
بالالف وكسر اللام يقال سلم فهو سلما والباقون سلما بفتح السين واللام غير الالف ويقال
أيضا بفتح السين وكسرها مع سكون العين امامن قرأ سلما فهو اسم الفاعل تقدير مسلم
فهو سلما واماسا ثم انقرأت فهى صادرة سلم والمعنى ذالسلامة وقوله لرجل أى ذا خلوص له
من الشرك كمن قولهم سلمت له الضبعة وقرى بالرفع على الابتداء أى وهالك رجل سلما لرجل
(المسئلة الثالثة) تقدير الكلام اضرب لقومك مثلا وقل لهم ما يقولون فى رجل من
المماليك قد اشترك فى شركاء بينهم اختلاف وتنازع كل واحد منهم يدعى انه عبده فهم

(والذي جاء بالصدق وصدق به) الموصول عبارة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبعه كأن المراد في قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب لهم يتدون ﴿٢٦١﴾ هو عليه الصلاة والسلام وقوله وقيل عن الجنس المتناول للرسول

يتجاذبون في حوائجهم وهو متخير في أمره فكلما أَرْضَى أحدهم غضب الباقون وإذا احتاج في مهم إليهم فكل واحد منهم يرد إلى الآخر فهو يتي مخيرا لا يعرف أيهم أولى بأن يطلب رضاه وأبهم بعينه في حاجاته فهو بهذا السبب في عذاب دائم وترتب مقيم ورجل آخر له مخدوم واحد يخدمه على سبيل الاخلاص وذلك المخدوم بعينه على مهماته فأى هذين العبدین أحسن حالا وأحدثنا والمراد تنبيل حال من ثبتت آلهة شتى فإن أولئك الآلهة تكون متنازعة متغلبة كما قال تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وقال ولعل بعضهم على بعض فيبيح ذلك المشرك مخيرا فضلا لا يدري أي هؤلاء الآلهة يعبد وعلى ربوبية أيهم يعتمدون يطلب رزقه وعن يمين رزقه ففهمه شقاق وقلبه أوزاع أمان لم يثبت إلا إله واحد فهو قائم بما كلفه عارف بما أوصاه وما انحطه فكان حال هذا أقرب إلى الإصلاح من حال الأول وهذا مثل ضرب في غاية الحسن في تنبيح الشرك وتحسين التوحيد فإن قبل هذا المثال لا ينطبق على عبادة الأصنام لأنها جادات فلا يس بينها منازعة ولا مشاكسة قلنا إن عبدة الأصنام يختلفون منهم من يقول هذه الأصنام تماثيل الكواكب السبعة فهم في الحقيقة إنما يعبدون الكواكب السبعة ثم إن القوم يثبتون بين هذه الكواكب منازعة ومشاكسة ألا ترى أنهم يقولون زحل هو الخمس الأعظم والمشتري هو السعد الأعظم ومنهم من يقول هذه الأصنام تماثيل الأرواح الفلكية والقائلون بهذا القول زعموا إن كل نوع من أنواع حوادث هذا العالم يتعلق بروح من الأرواح السماوية وحينئذ يحصل بين تلك الأرواح منازعة ومشاكسة وحينئذ يكون المثل مطابقا ومنهم من يقول هذه الأصنام تماثيل الأشخاص من العلماء والزهاد الذين مضوا فهم يعبدون هذه التماثيل لتصير أولئك الأشخاص من العلماء والزهاد شفعاء لهم عند الله والقائلون بهذا القول يزعم كل طائفة منهم أن الحق هو ذلك الرجل الذي هو على دينه وإن من سواه بطل وعلى هذا التقدير أيضا ينطبق المثال ثبت أن هذا المثال مطابق لما قصود أمأ قوله تعالى هل يستويان مثلا فالتقدير هل يستويان حسنة وقوله مثلا نصب على التميز والمعنى هل تستوي صفتهما وحاشاهما وإنما أقصر في التميز على الواحد لبيان الجنس وقرئ مثليين ثم قال الحمد لله والمعنى أنه لما بطل القول بإثبات الشركاء والانداد وثبت أنه لا إله إلا هو الواحد الاحد الحق ثبت أن الحمد لله لاغيره ثم قال بعده بل أكثرهم لا يعلمون أي لا يعلمون أن الحمد لله لاغيره وأن المستحق للعبادة هو الله لاغيره وقيل المراد أنه لما سبق هذه الدلائل الظاهرة والبيانات الباهرة قل الحمد لله على حصول هذه البيانات وظهور هذه البيانات وإن كان أكثر الخلق لم يعرفوها ولم يفقهوا عليها ولم نعم الله هذه البيانات قال لك ميت وأنهم ميتون والمراد أن هؤلاء الأرواح وإن لم يلتفتوا إلى هذه الدلائل القاهرة بسبب استيلاء الحرس والمسد عليهم في الدنيا فلا يتأمل بالبحر بهذا فأنك متوت وهم أيضا سيموتون ثم تحشرون يوم القيامة وتخصمون عند الله تعالى والعدل

والمؤمنين بهم ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه والذين جاؤا بالصدق وصدقوا به وقيل هو صفة الموصوف محذوف هو الفوج أو الفريق (أو تلك) الموصوفون بما ذكر من الجني بالصدق والتصديق به (هم المقون) المنوتون بالقوى التي هي أجل الرغائب وقرئ وصدق به بالتخفيف أي صدق به الناس فأداه إليهم كما نزل عليهم من غير تغيير وقيل وصار صادقا به أي يسبه لأن ما جاء به من القرآن مجزئة دالة على صدقه عليه الصلاة والسلام وقرئ صدق به على البناء للقول (لهم ما يشاؤون عند ربهم) بيان لما لهم في الآخرة من حسن المآب بعد بيان ما لهم في الدنيا من محاسن الاعمال أي أيهم كل ما يشاؤون من جلب المنافع ودفع المضار في الآخرة لا في الجنة فقط لما أن بعض

ما يشاؤون من تكفير السيئات والأمن من الفرع الأكبر سائر أحوال القيامة إنما يقع قبل دخول الجنة (ذاك) الذي ذكر من حصول كل ما يشاؤون (جزاء المحسنين) أي الذين

أحسنوا أعمالهم وقدم تفسير الاحسان غير مرة وقوله تعالى (ليكفر الله عنهم أسوأ الذي علوا) الخ متعلق بقوله تعالى لهم ما يشاؤون لكن لا باعتبار منطوقه ضرورة أن التكفير المذكور في ٢٦٢ لا يتصور كونه غاية لشبوت ما يشاؤون

لهم في الآخرة كيف لا وهو بعض ما سبقت لهم فيها بل باعتبار فعواه فانه حيث لم يكن اخبارا بما ثبت لهم فيامضى بل بما سبقت لهم فيامسأبأى كان في معنى الوعد به كما مر في قوله تعالى وعد الله فانه مصدر مؤكد لما قبله من قوله تعالى لهم غرف من فوقها غرف فانه في معنى وعدهم الله غرافا تصب به وعد الله كانه قيل وعدهم الله جميع ما يشاؤون من زوال المضار وحصول المسار ليكفر عنهم بموجب ذلك الوعد أسوأ الذي علوا دفع المضارهم (ويجزىهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون) اعطاء لمنافعهم واطهار الاسم الجليل في موقع الاضرار لابرار كمال الاعتناء بفضول الكلام واطرافه الاسوا والاحسن الى ما بعدهما ليست من قبيل اضافة المفضل الى المفضل عليه بل من اضافة الشيء الى بعضه للقصد الى التحقيق

الحق يحكم بينكم فيوصل الى كل واحد ما هو حقه وحينئذ يميز الحق من المبتطل والصادق من الزنديق فهذا هو المقصود من الآية وقوله تعالى انك ميت وانهم ميتون أى انك واياهم وان كنتم احياء فالك واياهم في اعداد الموتى لان كل ما هو آت أم تم بين تعالى نوعا آخر من قبائح أفعالهم وهو أنهم يكذبون ويضمون اليه أنهم يكذبون القائل الحق اما انهم يكذبون فهو وانهم أنبتوا الله ولدوا شركا واما انهم مصررون على تكذيب الصادقين فلانهم يكذبون محمد أصلي الله عليه وسلم بعد قيام الدلالة القاطعة على كونه صادقا في ادعاء النبوة ثم أردفه بالوعد فقال ليس في جهنم مثوى للكافرين ومن الناس من تمسك بهذه الآية في تكفير الخائفاء من أهل القبلة وذلك لان المخالف في المسائل كلها التقطعية يكون كاذبا في قوله ويكون مكذبا للذهب الذي هو الحق فوجب دخوله تحت هذا الوعد * قوله تعالى (والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين) ليكفر الله عنهم أسوأ الذي علوا الذي عجزوا بجزى بهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون ليس الله بكافى عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فإله من هاد ومن يهد الله فإله من مضل ليس الله بعز يزى انتقام) اعلم انه تعالى لما ذكر وعيد الكاذبين والمكذبين للصادقين ذكر عقوبة وعدا للصادقين ووعدا للمصدقين ليكون الوعد مقرونا بالوعد وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قوله والذي جاء بالصدق وصدق به تقديره والذي جاء بالصدق والذي صدق به وفيه قولان (الاول) ان المراد شخص واحد فالذى جاء بالصدق محمد والذي صدق به هو أبو بكر وهذا القول مروى عن علي بن ابي طالب عليه السلام وجماعة من المفسرين رضى الله عنهم (والثاني) ان المراد منه كل من جاء بالصدق فالذى جاء بالصدق الانبياء والذي صدق به الاتباع واحتج القائلون بهذا القول بأن الذي جاء بالصدق جماعة وانهم يجزأون لاولئك هم المتقون (المسئلة الثانية) ان الرسالة لا تتم الا بآركان أربعة المرسل والمرسل والمرسل اليه والمقصود من الارسل اقدام المرسل اليه على القول بالصدق فأول شخص أتى بالصدق هو الذي يتم به الارسل وسبقت بعض القاصيين من الذي يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال دعوا أبا بكر فانه من ثمة النبوة واعلم اناسواء قلنا المراد بالذى صدق به شخص معين او قلنا المراد منه كل من كان موصوفا بهذه الصفة فان أبا بكر داخل فيه اما على التقدير الاول فدخل أبي بكر فيه ظاهرا وذلك لان هذا يتناول أسبق الناس الى التصديق وأجوعوا على أن الأسبق الأفضل اما أبو بكر واما علي وحمل هذا اللفظ على أبي بكر أولى لان عليا عليه السلام كان وقت البعثة صغيرا فكان كالولد الصغير الذي يكون في البيت ومعلوم أن اقدامه على التصديق لا ينفذ من يد قوة وشوكة اما أبو بكر فانه كان رجلا كبيرا في السن كبيرا في المنصب فاقدامه على التصديق يفيد من يد قوة وشوكة في الاسلام فكان حل هذا اللفظ على أبي بكر أولى (واما على التقدير الثاني) فهو أن يكون المراد كل من كان موصوفا بهذه

والتوضيح من غير اعتبار تفضيله عليه وانما الاعتبار فيهما مطلق الفضل والزيادة لاعلى المضاف في الصفة * اليه المعين بخصوصه كافي قوله التام والاشجع اعدا لابي مروان

خلا أن الزيادة المعبرة فيهما ليست بطريق الحقيقة بل هي في الأول بالنظر الى ما يليق بحالهم من استغلام
سبأ تهم وان قلت واستغفار حسناتهم ﴿ ٢٦٣ ﴾ وان جلت والثاني بالنظر الى الخلف أكرم الأكرمين

من استكثار الحسنات
السيرة ومقابلتها
بالتوابات الكثيرة وحمل
الزيادة على الحقيقة
وان أمكن في الأول بناء
على أن تخصص الاسوا
بالذكر ليسان تكفير
مادونه بطريق الاولوية
ضرورة استنزام تكفير
الاسوات تكفير السيئ
لكن لمسلم يكن ذلك
في الاحسن كان الاحسن
نظمهما في سلك واحد
من الاعتبار والجمع بين
صغى الماضي والمستقبل
في صلة الموصول الثاني
دون الاول للايدان
باستمرارهم على الاعمال
الصالحة بخلاف السيئة
(ليس الله بكافى عبده)
انكاروا نفي لعدم كفايته
تعالى على ابلغ وجه
وأكد كأن الكفاية
من التحقق والظهور
بحيث لا يقدر أحد على
أن يتفوه بعد مهسا
أو يتلثم في الجواب
بوجودها والمراد بالبعد
امارسول الله صلى الله
عليه وسلم والجنس
المتظم له عليه السلام
انتظاما أولا وبؤيده

الصفة وعلى هذا التقدير يكون أبو بكر داخل فيه (المسئلة الثالثة) قال صاحب
الكشاف قرئ وصدق بالتخفيف أى صدق به الناس ولم يكذبهم بمعنى أداه اليهم كارتل عليه
من غير تحريف وقيل وصار صادقا به أى بسببه لان القرآن معجزة والمعجزة تصديق من
الحكيم الذى لا يفعل القبيح فيصير المدعى الرسالة صادقا بسبب تلك المعجزة وقرئ وصدق
واعلم انه تعالى أثبت للمدى جاء بالصدق وصدق به أحكاما كثيرة (فالحكم الاول) قوله
أولئك هم المؤمنون وتقريره ان التوحيد والشرك ضدان وكلما كان أحد الضدين أشرف
وأكمل كان الضد الثاني أخس وأرذل ولما كان التوحيد أشرف الاسماء كان الشرك
أخس الاشياء والاتى بأحد الضدين يكون تاركا للآخر فالآتى بالتوحيد الذى
هو أفضل الاشياء يكون تاركا للشرك الذى هو أخس الاشياء وأرذلها فلهذا المعنى وصف
المصدقين بكونهم متقين (الحكم الثاني) للصدقين قوله تعالى لهم ما يشاؤون عند ربهم
ذلك جزاء المحسنين وهذا الوعد يدخل فيه كل ما يرغب المكلف فان قيل لاشك ان
الكمال محبوب لذاته مرغوب فيه لذاته وأهل الجنة لاشك انهم عقلاء فاذا شاهدوا
الدرجات العالية التى هى الانبياء وأكابر الاولياء عرفوا انها خيرات عالية ودرجات كاملة
والعلم بالشيء من حيث انه كمال وخير يوجب الميل اليه والرغبة فيه واذا كان كذلك فهم
يشاؤون حصول تلك الدرجات لانفسهم فوجب حصولها لهم بحكم هذه الآية وايضا فان
لم يحصل لهم ذلك المراد كانوا فى العصة ووحشة القلب وأجيب عنه بأن الله تعالى يزيل
الحقد والحسد عن قلوب أهل الآخرة وذلك يقتضى ان أحوالهم فى الآخرة بخلاف
أحوالهم فى الدنيا ومن الناس من تمسك بهذه الآية فى أن المؤمنين يرون الله تعالى يوم
القيامة قالوا ان الذين يعتقدون انهم يرون الله تعالى لاشك انهم داخلون تحت قوله تعالى
وصدق به لانهم صدقوا الانبياء عليهم السلام ثم ان ذلك الشخص يرى يدرون الله تعالى
فوجب أن يحصل له ذلك لقوله تعالى لهم ما يشاؤون عند ربهم فان قالوا الانسلم ان أهل
الجنة يشاؤون ذلك قلنا هذا باطل لان الرؤية أعظم وجوه التجلى وزوال الحجاب ولاشك انها
حالة مطلوبة لكل أحد نظر الى هذا الاعتبار بل أثبت بالدلائل كون هذا المطلوب متع
الوجود لعينه فانه يترك طلبه لالاجل عدم مقتضى الطلب بل قيام المانع وهو كونه
ممتعا فى نفسه فثبت ان هذه الشبهة قائمة والنص يقتضى حصول كل ما أرادوه وشاؤوه
فوجب حصولها واعلم أن قوله عند ربهم لا يفيد العندية بمعنى الجهة والمكان بل معنى
الصمدية والاخلاص كفى قوله تعالى عند ملك مقدر واعلم ان المعتلة تمسكوا بقوله
وذلك جزاء المحسنين على أن هذا الاجر مستحق لهم على احسانهم فى العباداة (الحكم
الثالث) قوله تعالى ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا ويعجزهم أجرهم بأحسن الذى كانوا
يعملون فتقوله لهم ما يشاؤون عند ربهم يدل على حصول الثواب على اكل الوجوه وقوله
ليكفر الله عنهم يدل على سقوط العقاب عنهم على اكل الوجوه فقيل المراد انهم اذا

قراءة من قرأ عباده وفسر بالانبياء عليهم الصلاة والسلام وكذا قراءة من قرأ بكافى عباده على الاضافة ويكافى
عباده على صيغة المتعالبسة اما من الكفاية لافادة

المبالغة فيها وأما من المكافاة بمعنى المجازاة وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما قاله قريش أنا نخاف أن نخذلك آلهتنا وبصيتك مضرتها عليك ﴿٢٦٤﴾ أيها وفي رواية قالوا نتكفن عن شم آلهتنا وألبصيتك

صدقوا الانبياء عليهم السلام فيما أتوا فان الله يكفر عنهم أسوأ أعمالهم وهو الكفر السابق على ذلك الايمان ويوصل اليهم أحسن أنواع الثواب وقال مقاتل يحزن بهم بالمحاسن من أعمالهم ولا يميز بهم بالمساوي واعلم أن مقاتلا كان شيخ المرجئة وهم الذين يقولون لا يضر شيء من المعاصي مع الايمان كالا ينفع شيء من الطاعات مع الكفر واحتج بهذه الآية فقال انها تدل على أن من صدق الانبياء والرسول فانه تعالى يكفر عنهم أسوأ الذي عملوا ولا يجوز حل هذا الاسوأ على الكفر السابق لان الظاهر من الآية يدل على أن التكفير انما يحصل في حال ما وصفه الله بالتقوى وهو التقوى من الشرك وإذا كان كذلك وجب أن يكون المراد منه الكبائر التي يأتي بها بعد الايمان فتكون هذه الآية تنصيصا على أنه تعالى يكفر عنهم بعد ايمانهم أسوأ ما يتوبون به وذلك هو الكبائر (الحكم الرابع) انه جرت العادة أن المبتلين يخوفون المحتنين بالخوفات الكثيرة فحسم الله مادة هذه الشبهة بقوله تعالى أليس الله بكاف عبده وذكره بلفظ الاستفهام والمراد تقرر ذلك في النفوس والامر كذلك لانه ثبت انه عالم بجميع المعلومات قادر على كل المكنات غني عن كل الحاجات فهو تعالى عالم حاجات العباد وقادر على دفعها وابدائها بالخيرات والراحات وهو ليس بخيلا ولا محتاجا حتى ينعده بخلة وحاجته عن اعطاء ذلك المراد وإذا ثبت هذا كان الظاهر انه سبحانه يدفع الآفات ويزيل اليبات ويوصل اليه كل المراتب فلهذا قال أليس الله بكاف عبده ولما ذكر الله المقدمة رتب عليها النتيجة المطلوبة فقال ويخوفونك بالذين من دونه يعني لما ثبت أن الله كاف عبده كان الخوف بفغير الله عبثا وباطلاقا أكثر أقرأ عبده بلفظ الواحد وهو اختيار أبي عبيدة لانه قال له ويخوفونك روي أن قريش قالت للنبي صلى الله عليه وسلم أنا نخاف أن نخذلك آلهتنا فأنزل الله تعالى هذه الآية وقرأ جماعة عباده بلفظ الجمع قيل المراد بالعباد الانبياء فان نوحا كناه الغرق وابراهيم النار ويونس بالانجاء مما وقع له فهو تعالى كافكم يا محمد كما كفى هؤلاء الرسل قبلك وقيل أتم الانبياء قصدوهم بالسوء اقوله تعالى وهمت كل أمة برسولهم وكفاهم الله شر من عاداهم واعلم انه تعالى لما أطنب في شرح الوعيد والوعد والترهيب والترغيب ختم الكلام بخاتمة هي الفصل الحق فقال ومن يضلل الله فانه من هاد ومن يهدي الله فانه من مضل يعني هذا الفصل لا ينفع واليقات الا اذا خص الله العبد بالهداية والتوفيق وقوله أليس الله بعز يزدي انتقام تهديد للكفار واعلم أن أصحابنا يمسكون في مسئلة خلق الاعمال واردة الكائنات بقوله ومن يضلل الله فانه من هاد ومن يهدي الله فانه من مضل والمباحث فيه من الجانبين معلومة والمعتزلة يمسكون على صحة مذهبه في هاتين المسئلتين بقوله أليس الله بعز يزدي انتقام ولو كان الخالق للكفر فيهم هو الله لكان الانتقام والتهديد بغير لائق به * قوله تعالى (واثن سأتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل من كاشفات ضره أو ارادني

منهم خيل أو جنون كما قال قوم هود ان تقول الاعترك بعض آلهتنا بسوء وذلك قوله تعالى (ويخوفونك بالذين من دونه) أي الاوثان التي اتخذوها آلهة من دونه تعالى والجملة استئناف وقيل حال (ومن يضلل الله) حتى غفل عن كتابته تعالى وعصيته له عليه الصلاة والسلام وخوفه بما لا ينفع ولا يضر أصلا (فانه من هاد) يهديه الى خيرا (ومن يهد الله) فانه من مضل (بصرفد عن مقصدهم) وبصبيبه بسوء يخل بسلو كره اذ لا اراد فعله ولا معارض لارادته كما ينطبق به قوله تعالى (أليس الله بعز يز) غالب لا يغالب منع لا يمانع ولا ينازع (ذو انتقام) ينتقم من أعدائه ولا يلباه واظهار الاسم الجليل في موقع الاخبار التحقيق مضنون الكلام وترية المهابة (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) اوضح الدلائل

وضوح السبيل (قل) تبيكتهم (أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل من كاشفات ضره) أي بعد ما تحققت أن خالق العالم العلوي والسفلي هو الله عز وجل فاجبروني أن آلهتكم ان ارادني الله بضر هل يكشف عن ذلك الضير (أو ارادني

أى انما نفع به نفسه (من ضل) بأن لم يعمل بموجبه (فانما يضل عليها) لئلا ن وبال ضلاله مقصور عليها (وما أنت عليهم بوكيل) لتجبرهم على الهدى وما وظفتك الا البلاغ وقد بلغت أى بلاغ (الله يتوفى الانفس حين موتها وانى لم تمت في متاعها) أى يقبضها من الابدان بان يقطع تعلقها عنها ﴿ ٢٦٦ ﴾ وتصر فيها اما ظاهرا وباطنا كما عند الموت

أوظاها فقط كأعد التوم (فيمسك التى قضى عليها الموت) ولا يردّها الى البدن وقرى قضى على البناء للمعقول ورفع الموت (ورسل الاخرى) أى النائمة الى بدنها عند اليقظة (الى أجل مسمى) هو الوقت المضروب لموته وهو غاية جنس الارسال الواقع بعد الامساك لا لفردها فان ذلك مالا امتداد فيه ولا كية وما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان فى ابن آدم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس هى التى بها العقل والخيال والروح هى التى بها النفس والتحريك فتتوفى عند الموت وتتوفى النفس وحدها عند التوم قريب مما ذكر (ان فى ذلك) أى فيما ذكر من التوفى على الوجهين والامساك فى أحدهما والارسال فى الآخر (لآيات) بحجة دالة على كمال قدرته تعالى وحكمته وشؤل رحته (اقوم يتفكرون) فى كيفية

نفسك عليهم حسرات فلما أطلب الله تعالى فى هذه الآية فى فساد مذاهب المشركين تارة بالدلائل والبينات وتارة بضرب الامثال وتارة بذكر الوعيد أردف بكلام يزيد ذلك الخوف العظيم عن قلب الرسول صلى الله عليه وسلم فقال اننا أنزلنا عليك هذا الكتاب الكامل الشر يفك نفع الناس ولا نهدأ لهم به وجعنا انزاله مقرونا بالحق وهو المعجز الذى يدل على انه من عند الله فن اهتدى فنفقه يعود اليه ومن ضل فضاير ضلاله يعود اليه وما أنت عليهم بوكيل والمعنى انك است مأمورا بان تحملهم على الايمان على سبيل القهر بل القبول وعدمه مفوض اليهم وذلك لتسليط الرسول فى اصرارهم على الكفر ثم بين تعالى أن الهداية والضلال لا يحصلان الا من الله تعالى وذلك لان الهداية تشبه الحياة واليقظة والضلال يشبه الموت والتوم كان الحياة واليقظة وكذلك الموت والتوم لا يحصلان الا بتخليق الله عز وجل وإيجاده فكذلك الهداية والضلال لا تحصلان الا من الله تعالى ومن عرف هذه الدقيقة فقد عرف سر الله تعالى فى القدر ومن عرف سر الله فى القدر هانت عليه المصائب فصير التنبيه على هذه الدقيقة سببا لوال ذلك الحزن عن قلب الرسول صلى الله عليه وسلم فهذا الوجه النظم فى الآية وقيل نظم الآية أنه تعالى ذكر حجة أخرى فى اثبات انه الاله العالم ليدل على انه بالعبادة أحق من هذه الاصنام (المسئلة الثانية) المقصود من الآية أنه تعالى يتوفى الانفس عند الموت وعند التوم الا انه يمسك الانفس التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى وهى النائمة الى أجل مسمى أى الى وقت ضربه لموتها فقولته تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها يعنى انه تعالى يتوفى الانفس التى نامت وما ماتت عند متاعها وقوله تعالى فيمسك التى قضى عليها الموت يعنى ان النفس التى يتوفىها عند الموت يمسكها ولا يردّها الى البدن وقوله ويرسل الاخرى الى أجل مسمى يعنى ان النفس التى يتوفىها عند التوم يردّها الى البدن عند اليقظة تبقى هذه الحالة الى أجل مسمى وذلك الاجل هو وقت الموت فهذه تفسير لفظ الآية وهى مطابقة للتحقيق ولكن لا بد فيه من مزيد بيان فنقول النفس الانسانية عبارة عن جوهر مشرق روحانى اذا تعلق بالبدن حصل ضوءه فى جميع الاعضاء وهو الحياة فنقول انه فى وقت الموت يقطع تعلقه عن ظاهر هذا البدن وعن باطنه وذلك هو الموت وأما فى وقت التوم فانه يقطع ضوءه عن ظاهر البدن من بعض الوجوه ولا يقطع ضوءه عن باطن البدن فثبت ان الموت والتوم من جنس واحد الا ان الموت انقطاع تام لكامل والتوم انقطاع ناقص من بعض الوجوه واذا ثبت هذا ظهر ان القادر العالم الحكيم دبر تعلق جوهر النفس بالبدن على ثلاثة أوجه (أحدها) أن يرفع ضوء النفس على جميع أجزاء البدن ظاهرا وباطنه وذلك هو اليقظة (وثانيها) أن يرتفع ضوء النفس عن ظاهر البدن من بعض الوجوه دون باطنه وذلك هو النوم (وثالثها) أن يرتفع ضوء النفس عن البدن بالكلية وهو الموت فثبت أن الموت والتوم يشتمل على كون كل واحد منهما توفيا للنفس ثم يمتاز أحدهما عن الآخر

تعلقها بالابدان وتوفىها عنها تارة بالكلية كما عند الموت وامساكها باقية لا تقضى بفنائها وما يترجمها بخواص من السعادة والشقاوة وأخرى عن ظواهرها فقط كما عند التوم وار سالها حينئذ بعد حين الى انقضاء أجالها

واما اخذوا اي بن احدور يس (من دون الله) من دون اذنه تعالى (شفعاء) يسمع لهم عنده تعالى (قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون) الهمة لانكار الواقع واستباحه والتوبخ عليه أي قل اتخذونهم شفعاء ولو كانوا لا يملكون شيئا من الاشياء ولا يعقلونه فضلا عن أن

علم ان المراد بيان أن ما فعلوا ليس من انقاذ الشفعاء في شيء لأنه فرغ كون الاوثان شفعاء وذلك أظهر المحالات فانه قد رحيشذ غير ما قدر أو لا وعلى أي تفدير كان قالوا ولا يعطف على شرطية قد حذف لدلالة المذكورة عليها أي أيشعون لو كانوا يملكون شيئا ولو كانوا لا يملكون الخ وجواب او محذوف لدلالة المذكور عليه وقدم تحقيقه مرارا (قل) بعد تبكيتهم وتجهيلهم بما ذكر تحقيق الحق (لله الشفاعة جميعا) أي هو ملكها لا يستطيع أحد شفاعة ما الا ان يكون المشفع له مرضى والشفيع مأذونا له وكلاهما مفقود ههنا وقوله تعالى له ملك السموات والارض) تقريله وتأكيد أي له ملكهما وما فيهما من المخلوقات لا يملك أحد أن يتكلم في أمر من أمور بدون اذنه ورضاه (ثم اليه ترجعون) يوم القيامة لا إلى أحد

بخواص معينة في صفات معينة ومثل هذا التدبير الجيب لا يمكن صدوره الاعن القادر العليم الحكيم وهو المراد من قوله ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ويحتمل أن يكون المراد بهذا أن الدليل يدل على أن الواجب على العاقل ان يعبد الهاموصوفاهذه القدرة وبهذه الحكمة وان لا يعبد الاوثان التي هي جمادات لا شعور لها ولا ادراك واعلم ان الكفار أوردوا على هذا الكلام سؤالا فقالوا نحن لا نعبد هذه الاصنام لاعتقادنا انها آلهة تضر وتنفع واما نعبد الهالاجل انها تماثيل لاشخاص كانوا عند الله من المقربين فحين نعبد الهالاجل أن يصبروا ولك الاكارب شفعاء لنا عند الله فأجاب الله تعالى بأن قال أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون وتقرر الجواب أن هؤلاء الكفار اما أن يطمعوا بتلك الشفاعة من هذه الاصنام أو من أوثان العلماء والزهاد الذين جعلت هذه الاصنام تماثيل لها (والاول) باطل لان هذه الجمادات وهي الاصنام لا تملك شيئا ولا تعقل شيئا فكيف يعقل صدور الشفاعة عنها) (والثاني) باطل لان في يوم القيامة لا يملك أحد شيئا ولا يقدر أحد على الشفاعة الا بإذن الله فيكون الشفع في الحقيقة هو الله الذي يأذن في تلك الشفاعة فكان الاشتغال بعبادته أولى من الاشتغال بعبادة غيره وهذا هو المراد من قوله تعالى قل لله الشفاعة جميعا ثم بين انه لا ملك لاحد غير الله بقوله له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون ومنهم من تمسك في نفى الشفاعة مطلقا بقوله تعالى قل لله الشفاعة جميعا وهذا ضعيف لاننا نسلم انه سبحانه عالم بأذن في الشفاعة لم يقدر أحد على الشفاعة فان قيل قوله الله يتوفى الانفس حين موتها فيه سؤال لان هذا يدل على ان المتوفى هو الله فقط وتأكدها بقوله الذي خلق الموت والحياة وقوله رب الذي يحيى ويميت بقوله كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فاحياكم ثم ان الله تعالى قال في آية أخرى قل يتوفاكم ملك الموت وقال في آية ثالثة حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وجوابه ان المتوفى في الحقيقة هو الله الا انه تعالى فوض في عالم الاسباب كل نوع من أنواع الاعمال الى ملك من الملائكة ففوض قبض الارواح الى ملك الموت وهو رئيس وتحت اتباعه وخدم فاضيف التوفى في هذه الآية الى الله تعالى بالاضافة الحقيقية وفي الآية الثانية الى ملك الموت لانه هو الرئيس في هذا العمل والى سائر الملائكة لانهم هم الاتباع الى ملك الموت والله أعلم * قوله تعالى (واذا ذكر الله وحده استخارت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت محكهم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) ولو ان الذين ظنوا ما في الارض جميعا ومثله معه لا فتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبد الله ما لم يكونوا محسبون وبد الله سيئات ما كسبوا ووافق بهم ما كانوا به يستهزون) اعلم ان هذا نوع آخر من الاعمال القبيحة للمشركين وهوانك اذا ذكرت الله وحده تقول لا اله الا الله وحده لا شريك له فظهرت آثار التفرقة من وجوههم

سواء لا استقلا ولا لا اشتراكا في فعل يومئذ ما يريد (واذا ذكر الله وحده) دون آلهتهم (استخارت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة) أي انقبضت ونفرت كما في قوله تعالى واذا ذكرت ربك في القرآن

حده ولو اعلی اديارهم نفورا (واذا ذكر الذين من دونه) فرادى أو مع ذكر الله تعالى (اذا هم يستشيرون) لفرط افتنائهم بهادرتيائهم حق الله تعالى ولقد بواخ في بيان ما تبهم القبحتين حيث بين الغاية فيها فان الاستبشار هو ان يمتلي القلب سرور راحتي ينسبط له بشرة الوجه ﴿٢٦٨﴾ والاشمئزاز ان يتأني غيظا وغيا يقبض منه اديم الوجه والعامل

في اذا الاولى اشأزت وفي الثانية ما هو العامل في اذا المفاجأة تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجسوا وقت الاستبشار (قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة) اى التحي اليه تعالى بالدعاء لما عبرت في أمر الدعوة وضجرت من شدة شكيتهم في المكابرة والعناد فانه القادر على الاشياء بجمعها والعالم بالاحوال برمتها (أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) اى حكما يسلم كل مكابر معانده ويخضع له كل عات مارد وهو العذاب النبوى أو الآخر وى وقوله تعالى (ولو أن للذين ظلموا فى الارض جيعا) الخ كلام مسانف مسوق لبيان آثار الحكيم الذى استدعا النبى صلى الله عليه وسلم غاية شدته وقضا عته أو أن لهم جميع ما فى الدنيا من الاموال والنخار مثله معه لافدوا به من سوء العذاب يوم القيامة) أى لجعلوا كل ذلك فدية لانفسهم من العذاب الشديد وهيات ولات حين مناص وهذا كما ترى ﴿يؤمنون﴾ وقيد شديد وانفاط كل اى من الخلاص (و بدالهم من الله ما لم يكونوا يحسبون) أى ظهر لهم

وقيد شديد وانفاط كل اى من الخلاص (و بدالهم من الله ما لم يكونوا يحسبون) أى ظهر لهم

من فنون العقوبات ما لم يكن في حسابهم وهذه غاية من الوعد لا غاية وراءها ونظيره في الوعد قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين (و بدلهم سيئات ما كسبوا) سيئات أعمالهم أو كسبهم حين تعرض عليهم صحتهم (وحاق بهم ما كانوا يستهزئون) ﴿٢٦٩﴾ أي أحاط بهم جزاؤه (فأداس الإنسان ضر

دعانا) أخبار عن الجنس بما يفعله غالب أفرادها والفاء لترتيب ما بعدها من المناقضة والتعكس على ما مر من حاشيتهم القبحتين وما بينهما اعتراض مؤكد لأنكار عليهم أي أنهم يشتمون عن ذكر الله تعالى وحده ويستشرون بذكر الآلهة فأداسهم ضرر دعوا من أشمازوا عن ذكره دون من استبشروا بذكره (ثم إذا حولناه نعمة منا) أعطيناها إياها تفضلا فان الخويل مخصص به لا يطلق على ما أعطى جزاء (قال إنما أوتيته على علم) أي على علم مني بوجوه كسبه أو باني سأعطاها لمالي من الاستحقاق أو على علم من الله تعالى بي واستحقاقى والهاهنا ان جعلت موصولة والوا فلنعمة والتذكير لما أن المراد شي من النعمة (بل هي فتنة) أي محنة وابتلاؤه أشكر أم يكفر وهو رد لما قاله وتغيير السبك للباغاة

بؤمنون) اعلم أن هذا حكاية طريقة أخرى من طرائفهم الفاسدة وذلك لأنهم عند الوقوع في الضرر الذي هو الفقر والمرض يقرعون إلى الله تعالى ويرون أن دفع ذلك لا يكون إلا منه ثم انه تعالى إذا حولهم النعمة وهي إما السعة في المال أو العافية في النفس زعموا أنه إنما حصل ذلك بكسبه وبسبب جهده وجاهده فان كان ما لا قال إنما حصل بكسبي وإن كان صحة قال إنما حصل ذلك بسبب العلاج الفلاني وهذا تناقض عظيم لأنه كان في حال العجز والحاجة أضاف الكل إلى الله وفي حال السلامة والصحة قطعه عن الله وأسند إلى كسب نفسه وهذا تناقض قبيح فين تعالى قبح طريقهم في فهمه عليه عند الشدة والرخاء بلفظة وجيزة فصيحة فقال بل هي فتنة يعني النعمة التي حولها هذا الكافر فتنة لأن عند حصولها يجب الشكر وعند فواتها يجب الصبر ومن هذا حاله يوصف بأنه فتنة من حيث يختبر عنده حال من أوتي النعمة كما يقال فتنت الذهب بالثاء إذا عرضته على النار لتعرف خلاصته ثم قال تعالى ولكن أكثرهم لا يعلمون والمعنى ما قدمنا أن هذا التخويل إنما كان لأجل الاختبار * وبقي في الآية أبحاث نذكرها في معرض السؤال والجواب (السؤال الأول) ما السبب في عطف هذه الآية بالفاء ههنا وعطف مثلها في أول السورة بالواو والجواب أنه تعالى حكى عنهم قبل هذه الآية أنهم يشتمون من سماع التوحيد ويستشرون بسماع ذكر الشركاء ثم ذكر بقاء التعقيب أنهم إذا وعوا في الضرر والبلاء والتجؤا إلى الله تعالى وحده كان الفعل الأول متناقضا للفعل الثاني فذكر فاء التعقيب ليدل على أنهم واقعون في المناقضة الصريحة في الحال وأنه ليس بين الأول والثاني فاصل مع أن كل واحد منهما متناقض للثاني فهذا هو الفائدة في ذكر فاء التعقيب ههنا فالآية الأولى فليس المقصود منها بيان وقوعهم في التناقض في الحال فلا جرم ذكره الله بحرف الواو لا بحرف الفاء (السؤال الثاني) ما معنى التخويل الجواب التخويل هو التفضل يعني نحن نتفضل عليه وهو يظن أنه إنما وجد به الاستحقاق (السؤال الثالث) ما المراد من قوله قال إنما أوتيته على علم الجواب يحتمل أن يكون المراد إنما أوتيته على علم الله بكوني مستحقا لذلك ويحتمل أن يكون المراد إنما أوتيته على علمي بكوني مستحقا له ويحتمل أن يكون المراد إنما أوتيته على علمي بكوني مستحقا له بل يكون مريضا فبإعاج نفسه فيقول إنما وجدت الصحة لعلمي بكيفية العلاج وإنما وجدت المال لعلمي بكيفية الكسب (السؤال الرابع) النعمة مؤنثة والضمير في قوله أوتيته عائدا على النعمة فضمير التذكير كيف عاد إلى المؤنث بل قال بعده بل هي فتنة فجعل الضمير مؤنثا فالسبب فيه والجواب أن التشديد حتى إذا حولناه شيئا من النعمة فلفظ النعمة مؤنث ومعناه مذكر فلا جرم جاز الأمر أن تم قال تعالى قد قالها الذين من قبلهم فأنغى عنهم الضمير في قولها راجع إلى قوله إنما أوتيته على علم عندي لأنها كلمة أوجهة من القول والذين من قبلهم هم قارون وقومه حيث قال إنما أوتيته على علم عندي وقومه را ضون به

فيه والابتذان بأن ذاك ليس من باب الإيذاء النبي عن الكرامة وإنما هو أمر ميان له بالكلمة وتأنيت الضمير باعتبار لفظ النعمة أو باعتبار الخبر وقرئ بالتذكير (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أن الأمر كذلك وفيه دلالة على أن المراد بالإنسان هو الجنس (قد قالها الذين من قبلهم) الهاء لقوله

انما اوتيناه على علم لانها كلمة اوجله وقرى بالتذكير والوصول عبارة عن قارون وقومه حيث قال انما اوتيناه على علم عندى وهم راضون به (فأغنى عنهم ما كانوا يكسبون) من متاع الدنيا ويجمعون منه (فأصابهم سيئات ما كسبوا) جزاء سيئات أعمالهم ﴿ ٢٧٠ ﴾ أو اجزية ما كسبوا وتسميتها سيئات لانها فى مقابلة

سيئاتهم وجزاء سيئة سيئة مثلها (والذين ظلموا من هؤلاء) (المشركين ومن اللبائى أولئك بعض اى أفرطوا فى الظلم والاعتو) (سببهم سيئات ما كسبوا) من الكفر والمعاصى كأصناف أولئك والسين لتأكيد وقد أصابهم اى اصابة حيث قطعوا سبع سنين وقل صناديدهم يوم بدر (وما هم بمحزون) اى قاتين (أولم يعلموا) اى أفاءوا ذلك ولم يعلموا أو أغفلوا ولم يعلموا (أن الله يسطر الرزق لمن يشاء) أن يسطله (و يقدر) لمن يشاء أن يقدره من غير أن يكون لاحد مدخل ما فى ذلك حيث حبس عنهم الرزق سبعا ثم بسطه لهم سبعا (ان فى ذلك) الذى ذكر (آيات) دالة على أن الحوادث كافة من الله عز وجل (لقوم يؤمنون) اذ هم المستدلون بها على مدلولاتها (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم) اى

فكأنهم قالوها ويجوز أيضا أن يكون فى الامم الخالية قائلون مثلها ثم قال تعالى فأغنى عنهم ما كانوا يكسبون اى ما غنى عنهم ذلك الاعتقاد الباطل واقول الفاسد الذى اكتسبوه من عذاب الله شيأ بل أصابهم سيئات ما كسبوا ولما بين فى أولئك المتفسدين اذ هم أصابهم سيئات ما كسبوا اى عذاب عقابهم الباطلة وأقوالهم الفاسدة قال وما هم بمعجزين اى لا يعجزوننى فى الدنيا والآخرة ثم قال تعالى أولم يعلموا أن الله يسطر الرزق لمن يشاء و يقدره اى أولم يعلموا أن الله تعالى هو الذى يسطر الرزق لمن يشاء تارة ويقبض تارة أخرى وقوله و يقدر اى و يقبض يضيق والدليل عليه اننا نرى الناس مختلفين فى سعة الرزق وضيقه ولا بد من سبب وذلك السبب ليس هو عقل الرجل وجهله لانارى العاقل القادر فى أشد الضيق ونرى الجاهل المريض الضعيف فى أعظم السعة وليس ذلك أيضا لاجل الطبايع والانجم والافلاك لان فى الساعة التى ولد فيها ذلك الملك الكبير والسلطان القاهر قد ولد فيه أيضا عالم من الناس وعالم من الحيوانات غير الانسان ويولد أيضا فى تلك الساعة عالم من النبات فلما شهدنا حدوث هذه الاشياء الكثيرة فى تلك الساعة الواحدة مع كونهها مختلفة فى السعادة والشقاوة علمنا انه ليس المؤثر فى السعادة والشقاوة هو الطالع ولما بطلت هذه الاقسام علمنا ان المؤثر فيه هو الله سبحانه وصح بهذا البرهان العلى القاطع صحة قوله تعالى أولم يعلموا أن الله يسطر الرزق لمن يشاء و يقدر قال الشاعر فلا السعد يقضى به المشتري * ولا الخس يقضى علينا زجل ولكنسه حكم رب السما * وقاضى القضاة تعالى وجل

* قوله تعالى (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا) انه هو الغفور الرحيم وابتدوا الى ربكم واسئلوه من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة وانتم لاتشعرون ان تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله وان كنت لمن الساخرين أو تقول لو ان الله هدانا لكانت من المقيدين أو تقول حين ترى العذاب لو انى كره فاكون من المحسنين بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين) اعلم انه تعالى لما اطلب فى الوعيد أردفه بشرح كمال رحته وفضله واحسانه فى حق العبيد وفيه مسائل (المسئلة الاولى) احتج أصحابنا بهذه الآية على أنه تعالى يعفو عن الكبائر فقولوا اننا بينا فى هذا الكتاب ان عرف القرآن جاز تخصيص اسم العباد بالمؤمنين قال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا وقال عينا يشرب بها عباد الله ولا تظن العباد مذكور فى معرض التعظيم فوجب ان لا يقع الاعلى المؤمنين اذ ثبت هذا ظهرا ن قوله يا عبادى مختص بالمؤمنين ولان المؤمن هو الذى يعترف بكونه عبد الله اما المشركون فانهم يسمون أنفسهم بعبد اللات والعزى وعبد المسيح فثبت ان قوله يا عبادى لا يلىق الا بالمؤمنين اذ ثبت هذا فقول انه تعالى قال الذين أسرفوا على أنفسهم وهذا

أفرطوا فى الجنابة عليها بالاسراف فى المعاصى وامتنافه العباد تخصصه بالمؤمنين على ما هو ﴿ عام ﴾ عرف القرآن الكريم (لا تقنطوا من رحمة الله) اى لا تأسوا من مغفرته أولا وتفضله لنا (ان الله يغفر الذنوب جميعا) عفوا لمن يشاء

ولو بعد حين تعذيب في الجحيم وبغيره حسب ما شاء، وتقييده بالنوبة خلاف الظاهر كيف لا وقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ظاهر في الاطلاق في اعاد الشرك وما يدل عليه التعليل بقوله تعالى (انه هو الغفور الرحيم) على المبالغة وافادة المحصر والوعيد بالرحمة بعد ﴿ ٢٧١ ﴾ الغفرة وتقديم ما يستدعي عموم الغفرة ثمانية عبادي

من الدلالة على الذلة والاختصاص المتقضيين للترحم وتخصيص ضرر الاسراف بأنفسهم والتهنى عن القسوط مطلقا عن الرحمة فضلا عن الغفرة واطلاقها وتعليله بان الله يغفر الذنوب ووضع الاسم الجليل موضع الضمير ادلاله على أنه المستغنى والمنع على الاطلاق وثبات كيد الجميع وما روى من اسباب النزول الدالة على ورود الآية فيمن تاب لا يقتضي اختصاص الحكم بهم ووجوب حمل المطلق على المقيد في كلام واحد مثل أكرم الفضلاء أكرم الكاملين غير مسلم فكيف فيما هو بمنزلة كلام واحد ولا يخل بذلك الامر بانوبة والاخلاص في قوله تعالى (واذنبوا الى ربكم واسئلوهم من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لاتنصرون) اذ ليس المدعى أن الآية تدل على حصول الغفرة لكل أحد من غير توبة وتغيب تعذيب لغنى عن الامر بها وثاني الوعيد بالعذاب

عام في حق جميع المسرفين ثم قال تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا وهذا يقتضى كونه غافرا لجميع الذنوب الصادرة عن المؤمنين وذلك هو المصودفان قبل هذه الآية لا يمكن اجراؤها على ظاهرها والازم القطع بكون الذنوب مغفورة قطعاً وانتم لاتقولون به فها هو مدلول هذه الآية لاتقولون به والذي تقولون به لاتدل عليه هذه الآية فسمعت الاستدلال وايضا انه تعالى قال عقيب هذه الآية واذا نزل اليكم واسئلوهم من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لاتنصرون الى قوله بغرة وانتم لاتشعرون ولو كان المراد من أول الآية أنه تعالى غفر جميع الذنوب قطعاً لما أمر عقيد بالآية وما خوفهم ينزل العذاب عليهم من حيث لاتشعرون وايضا قال ان تقول نفس يا حسرتنا على ما فرطت في جنب الله واو كانت الذنوب كلها مغفورة فأي حاجة به الى أن يقول يا حسرتنا على ما فرطت في جنب الله وايضا فلو كان المراد ما يدل عليه ظاهر لفظ الآية لكان ذلك اغراء بالعاصي واطلاقاً في الاقدام عليه وما ذلك لابلقي بحكمة الله واذا ثبت هذا وجب ان يحمل على ان يقال المراد منه التنبيه على أنه لا يجوز أن يظن العاصي انه لا يخص له من العذاب البتة فان من اعتقد ذلك فهو قاطئ من رحمة الله اذ لا أحد من العصاة المذنبين الاومني تاب زال عقابه وصار من أهل المغفرة والرحمة فمضى قوله ان الله يغفر الذنوب جميعا أي بالنوبة والانابة والجواب قوله الآية تقتضى كون كل الذنوب مغفورة قطعاً وانتم لاتقولون به قلنا بل نحن نقول به ونذهب اليه وذلك لان صيغة بغفر صيغة المضارع وهي الاستقبال وعندنا ان الله تعالى يخرج من النار من قال لا اله الا الله محمد رسول الله وعلى هذا التقدير فصاحب الكبيرة مغفوره قطعاً ما قبل الدخول في نار جهنم واما بعد الدخول فيها فثبت أن ما يدل عليه ظاهر الآية فهو عين مذهبننا أما قوله لو صارت الذنوب بأسرها مغفورة لما أمر بالآية فالجواب ان عندنا انوبة واجبة وخوف العقاب قائم فانما لاتقطع بازالة العقاب بالكلمة بل نقول له يعفو مطلقاً وامله يعذب بالنار مدة ثم يعفو بعد ذلك وبهذا الحرف يخرج الجواب عن بقية الاسئلة والله اعلم (المسئلة الثانية) اعلم ان هذه الآية تدل على رحمة الرحمة من وجوه (الاول) انه سمي المذنب بالمعبد والعبودية مفسرة بالحاجة والذلة والمسكنة وللايق بالرحيم الكريم الفاضلة الخيرة والرحمة على المسكين المحتاج (الثاني) انه تعالى اضافهم الى نفسه بيا الاضافة فقال يا عبادي الذين اسرفوا وشرفوا الاضافة اليه يفيد الامن من العذاب (الثالث) انه تعالى قال اسرفوا على انفسهم ومعناه ان ضرر تلك الذنوب ما عاد اليه بل هو عند اليهم فيكف عنهم من تلك الذنوب عوده مضارها اليهم ولا حاجة الى الحماق ضرر آخر بهم (الرابع) انه قال لاتنقضوا من رحمة الله فها هم عن القنوط فيكون هذا أمر بالرجاء والكرام اذا أمر بالرجاء فلا يلقى به الا الكرم (الخامس) أنه تعالى قال اوليا عبادي وكان الاطلاق ان يقول لاتنقضوا من رحمتي لكنه ترك هذا المافط وقال لاتنقضوا من رحمة الله لان قولنا الله اعظم اسماء الله وأجلها فالرحمة المضافة اليه

(واستعملوا احسن ما نزل اليكم من ربكم) أي اقرآن أو المأمور به دون المنهى عنه أو العرائم دون الرخص أو الناسخ دون المنسوخ وامله ما هو انجي وأسلم كالانابة والواظبة على الطاعة (من قبل أن يأتيكم العذاب بغرة وانتم لاتشعرون) بحبيته ليتداركوا وتأنهوا له (ان تقول نفس) أي كراهة أن تقول والتكلم للتكثير في قوله تعالى علمت نفس

ما أحضرت فانه مسلوك ما يسلك عند اعادة التكميل والتعميم وقدم تحفته في مطلع سورة الحجر (يا حسرتنا) بالالف بدلا من يا الاضافة وقرئ يا حسرتا بهاء السكت وقفا وقرئ يا حسرتاى بالجمع بين العوضين وقرئ يا حسرتى على الاصل أى احضرتى فهذا أو ان حضورك (على ما فرطت) أى ﴿ ٢٧٢ ﴾ على تقر يطفى تنصيرى (في جنب الله) أى

جانبه وفي حقه وطاعته
وعليه قول من قال *
أمانتقين الله في جنب
وامق * له كبد حرى
وعين تفرق * وهو كناية
فيها «بالغة» وقيل في
ذات الله صلى تقدير
مضاف كالطاعة وقيل
في قرب به من قوله تعالى
والصاحب بالجنب وقرئ
في ذكر الله (وان كنت
لمن الساخرين) أى
المستهزئين بدين الله
تعالى وأهله ومعل الجمل
النصب على الحال أى
فرطت وأنا ساخر (أو تقول
لو أن الله هداني) بالارشاد
الى الحق (لكنكنت من
المتقين) الشرك والمعاصي
(أو تقول حين ترى
العذاب لو أنى لى كره)
رجعة الى الدنيا (فأكون
من الحسنين) في العبدية
والعمل وأولاد النسل
أنها لا تخو عن هذه
الذوال تحسرا وخيرا
وتعذبا بالاطمأن تحته
وقوله تعالى (بلى قد جاتك
آياتى فكذبت بها
واستكبرت وكنت من
الكاثرين) ردى من الله
تعالى عليه لما تضمنه

يجب أن تكون أعظم أنواع الرحمة والفضل (السادس) انه ناقلا لا يقتطعوا من رحمة الله
كان الواجب أن يقول انه يغفر الذنوب جميعا ولكنه لم يقل ذلك بل أعاد اسم الله وقرن به
لفظة ان المفيدة لأعظم وجوه التأكيد وكل ذلك يدل على المبالغة في الوعد بالرحمة
(السابع) انه وقال يغفر الذنوب لكان المقصود حاصلا لكنه أرفده باللفظ الدال على
التاكيد فقال جميعا وهذا أيضا من المؤكدات (الثامن) انه وصف نفسه بكونه غفورا
ولفظ الغفور يفيد المبالغة (والثاسع) انه وصف نفسه بكونه رحما والرحمة تغيد فائدة
زائدة على المقررة فكان قوله انه هو الغفور اشارة الى ازالة موجبات العقاب وقوله
الرحيم اشارة الى تحصيل موجبات الرحمة والثواب (العاشر) أن قوله انه هو الغفور
الرحيم يفيد الحصر ومعناه انه لا غفور ولا رحيم الا هو وذلك يفيد الكمال في وصفه سبحانه
بإغفران الرحمة فهذه الوجوه العشرة مجموعة في هذه الآية وهى بأسرها دالة على كمال
الرحمة والغفران ونسأل الله تعالى الفوز بها والنجاة من العقاب بفضل ورحمة (المسألة
الثالثة) ذكروا في سبب النزول وجوها قبل ان تنزلت في أهل مكة فانه قالوا يزعم محمد أن
من عبد الأوثان وقتل النفس لم يغفر له وقد عبدنا وقتلنا فكيف نسلم وقيل نزلت في وحشى
قاتل حرة لما أراد أن يسلم وخاف أن لا تقبل أو تبذ فلما نزلت الآية أسلم قاتل رسول الله صلى
الله عليه وسلم هذه له خاصة أم للمسلمين عامة فقال بل للمسلمين عامة وقيل نزلت في اناس
أصابوا ذنوبا عظيما في الجاهلية فلما جاء الاسلام اسقوا أن لا يقبل الله توبتهم وقيل
نزلت في عياض بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين اسلموا ثم فتنوا فافتنوا
وكان المسلمون يقولون لا يقبل الله منهم توبتهم فنزلت هذه الآيات فكتب بها عمرو
بها البهم فاسلموا وهاجروا واعلم ان العبرة بعجوم اللفظ لا بخصوص السبب فنزلت هذه
الآيات في هذه الوقائع لا يمنع من عمومها (المسألة الرابعة) قرأنا في ابن كثير وابن
عاصم وعاصم بن عبادى بن عاصم والباقر وعاصم في بعض الروايات بغير فتح وكلهم يفتون
بأنه آيات الابد لانها ثابتة في المصنف وفى بعض رواية أبى بكر بن عاصم انه يقف بغيراه
وقرأ أبو عمرو والنكاشى فتنوا وبكسر النون والباقر بن قنطراة وعاصم فتنوا قال صاحب
الكشاف وفي قراءة ابن عباس وابن مسعود يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء ثم قال تعالى
وأنبؤوا الى ربكم قال صاحب الكشاف أى وتوبوا اليه واسلموا له أى واخضعوا له
العمل وانما ذكر الالف على الزائدة لئلا يطمع طامع في حصونها بغير توبة ولذا لا على
أنها شرط فيها لازم لا تحصل بدونه وأقول هذا التكرار مضمون جدا لان عندنا التوبة عن
المعاصى واجبة فلم يلزم من ورود الأمر بها طمس في الوعد بالمغفرة فان قالوا وكان الوعد
بالمغفرة ماضيا قطعنا لما احتجج الى التوبة لمن اتوبه انما أراد الاسقاط العقاب فاذ اسقط
العقاب بغفر الله عنه فلا حاجة الى التوبة فتقول هذا مضمون لان مذهبا انه تعالى
وان كان يغفر الذنوب قطعا ويغفر عنهم قطعنا هذا الان هذا المقول انهم ان يقع على وجهين

قوله لو أن الله هداني من معنى التوب وقضه عنه لما أن تقديمه يغفرى اقترانى وتأخير المردود ينزل ﴿ تارة ﴾
بالترتيب الوجسودى لانه يحسب بالتفر يط ثم يعمل بفقد الهداية ثم يتنى الرجعة وهو لا يمنع تأثير قدرة الله تعالى
في فعل العبد ولا مافيه من اسناد الفعل اليه كما عرفت وتذكير الخطاب باعتبار المعنى

تارة يقع ابتداء وتارة يعذب مدة في النار ثم يخرج من النار ويعفو عنه فثلاثة التوبة
ازالة هذا العقاب ثبت ان الذي قاله صاحب الكشف ضعيف ولا فائدة فيه ثم قال
واتبعوا احسن ما اوتى اليكم من ربكم واعلم انه تعالى لما وعد بالعبرة امر بعد هذا الوعد
بأشياء (فالاول) امر بالابانة وهو قوله تعالى وأنبأوا الى ربكم (والثاني) امر بتابعة
الاحسن وفي المراد بهذا الاحسن وجوه (الاول) انه القرآن ومعناه واتبعوا القرآن
والدليل عليه قوله تعالى الله نزل احسن الحديث كتابا (الثاني) قال الحسن معناه
واتبعوا طاعة الله واجتنبوا معصية الله فان الذي انزل على ثلاثة اوجه ذكر التبع
ليجنب عنه والادون للسلا يرغب فيه والاحسن ليتقوى به ويتبع (الثالث) المراد
بالاحسن التامخ دون المنسوخ لان التامخ احسن من المنسوخ لقوله تعالى ما ننسخ
من آية آرنسها نأت بخير منها او مظهر لان الله تعالى لما نسخ حكما واثبت حكما آخر كان
اعتمادنا على التامخ احسن لنا من اعتمادنا على المنسوخ ثم قال من قبل ان يأتيكم
العذاب بغتة وأنتم لاتشعرون والمراد منه التهديد والتخويف والمعنى انه بغتة العذاب
وأنتم غافلون عنه واعلم انه تعالى للمخوفهم بالعذاب بين تعالى ان يتقدير نزول العذاب
عليهم ماذا يقولون فحكى الله تعالى عنهم ثلاثة أنواع من الكلمات (فالاول) قوله تعالى
ان تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين وفيه مسائل
(المسئلة الاولى) قوله ان تقول مفعول له أى كراهة ان تقول يا حسرتا على ما فرطت
في جنب الله وأما تكبير لفظة لنفس ففيه وجهان (الاول) يجوز أن تراد نفس بمنزلة عن
سائر النفوس لاجل اختصاصها بمن يريد اضرار بالآتي بغيتها في المعاصي (والثاني)
يجوز أن يراد به الكثرة وذلك لانه ثبت في علم أصول الفقه ان الحكم المنصو
عقيب وصف يناسب يفيد الظن بأن ذلك الحكم معلل بذلك الوصف وقوله يا حسرتا
يدل على غاية الاسف ونهاية الحزن وانه من كور عقيب قوله تعالى على ما فرطت في جنب
الله وانظر بطي طاعة الله تعالى يناسب شدة الحسرة وهذا يقتضى حصول تلك
الحسرة عند حصول هذا التفر بطو ذلك يفيد العموم بهذا الطريق (المسئلة الثانية)
القائلون بأنات الاعضاء لله تعالى استدلوا على اثبات الجنب بهذه الآية واعلم ان
دلائلنا على نفي الاعضاء قد كثرت فلا بد من الاعادة ونقول بتقدير أن يكون المراد من
هذا الجنب عضو مخصوص والله تعالى فانه يتبع وقوع التفر بطو فثبت انه لا بد من المصير
الى التأويل والمفسرين فيه عبارات قال ابن عباس يريد ضيعت من ثواب الله وقال
منائل ضيعت من ذكر الله وقال مجاهد في أمر الله وقال الحسن في طاعة الله وقال سعيد
ابن جبير في حق الله واعلم ان الاكثار من هذه العبارات لا يفيد شرح الصدور وشفاء
الغليل فنقول الجنب سمي جنبا لانه جانب من جوانب ذلك الشيء والشيء الذي يكون من
اوازم الشيء وتوابعه يكون كأنه جند من جنوده وجانب من جوانبه فلما حصلت هذه

وقرى بالثابت (ويوم
القيامة ترى الذين كذبوا
على الله) بأن وصفوه
بالايق بشأنه كالتخاذ
الولد (وجوههم مسودة)
بما ينسألهم من الشدة
أو بما يتخيل عليها من
ظلمة الجمل والجمله حال
قد اكتم فيها بالضمير
عن الواو على أن الروية
بصرية أو مفعول ثان لها
على أنها عرافية (ألبس
في جهنم مشوى) أى مقام
(التكبرين) من الايمان
والطاعة وهو تفريلما
قبله من رؤيتهم كذلك
(وننجى الله السدين
انقوا) الشرك والمعاصي
أى من جهنم وقرى
ينجى من الانجاء
(بنارهم) مصدر مسمى
امان فاز بالمطلوب أى
ظفر به والباء متعلقة
بمخوف هو حال من
الموصول مفيدة لمقارنة
تجزيهم من العذاب
لنيل الثواب أى ينجيهم
الله تعالى من مشوى
التكبرين ملتبسين بفوزهم
بمطلوبهم الذى هو
الجنة وقوله تعالى (لا
يسعهم السوء ولا هم
يخرجون) امحال أخرى من

الموصول أو من ضمير
مفازتهم مفيدة لتكون
نجاتهم أو فوزهم بالجنة
غير مسبوقة بمساس
العذاب والحزن وأما من
فاز منه أى نجاته والباء
للملابسة وقوله تعالى لا
يسمهم الى آخره تفسير
وبين لمفازتهم أى
ينجيهم الله تعالى ملتبسين
بنجاتهم الخاصة بهم أى
بنفى السوء والحزن عنهم
أو للسببية اما على حذف
المضاف أى ينجيهم
بسبب مفازتهم التى هى
تقواهم كما يشعر به إرادته
فى حيز الصلة واما على
اطلاق المفازة على سببها
الذى هو التقوى وليس
المراد فى دوام المساس
والحزن بل دوام غيبتها
كما مر مرارا (الله خالق
كل شئ) من خبر وشر
وإيمان وكفر لكن لا بالجبر
بل بعبارة الكاسب
لأسبابها (وهو على كل
شئ وكيل) يتولى
التصرف فيه كيفما
يشاء (له مقاليد السموات
والارض) لا يملك أمرها
ولا يمكن من التصرف
فيها غيره وهو عبارة
عن قدرته

المشابهة بين الجنب الذى هو العوض وبين ما يكون لازما للشيء وتابعه لاجرم حسن
اطلاق لفظ الجنب على الحق والامر والطاعة قال الشاعر
أما تتقين الله فى جنب وامق * له كبد حرا عليك تقطم
(المسئلة الثالثة) قال صاحب الكشاف قرئ يا حسرتى على الاصل ويا حسرتاى على
الجمع بين العوض والمعوذ عنه وأما قوله تعالى وان كنت لمن الساخرين أى انه ما كان
مكتفيا بذلك التقصير بل كان من المستهزئين بالدين قال قتادة لم يكفه أن ضيع طاعة الله
حتى تخزن من أهائها ومحل وان كنت نصب على الحال كأنه قال فرطت فى جنب الله وأنا
ساخرأى فرطت فى حال يخزى بى (النوع الثانى) من الكاسحات التى حكاه الله تعالى
عن أهل العذاب انهم يذكرونه بعد نزول العذاب عليهم قوله أو تقول لو أن الله هدى
لكنت من المتقين (النوع الثالث) قوله أو تقول حين ترى العذاب لو أنى كرهه أو كون
من المحسنين وحاصل الكلام ان هذا المقصر أى بثلاثة أشياء (أولها) الحسرة على
التفريط فى الطاعة (وثانيها) العمل بفقد الهداية (وثالثها) تمنى الرجعة ثم أجاب الله
تعالى عن كلامهم بأن قال التعلل بفقد الهداية باطل لان الهداية كانت حاضرة
والاعذار زائلة وهو المراد بقوله بلى قد جاءك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من
الكافرين وههنا مسائل (المسئلة الاولى) قال الزجاج بلى جواب التنى وليس فى الكلام
لفظ التنى الا أنه حصل فيه معنى التنى لان معنى قوله لو أن الله هدى انى انه ما هدى
جرم حسن ذكر لفظة بلى بعده (المسئلة الثانية) قال الواحدي رحمه الله القراءة المشهورة
واقعة على التذكير فى قوله بلى قد جاءك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت
من الكافرين لان النفس تقع على الذكر والانثى فخطب المذكر وروى الزبيدي عن أنس
عن أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ على التأنيث قال أبو عبيد لو صح هذا عن
النبي صلى الله عليه وسلم لكان حجة لا يجوز لأحد تركها ولكنه ليس بمسند لان الزبيدي
لم يدرك أم سلمة وأما وجد التأنيث فهو انه ذكر النفس ولفظ النفس ورد فى القرآن فأكثر
الامر على التأنيث بقوله سولت لى نفسى وان النفس لأماره بالسوء وبأيتها النفس
المطمئنة (المسئلة الثالثة) قال القاضى هذه الآيات دالة على صحة القول بالقدر
من وجوه (الاول) انه لا يقال فلان أسرف على نفسه على وجه الذم الا لما يكون من
قبله وذلك يدل على أن افعال العباد تحصل من قباهم لا من قبل الله تعالى (وثانيها) ان طلب
التعذر والرجاء فى ذلك أو البأس لا يحسن الا اذا كان الفصل فعل العبد (وثالثها)
اضافة الانابة والاسلام اليه من قبل أن يأتيه العذاب وذلك لا يكون الا مع تمكنه من
مجاواتها قبل نزول العذاب ومذهبهم أن الكافر لم يتمكن قط من ذلك (ورابعها) قوله
تعالى واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم وذلك لا يتم الا بما هو المختار للتباعد
(وخامسها) ذمهم على انهم لا يشعرون بما يوجب العذاب وذلك لا يصح الا مع تمكن

تعالى وحفظه لها وفيها من يدلالة على ﴿ ٢٧٥ ﴾ الاستقلال والاستبداد لان الخزان لا يدخلها ولا يتصرف

فيها الا من يده مفتاحها

وهو جمع مقلد او

مقلاد من قلده اذا

الزنته وقل جمع اقلبد

معرب لكيد على الشذوذ

كالما كبر وعن عثمان

رضي الله عنه أنه سأل

النبي صلى الله عليه وسلم

عن المفاتيح فقال عليه

الصلوة والسلام

تفسيرها لا اله الا الله

والله اكبر وسبحان الله

ونحمده واستغفر الله

ولا حول ولا قوة الا بالله

العلي العظيم هو الاول

والآخر والظاهر

والباطن بيده الخير

يحيي ويميت وهو على

كل شيء قدير والمعنى

على هذا ان الله هذه

الكلمات يوحد بها

ويمجد وهي مفتاح

خير السموات والارض

من تكلم بها أصابه

(والذين كفروا آيات

الله أولئك هم الخاسرون)

متصل بما قبله والمعنى

ان الله تعالى خالق

جميع الاشياء

ومتصرف فيها كيفما

يشاء بالايجاب والامانة

من الفعل (وسادسها) قولهم يا حسرتنا على ما فرطت في جنب الله ولا تحسرا المرء على امر
سبق من الاول كما يصح منه ان يفعله (وسابعها) قوله تعالى على ما فرطت في جنب الله ومن
لا يقدر على الايمان كما يقول اقوم ولا يكون الايمان من فعله لا يكون مفرضا (وثامنها)
ذمهم بانهم من الساجدين وذلك لا يتم الا ان تكون السخرية فعلهم وكان يصح
منهم ان لا يفعلوه (وتاسعها) قوله لو ان الله هدىني اى ممكن لكنت من المتقين وعلى
قولهم اذا لم يقدر على القوى فكيف يصح ذلك منه (وعاشرها) قوله لو ان لي كرة
فاكون من المحسنين وعلى قولهم ورد الله ابدا كرة بعد كرة وليس فيه القدرة الكفر
لم يصح ان يكون محسنا (والحادى عشر) قوله تعالى موخا لهم بل قد جاءتك آياتي
فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين فيبين تعالى ان الحجة عليهم لله لان الحجة عليهم
على الله ولو ان الامر كما قالوا لكان لهم ان يقولوا قد جاءنا الآيات ولكنك خالفت فينا
التكذيب بها ولم تقدرنا على التصديق بها (والثاني عشر) انه تعالى وصفهم بالتكذيب
والاستكبار والكفر على جهة الذم ولولم تكن هذه الاشياء اذما لا لهم لما صح هذا الكلام
(والجواب) عند ان هذه الوجوه معارضة بما ان القرآن ملو من ان الله تعالى هو الذى
يضل ويمنع وبصدر منه الين والقسوة والاستدراج ولما كان هذا التفسير معاملا منه لم يكن
الى الاعادة حاجة * قوله تعالى (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة
أليس في جهنم مثوى للشكبرين ونجى الله الذين اتقوا بفازتهم لا يسهم السوء ولا هم
يجزنون) اعلم ان هذا نوع آخر من تقرير الوعيد والوعد اما الوعيد فقوله تعالى ويوم
القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وفيه بحثان (أحدهما) ان هذا
التكذيب كيف هو (والثاني) ان هذا السواد كيف هو اما الاول وهو البحث عن حقيقة
هذا التكذيب فنقول المشهور ان الكذب هو الاخبار عن الشيء على خلاف ما هو عليه
ومنهم من قال هذا القدر لا يكون كذبا بل الشرط في كونه كذبا ان يقصد الاتيان بخبر
يخالف الخبر عنه اذا عرفت هذا الاصل فنذكر أقوال الناس في هذه الآية قال الكسبي
ويرد الجبر بان هذه الآية قد وردت في المجيزة ثم قال والدليل على ان الامر كذلك ان هذه
الآية وردت عقب قوله لو ان الله هدىني اى انه ما هدىني بل أضلاني فلما حكى الله هذا
عن الكفار ثم ذكر عقبيه ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وجب أن يكون
هذا عائدا الى ذلك الكلام المتقدم ثم روى عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
ما بال أقوام يصلون ويقرأون القرآن يزعمون ان الله كتب الذنوب على العباد وهم كذبة
على الله والله مسود وجوههم واعلم ان أصحابنا قالوا آخر الآية يدل على فساد هذا
التأويل لانه تعالى قال في آخر الآية أليس في جهنم مثوى للشكبرين وهذا يدل على ان
أولئك الذين صارت وجوههم مسودة أقوام متكبرون والتكبر لا يليق بمن يقول
انا اقدر على الخلق والاعادة والايجاد وانما القادر عليه هو الله سبحانه وتعالى أما الذين

بينه مقابليد العالم العلوي والسفلي والذين كفروا بآياته ﴿ ٢٧٦ ﴾ التكوينية المنصوبة في الاتفاق والانفس

يقولون ان الله يريد شأوانا يريد بضده فيحصل مرادى ولا يحصل مراد الله فالتكبر
بهذا القائل أليق فثبت أن هذا التأويل الذي ذكره فاسد ومن الناس من قال ان هذا
الوعيد مختص باليهود والنصارى ومنهم من قال انه مختص بمشرك العرب قال القاضي
يجب حمل الآية على الكل من المشبهة والمجبرة وكذلك كل من وصف الله بما لا يليق به نصفا
وإثباتا فاضاف اليه ما يجب تنزيهه عنه أو زهده عما يجب أن يضاف اليه فالكل منهم
داخلون تحت هذه الآية لانهم كلهم كذبوا على الله فخصيص الآية بالمجبرة والمشبهة
أو اليهود والنصارى لا يجوز واعلم أننا لو اجرينا هذه الآية على عمومها كما ذكره القاضي
لزمه تكفير الامة لانك لا ترى فرقة من فرق الامة الا وقد حصل بينهم اختلاف شديد
في صفات الله تعالى ألا ترى أنه حصل الاختلاف بين أبي هاشم وأهل السنة في مسائل
كثيرة من صفات الله تعالى ويلزم على قانون قول القاضي تكفير أحدهما فثبت انه
يجب أن يحمل الكذب المذكور في الآية على ما إذا قصد الاخبار عن الشيء مع أنه يعلم
انه كاذب فيما يقول ومثال هذا كفار قريش فانهم كانوا يصفون تلك الاصنام بالالهية
مع انهم كانوا يعاون بالضرورة كونها جادات وكانوا يقولون ان الله تعالى حرم البحيرة
والسائبة والوصيلة والحام مع انهم كانوا ينكرون القول بأن الله حرم كذا وأباح كذا
وكان قائله عالما بأنه كذب واذا كان كذلك فالخالف مثل هذا الوعيد بهذا الجاهل
الكذاب الضال المضل مناسبا أماما لم يقصد الحق والصدق لكنه أخطأ بعد الحقائق
هذا الوعيد به (البحث الثاني) الكلام في كيفية السواد الحاصل في وجوههم والاقرب
أنه سواد مخالف لسائر أنواع السواد وهو سواد يدل على الجهل بالله والكذب على الله
وأقول ان الجهل ظلمة والظلمة تتجلى كأنها سواد فساد قلوبهم أوجب سواد وجوههم
وتحت هذا الكلام أسرار عميقة من مباحث أحوال القيامة فلما ذكر الله هذا الوعيد
أردفه بالوعد فقال وينجي الله الذين اتقوا بفازتهم الآية قال القاضي المراد به من اتقى
كل الكبائر ألا يوصف بالاتقاء المطلق الامن كان هذا حاله فيقال له أمر كعجب جدا
فانك قلت لما تقدم قوله تعالى لو أن الله عداني لكنت من المقيمين وجب أن يحمل قوله
ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة على الذين قالوا لو أن الله
عداني فلي هذا القانون لما تقدم قوله ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم
مسودة ثم قال تعالى بعده وينجي الله الذين اتقوا بفازتهم وجب أن يكون المراد هم الذين
اتقوا ذلك الكذب فهذا يقتضي ان كل من لم يتصف بذلك الكذب أن يدخل تحت الوعيد
المذكور بقوله وينجي الله الذين اتقوا بفازتهم وان يكون قولك الذين اتقوا المراد منه
من اتقى كل الكبائر فاسدا فثبت ان التعصب بحمل الرجل العاقل على الكلمات
المتناقضة بل الحق أن نقول لا نقي هو الاتقى بالاتقاء والآتى بالاتقاء في صورة واحدة
آت بمعنى الاتقاء وبهذا الحرف قلنا الامر المطلق لا يفيد التكرار ثم ذلك الاتقاء

والتنزيهية التي من جعلتها
هاتيك الآيات الناطقة
بذلك هم الخاسرون
خسرانا لا خسار وراءه
هذا وقيل هو متصل
بقوله تعالى وينجي الله
وما بينهما اعتراض
فتدبر (قل أقم الله
أمرني أعبد إلا بها
الجاهلون) أي أعبد
مشاهدة هذه الآيات
غير الله أعبد وأمرني
اعتراض للدلالة على
أنهم أمروه به عقيب
ذلك وقالوا استلم بعض
آلهتنا تؤمن بالله ك
لفرط غباوتهم ويجوز
أن ينصب غير ما يدل
عليه تأمرني أعبد لانه
يعني تعبدوني وتقولون
لي أعبد على أن أصله
تأمرني أن أعبد
فجذف أن ورفع ما بعدها
كما في قوله * ألا بهذا
الزاجري احضر الوغى *
وأن اشهد اللذات هل
أنت تخلصني * ويؤيده
قراءة أعبد بالنصب
وقرى تأمرني باظهار
التونين على

غير مذكور بعينه في هذه اللفظة فوجب حمله على الاتقاء عن انشيء الذي سبق ذكره وهذا هو الكذب على الله تعالى ثبت ان ظاهر الآية يقتضي ان من اتقى عن تلك الصفة وجب دخوله تحت هذا الوعد الكريم ثم قال تعالى بمقازاتهم وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم بمقازاتهم على الجمع والباقون بمقازتهم على التوحيد وحكي الواحدى عن القراءاته قال كلاهما صواب اذ يقال في الكلام قد تبين أمر القوم وأمور القوم قال أبو علي الفارسي الافراد للمصدر ووجه الجمع ان المصادر قد تجتمع اذا اختلفت أجناسها كقوله تعالى وتظنون بالله الظنونا ولاشك ان لكل متق نوعا آخر من المغازاة (المسئلة الثانية) المغازاة مفعله من الفوز وهو السعادة فكان المعنى ان النجاة في القيامة حصلت بسبب فوزهم في الدنيا بالطاعات والخيرات فغبر عن الفوز بأوقاتها ومواضعها ثم قال لا يسهم السوء ولاهم يحزنون والمراد انه كالتفسير تلك النجاة كانه قيل كيف ينجيهم فقبل لا يسهم السوء ولاهم يحزنون وهذه كلمة جامعة لانه اذا علم انه لا يسهم السوء كان فارغ البال بحسب الحال عما وقع في قلبه بسبب فوات الماضي فحينئذ يظهر انه سلم عن كل الآفات ونسأل الله الفوز بهذه الدرجات بمنه وكرمه (المسئلة الثالثة) دلت الآية على ان المؤمنين لا يلهيهم الخوف والرعب في القيامة ذواتا كد هذا بقوله لا يحزنونهم الفرع الاكبر قوله تعالى (الله خالق كل شئ وهو على كل شئ وكيل له مقابل السموات والارض والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون قل أفعبر الله تأمروني أعبدونها الجاهلون ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك ان لا أشركوا ليحبطن عملك وان تكون من الخاسرين بل الله فاعبدو كن من الشاكرين) واعلم اننا لما أطال الكلام في شرح الوعد والوعيد عاد الى دلائل الالهية والتوحيد وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) قد ذكرنا في سورة الانعام ان أصحابنا تمسكوا بقوله تعالى الله خالق كل شئ على ان أعمال العباد مخلوقة لله تعالى وأطنبنا هناك في الاسئلة والاجوبة فلا فائدة ههنا في إعادة الا ان الكعبى ذكر ههنا كلمات فذكرها ونحجب عنها فقال ان الله تعالى مدح نفسه بقوله الله خالق كل شئ وليس من المدح ان يخلق الكفر والقيام فلا يصح أن يحتاج الخائف به وأيضا فلم يكن في صدر هذه الامة خلاف في أعمال العباد بل كان الخلاف بينهم وبين المجوس والزنادقة في خلق الامراض والسياس والهوام فأراد الله تعالى أن يبين انها جاع من خلقه وأيضا لفظه كل قد لا توجب العموم لقوله تعالى وأثبت من كل شئ تدمر كل شئ وأيضا لو كانت أعمال العباد من خلق الله لما أضافها اليهم بقوله كفار احسدوا من عند أنفسهم ولما صح قوله ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ولما صح قوله وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا فهذا جلية ما ذكره الكعبى في تفسيره وقال الجبائي الله خالق كل شئ سوى افعال خلقه التي صح فيها الامر والنهي واستحقوا بها الثواب والعقاب ولو كانت

الاصل ويحذف الثانية
(ولقد أوحى اليك والى
الذين من قبلك) أى
من الرسل عليهم السلام
(لئن أشركت ليحبطن
عملك ولنكون
من الخاسرين) كلام
وارد على طريقة القرض
لتهيج الرسل واقتناط
الكثرة والابتنان بغاية
شناعة الاشرار وقبحه
وكونه بحيث ينهى عنه
من لا يكاد يمكن أن يشره
فكيف بمن عداه وافراد
الخطاب باعتبار كل
واحد واللام الاولى
موطئة للقسم والاخرى ان
الجواب واطلاق الاحباط
يتمثل أن يكون من
خصوص انصهم عند الاشرار
منهم لان الاشرار
منهم أشد وأقبح وأن
يكون مقيدا بالموت كما
صرح به في قوله تعالى
ومن يرتدد منكم
دينه فليكن
وأنتك حبطت أعمالهم
وعطف الخسران عليه
من عطف السبب على
السبب (بل الله فاعبد)
رد لما أمر به ولو لادلالة
التقديم على القصر لم يكن
كذلك (وكن من

افعالهم خلق الله تعالى ما جاز ذلك فيه كمال يجوز مثله في ألوانهم وصورهم وقال أبو مسلم الخلق هو التقدير لا الابدان فاذا أخبر الله عن عبادته أنهم يعاون الفعل الفلاني فقد قدر ذلك الفعل فيصيح أن يقال انه تعالى خلقه وان لم يكن موجد له واعلم أن الجواب عن هذه الوجوه قد ذكرناه بالاستقصاء في سورة الانعام فن أراد الوقوف عليه فليعلم ان هذا الموضع من هذا الكتاب والله اعلم اما قوله تعالى وهو على كل شيء وكيل فاعلم ان الاشياء كلها موكولة اليه فهو القائم بحفظها وتدبيرها من غير منازع ولا مشارك وهذا ايضا يدل على ان فعل العبد مخلوق لله تعالى لان فعل العبد او وقع بتخليق العبد لكن ذلك الفعل غير موكول الى الله تعالى فلم يكن الله تعالى وكيلاً عليه وذلك ينافي عموم الآية ثم قال تعالى له مقابلد السموات والارض والمعنى سبحانه مالك أمرهما وحافظهما وهو من باب الكناية لان حافظ الخزان ومدير أمرها هو الذي يده مقابلدها ومنه قولهم فلان أقيت مقابلد الملك البدهي المفاتيح قال صاحب الكشاف ولا واحد لها من لفظها وقبل مقلد ومقاليد وقيل مثل مفتاح ومفاتيح وقبل اقليد وأقاليد قال صاحب الكشاف والكلمة أصلها فارسية الآن القوم لما عرّبوها صارت عربية واعلم أن الكلام في تفسير قوله له مقابلد السموات والارض قريب من الكلام في قوله تعالى وعنده مفاتيح الغيب وقد سبق الاستقصاء هناك قبل سأل عثمان رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله له مقابلد السموات والارض فقال يا عثمان ما سألتني عنها أحد قبلك تفسيرها لا اله الا الله والله أكبر سبحانه الله وبحمده أستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والاخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير هكذا نقله صاحب الكشاف ثم قال تعالى والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) صريح الآية يقتضي انه لا خاسر الا كفروا وهذا يدل على ان كل من لم يكن كافرا فانه لا بد وأن يحصل له حظ من رحمة الله (المسئلة الثانية) أورد صاحب الكشاف سوء الا وهو انه لم اتصل قوله والذين كفروا وأجاب عنه بأنه اتصل بقوله تعالى وننجي الله الذين اتقوا أي لننجي الله المتقين بمغازتهم والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون واعترض ما ينهجه الله تعالى لخالق الاشياء كلها وان له مقابلد السموات والارض وأقول هذا عندي ضعيف من وجهين الاول ان وقوع الفاصل الكبير بين المعطوف والمعطوف عليه بعيد (الثاني) ان قوله وننجي الله الذين اتقوا بمغازتهم جملة فعلية وقوله والذين كفروا بآيات الله هم الخاسرون جملة اسمية وعطف الجملة الاسمية على الجملة الفعلية لا يجوز بل الاقرب عندي أن يقال انه لما وصف الله تعالى نفسه بالصفات الالهية والجلالية وهو كونه خالقا للاشياء كلها وكونه مالكا لمقابلد السموات والارض بأسرها قال بعده والذين كفروا بهذه الآيات الظاهرة الباهرة أولئك هم الخاسرون ثم قال تعالى قل أفغير الله تأمروني أعبدونها الجاهلون وفيه مسائل

الشاكركن) انعامه عليك وفيه اشارة الى ما يوجب الاختصاص ويقتضيه (وما قدر والله حق قدره) ما قدروا عظمته تعالى في أنفسهم حتى عظمته حيث جعلوا له شريكا ووصفه بما لا يليق بشئونه الجلية وقرئ بالتشديد (والارض جميعا) بضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) تنبيه على غاية عظمته وكمال قدرته وحقارة الافعال العظام التي تخبر فيها الاوهام بالنسبة الى قدرته تعالى ودلالة على أن تخريب العالم أهون شئ عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبض واليمين حقيقة ولا مجازا كقولهم شأب لمه الليل والقبضة المرة من القبض أطاقت بمعنى القبضه وهي المقدار المقبوض بالكلف تسمية بالمصدر أو بتقدير ذات قبضة وقرئ بالنصب على الظرف تشبيها للحوث بالمهم وتأكد الارض بالجميع لان المراد بهما الارضون

(المسئلة الاولى) قرأ ابن عامر تأمر ونبي بنونين ساكنة الباء وكذلك هي في مصاحف الشام قال الواحدى وهو الاصل وقرأ ابن كثير تأمر ونى بنون مشددة على اسكان الاولى وادغامها في الثانية وقرأ نافع تأمر ونى بنون واحدة خفيفة على حذف احدى التونين والباقيون بنون واحدة مكسورة مشددة (المسئلة الثانية) أقعير الله منصوب بأعبد وتأمر ونى اعتراض ومعناه أنغير الله أعبد بأمر كم وذلك حين قال له المشركون أسلم ببعض آلهتنا ونؤمن بالله وأقول نظيره هذه الآية قوله تعالى قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والارض وقد ذكرنا في تلك الآية وجه الحكمة في تقديم الفعل (المسئلة الثالثة) انما وصفهم بالجهل لانه تقدم وصف الاله بكونه خالق الاشياء وبكونه مالك لما قبل السموات والارض وظاهر كون هذه الاصنام جادات أنها لا تضر ولا تنفع ومن أعرض عن عبادة الاله الموصوف بتلك الصفات الشريفة المقدسة واشتغل بعبادة هذه الاجسام الخسيسة فقد باع في الجهل مبلغا لا مزيد عليه فلهذا السبب قال أيها الجاهلون ولا شك ان وصفهم بهذا الامر لا يثق بهذا الموضع ثم قال تعالى ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين واعلم ان الكلام التام مع الدلائل القوية والجواب عن الشبهات في مسئلة الاحباط قد ذكرناه في سورة البقرة فلان عبده قال صاحب الكشف قرئ ليحبطن عملك على البناء للمفعول وقرئ بالياء والنون أي ليحبطن الله أو الشرك وفي الآية سوالات (السؤال الاول) كيف أوحى اليه والى من قبله حال شركه على النعين والجواب تقدير الآية أوحى اليك لئن أشركت ليحبطن عملك والى الذين من قبلك مثله أو أوحى اليك والى كل واحد منهم لئن أشركت كأنقول كسنا حلة أي كل واحد منا (السؤال الثاني) ما الفرق بين اللامين الجواب الاول موطنه للتقسيم المحذوف والثانية لام الجواب (السؤال الثالث) كيف صم هذا الكلام مع علم الله تعالى ان رساله لا يشركون ولا تعبط أعمالهم والجواب ان قوله لئن أشركت ليحبطن عملك قضية شرطية والنقضية الشرطية لا يلزم من صدقها صدق جزائها الا ترى ان قواك او كانت الخمسة زجا كانت منقسمة بنسأ و بين قضية صادقة مع ان كل واحد من جزائها غير صادق قال الله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله انفسدنا ولم يلزم من هذا صدق القول بأن فيهما آلهة وبأنهما قدفسدنا (السؤال الرابع) ما معنى قوله ولتكونن من الخاسرين والجواب كان طاعات الانبياء والرسل أفضل من دواعي غيرهم فكذلك القبائح التي تصدر عنهم فانها بتقدير الصدور تكون أقبح لقوله تعالى اذا لاذتكم من ضيق الحساة وضيق الهات فكان المعنى ضعف الشرك الحاصل منه وبتقدير حصوله منه يكون تأثيره في جانب غضب الله أقوى وأعظم واعلم انه تعالى لما قدم هذه المقدمات ذكر ما هو الاله صدوق قال بل الله فاعبدوا كن من الشاكرين والقصود منه رد ما أمروه به من الاسلام ببعض آلهتهم كأنه قال انكم تأمر ونى بأن لا أعبد الا غير الله

السبع أو جيم أبعاضها
البادية والعارضة وقرئ
مطويات على أنها حال
والسموات معطوفة على
الارض منظومة في
حكمها (سبحانه وتعالى
عابشر كون) ما أعبد
وما أعلى من هذه قدرته
وعظمته عن اشراكهم
أو عما يشركونه من
الشركاء (ونفع في الصور)
هي النفخة الاولى (فصق
من في السموات ومن في
الارض) أي خروا
أمواتا أو متباعد عنهم
(الامن شاء الله) قبلهم
جنبريل وميكائيل أ
واسرافيل فاتهم لا يعنون
بعد وقبل حلة العرش
(ثم نفخ نفخة أخرى) نفخة
أخرى هي النفخة الثانية
وأخرى يحتمل النصب
والرفع (فاذا هم قيام)
متوقفون وقرئ بالنصب
على أن الخبر (ينظرون)
وهو حال من ضميره
والمعنى يقابلون أبصارهم
في الجواب كالجهنمين
أو ينظرون ما يفعل بهم
(وأشرف الارض) نور
رهبها بما أقام فيها

من العدل استعماله النور
لانه يزين البقاع ويظهر
الحقوق كما يسمى الظلم
ظلمة وفي الحديث الظلم
ظلمات يوم القيامة ولذلك
أضيف الاسم الجليل الى
ضئير الارض او بنور
خلقه فيها بلا توسط
أجسام مضائية ولذلك
أضيف الى الاسم الجليل
(ووضع الكتاب)
الحساب والجزاء من وضع
الحساب كتاب المحاسبة
بين يديه أو صحائف
الاعمال في أيدي العمال
واكتفى باسم الجنس عن
الجمع وقيل الواح المحفوظ
يقابل به الصحائف (وحي
باليبيين والشهداء) للام
وعليهم من الملائكة
والمؤمنين وقيل
المستشهدون (وقضى
بينهم) بين العباد (بالحق
وهم لا يظلمون) بنقص
ثواب أو زيادة عقاب
على ما جرى به الوعد
(ووفيت كل نفس ما
عملت) أي جزاءه (وهو
أعلم بما عملون) فلا يفوته
شي من أفعالهم

لان قوله قل أفعبده الله تأمرني أعبد يفيد أنهم عينوا عليه عبادة غير الله فقال الله انهم
بنسما قالوا ولكن أنت على الضد مما قالوا فلا تعبد الا الله وذلك لان قوله بل الله فاعبد
يفيد الحصر ثم قال وكن من الشاكرين على ما عداك الى انه لا يجوز الا عبادة الاله القادر
على الاطلاق العليم الحكيم وعلى ما أرشدك الى أنه يجب الاعراض عن عبادة كل ما
سوى الله * قوله تعالى (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة
والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ونفخ في الصور فصعق من في السموات
ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون وأشرقت الارض
بنور ربها ووضع الكتاب وجي بالبين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون
ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون) واعلم انه تعالى لما حكى عن المشركين انهم
أمروا الرسول بعبادة الاصنام ثم انه تعالى أقام الدلائل على فساد قواهم وأمر الرسول
بأن يعبد الله ولا يعبد شيئا آخر سواء بين انهم لو عرفوا الله حق معرفته لما جعوا هذه
الاشياء الخساسة مشاركة له في العبودية فقال وما قدروا الله حق قدره وفي الآية
مسائل (المسئلة الاولى) احتج بعض الناس بهذه الآية على ان الخلق لا يعرفون حقيقة
الله قالوا لان قوله وما قدروا الله حق قدره يفيد هذا المعنى الا اننا ذكرنا ان هذا صفة جلال
الكفار فلا يلزم من وصف الكفار بأنهم ما قدروا الله حق قدره وصف المؤمنين بذلك
ففسد هذا الكلام (المسئلة الثانية) قوله وما قدروا الله حق قدره أي ما عظموه حق
تعظيمه وهذه الآية مذكورة في سورة ثلاثة في سورة الانعام وفي سورة الحج وفي هذه
السورة واعلم انه تعالى لما بين انهم ما عظموه تعظيما لأثابه أردفه بما يدل على كمال
عظمته ونمائه جلالاته فقال والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه
قال الفقهاء وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة كقول القائل
وما قدرته حق قدرى وانا الذي فعلت كذا وكذا أي لما عرفت ان حالى وصفتى هذا الذى
ذكرت فوجب أن لا تحطى عن قدرى ومنزلى وظهيره قوله تعالى كيف تكفرون بالله
وكنتم أمماتاً فأحياكم أي كيف تكفرون بمن هذا وصفه وحال ملكه فكذلك افعالهم والمعنى
وما قدروا الله حق قدره اذ زعموا ان له شركاء وانه لا يقدر على احياء الموتى مع ان الارض
والسموات في قبضته وقدرته قال صاحب الكشاف الغرض من هذا الكلام اذا
أخذته كل ما يحمله ومجموعه تصور عظمته والتوقيف على كنهه جلالة من غير ذهاب
بالقبضة ولا باليمين الى جهة حقيقة أو جهة مجاز وكذلك ما روى ان يهودا جاء الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا القاسم ان الله يمسك السموات يوم القيامة على اصبع
والارضين على اصبع والجبال على اصبع والشجر على اصبع والثرى على اصبع وسائر
الخلق على اصبع ثم هزهن فيقول أنا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حبا
مما قال قال صاحب الكشاف وانا ضحك أفصح العرب لانه لم يفهم منه الا ما يفهمه

علماء البيان من غير تصور امسك ولا أصبع ولا هرز ولا شيء من ذلك ولكن فهمه وقع
 أول كل شيء وآخره على الزبدة والخلاصة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة وان الافعال
 العظام التي تحير فيها الاوهام ولا تكتنفها الاذهان هيئة عليه قال ولا يرى بيباني علم
 البيان أدنى ولا أظف من هذا الباب فيقال له هل تعلم ان الاصل في الكلام حمله على
 الحقيقة وأنه انما يعدل عن الحقيقة الى المجاز عند قيام الدلالة على ان حمله على حقيقة
 متمم فحينئذ يجب حمله على المجاز فان أنكر هذا الاصل فحينئذ يخرج القرآن بالكيفية عن
 ان يكون حجة فان لكل أحد ان يقول المقصود من الآية القلانية كذا وكذا فانا أحل
 الآية على ذلك المقصود ولا أنفت الى الظواهر مثاله من تمسك بالآيات الواردة في ثواب
 أهل الجنة وعقاب أهل النار قال المقصود بيان سعادات المطيعين وشقاوة المذنبين وانا
 أحل هذه الآيات على هذا المقصود ولا أثبت الأكل والشرب ولا سائر الأحوال
 الجسمانية ومن تمسك بالآيات الواردة في اثبات وجوب الصلاة فقال المقصود منه
 ايجاب تنزيه القلب بذكر الله فانا أكتفي بهذا القدر ولا أوجب هذه الاعمال المخصوصة
 واذا عرفت الكلام في هذين المثالين فقس عليه سائر المسائل الاصولية والفروعية
 وحينئذ يخرج القرآن عن ان يكون حجة في المسائل الاصولية والفروعية وذلك باطل
 قطاً وأما ان سلم ان الاصل في علم القرآن ان يعتقد ان الاصل في الكلام حمله على حقيقة
 فان قام دليل منفصل على انه يمدح حمله على حقيقة فحينئذ يمتنع صرفه الى مجاز فان
 حصلت هناك مجازات لم يمتنع صرفه الى مجاز معين الا اذا كان الدليل يوجب ذلك
 التبعين فتقول ههنا لفظ القبضه ولفظ اليقين حقيقة في الجارحة المخصوصة ولا يمكنك
 ان تصرفي ظاهر الكلام عن هذا المعنى الا اذا أثبت الدلالة على ان حمل هذه اللفاظ
 على ظواهرها يمتنع فحينئذ يجب حملها على المجازات ثم تبين بالدليل ان المعنى القلاني يصح
 جعله مجازاً عن تلك الحقيقة ثم تبين بالدليل ان هذا المجاز أول من غيره واذا ثبت هذه
 المقدمات وترتيبهم اعلى هذا الوجه فهذا هو الطريق الصحيح الذي عليه تعويل أهل
 التحقيق فأنت ما أثبت في هذا الباب بطريقة جديدة وكلام غريب بل هو عين ما ذكره
 أهل التحقيق فثبت ان الفرح الذي أظهره من أنه اهتدى الى الطريق الذي يعرفه
 غيره طريق فاسد دال على قلة وقوفه على المعاني ولنرجع الى الطريق الحقيقي فتقول
 لاشك ان لفظ القبضه واليمين مشعر بهذه الاعضاء والجوارح الا ان الدلائل العقلية
 قامت على امتناع ثبوت الاعضاء والجوارح لله تعالى فوجب حمل هذه الاعضاء على وجوه
 المجاز فتقول انه يقال فلان في قبضة فلان اذا كان تحت تدبيره وتسخيره قال تعالى
 الاعلى أزواجهم أو ما ملكت أيمنهم والمراد منه كونه عا وكاله ويقال هذه الدار في يد
 فلان وفلان صاحب البدن المراد من الكل القدرة والفتها يقولون في الشروط وقبض
 فلان كذا وصار في قبضته ولا يريدون الا خلوص ملكه واذا ثبت تمدد حمل هذه

وقوله تعالى (وسيق
 الذين كفروا الى جهنم
 زمراً) الخ تفصيل
 للتوفيق وبيان كيفيتها
 أي سيقوا اليها
 بالعنف والاهانة فواجب
 متفرقة بعضها في اثر
 بعض مرتبة حسب
 ترتب طبقاتهم في الضلالة
 والشرارة والزمج
 زمرة واشتقاقها من
 الزمر وهو الصوت اذا
 الجماعة لا تخلو عنه (حتى
 اذا جاؤا فمكت أبوهم)
 ليدخلوها وحتى هي
 التي تحكي بعدها الجملة
 وقرئ بالتشديد (وقال

الفاظ على حقائقها وجب حملها على مجازاتها صوابا لهذه النصوص عن التعطيل
فهذا هو الكلام الحقيقي في هذا الباب ولنا كتاب مفرد في البات نزيه الله تعالى
عن الجسمية والمكن سميانه بتأسيس التعديس من أراد الاطناف في هذا الباب فليرجع
اليه (المسئلة الشائفة) في تفسير الفاظ الآية قوله والارض المراد منه الارضون
السبع ويدل عليه وجوه (الاول) قوله جبهما فان هذا التأكد لا يحسن ادخاله الاعلى
الجمع ونظيره قوله كل الطعام وقوله تعالى أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء
وقوله تعالى والخلل باسقام وقوله تعالى ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا
الصالحات فان هذه الالفاظ الملحمة باللفظ المفرد تدل على أن المراد منه الجمع فكذا
ههنا (والثاني) انه قال بعده والسموات مطويات فوجب أن يكون المراد بالارض
الارضون (الثالث) أن الموضع موضع تعظيم وتقدير فهذا مقتضى المبالغة وأما القبضة
فهى المرة الواحدة من القبض قال تعالى قبضت قبضة من اثر الرسول والقبضة بالضم
المقدار المقبوض بالكف ويقال أيضا أعطنى قبضة من كذا يراد به معنى القبضة تسمية
بالمصدر والمعنى والارضون جميعا قبضته أى ذوات قبضته يقبضهن قبضة واحدة من
قبضاته يعنى ان الارضين مع ما هما من العظمة والبسطة لا يبلغن الاقبضة واحدة من
قبضاته أما اذا اريد معنى القبضة فظاهر لان المعنى ان الارضين يحكم لهما مقدار ما يقبضه
بكف واحدة فان قيل ما وجه قراءة من قرأ قبضته بالنصب قلنا جعل القبضة طر فاقوله
مطويات من الطي الذى هو ضد النشر كما قال تعالى يوم نطوى السماء كطى السجل وعادة
طاوى السجل أن يطوى به بينه ثم قال صاحب الكشاف وقيل قبضته ملكه وبينه
قدرته وقيل مطويات بينه أى مفاتيح تسميه لانه أقسم أن يقبضها وما ذكر هذه الوجوه
عادى اقول الاول بأنما وجوه ركيكة وان حل هذا الكلام على محض التثليل أولى
وبالغنى تقرير هذا الكلام فأطلب وأقول ان حال هذا الرجل فى اقدمه على تحسين
طريقته وتبليغ طريقته القدماء عجيب جدا فانه ان كان مذهب انه يجوز ترك ظاهر
الفاظ والمصير الى المجاز من غير دليل فهذا طعن فى القرآن واخراج له عن أن يكون
حجة فى شى وان كان مذهب ان الاصل فى الكلام الحقيقة وأنه لا يجوز العدول
عنه الا لدليل منفصل فهذا هو الطريقة التى أطبق عليها جمهور المتقدمين فأين الكلام
الذى يزعم انه علمه وأين العلم الذى لم يعرفه غيره مع انه وقع فى التأويلات العسرة
والكلمات الركيكة فان قالوا المراد انه لمادل الدليل على انه ليس المراد من لفظ القبضة
واليمين هذه الاعضاء وجب علينا أن نذكر فى بهذا القدر ولا نشغل بيمين المراد بل
نفوض علمه الى الله فقول هذا هو طريق الموحدين الذين يقولون اننا نعلم انه ليس
مراد الله من هذه الالفاظ هذه الاعضاء فامتعين المراد فان نفوض ذلك العلم الى الله
تعالى وهذا هو طريقة السلف المعرضين عن التأويلات فثبت ان هذه التأويلات التى

لهم خزنتها) تقر بها
وتوبخا) ألم يا تكلم رسل
منكم) من جنسكم وقرى
نذر منكم) يتلون عليكم
آيات ربكم وينذرونكم
لقاء يومكم هذا) أى وقتكم
هذا وهو وقت دخولهم
النار وفيه دليل على
أنه لا تكليف قبل الشرع
من حيث انهم علوا
توبيخهم بآيات الرسل
وتبليغ الكتب (قالوا
بلى) قد اتواوا نذرونا
(ولكن حقت كلمة العذاب
على الكافرين) حيث
قال الله تعالى

أني بهذا الرجل ليس تحتها شيء من الفائدة أصلاً والله أعلم واعلم انه تعالى لما بين عظمته من الوجه الذي تقدم قال سبحانه وتعالى عما يشركون يعني ان هذا القادر القاهر العظيم الذي حارت العقول والالباب في وصف عظمته تنزه وتقدس عن أن يجعل الاصنام شركاءه في المعبودية فان قيل السؤال على هذا الكلام من وجوه (الاول) ان العرش أعظم من السموات السبع والارضين السبع ثم انه قال في صفة العرش ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية واذا وصف الملائكة بكونهم حاملي العرش العظيم فكيف يجوز تقدير عظمة الله بكونه حاملاً للسموات والارض (السؤال الثاني) ان قوله والارض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه شرح حالة لا تحصل الا في يوم القيامة والقوم ما شاهدوا ذلك فان كان هذا الخطاب مع المصدقين للانباء فهم يكونون معترفين بأنه لا يجوز القول بجعل الاصنام شركاء لله تعالى فلا فائدة في اراد هذه الحجة عليهم وان كان هذا الخطاب مع الكاذبين بالنسبة وهم ينكرون قوله والارض جميعاً قبضته يوم القيامة فكيف يمكن الاستدلال به على ابطال القول بالشرك (السؤال الثالث) حاصل القول في القبضة واليمين هو القدرة الكاملة الواصفة بحفظ هذه الاجسام العظيمة وكما ان حفظها وامساكها يوم القيامة ليس الا بقدرة الله فكذلك الآن فالفائدة في تخصيص هذه الاحوال بيوم القيامة (والجواب عن الاول) أن مراتب التعظيم كثيرة وأولها تفرير عظمة الله بكونه قادراً على حفظ هذه الاجسام العظيمة ثم بعده تفرير عظمته بكونه قادراً على امساك أولئك الملائكة الذين يحملون العرش (والجواب عن السؤال الثاني) ان المقصود ان الحق سبحانه هو المتولى لبقاء السموات والارضين على وجوه العبارة في هذا الوقت وهو المتولى لتخريبها وافتائها في يوم القيامة فذلك يدل على حصول قدرة تامة على الاعدام وتبنيها أيضاً على كونه غنياً على الإطلاق فانه يدل على انه اذا حاول تخريب الارض فكأنه يقبض قبضة صغيرة ويريد افنائها وذلك يدل على كمال الاستغناء (والجواب عن السؤال الثالث) انه انما خصص تلك الحالة بيوم القيامة ليدل على أنه كما ظهر كمال قدرته في الابداع عند عمارة الدنيا فكذلك ظهر كمال قدرته عند خراب الدنيا والله اعلم واعلم انه تعالى لما قرر كمال عظمته بما سبق ذكره أردفه بذكر طريقة أخرى تدل أيضاً على كمال قدرته وعظمته وذلك شرح مقدمات يوم القيامة لان نفخ الصور يكون قبل ذلك اليوم فقال ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون واختلفوا في الصعقة منهم من قال انها غير الموت بدليل قوله تعالى في موسى عليه السلام وخر موسى صعقا مع انه لم يمت فهذا هو النفخ الذي يورث الفرع الشديد وعلى هذا التقدير فالمراد من نفخ الصعقة ومن نفخ الفرع واحد وهو المذكور في سورة النمل في قوله ويوم ينفخ في الصور ففرع من في السموات ومن في الارض وعلى هذا القول

لابليس لاملان جهنم
منك ومن تبعك منهم
أجمعين وقد كنا من تبعه
وكذبنا الرسل وقلنا
ما نزل الله من شيء ان أنتم
الاتكذبون (قيل ادخلوا
أبواب جهنم خالدين
فيها) أي مقدر
خلودكم فيها واهام
القاتل انه ويل القول
(فبئس منوى المتكبرين)
اللام للجنس والمخصوص
بالذم محذوف ثقة
بذكره آنفاً أي فبئس
مشواهم جهنم ولا يقدح
ما فيه من الاشعار بأن
كون مشواهم جهنم
لتكبرهم عن الحق
في أن

ففتح الصور وليس الامر تبين (والقول الثاني) ان الصعقة عبارة عن الموت والقائدون بهذا القول قالوا انهم يموتون من الفزع وشدة الصعقة لا يزل على هذا التدبير فان الصعقة تحصل ثلاث مرات (أولها) نفخة الفزع وهي المذكورة في سورة النمل (والثانية) نفخة الصعق (والثالثة) نفخة القيام وهم ساعدك ورثان في هذه السورة وأما قوله لا ين شاء الله ففيه وجوه (الاول) قال ابن عباس رضي الله عنهما عند نفخة الصعق يموت من في السموات ومن في الارض الاجبريل وميكائيل واسرافيل وملاك الموت ثم يميت الله ميكائيل واسرافيل ويقي جبريل وملاك الموت ثم يميت جبريل (والقول الثاني) انهم هم الشهداء لقوله تعالى بل احياء عند ربهم يرزقون وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال هم الشهداء متولدون أسيا فهم حول العرش (القول الثالث) قال جابر هذا المستثنى هو موسى عليه السلام لانه صعد مرة فلا يصعد ثانيا (القول الرابع) انهم الحور والعين وسكان العرش والكرسي (والقول الخامس) قال قتادة الله أعلم بأنهم من هم وليس في القرآن والاخبار ما يدل على انهم من هم ثم قال تعالى ثم نفع فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون وفيه ابحاث (الاول) لفظ القرآن دل على أن هذه النفخة متأخرة عن النفخة الاولى لان لفظ ثم يفيد التراخي قال الحسن رحمه الله القرآن دل على ان هذه النفخة متأخرة عن النفخة الاولى وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن بينهما أربعين ولا أدري أربعين يوماً أو شهراً أو أربعين سنة أو أربعين ألف سنة (البحث الثاني) قوله أخرى تدبير الكلام ونفع في الصور ونفخة واحدة ثم نفع فيه نفخة أخرى واما حسن الحذف لدلالة أخرى عليها وليكونها معلومة (الثالث) قوله فاذا هم قيام يعني قيامهم من القبور يحصل عقيب هذه النفخة الأخيرة في الحال من غير تراخي لان الفاء في قوله فاذا هم تدل على التعقيب (الرابع) قوله ينظرون وفيه وجهان (الاول) ينظرون بقلوبهم أبصارهم في الجهات نظر المبهور اذا فاجأه خطب عظيم (والثاني) ينظرون ماذا يفعل بهم ويجوز أن يكون القيام بمعنى الوقوف والحمود في مكان لاجل استيلاء الخيرة والدهشة عليهم ولما بين الله تعالى حال هاتين النفختين قال وأشرق الارض بنور ربها وفيه مسائل (المسئلة الاولى) هذه الارض المذكورة ليست هي هذه الارض التي يقعد عليها الآن بدليل قوله يوم تبدل الارض غير الارض وبدليل قوله تعالى وحلت الارض والجيال فدكنا دكة واحدة بل هي أرض أخرى يخلقها الله تعالى لحفل يوم القيامة (المسئلة الثانية) قالت المجسمة ان الله تعالى نور محض فاذا حضر الله في تلك الارض لاجل القضاء بين عباده أشرق تلك الارض بنور الله وأكدها هذا بقوله تعالى الله نور السموات والارض واعلم أن الجواب عن هذه الشبهة من وجوه (الاول) أنا نبينا في تفسير قوله تعالى الله نور السموات والارض انه لا يجوز أن يكون الله سبحانه وتعالى نوراً بمعنى كونه من جنس هذه الانوار المشاهدة وينبأ أنه لما تدرج الكلام على الحقيقة وجب حمل لفظ

دخولهم النار لسبق كلمة العذاب عليهم فانها انما احقت عليهم بناء على تكبيرهم وكفرهم وقد مر تحقيقه في سورة المم السجدة (وسبق الذين اتقوا ربهم الى الجنة) مساق اعزاز وتشريف للاشرع بهم الى دار الكرامة وقيل سبق مر اكبرهم اذ لا يذهب بهم الا راكبين (زمرا) متفاوتين حسب تفاوت مراتبهم في الفضل وعلو الطبقة (حتى اذا جاؤوها وقفت أبوا بها) وقرئ بالتشديد

النور ههنا على العدل فحتاج ههنا الى بيان أن لفظ النور قد يستعمل في هذا المعنى ثم الى بيان أن المراد من لفظ النور ههنا ليس الا هذا المعنى أما بيان الاستعمال فهو أن الناس يقولون للملك العادل أشرفت الآفاق بعد ذلك وأضأت الدنيا بقسطك كما يقولون أظمت البلاد بجورك وقال صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيامة وأما بيان أن المراد من النور ههنا العدل فقط أنه قال وحى بالنبين والشهداء ومعلوم أن المحي بالشهداء ليس الا لاظهار العدل وأيضا قال في آخر الآية وهم لا يظلمون فدل هذا على أن المراد من ذلك النور إزالة ذلك الظلم فكانه تعالى فتح هذه الآية بآيات العدل وختمها بنفي الظلم (والوجه الثاني) في الجواب عن الشبهة المذكورة ان قوله تعالى وأشرقت الارض بنور ربها يدل على انه يحصل هناك نور مضاف الى الله تعالى ولا يلزم كون ذلك صفة ذات الله تعالى لانه يكفي في صدق الاضافة أدنى سبب فلما كان ذلك النور من خلق الله وشرفه بأن أضافه الى نفسه كان ذلك النور نور الله كقوله بيت الله وثاقه الله وهذا الجواب أقوى من الاول لان في هذا الجواب لا يحتاج الى ترك الحقيقة والذهاب الى المجاز (والوجه الثالث) انه قد يقال فلان رب هذه الارض ورب هذه الدار ورب هذه الجارية ولا يبعد أن يكون رب تلك الارض ملكا من الملوك وعلى هذا التقدير فلا يتنع كونه نورا (المسئلة الثالثة) انه تعالى ذكر في هذه الآية من أحوال ذلك اليوم أشياء (أولها) قوله وأشرقت الارض بنور ربها وقد سبق الكلام فيه (وثانيها) قوله ووضع الكتاب وفي المراد بالكتاب وجوه (الاول) انه اللوح المحفوظ الذي يحصل فيه شرح أحوال عالم الدنيا الى وقت قيام القيامة (الثاني) المراد كتب الاعمال كما قال تعالى في سورة سبحان وكل انسان أزمانه طأثره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا وقال أيضا في آية أخرى ما لهذا الكتاب ليعاد رصدي ولا كبيرة الا أحصاها (وثالثها) قوله وحى بالنبين والمراد أن يكونوا شهداء على الناس قال تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئناك على هؤلاء شهداء وقال تعالى يوم نجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتهم (ورابعها) قوله والشهداء والمراد ما قلناه في وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس وأرأاد بالشهداء المؤمنين وقال مقاتل يعني الحفظة ويدل عليه قوله تعالى وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد وقيل أراد بالشهداء المستشهدين في سبيل الله ولما بين الله تعالى انه يحضر في محفل القيامة جميع ما يحتاج اليه في فصل الحكومات وقطع الخصومات بين تعالى أنه يوصل الى كل أحد حقه وعبر تعالى عن هذا المعنى بآية عبارات (أولها) قوله تعالى وقضى بينهم بالحق (وثانيها) قوله وهم لا يظلمون (وثالثها) قوله ووفيت كل نفس ما عملت أي وفيت كل نفس جزاء ما عملت (ورابعها) قوله وهو أعلم بما فعلون يعني انه تعالى اذا لم يكن علما بكيفيات أحوالهم فله لا يقضى بالحق لاجل عدم العلم أما اذا كان علما بمقادير أفعالهم وبكيفية أفعالهم

وجواب اذا محذوف
الايدان بأن لهم حينئذ
من فنون الكرامات
ما لا يتحدق به نطاسي
العبارة كأنه قيل حتى
اذا جأوها وقد فحقت
أبوابها (وقال لهم
خزنتها سلام عليكم)
من جميع المكارة والالام
(طبتم) طمتم من
دنس المعاصي أو طبتم
نفسا بما أتيج لكم من
التعيم (فادخلوها
خالدين) كان ما كان
ما يقصر عنه البيان
(وقالوا الحمد لله الذي
صدقنا وعده) بالبعث
والثواب

دخول الخطافي ذلك الحكم فثبت أنه تعالى عبر عن هذا المقصود بهذه العبارات المختلفة والمقصود المبالغة في تقرير أن كل مكلف فانه يصل الى حقه * قوله تعالى (وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤوها فمحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم منكم رسولون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قبل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) اعلم أنه تعالى لما شرح أحوال أهل القيامة على سبيل الاجال فقال ووفيت كل نفس ما عملت بين بعده كيفية أحوال أهل العذاب ثم كيفية أحوال أهل الثواب وختم السورة أما شرح أحوال أهل العقاب فهو المذكور في هذه الآية وهو قوله وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا اقل ابن زيدان سوق الذين كفروا الى جهنم يكون بالعنف والدفع والدليل عليه قوله تعالى يوم يدعون الى نار جهنم دعاءى يدفعون دفعاً نظيره قوله تعالى فذلك الذى يدع اليتيم أى يدفعه ويدل عليه أيضاً قوله تعالى ونسوق الجرمين الى جهنم وردا وأما الزمر فهى الافواج المنفرقة بعض في اثر بعض فبين الله تعالى انهم يساقون الى جهنم فاذا جاؤوها فمحت أبوابها وهذا يدل على أن أبواب جهنم انما تفتح عند وصول أولئك اليها فاذا دخلوا جهنم قال لهم خزنتها جهنم ألم يأتكم رسول منكم أى من جنسكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قلن قىل فلم أضيف اليهم قلنا أراد لقاء وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار لا يوم القيامة واستعمال لفظ اليوم والايام في أوقات الشدة مستفيض فعند هذا تقول الكفار بلى قد أتونا وتلوا علينا ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين وفى هذه الآية مسئلتان (المسئلة الاولى) تقدير الكلام انه حقت علينا كلمة العذاب ومن حقت عليه كلمة العذاب فكيف يمكنه الخلاص من العذاب وهذا صريح فى ان السعيد لا يتقلب شقيا والشتى لا يتقلب سعيدا وكلمات المعتزلة في دفع هذا الكلام معلومة واجوب بننا عنها ايضا معلومة (المسئلة الثانية) دلت الآية على انه لا وجوب قبل مجئ الشرع لان الملائكة بنوا انه ما نبي لهم علة ولا عذر بعد مجئ الانبياء عليهم السلام ولولم يكن مجئ الانبياء شرطاً في استحقاق العذاب لما بقى في هذا الكلام فائدة ثم ان الملائكة اذا سمعوا منهم هذا الكلام قالوا لهم ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين قالت المعتزلة لو كان دخولهم فى النار لاجل انه حقت عليهم كلمة العذاب لم يبق لقول الملائكة فبئس مثوى المتكبرين فائدة بل هذا الكلام انما يبقى مفيداً اذا قلنا انهم انما دخلوا النار لانهم تكبروا على الانبياء ولم يقبلوا قولهم ولم يلتفتوا الى دلالتهم وذلك يدل على صحة قولنا والله اعلم بالصواب * قوله تعالى (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤوها فمحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طيبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الارض نبئوا من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين)

(وأورثنا الارض) يريدون المكان الذى استقروا فيه على الاستعارة وإيراثها تملكها مخلقة عليهم من أعمالهم أو تمكنهم من التصرف فيها تمكن الوارث فيما يرثه (نبئوا) من الجنة حيث نشاء أى نبئوا كل واحد منا فى أى مكان أرادته من جنته الواسعة على أن فيها مقامات معنوية لا يتأتمم واردوها (فنعم أجر العاملين) الجنة (وترى الملائكة حافين) محققين (من حول العرش) أى حوله ومن مزينة أولاً بتداه الحفوف

الملائكة حافزين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقبل الحمد لله
 رب العالمين (اعلم انه تعالى لما شرح أحوال أهل العقاب في الآية المتقدمة شرح
 أحوال أهل الثواب في هذه الآية فقال وسبق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا فإن
 قيل السوق في أهل النار للعذاب معقول لأنهم لما أمروا بالذهاب إلى موضع العذاب
 والشقاوة ولا بد وأن يساقوا إليه وأما أهل الثواب فإذا أمروا بالذهاب إلى موضع
 الكرامة والراحة والسعادة فأى حاجة فيه إلى السوق والجواب من وجوه (الاول)
 ان المحبة والصدقة باقية بين المتقين يوم القيامة كما قال تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم
 لبعض عدو الا المتقين فاذا قتلوا واحد منهم اذهب إلى الجنة فيقول لأدخلها حتى
 يدخلها احبائي وأصدقائي فينأخرون لهذا السبب فيئذ يحتاجون إلى أن يساقوا
 إلى الجنة (والثاني) ان الذين اتقوا ربهم قد عبدوا الله تعالى للجنة وللنار فصيصة
 استغراقهم في مشاهدة مواقف الجلال والجمال مانعة لهم عن الرغبة في الجنة فلا جرم
 يحتاجون إلى أن يساقوا إلى الجنة (والثالث) ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أكثر أهل
 الجنة البله وعليون للابرار فلهذا السبب يساقون إلى الجنة (والرابع) ان أهل الجنة
 وأهل النار يساقون الا ان المراد بسوق أهل النار طردهم اليها بالهوان والعنف كما
 يفعل بالاسير اذا سبق إلى الحبس والقيود والمراد بسوق أهل الجنة سوق مراكبهم لانه
 لا يذهب بهم الا راكبين والمراد بذلك السوق اسراعهم إلى دار الكرامة والرضوان كما
 يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على الملوك فستان مابين السوقين ثم قال تعالى حتى
 اذا جاءوها فتمت أبوابها وقال لهم خزنتها الآية واعلم أن جلة هذا الكلام شرط واحد
 مركب من قود (القيد الاول) هو تعيينهم إلى الجنة (والقيد الثاني) قوله تعالى وتمت
 أبوابها فان قيل قال في أهل النار فتمت أبوابها فغير الواو وقال ههنا بالواو فالفرق قلنا
 الفرق ان أبواب جهنم لا تفتح الا عند دخول أهلها فيها فاما أبواب الجنة فتمت كما يكون
 متقدما على وصولهم اليها بدليل قوله جنت عدن مفتحة لهم الابواب فذلك جى بالواو
 كأنه قيل حتى اذا جاءوها وقد فتمت أبوابها (القيد الثالث) قوله وقال لهم خزنتها سلام
 عليكم طبع فادخلوها خالدين فبين تعالى أن خزنة الجنة يدكرون لاهل الثواب هذه
 الكلمات الثلاثة (فأولها) قوالهم سلام عليكم وهذا يدل على انهم يشرونهم بالسلامة
 من كل الآفات (وثانيها) قولهم طبع والمعنى طبعهم من دنس المعاصي وطهرتهم من خبث
 الخطايا (وثالثها) قولهم فادخلوها خالدين والفاء في قوله فادخلوها يدل على كون
 ذلك الدخول مع الابواب والطيب والصفاء قالت المعتزلة هذا يدل على ان أحدا لا يدخلها الا
 اذا كان طاهرا عن كل المعاصي قلنا هذا ضعيف لانه تعالى يدل سماتهم حسنات
 وحينئذ يصيرون طيبين طاهرين بفضل الله تعالى فان قيل فهذا الذي تقدم ذكره هو
 الشرط فان الجواب قلنا فيه وجهان (الاول) ان الجواب محذوف والمقصود من الحذف

(يسبحون بحمد ربهم)
 أى يزهونه تعالى عما
 لا يابق به ملتبسين بحمده
 والجملة حال ثانية
 أو مقيدة للاول والمعنى
 ذاكرين له تعالى
 بوصف جلاله وكرامه
 تلذذا به وفيه اشعار
 بأن أقصى درجات
 العليين وأعلى لذائذهم
 هو الاستغراق في شؤنه
 عز وجل (وقضى بينهم
 بالحق) أى بين الخلق
 بادخال بعضهم النار
 وبعضهم الجنة أو بين
 الملائكة باقامتهم في
 منازلهم على حسب
 تقاضائهم (وقيل الحمد لله

ان يدل على انه بالغ في الكمال الى حيث لا يمكن ذكره (الثاني) ان الجواب هو قوله تعالى وقال لهم خزنتها سلام عليكم والواو مخدوف والصحيح هو الاول ثم أخبر الله تعالى بأن الملائكة اذا خاطبوا المتقين بهذه الكلمات قال المتقون عند ذلك الحمد لله الذي صدقنا وعده في قوله أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون وأورثنا الارض والمراد بالارض أرض الجنة وانما عبر عنه بالارث لوجوه (الاول) ان الجنة كانت في أول الامر لا دم عليه السلام لانه تعالى قال فكلاما منها رغدا حيث شئتم فلما عادت الجنة الى أولاد آدم كان ذلك سببا لتسميتها بالارث (الثاني) ان هذا اللفظ مأخوذ من قول القائل هذا أورث كذا وهذا العمل أورث كذا فلما كانت طاعتهم قد أفادت لهم الجنة لاجرم قالوا وأورثنا الارض والمعنى ان الله تعالى أورثنا الجنة بأن وفقنا للاتباع بأعمال أورثت الجنة (الثالث) أن الوارث يتصرف فيما يرثه كما يشاء من غير منازع ولا مدافع فكذلك المؤمنون المتقون يتصرفون في الجنة كيف شاؤوا وأرادوا والمشابهة علة حسن الحجاز فان قيل مامعنى قوله حيث نشاء وهل يدبوا أحدهم مكل غير قلنا يكون لكل أحدجنة لا يحتاج معها الى جنة غيره قال حكماء الاسلام الجنات نوعان الجنات الجسمانية والجنات الروحانية فالجنات الجسمانية لا يحتمل المشاركة فيها أما الروحانيات فمحصولها الواحد لا ينتم من حصولها الآخرين ولما بين الله تعالى صفة أهل الجنة قال فنعم أجر العالمين قال مقاتل ليس هذا من كلام أهل الجنة بل من كلام الله تعالى لانه لما حكى ما جرى بين الملائكة وبين المتقين من صفة ثواب أهل الجنة قال بعده فنعم أجر العالمين ولما قال تعالى وترى الملائكة حافين من حول العرش ذكر عقيبه ثواب الملائكة فقال كان دار ثواب المؤمنين المومنين هي الجنة فكذلك دار ثواب الملائكة جوارب العرش واطرافه فلها دار ثواب الملائكة حافين من حول العرش أي محديقين بالعرش قال الليث يشال حف التوم بسيدهم يحفون حفا اذا طافوا به اذا عرفت هذا فنقول بين تعالى ان دار ثوابهم هو جوارب العرش واطرافه ثم قال يسبحون بحمد ربهم وهذا مشعر بأن ثوابهم هو عين ذلك التحميد والتسبيح وحينئذ رجع حاصل الكلام الى أن أعظم درجات الثواب استغراق قلوب العباد في درجات التنزيه ومنازل التقديس ثم قال وقضى بينهم بالحق والمعنى أنهم على درجات مختلفة ومراتب متفاوتة فلكل واحد منهم في درجات المعرفة والطاعة حد محدد ولا يتجاوز ولا يتعداه وهو المراد من قوله وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين أي الملائكة لما قضى بينهم بالحق قالوا الحمد لله رب العالمين على قضائه بيننا بالحق وهم نادققة أعلى مما سبق وهي انه سبحانه لما قضى بينهم بالحق فهم ما جددوا لاجل ذلك القضاء بل جددوه بصفته الواجبة وهي كونه رب العالمين فان من جدد النعم لاجل أن انعمه وصل اليه فهو في الحقيقة ما جدد النعم وانما جدد الانعام وأما من جدد النعم لانه وصل اليه النعمة فهم هنا قد وصل الى الجنة بجر التوحيد هذا اذا قلنا ان قوله

رب العالمين) أى على ما قضى بيننا بالحق وأنزل كلامنا منزله التي هي حقه والقائلون هم المؤمنون من قضى بينهم والملائكة وطى ذكرهم لتبينهم وتعظيمهم * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله تعالى رجاءه يوم القيامة واعطاه ثواب الخائفين وعن عائشة رضى الله عنها أنه عليه الصلاة والسلام كان يقرأ كل ليلة بنى اسرائيل والزمر

﴿سورة المؤمن مكية وآياتها خمس وأثمان وثمانون آية﴾ * ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ * ﴿جم﴾ بتفخيم الالف ونسكين الميم وقرئ بأمانة الالف ﴿٢٨٩﴾ وناخراجهما بين يمين وبتفخيم الميم لالتقاء الساكنين أو نصبها باضمار

أقرأ ونحوه ومنع الصرف
للتعريف والتأنيث أو
للتعريف وكونهما على
زناقيل وهابيل وبقية
الكلام فيه وفي قوله
تعالى (تنزيل الكتاب)
كالسدى ساف في ألم
السجدة وقوله تعالى
(من الله العزيز العليم)
كافي مطلع سورة الزمر
في الوجه كلها ووجه
التعرض لعنى العز والعلم
ما ذكر هناك (غافر الذنب
وقابل التوب شديد العقاب
ذو الطول) أما صفات
آخر التحقيق ما فيها من
الترغيب والترهيب والحث
على ما هو المقصود
والإضافة فيها حقيقة
على أنه لم يرد بها زمان
مخصوص وأريد بشديد
العقاب مشدده أو الشديد
عقابه بخذف اللام
الازدواج وأمن الالتباس
أو أبدل وجهه وحده
بدلا كما فعله الزجاج
مشوش للنظم وتوسيط
الواو بين الاولين لإفادة
الجمع بين نحو الذنوب
وقبول التوبة أو تغاير
الوصفين اذ ربما
يؤهم الاتحاد أو تغاير
موقع الفعلين لان

وترى الملائكة حافين من حول العرش شرح أحوال الملائكة في الثواب أما إذا قلنا
أنه من بقية شرح ثواب المؤمنين فقرر به أن يقال إن المؤمنين لما قالوا الحمد لله الذي صدقنا
وعده وأورثنا الأرض ندبوا من الجنة حيث نشاء فقد ظهر منهم أنهم في الجنة اشتغلوا
بالحمد لله وبذكر ماله ودينه فبين تعالى أنه كان حرفة المؤمنين في الجنة الاشتغال بهذا
التعبد والتعجيد وكذلك حرفة الملائكة السدين هم حافون حول العرش الاشتغال
بالتعبد والتسبيح ثم إن جوانب العرش ملاصقة لجوانب الجنة وحينئذ يظهر منه أن
المؤمنين المتقين وإن الملائكة المقر بين يصيرون متوافقين على الاستغراق في تحميد الله
وتسبيحه فكان ذلك سببا لم يدا لتذاهم بذلك التسبيح والتعجيد ثم قال وقضى بينهم بالحق
أى بين البشر ثم قال وقيل الحمد لله رب العالمين والمعنى أنهم يقدمون التسبيح والمراد منه
تنزيه الله عن كل ما لا يليق بالالهية وأما قوله تعالى وقيل الحمد لله رب العالمين فالمراد وصفه
بصفات الالهية فالتسبيح عبارة عن الاعتراف بتعزيه عن كل ما لا يليق به وهو صفات
الجلال وقوله وقيل الحمد لله رب العالمين عبارة عن الإقرار بكونه موصوفا بصفات الالهية
وهي صفات الاكرام ومجموعهما هو المذكور في قوله تبارك اسم ربك ذي الجلال
والاكرام وهو الذى كانت الملائكة يذكرونه قبل خلق العالم وهو قولهم ونحن نسبح
بحمده ونقدس لك وفي قوله وقيل الحمد لله رب العالمين دقيقة أخرى وهي أنه لم يبين أن ذلك
التأمل من هو والمقصود من هذا الإيهام التنبيه على أن خاتمة كلام العقلاء في الشاء على
حضرة الجلال والكبرياء ليس إلا أن يقولوا الحمد لله رب العالمين وتأكد هذا بقوله تعالى
في صفة أهل الجنة وأخردعواهم أن الحمد لله رب العالمين * قال المصنف رحمه الله تعالى تم
تفسير هذه السورة في آية الثلاثة آخر ذي القعدة من سنة ثلاث وستمئة يقول مصنف
هذا الكتاب الملائكة المقر بون بحجروا عن احصاء شأنك فنأوا الانبياء المرسلون اعترفوا
بالعجز والافتقار عن أن يقولوا أنا وليس معي الآن أقول أنت أنت وأنا أنا فنك الرحمة والفضل والجود
والاحسان ومعنى العجز والافتقار والخشية والخسار بارجحان بأديان يا حنان يا منان أغض على
سجل الرحمة وانقران برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامى
وعلى آله وأصحابه وأزواجه أمهات المؤمنين وسلم تسليما كثيرا

* (سورة المؤمن ثمانون وخمس آيات مكية) *

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(جم) تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذو الطول
لأنه لا هو إليه المصير ما يتعادل في آيات الله الاندثر كفروا فلا يترك قلبهم في البلاد
كذبت قباهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادوا
بالباطل ليدحضوا به الحق فاخذتهم فكيف كان عقاب وكنتم حقت كذبت ربك على
الذين كفروا أنهم أصحاب النار) اعلم أن في الآية مسائل (المسألة الاولى) قرأهم في

الفقر هو الستر مع بقاء الذنب وذلك لمن لم يمتب فان الثابت من الذنب كمن لا ذنب له والنوب مصدر كالنوبة وقيل هو وجهها والطلول الفضل بترك العقاب المستحق وفي توحيد ﴿٢٩٠﴾ صفة العذاب معصومة بصفة الرحمة دليل سبقها ورجمانها (لا اله الا هو) فيجب الاقبال

رواية أبي بكر وحزرة والكسائي حم بكسر الحاء والياقون بفتح الحاء ونافع في بعض الروايات وابن عامر بين القتح والكسر وهو ان لا يفتحها فتحها شديد اقل صاحب الكشاف قرى بفتح الميم وتسكينها ووجه القتح التحريك لالتقاء الساكنين واشار أخف الحركات نحو ابن وكيف أو انصب باضمار افرأ ومنع الصرف اما للتأنيث والتعريف من حيث انها اسم لامرأة ولا تعريف وانها على زنة أعجمي نحو قابيل وهابيل وأما السكون فلا تأنيثا أن الاسماء المجردة تذكر موقوفة الاوآخر (المسئلة الثانية) الكلام المستقصى في هذه الفواتح مذكور في أول سورة البقرة والأقرب ههنا أن يقال حم اسم للسورة فتقوله حم مبتدأ وقوله تنزيل الكتاب من الله خبره والتقدير ان هذه السورة المسماة بحم تنزيل الكتاب فتقوله تنزيل مصدر لكن المراد منه المنزل واما قوله من الله فاعلم انه لما ذكر أن حم تنزيل الكتاب وجب بيان أن المنزل من هو فقال من الله ثم بين أن الله تعالى موصوف بصفات الجلال وسمات العظمة ليعبر ذلك حاملا على التشهير عن ساق الجرد عند الاستماع وزجره عن التهاون والتواني فيه فبين أن المنزل هو الله العزيز العليم واعلم ان الناس اختلفوا في ان العلم بالله ماهو فقال جمع عظيم انه العلم بكونه قادرا وبعده العلم بكونه عالما اذا عرفت هذا فتقول العزيز تفسيران (أحدهما) الغالب فيكون معناه القادر الذي لا يساويه أحد في القدرة (والثاني) الذي لا مثله ولا يجوز أن يكون المراد بالعزيز ههنا القادر لان قوله تعالى الله يدل على كونه قادرا فوجب حل العزيز على المعنى الثاني وهو الذي لا يوجد له مثل وما كان كذلك وجب أن لا يكون جسما والذي لا يكون جسما يكون منزها عن الشهوة والنفرة والذي يكون كذلك يكون منزها عن الحاجة واما العلم فهو مبالغة في العلم والمبالغة التامة انما تتحقق عند كونه تعالى عالما بكل المعلومات فتقوله من الله العزيز العليم يرجع معناه الى أن هذا الكتاب تنزيل من القادر المطلق العني المطلق العالم المطلق ومن كان كذلك كان عالما بوجوه المصالح والمفاسد وكان عالما بكونه غنيا عن جبر المصالح ودفع المفاسد ومن كان كذلك كان رحما جوادا وكانت أفعاله حكما فهو سواها منزها عن القبح والباطل فكانت سبحانه انما ذكر عقيب قوله تنزيل هذه الاسماء الثلاثة لكونها دالة على أن أفعاله سبحانه حكمة وصواب ومعنى كان الأمر كذلك لم أن يكون هذا التبريل حقا وصوابا وقيل الفائدة في ذكر العزيز العليم أمران (أحدهما) انه بقدرته وعلمه انزل القرآن على هذا الحد الذي يتضمن المصالح والاعجاز ولا كونه عزيزا عليهما لما صرح بذلك (والثاني) أنه تكفل بحفظه وبعموم التكليف فيه وظهوره الى حين انقطاع التكليف وذلك لا يتم الا بكونه عزيزا لا يغلب وبكونه عليما لا يخفى عليه شيء ثم وصف نفسه بما يجمع الوعد والوعيد والترغيب والترغيب فعال غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير فهذه ستة أنواع من الصفات (الصفة الاولى) قوله غافر الذنب قال الجبائي معناه انه غافر ان الذنب اذا استحق غفرانه اما بتوبة

الكلبي على طاعته في أوامر ونواهيه (البه المصير) فحسب لا الى غير الاستقلال ولا اشتراكا فيجازي كل الامم العظيم والعاصي (ما يجادل في آيات الله) أي بالظعن فيها واستعمال المندمات الباطلة لا داحض الحق كقوله تعالى وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق (الا الذين كفروا) بها واما الذين آمنوا فلا يخطر بالبالهم شائبة شبهة منها فضلا عن الطعن فيها واما الجدل فيها لحل مشكلاتها وكشف معضلاتها واستنباط حقائقها الخفية وتوضيح مناهج الحق في مضائق الافهام ومن الى الانقياد وابطال شبه أهل الزنوع والضلال فمن أعظم الطماعات وذلك قال عليه الصلاة والسلام ان جد الا في قرآن كفر بالتكبير لا فرق بين جدال وتعالى (ولا يفررك تقابهم في البلاد) لتزيب

قوله ان يغفران الخ غرضه ان من تاب لعبد مجاني فتمضى الحسن العفلى الذى هو مذهب المعتزلة يجب ان يسامحه
وجنبه فيكون لافرق بين الله والعبد * انتهى ٢٩١ * أو وجوب الانتهاء على ما قبلها من التسجيل عليهم

بالكفر الذى لا شئ
أعقت منه عند الله

تعالى ولا أجل لحسran
الدنيا والآخرة فان
من تحقق ذلك لا يكاد
يغتر بالهم من حظوظ
الدنيا وزخارفها فانهم
مأخوذون عما قيل
أخذ من قبلهم من
الام حسبا ينطق به
قوله تعالى (كذبت
قبلهم قوم نوح
والاحزاب من بعدهم
أى الذين تحزبوا على
الرسول وناصروهم بعد
قوم نوح مثل عاد وثمود
وأضرابهم) وهمت
كل أمة من تلك الامم
العانية (رسولهم)
وقرى برسولها
(ليأخذوه) ليكنوا منه
فيصيروا به ما أرادوا
من تعذيب أو قتل من
الاخذ بمعنى الاسر
(وجادلوا بالباطل)
الذى لا أصل ولا
حقيقة له أصلا
(ليدحضوا به الحق)
الذى لا يحيد عنه كما
فعل هؤلاء (فأخذتهم)
بسبب ذلك اخذ عزير
مقنر (فكيف كان

أوطاعة أعظم منه ومراة منه أن فاعل العصية اما أن يقال انه كان قد أتى قبل ذلك بطاعة
كان ثوابها أعظم من عقاب هذه العصية أو ما كان الامر كذلك فان كان الاول كانت
هذه العصية صغيرة فيحبط عقابها وان كان الثانى كانت هذه العصية كبيرة فلا يزول
عقابها بالابتوبة ومذهب أصحابنا ان الله تعالى قد عفو عن الكبائر بدون التوبة وهذه
الآية تدل على ذلك وبيانه من وجوه (الاول) ان غفران الكبيرة بعد التوبة وغفران
الصغيرة من الامور الواجبة على العبد وجميع الانبياء والاولياء والصالحين من أوساط
الناس مشتركون في فعل الواجبات فلو حلتا كونه تعالى عاقر الذنب على هذا المعنى لم يبق
بينه وبين أقل الناس من زمرة المطيعين فرق في المعنى الموجب لهذا المدح وذلك باطل
فثبت انه يجب أن يكون المراد منه كونه غافر الكبائر قبل التوبة وهو المطلوب (الثانى)
أن الغفران عبارة عن الستر ومعنى الستر أنما يعقل في الشئ الذى يكون باقيا موجودا
فيستر والصغيرة تعبط بسبب كثرة ثواب فاعلها معنى الغفر فيم اغفر معقول ولا يمكن حل قوله
غافر الذنب على الكبيرة بعد التوبة لان معنى كونه قابلا للتوب ليس الا ذلك فلو كان
المراد بكونه غافر الذنب هذا المعنى لزم التكرار وانه باطل فثبت ان كونه غافر الذنب يفيد
كونه غافرا للذنوب الكبائر قبل التوبة (الثالث) ان قوله غافر الذنب مذكور في معرض
المدح العظيم فوجب حله على ما يفيد أعظم أنواع المدح وذلك هو كونه غافر الكبائر قبل
التوبة وهو المطلوب (الصفة الثانية) قوله تعالى قابل التوب وفيه بحثان (الاول) في لفظ
التوب قولان الاول انه مصدر وهو قول أبى عبيدة والثانى انه جماعته التوبة وهو قول
الاخشش قال المبرد يجوز أن يكون مصدرا يقال تاب يتوب توبا وتوبة مثل قال يقول قولاً
وقوله ويجوز أن يكون جمعا توبة فيكون توبة وتوب مثل مرة وتوب مرة لأن المصدر أقرب لان
على هذا التقدير يكون تأويله انه يقبل هذا الفعل (البحث الثانى) مذهب أصحابنا أن
قبول التوبة من المذنب يقع على سبيل التفضل وليس بواجب على الله وقالت المعتزلة انه
واجب على الله واحتج أصحابنا بانه تعالى ذكر كونه قابلا للتوب على سبيل المدح والثناء ولو
كان ذلك من الواجبات لم يبق فيه من معنى المدح الا القليل وهو القدر الذى يحصل للجمع
الصالحين عند اداء الواجبات والاحتراز عن المحظورات (الصفة الثالثة) قوله شديد
العقاب وفيه مباحث (البحث الاول) في هذه الآية سؤال وهو ان قوله شديد العقاب يصلح
أن يكون نفعا للذكاة ولا يصلح أن يكون نفعا للمعرفة نقول مرت برجل شديد البطش ولا
تقول مرت بعبد الله شديد البطش وقوله الله اسم علم فيكون معرفة فكيف يجوز وصفه
بكونه شديد العقاب مع انه لا يصلح أن يجعل وصفا للذكاة قالوا وهذا بخلاف قولنا غافر
الذنب وقابل التوب لانه ليس المراد منهما حدوث هذين الفعلين وانه يغفر الذنب ويقبل
التوبة الآن أو غدا وأما أن يد ثبوت ذلك ودوامه فكان حكمهما حكم اله الخلق ورب
العرش واما شديد العقاب فشكل لانه في تقدير شديد عقابه فيكون نكرة فلا يصح جعله

عقاب (الذى عاقبتهم به فان آثار دمارهم عبرة للناظرين ولا تخذ هؤلاء أيضا لاجتماعهم في الطريق واشترآتهم
في الجريمة كإبني عنه قوله تعالى (وكذلك حققت كلمت ربك) أى كما وجب وثبت حكمه تعالى وقضاؤه بالتعذيب
على أولئك الامم المكذبة

المعجزة على رسلهم المجادلة بالباطل لادخاض الحق به وجب أيضا (على الذين كفروا) أى كفروا بك ونحن نؤا
عليك وهموا بالميل الى ما يفتي عنه اضافة اسم الرب الى ضميره عليه **﴿ ٢٩٢ ﴾** الصلاة والسلام فان ذلك

الاشعار بأن وجوب
كلمة لعذاب عليهم من
أحكام تربيته التي من
جلتها نصرته عليه
الصلاة والسلام
وتعذيب أعدائه وذلك
انما يتحقق بكون
الموصول عبارة عن
كفار قومه لاعتن الامم
المهلكة وقوله تعالى
(انهم أصحاب النار)
في حيز النصب بخذف
لام التعليل أى لانهم
مستحقون لشدة العقوبات
وأظنه ههنا التي هي
عذاب النار وملازموها
ابدا لكونهم كفارا
معاندين مخزبين على
الرسول عليه الصلاة
والسلام كدأب من
قبلهم من الامم المهلكة
فهم لسائر قرون
العقوبات أشد استحقاقا
وأحق استيجابا وقيل
هو في محل الرفع على
أنه بدل من كلمة ربك
والعنى مثل ذلك
الوجوب وجب على
الكفرة المهلكة كونهم
من أصحاب النار أى كما
وجب اهلاكهم في

صفة للمعرفة هذا تقرير السؤال وأجيب عنه بوجوه (الاول) ان هذه الصفة وان
كانت نكرة الا انها لما ذكرت مع سائر الصفات التي هي معارف حسن ذكرها كما في قوله
وهو الغفور الودود ذوالعرش المجيد فعال لما يريد (والثاني) قال الزجاج ان خفض شديد
العقاب على البدل لان جعل النكرة بدلا من المعرفة وبالعكس أمر جائز واعتبروا عليه
بأن جماعه وحده بدلا من الصفات فيه نبوة ظاهرة (الثالث) انه لاتزاع في ان قوله غافر
الذنب وقابل التوب حسن جعلها صفة وانما كان كذلك لانها مفيدان معنى الدوام
والاستمرار فكذلك قوله شديد العقاب يفيد معنى الدوام والاستمرار لان صفات الله تعالى
مزهية عن الحدوث والتجدد فكونه شديد العقاب معناه كونه بحيث يشدد عقابه وهذا
المعنى حاصل ابدا وغير موصوف بأنه حصل بعد أن لم يكن كذلك فهذا ما قيل في هذا
الباب (البحث الثاني) هذه الآية مشعرة بترجيح جانب الرحمة والفضل لانه تعالى لما أراد
أن يصف نفسه بأنه شديد العقاب ذكر قبله أمرين بكل واحد منهما يقتضى زوال العقاب
وهو كونه غافرا للذنوب وقابل التوب وذكر بعده ما يدل على حصول الرحمة العظيمة وهو
قوله ذى الطول فكونه شديدا العقاب لما كان مسبوقا بذكر الصفتين والمحمول على هذه الصفة دل
ذلك على أن جانب الرحمة والكرم أرجح (البحث الثالث) لقائل ان يقول ذكر الواو في
قوله غافر الذنب وقابل التوب ولم يذكرها في قوله شديد العقاب فالفرق قلنا انه لو لم يذكر
الواو في قوله غافر الذنب وقابل التوب لاحتمال أن يعم في خارجا انسان انه لا معنى لكونه
غافرا للذنوب الا كونه قابل التوب أملا لما ذكر الواو زال هذا الاحتمال لان عطف الشيء على
نفسه محال اما كونه شديد العقاب فعلوم انه مغاير لكونه غافرا للذنوب وقابل التوب
فاستغنى به عن ذكر الواو (الصفة الرابعة) قوله ذى الطول أى ذى الفضل يقال طال
علينا طولاً أى تفضل علينا تفضلا ومن كلامهم طل على بفضلك ومنه قوله تعالى
أولوا الطول منهم ومضى تفسيره عند قوله ومن لم يستطع منكم طولاً واعلم انه لما وصف
نفسه بكونه شديد العقاب لا بد وان يكون المراد بكونه تعالى آتيا بالعقاب الشديد الذى
لا يفتح منه آتياه به بل لا يجوز وصفه تعالى بكونه آتيا لفعل القبيح واذا ثبت هذا فنقول
ذكر بعده كونه ذى الطول وهو كونه ذا الفضل فيجب أن يكون معناه كونه ذا الفضل
بسبب أن يترك العقاب الذى له ان يفعله لانه ذكر كونه ذا الطول ولم يبين انه ذى الطول
فما ذا فوجب صرفه الى كونه ذا الطول فى الامر الذى سبق ذكره وهو فعل العقاب
الحسن دفعا للاجمال وهذا يدل على انه تعالى قد يترك العقاب الذى يحسن منه تعالى فعله
وذلك يدل على أن العفو عن أصحاب الكبائر جائز وهو المطاوب (الصفة الخامسة) التوحيد
المطلق وهو قوله لا اله الا هو والمعنى انه وصف نفسه بصفات الرحمة والفضل فلو كان معه
اله آخر يشاركه ويساويه فى صفة الرحمة والفضل لما كانت الحاجة الى عبوديته شديدة
اما اذا كان واحدا وليس له شريك ولا شبه كانت الحاجة الى الاقرار بعبوديته شديدة

الدنيا بعذاب الاستبصال كذلك وجب تعذيبهم بعذاب النار فى الآخرة ومحل البكاف على التقديرين **﴿ ٢٩٣ ﴾** فكان
النصب على

انه نعت لمصدر محذوف (الذين يحملون العرش ومن حوله) وهم أعلى طبقات الملائكة عليهم السلام وأولهم وجودا وحملهم إياه وحفظهم حوله مجاز ﴿٢٩٣﴾ عن حفظهم تدبيرهم له وكناية عن زلفاهم من ذي العرش جل جلاله

ومكانتهم عنده ومحل الوصول الرفع على ابتداء خبره (يسبحون بحمد

ربهم) والجملة استئناف مسوق لتسليم رسول الله

صلى الله عليه وسلم ببيان أن أشرف الملائكة

عليهم السلام مثابرون على ولاية من معه من المؤمنين ونصرتهم

واستدعاء ما يسعدهم في الدارين أي يزيهونه

تعالى عن كل ما يلبق بشأنه الجليل ملتبسين

بحمده على نعمائه التي لا تنتهي (ويؤنون به)

إيماناً حقيقياً بحالهم والنصر معهم مع الغنى

عن ذكره رأساً لظاهر فضله والإيمان وابرار

شرف أهلهم والأشعار بعله دعا لهم المؤمنين

حسبما ينطق به قوله تعالى (ويستغفرون

للذين آمنوا) فمن المشاركة في الإيمان

أدوى الناسيات وأتمها وأدعى الدواعي إلى

النصح والشفقة وفي نظم استغفارهم لهم في سلك

وظائفهم المقروضة عليهم من تسبيحهم

فكان الترغيب والترهيب الكاملان يحصلان بسبب هذا التوحيد (الصفة السادسة) قوله إليه المصير وهذه الصفة أيضاً مما قوى الرغبة في الإقرار بعبوديته لانه بتقدير أن يكون موصوفاً بصفات الفضل والكرم وكان واحداً لا شريك له إذ أن القول بالحشر والتشيران كان باطلاً لا يمكن الخوف الشديد حاصل من عصبانه أماً لما كان القول بالحشر والقيامه حاصلًا كان الخوف أشد والخذل أكل فلهذا السبب ذكر الله تعالى هذه الصفات واحتج أهل التشبيه بلفظة إلى قالوا إنها تفيد انتهاء غاية والجواب عنه مذکور في مواضع كثيرة من هذا الكتاب واعلم انه تعالى لما قرآن كتاب أنزله ليتمدى به في الدين ذكر أحوال من يجادل لغرض إبطاله وإخفاء أمره فقال ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا وفيه مسائل (المسئلة الأولى) أن الجدل نوعان جدال في تقرير الحق وجدال في تقرير الباطل أما الجدال في تقرير الحق فهو حرفة الأنبياء عليهم السلام قال تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم وجادلهم بالتي هي أحسن وقال حكاية عن الكفار أنهم قالوا لنوح عليه السلام يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا وأما الجدال في تقرير الباطل فهو مذموم وهو المراد بهذه الآية حيث قال ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا وقال ماضر بوهلك الأجدل لابلهم قوم خصمون وقال وجادوا بنا باطل ليدحضوا به الحق وقال صلى الله عليه وسلم إن جدالاً في القرآن كفر وقوله إن جدالاً على لفظ التذكير يدل على التمييز بين جدال وجدال واعلم أن لفظ الجدال في الشيء مشعر بالجدال الباطل ولفظ الجدال عن الشيء مشعر بالجدال لأجل تقريره والذب عنه قل صلى الله عليه وسلم إن جدالاً في القرآن كفروا قال لتماموا في القرآن فإن المراء فيه كفر (المسئلة الثانية) الجدال في آيات الله هو أن يقال مرة أنه سحر ومرة أنه شعر ومرة أنه قول الكهنة ومرة أساطير الأولين ومرة أنما يعلمه بشر وأشباه هذا مما كانوا يقولونه من الشبهات الباطلة فذكر تعالى أنه لا يفعل هذا إلا الذين كفروا وأعرضوا عن الحق ثم قل تعالى فلا تفرحوا تغلبهم في البلاد أي لا ينبغي أن تغترباني أمهاتهم وتركهم سالمين في أبدانهم وأموالهم يتقلبون في البلاد أي يتصرفون فيها للتجارات وطلب المعاش فاني وإن أمهاتهم فاني سأخذهم وانقم منهم كما فعلت بأشكالهم من الأمم الماضية وكانت قرى بش كذلك يتقلبون في بلاد الشام والعراق ولهم الأموال الكثيرة يتجرون فيها ويرجون ثم كشف عن هذا المعنى فقال كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم فذكر من أولئك المكذبين قوم نوح والأحزاب من بعدهم أي الأمم المستمرة على الكفر كقوم عاد وثمود وغيرهم كما قال في سورة قصص كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذوالاوتاد وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب وقوله وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه أي وعزبت كل أمة من هؤلاء الأحزاب أن يأخذوا رسولهم ليقتلوه ويعذبوه ويحبسوه وجادوا بالباطل أي هؤلاء جادوا وارسلهم بالباطل أي بإيراد الشبهات ليدحضوا به الحق أي أن

ونحمدهم وإعانتهم ايدان بكمال اعتنائهم به وأشعار بوقوعه

عند الله تعالى في موقف القبول روى أن حلة العرش أرجلهم في الأرض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تفكروا في عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله

من الملائكة فإن خلقا من الملائكة يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقد ماء في الأرض السفلى وقد مرق رأسه من سبع سموات وأنه يتضاءل من عظمة الله حتى يصير كأنه الوصف وفي الحديث أن الله أمر جميع الملائكة أن يفسدوا ويوحوا بالسلام على حلة العرش تفضيلا لهم على سائرهم وقيل خلق الله تعالى العرش من جوهره خضر اربعين الفائتين من قوائمه خففتان الطم المسرع ثمانين ألف طام وقيل حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة يطوفون به مائة لآلن مكبرين ومن ورائهم سبعون ألف صف قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم رافعين أصواتهم بالتأليل والتكبير ومن ورائهم مائة ألف صف قد وضعوا أيديهم على الشمايل ما منهم الذي هو يسبح عما يسبح به الآخر (ربنا) على إرادة القول أي يقولون ربنا على أنه إيمان لا استغفارهم الملائكة

يزيلوا بسبب إرادة تلك السموات الحنق والصدق وأخذتهم فكيف كان عقاب أي فارتل بهم من الهلاك ما هموا بإزالته بالرسول وأرادوا أن يأخذوهم فآخذتهم أمان فكيف كان عقابي إياهم أليس كان مهلكا مستأصلا مهيبا في الذكر والسماع فأنافعل بقومك كما فعلت بهؤلاء أن أضروا على الكفر والجدال في آيات الله ثم كشف عن هذا المعنى فقال وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار أي ومثل الذي حق على أولئك أنهم السانقة من العقاب حقت كلتي أضاع على هؤلاء الذين كفروا من قومك فهم على شرف نزول العقاب بهم قال صاحب الكشف أنهم أصحاب النار في محل الرفع بدل من قوله كلمة ربك أي مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم من أصحاب النار ومعناه كما وجب اهلاكهم في الدنيا بالعذاب المستأصل كذلك وجب اهلاكهم بعذاب النار في الآخرة أوفى محل النصيب بخدق لام التعليل وإيصال الفعل واحتج أصحابنا بهذه الآية على أن قضاء الله بالسعادة والشقاوة لازم لا يمكن تغييره فقالوا إنه تعالى أخبر أنه حقت كلمة العذاب عليهم وذلك بدل على أنهم لا قدرة لهم على الاعتان لأنهم لو تمكنوا منه لتمكنوا من إبطال هذه الكلمة الحقة وتمكنوا من إبطال علم الله وحكمه ضرورة أن المتكبر من الشيء يجب كونه متمكنا من كل ما هو من لوازمه ولأنهم لو آمنوا وأوجب عليهم أن يؤمنوا بهذه الآية فعينئذ كانوا قد آمنوا بإيمانهم لا يؤمنون أبدا وذلك تكليف مالا يطاق وقرأناهم وابن عامر حقت كلمات ربك على الجمع والباقون على الواحد قوله تعالى (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويسغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم أنك أنت العزيز الحكيم وقهم السينات ومن تق السينات يومئذ فقد رحمتهم وذلك هو الفوز العظيم) اعلم أنه تعالى لما بين أن الكفار يبالغون في اظهار العداوة مع المؤمنين بين أن أشرف طبقات المخلوقات هم الملائكة الذين هم حلة العرش والحافون حول العرش يبالغون في اظهار المحبة والتصرة للمؤمنين كأنه تعالى يقول إن كان هؤلاء الأراذل يبالغون في العداوة فلا يبالغ بهم ولا تلتفت إليهم ولا تقم لهم وزنا فإن حلة العرش معك والحافون من حول العرش معك يتصرفونك وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) أنه تعالى حكى عن نوعين من فرق الملائكة هذه الحكاية (أحدهما) الذين يحملون العرش وقد حكى تعالى أن الذين يحملون العرش يوم القيامة ثمانية فيمكن أن يقال الذين يحملون في هذا الوقت هم أولئك الثمانية الذين يحملونه يوم القيامة ولا شك أن حلة العرش أشرف الملائكة وأكبرهم روى صاحب الكشف أن حلة العرش أرجلهم في الأرض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تفكروا في عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله تعالى من الملائكة فإن خلقا من

الذي هو يسبح عما يسبح به الآخر (ربنا) على إرادة القول أي يقولون ربنا على أنه إيمان لا استغفارهم الملائكة

النصب

أوحال (وسعت كل شيء رحمة وعلما) أي وسعت رحمتك وعلمك فأزيل عن أصله الاغراق في وصفه تعالى بالرحمة والعلم والمبالغة في عمومهما وتقديم ﴿٢٩٥﴾ الرحمة لأنها المقصودة بالذات ههنا والفاء في قوله تعالى (فأغفر

للذين تابوا واتبعوا سبيلك) أي للذين علمت منهم التوبة واتبع سبيل الحق لتقريب الدعاء على ما قبلها من سعة الرحمة والعلم (وقهم عذاب الجحيم) واحفظهم عنه وهو تصرع بعد اشعار لنا مكيد (ربنا وأدخلهم) عطف على فهم وتوسيط الداء بينهما للمبالغة

في الجوار (جنات عدن التي وعدتهم) أي وعدتهم أيها الوقرى جنات عدن (ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) أي صلاحا مصححا لدخول الجنة في الجملة وإن كان دون صلاح أصولهم وهو عطف على الضمير الأول أي وأدخلها معهم هؤلاء إيتهم سرورهم وتضاعف ابتهاجهم أو على الثاني لكن لآبائهم على الوعد العام للكل كاقبل اذ لا يبق حيثئذ للعطف وجه بل يشاء على الوعد الخاص بهم بقوله تعالى ألقننا

الملائكة يقول له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماء في الأرض السفلى وقدم في رأسه من سبع سموات وأنه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كانه الوصح قيل انه طائر صغير وروى ان الله تعالى أمر جميع الملائكة ان يردوا ويرجوا بالسلام على حلة العرش تقضيلهم على سائر الملائكة وقيل خلق الله العرش من جوهرة خضراء وبين اقامتين من قوامه خفقان الطير المسرع ثمانين ألف عام وقيل حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة يطوفون به ثلاثين مائة من ورانهم سبعون ألف صف قيام قد وضعوا أيديهم على عنقهم رافعين أي واثم بالتمليل والتكبير ومن ورانهم مائة ألف صف قد وضعوا الايمان على الشمايل ما منهم أحد الا ويسبح بمائة يسبح به الاخر هذه الآثار نقلتها من انكشاف (واما القسم الثاني) من الملائكة الذين ذكرهم الله تعالى في هذه الآية فقوله تعالى ومن حوله والظاهر أن المراد منهم ما ذكره في قوله وتري الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمدهم وأقول العتل يدل على ان حلة العرش والحافين حول العرش يجب أن يكونوا أفضل الملائكة وذلك لان نسبة الارواح الى الارواح كنسبة الاجساد الى الاجساد فلما كان العرش أشرف الموجودات الجسمانية كانت الارواح المتعلقة بتدبير العرش يجب أن تكون أفضل من الارواح المدبرة للاجساد وأيضا يشبه أن يكون هناك ارواح حاملة لجسم العرش ثم تولد عن تلك الارواح القاهرة المستعيلة المدبرة لجسم العرش أخرى من جنسها وهي متعلقة باطراف العرش واليهم الاشارة بقوله وتري الملائكة حافين من حول العرش وبالجملة فقد ظهر بالبراهين اليقينية وبالكشافات الصادقة انه لانسبة اعالم الاجساد الى عالم الارواح فكل ما شاهدته بعين البصر في اختلاف مراتب عالم الاجساد فيجب ان تشاهده بعين بصيرتك في اختلاف مراتب عالم الارواح (المسألة الثانية) ذات هذه الآية على انه سبحانه مبدء عن أن يكون في العرش وذلك لانه تعالى قال في هذه الآية الذين يحملون العرش وقال في آية أخرى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ولا شك ان حامل العرش يكون حاملا لكل من في العرش فلو كان الله تعالى في العرش لكان هؤلاء الملائكة حاملين لاله العالم فيحملون حافطين لاله العالم والحفاظ اقل بالالهية والحمول المحفوظ أولى بالعبودية فيحملون قلب الله سبحانه والعباد لها وذلك تأسد فدل هذا على ان الله العرش والجسم متعال عن العرش والاجسام واعلم انه تعالى حكى عن حلة العرش وعن الحافين بالعرش ثلاثة أشياء (أولها) قوله يسبحون بحمدهم وننزهه قوله حكايته عن الملائكة ونحن نسبح بحمدك وقوله تعالى وتري الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمدهم فالتسبيح عبارة عن تنزيه الله تعالى عما يليق بالتمجيد الاعتراف بأنه هو المنعم على الاطلاق فالتسبيح اشارة الى الجلال والتمجيد اشارة الى اكرام

(والنوع الثاني) بما حكى الله عن هؤلاء الملائكة هو قوله تعالى ويؤمنون به فان قيل فاي بهم ذريتهم بأن يكونوا أعلى درجة من ذريتهم قال سيد ابن جبير يدخل المؤمن الجنة

فيقول أن أبي ابن وادي أن زوجي فيقال انهم لم يعملوا مثل عملك فيقول اني كنت أعمل لي ولهم فيقال أدخلوهم الجنة وسبق الوعد بالأدخال والالحاق لا يستدعي حصول ٢٩٦ الموعود بل توسط شفاعته واستغفار

وعليه مبنى قول من قال فائدة الاستغفار زيادة الكرامة والثواب والاول هو الاول لان الدعاء بالأدخال فيه صريح وفي الثاني ضمن وقرئ صلح بالضم وذريتهم بالافراد (المك أنت العزيز) أي الغالب الذي لا يمتنع عليه مقذور (الحكيم) أي الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة الباهرة من الأمور التي من جاتها انجاز الوعد فالجملته لتعليل لما قبلها (وفهم السيئات) أي العقوبات لان جزاء السيئة سيئة مثلها أوجزا السيئات على حذف المضاف وهو تعميم بعد تخصيص أو مخصوص بالاتباع أو المعاصي في الدنيا فعن قوله تعالى (ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته) ومن تق المعاصي في الدنيا فقد رحمته في الآخرة كأنهم طلبوا بهم السبب بعد ما سألوا المسبب (وذلك) إشارة الى الرحمة المفهومة من

فائدة في قوله ويؤمنون به قال الاشتغال بالسبيح والحمد لا يمكن الا وقد سبق الايمان بالله فلما الفائدة فيه ما ذكره صاحب الكشاف وقد أحسن فيه جدا فقال ان المقصد ودمته التنبه على أن الله تعالى لو كان حاضرا بالعرش لكان جملة العرش والحافون حول العرش يشاهدونه ويعاينونه ولما كان إيمانهم بوجود الله موجبا للمدح والثناء لان الاقرار بوجوده شيء ماضر مشاهد معين لا يوجب المدح والثناء ألا ترى ان الاقرار بوجود الشئ وكونهما مضية لا يوجب المدح والثناء فلما ذكر الله تعالى إيمانهم بالله على سبيل الشاء والمدح والتعظيم علم انهم آمنوا به بدليل انهم ما شاهدوه حاضرا جالسا هناك ورحم الله صاحب الكشاف فلولم يحصل في كتابه الا هذه التكنة لكفاه فخرنا وشرفنا النوع الثالث مما حكى الله عن هؤلاء الملائكة قوله تعالى ويستغفرون للذين آمنوا واعلم انه قد ثبت ان كل السعادة مر بوطأ من التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله ويجب أن يكون التعظيم لامر الله مقدما على الشفقة على خلق الله فقوله يستغفرون بضمهم ويؤمنون به مشعر بالتعظيم لامر الله وقوله ويستغفرون للذين آمنوا مشعر بالشفقة على خلق الله ثم في الآية مسائل (المسئلة الاولى) احتج كثير من العلماء بهذه الآية في اثبات ان الملك أفضل من البشر قالوا لان هذه الآية تدل على ان الملائكة لما فرغوا من ذكر الله بالثناء والتقدس اشغلوا بالاستغفار لغيرهم وهم المؤمنون وهذا يدل على انهم مستغفرون عن الاستغفار لانفسهم اذ لو كانوا محتاجين اليه لقدموا الاستغفار لانفسهم على الاستغفار لغيرهم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ابدأ بنفسك وأيضاً قال تعالى لحمد صلى الله عليه وسلم فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لانيك والمؤمنين والمؤمنات فأمر محمد أن يذكر أولا الاستغفار لنفسه ثم بعده يذكر الاستغفار لغيره وحكى عن نوح عليه السلام انه قال رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا والمؤمنين والمؤمنات وهذا يدل على أن كل من كان محتاجا الى الاستغفار فإنه يقدم الاستغفار لنفسه على الاستغفار لغيره فلما التكة او كانوا محتاجين الى الاستغفار لكان اشغالهم بالاستغفار لانفسهم قدما على اشغالهم بالاستغفار لغيرهم ولما لم يذكر الله تعالى عنهم استغفارهم لانفسهم علما ان ذلك انما كان لانهم ما كانوا محتاجين الى الاستغفار وأما الانبياء عليهم السلام فقد كانوا محتاجين الى الاستغفار بدليل قوله تعالى لحمد عليه السلام واستغفر لانيك واذا ثبت هذا فقد ظهر ان الملك أفضل من البشر والله أعلم (المسئلة الثانية) احتج الكعبي بهذه الآية على أن تأثير الشفاعه في حصول زيادة الثواب للمؤمنين لاني اسقاط العقاب عن المؤمنين قال وذلك لان الملائكة قالوا فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك قال وليس المراد فاغفر للذين تابوا من الكفر سوءا كان مصر على الفسق أو لم يكن كذلك لان من هذا حاله لا يوصف بكونه متعاسيلا ربه ولا يطلق ذلك فيه وايضا ان الملائكة يقولون وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم وهذا لا يليق بالفاسقين لان خصوصنا لا يقطعون على

رحمة أو إليها والى الوفاية وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من الاسعار بعد درجة المشار اليه * ان (هو الفوز العظيم) الذي لا مطع وراءه لطام

(ان الذين كفروا) شروع في بيان أحوال الكفرة بعد دخولهم النار بعد ما بين فيما سبق أنهم أصحاب النار (ينادون) أي من مكان بعد دهم في النار وقد متوا أنفسهم ﴿٢٩٧﴾ الامارة بالسوء التي وقوا فيها واتباع هواها أو وقت

ان الله تعالى وعدهم الجنة وانما يجوزون ذلك فثبت ان شفاعة الملائكة لا تناول
الاهل الشفاعه فوجب أن تكون شفاعة الانبياء كذلك ضرورة أنه لا فائل بالفرق
والجواب أن نقول هذه الآية تدل على حصول الشفاعه من الملائكة للمذنبين فبين
هنا ثم نوجب عما ذكره الكسبي أمّا بيان دلالة هذه الآية على ما قلناه فن وجوه (الاول)
قوله ويستغفرون لأنهم آمنوا والاستغفار طلب المغفرة والمغفرة لا تذكر الا في اسقاط
العقاب أما طلب النفع الزائد فانه لا يسمى استغفارا (الثاني) قوله تعالى ويستغفرون
الذين آمنوا وهذا يدل على انهم يستغفرون لكل اهل الايمان فاذا دللنا على ان صاحب
الكبيرة مؤمن وجب دخوله تحت هذه الشفاعه (الثالث) قوله تعالى فاغفر للذين تابوا
طلب المغفرة للذين تابوا ولا يجوز أن يكون المراد اسقاط عقوبة الكبيرة بعد التوبة لان
ذلك واجب على الله عند الحصر وما كان فعله واجبا كان طلبه بالدعاء فيجوز لا يجوز أيضا
أن يكون المراد اسقاط عقوبة الصغار لان ذلك أيضا واجب فلا يحسن طلبه بالدعاء
ولا يجوز أن يكون المراد طلب زيادة منفعة على الثواب لان ذلك لا يسمى مغفرة فثبت أنه
لا يمكن حمل قوله فاغفر للذين تابوا الا على اسقاط عقاب الكبيرة قبل التوبة واذا ثبت هذا
في حق الملائكة فكذلك في حق الانبياء لان عقاد الاجماع على انه لا فرق اما الذي يتكلم
به الكسبي وهو انهم طلبوا المغفرة للذين تابوا فثبت ان يكون المراد منه الذين تابوا
عن الكفر واتبعوا سبيل الايمان وقوله ان الثائب عن الكفر المصير على الفسق لا يسمى
تابوا ولا متبعا لسبيل الله فلنا الانساق قوله بل يقال انه ثائب عن الكفر وتابع سبيل الله في
الدين والشرعية واذا ثبت انه ثائب عن الكفر ثبت انه ثائب ألا ترى أنه يكفي في صدق
وصفه بكونه ضاربا وضاحكا سدور الضرب والضحك عند مرة واحدة ولا يوقف ذلك
على صدور كل أنواع الضرب والضحك عنه فكذلك هو هنا (المسئلة الثالثة) قال اهل
التحقيق ان هذه الشفاعه صادرة عن الملائكة في حق البشر تجري مجرى اعتذار عن
زلة سبقت وذلك لانهم قالوا في أول تخليق البشر اتعجل فيها من هدف فيها ويسفك الدماء
فلما سبق منهم هذا الكلام تداركوا في آخر الامر بأن قالوا فاغفر للذين تابوا واتبعوا
سبيلك وقهم عذاب الجحيم وهذا كالتنبه على ان من آذى غيره فلاولى ان يجبر ذلك
الايداء بإرسال نفع واعلم انه تعالى لما حكى عن الملائكة انهم يستغفرون للذين تابوا
بين كيفية ذلك الاستغفار فحكى عنهم انهم قالوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فيه
مسائل (المسئلة الاولى) ان الدعاء في أكثر الامر مذكور بالغفر وبتساول يدل عليه ان
الملائكة عند الدعاء قالوا بتدليل هذه الآية وقال آلم عليه السلام ربنا فقلنا أنفسنا
وقال نوح عليه السلام رب اني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وقال أيضا رب اني
دعوت قومي ليلا ونهارا وقال أيضا رب اغفر لي ولوالدي وقال عن ابراهيم عليه السلام
رب ارنى كيف تحيي الموتى وقال رب اغفر لي ولوالدي والمؤمنين يوم يقوم الحساب

والسبب من علاقة اللزوم ﴿٣٨﴾ سا والمعنى لمقت الله اياكم الآن أكبر من

بعضهم بعضا من
الاحباب كقوله تعالى
يكفر بعضهم ببعض
ولعن بعضهم بعضا أي
أبغضوها أشد البغض
وأبكروها أبلغ الابتكار
وأظهروا ذلك على
رؤس الاشهاد فيقال
لهم عند ذلك (لمقت الله
أكبر من مشكم أنفسكم)
أي لمقت الله أنفسكم
الامارة بالسوء أو مقت
اياكم في الدنيا (اذا تدعون)
من جهة الانبياء (الى
الايمان) فتأبون قبوله
(فكفرون) اتباعا لنفسكم
الامارة ومساعدة الى
هواها وأقداة بأخلاقكم
المضلين واستعجابا
لأراهم أكبر من مشكم
أنفسكم الامارة أو من
مقت بعضهم بعضا اليوم
فاذا نازف للمقت الاول
وان توسط بينهما خبير
لما في الظروف من
الاتساع وقيل لمصدر
آخر مقدراى مقتته اياكم
اذا تدعون وقيل مفعول
لاذكروا الاول هو الوجه
وقيل كلام المتقين في
الآخرة واذا تدعون
تعالى لما بين الظرف

مقتكم أنفسكم لما كنتم تدعون الى الايمان فكفرون وتخصبص هذا الوجه بصورة كون المراد بانفسهم أضراجه
بما الادعى اليه (قالوا ربنا أمتنا الذين وأحببتنا الذين) ﴿٢٩٨﴾ صفحان لمصدرى الفعلين المذكورين أى امانتين

واحياء نين أو موتين
وحياتين على أنهما
مصدران لهما أيضا
بجذقي الزوائد الواقعة
يدل عليهما المذكوران
فان الامانة والاحياء
يتبنان على الموت والحياة
حكما كما قيل أمتنا
فقتلنا موتين اثنتين
واحييتنا فحييتنا
حياتين اثنتين
على طريقة قول من
قال وعضة دهر يابان
مروا لم تدع من المال
الامسحت أو تحلف أى
لم تدع فليجق الامسحت
الخ قيل أرادوا بالامانة
الاولى خلةهم أمواتا
وبالثانية امانتهم عند
انقضائهم على أن
الامانة جعل الشئ
عالم الحياة أعز من أن
يكون بإنشائه كذلك
كافى قواهم سبحانه من
صغر البعوض وكبر النمل
أو يحمله كذلك بعد الحياة
وبالاحياء من الاحياء الاول
واحياء البعث وقيل
أرادوا بالامانة الاولى
ما بعد حياة الدنيا
وبالثانية ما بعد حياة
القبور والاحياء من ماني

القبور وما عند البعث وهو الانسب بحالهم وأما حديث لزوم الزيادة على النص ضرورة تحقق حياة الدنيا فدفعه مرجوح

لكن لا باقيل من عدم اعتقادهم به الزوالها وانقضائها وانقطاع آثارها وأحكامها بل بأن مقصودهم أحداث الاعتراف بما كانوا يكرهونه في الدنيا ﴿ ٢٩٩ ﴾ كما ينطبق به قولهم (فاعترفوا بذنوبنا) التزام العمل به وجب ذلك

الاعتراف ليتوسلوا بذلك إلى ما علقوا به أطباعهم الفارغة من الرجوع إلى الدنيا كما قد صرح جوابه حيث قالوا فارجعنا لعمل صالحا انما نوقنون وهو الذي أرادوه بقولهم (فهل إلى خروج من سبيل) مع نوع استبعاد له واستحسان بأس منه لأنهم قالوا بطريق القنوط البحت كما قيل ولا ريب في أن الذي كانوا يكرهونه ويفرغون عليه فنون الكفر والمعاصي ليس إلا الأحياء بعد الموت وأما الأحياء الأول فلم يكونوا يكرهونه لينظفوه في سلك ما اعتترفوا به وزعموا أن الاعتراف يجديهم نفعاً وانما ذكروا الموتة الأولى مع كونهم معترفين بها في الدنيا اتوقف حياة القبر عليها وكذلك الموتة في القبر فان مقصدهم الأصلي هو الاعتراف بالأحياء من انما ذكروا والا ماتين لترتيبهما عليهما ذكرا حسب ترتيبهما عليهما وجودا وتكبير

راجع على جانب الضرر وأنه تعالى انما خالق الخلق الرحمة والخير لا للضرر والشرفان قيل قوله ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فيه سؤال لان العلم وسع كل شيء اما الرحمة فما وصلت إلى كل شيء لان المضرور حال وقوعه في الضرر لا يكون ذلك الضرر رحمة وهذا السؤال أيضا مذكور في قوله وربنا وسعت كل شيء فلما اكل وجوده فقد نال من رحمة الله تعالى نصيبا وذلك لان الموجود اما واجب واما ممكن أما الواجب فليس الا الله سبحانه وتعالى واما الممكن فوجوده من الله تعالى وبإيجاده وذلك رحمة فثبت انه لا موجود غير الله الا وقد وصل اليد نصيب ونصيب من رحمة الله فلهذا قال ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما وفي الآية دققة أخرى وهي ان الملازمة قد مر واذكر الرحمة على ذكر العلم فقالوا وسعت كل شيء رحمة وعلما وذلك لان مطلوبهم ايصال الرحمة وأن يتجاوز زعماء علمهم من أنواع الذنوب فالمطلوب بالذات هو الرحمة والمطلوب بالعرض أن يتجاوز زعماء علمهم والمطلوب بالذات مقدم على المطلوب بالعرض الا ترى انه لما كان ابقاء الصحة مطلوباً بالذات وإزالة المرض مطلوباً بالعرض لاجرم لما ذكر واحد الطوب قدموا فيه حفظ الصحة على ازالة المرض فقالوا الطب علم تعرف منه أحوال بدن الانسان من جهة ما يصح ويؤثر عن الصحة لحفظ الصحة حاملة وتسد ذرائع فكذلك هذه المطالب بالذات هو الرحمة وأما التجاوز زعماء علمهم من أنواع الذنوب فهو مطلوب بالعرض لاجل ان حصول الرحمة على سبيل الكمال لا يحصل الا بالتجاوز زعم الذنوب فلم يذنب السبب وقوع ذكر الرحمة سابقا على ذكر العلم (المسئلة الرابعة) دلل هذه الآية على ان المقصود بالقصة الاولى في الخلق والتكوين انما هو الرحمة والفضل والجود والكرم ودلت الدلائل القينية على ان كل ما دخل في الوجود من أنواع الخير والشر والسعادة والشقاوة فبفضاء الله وقدره والجمع بين هذين الاصليين في غاية الصعوبة فعند هذا قالت الحكماء الخير مرام دمر ضي والشر مرام مكروه والخير مقضى به بالذات والشر مقضى به بالعرض وفيه غور عظيم (المسئلة الخامسة) قوله وسعت كل شيء رحمة وعلما يدل على كونه سبحانه عالما بجميع المعلومات التي لانهاية لهم امن الكليات والجزيئات وأيضا فلو لا ذلك لم يكن في الداء والتضرع فائدة لانه اذا جاز أن يخرج عن علم بعض الاشياء فعلى هذا التقدير لا يعرف هذا الداعي ان الله سبحانه يعلمه ويعلم دعاه وعلى هذا التقدير لا يبقى في الداء فائدة البتة واعلم أنه تعالى لما حكى عنهم كيفية ثنائهم على الله تعالى حكى عنهم كيفية دعائهم وهو انهم قالوا فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم واعلم أن الملازمة طابوا بالدعاء من الله تعالى اشياء كثيرة للمؤمنين فالمطلوب الاول اعترافهم وقد سبق تفسيره في قوله فاعترفوا للذين تابوا واتبعوا سبيلك فان قيل لافعال الاعتراف انما هي اسقاط العذاب وعلى هذا التقدير فلا فرق بين قوله فاغفر لهم وبين قوله وقهم عذاب الجحيم فلما دلالة لفظ المغفرة على اسقاط عذاب الجحيم دلالة فاصلة على سبيل الرمز والاشارة فلما ذكر وهذا الدعاء على سبيل الرمز

سبيل اللابهام أى من سبيل ما كيفما كان وقوله تعالى (ذلكم) الخ جواب لهم باسمحالة حصول ما يرجونه ببيان ما يوجبها من

أعمالهم السيئة أي ذلكم الذي أتم فيه من العذاب مطلقا لا مفيدا بالحوادث كما قبل (أنه) أي بسبب أن الشأن (إذا دعى الله)
في الدنيا أي عبد (وحده) أي منفردا ﴿٣٠٠﴾ (كفرتم) أي يوحده (وان يشرركه تؤمنوا) أي بالآشر الكبه

وتسارعوا فيه وفي إيراد
إذا وصيغة المضارع في
الشرطية الأولى وإن
وصيغة المضارع في
الثانية ما لا يخفى من
الدلالة على كمال سوء
حالهم وحيث كان
حالكم كذلك (فالحكم لله)
الذي لا يحكم إلا بالحق ولا
يقضي إلا بما تقتضيه
الحكمة (العلی الكبير)
الذي ليس كمثل شئ في
ذاته ولا في صفاته ولا في
أفعاله يفعل ما يشاء
ويحكم ما يريد لا معقب
لحكمه وقد حكم بأنه
لا مغفر لا مشرك ولا نهاية
لنعوق به كما لا نهاية
لشناعته فلا سبيل لكم
إلى الخروج أبدا (هو)
الذي يركم آياته) الدالة
على شؤنه العظيمة
الموجبة لتفرد بالالوهية
استدوا بها على ذلك
وتعلموا بموجبهما
فتوحدوه تعالى وتخصوا
بالعبادة (وبزل) بالتسديد
وفرى بالتخفيف من
الانزال (لكم من السماء)
رزقا أي سبب رزق
وهو المطر وأفراده بالذكر
مع كونه من جملة الآيات

الدالة على كمال قدرته تعالى لتفردته بعنوان كونه من آثار رحمته وجلال نعمته الموجبة لل شكر ما يجادل

وصيغة المضارع في الفعلين للدلالة على تجدد الآداة والتبديل واستمرارهما وتقديم الجار والمجرور على المفعول
للمر مرة (وما يذكر) تلك الآيات الباهرة ﴿ ٣٠١ ﴾ وما يعمل بمقتضاها (الأمن يذنب) الى الله

تعالى ويتفكر فيما أودعه
في تضاعيف مصنوعاته
من شواهد قدرته
الكاملة ونعمته الشاملة
الوجبة لتخصيص
العبادة به تعالى ومن
ليس كذلك فهو يعرل
من التذكر والانعاش
(فادعوا الله بخالصين
لهد الدين) أي ذاك
الامر كما ذكر من
اختصاص التذكر بمن
ينبى فاعبدوه أيها
المؤمنون مخلصين له
دينكم ووجب انما يحكم
اليه تعالى وإيمانكم به
(ولو كره الكافرون)

ذلك وغايتهم اخلاصكم
(رفيع الدرجات) نحو
بداع السموات على أنه
صفة مشبهة أضفيت
الى فاعلها بعد النقل
الى فعل بالضم كما هو
المشهور وتفسيره بالرفع
ليكون من إضافة اسم
الفاعل الى المفعول بعيد
في الاستعمال أي رفيع
درجات ملائكته أي
معارجهم ومساعدهم
الى العرش (ذوالعرش)
أي مالكه وهما خبران
آخران لقوله تعالى هو

ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا بينهم وبينهم العداوة يعرفون بذنوبهم واستحقاقهم
العذاب الذي ينزل بهم ويسألون الرجوع الى الدنيا ليلافوا مفرطتهم فقال ان الذين
كفروا ينادون لعل الله اكبر من مقتكم وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) في الآية
حذف وفيها ايضا تقديم وتأخير أما الحذف فتقديره لعل الله اياكم وأما التقديم والتأخير
فهو أن التقدير أن يقال لعل الله لكم حال ما تدعون الى الايمان فتكفرون اكبر من
مقتكم أنفسكم وفي تفسير مقتهم أنفسهم وجوه (الاول) انهم اذا شاهدوا القيامة
والجنة والنار مقتوا أنفسهم على اصرارهم على التكذيب بهذه الاشياء في الدنيا
(الثاني) ان الاتباع يشتم مقتهم للروساء الذين دعواهم الى الكفر في الدنيا والروساء ايضا
يشتم مقتهم الاتباع فغير من مقت بعضهم بعضا بأنهم مقتوا أنفسهم كانه تعالى قال
فاقلوا أنفسكم والمراد قتل بعضهم بعضا (الثالث) قال محمد بن كعب اذا خطبهم ابيس
هم في النار بقوله وما كان لي عليكم من سلطان الى قوله ولو ما أنفسكم في هذه
الحالة مقتوا أنفسهم واعلم أنه لا نزاع ان مقتهم أنفسهم انما يحصل في القيامة امانت
الله لهم فبقية وجهان (الاول) انه حاصل في الآخرة والمعنى اقت الله لكم في هذا الوقت
ثم من مقتكم أنفسكم في هذا الوقت (أو الثاني) وعليه الأكثرون ان التقدير لمقت الله
لكم في الدنيا اذ تدعون الى الايمان فسئرون اكبر من مقتكم أنفسكم الآن ففي
تفسير الانفاط المذكورة في الآية أوجه (الاول) ان الذين ينادونهم ويذكرونهم هذا
الكلام هم خزنة جهنم (الثاني) المقت أشد البغض وذلك في حق الله تعالى بحال فالمراد
منه أبلغ الانكار والجزر (الثالث) قال الفراء ينادون لمقت الله معناه انهم ينادون ان
مقت الله اكبر يقال ناديت ان زيدا قائم وان زيدا قائم (الرابع) قوله اذ تدعون الى
الايمان فيه حذف والتقدير لمقت الله لكم اذ تدعون الى الايمان فتأتون بالكفر اكبر من
مقتكم الآن أنفسكم ثم انه تعالى بين ان الكفار اذا خطبوا بهذا الخطاب قالوا ربنا
أمتنا الذين الى آخر الآية والمعنى انهم لما عرفوا ان الذي كانوا عليه في الدنيا كان
فاسدا باطلا تموا الرجوع الى الدنيا لكي يشتغلوا عند الرجوع اليها بالاعمال الصالحة
وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) احتج أكثر العلماء بهذه الآية في اثبات عذاب
القبر وتقرير الدليل انهم أثبتوا لانفسهم موتتين حيث قالوا ربنا أمتنا الذين فأحد
الموتتين مشاهد في الدنيا فلا بد من اثبات حياة أخرى في القبر حتى يصير الموت الذي يحصل
عقبها موتا ثانيا وذلك يدل على حصول حياة في القبر فان قيل قال كثير من المفسرين
الموتة الاولى اشارة الى الحالة الحاصلة عند كون الانسان نطفة وعلقة والموتة الثانية
اشارة الى ما حصل في الدنيا فلم لا يجوز ان يكون الامر كذلك والذي يدل على ان الامر
ما ذكرناه قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم والمراد من قوله
وكنتم أمواتا الحالة الحاصلة عند كونه نطفة وعلقة وتحقيق الكلام ان الامانة تستعمل

أخبر عنه بهما ايذا بالو شأنه تعالى وعظم سلطانه الموجبين لتخصيص العبادة به واخلص الدين له أما
بطريق الاستشهاد بهما عليهما

فإن ارتفاع معارج ملائكته الى العرش وكون العرش العظيم المحيط بأكتاف العالم العلوى والسفلى تحت ملكوته وقبضة قدرته مما يقتضى يكون علوه شأنه ﴿ ٣٠٢ ﴾ وعظام ساطعانه في غاية لا غاية وراهها واما يجعلها

بمئين (أحدهما) إيجاد الشيء ميتا (والثاني) تصير الشيء ميتا بعد أن كان حيا كقولك
وسع الحياطيني تحتل أنه خاطئه واسماو تحتل أنه صير واسماو بعد أن كان ضيقا فلم
لا يجوز في هذه الآية أن يكون المراد بالامانة خلقها ميتة ولا يكون المراد تصيرها ميتة
بعد أن كانت حية (السؤال الثاني) أن هذا كلام الكفار فلا يكون حجة (السؤال
الثالث) أن هذه الآية تدل على المنع من حصول الحياة في القبر وبيانه أنه لو كان الامر
كذلك لكان قد حصلت الحياة ثلاث مرات أولها في الدنيا وثانيها في القبر وثالثها في
القيامة والمذكور في الآية ليس الاحيائين فقط فتكون احدهما الحياة في الدنيا
والحياة الثانية في القيامة والموت الحاصل بينهما هو الموت المشاهد في الدنيا (السؤال
الرابع) انه ان دلت هذه الآية على حصول الحياة في القبر فهنا ما يدل على عدمه وذلك
بالقول والمعقول أما المنقول فمن وجوه (الاول) قوله تعالى أمن هو قانت آناء الليل
ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه فلم يذكر في هذه الآية الا الحذر عن
الآخرة ولو حصلت الحياة في القبر لكان الحذر عنها حاصلا ولو كان الامر كذلك لذكره
ولما يذكره علمنا أنه غير حاصل (الثاني) انه تعالى حكى في سورة الصافات عن المؤمنين
المحققين أنهم يقولون بعد دخولهم في الجنة أنا نحن بميتين الاموتنا الاولى ولا شك ان
كلام أهل الجنة حق وصدق ولو حصلت لهم حياة في القبر لكانوا قد ماتوا مرتين وذلك
على خلاف قوله أنا نحن بميتين الاموتنا الاولى قالوا والاستدلال بهذه الآية أقوى
من الاستدلال بالآية التي ذكرتموها لان الآية التي تمسكنا بها حكاية قول المؤمنين الذين
دخلوا الجنة والآية التي تمسكتم بها حكاية قول الكافرين الذين دخلوا النار وأما
المعقول فمن وجوه (الاول) وهو ان الذي افترسته السباع وأكلته لو أعيد حيا لكان
اما أن يعاد حيا بمجموعه أو بآحاد أجزائه والاول باطل لان الحس يدل على أنه لم يحصل
له مجموع والثاني باطل لانه لما أكلته السباع فلو جعلت تلك الأجزاء أحياء لحصلت أحياء
في معدة السباع وفي أمعائها وذلك في غاية الاستبعاد (الثاني) ان الذي مات لو تركناه
ظاهرا بحيث يراه كل أحد فانهم يرونه باقيا على موته فلو جوز ناعم هذه الحالة انه يقال انه
صار حيا لكان هذا تشكيكا في المحسوسات وانه دخول في السفسطة (والجواب) قوله
لم لا يجوز أن تكون الموتة الاولى هي الموتة التي كانت حاصلة حال ما كان ضغطه وعلقه
فتقول هذا لا يجوز وبيانه أن المذكور في الآية ان الله أماتهم ولغظ الامانة مشروط
بسبق حصول الحياة اذا كان الموت حاصلا قبل هذه الحالة امتنع كون هذا اماتة والالزم
تحصيل الحاصل وهو محال وهذا بخلاف قوله كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا لان
المذكور في هذه الآية أنهم كانوا أمواتا وليس فيها ان الله أماتهم بخلاف الآية التي
نحن في تفسيرها لانها تدل على ان الله تعالى أماتهم مرتين وقدينا ان لغظ الامانة لا يصدق
الا عند سبق الحياة فظهر الفرق أما قوله ان هذا كلام الكفار فلا يكون حجة قلنا ما ذكرنا

عبارة عنهما بطريق
المجاز المفرع على
الكتابة كالأستواء على
العرش وتمهيدا لما
يعقبهما من قوله تعالى
(يلقى الروح من أمره)
فانه خبر آخر لما ذكر
متى عن انزال الرزق
الروحاني الذي هو
الوحي بعد بيان انزال
الرزق الجسماني الذي
هو المطر أي ينزل الوحي
الجاري من القلوب
منزلة الروح من الاجساد
وقوله تعالى من أمره
بيان الروح الذي أريد
به الوحي فانه أمر بالخبر
أحوال منه أي حال كونه
ناشئا ومبتدأ من أمره
أو صفه على رأي
من يجوز حذف الموصول
مع بعض صلته أي
الروح الكائن من أمره
أو متعلق يلقى ومن
للسببية كالباء مثل
ما في قوله تعالى وما
خطبائهم أي يلقي الوحي
بسبب أمره (على من
يشاء من عباده) وهو
الذي اصطفاه لسانه
وتبلغ أحكامه اليهم
(لينذر) أي الله تعالى

أولملقى عليه أوالروح وقرئ لتندرعلى أن الفاعل هو الرسول عليه الصلاة والسلام أوالروح ﴿ ذلك ﴾ لأنها قد توثنت (يوم التلاق) اما طرف للمفعول الثاني أي لينذر الناس

العذاب يوم التلاق وهو يوم القيامة لانه يتلاقى فيه الارواح والاجسام وأهل السموات والارض أو هو المفعول الثاني انساها أو أصالة فانه من شدة هولها ﴿ ٣٠٣ ﴾ وفطاعته حقيق بالانذار أصالة وفقرى ليندر على البناء للمفعول

ورفع اليوم (يومهم بارزون) بدل من يوم التلاق أى خارجون من قبورهم وأظهرون لا يسترهم شئ من جبل أو أكمة أو بناء لكون الارض يومئذ قاعا صاففا ولا عليهم ثياب انساها عراة مكشوفون كجاء في الحديث يحشرون عراة حفاة غرلا وقيل ظاهرة نفوسهم لا تحجبهم غواشي الابدان أو أعمالهم وسرارهم (لا يخفى على الله منهم شئ) استئناف لبيان بروزهم وتقريره وازاحة لما كان يشوبه المتوهمون في الدنيا من الاستتار توهما باطلا أو خبرتان وقيل حال من ضمير بارزون أى لا يخفى عليهم تعالى شئ ما من أعيانهم وأعمالهم واحوالهم الجليلة والخفية السابقة واللاحقة (لمن الملك اليوم لله الواحد التهار) حكاية لما يقع حينئذ من السؤال والجواب بتدبير قول معطوف على ما قبله من الجملة المنفية المسأفة

ذلك لم يكذبهم الله تعالى اذوا كانوا كاذبين لأظهر الله تكذيبهم ألا ترى أنهم لما كذبوا في قواهم والله ربنا ما كنا مشركين كذبهم الله في ذلك فقال انظر كيف كذبوا وأما قوله ظاهر الآية ينبع من اثبات حياة في القبر اذ لو حصلت هذه الحياة لكان عدو الحياة ثلاث مرات لا مرتين فنقول الجواب عنه من وجوه (الاول) هو ان مقصودهم تعدد أوقات البلاء والخنة وهي أربعة الموتة الاولى والحياة في القبر والموتة الثانية والحياة في القيامة فهذه الاربعه أوقات البلاء والخنة فاما الحياة في الدنيا فليست من أقسام أوقات البلاء والخنة فلهذا السبيل يذكرها (الثاني) لعلمهم ذكروا الحياتين وهي الحياة في الدنيا والحياة في القيامة أما الحياة في القبر فهم لما ذكرها القلة وجودها وقصر مدتها (الثالث) لعلمهم لما صاروا أحياء في القبر ولم يموتوا بل بقوا أحياء إما في السعادة وإما في السقاة واتصل بها حياة القيامة فكانوا من جملة من أرادهم الله بالنعمة في قوله فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله (الرابع) اول ثبت الحياة في القبر لانه لا يصل الموت الامر واحدة فكان اثبات الموت مرتين كذبا وهو على خلاف لفظ القرآن أما لو اثبتنا الحياة في القبر لزمنا اثبات الحياة ثلاث مرات والمسكور في القرآن مرتين أما المرة الثالثة فليس في اللفظ ما يدل على ثبوتها أو عدمها فثبت ان في حياة القبر يقتضى ترك مادل اللفظ عليه فاما اثبات حياة القبر فانه يقتضى اثبات شئ زائد على مادل عليه اللفظ مع ان اللفظ لا اشعار فيه بثبوته ولا بعدمه فكان هذا أولى وأما ما ذكره في المعارضة الاولى فنقول قوله يحذر الآخرة تدخل فيه الحياة الآخرة سواء كانت في القبر أو في القيامة وأما المعارضة الثانية فجوابها أنا رجع قولنا بالاحاديث الصحيحة الواردة في عذاب القبر وأما الوجهان العقلان فمدفوعان لانا اذا قلنا ان الانسان ليس عبارة عن هذا الهيكل بل هو عبارة عن جسم نوراني سار في هذا البدن كانت الاشكالات التي ذكرتموها غير واردة في هذا الباب والله أعلم (المسئلة الثانية) اعلم أن ما اثبتنا حياة القبر فيكون المتاصل في حق بعضهم أربعة أنواع من الحياة وثلاثة أنواع من الموت والدليل عليه قوله تعالى في سورة البقرة ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم فهؤلاء أربع مراتب في الحياة حياتان في الدنيا وحياة في القبر وحياة رابعة في القيامة (المسئلة الثالثة) قوله الذين نعت لمصدر محذوف والتقدير ماتين ائذين ثم حكى الله عنهم أنهم قالوا فاعترفنا بذنوبنا فان قبل الفاء في قوله فاعترفنا يقتضى أن تكون الامانة مرتين والاحياء مرتين سببا لهذا الاعتراف فثبتوا هذه السببية قلنا لانهم كانوا منكربين البعث فلما شاهدوا الاحياء بعد الامانة مرتين لم يبق لهم عذر في الاقرار بالبعث فلا جرم وقع هذا الاقرار كالمسبب عن تلك الاحياء والامانة ثم قال فهل الى خروج من سبيل أى هل الى نوع من الخروج سريع أو بطى من سبيل أم اليأس وقع فلا خروج ولا سبيل اليه وهذا كلام من غاب عايد اليأس والتنوط واعلم

أوستأنف يقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية بروزهم وظهور أحوالهم كانه قبل فاذا يكون حينئذ قتيلا يقال الخ أى يشادى

مناد لمن الملك اليوم فيجيبه أهل المحشر لله الواحد القهار وقبل المحجب هو السائل بعينه لما روي أنه يجمع الله الخلائق يوم القيامة في صعيد واحد في أرض يضاء كأنها سبيكة **٣٠٤** فضة لم يصب الله فيها قط فأول ما ينطق به

أن ينادي مناد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقبل حكاية لما ينطق به لسان الحال من تقطع أسباب التصرفات المجازية واختصاص جميع الأفاعيل بقبضة القدرة الإلهية (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت) الخ فإما من جهة الجواب ليسان حكم اختصاص الملك به تعالى ونتيجته التي هي الحكم السوي والقضاء الحق أو حكاية لما سئله تعالى يومئذ عنقب السؤال والجواب أي تجزى كل نفس من النفوس البرة والنقارة بما كسبت من خير أو شر (لا ظلم اليوم) بنقص ثواب أو زيادة عذاب (إن الله سريع الحساب) أي سريع حسابه تماما إذ لا يشغله تعالى شأن عن شأن فيجاسب الخلائق فاطبة في أقرب زمان كما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه تعالى إذا أخذ في حسابهم لم يقل أهل الجنة الأوفى ولا أهل النار الأفيها فيكون

تعليلا لقوله تعالى اليوم تجزى الخ فإن كون ذلك اليوم بعينه يوم التلاقى و يوم البروز رعاياهم **درجات** استبعاد وقوع الكل فيه أو سرع محيضا فيكون تعليلا للإنذار

درجات الانبياء والاولياء في الجنة (والثاني) رافع درجات الخلق في العلوم والاخلاق
 الفاضلة فهو سبحانه يعين لكل أحد من الملائكة درجة معينة كما قال ومامن الا اله مقام
 معلوم وعين لكل واحد من العلماء درجة معينة فقال يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين
 أتوا العلم درجات وعين لكل جسم درجة معينة فيجعل بعضها سفلية عنصرية وبعضها
 فلكية كوكبية وبعضها من جواهر العرش والكرسي فيجعل لبعضها درجة أعلى من
 درجة الثاني وأيضاً جعل لكل أحد مرتبة معينة في الخلق والرزق والاجل فتال وهو الذي
 جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات وجعل لكل أحد من السعداء
 والاشقياء في الدنيا درجة معينة من موجبات السعادة وموجبات الشقاوة وفي الآخرة
 اظهر آثار تلك السعادة والشقاوة فاذا جعلنا الرفيع على الرافع كان معناه مذكرناه وأما
 اذا جعلناه على المرتفع فهو سبحانه أرفع الموجودات في جميع صفات الكمال والجلال أما
 في أصل الوجود فهو أرفع الموجودات لانه واجب الوجود لذاته ومساواه ممكن ومحتاج
 اليه وأما في دوام الوجود فهو أرفع الموجودات لانه واجب الوجود لذاته وهو الازلي
 والابدي والسرمدى الذي هو أول لكل ماسواه وليس له أول وآخر لكل ماسواه وليس له
 آخر أما في العلم فلا اله الا هو وأما في القدرة فهو أعلى القادرين وأرفعهم لانه في
 وجوده وجميع كالات وجوده شئ عن كل ماسواه وكل ماسواه فانه يحتاج في وجوده وفي
 جميع كالات وجوده اليه وأما في الوحدة فهو الواحد الذي يستغنى عن كل ماسواه
 وشريك ونظير وأقول الحق سبحانه له صفتان (أحدهما) استغناؤه في وجوده وفي جميع
 صفات وجوده عن كل ماسواه (والثاني) افتقار كل ماسواه اليه في وجوده وفي صفات
 وجوده فالرفيع ان فسرناه بالمرتفع كان معناه انه أرفع الموجودات واعلاها في جميع
 صفات الجلال والاکرام وان فسرناه بالرفع كان معناه ان كل درجة وفضيلة ورحمة ومنفعة
 حصلت لشيء سواء فانا حصلت بايجاد وتكوينه وفضله ورحمته (الصفة الثانية) قوله
 ذو العرش ومعناه انه مالك العرش ومديره وخالقه واحتج بعض الاثمار من المشبهة بقوله
 يرفع الدرجات ذو العرش وحاوله على أن المراد بالدرجات السموات وبقوله ذو العرش
 انه موجود في العرش فوق سبع سموات وقد أعظموا القرية على الله تعالى فانا ينسأ
 بالدلائل القاهرة العقلية والنقلية ان كونه تعالى جسماً وفي جهة محال وأيضاً فظاهر
 اللفظ لا يدل على ما قالوه لان قوله ذو العرش لا يفيد الاضافته الى العرش ويكفي فيه
 اضافته اليه بكونه مالكة له ونحو جاله من العدم الى الوجود فأى ضرورة تدعونا الى
 الذهاب الى القول الباطل والمذهب الفاسد والفائدة في تخصيص العرش بالذكر هو انه
 أعظم الاجسام والمقصود بيان كمال الهيته ونفاذ قدرته فكل ما كان محال التصرف
 والتدبير أعظم كانت دلالة على كمال القدرة أقوى (الصفة الثالثة) قوله ياتى الروح من

أمره على من يشاء من عباده وفيه مباحث (البحث الاول) اخذوا في المراءى بهذا الروح والصحيح أن المراءى هو الوحي وقد اُظهِرنا في بيان انذاره سمي الوحي بالروح في أول سورة النحل في تفسير قوله ينزل الملائكة بالروح من أمره وقال أيضا أومن كان ميتا فأحييناه وحاصل الكلام فيه أن حياة الارواح بالاعراف الالهية والجلاليات القدسية فاذا كان الوحي سببا لحصول هذه الارواح سمي بالروح فان الروح سبب لحصول الحياة والوحي سبب لحصول هذه الحياة الروحانية واعلم أن هذه الآية مشتملة على أسرار عجيبة من علوم المكاشفات وذلك لان كمال كبرياء الله تعالى لا اتصل اليه العقول والافهام فاطربق الكمال في تعريفه بقدر الطاقة البشرية ان يذكر ذلك الكلام على الوجه الكلي العقلي ثم يذكر عقبيه شي من المحسوسات المؤكدة لذلك المعنى العقلي ليصير المحصر بهذا الطريق معاضدا للعقل فههنا أيضا كذلك فقولهم رفع الدرجات اما أن يكون بمعنى كونه رافعا للدرجات وهو اشارة الى تأثير قدرة الله تعالى في ايجاد الممكنات على اختلاف درجاتها وتبيان منازلها وصفاتها أو الى كونه تعالى مرتفعا في صفات الجلال ونعوت العزة عن كل الموجودات فهذا الكلام كلي عقلي برهاني ثمانية سبحانه بين هذا الكلام الكلي يزيد تقريره وذلك لان ما سوى الله تعالى اما جسمانيات واما روحانيات فبين في هذه الآية ان كلا القسمين مسخر تحت تسخير الحق سبحانه وتعالى اما الجسمانيات فأعظمها العرش فقوله ذو العرش يدل على استيلائه على كلية عالم الاجسام ولما كان العرش من جنس المحسوسات كان هذا المحسوس مؤكدا لذلك المعقول أعني قوله رفع الدرجات وأما الروحانيات فكلها مسخرة للحق سبحانه واليه اشارة بقوله يلقى الروح من أمره واعلم ان أشرف الاحوال الظاهرة في روحانيات هذا العالم ظهور آثار الوحي والوحي انما يتم باركان أربعة (فالوحي) المرسل وهو الله سبحانه وتعالى فلهذا أضاف لقاء الوحي الى نفسه فقال يلقى الروح (والركن الثاني) الارسل والوحي وهو الذي ساء بالروح (والركن الثالث) أن وصول الوحي من الله تعالى الى الانبياء لا يمكن أن يكون الا بواسطة الملائكة وهو المشار اليه في هذه الآية بقوله من أمره فالركن الروحاني يسمى أمرا قال تعالى وأوحى في كل سماء أمرها وقال آله الخلق والأمر (والركن الرابع) الانبياء الذين يلقى الله الوحي اليهم وهو اشارة الى كونه تعالى من يشاء من عباده (والركن الخامس) تسعين الغرض والمقصود الاصل من لقاء هذا الوحي اليهم وذلك هو ان الانبياء عليهم السلام يصرفون الخلق من عالم الدنيا الى عالم الآخرة ويحملونهم على الاعراض عن هذه الجسمانيات والاقبال على الروحانيات واليه اشارة بقوله اينذر يوم التلاق يومهم بارزون فهنا ترتيب عجيب يدل على هذه الاشارات العالية من علوم المكاشفات الالهية وبق ههنا ان اثنين هما السبب في تسمية يوم القيامة بيوم التلاق وكم الصفات التي ذكرها الله تعالى في هذه السورة يوم التلاق أما السبب في تسمية يوم القيامة بيوم التلاق ففيه

وجوه (الاول) ان الارواح كانت متباينة عن الاجساد فاذا جاء يوم القيامة سارت
الارواح ملافة الاجساد فكان ذلك اليوم يوم التلاق (الثاني) ان الخلائق يتلاقون
فيه فيقف بعضهم على حال البعض (الثالث) ان اهل السماء يتزلون على اهل الارض
فيتلقى فيه اهل السماء واهل الارض قال تعالى في يوم تشرق السماء بالغمام ونزل الملائكة
تنزيلا (الرابع) ان كل أحد يصل ان جراء عمله في ذلك اليوم فكان ذلك من باب التلاق
وهو مأخوذ من قولهم فلان لقي عمله (الخامس) يمكن أن يكون ذلك مأخوذا من قوله فمن
كان يرجو لقاء ربه ومن قوله تحيةهم يوم يلتقونه سلام (السادس) يوم يلتقى فيه العابدون
والمعبودون (السابع) يوم يلتقى فيه آدم عليه السلام وآخروا له (الثامن) قال معمر بن
مهران يوم يلتقى فيه الظالم والمظلوم فر بما ظلم الرجل رجلا وانفصل عنه ولو أراد أن يجده
لم يقدر عليه ولم يعرفه في يوم القيامة يحضرون وياقي بعضهم بعضا قرأ أن كثير التلاق
والتنادي باليات الياء في الوصل والوقف وهادى وواقى بالياء في الوقف وبالتوين في
الوصل وأما بيان ان الله تعالى كم عدد من الصفات ووصف بها يوم القيامة في هذه الآية
فبقول (الصفة الاولى) كونه يوم التلاق وقد ذكرنا تفسيره (الصفة الثانية) قوله يوم هم
بارزون وفي تفسير هذا البروز وجوه (الاول) انهم برزوا عن بواطن القبور (والثاني)
بارزون أى ظاهرون لا يسترهم شئ من جبل أو كهف أو بناء لان الارض بارزة قاع صاف
وليس عليهم أيضا ثياب انما هم عراة مكشوفون كما جاء في الحديث يحشرون عراة حفاة
غراة (الثالث) أن يجعل كونهم بارزين كناية عن ظهور أعمالهم وانكشاف أسرارهم
كما قال تعالى يوم تبلى السرائر (الرابع) ان هذه النفوس الناطقة البشرية كأنها في الدنيا
انغمست في ظلمات اعمال الابدان فاذا جاء يوم القيامة أعرضت عن الاشتغال بتدبير
الجسمانيات وتوجهت بالكلية الى عالم القيامة وجمع الروحانيات فكانت بارزت بعد
أن كانت كامنة في الجسمانيات مستترة بها (الصفة الثالثة) قوله لا تخفى على الله منهم
شئ والمراد يوم لا تخفى على الله منهم شئ والمقصود منه الوعيد فانه تعالى بين انهم اذا برزوا
من قبورهم واجتمعوا وتلاقوا فان الله تعالى يعلم ما فعله كل واحد منهم فيجازى كلا بحسبه
ان خيرا فخير وان شرا فشر فهم وان لم يعلموا تفصيل ما فعلوه فالله تعالى عالم بذلك
ونظيره قوله يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية وقال يوم تبلى السرائر وقال اذا بعثنا في
القبور وحصل ما في الصدور وقال يومئذ تحدث أخبارها فان قيل الله تعالى لا يخفى عليه
منهم شئ في جميع الايام فامعنى تقييد هذا المعنى بذلك اليوم قلنا انهم كانوا يتوهمون
في الدنيا اذا استروا بالحيطان والحجب ان الله لا يراهم ولا يخفى عليه اعمالهم فهم في ذلك
اليوم صائرون من البروز والانكشاف الى حال لا يتوهمون فيها مثل ما يتوهمونه
في الدنيا قال تعالى ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وقال يستخفون من الناس
ولا يستخفون من الله وهو معنى قوله وبرزوا لله الواحد القهار (الصفة الرابعة) قوله

تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار والتقدير يوم ينادى فيه لمن الملك اليوم وهذا النداء في أى الاوقات يحصل فيه قولان (الاول) قال المفسرون اذا هلك كل من في السموات ومن في الارض فيقول الرب تعالى لمن الملك اليوم يعنى يوم القيامة فلا يجيبه أحد فهو تعالى يجيب نفسه فيقول لله الواحد القهار قال أهل الأصول هذا القول ضعيف وبيانه من وجوه (الاول) انه تعالى بين ان هذا النداء انما يحصل يوم التلاق ويوم البروز ويوم تجزى كل نفس بما كسبت والناس في ذلك الوقت أحياء فبطل قولهم ان الله تعالى انما ينادى بهذا النداء حين هلك كل من في السموات والارض (والثاني) أن الكلام لا بد فيه من فائدة لان الكلام اما أن يذكر حال حضور الغير أو حال ما لا يحضر الغير والاول باطل ههنا لان الشوم قالوا انه تعالى انما يذكر هذا الكلام عند فناء الكل والثاني أيضا باطل لان الرجل انما يحسن تكلمه حال كونه وحده اما لانه يحفظ به شأ كالذى يكرر على الدرس وذلك على الله محال أو لاجل انه يحصل له سرور بما يقوله وذلك أيضا على الله محال أو لاجل أن يعبد الله بذلك ثم ان ذكر وفلك أيضا على الله محال فثبت أن قول من يقول ان الله تعالى يذكر هذا النداء حال هلاك جميع المخلوقات باطل لأصله (والقول الثاني) ان في يوم التلاق اذا حضر الاولون والآخرين وبرزوا لله نادى مناد لمن الملك اليوم فيقول كل الحاضرين في محفل القيامة لله الواحد القهار فالمؤمنون يقولونه تلوذا بهذا الكلام حيث نالوا بهذا الذكر الميزة الرفيعة والكفار يقولونه على الصغار والذلة على وجد التمسرو والندامة على ان فاتهم هذا الذكر في الدنيا وقال القائلون بهذا القول ان صح القول الاول عن ابن عباس وغيره لم يمنع أن يكون المراد ان هذا النداء يذكر بعد فناء البشر الا انه حضر هناك ملائكة يسمعون ذلك النداء وأقول أيضا على هذا القول لا يبعد أن يكون السائل والمجيب هو الله تعالى ولا يبعد أيضا أن يكون السائل جمعا من الملائكة والمجيب جمعا آخرين والكل ممكن وليس على التعيين دليل فان قيل وما الفائدة في تخصيص هذا اليوم بهذا النداء فتقول اناس كانوا مفرورين في الدنيا بالاسباب الظاهرة وكان الشيخ الامام الوالد عمر رضى الله عنه يقول لولا الاسباب لما ارتاب مرتاب وفي يوم القيامة زالت الاسباب وانعزات الارباب ولم يبق البتة غير حكم مسبب الاسباب فلهذا اختص اثناء يوم القيامة واعلم انه وان كان ظاهرا للفظ يدل على اختصاص ذلك النداء بذلك اليوم الا ان قوله لله الواحد القهار يفيد أن هذا النداء حاصل من جهة المعنى أبدا وذلك لان قولنا الله اسم واجب الوجود لذاته وواجب الوجود لذاته واحد وكل ما سواه ممكن لذاته والممكن لذاته لا يوجد الا باليجاد الواجب لذاته ومعنى اليجاد هو ترجيح جانب الوجود على جانب العدم وذلك الترجيح هو قهر للجانب المرجوح فثبت ان الاله القهار واحد أبدا ونداء لمن الملك اليوم انما يظهر من كونه واحدا قهرا فاذا كان كونه قهرا باقيا من الازل الى الابد لا جرم كان نداء لمن الملك اليوم

بأقيا في جانب المعنى من الازل الى الابد (الصفة الخامسة) من صفات ذلك اليوم قوله
اليوم تجزى كل نفس بما كسبت واعلم انه سبحانه لما شرح صفات القهر في ذلك اليوم
أردفه ببيان صفات العدل والفضل في ذلك اليوم فقال اليوم تجزى كل نفس بما كسبت
وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) هذا الكلام اشتمل على أمور ثلاثة (اولها) اثبات
الكسب للانسان (والثاني) ان كسبه يوجب الجزاء (والثالث) ان ذلك الجزاء انما
يستوفى في ذلك اليوم فهذه الكلمة على اختصارها مشتملة على هذه الاصول الثلاثة في
هذا الكتاب وهي اصول عظيمة الموقم في الدين وقد سبق تقرير هذه الاصول مرارا
ولباس بذكر بعض النكت في تقرير هذه الاصول اما الاول فهو اثبات الكسب للانسان
وهو عبارة عن كون أعضائه سليمة صالحة للفعل والتترك فإدام يقي على هذا الاستواء
امتنع صدور الفعل والتترك عنه فاذا انضاف اليه الداعي الى الفعل أو الداعي الى التترك
وجب صدور ذلك الفعل أو التترك عنه وأما الثاني وهو بيان ترتيب الجزاء عليه فاعلم ان
الافعال على قسمين منها ما يكون الداعي اليه طلب الخيرات الجسمانية الحاصلة في عالم
الدنيا ومنها ما يكون الداعي اليه طلب الخيرات الروحانية التي لا يظهر كمالها الا في عالم
الآخرة وقد ثبت بالتجربة ان كثرة الافعال بسبب الحصول للملذات الراسخة من غلب عليه
القسم الاول استحكمت رغبته في الدنيا وفي الجسمانيات فعند الموت يحصل الغرق بينه
وبين مطلوبه على أعظم الوجوه ويعظم عليه البلاء ومن غلب عليه القسم الثاني فعند
الموت يفارق المغوض ويتصل بالمحبيب فتعظم الآلا والتعزاء فهذا هو معنى الكسب
وهو معنى كون ذلك الكسب موجبا للجزاء فظهر بهذا ان كمال الجزاء لا يحصل الا في يوم
القيامة فهذا قانون كلي عقلي والشرعية الجنة أنت بما يتوى هذا القانون الكلي في
تفاصيل الاعمال والاقوال والله أعلم (المسئلة الثانية) هذه الآية أصل عظيم في أصول
الفقه وذلك لاننا نقول لو كان شيء من أنواع الضرر مشروعا لكان اما أن يكون مشروعا
لكونه جزاء على شيء من الجنائيات أو لالكونه جزاء والقسمان باطلان فبطل القول بكونه
مشروعا أما بيان انه لا يجوز أن يكون مشروعا ليكون جزاء على شيء من الاعمال فلان
هذا النص يقتضى تأخير الاجزاية الى يوم القيامة فاثباته في الدنيا يكون على خلاف هذا
النص وأما بيان انه لا يجوز أن يكون مشروعا للجزاء قوله تعالى يريد الله بكم اليسر
ولا يريد بكم العسر وقوله تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج وقوله صلى الله عليه
وسلم لا ضرر ولا ضرار في الاسلام عدنانا عن هذه العمومات فيما اذا كانت المضار اجزية
وفيما ورد نص في الاذن فيه كذبح الحيوانات فوجب أن يبقى على أصل الحرمة فيما عداها
فثبت بما ذكرنا ان الأصل في المضار والالام التحريم فان وجدنا نصا خاصا يدل على
الشرعية قضينا به تقديم الخاص على العام والافه وبقى على أصل التحريم وهذا أصل
كلي منفع به في الشرعية والله أعلم (الصفة السادسة) من صفات ذلك اليوم قوله لا ظلم

(وأندهرهم يوم الآزفة) أى القيامة سميت بها الأزوفها وهو القرب * ٣١٠ * غير أن فيه اشعارا بضيق الوقت وقيل

الخطمة الآزفة وهى
مشارفة أهل النار
دخولها وقيل وقت
حضور الموت كفى قوله
تعالى فلو لا اذا بلغت
الحلوقوم وقوله كلا اذا
بلغت التراقي وقوله تعالى
(اذا القلوب لدى الخناجر)
بدل من يوم الآزفة
فانها ترتفع من أماكنها
فتلتصق بحلوقهم فلا
تعود فيزور حوا ولا تخرج
فيسترى يحوا بالموت
(كاطمين) على الغم
حال من أصحاب القلوب
على المعنى اذ الاصل
قلوبهم أومن ضميرها
فى الظرف وجسم السلامة
باعتبار أن الكظم من
أحوال العقلاء كقوله
تعالى فظلت أعناقهم
لها خاضعين أومن
مفعول أندهرهم على
انها حال مقدرة أى
أندهرهم مقدرا كظمهم
أو مشا رفين الكظم
(ما للظالمين من حليم)
أى قريب مشفق
(ولا شفيع بطاع) أى
لا شفيع مشفع على معنى
نفى الشفاعة والطاعة
معاً على طريقة قوله

اليوم المقصود انه لما قال اليوم تجزى كل نفس بما كسبت أردفه بما يدل على انه لا يقع
فى ذلك اليوم نوع من أنواع الظلم قال المحققون وقوع الظلم فى الجراء يقع على أربعة
أقسام (أحدها) أن يستحق الرجل ثواباً فيمنع منه (وثانيها) أن يعطى بعض حقه ولكنه
لا يوصل اليه حقه بالتمام (وثالثها) أن يعذب من لا يستحق العذاب (ورابعها) أن يكون
الرجل مستحقاً للعذاب فعذب ويزاد على قدر حقه فقوله تعالى لا ظلم اليوم يفيد نفي هذه
الاقسام الأربعة قال القاضى هذه الآية قوية فى ابطال قول المجبر لان على قولهم لا ظلم
غالبها وشاهدنا الامن الله ولانه تعالى اذا خلق فيه انكفر ثم عذبه عليه فهذا هو عين الظلم
والجواب عنه معاموم ثم قال تعالى ان الله سريع الحساب وذكر هذا الكلام فى هذا
الموضع لأنق جلاله تعالى لما بين انه لا ظلم بين انهم سارع الحساب وذلك يدل على انه يصل
اليهم ما يستحقونه فى الحال والله أعلم * قوله تعالى (وأندهرهم يوم الآزفة اذا القلوب لدى
الخنجر كاطمين ما للظالمين من حليم ولا شفيع بطاع يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور
والله يقضى بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشئ) ان الله هو السميع البصير أولم
يسروا فى الارض فيظنوا كذب كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة
وآثارا فى الارض فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من وفاق ذلك بانهم كانت
ناتجهم رسلهم بالبينات فكفروا فاخذهم الله انه قوى شديد العقاب اعلم ان المقصود من
هذه الآية وصف يوم القيامة بأنواع أخرى من الصفات الهائلة المهيبة وفى الآية
مسائل (المسئلة الأولى) ذكروا فى تفسير يوم الآزفة وجوها (الأولى) ان يوم الآزفة
هو يوم القيامة والآزفة فاعلة من ازف الامر اذا دنا وحضر لقوله فى صفة يوم القيامة
أزفت الآزفة ليس اليها من دون الله كاشفة وقال الشاعر

أزف الترحل غير أن ركابنا * مسازل برحانا وكان قد

والمقصود منه التنبيه على أن يوم القيامة قريب ونظيره قوله تعالى اقتربت الساعة قال
الزجاج انما قيل لها آزفة لانها قريبة وان استبعد الناس مداها وما هو كائن فهو قريب
واعلم ان الآزفة نعت لمحدوف مؤنث على تقدير يوم اقامة الآزفة أو يوم المجازاة الآزفة
قال القفال واسماء القيامة تجرى على التأنيث كاطامة والحاقة ونحوها كأنها يرجع
معناها الى الداهية (والقول الثانى) ان المراد بيوم الآزفة وقت الآزفة وهى مسارعتهم
دخول النار فان عند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقامهم من شدة الخوف (والقول الثالث) قال
أبو مسلم يوم الآزفة يوم النية وحضور الاجل والذى يدل عليه انه تعالى وصف يوم القيامة
بأنه يواتلق ويومهم يارزون ثم قال بعده وأندهرهم يوم الآزفة فوجب ان يكون هذا
اليوم غير ذلك اليوم وأيضاً هذه الصفة مخصوصة فى سائر الآيات بيوم الموت قال تعالى
فلولا اذا بلغت الحلقوم وأتم حينئذ تنظروا وقال كلا اذا بلغت التراقي وأيضاً فوصف يوم
الموت بالقرب أولى من وصف يوم القيامة بالقرب وأيضاً الصفات المذكورة بعد قوله يوم

❦ على لأحب لايتهدي بناره ❦ والضمائر ❦ ٣١١ ❦ ان عادت الى الكفار وهو الظاهر فوضع الظالمين موضع

ضميرهم للتسجيل عليهم

بالظلم وتعليل الحكم به

(يعلم خائنة الاعين)

الظفرة الخائنة كالنظرة

الثانية الى غير المحرم

واستراق النظر اليه

أو خيانة الاعين على

أنها مصدر كالعافية

(وما تخفى الصدور)

من الضمائر والاسرار

والجملة خبر آخر مثل

يبقى الروح للدلالة

على أنه مامن خفي الا

وهو متعلق العلم والجزاء

(والله يقضى بالحق)

لانه السالك الحاكم

على الاطلاق فلا يقضى

بشيء الا وهو حق

وعادل (والذين

يدعون) يدعونهم

(من دونه) تعالى

(لا يقضون بشيء)

توكلهم بهم لان الجاد

لا يقال في حقه يقضى

أو لا يقضى وقري

تدون على الخطاب

الثقاة أو على ضمائر

قل (ان الله هو السميع

البصير) تقرير لعله

تعالى بنشأته الاعين

وقضائه بالحق ووعيد

لهم على ما يقولون

الآخرة لائمة يوم حضور الموت لان الرجل عند معاناة ملائكة العذاب يعظم خوفه فكان
قلوبهم تبلغ حناجرهم من شدة الخوف وبقوا كاظمين ساكتين عن ذكر ما في قلوبهم من
شدة الخوف ولا يكون لهم حيز ولا شفيع يدفع ما بهم من أنواع الخوف والقلق (المسئلة
الثانية) اختلفوا في أن المراد من قوله اذا القلوب لدى الحناجر كاظمين كتابة عن شدة
الخوف أو هو محمول على ظاهره قبل المراد وصف ذلك اليوم بشدة الخوف والفرع ونظيره
قوله تعالى وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا وقال فولوا اذا بلغت الحلقوم
وأنتم حبيد تنظرون وقبل بل هو محمول على ظاهره قل الحسن القلوب انتزعت من
الصدور بسبب شدة الخوف وبلغت القلوب الحناجر فلا تخرج فيموتوا ولا ترجع الى
مواضعها فينفسوا ويتروحوا ولكنها مقبوضة كالسجبال كإفان فلما رأوه زلقة سبقت
وجوه الذين كفروا وقوله كاظمين أى مكروين والكاظم الساتر حال اعتلائه غما
وغيطا فان قبل لم انتصب كاظمين قلنا هو حال عن أصحاب القلوب على المعنى لان المراد
اذ قلوبهم لدى الحناجر حال كونهم كاظمين ويحوز أيضا أن يكون حالا عن القلوب وان
القلوب كاطمة على غم وكرب فيها مع بلوغها الحناجر وانما جمع الكاطمة جمع السلامة
لانه وصفها بالكظم الذى هو من افعال العقلاء كإفان رأيتهم على ساجدين وقال فظلت
أعناقهم لها خاضعين وبعضه قراءة من قرأ كاظمون وبالجملة فالقصد من الآية
تقرير أمرين (أحدهما) الخوف الشديد وهو المراد من قوله اذا القلوب لدى الحناجر
(والثاني) العجز عن الكلام وهو المراد من قوله كاظمين فان الملهوف اذا قدر على
الكلام حصاته خفة وسكون اما اذا لم يقدر على الكلام وبث الشكوى عظم قلته
وقوى خوفه (المسئلة الثالثة) احتج أكثر المعتزلة في نفي الشفاعة عن المذنبين بقوله تعالى
ما نال الظالمين من حيز ولا شفيع يطاع قالوا نفي حصول شفيع لهم بطاع فوجب ان لا يحصل
لهم هذا الشفيع أجاب أصحابنا عنه من وجوه (الاول) انه تعالى نفي أن يحصل لهم شفيع
يطاع وهذا لا يدل على نفي الشفيع ألا ترى انك اذا قلت ما عندى كتاب يباع فهذا يقتضى
نفي كتاب يباع ولا يقتضى نفي الكتاب وقالت العرب ❦ ولا ترى الصبي يابى بعت ❦ ونفط
الطاعة يقتضى حصول المرتبة فهذا يدل على انه ليس لهم يوم اقامة شفيع بل بعد الله لانه
ليس في الوجود أحد أعلى حالا من الله تعالى حتى يقال ان الله بطيعة (الوجد الثاني) في
الجواب ان المراد من الظالمين ههنا الكفار والدليل عليه ان هذه الآية تدور في زجر
الكفار الذين يجادلون في آيات الله فوجب أن يكون مختصا بهم وعندنا انه لا شفاعاة في حق
الكفار (والثالث) ان لفظ الظالمين أعمان يفيد الاستغراق واما أن لا يفيد فان اتحاد
الاستغراق كان المراد من الظالمين مجموعهم وجاتهم ويدخل في مجموع هذا الكلام
الكفار وعندنا انه ليس لهذا المجموع شفيع لان بعض هذا المجموع هم الكفار وليس
لهم شفيع فحينئذ لا يكون لهذا المجموع شفيع وان لم يفد الاستغراق كان المراد من

ويفعلون وتقرض بحال ما يدعون من دونه (أولم يسيرا في الارض فينظروا

كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم (أى مآل حال من قبلهم) * ٣١٢ * من الأمم المكذبة لرسالهم كعاد

وتمسود وأضرابهم
(كانوا هم أشد منهم
قوة) قدرة وتمكنوا
من التصرفات والمماجي
بضمير الغصل مع
أن حقه التوسط بين
معرفتين لمضاهاه أوفل
من المعرفة في امتناع
دخول الام عليه
وفرى أشد منكم
بالكاف (وأنا را في
الارض) مثل القلاع
الحصينة والمدائن
المتينة وقيل المعنى
وأكة أنا را كقولهم *
مقلدا سبفاور مجاز *
(فأخذهم الله
بنوبهم) أخذنا
ويلا (وما كان لهم
من الله من وافي) أى
من وافي يفهم عذاب الله
(ذلك) أى ما ذكر
من الاخذ (بأنهم)
بسبب أنهم (كانت
ناتيةهم رسلهم بالبينات)
أى بالمعجزات أو بالاحكام
الظاهرة (فكفروا
فأخذهم الله انه قوى)
متمكن مما يريد غاية
التمكن (شديد
العقاب) لا يؤبه
عند ضايقه بعباد

الظالمين بعض من كان موصوفا بهذه الصفة وعندنا ان بعض الموصوفين بهذه الصفة ليس
لهم شفع وهم الكافرون أجاب السندون عن السؤال الاول فقالوا يجب حل كلام
الله تعالى على محمل مفيد وكل أحد يعلم انه ليس في الوجود شئ يطيعه الله لان المطيع ادون
حالا من المطاع وليس في الوجود شئ على مرتبة من الله تعالى حتى يقال ان الله يطيعه
واذا كان هذا المعنى معلوما بالضرورة كان حل الآية عليه اخراجا لها من الفائدة فوجب
حل الطاعة على الاجابة والذى يدل على ورود لفظ الطاعة بمعنى الاجابة قول الشاعر
رب من أنضجت غيظا صدره * قد تمنى لى موتا لم يطعم *

(وأما السؤال الثاني) فتدأجأبوا عنه بان لفظ الظالمين صيغة جمع دخل عليها حرف
التعريف فبيد العموم أقصى ما في الباب ان هذه الآية وردت لدم الكفار لان العبرة
بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (وأما السؤال الثالث) فجوابه ان قوله ما للظالمين من
حجم يفيد ان كل واحد من الظالمين محكوم عليه به ليس له حريم ولا شفع يطاع فمذا تمام
كلام القوم في تقرير ذلك الاستدلال أجاب أصحابنا عن السؤال الاول فقالوا ان القوم
كانوا يقولون في الاصل انهم شفعوا وانا عند الله وكانوا يقولون انها شفع لنا عند الله من
غير حاجة فيه الى اذن الله ولهذا السبب رد الله تعالى عليهم ذلك بقوله من ذا الذى يشفع
عنده ألا بذنة فهذا يدل على ان القوم اعتقدوا انه يجب على الله اجابة الاصلان في تلك
الشفاعة وهذا نوع طاعة فالله تعالى نفي تلك الطاعة بقوله ما للظالمين من حريم ولا شفع
يطاع وأجأبوا عن الكلام الثاني بأن قالوا الاصل في حرف التعريف ان ينصرف الى
المعهود السابق فإذا دخل حرف التعريف على صيغة الجمع وكان هناك معهود سابق
انصرف اليه وقد حصل في هذه الآية معهود سابق وهم الكفار الذين يجادلون في آيات
الله فوجب أن ينصرف اليه وأجأبوا عن الكلام الثالث بأن قالوا قوله ما للظالمين من حريم
ولا شفع يطاع يحتمل عموم السلب ويحتمل سلب العموم اما الاول فعلى تقدير ان يكون
المعنى ان كل واحد من الظالمين محكوم عليه به ليس له حريم ولا شفع وأما الثاني فعلى
تقدير ان يكون المعنى ان مجموع الظالمين ليس لهم حريم ولا شفع ولا يلزم من نفي الحكم
عن المجموع نفيه عن كل واحد من احواد ذلك المجموع والذي يؤيد كونه ماذكرناه قوله تعالى
ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون وقوله ان الذين كفروا
لا يؤمنون ان خيلناه على ان كل واحد منهم محكوم عليه به لا يؤمنون لم يرد وقوع الخلف
في كلام الله لان كثيرا ممن كفر فقد آمن بعد ذلك اما وجعلنا على ان مجموع الذين كفروا
لا يؤمنون سواء آمن بعضهم أو لم يؤمن من صدق وتخاضع عن الخلف فلا جرم جعلنا هذه الآية
على سلب العموم ولم نحملها على عموم السلب فكذا قوله ما للظالمين من حريم ولا شفع
يجب حمله على سلب العموم لا على عموم السلب وحيد يستلزم استدلال المعتزلة بهذه الآية
فهذا غاية الكلام في هذا الباب (المسئلة الرابعة) في بيان نظم الآية فتقول انه تعالى

لتغاير العنوانين واما بعض مشاهيرها كالعصا أفردت ﴿ ٣١٣ ﴾ بالذكر مع اندراجها تحت الآيات لاناقتها

افراد جبريل وميكائيل به
مع دخولها في الملائكة
عليهم السلام (الى
فرعون وهامان وفارون
فقالوا ساحر كذاب) أى
فيما أظهره من المعجزات
وفيما ادعاه من رسالتهم
العالمين (فلما جاءهم بالحق
من عندنا) وهو ما ظهر
على يده من المعجزات
القاهرة (قالوا اقلوا
ابناء الذين آمنوا معه
واستحيوا نساءهم) كما
قال فرعون سفيل أبناءهم
ونسبتي نساءهم أى
اعبدوا عليهم ما كنتم
تفعلونه أو لا وكان فرعون
قد كف عن قتل الولدان
فلما رتب عليه الصلاة
والسلام وأحسن بأنه
قد وقع ما وقع أعاده عليه
غياظا وحقا وزعامته
أنه يصدهم بذلك عن
مظاهرتهم نظامهم أنه
الموود الذي حكم
المجتمعون والكهنة
بذهاب ملكهم على يده
(وما كيد الكافرين
الا في ضلال) أى في
مضاعف وبطلان لا يغنى
عنهم شيئا ولا يفسد
عليهم لاحالة القدر

ذكر في هذه الآية جميع الاسباب الموجبة للخوف (فأولها) انه سمي ذلك اليوم يوم
الآزفة أى يوم القرب من عذابه لمن اجلى بالذنب العظيم لانه اذا قرب زمان عقوبته كان
في اقصى غايات الخوف حتى قيل ان تلك العموم والعموم أعظم من الانحاش من عين تلك
العقوبة (والثاني) قوله اذا القلوب لدى الخناجر والمعنى انه بلغ ذلك الخوف الى أن انقلب
القلب من الصدر وارتفع الى الخنجره والتصق بها وصار ما زما من دخول النفس
(والثالث) قوله كاذمين والمعنى انه لا يمكنهم أن يسطعوا وان يشرحوا ما عندهم من
الحر والخر والخوف وذلك بوجوب مزيد التلقى والاضطراب (والرابعة) قوله ما الاضامين من
جهم ولا شفيع يطاع فبين انه ليس لهم قريب يشفعهم ولا شفيع يطاع فيهم فتقبل شفاعته
(والخامسة) قوله يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور والمعنى انه سبحانه عالم لا يعرب عن
علمه مثال ذرة في السموات ولا في الارض والحاسم اذا بلغ في العلم الى هذا الحد كان
خوف المذنب منه شديدا جدا قال صاحب الكشاف الخائنة صفة النظرة أو مصدر
بمعنى الخائنة كالعافية بمعنى العافاة والمراد استراق النظر الى ما لا يشئ كما يفعل أهل
الرب والمراد بقوله وما تخفي الصدور مضمرات القلوب والحاصل ان الافعال قسمان
افعال الجوارح وافعال القلوب أما افعال الجوارح فافعالها خائنة الاعين والله أعلم بها
فكيف الحال في سائر الاعمال وأما افعال القلوب فهي معلومة لله تعالى لقوله وما تخفي
الصدور فدل هذا على كونه تعالى عالما بجميع افعالهم (السادسة) قوله تعالى والله يقضي
بالحق وهذا أيضا بوجوب عظم الخوف لان الحاكم اذا كان عالما بجميع الاحوال وثبت
منه انه لا يقضي الا بالحق في كل مادق وجل كان خوف المذنب منه في الغاية القصوى
(السابعة) ان الكفار انما عاؤا في دفع العقاب عن أنفسهم على شفاعته هذه الاصنام وقد
بين الله تعالى انه لا فائدة فيها البتة فقال والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء (الثامنة)
قوله ان الله هو السميع البصير أى يسمع من الكفار ثناءهم على الاصنام ولا يسمع منهم
ثناءهم على الله ولا يصبر خضوعهم وسجودهم لهم ولا يصبر خضوعهم وتواضعهم لله
فهذه الاحوال الثمانية اذا اجتمعت في حق المذنب الذي عظم ذنبه كان بالغ في الخوف الى
الحد الذي لا تميل الزيادة عليه ثم انه تعالى لما بالغ في تخويف الكفار بعذاب الآخرة
أردفه ببيان تخويفهم بأحوال الدنيا فقال أولم يسيرا في الارض فينظروا كيف كان
عاقبة الذين كانوا من قبلهم والمعنى ان العاقل من اعتبر بغيره فان الذين مضوا من الكفار
كانوا أشد قوة من هؤلاء الحاضرين من الكفار وأقوى آثارا في الارض منهم والمراد
حصونهم وقصورهم وعساكرهم فلما كذبوا رسالهم أهلكهم الله بضروب الهلاك معجلا
حتى ان هؤلاء الحاضرين من الكفار يشاهدون تلك الآثار فتحذرهم الله تعالى من مثل
ذلك بهذا القول وبين بقوله وما كان لهم من الله من واق أنه لما نزل العذاب بهم عند
أخذه تعالى لهم لم يجدوا من يعينهم ويخلصهم ثم بين ان ذلك نزل بهم لاجل انهم كسروا
وكذبوا الرسل فحذرهم الرسول من مثله وختم الكلام بانه قوى شديد العقاب بالغة

والاظهار في موقع الاضمار لذنبهم بالكفر والاشعار بدلة الحكم والجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا والجملة اعتراض بحجته في تضاعيف ما حكي ﴿ ٣١٤ ﴾ عنهم من الاباطيل للمسايرة الى بيان بطلان ما اظهروه من

الابرار والارعاد
واضحلاله بالمره وقال
فرعون ذروني اقتل
موسى كان ملوؤا اذاهم
بقتله عليه الصلاة
والسلام كفوه بقولهم
ليس هذا بل الذي نخافه
فانه اقل من ذلك واضعف
وما هو الا بعض السحرة
وبقولهم اذا قتلته ادخلت
على الناس شهرة واعتقدوا
انك عجزت عن معارضة
بالجملة وغسدت الى
المعارضة بالسيف والظهار
من دهاء النامعين ونكارته
انه كان قد استيقن انه
نبي وان مجابهه بايات
باهرة وما هو بسحر ولكن
كان يخاف انهم يقتله
ان يعاجل بالهلاك وكان
قوله هذا هو اعلى قومه
وايمانهم هم الكافرون
له عن قتله ولولا هم لقتله
وما كان الذي يكفه الاماني
نفسه من الفرع الهائل
وقوله (وليدع ربه)
تجلد منه واظهار عدم
المبالاة بدعائه ولكنه
أخوف ما يخافه (اني
أخاف) ان لم اقله (ان)
يدل دينكم (ان) فيغير
ملازم عليه من الدين
الذي هو عبارة عن

في التحذير والتخويف والله اعلم وقرا ابن عامر وحده كانوا أشد منكم بالكاف والباقون
بالهاء (أما وجه) قراءة ابن عامر فهو انصراف من الغيبة الى الخطاب كقوله اياك نعبد
واياك نستعين بعد قوله الحمد لله والوجه في حسن هذا الخطاب انه في شأن أهل مكة فجعل
الخطاب على لفظ الخطاب الحاضر لحضورهم وهذه الآية في المعنى كقوله مكناهم في
الارض ما لم نمكن لكم وأما قراءة الباقيين على لفظ الغيبة فلاجل موافقة ما قبله من الفاظ
الغيبة قوله تعالى (واقدر سنانا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون
فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحبوا
نساءهم وما كيد الكافرين الا في ضلال وقال فرعون ذروني اقتل موسى وليدع ربه اني
أخاف ان يدل دينكم أو ان يظهر في الارض الفساد وقال موسى اني غنت ربي وربكم
من كل مكبر لا يؤمن بيوم الحساب) واعلم انه تعالى لما سلى رسوله بذكر الكفار الذين كذبوا
الانبياء قبله وبمشاهدة آثارهم سلاه أيضا بذكر قصة موسى عليه السلام وأنه مع قوة
معجزاته بعثه الى فرعون وهامان وقارون فكذبوه وكابروه وقالوا هو ساحر كذاب واعلم
أن موسى عليه السلام لما جاءهم بتلك المعجزات الباهرة وبالنبوة وهي المراد بقوله فلما
جاءهم الحق من عندنا حكى الله تعالى عنهم ما صدر عنهم من الجهالات (فالاول) انهم
وصفوه بكونه ساحرا كذابا وهذا في غاية البعد لان تلك المعجزات كانت قد بلغت في القوة
والظهور الى حيث يشهد كل ذي عقل سليم بانه ليس من السحر البتة (الثاني) انهم قالوا
اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحبوا نساءهم والصحیح ان هذا القتل خبرا نقل الذي
وقع في وقت ولادة موسى عليه السلام لان في ذلك الوقت أخبره المجمعون بولادة عدوله
يظهر عليه فأمر بقتل الانبياء في ذلك الوقت وأما في هذا الوقت فموسى عليه السلام قد
جاءه وأظهر المعجزات الظاهرة فعند هذا أمر بقتل أبناء الذين آمنوا معه ثلاثين واثني عشر
دين موسى فيؤى بهم وهذه الدلة مختصة بالبنين دون البنات فلهذا السبب أمر بقتل
الانبياء ثم قال تعالى وما كيد الكافرين الا في ضلال ومعناه ان جميع ما يسمعون فيه من
مكيدة موسى ومكيدة من آمن معه يطل لان ما يقبح الله للناس من رجعة فلا تمسك لها
(النوع الثالث) من قبائح افعال أولئك الكفار مع موسى عليه السلام ما حكاها الله
تعالى وقال فرعون ذروني اقتل موسى وهذا الكلام كالدلالة على انهم كانوا يسمعون منه من
قوله وفيه احتمالان (الاول) انهم منعه عن قتله لوجوه (الاول) لعله كل فيهم من يعتد
بقلبه كون موسى صادقا في بوجوه الخيل في منع فرعون من قتله (الثاني) قال الحسن
ان أصحابه قالوا له لا تقتله فانما هو ساحر ضعيف ولا يمكنه ان يغلب سحره وان قتله
ادخلت الشبهة على الناس وقالوا انه كان محميا وعجزوا عن جوابه فتلذذ (الثالث) انهم
كانوا يحثون في منعه من قتله لاجل ان يبق فرعون مشغول القلب بموسى فلا يفرغ
لأدب أولئك الاقوام فان من شأن الامراء ان يشغلوا قلب ملكهم بخصم خارجي حتى

عبادته وعبادة الاصنام لقرى بهم اليه (أو أن يظهر في الأرض الفساد) ما يفسد ذنباكم من التحارب والتهاجر انتم
يقدر على تبديل دينكم بالكلية وقرى ٣١٥ يا اووا الجماعة وقرى بفتح الباء والهاء ورفع الفساد

وقرى يظهر بتشديد
الضاء والهاء من تطهر
بمعنى تطاهر أى تتابع
وتعاون (وقال موسى)
أى لقومه حين سمع بما
تقوله العالين من حديث
قتله عليه السلام (انى
عدت برى وربكم من
كل متكبر لا يؤمن بيوم
الحساب) صدر عليه
الصلاة والسلام كلامه
بان تأكيد الله واطهارا
لمزيد الاعتناء بمضمونه
وفرط الرعدة فيه وخص
اسم الرب المنى عن
الحفظ والتربية لانهما
الذى يستعدية وأضافه
اليه واليهم خالهم على
مواقفته في العباد به
تعالى والتوكل عليه فان
في تطاهر النفوس تأثيرا
قويا في استجلاب
الاجابة ولم يسم فرعون
بل ذكره بوصف يعمه
وغيره من الجسارة
لتعميم الاستعاذة
والاشعار بعلية الفسادة
والجرأة على الله تعالى
وقرى عدت بالادغام
(وقال رجل مؤمن
من آل فرعون) قيل
كان قبطيا ابن عم

يصبر وأمنين من شر ذلك الملك (والاحتمال الثاني) ان أحدا ما منع فرعون من قتل موسى
وانه كان يريد ان يقتله الا انه كان خائفا من أنه لو حاول قتله لظهرت معجرات فاهرة تمنعه
عن قتله فيقتضخ الا انه لو فاحته قال ذرونى أقتل موسى وغرضه منه انه يوهم انه انما امتنع
عن قتله رغبة لقلوب أصحابه وغرضه منه اخفاء خوفه اما قوله ولما دعى به فاعذ كره على
سبيل الاستهزاء يعنى انى أقتله فذبل ل به حتى يخلصه منى وأما قوله انى أخاف أن يبدل
دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد ففيه مسائل (المسئلة الاولى) فتح ابن كثير الباء من
قوله ذرونى وفتح نافع وابن كثير وأبو عمرو والياء من انى أخاف وأيضاً قرأ نافع وأبو عمرو
يظهر بالواو بخذف أو يعنى انه يجمع بين تبديل الدين وبين اظهار الفساد والذين قروا
بصيغة أو فعناه انه لا بد من وقوع أحد الأمرين وقرى يظهر يضم الباء وكسر الاء الفساد
بالنصب على التعدية وقرأ حزن والكسائي وأبو بكر عن عاصم بلفظاً يظهر بفتح الياء
والهاء الفساد بالرفع أماموجه القراءة الاولى فهو انه أسند الفعل الى موسى في قوله يبدل
فكذلك في بظم ر يكون الكلام على نقي واحد وأما وجه القراءة الثانية فهو انه اذا بدل
الدين فقد ظهر الفساد الحاصل بسبب ذلك التبديل (المسئلة الثانية) المقصود من هذا
الكلام بيان السبب الموجب لقتله وهوان وجوده بوجب افساد الدين أو فساد الدنيا
أما فساد الدين فلان التوهم اعتقدوا أن الدين الصحيح هو الذى كانوا عليه فلما كان موسى
ساعيا في افساده كان في اعتقادهم انه ساع في افساد الدين الحق وأما فساد الدنيا فهو انه
لا بد وان يجتمع عليه قوم ويصير ذلك سببا لوقوع الخصومات وإثارة الفتن ولما كان حب
الناس لادياتهم فوق حبه لأموالهم لاجرم بدأ فرعون بذكر الدين فقال انى أخاف
أن يبدل دينكم ثم اتبعه بذكر فساد الدنيا فقال أو أن يظهر في الأرض الفساد واعلم انه تعالى
لما حكى عن فرعون هذا الكلام حكى بعده ما ذكره موسى عليه السلام فعكس عنه انه قال
انى عدت برى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى)
قرأ نافع وأبو بكر وخزنة والكسائي عدت بادغام الذال في التاء والباقون بالانظهار
(المسئلة الثانية) المعنى انه لم يأت في دفع شره الا بان استعاذ بالله واعتمد على فضل الله فلا
جرم صانه الله عن كل بلية وأوصله الى كل أمنية واعلم ان هذه الكلمات التى ذكرها موسى
عليه السلام تشتمل على فوائد (الفائدة الاولى) أن لفظة انى تدل على التأكيد فهذا يدل
على أن الطريق المؤكد المتعبر في دفع الشرور والآفات عن النفس الاعتماد على الله
والتوكل على عهدة الله تعالى (الفائدة الثانية) انه قال انى عدت برى وربكم فكما ان عند
القراءة بقول المسلم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فالله تعالى يصون دينه واخلصه
عن وساوس شياطين الجن فكذلك عند توجه الآفات والمخافات من شياطين الانس اذا قال
المسلم أعوذ بالله فالله يصونه عن كل الآفات والمخافات (الفائدة الثالثة) قوله برى
وربكم والمعنى كان العبد يقول ان الله سبحانه هو الذى ربانى والى درجات الخيرات رفانى

لفرعون آمن بموسى سيرا وقيل كان اسراليا أو غريبا موحدا

(يكنتم ايماناً) أي من فرعون وملائته (اتفلقون رجلاً) أنفصدون قلبه (أن يقول) لأن يقول أو كراهة أن يقول (ربي الله) أي وحده من غير روية ونأمل في أمره (وقد جاءكم في ٣١٦) بالبينات (والحال أنه قد جاءكم

وبالبحرانات الظاهرة التي شاهدتوها وعهدتوها (من ربكم) أضافه إليهم بعد ذكر البينات احتجاجاً عليهم واستزاجاً لهم عن رتبة المكابرة ثم أخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال (وان يك كاذباً عليه كذبه) لا يخطئه وبال كذبه فيحتاج في دفعه إلى قلبه (وان يك صادقاً) يصحبكم بعض الذي يعدكم أي إن لم يصحبكم كله فلا أقل من أصابة بعضه لاسيما إن تعرضتم له بسوء وهذا كلام صادر عن غاية الانصاف وعدم التعصب ولذلك قدم من شقي الترديد كونه كاذباً ويصحبكم ما يعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض ما يعدكم كآفته خوفهم بما هو أظهر احتمالاً عندهم وتفسير البعض بالكل مستدلاً بقول لبيد * ترك أمكنة أذالم أرضها * أو يرتبط بعض النفوس جامها * مرود لمان

ربه فقال موسى إن الذي ذكرته يا فرعون بطريق الاستهزاء هو الدين المبين والحق وأنا دعور ربي وأطلب منه أن يدفع شركه عني وسرتي أن ربي كيف يقهره وكيف يسدني عليك واعلم أن من أحاط عقله بهذه القوائد علم أنه لا طر يق الصلح ولا أنصوب في دفع كبد الأعداء وإبطال مكرهم إلا الاستعاذة بالله والرجوع إلى حفظ الله والله أعلم * قوله تعالى (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكنتم ايماناً اتفلقون رجلاً) أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم (وان يك كاذباً عليه كذبه) وان يك صادقاً يصحبكم بعض الذي يعدكم أن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب) اعلم أنه تعالى لما حكى عن موسى عليه السلام أنه ما زاد في دفع مكر فرعون وشركه على الاستعاذة بالله بين أنه تعالى قبض انساناً اجنبياً غير موسى حتى ذب عنه على أحسن الوجوه وبأن في تركه تلك الفتنة واجتهد في إزالة ذلك الشر * يقول مصنف هذا الكتاب رحمه الله * فربيت في أحوال نفسي أنه كلما قصدني شرير بشر ولم أنعرض له وأكنني بتفويض ذلك الأمر إلى الله فإنه سبحانه يقبض أقواماً لا أعرفهم البتة بين العون في دفع ذلك الشر وفيه مسائل (المسئلة الأولى) اختلفوا في ذلك الرجل الذي كان من آل فرعون فقيل أنه كان ابن عمه وكان جاراً يجرى ولي العهد ويجري صاحب الشرطة وقيل كان قطيعاً من آل فرعون وما كان من أفاعله وقبل أنه كان من بني اسرائيل وأقول الأول أقرب لأن لفظ آل لا يقع على القرابة والعشيرة قال تعالى

ذو وجهين احدهما انه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله تعالى الى البينات ولما ايدته بتلك المعجزات وثانيهما ان كان كذلك خذله الله واهلكه فلا حاجة لكم الى قتله وامه اراهم المعنى الثاني (٣١٧) وهو ما كف على المعنى الاول لتلين شكيهم

وقد عرض به لفرعون
بأنه مسرف كذاب
لا يهديه الله سبيل
الصواب ومنهاج النجاة
(يا قوم لكم الملك اليوم
ظاهر بن) غالبين عالين
على بني اسرائيل
(في الارض) أي ارض
مصر لا يقاومكم أحد
في هذا الوقت (فن
ينصبرنا بأس الله) من
أخذه وعذابه (أن جانا)
أي فلا نفسد وأمركم
ولا تتعرضوا بأس الله
بقوله فانه ان جاءنا لم
ينعنا منه أحد وانما نسب
ما يسره من الملك
والظهور في الارض
اليهم خاصة ونظم
نفسه في سلكهم فيما
يسره من مجيئ بأس
الله تعالى تطييبا قلوبهم
وايدانابانه مناصح لهم
ساع في تحصيل ما يجد
ودفع ما يرد بهم سعيه
في حق نفسه ليتأثروا
بنصحه (قال فرعون)
بعد ما سمع نصحه
(ما أرى بكم) أي ما أشير
صليكم (الا ما أرى)
وأستصوبه من قوله
(وما أهدى بكم) بهذا

الآل لوط نجيحناهم يسحر روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال الصديقون ثلاثة
حبيب التجار مؤمن آل ياسين ومؤمن آل فرعون الذي قال أنقثلون رجلا أن يقول ربى
الله والثالث على بن أبي طالب وهو أفضلهم وعن جعفر بن محمد أنه قال كان أبو بكر خيرا
من مؤمن آل فرعون لانه كان يكتم ايمانه وقال أبو بكر جهارا أنقثلون رجلا أن يقول
ربى الله فكان ذلك سرا وهذا كان جهارا (المسئلة الثانية) لفظ من في قوله من آل فرعون
يجوز أن يكون متعلقا بقوله مؤمن أي كان ذلك المؤمن شخصا من آل فرعون ويجوز أن
يكون متعلقا بقوله يكتم ايمانه والتقدير رجل مؤمن يكتم ايمانه من آل فرعون وقيل ان
هذا الاحتمال غير جائز لانه لا يقال كتمت من فلان كذا انما يقال كتمته كذا قال تعالى
ولا تكونوا الله حديثا (المسئلة الثالثة) رجل مؤمن الا كثرون قروا بضم الجيم وقرى
رجل بكسر الجيم كما يقال عضد في ضد (المسئلة الرابعة) قوله تعالى أنقثلون رجلا أن
يقول ربى الله استفهام على سبيل الانكار وقد ذكر في هذا الكلام ما يدل على حسن
ذلك الاستنكار وذلك لانه ما زاد على ان قال ربى الله وجاءا بالينات وذلك لا يوجب التثنية
البتة وقوله وقد جاءكم بالينات من ربكم يتحمل وجهين (الاول) ان قوله ربى الله اشارة
الى التوحيد وقوله وقد جاءكم بالينات اشارة الى تفرق النبوة باظهار المعجزة (الثاني) ان
قوله ربى الله اشارة الى التوحيد وقوله وقد جاءكم بالينات اشارة الى الدلائل المدالة على
التوحيد وهو قوله في سورة طه ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى وقوله في سورة
الشعراء رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين الى آخر الآيات ثم ذكر ذلك
المؤمن جنانا في أن الاقدام على قتله غير جائز وهي حجة مذكورة على طريقة التفسير
فقال ان كان هذا الرجل كاذبا كان وبال كذبه عائد عليه فأتى كره وان كان صادقا
يصيبكم بعض الذى بعدكم فثبت ان على كلا التقديرين كان الاولى ابقاءه حيافا فبقيل
السؤال على هذا الدليل من وجهين (الاول) أن قوله وان يك كاذبا فعليه كذبه معناه ان
ضرر كذبه مقصور عليه ولا يتعداه وهذا الكلام فاسد او جوه (أحدها) انما لا نسلم ان
بتقدير كونه كاذبا كان ضرر كذبه مقصورا عليه لانه يدعو الناس الى ذاك الدين الباطل
فيفترقه جماعة منهم ويقعون في المذهب الباطل والاعتقاد الفاسد ثم يقع بينهم وبين
غيرهم الخصومات الكثيرة فثبت ان بتقدير كونه كاذبا كان ضرر كذبه مقصورا عليه بل
كان متعبدا الى الكل ولهذا السبب فان العلماء أجروا على ان الزنديق الذى يدعو الناس
الى زندقته يجب قتله (وثانيها) أنه ان كان هذا الكلام حجة قتله فلا كذاب الا وكنه أن
يتسك بهذه الطريقة فوجب تمكن جميع الزادقة والمبطلين من تفرق راديانهم الباطلة
(وثالثها) ان الكفار الذين أنكروا نبوة موسى عليه السلام وجب أن لا يجوز الانكار
عليهم لانه يقال ان كان ذلك المنكر كاذبا في ذلك الانكار فعليه كذبه وان يك صادقا فانتفعتم
بصدقه فثبت أن هذا الطريق يوجب تصويب ضده وما أنضى شؤنه الى عدمه كان باطلا

الرأى (الاسيل الرشاد) اى الصواب ولا أعلمكم

الاما اخف ولا أسر عنكم خلاف ما ظهره وقد كذب حيث كان مستشعرا الخوف الشديد ولكنه كان يجلدواولة
لما استشار أحدا أبا وقرى بشديد الشين المبالغة من رشد كلامه ٣١٨ أومن رشد كباد لامن أرشد كباد

(السؤال الثاني) انه كان من الواجب أن يقال وان يك صادقا بصبكم كل الذي يعدكم
لان الذي يصب في بعض ما يعد دون البعض هم أصحاب الكهانة والنجوم أما الرسول
الصادق الذي لا يتكلم الا بالوحى فانه يجب أن يكون صادقا في كل ما يقول فكان قوله
بصبكم بعض الذي يعدكم غير لائق بهذا المقام (والجواب) عن الاسئلة الثلاثة بحرف
واحد وهو ان تقدير الكلام أن يقال انه لا حاجة بكم في دفع شره الى قوله بل يكذبكم ان
تمنوه عن اظهار هذه المقالة ثم تركوا قوله فان كان كاذبا فبئذ لا يعود ضرره الا اليه
وان كان صادقا فتمتع به والحاصل أن المقصود من ذكر ذلك التفسير بيان أنه لا حاجة
الى قوله بل يكذبكم أن تعرضوا عنه وأن تمنوه عن اظهار دينه فهذا الطريق الاسئلة
الثلاثة مدفوعة (وأما السؤال الثاني) وهو قوله كان الاول أن يقال بصبكم كل الذي
يعدكم فالجواب عنه من وجوه (الاول) ان مدار هذا الاستدلال على اظهار الانصاف
وترك الجعاج لان المقصود منه ان كان كاذبا كان ضرر كذبه مقصورا عليه وان كان صادقا
فلا قول من أن يصل اليكم بعض ما يعدكم ان كان المقصود من هذا الكلام ما ذكر صح
ونظيره قوله تعالى وانا أوياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين (والوجه الثاني) انه عليه
السلام كان يتوعدهم بعذاب الدنياو بعذاب الآخرة فاذا وصل اليهم في الدنيا عذاب
الدنيا فقد أصابهم بعض الذي يعدهم به (الوجه الثالث) حكى عن أبي عبيدة انه قال ورود
لقط بعض بمعنى الكل جائز اخرج يقول اييد

ترك أمكنة اذا لم أرضها * أو يرتبط بعض النفوس حياها

والجمهور على ان هذا القول خطأ قالوا وأراد اييد بعض النفوس نفسه والله أعلم ثم حكى
تعالى عن هذا المؤمن حكاية ثالثة في أنه لا يجوز الياء موسى عليه السلام فقال ان الله
لا يهدي من هو مسرف كذاب وتقرى هذا الدليل أن يقال ان الله تعالى هدى موسى الى
الآيات بهذه العجرات الباهرة ومن هدا الله الى الآيات بالمعجزات لا يكون مسرفا كذبا
فهذا يدل على ان موسى عليه السلام ليس من الكاذبين فكان قوله ان الله لا يهدي من
هو مسرف كذاب اشارة الى عاوشا أن موسى عليه السلام على طريق الرمز والتعريض
ويحتمل أيضا ان يكون المراد أن فرعون مسرف عزمه على قتل موسى كذاب في
اقدامه على ادعاء الآلهية والله لا يهدي من هذا شأنه وصفته بل يبطله ويهدم أمره
* قوله تعالى (يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا
قال فرعون ما أرى لكم الاما أرى وما أهديكم الا سبيل الرشاد وقال الذي آمن يا قوم انى
أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله
يريد ظلم الا عباده يا قوم انى أخاف عليكم يوم التاديب يوم تدبر من مالهكم من الله من
عاصم ومن يضل الله فغاله من هاد) اعلم ان مؤمن آل فرعون لما أقام أنواع الدلائل على انه
لا يجوز الاقدام على قتل موسى خوفاً من ذلك بعذاب الله فقال يا قوم لكم الملك اليوم

من أجبر لانه مقصور
على السماع أو النسبة
الى الرشد كعواج
وبسات غير منظور
فيه الى فعل (وقال
الذى آمن) مخاطب القوم
(يا قوم انى أخاف
عليكم) في تكذيبه
والتعرض له بالسوء
(مثل يوم الاحزاب)
مثل أيام الامم الماضية
يعنى وقائعهم وجمع
الاحزاب مع التفسير
أخفى عن جمع اليوم
(مثل دأب قوم نوح
وعاد وثمود) أى مثل
جزاء ما كانوا عليه
من الكفر وايداء الرسل
(والذين من بعدهم)
كقوم لوط وما الله يريد
للملأعباد (فلا يعاقبهم
بغير ذنب ولا يغلى
الظالم منهم بغير انتقام
وهو ابلغ من قوله تعالى
ومارك بظلام العبيد
لما أن التنى فيه ارادة
ظلم ما فتنى الظلم
بطريق الاولوية
(ويا قوم انى أخاف
عليكم يوم التناد)
خوفهم بالعذاب
الاخروى بعد تخوفهم

بالعذاب الدنيوى ويوم التاديب يوم القيامة لانه ينادى فيه بعضهم لانه أو ينصاحون بالويل * ظاهرين
والشور أو ينادى أصحاب الجنة

وأصحاب النار حسبما حكى في سورة الاعراف وقرئ بنشيد الدال وهو أن يند بعضهم من بعض كقوله تعالى يوم يفر المرء من أخيه وعن الضحك إذا سمعوا ﴿ ٣١٩ ﴾ زفير النارندوا هر بافلا بأنون قطرا من الاقطار

الا وجدوا ملا بككة
صفوفا فيبيناهم يوج

بعضهم في بعض اذ سمعوا

مناديا أقبلوا الى الحساب

(يوم تولون مدبرين)

يدل من يوم التناد أي

منصرفين عن الموقف

الى النار أوفار بن منها

حسبما نقل آغا (مالككم

من الله من عاصم) بعضهم

من عذابه والجملة حال

أخرى من ضمير تولون

(ومن يضل الله فانه

من هاد) يهديه الى

طريق النجاة (ولقد

جاءكم يوسف) هو

يوسف بن يعقوب

عليهما السلام على

أن فرعون فرعون

موسى أو على نسبة

أحوال الآباء الى الاولاد

وقبل سبطه يوسف بن

ابراهيم بن يوسف

الصديق (من قبل)

من قبل موسى (بالبنات)

بالعجرات الواضحة

(فما زاتم في شك مما

جاءكم به) من الدين

(حتى اذا هلك)

بالموت (فلتم ان

يبعث الله من بعده

رسولا) ضما الى تكذيب

ظاهر بن في الارض يعني قد علوتم الناس وقهرتموهم فلا تنفسدوا أمركم على أنفسكم
ولا تنهضوا لباس الله وعذابه فانه لا قبل لكم به وانما قال ينصرونا وجاء نالانه كان ينظر
من نفسه انه منهم وأن الذي ينصحبهم به هو مشارك لهم فيه ولما قال ذلك المؤمن هذا
الكلام قال فرعون ما أرى لكم الا ماري أي لا أشير اليكم برأي سوى ما ذكرته أنه يجب قتله
حسب المادة الفتنة وما هديكم بهذا الرأي الاسبيل الرشاد والصلاح ثم حكى تعالى ان ذلك
المؤمن رد هذا الكلام على فرعون فقال اني أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب واعلم انه تعالى
حكى عن ذلك المؤمن انه كان يكتم ايمانه والذي يكتم كيف يكتنأ أن يذكر هذه الكلمات
مع فرعون ولهذا الدب حصل ههنا قولان (الاول) ان فرعون لما قل ذرني أقتل
موسى لم يصرح ذلك المؤمن بأنه على دين موسى بل أوهم انه مع فرعون وعلى دينه الا انه
زعم ان المصلحة تقتضي ترك قتل موسى لانه لم يصدر عنه الا الدعوة الى الله والاتباع
بالعجرات القاهرة وهذا لا يوجب القتل والاقدام على قتله يوجب الوقوع في أسنة الناس
بافجج الكلمات بل الاولى ان يؤخر قتله وأن يمنع من اظهار دينه لان على هذا التقدير ان
كان كاذبا كان وبال كذبه عائدا اليه وان كان صادقا حصل الاتفاق به من بعض الوجوه
ثم أكد ذلك بقوله ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب يعني انه ان صدق فيما يدعيه من
اثبات الاله انقادر الحكيم فهو لا يهدي المسرف الكذاب فأوهم فرعون انه أراد بقوله
ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب انه يريد موسى وهو انما كان يقصده به فرعون لان
المسرف الكذاب هو فرعون (والقول الثاني) ان مؤمن آل فرعون كان يكتم ايمانه أولا
فما قل فرعون ذروني أقتل موسى ازال الكتمان وأظهر كونه على دين موسى وشافه
فرعون بالحق واعلم انه تعالى حكى عن هذا المؤمن أنواعا من الكلمات ذكرها لفرعون
(فالاول) قوله يا قوم اني أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب والتقدير مثل أيام الاحزاب الا انه
لما أضف اليوم الى الاحزاب وفسرهم يقوم نوح وعاد وود فعمية نظهر أن كل حزب كان له
يوم معين في البلاء فاقصر من الجمع على ذكر الواحد اعدم الالتباس ثم فسر قوله اني أخاف
عليكم مثل يوم الاحزاب بقوله مثل داب قوم نوح وعاد وود و داب هو لاء وانه في علمهم
من الكفر والتكذيب وسائر الما صي فيكون ذلك دأبا ودأبا دائما لا يفترون عنه ولا بد
من حذف مضاف ير يد مثل جزاء دأبهم والماصل أنه خوفهم بهلاك معجل في الدنيا ثم
خوفهم أيضا بهلاك الآخرة وهو قوله ومن يضل الله فانه من هاد والمقصود منه التنبيه
على عذاب الآخرة (التوع الثاني) من كلات ذلك المؤمن قوله تعالى وما الله ير يد ظلما
للعباد يعني أن تدمر أو تلك الاحزاب كان عدلا لانهم استوجبوه بسبب تكذيبهم للانبياء
فلك الله فانه ههنا فوجب حصول الحكم ههنا فالات المعتزلة قوله وما الله ير يد ظلما للعباد
يدل على انه لا ير يد أن يظلم بعض العباد بعضا ويدل على أنه لا ير يد ظلم أحد من العباد فلو
خلق الكفر فيهم ثم عذبهم على ذلك الكفر لكان ظلما واذا ثبت انه لا ير يد الظلم البتة ثبت

رساله تكذيب رساله من بعده أو جزما بان لا يبعث بعده رسول مع الشك في رساله وقرئ أن يبعث الله على أن يبعثهم

يقرر بعضا بنى البعث (كذلك) مثل ٣٢٠ ﴿ ذلك الاضلال الفظيع ﴾ (بضل الله من هو مسرف)

انه غير خالق لافعال العباد لانه لو خلقها لارادها وثبت ابعث الله ما قدر على الظلم اذ لو لم يقدر عليه لما حصل المدح بترك الظلم وهذا الاستدلال قد ذكرناه مرارا في هذا الكتاب مع الجواب فلافائدة في الاعادة (النوع الثالث) من كلمات هذا المؤمن قوله ويا قوم انى أخاف عليكم يوم التناد وفيه مسائل (المسئلة الاولى) التناد تفاعل من النداء يقال تنادى القوم أى نادى بعضهم بعضا والاصل الياء وحذف الياء حسن في القواصل وذكرنا ذلك في يوم التلاق واجمع المفسرون على ان يوم التناد يوم القيامة وفى سبب تسمية ذلك اليوم بذلك الاسم وجوه (الاول) أن أهل النار ينادون أهل الجنة وأهل الجنة ينادون أهل النار كما ذكر الله عنهم في سورة الاعراف ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار (الثانى) قال الزجاج لا يبعد أن يكون السبب فيه قوله تعالى يوم ندعو كل أناس بإمامهم (الثالث) انه ينادى بعض الظالمين بعضا بالويل والشبور فيقولون يا ويلتنا (الرابع) ينادون الى الخشر أى يدعون (الخامس) ينادى المؤمن هاؤم اقرؤا كتابه والكافر باليتى لم أوت كتابه (السادس) ينادى بالاعنة على الظالمين (السابع) يجاهلون على صورة كبش أملح ثم يذبح وينادى بأهل القيامة لاموت فيزداد أهل الجنة فرحا على فرحهم وأهل النار حزنا على حزنهم (الثامن) قال أبو على الفارسي التنادى مشتق من التناد من قولهم ندفلان اذا هرب وهو قراءة ابن عباس وفسرها فقال يندون كأنه لا يبل ويدل على صحة هذه القراءة قوله تعالى يوم يفر المرء من أخيه الآية وقوله تعالى بعدها الآية يوم تولون مدبرين لانهم اذا سمعوا زفير النار يندون هاربين فلا يأتون قطرا من الاقطار الا وجدوا ملائكة صفوفا فيرجعون الى المكان الذى كانوا فيه (المسئلة الثانية) انتصب قوله يوم التناد لوجهين (أحدهما) الظرف للخوف ككأنه خاف عليهم فى ذلك اليوم لما لحقهم من العذاب ان لم يؤمنوا (والآخر) أن يكون التقدير انى أخاف عليكم عذاب يوم التناد واذا كان كذلك كان انتصاب يوم انتصاب المفعول به لانتصاب الظرف لان اعرابه اعراب المضاعف المحذوف ثم قال يوم تولون مدبرين وهو يدل من قوله يوم التناد عن قتادة منصرفين عن موقف يوم الحساب الى النار وعن مجاهد فارين عن النار غير معجزين ثم اكد التهديد فقال ما لكم من الله من عاصم ثم نبه على قوة ضلالتهم وشدة جهالتهم فقال ومن يضل الله فإله من هاد ﴿ قوله تعالى ﴾ (ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فآزتم فى شك مما جاءكم به حتى اذا هلك) فآتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك بضل الله من هو مسرف مرتاب الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أناهم كبرمقا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك أى مثل ذلك الطبع الفظيع (يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) فيصدر عنه امثال ما ذكر من الاسراف والازتياب والمجادلة بالباطل وقرئ بنون قلب ووصفه بالتكبر والتعجب لانه منهها

فى عصبانه (مرتاب) فى دينه شك فيما شهد به البينات اعلية الوهم والانهماك فى التشديد (الذين يجادلون فى آيات الله) يدل من الموصول الاول أو يبان له أوصفة باعتبار معناه كأنه قيل كل مسرف مرتاب أو المسرفين المرتابين (بغير سلطان) متعلق بجادلون بغير حجة صالحة للتكبر بها فى الجملة (أناهم) صفة سلطان (كبرمقا عند الله وعند الذين آمنوا) فيه ضرب من التعجب والاستعظام وفى كبر صميم يعود الى من وتذكرو باعتبار اللفظ وقيل الى الجدال المستفاد من يجادلون (كذلك) أى مثل ذلك الطبع الفظيع (يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) فيصدر عنه امثال ما ذكر من الاسراف والازتياب والمجادلة بالباطل وقرئ بنون قلب ووصفه بالتكبر والتعجب لانه منهها

من هاد وفي الآتي مسائل (المسئلة الاولى) قبل ان يوسف هذا هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام ونقل صاحب الكشاف انه يوسف بن افراسيم بن يوسف بن يعقوب أقام فيهم ثيفا وعشرين سنة وقيل ان فرعون موسى هو فرعون يوسف بن حيالي زمانه وقيل فرعون آخر والمقصود من الكل شيء واحد وهو أن يوسف جاء قومه بالبينات وفي المراد بها قولان (الاول) ان المراد بالبينات قوله أرباب متفرقون خير أم الله الواحد اله هار (والثاني) المراد بهما المعجزات وهذا أولى ثم انهم بقوا في بيوتهم شاكين مرتابين ولم يذنبوا البتة تلك البينات فلما مات قالوا انه لن يبعث الله من بعده رسولا وانما حكموا بهذا الحكم على سبيل التشبه والتضي من غير حجة ولا برهان بل انما ذكروا ذلك ليكون ذلك أساسا لهم في تكذيب الانبياء الذين يأتون بعد ذلك وايس قولهم ان يبعث الله من بعده رسولا لاجل تصديق رسالة يوسف وكيف وقد شكروا فيها وكفروا بها وانما هو تكذيب رسالة من هو بعده مضموما الى تكذيب رسالته ثم قال كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب أي مثل هذا الضلال يضل الله كل مسرف في عصبائه مرتاب في دينه قال الكعبى هذه الآية حجة لاهل التدبر لانه تعالى بين كفرهم ثم بين انه تعالى انما اضلهم لكونهم مسرفين مرتابين فثبت ان العبد ما لم يضل عن الدين فان الله تعالى لا يضلهم ثم بين تعالى ما لاجله بقوا في ذلك الشك والاسراف فقال الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أى بغير حجة بل ابناء على التقليد المجرد واما بناء على شبهات خبيثة كبر مقتا عند الله والمقت هو أن يبلغ المرء في التوهم مبلغا عظيما فيقته الله ويغضه ويظهر خزيه وتعسه وفيه مسائل (المسئلة الاولى) في ذمه لهم بأنهم يجادلون بغير سلطان دلالة على ان الجدل بالحجة حسن وحق وفيه أبطال للتقليد (المسئلة الثانية) قال القاضي مقت الله اياهم يدل على ان فعلهم ليس بخلق الله لان كونه فاعلا للفعل وماقتاله محال (المسئلة الثالثة) الآية تدل على انه يجوز وصف الله تعالى بأنه قديم مقت بعض عباد الله لان ذلك صفة واجبة التأويل في حق الله كما غضب والحياء والتعجب والله أعلم ثم بين ان هذا المقت كما حصل عند الله فكذلك قد حصل عند الذين آمنوا ثم قال كذلك يطعم الله على كل قلب متكبر جبار وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأ بن عامر وأبو عمرو وقتيبة عن الكسائي قلب منوات متكبر صفة للقلب والباقون بغير تنوين على اضافة القلب الى المتكبر قال أبو عبيد الاختيار الاضافة لوجوه (الاول) ان عبد الله قرأ على قلب كل متكبر وهو شاهد لهذه القراءة (الثاني) ان وصف الانسان بالتكبر والجبروت أولى من وصف القلب بهما وأما الذين قرؤا بالتوين فقالوا ان التكبر قد أضيق الى القلب في قوله ان في صدورهم الاكبر وقال تعالى فانه آثم قلبه وأيضا فيمكن أن يكون ذلك على حذف المضاف أى على كل ذى قلب متكبر وأيضا قال قوم الانسان الحقيقي هو القلب وهذا البحث طويل وقد ذكرناه في تفسير قوله نزل به الروح الامين على قلبك قالوا ومن أضاف فلا بد له من تقدير حذف

(وقال فرعون ياها ما ن ا بن لي صرحا) أي بناء مكشوقا غالبا من صرخ الشيء اذا ظهر (لعل ابلغ الاسباب) أي الطرق (اسباب السموات) بيان لها وفي ايامها ثم ايضا حياها ﴿ ٣٢٢ ﴾ تفخيم شأنها وتشويق السامع الى معرفتها (فاطلع

الى اله موسى) بالنصب
على جواب الترجي
وقرى بالرفع عطفا على
أبلغ ولعله أراد ان يبني له
رصدا في موضع عال
ليرصد منه أحوال
الكواكب التي هي
أسباب سماوية تدل
على الحوادث الارضية
فيري هل فيها ما يدل
على ارسال الله تعالى
اياها أو أن يرى فساد قوله
عليه الصلاة والسلام
بأن اخبارهم من اله السماء
يتوقف على اطلاع
عليه و وصوله اليه
وذلك لا يتأتى الا بالصعود
الى السماء وهو مما لا يقوى
عليه الانسان وما ذلك
الا لجهله بالله سبحانه
وكيفية استنباطه (واني
لاظنه كاذبا) فيما يدعيه
من الرسالة (وكذلك)
أي وبمثل ذلك التزيين
البالغ المفرط (زين
لفرعون سوء عمله) فانهمك
فيه انها كالاربعوى
عنه بحال (وصعد عن
السبيل) أي سبيل
الرشاد والفاصل في
الحقيقة هو الله تعالى
ويؤيده قراءة زين
بالفتح وبالتوسط الشيطان وقرئ: وصعد على أن فرعون صد الناس عن الهدى بأمثال هذه ﴿ اعطى
التمويهات والشبهات ويؤيده قوله تعالى (وما كيد فرعون الا في تباب) أي

والتدبير بطبع الله على قلب كل متكبر (المسئلة الثانية) الكلام في الطبع والرين
والقسوة والعشوة قد سبق في هذا الكتاب بالاستقصاء وأصحابنا يقولون قوله كذلك
بطبع الله يدل على أن الكل من الله والمعزلة يقولون ان قوله كذلك بطبع الله على كل
قلب متكبر جوار يدل على أن هذا الطبع انما حصل من الله لانه كان في نفسه متكبرا
جبارا وعند هذا انصير الآية حجة لكل واحد من هذين الفريقين من وجه وعليه من وجه
آخر والقول الذي يخرج عليه الوجهان مذهبنا به وهو انه تعالى يخلق دواعي التكبر
والرياسة في القلب فمسير تلك الدواعي مانعة من حصول ما يدعوا الى الطاعة والانقياد
لامر الله فيكون القول بالقضاء والقدر حقا ويكون تعادل المصدر عن الدين بكونه متعجبا
متكبرا باقيا ثبت ان هذا المذهب الذي اخترناه في القضاء والقدر هو الذي ينطبق لفظ
القرآن من أوله الى آخره عليه (المسئلة الثالثة) لا بد من بيان الفرق بين التكبر والجبار
قال مقاتل متكبر عن قبول التوحيد جبار في غير حق وأقول كمال السعادة في أمرين
التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله فعلى قول مقاتل المتكبر كالضاد للتعظيم لامر الله
والجبار كالضاد للشفقة على خلق الله والله أعلم* قوله تعالى (وقال فرعون ياها ما ن

ابن لي صرحا على ابلغ الاسباب أسباب السموات فاطلم الى اله موسى واني لاظنه كاذبا
وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصعد عن السبيل وما كيد فرعون الا في تباب) اعلم انه تعالى
لما وصف فرعون بكونه متكبرا جبارا بين انه بلغ في البلاهة والحماقة الى أن قصد الصعود
الى السموات وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) احتج الجمع الكثير من المشبهة بهذه
الآية في آيات ان الله في السموات وقرروا ذلك من وجوه (الاول) ان فرعون كان من
المتكرين لوجود الله وكل ما يذكره صفات الله تعالى فذلك انما يذكره لاجل انه سمع ان
موسى يصف الله بذلك فهو ايضا يذكره كما سمعه فلو لانه سمع موسى يصف الله بأنه موجود
في السماء والاماطليه في السماء (الوجه الثاني) انه قال واني لاظنه كاذبا ولم يبين انه كاذب
فيما ذاك المذكور السابق متعين لصرف الكلام اليه فكان التقدير فاطلم الى اله الذي
يزعم موسى انه موجود في السماء ثم قال واني لاظنه كاذبا أي واني لاظن موسى كاذبا في
ادعائه ان اله موجود في السماء وذلك يدل على ان دين موسى هو ان اله موجود في
السماء (الوجه الثالث) العلم بأنه لو وجد اله لكان موجودا في السماء علم يدهي متقرر في
كل القول ولذلك قال الصبيان اذا تضرعوا الى الله رفعوا وجوههم وأيديهم الى السماء
وان فرعون مع نهاية كفره لما طلب الهه فقد طلبه في السماء وهذا يدل على ان العلم بان اله
موجود في السماء علم متقرر في عقل الصديق والزنديق والحدود والموجود العالم والجاهل
فهنا جلة استدلالات الشبهة بهذه الآية والجواب ان هؤلاء الجهال يكفرهم في كمال
الحزى والضلال أن جاءوا قول فرعون الاعمين حجة لهم على صحة دينهم وأمام موسى عليه
السلام فانه يرد في تعريف اله العالم على ذكر صفة الخلاقية فقال في سورة طه ربنا الذي

أعطى كل شيء خلقه ثم هدى وقال في سورة الشعراء ربكم ورب آبائكم الاولين رب المشرق
والغرب وما بينهما فظهر أن نعر بف ذات الله بـ^كونه في السماء دين فرعون وتعرفه
بالخلاقية والموجودية دين موسى فن قال بالاول كان على دين فرعون ومن قال بالثاني كان
على دين موسى ثم نقول لانسلم أن كل ما يقوله فرعون في صفات الله تعالى فذلك قد سمعه من
موسى عليه السلام بل الله كان على دين المشبهة فكان يعتقد أن الاله لو كان موجودا
لكان حاصل في السماء فهو انما ذكر هذا الاعتقاد من قبل نفسه لاجل انه قد سمعه من
موسى عليه السلام وأما قوله واتى لظنه كاذبا فنقول الله لما سمع موسى عليه السلام قال
رب السموات والارض ظن انه عني به انه رب السموات كما يقال للواحد مناته رب الدار
بمعنى كونه ساكن فيه فلما غلب على ظنه ذلك حكى عنه وهذا ليس بمستبعد فان فرعون كان
قد بلغ من الجهل والحمالة الى حيث لا يبعد نسبة هذا الخيال اليه فان استبعد الخصم نسبة
هذا الخيال اليه كان ذلك لانعابهم لانهم لما كانوا على دين فرعون وجب عليهم تعظيمه
وأما قوله ان فطرة فرعون شهدت بأن الاله لو كان موجودا لكان في السماء قلنا نحن
لا نذكر أن فطرة أكثر الناس تخيل اليهم صحة ذلك لاسيما من بلغ في الحمالة الى درجة
فرعون فثبت ان هذا الكلام ماقط (المسئلة الثانية) اختلف الناس في أن فرعون هل
قصد بناء الصرح ايصعد منه الى السماء أم لا اما الظاهر يرون من المفسرين فقد قطعوا
بذلك وذكر احكامية طويلة في كيفية بناء ذلك الصرح والذي عندي انه بعيد والدليل
عليه أن يقال فرعون لا يخلو امان يقال انه كان من المجانين أو كان من العقلاء قلنا
انه كان من المجانين لم يجز من الله تعالى ارسال الرسول اليه لان العقل شرط في التكليف
ولم يجز من الله أن يذكر حكاية كلام مجنون في القرآن وأما قلنا انه كان من العقلاء
فقول ان كل عاقل يعلم بديمه عقله انه يتعذر في قدرة البشر وضع بناء ^كونه ونارفع من
الجبيل العالي ويعلم ايضا بديمه عقله انه لا تفاوت في البصر حال السماء بين أن ينظر اليه
من أسفل الجبيل وبين أن ينظر اليه من أعلى الجبيل واذا كان هذان العمان يتبين
امتنع أن يقصد العاقل وضع بناء يصعد منه الى السماء واذا كان فساد هذا معلوما
بالضرورة امتنع استناده الى فرعون والذي عندي في تفسير هذه الآية أن فرعون كان من
الدهرية وغرضه من ذكر هذا الكلام ايراد شبهة في نفي الصانع وتقريره انه قال انا لا ارى
شيئا يحكم عليه بأنه اله العالم فلم يجز اثبات هذا الاله أما انه لا يراه فلائنه لو كان موجودا
لكان في السماء ونحن لا سبيل لنا الى صعود السموات فكيف يمكننا أن نراه ثم انه لاجل
البالغة في بيان انه لا يمكنه صعود السموات قال ياها امان ابن الى صرحا على أبلغ الاسباب
والمقصود انه لما عرف كل أحد أن هذا الطريق ممتنع كان الوصول الى معرفة وجود الله
بطريق الحس ممتنعا ونظيره قوله تعالى فان استطعت أن تبتغي نفقا في الارض أو سما في
السماء فأت بهم بآية وائس المراد منه أن محمدا صلى الله عليه وسلم طالب نفقا في الارض

خسار وهلاك أو على
أنه من صد صدودا
أي أعرض وقرئ
بكسر الصاد على نقل
حركة الدال اليه وقرئ
وصد على انه عطف
على سوء عمله وقرئ
وصدوا أي هو وقومه

أو وضع سلا إلى السماء بل المعنى انه لما عرف ان هذا المعنى ممتنع فقد عرف انه لا سبيل لك
الى تحصيل ذلك المقصود فكذا هم هنا غرض فرعون من قوله يا هان ابن لي صرحا يعني أن
الاطلاع على اله موسى لما كان لا سبيل اليه الا بهذا الطريق وكان هذا الطريق ممتنعا
فحينئذ يظهر منه انه لا سبيل الى معرفة الاله الذي يثبت به موسى فنقول هذا ما حصلته في هذا
الباب واعلم أن هذه الشبهة فاسدة لان طرق العلم ثلاثه الحس والخبر والنظر ولا يلزم من
انتفاء طريق واحد وهو الحس انتفاء المطلوب وذلك لان موسى عليه السلام كان قد بين
افرعون أن الطريق في معرفة الله تعالى انما هو الحجة والدليل كما قال ربكم ورب آبائكم
الاولين رب المشرق والمغرب الا ان فرعون لحبسه ومكره تغافل عن ذلك الدليل وألقى الى
الجهال انه لما كان لا طريق الى الاحساس بهذا الاله وجب نفيه فهذا ما عندي في هذا
الباب وبالله التوفيق والعصمة (المسئلة الثالثة) ذهب قوم الى انه تعالى خلق جواهر
الافلاك وحركاتها بحيث تكون هي الاسباب لحدوث الحوادث في هذا العالم الاسفل
واحتجوا بقوله تعالى لعلى أبلغ الاسباب أسباب السموات ومعلوم أنها ليست أسبابا
للحوادث هذا العالم قالوا ويؤكد هذا بقوله تعالى في سورة ص فليز تقوافي الاسباب
اما المفسرون فقد ذكروا في تفسير قوله تعالى لعلى أبلغ الاسباب أسباب السموات أن المراد
بأسباب السموات طرقها وأبوابها وما يؤدي إليها وكل ما أدرك إلى شيء فهو سبب كالرشاء
ونحوه (المسئلة الرابعة) قالت اليهود اطبق الباحثون عن تواريخ بني اسرائيل وفرعون
أن هاما ما كان موجودا البتة في زمان موسى وفرعون وانما جاء بعد هما بزمان مديد
ودهر داهر فاقول بأن هاما ما كان موجودا في زمان موسى وفرعون خطأ في التاريخ وليس
لقائل أن يقول ان وجود شخص يسمى بهاما ما بعد زمان فرعون لا يمنع من وجود شخص
آخر يسمى بهذا الاسم في زمانه قالوا الان هذا الشخص المسمى بهاما الذي كان موجودا
في زمان فرعون ما كان شخصا خبيثا في حضرة فرعون بل كان كالوزر له ومثل هذا
الشخص لا يكون مجهول الوصف والخلية فلو كان موجودا لعرف حاله وحيث أطبق
الباحثون عن أحوال فرعون وموسى ان الشخص المسمى بهاما ما كان موجودا
في زمان فرعون وانما جاء بعده بادوار علم انه غلط وقع في التواريخ قالوا ونظير هذا اننا نعرف
في دين الاسلام أن أبا حنيفة انما جاء بعد محمد صلى الله عليه وسلم فلو أن قائلادعى أن أبا
حنيفة كان موجودا في زمان محمد عليه السلام وزعم انه شخص آخر سوى الاول وهو
أيضا يسمى بأبي حنيفة فان أصحاب التواريخ يقطعون بخطئه فكنا ههنا والجواب أن
تواريخ موسى وفرعون قد طال العهد بهم واضطربت الاحوال والادوار فلم يبق على
كلام أهل التواريخ اعتماد في هذا الباب فكان الأخذ بقول الله أولى بخلاف حال
رسولنا مع أبي حنيفة فان هذه التواريخ قريبة غير مضطربة بذيل هي مضبوطة فظهر
الفرق بين البابين فهذا جملة ما يتعلق بالمباحث المعنوية في هذه الآيات وبقي ما يتعلق

(وقال الذي آمن) أي مؤمن ال فرعون وقيل موسى عليه السلام (يا قوم اتبعون) فيما دلائكم عليه (أهدم سبيل الرشاد) أي سبيل يصل سالكه الى المقصود ﴿ ٣٢٥ ﴾ وفيه تعريض بأن ما يسلكه فرعون وقومه

سبيل النجى والضلال
(يا قوم اتبعوا هذه الحياة الدنيا متاع) أي تمتع
يسر لمصره زوالها
أجل لهم أولائم فسر
فافتح بدم الدنيا وتصغير
شأنها لان الاخلا لا اله
رأس كل شر ومنه
تذهب قنوم ما يؤدى
الى سحق الله تعالى ثم تبنى
بتعظيم الآخرة فقل
(وان الآخرة هي دار
القرار) تلودها ودوام
ما فيها (من عمل) فى
الدنيا (سيئة فلا يجزى)
فى الآخرة (الا مثله)
صدلا من الله سبحانه
وفيه دليل على أن الجنائيات
تقرم بأمثالها (ومن
عمل صالحا من ذكر
أو أنثى وهو مؤمن
فأولئك الذين عملوا
ذلك) يدخلون الجنة
يرزقون فيها بغير
حساب (أى بغير تقدير
وموازنة بالعمل بل
أضعافا مضاعفة فضلا
من الله عز وجل ورحمة
وجعل العمل عمدة والايمان
حالا لا يذان بأنه
لا عبادة بالعمل بذونه
وأن ثوابه أعلى من ذلك

بالمباحث اللفظية قبل الصرح البناء الظاهر الذى لا يخفى على الناظر وان بعد اشتقاقه من
صرح الشيء اذا ظهر وأسباب السموات طرقها فان قيل ما فائدة هذا التكرير ولو قيل
اعلى أبغ أسباب السموات كان كافيا أجاب صاحب الكشف عند فقال اذا فهم الشيء
ثم أوضح كان تفصيلا لثأته فلما أراد تفخيم أسباب السموات ايهجها ثم أوضحها وقوله فأطلع
الى الله موسى قرأ حفص عن عاصم فأطلع بفتح العين والباقون بالرفع قال المبرد من رفع وقد
عطفه على قوله ابانغ والتقدير اعلى أبغ الأسباب ثم اطاع الآن حرف ثم أشد تراخيا من
الفاء ومن نصب جملة جوابا والمعنى اعلى أبغ الأسباب حتى بلغت اطاع والمعنى يختلف لان
الاول اعلى اطاع والثانى اعلى أبغ وانما صمنا حتى بلغت فلا بد وأن اطاع واعلم انه تعالى
لما حكى عن فرعون هذه القصة قال بعدها وكذلك زين فرعون سوء عمله وصد عن السبيل
وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأ عاصم وحزق الكسائى وصد بضم الصاد قال أبو عبيدة
وبه يقرأ لأن ما قبله فعل مبنى للمفعول به ففعل ما عطف عليه مثله والباقون وصد بفتح
الصاد على انه منع الناس عن الايمان قالوا ومن صدده قوله لا قطعن أيديكم وأرجلكم
وبؤس هذه القراءة وقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وقوله هم الذين كفروا وصدوكم
عن المسجد الحرام (المسئلة الثانية) قوله تعالى زين لآبده من المزين فقلت المعتزلة انه
الشیطان فقل لهم ان كان المزين فرعون هو الشيطان فالزین للشیطان ان كان شیطانا
آخر لزم اثبات التسلسل فى الشياطين أو الدور وهو محال ولما بطل ذلك وجب انتهاء
الاسباب والمسببات فى درجات الحاجات الى واجب الوجود وأيضاً فوله زين يدل على ان
الشيء ان لم يكن فى اعتقاد الفاعل موصوفاً بأنه خير وزيته وحسن فانه لا يقدم عليه الا ان
ذلك الاعتقاد ان كان صواباً فهو العلم وان كان خطأ فهو الجهل ففاعل ذلك الجهل ليس
هو ذلك الانسان لان العاقل لا يقصد تحصيل الجهل لنفسه ولانه انما يقصد تحصيل الجهل
لنفسه اذا عرف كونه جهلا ومتى عرف كونه جهلا امتنع بقاءه جاهلا فثبت أن فاعل
ذلك الجهل ليس هو ذلك الانسان ولا يجوز أن يكون فاعله هو الشيطان لان البحث الاول
بعينه حائذه فلم يبق الا أن يكون فاعله هو الله تعالى والله أعلم ويقوى ما قلناه ان صاحب
الكشف نقل انه قرئ وزن له سوء عمله على البناء للفاعل والفعل لله عز وجل ويدل عليه
قوله الى الله موسى ثم قال تعالى وما كيد فرعون الا فى تباب والتباب الهلاك والخسيران
وتظهير قوله تعالى وما زادوهم غير تنبيذ وقوله تعالى تبت يدا ابنى لهب والله أعلم وقوله
تعالى (وقال الذي آمن يا قوم اتبعون اهدمكم سبيل الرشاد يا قوم اتبعوا هذه الحياة الدنيا متاع
وان الآخرة هي دار القرار من عمل سيئة فلا يجزى الا مثله) ومن عمل صالحا من ذكر
أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ويا قوم مالى أدعوكم الى
النجاة وتدعونى الى النار تدعونى لأكفر بالله واشرك به ما ليس لى به علم وأنا أدعوكم الى
العرز والعقار لاجرم أنما تدعونى اليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة وأن مردنا الى

(و يا قوم مالى أدعوكم الى النجاة وتدعونى الى النار) كرر نداءهم ايقاظا لهم عن سنة الغفلة واعتناء بالمنادى له
ومبالغة فى توبيخهم على ما يقابلون به نصحه ومدار التعجب الذى يلوح

به الاستفهام دعوتهم اية الى النار ودعوته اياهم الى النجاة كانه قبل اخبروني كيف هذه الحال ادعوكم الى الخير وتدعونني الى الشر وقد جعله بعضهم من قبيل ﴿ ٣٢٦ ﴾ مالى اراك حزينا أى مالك تكون حزينا وقوله

الله وأن المسرفين هم أصحاب النار فتذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري الى الله ان الله بصير بالعباد اعلم ان هذا من بقية كلام الذى آمن من آفروعون وقد كان يدعوهم الى الايمان بوسى والتمسك بطريقته واعلم انه نادى فى قومه ثلاث مرات فى المرة الاولى دعاهم الى قبول ذلك الدين على سبيل الاجال وفى المرتين الباقيتين على سبيل التفصيل اما الاجال فهو قوله يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد وليس المراد بقوله اتبعون طريقته التقليد لانه قال بعده اهدكم سبيل الرشاد والهدى هو الدلالة ومن بين الادلة للغير بوصف بأنه هدهد وسبيل الرشاد هو سبيل الثواب والخير وما يؤدى اليه لان الرشاد نقبض النقي وفيه تصریح بأن ما عليه فرعون وقومه هو سبيل النقي وأما التفصيل فهو انه بين حقارة حال الدنيا وكال حال الآخرة أما حقارة الدنيا فهي قوله يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع والمعنى انه يستقيم بهذه الحياة الدنيا فى أيام قليلة ثم تنقطع وتزول واما الآخرة فهي دار اقرار والبقاء والدوام وحاصل الكلام ان الآخرة باقية دائمة والدنيا منقضية منقرضة والدائم خير من المنقضى وقال بعض العارفين لو كانت الدنيا ذهبا فلما والآخرة خرفا باقيا لكانت الآخرة خيرا من الدنيا فكيف والدنيا خرف فان والآخرة ذهب باق واعلم ان الآخرة كان العليم فيها دائم فكذلك العذاب فيها دائم وان الترغيب فى النعيم الدائم والترهيب عن العذاب الدائم من أقوى وجوه الترغيب والترهيب ثم بين كيف تحصل المجازاة فى الآخرة وأشار فيه الى أن جانب الرحمة غالب على جانب العقاب فقال من عمل سنة فلا يجزى الا مثله والمراد بالمثل ما يقابلها فى الاستحقاق فان قبل كيف يصح هذا الكلام مع ان كفر ساعة يوجب عقاب ابد قلنا ان الكافر يعتقد فى كفره كونه طاعة وانما ما فعله هذا السبب يكون الكافر على عزم أن يبقى مصرعا على ذلك الاعتقاد أبدا فلا جرم كان عقابه مؤبدا بخلاف الفاسق فانه يعتقد فيه كونه خيائنة ومعصية فيكون على عزم أن لا يبقى مصرعا عليه فلا جرم قلنا ان عقاب الفاسق منقطع أما الذى يقول المعتزلة من أن عقابه مؤبد فهو باطل لان مدة تلك المعصية منقطعة والعزم على الاتيان بها بضاليس دائما بل منقطع فغالبه بعقاب دائم يكون على خلاف قوله من عمل سنة فلا يجزى الا مثله واعلم ان هذه الآية أصل كبير فى علوم الشرع فيما يتعلق بأحكام الجنائيات فانها تقتضى أن يكون المثل مشروعا وأن يكون الزائد على المثل غير مشروع ثم نقول ليس فى الآية بيان ان تلك المماثلة معتبرة فى أى الامور فلو حملناه على رعاية المماثلة فى شئ معين مع ان ذلك المعين غير مذکور فى الآية صارت الآية مجملة ولو حملناه على رعاية المماثلة فى جميع الامور صارت الآية عاما مخصوصا وقد ثبت فى أصول الفقه ان التعارض اذا وقع بين الاجال وبين التخصيص كان دفع الاجال أولى فوجب أن نحمل هذه الآية على رعاية المماثلة من كل الوجوه الا فى مواضع التخصيص واذا ثبت هذا فلا يحكم الكثرة فى باب الجنائيات على النفوس وعلى الاعضاء وعلى الاموال يمكن تفرعها على هذه الآية ثم نقول

تعالى (تدعوننى لا كفر بالله) بدل أو بيان فيه تعليل والدعاء كالهداية فى التعبدية بالى واللام (وأشرك به ما ليس لى به) بشر كنهه تعالى فى العبودية وقيل يربو بينه (علم) والمراد نفي المعلوم والاشعار بأن الالهوية لا بد لها من برهان موجب للعلم بها (وأنا ادعوكم الى العزيز الغفار) الجامع لجميع صفات الالهوية من كمال القدرة والغلبة وما يتوقف عليه من العلم والارادة والتمكن من المجازاة والقدرة على التعذيب والغفران (الاجرم) لا رد لداعوه اليه وجرم فعل ماض بمعنى حق وفاعله قوله تعالى (انما تدعوننى اليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة) أى حق ووجب عدم دعوة آلهمكم الى عبادتها أصلا وعدم دعوة مستجابة أو عدم استجابة دعوة لها وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن فيه أى كسب ذلك الدعاء اليه بطلان

دعوته بمعنى ما حصل من ذلك الاظهار بطلان دعوته وقيل جرم فعل من الجرم وهو القطع ﴿ انه ﴾ كما أن بد من لا بد لعل من التبديد أى التفرق والمعنى لا قطع لبطلان

انه تعالى لما بين ان جزاء السيئة متصور على المثل بين ان جزاء الحسنة غير متصور على المثل بل هو خارج عن الحساب فقال ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب واحتج أصحابنا بهذه الآية فقالوا قوله ومن عمل صالحا مذكرة في معرض الشرط في جانب الاثبات فجري مجرى أن يقال من ذكر كلمة أو من خطا خطوة فله كذا فإنه يدخل فيه كل من أتى تلك الكلمة أو بتلك الخطوة مرة واحدة فكذلك هي ناوجب أن يقال كل من عمل صالحا واحدا من الصالحات فإنه يدخل الجنة ويرزق فيها بغير حساب والأتى بالايان والموجب على التوحيد والتعبد بسنة ثمانين سنة فدانى بأعظم الصالحات وبأحسن الطاعات فوجب أن يدخل الجنة والخصم يقول انه ينبغي محذرا في النار أبدأ بالأبد فيكون ذلك على خلاف هذا النص الصريح قالت المعتزلة انه تعالى شرط فيه كونه مؤمنا وصاحب الكبيرة عندنا ليس بمؤمن فلا يدخل في هذا الوعد والجواب اننا نأخذ في أول سورة البقرة في تفسير قوله تعالى الذين يؤمنون بالغييب أن صاحب الكبيرة مؤمن فسقط هذا الكلام واختلفوا في تفسير قوله يرزقون فيها بغير حساب فذهبهم من قال لما كان لانهاية لذلك الثواب قبل بغير حساب وقال الآخرون لانه تعالى يعطيهم ثواب أعمالهم ويضم الى ذلك الثواب من أقسام الفضل ما يخرج عن الحساب وقوله بغير حساب واقم في مقابلة الأمثلة يعني ان جزاء السيئة له حساب وتقدير ثلاثين على الاستحقاق فاما جزاء العمل الصالح بغير تقدير وحساب بل ما شئت من الزيادة على الحق والكثرة والسعة وأقول هذا يدل على ان جانب الرحمة والفضل راجح على جانب القهر والعقاب فاذا عارضنا عمومات الوعد بعمومات الوعيد وجب أن يكون الترجيح بجانب عمومات الوعد وذلك يهدم قواعد المعتزلة ثم استأنف ذلك المؤمن ونادى في المرة الثالثة وقال يا قوم مالي أدعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار يعني أنا أدعوكم الى الإيمان الذي يوجب النجاة وتدعونني الى الكفر الذي يوجب النار فان قيل لم كررناه قومه ولم جاء بالواو في النداء الثالث دون الثاني قلنا أما تكرير النداء ففيه زيادة تنبيه لهم وإيقاظ من سته الغفلة وإظهار أن له بهذا المهم من يده اهتمام وعلى أولئك الأقوام فرط شفقة وأما الجحى بالواو العاطفة فلأن الثاني يقرب من أن يكون عين الأول لأن الثاني بيان للأول والبيان عين المبين وأما الثالث فلأنه كلام مبين للأول وإثباتي فحسن إيراد الواو العاطفة فيه ولذا كررنا المؤمن انه يدعوهم الى النجاة وهم يدعونهم الى النار ففسر ذلك بانهم يدعونهم الى الكفر بالله وإلى الشرك به أما الكفر بالله فلأن الأكثرين من قوم فرعون كانوا يكرهون وجسود الأله ومنهم من كان يقر بوجود الله الا انه كان يثبت عبادة الاصنام وقوله تعالى وأشرك به ما ليس له علم المراد بنى العلم نفي المعلوم كأنه قال وأشرك به ما ليس بالله وما ليس به كيف يقول له شركا لاله ولما بين أنهم يدعونهم الى الكفر والشرك بين انه يدعوهم الى الإيمان بالعزيز الغفار وقوله العزيز إشارة الى كونه

الوهمية الاصنام أى لا ينقطع في وقت ما فينقلب حقا ويؤيده قواهم لاجرم أنه يفعل بضم الجيم وسكون الراء وفعل وفعل اخوان كرشد ورشد (وأن مردنالى الله) أى بالموت عطف على أن ما تدعونني داخل في حكمه وكذا قوله تعالى (وأن لمسرفين) أى في الضلال والطغيان كالاشراك وسفك الدماء (هم أصحاب النار) أى ملازموها (فستذكرون) وقرى فستذكرون أى فسيذكر بعضكم بعضا عندهم عاتبة العذاب (ما أقول لكم) من النصائح (وأفوض أمري الى الله) فانه لما أتهم كانوا توعدوه (ان الله بهيبر بالعباد) فيحرس من يلوذ به من المكارة

كامل القدرة وفيه تنبيه على أن الإله هو الذي يكون كامل القدرة وأما فرعون فهو في غاية العجز فكيف يكون الها وأما الأصنام فأنها أحجار منحوتة فكيف بعقل القول بكونها آلهة وقوله الغفار إشارة إلى أنه لا يجب أن يكونوا آسين من رحمة الله بسبب إصرارهم على الكفر مدة مديدة فإن الله العالم وإن كان عزير لا يغلب قادراً لا يغلب لكشف غفار يغفر كفر سبعين سنة بإيمان ساعة واحدة ثم قال ذلك المؤمن لاجرم الكلام في تفسير لاجرم مرفى سورة يهود في قوله لاجرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون وقد أعاده صاحب الكشف همنا فقال لاجرم مساقفة على مذهب البصريين أن يجعل لاردالمادعاء اليد قومه وجرم فعل بمعنى حق وإنما مع ما في حيزه فاعله أي حق ووجب بطلان دعوته أو بمعنى كسب من قوله تعالى ولا يجز منكم شئاً أن قريتم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا أي كسب ذلك الدعاء اليد بطلان دعوته بمعنى أنه ما حصل من ذلك الاقهور بطلان دعوته ويجوز أن يقال إن لاجرم نظيره لا بد فعل من الجرم وهو انقطع كما أن بد فعل من التبييد وهو التفريق وكما أن معنى لا بد أنك تفعل كذا أنه لا بد لك من فعله فكذلك لاجرم إن لهم النار أي لا قطع لذلك بمعنى أنهم أبداً يستحقون النار لا انقطاع لاستحقاقهم ولا قطع بطلان دعوة الأصنام أي لا تزال باطلة لا ينقطع ذلك فيقلب حقاً وروى عن بعض العرب لاجرم أنه يفعل يضم الجيم وسكون الراء زنة بد وفعل وفعل أخوان كرشدورشدو كعدم وعدم هذا كله ألفاظ صاحب الكشف ثم قال إنما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة والمراد أن الأوثان التي تدعونني إلى عبادتها ليس لها دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وفي تفسير هذه الدعوة احتمالان (الاول) أن المعنى أن ما تدعونني إلى عبادته ليس الدعوة إلى نفسه لأنها إجمادات والمجادات لا تدعو أحداً إلى عبادة نفسها وقوله في الآخرة يعني أنه تعالى إذا قلبها حيواناً في الآخرة فإنها تنبأ من هؤلاء العالدين (والاحتمال الثاني) أن يكون قوله ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة معناه ليس له استجابة دعوة في الدنيا ولا في الآخرة فسمعت استجابة الدعوة بالدعوة اطلاقاً لاسم أحد المتضاميين على الآخر أقوله وجزاء سيئة سيئة مثلهما ثم قال وإن مردنا إلى الله فبين أن هذه الأصنام لا فائدة فيها البتة ومع ذلك فإن مردنا إلى الله العالم بكل المعلومات التصادر على كل الممكنات الغنى عن كل الحاجات الذي لا يبدل القول لديه وما هو بظلام للعبيد فأبى ما قل يجوز له عقله أن يشتغل بعبادة تلك الأشياء الباطلة وإن يعرض عن عبادة هذا الإله الذي لا بد وإن يكون مرده إليه وقوله وإن المسرفين هم أصحاب النار قال قتادة يعني المشركين وقال مجاهد السفاكين للدماء والصحيح أنهم أسرفوا في معصية الله بالكمية والكيفية أما الكمية فالدوام وأما الكيفية فبالعود والإصرار ولما بالغ مؤمن آل فرعون في هذه البيانات ختم كلامه بآية لطيفة قال فسندكروا ما أقول لكم وهذا كلام مبهم يوجب التخوف ويفوت محتمل

(فوقاً الله سيئات ما مكروا) شديد مكرهم وما هموا به من الخلق أنواع العذاب عن مخالفتهم قبل تجماع موسى عليه السلام (وحاق بال فرعون) أي بفرعون وقومه وعدم النصريح به للاستغناء بذكرهم عن ذكره ضرورة أنه أولى منهم بذلك وقيل بطلبة المؤمن من قومه لما آتاه ٣٢٩ ﴿ فرأى جبل مائة من الأبدان فوجدوه بصلي

أن يكون المراد أن هذا الذكر يحصل في الدنيا وهو وقت الموت وأن يكون في اقيامة وقت مشاهدة الاهوال وبالجملة فهو تحذير شديد ثم دل وأفوض أمرى الى الله وهذا كلام من هدد بأمر يخافه فكانهم خوفوه بالقتل وهو أيضا خوفهم بتوابعه فسد كرون ما أقول لكم ثم عول في دفع تخوفهم وكيدهم ومكرهم على فضل الله تعالى فقال وأفوض أمرى الى الله وهو اعلم بطريقه من موسى عليه السلام فان فرعون لما خوفه بأقتل رجح موسى في دفع ذلك الشر الى الله حيث قال انى عدت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب فتح نافع وأبو عمرو الياء من أمرى والساكنون بالاسكان ثم قال ان الله يصير بالعباد أى عالم بأحوالهم ويتعاقب رعايتهم وتسمك أصحاحا يقول له تعالى وأفوض أمرى الى الله على ان الكل من الله وقالوا ان العترة الذين قالوا ان الخبر والشر يحصل بقدرتهم قد فوضوا أمر أنفسهم اليهم وما فوضوها الى الله والمعتزلة تسمكوا بهذه الآية فقالوا ان قوله أفوض اعتراف بكونه فعلا مستقلا بالعدل والمباحث المذكورة في قوله أعوذ بالله عادة تمامها في هذا الموضع والله أعلم وههنا آخر كلام مؤمن آل فرعون والله الهادى ﴿ قوله تعالى (فوقاً الله سيئات ما مكروا وحاق بال فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا يوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب واذا دعا احبون في النار فقولوا الضعفاء الذين استكبروا انا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا انا كل فيهما ان الله قد حكم بين العباد وقال الذين في النار لترتفع جحيم ادعوا ربكم فنجف عنا يوم امن العذاب قالوا أولئك ثائمتكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا ما دعا الكافرين الا في ضلال) اعلم انه تعالى لما بين أن ذلك الرجل لم يقصر في تقرير الدين الحق وفي الذنب عنه قاله تعالى رد عند كيد الكافرين وقصد انقاص دين وقوله تعالى فوقاً الله سيئات ما مكروا يدل على انه لما صرح بتقرير الحق فقد قصد به بنوع من أنواع السوء قال مقاتل ما ذكره هذه الكلمات قصدوا قتله فهرب منهم الى الجبل فطلبوه فلم يقدروا عليه وقيل المراد بقوله فوقاً الله سيئات ما مكروا انهم قصدوا ادخاله في الكفر وصرفوه عن الاسلام فوقاً الله عن ذلك الا ان الاول أولى لان قوله بعد ذلك وحاق بال فرعون سوء العذاب لا يليق الا بالوجه الاول وقوله تعالى وحاق بال فرعون أى أحاط بهم سوء العذاب أى غرقوا في البحر وقيل بل المراد منه النار المذكورة في قوله النار يعرضون عليها قال الزجاج النار بدل من قوله سوء العذاب قال وجاز أيضاً أن تكون مرتبة على اعتصار تفسير سوء العذاب كأن قالوا ما سوء العذاب فدل النار يعرضون عليها فاجرة حاق بكسر الحاء وكذلك في كل القرآن والباقيون بالفتح أماف قوله النار يعرضون عليها غدوا وعشيا فبعد مسائل (المسئلة الاولى) احتج أصحابنا بهذه الآية على اثبات عذاب القبر بما رواه

والو حوش صوف حوله فرجعوا رباً فقتلهم (سوء العذاب) الفرق والقتل والنار) النار يعرضون عليها غدوا وعشيا) جملة مستأنفة مسوقة لبيان كثرة سوء العذاب أو النار خير مما تحذوف كأن قالوا ما سوء العذاب فقل هو النار ويعرضون استئناف البيان أو يدل من سوء العذاب ويعرضون حال منها أو من الآل ولا يشترط في الخلق أن يكون الحسنات ذلك السوء بعينه حتى يردن آل فرعون لم يحسوا بتعذيبه بالنار ليكون ابتلاؤهم به امن قيل رجوع ما هموا به عليهم بل يكفى في ذلك أن يكون مما يطلق عليه اسم السوء وقرئت منصوبة على الاختصاص أو بإضمار فعل يفسره يعرضون مثل يصلون فان عرضهم على النار باجرافهم بها من قواهم عرض الاسارى على السيف اذا قتلوا به وذلك لأرواحهم ناروى ابن

مسعود رضى الله عنه أن ارواحهم ﴿ ٤٣ ﴾ في اجواف طير سود تعرض على النار بكرة وعشيا الى يوم

تعالى أعلم بحالهم وأما تأكيد هذا ما دامت الدنيا (ويوم تقوم الساعة) يقال للملائكة (ادخلوا آل فرعون
أشد العذاب) أي عذاب جهنم فإنه أشد مما كانوا فيها وأشد عذاب جهنم فإن عذابها ألوان بعضها أشد من
بعض وقرئ ادخلوا من الدخول أي يقال لهم ادخلوا آل فرعون ٣٣٠ ﴿ فرعون أشد العذاب ﴾ (وإذا دعا جوف النار)

الآية تقضي عرض النار عليهم غدوا وعشيا وليس المراد منه يوم القيامة لأنه قال
ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب وليس المراد منه أيضا الدنيا لأن
عرض النار عليهم غدوا وعشيا ما كان حاصله في الدنيا ثبت أن هذا العرض إنما حصل
بعد الموت وقبل يوم القيامة وذلك يدل على اثبات عذاب التعذيب في حق هؤلاء وإذا ثبت
في حقهم ثبت في حق غيرهم لأنه لا فارق بين الفرق فإن قيل لم لا يجوز أن يكون المراد من
عرض النار عليهم غدوا وعشيا عرض النساخ عليهم في الدنيا لأن أهل الدين إذا ذكروا
لهم الترغيب والترهيب ونحو فوهم بعذاب الله فقد عرضوا عليهم النار ثم يقول في الآية
ما نعلم من حله على عذاب القبر ويأنه من وجهين (الاول) أن ذلك العذاب يجب أن
يكون دائما غير منقطع وقوله يمرضون عليهم غدوا وعشيا يقتضي أن لا يحصل ذلك
العذاب إلا في هذين الوقتين ثبت أن هذا لا يمكن حله على عذاب القبر (الثاني) أن العدة
والعشيرة إنما يحل لان في الدنيا أمان القبر فلا وجود لها فأثبت بهذين الوجهين أنه
لا يمكن حل هذه الآية على عذاب القبر والجواب عن السؤال الاول أن في الدنيا عرض
عليهم فكان تذكرهم أمر النار لأنه لا يعرض عليهم نفس النار فعلى قولهم يصيرون
الآية الكلمات المذكورة لأمر النار كانت تعرض عليهم وذلك يقتضي أن ترك ظاهر
المنظور العدول إلى الجواز أما قوله الآية تدل على حصول هذا العذاب في هذين الوقتين
وذلك لا يجوز قلنا لا يجوز أن يكفى في القبر بإرسال عذاب اليه في هذين الوقتين ثم عند
قيام القيامة يأتي في النار فيدبر عذابه بعد ذلك وأيضا لا يمنع أن يكون ذكر العدة
والعشيرة كناية عن الدوام كدوله وأهم زرقهم فيها بكثرة وعشيا أما قوله أنه ليس في القبر
واقامة القدرة وعشيرة قلنا لا يجوز أن يقال إن عند حصول هذين الوقتين لاهل الدنيا
يعرض عليهم العذاب والله أعلم (المسئلة الثانية) قرأنا في حقه وقال الكسائي وحفص عن
عاصم ادخلوا آل فرعون أي يقال لخزنة جهنم ادخلوهم في أشد العذاب والباقيون
ادخلوا إلى معنى أنه يقال هؤلاء الكفار ادخلوا أشد العذاب والقرأة الاولى اختيار
أي عبيد قوا حتى عليها بقوله تعالى يمرضون فهذا يفعل بهم فكذلك ادخلوا وأما وجه
القرأة الثانية قوله ادخلوا أبواب جهنم وهذه آخر الكلام في قصة مؤمن آل فرعون
واعلم أن الكلام في تلك القصة لنا نجر إلى شرح أحوال النار لاجرم ذكر الله عقيبها
قصة المناظر التي تجري بين الرؤساء والاتباع من أهل النار فقال وإذا دعا جوف
النار والمعنى إذا كرر يا محمد قولك إذا دعا جوف أي يحاجج بعضهم بعضهم شرح خصوصتهم
وذلك أن الضمير في قوله للرؤساء أنا كذلككم تبع في الدنيا قال صاحب الكشاف تبع
كخدم في جمع خادم أو ذوى تبع أي اتبع أو وصف بالمصدر فهل أنتم معون عذابنا من
النار أي فهل تقدرون على أن تدفعوا أهل الرؤساء عنا نصيبا من العذاب واعلم أن
أولئك الاتباع يعلمون أن أولئك الرؤساء لا قدرة لهم على ذلك التخفيف وإنما قصودهم

أي وإذا ذكر قولك وقت
تخاصمهم فيها (فيقول
الضمر فيه) منهم (لأنهم
استكبروا) وهم
رؤسائهم (أنا كذلككم
تبعنا) أتباعا كخدم في
جمع خادم أو ذوى تبع
أي اتبع أو على اعتبار
المضاف أو تبعه على
الوصف بالمصدر والصفة
(فهل أنتم معون
عذابنا من النار)
بالدفع أو الجمل ونصيبا
منعسوب بمعنى يدين
عليه معون أي دافعون
عنا نصيبا الخ أو معون
على نصيبه معنى الجز
أي معون عذابنا من
نصيبنا الخ أو نصيب على
المصدر في كسائي قوله
تعالى أن نفخ عنهم
أموالهم ولأولادهم
من الله شيئا فته في موقع
نفاذ فكذلك نصيبا (قال
الذين استكبروا أنا كل
فيها) أي نحن وأنتم
فكف نفخ عنكم
ولو قدرنا لا غنى لنا
أنفسنا وقرئ كلا على
التأنيد لاسم إن بمعنى
كلنا ونحوه عوض
عن المضاف إليه ولا

مساغ لعله خال من المستكن في الطرف فإنه لا يعمل في الحال المتقدمة كما يعمل في الطرف المتقدم فالتقول ﴿ من كل يوم تك ثوب ولا تقول جديدا لك ثوب ﴾ (إن الله قد حكم بين العباد)

وقضى قضاءه متناحرا له ولا مقبب لحكمة (وقال الدين في النار) من الضعفاء والمستكبرين جميعا لما ضاقت خيلهم
وعبت بهم علاهم (نظرته جهنم) أي لقوام به مذبح أهل النار ووضع جهنم موضع الضعفاء التهميل والتفطير أوليان محلهم
فيمابان تكون جهنم أبعد دركات النار وفيها (٢٣١) أعني الكفرة فأطعهم أولئك الملائكة الموكلين بعداب

أهلهم أفسر على الشفاعة
أزيد فر بهم من الله
تعالى (ادعوا ربكم
تخفف عنا يوما) أي
مقدار يوم أو في يوم ما
من الأيام على أنه ظرف
للمعيار شبه (من العقاب)
واقصا رهم في الاستدعا
على ما ذكر من تخفيف
قدر يسير من العقاب
في مقدار قصير من
الزمان دون رفعه رأسا
أو تخفيف قدر كثير
منه في زمان مديد لأن
ذلك عندهم مما يس
في حيز الامكان ولا يكاد
يدخل تحت اعابهم
(فالسوا) أي الخزنة
(أولئك تأتكم رسلكم
بالبينات) أي أنهم يهتدوا
على هذا أولئك تأتكم
رسلكم في الدين يساع على
الاستمرار بالحجج
الواضحة الدالة على
سوء مغبة ما كنتم عليه
من الكفر والمعاصي
تأني قوله تعالى ألم تأتكم
رسل مبشرين يقولونكم
آيات ربكم وينذرونكم
لقاء يومكم هذا أرادوا
بذلك الزمان هم
وتوبخهم على اعتصام

من هذا الكلام المبانة في تحجيل أولئك الرؤساء وإيلاهم فأوبهم لأنهم هم الذين سوا
في إيقاع هؤلاء الاتباع في أنواع الضلالات فعند هذا يقول الرؤساء ان اكل فيها يعني ان
كلنا واقعون في هذا العذاب فلو قدرت على ازالة العذاب عنك ادفعته عن نفسي ثم
يقولون ان الله قد حكم بين العباد يعني يوصل الى كل أحد مقدار حسنة من النعيم
أو من العذاب ثم عند هذا يحصل اليأس الاتباع من التبرصين فيرجعون الى خزنة
جهنم ويقولون لهم ادعوا ربكم تخفف عنا يوما من العذاب فان قيل لم يقل وقال
الذين في النار لخزنتها بل قال وقال الذين في النار لخزنة جهنم قلنا فيه وجهان (الاول)
أن يكون المقصود من ذكر جهنم التهويل والتفطير (والثاني) أن يكون جهنم اسما
لموضع هو أبعد النار قعران قولهم يفرجهنم أي بعدة أمر وفيها أعظم أقسام
الكفار صوبة وخزنة ذلك الموضع تكون أعظم خزنة جهنم عند الله درجة فإذا صرف
الكفار ان الأمر كذلك استغاثوا بهم فأولئك الملائكة يقولون لهم أولئك تأتكم
رسلكم بالبينات والمقصود أن قبل ارسال الرسل كان للقوم أن يقولوا انه ما به تان بشير
ولانذار ما به مجي الرسل فلم يبق عذر ولا حيلة كقول تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولا وهذه الآية تدل على ان الواجب لا يتحقق الا بعد مجي الشرع ثم ان أولئك
الملائكة يقولون للكفار ادعوا أتم فانا لنجبرتم على ذلك ولانشفهم الا بشرطين
(أحدهما) كون المشفوع له مؤمنا (والثاني) حصول الاذن في الشفاعة ولم يوجد
واحد من هذين الشرطين فاقدما على هذه الشفاعة تمتنع لكن ادعوا أتم وليس
قواهم فادعوا الرجاء المنفعة ولكن للدلالة على الخيبة فان الملك المقرب اذا لم يسمع دعاؤه
فصكف يستمع دعا الكفار ثم يصرحون لهم بأنه لا ترد صلواتهم فيقولون وما دعا
الكافرين الا في ضلال فان قبل ان الحاجة على الله تعالى واذا كان كذلك امتنع أن
يقال انه تأذي من هؤلاء الخيبرين بسبب جرمهم واذا كان التأذي محسالا عليه كانت
شهوة الانتقام معتنة في حقه اذا ثبت هذا فنقول ابصار هذه المضار العظيمة الى أولئك
الكفار اضرا لا منفعة فيه الى الله تعالى ولا اخذ من العبيد فهو اضرا حال عن جرم
الجهات المتشقة فكيف يليق بالرحيم الكريم أن يبق على ذلك الايلا م أبدا لا يود دهر
الداهرين من غير أن يرحم حاجتهم ومن غير أن يسمع دعاهم ومن غير أن يلتفت الى
تضررهم وانكسارهم ولو أن أقسى الناس قلبا قول مثل هذا العذوب ببعض عبيده
لدعاه كرمه ورحمته الى العفو عنه مع أن هذا السيد في محل الدفع والضرر والحاجة فأكرم
الأكرمين كيف يليق به هذا الاضرار قلنا افعال الله لا تعمل ولا يستل عفاي فعل وهم
يسئلون فلما اجاب الحكم الحق به في الكتاب الحق وجب الاقرار به والله أعلم بالصواب
* قوله تعالى (انما نضر رسلا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد يوم
لا ينفع الضالين معذرتهم ولاعتذارهم ولاعتذارهم من الدار وقد آتينا موسى الهدى وأورثنا

أوقات الدعاء ونطيل أسباب الاجابة (قالوا لي) أي أنونا بها فكنا ناهم كأن طاق في قوله تعالى لي قد آتينا ناذير فكذبنا
وقلنا ما نزل الله من شيء ان أتم الا في ضلال كبير والفاء في قوله تعالى (قالوا فادعوا) فصيغة تاني

قول من قال * فقد جئنا خراسانا * أي إذا كان الأمر كذلك فادعوا إليكم فإن الدعاة لمن يعمل ذلك مما يسهل صدورهم
عنا وتعليل امتناعهم عن الدعاة بعدم الأذن فيه مع عرانه عن بيان أن سبيلهم كما يفسح عند الفاء رعايهم أن
الأذن في جيرة الامكان وأنهم لو أذن لهم * ٣٣٢ * فيه لفعلاوا وأمرهم بالدعاة اطاعهم في الاجابة بل

اقناطهم منها والظهار
خبيثهم حسبما صرحوا به
في قوالهم (ومادعا
الكافرين الا في ضلال)
أي ضياع وإسفلان
وقوله تعالى (اننا لننصر
رسلانا والذين آمنوا)
أخ كلام مستأنف مسوق
من جهته تعالى لبيان
أن ما أصاب الكفرة
من العذاب المحكي من
فروع حكم كلي تقضيه
الحكمة وهو أن شأننا
المستمر أما ننصر رسلانا
وأبناءهم (في الحيوة
الدنيا) بالحجة والظفر
والانتقام لهم من الكفرة
بالاستئصال والقتل
والسبي وغير ذلك من
العقوبات ولا يقدح في
ذلك ما قد يقع فيهم من
صورة الغلبة أفتحازنا
العبدة انما هي بالعواقب
وغالب الامر (ويوم
يقوم الشهداء) أي يوم
القيامة عبر عنه بذلك
للاعتبار بكيفية النصرة
وأفاننا نكون عند جميع
الاوليين والآخرين
شهاوة الإشهاده
لرسولنا بالتواضع وعلى
الكفرة بأننا نكسرهم
لايقع الظلم عليهم

بين اسرائيل الكتاب هدى وذكرى لاولى الابواب فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك
وسبح بحمده ربك بالمشي والابتكار (اعلم ان في كيفية النظم وجوها (الاول) انه تعالى
لما ذكر وقاية الله موسى صلوات الله عليه وذلك المؤمن من مكر فرعون بين في هذه الآية
انه ينصر رسله والذين آمنوا معه (الثاني) لما بين من قبل ما يقع بين أهل النار من
التخاصم وانهم عند النزاع الى خزنة جهنم يقولون ألمك تأتيناكم رسلكم بالبينات انتم ذلك
بذكر الرسل والله ينصرهم في الدنيا والآخرة (والثالث) وهو الاقرب عندى ان الكلام
في أول السورة انما وقع من قوله ما تعادى في آيات الله الا الذين كفروا فلا يفررك تقابلهم
في البلاد وامتداد الكلام في ازيد على أولئك المجادلين وعلى أن المحتين أبدا كانوا مشغولين
بشفع كيد المبطلين وكل ذلك انما ذكره الله تعالى تسلية لرسول صلى الله عليه وسلم
وتصهيره على تحمل أذى قومه ولما بلغ الكلام في فقر بالمطلوب الى الغاية القصوى
وعنده الى رسوله بأن ينصره على أعدائه في الحياة الدنيا وفي الآخرة فقال اننا لننصر
رسلانا الآية أما في الدنيا فهو المراد بقوله في الحياة الدنيا وأما في الآخرة فهو المراد بقوله
ويوم يقوم الشهداء فحاصل الكلام انه تعالى وعد بأنه ينصر الانبياء والرسل وينصر
الدين ينصرهم نصرة بطهر أثرها في الدنيا وفي الآخرة واعلم ان نصرة الله للمحتين تحصل
بوجوه (أحدها) ان نصرة بالحجة وقدمى الله الحجة سلطانا في غير موضع وهذه النصرة
عامة للمحتين أجمع ونعم ما عي الله هذه النصرة سلطانا لان السلطنة في الدنيا قد تبطل
وقد تبدل بالافتقار والدالة والحاجة والفتور أما السلطنة الحاصلة بالحجة فانها تبقى أبدا
الاباد ويمتد طرق الخلل والفتور اليها (وثانيها) انهم منصورون بالمدح والتعظيم فان
الظلمة وان قهر واغشضا من المحتين الا أنهم لا يقدرون على اسقاط مدحه عن السنة
الناس (وثالثها) انهم منصورون بسبب ان بواطنهم ملوثة من انوار الحجة وقوة اليقين
فانهم انما ينظرون الى الظلمة والجهال كأنهم لا ينظرون الى السموات الى أخس الاشياء
(ورابعها) ان المبطلين وان كان يفتق اهرام ان يحصل لهم استبلاء على المحتين في العالم
ان ذلك لا يسوم بل يكشف للناس ان ذلك كان أمرا وقع على خلاف الواجب ونقص
الحق (خامسها) ان الحق ان اتفق له ان وقع في نوع من أنواع المعذور فذلك يكون
سببا لمن يدنو به وتوظف درجاته (وسادسها) ان الظلمة والبطلان كما يمتدون موت آثارهم
ولا يبق لهم في الدنيا أثر ولا خير وأما المحتون فان آثارهم باقية على وجه الدهر والناس
بهم يقتدون في أعمال البر والخير ولحنهم يتركون فهذا كله أنواع نصرة الله للمحتين
في الدنيا (وسابعها) انه تعالى قد ينفعهم بالانبياء والاولياء بعد موتهم كأنهم يحيى بن ذكرى
فانه لما قتل قتل يسعون أنفا وأمانصرته تعالى اياهم في الآخرة فذلك باعلاء درجاتهم
في ميراث الثواب وكونهم مصاحبين لانبياء الله كما قال فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم
من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا واعلم أن في قوله أما

لا ينفق الظلم عليهم بعد موتهم يدل على الأول وعدم نفع المعذرة لانهما باطلا وقرى لا تنفع بالاناء (ولهم العنة) (والتنصير)
أي البعد عن الرحمة (ولهم سوء العاقبة) أي جهنم (ولقد آتينا

موسى الهدى) ما بهتدى به من المعجزات والصفى والشرائع (وأورثنا بنى اسرائيل الكتاب) وتركنا عليهم من بعده التوراة (هدى وذكرى) هداية وتذكرة أو هاديا ومذكرا (لاولى الالباب) الذى العقول السليمة العاملين باقى تضاعفه (فاصر) على مائات ٣٣٣ من اذية المشركين (ان وعد الله) أى وعده الذى

ينطق به قوله تعالى
ولقد سرقت كنزنا بعدنا
المرسلين انهم لهم
المقصودون وان جندنا
لهم العابون او وعده
الخاص بك أوجع
مواعيده التى من جعلها
ذلك (حقى) لا يحتمل
لاخلاف أصلا واستشهد
بحال موسى وفرعون
(واستغفر لذنبك)
تدارك ما سخرط منك
من ترك الاولى فى بعض
الاحايين فانه تعالى
كافيك فى نصرة ربك
واظهاره على الدين
كاه (وسبح بحمد ربك
بالعشى والابكار) أى
ودم على التسبيح قبلنا
بحمده تعالى وقبل صل
لهذين الوقتين اذ كان
الواجب بمكة ركعتين
بكرة وركعتين عشا
وقبل صل شكرار لك
بالعشى والابكار وقبل
هما صلاة العصر وصلاة
التجر (ان الذين يجادلون
فى آيات الله) ويحججون
بها (بغير سلطان أباهم)
فى ذلك من جهة تعالى
وتقييد الجسالة
بذلك مع استحالة التماسه

لنصر رسالتنا الى قوله و يوم يقوم الاشهاد دقيقة معتبرة وهى ان السلطان العظيم اذا خص
بعض خواصه بالأكرام العظيم والتشريف الكامل عند حضور الجمع العظيم من أهل
المشرق والمغرب كان ذلك ألدوا يجمع فقوله اننا لنصبر رسالتنا الى يوم يقوم الاشهاد المقصود
منه هذه الدقيقة واختلافها فى المراد بالاشهاد والظاهر ان المراد كل من يشهد بعمل العباد
يوم القيامة من ملك ونبي ومؤمن أما الملائكة فهم الكرام الكاتبون يشهدون بما
شاهدوا وأما الانبياء فقال تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئناك على هؤلاء
شهداء وقال تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول
عليكم شهيدا قال المبرد يجوز أن يكون واحد الاشهاد شاهدا كالمليار ومائة وأصحاب
وصاحب ويجوز أن يكون واحد الاشهاد شهيدا كاشراف وشريف وإمام وقيم ثم
قال تعالى يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم العنة ولهم سوء الدار قرأ ابن كثير وأبو عمرو
وابن طاهر لا تنفع بالله لتأنيث العذرة والياقون بالياء كأنه أريد الاعتذار واعلم ان
المقصود أيضا من هذا شرح تعظيم ثواب أهل الثواب وذلك لأنه تعالى بين أنه ينصبرهم
فى يوم ينصبر فيه الاولون والآخرون فقال لهم فى علو الدرجات فى ذلك اليوم ما ذكرناه وأما
حال أعدادهم فهو أنه حصلت لهم أمور ثلاثة (أحدها) أنه لا ينفعهم شئ من المعافاة البتة
(وثانيها) ان لهم العنة وهذا يفيد الحصر يعنى العنة مقصورة عليهم وهى الاهانة
والاذلال (وثالثها) سوء الدار وهو العقاب الشديد فهذا اليوم اذا كان الأعداء واقعين
فى هذه المراتب الثلاثة من الوحشة واليالة ثم انه خص الانبياء والاولياء بأنواع
التشريفات الواقعة فى الجمع الأعظم فظهر أن سرور المؤمن كم يكون وان غموم
الكافر ين الى أين تباغ فان قيل قوله يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم يدل على أنهم يدركون
الاعتذار الآن تلك الاعتذار لا تنفعهم فكيف يجمع بين هذا وبين قوله ولا يؤذن لهم
فيعتذرون قلنا قوله لا تنفع الظالمين معذرتهم لا يدل على أنهم يدركوا الاعتذار بل ليس فيه
الانه ليس عندهم عذر مقبول نافع وهذا القدر لا يدل على أنهم ذكروه أم لا وأيضا يقال
يوم القيامة يوم طویل فيعتذرون فى وقت ولا يعتذرون فى وقت آخر ولما بين الله تعالى
أنه ينصر الانبياء والمؤمنين فى الدنيا والآخرة ذكرنا نوعا من أنواع تلك النصرة فى الدنيا
فقال ولقد آتينا موسى الهدى ويجوز أن يكون المراد من الهدى ما آتاه الله من العلوم
الكثيرة النافعة فى الدنيا والآخرة ويجوز أن يكون المراد تلك الدلائل الباهرة التى
أوردناها على فرعون وأتباعه وكادهم بها ويجوز أن يكون المراد هو النبوة التى هى أعظم
المناصب الإنسانية ويجوز أن يكون المراد أنزال التوراة عليه ثم قال تعالى وأورثنا بنى
اسرائيل الكتاب هدى وذكرى لاوى الالباب يجوز أن يكون المراد منه أنه تعالى لما
أنزل التوراة على موسى بقى ذلك العلم فيهم وتوارثوه خليفا عن سلف ويجوز أن يكون المراد
سائر الكتب التى أنزلها الله عليهم وهى كتب أنبياء بنى اسرائيل لا يؤمنون بغير

للانبياء بان التكلم فى أمر الدين لا بد من استناده الى سلطان مبین البتة ودعواهم لكل يجادل بمطل وانزل
فى مشركى مكة وقوله تعالى (ان فى صدورهم الاكبر) لان أى مافى قلوبهم الاكبر عن الحق وتعلم من

الفكر والتعلم أو الإرادة الراسية والتقدم على الإطلاق أو الإرادة أن تكون النبوة لهم ذلك حسدا ونبيا حسبا قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظم فقاوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه وذلك

يجادلون فيها الآن وفيه موقع جدال ما أولاهم شيئا وبهم أن يصلح مدار المجادلون في الجملة وقوله تعالى (ما هم ببالغة) صفة لكبر قال مجاهد ما هم ببالغة صفة لكبر قال مجاهد ما هم ببالغة مقتضى ذلك الكبر وهو ما أرادوه من الراسية أو النبوة وقبل المجادلون هم اليهود وكانوا يقولون لست صاحبنا المذكور في التوراة بل هو المسيح ابن داود يريدون الدجال يخرج في آخر الزمان وبلغ سلطانه البر والبحر وتسبب معه الانهار وهو آية من آيات الله تعالى فيرجع النيا الملك فسمى الله تعالى تنبيههم ذلك كبر وانق أن يبلغوا ممتناهم (فاستعذب الله) أي فالجني البه من كيد من يحسدك ويبيح عليك وفيه رمز الى أنه من همزات الشياطين (انه هو السميع البصير) لا قولا الكبر وأفعالكم وقوله تعالى (خلق السموات والارض أكبر من خلق الناس) تحقيق الحق وتبين لاشهر ما يجادلون فيه من أمر البعث على منهاج (تحت)

أكثر من خلق الناس) تحقيق الحق وتبين لاشهر ما يجادلون فيه من أمر البعث على منهاج (تحت) أي استعمله تعالى وليس الذي في السموات والارض.

بقادر على أن يخلق مثلهم (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) لقصورهم في النظر والتأمل لفرط غفلتهم واتباعهم لاهوائهم (وما يستوى الأعمى والبصير) ﴿٣٣٥﴾ أي الغافل والمستبصر (والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسى) أي

والحسن والمسي فلا بد أن تكون لهم حال أخرى يظفر فيها ما بين الفريقين من التفاوت وهي فيما بعد البعث وزيادة في المسي لنا كيد التي لطول الكلام بانصلة ولأن المقصود في مساوئه المعنى فيقاله من الفضل والكرامة والعاطف الثاني عطف الموصول بمساعطف عليه على الاعنى والبصير لتفسير الوصفين في المقصود أو الدلالة بالصراحة والتبثيل (قليلًا ما تذكر) على الخطاب بطريق الالتفات أي تذكر قليلًا تذكرون وقرئ على الغيبة والضبط للناس أو الكفار (إن الساعة لا تية لآرب فيها) أي في مجيئها أوضح شواهدا واجماع الرسل على الوعد بوقوعها (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) لا يصدقون بها لقصور أنظارهم على ظواهر ما يحسون به (وقال ربكم ادعوني) أي اعبدوني (استجب لكم) أي أجبكم لقوله

تحت بذلك أمرك ونهيك لأن النبوة تحتها كل ملك ورياسة وفي صدورهم كبر لا يرضون أن يكونوا في خدمتك فهذا هو الذي يعملهم على هذه المجادلات الباطلة والمخاضات الفاسدة ثم قال تعالى ما هم ببالغيه يعني أنهم يريدون أن يكونوا تحت يدك ولا يصلون إلى هذا المراد بل لا بد وأن يصيروا تحت أمرك ونهيك ثم قال فاستعذبانني أي فالتجني اليه من كيد من يجادلك أنه هو السميع بما يقولون أو تقول البصير بما تعمل ويعملون فهو يحكمك نافذ الحكم عليهم ويصونك عن مكرهم وكيدهم واعلم أنه تعالى لما وصف جلالهم في آيات الله بأنه بغير سلطان ولا حجة ذكر لهم أمثالا فقال تخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس والقادر على الأكبر قادر على الأصغر لا تتعالم وتفرير هذا الكلام أن الاستدلال بالشئ على غيره على ثلاثة أقسام (أحدها) أن يقال لما قدر على الأضعف وجب أن يقدر على الأقوى وهذا فاسد (وثانيها) أن يقال لما قدر على الشئ قدر على مثله فهذا استدلال حق لما ثبت في القول أن حكم الشئ حكم مثله (وثالثها) أن يقال لما قدر على الأقوى الأكل فيأن يقدر على الأقل الأذل كل أولى وهذا الاستدلال في غاية الصحة والقوة ولا يرتاب فيه عاقل البتة ثم إن هؤلاء القوم يسلون أن خالق السموات والأرض هو الله سبحانه وتعالى ويعلمون بالضرورة أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس وكان من حقهم أن يقولوا بأن التساوي على خلق السموات والأرض يكون قادرا على إعادة الإنسان الذي خلقه أولا فلهذا يرهان جلي في أفادة هذا المطلوب ثم إن هذا البرهان على قوته صار بحيث لا يعرفه أكثر الناس والمراد منهم الذين يشكرون الحشر والتشريف فظهر بهذا المثال أن هؤلاء الكفار يجادلون في آيات الله بغير سلطان ولا حجة بل بمجرد الحسد والجهل والكبر والتعصب ولما بين الله تعالى أن الجدال المقرون بالكبر والحسد والجهل كيف يكون وأن الجدال المقرون بالحجة والبرهان كيف يكون نية تعالى على الفرق بين البابين بذكر المثال فقال وما يستوى الأعمى والبصير يعني وما يستوى المستدل والجاهل المثلث ثم قال والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسى فالمراد بالاول أن تفاوت بين العالم والجاهل والمراد بالثاني التفاوت بين الآتي بالأعمال الصالحة وبين الآتي بالأعمال الفاسدة الباطلة ثم قال قليلا ما تذكرون يعني أنهم وإن كانوا يعلمون أن العلم خير من الجهل وأن العمل الصالح خير من العمل الفاسد إلا أنه قليلا ما تذكرون في النوع المعين من الاعتقاد أنه علم أو جهل والنوع المعين من العمل أنه عمل صالح أو فاسد فالاحسد يعني قلوبهم فيعتقدون في الجهل والتقليد أنه محض المعرفة وفي الحسد والحقد والكبر أنه محض الطاعة فهذا هو المراد من قوله قليلا ما تذكرون فمرادهم وحجة والكسائي تذكرون بالثاء على الخطاب أي قل لهم قليلا ما تذكرون والباقيون بالياء على الغيبة ولما قرر الدليل الدال على إمكان وجود يوم القيامة أرفده بأن أخبر عن وقوعها ودخولها في الوجود فقال إن الساعة لا تية لآرب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون

تعالى (إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) أي صاغرين أذلاء وانفسر الدعاء بالسؤال كان الأمر الصارف عنه

منه لا منزلة الاستكبار عن العادة للعبادة أو المراد بالعبادة الدعاء فإنه من أفضل أبوابها وقرئ سيدخلون على صيغة
الدين المفعول من الإدخال (الله الذي جعل لكم الليل ﴿ ٣٧٦ ﴾ لتسكنوا فيه) بأن خلقه باردا مظلما ليؤدي إلى

والمراد بأكثر الناس الكفار الذين يشكون البعث والقيامة ﴿ قوله تعالى ﴾ (وقال ربكم
ادعوني أستجب لكم) الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين الله الذي
جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا إن الله ذو فضل على الناس ولكن أكثر
الناس لا يشكرون ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو فأنى تكون كذلك يؤفك
الذين كانوا بآيات الله ينجحون) اعلم انه تعالى لما بين ان القول بالقيامة حق وصدق
وكان من المعلوم باضرورة ان الانسان لا يتفجع في يوم القيامة الا بطاعة الله تعالى لاجرم
كان الاشتغال بالطاعة من أهم المهمات ولما كان أشرف أنواع الطاعات الدعاء والتضرع
لاجرم أمر الله تعالى به في هذه الآية فقال وقال ربكم ادعوني أستجب لكم واختلف
الناس في المراد بقوله ادعوني فقبل انه الأمر بالدعاء وقيل انه الأمر بالعبادة بدليل انه قال
بعده ان الذين يستكبرون عن عبادتي واولا ان الأمر بالدعاء أمر بمطلق العبادة لما بين
لقوله ان الذين يستكبرون عن عبادتي معنى وأيضا الدعاء بمعنى العبادة كثيرا في القرآن
كقوله ان يدعون من دونه الا انا وأجيب عنه بأن الدعاء هو اعتراض بالعبودية والذلة
والمسكنة فكانه قيل ان تارك الدعاء امتاركة لاجل أن يستكبر عن اظهار العبودية
وأجيب عن قوله ان الدعاء بمعنى العبادة كثيرا في القرآن بأن ترك الظاهر لا يضار اليه الا
بدليل من فصل فان قيل كيف قال ادعوني أستجب لكم وقد بدى كثيرا فلا يستجاب أجاب
الكعبى عنه بان قال الدعاء انما يصح على شرط ومن دعا كذلك استجيب له وذلك الشرط هو
أن يكون المطلوب بالدعاء مصلحة وحكمة ثم سأل نفسه فقال فاهو أصح يفعله بلا دعا فاما
الفائدة في الدعاء وأجاب عنه من وجهين (الاول) ان فيه الفزع والانقطاع الى الله
(والثاني) ان هذا أيضا وارد على اكل لانه ان علم أنه يفعله فلا بد وان يفعله فلا فائدة
في الدعاء وان علم انه لا يفعله فانه اليه لا يفعله فلا فائدة في الدعاء وكل ما يقوله ههنا فهو
جوابنا هذا تمام ما ذكره عندى فيه وجه آخر وهو أنه قال ادعوني أستجب لكم فكل
من دعا الله وفي قلبه ذرة من الاعتماد على ماله وجهه وأقاربه واصدقائه وجده واجتهاده
فهو في الحقيقة ما دعا الله الا بالمال ان أبا طالب فانه دعول في تحصيل ذلك المطلوب على
غير الله فهذا الانسان مادعا ربه في وقت اما اذا دعا في وقت لا يلقى في القلب الفات الى غير
الله فانظروا انه تحصل الاستجابة اذا عرفت هذا وفيه بشارة كاملة وهي ان انقطاع القلب
بالكلية عما سوى الله لا يحصل الا عند القرب من الموت فان الانسان قاطم في ذلك الوقت
بأنه لا يفعله شيء سوى فضل الله تعالى فعلى القانون الذي ذكرناه وجب أن يكون الدعاء
في ذلك الوقت مقبولا عند الله ونرجو من فضل الله واحسانه أن يؤفقا للدعاء المقرون
بالاخلاص والتضرع في ذلك الوقت واعلم ان الكلام المستقصى في الدعاء قد سبق ذكره
في سورة البقرة ثم قال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين أى
صاغرين وهذا احسان عظيم من الله تعالى حيث ذكر الوعيد الشديد على ترك الدعاء فان

صديق المحركات وهذه
الحواس تشتت بحواسه
وتفقد الجار والمجور
على المفعول قد مر
مرارا (والنهار مبصرا)
أى مبصرا فيه أو به
(ان الله ذو فضل)
عظيم لا يوازيه ولا يذنيه
فضل (على الناس)
ولكن أكثر الناس لا
يشكرون) لجهنم بالعلم
واغفلهم مواضع العلم
وتكرر الناس للتخصيص
الكفران بهم (ذكم)
المفرد بالافعال المقضية
للأهوية والربوبية
(الله ربكم خالق كل
شيء لا اله الا هو) أخبار
متردفة تخصص
اللاحقة منها السابقة
وتقرر بها وقرئ خالق
بالنصب على الاختصاص
فيكون لا اله الا هو
استثنافا عما هو كالنتيجة
للأوصاف المذكورة
(فأنى تكون) فكيف
ومن أى وجه تصرفون
عن عبادته خاصة الى
عبادة غيره (كذلك
يؤفك الذين كانوا
بآيات الله ينجحون)
أى مثل ذلك الاول

المعجب الذي لا وجه له ولا صيغ أصلا يؤفك كل من جسد بآياته تعالى أى آياته كانت لا فكا ﴿ قيل ﴾
آخر له وجه وصيغ في الجملة

(الله الذي جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناءً) بيان أفضله تعالى المتعلق بالمكان بعد بيان فضله المتعلق بالزمان وقوله تعالى (وصوركم فأحسن صوركم) بيان لأفضله المتعلق بأنفسهم والفاء في فأحسن تفسيرية فإن الإحسان عين التصوير أى صوركم أحسن تصويركم ٣٣٧ حيث خلقكم من طين القاعمة ادى البشرية متشابهة

الاعضاء، والمخططات
متشابهة لمرأولة الصنائع
واكتساب الكمالات
(ورزقكم من الطيبات
أى المذاذ) (ذالكم) الذى
نعت بما ذكر من النعمت
الجليلة (الله ربكم)
خبر ان ذالكم (فتبارك
الله) أى تعالى بذاته
(رب العالمين) أى مالكمهم
ومررتهم والكل تحت
ملكوته مقرر اليه فى ذاته
ووجوده وسائر أحواله
جميعاً بحيث لو انقطع
فبفضله عنه آتانا لعدم
بالكلية (هو الحى) المنفرد
بالحياة الدائمة الحقيقية
(لا اله الا هو) اذ لا موجود
يدانيه فى ذاته وصفاته
وأفعاله (فادعوه) فاعبدوه
خاصة لاختصاص ما
يوجب به تعالى (مخلصين
له الدين) أى الطاعة من
الشرك الجلى والحقى
(المجد لله رب العالمين)
أى قائلين ذلك عن ابر
عباس رضى الله عنهما
من قال لا اله الا الله فليقل
على اثرها المجد لله رب
العالمين (قل انى نهيت
أن أعبد الذين تدعون
من دون الله لاجابى

قل روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال حكاية عن رب العزة انه قال من شغله
ذكرى عن مسئلتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين فهذا الخبر يقتضى أن ترك الدعاء
أفضل وهذه الآية تدل على أن ترك الدعاء واجب الوعيد الشديد فكيف الجمع بينهما قلنا
لا شك أن العزل اذا كان مستغرقاً فى البناء كان ذلك أفضل من الدعاء لان الدعاء طلب للحفظ
والاستغراق فى معرفة جلال الله أفضل من طلب الحفظ اذ الم يحصل ذلك الاستغراق كان
الاشتغال بالدعاء أولى لان الدعاء يشتمل على معرفة عزة الربوبية وثلة العبودية ثم قال
تعالى الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه واعلم أن تعاقبه بما قبله من وجهين (الاول)
كانه تعالى قال انى أنعمت عليك قبل طلبك لهذه النعم الجليلة العظيمة ومن أنعم قبل
السؤال بهذه النعم العالمة فكيف لا ينعم بالاشياء القابلة بعد السؤال (والثانى) انه
تعالى لما أمر بالدعاء فكأنه قيل الاشتغال بالدعاء لا بد وأن يكون مسبوقاً بحصول المعرفة
فالدليل على وجود الله القادر وقد ذكر الله تعالى هذه الدلائل العشرة على وجوده
وقدرته وحكمته واعلم اننا بينا أن دلائل وجود الله وقدرته اما فلكية واما عنصرية اما
الفلكية فاقسام كثيرة (أحدها) تعاقب الليل والنهار وكان أكثر فصالح العالم من بوطا
بهما فذكرهما الله تعالى فى هذا المقام وبين أن الحكمة فى خلق الليل حصول الراحة
بسبب النوم والسكون والحكمة فى خلق النهار ابصار الاشياء ليحصل مكنة التصرف
فيها على الوجه الانفع اما أن السكون فى وقت النوم سبب لراحة فيبانه من وجهين
(الاول) ان الحركات توجب الاعياء من حيث ان الحركة توجب الخسوف والجفاف
وذلك يوجب التلثم (والثانى) أن الاحساس بالاشياء انما يمكن بإتصال الارواح الحسية
الى ظاهر الحس ثم ان تلك الارواح تتحمل بسبب كثرة الحركات فتضعف الحواس
والاحساسات واذا نام الانسان غابت الارواح الحسية فى باطن البدن وكرت وقويت
وتخلصت عن الاعياء وأيضاً الليل بارد رطب فهو دونه ويطو به يتدارك ما حصل فى
النهار من الحر والجفاف بسبب ما حدث من كثرة الحركات فهذه هى المنافع المطلوبة من
قوله تعالى الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه وأما قوله والنهار مبصر فاعلم ان
الانسان مدنى بالطبع ومعناه انه مالم يحصل مدينة تامة لم تنظم همهمات الانسان فى
ما كواه ومشروبه وملبسه ومكنه وتلك المهمات لا تحصل الا بتأثير النور حتى يعين الانسان
الاعمال تصرفات فى أمور وهذه التصرفات لا تكمل الا بالنور حتى يعين الانسان
بسبب ذلك النور بين ما يوافقه وبين ما لا يوافقه فهذا هو الحكمة فى قوله والنهار مبصر
فان قيل كان الواجب بحسب رعاية التنظيم أن يقال هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه
والنهار لتبصروا فيه أو فجعل لكم الليل ساكنوا ولكن لم يقل كذلك بل قال فى الليل لتسكنوا
فيه وقال فى النهار مبصروا فالتأنيده وأيضاً فما الحكمة فى تقديم ذكر الليل على ذكر
النهار مع ان انشراح أشرف من الليل قلنا أما الجواب عن الاول فهو ان الليل والنوم فى

البيانات من ربى) من الحجج والآيات ٤٤ سا أو من الآيات لكونها مؤيدة لأدلة العقل متبهة عليها فان
الآيات التزييلية مفسيرات للآيات التكوينية الإلحاقية والأيقينية (وأمرت أن أسلم لرب

العالمين) أي بأن أنفاسه وأخلص له ديني (هو الذي خلقكم من تراب) أي في ضمن خلق آدم عليه الصلاة والسلام منه جسما من تحفيقه مرارا (ثم من نطفة) أي ثم خلقكم خلقا تفصيليا من نطفة أي مني (ثم من علقه ثم يخرجكم طفلا) أي أطفالا والأفراد ٢٣٨ لا إرادة الجنس أو إرادة كل واحد من أفراد

الخلق طبيعة عدمية فهو غير متصور بالذات اما بالنطفة فأمر وجودية وهي مقصودة بالذات وقد بين الشيخ عبد القاهر النحوي في دلائل الإعجاز أن دلالة صيغة الاسم على التمام والكمال أقوى من دلالة صيغة الفعل عليها وهذا هو السبب في هذا الفرق والله أعلم وأما الجواب عن الثاني فهو أن النطفة طبيعة عدمية والنور طبيعة وجودية والعدم في المحذورات مقدم على الوجود ولهذا السبب قال في أول سورة الانعام وجعل الظلمات والنور وعلم انه تعالى لما ذكر مآنى الليل والنهار من المصالح والحكم البالغة قال ان الله ذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون والمراد ان فضل الله على الحق كثير جدا ولكنهم لا يشكرونه وعلم ان ترك الشكر أوجوه (أحدها) أن يعتقد الرجل ان هذه النعم ليست من الله تعالى مثل ان يعتقد أن هذه الافلاك واجبة الوجود لذواتها وواجبة الدوران لذواتها فيعتقد هذا الرجل لا يعتقد أن هذه النعم من الله (وثانيها) أن الرجل وان اعتقد أن كل هذا العالم حصل بتخليق الله وتكوينه الآن هذه النعم العظيمة أعني نعمة تعاقب الليل والنهار لمادامت واستمرت نسبها الانسان فاذا التفت الى الانسان يفتقدان شيء منها عرف قدرها مثل أن يفتقد لبعض الناس والعباد بالله أن يحبس بعض الظلمة في آبار عبقة مظلمة مدة مديدة فيعتقد يعرف ذلك الانسان قدر نعمة الهواه الصافي وقدر نعمة الضوء ورأيت بعض الملوك كان يعذب بعض خدومه بأن أمر أقواما حتى يمنعونه من الاستناد الى الجدار وعن النوم فعمتهم وقم هذا التعذيب (وثالثها) أن الرجل وان كان عارفا بما وقع هذه النعم الا انه يكون حريصا على الدنيا محبا للأن والجاه فاذا فاتته المال الكثير والجاه العريض وقم في كفر ان هذه النعم العظيمة ولما كان أكثر الخلق هالكين في أحد هذه الازدية الثلاثة التي ذكرنا هالاجرم قال تعالى ولكن أكثر الناس لا يشكرون ونظيره قوله تعالى وقليل من عبادي الشكور وقول ابليس ولا تجند أكثرهم شاكرين ولما بين الله تعالى هناك الدلائل المذكورة وجود الله القادر الرحيم الحكيم قال ذلك الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو قال صاحب الكشف ذلكم المعلوم المحي بالافعال الخاصة التي لا يشاركه فيها أحد هو الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو أخبار مترادفة أي هو الجامع لهذه الاوصاف من الآلهة والربوبية وخلق كل شيء والله لا ثاني له فأي توفاكون والمراد أي تصرفون ولم تعدلون عن هذه الدلائل وتكذبون بها ثم قال تعالى كذلك يوفك الذين كانوا بآيات الله يحدسون يعني أن كل من يجد بآيات الله ولم يتأملها ولم يكن فيه هممة اطلب الحق ونزف العاقبة أنك كما أنكوا * قوله تعالى (الله ان الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء وصورتكم فاحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحي لا اله الا هو فادعوه بتخصيص له الدين الحمد لله رب العالمين قل اي نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاني البينات من ربي وأمرت أن أسلم لرب العالمين هو الذي خلقكم من تراب ثم نطفة ثم من

(ثم لتبلغوا أشدكم) علقه ليخرجكم معطوفة على علقه أخرى له مناسبة لها كأنه قيل ثم يخرجكم طفلا لتكبروا شيئا فشيئا ثم لتبلغوا الكبر في القوة والعقل وكذا الكلام في قوله تعالى (ثم لتكونوا شيوخا) ويجوز عطفه على لتبلغوا أو قري شيئا كقوله تعالى طفلا (ومنكم من يتوفى من قبل) أي من قبل الشيخوخة بعد بلوغ الأشد وقبله أيضا (ولتبلغوا) متعلق بفعل مقدر بعده أي ولتبلغوا (أجلا مسمى) هو وقت الموت أو يوم القيامة بفعل ذلك (وله لكم تعقلون) ولكي تعقلوا مآنى ذلك من فزون الحكم والعبر (هو الذي يحيي الاموات ويميت) الاحياء وألله الذي يفعل الاحياء والامانة (فاذا قضى أمرا) أي أراد أمرا من الامور (فانما يقول له كن فيكون) من غير توقف على شيء من الاشياء أصلا وهذا تمثيل لتأثير قدرته تعالى في المقدورات عند تعلق

إرادته بها وتصوير اسرعة ترتيب المكونات على تكوينه من غير أن يكون هناك أمر ومأمور والفاء * حلقه الأولى للدلالة على أن ما بعدها من نتائج ما قبلها من اختصاص الاحياء والامانة

به سبحانه (المترالي الذين يجادلون في آيات الله أني بصرفون) تعريب من أحوالهم الشائعة وآرائهم الركيكة وتهبذ
لما يقضيه من بيان تكذيبهم بكل القرآن وبسائر الكتب والشرائع وترتيب الوعيد على ذلك كما أن ماسبق من قوله
تعالى ان الذين يجادلون في آيات الله الخ ٢٣٩ هـ بيان لاشتهاء جدالهم على مذهب فاسد لا يكاد يدخل تحت
الوجود وهو الامنية

علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتسألوا أشدكم ثم لتكونوا شيوعا ومنكم من يتوفى من قبل
ولتسألوا اجلا مسمى ولعلكم تعقلون (اعلم اننا بينا أن دلائل وجود الله وقدرته اما
أن تكون من باب دلائل الآفاق أو من باب دلائل الانفس أما دليل الآفاق فالمراد بكل
ما هو غير الانسان من كل هذا العالم وهي أقسام كثيرة والمذكور منها في هذه الآية
أقسام منها أحوال الليل والنهار وقديسبى ذكره (وثانيها) الارض والسماء وهو المراد
من قوله الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء قال ابن عباس في قوله قرارا أى منزلا
في حال الحياة وبعد الموت والسماء بناء كالسقف المضروبة على الارض وقيل مسك الارض
بلا عمد حتى أمكن التصرف عليها والسماء بناء أى قناتا ثابتا والوقت علينا وأما دلائل
الانفس فالمراد منها دلالة أحوال بدن الانسان ودلالة أحوال نفسه على وجود الصانع
القادر الحكيم والمذكور منها في هذه الآية قسمان (أحدهما) ما هو محاصل ما هو حال
كآل حاله والثاني ما كان خاصا في ابتداء خلقه وتكوينه (أما القسم الاول) فأنواع
كثيرة والمذكور منها في هذه الآية أنواع ثلاثة (أولها) حدوث صورته وهو المراد من
قوله وهو صوركم (وثانيها) حسن صورته وهو المراد من قوله فاحسن صوركم (وثالثها) انه
رزقه من الطيبات وهو المراد من قوله ورزقكم من الطيبات وقد أطنبنا في تفسير هذه
الاشياء في هذا الكتاب مرارا لاسيما في تفسير قوله تعالى ولقد كرمتنا بني آدم ولما ذكر
الله تعالى هذه الدلائل الخمسة اثنتين من دلائل الآفاق وثلاثة من دلائل الانفس قل
ذاكم الله ربكم فبارك الله رب العالمين وتفسير تبارك اما الدوام والنبات واما كثرة
الخيرات ثم قال هو الحى لاله الا هو وهذا يفيد الحصر وأن لاسي الا هو فوجب أن يحمل
ذلك على الحى الذى يتمتع أن يموت امتناعا ذاتيا وحينئذ لاسي الا هو فكانه أجرى الشئ
الذى يجوز زواله مجرى المعدم واعلم ان الحى عبارة عن الدراك الفاعل والدراك
اشارة الى العلم التام والفعال اشارة الى القدرة الكاملة ولما نبه على هاتين الصفتين
من صفات الجلال نبه على الصفة الثالثة وهى الواحدانية بقوله لاله الا هو ولما وصفه بهذه
الصفات أمر العباد بشئتين (أحدهما) بالدعاء (والثاني) بالاخلاص فبعد فقال فادعوه
مخلصين له الدين ثم قال الحمد لله رب العالمين فيجوز أن يكون المراد قول الحمد لله رب العالمين
ويجوز أن يكون المراد انه لما كان موصوفا بصفات الجلال والعمة استحق لذاته أن يقال
له الحمد لله رب العالمين ولما بين صفات الجلال والعظمة قال قل انى زعميت أن أعبد الذين
تدعون من دون الله فأورد ذلك على المشركين بألين قول بصرفهم عن عبادة الاوثان
وبين أن وجه التهمى في ذلك ما جاء من البينات وتلك البينات أن الله العالم قد ثبت كونه
موصوفا بصفات الجلال والعظمة على ما تقدم ذكره وصريح العقل يشهد بأن
العبادة لا تليق الا به وان جعل الأبحار الخخونة والخشب المصورة شركا له في المعبودية
مستنكر في بدعية العقل ولما بين انه نوى عن عبادة غير الله بين انه أمر بعبادة الله تعالى

بطلق الوحي والشرائع (فسوف يعلمون) كنه ما فعلوا من الجidal والتكذيب عند مشاهدتهم لعقوباته (اذ اغلغل
في أعناقهم) ظرف يعلمون اذ المعنى على الاستقبال ولفظ الماضى ليقينه (والسلاسل) عطف على الاغلال والجار
لنية التأخير وقبل مستدا حذف

بطلق الوحي والشرائع (فسوف يعلمون) كنه ما فعلوا من الجidal والتكذيب عند مشاهدتهم لعقوباته (اذ اغلغل
في أعناقهم) ظرف يعلمون اذ المعنى على الاستقبال ولفظ الماضى ليقينه (والسلاسل) عطف على الاغلال والجار
لنية التأخير وقبل مستدا حذف

خبره لذلك خبر الاول عليه وقيل قوله تعالى (يحبون) تحببوا اي يحبون بها وهو على الاولين حال من
المستكن في الطرف وقيل استئناف وقع جوابا عن سؤال انشا من حكاية حالهم كانه قيل فاذا يكون حالهم بعد
ذلك فقيل يحبون (في الحميم) وفري والسلاسل ٣٤٠ يحبون بالنصب وفتح الياء على تقديم
المفعول وعطف
الفعلية على الاسمية
والسلاسل بالجر حلا
على المعنى لان قوله
تعالى اذا اغلغل في
اعنابهم في معنى
اوصار الياء ويدل
عليه القراءة به (ثم في
النار يصرون) اي
يصرقون من سحر التور
اذاملاء بالوقود ومنه
السبحر بالصدق كانه
سبحر بالحب اي ملئ
والمراد بيان انهم
يعذبون بأنواع العذاب
وينقلون من باب الى
باب (ثم قيل لهم أين
ما كنتم تشركون من
دون الله قالوا ضلوا عنا)
أي يقال لهم ويقاؤون
وصيغة الماضي للدلالة
على التعميق ومعنى
ضلوا عنا غابوا عنا
وذلك قيل ان يقرن بهم
آلهتهم أو ضاعوا عنا
فلم نجد ما كنا ترفع
منهم (بل لم تكن تدعوا
من قبل شيئا) أي بل
تبين لنا اننا لم تكن نعبد
شيئا بعبادتهم لما ظهر
لنا اليوم انهم لم يكونوا

خبره لذلك خبر الاول عليه وقيل قوله تعالى (يحبون) تحببوا اي يحبون بها وهو على الاولين حال من
المستكن في الطرف وقيل استئناف وقع جوابا عن سؤال انشا من حكاية حالهم كانه قيل فاذا يكون حالهم بعد
ذلك فقيل يحبون (في الحميم) وفري والسلاسل ٣٤٠ يحبون بالنصب وفتح الياء على تقديم
المفعول وعطف
الفعلية على الاسمية
والسلاسل بالجر حلا
على المعنى لان قوله
تعالى اذا اغلغل في
اعنابهم في معنى
اوصار الياء ويدل
عليه القراءة به (ثم في
النار يصرون) اي
يصرقون من سحر التور
اذاملاء بالوقود ومنه
السبحر بالصدق كانه
سبحر بالحب اي ملئ
والمراد بيان انهم
يعذبون بأنواع العذاب
وينقلون من باب الى
باب (ثم قيل لهم أين
ما كنتم تشركون من
دون الله قالوا ضلوا عنا)
أي يقال لهم ويقاؤون
وصيغة الماضي للدلالة
على التعميق ومعنى
ضلوا عنا غابوا عنا
وذلك قيل ان يقرن بهم
آلهتهم أو ضاعوا عنا
فلم نجد ما كنا ترفع
منهم (بل لم تكن تدعوا
من قبل شيئا) أي بل
تبين لنا اننا لم تكن نعبد
شيئا بعبادتهم لما ظهر
لنا اليوم انهم لم يكونوا
شياً بعبادتهم كذا في ذلك حسنة شأ في ذلك (كذلك) أي مثل ذلك الضلال العظيم (بضل الله الكافرين) حيث هو يعني
لا يهتدون الى شيء يتفعلم في الآخرة أو كاضل عنهم آلهتهم بضلهم عن آلهتهم حتى لو تطالبوا لم يتصادفوا
(ذلكم) الإضلال (بما كنتم تفرحون في الارض)

شياً بعبادتهم كذا في ذلك حسنة شأ في ذلك (كذلك) أي مثل ذلك الضلال العظيم (بضل الله الكافرين) حيث هو يعني
لا يهتدون الى شيء يتفعلم في الآخرة أو كاضل عنهم آلهتهم بضلهم عن آلهتهم حتى لو تطالبوا لم يتصادفوا
(ذلكم) الإضلال (بما كنتم تفرحون في الارض)

أى يطررون ويشكرون (غير الحق) وهو الشرك والعطيان (وما كنتم تخرجون) تخرجون في البطر والاشتر والالطاف للبالغ في التوبخ (ادخلوا أبواب جهنم) أى أبواب السبعة المقسومة لكم (خالد فيهما) مقدر اخلود كم فيها (فيس موى المتكبرين) أى ﴿٣٤١﴾ من الحق والتعبر عن مدخلهم بالموى لتكون دخولهم بطريق الخاود (فاصبر) الى أن يلاقوا ما أعد لهم

من العذاب (أن وعند الله) بتعذيبهم (حق) كائن لا محالة (فما زلتك) أى فان ترك وما زلتك لا أكيد الشريطة ولذلك لحقت التوبخ والنعل ولا تلحقه مع ان وحدها (بعض الذى نهدهم) وهو القتل والاسر (أو توفيتك) قبل ذلك (فاليان يرجعون) يوم القيامة فجاز بهم بأعالمهم وهو جواب توفيتك وجواب تركك محذوف مثل فذلك ويجوز أن يكون جوابا لهما بمعنى ان نهدهم في حياتك أولم نهدهم فانا نهدهم في الآخرة أشد العذاب وأدفعه كما ينبت عنه الاقتصار على ذكر الرجوع في هذا الموضع (وان قد أرسلنا نارا من قبلك من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) اذ قيل عدد الانبياء عليهم السلام مائة وأربعة وعشرون ألفا والمذكور قصصهم أفراد

يعنى كما ان انتقال من صفة الى صفة أخرى من الصفات التى تقدم ذكرها يدل على الآلة القادر فكذلك الانتقال من الحياة الى الموت وبالعكس يدل على اذلة القادر وقوله إذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون فيه رجوه (الاول) معناه انما نقل هذه الاجسام من بعض هذه الصفات الى صفة أخرى لم يعجب في ذلك التصرف ولم يحتاج الى التواراة فغير عن نفاذ قدرته في الكائنات والمحدثات من غير معارض ولا مدافع بما اذا قال كن فيكون (الوجه الثانى) انه عبر عن الاحياء والامانة بقوله كن فيكون فكأنه قيل الانتقال من كونه ترابا الى كونه نقطة ثم الى كونه علقة انتقالات تحصل على التدرج قليلا قليلا وأما صيرورة الحياة فهى انما تحصل لتعلق جوهر الروح بالتطبيق به وذلك يحدث دفعة واحدة فلهذا السبب وقع التعبير عنه بقوله كن فيكون (الوجه الثالث) ان من الناس من يقول ان تكون الانسان انما يتخذ من المني والدم في الرحم في مدة معينة وبحسب انتقالاته من حالات الى حالات فكأنه قيل انه يستع أن يكون كل انسان عن انسان آخر لان التسلسل محال ووقوع الحادث في الازل محال فلا بد من الاعتراف بانسان هو أول الناس فحينئذ يكون حدوث ذلك الانسان لا بواسطة المني والدم بل بإيجاد الله تعالى ابتداء فغير الله تعالى عن هذا المعنى بقوله كن فيكون * قوله تعالى (لم ترالى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون اذا الاغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون ثم قيل لهم أينما كنتم تشركون من دون الله فافضلوا عابلا لم تكن ندسوا من قبل شيا كذلك بضل الله الكافرين ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وما كنتم تخرجون ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فليس موى المتكبرين) اعلم انه تعالى عادالى ذم الذين يجادلون في آيات الله فقال ألم ترالى الذين يجادلون في آيات الله وهم الذين على أن جادلوا في انكار آيات الله ودفعتها والتكذيب بها فعجب تعالى منهم بقوله أنى يصرفون كما يقول الرجل ان لا يبين أنى يذهب بك تعبنا من غفلته ثم بين أنهم هم الذين كذبوا بالكتاب أى بالقرآن وبما أرسلنا به رسلنا من سائر الكتب فان قيل سوف للاستقبال واذا للماضى فقله فسوف يعلمون اذا الاغلال في أعناقهم مثل قولك سوف أصوم أمس قلنا المراد من قوله اذعوا اذا لان الامور المستقبل لما كانت في أخبار الله تعالى متيقنة مقطوعا بها عبر عنها باللفظ ما كان ووجد والمعنى على الاستقبال هذا اللفظ صاحب الكشاف ثم انه تعالى وصف كيفية عقابهم فقال اذا الاغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم والمعنى أنه يكون في أعناقهم الاغلال والسلاسل ثم يسحبون بتلك السلاسل في الحميم أى في الماء المسخن بنار جهنم ثم في النار يسجرون والسجور في اللغة الايقاد في التور ومعناه أنهم في النار فهى محيطة بهم ويقرب منه قوله تعالى نار الله الموقدة التى تطلع على الاغصنة ثم قيل لهم أينما كنتم تشركون من دون الله فيقولون ضلوا

معدودة وقيل أربعة آلاف من بنى اسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس (وما كان لرسول) أى وما صح وما استقام رسول منهم (أن يأتى بأية الاياتن الله) فان المعجزات على تسع فتونها اعطيا من الله تعالى قسمها بينهم حسبما اقتضته

مشيئة المنيعة على الحكم الدالة كسائر القسم ليس لهم اختيار في إتيان بعضهم أو الاستعداد بآيات المقترح منها (فأجاب
أمر الله) بالعذاب في الدنيا والآخرة (قضى بالحق) (أجاب الحق) وأتاه وأهلكه وأبطل وتعدبه (وخسر هنالك)
أي وقت يحيى أمر الله اسم مكان استعير زمان (المطلون) أي المتمسكون بآية ٣٤٢ بالباطل على الإطلاق فيدخل فيه

المعاندون المقترحون دخولا

أوليا (الله الذي جعل

لكم الأنعام) قبل من

الابر خاصة أي خافها

لاجلكم و مصلمكم

وقوله تعالى (لتركوا

منها ونها تاكلون)

تفصيل لما دل عليه

الانعام اجبالا ومن لا ينداء

الغاية ومنها ابتداء

الركوب والاكل منها

أي تعلقها بها وقيل

للتبعض أي لتركوا

بعضها وتاكلوا بعضها

لا على أن كلام الركوب

والاكل يخص بعض

معين منها بحيث لا يجوز

تعلقه بمساقاة به

الآخر بل على أن كل

بعض منها صالح لكل

منهمما وتعبيرا لنظم

الكرام في الجملة الشديد

لمراعاة الفواصل مع

الاشعار بأصالة الركوب

(واكرم فيها منافم)

أخر غير الركوب والاكل

كالبانها أو بارها

وجلودها (وتشلفوا

عليها حاجة في صدوركم)

يحمل أنما لكم من بلد

الى بلد (وعليها وعلى

الفلك تحملون) اعل

عناني غابوا عن عيوننا فلا تراهم ولا تشفعهم ثم قالوا إيلم نكن ندعو من قبل شيأى
تبين لنا أنهم لم يكونوا شيأى وما كنا عبد عبادتهم شيأى تقول حسبت أن فلانا شيأى فإذا هو
ليس بشيأى إذا جبر بعد فلم يجد عنده خيرا أو يجوز أيضا أن يقال أنهم كذبوا وأنكروا أنهم
عبدوا وغير الله كما أخبر الله تعالى عنهم في سورة الأنعام أنهم قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ثم
قال تعالى كذلك يضل الله الكافرين قال القاضي معناه أنه يضلهم عن طريق الجنة إذ
لا يجوز أن يقال يضلهم عن الحق إذ قد هداهم في الدنيا الزهرا وقال صاحب الكشاف كذلك
يضل الله الكافرين مثل ضلال آلهم عنهم يضلهم عن آياتهم حتى أنهم لو طلبوا الآلهة
أو طلبتهم الآلهة لم يجد أحد مما لا يشترطهم قال ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض أي
ذلكم الاضلال بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح بغير الحق وهو الشرك وعبادة
الاصنام ادخلوا أبواب جهنم السبعة المسمومة لكم قال الله تعالى لها سبعة أبواب لكل
باب منهم جزء مقسوم خالدون فيها فاقبس منوى التكبيرين والمراد منه ما قال في الآية
المتقدمة في صفة هؤلاء المجادلين أن في صدورهم التكبر قوله تعالى (فاصبر إن وعد الله
حق فاما نريك بعض الذي نعدهم أو نتوفيك فآيتنا ربون ولقد أرسلنا رسلا من قبلك
منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله
فأجاب أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك المطلون) اعلم انه تعالى لما تكلم من أول السورة
الى هذا الموضع في تزييف طرقة المجادلين في آيات الله أمر في هذه الآية رسوله بأن يصبر
على أيدائهم وبإحسانهم تلك المجادلات ثم قال إن وعد الله حق وعنى به ما وعده الرسول من
نصرتة ومن أنزال العذاب على أعدائه ثم قال فاما نريك بعض الذي نعدهم يعنى أولئك
الكفار من أنواع العذاب مثل القتل يوم بدر فذلك هو المطلوب أو نتوفيك قبل أنزال
العذاب عليهم فآيتنا يرجعون يوم القيامة فنتقم منهم أشد الانتقام ونظيره قوله تعالى فآيتنا
نذهبك فأنأصهم منتقمون أو نريك الذي وعدناهم فأنأصهم مقتدون ثم قال تعالى
ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك والمعنى أنه قال
لمحمد صلى الله عليه وسلم أنت كالمسلم من قبلك وقد ذكرنا حال بعضهم لك ولم تذكر حال الباقين
وليس فيهم أحد أعطاه الله آيات ومعجزات الا وقد جالده قوم فيها وكذبوه فيها وجرى عليهم
من الهم ما يقارب ما جرى عليك فصبروا وكانوا بالدين يفترحون على الانبياء اظهرا المعجزات
الرائدة على قدر الحاجة على سبيل العناد والتعنت ثم ان الله تعالى لمساعد على الصلاح في
اظهار ما أظهره والالم بظهوره ولم يكن ذلك فالحاق بنوهم فكذلك الحال في اقتراح قومك
عليك المعجزات الزائدة فلم يكن اظهارها صلاحا لاجرم ما أظهرنا هو هذا والمراد من قوله
وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله ثم قال فإذا جاء أمر الله قضي بالحق وهذا وعيد
ورده عقب اقتراح الآيات وأمر الله القيامة والمبطلون هم المعاندون الذين يجادلون في
آيات الله ويفترحون المعجزات الزائدة على قدر الحاجة على سبيل التعنت قوله تعالى (الله

المراد به جل النساء والولدان عليها بالهودج وهو السر في فصله عن الركوب والجمع بينهما وبين الفلك هو الذي
في الجمل لما بينهما من المناسبة الشامة حتى سميت سفائن البر وقيل هي الأزواج الثمانية في الركوب والاكل منها تعلقهما
بذلك كل لكن لا علم أن كلامهما محذور تعلقه بها منها

ولا يلى أن كلامهما مختص ببعض معين منها بحيث لا يجوز تسلفه بما يتعلق به الآخر بل على أن بعضها يتعلق به
الأكل فقط كالقمح وبعضها يتعلق به كلاهما كالذابل والقمح والمناقع نعم الكل وبلوغ الحاجة عليها نعم القمح
(ويرىكم آياته) دلالة السائلة على كل قدرته ووفور رحمته (فأى آيات الله) أى فأتى آية من تلك الآيات الباهرة
(تذكرون) فإن كلامها من الظهور **٢٤٣** بحسب بحث لا يكاد يجترأ على إنكارها من له عقل في الجملة وهو

ناسب لى وإضافة
الآيات الى الاسم
الجليل لقرينة المهابة
وتحويل إنكارها
وتد كبرأى هو السانع
المستفيض والتأنيث
قليل لأن التفرقة بين
المذكر والمؤنث في الاسماء
غير الصفات نحو جوار
وجارة غريب وهى
فى أغرب لإبهامه
(أفلم يسموا) أى أقعدوا
فلم يسموا (فى الأرض
فيظنوا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم)
من الأمم المهلكة وقوله
تعالى (كانوا أكثرهم
عاقبة) أشد قوة (الخ استغناء
عن قوله) أى بيان
أحوالهم ونواقبها
(وأثار فى الأرض)
بأفيدة بعدهم من الآنية
والدمسور والمصانم
وقيل هى آثار أقدامهم
فى الأرض لعظم
أجرهم (فأغنى
عنهم ما كانوا يكسبون)
ما لاولى نافية
أواسفها مبهمة منصوبة
بأغنى والثانية موصولة

الذى جعل لكم الأنعام لتزكوا منها وأمنها تاكلون ولكم فيها منافع وتبلغوا عابدين لها حجة
فى صدوركم وعليها وعلى الفلك تعملون ويرىكم آياته فأتى آيات الله تذكرون اعلم انه تعالى
لما أنطبقت فى تقرير الوعيد عادلى ذكر ما يدل على وجود الاله الحكيم الرحيم والى ذكر
ما يصلح أن يعد انعاما على العباد قال الزجاج الانعام الابل خاصة وقال القاضى هى
الازدواج الثمانية وفى الآية سوء الآيات (السؤال الاول) ان لم أدخل لام الغرض على قوله
لتزكوا وعلى قوله لتعبدوا ولم يدخل على الباقى فما السبب فيه (الجواب) قال صاحب
الكشاف الركوب فى الحج والغزو افعال يصح كون واجبا أو مندوبا فبذلكان القسبان
اغراض دينية فلا جرم أدخل عليها حرف التعليل وأما الأكل واصابة المنافع فى جنس
المباحات فلا جرم ما أدخل عليها حرف التعليل لظهور قوله تعالى والخليل والبالغ والحمير
لتزكوا وزينة فأدخل التعليل على الركوب ولم يدخله على الزينة (السؤال الثانى) قوله
تعالى وعليها وعلى الفلك تعملون معناه تعملون فى البر والبحر إذا عرفت هذا فلو لم يقل
وفى الفلك كما قال فلما أحل فيها من كل زوجين اثنين والجواب ان كلمة على للاستعلاء
فأشئ الذى يوضع فى الفلك كما يصح أن يقال وضع فيه يضع أن يقال وضع عليه وما وضع
الوجهان كانت لفظة على أولى حتى يتم المراد فى قوله وعليها وعلى الفلك تعملون ولما ذكر
الله هذه الدلائل الكثيرة قال ويرىكم آياته فأتى آيات الله تذكرون يعنى أن هذه الآيات
التي عداها كلها ظاهرة بآثارها وقوتها فأتى آيات الله تذكرون تليق به على أنه ليس فى شئ من
الدلائل التي تقدم ذكرها ما يمكن إنكاره قال صاحب الكشاف قوله آيات الله جاء على
الصفة المستفيض وقوله فأتى آيات الله قليلا لأن التفرقة بين المذكر والمؤنث في الاسماء
غير الصفات نحو جوار وجارة غريب يستعمل فى أى أغرب لإبهامه والله أعلم بقوله تعالى
(أفلم يسموا) فى الأرض فيظنوا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثرهم أشد
قوة وأثار فى الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون فلما جاءتهم رسالتهم بالبركات فرحوا
بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا يسترزون فلما رأوا بأسنا قلوا أينا أحق بعبدته
وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يلك بفعولهم إيمانهم بلار أو أيا استأنس الله الى قد خلقت فى عبادة
وخسر هلاك الكافرون اعلم انه تعالى راعى ترتيبا لطيفا فى آخر هذه السورة وذلك انه
ذكر فصلان فى دلائل الإلهية وكلا السورة والرحمة الحكمة ثم أورد فى الفصل فى التهديد
والوعيد وهذا الفصل الذى وقع عليه ختم هذه السورة هو الفصل المشتمل على الوعيد
والمقصود ان هؤلاء الكفار الذين يجادلون فى آيات الله وحصل التكبر العظيم فى صدورهم
بهذا والسبب فى ذلك كد طلب الرياسة والتمسك على الغير فى المال والجلب على ترك الانقياد
للحق لاجل طلب هذه الاشياء فتدبىح الآخرة الدنيا فى عين تعالى أن هذه الطريقة فاسدة لأن
الدنيا فانية ذاهبة واحتج عليه بقوله تعالى أفلم يسموا فى الأرض فيظنوا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم بنى اوساروا فى أطراف الأرض عرفوا أن عاقبة التكبرين

مصدرية من فوعة أى لمن غنى عنهم أو أى شئ أغنى عنهم مكسبهم أو كسبهم (فلما جاءتهم رسالتهم بالبينات)
بجرات أو بالآيات الواضحة (فرحوا بما عندهم من العلم) أى أظهر ما الفرح بذلك وهو العلم من العقائد الزائفة
شبه الداحضة وتسميتها علمنا لتكبرهم بهم أو علم الطبايع

والاستحجيم والصنائع وبحود ذلك وهو علم الانبياء الذي اظهره رسالهم على ان معنى قرحهم به صحتهم منه واسمهم او هم با
وبؤيده قوله تعالى (وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) وقيل الفرح ايضا للرسول فانهم لما شاهدوا اتمامي جهلهم وسوء
عاقبتهم فرحوا بما اوتوا من العلم الموهبي الى حسن العاقبة وشكروا الله عليه وحق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم
(فلما راوا بأسنا) شدة عذابنا عندنا قوله تعالى بعد ان يثيب (فانوا) ٣٤٤ ﴿﴾ آمنوا بالله وحده وكفروا بما كانوا يشركون
يعنون الاصنام (فلم يك

ينفعهم ايمانهم لما راوا
بأسنا) أي عند رؤية
عذابنا لم تمنع قبوله
حينئذ ولذلك قيل فلم يك
يعني لم يصح ولم يستقم
والفاء الاولى بيان عاقبة
كفرهم ومدة قوتهم وما
كانوا يركبون بذلك زعما
منهم ان ذلك يعني عنهم
فلم يرتب عليه العار
الاغتناء بهذا الاعتبار
جري مجرى النتيجة
وان كان عكس القرض
ونقض المطلوب
يكافي قولك وعظمت فلم
يعطف والثانية نفسير
وتفسير لما أنهم وأجل
من عدم الاعتداف كثر
في الكلام مثل هذا التاء
ومنها على أن التفسير
بعد ادبهم والتفصيل
بعد الاجمال والثالثة
للمجرد التعقيب وجعل
ما بعده تابعا لما قبلها

واقعا عقيب لان مضمر
قوله تعالى فلما جاءتهم
الغمر هو انهم كفروا ونصار
بمجموع الكلام بمنزلة
أن يقال فكفروا وتحملوا

بأسنا آمنوا والاربعاء طفق على آمنوا كأنه قيل فآمنوا فلم ينفعهم لان النافع هو الايمان الاختياري (سنة الله التي) ﴿﴾ ان
قد دخلت في عبادته) أي سن الله تعالى ذلك سنة ماضية في العباد وهو من المصادر المؤكدة (وخسر هالك الكافرون)
أي وقت رؤيتهم البأس على انه اسم مكان قد استعير لزمان كما سلف اتفاقا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

من قرأ سورة المؤمنون لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له

المتحدين ليست الا الهلاك والبوار مع أنهم كانوا أكثر عددا وما لوجاهة من هؤلاء
المتأخرين فلما استقيدوا من تلك المكتبة العظيمة والدولة القاهرة الانجليزية والخسار
والهزيمة والبوار فكيف يكون حال هؤلاء الفقراء المساكين أما بيان اسم كانوا أكثر من
هؤلاء عددا فلما يعرف في الاخبار وأما أنهم كانوا أشد قوة وأثارا في الأرض فلانه قد
بقيت آثارهم بمصون عظيمة بعدهم مثل الاهرام الموحدة بمصر ومثل هذه البلاد
العظيمة التي بناها الملوك المتقدمون ومثل ما حكى الله عنهم من أنهم كانوا ينجحون من
الجيال بآياتهم قال تعالى فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون وما في قوله فما أغنى عنهم نافية
أو مضنة معنى الاستفهام ومجملها النصب وما في قوله ما كانوا يكسبون موصولة
أو مصدرية وتوطينها الرفع يعني أي شيء أغنى عنهم مكسوبهم أو كسبهم ثم بين تعالى أن
أولئك الكفار لما جاءتهم رسالتهم بأياتنا والمعجزات فرحوا بما عندهم من العلم واعلم ان
الضعف في قوله فرحوا يحتمل أن يكون عائدا الى الكفار وأن يكون عائدا الى الرسل اما اذا
قلنا انه عائدا الى الكفار فذلك العلم الذي فرحوا به أي علم كان وفيه وجوه (الاول) أن
يكون المراد الاشياء التي كانوا يعملونها بالعلم وهي الشبهات التي حكاه الله عنهم في القرآن
كشأنهم وما يملكها الا لا يدرى قلوبهم وقلوبهم ما شأنا الله ما شأنا ولا يأتوا بقولهم من يحيى العظام
وهي رميم ونحن رددت الى ربي لاجد خبر امنهم ما شأنا ولا يأتوا بقولهم من يحيى العظام
علوم الانبياء كما قال كل حرب بما لديهم فرحون (الثاني) يجوز أن يكون المراد علوم
الفلاسفة فأنهم كانوا اذا سمعوا بوحى الله دفعوه وصغروا علم الانبياء الى علومهم وعن
سقراط انه سمع يحيى بعض الانبياء فقل له او هاجرت اليه فقال من قوم مهديون فلاحاجة
بناي من يهدينا (الثالث) يجوز أن يكون المراد علمهم بأموال الدنيا ومعرفةهم بتدبيرها
كما قال تعالى لعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ذلك مباهة من
المسلم فلما جاءهم الرسل بعلوم السماوات وهي معرفة الله تعالى ومعرفة ما بعد الموت فطهر النفس
عن الرذائل لم يلبثوا اليها واستهزؤا بها واعتقدوا انه لا علم انفع واجلب للفوائد من علمهم
فرحوا به أما اذا قلنا الضعيف عائدا الى الانبياء ففيه وجهان (الاول) أن يجعل الفرح للرسول
ومعناه ان الرسل لما راوا من قوتهم جهلا كمالا وعارضا عن الحق وعملوا سوء عاقبتهم
وما يلحقهم من انقراض دينهم وافتقارهم واعراضهم فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله عليه
وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم (الثاني) أن يكون المراد فرحوا بما عند الرسل
من العلم فرح ضحك منه واستهزاء به كأنه قال استهزؤا بالنبينات وبما جاءوا به من علم الوحي
فرحين ويشل عليه قول تعالى وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ثم قال تعالى فلما راوا بأسنا
فانوا آمنوا بالله وحده وكفروا بما كانوا يشركون البأس شدة العذاب ومنه قوله تعالى
بعذاب يثيب فلن قيل أي فرق بين قوله فلن ينفعهم ايمانهم وبين ما لو قيل فلم ينفعهم
ايمانهم قلنا هو مثل كان في نحو قوله ما كان الله أن يتخذ من ولد والمعنى فلم يصح ولم يستقم

بأسنا آمنوا والاربعاء طفق على آمنوا كأنه قيل فآمنوا فلم ينفعهم لان النافع هو الايمان الاختياري (سنة الله التي) ﴿﴾ ان
قد دخلت في عبادته) أي سن الله تعالى ذلك سنة ماضية في العباد وهو من المصادر المؤكدة (وخسر هالك الكافرون)
أي وقت رؤيتهم البأس على انه اسم مكان قد استعير لزمان كما سلف اتفاقا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة المؤمنون لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له

﴿سورة السجدة مكية وآياتها ثلاث وأربع وخمسون آية﴾ * (بسم الله الرحمن الرحيم) * (حم) ان جعل اسمها للسورة فهو ما أخبرنا به المحذوف وهو الاظهر للمرسمه مرارا أو مبتدأ خبره (تنزيل) وهو على الاول خبر بعد خبر وخبرنا به المحذوف ان جعل مسمره داعلي نخطا تعدد وقوله تعالى (من الرحمن الرحيم) متعلق به مؤكدا لمسا فائدة الثنوين من التمام الذاتية بالتخامد الاضافية ﴿٣٤٥﴾ أو خبر آخر أو تنزيل مبتدأ للخصصة بالصفة خبره (كتاب)

وهو على الوجه الاول يدل منه أو خبر آخر أو خبر المحذوف ونسبة التنزيل الى الرحمن الرحيم الايدان بأنه مدار المصالح الدينية والدينية واقع بمقتضى الرحمة الربانية حسبما ينهى عنه قوله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين (فصلت آياته)

ميزت بحسب النظم والمعنى وجعلت تفاصيل في أساليب مختلفة ومعان متغايرة من أحكام وقصص ومواضع وأمثال ووعد ووعيد وقرى فصلت أي فرقت بين الحق والباطل أو فصل بعضها من بعض باختلاف الأساليب والمعاني من قولك فصل من البلد فصولا (قرأنا عريبا) نصب على المدح أو الحالانية من كتاب لخصه صفة بالصفة أو من آياته (تقوم يعلمون أي معانيه لكونه على أسانهم وقيل لاهل العلم والنظر لانهم

أن يفهم إيمانهم فان قيل اذكروا ضابطا في الوقت الذي لا يقع الايمان بالايمان فيه قلنا انه الوقت الذي يمان فيه فنزول ملائكة الرحمة والعذاب لان في ذلك الوقت يصير المرء ملجأ الى الايمان فذلك الايمان لا ينفع انما ينفع مع القدرة على خلافه حتى يكون المرء مختارا أما اذا طعنوا على الامارات الآخرة فلا تميم قال تعالى سنة الله التي قد خلت في عباده والمعنى ان عدم قبول الايمان حال الرأس سنة الله مطردة في كل الامم ثم قال وخسر هنالك الكافرون فقوله هنالك مستعار لان زمان أي وخسروا وقت رؤية الاناس والله انهادي للاصواب * ثم تفسير هذه السورة يوم السبت الثاني من ذى الحجة من سنة ثلاث وثمانمائة من الهجرة في بلد هراة بخيام لا يباع أدنى ما استأثرت به من جلالك وعزتك أقصى نعتي الناعين يامن تقاصرت عن الاحتاط بعبادي اسرار كبريائه أفهام المتفكرين وأنظار المتأملين لانتبه لنا بفضلك ورحمتك في زمرة الخاسرين المبطلين ولا تهم لنا يوم القامة من الحشر ومين قالت أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين والحمد لله رب العالمين وصلوات الله على سيدنا محمد النبي وآله وصحبه أجمعين

﴿سورة فصلت السجدة خمسون وأربع آيات مكية﴾ * (بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم) تنزيل من الرحيم كتاب فصلت آياته قرآن عريبا لقوم يعلمون بشرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون وقالوا اولو بنا في الكفة فاندعوا بالمعوق أخذوا قرو من ياتوا بدينك حجاب فاعملوا بطاعتهم هل انما انبشروا مثلكم لوجهي انما الهكم الله واحد فاستقروا اليه واستغفروا له وويل للذين لا يؤمنون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون اعلم ان في أول هذه السورة احتمالات (أحدها) وهو الذي أنى قل حم اسم للسورة وهو في موضع المبتدأ وتنزيل خبره (وثانيها) قال الاخفش تنزيل رقه بالابداء وكتاب خبره (وثالثها) قل انزاج تنزيل رقع بالابداء وخبره كتاب فصلت آياته وجهه ان قوله تنزيل لخصه بالصفة وهو قوله من الرحمن الرحيم فجاء رقع بفتح مبتدأ * واعلم انه تعالى حكم على السورة المسماة بحم بأشياء (أولها) كونها تنزيل والامراد المنزل والتعريف عن المفعول المصدر مجاز مشهور يقال هذا بناء الامر أي مبنية وهذا الدرهم ضرب من السلطان أي مضمر به والراي من كونها تنزيل لان الله تعالى كتبهافي الماوح المحفوظ أمر جبريل عايد السلام بأن يحفظ تلك الكلمات ثم ينزل بها على محمد صلى الله عليه وسلم وينزلها الله فلما حصل تفهيم هذه الكلمات بواسطة نزول جبريل عليه السلام سمي ذلك تنزيل لا (وثانيها) كون ذلك التنزيل من الرحمن الرحيم وذلك يدل على كون التنزيل نعمة عظيمة من الله تعالى لان العمل المقرون بالصفة لا بد وأن يكون مناسباً لتلك الصفة فكونه تعالى رحمانا رحيمافئتان دالتان على كمال

المتفهمين به واللام ﴿٤٤﴾ سا متعلقة بمحذوف هو صفة أخرى لقراءنا أي كأننا نقوم الخ أو بتنزيل على أن من الرحمن الرحيم ليست بصفة له أو بصفة صفتان آخرتان لئلا يأتى بشرا لاهل الطاعة ونذيرا لاهل المعصية أو حالان من كتاب أو من آياته وقرنا بآزهم على الوصفية لكتاب أو الخبر فمحذوف (فأعرض أكثرهم) عن تدبره مع كونه على انهم (فهم لا يسمعون) سماع تفكير وتأمل حتى غفها حلاله قدره فؤمنوا به (وقالوا) أي رسول الله

صلى الله عليه وسلم عند دعوتهم اياهم الى الايمان والعمل بما في القرآن (قلو بني اكنة) اي اعطيتهم متكافئة (فانهم كانوا في اذناؤهم) اي صمم واصله الثقل وقرى بالكسر وقرى بفتح القاف (ومن ينشأ وبنك حجاب) غلبت بمنعاعن التواصل ومن الدلالة على ان الحجاب مبني من الجانبين بحيث استوعب ما بينهما من المسافة المتوسطة ولم يبق ثمة فراغ أصلا وهذه تميلات لقلوبهم عن ادراك الحق وقبوله ووجع أسماعهم له كأن بها صمما وامتناع

واصلتهم وموافقتهم للرسول عليه الصلاة والسلام (فاعمل) أي على دينك وقيل في اتصال أمرنا (انما علمون) أي على ديننا وقيل ابطال أمرنا والاول هو الاظهر فان قوله تعالى (قل انما أنا بشر مذكركم يوحي الي) انما الهكم اله واحد) تفين للعباد عنه أي است من جنس مغاير لكم حتى يكون بيني وبينكم حجاب وتبسين مخرج لسان الاعمال والاديان كما بيني عنه قولكم فاعمل انما علمون بل انما أنا بشر مثلكم ما أمرتم به حيث أخبرنا جميعا بالتوحيد بخطاب بياهم بيني وبينكم فان الخطاب في الهكم محكي منتظم للكل لانه خطاب منه عليه الصلاة والسلام لا يفرق في مثلكم وقيل المعنى است ما كما ولا جنبا لا يمكنكم التقي منه ولا أدعوكم الى ما تنابون عنده العتول والاسماع وانما أدعوكم الى التوحيد والاستقامة في العمل وقد تدل عليهما دلائل العقل وشواهد النقل وقيل المعنى اني لست بملك وانما أنا بشر مثلكم بعض وقد أوحى الى دونكم فصحت بالوحى الى وأنا بشر نبوتى واذا صحت نبوتى وجب عليكم اتباعى فآمل والفاء في قوله تعالى (فاستمعوا له) الترتيب ما بعدها على ما قبلها من اثناء الوجدانية فان ذلك موجب لاستماعهم اليه تعالى بالتوحيد والاخلاص في الاعمال (واستغفروه)

الرجة قال تنزيل المضاف الى هاتين الصفتين لا بد وأن يكون دالا على أعظم وجوه النعمة والامر في نفسه كذلك لان الخلق في هذا العالم كالمرضى والضعفاء والمحتاجين والقرآن مشتمل على كل ما يحتاج اليه المرضى من الادوية وعلى كل ما يحتاج اليه الاضعفاء من الاغذية فكان أعظم النعم عند الله تعالى على أهل هذا العالم انزال القرآن عليهم (وإنها) كونه كما بارق دبرنا ان هذا الاسم مشتق من الجمع وانما سمى كتابا لانه جمع فيه علوم الاولين والآخرين (ورابعها) قوله فصلت آياته والمراد انه فرقت آياته وجعلت تفاصيل في معان مختلفة بعضها في وصف ذات الله تعالى وشرح صفات التنزيه والتقدس وشرح كمال علمه وقدرته ورحمته وحكمته وعجائب أحوال خلقه السموات والارض والكواكب وتعاقب الليل والنهار وعجائب أحوال النبات والحيوان والانسان وبعضها في أحوال التعاليف المتوجهة نحو الشاوب ونحو الجوارح وبعضها في الوعد والوعيد والثواب والعقاب ودرجات أهل الجنة ودرجات أهل النار وبعضها في الواعد والنصائح وبعضها في تهذيب الاخلاق ورياضة النفس وبعضها في قصص الاولين وتواريخ الماضين وبالجملة فمن انصف علم انه ليس في بداخله كتاب اجتمع فيه من العلوم المختلفة والمباحث المتباينة مثل ما في القرآن (وخاصها) قوله قرآننا والوجه في تسميته قرآنا قد سبق وقوله تعالى قرآننا نصب على الاختصاص والمدح أي ار يد هذا الكتاب المنفصل قرآننا من صفته كيت وكيت وقيل هو نصب على الحال (وسادسها) قوله عز ويا والمعنى ان هذا القرآن انما انزل بلغة العرب وانما كنهه بآية له تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه (وسابعها) قوله تعالى لقوم يعلمون والمعنى انما جعلناه عز ويا لاجل اننا نزلناه على قوم عرب فعملناه بلغة العرب ليعرفوه وانما المراد قل قوله لنقوم يعلمون متعلق بماذا قلنا يجوز ان يتعلق بقوله تنزيل او بقوله فصلت أي تنزيل من الله لا جملهم او فصلت آياته لأجلهم والاجود ان يكون صفة مثل ما قبله وما بعده أي قرآننا عز ويا كما انما تقوم عرب للالفرق بين الصلوات والصفقات (وتاسعها) قوله بشيرا ونذيرا يعني بشيرا للامطمين بشاوب ونذيرا للبعيرين بالعقاب والحق ان قرآننا بشاره ونذارة لانه أطلق اسم الفاعل عليه للتنبيه على كونه كاملا في هذه الصفة كما قال شعر شاعر وكلام قائل (الصفة العاشرة) كونهم معرضين عند الاستماع ولا يلتفتون اليه فهذه هي الصفات العشرة التي وصف الله القرآن بها ويقرع عليهم مسائل (المسئلة الاولى) القائلون بخلاف القرآن احتجوا بهذه الآية من وجوه (الاول) انه وصف القرآن بكونه تنزيل ولا ومن لا ومن لا المنزل والتنزيل مشعر بالتصيير من حال الى حال فوجب أن يكون مخلوقا (الثاني) ان التنزيل مصدر والمصدر هو المفعول المضاف باتفاق النحويين (الثالث) المراد بالكتاب اما الكتاب وهو المصدر الذي هو المفعول المطلق أو المكتوب الذي هو المفعول (الرابع) ان قوله فصلت يدل على ان متصرفا يتصرف فيه بالتفصيل والتمييز وذلك لا يليق بالتقديم (الخامس) انه انما سمى قرآنا لانه قرن

في العمل وقد تدل عليهما دلائل العقل وشواهد النقل وقيل المعنى اني لست بملك وانما أنا بشر مثلكم بعض وقد أوحى الى دونكم فصحت بالوحى الى وأنا بشر نبوتى واذا صحت نبوتى وجب عليكم اتباعى فآمل والفاء في قوله تعالى (فاستمعوا له) الترتيب ما بعدها على ما قبلها من اثناء الوجدانية فان ذلك موجب لاستماعهم اليه تعالى بالتوحيد والاخلاص في الاعمال (واستغفروه)

بما كنتم عليه من سوء العقيدة والعمل وقوله تعالى (وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ) ترهب وتغبراهم عن الشرك الزرغبهم في التوحيد ووصفهم بقوله تعالى (الذين لا يؤمن الزكاة) زيادة التحذير والتخويف عن منع الزكاة حيث جعل من أوصاف المشركين وقرن بالكفر بالأخرة حيث قيل (وهم بالأخرة هم كافرون) وهو عطف على يؤتون داخل في حيز الصلة واختلافهم بالفعولية والاسمية ٣٤٧ لما نعدم إيتائها بعدد الكفر أمر مستمر ونقل عن ابن عباس

رضي الله عنهم أنه فسر لا يؤتون الزكاة بقوله لا يؤتون لا إله إلا الله فأنها زكاة الانفس والمعنى لا يظهرون انفسهم من الشرك بالتوحيد وهو مأخوذ من قوله تعالى ونفس وما سواها وقال الضحكك ومقاتل لا يفتقون في الطاعة ولا يتصدقون وقال مجاهد لا يكون أعمالهم (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) أي لا ين بعليهم من المن وأصله النفل ولا يقطع من منت الحبل قطعه وقيل نزلت في المرضى والهجرى اذا تجوزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كما صح ما كانوا يعملونه (قل انكمم للكفرون) انكاره تشنيع لكفرهم وان واللام اما لتأكيد الانكار وتقديم البهزة لاقتضاؤها الصدارة لا لانكار التأكيد واما للاشعار بأن كفرهم من البعد بحيث ينكر العقل

بعض اجزائه بالبعض وذلك يدل على كونه مفعول فاعل ومفعول جاعل (السادس) وصفه بكونه عربيا وانما صحت هذه النسبة لاجل ان هذه الالفاظ انما دخلت على هذه المعاني بحسب وضع العرب واصطلاحاتهم وما جعل يجعل جاعل فاعل فلا بد وان يكون محدثا بمثلوقا (والجواب) ان كل هذه الوجودات ذكرت ههنا عائدة الى اللغات والى الحروف والكلمات وهي عندنا محدثة بخلافه انما الذي تدعى قدمه شيء آخر سوى هذه الالفاظ والله أعلم (المسئلة الثانية) ذهب أكثر المتكلمين الى انه يجب على المكلف تنزيل ألفاظ القرآن على المعاني التي هي موضوعاتها بحسب اللغة العربية فاما جعلها على معاني أخر لا بهذا النظر بقى فهنا باطل فاعلموا ذلك مثل الوجوه التي يذكرها أهل الباطن مثل انهم تارة يحسمون الحروف على حساب الجمل وتارة يحسمون كل حرف على شيء آخر وللصوفية طرق كثيرة في هذا الباب ويسمونها علم المكاشفة والذي يدل على فساد تلك الوجوه بأشهرها قوله تعالى قرآنا عربيا وانما سماعه عربيا لكونه دالا على هذه المعاني الخصوصية بوضع العرب وباصطلاحاتهم وذلك يدل على ان دلالة هذه الالفاظ لم تحصل الا على تلك المعاني الخصوصية وان ما سواه فهو باطل (المسئلة الثالثة) ذهب قوم الى انه حصل في قرآن من سائر اللغات كقوله استحق وسجبل فانها ما فارسيان وقوله مشكاة فانها من لغة الحبشة وقوله قد مضى فانها من لغة الروم والذي يدل على فساد هذا المذهب قوله قرآنا عربيا وقوله وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه (المسئلة الرابعة) قالت المعتزلة لفظ الايمان والكفر والصلاة والزكاة والصوم والحج ألفاظ شرعية لا لغوية والمعنى ان الشرع نقل هذه الالفاظ عن معانيها اللغوية الاصولية الى معاني أخرى وعندنا ان هذا باطل وليس الشرع تصرف في هذه الالفاظ عن معانيها الا من وجه واحد وهو انه خصص هذه الالفاظ بنوع واحد من أنواع معانيها مثلا الايمان عبارة عن التصديق فخصصه الشرع بنوع معين من التصديق والصلاة عبارة عن الدعاء فخصصه الشرع بنوع معين من الدعاء وكذا القول في البواقي ودليلنا على صحة مذهبينا قوله تعالى قرآنا عربيا وقوله وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه (المسئلة الخامسة) انما وصف الله القرآن بكونه عربيا في بياني معرض المدح والتعظيم وهذا المطلوب لا يتم الا اذا ثبت ان لغة العرب أفضل اللغات واعلم ان هذا المقصود انما يتم اذا ضبطنا أقسام فضائل اللغات بضابط معلوم ثم بينا ان تلك الاقسام حاصلة فيد لا في غيره فنقول لاشك أن الكلام مركب من الكلمات المفردة وهي مركبة من الحروف فالكلمة لها مادة وهي الحروف والها صورة وهي تلك الهيئة المعينة الحاصلة عند التركيب فهذه الفضيلة انما تحصل اما بحسب مادتها أو بحسب صورتها أما التي بحسب مادتها فهي آحاد الحروف واعلم ان الحروف على قسمين بعضها بيينة المخارج ظاهرة المقاطع وبعضها خفية المخارج مشبهة المقاطع وحروف العرب بأسرها ظاهرة المخارج بيينة المقاطع لا يشبه شيء منا بالآخر وأما الحروف المستعجلة

وقوعه فخرجنا الى التأكيد وانما علق كفرهم بالوصول حيث قيل (بالتى خلق الارض في يومين) لتعظيم شأنه تعالى واستغنام كفرهم به أى بالعظيم الشأن الذى قدر وجودها أى حكم بأنها ستوجد في مقدار يومين أو في يومين على أن ما يؤجد في كل نوبة يوجد بأسرع ما يكون والا فاليوم الحقيقى انما يتحقق بعد وجودها وتسوية السموات والابداع نبراتها وترتيب حركاتها (وتجعلون له أنادا) عطف على تكفرون داخل في حكم

الانكار والتوبيخ وجمع الابدان باعتبار ما هو الواقع لا بان يكون مدار الانكار هو التعدد أي وتعملون له ابداداً والحال أنه لا يمكن أن يكون له تدواحد (ذلك) إشارة الى الموصول باعتبار اتصاله بما في خبر الصلة وما فيه من معنى البهيم مع قرب العهد بالشارب الى الابدان بعد من تندي العظيمة وافراد الكاف لما مر من أن المراد ليس تعين المخاطبين وهو مبتدأ خبر ما بعده أي ذلك المظن الشأن الذي فعل ما ذكر (رب العالمين) ﴿٣٤٨﴾ أي خالق جميع الموجودات ومربيها دون

الأرض خاصة فكيف يتصور أن يكون أخس مخلوقاته نداله وقوله تعالى (وجعل فيهما رواسي) عطوف على خلق داخل في حكم الصلة والجعل ابتدائي وحديث لزوم الفصل بينهما جائز جملتين خارجيتين عن خبر الصلة مدفوع بأن الأولى متحدة بقوله تعالى تكفرون فهو بمنزلة الاعادة والثانية اعتراضية مقرر لمضمون الكلام بمنزلة التأكيد فالفصل بينهما كالفصل على أن فيه فائدة التنبيد على أن مجرد المعطوف عليه كاف في تحقق روي العالمين واستحالة أن يجعل له تدفكف إذا انضم اليه المعطوفات وقيل هو عطوف على مقدرا أي خلفها وجعل الخ وقيل هو كلام مستأنف وأياما كان فاراد تقدير الجعل لا الجعل بالفعل وقوله تعالى (من فوقها) متعلق بجعل أو بمضمر هو وصف رواسي

في سائر الآيات فليست كذلك بل قد يحصل فيها حروف يشبه بعضها بالبهيم وذلك لثقل كمال الفساحة وفيها الحركات المستعملة في سائر لغة العرب حركات ظاهرة جلية وهي النسب والجر وكل واحد من هذه الثلاث فانه يمتاز عن غيره امتيازاً ظاهراً جلياً وأما اشتداد الروم فقلل حصولهما في لغات العرب وذلك أيضاً من جنس ما يوجب الفصاحة وأما الكلمات الخاصة بحسب التركيب فهي أنواع (أحدها) أن الحروف على قسمين متعارفة المخرج ومن بعدة المخرج وأما الحروف على قسمين منها صلبة ومنها رخوة فيحصل من هذا التقسيم أقسام أربعة الصلبة الثقلية والرخوة المتقاربة والصلبة الشبيهة والرخوة المتباعدة فإذا اتوا في الكلمة بحرفان صلبان متقاربان صعب اللفظ إما أن يسبب تقارب المخرج بصير اللفظ بها جازياً يخفى ما إذا كان الإنسان متديماً عثي وبسبب ملازمة تلك الحروف تنوادر الأعمال الشاقة اقوية على الموضع الواحد من المخرج وتوالي الأعمال الشاقة يوجب الضعف والاعياء ومثل هذا التركيب في اللغة العربية قليل (وثانيها) أن جنس بعض الحروف ألد وأطبب في السمع وكل كلمة يحصل فيها حرف من هذا الجنس كان سماعها أطيب (وثالثها) أن وزن فتول الكلمة إما أن تكون ثنائية أو ثلاثية أو رباعية وأعدادها هو الثلاثي لأن الصوت إنما يولد بسبب الحركة والحركة لا بد لها من مبدأ ووسط ومنتهى فهذه ثلاث مراتب فالكلمة لا بد وأن يحصل فيها هذه المراتب الثلاث حتى تكون تامة أما ثنائية فهي ناقصة وأما رباعية فهي زائدة والغالب في كلام العرب الثلاثيات فثبت بما ذكرنا ضبط فضائل اللغات والاستقراء يدل على أن لغة العرب موصوفة بها وأما سائر اللغات فليست كذلك والله أعلم (المسئلة السادسة) قوله قوم يعلمون يعني أنما جملناه عربياً لأجل أن يعلموا المراد منذ القائلون بأن أفعال الله معالاة بالمصالح والحكم تمسكوا بهذه الآية وقالوا إنها تدل على أنه أنما جعله عربياً لهذه الحكمة فهنا يدل على أن تعليل أفعال الله تعالى وأحكامه جائز (المسئلة السابعة) قال قوم القرآن كله غير معلوم بل فيه ما يعلم وفيه ما لا يعلم وقال المتكلمون لا يجوز أن يحصل فيه شيء غير معلوم والدليل عليه قوله تعالى قرآنهم يبينون يعلمون يعني أنما جملناه عربياً ليصبر معلوماً والتول باله غير معلوم بقدر فيه (المسئلة الثامنة) قوله تعالى فأعرض أكثرهم فهم لا يعلمون يدل على أن الهادي من هداية الله وإن الضال من أضله الله وتقريره أن الصفات التسعة المذكورة للقرآن توجب قوة الاهتمام بعرفته وبالوقوف على معانيه لا يأتينا أن كونه نازلاً من عند الله الرحمن الرحيم يدل على اشتداله على أفضل المنافع وأجل المطالب وكونه قرآنهم يبينون يعلمون يدل على أنه في غاية الكشف والبيان وكونه بشيراً ونذيراً يدل على أن الاحتياج إلى فهم ما فيه من أهم المهمات لأن سعي الإنسان في معرفة ما يوصله إلى الثواب وإلى العقاب من أهم المهمات وقد حصلت هذه الموجبات الثلاثة في تأكيد الرغبة في فهم القرآن وفي شدته الميل إلى الاطاعة به ثم مع ذلك

أي كائنه من فوقها مرتفعة عليها لتكون منافعها معرضة لأهلها وإظهاره للأنظار ما فيه من مراد ﴿٣٤٩﴾ قد اعتبر ومطارح الأفكار (وبارك فيها) أي قدر أن يكثر خيرها بأن يخلق أنواع الحيوانات التي من جعلها الإنسان وأصناف النبات التي منها ما يشبههم (وقدر فيها أوقاتها) أي حكم بالفعل بأن يوجد فيما سببها لأهلها من الأنواع المختلفة أوقاتها المناسبة لها على مقدار معين تقضيه الحكمة

وفرى وقسم فيها أقواتها (في أربع أيام) متعلق بمحصل الأمور المذكورة لابتدائها أي قدر حصولها في يومين
وانما قبل في أربع أيام أي ثمة أربع نضر بها بالفضل (سواء) مصدر مؤنك لمخفر هو صفة لأيام أي استوت
سواء أي استواء كالبنين عنه القراءة بالجر وقيل هو حال من الضمير في أقواتها أوفى فيها وفى بالرفع أي هي سواء
(للسائلين) متعلق بمحذوف تقديره هذا (٣٤٩) الحصر للسائلين عن مدة خلق الأرض وما فيها أو بقدر

أي قدر فيها أقواتها

لأجل السائلين أي

الطالبين لها المحتاجين

إليها من السائلين وقوله

تعالى (ثم استوى إلى

السماء) شروع في بيان

كيفية التكوين أثر بيان

كيفية التدوير وأصل

تخصيص البيان بما يتعلق

بالأرض وأهلها لأن

بيان اعتدائه تعالى بأمر

الخطابين وترتيب مبادئ

معاشهم قبل خلقهم

بما يحلهم على الإيمان

ويزجرهم عن الكفر

والطغيان أي ثم قصد

نحوها قصدا سوا

لأبواب على غيره (وهي

دخان) أي أمر ظماني

عبر به عن مادتها

أوعن الأجزاء المتصرفة

التي ركبت هي منها

أودخان مرتفع من الماء

كاستباني وانما خص

الاستواء بالسماء مع

أن الحطاب أقرب إليه

متوجه إليهما معا حسبا

ينطبق به قوله تعالى

(فقال لها وللأرض)

اكفيا بذكر تقديرها

وتقدير ما فيها كأنه قيل

فقد أعرضوا عنه ولم يلتفتوا إليه ونوموا فيه وهوهم وذلك يدل على أنه لا يهتدى إلا به
هذه الله ولا ضلال لمن أضله الله وأعلم أنه تعالى لما وصف القرآن بأنهم أعرضوا عنه
ولا استمعوا به بين أنهم صرحوا بهذه الشبهة والمبالغة وذكروا ثلاثا شريفة (أحدها) أنهم
قالوا فلو يتنأى أكنة مما تدعونا إليه واذننا أكنة فجمع كنان كأعنيه جمع غطاء والكنان هو الذي
يحول فبدل السهام (وثانيها) قولهم وفي آذاننا وقرأى صم وثقل يمنع من استماع صوت
(وثالثها) قولهم ومن يتنأى يترك حجاب والحجاب هو الذي يمنع من الرؤية والاعتدائي تلك
من في قوله ومن يتنأى الله أو قيل ويتنأى يترك حجاب كنان المعنى أن حجابا جعل في سمعنا وجنين
أما زيادة لفظ من كان المعنى أن الحجاب ابتدأ منا وابتدأ منك فاستأفنا الحجاب فاستأفنا
ويتنأى مستوعبة بالحجاب وما في جرحها فارتاعن هذا الحجاب فكانت هذه اللفظة دالة
على قوة هذا الحجاب هكذا ذكره صاحب الكشاف وهو في غاية الحسن وأعلم أنه انما وقع
الاقتصار على هذه الأجزاء الثلاثة وذلك لأن القلب محل المعرفة وسرطان البدن والسمع
والبصر هما الأركان المعينتان للحصول للمعارف فلما بين أن هذه الثلاثة محجوبة كان ذلك
أقصى ما يمكن في هذا الباب وأعلم أنه إذا كانت الثغرة عن الشيء صارت تلك الثغرة في
القلب فإذا سمع منه كلاما لم يفهم معناه كالبنين وإذا رأوا لم يهتدوا تلك الرؤى فبعض الوقوف
على دقائق أحوال ذلك المرنى وذلك لأن المدرك والشاعر هو النفس وشدة نفرة النفس عن
الشيء تمنعها من التدبر والوقوف على دقائق ذلك الشيء فإذا كان الأمر كذلك كان قولهم
قلو يتنأى أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقرأى صم ومن يتنأى يترك حجاب استعارات كاملة
في إفادة المعنى المراد فان قيل أنه تعالى حكى هذا المعنى عن الكفار في معرض الذم وذكر
أيضا ما يقرب من مدح معرض الذم فقالوا فلو يتنأى يترك حجاب بل يكفرهم ثم أنه تعالى
ذكر هذه الأشياء الثلاثة بعينها في معرض الثمر والاثبات في سورة الانعام فقال وجعلنا
على قلوبهم أكنة بأن يفقهوه وفي آذانهم وقرا فكيف الختم بينهم فقلنا الله لم يقل هم انهم
كذبوا في ذلك إنما الذي ذمهم عليه أنهم قالوا انما إذا كنا كذلك لم نجز تكليفنا وتوجيه
الأمر واللهى علينا وهذا الثاني باطل إما الأول فلا بد ليس في الآية ما يدل على أنهم كذبوا
فيه وأعلم أنهم لما وصفوا أنفسهم بهذه الصفات الثلاثة قالوا فاعمل اننا عاملون والمراد
فاعمل على دينك اننا عاملون على ديننا ويجوز أن يكون المراد فاعمل في إبطال أمرنا اننا
عاملون في إبطال أمرك والحاصل عندنا أن القوم ما كذبوا في قولهم قلو يتنأى أكنة مما
تدعونا إليه وفي آذاننا وقرأى صم ومن يتنأى يترك حجاب بل انما اتوا بالكفر والكلام الباطل
في قولهم فاعمل اننا عاملون ولما حكى الله عنهم هذه الشبهة أمر محمد أصلى الله عليه وسلم أن
يجيب عن هذه الشبهة بقوله قل انما أنا بشر مثلكم يوحى إلى وبيان هذا الجواب كأنه
يقول إني لأقدر على أن أحملكم على الإيمان جبرا وقهرا فإني بشر مثلكم ولا امتياز بيني
و بينكم إلا بعد أن الله عز وجل أوحى إلى وما أوحى إليكم فانا نابع هذا الوحي إليكم ثم

فقال لها وللأرض التي قدر وجودها ووجود ما فيها (أنيا) أي كونا واحدا على وجود معين وفي وقت محدد لكل
منكما وهو عبارة عن تعاقب ارادته تعالى بوجودهما تعلقا فعليا بظرفي التثنية بعد تقدير أمرهما من غير أن يكون
هناك أمر ومأمور كافي قوله تعالى كن وقوله تعالى (طوعا أو كرها) تمثيل لتعاقب تأثير قدرته تعالى فيهما واستيفائه
امتاعهما من ذلك لا إثبات الطوع والكراهية لهما وهما مصدران وقعا موقع الحال أي طائفتين أو كاهنتين

وقوله تعالى (قلنا أئینا طائفتين) أي متقاربتين تمثل لكمال تأريهما بالذات عن القدرة الزائدة وحصولهما لهما أمرتا به ونصو ير لكون وجدهما كإلهما عليه جاريا على مقتضى الحكمة الباقية فان الطوع متى عن ذلك والكره موهم لخلافه وانما قيل طائفتين باعتبار كونهما في معرض الخطأ والجواب كقوله تعالى ساجدين وقوله تعالى (قد ضاهى سيم سوات) تفسير وتفصيل لكون السماء ٣٥٠ الجمل المعبر عنه بالامر وجوابه لانه فعل

مترتب على كونها أي خلقهن خلقا بادعيا واتقن أمرهن حسبما تقتضيه الحكمة والضمير اما للسماء على المعنى أو مبهم وسبع سموات حال على المولود تميز على الثاني (في يومين) في وقت مقدر بيومين وقديين مقدار زمان خلق الارض وخلق ما فيها عند بيان تقديرهما فكان خلق اكل في ستة أيام حسبما نص عليه في واقع من الترتيل (وأوحى في كل سماء أمرها) عطف على قضاها أي خلق في كل منها ما فيها من الملائكة والبريات وغير ذلك مما لا يعلمه الا الله تعالى كقوله فتادة والسدى فالوحى عبارة عن الكون كالامر مفيد بما يقديه المعطوف عليه من الوقت أو أوحى الى أهل كل منها أو أمره وكافهم ما يليق بهم من التكليف فهو بمعناه ومطلق عن القيد المذكور أو لما كان فعلى

بعد ذلك أن شرفكم الله بالتوحيد والتوفيق قبلتوا وان خذلكم بالحرمان رددتموه وذلك لا يتعلق بقرئتي ورسالتك ثم بين أن خلاصة ذلك الوحي ترجع الى أمرين العلم والعمل أما العلم فالرأس والرئيس فيه معرفة التوحيد وذلك لأن الحق هو أن الله واحد وهو المراد من قوله انما الحكم الله واحد واذا كان الحق في نفس الامر ذلك وجب علينا أن نعترف به وهو المراد من قوله فاستقيوا اليه ونظيره قوله اهتدوا الصراط المستقيم وقوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استغماوا وقوله تعالى ان هذا صراطي مستقيما فالتعبد وفي قوله تعالى فاستقيوا اليه وجهان (الاول) فاستقيوا متوجهين اليه (الثاني) أن يكون قوله فاستقيوا اليه معناه فاستقيوا الله لأن حروف الجر يقام بعضها مقام البعض واعلم أن التكليف لمركنين (أحدهما) الاعتقاد والرأس والرئيس فيه اعتقاد التوحيد فلما أمر بذلك انتقل الى وظيفة العمل والرأس والرئيس فيه الاستغفار فلهذا السبب قال واستغفروه فان قيل المقصود من الاستغفار والتوبة انزال العباد عن ما ينبغي وذلك مقدم على فعل ما ينبغي فلم عكس هذا الترتيب ههنا وقدم فعل ما ينبغي على انزاله الا ينبغي قلنا ليس المراد من هذا الاستغفار الاستغفار عن الكفر بل المراد منه أن يعمل ثم يستغفر بعده لاجل الخوف من وقوع التصديق العمل الذي أتى به كقوله صلى الله عليه وسلم وانه ليغان على قلبي واتى لاستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة ولما رغب الله تعالى في الخير وانطاعة أمر بالتحذير عما لا ينبغي فقال وويل للمسكرين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرتهم كافرون وفي هذه الآية مسائل (المسئلة الاولى) وجد التنظيم في هذه الآية من وجوه (الاول) أن العقول والشرائع ناطقة بأن خلاصة السعادات مر بوطئة بأمرين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله وذلك لأن الموجودات اما الخالق واما المخلق فاما الخالق فكمال السعادة في المعاملة معه أن يقر بكونه موصوفا بصفات الجلال والعظمة ثم يأتي بأفعال الداعلى كونه في نهاية العظمة في اعتقادنا وهذا هو المراد من التعظيم لامر الله واما المخلق فكمال السعادة في المعاملة معهم أن يسعي في دفع الشر عنهم وفي ايصال الخير اليهم وذلك هو المراد من الشفقة على خلق الله فثبت ان أعظم الطاعات التعظيم لامر الله وأفضل أبواب التعظيم لامر الله الافراز بكونه واحدا واذا كان التوحيد أعلى المراتب وأشرفها كان ضده وهو الشرك أخس المراتب وأرذلها ولما كان أفضل أنواع المعاملة مع الخلق هو اظهار الشفقة عليهم كان الامتناع من الزكاة أخس الاعمال لانه ضد الشفقة على خلق الله اذا عرفت هذا فنقول انه تعالى أثبت الويل لمن كان موصوفا بصفات ثلاثة (اولها) أن يكون مشركا وهو ضد التوحيد واليه الاشارة بقوله وويل للمشركين (وثانيها) كونه متعامنا الزكاة وهو ضد الشفقة على خلق الله واليه الاشارة بقوله الذين لا يؤتون الزكاة (وثالثها) كونه منكرا للقيامة مستغرفا في طلب الدنيا ولذاتها واليه الاشارة بقوله وهم بالآخرتهم كافرون وعام الكلام في انه لازمة على هذه المراتب

ما قرر من التفصيل لادلالة في الآية الكريمة على الترتيب بين ايجاد الارض وايجاد السماء ٣٥٠ الثلاثة ٣٥٠ وانما الترتيب بين التفسير والايحاء وأما على تقدير كون الخلق وما عطف عليه من الافعال الثلاثة على ما بينها الظاهرة فهي وما في سورة البقرة من قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات ٣٥٠ لان على تقديم خلق الارض وما فيها على خلق السماء وما فيها وعليه اطباق أكثر

اهل التفسير وقد روي أن العرش العظيم كان قبل خلق السموات والارض على الماء ثم انما تعالى أحدث في الماء اضطرابا
فاز بد فارتفع منه دخان فاما الزبد فخلق في الماء فخلق فيه اليبوسة فيه له أرضا واحدة ثم فقهها فجعلها أرضين
وأما الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات وروي أنه تعالى خلق جرم الارض يوم الاحد ويوم الاثنين ودحاها وخلق
ما فيها يوم الثلاثاء ونوم الاربعاء ﴿ ٣٥١ ﴾ وخلق السموات وما فيها من يوم الخميس ويوم الجمعة وخلق آدم
عليه السلام في آخر
ساعة منه وهي الساعة
التي تقوم فيها القيامة
وقيل ان خلق جرم
الارض مقدم على خلق
السموات لكن دحوها
وخلق ما فيها مؤخر
عنه لقوله تعالى والارض
بعض ذلك دحاها ولما
روى عن الحسن رحمه الله
من أنه تعالى خلق الارض
في موضع بيت المقدس
كهشة الفهر عليفة
دخان ملترق بها ثم
أصعد الدخان وخلق
منه السموات وأمسك
الذهب في موضعها وبسط
منها الارض وذلك
قوله تعالى كانتا رتقا
ففتقناهما الى اية وليس
المراد بفتحهم مع السماء
في سلك الامر بالاتبان
انشاءها واوحدا انها بل
انشاء دحوها وجعلها
على وجه خاص يليق
بما من شكل معين ووصف
بخصوص كأنه قيل
انما علم ما ينبغي أن تاتى
عليه انى بالارض مدحوة
قرارا ومها دالها

الثلاثة أن الانسان له ثلاثة أيام الامس واليوم والغدا ما معرفة انه كيف كانت احوال
الامس في الازل فهو معرفة الله تعالى الازل الخالق لهذا العالم وأما معرفة ذاته كيف ينبغي
وقوع الاحوال في اليوم الحاضرة وبالاخص الى اهل العالم بشد الصداقة وأما معرفة
الاحوال في اليوم المستقبل فهو الاقرار بالبعث والقيامة وإذا كان الانسان على ضد
الحق في هذه الراتب الثلاثة كان في نهاية الجهل والضلالت فلهذا حكم الله عليه بالويل
فقال وويل للشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون وهذا الترتيب في غاية
الحسن والله أعلم (الوجه الثاني) في تقرير كيفية النظم أن يقال الراد بقوله لا يؤتون
الزكاة أى لا يكون أنفسهم من لوث الشرك بقولهم لا اله الا الله وهو مأخوذ من قوله
تعالى ونفس وما سواها (الثالث) قل الفراء ان قرىسا كانت تضع الحاج فخرجوا ذلك على
من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم (المسئلة الثانية) اخرج أصحابنا في اثبات أن الكفار
مخاطبون بفروع الاسلام بهذه الآية فقالوا انه تعالى ألحق الموعد الشردين على امرين
(أحدهما) كونه مشركا (والثاني) انه لا يؤتى الزكاة فوجب أن يكون اكل واحد من
هذين الامرين تأثير في حصول ذلك الوعيد وذلك يدل على أن عدم ايتاء الزكاة من المشرك
تأثيرا عظيما في زيادة الوعيد وذلك هو المطلوب (المسئلة الثالثة) اخرج بعضهم على أن
الامتناع من ايتاء الزكاة يوجب الكفر فقال انه تعالى لما ذكر هذه الصفة ذكر فلها
ما يوجب الكفر وهو قوله وويل للمشركين وذكر أيضا بعدها ما يوجب الكفر وهو قوله
وهم بالآخرة هم كافرون فلو لم يكن عدم ايتاء الزكاة كفر لكان ذكره في بين الصفتين
الموجبين للكفر فصحا لان الكلام انما يكون فصحا اذا كانت المناسبة مرتبة بين
أجزائه ثم اكدوا ذلك بأن أبكر الصديق رضي الله عنه حكم بكفر ما نعى الزكاة والجواب
لما ثبت بالدليل ان الايمان عبارة عن التصديق بالقلب والافقرار باللسان وهما حاصلان
عند عدم ايتاء الزكاة فلم يلزم حصول الكفر بسبب عدم ايتاء الزكاة والله أعلم ثم انه تعالى
لما ذكر وعيد الكفار أردف بعد المؤمنين فقال ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر
غير ممنون أى غير مقطوع من قولك كنت الحبل أى قطعته ومنه قواهم قدعته السفر
أى قطعته وقيل لا يمن عليهم لانه تعالى لما سماء أجر فاذا الاجر لا يوجب المنة وقيل نزلت في
المرضى والزمنى اذا تجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كما حسن ما كانوا يعملون وقوله
تعالى (قل انكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتعلمون له انما ذلك رب
العالمين) جعل فيهما اسم من فوقها وبارك فيها وقدرها اقواتها في اربعة ايام سماء
للساثنين ثم استوى الى السماء وهم دخان فقال لها والارض انما طوعا أم كرها قالتا أتينا
طائعتين ففضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء امرها وزيينا السماء الدنيا
بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم اعلم انه تعالى لما أمر محمد صلى الله عليه وسلم في
الآية الأولى ان يقول انما أنا بشر مثكم يوحى الى أنما الهكم الله واحد فاستمعوا اليه

واثنى باسماء مقبلة سقاهاهم ومعنى الايمان الحصول على ذلك الوجدان في عند قراءة آياتها وآياتها من الموافقة
وأنت حير بان المذكور قبل الامر بالاتبان ليس مجرد دخان جرم الارض حتى يتأتى ما ذكر بل خلق ما فيها ايضا من الامور
الناخرة عن دحوها فطاعا فلا يظهر أن يسلك مسلك الاولين ويتحمل الامر بالاتبان على تكويناها متواترين على الوجه
المذكور وليس من ضرورته ان يكون دحوها مترتبا على

ذلك التكوين وإنما اللازم ترتيب حصول التوافق عليه ولا ريب في أن تكون السموات على الوجه الثاني بها كافي في حصوله ولا يقدح في ذلك تكوين الأرض على الوجه المذكور قبل ذلك وأن يجعل الأرض في قوله تعالى والأرض بعد ذلك دحاها منصوبا بمضمر قد حذف على شرطية التفسير ويجعل ذلك إشارة إلى ذكر ما ذكر من بناء السماء ورفع سمكها وتسويتها وغيرها إلى أنشئها وتحمل البعدية أما على أنه قاصر ٣٥٢ عن الأول في الدلالة على القدرة القاهرة كما قبل

وأما على أنه أدخل في الإلزام لما أن المنافع المتوسطة بما في الأرض أكثر وتعالى مصالح الناس بذلك فظهر وأحاطتهم بتفاصيلها أكل وليس ما روي عن الحسن رضي الله عنه نصافي تأخر دحو الأرض عن خلق السموات فإن بسط الأرض معطوف على اصعاد السحاب وخلق السماء والوفاة دلالة في ذلك على الترتيب قطعا وقد نقل الإمام الواحدي عن مقاتل أن خلق السماء مقدم على إيجاد الأرض فضلا عن دحوها فلا بد من حل الأمر بآياتها حينئذ أيضا على ما ذكر من التوافق والوفاة ولا يقدح في ذلك تقدم خلق السماء على خلق الأرض كما يقدح فيه تقدم خلق الأرض على خلق السماء هذا كله على تقدير كون تلك ثم للترجيح الزماني وأما على تقدير كونها للترجيح الزمني

واسغفر وأورد في ما يدل على أنه لا يجوز إثبات الشركة بينه تعالى وبين هذه الأصنام في الإلهية والعبودية وذلك بأن بين كل قدرته وحكمته في خلق السموات والأرض في مدة قليلة فمن هذا صفت كيف يجوز جعل الأصنام الخسيسة شركاء له في الإلهية والعبودية فهذا تقرير انظم وفي الآية مسائل (المسألة الأولى) قرأ ابن كثير أيكم لتكفرون بعبادة ربكم بعد ذلك خفيفة ساكنة بلا مد وأمانافع في رواية قالون وأبو عمرو فعلى هذه الصورة الإنجاب يدان والياقوت بهجرتين بلا مد (المسألة الثانية) قوله تعالى أنكم استفهم بمعنى الإنكار وقد ذكر عنهم شئين منكرين (أحدهما) الكفر بالله وهو قوله الكفرون بالذي خلق الأرض في يومين (وثانيهما) إثبات الشركاء والانداد وهو أن يكون الكفر المذكور أو لا مقابرا لإثبات الانداد له ضرورة أن عطف أحدهما على الآخر بوجوب التباين والأظهر أن المراد من كفرهم وجوه (الأول) قواهم أن الله تعالى لا يقدر على حشر الموتى فلما نازعوا في ثبوت هذه القدرة فقد كفروا بالله (والثاني) أنهم كانوا ينازعون في صحة التكليف وفي بعضه الانبياء وكل ذلك قد وقع في الصفات المعنوية في الإلهية وهو كفر بالله (والثالث) أنهم كانوا يضيفون إليه الأولاد وذلك أيضا قدح في الإلهية وهو يوجب الكفر بالله فالخاصل أنهم كفروا بالله لأجل قواهم بهذه الأشياء وأثبتوا الانداد أيضا لله لأجل قولهم بالإلهية تلك الأصنام واحتج تعالى على فساد قولهم بأننا نبره فقال كيف يجوز الكفر بالله وكيف يجوز جعل هذه الأصنام الخسيسة أنداد الله تعالى مع أنه تعالى هو الذي خلق الأرض في يومين وتم ببقية مصالحها في يومين آخرين وخلق السموات بأمرها في يومين آخرين فمن قدرته على خلق هذه الأشياء العظيمة كيف يعمل الكفر به والإنكار قدرته على الحشر والنشر وكيف يعمل الإنكار قدرته على التكليف وعلى بعثه الأنبياء وكيف يعمل جعل هذه الأصنام الخسيسة أنداد لله في المعبودية والإلهية فإن قيل من استدل بشئ على إثبات شئ فذلك الشئ المستدل به يجب أن يكون مسلما عند الخصم حين يصح الاستدلال به وكونه تعالى حاقا للأرض في يومين أمر لا يمكن إثباته بالنقل المحض وإنما يمكن إثباته بالسمع ووجوب الانبياء والكفار كانوا عتازين في الوحي والنبوة فلا يعمل تقرير هذه المقدمة عليهم وإذا امتنع تقرير هذه المقدمة عليهم استمع الاستدلال بها على فساد مذهبهم فثبت إثبات كون السموات والأرض مخلوقا بغير حق العزل يمكن فإذا ثبت ذلك أمكن الاستدلال به على وجود الله القادر القاهر العظيم وحجته يقال للكافرين فكيف يعمل التسوية بين آله الموصوف بهذه القدرة الصاهرة وبين الضم الذي هو جساد لا يضر ولا ينفع في العبودية والإلهية بقي أن يقال فحينئذ لا يسي في الاستدلال بكونه تعالى حاقا للأرض في يومين أرفق قول هذا أيضا له أثر في هذا الباب وذلك لأن أول التوراة مشتق على هذا المعنى فكان ذلك في غاية الشهرة بين أهل الكتاب فكفار مكة كانوا يعتقدون في أهل الكتاب أنهم أصحاب العلوم والحقائق

كما جرح إليه الأكثرين فلا دلالة في الآية الكريمة على الترتيب كافي الوجه الأول وعلى ذلك بني الكلام وظاهر في تفسير قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا الآية وإنما يجعل الخلق هناك على معنى التقدير كاجل عليه ههنا ثبوت مقام الامتحان حقه (وزينا السماء الدنيا بمصابيح) من الكواكب فإنها كما ترى متلانة عليها كأنها فيها واللغات إلى النون العظيمة لإبراز مزيد العتبة بالأمر وقوله تعالى (وحفظا) مصدر مؤن كد لعل معطوف

والظاهر أنهم كانوا قد سمعوا من أهل الكتاب هذه المعاني واعتقدوا في كونها حجة وإذا
 كان الأمر كذلك فحينئذ يحسن أن يقال لهم إن الله الموصوف بالقدرة على خلق هذه
 الأشياء العظيمة في هذه المدة الصغيرة كيف يخلق بالعقل جعل الخشب المجبور والجر
 الخجوت شر بأكاله في العبودية والالهية فظهر بما قررنا أن هذا الاستدلال قوي حسن
 وأما قوله تعالى ذلك رب العالمين أي ذلك الموجود الذي علمت من صفته وقدرته أنه خلق
 الأرض في يومين هورب العالمين وخلقهم ومبدعهم فكيف أثبت له انداد من الخشب
 والجر ثم إنه تعالى للمأخبر عن كونه خالق الأرض في يومين أخبر أنه أتى بثلاثة أنواع من
 الصنع العجيب والفعل البديع بعد ذلك (فالاول) قوله وجعل فيها رواسي من فوقها
 والمراد منها الجبال وقد تقدم تفسير كونها رواسي في سورة النحل قل من قبل ما القادة في
 قوله من فوقها ولم يقتصر على قوله وجعل فيها رواسي كقوله تعالى وجعلنا فيها رواسي
 شامخات وجعلنا في الأرض رواسي قلنا لأنه تعالى أوجعل فيها رواسي من تحتها لا وهم
 ذلك أن تلك الاساطين الخنائية هي التي أمسكت هذه الأرض الثقيلة عن النزول ولكنها
 تعالى قال خلقت هذه الجبال الثقيل فوق الأرض ليرى الإنسان بعينه أن الأرض
 والجبال أثقال على أفعالها وكأها مفتقرة إلى مسك وحافظ وما ذاك الحافظ المدير إلا الله
 سبحانه وتعالى (والنوع الثاني) مما أخبر الله تعالى في هذه الآية قوله وبارك فيها وباركة
 كثرة الخير والخيرات الحاصلة من الأرض أكثر مما يحيط به الشرح والبيان وقد ذكرناها
 بالاستقصاء في سورة البقرة قال ابن عباس رضي الله عنهما ما يدرى بشق الأنهار وخلق الجبال
 وخلق الأشجار والثمار وخلق أصناف الحيوانات وكل ما يحتاج إليه من الخيرات
 (والنوع الثالث) قوله تعالى وقدر فيها أنوارها وفيه أقوال (الاول) أن المعنى وقدر فيها
 أنوارها وأعطاهم ما يشبههم وما يصالحهم قال محمد بن كعب قدراً أنوار الأبدان قبل أن يخلق
 الأبدان (والقول الثاني) قال مجاهد وقدر فيها أنوارها من المطر وعلى هذا القول
 فالأنوار الأرض لا للساكن والمعنى إن الله تعالى قسدر لكل أرض حقلها من المطر
 (والقول الثاني) أن المراد من إضافة الأنوار إلى الأرض كونها متولدة من تلك
 الأرض وحادثة فيها لأن النور بين قالوا يكفي في حسن الإضافة أدنى سبب فالشي قد
 يضاف إلى فاعله تارة وإلى محله أخرى فقولوه وقدر أنوارها أي قدر الأنوار التي
 يختص حدوثها بها وذلك لأنه تعالى جعل كل بلدة معدناً لنوع آخر من الأشياء المطلوبة
 حتى إن أهل هذه البلدة يحتاجون إلى الأشياء المتولدة في تلك البلدة وبالعكس فصار
 هذه المعنى سبباً لرغبة الناس في التجارات من اكتساب الأموال ورأيت من كان يقول
 صناعة الزراعة والحراثة أكثر الحرف والصنائع بركة لأن الله تعالى وضع الأرزاق
 والأنوار في الأرض قال وقدر فيها أنوارها وإذا كانت الأنوار موضوعة في الأرض
 كان طلبها من الأرض متيناً ولما ذكر الله سبحانه هذه الأنواع الثلاثة من التدبير قال

على زيناً وحفظناها
 من الآفات أو من المسترفة
 حفظاً وقبل مفعول له
 على المعنى كأنه قبل
 وخلقنا المصابيح زينة
 وحفظاً (ذلك) الذي
 ذكر بتفاصيله (تقدير
 العزيز العليم) المبالغ
 في القدرة والعلم (فإن
 أعرضوا) متصل بقوله
 تعالى قل أنكم الخ أي
 فإن أعرضوا عن التدبير
 فيما ذكر من عظامم
 الأمور الداعية إلى الإيمان
 أو عن الإيمان بهذا
 البيان (قل) لهم
 (أنذركم) أي أنذركم
 وصيغة الماضي للدلالة
 على تحقق الانذار المتبني
 عن تحقق المنذرية
 (صاعقة) أي عذاباً
 هائلاً شديداً الوقم كأنه
 صاعقة (مثل صاعقة
 عاد وثمود) وقرئ صعقة
 مثل صعقة عاد وثمود
 وهي المرة من الصعق
 أو الصعق يقال صعقته
 الصعقة صعقاً فصعق
 صعقاً

بعده في أربعة أيام سواء الساتنين وهما سائر الأث (السؤال الاول) انه تعالى ذكر انه خلق الارض في يومين وذكر انه أصلح هذه الانواع الثلاثة في أربعة أيام آخر وذكر انه خلق السموات في يومين فيكون المجموع ثمانية أيام لكنه ذكر في سائر الآيات انه خلق السموات والارض في ستة أيام فترجم التناقض واعلم أن العلماء أجابوا عنه بأن قالوا المراد من قوله وقدر فيها أوقاتها في أربعة أيام مع يومين الاولين وهذا كقول القائل سرت من البصرة الى بغداد في عشرة أيام وسرت الى الكوفة في خمسة عشر يوما يريد كلا المسائنين ويقول الرجل للرجل أعطيتك ألفا في شهر وألوف في شهرين فيدخل الألف في الألوف والشهر في الشهرين (السؤال الثاني) انما ذكر انه خلق الارض في يومين فلو ذكر انه خلق هذه الانواع الثلاثة الباقية في يومين آخرين كان أبعد عن الشبهة وأبعد عن الغلط فلم ترك هذا التصریح وذكر ذلك الكلام الجمل والجواب أن قوله في أربعة أيام سواء الساتنين فيه فائدة زائدة على ما إذا قال خلقت هذه الثلاثة في يومين وذلك لانه اوقال خلقت هذه الاشياء في يومين لم يفد هذا الكلام كون هذين اليومين مستقرين بتلك الاعمال لانه قد يقال عملت هذا العمل في يومين مع أن اليومين ما كانا مستقرين بتلك العمل اما لما ذكر خالق الارض وخلق هذه الاشياء ثم قال بعده في أربعة أيام سواء الساتنين دل ذلك على أن هذه الايام الاربعة صارت مستقرقة في تلك الاعمال من غير زيادة ولا نقصان (السؤال الثالث) كعبه القرا آت في قوله سواء والجواب قال صاحب الكشف قري سواء بالحر كات الثلاثة الجبر على الوصف والنصب على المصدر استوت سواء أي استواء الرفع على هي سواء (السؤال الرابع) ما المراد من كون تلك الايام الاربعة سواء فنقول ان الايام قد تكون متساوية المقادير كالايام الموجودة في أما كن خط الاستواء وقد تكون مختلفة كالايام الموجودة في سائر الاماكن فبين تعالى ان تلك الايام الاربعة كانت متساوية غير مختلفة (السؤال الخامس) بم يتعلق قوله للساتنين الجواب فيه وجهان (الاول) ان الزجاج قال قوله في أربعة أيام أي في تمتد أربعة أيام اذا عرفت هذا فالتقدير وقدر فيها أوقاتها في تمتد أربعة أيام لاجل الساتنين أي المطايعين للاوقات المحتاجين اليها (والثاني) انه متعلق بمعدوف والتقدير كأنه قبل هذا الحصر والبيان لاجل من سأل في كم خلقت الارض وما فيها ولما شرح الله تعالى كيفية تخليق الارض وما فيها أتبعه بكيفية تخليق السموات فقال ثم استوى الى السماء وهي دخان وفيه مباحث (البحث الاول) قوله تعالى ثم استوى الى السماء من قولهم استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه توجهها لا يلتفت معه الى عمل آخر وهو من الاستواء الذي هو ضد الاعوجاج ونظيره قولهم استقام اليه وامتن اليه ومنه قوله تعالى فاستقيموا اليه والمعنى ثم دعاه داعي الحكمة الى خلق السماء به دخلت الارض وما فيها من غير صارف بصرفه عن ذلك (البحث الثاني) ذكر صاحب الاثر انه كان عرش الله على الماء قبل خلق

وهو من باب فعلته ففعل (اذ جاءتهم الرسل) حال من صاعقة عاد ولا سداد لجهله ظرفا لا نذر تكلم أوصفة لصاعقة لفساد المعنى وأما جملة صفة لصاعقة عاد أي الكائنات اذ جاءتهم ففعل حذف الموصول مع بعض صلته (من بين أيديهم ومن خلفهم) متعلق بجاءتهم أي من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة أو من جهة الزمان الماضي الانذار عما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير عما يحق بهم من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة وقبل المعنى جاءتهم الرسل المتقدمون والمتأخرون على تنزيل مجي كلامهم ودعوتهم الى الحق منزلة مجي أنفسهم فان هودا صالحا كانا داعين لهم الى الايمان بما و يجمع الرسل من

السموات والارض فأحدث الله في ذلك الماء سخونة فارتفع زبد ودخان أما انز بدفوق على وجه الماء فخلق الله منه اليوسه وأحدث منها الارض وأما الدخان فارتفع وعلا فخلق الله منه السموات وأعلم ان هذه النصة غير موجودة في القرآن قلن دل عليه دليل صحيح قبل والا فلا وهذه القصه مذكورة في أول الكتاب الذي يزعم اليهود انه التوراة وفيه انه تعالى خلق السماء من اجزاء مظلمة وهذا هو المعتقد لانه قد دللنا في المذوات على ان الظلمة ليست كبقية وجودية بلبل انه لو جلس انسان في ضوء السراج وانسان آخر في الظلمة فان الذي جلس في الضوء لا يرى مكان الجالس في الظلمة ويرى ذلك الهواء مظلماً وأما الذي جلس في الظلمة فانه يرى ذلك الذي كان جالسا في الضوء ويرى ذلك الهواء مضئاً ولو كانت الظلمة صفة قائمة بالهواء لما اختلفت الاحوال بحسب اختلاف احوال الناظرين ت أن الظلمة عبارة عن عدم النور فانه سبحانه وتعالى لما خلق الاجزاء التي لا تقبل فقبل أن خلق فيها كبقية الضوء كانت مظلمة عديدة النور ثم لما ركبه اوجعها سموات وكواكب وشمسا وقرا وأحدث صفة الضوء فيها فجعلت صارت مستنيرة فثبت ان تلك الاجزاء حين قصد الله تعالى ان يخلق منها السموات والشمس والقمر كانت مظلمة فصيح تسميتها بالدخان لانه لا معنى للدخان الا اجزاء متفرقة غير متواصلة عديدة النور فهذا ما مضى بالبال في تفسير الدخان والله أعلم بحقيقة الحال (البحث الثالث) قوله ثم استوى الى السماء وهي دخان مشعر بأن تخلق السماء حصل بعد تخلق الارض وقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها مشعر بأن تخلق الارض حصل بعد تخلق السماء وذلك يوجب التناقض واختلف العلماء في هذه المسئلة والجواب المشهور أن يقال انه تعالى خلق الارض في يومين أولاً ثم خلق بعدها السماء ثم بعد خلق السماء دحا الارض وبهذا الطريق يزول التناقض وأعلم ان هذا الجواب مشكل عندي من وجوه (الأول) انه تعالى بين أنه خلق الارض في يومين ثم انه في اليوم الثالث جعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها وهذه الاحوال لا يمكن ادخالها في الوجود الالهي - أن صارت الارض مدحوة لان خلق الجبال فيها لا يمكن الا بعد ان صارت الارض مدحوة متبسطة وقوله تعالى وبارك فيها مفسر بخلق الاشجار والنبات والحوان فيها وذلك لا يمكن الا بعد صيرورتها متبسطة ثم انه تعالى قال بعد ذلك ثم استوى الى السماء فهذه يشتمل انه تعالى خلق السماء بعد خلق الارض وبعد أن جعلها مدحوة وحينئذ يعود السؤال المذكور (الثاني) انه قد دلت الدلائل الهندسية على أن الارض كرة فهي في أول حدوثها ان قلنا بانها كانت كرة والآن بقيت كرة أيضا فهي منذ خلق كانت مدحوة وان قلنا انها غير كرة ثم جعلت كرة فيلزم أن يقال انها كانت مدحوة قبل ذلك ثم أنزل عنها هذه الصفة وذلك باطل (الثالث) ان الارض جسم في غاية العظم والجسم الذي يكون كذلك فانه من أول دخوله في الوجود يكون مدحوا فيكون القول بانها ما كانت مدحوة ثم صارت مدحوة قول

جاء من بين أيديهم أي من قبلهم ومن يحيى من خلفهم أي من بعدهم فكان الرسل قد جاءواهم وخطبواهم بقوله تعالى (ان اعبدوا الا الله) أي بأعبدوا على أن لا تعبدوا أي لا تعبدوا على أنهم مفسرة (قالوا لو شئ ربنا) أي ارسل الرسل لانزال الملائكة كما فعل فانه عار عن افاد ما ارادوه من نفي رسال البشر وقد مر في سالف (لانزال الملائكة) أي لارسالهم لكن كان ارسالهم بطريق الانزال قيل لانزال (و) بما ارسلتم به (أي) زعمكم وفيه ضمر زعمكم بهم (كافرو) لما انكم بشر مثلكا غير فضل لكم عا روي أن أبا جهل في ملا من قريش التمس علينا أمر فوالا التمس لنا رجلا بالشعر والكهانة

والسحر فكلمه ثم أنا
بيسان من أمر فقال
عنتبة بن ربيعة والله
لقد سمعت الشعر
والكهان والسحر
وعلمت من ذلك علما وما
يخفى على قاتله فقال
أنت يا محمد خير أم هاشم
أنت خير أم عبد المطلب
أنت خير أم عبد الله
فبهم نشتم آل هاشم
وتضلنا فان كنت تريد
الرياسة عندنا لك اللواء
فكنيت رئيسا وإنك
لك الباءة زوجناك
عشر نسوة فنخارهن
أي بنات قريش شئت
وإن كان بك المسال
جمعنا لك ما تستغنى
ورسول الله صلى الله
عليه وسلم ساكت فلما فرغ
عنتبة قال عليه
الصلاة والسلام
بسم الله الرحمن الرحيم
حم إلى قوله تعالى مثل
صاعقة عاد ومود
فامسك عنتبة على فيه
عليه الصلاة والسلام
وناشده بالرحم ورجع
إلى أهله ولم يخرج إلى
قريش فلما

باطل والذي جاء في كتب التواريخ ان الارض خلقت في موضع الصخرة بيت المقدس
فهو كلام مشكل لانه ان كان المراد أنها على عظمها خلقت في ذلك الموضع فهذا قول
يتداخل الاجسام الكثيفة وهو محال وإن كان المراد منه انه خلق أولا أجزاء صغيرة
في ذلك الموضع ثم خلق بقية أجزائها وأضيفت إلى تلك الأجزاء التي خلقت أولا فهذا
يكون اعترافا بأن تخلق الارض وقع متأخرا عن تخلق السماء (الرابع) انه لما حصل
تخلق ذات الارض في يومين وتخلق سائر الاشياء الموجودة في الارض في يومين آخرين
وتخلق السموات في يومين آخرين كان مجموع ذلك ستة أيام فاذا حصل دحو الارض
من بعد ذلك فقد حصل هذا الدحو في زمان آخر بعد الأيام الستة فحينئذ يقع تخلق
السموات والارض في أكثر من ستة أيام وذلك باطل (الخامس) انه لا نزاع ان قوله تعالى
بعد هذه الآية ثم استوى إلى السماء فقال لها وللارض انبيا طوعا أو كرها كناية عن إيجاد
السماء والارض فلو تقدم إيجاد السماء على إيجاد الارض لكان قوله انبيا طوعا أو كرها
يقضي إيجاد الموجود وان محال باطل فهذا تمام البحث عن هذا الجواب المشهور ونقل
الواحدى في البسيط عن مقاتل انه قال خلق الله السموات قبل الارض وتأويل قوله ثم
استوى إلى السماء ثم كان قد استوى إلى السماء وهى دخان وقال لها قبل أن تخلق
الارض فأضربيه كما قال تعالى قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل معناه ان يكن
سرق وقال تعالى وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا والمعنى فكان قد جاءها هذا ما نقله
الواحدى وهو عندى ضعيف لان تقدير الكلام ثم كان قد استوى إلى السماء وهذا جمع
بين الضدين لان كلمة ثم تقضى التأخير وكلمة كان تقضى التقديم والجمع بينهما يفيد
التناقض وذلك دليل على انه لا يمكن إجراؤه على ظاهره وقد بينا ان قوله انبيا طوعا أو كرها
انما حصل قبل وجودهما واذا كان الامر كذلك امتنع حمل قوله انبيا على الامر
والتكليف فوجب حمله على ما ذكرناه بنى على لفظ الآية سوالات (السؤال الاول)
ما الفائدة في قوله تعالى فقال لها وللارض انبيا طوعا أو كرها (الجواب) المقصود منه اظهار
كمال القدرة والتقدير انبيا شئنا ذلك أو بينا كما يقول الجبار لمن تحت يده لنفعلن هذا
شئت أو لم نشأ ولنفعله طوعا أو كرها وانتصابهما على الحال بمعنى طائعين أو مكرهين فقالنا
انبيا على الطوع لاعلى الكره وقبل انه تعالى ذكر السماء والارض ثم ذكر الطوع والكره
فوجب أن ينصرف الطوع إلى السماء والكره إلى الارض وتخصيص السماء بالطوع
لوجوه (أحدها) أن السماء في دوام حركتها على نهج واحد لا يختلف تشبه حيوانا مطيعا
لله تعالى بخلاف الارض فانها مختلفة الأحوال تارة تكون في السكون وأخرى
في الحركات المضطربة (وثانيها) ان الموجود في السماء ليس الاطلاعة قال تعالى يخافون
ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون وأما أهل الارض فليس الامر في حقهم كذلك
(وثالثها) السماء موصوفة بكمال الحال في جميع الامور قالوا انها أفضل الألوان وهى

المستنبية وأشكالها أفضل الاشكال وهي المستديرة ومكانها أفضل الامكنة وهو الجوى
 العالى واجرامها أفضل الاجرام وهي الكواكب الثلاثة بخلاف الارض فانها ممكن
 الظلمة والكثافة واختلاف الاحوال وتغير الذوات والصفات فلا جرم وقع التعبير عن
 تكون السماء بالطوع وعن تكون الارض بالكراهة واذا كان مدار خلق الارض على
 الكراهة كان أهلها موصوفين أبدا بما يوجب الكراهة والكرب والقهر والتسمر (السؤال
 الثانى) ما المراد من قوله اثنا عشر يوما وثلاثة ايام الجواب المراد اثنا عشر اليوم والحوصل
 وهو كقوله كن فيكون وقيل المعنى اثنا عشر على ما ينبغي ان تأتيا عليه من الشكل والوصف
 أى بأرض مدحوة قرارا ومهادا أى بسماء مقببة سقفها لهم ومعنى الاتساع الحوصل
 والوقوع على وفق المراد كما تقول أتى عمله مرضيا وجاء مقبولا ويجوز أيضا ان
 يكون المعنى لثانى كل واحدة منكما صاحبتهما الاثنيان الذى تقتضيه الحكمة والتدبير
 من كون الارض قرارا للسماء وكون السماء سقفًا للارض (السؤال الثالث) هلا قيل
 طائعين على اللفظ أو طائعات على المعنى لانهما سموات وأرضون (الجواب) لما جعان
 مخاطبات ومجيبات ووصفن بالطوع والكراهة قيل طائعين فى موضع طائعات نحو قوله
 ساجدين ومنهم من استدل به على كون السموات أحياء وقال الارض فى جوف
 السموات أقل من الذرة الصغيرة فى جوف الجبل الكبير فلهذا السبب صارت اللفظة
 الدالة على العقل والحياة غالبية الا ان هذا القول باطل لاجماع المتكلمين على فساده ثم قال
 تعالى ففضاء سبع سموات فى يومين وقضاء الثنى انما هو اتمامه والفراغ منه والصغير فى
 قوله ففضاهن يجوز ان يرجع الى السماء على المعنى كما قال طائعين ونحوه انجاز نخل خاوية
 ويجوز ان يكون ضميرا مبهما مفسرا بسبع سموات والفرق بين النصيبين ان أحدهما
 على الحال والثانى على التمييز * ذكر أهل الاثر انه تعالى خلق الارض فى يوم الاحد
 والاثنين وخلق سائر ما فى الارض فى يوم الثلاثاء والاربعاء وخلق السموات وما فيها فى يوم
 الخميس والجمعة وفرغ فى آخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها آدم وهى الساعة التى تقوم
 فيها القيامة فان قيل اليوم عبارة عن النهار والليل وذلك انما يحصل بسبب طوارى الشمس
 وغروبها وقيل حدوث السموات والشمس والقمر كيف يعقل حصول اليوم فلهذا غناه
 انه مضى من المدة ما لو حصل هنالك فلك وشمس لكن المقدار مقدار يوم ثم قال تعالى
 وأوحى فى كل سماء أمرها قال مقاتل أمر فى كل سماء بما أراد وقال قتادة خلق فيها
 شمسها وقمرها ونجومها وقال السدى خلق فى كل سماء خلقها من الملائكة وما فيها من
 البحار وجبال البرد قال ولله فى كل سماء بيت يحج اليه ويطوف به الملائكة كل واحد
 منها مقابل الكعبة ولو وقعت مند حصاة ما وقعت الاعلى الكعبة والا قرب أن يقال قد
 ثبت فى علم النجوم انه يكفى فى حسن الاضافة أدنى سبب ولله تعالى على أهل كل سماء
 تكليف خاص فمن الملائكة من هو فى القيام من أول خلق العالم الى قيام القيامة ومنهم

احتبس عنهم قالوا
 ما نرى عتبة الاقدصا
 فانطلقوا اليه وقالوا
 يا عتبة ما حبسك عنا
 الا انك قد صبات
 فغضب ثم قال والله
 لقد كلفه فاجابني بشئ
 والله ما هو بشئ ولا
 كهانة ولا سحر ولا باع
 صاعقة عاد وثمود
 أمسكت بفيه وناسدته
 بالرحم ان يكف وقد علمتم
 أن محمدا اذا قال شيئا
 لم يكذب فنجفت ان ينزل
 بكم العذاب (فاما عاد
 فاستكبروا فى الارض)
 شروع فى حكاية
 ما يخص بكل واحدة
 من الطائفتين من الجنابة
 والعذاب اترحكاية
 ما يعم الكل من الكفر
 المطاق أى قطعوا
 فيها على أهلها
 أو استعزلوا فيها واستولوا
 على أهلها (بغير الحق) أى
 بغير استحقاق للتعظيم
 والولاية (وقالوا) مدلين
 بشدهم وقوتهم (من)
 أشد مناقرة حيث
 كانوا ذى أجسام

ركوع لا يتصوبون ومنهم سجدوا لا يرفعون وإذا كان ذلك الأمر مختصاً بأهل ذلك السماء
 كان ذلك الأمر مختصاً بتلك السماء وقوله تعالى وأوحى في كل سماء أمراً أي وكان قد
 خص كل سماء بالأمر المضاف إليه كقوله ولكم من قرية أهلكتنا ههنا فجاءها أسنا والمعنى فكان
 قد جاءها هذا ما نقله الواحدى وهو عندى ضعيف لأن تقدير الكلام ثم كان قد استوى إلى
 السماء وكان قد أوحى وهذا جمع بين الضدين لأن كلمة ثم تقتضى التأخير وكلمة كان تقتضى
 التقديم فالجمع بينهما يفيد التناقض ونظيره قولنا قاتل ضربت اليوم زيداً ثم ضربت
 غراً بالأمس فكما أن هذا باطل فكذا ما ذكرتموه وإنما يجوز تأويل كلام الله بما لا يؤدى
 إلى وقوع التناقض والركاكة فيه والمختار عندى أن يقال خلق السموات مقدم على خلق
 الأرض بقرينة أن يقال كيف تأويل هذه الآية فنقول الخلق ليس عبارة عن التكوين
 والایجاد والدليل عليه قوله تعالى أن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له
 كن فيكون فنو كان الخلق عبارة عن الإيجاد والتكوين لكان تقدير الآية أوجده من
 تراب ثم قال له كن فيكون وهذا محال لأنه يلزم أن تعالى قد قال للشيء الذى وجد كن ثم أنه
 يكون وهذا محال فثبت أن الخلق ليس عبارة عن التكوين والإيجاد بل هو عبارة عن
 التقدير والتقدير فى حق الله تعالى هو حكمه بأنه سيوجد وقضاه وبذلك وإذ ثبت هذا
 فنقول قوله خلق الأرض فى يومين معناه أنه قضى بحدوثه فى يومين وقضاه الله بأنه
 سيحدث كذا فى مدة كذا لا يقتضى حدوث ذلك الشيء فى الحال وقضاه الله تعالى
 بحدوث الأرض فى يومين قد تقدم على أحداث السماء ولا يلزم منه تقدم أحداث
 الأرض على أحداث السماء وحينئذ يزول السؤال فهذا ما وصلت إليه فى هذا الموضوع
 المشكل ثم قال تعالى فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين وأعلم أن
 ظاهر هذا الكلام يقتضى أن الله تعالى أمر السماء والأرض بالأتين طأطاعاً وامثالاً
 وعند هذا حصل فى هذه الآية قولان (الاول) أن يجرى هذه الآية على ظاهرها
 فنقول أن الله تعالى أمرهما بالأتين طأطاعاً قال القائلون بهذا القول وهذا غير
 مستبعد ألا ترى أنه تعالى أمر الجبال أن تنطق مع داود عليه السلام فقال يا جبال أو فى
 معه والطير والله تعالى أتى للجبل قال فلما تجلى ربه للجبل والله تعالى أنطق الإبدى
 والأرجل قال يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون وإذا كان
 كذلك فكيف يستبعد أن يخلق الله فى ذات السماء والأرض حياة وعقلاً وفهماً
 يوجه الأمر والتكاليف عليهما ويتأ كدهذا الاحتمال بوجوه (الاول) أن الأصل حمل
 اللفظ على ظاهره إذا اذاع منه ما منتهى ما منتهى لا مانع فوجب إجراؤه على ظاهره (الثانى)
 أنه تعالى أخبر عنهما فقالا أتينا طائعين وهذا الجمع ما يعقل ويعلم (والثالث) قوله
 تعالى أناعرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وهذا يدل على
 كونها عارضة بالله مخصوصة بتوجيه تكاليف الله عليها والاشكال عليه أن يقال المراد

طولاً وخلق عظيم
 وقد بلغ من قوتهم
 أن الرجل كان يزع
 الصخرة من الجبل
 فيقلعه ما يده (أولم يروا)
 أى أغفلوا أو ألوهم يظنوا
 ولم يعلموا علما جلياً شيها
 بالمشاهدة والعيان
 (إن الله الذى خلقهم
 هو أشد منهم قوة) أى
 قدرة فانه تعالى قادر
 بالذات مقتدر على ما لا
 ينهاه قوى على ما لا
 يقدر عليه غيره مفضل
 للقوى والقدر على كل
 قوى وقادر وإنما أورد
 فى خبر الصلاة خلقهم
 دون خلق السموات
 والأرض لادعائهم
 الشدة فى القوة وفيه
 ضرب من التهكم بهم
 (وكانوا بآياتنا) المنزلة
 على الرسل (يتحججون)
 أى ينكرونها وهم
 يعرفون حقيقتها وهو
 عطف على فاستكبروا
 كقوله تعالى وقالوا
 وما ينهمنا اعتراض
 للرد على كلهم الشعاء
 (فأرسلنا)

من قوله انيا طوعا أو كرها الاتيان الى الوجود والحدوث والحصول وعلى هذا التقدير
 فيقال توجه هذا الامر كانت السموات والارض معدومة اذ لو كانت موجودة لصار حاصل
 هذا الامر أن يقال يا موجود كن موجودا وذلك لا يجوز فثبت أنها حال توجه هذا الامر
 عليها كانت معدومة واذا كانت معدومة لم تكن قائمة ولا عارفة للخطاب فلم يجز توجه
 الامر عليها فان قال قائل روى مجاهد عن ابن عباس انه قال قال الله سبحانه للسموات
 اطلعي شمسي وقرني ونجومك وقال للارض شقي في انهارك وأخرجي ثمارك وكان الله تعالى
 أودع فيها هذه الاشياء ثم أمرهما ببرازهما واظهارهما فتقول فعلى هذا التقدير لا يكون
 المراد من قوله انيا طاعتين حدودهما في ذاتهما بل يصير المراد من هذا الامر أن يظهر اما
 كان مودعا فيهما الان هذا الكلام باطل لانه تعالى قال فقضاهن سبع سموات في يومين
 والفاء للتعقيب وذلك يدل على ان حدوث السموات انما حصل بعد قوله انيا طوعا
 أو كرها فهذا جلة ما يمكن ذكره في هذا البحث (القول الثاني) ان قوله تعالى قال لها
 وللارض انيا طوعا أو كرها ليس المراد منه توجه الامر والتكليف على السموات
 والارض بل المراد منه انه أراد توكيدهما فلم يمتنع عليهما ووجدتاهما أرادهما وكانت في
 ذلك كالأمر المطيع اذا ورد عليه أمر الأمير المطاع ونظيره قول القائل الجدار لا وند
 لم تشقني قال الوند اسأل من يدقني فان الحجر الذي ورأى ما خلا في ورأى واعلم ان هذا
 عدول عن الظاهر وانما جازا العدول عن الظاهر اذا قام دليل على انه لا يمكن اجراؤه على
 ظاهره وقدينا ان قوله انيا طوعا أو كرها انما حصل قبل وجودهما واذا كان الامر
 كذلك امتنع حمل قوله انيا طوعا أو كرها على الامر والتكليف فوجب جله على ما ذكرنا
 واعلم ان اثبات الامر والتكليف فيهما مشروط بحصول الماء وفيهما وهذا يدل على انه
 تعالى أسكن هذه السموات الملائكة وأنه تعالى أمرهم بأشياء ونهاهم عن أشياء وليس في
 الآيات ما يدل على انه انما خلق الملائكة مع السموات وأنه تعالى خلقهم قبل السموات ثم
 انه تعالى أسكنهم فيها وايضا ليس في الآيات بيان الشرائع التي أمر الملائكة بها وهذه
 الاسرار لا تليق بعقول البشر بل هي أعلى من مصاعدها فهم ومراحمي أوهاهم ثم قال
 وزينا السماء الدنيا بمصابيح وهي النيران التي خلقتها في السموات وخص كل واحد بضوء
 معين وسر معين وطبيعة معينة لا يعرفها الا الله ثم قال وحفظنا بها وحفظنا بها وحفظنا بها
 من الشياطين الذين يسترقون السمع فأعد لكل شيطان نجما يرميه به ولا يخضعه فيها
 ما يحرق ومنها ما يقتل ومنها ما يجعله مغنلا وعن ابن عباس ان اليهود سألوا الرسول صلى
 الله عليه وسلم عن خلق السموات والارض فقال خلق الله تعالى الارض في يوم الاحد
 والاثنين وخلق الجبال والشجر في يومين وخلق في يوم الخميس السماء وخلق في يوم الجمعة
 النجوم والشمس والقمر والملائكة ثم خلق آدم عليه السلام وأسكنه الجنة ثم قالت اليهود
 ثم ما ذا بالحمد قال ثم استوى على العرش قالوا ثم استراح فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم

عليهم بحاصر صرا
 أي ياردة تمهلك وتمرق
 بشدة بردها من الصبر
 وهو البرد الذي يصبر
 أي يجسم ويقبض
 أو عاصفة تصوت في
 هبوبها من الصرير
 (في أيام نحسات) جمع
 نحسة من نحس نحسا
 يقبض سعد سعدا
 وقرى بالسكون على
 التخفيف أو على أنه
 نمت على فعل أو وصف
 مصدر مبالغة قبل كن آخر
 شوال من الاربعاء الى
 الاربعاء وما عذب قوم الا
 في يوم الاربعاء (لئذيقهم
 عذاب الخزي في الحياة
 الدنيا) وقرى لئذيقهم
 على اسناد الأذقة
 الى الريح أو الى الايام
 وأضيف العذاب الى
 الخزي الذي هو الذل
 والاسكان على وصف
 له كما يعرب عنه قوله
 سبحانه (ولعذاب الآخرة
 أخزى) وهو في الحقيقة
 وصف للعذاب وقد
 وصف به

فنزّل قوله تعالى وما مننا من نعوب واعلم انه تعالى لما ذكر هذه التفاصيل قال ذلك تقدير العزيز العليم والعزیز إشارة الى كمال القدرة والعليم إشارة الى كمال العلم وما أحسن هذه الخاتمة لان تلك الاعمال لا يمكن الا بقدرة كاملة وعلم محيط * قوله تعالى (فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود أفجأتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا الا الله قالوا الوشاعر بينا أنزل ملائكة فأنابا أرسلتم به كفارون وأما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من أشد منافرة أوليبروا أن الله الذي خلقهم هم أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون فإرسلنا عليهم رجعا صرنا في أيام نحسات لننذيرهم عذاب الحزى في الحياة الدنيا وعذاب الآخرة أخرى وهم لا ينصرون وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ونجينا الدين آمنوا وكانوا يتقون) اعلم ان الكلام انما ابتدئ من قوله انما الحكم اله واحد واحتج عليه بقوله قل أنذرتكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وحاصله ان الاله الموصوف بهذه القدرة القاهرة كيف يجوز الكفر به وكيف يجوز جعل هذه الاجسام الخسيسة شركا له في الالهية ولما تم تلك الحجة قال فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود وبيان ذلك لان وظيفة الحجة قدمت على أكل الوجوه فان بقوا مصرين على الجهل لم يبق حينئذ علاج في حقهم الا انزال العذاب عليهم فلهذا السبب قال فان أعرضوا فقل أنذرتكم بمعنى ان أعرضوا عن قبول هذه الحجة القاهرة التي ذكرناها وأصروا على الجهل واستقلد قتل أنذرتكم والانهار هو التخويف قال المبرد والصاعقة النائرة المهلكة لاي شيء كان وقرى صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود قال صاحب الكشاف وهي المرة من الصعق ثم قال أفجأتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم وفيه وجهان (الاول) المعنى ان الرسل البعوثين اليهم أتوهم من كل جانب واجتهدوا بهم وأتوا بجمع وجوه الخيل فلم يروا منهم الا العتو والاعراض كما حكى الله تعالى عن الشيطان قوله ثم لا تبينهم من بين أيديهم ومن خلفهم يعني لا تبينهم من كل جهة ولا أعلن فيهم كل حيلة ويقول الرجل استدرت بفلان من كل جانب فلم تؤثر حيلتي فيه (السؤال الثاني) المعنى ان الرسل جاءتهم من قبلهم ومن بعدهم فانا قبل الرسل الذين جاؤا من قبلهم ومن بعدهم كيف يمكن وصفهم بانهم جاؤهم فلما قد جاءهم هو ودوا لداعين الى الايمان بهما ويحميم الرسل وبهذا التقدير فكان جميع الرسل قد جاؤهم ثم قال الاتعبدوا الا الله يعني ان الرسل الذين جاؤهم من بين أيديهم ومن خلفهم أمرهم بالوحد ونفي الشرك قال صاحب الكشاف أن في قوله أن لاتعبدوا الا الله بمعنى أي أو مخففة من الثقيلة أصله بانه لاتعبدوا أي بأن الشأن والحديث قولنا لكم لاتعبدوا الا الله ثم حكى الله تعالى عن أولئك الكفار انهم قالوا الوشاعر بينا أنزل ملائكة يعني انهم

العذاب للبالغة (وهم لا ينصرون) يدفع العذاب عنهم بوجد من الوجوه (وأما ثمود فهديناهم) فدلناهم على الحق بنصب الآيات التكوينية وإرسال الرسل وانزال الآيات التشريعية وأزحنا عنهم بالكلمة وقدمر تحقيق معنى الهدى في تفسير قوله تعالى هدى للفقير وقرى ثمود بالنصب بفعل يفسره ما بعده ومنونا في الحالين وبضم اللاء (فاستحبوا العمى على الهدى) أي اختاروا الضلالة على الهداية (فأخذتهم صاعقة العذاب الهون) داهية العذاب وقارعة العذاب والهون الهوان وصف به العذاب مبالغة أو أبذل منه (بما كانوا يكسبون) من اختيار الضلالة (ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) من تلك الصاعقة

(ويوم يحشر أعداء الله) شروع في بيان عقوباتهم الآجلة التي يانصفون بها العاجلة والتعير عنهم بأعداء الله تعالى
لذمهم والأيذان به ما يحق بهم ﴿ ٣٦٦ ﴾ من ألوان العذاب وقيل المراد بهم الكفار من الأولين والآخرين ويرده

مأسي من قوله تعالى
في أم قد خلت من قبلهم
من الجن والإنس وقرئ
يحشر على بناء الفاعل
ونصب أعداء الله وبنون
العظمى وضم الشين
وكسرها (إلى النار)
أي إلى موقف الحساب
أذنه لتتحقق الشهادة
الآتية لا بعد تمام السؤال
والجواب وسوفهم إلى
النار والتعير عنه بالنار
أما الأيذان بأنها عاقبة
حشرهم وأنهم على
شرف دخولها وأما
لأن حسابهم يكون على

شقيها يوم أمانصوب
بذكر أو ظرف لمضمر
مؤخر قد حذف إماما
لقصور العبادة عن
تفصيله كأمري في قوله
تعالى يوم يجمع الله
الرسول وقيل ظرف لما
يدل عليه قوله تعالى
(فهم يوزعون) أي
يحبس أولاهم على آخرها
ليتلاحقوا وهو عبارة
عن كثرتهم وقيل
يساقون ويدفعون إلى
النار وقوله تعالى (حتى
إذا ما جاؤوها) أي
جميعا غاية ليحشر

كذبوا أولئك الرسل وقالوا الدليل على كونكم كاذبين أنه تعالى أوشاء إرسال الرسل إلى
البشر لجعل رسله من زمرة الملائكة لأن إرسال الملائكة إلى الخلق أفضى إلى المتصود
من البعث والرسالة ولما ذكروا هذه الشبهة قالوا فأنابا أرسلتم به كافرون معناه فإذا أنتم
بشر ولستم بملائكة فأنتم لستم برسل وأذالم تكونوا من الرسل لم يلزمنا قبول قولكم وهو
المراد من قوله فأنابا أرسلتم به كافرون واعلم أنابا معنا في الجواب عن هذه الشبهات في
سورة الأنعام وقوله أرسلتم به ليس بأقرار منهم بكون أولئك الأنياب رسلا وإنما ذكره
حكاية لكلام الرسل أو على سبيل الاستهزاء كما قال فرعون إن رسولكم الذي أرسل إليكم
لجنون ﴿ ٣٦٧ ﴾ روى أن أباجهل قال في ملا من قرئش التبس علينا أمر محمد فقلوا التسم لنا رجلا
عالما بالشعر والسحر والكهانة فكلّمه ثم أتانا ببيان عن أمره فقال عتبة بن ربيعة والله
لقد سمعت الشعر والسحر والكهانة وعلمت من ذلك علما وما يخفى على فأنابا فقال يا محمد
أنت خير أم هاشم أنت خير أم عبدالمطلب أنت خير أم عبدالله لم تشتم أئمتنا وتضلنا فان
كنت تريد الرياسة عقدنا لك الأواء فكنت رئيسنا وإن تكن بك البادة زوجناك عشرين
نسوة تختارهن أي بنات من شئت من قرئش وإن كان المال مرادك جعنا لك ما تستغنى به
ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت فلما فرغ قال بسم الله الرحمن الرحيم حم تعزّل من
الرحمن الرحيم إلى قوله صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسك عتبة على فيد وناشد به الرحمن
ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قرئش فلما احتبس عنهم قالوا لا ترى عتبة الأقدصيا فأنظروا
إليه وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا إلا أنك قد صبأت فغضب وأقسم لا يكلم محمدا أبدا ثم قال
والله لقد كنته فاجاني بشي ما هو بشعر ولا سحر ولا كهانة ولما بلغ صاعقة مثل صاعقة عاد
وثمود أمسكت بفيه وناشدته بالرحم ولقد علمت أن محمدا إذا قال شيئا لم يكذب فغضت أن
ينزل بكم العذاب واعلم أنه تعالى لما بين كفر قوم عاد وثمود على الأجلال بين خاصة كل
واحدة من هاتين الطائفتين فقال فاما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وهذا الاستكبار
في دو جهنم (الأول) أظهر الخوة والكبر وعدم الالتفات إلى الغير (والثاني) الاستعلاء
على الغير واستخذامهم ثم ذكر تعالى سبب ذلك الاستكبار وهو أنهم قالوا من أشد منافوة
وكانوا مخصوصين بكبر الأجسام وشدة القوة ثم أنه تعالى ذكر ما يدل على أنه لا يجوز لهم أن
يفتروا بشدة قوتهم فقال أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة يعني أنهم وإن
كانوا أقوى من غيرهم فالله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة فإن كانت الزيادة في القوة
توجب كون الناقص في طاعة الكامل فهذه المعاملة توجب عليهم كونهم متقدين لله
تعالى خاضعين لأوامره ونواهيده واحتج أصحابنا بهذه الآية على إثبات القدرة لله فقالوا
القوة ههنا هي القدرة فقوله الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة يدل على إثبات القدرة لله
تعالى ويؤكد هذا بقوله إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين فإن قيل صيغة أفعال التفضيل
أما تجرى بين شيئين أحدهما مع الآخر نسبة لكن قدرة العبد متناهية وقدرة الله

أولم يوزعون أي حتى إذا حضرها ﴿ ٤٦ ﴾ سا وما من بدء اتسا كيد اتصال الشهادة بالحضور

(شهد عليهم ستمهم وأبصارهم وحلودهم بما كانوا يعملون) في الدنيا من فنون الكفر والمعاصي بأن يقطعها الله تعالى أو يظهر عليها آثار ما اقترفوا بها من إثم ٣٦٢ ع. عباس رضي الله عنهما أن المراد بشهادة الجلود

شهادة الفروج وهو الأنسب بتخصيص السؤال بها في قوله تعالى (وقالوا لآلئهم لم شهدتم علينا) فإن ما شهد به من الزنا أعظم جناية وفيها وأجل الخزي والتوبيخ مما شهد به السمع والأبصار من الجنائيات المكتسبة بتوسطهما وقيل المراد بالجلود الجوارح أي ساوها سؤال توبيخ لما روي أنهم قالوا لها فمكن كنا نواصل وفي رواية بعسا لكن وسعنا عذرك كنت أعجل وصغيفت جمع الغفلة في خطاب الجلود في قوله تعالى (قالوا أظننا الله الذي أنطق كل شيء) لو وقعها في موقع السؤال والجواب المخصص بالعقلاء أي أنطقنا الله الذي أنطق كل ناطق وأقرنا على بيان الواقع فشهدنا عليكم بما علمتم بواسطتنا من أقبايح وما كنا لها وقيل ما ضفتنا باختيارنا بل أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وليس بذلك لما فيه من إيعام الاضطراب في الأخبار وقيل ساوها سؤال لعجب فلا ينبغي لهم

لأنها إذا لها والمتأهلي لأنسب له إلى غير المتأهلي فقام على قوله أن الله أشد منهم قوة فلنا هذا ورد على قانون قولنا الله أكبر ثم قال وكانوا يأتينا يتجددون والمعنى أنهم كانوا يعملون منها حق ولكنهم جحدوها كما يتجدد المودع الوديعه وأعلم أن نظم الكلام أن يقال اما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وكانوا يأتينا يتجددون وقوله وقالوا من أشد منا قوة أوامروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة اعتراض وقعه في البين لتقرير السبب المدعى لهم إلى الاستكبار وأعلم أننا ذكرنا أن مجامع الخصال الحميدة الاحسان إلى الخلق والتعظيم الخالق قوله استكبروا في الأرض بغير الحق مضاد الاحسان إلى الخلق وقوله وكانوا يأتينا يتجددون منقاد للتعظيم الخالق وإذا كان الأمر كذلك فهم قد بلغوا في الصفات المدعومة الموجبة للهلاك والابطال إلى الغاية القصوى فلها المعنى ساطع الله العذاب عليهم فقال فارسنا عليهم بخاصر صرا وفي المصير قولان (أحدهما) أنها العاصفة التي تضرر صر أي تصوت في هبوبها وفي قوله هذه التسمية وجوه قيل إن الريح باح عند اشتداد هبوبها السمع منها صوت يشبه صوت العاصف فسميت هذه الريح بهذا الاسم وقيل هو من صرير الباب وقيل من العسرة وهي الصيحة ومنه قوله تعالى فأقبلت امرأته في صرة (والقول الثاني) أنها الباردة التي تحرق ببردتها كما تحرق النار بحرها وأصلها من الصر وهو البرد قال تعالى كمثل ريح فيها صر وروي عن رسول الله أنه قال الريح ثمان أربع منها عذاب العاصف والصر صر العقيم والعموم وأربع منها رحمة الناشرات والمبشرات والمرسلات والنداريات وعن ابن عباس أن الله تعالى ما أرسل على عباده من الريح إلا قدر رخائس والمقصود أنه مع قوته أهلك السلك وذلك يدل على كمال قدرته وأما قوله في أيام تحسات فمساءئل (المسألة الأولى) قرأنا في ابن كثير وأبو عمرو تحسات يسكون الماء والياقوت بكسر الهمزة قال صاحب الكشاف يقال تحس تحسان فيض سعد سعدا فهو تحس وأما تحس فهو ما تخفف تحس أو صفة على فعل أو وصف بمصدر (المسألة الثانية) استدلال الحكماء من التجهيز بهذه الآية على أن بعض الأيام قد يكون تحسا وبعضها قد يكون سعدا وقالوا هذه الآية صريحة في هذا المعنى أجاب المتكلمون بأن قالوا الأيام تحسات أي ذوات غبار وراب ثار لا يكاد يصرفه ويتصرف وأيضا قالوا معنى كون هذه الأيام تحسات أن الله أهلكهم فيها أجاب المستدل الأول بأن التحسات في وضع الله هي المشؤمات لأن العس يتألبه السعد والكدر يتألبه الصافي وأجاب عن السؤال الثاني أن الله تعالى أخبر عن إشفاق ذلك العذاب في تلك الأيام التحسات فوجب أن يكون كون تلك الأيام تحسة معار لذلك العذاب الذي وقع فيها ثم قال تعالى لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا أي عذاب الهوان والنذل والسبب فيه أنهم استكبروا فقابل الله ذلك الاستكبار بإبصال الخزي والهوان والنذل اليهم ثم قال تعالى وأما الآخرة فآخزي أي أشد آهانة وخزيا وهم لا يصرون أي أنهم يفعلون في الخزي الشديد ومع ذلك فلا يكون بل أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وليس بذلك لما فيه من إيعام الاضطراب في الأخبار وقيل ساوها سؤال لعجب فلا ينبغي لهم

حينئذ ليس نطقنا بحسب من قدرة الله الذي أنطق كل حي (وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون) فان من قدر على خلقكم وإنشائكم أولا وعلى إعادةكم ٢٦٣ ورجعكم الى جزائه نائبا لا يحب من انطقه لجوارحكم ولعل

اهم ناصر يدفع ذلك الخزي عنهم ولما ذكر الله تعالى قصة عادانية بقصة نود وقال وأما نود قال صاحب الكشف قري نود بازفع والتصب متونا وغير متون والرفع افصح لو وقع بعد حرف الابداء وقرى بضم الاء فهديتاهم أى دلتاهم على طريق الخير والشر فاستحبوا العمى على الهدى أى اختاروا الدخول فى الضلالة على ما لدخول فى الرشيد واعلم أن صاحب الكشف ذكر تفسير الهدي فى قوله تعالى هدى للفقهاء ان الهدي عبارة عن الدلالة الموصلة الى البعية وهذه الآية تبطل قوله لانها تدل على ان الهدي قد حصل مع ان الافضاء الى البعية لم يحصل فثبت ان قيد كونه مفضيا الى البعية غير معتبر فى اسم الهدي وقد ثبت فى هذه الآية سؤال يسعرب ذلك الاله لم يذكر جوابا شافيا فتركناه فالت معتزلة هذه الآية على ان الله تعالى قد نصب الدلائل ويرجع الاصدار والعلل الآن الايمان انما يحصل من العبد لان قوله وأما نود فهديتاهم يدل على انه تعالى قد نصب لهم الدلائل وقوله فاستحبوا العمى على الهدى يدل على انهم من عند أنفسهم اتوا بذلك العمى فهنا يدل على ان الكفر والايمان يحصلان من الله لا من العبد وبانه من وجهين (الاول) انهم انما صدر عنهم ذلك العمى لانهم احبوا تحصيله فلما وقع فى قلوبهم هذه المحبة تدون محبة تشبهه فان حصل ذلك التراجع لالمرجع فهو باطل وان كان المرجع هو العبد عاد الطالب وان كان المرجع هو الله فقد حصل المطلوب (الثانى) انه تعالى قال فاستحبوا العمى على الهدى ومن العلوم الضرورية ان أحد الانجب العمى والجهل مع العلم بكونه عمى وجهلا بل ما لم يكن فى ذلك العمى والجهل كونه يتصرفه وعلما لا يرغب فيه فاقدمه على اختيار ذلك الجهل لا بد وان يكون مسبوقا بجهل آخر فان كان ذلك الجهل الثانى باختياره يضار من التسلسل وهو محال فلا بد من انتهاء تلك الجهالات الى جهل يحصل فيه لا باختياره وهو المطلوب ولما وصف الله كفرهم قال فاخذتهم صاعقة العذاب الهون وصاعقة العذاب أى داهية العذاب والهون الهوان وصف به العذاب مبالغة أو يدل منه بما كانوا يكسبون يريد من شرهم وتكذيبهم صالحا وتعقرهم النافذة وشرع صاحب الكشف ههنا فى سفاهة عظيمة والاولى ان لا يلتفت اليه لانه وان كان قد سعى سعي احسن فيما يتعلق بالالفاظ الا ان المسكين كان بعيدا من المعاني ولما ذكر الله الوعيد اورد فيه بالوعد وقال ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون يعنى وكانوا يتقون الاعمال التى كان يأتى بها قوم عاد وثمود فان قيل كيف يجوز ان رسول صلى الله عليه وسلم أن ينذر قومه مثل صاعقة عاد وثمود مع العلم بان ذلك لا يقع فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقد صرح الله تعالى بذلك فى قوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وجاء فى الاحاديث الصحيحة ان الله تعالى رفع عن هذه الامة هذه الانواع من الآفات قلنا انهم لما عرفوا كونهم مشاركين لعاد وثمود فى استحقاق مثل تلك الصاعقة جوزوا حدوث ما يكون من جنس ذلك وان كان أقل درجة منهم وهذا القدر يكفى فى

صعبة المضار مع ان هذه الحادثة بعد البعث والرجع لما أن المراد بالرجع ليس مجرد الرد الى الحياة بالبعث بل ما بعده وما يرتب عليه من العذاب الخالد المترقب عند الخطأ على تغليب المتوقع على الواقع على أن فيه مراعاة التواضع وقوله تعالى (وما كنتم تسترون أن تشهد عليكم بمعصيكم ولا أبصاركم ولا جلودكم) حكاية لما سيقال لهم يومئذ من جهته تعالى بطريق التوبيخ والتعريض فتر الجواب الجلود أى ما كنتم تسترون فى الدنيا عند مباشرتكم الفواحش مخافة أن تشهد عليكم جوارحكم بذلك كما كنتم تستترون من الناس مخافة الافضاح عندهم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء رأسا (ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون) من القبايح الخفية فلا يظهرها

فى الآخرة ولذلك اجترأتم على ما فعلتم وفيه ايدان بان شهادة الجوارح بأعلامه تعالى حينئذ

لأبائهم كانت طاعة بما شهدت به عند صدوره عنهم * عن ابن مسعود رضي الله عنه كنت مستقرا بأشار الكعبة فدخل ثلاثة نفر نفقيا من وقرشي أو قريشيا ونفي فقال أحدهم أترون أن الله **﴿ ٣٦٤ ﴾** يسمع

الخوف من قوله تعالى (ويوم نحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون حتى إذا ماجأوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقاموا جلودهم لم تشهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم) أي أن الله الذي أنطق كل شيء وهو خالقكم أول مرة وإلى ترحمهم وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم وبصارتكم وجلودكم ولكن قلنتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وذلكم ظنكم الذي ظنتم بربكم أرداكم وأصبحتم من الخاسرين فإن أصبروا فالنار أولى بهم وإن يستعبدوا منهم من المتعبد لهم (واعلم أنه تعالى لما بين كيفية عقوبة أولئك الكفار في الدنيا أردفه بكيفية عقوبتهم في الآخرة ليحصل منه تمام الاعتبار في الجزع والتحذير وقرآن دفع نحشروا أعداء الله بالنصب أضاف الحشر إلى نفسه والتقدير نحشر الله من أجل أعداء الكفار من الأولين والآخرين ويحتمل أنه معطوف على قوله ونحيبنا فيحسن أن يكون على وقته في اللفظ ويقويه قوله يوم نحشر المتعين وحشرناهم وأما الباقيون فمروا على قول ما لم يسم فاعلمه لأن قصده تودقته وقوله يوم نحشروا ابتداء كلام آخر وأيضا الحشرون لهم هم المأمورون بقوله احشروا وهم اللانكته وأرضا أن هذه القراءة موافقة لقوله فهم يوزعون وأيضا تقدير القراءة الأولى أن الله تعالى قال ويوم نحشر أعداء الله إلى النار فكان الأولى على هذا التقدير أن يقال ويوم نحشر أعداءنا إلى النار واعلم أنه تعالى لما ذكر أن أعداء الله يحشرون إلى النار قال فهم يوزعون أي يحبس أولهم على آخرهم أي يوقف سواهم حتى يصل إليهم تواليهم والمقصود بيان أنهم إذا اجتمعوا سئلوا عن أعمالهم ثم قال حتى إذا ماجأوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم وفيه مسائل (المسئلة الأولى) التقدير حتى إذا ماجأوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم وعلى هذا التقدير فكلمة ماصلة وقيل فيها فائدة زائدة وهي تأكيد أن عند مجيئهم لا بد وأن تحصل هذه الشهادة كونه لهم إذا ما وقع أمتهم به أي لا بد وقت وقوعه من أن يكون وقت إيمانهم به (المسئلة الثانية) روى ابن العبد يقول يوم القيامة يارب انقرة ألت قد وعدتني أن لا تنفك في قول الله تعالى فإنك ذلك فيقول العبداني لأقبل على نفسي شاهدا لمن نفسي فينحني الله على فيه ويتطرق أعضاء بالأعمال التي صدرت منه فذلك قوله شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم واختلف الناس في كيفية الشهادة وفيه ثلاث أقوال (أحدها) أنه تعالى يخلق الفهم والقدرة والنطق فيها فتشهد كما يشهد الرجل على ما يعرفه (والثاني) أنه تعالى يخلق في تلك الأعضاء الأصوات والحروف الدالة على تلك المعاني كما خلق الكلام في الشجرة (والثالث) أن يظهر في تلك الأعضاء أحوال تدل على صدور تلك الأعمال من ذلك الإنسان وتلك الامارات تسمى شهادات كما يقال يشهد هذا العالم بغيرات أحواله على حدوثه واعلم أن هذه المسئلة صعبة على المعتزلة أما القول الأول فهو صعب على مذهبهم لأن البنية عندهم شرط لحصول العقل والقدرة فالناس مع كونه لسانا يمتنع أن يكون محلا للعقل والعقل فان غير الله تعالى تلك البنية

أن جهرا ولا يسمع أن أخفيا فذكرت ذلك ثاني صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى وما كنتم تستترون الآية فآخذكهم المحسكي حينئذ يكون شامخا من كل على ذلك الاعتقاد من الكفرة وأهل الانسب أن يراد بالظن معنى مجازي يعم معناه الحقيق وما يجري مجراه من الأعمال المنبئة منه كما في قوله تعالى يحسب أن ماله أخلده ليعلم ما يحكي من الحال جميع أصناف الكفرة فتدبر (وذلكم) إشارة إلى ما ذكر من ظنهم وما فيه من معنى البعد للإيدان بما يبعد منزلة في الشئ والسوء وهو مبتدأ وقوله تعالى (ظنكم الذي ظنتم بربكم أرداكم) خبر أنه ويجوز أن يكون ظنكم بدلا وأرداكم خبرا (فأصبحتم) بسبب ذلك الظن السوء الذي أهلككم (من الخاسرين) انحصار ما نكحوا لنيل سعادة الدارين سببا لبقاء النشأ بين (فان) يصبروا فالنار تنوي لهم) أي محل ثواب وأقامة

٩ قوله وقري وان يستعوا أي بصيغة المفعول والمعتين بصيغة الفاعل اه

أيدية لهم بحيث لا يراهم

منها والانفات الى النية الايدان ٢٦٥ هـ باقتضاء ما لهم أن يعرض عنهم ويحكي سوء حالهم لغيرهم أو

للاشعار يا عبادهم

عن حين الخطاب

والقائم في غاية دركات

النار (وان يستعوا)

أي يسألوا العبي وهو

الرجوع الى ما يحبونه

جزعناهم فيه (فأهم

من المعتين) المجابين

اليهم وانظروا قوله تعالى

سواء غلبنا أجرتنا أم

صبرنا مالنا من نعص

٩ وقري وان يستعوا

فأهم من المعتين أي

ان يسألوا أن يرضوا

رهم فأهم فاعلون

لقوات المكنة) وقبضنا

إهم) أي قدرنا الكفرة

في الدنيا (قرناء) جمع

قرين أي اخذنا من

الشياطين يستوانون

عليهم استلاء القبض

وهو القشر وقبيل

أصل القبض البديل

ومنه المقابلة للعاودة

(فزينواهم ما بين

أيديههم) من أمور الدنيا

واتباع الشهوات (وما

خلفهم) من أمور

الآخرة حيث أروهم

ان لا يبعث ولا حساب

ولا مكروه قط (وحق

عليهم القول) أي بات

والصورة يخرج عن كونه لسانا وطلاها لا يتبدل على إضافة تلك الشهادة الى
السمع والبصر والجلود فان قلنا ان الله تعالى ما غير بنية هذه الاعضاء فحينئذ يمتنع عليها
كونها عاقلة ناطقة فاهمة وأما القول الثاني وهو أن يقال ان الله تعالى خلق هذه
الاصوات والحروف في هذه الاعضاء وهذا أيضا باطل على أصول المعتزلة لان مذهبهم أن
المتكلم هو الذي نزل الكلام لا ما كان موصوفا بالكلام فأنهم يقولون ان الله تعالى خلق
الكلام في الشجرة وكان المتكلم بذلك الكلام هو الله تعالى لا الشجرة فهذه اولى قلنا ان
الله تعالى خلق الاصوات والحروف في تلك الاعضاء لزم أن يكون الشاهد هو الله تعالى لا تلك
الاعضاء ولزم أن يكون المتكلم بذلك الكلام هو الله لا تلك الاعضاء وتظاهر القرآن يدل على
أن تلك الشهادة شهادة صدرت من تلك الاعضاء لا من الله تعالى لانه تعالى قال شهد عليهم
سوءهم وأبصارهم وجلودهم وأذنانهم قالوا تلك الاعضاء لم تشهدتم علينا فقلت الاعضاء
أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وكل هذه الآيات دالة على ان المتكلم بتلك الكلمات هي
تلك الاعضاء وان تلك الكلمات ليست كلام الله تعالى فهذا توجيه الاشكال على هذين
القولين وأما القول الثالث وهو تفسير هذه الشهادة بظهور أمارات مخصوصة على هذه
الاعضاء دالة على صدور تلك الاعمال منهم فهذا عدول عن الحقيقة الى المجاز والاصل
عدمه فهذا انتهى الكلام في هذا البحث أما على مذهب أصحابنا فهذا الاشكال غير
لازم لان عندنا البنية ليست شرطا للحياة ولا للعالم ولا للقدرة فأن الله تعالى قادر على خلق العقل
والقدرة والناطق في كل جزء من أجزاء هذه الاعضاء وعلى هذا التقدير فالاشكال زائل
وهذه الآية يحسن التمسك بها في بيان أن البنية ليست شرطا للحياة ولا شيء من الصفات
المشروطة بالحياة والله أعلم (المسئلة الثالثة) ما رأيت للمفسرين في تخصيص هذه الاعضاء
الثلاثة بالذكور سببا وفائدة وأقول لاشك ان الحواس خمسة السمع والبصر والشم والذوق
واللمس ولا شك أن آلة اللبس هي الجلد فأنه تعالى ذكر ههنا ثلاثة أنواع من الحواس
وهي السمع والبصر واللمس وأهمل ذكر تروعين وهما الذوق والشم لان الذوق داخل في
اللمس من بعض الوجوه لان ادراك الذوق إنما يأتي بان تصير جلدة اللسان والحنك
حاسة لجرم الطعام فكان هذا دالا فريد فبقي حس الشم وهو حس ضعيف في الانسان
وليس لله فيه تكليف ولا أمر ولا نهى اذا عرفت هذا فنقول نقل عن ابن عباس أنه قال
المراد من شهادة الجلود شهادة الفرو وج قال هذا من باب الكليات كما قال وأمكن
لاتواعدوهن سرا وأراد النكاح وقال أوجبا أحدنكم من الغائط والمراد قضاء الحاجة
وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أول ما يتكلم من آدمي فخذوه وكفه وعلى هذا التقدير
فتكون هذه الآية وعبد أشيدا في الآيات باننا لان مقدمة اننا انما نحصل بالكف ونهاية
الامر فيها انما نحصل بالفخذ ثم حكى الله تعالى عنهم أنهم يقولون لتلك الاعضاء لم شهدتم
علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون ومعناه

وتقرر عليهم كلمة العذاب وتحقق موجبها ومصدقها وهو قوله تعالى

لا يلبس فالحق والحق أقول لا ملأن جهنم منك ومن قومك منهم اجمعين وقوله تعالى لمن تبعك منهم لا ملأن جهنم منك
أجمعين كما مر مرارا (في اتم) حال من الضمير المجرور أي كائين ﴿ ٣٦٦ ﴾ كفي حيلة أتم وقيل في معنى مع وهذا كما ترى

ان القادر على خلقكم وانصافكم في المرة الاولى حالكم كنتم في الدنيا ثم على خلقكم
وانصافكم في المرة الثانية وهي حال اقباعكم والبعث كيف يستبعد منه انطاق الجوارح
والاعضاء ثم قال تعالى وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم
فالمعنى اثبات أنهم كانوا يستترون عند الاقدام على الاعمال القبيحة الا ان استنارهم
ما كان لاجل خوفهم من أن يشهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم وذلك لانهم كانوا
متكررين للبعث والقبعة ولكن ذلك الاستنار لاجل انهم كانوا يظنون أن الله لا يعلم
الاعمال التي يقدمون عليها على سبيل الخفية والاستنار عن ابن مسعود قال كنت مستترا
بأسنار الكعبة فدخل ثلاثة نفر على ثقبان وقرئ فقال أحدهم أترون الله بسمع
ماتقولون فقال الرجلان اذا سمعنا أصواتنا سمع والام يسمع فذكرت ذلك لرسول صلى الله
عليه وسلم فزل وما كنتم تستترون ثم قال تعالى وذلك ظنكم الذي ظننتم بربكم
أرداكم فأصبحتم من الخاسرين وهذا نص صريح في أن من ظن بالله تعالى انه يخرج شئ
من المعلومات عن علمه فانه يكون من الهالكين الخاسرين قال أهل التحقيق الظن قسمان
ظن حسن بالله تعالى وظن فاسد أما الظن الحسن فهو أن يظن به الرحمة والفضل قال صلى
الله عليه وسلم حكايه عن الله عز وجل ان عند ظن عبدي بي وقال صلى الله عليه وسلم لا يؤمن
أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله والظن القبيح فاسد وهو أن يظن بالله تعالى أنه يعزب عن
علمه بعض هذه الاحوال وقال قتادة الظن نوعان ظن منيع وظن مرد فالنجي قوله اني
ظننت اني ملاق حسابه وقوله الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأما الظن المردى فهو قوله
وذلك ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم قال صاحب الكشف وذلكم رفم بالابتداء
وظنكم وأرداكم خبران ويجوز أن يكون ظنكم بئلا من ذلكم وأرداكم الخبر ثم قال فان
يصبروا فالتار مشى لهم يعني ان أمسكوا عن الاستغاثة افرج ينظرونه لم يجدوا ذلك
وتكون التار مشى لهم أي مقاماتهم وان يستعبروا فاساهم من المعصين أي لم يوالعبي
ولم يجابوا اليهم وانظيره قوله تعالى أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محصر رب
فاهم من المعصين أي ان يسئلوا أن يرصوا ربهم فاهم فاعوان أي لا سبيل لهم الى ذلك * قوله
تعالى (وقبضنا لهم قرنا) فمن يتوالههم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في ام قد
خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين وقال الذين كفروا لا تسفهوا هذا
القرآن وانعوا فيه لكم تغلبون فلندين الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم أسوأ
الذي كانوا يعملون ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء ما كانوا بانسا
يحبسون وقال الذين كفروا ربنا انا الذين أضلانا من الجن والانس يجعلهما سمحت
أعدائنا لئلا يكونا من الاسفلين (اعلم انه تعالى لما ذكر الوعيد الشديد في الدنيا والآخرة
على كفر أولئك الكفار أردف به ذكر السبب الذي لاجله وقعوا في ذلك الكفر فقال وقبضنا
لهم قرنا وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قال صاحب الصحاح يقال قبضت الرجل مقابضة

صريح في أن المراد
باعداء الله تعالى فيما سبق
المعهودون من عاد
وعود الكفار من الاولين
والآخرين كما قبل
(قد خلت) صفة لانهم
أي قبضت (من قبلهم
من الجن والانس)
على الكفر والعصيان
كذاب هؤلاء (انهم
كانوا خاسرين) تعليل
لاستحقاقهم العذاب
والعصية للاوليين
والآخرين (وقال
الذين كفروا) من رؤساء
المشركين لاقابهم
أوقال بعضهم بعض
(لا تسفهوا هذا القرآن)
أي لا تستصغروا (وانعوا
فيه) وعارضوه بالخرافات
من الرجز والشعر
وانصديدية و المكاء
أوارفوا أصواتكم
بها تشو شوه على
القارئ بضم العين
والمعنى واحد يقال اني
بلغني كذا بلغوا بلغوا
اذا هسلني (اعلمكم
تغلبون) أي تغلبونه على
قراءته فلندين الذين
كفروا (أي فوالله
لندين هؤلاء القائلين

واللاعنين وأجميع الكفار وهم داخلون فيهم دخولا ولأيا (عذابا شديدا) لا يقادر قدره (ولنجزينهم) أي

أسوأ الذي كانوا يعملون) أى جزاء سيأت (٣٦٧) أعمالهم التي هي في انفسها أسوأ وقيل انه لا يجازيهم بمعاسن

أعمالهم كإغاثة الملهوفين
وصلة الارحام وقرى
الاضياق لانها محبطة
بالكفر وعن ابن عباس
رضي الله عنهم ما عذابا
شديدا يوم بدر وأسوأ
الذي كانوا يعملون في
الآخرة (ذلك) مبتدأ
وقوله تعالى (جزاء
أعداء الله) خبر ما
ذكر من الجزاء جزاء
معد لأعداءه تعالى وقوله
تعالى (النار) عطفية
الجزاء أو ذلك خبر مبتدأ
معدوف أى الامر ذلك
على انه عبارة عن معصون
الجملة لا عن الجزاء وما بعده
جملة مستقلة مبنية لما قبلها
وقوله تعالى (لهم) فيها
دار الخلد جملة مستقلة
مقررة لما قبلها وألنار
مبتدأ هي خبر ما هي
بمعناها دارقامتهم على
ان في التجر يد وهو ان
يترفع من امر ذي صفة
امر آخر مثله مبالغة لكماله
فيها كما يقال في البيضة
عشرون متناهي وقيل
هي على معناها والمراد
ان لهم في النار المشتلة
على الدركات دارا
تخصوصة هم فيها
خالدون (جزاء بما كانوا يأتون) منصوب

أى عاوضته بما عاوهما فيضنا كما يقال يعان وقبض الله فلا تفلان أى جاء به وأتى به
ومنه قوله تعالى وقبضنا لهم قرناء (المسئلة الثانية) أخرج أصحابنا بهذه الآية على انه تعالى
يريد الكفر من الكافر فقالوا انه تعالى ذكر انه قبض لهم أولئك القرناء وكان علما بأنه متى
قبض لهم أولئك القرناء فأنهم يزعمون الباطل لهم وكل من فعل فملا وعلم أن ذلك الفعل
يفضى الى أثر لا محالة فان فاعل ذلك الفعل لا يد وان يكون مريدا لذلك الأثر فثبت أنه
تعالى لما قبض لهم قرناء فقد أراد منهم ذلك الكفر أجاب الجبائي عنده بأن قال لو أراد
المعاصي لكانوا بغير مطيعين اذا فاعل لما أراد من غير مطيعين لكون مطيعا له وأن
قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون يدل على انه لم يرد منهم الا العبادات فثبت بهذا
تعالى لم يرد منهم المعاصي وما هذه الآية فتقول انه تعالى لم يقل وقبضنا لهم قرناء ليعتقوا
لهم وانما قل فريناو لهم فهو تعالى قبض القرناء لهم بمعنى انه تعالى أخرجه كل أحدا الى
آخر من جنسه فقبض أحد الزوجين الآخر والعنى للتفريق والتفريق لئلا يمتنع بين تعالى ان
بعضهم يزعم المعاصي للبعض واعلم ان وجه استدلال أصحابنا لما ذكرناه وهو ان من فعل
فعلا وعلم قطعا أن ذلك الفعل يفضى الى أثر فان فاعل ذلك الفعل يكون مريدا لذلك الأثر
فهذه الآية تعالى قبض أولئك القرناء لهم وعلم انه متى قبض أولئك القرناء لهم فأنهم يتقنون
في ذلك الكفر والضلال وما ذكره الجبائي لا يدفع ذلك وقوله ولو أراد الله منهم المعاصي
لكانوا بغير مطيعين الله قلنا لو كان من فعل ما أراد من غير مطيعا له لوجب أن يكون الله
مطيعا لعباده اذا فاعل ما أرادوه ومعلوم أنه باطل وأيضاً فهذا الزام لا ينفي لانه يقال ان
أردت بالطاعة انه فعل ما أراد فهذا الزام لا شئ على نفسه وان أردت غيره فلا بد من بيانه
حتى يتفرق فيه انه فعل ما لا (المسئلة الثالثة) اختلفوا في المراد بقوله فريناو لهم ما بين
أيديهم وما خلفهم وذكر الزجاج فيه وجهين (الاول) فريناو لهم ما بين أيديهم من أمر
الآخرة انه لا يبعث ولاجنة ولا نار وما خلفهم من أمر الدنيا فريناو ان الدنيا قديمة وانه
لا فاعل ولا صانع الا الطباع والافلاك (الثاني) فريناو لهم أعمالهم التي يعملونها
ويشاهدونها وما خلفهم وما يزعمون انهم يعملونه وغير ابن زيد عنه فتسال فريناو لهم
ما مضى من أعمالهم الخبيثة وما بقى من أعمالهم الطيبة ثم قال تعالى وحتى عليهم اقول
في أم قد خلقت من قبلم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين قوله في أم في محل النصب
على الحال من الضمير في عليهم والتقدير حق عليهم القول حال كونهم كائين في جملة الخاسرين
من المتقدمين انهم كانوا خاسرين واجتج أصحابنا ايضا بانه تعالى أخبر بان هو للاحق
عليهم القول فالو لم يكونوا كفارا لانقلب هذا القول الحق باطلا وهذا العلم جعل لار هذا الخبر
ان صدق كذبوا وكل ذلك محال ومستلزم المحال محال فثبت ان صدور الايمان عنهم وعدم
صدور الكفر عنهم محال واعلم ان الكلام في اول السورة ابتدئ من قوله وقاوا فلو بنا في
اكتنه متادعوننا اليه الى قوله فاعلم اننا عاملون فأجاب الله تعالى عن تلك الشبهة بوجوه

بفعل مقدر أى يجوزون
جزاءه بالمصدر السابق
فإن المصدر ينصب بثله
كافى قوله تعالى فإن جهنم
جزاؤكم جزاء موفورا
والبناء الأولى متعلقة بجزاء
والثانية بهم يحسون قدمت
عليه مراعاة التواصل
أى بسبب ما كانوا يجحدون
بآياتنا الحققة أو يلقون فيها
وذكر الحمد دل كونه سببا
للغو (وقال الذين كفروا)
وهم يقولون فيما ذكر من
العذاب (ربنا أرنا الذين
أضلنا من الجن والإنس)
يعنون فريقى شياطين
أنوعين القيصين لهم
الحاملين إلههم على الكفر
والمعاصى بالتسويل
والتمثيل وقيل هما إبليس
وقايل فانهما سنا الكفر
والقتل بغير حق وقرئ
أرنا تخفيفا كتحذير في حق
وقيل معناه أعطناهما
وقرئ باختلاس كسرة
الراء (فجعلهما تحت
أقدامنا) أى تدسهما
انتقاسا منهما وقيل
تجعلهما فى الدرك الأسفل
(ليكونا من الأسفلين)
أى ذلا ومهانة ومكانا

من الاجوبة واتصل الكلام بعرض البعض الى هذا الموضع ثم انه تعالى حكى عنهم شبهة
أخرى فقال وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغفلون قال
صاحب الكشاف قرئ والغوا فيه بفتح الغين وضمة ياء يقال اغنى بالغى والغابغوا والغفو
الساقط من الكلام الذى لا طائل نفعه واعلم ان القوم علموا أن القرآن كلام كامل فى
المعنى وفى اللفظ وأن كل من سمعه وقف على جزالة ألفاظه وأحاط غفله بمعانيه وقضى عقله
بانه كلام حق واجب القبول فديروا تديرا فى منع الناس عن استماعه فقال بعضهم
لبعض لا تسمعوا لهذا القرآن اذا قرئوا وتشاغلو عند قراءته برفع الاصوات بالخرافات
والاشعار الفاسدة والكلمات الباطلة حتى تخلطوا على القارئ وتشوشوا عليه وتغلبوا
على قراءته كانت قرئ يوصى بذلك بعضهم بعضا المراد افعلا وعند تلاوة القرآن ما يكون
لغو او باطلا يخرجوا قراءه القرآن عن أن تصير مفهومة للناس فبهذا الطريق تغلبون
عجبا صلى الله عليه وسلم وهذا جهل منهم لانهم فى الحال أقرأوا بانهم مشتغلون باللغو
والباطل من العمل والله تعالى ينصر محمدا بفضله ولما ذكر الله تعالى ذلك هددهم بالعذاب
الشديد فقال فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا لان لفظ الذوق انما يدرك فى القدر القليل
الذى يوثق به لاجل التجربة ثم انه تعالى ذكر أن ذلك الذوق عذاب شديد فاذا كان القليل
منه عذابا شديدا فكيف يكون حال الكثير منه ثم قال ولنجزيهم أسوأ الذى كانوا يعملون
واختلفوا فيه فقال الأكثر المراد جزاء أسوأ أعمالهم وقال الحسن بل المراد أنه
لا يجازيهم على محاسن أعمالهم لانهم أحبطوها بالكفر فضاعت تلك الاعمال الحسنة عنهم
ولم يبق معهم الا الاعمال السيئة الباطلة فلا جرم انهم وصلوا الى أعلى جزاء السيئات ثم قال
تعالى ذلك جزاء أعداء الله النار والمعنى انه تعالى لما قال فى الآية المتقدمه ولنجزيهم أسوأ
الذى كانوا يعملون بين أن ذلك المراد الذى جعل جزاء أعداء الله هو النار ثم قال تعالى لهم
فيه نار الخلد أى لهم فى جهنم النار دار السبات معبدة وهى دار العذاب المخلدة لهم جزاء بما
كانوا يأتينا يجحدون أى جزاء بما كانوا يلقون فى القراءة والتمسك بجود لانهم لما علموا
ان القرآن باع الى حد الإعجاز خافوا من انه أوسع الناس لآمنوا به فاستخرجوا تلك
الطريقة الفاسدة وذلك يدل على أنهم عملوا كونه معجزة الا انهم جحدوا الحسد واعلم انه
تعالى لما بين أن الذى جعلهم على الكفر الموجب للعقاب الشديد بحال سوء قراءه السوء بين أن
الكفار عند الوقوع فى العذاب الشديد يقولون ربنا أرنا الذين أضلنا من الجن والإنس
والسبب فى ذكر هذين القسمين ان الشيطان على ضربين جنى وانسى قال تعالى وكذلك
جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الإنس والجن وقال الذى يوسوس فى صدور الناس من
الجن المرقوس وقيل هما إبليس وقايل لان الكفر سنة إبليس والقتل بغير حق سنة قايل
وقرئ أرنا بكون الراء للثقل الكثرة كما قالوا فى فخذ فخذ وقيل معناه أعطنا الذين أضلنا
وحكوا عن الخليل لك اذا قلت أرنى ثوبك بالكسر فالعنى يصبرته واذا قلته بالسكون فهو

(ان الذين قالوا ربنا الله) شروع في بيان حسن أحوال المؤمنين في الدنيا والآخرة بعد بيان سوء حال الكفرة فيهما أي قالوه اعتزافا بربوبية تعالى وإقرارا بوحدة الله ﴿٣٦٩﴾ (ثم استقاموا) أي ثبتوا على الإقرار ورفضياته على أن

ثم لا تخشى في الزمان أو في الآخرة فإن الاستقامة لها الشأن كله وما روي عن الخلفاء الراشدين رضي الله تعالى عنهم في معناه من الثبات على الإيمان وإخلاص العمل وأداء أقرانهم بيان لخبراتها (تتزل عليهم الملائكة) من جهته تعالى يسودهم في أيهم من الأمور الدينية والعبادية بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن بطريق الاتهام كما أن الكفرة يغويهم ما فيض لهم من قرآنهم السوء بغير التباين وقيل تتزل عند الموت بالبشرى وقيل إذا قاموا من قبورهم وقيل بالبشرى في مواطن ثلاثة عند الموت وفي القبر وعند البعث والظاهر هو العموم والاطلاق كما ستعرفه (أن لا تخافوا) ما تقدمون عليه فإن الخوف غم يلحق لوقوع المكروه (ولا تخزنوا) على ما خلقتم فانه غم يلحق لوقوعه من قوت نافع أو حصول ضرر

استعطاء معناه أعطى ثوبك ثم قال تعالى فجعلناهم تحت أقدامنا قال مقاتل يكونان أسفل منافي النار ليكونا من الأسفلين قال الزجاج ليكونا في الدرك الأسفل من النار وكان بعض فلاسفة من قبل إلى الحكمة يقول المراد بالذين يفضلان الشهوة والغضب واليهما الإشارة في قصة الملائكة بقوله لا تجعل فيهما من يفسد بهما ويسفك الدماء ثم قال والمراد بقوله فجعلناهم تحت أقدامنا يعني ياربنا أئنا نحن نجعل الشهوة والغضب تحت أقدام جوهر النفس القدسية والمراد بكونهما تحت أقدامه كونهما منحرفين بالنفس القدسية مطيعين له أو لا يكونا مستولين عليها فاهرين لهما فلهذا قوله تعالى (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) تتزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تعدون لتزلا من غفور رحيم) اعلم انه تعالى لما أطلب في الوعيد أردفه بهذا الوعد الشريف وهذا ترتيب لطيف مدار كل القرآن عليه وقد ذكرنا مرارا أن الكمالات على ثلاثة أقسام النفسانية والبدنية والخارجية وأشرف المراتب النفسانية وأوسطها البدنية وأدناها الخارجية وذكرنا أن الكمالات النفسانية محصورة في نوعين العلم اليقيني والعمل الصالح فإن أهل التحقيق قالوا كان الإنسان في أن يعرف الحق لذاته والخير لأجل العمل به ورأس المعارف الحقيقية ورئيسها معرفتة واليه الإشارة بقوله ان الذين قالوا ربنا الله ورأس الأعمال الصالحة ورئيسها أن يكون الإنسان مستقيما في الوسط غير مائل إلى طرفي الإفراط والتفريط فكذلك جعلناكم أمة وسطا وقال أيضا هذهنا الصراط المستقيم واليه الإشارة في هذه الآية بقوله ثم استقاموا وصحت أن أقارن قرآن مجلس العبادي هذه الآية فقال العبادي والعبادة في العبادة بقدر الاستقامة إذا عرفت هذا فنقول فوالله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ليس المراد متناقضون لسان فقط لأن ذلك يفيد الاستقامة فإما ذكر عقيب ذلك استقاموا علمنا ان ذلك القول كان مقرونا باليقين السام والعرفه الحقيقية إذا عرفت هذا فنقول في الاستقامة قولان (أحدهما) ان المراد متداستقامة في الدين والبر والحق والمعرفة (والثاني) ان المراد متداستقامة في الأعمال الصالحة أما على القول الأول ففيه عبارات قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه ثم استقاموا أي لم يلتفتوا إلى الله غيره قال ابن عباس في بعض الروايات هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه وذلك أن أبا بكر رضي الله عنه وقم في أنواع شديدة من البلاء والحملة ولم يغير أيمته عن دينه فكان هو الذي قال ربنا الله وبقي مستقيما عليه لم يغير بسبب من الأسباب وأقول يمكن فيه وجوه أخرى وذلك ان من أقر بان هذا العالم لها بقيت له مقامات أخرى (قوالها) أن لا يتوغل في جانب الحق إلى حيث يذهب إلى التعطيل ولا يتوغل في جانب الثبات إلى حيث يذهب إلى التشبيه بل يبقى على الخط المستقيم الفاصل بين التشبيه والتعطيل وأيضا يجب أن يبقى على الخط المستقيم الفاصل

وقيل المراد نهيم ﴿٤٧﴾ سا عن العموم على الإطلاق والمعنى ان الله تعالى

كتب لكم الامن من كل غم فلن تدوقوه أبدا وأن امامفسرة أو مخففة من العقوبة والاصل بأنه لا تخافوا والهه ضمير
الشأن وقرى لا تخافوا أى يقولون لا تخافوا على أنه حال من الملائكة ﴿ ٣٧٠ ﴾ أو استئناف (وأبشروا) أى

بين الجبر والقدر وكذا في الرجاء والقنوط يجب أن يكون على الخط المستقيم فهذا هو
المراد من قوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وأما على القول الثاني وهو أن تحمل
الاستقامة على الاتيان بالأعمال الصالحة فهذا قول جماعة كثيرة من الصحابة والتابعين
قالوا وهذا أولى حتى يكون قوله ان الذين قالوا ربنا الله متناولا لقول والاعتقاد ويكون
قوله ثم استقاموا متناولا للأعمال الصالحة ثم قال تنزل عليهم الملائكة قبل عند الموت
وقبل في مواقف ثلاثة عند الموت وفي القبر وعند البعث الى القيامة أن لا تخافوا ان معنى
أى أو مخففة من العقوبة وأصله بأنه لا تخافوا والهه ضمير الشأن واعلم ان الغاية القصوى
في رعاية المصالح دفع المضار وجلب النافع ومعلوم ان دفع المضرة أولى بالرعاية من جلب
المصلحة والمضرة أمان تكون حاصلة في المستقبل أوفى الحال أوفى الماضي وههنا دقة
عقلية وهى ان المستقبل مقدم على الحاضر والحاضر مقدم على الماضي فان الشيء الذى
لم يوجد يتوقع حدوثه يكون مستقبلا فإذا وجد يصير حاضرا فإذا عدم وفى بعد ذلك يصير
ماضيا وأيضا المستقبل فى كل ساعة يصير أقرب حصولا والماضى فى كل حالة أبعد حصولا
ولهذا قال الشاعر

فلا زال ماتهواه أقرب من غد * ولا زل ماتخشاه أبعد من أمس

وإذا ثبت هنا فالمضار التى يتوقع حصولها فى المستقبل أولى بالدفع من المضار الماضية
وأبضا الخوف عبارة عن ألم القلب بسبب توقع حصول مضرة فى المستقبل وانغم عبارة
عن ألم القلب بسبب فوت نفع كان موجودا فى الماضى وإذا كان كذلك فدفع الخوف
أولى من دفع الحزن الحاصل بسبب الغم إذا عرفت هذا فقول الله تعالى أخبر عن الملائكة
انهم فى أول الامر يخبرون بأنه لا خوف عليكم بسبب ما تستقبلونه من أحوال القيامة ثم
يخبرون بأنه لا حزن عليكم بسبب ما فاتكم من أحوال الدنيا وعند حصول هذين الأمرين
قد زالت المضار والمناع بالكلية ثم بعد الفراغ منه يبشرون بحصول المنافع وهو قوله
تعالى وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون فان قيل البشارة عبارة عن الخبر الأول بحصول
المنافع فلماذا أخبر الرجل بحصول منفعة ثم أخبر نائبا بحصولها كان الأخبار الثانى
اخبارا ولا يكون بشارة والمؤمن قد يسمع بشارات الخير فإذا سمع المؤمن هذا الخبر من
الملائكة وجب أن يكون هذا اخبارا ولا يكون بشارة فما السبب فى تسمية هذا الخبر
بالبشارة قلنا المؤمن يسمع ان كان مؤمنا تقيا كان له الجنة ما لم يسمع البشارة من أهل
الجنة فإذا سمع هذا الكلام من الملائكة كان هذا اخبارا يرفع عظيم معاناه هو الخبر
الأول بذلك فكان ذلك بشارة واعلم ان هذا الكلام يدل على ان المؤمن عند الموت وفى
القبر وعند البعث لا يكون فازعا من الأهوال ومن الفرع الشديد بل يكون آمنا القلب
ساكن الصدر لان قوله أن لا تخافوا ولا تحزنوا يغيد فى الخوف والحزن على الإطلاق ثم
انه تعالى أخبر عن الملائكة انهم قالوا للمؤمنين نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة

سروا (بالجنة التى كنتم
توعدون) فى الدنيا على
السنة الرسل هذا من
بشاراتهم فى أحد المواطن
الثلاثة وقوله تعالى (نحن
أولياؤكم فى الحياة الدنيا)
الح من بشاراتهم فى الدنيا
أى أعوانكم فى أموركم
تأهكم الحق وترشدكم
الى ما فيه خيركم وصلاحكم
ولم ذلك عبارة عما يخطر
ببال المؤمنين المستررب
على الطاعات من أن
ذلك يتوفى الله تعالى
وتأييده لهم بواسطة
الملائكة عليهم السلام
(وفى الآخرة) تمدكم
بالشفاعة وتلقاكم الكرامة
حين يقع بين الكفرة
وقرنائهم ما يقع من
التصادى والخصام
(ولكن فيها) أى فى
الآخرة (ما تشتهي
أنفسكم) من فنون
الطيبات (ولكن فيها
ما تدعون) ما تدعون
افعال من الدماء بمعنى
الطلب أى تدعون
لأنفسكم وهو أعم من
الأول ولكم فى الموضوعين
خير وما مبتدأ وفيها
حال من ضمير فى الخبر

وعدم الاكتفاء بعطف ما تدعون على ما تشتهي الاشباع فى البشارة والايذان باستقلال كل ﴿ وهذا ﴾

منهما (نزل من غفور رحيم) حال مائدعون مفيدة لكون ما تمنونه بالنسبة الى ما يعطون من عظام الاجور كالنزل للضيف (ومن احسن قولاً من دعا في ٢٧١ بحمد الله) أى الى توحيد تعالى وطاعته * عن ابن عباس رضي الله عنهما

هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى الاسلام وعنه انهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في المؤمنين والحق أن حكمها عام لكل

من جمع ما فيهما من الخصال الحميدة وان نزلت فيمن ذكر (وعمل صالحاً) فيما بينه وبين ربه (وقال انني من المسلمين) ابتهاجاً بانه منهم أو اخذاً للاسلام ديناً ونحلة من قوالهم هذا قول فلان أى

مذهبه لأنه تكلم بذلك وقرئ اني بنون واحدة (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة) جملة مستأنفة سبقت لبيان محاسن الاعمال الجارية بين العباد ائريان محاسن الاعمال الجارية بين العبد وبين الرب عز وجل ترغيباً للرسول الله

صلى الله عليه وسلم في الصبر على اذية المشركين ومقابلة اساءتهم بالاحسان أى لا تستوى الحسنة السيئة في الآثار

والاحكام ولا الثانية مزينة لتأكيد اننى وفوله تعالى (ادفع بالتي هي احسن) الخ استئناف مبين لحسن عاقبة الحسنة أى

وهذا في مقابلة ما ذكره في وعيد الكفار حيث قال وقضنا لهم قرناً ومعنى كونهم اولياء للمؤمنين ان الملائكة تأثرت في الارواح البشرية بالالهامات والمكاشفات اليقينية والمقامات الحقيقية فكان للشياطين تأثرات في الارواح بالقواء الوساوس فيها وتخييل الاباطيل اليها وبالجملة فيكون الملائكة اولياء للارواح الطيبة الطاهرة معاملة من جهات كثيرة معاملة لازدباب المكاشفات والمشاهدات فهم يقولون كان تلك الولاية كانت حاصلة في الدنيا فهي تكون باقية في الآخرة فان تلك العلائق ذاتية لازمة غير قابلة للزوال بل كانها تصير بعد الموت أقوى وأبقى وذلك لان جوهر النفس من جنس الملائكة وهي كالشمعة بالنسبة الى الشمس والقطرة بالنسبة الى البحر والتعلقات الجسمانية هي التي تحول بينها وبين الملائكة كما قال صلى الله عليه وسلم اولان الشياطين يسمون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السموات فاذا زالت العلائق الجسمانية والتدبيرات البدنية فبذل الغطاء والوراء فيتصل الأمر بالذوئور والقطرة بالبحر والشمعة بالشمس فهذا هو المراد من قوله نحن اولياءكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ثم قال ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون قال ابن عباس قوله ولكم فيها ما تدعون أى ما تمنون كقوله تعالى لهم فيها ما كهة وانهم ما يدعون فان قيل فعلى هذا التفسير لا يبق فرق بين قوله ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم وبين قوله ولكم فيها ما تدعون قلنا الاقرب عندى ان قوله ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم اشارة الى الجنة الجسمانية وقوله ولكم فيها ما تدعون اشارة الى الجنة الروحانية المذكورة في قوله دعواهم فيها سبحانه اللهم وتعيتهم فيها اسلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ثم قال نزلنا من غفور رحيم والنزل رزق النزيل وهو الضيف واتصافه على الحال قال العارفون دل هذه الآية على ان كل هذه الاشياء المذكورة جارية بمجرى الغزل والكريم اذا أعطى النزل فلا يدوان بهت الخلع النفيسة بعدها وتلك الخلع النفيسة ليست الا السعادات الحاصلة عند الروية والتجلى والكشف التام نسأل الله تعالى أن يجمع لنا هاهنا أهلاً بفضلهم وكرمهم قريب محبوب * قوله تعالى (ومن احسن قولاً من دعا الى الله وعمل صالحاً وقال انني من المسلمين) ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم وما يترغى من الشيطان نزع فاستعد بالله انه هو السميع العليم اعلم أن في الآية مسائل (المسئلة الاولى) انا ذكرنا في الكلام من أول هذه السورة انما ابتدئ حيث قال الرسول قلوبنا في أكنة مما يدعونا اليه ومرادهم ان لا نقبل قولك ولا نلتفت الى دليلك ثم ذكر وطريقة أخرى في السقافة فقالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه وانه سبحانه ذكر الاجوبة الشافية والبيانات الكافية في هذه الشبهات وازالة هذه الغشالات ثم انه سبحانه وتعالى بين ان القوم وان أتوا بهذه الكلمات الفاسدة الا انه يجب عليك تتابع المواظبة على التبليغ

والاحكام ولا الثانية مزينة لتأكيد اننى وفوله تعالى (ادفع بالتي هي احسن) الخ استئناف مبين لحسن عاقبة الحسنة أى ادفع السيئة حيث اعترضتك

من بعض اغايدك بالتي هي احسن ما يمكن دفعها به من الحسنات كالا حسان الى من اساء فانه احسن من العفو واخر ارجاء
مخرج الجواب عن سؤال من قال كيف اصنع للبالغ ولذلك وضع في ٢٧٢ * احسن موضع الحسنة وقوله تعالى

(فاذا الذي ينك ويبنه
عداوة كأنه ولي حميم)
بيان لتفجئة الدفع المأمور
ه أي فاذا فعلت ذلك صار
عدوك المشاق مثل الولي
الشرقي (وما يلقاها)
أي ما يلقى هذه الخصلة
والسحابة التي هي مقابلة
الاسماء بالاحسان
(ان الذين صبروا) أي
شأنهم الصبر (وما يلقاها)
الاذ وحظ عظيم من
الخير وكال النفس وقيل
الخط العظيم الجنة وقيل
هو الثواب قبل ثلث
في أبي سفيان بن حرب
وكان مؤيداً لرسول الله
صلى الله عليه وسلم
فصاروا مصافيا
(و اما ينزغك من
الشيطان نزغ) النزغ
والنزع بمعنى وهو شبه
به وبوسوسة الشيطان
لأنها بعث على الضرر
وجعل نازعا على طريقه
جدرجه أو أريد وما
ينزغك نازغ وصفا
للسيطان بالمصدر أي
وان صرفك الشيطان
عما وصيت به من الدفع
بالتى هي احسن (فاستعد
بالله) من شره ولا تطعه

والدعوة فإن الدعوة الى الدين الحق أكمل الصالحات ورأس العبادات وعبر عن هذا المعنى
فقال ومن أحسن قولاً من دعا الى الله وعمل صالحاً وقال اننى من المسلمين فهذا وجه
شريف حسن في نظم آيات هذه السورة وفيه وجه آخر وهو أن من اتب السعادات اثنان
النام وفوق التام اما التام فهو ان يكسب من الصفات الفاضلة ما لا يجلبها بصير كما لا في
ذاته فاذا فرغ من هذه الدرجة اشتمل بسببها بتكميل الناقصين وهو فوق التام اذا عرفت
هذا فنقول ان قوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا اشارة الى المرتبة الاولى وهي
اكتساب الاحوال التي تفيد كمال النفس في جوهرها فاذا حصل الفراغ من هذه المرتبة
وجب الانتقال الى المرتبة الثانية وهي الاشغال بتكميل الناقصين وذلك انما يكون
بدعوة الخلق الى الدين الحق وهو المراد من قوله ومن أحسن قولاً من دعا الى الله فهذا
أبضا وجه حسن في نظم هذه الآيات واعلم أن من آمن بالله فريضة قوية ورضا بآيات وافيا من
العلوم الالهية الكشفية عرف أنه لا ترتيب أحسن ولا أكمل من ترتيب آيات القرآن
(المسئلة الثانية) من اناس من قال المراد من قوله ومن أحسن قولاً من دعا الى الله هو
الرسول صلى الله عليه وسلم ومنهم من قال هم المؤمنون ولكن الحق المقطوع به ان كل من
دعا الى الله بطريق من الطرق فهو داخل فيه والدعوة الى الله مراتب (فالمرتبة الاولى)
دعوة الانبياء عليهم السلام ودعوتهم راجعة على دعوة غيرهم من وجوه (أحدها) انهم
جوهرا بين الدعوة بالجهة أو لا ثم الدعوة بالسيف ثانياً وثالثاً اتفق لغيرهم الجمع بين هذين
الطريقين (وثانيها) انهم هم المبتدئون بهذه الدعوة وأما العلماء فالنهم يتبعون دعوتهم على
دعوة الانبياء والشارع في احداث الامر الشرع على طريق الابتداء أفضل (وثالثها)
ان نفوسهم أقوى قوة وأرواحهم أسمى جوهرها فكانت تأثيراتها في احياء القلوب الميتة
واشراق الارواح الكدرة أكمل فكانت دعوتهم أفضل (ورابعها) ان النفوس على
ثلاثة أقسام ناقصة وكاملة لا تقوى على تكميل الناقصين وكاملة لا تقوى على تكميل
الناقصين (فالقسم الاول) العوام (والقسم الثاني) هم الاولياء (والقسم الثالث) هم
الانبياء ولهذا السبب قال صلى الله عليه وسلم علماء أي كائنياء بنى اسرائيل واذا عرفت
هذا فنقول ان نفوس الانبياء حصلت لها من تسان الكمال في الذات والتكميل للغير
فكانت قوتهم على الدعوة أقوى وكانت درجاتهم أفضل وأكمل اذا عرفت هذا فنقول
الانبياء عليهم السلام لهم صفتان العلم والقدرة اما العلماء فهم نواب الانبياء في العلم وأما
الملوك فهم نواب الانبياء في القدرة والعلم يوجب الاستيلاء على الارواح والقدرة توجب
الاستيلاء على الاجساد فالعلماء خلفاء الانبياء في عالم الارواح والملوك خلفاء الانبياء في
عالم الاجساد واذا عرفت هذا ظهر أن اكمل الدرجات في الدعوة الى الله بعد الانبياء
درجة العلماء ثم العلماء على ثلاثة أقسام العلماء بالله والعلماء بصفات الله والعلماء باحكام الله
اما العلماء بالله فهم الحكماء الذين قل الله تعالى في حقهم يوثى بالحكمة من يشاء ومن يوثى

الحكمة صدأوى خيرا كثيرا وأما العلماء بصفات الله تعالى فهم أصحاب الأصول وأما العلماء بأحكام الله فهم ألقهاء ولكل واحد من هذه المقامات ثلاث درجات لانهاية لها فلهذا السبب كان للدعوة الى الله درجات لانهاية لها وأما الملوك فهم أيضا يدعون الى دين الله بالسيف وذلك بوجهين اما بتخصيله عند عدوه مثل المحاربة مع الكفار واما بإبقائه عند وجوده وذلك مثل قوتنا المرتد قتل وأما المؤذنون فهم يدخلون في هذا الباب دخولا ضعيفا اما دخولهم فيه فلأن ذكر كانت الاذان دعوة الى الصلاة فكان ذلك داخلا تحت الدعاء الى الله واما كون هذه المرتبة ضعيفة فلان الظاهر من حال المؤذن انه لا يحيط بمعاني تلك الكلمات ويتقدير أن يكون محبطا بها الا انه لا يريد بذكرها تلك المعاني الشريفة فهذا هو الكلام في مراتب الدعوة الى الله (المسئلة الثالثة) قوله ومن أحسن قولاً دعا الى الله يدل على أن الدعوة الى الله أحسن من كل ما سواها اذا عرفت هذا فنقول كل ما كان أحسن الاعمال وجب أن يكون واجبا لان كل ما لا يكون واجبا فالواجب أحسن منه فثبت أن كل ما كان أحسن الاعمال فهو واجب اذا عرفت هذا فنقول الدعوة الى الله أحسن الاعمال يقتضي هذه الآية وكل ما كان أحسن الاعمال فهو واجب ثم ينتج أن الدعوة الى الله واجبة ثم نقول الاذان دعوة الى الله والدعوة اليه واجبة فينتج الاذان واجب واعلم أن الأكثرين من الفقهاء زعموا أن الاذان غير واجب وزعموا أن الاذان غير داخل في هذه الآية والدليل القاطع عليه ان الدعوة المرادة بهذه الآية يجب أن تكون أحسن الاقوال وثبت أن الاذان ليس أحسن الاقوال لان الدعوة الى دين الله سبحانه وتعالى بالدلائل البينية أحسن من الاذان ينتج من الشكل الثاني ان الداخل تحت هذه الآية ليس هو الاذان (المسئلة الرابعة) اختلف الناس في أن الاولى ان يقول الرجل أنا مسلم أو الاولى أن يقول أنا مسلم ان شاء الله فالفقهاء بالقول الاول احتجوا على صحة قولهم بهذه الآية فان التقدير ومن أحسن قولاً قال انى من المسلمين فعلم بأن هذا القول أحسن الاقوال ولو كان قولنا ان شاء الله معتبرا في كونه أحسن الاقوال لبطل ما دل عليه ظاهر هذه الآية (المسئلة الخامسة) الآية تدل على أن أحسن الاقوال قول من جع بين خصال ثلاثة (أولها) الدعوة الى الله (وثانيها) العمل الصالح (وثالثها) ان يكون من المسلمين أما الدعوة الى الله فقد شرحنها وهي عبارة عن الدعوة الى الله بإقامة الدلائل البينية والبراهين القطعية وأما قوله وعمل صالحا فاعلم أن العمل الصالح اما أن يكون عمل القلب وهو المعرفة أو عمل الجوارح وهو سائر الطاعات وأما قوله وقال انى من المسلمين فهو ان ينضم الى عمل القلب وعمل الجوارح الاقوال باللسان فيكون هذا الرجل موصوفا بخصال أربعة (أحدها) الاقرار باللسان (وثاني) الاعمال الصالحة بالجوارح (وثالث) الاعتقاد الحق بالقلب (والرابع) الاشتغال بإقامة الحجّة على دين الله ولا شك ان الموصوف

بهذه الحاصل الاربعة أشرف الناس وأفضاهم وكان الدرجة في هذه المراتب
 الاربعة ليس بالحمد صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى ولا تستوى الحسنة ولا السيئة
 واعلم انما ينسأ أن الكلام من أول السورة ابتدئ من أن الله حكى عنهم أنهم قالوا
 قلوا في أكنة مما تدعوننا إليه فأظهروا من أنفسهم الاصرار الشديد على أديانهم
 القديمة ومنهم التآمر بدلائل محمد صلى الله عليه وسلم ثم انه تعالى أطلب في الجواب عنه
 وذكر الوجوه الكثيرة وأردفها بالوعد والوعيد ثم حكى عنهم شبهة أخرى وهي قواهم
 لأنهم عوا لهذا القرآن والغوا فيه وأجاب عنها أيضا بالوجوه الكثيرة ثم انه تعالى بعد
 الاطناب في الجواب عن تلك الشبهات رغب محمد صلى الله عليه وسلم في أن لا يترك الدعوة
 الى الله فابتدأ أولا بأن قال ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلهم الثواب العظيم ثم ترقى
 من تلك الدرجة الى درجة أخرى وهي ان الدعوة الى الله من أعظم الدرجات فصار الكلام
 من أول السورة الى هذا الموضع واقعا على أحسن وجه بترتيب ثم كأن سائلا سأل فقال
 ان الدعوة الى الله وان كانت طاعة عظيمة الا ان الصبر على سفاهة هؤلاء الكفار شديد
 لا طاعة لنا به فعند هذا ذكر الله ما يصلح لأن يكون دافعا لهذا الاشكال فقال ولا تستوى
 الحسنة ولا السيئة والمراد بالحسنة دعوى الرسول صلى الله عليه وسلم الى الدين الحق
 والصبر على جهالة الكفار وترك الانتقام من تلك الانتفات اليهم والمراد بالسيئة ما ظهره
 من الجلافة في قواهم فلو بنا في أكنة مما تدعوننا إليه وما ذكره في قواهم لأنهم عوا لهذا
 القرآن والغوا فيه فكأنه قال يا محمد فملك حسنة وفعلمهم سيئة ولا تستوى الحسنة
 ولا السيئة بمعنى انك اذا أتيت بهذه الحسنة تكون مستوجبا للعظيم في الدنيا والثواب
 في الآخرة وهم بالصد من ذلك فلا ينبغي أن يكون اقتداء بهم على تلك السيئة مانعا لك
 من الاشتغال بهذه الحسنة ثم قال ادفع بالتي هي أحسن بعد ادفع سفاهاتهم وجهالته
 بالطريق الذي هو أحسن الطريق فالك اذا صبرت على سوء أخلاقهم مرة بعد أخرى
 تقابل سفاهاتهم بالفضب ولا ضرارهم بالأيذاء والايحاش يستحيوا من تلك الاخلاق
 المذمومة وتركوا تلك الافعال القبيحة ثم قال فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم
 اذا قابلت اساءتهم بالاحسان وافعالهم القبيحة بالافعال الحسنة تركوا افعالهم القبيحة
 واقبلوا من العداوة الى المحبة ومن البغضة الى المودة ولما أرشده الله تعالى الى هذا الطريق
 النافع في الدين والدنيا والآخرة عظمه فقال وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها
 الا ذو حظ عظيم قال الزجاج أي وما يلقى هذه الغلة الا الذين صبروا على تحمل المكاره
 وتجوع الشدائد وكظم الغيظ وترك الانتقام ثم قال وما يلقاها الا ذو حظ عظيم من الفضائل
 النفسانية والدرجة العالية في القوة الروحية فان الاشتغال بالانتقام والدفع لا يحصل
 الا بعد تأثر النفس وتأثر النفس من الواردات الخارجية لا يحصل الا عند ضعف النفس
 فلما اذا كانت النفس قوية الجوهر لم تتأثر من الواردات الخارجية واذا لم تتأثر منها

الدفع بالاحسن من آثار نزع الشيطان من يد تحذير وتنغير عنه (ومن آياته) الدالة على شؤنه العظيمة (الليل والنهار والشمس والقمر) كل منها مخلوق ﴿٢٧٥﴾ من مخلوقاته مسخر لأمره (لا تسجدوا للشمس ولا للقمر) لانهما

من جملة مخلوقاته المسخرة

لاوامره مثلكم (واسجدوا

للّه) انفرجه لا يحرم

اجاعة مالا يعقل حكم

الانبي أو الامان أو لانها

عبارة عن الآيات وتعليق

الفعل بالكل مع كفاية

بيان مخلوقية الشمس

والقمر للإيدان بكمال

سقوطهما عن رتبة

المعبودية بتظلمهما

في المخاوقية في سلك

الاعراض التي لا قيام

لها بذاتها وهو السر

في نظم الكل في سلك

آياته تعالى (ان كنتم

يادعون) فان المعبود

أقصى مراتب العبادة

فلا بد من تخصيصه به

سبحانه وهو موضع

السجود عند الشافعي

رحمه الله وعندنا آخر

الآية الاخرى لانه تمام

المعنى (فان استكبروا)

عن الامثال (فالذين

عند ربك) من الملائكة

(يسجدون له بالليل

والنهار) أى دائماً

(وهم لا يسأمون)

لا يفترون ولا يملون

وقرى لا يسأمون

(فاذا أنزلنا

لم نضع ولم تذا ولم تشغل بالانتقام فثبت ان هذه السيرة التي شرحتها بالآيات الاذ وحظ
عظيم من قوة النفس وصفاء الجوهر وطهارة الذات ويحتمل أن يكون المراد وما يلقاها
الاذ وحظ عظيم من ثواب الآخرة فعلى هذا الوجه قوله وما يلقاها الا الذين صدقوا
بفعل الصبر وقوله وما يلقاها الاذ وحظ عظيم وعدياً عظيم الحظ من الثوابية طريقاً
الطريق الحسن الكامل في دفع الغضب والانتقام وفي ترك الخصومة من ذب الله عنه هو
آخر عظيم الشفع أيضاً في هذا الباب وقال وما يلقاها من الشيطان حر سورة الاعراف
السميع العليم وهذه الآية مع ما فيها من الفوائد الجليلة مفسر احد وهو شبه النفس
على الاستقصاء قال صاحب الكشاف النزاع والنسخ مع النزاع نازعاً كما قيل جد
والشيطان ينزع الانسان كأنه يخسده يفسد على ما لا ينبغي له فالة صعود من الآية وان
جده أو أرباباً ما ينزع نازع وصف الشيطان بالصدور بالله من شره وامض على
صرفك الشيطان عاشر عمن من يدفع إلى هزيمة منار والشمس والقمر لا تسجدوا
شاك ولا تطعه والله أعلم قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا تسجدوا لله جميعاً وحده
للشمس وللأقمر واسجدوا لله لا تسجدوا لله من آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا
عند ربك يسجدون له بالليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا لله من آياته أنك ترى الأرض
أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان من من
تعالى لما بين في الآية المقدمة ان
أردفه بذكر الدلائل الدالة على وجوده
تعالى عبارة عن تقرير الدلائل الدالة على
من تناسق هذه الآيات فكان العلم
الدلائل الدالة على هذه المطالبات
فبدأها بذكر الكليات وهي
أن الظلمة عدس والنور موجود
الاشياء وأمدالة الشمس والقمر
شرحناها في هذا الكتاب
الحمد لله الذي خلق السموات
على وجود الله التاد قال
وجود الله والسجدة عبارة
فقال لا تسجدوا للشمس
الحكمم والصغير في قوله
حكم الانبي الا انك يقال
فقال خلقهن وانما قال ان من خاشعة
بكسر اليا (ومن آياته أنك ترى الأرض
عليها الماء) أى المطر اهتزت

بكسر اليا (ومن آياته أنك ترى الأرض
عليها الماء) أى المطر اهتزت

كالمسيحين في عبادتهم الكواكب يزعمون أنهم يقصدون بالسجود لهما السجود لله
فهو اعن هذه الواسطة وأمروا أن لا يسجدوا الا لله الذي خلق هذه الاشياء فان قيل اذا
كان لا بد في الصلاة من قبلة معينة فاجعلنا الشمس قبلة معينة عند السجود كان ذلك
الشمس جوهر مشرق عظيم الرفع على الدرجة فلو أذن الشرع في جعلها قبلة في
الصلوات وما اعتباد السجود الى جانب الشمس بما غلب على الاوهام ان ذلك السجود
للمسألة الاجل الخوف من هذا المخدور نهي الشارع الحكيم عن جعل الشمس
قبلة للسجود بخلاف الحجر المعين فانه ليس فيه ما يوهم الالهية فكان المقصود من القبلة
حاصلا والمخدور المذكور زائلا فكان هذا أولى واعلم ان مذهب الشافعي رضي الله عنه
أن موضع السجود هو الله تعالى لا لاجل أن قوله وامجدوا لله متصل به وعند أبي حنيفة
هو قوله وهم لا يسمون لا بالكلام انما يتم عندهم انه تعالى لما أمر بالسجود قال بعده
فان استكبروا فانذرت عند ذلك يسجدون له بالليل والنهار وهم لا يسمون وفيه سوء الات
(السؤال الاول) ان الذين يسجدون للشمس والقمر وهما عبادان لله واذا كان
يحصل لنا اهلية عبودية الله تعالى فكيف ياتي أن يقولوا انهم عبادان لله واذا كان
قول هؤلاء هكذا فكيف ياتي أن يقولوا انهم عبادان لله واذا كان
المراد من لفظ الاستكبار ما ذكرتم بل المروماذكروا كبروا عن قبول قولك يا محمد في النهي
عن السجود للشمس والقمر (السؤال الثاني) ما علمت من قولهم انهم عبادان لله
اثبات المكان والجهة لله تعالى والجواب انه ليس كذلك بل انهم عبادان لله تعالى
به قرب المكان فكذلك ههنا ويدل عليه قوله تعالى انهم عبادان لله تعالى
قلوبهم لا تجلي في متعدي صدق عند ذلك مقتدره وقال عند الشافعي رضي الله عنه ان
المسلم لا يقل بالذمى (السؤال الثالث) هل تدل هذه الآية على أن الملك أفضل من البشر
الجواب نعم لانه انما يستدل بحال الاعلى على حال الاسفل فيقال هؤلاء الاقوام ان
استكبروا عن طاعة فلان فالأكبر يخدمونه ويعترفون بتقدمه فثبت أن هذا النوع
من الاستدلال انما يحسن بحال الاعلى على حال الادون (السؤال الرابع) قال ههنا في
صفة الملائكة يسجدون له بالليل والنهار فهذا يدل على انهم مواظبون على التسبيح
لا يتفكرون عنه لحظة واحدة واشغالهم بهذا العمل على سبيل الدوام يمنعهم من
الاشتغال بسائر الاعمال ككونهم يترأسون الى الارض كما قال تعالى الروح الامين على
قابلك وقال وينهم عن ضيف ابراهيم وقال تعالى عليه الملائكة انزل به الروح الامين على
الذين ذكرهم الله تعالى ههنا يكونهم مواظبين على التسبيح لا يشغاد (الجواب) ان
وهم الاشراف الاكابر منهم لانه تعالى وصفهم بكونهم عنده اشرف والمنفعة وهذا لا ينافي كون طائفة أخرى من الملائكة مشغولين بسائر الاعمال
فان قالوا هب ان الامر كذلك الا انهم لا يدوان بغيره سوا فاشغالهم بذلك التسبيح

ورب (أي تحركت
بالنبات وانتفعت لان
النبات اذا دان ان يظهر
ارتفعت له الارض
وانتفعت ثم تصدعت
عن النباتات وقيل
تزخرفت بالنباتات
وقرى رأيت أي ارتفعت
(ان الذي أحياها) بما
ذكر بعد موتها (لحيي
الموتى) بالبعث (انه على
كل شيء) من الاشياء
التي من جملتها الاحياء
(قدیر) مبالغ في القدرة

(ان الذين يلحدون) يميلون عن الاستقامة وقربى يلحدون (في آياتنا) بالاطمئن فيها وانحرف بها عما حملها على المحامل الباطلة (لا يخفون عاينها) فيجازهم بالحادهم وقوله تعالى (انني بلقي في النار خير امن ياتي امانا يوم القيامة) تنبيه على كيفية الجزاء (اعمالوا ما شئتم) من الاعمال الوعديّة الى ما ذكر من الاثم في النار والاثمان امانا وفيدتم بدين شديد (انه بما يعملون بصير) فيجاز بكم بحسب اعمالكم وقوله تعالى ﴿ ٢٧٧ ﴾ (ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم) يدل من قوله تعالى ان الذين

يلحدون الخ وخبر ان ه
الخبر السابق وقيل
مستأنف وخبر هامدود
وقال الكسائي سد مسده
الخبر السابق والذكر
القرآن وقوله تعالى (وا
لكتاب عن رب أي كشي
النافع عنهم الظهور
لا تأتي معارضته جملته
حالة مفيدة لآيات شتات
الكفرية وقوله تعالى
(لا ياتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه) أي
لا يتطرق اليه الباطل
من جهة من الجهات
مستأنف أخرى للكتاب
وقوله تعالى (تزييل
حكيم جيد) خبر ابتد
معدوف اوصفة آخر
لكتاب مفيدة لغاها
الاضافية كأن الصفة
السابقة مفيدة تار
لغذاء الذاتية وقو
تعالى لا ياتيه ا
اعتراض عن من لا ي
تقديم غير الصريح
الصفات على الص
كل ذلك لا يبدل
الكفر بالقرآن وقو
تعالى (ما قال لك)

يصددهم عن تلك الحقائق من التسييح قلنا كان الشفس سبب اصلاح حال الخلق بالنسبة الى
البشر فذكر الله تعالى سبب اصلاح حالهم في حياتهم ولا يجب على العاقل المتصف بأن يقس
أحوال الملائكة في سقاها وجوهرها واشراق ذواتها واستغراقها في معارج معارف الله
بأحوال البشر فان بين الحادين بعد المشرقين ثم قال تعالى ومن آياته انك ترى الأرض
خاشعة واعلم انه تعالى لما ذكر الآيات المزعجة الغلبة وهي الليل والنهار والشمس والقمر
أتيها بذكر آية أرضية فقال ومن آياته انك ترى الأرض خاشعة والخشوع التذلل
والانصاع واستعير هذا اللفظ لسايل الأرض حال خاشع من المطر والنبات فذا أرضها على
الماء اهتزت وربت أي تحركت بالنبات وربت تنفقت لأن النبات اذا قرب أن يطره
ارتفعت به الأرض وانفطحت ثم تسدعت عن النبات ثم قال ان الذي أحياه الله الحي الموتى
يعني ان القادر على احياء الأرض بعد موتها هو القادر على احياء هذه الاجساد بعد
موتها وقد ذكرنا في هذا الدليل من ارا لا حصر لها ثم قال الله تعالى قل شيء قد يردهم وهذا هو
الدليل الاصلى وتقر بروا عودة التائب والتركيب الى تلك الاجزاء المعروفة يمكن لذاته
لعود الحياة والعقل والقدرة الى تلك الاجزاء بعد اجتماعها أيضا أمر ممكن لذاته والله تعالى
عذر على الممكنات فيوجب أن يكون قادر على إعادة التركيب والتأليف والحياة والقدرة
ألعقل والفهم الى تلك الاجزاء وهذا يدل دلالة واضحة على أن حشر الاجساد ممكن
لا امتناع فيه اليقظة والله اعلم بقوله تعالى (ان الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفن
ياقي في النار خير امن ياتي امانا يوم القيامة اعمالوا ما شئتم الله بما تعملون نسيب ان الذين
كفروا لما ذكر للمجاهد وانما الكتاب عن رب لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تعزيل
من حكيم جيد) اعلم انه تعالى للمؤمن أن الدعوة الى دين الله تعالى أفضل من المناصب وأشرف
المراتب ثم بين انه الدعوة الى دين الله تعالى المتفصل يذكر دلائل التوحيد والعقل
وحجج البينات والقبالة عاد الى تهديد من يازع في تلك الآيات ويحاول اقله الشبهات
فيها قال ان الذين يلحدون في آياتنا قال الحد الحافر والحد اذ مال من الاستقامة فحفر في
شق فالحد هو المخرف ثم يحكم العرف اختص بالمخرف عن الحق الى الباطل وقوله
لا يخفون عاينها تهديد كما اذا قال الملك للمهمل الذي يازعوني في ملكي أعرفهم فانه
يكون ذلك تهديدا ثم قل أفن بلقي في النار خير امن ياتي امانا يوم القيامة وهذا استفهام
بمعنى التثنية والعرض التنبيه على أن الذين يلحدون في آياتنا يلقون في النار والذين
يؤمنون بآياتنا يأتون آمنين يوم القيامة ثم قال اعمالوا ما شئتم الله بما تعملون بصير وهذا
أبضا تهديد ثالث وظاهره ما يقوله الملك المهيب عند غضب الشيطان أخذ ما تاب بعض
عبده ثم يقول لهم اعمالوا ما شئتم فان هذا ما يدل على الوعيد الشديد ثم قال تعالى ان الذين
كفروا لما ذكر للمجاهد وهذا أيضا تهديد وفي جوابه وجهان (أحدهما) انهم يعرفون
كسائر الاجرة المحذوفة في القرآن على تقدير ان الذين كفروا لما ذكر للمجاهد يجازون

تسليق رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ ٤٨ ﴾ سا عما يصيبه من اذية التكفار أي ما يقال في شأنك وسان ما
اليك من القرآن من جهة كفار قومك (اذما قد قيل للرسول من قولك) أي الامثل ما قد قيل في حقهم بما لا يخبر فيه (ان ر
لذو معقرة) لآياتها (وذو عقاب انهم) لا عدائهم وقد نصبر من قبلك من الرسل واتهم من أعدائهم وسينفعك مثل ذلك با
وباعدك أيضا

(ولو جعلناه قرآنا أعجميا) جواب قولهم هلا أنزل القرآن بلغة العجم والضمير المذكور (فقالوا لولا فصلت آياته) أي بنت بلسان نفقهه وقوله تعالى (أعجمي وعربي) انكار مقرر للتخصيص والأعجمي يقال للكلام لا يفهمه والخطام به والباء للتبليغ في الوصف كآخرى والمعنى الكلام أعجمي ورسول أو مرسل أي يدعي أن الأفراد مع كون المرسل اليهم أممجة لما أن المراد بيان التنافي والتمايز بين الكلام وبين الخطاطب به ﴿ ٢٧٨ ﴾ لا يأن كون الخطاطب واحدا أو جمة أو قريء

أعجمي أي الكلام منسوب إلى أمم العجم وقريء أعجمي على الأخبار بأن القرآن أعجمي والخطام والخطاطب عربي ويجوز أن يراد هلا فصلت آياته فيجعل بعضها أعجميا لافهم العجم وبعضها عربيا لافهم العرب وأيا ما كان فالقصور ديان أن آيات الله تعالى على أي وجه جاءتهم وجدوافهم امتتنا يتناولون به (قل هو الذي آمنوا هدي) يهديهم إلى الحق (وشفاء) لما في الصدور من شك وشبهة (والذين لا يؤمنون) مبتدأ أخير (في آذانهم) وقريء على أن آذانهم أي القرآن في آذانهم وقريء على أن وقريء خبير للخصير المتدور في آذانهم متعلق بمحذوف وقع حال من وقريء وهو أوفق لقبوله تعالى (وهو عليهم عني) وقيل خبر الموصول في آذانهم ووقريء فاعل الظرف وقيل وقريء مبتدأ وانظر خبره والجملة خبر

بكفرهم أو ما أشبه ذلك (والثاني) أن جوابه قوله أولئك يتنادون من مكان بعيد والاول أصوب والمبالغ في تهديد الذين يلحدون في آيات القرآن أتيتهم ببيان تعظيم القرآن فقال وإنه لكتاب عز يزاد من شأنه معنيان (أحدهما) الغالب القاهر (والثاني) الذي لا يوجد نظيره إما كون القرآن عز يزاد بمعنى كونه غابا فالأمر كذلك لأنه بقوة مجته غلب على كل ما سواه وإما كونه عز يزاد بمعنى عدم النظير فالأمر كذلك لأن الاولين والآخرين عجزوا عن معارضته ثم قال لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه وفيه وجوه (الاول) لأنه كذب الكتب المتقدمة عليه كالأنبياء والآجيل والزبور لا يخفى كتاب من بعده يكذب (الثاني) ما حكم القرآن بكونه حقا لا يصير باطلا وما حكم بكونه باطلا لا يصير حقا (الثالث) معناه أنه محفوظ من أن ينقص منه فبآيته الباطل من بين يديه أو يزاد فيه فبآيته الباطل من خلفه والدليل عليه قوله وإنا له لحافظون فعلى هذا الباطل هو الزيادة والنقصان (الرابع) يحتمل أن يكون المراد أنه لا يوجد في المستقبل كتاب يمكن جملة معارضته ولم يوجد فيما تقدم كتاب يصلح جملة معارضته (الخامس) قال صاحب الكشف هذا تشبيل والمقصود أن الباطل لا يتطرق إليه ولا يجد إليه سبيلا من جهة من الجهات حتى يتصل إليه واعلم أن لا يمس إلا الصفة التي أن يحجب بهذه الآية على أنه لم يوجد التسخ فيه لأن النسخ إبطال فلو دخل التسخ فيه لكان قد أتاه الباطل من خلفه وأنه على خلاف هذه الآية ثم قال تعالى تنزيل من حكيم حميد أي حكيم في جميع أحواله وأفعاله حميد إلى جميع خلقه بسبب كثرة نعمه وهذا السبب جعل الحمد لله رب العالمين فتحة كلامه وأخبر أن خاتمة كلام أهل الجنة هو قوله الحمد لله رب العالمين وقوله تعالى (ما نزال لك إلا ما قد قول للرسول من أملاك ربك بالهدى ومغفرة وذو عتاب أليم) ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أعجمي وعربي قل هو الذي آمنوا هدي وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقريء وهو عليهم عني أولئك يتنادون من مكان بعيد أقدم آيتنا من سبي الكتاب فاختلط فيه وهاء لا كلمة سكت من ذلك لظنهم أنهم في شك منه مرت من عمل صالح أو فتنفسه ومن أساء فعليه عتابك بظلام العبد) واعلم أنه تعالى لما هدد المحسنين في آيات الله ثم بين شرف آيات الله دعاو درجة كتاب الله رجع إلى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتفسير على أذى قومه وإن لا يضيق قلبه بسبب ما حكمه عنهم في أول السورة من أنهم قالوا قلوا في أكنة ما تدعوننا إليه أي قوله فاعمل أنت طاعة الله فقال ما قال لك إلا ما قد قيل للرسول من قبلك وفيه وجهان (الاول) وهو الأقرب أن المراد ما تقول لك كفار قومك إلا مثل ما قد قال للرسول كفار قومهم من الكسائت المؤذية والمنازع في الكتب المنزلة إن ربك لغفور رحيم (الثاني) وذو عتاب أليم المبطلين ففرض هذا الأمر إلى الله واشغل بما أمرت به وهو التبايع والدعوة إلى الله تعالى (الثاني) أن يكون المراد ما قال الله لك إلا مثل ما قال لسائر الرسل وهو أنه تعالى أمر لئلا يمر كل الأنبياء بالصبر على سباهة الأقوام فمن حقه أن يرجوه أهل

للموصول وقيل التقدير والذين لا يؤمنون في آذانهم وقريء من جوز العطف على عاملين عطفت طاعته الموصول على الموصول الأول أي هو الاولين هدي وشفاء والآخرين وقريء آذانهم (أولئك) إشارة إلى الموصول الثاني باعتبار انصافه بما في حين صلته ولا حظا ما أثبت له وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالشار إليه للايدان بعد منزلته في الشر مع ما فيه من كمال المشابهة للتداء من بعيد

أى أولئك البعداء الموصوفون بما ذكر من النقص عن الحق الذى يسمعون والتعاضد عن الآيات الظاهرة التى يشاهدونها
(ينادون من مكان بعيد) تمثيل لهم في عدم قبولهم واستماعهم لهم بنى شادى من مسافة نائية لا يكاد يسمع من مثلها
الاصوات (وله آيتان موسى الكتاب فأخلف فيه) كلام مستأنف مسوق ليبر أن الاختلاف في شأن الكتب عادة قديمة
الام غير مختص بقوم على منهاج قوله تعالى في ٣٧٩ كما يقال لك الاما فذيل الرسل من ذلك أى وبالله لقد آتيناها

طاعته وتخافه أهل معصيته وقد ظهر من الكلامين في تفسير هذه السورة ان المقصود من
هذه السورة هو ذكر الاجابة عن قولهم وقالوا قل بناتى أكنة مما تدعونوا اليه وفى آذاننا
وقوم يبتاعونك حجاب فاعل الشاعرون فتارة يذهب على فساد هذه الطريقة وتارة
بذكر الوعيد لمن لم يؤمن بهذا القرآن ولأن بعض عند واعتد الكلام الى هذا
الموضع من أول السورة على الترتيب الحسن والنظم الكامل ثم انه تعالى ذكر جوابا آخر
عن قولهم وقالوا قل بناتى أكنة مما تدعونوا اليه وفى آذاننا وفرشال ولو جعلناه قرآنا
أعجميا لنأتوا ولا فضلنا آياته الأعجمى وعرفى فيه مسائل (المسألة الاولى) قرأ حرة
والكسائى وأبو بكر بن عاصم الأعجمى به مرتين على الاستفهام والباقيون به مرة واحدة
ومدة على السهول في أمثلة كقوله أنذرهم بخوبها على استفهام وروى عن ابن عباس
بهمزة واحدة على الخبر وما القراء بهم من ثمة فالحرة الأولى همزة انكار والآخرى انكار
وقالوا قرآن أعجمى ورسول عربى أو مرسل اليد عربى وما القراءة بغير همزة الاستفهام
فالمراد الاخبار بأن القرآن أعجمى والمرسل اليه عربى (المسألة الثانية) نقلوا في سبب
نزول هذه الآية ان الكفار لأجل التعتق قالوا انزل القرآن بلغة الأهم فتركت هذه
الآية وعندي ان أمثال هذه الكلمات فيها حيف عظيم على القرآن لأنه يقتضى ورود
آيات لا تعلق باليهن فيها بل بعض وانما يجب أنظم أنواع العطف فكيف يتم مع التزام مثل
هذا الطعن ادعاء كونه كتابا منظما فضلا عن ادعاء كونه معجزا بل الحق عندى ان هذه
السورة من أولها الى آخرها كلام واحد على ما حكى الله تعالى عنهم من قولهم قل بناتى
أكنة مما تدعوننا اليه وفى آذاننا وقر وهذا الكلام أيضا متعلق به وجوابه والتقدير اما
لو أنزلنا هذا القرآن بلغة العجم لكان لهم أن يقولوا كيف أرسلت الكلام العجمى الى
القوم العرب ويصح لهم أن يقولوا قل بناتى أكنة مما تدعوننا اليه أى من هذا الكلام
وفى آذاننا وقر منه لأنه محدود ولا يحيط بمعناه اما ما أنزلنا هذا الكتاب بلغة العرب
وبالفاظهم وأتم من أهل هذه اللغة فكيف يمكنكم ادعاء ان قالو بكم فى أكنة منها وفى
آذانكم وقر منها فظهر اننا اذا جعلنا هذا الكلام جوابا عن ذلك الكلام بقيت السورة
من أولها الى آخرها على أحسن وجوه النظم اما على الوجه الذى يذكره الناس فهو عجيب
جدام قال تعالى قل هو الذى أنعموا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو
عليهم عى أولئك ينادون من مكان بعيد واعلم ان هذا متعلق بقولهم وقالوا قل بناتى أكنة
مما تدعوننا اليه الى آخر الآية كانه تعالى يقول ان هذا الكلام أرسلته اليكم بلغتكم
لا بلغة اجنبية عنكم فلا يمكنكم أن تقولوا ان قل بناتى أكنة منه بسبب جهلنا بلغة بلغة
فبقى أن يقال ان كل من آتاه الله طبعا ما نال الى الحق وقلنا ما نال الى الصدق وهم يتدعوه
الى بطل الجهد فى طلب الدين فان هذا القرآن يكون فى حقه هدى وشفاء اما كونه هدى
فلا أنه دليل على الخيرات ويرشد الى كل السعادات واما كونه شفاء فانه اذا أمكنه

النوراء فاختلف فيها
فمن مسدق لها وما كذب
وهكذا حال قومك فى
شأن ما أتيناك من القرآن
فمن مؤمن به وكافر (ولو لا
كلمة سبقت من ربك) فى
حق أمك المكذبة
وهى العدة بتأخير
عذابهم وفصل ما بينهم
وبين المؤمنين من
الخصومة الى يوم القيمة
يقول قوله تعالى بل الساعة
موعدهم وقوله تعالى
ولكن يؤخرهم الى
أجل مسمى (لقضى
بينهم) باستئصال
المكذبين كما فعل بمكدي
الام السافرة (وانهم)
أى كفار قومك (فى)
شك منه مريب) أى
من القرآن وجعل الضمير
الاول لليهود والثانى
لنوراء مما لا يوجد له من
عمل صالحا) بأن آمن
بالكتب وعمل بموجبها
(فأنفسه) أى فأنفسه
يعمله أو ففعله لنفسه
لا غيره (ومن اساء فلها)
ضرره لا على غيره (ومبارك
بظلام العبد) اعتراض
تذليل مقرر لمضمون ما قبله

مبنى على تنزيل ترك انابة المحسن بعمله أو انابة الغير بعمله وتنزيل العذاب بغير اساءة أو بساءة غيره منزل الظلم الذى
يسمحيل صدوره عنه سبحانه وتعالى وقد مر ما فى المقام من التحقيق والتفصيل فى سورة آل عمران وسورة الانفال
(اليه يرد علم الساعة) أى اذا سئل عنها يقال الله يعلم أولا يعلمها الا الله تعالى (ما يخرج من ثرات من أكامها) أى من
أوصيها جمع كم بالكسرو هو وعاء الثمرة كجف الطلعة وقرى

من لمرة على ارادة الجنس والجمع لاخلاف الانواع وقد قرئ يجمع الضمير ايضا وامانافة ومن الاولى من يدة الاستغراق واحتمال أن تكون ماموصولة معطوفة على الساعة ومن مبيته بعيد (وما يحمل من أنثى ولا تضع) أي جعلها وقوله تعالى (الايامه) استثناء مفرغ من أعني الاحوال أي وما يحدث شي من خروج كثره ولا حمل حامل ولا وضع واضع ملاسبب شي من الاشياء الاملا سبب الساعه المحيطه ٣٨٠ (ويوم يناديهم أين شركائي) أي يزعجهم كإضلاله في قوله تعالى أين شركائي

الذين زعمتم وفيه
تهدمكم بهم وتقرع لهم
ويوم منصوب بالذكر
أو ظرف للضمير مؤخر قد
تركنا ذنا بقصور البيان
عنه كما قرئ قوله تعالى
يوم يجمع الله الرسل
(قالوا أذنك) أي أخبرناك

(أمانا من شهدك) من
أحد يشهدهم بالشركه
اذتبرأنا منهم لما جئنا لخال
وأمانا أحد الأوهو
موجودك أو أمانا من
أحد يشهدهم لأنهم
ضلوا عنهم حينئذ وقيل
هو قول الشركاء أي

أمانا من شهدك هذا
بأنهم كانوا محقين وقواهم
أذنك أمانا هذا التوبيخ

مستوفى بنو بخت آخر
بحسب بهذا الجواب
أولان معناه انك علمت
من قلوبنا وعقائدنا الآن
أمانا شهدك تلك الشهاده
الباطله لانه اذا علمت
نفوسهم فكأنهم اعلموا
أولان معناه الانشاء
لا الاخبار بايذان قد كان
قبل ذلك (وضل عنهم

اذ يناديهم) حصل اليه في ذلك الهمدنى شانه من مرض الكفر والجهل وأمانا من كان
غرفا في بحر الخذلان وثأني في مشاوار الحرمان وشغوا بمناجاة الشيطان كان هذا القرآن
في آذانه وقرأ الخاف وفي آذانه وقرأ الخاف وكان القرآن عليهم عني كما قال ومن بينك وحجاب
فأولئك ينادون من مكان بعيد بسبب ذلك الحجاب الذي حال بين الانتفاع ببيان القرآن
وكل من أنصف ولم يفسد علمنا اذا فسرنا هذه الآية على الوجه الذي ذكرناه صارت هذه
السورة من أولها إلى آخرها كلاما واحدات نظاما مسوقا لغرض واحد فيكون هذا
التفسير أول ما ذكره وهو قرأ الخاف وروى عليهم عني على المصدر وقرأ ابن عباس عني على
الثبت قال أبو عبد الله الأول هو الوجه كقوله هدى وشفا وكذا عني هو مصدر مثلهما وأول
كان المذكر كورانه هادوا وشافى لكان الكسرى عني أجود فيكون نعمتا مثلهما وقوله تعالى
أولئك ينادون من مكان بعيد قال ابن عباس يريد مثل الحكمة التي لا تفهم الادعاء ونداء
وقيل من دعى من مكان بعيد لهم وان سمع أم يهمل فكذلك حال هؤلاء ثم قال تعالى ولقد
آتيناموسى الكتاب فاختلف فيه وأقول أيضا ان هذا متعلق بما قبله كأنه قيل انما
آتيناموسى الكتاب اختلفوا فيه فنبهه بعضهم ورده الآخرون فكذلك آيتناك هذا
الكتاب فنبهه بعضهم وهم أصحابك ورده آخرون وهم الذين يقولون قلوبنا في أكنة مما
تدعون اليه ثم قال تعالى وأولئك سبقت من ربك يعني في تأخير العذاب عنهم الى أجل
معنى وهو يوم القيامة كما قال بل الساعة مع عندهم لقضى بينهم يعني المصدق والمكذب
بالعذاب الواقع بمن كذب وانهم في شك من صدق وكذبك مريب فلا ينبغي ان تستعظم
استحسانك من قلوبهم فأولئك في أكنة مما تدعوننا اليه ثم قال من عمل صالحا فأنسده ومن
أساء فعليه يعني خفف على نفسك اعراضهم فانهم ان آمنوا ففزع إيمانهم بعدو عليهم وان
كفروا ففسد نفعهم يعود اليهم والله سبحانه يوصل الى كل أحد ما يليق بعمله من الجزاء
ومار يك بظلام للعبيد * قوله تعالى (اليه يردعلم الساعة وما تخرج من ثمره من أكامها
وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه ويوم يناديهم أين شركائي قالوا اذنك أمانا من شهدك
وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل وظنوا ما لهم من محيص لا يسأم الانسان من دعا الخير
وان مسد الشر فبؤس فتوسط ولكن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليعلم ان هذا الى
وما أفطن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي انزلى عنده للعسنى فلندين الذين كفروا بما
عموا ولندينقهم من عذاب غليظ واذا أنصنا على الانسان أعرض وأبى سبحانه واذا مسه
الشر فقد دعا عارض قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في
شقاق بعد سزيم أأتنا في الآفاق في أنفسهم حتى ينبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك
أنه سبى كل شيء شهيدا ألا أنهم في مريد من قلوبهم ألا انه بكل شيء محيط اعلم انه تعالى لما
هدد الكفار في الآية المشددة بقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فلنفسه ومن أساء فعليه ما وعده ان
جزاء كل أحد يصل اليه في يوم القيامة وكان سائلا قال ومن يكون ذلك اليوم فقال تعالى انه

ما كانوا يدعون (أي يبدون (من قبل) أي غابوا عنهم وأظهر عنهم فمكنا حضورهم كقبيتهم * (لا سبيل
(وظنوا) أي ايقنوا (ما لهم من محيص) مهرب وانظن معاني عنه بحرف التثنية (لا يسأم الانسان) أي لا يمل ولا يفتقر
(من دعا الخير) من طلب النعمة في السبب المعيشة وقرئ من دعا بالخير (وان مسد الشر) أي العسر والضيق
(فبؤس فتوسط) فيه مبالغة من جهة البناء ومن جهة التكرير ومن جهة ان الفتوسط عبارة عن يأس مفرط

يظهر أثره في الشخص فيضاهل ويتكسر أي مبالغ في قطع الرجاء من فضل الله تعالى ورجته وهذا وصف للجبن بوصف غالب أفراد لما أن اليأس من رجته **عنه ٢٨١** تعالى لا تأتي إلا من الكافر وسبب رجته (وأن أذقناه رجته

من أن يمد ضراره مسته)
بشر بجهنم عنه (يقولون
هذا) أي حتى استحققه
لما من الفضل والعمل
أولى لا ينبغي فلا يزول
عني أبدا (وما ظن الساعة
فأنت) أي تقوم فيما
سأتي (ولئن رجعت
الدرج) على تقدير
قيامها (إن لي عنده
العسنى) أي العساة
الحسن من الكرامة
وذلك لأعقابه أن ما
أصابه من نعم الدنيا
لا يستحقه قوله وأن نعم
الآخرة كذلك (فلنبين
الذين كفروا بما عملوا)
أي لنعلمهم بحقيقة
أعمالهم حين أظهرناهم
بصورها الحقيقية
وقدمنا حقيقة في سورة
الاعراف عند قوله تعالى
والوزن يومئذ الحسنى
وفي قوله تعالى إنما يعزكم
على أنفسكم من سورة
يونس (ولننقشهم
من عذاب غليظ)
لا يقدر قدره ولا يبالغ
كذبهم (وإذا نفعنا على
الإنسان أعرض) أي
عن الشكر (ونأى بجانبه)
أي ذهب بنفسه وتبعد

لأسهل الخلق إلى معرفة ذلك اليوم ولا يعلم إلا الله فقال إليه ردد علم الساعة وهذه الكلمة
تفيد الحصر أي لا يعلم وقت الساعة بعينه إلا الله وكان هذا العلم ليس إلا عند الله فكذلك
العلم بحوادث الحوادث المستقبلية في أوقاتها المعينة ليس إلا عند الله سبحانه وتعالى ثم ذكر
من أمثلة هذا الباب مثالين (أحدهما) قوله وما نخرج من ثمرة من أكمامها (والثاني) قوله
وما نحمل من أثني ولا تضع الأثمن قال أبو عبيدة أكمامها أوعيتها وهي ما كانت فيه
الثمرة وأحدها كم وكمة قرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم من ثمرات بالالف على الجمع
والباقون من ثمرة بغير ألف على الواحد وأعل أن نظير هذه الآية قوله إن الله عنده علم
الساعة ويترى الغيث إلى آخر الآية فإن قيل ليس أن المتكلمين قد يعرفون من طالع
سنة العالم أحوال كثيرة من أحوال العالم وكذلك قد يعرفون من طالع الناس أشياء
من أحوالهم وهما شئ آخر يسمى علم الرسل وهو كثيرا فسادا وأيضاً علم التعبير بالآيات
فيسدل على أحوال المقربات فكيف يعلم بين هذه الدوام المشاهدة وبين هذه الآيات
أن أصحاب هذه العلوم لا يكتفونهم القطع والجزم في شئ من المطالبات البتة وإنما الغاية
القصوى ادعاء ظن ضعيف والمذكور في هذه الآية علم ليس إلا عند الله والعلم هو
الجزم واليقين وبهذا الطريق زالت المناقاة والمعاندة والله أعلم نعم ته تعالى لما ذكر القيامة
أردفه بشئ من أحوال يوم القيامة وهذا الذي ذكره ههنا شديد التعليق أيضاً بواقع
الابتداء في أول السورة وذلك لأن أول السورة يدل على أن شدة غورهم عن استماع
القرآن إنما حصلت من أجل أن محمد صلى الله عليه وسلم كان يدعوهم إلى التوحيد وإلى
البراءة عن الأصنام والأوثان بدليل أنه قال في أول السورة قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى
إلي أنما ألهم الله الواحد فذكر في خاتمة السورة وعبدوا ثلثين بالشركاء والابتداء فقال
ويوم ينسأونهم فيقول أين شركائي أي بحسب زعمكم واعتقادكم قالوا أذنك قال ابن
عباس أسمعناك كقوله تعالى وأذنت لهما وحققت يعني سمعت وقال الكلبي أعلمناك وهذا
بعيد لأن أهل القياسات يعلمون الله ويعلمون أنه يعلم الأشياء علما واجبا فالإعلام في حقه
محال ثم قال ما منا من شهيد وفيه وجوه (الاول) ليس أحد من أشهادنا بالشركاء
فانقصوا منهم في ذلك اليوم يعبرون من آيات الشريك لله تعالى (الثاني) ما منا من أحد
يشاهدهم لأنهم ضلوا عنهم وضل عنهم أنفسهم لا يصررونها في ساعة الويلع (الثالث)
أن قوله ما منا من شهيد كلام الاصنام فإن الله يحییها ثم أنفها تقول ما منا من أحد يشهد
ببعض ما أضلوا اليان الشركاء وعلى هذا التدبير فمن ضللاهم عنهم أنهم لا تشهدهم
فكانهم ضلوا عنهم ثم قال وظنوا ما لهم من محض وهذا ابتداء كلام من الله تعالى يقول
إن الكفار ظنوا أولا ثم استنوا أنهم محض لهم عن النار والعذاب ومنهم من قال أنهم
ظنوا أولاً ثم لا يمحى لهم عن النار ثم أنفوا ذلك بعده وهذا بعيد لأن أهل النار يعلمون
أن عقابهم دائم ولما بين الله تعالى من حال هؤلاء الكفار أنهم بعد أن كانوا مصرين على

بكلية تكبراً وتعظماً والجبابرة مجاز عن النفس كافي قوله تعالى في جنب الله ويجوز أن يراد به عطفه ويكون
عبارة عن الانحراف

والأزوار كما قالوا ثني عطائه وتولى بركته (وإذا مسه الشر فزدو عليه عداوة من الله) أي كثير مستعار ماله عرض متهم للشعار
بكرته واستمراره وهو بالغ من الطويل إذا الطول أطول **٣٨٢** به الامتدادين فإذا كان عرضه كذلك فطوله

ولعل هذا شأن بعض
غير البعض الذي حكى
فنه اليأس والتوسط
أوشان الكل في بعض
الآوقات (قل أرايتم)
أي أخبروني (إن كان)
أي القرآن (من عند الله
ثم كفرتم به) مع تعاضد
موجبات الإيمان به (من)
أصل عن هوى شقاق
بعيد) أي من أصل منكم
فوضع الموصول موضع
الضمير مشر حالهم
وتعليل لمن يضلّهم
(سزيمهم آياتنا) الدالة
على حقيقته وكونه من
عند الله (في الآفاق)
هو ما أخبرهم به أثبت
صلّى الله عليه وسلم من
الحوادث الآتية وأثار
التوازل الماضية وما
يسر الله تعالى له ولخلفائه
من الفئوح والظهور
لى آفاق الدنيا والاستيلاء
على بلاد المشارق
والغارب على وجه خارق
للعادة (وفي أنفسهم)
هو ما ظهر فيما بين أهل
مكة وما حل بهم وقال
ابن عباس رضى الله
عنهما في الآفاق أي
منازل الأمم الحالية

القول بالثبات الشر كما والاضداد لله في السمت اتبروا عن تلك الشر كما في الآخرة بين ان
الانسان في جميع الآوقات متبدل الاحوال متغير المسح فان أحسن بغير وقرة انتفخ
وتعظم وان أحسن بلاء ومحنة ذبل كما قيل في المثل انه هذا كما قرى ان رأى خبرا تدلى وان
رأى شرا تولى فقال لا يسأم الانسان من دعاء الخير وان مسه الشر فزوس فوط يعني انه في
حال الاقبال وبمجيء المرادات لا ينتهي قط الى درجة الاو يطلب الزيادة عليها ويطمع بالفوز
بها وفي حال الادياب والحرمان يصير آيسا فانظافا لا تنقل من ذلك الرجاء الذي لا آخر له ان
هذا اليأس الكلي يدل على كونه متبدل الصفة غير الحال وفي قوله يوس فوط مبالغة
من وجهين (أحدهما) من طريق بقاء فعول (والثاني) من طريق التكرير واليأس من
صفة القلب والتوسط أن يظهر آثارا يأس في الوجد والاحوال الظاهرة ثم يبين تعالى ان
هذا الذي يسار آيسا فانظافا الوعاودة النعمة والدولة وهو المارد من قوله ولئن أدقناه رحمة منا
من بعد ضراء مستقدان هذا الرجل يأتي بثلاثة أنواع من الآفويل الفاسدة والمذاهب
الباطلة الموجبة للكفر والبعد عن الله تعالى (فأولها) انه لا بد وان يقول هذا وفيه
وجهان (الاول) معناه ان هذا حق وصل الى لاني استوجبه بما حصل عندي من أنواع
الفضائل وأعمال البر والقربة من الله ولا يعلم المسكين ان أحدا لا يستحق على الله شيئا وذلك
لانه ان كان ذلك الشخص عاريا عن الفضائل فهذا الكلام ظاهر الفساد وان كان
موصوفا بشيء من الفضائل والصفات الحميدة فهي بأسرها انما حصلت له بفضل الله
واحسانه واذا فضل الله بشيء على بعض عبده امتنع ان يصير تفضله عليه بتلك العطية
سببا لان يستحق على الله شيئا آخر ثبت بهذا فساد قوله انما حصلت هذه الخيرات بسبب
استحقاقى (والوجه الثاني) ان هذا لا يزل عني ويحيى على وعلى أولادى وذريتى
(والنوع الثاني) من كآتهم الفاسدة أن يقول وما أظن الساعة قائمة يعني انه يكون شديد
الرغبة في الدنيا عظيم الثمرة عن الآخرة فلذا آل الامر الى احوال الدنيا يقول انه هالى
واذا آل الامر الى الآخرة يقول وما أظن الساعة قائمة (والنوع الثالث) من كآتهم
الفاسدة ان يقول ولئن رجعت الى ربي انى عنده للعسى يعني ان الغالب على الظن ان
اشول بالبعث والقيامة باطل ويتقدير أن يكون حقا فانى عنده للعسى وهذه الكلمة
تدل على جزيمهم بوصولهم الى الثواب من وجوه (الاول) ان كلمة ان تفيد التاكيد
(الثاني) ان تقديم كآتى يدل على هذا التاكيد (الثالث) قوله عنده يدل على ان تلك
الخيرات حاضرة مهيشة عنده كما تقول لى عند فلان كذا من الدنانير فان هذا يفيد كونها
حاضرة عنده فلو قلت انى على فلان كذا من الدنانير لا يفيد ذلك (والرابع) اللام في قوله
للعسى تفيد التاكيد (الخامس) للعسى يفيد الكمال في الحسنى ولما حكى الله تعالى عنهم
هذه الأقوال الثلاثة الفاسدة قال فلننبئ الذين كفروا بما عملوا أى نظهر لهم ان الامر
على صمدنا اعتدو وعلى عكس ما تصوروه كما قال تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فيعلمناه

ما يفتح الله من القربى عليه الصلاة والسلام والمسلمين وفي أنفسهم قبح مكة وقيل في الاتفاق أي في إقسطار
السموات والأرض من الشمس والقمر والنجوم ﴿ ٣٨٣ ﴾ وما يرتب عليها من الليل والنهار والأضواء

والضلال والظلمات

ومن النبات والأشجار

والأنهار وفي أنفسهم

من لطيف الصنعة

وبديع الحكمة في تكوين

الاجنة في ظلمات الارحام

وحدوث الاعضاء

العجيبة والتركيبات

الغريبة كقوله تعالى

وفي أنفسكم أفلا

تبصرون واعتذر بأن

معنى السين مع أن آراءه

تلك الآيات قد حصلت

قبل ذلك أنه تعالى

سـ يطـلعـهـم على تلك

الآيات زماناً فزماناً

ويزيدهم وقوفاً على

حقائقها يوماً فيوماً

(حتى يتبين لهم) بذلك

(انه الحق) أي القرآن

أو الاسلام والتوحيد

(أولئك ربكم)

استئناف واردة لئلا يخفهم

على ترددهم في شأن

القرآن وعندادهم المخرج

الى آراءه الآيات وعدم

اكفائهم بخبره تعالى

والهمزة للارتداد والواو

للعطف على مقدر

يقضيه المقام أي المبرهن

ولم يكف ربك والباء

من بدلة التأكيد ولا تكاد

هيا مشورا ولنديقهم من عذاب غليظ في مقابلة قولهم ان الله عنده الحسنى ولما حكى الله
تعالى أقوال الذي أنعم عليه بعد وقوعه في الآيات حكى أفعاله أيضا فقال وإذا أنعمنا
على الإنسان أعرض عن أعظم لاحر الله والشفقة على خلق الله ونأى بجانبه أي ذهب
بنفسه وتكبر وتعتظم ثم أن مسد الضر والفقر أقبل على دوام الدعا وأخذ في الابتهاال
والنصرع وقد استعبر العرض لكثرة الدعا ودوامه وهو من صفات الاجرام واستعاره
الطول أيضا كما استعبر العاطشة العذاب واعلم انه تعالى لا يذكر الوعد العظيم على الشرك
وبين ان المشركين يرجعون عن القول بالشرك في يوم القيامة ويظهرون من أنفسهم
الذلة والخضوع بسبب استسلام الخوف عليهم وبين ان الانسان حيل على التبدل فان وجد
لفسد قوة بالغ في التكبر والتعظم وان أحس بالتطور والضعف بالغ في اظهار الذلة
والمسكنة ذكر عقيدة كلاما آخر يوجب على هؤلاء الكفار أن لا يبالغوا في اظهار التفرقة
من قبول التوحيد وان لا يفرطوا في اظهار العداوة مع الرسول صلى الله عليه وسلم فقال
قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد وتقرر هذا
الكلام انكم كنتم معكم هذا القرآن أعرضتم عنه وما أنتم فيه وبالغتم في التفرقة عند
قلتم قلوبنا في أن كنتم تادعوننا إليه وفي آذاننا وقرتم من المعلوم بالضرورة انه ليس العلم
بكون القرآن باطلا علما بديها وليس العلم بفساد القول بالتوحيد والنبوة علما بديها
فقبل الدليل يحتمل أن يكون صحيحا وان يكون فاسدا في تقدير أن يكون صحيحا كان
اصراركم على دفعه من أعظم موجبات الغلب فهذا الطريق يوجب عليكم ان تتركوا
هذه التفرقة وان ترجعوا الى النظر والاستدلال فان حيل التبدل على صحة بقائه وان دل
على فساد تركه فمقابل الدليل فالاصرار على الدفع والاعراض بعيد عن العلم وقوله
عن هو في شقاق بعيد موضوع موضع منكم بيان حالهم وسفاههم ولما ذكر هذه الوجوه
الكثيرة في تقرير التوحيد والنبوة أجاب عن شبهات المشركين وتوسلات الضالين قال
سـ ربـهـم آيـاتـي في الاتفاق وفي أنفسهم حتى يبين لهم أنه الحق قل الواحد احد والحمد
الاتفاق أقوى وهو الناحية من تواسي الارض وكذلك اتفاق الملائكة حينما أرادوا إفهامه وهو في
تفسير قوله سـ ربـهـم آيـاتـي في الاتفاق وفي أنفسهم قولان (الاول) ان المراد بآيات
الاتفاق الآيات الفلكية والكوكبية وآيات الليل والنهار وآيات الاضواء والاضلال
والظلمات وآيات عالم العناصر اربعة وآيات الملائكة الثلاثة وقد ذكرنا منها في القرآن
وقوله وفي أنفسهم المراد منها الدلائل المأخوذة من كيفية تكون الاجنة في ظلمات الارحام
وحدوث الاعضاء العجيبة والتركيبات الغريبة كما قال تعالى وفي أنفسكم أفلا تبصرون
يعني نريهم من هذه الدلائل مرة بعد أخرى الى أن تول الشبهات عن قلوبهم ويحصل فيها
الجزم والقطع بوجود الاله القادر الحكيم العليم المنزه عن النقص والضد فان قيل هذا
الوجه ضعيف لان قوله تعالى سـ ربـهـم يقتضي أنه تعالى ما أطلعهم على تلك الآيات الى

تراد الامع كقوله تعالى (أنه صلى كل شيء شهيد) بل منه أي ألم يفتحهم من آراءه الآيات الموعودة المييزة
لحقية القرآن ولم يكفهم في

فذلك أنه تعالى شهيد على جميع الأشياء وقد أخبر بأنه من عنده وقبل معناه أن هذا الموعود من اظهار آيات الله في الآفاق وفي أنفسهم سبعونه وبشاهدونه ﴿ ٣٨٤ ﴾ فيتبين عند ذلك أن القرآن تنزيل عالم الغيب

الذي هو على كل شيء شهيد أي مطاع يستوى عنده غيبه وشهادته فيكفيهم ذلك دليلا على أنه حق وأنه من عنده ولولم يكن كذلك لما قوى هذه القوة ولما نصر حاملوها هذه النصرة فتأمل وأما ما قيل من أن المعنى أولم يكفك أنه تعالى على كل شيء شهيد مع قوله فيحقق أمرك باظهار الآيات الموعودة كما حقق سائر الأشياء الموعودة فمع اشماره بما يليق بحال المنصب عليه السلام من التردد فيما ذكر من تحقيق الموعود برده قوله تعالى (ألائهم في مرتبة من لقاهم يوم) أي في شك عظيم من ذلك بالبعث والجزاء فانه صريح في أن عدم الكفاية معتبرا بالنسبة إليهم وقرئ مريضا ضم وهو اغتفيا (ألائه بكل شيء محيط) عالم بجميع الأشياء جلها وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا تخفى عليه خافية

الآن وسيطعونهم عليها بعد ذلك والآيات الموجودة في العالم الاعلى والاسفل قد كان الله أعلمهم عليها قبل ذلك فثبت أنه تعالى على هذا الباب على هذا الوجه قلنا ان اقوم وان كانوا قد رأوا هذه الأشياء الآن العجائب التي أودعها الله تعالى في هذه الأشياء مما لانها يراها فهم وآثارها يعلمونها على تلك العجائب زمانا فزمانا ومثاله كل أحد رأى بعينه بنية الإنسان وشاهدوا الآن العجائب التي أبدعها الله في تركيب هذا البدن كثيرة وأكثر الناس لا يعرفونها والذي وقف على شيء منها فكلما ازداد تفكرا ازداد وقفا على تلك العجائب والغرائب فصيح بهذا الطريق قوله ستر بهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم قبح (وأقول الثاني) ان المراد بآيات الآفاق قبح البلاد المحيطة بكثرة وآيات أنفسهم قبح مكة وثقلها وثقلها على القول ربحه على القول الأول لاجل أن قوله ستر بهم يبين بهذا الوجود ولا يبين بالآيات الأولى لأنها جبانته بأن قوله ستر بهم لائق بالوجه الأول كما قررناه فان قيل حل الآية على هذا الوجه بعيد لأن أقصى ما في الباب ان محمدا صلى الله عليه وسلم استولى على بعض البلاد المحيطة بكثرة ثم استولى على مكة الا ان الاستيلاء على بعض البلاد لا يدل على كون المسئول معقفا فانزى ان الكفار قد يحصل لهم استيلاء على بلاد الاسلام وعلى ملوكهم وذلك لا يدل على كونهم محققين قلنا ولهذا السبب قلنا ان حل الآية على الوجه الأول أولى ثم نقول ان أردنا تصحيح هذا الوجه قلنا اننا لا نستدل بمجرد استيلاء محمد صلى الله عليه وسلم على تلك البلاد على كونه محققا في ادعاء النبوة بل نستدل به من حيث انه صلى الله عليه وسلم أخبر عن مكة أنه يستولى عليها هو ويقهر أهلها ويصير أصحابه قاهرين للاعداء فهذا الخبر عن الغيب وقد وقع تخبره مطابقا لخبره فيكون هذا الخبر اصدقا عن الغيب والخبر عن الغيب معجزة فهذا الطريق يستدل بحصول هذا الاستيلاء على كون هذا الدين حقا ثم قال أولم يكف برك أنه على كل شيء شهيد وقوله برك في موضع الرفع على انه فاعل يكف وأنه على كل شيء شهيد يدل منه وتقديره أولم يكفهم ان برك على كل شيء شهيد ومعنى كونه تعالى شهيدا على الأشياء خلق الدلائل عليها وقد استقصينا ذلك في تفسير قوله قل أي شيء أكبر شهادة قل الله والمعنى ألم تكفهم هذه الدلائل الكثيرة التي أودعها الله تعالى وقررها في هذه السورة وفي كل سور القرآن الدالة على التوحيد والتعزية والعدل والنبوة والمعاد ثم ختم السورة بقوله ألائهم في مرتبة من لقاهم يوم أي ان اقوم في شك عن عظمهم وشبهته شديدة من البعث والقيامة وقرئ في مريضا بضم ثم قال ألائه بكل شيء محيط أي عالم بجميع المعلومات التي لانها يراها فيعلم بواطن هؤلاء الكفار وظواهرهم ويجازي كل أحد على عمله بحسب ما يليق به ان خيرا فخير وان شرا فشر فان قيل قوله ألائه بكل شيء محيط يقتضى أن تكون علومه متناهية قلنا قوله بكل شيء محيط يقتضى أن يكون علمه محيطا بكل شيء من الأشياء فهذا يقتضى كون كل واحد منهم متاهيا لا يكون مجموعها متاهيا والله أعلم بالصواب ثم تفسير هذه السورة وقت ظهر الرابع من ذي

منهم وهو يجازيهم على كفرهم ومريتهم لا محالة * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ آية السجدة سورة السجدة أعطاه الله تعالى بكل حرف عشر حسنة والله أعلم

(سورة حم عسق ويسمى الشورى مصكبة وهي ثلاث وخمسون آية) (بسم الله الرحمن الرحيم) (حم عسق) اسمان
 للسورة ولذلك فصل بينهما وعدايتين وقبل اسم واحد والفصل ليناسب سائر الحواميم وقرأ حم عسق فعلى الاول
 هما خبران لمبتدأ محذوف وقبل حم مبتدأ أو سبق (٣٨٥) بحذره وعلى الثاني الكل خبر واحد وقوله تعالى (كذلك
 الحجة سنة لربنا وسعادتنا) والمجد لله رب العالمين صلاته على خاتم النبيين محمد وآله وصحبه وسلم

(سورة شورى خبرون وثلاث آيات مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم عسق كذلك يوحى اليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم له ما فى السموات
 وما فى الارض وهو العزيز الحكيم تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون
 بحمدهن وهم يستغفرون لمن فى الارض اذ ان الله عز وجل انزل من السماء ماء فاحسب
 دونه اولياء الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل) اعلم ان الكلام فى امثال هذه القوافي
 معلوم اذ ان فى هذا الموضع سؤالان (الاول) ان يقال ان هذه السور السبعة
 مصدرية بقوله حم السبب فى اختصاص هذه السورة برب عسق (الثاني) انهم اجروا
 على انه لا يفصل بين كهيعص وههنا يفصل بين حم و بين عسق فاما السبب فيه واعلم ان
 الكلام فى امثال هذه القوافي يضيق وقبح باب التجارفات مما لا سبيل اليه فالاولى ان
 نفوض علمها الى الله وقرأ ابن عباس وابن مسعود سمى آما قرأه تعالى كذلك يوحى اليك
 فالكاف معناه المثل وهذا الاشارة الى شئ سبق ذكره فيكون المعنى مثل حم عسق يوحى
 اليك وإلى الذين من قبلك وعند هذا حصل قولان (الاول) نقل عن ابن عباس رضى الله
 عنه انه قال لاني صاحب كتاب الاوقاف ووحى اليه حم عسق وهذا عندى بميد (والثاني)
 ان يكون المعنى مثل الكتاب المسمى بحم عسق يوحى اليك وإلى الذين من قبلك وهذه
 المماثلة المراد منها المماثلة فى الدعوة الى التوحيد والعبد لله والعبادة وتبعية
 احوال الدنيا واعتقيد فى التوحيد الى الآخرة والى يوحى كنهنا آياتنا فى تفسير سورة
 سبع اسم ربك الا على ان اولها فى تقرر التوحيد أو سطها فى تقرر التوبة وآخرها فى
 تقرر العادولتاتم الكلام فى تقرر هذه المطالب الثلاثة قال ان هذا فى التخصيف الاول
 يصحف ابراهيم وموسى يعنى ان المقصود من ازال جميع الكتب الالهية ليس هذه
 المطالب الثلاثة فكذلك ههنا يعنى مثل الكتاب المسمى بحم عسق يوحى اليك وإلى
 كل من قبلك من الانبياء والمراد بهذه المماثلة الدعوة الى هذه المطالب العالية والمباحث
 المقدسة الالهية قال صاحب الكشف ولم يقل أوحى اليك ولكن قال يوحى اليك على
 لفظ المضارع ليدل على ان ايماء الله عادته وقرأ ابن كثير كذلك يوحى افصح الحاء على ما
 يسم فاعله وهى احدى الروايتين عن ابي عمرو عن بعضهم يوحى بالنون وقرأ الباقون
 يوحى اليك وإلى الذين من قبلك بكسر الحاء قبل فعلى القراءة الاولى ما رفع اسم الله
 تعالى قلنا ما دل عليه يوحى كأن قلنا قال من الموحى فقل الله وتعبيره قراءة السبيل
 وكذلك زين الكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم على البناء المفعول ورفع شركاؤهم
 فان قيل فإرادته فيمن قرأ نوحى بالنون قلنا برتفع بالابتداء والعزيز وما بعده أخبار

يوحى اليك وإلى الذين
 من قبلك الله العزيز
 الحكيم) كلام مستأنف
 وارد لتحقيق ان مضون
 السورة موافق لمساقي
 تضاعف سائر الكتب
 المعزلة على الرسل المتقدمة
 فى الدعوة الى التوحيد
 والارشاد الى الحق أو ان
 ايماءها مثل ايماءها بعد
 تنويهها بذكر اسمها
 والتنبية على فخامة
 شأنها والكاف فى حيز
 النصب على انه مفعول
 يوحى على الاول وعلى
 انه نعت مصدر مؤكده
 على الثاني وذلك على الاول
 اشارة الى ما فهم اوعلى
 الثاني الى ايماءها وما فيه
 من معنى البعد الايدان
 بعلمانية المشار اليه
 وبعد منزلة فى الفضل
 أى مثل ما فى هذه
 السورة من المعاني
 أوحى اليك فى سائر
 السور وإلى من قبلك من
 الرسل فى كتبهم على
 ان مناط المماثلة ما يشير
 السيد من الدعوة الى
 التوحيد والارشاد الى
 الحق وما فيه صلاح
 العباد فى المعاش والمعاد

أو مثل ايماءها أوحى ٤٩ سا اليك عند ايماء سائر السور وإلى سائر الرسل عند ايماء كتبهم لايحاء
 مغايراته كاذه قوله تعالى انما احسن اليك كما أوحينا

الى نوح الاية على ان مدار المتابعة لونه بواسطه الملك وصيغته المصاحف على حجة اية اجماع المصاحف بربوبية الله تعالى
وان اعاد الله عادته وفي جعل مضمون السورة أو ألتجها مشبهها به من تفصيحه هاملا لا يتفق وكذا في وصفه تعالى بوصفي العزة
والحكمة وتأخير الفاعل إعادة الفواصل مع ما فيه من التشويق وقرئ ٣٨٦ يوحى على البناء للمفعول على أن

أو العزيز الحكيم صفتان والظرف خبره وإذا ذكر أن هذا الكتاب حصل بالوحى بين
أن الموحى من هو فقال انه هو العزيز الحكيم وقد بينا في أول سورة حم المؤمن ان كونه
عن يرايد على كونه قادرا على الامانة به له وكونه حكيمًا يدل على كونه عالما بجميع
المعلومات غنيا عن جميع الحاجات فيحصل لنا من كونه عن يرا حكيمًا كونه قادرا على جميع
المقدورات عالما بجميع المعلومات غنيا عن جميع الحاجات ومن كان كذلك كانت
أفعاله وأقواله حكمة وصوابا وكانت مبرة عن العيب والعيث قال مصنف الكتاب
قلت في قصيدة

الحمد لله ذى الآلاء والنعيم * والفضل والجود والاحسان والكرم
مبزة الفعل عن عيب وعن عيب * مقدس الملك عن عزل وعن عدم
(والصفة الثالثة) قوله له ما فى السموات وما فى الأرض وهما يدل على مطالوبين فى غاية
الجلال (أحدهما) كونه موصوفا بقدرة كاملة تافذة فى جميع أجراء السموات والأرض
على حفظها وسعتها بالإيجاد والاعدام والتكوين والابطال (والثاني) انه لما بين
بقوله له ما فى السموات وما فى الأرض أن كل ما فى السموات وما فى الأرض فهو ملكه
وملكه وجب أن يكون معزها عن كونه حاصلا فى السموات وفى الأرض والازم كونه
ملكاً لنفسه وإذ انبأت أنه ليس فى شئ من السموات امتنع كونه أيضاً فى العرش لأن كل
ما سلكه فهو معزها فإذا كان العرش موجودا فوق السموات كان فى الحقيقة معزها فوجب
أن يكون كل ما كان حاصلا فى العرش ملكاً لله وملكاً له فوجب أن يكون معزها عن
كونه حاصلا فى العرش وإن قالوا انه تعالى قال له ما فى السموات وكله ما لا تتناول من
يعقل فلهذا ما دفعه من وجهين (القول) ان المنظمة ما واردة فى حق الله تعالى قال تعالى
والسماء وما بينهما والأرض وما عليها وقال لا تعبد ما تسجدون ولا تأتم عابدون ما أعبد
(والثاني) ان صيغة من وردت فى مثل هذه السورة قال تعالى ان كل من فى السموات
والأرض الآتى الرحمن عبدا وكله من لاشك أنها واردة فى حق الله تعالى فدللت هذه
الآية على أن كل من فى السموات والأرض فهو عبد الله فلو كان الله موجودا
فى السموات والأرض وفى العرش لكان هو من جملة من فى السموات فوجب أن يكون
عبد الله ولما ثبت بهذه الآية أن كل من كان موجودا فى السموات والعرش فهو عبد الله
وجب فمن تعدست كبريائه عن تسمية العبودية أن يكون معزها عن الكون فى المكان
والجهة والعرش والكرسى (والصفة الرابعة والخامسة) قوله تعالى وهو العلى العظيم
ولا يجوز أن يكون المراد بكونه غاليا علوا فى الجهة والمكان لما ثبت الدلالة على فساده
ولا يجوز أن يكون المراد من العظيم العظمة بالجثة وكبر الجسم لأن ذلك يقتضى كونه
مؤلفا من الأجزاء والأبعاض وذلك ضد قوله الله أحد فوجب أن يكون المراد من العلى
التعالى عن مشابهة المكنات ومناسبة المحدثات ومن العظيم العظمة بالقدرة والفهر

كذلك مبتداً و يوحى
خبره المستند الى خبره
أو مصدر و يوحى مستند
الى اليك والله من نعم بما
دل عليه يوحى كأنه قبل
من يوحى قبل الله والعزيز
الحكيم صفتان له أو
مبتداً كما فى قراءة نوحى
والعزيز بما بعده خبران
له أو العزيز الحكيم
صفتان له وقوله تعالى
(له ما فى السموات وما
فى الأرض وهو العلى
العظيم) خبران له وعلى
الوجه السابق استئناف
مقرر لعزته وحكمته
(تكاد السموات) وقرئ
بالإاء (يفطرن) يتشققن
من تحطمة الله تعالى وقيل
من دعا أولاد إله كما فى
سورة مريم وقرئ
يفطرن والاول أبرام لأنه
مطووع فطروهم هنا
مطووع فطروهم وقرئ
تفطرون بالله كيد
الأنثى وهو نادر (من
فوقهن) أى يبتدأ
النفط من جهتهن
الفوقية وتخصيصها
على الاول لما أن أعظم
الآيات وأدناها على
العظمة والجلال من

ذلك الجهة وعلى الثاني تدلالة على التفطر من تحتهن بالطريق الاولى لأن تلك الكلمة الشفاء * بالاستعلاء *
الواقعة فى الأرض حيث أثرت فى جهة فوق فلان تؤثر

في جهة التخت الأول وقبل الصبر للأرض فإنها في معنى الأرضين (والملائكة يسبحون بحمدهم) بزهو به تعالى مع
لابيق به تليسين حمداً (و يستغفرون لمن في الأرض) بالسعي فيما يستدعي مغفرتهم من الشفاعة والالهام وترتيب
الاسباب المقررة على الطاعة واستبداء في ٣٨٧ في تأخير العقوبة طمعا في إيمان الكافر متوبة أفساس وهذا يرمز

المؤمن والكافر بل لو
فسر الاستغفار بالسعي
فيما يدفع الخطيئة المتوقفة
عن الحيوان بل الجسد
وحدث خص بالموثنيين
كحاشي قوله تعالى
و يستغفرون الذين آمنوا
فأراد به الشفاعة
(الآن الله هو الغفور
الرحيم) إذ زمان من لا يوق
الأول حفظ عظيم من
رحمته تعالى والآية
على الأول زيادة تشرير
اعظمته تعالى وعلى
الثاني بيان الكمال تقدسه
عما نسب إليه وأن ترك
معاجلتهم بالعقاب على
تلك الكلمة الشنعاء
بسبب استغفار الملائكة
وفرض غفرانه ورحمته
ففيه إرمز إلى أنه تعالى
يقبل استغفارهم ويرزقهم
على ما طابوه من العفوة
رحمة (والذين اتخذوا
من دونه أولياء) شركاء
وأنداد (الله حفيظ
عليهم) رقيب على
أحوالهم وأعمالهم
فيجازيهم بها (وما أنت
عليهم بوكيل) بوكيل
بهم أو بوكول اليك
أمرهم وأما وظيفتك

بالاستعلاء وكل الإلهية ثم قال تكاد السموات يتفطرن من فوقهن وفيه مسائل
(المسألة الأولى) قرأ أبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر تكاد بالاء يتفطرن بالياء والثون
وقرأ ابن كثير وابن عامر وحض عن عاصم وحركة تكاد بالياء يتفطرن بالياء والاء وقرأ
نافع والكسائي يكاد بالياء يتفطرن أيضا بالياء قال صاحب الكشف وروى يونس عن
أبي عمرو قراءة غريبة تتفطرن بالسين مع الثون ونظيرها حرف ناء وروى في نوادر
ابن الأعرابي الأبل تشمين (المسألة الثانية) في فائدة قوله من فوقهن وجوه (الأول)
روى عنكرمة عن ابن عباس أنه قال تكاد السموات يتفطرن من فوقهن قال والمعنى
أنها تكاد تتفطر من ثقل الله عليها وأعلم أن هذا القول صحيح ويجب القطع ببراهين
عباس هند ويدل على فساده وجوه (الأول) أن قوله من فوقهن لا يفهم منه من فوقهن
(وثانيها) هب أنه يعمل على ذلك لكن لم قلتم أن هذه الحالة إنما حصلت من ثقل الله عليها
ولم لا يجوز أن يقال أن هذه الحالة إنما حصلت من ثقل الملائكة عليها كما جاء في الحديث
أنه صلى الله عليه وسلم قال أظت السماء وحق لها أن تظ ما فيها موضع شبر إلا فوقه ملك
قلتم أو راكع أو ساجد (وثالثها) لا يجوز أن يكون المراد تكاد السموات تنشق
وتتفطر من هيبة من هو فوقها ففوقه بالانهيبة وانتهر والندرة ثبت بهذه الوجوه أن
القول الذي ذكره في غاية الفساد والركاكة (والوجه الثاني) في تأويل الآية ما ذكره
صاحب الكشف وهو أن كلمة الكثر إنما جاءت من الذين تحت السموات وكان القياس
أن يقال يتفطرن من تحتهن من الجهة التي جاءت منها الكلمة ولكنه يوافق في ذلك فثبت
فيجعل مؤثرة في جهة التوق كأنه قيل يكدرن من الجهة التي فوقهن ودع الجهة
التي تحتهن ونظيره في المباحة قوله تعالى يصب من فوق رؤسهم الخمر يصهر بها في أعطوهم
والجود فجعل مؤثرا في اجزائهم الباطنة (الوجه الثالث) في تأويل الآية أن يقال من
فوقهن أي من فوق الأرضين لأنه تعالى قال قبل هذه الآية ما في السموات وما في
الأرض ثم قال تكاد السموات يتفطرن من فوقهن أي من فوق الأرضين (والوجه
الرابع) في التأويل أن يقال معنى من فوقهن أي من الجهة التي حصلت هذه السموات
فيها وتلك الجهة هي فوق ففوقهن أي من الجهة التي فوقها التي هي فيها (المسألة
الثالثة) اختلفوا في أن هذه الجهة أم حصلت وفيه قولان (الأول) أنه تعالى لما بين أن
الموحى بهذا الكتاب هو الله العزير الحكيم بين وصف جلاله وكبريائه فقال تكاد السموات
يتفطرن من فوقهن أي من هيبة وجلالته (والقول الثاني) أن السبب فيه البيانهم الولد
لله قوله تكاد السموات يتفطرن منه وهما السبب فيه البيانهم الشكر لله قوله بعده هذه
الآية والذين اتخذوا من دونه أولياء والصحيح هو الأول ثم قال والملائكة يسبحون بحمد
ربهم ويستغفرون لمن في الأرض واعلم أن تحفوت الله تعالى نوعان عالم الجسمانيات
وأعظمها السموات وعالم الروحانيات وأعظمها الملائكة والله تعالى يقرر كان عظمت

الانذار (وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا) ذلك إشارة إلى صدر أرحمنا ومحل الكفاي النصيب على المصدرة وقرآنا
عربيا بمفعول لأوحينا أي ومثل ذلك الإيحاء البديع البين المفهم أوحينا إليك قرآنا عربيا بالاس

فيه عليك ولا على قومك وقيل اشارة الى معنى الآية المتقدمة من انه تعالى هو الحفيظ عليهم وانما انت تذرهم بحسب القالكاف
مفعول به لا وحشا وقرأ ناعر يباحل من المفعول به أى أوجيناد اليك وهو قرآن عربى بين (التذراءم القرى) أهلها وهى مكة
(ومن حولها) من العرب (وتذريهم يوم الحزم) أى يوم القيامة ﴿ ٣٨٨ ﴾ لانه يجتمع فيه الخلائق قال تعالى يوم

يجمعهم اليوم الجمع وقيل
يجمع فيسد الارواح
والاشباح وقيل الاعمال
والعمال والانداد يتعدى
الى مفعولين وقد يستعمل
تأثيرهما بالياء وقد حذف
هو ثانياً مفعول الاول
وأول مفعولى الثانى
لانه هو بل وياهم اللهم
وقرى التذري بالياء على
أن فاعله ضمير التران
(لارب فيه) انترض
مقر ولما قبله (فريق فى
الجنة وفريق فى السعير)
أى يجمعهم فى الموقف
فانهم يجمعون فيه أولاً
ثم يفرقون بعد الحساب
والتقدير منهم فريق
والضمير للجموعين لدلالة
الجمع عليه وقرئاً منصوبين
على الحالية منهم أى
وتذريهم يوم جوعهم منفردين
أى مشارقين للفرق
أو منفردين فى داري
اثواب والعقاب (ولو
شاء الله لجمعهم) أى
فى الدنيا (أمة واحدة)
قيل مهتدين أو ضالين
وهو تفصيل لما أجمله
ابن عباس رضى الله عنه
فى قوله على دين واحد
فمعنى قوله تعالى (ولكن

لتجل نفاذ قدرته وهيبته فى الجسمانيات ثم يردفه بنفسه إذ قدرته واستيلاء هيبته على
الروحانيات والدليل عليه انه تعالى قال فى سورة عم يسا لولمسا أراد تفرير العظمة
والكبرياء يابأيد كرا الجسمانيات فقال رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون
معه سلطاناً ثم انتقل الى ذكر عالم الروحانيات فقال يوم يقوم الروح والملائكة صفاء
لا يكلمون فى حق من أدنى من دون الحق وقال صواباً فكذلك القول فى هذه الآية بين كمال عظمتهم
بأستبلاء هيبته على الجسمانيات فقال تكاد السموات يتفطرن من فوقهن ثم انتقل الى ذكر
الروحانيات فقال والملائكة يسبحون بحمد ربهم قبل ان يزلزل شريفهم ويزال زهر وعالم
أن الموجودات على ثلاثة أقسام مؤثر لا يقبل الاثر وهو الله سبحانه وتعالى وهو أشرف
الأقسام ومؤثر لا يؤثر وهو القابل وهو الجسم وهو أخس الأقسام وموجود يقبل الاثر
من القسم الاول ويؤثر فى القسم الثانى وهو الجوهر الروحانيات المقدسة وهو المرتبة
المتوسطة اذا عرفت هذا فتقول الجوهر الروحانيات لها متفان تعلقى باسم الجلال والكبرياء
وهو تعلق القبول فال الجسمانيات القدسية والاضواء القدسية اذا أشرفت على الجوهر
الروحانيات استضاءت جواهرها وأشرقت ماهياتها ثم ان الجوهر الروحانيات اذا استفادت
تلك القوى الروحانية قويت بها على الاستيلاء على عوالم الجسمانيات واذا كان كذلك
فالجواهر جهات وجهان جانب الكبرياء وحضرة الجلال ووجهه الى عالم الاجسام والوجه
الاول أشرف من الثانى اذا عرفت هذا فتقول قوله تعالى يسبحون بحمد ربهم اشارة الى
الوجه الذى ألهم الى عالم الجلال والكبرياء وقوله يستغفرون لمن فى الارض اشارة الى
الوجه الذى ألهم الى عالم الاجسام فأحسن هذه الاطراف وما أشرفها وما أشد تأثيرها
فى جذب الارواح من حضوض الخلق الى أوج معرفة الحق اذا عرفت هذا فتقول أما
الجهة الاولى وهى الجهة العلوية المقدسة فقد اشرفت على أمرين أحدهما التسبيح
وثانها ما التحميد لان قوله يسبحون بحمد ربهم يفيد هذين الأمرين والتسبيح مقدم على
التحميد لان التسبيح عبارة عن تزيه الله تعالى عما لا ينبغي والتحميد عبارة عن وصفه
بكونه مفضل الكل الخيرات وكونه مزيهاً فى ذاته عما لا ينبغي مقدم بالرتبة على كونه مفضلاً
للخيرات والسعادات لان وجود الشئ مقدم على إيجاد غيره وحصوله فى نفسه مقدم على
تأثيره فى حصول غيره فلم هذا السبب كان التسبيح مقدماً على التحميد ولهذا قال يسبحون
بحمد ربهم وأما الجهة الثانية وهى الجهة التى تلك الارواح الى عالم الجسمانيات
فالاشارة اليها بقوله ويستغفرون لمن فى الارض والمراد منه تأثيراتها فى دنس أحوال هذا
العالم وحصول الطريق الاصول الصالح فيها فهذه ملاحظ من المباحث العالية الالهية
مدرجة فى هذه الآيات المقدسة ولتخرج الى ما يلى بعلم التفسير فان قيل كيف يصح أن
يستغفروا لمن فى الارض وفيهم الكفار وقد قال تعالى أولئك لعنة الله والملائكة
فكيف يكونون لأعينهم مستغفرين لهم قلنا الجواب عنه من وجوه (الاول) ان قوله ان

يدخل من يشاء فى رحمة) أنه تعالى يدخل فى رحمة من يشاء أن يدخله فيها ويدخل فى عذابه من يشاء ﴿ فى ﴾
أن يدخله فيه ولا ريب فى ان مشيئته

تعالى اكل من الداخلين ثابته لاستحقاق كل من الفريقين لدخول مدخله ومن ضرورة اختلاف الرحمة والعذاب
اختلاف حال الداخلين فيهما قطعاً فليشأ جعل الكل أمة واحدة بل جعلهم فريقين وانما قبل (والظالمون
مالهم من رول ولا نصير) الايدان بأن الايمان ع ٣٨٩ في العذاب من جهة الداخلين بموجب سوء

اختيارهم لا من جهة
تعالى كافي الداخل
في الرحمة لا لما قبل من
المبالغة في الوعيد قبل
مؤمنين كاهم وهو
ما قاله مقاتل على دين
السلام كافي قوله تعالى
واشأ الله لجهنم على
الهدى وقوله تعالى
واوشنا لا تبناكل نفس
هداهما والمعنى واوشأ الله
مشقة قدرة اقسرهم
على الايمان والكنه
شأنه مشقة حكيم وكلفهم
وبني أمرهم على
ما يخارون ليدخل
المؤمنين في رحمة وهم
المرادون بقوله تعالى
يدخل من يشاء وترك
الظالمين يغيرول ولا نصير
وأنت خير بأن فرض
جعل اكل مؤمنين
رباه تصدرا لاسدراك
بداخل بعضهم في رحمة
اذا اكل حائذا داخلون
فيها فكان المناسب
حينئذ تصدير باخراج
بعضهم من بينهم
واحتسابهم في عذابه
فالذي يقتضيه سياق
النظم الكريه وسباقه
أن يراد الاتصاف في

في الارض لا يفيد العموم لانه يصح أن يقال انهم استغفروا اكل من في الارض وأن
يقال انهم استغفروا لبعض من في الارض دون البعض ولو كان قوله ان في الارض
صريحاً في العموم لما صح ذلك التفسير (الثاني) هب ان هذا النص يفيد العموم الا انه
تعالى حكى عن الملائكة في سورة جهم المؤمنين فقال و يستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت
كل شيء رحمة وعلما فغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك (الثالث) يجوز أن يكون المراد من
الاستغفار أن لا يسألهم بالسواب كافي قوله تعالى ان الله يمك السماوات والارض أن
تروا الى أن قال انه كان حليماً غفوراً (الرابع) يجوز أن قال انهم يستغفرون لكل من
في الارض أما في حق الكفار فبواسطة طلب الايمان لهم وأما في حق المؤمنين فبالجواز
عن سبائهم فانا نقول انهم اهد الكفار ووزن قلوبهم بنور الايمان وأزل عن
خوارطهم وحشة الكفر وهذا في الحقيقة استغفار واعلم أن قوله و يستغفرون لمن في
الارض يدل على انهم لا يستغفرون لانفسهم ولو كانوا مصرين على الاعتصام كان
استغفارهم لانفسهم قبل استغفارهم من في الارض وحيث لم يذكر الله عنهم استغفارهم
لانفسهم علمنا أنهم مبرؤون عن كل الذنوب والانباء عليهم السلام لهم ذنوب والذى لا ذنب
له البتة أفضل من له ذنب وأيضاً قوله و يستغفرون لمن في الارض يدل على انهم
يستغفرون للانباء لان الانبياء من جملة من في الارض واذا كانوا مستغفرين للانباء
عليهم السلام كان الظاهر انهم أفضل منهم وما حكى الله تعالى عن الملائكة التسبيح
والتمجيد والاستغفار قال الان الله هو الغفور الرحيم والمقصود التنبيه على ان الملائكة
وان كانوا يستغفرون للبشر الا ان المغفرة المطلقة والرحمة المطلقة للخلق سبحانه وتعالى
وبيانه من وجوه (الاول) ان اقدام الملائكة على طلب المغفرة للبشر من الله تعالى إنما
كان لان الله تعالى خلق في قلوبهم داعية لطلب تلك المغفرة ولو لان الله تعالى خلق في
قلوبهم تلك الدواعي والالام أقدموا على ذاك الطلب واذا كان كذلك كان الغفور المطلق
والرحيم المطلق هو الله سبحانه وتعالى (الثاني) ان الملائكة قانوا في أول الامر أن جعل
فيهم من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ثم في آخر الامر صاروا
يستغفرون لمن في الارض وأما رحمة الحق واحسانه فقد كان موجوداً في الاول
والآخر فليت ان الغفور المطلق والرحيم المطلق هو الله تعالى (الثالث) انه تعالى حكى
عنهم انهم يستغفرون لمن في الارض ولم يحك عنهم انهم يطلبون الرحمة لمن في الارض فقال
ألا ان الله هو الغفور الرحيم يعني انه يعطي المغفرة التي يطلبوها ويضم اليها الرحمة
انكاملة التامة ثم قال تعالى والذين اتخذوا من دونه أولياء أي جعلوا له شركاء وأنشأ
الله حفظ عليهم أي رقيب على أحوالهم وأعمالهم لا يفتوته منها شيء وهو سبحانه عليهم
لارقيب عليهم الا هو وحده وما أنت يا محمد بقوض اليك أمرهم ولا قسرم على الايمان
اعما أنت منذر فحسب قوله تعالى (و كذلك أوحينا اليك قرآننا ربنا لننذر أم القري

الكفر كافي قوله تعالى كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين الآية على أحد الوجهين بأن يراد بهم الذين هم
في فترة ادريس أو في فترة نوح علمهما السلام فالعنى ولو شاء الله لجلهم أمة واحدة متفقة على الكفر بأن لا يرسل
إليهم رسولا لينذرهم

ما ذكر من يوم الجمع وما فيه من الوان الاهوال فيقولوا على ما هم عليه من الكفر ولكن يدخل من يشاء في رحمة
أى شانه ذلك فيرسل الى الكل من يذرهم ما ذكر فيثاثر بعضهم بالانذار فيصرفون اختيارهم الى الحق فيوفقهم
الله للامان والطاعة ويدخلهم في رحمة ولا يثاثر به ﴿٣٩٠﴾ الآخرون ويتنادون في غيهم وهم اظالمون

ومن حولها وتندر يوم الجمع لارب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير واوشاء الله جعلهم
أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء في رحمة واطالمون ما لهم من ولى ولا نصير أم اتخذوا
من دونه اولياء فآله هو الولي وهو يحيى الموتى وهو على كل شئ قدير وما اختلفتم فيه من
شئ فتحكمه الى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت واليه ائيب فاطر السموات والارض
جعل لكم من انفسكم اوزاء جاء من الانعام اوزاء يذروكم فيها ليس لكم شئ وهو السميع
السميع له ما يبد السعوات والارض يستأثرزق من يشاء ويقدر انه بكل شئ عليم ﴿٣٩١﴾ اعلم
أن تلكه ذلك للاشارة الى شئ سبق ذكره وقوله وكذلك اوحينا اليك قرآنا عرييا يقتضى
تشبيه وحى الله بقرآن بشئ ههنا قد سبق ذكره وليس ههنا شئ سبق ذكره يمكن تشبيه وحى
القرآن به الا قوله والذين اتخذوا من دونه اولياء الله حفظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل
يعنى كما اوحينا اليك انك انت حفظا عليهم واستوكيلا عليهم فكذلك اوحينا اليك
قرآنا عرييا لتكون نذير لهم وقوله تعالى لتندر أم القرى أى لتندر أهل أم القرى لان
البلد لا تعقل وهو كقوله واسئل القرية وأم القرى أصل القرى وهى مكة وسُميت بهذا
الاسم اجلالا لها لان فيها البيت وقام ابراهيم والعرب تسمى أم كل شئ أمة حتى يقال
هذه القصيدة من أمهات قصائد فلان ومن حولها من أهل البدو والحضر وأهل المدر
والانذار الخوف فان قيل فظاهر اللفظ يقتضى ان الله تعالى انما وحى اليه لينذر أهل
مكة وأهل القرى المحيطة بمكة وهذا يقتضى أن يكون رسولا اليهم فقط وأن لا يكون
رسولا الى كل العالمين (والجواب) ان التخصص بالذكر لا يدل على نفي الحكم عما سواه
فهذه الآية تدل على كونه رسولا الى هؤلاء خاصة وقوله وما أرسلناك الا كافة للناس
يدل على كونه رسولا الى كل العالمين وأيضا لما ثبت كونه رسولا الى أهل مكة وجب كونه
صادقا ثم انه نقل النبأ بانواتر أنه كان يدعى أنه رسول الى كل العالمين والصادق اذا أخبر
عن شئ وجب تصديقه فيه ثبت انه رسول الى كل العالمين ثم قال تعالى وتندر يوم الجمع
الاصل أن يقال أنذرت فلانا بكذا فكان الواجب أن يقال لتندر أم القرى يوم الجمع
وأبضا فيه اضمار والتقدير لتندر أهل أم القرى بعذاب يوم الجمع وفي تسميته يوم الجمع
وجوه (الاول) ان الخلائق يجمعون فيه فآله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع فيجتمع فيه
أهل السموات مع أهل الارض (الثاني) أنه يجمع بين الارواح والاجساد (الثالث)
يجمع بين كل عامل وعمله (الرابع) يجمع بين الظالم والمظلوم وقوله لارب فيه صفة ليوم
الجمع أى يوم الجمع الذى لارب فيه وقوله فريق في الجنة وفريق في السعير تقديره يوم
الجمع الذى من صفته يكون القوم فيه فريقين فريق في الجنة وفريق في السعير فان قيل
قوله يوم الجمع يقتضى كون القوم مجتمعين وقوله فريق في الجنة وفريق في السعير يقتضى
كونهم متفرقين والجمع بين الصفتين محال قلنا انهم يجمعون أولا ثم يصيرون فريقين

فيقولون في الدنيا على
ما هم عليه من الكفر
ويصيرون في الآخرة
الى السعير من غير ولى
يلى أمرهم ولا نصير
يخلصهم من العذاب
(أم اتخذوا من دونه
أولياء) جملة مستأنفة
مقررة لما قبلها من
انتفاء أن يكون للظالمين
ولى أو نصير أو مفضضة
وما فيها من بل الانتقال
من بيان ما قبلها الى
بيان ما بعدها والهمزة
لانكار الوقوع ونفيه
على ابلغ وجه وأكده
للانكار الواقع واستقباحه
كما قيل اذا المراد بيان
أن ما فعلوا ليس من
اتخاذ الاولياء فى شئ
لان ذلك فرع كون
الاصنام اولياء وهو
اظهر الممتنع أى
بل اتخذوا متجاوزين الله
أولياء من الاصنام
وغيرها هيئات وقوله
تعالى (فآله هو الولي)
جواب بشرط محذوف
كأنه قيل بعد ابطال
ولاية ما اتخذوه اولياء
ان أرادوا وليا في الحقيقة
فآله هو الولي لاولى

سواء (وهو يحيى الموتى) أى ومن شأنه ذلك (وهو على كل شئ قدير) فهو الحقيق بان يغدو ﴿ثم﴾
وليا فليخصوه بالاتخاذ دون من لا يقدر على شئ (وما اختلفتم فيه من شئ) حكاية لقول

رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنون الى وما خالفكم الكفار فيه من أمور الدين فاختلقتم انفسهم وهم (فحكمكم) راجع
(الى الله) وهو امانة المحققين وعقاب المظالمين (ذلكم) الحكم العظيم الشأن (الله ربي) ما ليكم (عليه توكلت) في مجامع
أموري خاصة لاعلى غيره (واليه أُنِيب) ﴿ ٢٩١ ﴾ أرجع في كل ما يعين من معضلات الأمور لا الى أحد سواه

وحيث كان التوكل
أمرا واحدا مستمرا
والإيابة متعددة متجددة
حسب تجدد موادها
أو في الأول صيغة
الماضي وفي الثاني صيغة
المضارع وقيل وما
اختلقتم فيه وثنازعتم
في شئ من الخصومات
فكما كوافيه الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم
ولا توتروا على حكومته
حكومة غيره وقيل وما
اختلقتم فيه من أو ريل
آية واشتبه عليكم
فارجعوا في بيانها الى
الحكم من كتاب الله
والظاهر من سنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم
وقيل وما وقع بينكم
الخلافا فيه من العلوم
التي لا تتعلق بتكليفكم
ولا طرأ بقلكم الى علمه
فقولوا الله أعلم كحرفة
الروح ولا صاغ لخلق
هذا على الاجتهاد
لعدم جوازه بخصرة
الرسول عليه الصلاة
والسلام (فاطر السموات
والارض) خير آخر
لذلكم أو خير لمبدأ
مخدوف أو مبتدأ خبره

ثم قال ولوشاء الله لجمعهم أمة واحدة والمراد تفرير قوله والذين اتخذوا من دونه أولياء
الله حفظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل أي لا يمكن في قدرتك أن تعملهم على الإيمان
فلوشاء الله ذلك لفعله لانه أقدر منك ولكنك جعل البعض مؤمنا والبعض كافرا فتتواله
يدخل من يشاء في رحمة بدل على انه تعالى هو الذي أدخلهم في الإيمان والطاعة وقوله
والظالمون ما بهم من ولي ولا نصير يعني أنه تعالى ما أدخلهم في رحمة وهنا يدل على ان
الأولين انما دخلوا في رحمة لانه كان لهم ولي ونصير أدخلهم في تلك الرحمة وهو نعم ما كان
لهم ولي ولا نصير يدخلهم في رحمة ثم قال تعالى أم اتخذوا من دونه أولياء والمعنى انه
تعالى حكى عنهم أولا انهم اتخذوا من دونه أولياء ثم قال بده لجمعهم صلى الله عليه وسلم
است عليهم رقيب ولا حافضا ولا يجب عليك أن تحملهم على الإيمان شاؤا أم أبوا فان هذا
المعنى لو كان واجبا لفعله الله لانه أقدر منك ثم انه تعالى أعاد بده ذلك الكلام على سبيل
الاستنكار فان قوله أم اتخذوا من دونه أولياء استفهام على سبيل الإنكار ثم قال تعالى
فانه هو الولي وانفاء في قوله فانه هو الولي جواب شرط مقدر كأنه قال ان أرادوا أولياء
بحق فانه هو الولي بالحق لا ولي سواه لانه يعي الموتي وهو على كل شئ قدير فهو الحقيق بأن
يخذلوا يادون من لا يقدر على شئ ثم قال وما خالفتم فيه من شئ فحكمكم الى الله وفيه
مسائل (المسئلة الأولى) وجه النظم انه تعالى كما منع الرسول صلى الله عليه وسلم أن يحمل
الكفار على الإيمان فكذلك منع المؤمنين أن يشرعوا معهم في الخصومات
والمنازعات فقال وما خالفتم فيه من شئ فحكمكم الى الله وهو امانة المحققين فيه ومعاقبة
المبطلين وقيل وما خالفتم فيه من شئ وثنازعتم ففما كرا فبده الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولا توتروا حكومة غيره على حكومته وقيل وما وقع بينكم فيه خلافا من الأمور
التي لا تصل بتكليفكم ولا طرأ بقلكم الى علمه كحقيقة الروح فتقولوا الله أعلم به قال تعالى
ويستولون عن الروح قل الروح من أمر ربي (المسئلة الثانية) تقدير الآية كأنه تعالى
قال قل يا محمد وما خالفتم فيه من شئ فحكمكم الى الله والدليل عليه قوله تعالى ذلكم الله
ربي عليه توكلت واليه أُنِيب (المسئلة الثالثة) احتج نقاة القياس بهذه الآية فقالوا
قوله تعالى وما خالفتم فيه من شئ فحكمكم الى الله أمان أن يكون المراد فحكمكم مستفاد
من نص الله عليه والمراد فحكمكم مستفاد من القياس على ما نص الله عليه والثاني باطل
لانه يقتضي كون كل الأحكام مثبتة بالقياس وانه باطل فيعتبر الأول فوجب كون كل
الأحكام مثبتة بالنص وذلك ينفي العمل بالقياس والثاني أن يقول لم لا يجوز أن يكون
المراد فحكمكم يعرف من بيان الله تعالى سواء كان ذلك البيان بالنص أو بالقياس أوجب
عنه بأن المقصود من التحاكم الى الله قطع الاختلاف والرجوع الى القياس بقوى حكم
الاختلاف لا بوضعه فوجب أن يكون الواجب هو الرجوع الى نصوص الله تعالى ثم
قال تعالى ذلكم الله ربي أي ذلكم الحاسم بينكم هو ربي عليه توكلت في دفع كيد
(جعل لكم) وقرئ بالجر على أنه بدل من الضمير أوصف الاسم الجليل في قوله تعالى وما بينهما اعتراض بين
الصفة والموصوف (من انفسكم) من جنسكم

(أزواجاً) بساء وتعذب الجار والمجرور على المفعول الصريح قدم سره غير مرة (ومن الأنعام) أي وجعل للأنعام من جنسها (أزواجاً) أو خلق لكم من الأنعام أصنافاً ٣٩٢ أذكروا وانا لا يذكركم بكثر من الذر وهو

الاعتداء وفي طلب كل خير وانه أي وبه أرجع في كل المهامات وقوله عليه توكلت
يفيد الحصر أي لا أتوكل الا عليه وهو إشارة الى تزييف طريقتهم من اتخذوا الله ولياً ثم
قال فاطر السموات والارض قرئ بالرفع والجر فالرفع على أنه خبر ذلكم أو خبر مبتدأ
محذوف والجر على تقدير أن يكون الكلام هكذا وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله
فاطر السموات والارض وقوله ذلكم الله ربي اعتراض وقم بين الصفوة والموصوف جعل
لكم من أنفسكم من جنسكم من الناس أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً أي خلق من الأنعام
أزواجاً ومعناه وخلق أيضاً للأنعام من أنفسها أزواجاً يذكركم بكثر كما قال ذر الله الخلق
أي كثرتهم وقوله فيه أي في هذا التدبير وهو التزويج وهو أن جعل الناس والأنعام
أزواجاً حتى كان بين ذكورهم وانا ثم التوالد والتناسل والضيق في يذكركم يرجع الى
المخاطبين الا انه غلب فيه جانب الناس من وجهين (الاول) انه غلب فيه جانب العقلاء
على غير العقلاء (والثاني) انه غلب فيه جانب المخاطبين على الغائبين فان قيل ما معنى
يذكركم في هذا التدبير ولم يقل يذكركم به فلما جعل هذا التدبير كالمنع والمعدن لهذا
التكثير الا ترى انه يقال للحبوان في خلق الأزواج تكثير كما قال تعالى ولكم في القصاص
حياة ثم قال تعالى ليس كمثل شيء وهو السميع البصير وهذه الآية فيها مسائل (المسئلة
الاولى) احتج علماء التوحيد قديماً وحديثاً بهذه الآية في نفي كونه تعالى جسماً مركباً
من الاعضاء والاجزاء وحاصلاً في المكان والجهة وقاوا لو كان جسماً لكان مثلاً اساساً
الاجسام فيلزم حصول الامثال والاشباه له وذلك باطل بصريح قوله تعالى ليس كمثل شيء
ويمكن ايراد هذه الحجة على وجه آخر فيقال اما أن يكون المراد ليس كمثل شيء في ما هيئات
الذات أو أن يكون المراد ليس كمثل في الصفات شيء والثاني باطل لان العباد يوصفون
بكونهم عالمين قادرين كما ان الله تعالى يوصف بذلك وكذلك يوصفون بكونهم معلومين
مذكورين مع ان الله تعالى يوصف بذلك ثبت ان المراد بالمماثلة المساواة في حقيقة
الذات فيكون المعنى ان شيئاً من الدواب لا يساوي الله تعالى في الذاتية فلو كان الله تعالى
جسماً لكان كونه جسماً ذاتاً لا صفة فاذا كان سائر الاجسام مساوياً بذاته في الجسمانية اعني
في كونها متحيزة طويلة عريضة فبحيث تكون سائر الاجسام مساوية لذات الله
تعالى في كونه ذاتاً والنص ينفي ذلك فوجب أن لا يكون جسماً واعلم أن محمد بن اسحق بن
خزيمة أورد استدلالاً أصحاً بنا بهذه الآية في الكتاب الذي سماه بالوحيد وهو في
الحقيقة كتاب الشرك واعترض عليها وأنا اذكر حاصل كلامه بعد حذف التطويلات
لانه كان رجلاً مضطرب الكلام قليل الفهم ناقص العقل فقال نحن نثبت لله وجهاً
ونقول اننا نوجه ربنا من النور والضياء والبهاء ما لو كشف حجابها لأحرقت سبحات وجهه
كل شيء أذكر كونه بصره ووجه ربنا مني عنه الهلاك والقناء ونقول ان لبي آدم وجوها
كتب الله عليها الهلاك والقناء ونفي عنها الجلال والاكرام غير موصوفة بالنور والضياء

البث وفي معناه الذر
والذر (فيه) أي فيما
ذكر من التدبير فان جعل
الناس والأنعام أزواجاً
يكون بينهم تولد كالمنبع
للبث والتكثير (ليس
كمثل شيء) أي ليس
مثله شيء في شأن من
الشؤون التي من جلتها
هذا التدبير البديع
والمراد من مثله ذاته كما
في قولهم مثلك لا يفعل
كذا في قصد المبالغة
في نفيه عند فاته اذ اني
عن سببه كان نفيه
عنه أولى ثم سلكت هذه
الطريقة في شأن من
لا مثل له وقيل مثله صفة
أي ليس كصفته صفة
(وهو السميع البصير)
المبالغ في العلم بكل ما
يسمع ويصير له
فتسايد السموات
والارض أي خرازها
(يسط الرزق لمن يشاء
ويقدر) يوسع
ويضيق حسبما تقتضيه
مشيئته المؤسسة على
الحكم البالغة (انه بكل
شيء عليم) مبني
في الاحاطة به فيفعل
كل ما يفعل علماً بذني
أن يفعل عليه والجملة تدل على ما قبلها ونعمه بما بعدها من قوله تعالى

(شرح لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى) وايدان بان ما شرع
لهم صادر عن كمال العلم والحكمة كأن بيان ٣٩٣ هـ نسبه الى المذكورين عليهم الصلاة والسلام تنبيه على

كونه ديناً قديماً أجمع
عليه الرسل والخطاب
لامته عليه الصلاة
والسلام أي شرع لكم
من الدين ما وصى به
نوحا ومن بعده من أرباب
الشرائع وأولى العزائم
من مشاهير الانبياء عليهم
الصلاة والسلام وأمرهم
به أمراً مؤكداً على أن
تخصيصهم بالذكر
ذكر من علو شأنهم
ولاستقامه قلوب الكفرة
اليه لانفاق الكل على
نبوة بعضهم وتفرّد
اليهود في شأن موسى
عليه السلام وتفرّد
النصارى في حق عيسى
عليه السلام والافامن
بنبي الا وهو أمور
أسروا به وهو عبارة عن
التوحيد ودين الاسلام
وما لا يختلف باختلاف
الامم وتبطل الاعصار
من أصول الشرائع
والاحكام كالنبي عنه
التوصية فانها معرفة
عن تأكيد الامر
والاعتناء بشأن المأمور
به والمراد بانجاهه اليه
عليه الصلاة والسلام
اما ما ذكر في صدر

والبهاء ولو كان مجرد اثبات الوجه لله فيقتضي التشبيه لكان من قال ان لبني آدم وجوها
والخنازير والقردة والكلاب وجوها اكلان قد شبه وجوه بني آدم بوجوه الخنازير
والقردة والكلاب ثم قال ولا شك انه اعتقاد الجهمية لانه اوقبل له وجهك يشبه وجه
الخنازير والقردة لغضب واشافه به السوء فعلمنا انه لا يلزم من اثبات الوجه واليدين لله
اثبات تشبيه بين الله وبين خلقه وذكر في فصل آخر من هذا الكتاب ان القرآن دل على
وقوع التسوية بين ذات الله تعالى وبين خلقه في صفات كثيرة ولم يلزم منه أن يكون القائل
بهماء شبه افكدهم هتاف نحن نمد الصور التي ذكرها على الاستقصاء (فالأول) انه تعالى قال
في هذه الآية وهو السميع البصير وقال في حق الانسان فيعلمناه سميعاً بصيراً (الثاني) قال
وقل اعلموا فسيروا الله علمكم ورسوله وقال في حق المخلوقين أولم يروا الى الطير مسخرات
في جوار السماء (الثالث) قال واصنع الفلك بأعيننا واسبح لحكم ربك فانك بأعيننا وقال
في حق المخلوقين ترى أعينهم تفيض من الدمع (الرابع) قال لا بليس ما منعك أن تسجد
لما خلقت بيدي وقال بل يده مبسوطتان وقال في حق المخلوقين ذلك بما قدمت أيديكم
ذلك بما قدمت يداك ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يداً الله فوق أيديهم (الخامس)
قال تعالى الرحمن على العرش استوى وقال في الذين يركبون الدواب لتستويوا على ظهوره
وقال في سفينة نوح واستوت على الجودي (السادس) سمى نفسه عزيراً فقال العزيز
الجبار ثم ذكر هذا الاسم في حق المخلوقين بقوله يا ايها الذين آمنوا انزلوا من فوقكم
العرز يمسنا وأهلنا الضمر (السابع) سمى نفسه بالملك وسمى بعض عبيده أيضاً بالملك فقال
وقال الملك اتوني به وسمى نفسه بالعظيم ثم أوقع هذا الاسم على المخلوق فقال رب العرش
العظيم وسمى نفسه الجبار المتكبر وأوقع هذا الاسم على المخلوق فقال كذلك يضيع الله
على كل قلب متكبر جبار ثم دلّ على ضرب الامثلة من هذا الجنس وقال ومن وقف على
الامثلة التي ذكرناها امكنه الاكثار منها فهذا ما أورد هذا الرجل في هذا الكتاب
وأقول هنا المسكين الجاهل اندلج في امثال هذه الخرافات لانه لم يعرف حقيقة المثلين
وعلماء التوحيد حذروا الكلام في المثلين ثم فزعوا عليه الاستدلال بهذه الآية فتقول
المثلان هما اللذان يقوم كل واحد منهما مقام الآخر في حقيقة وماهية وتتميم
الكلام فيه مسبق بمقدمة أخرى فتقول المتعبر في كل شيء اما تمام ماهيته واما جزئ
أجزاء ماهيته واما أمر خارج عن ماهيته ولكنه يكون من لوازم تلك الماهية واما أمر
خارج عن ماهيته ولكنه ليس من لوازم تلك الماهية وهذا القسم مبني على الفرق بين
ذات الشيء وبين الصفات القائمة به وذلك معلوم بالبداهة فقلنا ترى الجنة من الحصرم كانت
في غاية الخضرة والجودة ثم صارت في غاية السواد والحلاوة فالذات باقية والصفات
مختلفة والذات الباقية معبرة لصفات المختلفة وأيضا ترى الشجر قد كان في غاية الواد
ثم صار في غاية البياض فالذات باقية والصفات متبدلة والباقي غير المتبدل فظهر بما ذكرنا

السورة الكريمة وفي قوله تعالى وكذلك أوحينا إليك أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا
من جملتها قوله تعالى ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا

وقوله تعالى قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما ألهم الله واحد وصبرته ذلك والصبر من د
والسلام بالذي لا يادة تغريم شأنه من تلك الخفية وإيثار الأسماء على ﴿ ٣٩٤ ﴾ ما قبله وما بعده من التوسعة لمراعاة

ان الذوات مغايرة للصفات اذا عرفت هذا فنقول اختلاف الصفات لا يوجب اختلاف
الذوات البتة لان اى الجسم الواحد كل ساكننا ثم بصير كائنا بسكن بعد ذلك فالذوات
باقية فى الاحوال كلها على نهج واحد ونسق واحد والصفات متعاقبة متزايلة فثبت
بهذا ان اختلاف الصفات والاعراض لا يوجب اختلاف الذوات اذا عرفت هذا فنقول
الاجسام التى منها تألف وجه الكلب والقرد مساوية للاجسام التى تألف منها وجه
الانسان والفرس وانما حصل الاختلاف بسبب الاعراض القائمة وهى الالوان
والاشكال والخشونة والملاسه وحصول الشعور فيه وعدم حصولها فلا اختلاف انما وقع
بسبب الاختلاف فى الصفات والاعراض فاما ذوات الاجسام فهى متماثلة الان العوام
لا يعرفون الفرق بين الذوات وبين الصفات فلا جرم يقولون ان وجه الانسان مخاف
لوجه الحمار ولقد صدقوا فانه حصلت تلك المخالفة بسبب اشكال والوان وسائر الصفات
فاما الاجسام من حيث انها اجسام فهى متماثلة متساوية فثبت ان الكلام الذى أورده
انما ذكره لاجل انه كان من العوام وما كان يعرف ان المعبر فى التماثل والاختلاف
حقائق الاشياء وما هياتها لا الاعراض والصفات القائمة بها بقى ههنا ان يقال فما الدليل
على ان الاجسام كلها متماثلة فنقول انها متماثلة (المقام الاول) ان نقول هذه المقدمة
اما ان تكون مسلمة او لا تكون مسلمة فان كانت مسلمة فقد حصل المقصود وان كانت
منوعة فنقول فلم لا يجوز ان يقال اله العالم هو الشمس أو القمر أو الفلك أو العرش
أو الكرسي ويكون ذلك الجسم مخالفا لما به سائر الاجسام فكان هو قدينا أزليا واجب
الوجود وسائر الاجسام محدثة مخلوقة ولو ان الاولين والآخرين اجتمعوا على أن
يسقطوا هذا الزام عن الجسمة لا يقدرون عليه فان قالوا هذا باطل لان القرآن دل على
أن الشمس والقمر والافلاك كلها محدثة مخلوقة فيقال هذا من باب المجازة المفرطة لان
صحة القرآن وصحة نبوة الانبياء مفرعة على معرفة الاله فائسبت معرفة الاله بالقرآن وقول
النبي لا يقوله عاقل يفهم ما يتكلم به (المقام الثانى) ان علماء الاصول أقاموا البرهان
اقاطم على تماثل الاجسام فى الذوات والحقيقة واذا ثبت هذا ظهر انه لو كان اله العالم
جسما لكانت ذاته مساوية لذوات الاجسام الا ان هذا باطل بالعقل والنقل اما العقل
فلان ذاته اذا كانت مساوية لذوات سائر الاجسام وجب أن يصح عليه ما يصح على
سائر الاجسام فلو لم كونه محدثا مخلوقا قابلا للاحتمال والقضاء قابلا للفرق والتميز واما النقل
ف قوله تعالى ليس كمثله شئ فهذا تمام الكلام فى تقرير هذا الدليل وعند هذا يظهر انما
لنقول بأنه متى حصل الاستواء فى الصفة لزم حصول الاستواء فى تمام الحقيقة الا انما
نقول لما ثبت ان لاجسام متماثلة فى تمام الماهية فلو كانت ذاته جسما لكان ذلك الجسم
مساويا لسائر الاجسام فى تمام الماهية وجب ان يكون كل جسم مثالا لما بينان
المعبر فى حصول المماثلة اعتبار الحقائق من حيث هى هى لا اعتبار الصفات القائمة بها

ما وقع فى الآيات المذكورة
ولما فى الانحاء من التصريح
برسالته عليه الصلاة
والسلام قائم لانكار
الكفرة والائتفات الى
نون العظيمة لظهور
كل الاعتناء بإيجاده وهو
السرفى تقديمه على ما
بعده مع تقدمه عليه
زما نا وتقديم توصية نوح
عليه السلام للمسارعة
الى بيان كون المشروع
لهم دين قديم او توجيه
الخطاب اليه عليه الصلاة
والسلام بطريق
التلوين للتشريف
والتنبيه على أنه تعالى
شرعنا لهم على اسانه
عليه الصلاة والسلام
(ان اقيموا الدين) أى
دين الاسلام الذى هو
توحيد الله تعالى وطاعته
والايمان بكتبه ورسوله
ويوم الجزاء وسائر ما
يكون الرجل به مؤمنا
والمراد بقامته تعديل
أركانه وحفظه من ان
يقع فيه زيغ أو المواظبة
عليه والتشعر له ويحمل أن
أقيموا اما التصب على
أنه يدل من مفعول شرع
والمعطوفين عليه أو ارفع

على أنه جواب عن سؤال نشأ من ابهام المشرع وكأنه قبل وما ذاك فقبل هو إقامة الدين وقيل بدل فظهر
من ضمير به وليس بذلك لما أنه مع

أخضانه الى خروجه عن حيز الايمان الى التي عليه الصلاة والسلام * ٣٩٥ * وتوجيه التمهيد الى أنهم تحمل ظاهرا مع أن الاظهر فيه (للابتداء المذكور بن عليهم الصلاة والسلام) وتوجيه التمهيد الى أنهم تحمل ظاهرا مع أن الاظهر انه منوجه الى أمته صلى

فظهر بالغري الذي ذكرناه أن جهة أهل التوحيد في غاية القوة وإن هذه الكلمات التي أوردناها هذا الإنسان إنما أوردناها لأنه كان بعيدا عن معرفة الحقائق فجرى على منهج كلمات العوام فاعتبرت تلك الكلمات التي ذكرها ونسأل الله تعالى حسن الخاتمة (المسئلة الثانية) في ظاهر هذه الآفة اشكال فانه يقال المقصود منها نفي المثل عن الله تعالى وظاهرها يوجب اثبات المثل لله فانه يقتضي نفي المثل عن مثله لانه وذلك يوجب اثبات المثل لله تعالى وأجاب العلماء عنه بأن قالوا ان العرب تقول مثلك لا يتجمل أى أنت لا يتجمل فنفوا التجمل عن مثله وهم يريدون نفيه عنه ويقول الرجل هذا الكلام لا يقال لمثل أى لا يقال لى قال الشاعر * ومثلى كمثل جذوع النخل * والمراد منه المبالغة فانه اذا كان ذلك الحكيم منقبعا عن كان مشابها بسبب كونه مشابها لله فلا يكون منتفيا عنه كان ذلك أولى وظاهره قواهم سلام على المجلس العالى والمقصود ان سلام الله اذا كان واقعا على مجلسه وموضعه فلا يكون واقعا عليه كان ذلك أولى فكذلكهما متناقضان فانه ليس كمثل شئ والمعنى ليس كهو شئ على سبيل المبالغة من الوجه الذى ذكرناه وعلى هذا التفسير فليكن هذا اللفظ سافطا عديم الأثر بل كان مفيدا للمبالغة من الوجه الذى ذكرناه وزعم جههم ابن صفوان أن المقصود من هذه الآية بيان انه تعالى ليس مسمى باسم الشئ فكل لأن كل شئ فانه يكون مثلا لمثل نفسه فقوله ليس كمثل شئ معناه ليس مثل مثله شئ وذلك يقتضى أن لا يكون هو مسمى باسم الشئ وعندى فيه طريقة أخرى وهى ان المقصود من ذكر الجمع بين حرفي التشبيه الدليل الدال على كونه منزها عن المثل ونفره أن يقال لو كان له مثل لكان هو مثل نفسه وهذا محال فاثبات المثل له محال أما بيان انه لو كان له مثل لكان هو مثل نفسه فالامر فيه ظاهر وأما بيان ان هذا محال فلانه لو كان مثل مثل نفسه لكان مساويا لمثله في تلك الماهية ومباينا له في نفسه ومباينا للمشاركة غير مباينا في المباينة فكأن ذات كل واحد منهما مركبا وكل مركب ممكن فثبت انه لو حصل لواجب الوجود مثل لما كان هو في نفسه واجب الوجود اذ عرفت هذا فقوله ليس مثل مثله شئ إشارة الى انه لو صدق عليه انه مثل مثل نفسه لما كان هو شيئا بناء على ما بينا انه لو حصل لواجب الوجود مثل لما كان واجب الوجود فهذا ما يحتمله اللفظ (المسئلة الثالثة) هذه الآية الدالة على نفي المثل وقوله تعالى وله المثل الأعلى يقتضى اثبات المثل فلا بد من الفرق بينهما فتقول المثل هو الذى يكون مساويا للشئ في تمام الماهية والمثل هو الذى يكون مساويا له في بعض الصفات الخارجة عن الماهية وان كان مخالفا في تمام الماهية (المسئلة الرابعة) قوله وهو السميع البصير يدل على كونه تعالى سامعا للمسبوعات مبصرا للريثات فان قيل يمتنع اجراء هذا اللفظ على ظاهره وذلك لانه اذا حصل فرع أو قلع انقلب الهواء من بين دينك الجسمين انقلابا بعنف فتمتوج الهواء بسبب ذلك ويتأدى ذلك التوج الى سطح الصماخ فهذا هو السماع وأما الابصار فهو عبارة عن تأثر الحدقة بصورة المرئي فثبت أن السمع

دعى اليه كما ينبى عنه قوله تعالى (ويهذى اليه من يذب) أى يقبل اليه حيث يمد بالوقوف والالطاف وقوله تعالى (وما تفرقوا) شروع فى بيان أحوال أهل الكتاب عقيب الإشارة

الاجالية الى احوال أهل الشرك قال ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود والنصارى يقول تعالى وما تفرق الذين
أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة أى وما تفرقوا ٢٩٦ في الدين الذى دعوا اليه ولم يؤمنوا

كأمن بعضهم (الامن
بعد ما جاءهم العلم)
ببينة بما شاهدوا
في رسول الله صلى الله
عليه وسلم والقرآن من
دلائل الحقيقة حسبا
وجدوه في كتابهم
أو انعم عليهم عليه
الصلوة والسلام
وهو استثناء مفرغ
من أعم الاحوال ومن
أعم الاوقات أى وما
تفرقوا في حال من
الاحوال أو في وقت
من الاوقات الاحال
مجيء العلم أو الا وقت
مجيء العلم (بما يبينهم)
وحجة وطلب للرئاسة
لان لهم في ذلك
شبهة (ولو لا كسبت
من ربك) وهى العدة
بنا خير العقوبة (الى
أجل مسمى) هو يوم
القيامة (لقضى بينهم)
لا وقع القضاء بينهم
باستئصالهم لاستصحاب
جناياتهم لذلك قطعا
وقوله تعالى (وان الذين
أورثوا الكتاب من
بعدهم) الخ بيان لكيفية
كفر المشركين بالقرآن
الرباني كيفية كفر أهل

والبصيرة عن تأثير الحاسة وذلك على الله تعالى فثبت ان اطلاق السمع والبصر على
علمه تعالى بالمسموعات والمبصرات غير جائز (بالجواب) الدليل على أن السمع مغاير
لتأثير الحاسة اننا اذا سمعنا الصوت علمنا انه من أى الجوانب جاء فعلمنا اننا نذكر كذا الصوت
حيث وجد ذلك الصوت في نفسه وهذا يدل على ان ادراك الصوت حافة مغايرة لتأثير
الصياح عن توج ذلك الهواء وأما الرؤية فالدليل على انها حافة مغايرة لتأثير الحدة فذلك
لان نعمة النظر جسم صغير فيستحيل انطباع الصورة العظيمة فيه فنقول الصورة المنطبعة
صغيرة والصورة المرئية في نفس العالم عظيمة وهذا يدل على ان الرؤية حافة مغايرة لنفس
ذلك الانطباع واذا ثبت هذا فنقول لا يلزم من امتناع التأثير في حق الله امتناع السمع
والبصر في حقه فان قالوا هب ان السمع والبصر حالتان مغايرتان لتأثير الحاسة الآن
حصولهما مشروط بحصول ذلك التأثير فلما كان حصول ذلك التأثير في حق الله تعالى
ممتعا كان حصول السمع والبصر في حق الله ممتعا فنقول ظاهر قوله وهو السمع البصير
يدل على كونه سمعا بصيرا فلم يحن لنا أن نعدل عن هذا الظاهر اذا قام الدليل على أن
الحاسة المسماة بالسمع والبصر مشروطة بحصول التأثير والتأثير في حق الله تعالى ممتع
فكان حصول الحاسة المسماة بالسمع والبصر ممتعا وأنتم المدعون لهذا الاشتراط
فعليناكم الدلالة على حصوله وانما نحن متمسكون بظاهر اللفظ الى أن تذكروا ما يوجب
العدول عنه فان قال قائل قوله وهو السمع البصير يفيد الحصر فامعنى هذا الحصر
مع أن العباد أيضا موصوفون بكونهم سمعين بصيرين فنقول السمع والبصير لفظان
مشعران بحصول هاتين الصفتين على سبيل الكمال والكمال في كل الصفات ليس الله
فهذا هو المراد من هذا الحصر أما قوله تعالى له مقاليد السموات والارض فاعلم أن المراد
من الآية أنه تعالى فاطر السموات والارض والاصنام ليست كذلك وأيضا فهو خالق
أنفسنا وأزواجنا وخالق أولادنا منا ومن أزواجنا والاصنام ليست كذلك وأيضا فله
مقاليد السموات والارض والاصنام ليست كذلك والمقصود من الكل بيان القادر المنعم
الكريم الرحيم فكيف يجوز جعل الاصنام التي هى جادات مساوية له في العبودية
فتنوله له مقاليد السموات والارض يريد مقاليد الرزق من السموات والارض فتقاليد
السموات الامطار ومقاليد الارض النبات وذكرنا تفسير المقالة في سورة الزمر عند قوله
يسط الرزق لمن يشاء ويقدر لان مفتاح الارزاق بيده انه بكل شئ من البسط والتقدير
عليم * قوله تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به
ابراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم
اليه الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من يذب وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم
ببينة بينهم ولو لا كسبت من ربك الى أجل مسمى لقضى بينهم وان الذين أورثوا الكتاب
من بعدهم لفي شك منه مريب فلذلك فادع واسمهم كأمرت ولا تنزع أهواءهم وقول آمنت

الكتاب وقرئ أورثوا ورثوا أى وان المشركين الذين أورثوا القرآن من بعد ما أورث أهل الكتاب لما جاءهم
كتابهم (ان في شك منه) من القرآن (مريب) موقع في القلق أو في الريبة ولذلك لا يؤمنون به لالحض البغي
والمكابرة بعد

ما علموا بحقيقته كدأب أهل الكتابين هذا وأما ما قبل من أن صغير تفرقوا لأمم الانبياء عليهم الصلاة والسلام وإن المراد تفرق كل أمة بعد نبيهم علمهم ٣٩٧ بآب الفارقة ضلال وفساد وأمر متوعد عليه على أنسنة الانبياء عليهم

عنا انزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا ولكم أعمالكم لا جدين بيننا بينكم الله يجمع بيننا وبينه العسير والذين يحاجون في الله من بعد ما سجدوا له حجتهم داخل حصة عسيرهم عليهم غضب ولهم عذاب شديد الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان وما يذكر لك أهل الساعة قريب يستعمل بها الدين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ولا يؤمنون أنها الحق إلا الذين يبارون في الساعة في ضلال بعد ما الله أنصف لعباده يرفع من يشاء وهو الشورى العزيز) أحلم الله تعالى لساعتهم وحيه إلى محمد صلى الله عليه وسلم بقوله كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم ذكر في هذه الآية تفصيل ذلك فقال شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والمعنى شرع الله لكم يا أصحاب محمد من الدين ما وصى به نوحا ومحمد وإبراهيم وموسى وعيسى هذا هو المقصود من لفظة الآية وإنما خص هؤلاء الانبياء الجملة بالذكر لأنهم أكابر الانبياء وأصحاب الأشراف العظمى والاتباع الكثيرة إلا أنه بقي في لفظة الآية اشكالات (أحدها) أنه قال في أول الآية ما وصى به نوحا وفي آخرها وما وصىنا به إبراهيم وفي الوسط والذي أوحينا إليك فالقائدة في هذا التفاوت (وثانيها) أنه ذكر نوحا عليه السلام على سبيل التسمية فقال ما وصى به نوحا والقسمين الباقيين على سبيل التكميل فقال والذي أوحينا إليك وما وصىنا به إبراهيم (وثالثها) أنه يصير تقدير الآية شرع الله لكم من الدين الذي أوحينا إليك فقوله شرع لكم خطاب التسمية و قوله والذي أوحينا إليك خطاب الحضور فهذا يقتضي الجمع بين خطاب التسمية وخطاب الحضور في الكلام الواحد بالاعتبار الواحد وهو مشكل فهذه المضائق يجب البحث عنها والقوم ماداروا حولها وبالجملة فالقصة من الآية أنه يقال شرع لكم من الدين ديننا تطابق الانبياء على صحته وأقول يجب أن يكون المراد من هذا الدين شأنا غير التشكاف والاحكام وذلك لأنها مختلفة متفاوتة قال تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا فيجب أن يكون المراد منه الأمور التي لا تختلف باختلاف الشرائع وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بوجوب الأعراض عن الدنيا والاقبال على الآخرة والسعي في مكارم الأخلاق والاحتراز عن رذائل الأحوال ويجوز عندي أن يكون المراد من قوله ولا تفرقوا أي لا تفرقوا بالآلهة الكثيرة كقائل يوسف عليه السلام أرباب تفرقون خير أم الله الواحد النهار وقال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون واخرج بعضهم بقوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا على أن النبي صلى الله عليه وسلم في أول الأمر كان يدعو بشريعة نوح عليه السلام والجواب ما ذكرناه أنه عطف عليه سائر الانبياء وذلك يدل على أن المراد هو الاختلاف بالشرعة المتفق عليها بين أهل كل محل أن أقيموا الدين أما نصب بدل من مقول شرع والمعطوفين عليه وأما رفع على الاستئناف كأنه قيل ماذا للشرع وقيل هو إقامة الدين كبر على المشركين عظيم عليهم

الصلاة والسلام فيه
قوله تعالى وأولئك
سبقت من ربك إلى أجل
مسمى لنقض بينهم وثنا
ما قبل من أن الناس
كانوا أمة واحدة
ومؤمنين بعدما هلك
الله تعالى أهل الأرض
بالعوقان فلأمات الآباء
اختلف الانبياء فيما بينهم
وذلك حين بعث الله
النبيين مبشرين
ومنذرين وجاءهم
العلم وإنما اختلفوا للبحر
بينهم فإن مشاهير الأمم
المذكورة قد أصابهم
عذاب الاستئصال من
غير انظار وإمهال على
أن مساق الأنظم الكريم
ليسان أحوال هذه
الامة وإنما ذكر من ذكر
من الانبياء عليهم
الصلاة والسلام لتحقيق
أن ما شرع لهؤلاء
قديم أجزم عليه وأولئك
الاعلام عليهم الصلاة
والسلام تأكيد الوجوب
إقامته ونشد بالرجوع
عن التفرق والاختلاف
فيه فالتعرض لبيان
تفرق أممهم عنده
ربما يوبهم الاختلال

بذلك المرام (فلذلك) أي فلاجل ما ذكر من التفرق والشك الربيب أو فلاجل أنه شرع لهم الدين القويم القديم
الحقيقي بأن يتنافس فيه المتنافسون (فادع) أي الناس كافة إلى إقامة

ذلك الدين والعمل بموجبه فان كلان تفرقهم وكونهم في شك مر ب ومن شرع ذلك الدين اهتم على اسان رسول الله صلى الله عليه وسلم سبب الدعوة اليه والامر بها وليس المشار اليه ٣٩٨ ما ذكر من التوصية والامر بالاقامة والنهي عن التفرق حتى

وشق عليهم ما ندعوهم اليه من اقامة دين الله تعالى على سبيل الاتفاق والاجماع بدليل ان الكفار قالوا اجعل الالهة انما واحدا ان هذا الشيء محجوب وههنا مسائل (المسئلة الاولى) احتج نفاة القياس بهذه الآية قالوا انه تعالى اخبر ان اكابر الانبياء اطبقوا على انه يجب اقامة الدين بحيث لا يفضى الى الاختلاف والتنازع والله تعالى ذكر في معرض المنفعة على عباده انه ارشدهم الى الدين الخالي عن التفرق والخلافه ومعلوم ان فتح باب القياس يفضى الى اعظم انواع التفرق والمنازعة فان الحس شاهد بان هؤلاء الذين بنوا دينهم على الاختلاف يفسد تفرقاتهم فلا رجاء في حصول الاتفاق بينهم الى آخره اقامة فوجب ان يكون ذلك محرما نوعا عنه (المسئلة الثانية) هذه الآية تدل على ان هذه الشرائع على قسمين منها ما يتم دخول النسخ والتغير فيه بل يكون واجب البقاء في جميع الشرائع والاديان كقول بحسن الصدق والعدل والاحسان والقول بفسخ الكذب والظلم والابناء ومنها ما يختلف باختلاف الشرائع والاديان ودلت هذه الآية على ان سعي الشرع في تفرق النوع الاول اقوى من سعيه في تفرق النوع الثاني لان المواظبة على القسم الاول مهمجة في اكتساب الاحوال المفيدة لحصول السعادة في الدار الآخرة (المسئلة الثالثة) قوله تعالى ان اقيموا الدين ولا تفرقوا فيه مشعر بان حصول الموافقة امر مطلوب في الشرع والعقل وبيان منفعة من وجوه (الاول) ان للنفوس تاثيرات واذا انطابت النفوس وتوافقت على شيء واحد قوى التأثير (الثاني) انهما اذا توافقت صار كل واحد منهما معينا للآخر في ذلك المقصود المعين وكثرة الاعوان توجب حصول المقصود اما اذا اختلفت تنازعت وتجادلت فضعفت فلا تحصل المقصود (الثالث) ان حصول التنازع ضد مصلحة العالم لان ذلك يفضى الى الهرج والمرج والقتل والنهب فلهذا السبب امر الله تعالى في هذه الآية باقامة الدين على وجه لا يفضى الى التفرق وقال في آية أخرى ولا تنازعوا فتفشلوا ثم قال الله تعالى يحبني اليه من يشاء ويهدي اليه من يشاء وفيه وجهان (الاول) انه تعالى لما ارشدهم الى هذا الخير لانه اجبتاهم واصطفاهم بالدين المتفق عليه بين انه تعالى انما ارشدهم الى هذا الخير لانه اجبتاهم واصطفاهم وحصمهم بمن يد الرحمة والكرامة (الثاني) انه انما اكبر عليهم هذا الدعاة من الرسل لما فيه من الانقياد لهم تكبرا وانفة فبين تعالى انه يخص من يشاء بالسالة ويلزم الانقياد لهم ولا يعتبر الحسب والنسب والغنى بل الكل سواء في انه يلزمهم اتباع الرسل الذين اجبتاهم الله تعالى واشتقاق لفظ الاجتباء يدل على الضم والجمع فله جبي الخراج واجتباؤه وجبي الماء في الحوض فقوله الله يحبني اليه اي يضمه اليه ويقر به منه تقريب الأكرام والرحمة وقوله من يشاء كقوله تعالى يعذب من يشاء ويرحم من يشاء ثم قال ويهدي اليه من يشاء وهو كإروى في الخبر من تقرب من شبرا تقربت منه ذراعا ومن اتاني بشي أتته هرولة أي من أقبل الى بطاعته أقبلت اليه بهدائي وارشادي بان أشرح له صدره وأسهل أمره

الدين المشروع واللام بمعنى الى كافي قوله تعالى بان ربك أوحى لهاي قال ذلك الدين قانع (واستقم) عليه وعلى الدعوة اليه (كما أمرت) وأوحى اليك (ولا تنزع أهواءهم) الباطلة (وقل آمئت بما نزل الله من كتاب) أي كتاب كان من الكتب المنزلة لا كالذين آمنوا ببعض منها وكفروا ببعض وفيه تحقيق للحق وبيان لانفاق الكذب في الاصول وتأليف لقول أهل الكتابين وتعر يض بهم وقد مر بيان كيفية الايمان بها في خاتمة سورة البقرة (وأمرت لأعدل بينكم) في تبلغ الشرائع والاحكام وفصل القضايا عند المحاكمة والخصام وقيل معناه لاسوى بيني وبينكم ولا آمركم بما لا أعلم ولا أخالفكم الى ما نهاكم عنه ولا أفرق بين اكابركم وأصاغركم

واللام اما على حقيقةها والامور به محدود في أي أمرت بذلك لأعدل أو زائدة أي أمرت ان أعدل والباء و اعلم محدوفة (الله ربنا وربكم) أي خاتمة

جميعا ومنولى أمورنا (لنا أعمالا) لا يخطأ ناجرا أو هائوا باكان أو عتبا (ولكم أعمالكم) لا تجاوزكم آثارها لتستفيد بحسنتكم
وتتضرر بسبائكم (لا حجة بيننا وبينكم) أى لا حاجة ولا خصومة لأن الحق قد ظهر ولم يبق الحاجة حاجة ولا الحاجة
محل سوى المكابرة (الله يجمع بيننا) ٣٩٩ هـ يوم القيامة (والله المصدق) فيظهر هناك حائنا وحالكم وهذا كاترى
محاجرة في موافق

وأعلم أنه تعالى لما بين أنه أمر كل الأنبياء والامم بالآخذ بالدين المتفق عليه كان القائل أن
يقول فلماذا نجدهم متفرقين فاجاب الله تعالى عنهم بقوله ومانتفروا الامن بعد ما جاهد
العلم بغيا بينهم يعنى انهم مانفروا الامن بعد ان علموا أن الفرقة ضلالة ولكنهم فعلوا ذلك
للبغى وطلب الرئاسة فحمتهم الحجة النفسانية والافتة الطبيعية على ان ذهب كل طائفة
الى مذهب ودعا الناس اليه وفتح ماسواه طلبا للذكر والرئاسة فصار ذلك سببا لوقوع
الاختلاف ثم اخبر تعالى انهم استحقوا العذاب بسبب هذا الفعل الا انه تعالى اخر عنهم
ذلك العذاب لان لكل عذاب عنده أجلاسمى أى وقتا معلوما لمحض المشيئة كما هو
قولنا ولا نه علم أن الصلاح تحققه به كما عند المعترلة وهو معنى قوله ولا لكاه سبقت من
ربك لاجل معصى لقضى بينهم والاجل المسمى قد يكون في الدنيا وقد يكون في القيامة
واختلفوا في الدين أريدوا بهذه الصفة من هم فقال الأكثرون هم اليهود والنصارى
والدليل عليه قوله تعالى في آل عمران وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم
العلم بغيا بينهم وقال في سورة لم يكن ومانتفرق الذين أوتوا الكتاب الامن بعد ما جاءتهم
البينة ولان قوله الامن بعد ما جاءهم العلم لائق بأهل الكتاب وقال آخرون انهم هم العرب
وهذا باطل للوجوه المذكورة لان قوله تعالى بعد هذه الآية وان الذين أوتوا الكتاب من
بعدهم لا يلى العرب لان الذين أوتوا الكتاب من بعدهم هم أهل الكتاب الذين كانوا في
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في شك من كتابهم لا يؤمنون بحق الايمان ثم قال تعالى
فلذلك فادعهم استقم كما أمرت يعنى فلاجل ذلك التفرق وللاجل ما حدث من الاختلافات
الكثيرة في الدين فادع الى الاتفاق على الملة الحنيفية واستقم عليها وعلى الدعوة اليها كما
أمرك الله ولا تتبع أهواءهم المختلفة الباطلة وقل آمئت بما أنزل الله من كتاب أى بأى
كتاب صح ان الله أنزله يعنى الايمان بجميع الكتب انزلة لان المتفرقين آمنوا ببعض
وكفروا ببعض ونظيره قوله تؤمن تؤمن ببعض وتكفر ببعض الى قوله أولئك هم الكافرون ثم
قال وأمرت لأهدل بينكم أى في الحكم اذا اتخذتم فتحاكمتم الى قال فقال منه
ان رى أمرنى أن لا أفرق بين نفسى وأنفسكم بأن أمركم بما أنزل الله أو اختلفكم الى
ما نهيتكم عنه لكنى أسوى بينكم وبين نفسى وكذلك أسوى بين أكبركم وأصاغركم فيما
يتعلق بحكمكم الله ثم قال الله ربنا وربكم انا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله
يجمع بيننا والله المصدق والمعنى ان الله الكل واحد وكل واحد مخصوص بعمل نفسه
فوجب أن يشغل كل واحد في الدنيا بنفسه فان الله يجمع بين الكل في يوم القيامة
ويجاز به على عمله والمقصود منه التاركة واشغال كل أحد بغير نفسه فان قيل كيف
يليق بهذه التاركة ما فعل بهم من القتل ونحر يرب البيوت وقطع الخيل والاجلاء فانا هذه
التاركة كانت مشروطة بشرط أن يقبلوا الدين المتفق على صحته بين كل الانبياء ودخل
فيه التوحيد وترك عبادة الاصنام والاقرار بنبوة الانبياء وبهجة البعث والقيامة فلما

المحاوكة لامتاركة في
موطن المحاربة حتى
يصار الى التسخين
بآية القتال (والذين
يحتاجون في الله) أهدى
دينه (من يهدم استجب
له) من يهدم استجابه
الناس ودخولوا فيه والتعير
عن ذلك بالاستحباب باعتبار
دعوتهم اليه أو من بعد
ما استجاب الله لرسوله
عليه الصلاة والسلام
وأيد بصبره أو من بعد
ما استجاب له أهل الكتاب
بان أقروا بنبوته عليه
الصلاة والسلام
واستفصوا به قبل معه
عليه الصلاة والسلام
وذلك أن اليهود والنصارى
كانوا يقولون للمؤمنين
كتابنا قبل كتابكم ونبينا
قبل نبيكم ونحن خير منكم
وأولى بالحق (حجبتهم
داخضة عند ربهم)
زائلة باطله بل لا
حجة لهم أصلا ولما تعير
عن باطلهم بالحجة بمجاعة
هم على زعمهم الباطل
(وعليهم غضب)
عظيم لمكاربهم الحق
بعد ظهوره (ولهم عذاب شديد)

لا يقادر قدره (الله الذي أنزل الكتاب) أي جنس الكتاب (الخلق) ملتصبة في أحكامه وأخباره أو بما يحق أنزاله من
القائدوا الأحكام (والميزان) والشرع الذي يوزن به الحقوق ويسوى بين الناس أو نفس العدل بأن أنزل الأمر به وألّه
الوزن (وما يدريك أي شيء يجعلنا) (لعل الساعدة) التي تغير مجيئها الكتاب الناطق بالحق (قريب) أي شيء
قريب أو قريب مجيئها أو قيل القريب يعني ذات قرب ٤٠٠ ٤٠٠ أو الساعة بمعنى البعث والمعنى أنها على جناح

الآيات فأتبع الكتاب
وأعمل به وواظب على
العدل قبل أن يفاجئك
اليوم الذي يوزن فيه
الأعمال ويوفى جزاؤها
(يستعمل بها الذين
لا يؤمنون بها) استعمال
انكار واستهزاء كانوا
يقولون متى هي لبثها
قامت حتى يظهر لنا الحق
أهو الذي نؤمن عليه
أم الذي عليه محمد
وأصحابه (والذين آمنوا
مشفقون منها) خائفون
منها مع اعتنائهم بالتوقع
الثواب (ويعلمون أنها
الحق) أي الكائن لأعمالهم
(ألا أن الذين يمارون في
الساعة) يجادلون فيها
من المربة أو من مريت
الناقذة إذ لم تحت ضرعهم
بشدة للحلبل لأن كلامهم
المجادلين يستخرج ما
عند صاحبه بكلام فيه
شبهة (أي ضلال بعيد)
عن الحق فإن البعث أشبه
الغائبات بالخصوسات
فمن لم يهتد إلى تجويزه
فهو عن الهدى إلى ما
وراءه أبعد وأبعد (الله
لطيف بعباده) أي بربيع

لم يتبوا وهذا الدين فيجئذ فأتى الشرط فلا جرم فأتى الشرط وأعلم أنه ليس المراد من قوله
لا تحف يثنا ويحكم تحريم ما يجري مجرى محاجتهم وبدل عليه وجوه (الأول) أن هذا
الكلام مذکور في معرض الحاجة فلو كان المقصود من هذه الآية تحريم الحاجة لزم
كونه المحرمة لنفسها وهو متناقض (والثاني) أنه لا دلالة لما وجد التكليف (الثالث)
أن الدليل بقيد العلم وذلك لا يمكن تحريمه بل المراد أن القوم عرفوا بالحجة صدق محمد صلى
الله عليه وسلم واتمروا تصديقه بقيا وعنادا فبين تعالى أنه قد حصل الاستغناء عن
محاجتهم لأنهم عرفوا بالحجة صدقه فلاحاجة منهم إلى المحاجة البتة وما يقوى قولنا أنه
لا يجوز تحريم الحاجة قوله وجادلهم بالتي هي أحسن وقوله تعالى ادع إلى سبيل ربك وقوله
ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن وقوله ياتوح قد جدانا فأكثر جدالنا
وقوله وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ثم قال تعالى والذين يحاجون في الله أي
يخاضعون في دينه من بعد ما استجيب له أي من بعد ما استجاب الناس لذلك الدين حجتهم
داحضة أي باطلة وتلك الخاصة هي أن اليهود قالوا ألستم تقولون أن الأخذ بالمتفق
أولى من الأخذ بالمتخلف فتبوء موسى وحيته التوراة معلومة بالاتفاق وببوء محمد ليست
متفقا عليها فإذا ثبت كلامكم في هذه الآية على أن الأخذ بالمتفق أولى وجب أن يكون
الأخذ باليهودية أولى فبين تعالى أن هذه الحجة داحضة أي باطلة فاسدة وذلك لأن اليهود
أطبقوا على أنه أعما يوجب الإيمان بموسى عليه السلام لأجل ظهور المعجزات على وفق
قوله وهننا نظهرت المعجزات على وفق قول محمد عليه السلام واليهود شاهدوا تلك المعجزات
فإن كان ظهور المعجزة يدل على الصدق فلهما يجب الاعتراف ببوء محمد صلى الله عليه وسلم
وإن كان لا يدل على الصدق وجب في حق موسى أن لا يقروا ببؤته وأما الإقرار ببؤة
موسى والإصرار على انكار نبوة محمد مع استوائهما في ظهور المعجزة يكون متناقضا ولما
قرر الله هذه الدلائل يخوف المتكبرين بعذاب القيامة فقال الله الذي أنزل الكتاب بالحق
والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب والمعنى أنه تعالى أنزل الكتاب المشتغل على أنواع
الدلائل والبيّنات وأنزل الميزان وهو الفصل الذي هو القسط المستقيم وأنهم لا يعلمون
أن القيامة متى تفاجئهم ومتى كان الأمر كذلك وجب على العاقل أن يجد ويجتهد في النظر
والاستدلال ولا يتكلم بفتأ أهل الجهل والتقليد ولما كان الرسول يهددهم بيزول النعمة
وأكثر ذلك وأنهم ما أوأ منه أرقاوا على سبيل المحر يافق تقوم القيامة وليتهم أقات
حتى يظهر لنا أن الحق ما نحن عليه أو الذي عليه محمد أو أصحابه فلدفع هذه الشبهة قال تعالى
يستعمل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منه والوالصني فظاهر وأنما يشفقون
ويخافون لعلمهم أن عندها تمتع التوبة وأما منكر البعث فلأنه لا يحصل له هذا الخوف
ثم قال آيات الذين يمارون في الساعة أي ضلال بعيد والمماراة الملاجة قال الزجاج الذين
تدخلهم المربة والشك في وقوع الساعة فيمارون فيها ويحججون في ضلال بعيد لأن

البرهم يفيض عليهم من فنون أعلامه بالاكاد ياله أيدى الانكار والظنون (برزق من رضاء) هو استيفاء
أي يرزق كيفما يشاء فيخص كل من عباده بنوع من البر على ما تقتضيه مشيئته البنية على الحكم بالساعة (وهو
القوى) الباهر القدرة الغالب على كل شيء (العزيز) المتين الذي لا يعلب

واستعمل في ثمرات الاعمال
وتسأجها بطريق
الاستعارة المبنية على
تشبيهها بالعلال الحاصلة
من البذور المتضمن
التشبيه الاعمال بالبذور
أي من كان يريد بأعماله
نواب الآخرة (نزداه
في حرثه) (نضاعف له
ثوابه بالواحد عشرة
الى سبع مائة فافوقها
(ومن كان يريد) بأعماله
(حرث الدنيا) وهو متاعها
وطياتها (نؤتيه منها)
أي شيئاً منها حسبما قسمناه
لاما يريد و يتغنية
(وماله في الآخرة من
نصيب) اذ كانت همته
مقصورة على الدنيا
وقد مر تفصيله في سورة
الاسراء (أم لهم شركاء)
أي بل أن لهم شركاء
من الشياطين والهمزة
للتقرير والتقرير
(شعروا بهم) بالتسويل
(من الدين ما لم يؤذ به
الله) كالشرك وانكار
البعث والعمل للدنيا
وقيل شركاء هم أولئهم
واضافتهم اليهم لانهم
الذين جعلوا شركاء
لله تعالى واستناد الشرح

استيفاء حق المظلوم من الظالم واجب في العدل فلم تحصل اقامة لزم استناد الظالم الى الله
تعالى وهذا من أمحل الحالات فلا جرم كان انكار اقامة ضلالاً بعيداً ثم قال الله لطيف
بعباد أي كثيراً لاحسان بهم وناحسن ذكره في الكلام ههنا لأنه أنزل عليهم الكتاب
المشتمل على هذه الدلائل الطليقة فكان ذلك من لطف الله بعباده وأيضاً المتشققون
استوجبوا العذاب الشديد ثم انه تعالى أخر عنهم ذلك العذاب فكان ذلك إرضاء من أظف
الله تعالى فلما سبق ذكر إبطال أعظم المنافع اليهم ودفع أعظم المضار عنهم لاجرم حسن
ذكره ههنا ثم قال يرزق من يشاء يعني ان أصل الاحسان البرعام في حق كل العباد وذلك
هو الاحسان بالخياة والعقل والفهم واعطاء ما لا بد منه من الرزق ودفع أكثر الآفات
والبلبات عنهم فاما مراتب العطية والبهجة فغاوية مختلفة ثم قال وهو اقوى أي القادر
على كل ما يشاء العزيز الذي لا يعاب ولا يدافع * قوله تعالى (من كان يريد حرث الآخرة
نزداه في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤتيه منها وما له في الآخرة من نصيب) أم لهم
شركاء شعروا بهم من الدين ما لم يؤذ به الله ولولا كلمة الفصل لفضي بهم وان الضالين لهم
عذاب أليم ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات
في روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ذلك الذي يشر الله
بعباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لأنفسكم عليه أجرنا الامودة في القرى ومن
يقرب حسنة نزدك فيها حسناً ان الله غفور شكور أم يقولون افتتى على الله كذبا فان
يشاء الله نختم على فمك ونعم الله الباطل فيحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور وهو
الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون ويستجيب الذين آمنوا
وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد اعلم انه تعالى لما بين
كونه لطيفاً بعباده كبر الاحسان اليهم بين انه لا بد لهم من أن يسموا في طلب الخيرات
وفي الاحتراز عن القباح فقال من كان يريد حرث الآخرة نزداه في حرثه قال صاحب
الكشاف انه تعالى سمي ما عمله الله على ما يطب به الفائدة حرثاً على سبيل المجاز وفي
الآية مسائل (السئلة الاولى) انه تعالى أظهر الفرق في هذا الآية بين من أراد الآخرة
وبين من أراد الدنيا من وجوه (الاول) انه قدم مر يد حرث الآخرة في الذكر على مر يد
حرث الدنيا ذلك يدل على التفضيل لانه وصفه بكونه آخرة ثم قدمه في الذكر تفضيها على
قوله نحن الآخرون السابقون (السائل الثاني) انه قال في مر يد حرث الآخرة نزداه في حرثه
وقال في مر يد حرث الدنيا نؤتيه منها وكلمة من التبعيض فاعني انه يعطيه بعض ما يطالبه
ولا يؤتيه كله وقال في سورة بني اسرائيل عجزنا له فيها ما يشاء لمن يريد وأقول البرهان
الغني مساعد على البابين وذلك لان كل من عمل الآخرة وواظب على ذلك العمل فكملة
الاعمال سبب لحصول الملكات فكل من كانت مواظبته على تلك الاعمال أكثر كان

اليها لانهم ضللتهم وافتانهم كقوله تعالى انهم ﴿ ٤٠٢ ﴾ أضلّان كثيرا أو تامل من سن الضلالة لهم

(ولو لا كلمة الفصل)

أى القضاء السابق

بتأخير الجزاء أو العدة

بأن الفصل يكون يوم

القيامة (لنقض بينهم)

أى بين الكافرين

والمؤمنين أو بين المشرّكين

وشركائهم (وإن الظالمين

لهم عذاب أليم) وقرئ

بفتح عطا على كلمة

الفصل أى ولو لا كلمة

الفصل وتقدير عذاب

الظالمين فى الآخرة

لنقض بينهم فى الدنيا

فإن العذاب الأليم غالب

فى عذاب الآخرة (ترى

الظالمين) يوم القيامة

والخطاب لكل أحد ممن

يصلح له المقصد أى أن

سوء حالهم غير مختص

برؤية راء دون راء

(مشفقين) خائفين (بما

كسبوا) من السيئات

(وهو واقع بهم) أى

وبإله لاحق بهم للاحالة

أشفقوا أولم يشفقوا

والجمله حال من ضمير

مشفقين أو اعتراض

(والذين آمنوا وعملوا

الصالحات فى روضات

الجنات) مستقرون فى

أطيب بقاعها أو أنزهها

(لهم ما يشاؤون)

قلبه الى طلب الآخرة أكثر وكلما كان الامر كذلك كان الاشتهاج أعظم والسعادات
أكثر وذلك هو المراد بقوله نزله فى حرته وأما طالب الدنيا فكما كانت مواظبته على
أعمال ذلك الطلب أكثر كانت رغبته فى الفوز بالدنيا أكثر وميله اليها أشد وإذا كان
الميل أبدا فى التزايد وكان حصول المطاوب باقيا على حاته واحدة كان الحرمان لازما
لا محالة (الثالث) أنه تعالى قال فى طالب حث الآخرة نزله فى حرته ولم يذكر أنه تعالى
يعطيه الدنيا ألم لا بل بلى الكلام ساكتا عنه نفيًا وإثباتًا وأما طالب حث الدنيا فإنه تعالى
بين أنه لا يعطيه شيئًا من نصيب الآخرة على التخصيص وهذا يدل على التفاوت العظيم كأنه
يقول الآخرة أصل والدنيا تابع فواجدا لأصل يكون واجدا للتبع بقدر الحاجة إلا أنه لم
يذكر ذلك تنبيهًا على أن الدنيا أخس من أن يقرن ذكرها بذكر الآخرة (الرابع) أنه تعالى
بين أن طالب الآخرة يزداد فى مطلوبه وبين أن طالب الدنيا يعطى بعض مطلوبه من الدنيا
وأما فى الآخرة فإنه لا يحصل له منها نصيب البتة فبين بالكلام الأول أن طالب الآخرة
يكون حاله أبدا فى الترقى والتزايد وبين بالكلام الثانى أن طالب الدنيا يكون حاله فى المقام
الأول فى النقصان وفى المقام الثانى فى البطلان التمام (الخامس) أن الآخرة نسئله والدنيا
نقدوا نسئله مرجوحة بالنسبة الى التذللان الناس يقولون التقدير من النسئله فيمن
تعالى أن هذه القضية انعكست بالنسبة الى أحوال الآخرة والدنيا فالآخرة وإن كانت
نسئله إلا أنها موجهة للزيادة والدوام فكانت أفضل وأكمل والدنيا وإن كانت نقدا
إلا أنها موجهة الى النقصان ثم الى البطلان فكانت أخس وأرذل فهذا يدل على أن
حال الآخرة لا يناسب حال الدنيا البتة وأنه ليس فى الدنيا من أحوال الآخرة إلا مجرد
الاسم كاهم وروى عن ابن عباس (السادس) الآية دالة على أن منافع الآخرة والدنيا
ليست حاضرة بل لا بد فى البابين من الحرث والحراث لا يتأتى إلا بتحمل المشاق فى البذر
ثم التسقية والتمية ثم الحصد ثم التسقية فلما سمى الله كلام القسمين حرثا علمنا أن كل واحد
منهما لا يحصل إلا بتحمل المتاعب والمشاق ثم بين تعالى أن مصير الآخرة الى الزيادة
والكمال وأن مصير الدنيا الى النقصان ثم الفناء فكانت قبل إذا كان لا بد فى القسمين جميعا
من تحمل متاعب الحرث والتسقية والتمية والحصد والتسقية فلان تصرف هذه
المتاعب الى ما يكون فى التزايد والبقاء أولى من صرفها الى ما يكون فى النقصان
والانقضاء والفناء (المسئلة الثانية) فى تفسير قوله نزله فى حرته قولنا (الأول) المعنى أنا
نزيد فى توفيقه وإعانتة وتسهيل سبل الخيرات والطاعات عليه وقال مسائل نزله
فى حرته بتضعيف الثواب قال تعالى ليوفهم أجورهم وزيدهم من فضله وعن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال من أصبح وهمه الدنيا شئت الله تعالى عليه همه وجعل فقره بين
عينيه ولم يأت من الدنيا إلا ما كتب له ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله همه وجعل غناه
فى قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة عن أنفسها وألفظ يقرب من أن يكون هذا معناه

عند ربهم) أي ما يشتهونه من فنون المستلذات ﴿٤٠٣﴾ حاصل لهم عند ربهم على أن عند ربهم ظرفاً

للاستقرار العامل في لهم
وقيل ظرفاً ليشاؤون
(ذلك) إشارة إلى ما ذكر
من حال المؤمنين وما
فيه من معنى البعد
للايذان ببعد منزلة
المشار إليه (هو الفضل
الكبير) الذي لا يقادر
قدره ولا يباغ غايته
(ذلك) الفضل الكبير
هو (الذي يشترط الله
عباده) أي يشترطهم به
فحذف الجارم العائد إلى
الموصول كافي قوله تعالى
أهدنا الذي بعث الله رسولا
أو ذلك التشبيه الذي
يشترطه الله تعالى عباده
(الذين آمنوا وعملوا
الصالحات) وقرئ يشر
من ابشر (قل لا أسئلكم
عليه) روى أنه اجتمع
المشركون في مجمع لهم
فقال بعضهم لبعض
أترؤن أن محمدًا يسأل
على ما يعطاهم أجراً
فترأت أي لا أطلب منك
على ما أعطيهم من التبليغ
والبشارة (أجراً) نفعاً
(الالمودة في القربى)
أي الآن تودوني لقرباني
منكم أو تودوا أهل
قرباني وقيل الاستثناء
منقطع والمعنى

(المسئلة الثالثة) ظاهر اللفظ يدل على أن من صلى لأجل طلب الثواب أولاً لدفع العقاب فانه تصح صلاته وأجبه وأعلى أنها لا تصح (والجواب) انه تعالى قال من كان يريد حرث الآخرة والحرث لا يتأتى إلا بالإنشاء البذر الصحيح في الأرض والبذر الصحيح يجمع الخيرات والسعادات ليس العبودية لله تعالى (المسئلة الرابعة) قال أصحابنا إذا توضع بغيرة لم يصح قالوا لأن هذا الإنسان ما أراد حرث الآخرة لأن الكلام فيما إذا كان غافلاً عن ذكر الله وعن الآخرة فوجب أن لا يحصل له نصب فيما يتعلق بالآخرة والخروج عن عهدة الصلاة من باب منافع الآخرة فوجب أن لا يحصل في الموضوع العاري عن النية واعلم أن الله تعالى لما بين القانون الأعظم والتسلسل الأقوم في أعمال الآخرة والديار دفع بالنتيجة على ما هو الأصل في باب الفضالة والشعارة فقال أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ومعنى المهمة في أم التقرير والتفريع وشركاؤهم شياطينهم الذين زينوا لهم الشرك وأنكروا البعث والعمل للدينا لأنهم لا يعلمون غير ما وُقيل شركاؤهم أو ثنائهم وإنما أضيف إليهم لأنهم هم الذين اتخذوها شركاء لله ولما كانت سبباً لفضائلهم جعلت شارة لدين الفضالة كما قال إبراهيم صلى الله عليه وسلم رب انهن أضللن كثيراً من الناس وقوله شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله يعني أن تلك الشرائع بأسرها على ضد دين الله ثم قال وأول كلمة الفصل أي القضاء السابق بتأخير الجزاء أو يقال ولولا الوعد بأن الفصل يكون يوم القيامة لقضى بينهم أي بين الكافرين والمؤمنين أو بين المشركين وشركائهم وأن الظالمين لهم عذاب أليم وقرأ بعضهم وإن يفتح المهمة في أن عطفاً على كلمة الفصل يعني وأول كلمة الفصل وتقريره تعذيب الظالمين في الآخرة لقضى بينهم في الدنيا ثم انه تعالى ذكر أحوال أهل العتاب وأحوال أهل الثواب أما الأول فهو قوله ترى الظالمين مشفقين خائفين خوفاً شديداً ما كسبوا من السيئات وهو واقع بهم يريد أن وبال له واقع بهم سواء أشفقوا أو لم يشفقوا وأما الثاني فهو أحوال أهل الثواب وهو قوله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لأن روضة الجنة أطيب بقعة فيها وفي الآية تنبيه على أن الفساق من أهل الصلاة كلهم في الجنة إلا أنه خص الذين آمنوا وعملوا الصالحات بروضات الجنات وهي البقاع الشريفة من الجنة فالبتاع التي دون تلك الروضات لابد وأن تكون مخصوصة بمن كان دون أولئك الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم قال لهم ما يشاؤون عند ربهم وهذا يدل على أن كل الأشياء حاضرة عنده مهابة ثم قال تعالى في تعظيم هذه الدرجة ذلك هو الفضل الكبير وأصحابنا استدلوا بهذه الآية على أن الثواب غير واجب على الله وإنما يحصل بطريق الفضل من الله تعالى لأنه تعالى قال والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم فهذا يدل على أن روضات الجنات ووجدان كل ما يريدونه إنما كان جزاءه على الأيمان والأعمال الصالحة ثم قال تعالى ذلك هو الفضل

لأَسْأَلُكُمْ أَجْرًا قَطُولًا لَكِنْ أَسْأَلُكُمْ الْمَوَدَّةَ وَفِي الْقُرْبَى حَالُهَا ٤٠٤ هـ أَيُّ الْمَوَدَّةِ ثَابِتَةٌ فِي الْقُرْبَى مُمْكِنَةٌ

قِيَامُهَا أَوْ فِي حَقِّ الْقَرَابَةِ وَالْقُرْبَى مَصْدَرٌ كَالرَّابِي بِمَعْنَى الْقَرَابَةِ رَوَى أَنَّهُمَا نَزَلَتْ قِيلَ يَارَسُولَ اللَّهِ مَنْ قَرَابَتِكَ هُوَ لَا الْدِينَ وَجِبَتْ عَلَيْهِمَا مَوَدَّتُهُمْ قُلْ عَلَى وَفَاطِمَةَ وَابْنَيْهَا وَمَعْنَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَرَمَتْ الْجَنَّةَ عَلَى مَنْ ظَلَمَ أَهْلَ بَيْتِي وَأَذَانِي فِي عَسْتَرَتِي وَمَنْ أَصْطَنَعَ صَنِيعَهُ إِلَى أَحَدٍ مِنْ وَلَدِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَلَمْ يَجَازِهِ فَأَنَا أَبْجَازُهُ عَلَيْهِمَا غَدَا إِذَا قُبِئْتُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ الْقُرْبَى الْقَرَابَةُ إِلَى اللَّهِ أَيْ الْأَنْ تَوَدُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ فِي نَفْسِكُمْ أَلَيْدًا بِطَاعَةٍ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ وَقُرْبَى الْأَمُودَةِ فِي الْقُرْبَى (وَمَنْ يَفْقَهُ أَيْ يَكْتَسِبُ أَيْ حَسَنَةً كَانَتْ فَتَنَاقُلُ مَوَدَّةَ ذِي الْقُرْبَى تَنَاوَلُوا وَلِيَا وَعَنْ السَّيِّدِي أَنَّهَا الْمَرَادَةُ وَقِيلَ نَزَلَتْ فِي الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمَوَدَّتُهُ فِيهِمْ (نَزَلَتْ فِيهَا) أَيْ فِي الْحَسَنَةِ (حَسَنًا) بِمَضَاعِفِ الثَّوَابِ وَقُرْبَى يَزِدُّ أَيْ يَزِدُّ اللَّهُ

الْكِبَرُ وَهَذَا تَصَرُّحٌ بِأَنَّ الْجَزَاءَ الْمُرْتَبِ عَلَى الْعَمَلِ أَمَّا حَصْلُ طَرِيقِ الْفَضْلِ لِطَرِيقِ الْاِسْتِحْقَاقِ ثُمَّ قَالَ ذَلِكَ الَّذِي يَشْرِي اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ قُرْبَى يَشْرِي مِنْ بَشَرَةٍ وَيَشْرِي مِنْ بَشَرَةٍ وَيَشْرِي مِنْ بَشَرَةٍ وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ دَالَّةٌ عَلَى تَعْظِيمِ حَالِ الثَّوَابِ مِنْ وَجْهِ (الْأَوَّلِ) أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ رَتَّبَ عَلَى الْإِيمَانِ وَعَمَلِ الصَّالِحَاتِ رُوحَاتِ الْجَنَّةِ وَالسَّاطِنِ الَّذِي هُوَ أَعْظَمُ الْمَوْجُودَاتِ وَأَكْرَمُهُمْ إِذَا رَتَّبَ عَلَى أَعْمَالٍ شَاقَّةٍ جَزَاءً دَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ الْجَزَاءَ قَدْ بَاغَى إِلَى حَيْثُ لَا يَدْرِي كَيْفَهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى (الثَّانِي) أَنَّهُ تَعَالَى قَالَ أَنَّهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَقَوْلُهُمْ مَا يَشَاءُونَ يَدْخُلُ فِي بَابِ غَيْرِ الْمُتَشَاهِي لِأَنَّهُ لَا دَرَجَةَ إِلَّا وَالْإِنْسَانُ يَرِيدُ مَا هُوَ أَعْلَى مِنْهَا (الثَّالِثُ) أَنَّهُ تَعَالَى قَالَ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ وَالَّذِي يَحْكُمُ بِكِبَرِهِ مِنْ لَدُنْ الْكِبَرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ كَانَ فِي غَايَةِ الْكِبَرِ (الرَّابِعُ) أَنَّهُ تَعَالَى أَعَادَ الْبَشَارَةَ عَلَى سَبِيلِ التَّعْظِيمِ فَقَالَ الَّذِي يَشْرِي اللَّهُ عِبَادَهُ وَذَلِكَ يَدُلُّ أَيْضًا عَلَى غَايَةِ الْعَظَمَةِ نَسَأَلُ اللَّهَ الْغُفُورَ زَيْهًا وَالْوَصُولُ إِلَيْهَا وَاعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا وَصَّى إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا الْكِتَابَ الشَّرِيفَ الْعَالِيَّ وَأَوْدَعَ فِيهِ ثَلَاثَةَ أَقْسَامِ الدَّلَائِلِ وَأَصْنَفَاتِ التَّكْلِيفِ وَرَتَّبَ عَلَى الطَّاعَةِ ثَوَابًا وَعَلَى الْعَصِيَةِ عِقَابًا بَيْنَ أَتَى لِأَطْلَابِ مِنْكُمْ بِسَبَبِ هَذَا التَّبْلِيغِ نَفْعًا عَاجِلًا وَمَطْلُوبًا حَاضِرًا لِلتَّخَيُّلِ جَاهِلٌ أَنْ مَقْصُودَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ هَذَا التَّبْلِيغِ الْمَالُ وَالْجَاهُ فَقَالَ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَفِيهِ مَسَائِلُ (الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى) ذَكَرَ النَّاسُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ثَلَاثَةَ أَقْوَالٍ (الْأَوَّلُ) قَالَ الشَّعْبِيُّ أَكْثَرُ النَّاسِ عَلَيْهِمَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ فَكَيْفَ تَنَاوَلُوا ابْنَ عَبَّاسٍ نَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ فَكَتَبَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ وَاسِطَ النَّسَبِ مِنْ قُرَيْشٍ أَيْسَ بَطْنُ مَنْ يَطُونُهُمْ الْاَوْقُودُ وَدَلَّه فَقَالَ اللَّهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَى مَا دَعَاكُمْ إِلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا أَنْ تَوَدُّوا قُرَابَتِي مِنْكُمْ وَالْمَعْنَى أَنْكُمْ قَوْمِي وَأَحَقُّ مِنْ أَجَابَتِي وَأَطَاعَتِي فَذَا قَدْ أَيْتُمْ ذَلِكَ فَاحْفَظُوا حَقَّ الْقُرْبَى وَلَا تَوَدُّوْنِي وَلَا تَهَيِّجُوا عَلَيَّ (وَالْقَوْلُ الثَّانِي) رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ كَانَتْ تَعْرِوهُ نَوَاطِبُ وَحَقُوقٌ وَلَيْسَ فِي يَدِهِ سِمَةٌ فَقَالَ الْاَنْصَارُ إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ هَدَاكَ اللَّهُ عَلَى يَدِهِ وَهُوَ ابْنُ أَخْتِكَ وَجَارُكَ فِي بَلَدِكَ فَاجْعُوا لَهُ طَائِفَةً مِنْ أَمْوَالِكُمْ فَفَعَلُوا ثُمَّ أَنُودَ بِهِ فَرَدَهُ عَلَيْهِمْ فَتَزَلَّ قَوْلُهُ تَعَالَى قُلْ / أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا أَيْ عَلَى الْإِيمَانِ إِلَّا أَنْ تَوَدُّوا أَقْرَابِي فَخُذْهُمْ عَلَى مَوَدَّةٍ أَفَارَ بِهِ (الْقَوْلُ الثَّالِثُ) مَا ذَكَرَهُ الْحَسَنُ فَقَالَ الْأَنْ تَوَدُّوا إِلَى اللَّهِ فَيَسْأَلُكُمْ بِكُمْ إِلَيْهِ مِنَ التَّوَدُّدِ أَلَيْدًا بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ فَالْقُرْبَى عَلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ الْقَرَابَةُ الَّتِي هِيَ بِمَعْنَى الرَّحْمِ وَعَلَى الثَّانِي الْقَرَابَةُ الَّتِي هِيَ بِمَعْنَى الْاِقْرَابِ وَعَلَى الثَّالِثِ هِيَ فَعَلَى مِنَ الْقُرْبَى وَالْقَرَابَةِ قَانَ قِيلَ الْآيَةُ مُشْكَلَةٌ وَذَلِكَ لِأَنَّ طَلَبَ الْاَجْرَةِ عَلَى تَبْلِيغِ الْوَسْطَى لَا يَجُوزُ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ وَجْهُ (الْأَوَّلُ) أَنَّهُ تَعَالَى حَكِيَ عَنْ أَكْثَرِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَنَّهُمْ صَرَحُوا بِبَنِي طَلَبِ الْاَجْرَةِ فَذَكَرَ فِي قِصَّةِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا أَنْ يَجْرِيَ الْعَالَمِينَ وَكَذَلِكَ

وفرى حسنى (ان الله غفور) لمن اذنب ﴿ ٤٠٥ ﴾ (شكور) لمن اطاع بتوفية الثواب والتفضل عليه

بالزيادة (أم يقولون)

بل أقولون (افترى)

محمد (على الله كذا)

بدعوى النبوة وتلاوة

القرآن على أن الهزيمة

الانكار التوبيخي كأنه

قيل أياك لكون أن يسبوا

مثله عليه السلام وهو

هو الى الافتراء لاسيما

الافتراء على الله الذي

هو أعظم الفرى

وافحشها وقوله تعالى

(فان يشأ الله نختم على

قلبك) استسهاد على

بطلان ما قالوا ببيان

أنه عليه السلام لو افترى

على الله تعالى لمعه من

ذلك قطعاً وتحققه

أن دعوى كون القرآن

افتراء عليه تعالى قول

منهم بأنه تعالى لا يشاء

صدوره عن النبي صلى

الله عليه وسلم بل يشاء

عدم صدوره عنه

ومن ضرورته منعه عنه

قطعاً فكانه قيل لو كان

افتراء عليه تعالى لشاء

عدم صدوره منك

وان يشأ ذلك يختم على

قلبك بحيث لم يخطر

ببالك معنى من معانيه

ولم تنطق بحرف من

قصة هود وصالح وفي قصة لوط وشعيب عليهم السلام ورسولنا أفضل من سائر الانبياء عليهم السلام فكان بان لا يطلب الاجر على النبوة والرسالة أولى (والثاني) انه صلى الله عليه وسلم صرح بنى طلب الاجر في سائر الآيات فقال قل ما أسألكم من أجر فهو وليكم وقال قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين (والثالث) العقل يدل عليه وذلك لان ذلك التبليغ كان واجبا عليه قال تعالى بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته وطلب الاجر على اداء الواجب لا يليق بأقل الناس فضلا عن أعلم العلماء (الرابع) أن النبوة أفضل من الحكمة وقد قال تعالى في صفة الحكمة ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وقال في صفة الدنيا قل منافع الدنيا قليل فكيف يحسن في العقل مقابلة أشرف الاشياء بأخس الاشياء (الخامس) ان طلب الاجر كان يوجب التهمة وذلك يناقض المقام بحجة النبوة ثبت بهذه الوجهة انه لا يجوز من النبي صلى الله عليه وسلم أن يطلب أجرا البتة على التبليغ والرسالة وظاهر هذه الآية يقتضي انه طلب أجر على التبليغ والرسالة وهو المودة في اقرى هذا تقرير السؤال (والجواب) عندنا لا نزاع في انه لا يجوز طلب الاجر على التبليغ والرسالة في قوله المودة في القرى بقول الجواب عنه من وجهين (الاول) ان هذا من باب قوله

ولا عيب فيهم فخير ان سبب وفهم * بهما من قراع الدارين فلول

يعنى أنا لا أطلب منكم الا هذا وهذا في الحقيقة ليس أجر ان حصول المودة بين المسلمين أمر واجب قال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض وقال صلى الله عليه وسلم المؤمنون كالبنيان يشد بعضهم بعضاً والآيات والخبار في هذا الباب كثيرة واذا كان حصول المودة بين جمهور المسلمين واجبا لخصوصها في حق أشرف المسلمين وأكابرهم أولى وقوله تعالى قل لأسألكم عليه أجرا الا المودة في اقرى بقديره والمودة في القرى ليست أجرا فرجع الحاصل الى انه لا أجر البتة (والوجه الثاني) في الجواب ان هذا استثناء منقطع وتم الكلام عند قوله قل لأسألكم عليه أجرا ثم قال الا المودة في القرى أى لكن اذكركم قرابتي منكم وكأنه في اللفظ أجر وايس باجر (المسئلة الثالثة) نقل صاحب الكشاف عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من مات على حب آل محمد مات شهيدا الاومن مات على حب آل محمد مات مغفورا له الاومن مات على حب آل محمد مات نالما الاومن مات على حب آل محمد مات مؤمنا مستكمل الايمان ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكروا نكر الاومن مات على حب آل محمد يزف الى الجنة كما تزف العروس الى بيت زوجها الاومن مات على حب آل محمد قد فتح له في قبره بابان الى الجنة الاومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره من ارض ملائكة الرحمة الاومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة الاومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله الاومن مات على بغض آل محمد مات كافرا الاومن

حروفه وحيث لم يكن الامر كذلك بل تواتر الوحي حيناً

فحينئذ تبين أنه من عند الله تعالى هذا وقبل المعنى ﴿ ٤٠٦ ﴾ ان بشأ يجعلك من المخنوم على قلوبهم فانه

لا يجترى على الافتراء عليه تعالى الامن كان كذلك وموداه استبعاد الافتراء من مثله عليه السلام وأنه في البعد مثل الشرك بالله والدخول في جملة المخنوم على قلوبهم وعن قتادة يختم على قلبك يسلك القرآن ويقطع عنك الوحى يعنى لو افترى على الله الكذب لفعّل به ذلك وهذا معنى ما قبل او كتب على الله لأنشاء القرآن وقبل يختم على قلبك ير بط عليه بالصبر حتى لا يسبق عليك اذاهم (ونحو الله الباطل ويحق الحق بكلماته) استئناف مقرر اننى الافتراء غير معطوف على يختم كما بينى عنه اظهار الاسم الجليل وسقوط الواو كما في بعض المصاحف لا يتابع اللفظ كما في قوله تعالى ويدع الانسان بالشراى ومن غادته تعالى أنه يخو الباطل ويثبت الحق بوجه أو بفضائه كقوله تعالى بل نفذف بالحق على الباطل فيدمغه

مات على بعض آل محمد لم يشم رائحة الجنة هذا هو الذى رواه صاحب الكشاف وأنا أقول آل محمد صلى الله عليه وسلم هم الذين بول أمرهم البه فكل من كان أمرهم اليه أشد وأكمل كانوا هم الآل ولا شك ان فاطمة وعليها والحسن والحسين كان العلق بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد اتصالات وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر فوجب أن يكونوا هم الآل وأيضا اختلف الناس في الآل فقبلهم الأقارب وقبلهم أمته فان حملناه على القرابة فهم الآل وان حملناه على الامّة الذين قبلوا دعوته فهم أيضا آل فثبت ان على جميع التقديرات هم الآل وأما غيرهم فهل يدخلون تحت لفظ الآل فيختلف فيه وروى صاحب الكشاف انه لما نزلت هذه الآية قبل يا رسول الله من قرأتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم فقال على وفاطمة وابناهما فثبت ان هؤلاء الاربعة أقارب النبي صلى الله عليه وسلم واذا ثبت هذا وجب أن يكونوا مخصوصين بمن يدانته عظيم وبدل عليه وجوه (الأول) قوله تعالى الامودة في القرى ووجه الاستدلال به ما سبق (الثانى) لا شك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب فاطمة عليها السلام قال صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة مني يؤذيها ما يؤذيها وثبت بالنقل المتواتر عن محمد صلى الله عليه وسلم انه كان يحب عليا والحسن والحسين واذا ثبت ذلك وجب على كل الامّة مثله لقوله واتبعوه لعلكم تهتدون ولقوله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن أمره ولقوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ولقوله سبحانه لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة (الثالث) ان الدعاء للآل منصب عظيم ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة الشهادة في الصلاة وهو قوله اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارحمهم هذا التظيم لم يوجد في حق غير الآل فكل ذلك يدل على ان حب آل محمد واجب وقال الشافعي رضى الله عنه

يارا كبا ف بالمحب من منى * واهتف بساكن خيفها والناض
سحرا اذا فاض الحجج الى منى * فيضا كما نظم الفرات القناض
ان كان رفضا حب آل محمد * فليشهد الثقلان انى رافضى

(المسئلة الثالثة) قوله الامودة في القرى فيه منصب عظيم للمحابة لانه تعالى قال والسابقون السابقون أولئك المقربون فكل من أطاع الله كان مقربا عند الله تعالى فدخل تحت قوله الامودة في القرى والحاصل ان هذه الآية تدل على وجوب حب آل رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب أصحابه وهذا المنصب لا يسلم الا لهي قول أصحابنا أهل السنة والجماعة الذين جمعوا بين حب العرة والصحابة وسمعت بعض المذكرين قال انه صلى الله عليه وسلم قال مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركب فيها نجا وقال صلى الله عليه وسلم أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ونحن الآن في بحر التكليف وتضر بنا أمواج الشبهات والشهوات وراكب البحر يحتاج الى أمرين (أحدهما) السفينة

فلو كان افتراء كما زعموا لمحمد ودمغه ﴿ ٤٠٧ ﴾ أوعده رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه تعالى يحو الباطل الذي هم

عليه من البهت والتكذيب ويثبت الحق الذي هو عليه بالقرآن أو بقضائه الذي لا مرد له بخبرته عليهم (أنه عليهم بذات الصدور) فيجري عليها أحكامها الثلاثة بها من المحو والاثبات (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده) التوبة هي الرجوع عن المعاصي بالندم طيبها والعزم على أن لا يعاودها أبدا وروى جابر رضي الله عنه أن أعرابيا دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم اني استغفرك وأتوب اليك وكبر فلما فرغ من صلاته قال له علي رضي الله عنه يا هذا ان سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك هذه تحتاج الى التوبة فقال يا أمير المؤمنين وما التوبة قال اسم يقع على سنة معان على الماضي من الذنوب السداسة وتضييع الفراغ والاعادة وتورده المظالم واذا به

الخالية عن العيوب والقب (والثاني) انكواكب الظاهرة الطالعة انيرة فاذا ركب تلك السفينة ووقع نظره على تلك الكواكب الظاهرة كان رجاؤه السلامة غائبا فتكذلك ركب أصحابنا أهل السنة سفينة حب آل محمد ووضعوا أبصارهم على نجوم العقيدة فرجوا من الله تعالى أن يفوزوا بالسلامة والسعادة في الدنيا والآخرة ولزجهم الى التفسير أورد صاحب الكشاف على نفسه سؤال فقال هل اقبل الامودة القرني أو الامودة للقرني وما معنى قوله الامودة في القرني وأجاب عنه بأن قال جعلوا مكانا للودة ومقر لها كقولك لي في آل فلان مودة ولي فيهم هوى وحب شديد تريد احبهم وهم مكان حبي ومحله ثم قال تعالى ومن يعترف حسنة نزدله فيها حسنا قيل نزلت هذه الآية في أبي بكر رضي الله عنه والظاهر العموم في أي حسنة كانت الا أنها لما ذكرت عقب ذكر المودة في القرني دل ذلك على ان المقصود التأكيدي في تلك المودة ثم قال تعالى ان الله غفور شكور والشكور في حق الله تعالى مجاز والمعنى انه تعالى يحسن الى المطيعين في اوصول الثواب اليهم وفي أن يريد عليه أنواعا كثيرة من التفضيل وقال تعالى أم يقولون افترى على الله كذبا واعلم ان الكلام في أول هذه السورة انما ابتدئ في تقرير ان هذا الكتاب انما حصل بوحى الله وهو قوله تعالى كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم واتصل الكلام في تقرير هذا المعنى وتعاق البعض ببعض حتى وصل الى هم نائم حكى ههنا شبهة التوهم وهي قولهم ان هذا ليس وحيا من الله تعالى فقال أم يقولون افترى على الله كذبا قال صاحب الكشاف أم منقطعة ومعنى الهزيمة فيه التوبخ كأنه قيل ايقم في قلوبهم ويحري في ألسنتهم أن ينسبوا مثله الى الافتراء على الله الذي هو أقبح أنواع الفرية وأفحشها ثم أجاب عنه بأن قال فان يشأ الله يختم على قلبك وفيه وجوه (الأول) قال بجاءد ير بط على قلبك بالصبر على أذاهم حتى لا يشق عليك قواهم انه مقتر كذاب (الثاني) يعنى بهذا الكلام انه ان يشاء الله يجعلك من المخزوم على قلوبهم حتى يفترى عليه الكذب فانه لا يجترئ على افتراء الكذب على الله الامن كان في مثل هذه الحالة والمقصود من ذكر هذا الكلام المبالغة في تقرير الاستبعاد ومثاله أن ينسب رجل بعض الامناء الى الخيانة فيقول الأمين لعل الله خذلني لعل الله أعنى قاي وهو لا يريد اثبات الخذلان وعمى القلب لنفسه وانما يريد استبعاد صدور الخيانة عنه ثم قال تعالى ويمح الله الباطل ويحق الحق أى ومن عادة الله ابطال الباطل وتقرير الحق ولو كان محمدا مبطلا كذا بالفضيحة الله ولكشف عن باطله ولما أيدته بالقوة والنصرة ولما لم يكن الامر كذلك علمنا انه ليس من الكاذبين المغترين على الله ويجوز أن يكون هذا وعدا من الله لرسوله بأنه يحو الباطل الذي هم عليه من البهت والفرية والتكذيب ويثبت الحق الذي كان محمدا صلى الله عليه وسلم عليه ثم قال انه عليهم بذات الصدور أى ان الله عليهم بما في صدرك وصدورهم فيجري الامر على حسب ذلك وعن قتادة يختم على قلبك ينسك

النفس في الطاعة كآربتها في العصية واذقتها مرارة ﴿ ٤٠٨ ﴾ الطاعة كما أذقتها حلاوة العصية والبكاء بدل

كل ضحكك ضحكته
(ويعفو عن السيئات)
صغيرها وكبيرها لمن
يشاء (ويعلم ما يفعله من)
كأنسا ما كان من خير
وشرفه أزي وتجاوز
حسبا تقتضيه مشيئة
المبينة على الحكم
والمصالح وقرى ما
تفعلون بالآباء (ويستجيب
الذين آمنوا وعملوا
الصالحات) أي
يستجيب الله لهم فعذف
اللام كما في قوله تعالى
وإذا كانوا هم أي كالوالهم
والمراد أجابة دعوتهم
والإجابة على طاعتهم
فذهبوا كدعاء وطلب
لما يترتب عليها ومنه
قوله عليه السلام
أفضل الدعاء الحمد لله
أو يستجيبون الله بالطاعة
إذا دعاهم إليها وعن
إبراهيم بن آدم أنه
قبيل له ما باننا ندعو
فلان يجيب قال لا دعاءكم
ولم يجيبوه ثم قرأوا الله
يدعو إلى دار السلام
(ويزيدهم من فضله)
على ما سألووا واستحقوا
بموجب الوعد
(والكافرون لهم

القرآن ويقطع عنك الوحي يعني لو اقتصى على الله الكذب لفضل الله به ذاك واعلم انه تعالى
لما قال أم يقولون افترى على الله كذبا ثم برأ رسوله المضافوه إليه من هذا وكان من
المعلوم أنهم قد استحقوا بهذه القرينة عذابا عظيما لا يجرمهم الله إلى التوبة وعرفهم أنه
يقبلها من كل مسمى وإن عظمت آسائه فقال وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو
عن السيئات وفي هذه الآية مسائل (المسألة الأولى) قال صاحب الكشاف يقال
قبلت منه الشيء وقيلت عنه فعني قبلته منه أخذته منه وجعلته مبدءا لقبول ومنشأ ومعنى
قبلته عند أخذته عنده وأثبتته عنده وقد سبق البحث المستقصى عن حقيقة التوبة في سورة
البقرة وأقل ما لابد منه الذم على الماضي والترك في الحال والعزم على أن لا يعود إليه
في المستقبل وروى جابر أن أعرابيا دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم
إني أستغفرك وأتوب إليك وكبر فلما فرغ من صلاته قال له على عليه السلام يا هذا
انسرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين فو بك تحتاج إلى توبة فقال يا أمير
المؤمنين وما التوبة فقال اسم يقع على ستة أشياء على الماضي من الذنوب التدامة
ولتضييع أفرانض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس في الطاعة كآربتها في العصية
واذافة النفس مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة العصية والبكاء بدل كل ضحكك ضحكته
(المسألة الثانية) قالت المعتزلة يجب على الله تعالى عتلا قبول التوبة وقال أصحابنا لا يجب
على الله شيء وكل ما يفعله فائما يفعله بالكرم والفضل واحتجوا على صحة مذهبه بهذه
الآية فقالوا انه تعالى تمدح بقبول التوبة ولو كان ذلك القبول واجبا لما حصل التمدح
العظيم ألا ترى ان من مدح نفسه بأن لا يضرب الناس ظلما ولا يعاقبهم غضبا كان ذلك
مدحا قليلا أما إذا قال إني أحسن إليهم مع ان ذلك لا يجب على كان ذلك مدحا وشاء
(المسألة الثالثة) قوله تعالى ويعفو عن السيئات إيمان يكون المراد منه أن يعفو عن
الكبائر بعد الإيمان بالتوبة أو المراد منه انه يعفو عن الصغائر أو المراد منه انه يعفو عن
الكبائر قبل التوبة والاول باطل والاصحار قوله ويعفو عن السيئات عين قوله وهو
الذي يقبل التوبة والتكرار خلاف الأصل (والثاني) أيضا باطل لأن ذلك واجب وأداء
الواجب لا يمدح به ففي القسم الثالث فيكون المعنى انه تارة يعفو بواسطة قبول التوبة
وتارة يعفو ابتداء من غير توبة ثم قال ويعلم ما تفعلون قرأ حجة والكسائي وحفص عن
عاصم بن ثابت على المخاطبة والباقون بالياء على الغاية والمعنى انه تعالى يعلم فينبه على
حسناته ويعاقبه على سيئاته ثم قال ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم
من فضله وفيه قولان (أحدهما) الذين آمنوا وعملوا الصالحات رفع على انه فاعل تقديره
ويجيب المؤمنون الله فيما دعاهم إليه (والثاني) محله نصب والفعل مضر وهو الله
وتقديره ويستجيب الله للمؤمنين الا انه حذف اللام كما حذف في قوله وإذا كانوا هم وهذا
الثاني أولى لان الخبر فيما قبل وبعد عن الله لان ما قبل الآية قوله تعالى وهو الذي يقبل

(واو بسطة الله الرزق اعباده البغوا في الارض) انكروا وافسدوا فيها بظرا أو لم لا بعضهم على بعض بالاستيلاء والاستعلاء كما عليه الجلبة البشرية وأصل البغي طاب ﴿٤٠٩﴾ تجاوز الاقتصاد في التحري من حيث الكعبة أو الكعبة (ولكن

التوبة عن عباده وبعفون السيئات وما بعده اقله ويزيدهم من فضله فيز يدعطف على ويستجيب وعلى الاول ويحب العبد ويزيد الله من فضله أمان قال ان الفعل للذين آمنوا فقيه وجهان (أحدهما) ويحب المؤمنون بهم فيما دعاهم اليه (والثاني) يطيعونه فيما أمرهم به والاستجابة الطاعة وأمان قال ان الفعل لله فقد اذلفوا فقبل يحب الله دعاء المؤمنين ويزيدهم ما طلبوه من فضله فان قالوا تخصص المؤمنون بأجابة الدعاء هل يدل على انه تعالى لا يحب دعاء الكفار قلنا قال بعضهم لا يجوز لان اجابة الدعاء تعظيم وذلك لا يليق بالكفار وقيل يجوز على بعض الوجوه وغاية التخصيص ان اجابة دعاء المؤمنين تكون على سبيل التشريف واجابة دعاء الكافرين تكون على سبيل الاستدراج ثم قال ويزيدهم من فضله أي يزيدهم على ما طلبوه بالدعاء والكافرون لهم عذاب شديد والمتصود التهديد قوله تعالى (واو بسطة الله الرزق اعباده البغوا في الارض) ولكن ينزل بقدر ما يشاء انه بعباده خير بصير وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد ومن آياته خلق السموات والارض وما بينهما من دابة وهو على جميعهم اذناش فخير وما أسابكم من مصيبة بما كسبت أيديكم وبعفوا عن كثير وما أنتم بمعجزين في الارض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم انه تعالى لما قال في الآية الاولى انه يحب دعاء المؤمنين ورد عليه سوال وهو ان المؤمن قد يكون في سنة وبلية وقهر ثم يدعو فلا يشاهد أثر الاجابة فكيف الحال فيه مع ما تقدم من قوله ويستجيب الذين آمنوا فاجاب تعالى عنه بقوله واو بسطة الله الرزق اعباده البغوا في الارض ولا تقدموا على المعاصي وما كان ذلك محذورا وجب أن لا يطعهم ما طلبه قال الجبائي هذه الآية تدل على بطلان قول الجعبرة من وجهين (الاول) الحاصل اسكلام انه تعالى لو بسط الرزق اعباده البغوا في الارض والبغي في الارض غير مراد فإرادة بسط الرزق غير ماسة فهذا الكلام انما يتم اذا قلنا انه تعالى لا يريد البغي في الارض وذلك يوجب فساد قول الجعبرة (الثاني) انه تعالى بين انه انما يريد بسط الرزق لانه يدفعني الى الفسدة فلما بين تعالى انه لا يريد ما يفضي الى الفسدة فبار لا يكون مريدا للفسدة كان أولى اجاب أصحابنا بأن الميل الشديد الى البغي والفسدة وانتهر ضعف بعد ان تكون فلا بد له ان فاعل وفاعل هذه الاحوال اما العبد أو الله (والاول) باطل لانه انما يفعل هذه الاشياء او ما طبعه اليها فيعود السوال في أنه من المحدث تلك الميل الثاني ويلزم التسلسل وأيضا قائل الشديد الى الظلم والقسوة عيوب ونقصانات والعاق لا يرضى لتخصيص موجبات نقصان لنفسه ولما بطل هذا ثبت ان المحدث هذا الميل والرغبة هو الله تعالى ثم أورد الجبائي في تفسيره على نفسه سوالا قال فان قيل أليس قد بسط الله الرزق لبعض عباده

ينزل بقدر (أي بتقدير ما يشاء) أن ينزله مما تقتضيه مشيئته (انه بعباده خير بصير) محيط بخفائهم وأمرهم وجلابها فيقدر لكل واحد منهم في كل وقت من أوقاتهم ما يليق بشأنهم فيقدر وبقى وينعم ويعطي وبقض ويسطح حسبما تقتضيه الحكمة الالهية وأرغناهم جميعا لبغوا واو اقرهم لهلكوا وروى ان اهل الصفة تمنوا الغنى فتمنوا وقيل نزلت في العرب كانوا اذا اخصبوا اتخاروا واذا أجذبوا اتجبعوا (وهو الذي ينزل الغيث) أي المطر الذي يغيثهم من الجذب ولذلك خص بالنافع منه وقرئ ينزل من الانزال (من بعد ما قنطوا) يتسوا منه وتقييد تنزيله بذلك ثم تحقيد بدونه أيضا للذكر كالالتمعة وقرئ بكسر النون (وينشر رحمته) أي بركات الغيث ومنافعة في كل شيء من السهل والجليل والنبات والحيوان وأورحمته

الواسعة المتظلمة لما ذكرنا نظاما أوليا (وهو الولي) الذي يتولى عباده بالاحسان ونشر الرحمة (الحميد) المستحق للحمد على ذلك لا غير (ومن آياته خلق السموات والارض) على ﴿ ٤١٠ ﴾ هما على من تعجب الصنائع فانها ابتدأتها

وصفاتم اتدل على شؤنه
العظيمة (وما بث فيها)
عصف على السموات أو
الخلق (من دابة) من حي
على اطلاق اسم المسبب
على السبب أو ما يدب على
الارض فان ما يخص
بأحد الشئين المتجاورين
يصح نسبة اليهما كما في
قوله تعالى يخرج منهما
الؤلؤ والمرجان وإنما
يخرج من الملح وقد جوز
أن يكون الملائكة عليهم
السلام مشي مع الطير
فيوصفوا بالديب وأن
يذلق الله في السماء
حيوانا يشون فيها مشي
الاناس على الارض
كما ينبغي عنه قوله تعالى
ويخزي المالكون وقد
روى أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال فوق
السماء السابعة تجري بين
اسفله واعلاها كابين
السموات والارض ثم فوق
ذلك ثمانية أو عاشرين
ركبين واطلا فهن
كابين السماء والارض
ثم فوق ذلك العرش
العظيم (وهو على
جدهم) أي حشرهم
بعد الموت للحساب
وقوله تعالى

مع انه ينبغي وأجاب عند بل الذي عنده الرزق وينبغي كان المعلوم من حاله انه ينبغي على كل
حال سواء اعطى ذلك الرزق أو لم يعط وأقول هذا الجواب فاسد ويدل عليه اقرآن
والعقل أما القرآن فتدبره تعالى ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى حكم مطلقا بأن حصول
الغنى سبب لحصول الطغيان وأما العقل فهو ان النفس اذا كانت مائلة الى الشر لكنهما
كانت فاقدة للآلات والادوات كان الشر أقل واذا كانت واجدة لها كان الشر أكثر
فثبت ان وجدان المال يوجب الطغيان (المسئلة الثانية) في بيان الوجه الذي لاجله كان
التوسع موجبا للطغيان ذكرنا فيه وجوها (الاول) ان الله تعالى اوسع في الرزق بين
الكل لا تمتنع كون البعض خادما للبعض واوصار الامر كذلك لحرب العالم وتعلقات
المصالح (الثاني) ان هذه الآية مختصة بالعرب فانه كلما اتسع رزقهم ووجدوا من ماء
المطر ما يرويه ومن الكلا والعشب ما يشبعهم أقدموا على النهب والغارة (الثالث)
ان الانسان متكبر بالطبع فاذا وجد الغنى والقدرة عاد الى مقتضى خلقته الاصلية وهو
التكبر واذا وقع في شدة وبلية ومكروه انكسر فعاد الى الطاعة والتواضع (المسئلة
الثالثة) قال خباب بن الارت فينازلت هذه الآية وذلك اننا نظرنا الى أموال بني قريظة
والمنضبر بن قيناع فتبيناهما وقبل نزول في أهل الصفة تمتوا سعة الرزق والغنى ثم قال
تعالى ولكن ينزل بقى ما يشاء اقرأ ابن كثير وأبو عمرو ينزل خفيفة والباقر بالتشديد ثم
نقول بقدر بتقدير يقل قدره قدره قدره الله بماده خير بصير يعني انه علم بأحوال الناس
ويطيعهم ويعاقب أمورهم فيقدر أرزاقهم على وفق مصالحهم ولما بين تعالى أنه
لا يعطيهم ما زاد على قدر حاجتهم لاجل انه علم أن تلك الزيادة تضرهم في دينهم بين انهم اذا
احتاجوا الى الرزق قاله لا ينعمهم - هـ وقال وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا قرأ
نادع وابن عامر وعاصم ينزل شدة واليقون مخففة قال صاحب الكشف قرئ فخطوا
بفتح النون وكسرهما وانزال الغيث بعد القنوط ادعى الى الشكر لان الفرج يحصل
النعمة بعد البلية أتم فكان اخذهم صاحب على الشكر أكثر ويشتر رحمة أي بركات
الغيث ومنافعة وما يحصل به من الخصب وعن عمر رضي الله عنه انه قيل له أشد الغث
وقط الناس فقال ان مطرا اراد هذه الآية ويجوز أن يريد رحمة الواسعة في كل شيء
كأنه قيل ينزل الرحمة التي هي الغيث ويشتر سائر أنواع الرحمة وهو الولي الحميد الولي
الذي يتولى عباده باحسانه والحميد الممدود على ما يصل للخلق من اقسام الرحمة ثم ذكر آية
أخرى تدل على الهيته فقال ومن آياته خلق السموات والارض وما بث فيها من دابة
فتقول أماد لانه خلق السموات والارض على وجود الاله الحكيم فقد ذكرنا ما وكذلك
دلالة وجود الحيوانات على وجود الاله الحكيم فان قيل كيف يجوز اطلاق لفظ الدابة
على الملائكة قلنا فيه وجوه (الاول) انه قد يضاق الفعل الى جماعة وان كان فاعله
واحد منهم يقال بنو فلان فملوا كذا وانما فله واحد منهم ومنه قوله تعالى يخرج منهما

(اذا نشاء) متعلق بما قبله لا بقوله تعالى (قدر) ﴿٤١١﴾ فان المقيد المشبهة جمعه تعالى لا قدرته واذا عند كونها بمعنى

الوقت كما تدخل الماضي
تدخل المضارع (وما
أصابكم من مصيبة)
أي مصيبة كانت (فما
كسبت أيديكم) أي فمضى
بسبب معاصيكم التي
اكتسبتموها وانها لان
ما شرطية أو متضمنة
لمعنى الشرط وقرئ
بدونها اكتفاء بما في
الباء من معنى السببية
(وبعوا عن كثير) من
الذنوب فلا يعاقب
عليها والآية مخصوصة
بالبحر من فان ما أصاب
غيرهم لا سبب آخر منها
تعرضه للثواب بالصبر
عليه (وما أنتم بمعجزين
في الارض) فائتين
ما قضى عليكم من
المصائب وان هر يتم
من أقطارها كل مهرب
(وما لكم من دون الله
من ولي) يحكمكم منها
(ولا نصير) يدفعها
عنكم (ومن آياته الجوار
السفن الجارية
(في البحر) وقرئ
الجواري (كالاعلام)
أي كالجبال على الاطلاق
لأنها عليها النار
للاهداء خاصة (ان

الاولو والمرجان) (الثاني) ان الدبيب هو الحركة والملائكة لهم حركة (الثالث) لا يبر
أن يقال انه تعالى خلق في السموات أنواعا من الحيوانات يشبهون مشي الاناس على
الارض ثم قال تعالى وهو على جميعهم اذ يشاء وقدير قال صاحب الكشاف اذا تدخل على
المضارع كما تدخل على الماضي قال تعالى والملائكة اذا يغشى ومنه اذ يشاء وقدير والمقصود
انه تعالى خلقها منفردة لا لعجز ولكن لمصلحة فلماذا قال وهو على جميعهم اذ يشاء وقدير
يعني الجمع للعشر والحاسبة والمغال على جميعهم ولم يقل على جميعها لاجل أن المقصود من
هذا الجمع المحاسبة فكانه تعالى قال وهو على جميع العقلاء اذ يشاء وقدير واحتج الجاني
بقوله اذ يشاء وقدير على ان مشيئة تعالى محدثة بأن قال ان كلمة اذ تفيد ظرف الزمان
وكلمة يشاء صيغة المستقبل فلو كانت مشيئة تعالى قديمة لم يكن تخصيصها بذلك الوقت
المعين من المستقبل فائدة ولما دل قوله اذ يشاء وقدير على هذا التخصيص علمنا ان مشيئة
تعالى محدثة (والجواب) ان هاتين الكلمتين كما دخلتا على المشيئة أي مشيئة الله فقد
دخلتا أيضا على لفظ القدير فلمن على هذا ان يكون كونه قادرا صفة محدثة ولما كان هذا
باطلا فكذلك القول فيما ذكرته والله اعلم ثم قال تعالى وما أصابكم من مصيبة فما كسبت
أيديكم وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) قرأنا وقع وان عامر بما كسبت بغير فاء وكذلك
هي في مصاحف الشام والمدينة والباقر باغاو وكذلك هي في مصاحفهم وتقدير الاول
ان ما مبتدأ بمعنى الذي وما كسبت خبره والمعنى والذي أصابكم وقم بما كسبت أيديكم
وتقدير اثنائي تضمنين كلمة ما معنى الشرطية (المسئلة الثانية) المراد بهذه المصائب
الاحوال المذكورة نحو الآلام والاستقام والتعط والفرق والصواعق وأشباهاها
واختلفوا في نحو الآلام انها هل هي عقوبات على ذنوب سلفت أم لا منهم من أنكر ذلك
أوجوه (الاول) قوله تعالى اليوم تجزي كل نفس بما كسبت بين تعالى ان الجزاء انما يحصل
في يوم القيامة وقال تعالى في سورة الفاتحة مالك يوم الدين أي يوم الجزاء وأطبقوا على ان
المراد منه يوم القيامة (واثنائي) أن مصائب الدنيا يشترك فيها الزنديق والصادق وما
يكون كذلك أمتع جملة من باب العقوبة على الذنوب بل الاستقراء يدل على أن حصول
هذه المصائب للصالحين والتقين أكثر منه للذنين ولهذا قال صلى الله عليه وسلم خص
البلاء بالانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل (الثالث) ان الدنيا دار التكليف فلو جعل الجزاء
فيها لكانت الدنيا دار التكليف ودار الجزاء معا وهو محال وأما القائلون بأن هذه
المصائب قد تكون أجزبة على الذنوب المتقدمة فقد نسكوا أيضا بما روي عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال لا يصيب ابن آدم خدش عود ولا غيره الا ذنب أولف هذا معناه
ونسكوا أيضا بهذه الآية ونسكوا أيضا بقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم
طيبات ونسكوا أيضا بقوله تعالى بعد هذه الآية أو يوبقهن بما كسبوا وذلك تصريح
بأن ذلك الاهلاك كان بسبب كسبهم واجاب الاولون عن التسك بهذه الآية فقالوا ان

بشأ يسكن الريح) التي تخر بها وقرئ الرياح (فيظللان رواك على ظهره) فيقين ثواب على ظهر البحر أي غير
جاريات لا غير بحر كان أصلا

(ان في ذلك) الذي ذكر من السفن التي تبحر في تارة وركدن أخرى (٤١٢) على حسب مشيئة تعالى (آيات) عظيمة

في انفسها كثيرة في العدد دالة على ما ذكر من شئونه تعالى (لكل صبار شكور) لكل من حبس نفسه عن التوجه الى ما لا ينبغي وكل هتة بالنظر في آيات الله تعالى والتفكير في آذنه أو اكل مؤمن كامل فان الايمان نصفه صبر ونصفه شكر (أو يوفقهن بما كسبوا) عطف على يسكن والمعنى ان يشأ يسكن الريح فيركدن أو يرسلها فيترقن بعصفها وايقاع الابواق عليهن مع أنه حال اهلهن للبيان لغة والتهويل واجراء حكمه على العفو في قوله تعالى (ويعف عن كثير) لما أن المعنى أو يرسلها فيبقى ناسا وينج آخرين بطريق العفو عنهم وقرئ ويعفوا على الاستئناف (ويعلم الذين يحسدون في آياتنا) عطف على علة مقدرة مثل ليتقم منهم ويعلم الخ كافي قوله تعالى ولتجمله آية للناس

حصول هذه المصائب يكون من باب الامتحان في التكليف لامن باب العقوبة كافي حق الابداء والاولياء ويحمل قوله فيما كسبت أيديكم على أن اذلصم عند آياتكم بذلك الكسب ازال هذه المصائب عليكم وكذا الجواب عن بقية الدلائل (المسئلة الثالثة) اخرج أهل التامخ بهذه الآية وكذلك الذين يقولون ان الاطفال والبهائم لا تتألم فتاوادلت الآية على أن حصون المصائب لا يكون الا السابقة الجرم ثم ان أهل التامخ قالوا لكن هذه المصائب حاصلة للاطفال والبهائم فوجب أن يكون قد حصل لها ذنوب في الزمان السابق وأما التائلوب بأن الاطفال والبهائم ليس لها المفاو اقدتت ان هذه الاطفال والبهائم ما كانت موجودة في بدن آخر لفساد اشول بالتامخ فوجب القطع بأنها لا تتألم اذ الالم مصيبة (والجواب) ان قوله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم خطاب مع من يفهم ويعقل فلا يدخل فيه البهائم والاطفال ولم يقل تعالى ان جميع ما يصيب الحيوان من المكارة فله بسبب ذنب سابق والله أعلم (المسئلة رابعة) قوله فيما كسبت أيديكم يقتضي اضافة الكسب الى اليد قال والكسب لا يكون باليد بل بالقدرة القائمة باليد واذا كان المراد من لفظ اليد ههنا القدرة وكل هذا المجاز مشهورا مستعملا لكان لفظ اليد الوارد في حق الله تعالى يجب حله على القدرة تنزيها لله تعالى عن الاعضاء والاجزاء والله أعلم ثم قال تعالى ويعفوا عن كثير ومعناه انه تعالى قد يترك الكثير من هذه التشديدات بفضله ورحمته ومن الحسن قال دخلنا على عمران بن حصين في الوجع الشديد فقل له انا لنعم لك من بعض ما ترى فقال لاتعفوا فوالله ان أحبه الى الله أحبه الى قرأ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم فهذا بما كسبت يداي وسيأتي غفور ربى وقد روى أبو سحنه عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية وقال ماعفا الله عنه فهو أعز وأكرم من أن يعود اليه في الآخرة وما عاف عليه في الدنيا فالله أكرم من أن يعيد العذاب عليه في الآخرة رواه الواحدى في البسيط وقال اذا كان كذلك فهذه ارجى آية في كتاب الله لان الله تعالى جعل ذنوب المؤمنين صنفين صنف كفر عنهم بالمصائب في الدنيا وصنف عفا عنه في الدنيا وهو كريم لا يرجع في عفو هذه سنة الله مع المؤمنين وأما الكافر فلا تله لا يعجل عليه عقوبة ذنوبه حتى يوافي به يوم القيامة ثم قال تعالى وما أنتم بمعجزين في الارض يقول ما أنتم بامعش المشركين بمعجزين في الارض اى لانعجزوننى حيث ما كنتم فلا تنسبوننى بسبب هربكم في الارض وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير والمراد بهم من بعد الاصنام بين أنه لا فائدة فيها البتة والنصير هو الله تعالى فلا جرم هو الذى تحسن عبادته * قوله تعالى (ومن آياته الجوارى في البحر كالاعلام ان يشأ يسكن الريح فيظلال رواءك على ظهره ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور أو يوفقهن بما كسبوا ويعف عن كثير ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص فأؤتيتهم من شئ نخاع الحياة الدنيا وما عند الله خير

وقوله ولتعلمه من تأويل الاحاديث ونظائرهما وقرئ بالرفع على الاستئناف وبالجرم عطا على يعف * وابق *

فيكون المعنى وان بشأ يجمع بين اهلاك قوم وانجاء قوم وتحذير قوم

(مالهم من محيص) أى من مهرب من العذاب والجللة معلق عنها القمل (فأؤتيتهم من شئ) مما ترهبون وتتنافسون فيه (فخاض الحياة الدنيا) أى فهو متاعها ٤١٣ ﴿تدعون به مدة حياتكم (وما عند الله) من ثواب الآخرة (خير) ذاتا

خلوص نفعه (وأبى) زمانا حيث لا يزول ولا ينفى (الذين آمنوا) وعلى ربهم يتوكلون (لاعلى غيره أصلا والموصول الأول لما كان متضمنا معنى الشرط من حيث ان ابتداء ما أتوا سبب للتمتع بها في الحياة الدنيا دخلت جوابها الفاء بخلاف الثاني وعن على رضى الله عنه انه تصدق أبو بكر رضى الله عنه بماله كله فلا جمع من المسلمين ففترت وقوله تعالى (والذين ينجثون كبار الأثم) أى الكبار من هذا الجنس (والفواحش) وإذا ما غضبوا هم يغفرون (مع ما بعده صطف على القدين آمنوا أو مدح بالنصب أو الرفع وبناء يغفرون على التفسير خبر له للدلالة على أنهم الاختصاص بالمغفرة حال الغضب مرة متألها وقرئ كبر الأثم وعن ابن عباس رضى الله عنهما كبير الأثم الشرك (والذين استجابوا لربهم

وأبى نادى آمنوا وعلى ربهم يتوكلون والذين ينجثون كبار الأثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمسوا هم شورى بينهم وما رزقناهم ينفقون والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون (وفي الآية مسائل (المسئلة الأولى) قرأ نافع وأبو عمرو والجوارى ياء في الوصل والوقف فثبتت الياء على الأصل وحذفوا الخفيف (المسئلة الثالثة) الجوارى بمعنى السفن الجوارى فحذف الوصف لعدم الالتباس (المسئلة الثانية) اعلم أنه تعالى ذكر من آياته أيضا هذه السفن العظيمة التي تجري على وجه البحر عند هبوب الرياح وإعلم أن المقصود من ذكره أمران (أحدهما) أن يستدل به على وجود القادر الحكيم (والثاني) أن يعرف ما فيه من انعم العظيمة لله تعالى على المباد (أما الوجه الأول) فقد اتفقوا على أن المراد بالاعلام الجبال قامت الخلاء في مرئيد أخيتها

وان صخر التأم الهداة به * وكأنه علم في رأسه نار

ونقل ان النبي صلى الله عليه وسلم استشهد قصيدتها هذه فلما وصل الراوى الى هذا البيت قال قاتلها الله ما رصيت بتدبيرها بالجليل حتى جعلت على رأسه نار اذا عرفت هذا فنقول هذه السفن العظيمة التي تكون كالجبال تجري على وجه البحر عند هبوب الرياح على أسرع الوجوه وعند سكون هذه الريح تقف وقد ينال بالدليل في سورة النحل ان محرك الريح ومسكنها هو الله تعالى اذ لا يتدر أحد على تحريكها من البشر ولا على تسكينها وذلك يدل على وجود الاله القادر وأيضا ان تلك السفينة تكون في غاية الثقل ثم انها مع ثقلها ثابتة على وجه الماء وهو أيضا دلالة أخرى (وأما الوجه الثاني) وهو معرفة ما فيها من المنافع فهو انه تعالى خص كل جانب من جوانب الارض بنوع آخر من الانعمة واذنقل متاع هذا الجانب الى ذلك الجانب في السفن وبالعكس حصلت المنافع العظيمة في التجارة فلهذه الاسباب ذكر الله تعالى حال هذه السفينة ثم قال تعالى ان يشأ يسكن الريح فيظللان رواكده على ظهريه قرأ أبو عمرو والجمهور بهجرة ان يشأ لان سكون الهجرة علامة للبحر وعن ورش عن نافع بلا همز وقرأ نافع وحده بسكن الريح على الجمع والباقون الريح على الواحد قال صاحب الكشف قرئ يظللان بفتح اللام وكسر هاء من ظل يظل ويظلل وقوله تعالى رواكده أى لا تجرى على ظهره أى على ظهر البحران في ذلك لايات اكل صبار على بلاء الله شكور نعمائه والقصود التبيد على أن المؤمن يجب أن لا يكون غافلا عن دلائل معرفة الله البتة لانه لا بد وأن يكون اما في البلاء واما في الآلاء فان كان في البلاء كان من الصابرين وان كان في النعماء كان من الشاكرين وعلى هذا التدبير فانه لا يكون البتة من الغافلين ثم قال تعالى أو يو بقهن بما كسبوا يعنى أو يهلكهن يقال أو يهلكه ويقال للمعجم أو يفته ذنبه أى أهلكته والمعنى انه تعالى ان شاء ابتلى المسافر بين في البحر بأحدى بلتين اما أن يسكن الريح فتركد

واقاموا الصلاة) نزلى في الانصار دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ايمان فاستجابوا له

(وأمرهم شورى بينهم) أي فوشورى لا يفردون برأى حتى يشاوروا ويخبروا وأهلها وكانوا قبل الهجرة وبهذا إذا حذر بهم أمر اجتماعوا وتشاوروا (وعارز قناهم يعقون) أي في سبيل الخير **ع ٤١٤** وأمل فصله عن قرينه بذكر المشاورة

لوقوعها عند اجتماعهم
للصلوات (والذين إذا
أصابهم البغي هم
يقتضرون) أي يذمومون
من بغي عليهم على
ما جعله الله تعالى لهم
كرهه النذل وهو
وصف لهم بالشجاعة
بعد وصفهم بسائر
مهمات الفضائل
وهذا لا يتناقض وصفهم
بالعقران فإن كلامهما
فضيلة مضمومة في موقع
نفسه ورذيلة مذمومة
في موقع صاحبه فإن
الحلم عن العاجز وصورة
الكرام مجحود وعن
الغلب واتواء اللئام
مذموم فانه اغراء على
البغي وعليه قول من قال
* إذا أنت أكرمت الكريم
ملكته * وإن أنت
أكرمت اللئيم تمردا
* فوضع الندى في موضع
السيف بالعلا * مضر
كوضع السيف
في موضع الندى *
وقوله تعالى (وجزاء
سنة سيئة مثله) بيان
لوجه كون الانتصار
من الحصول الجيدة مع
كونه في نفسه اساءة

الجواري على متن البحر وتقف وأما أن يرسل الزياح عاصفة فيها فممكن بسبب الاغراق
وعلى هذا التقدير قوله أو يوبقهن معطوف على قوله يسكن لأن التقدير أن يشأ يسكن
البحر فيركن أو يصفها فيقرقن بصفة ما وقوله يعقون كثير معناه أن يشأ يهلك ناسا
ويج ناسا على طريق العفو عنهم فإن قيل فاعني ادخال المعفو في حكم الابق حيث
جعل مجز وما مثله قلنا معناه ان يشأ يهلك ناسا على طريق العفو عنهم وأما من
قرأ أو يعقون قد استأنف الكلام ثم قال ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص
قرأ نافع وابن عامر يعلم بالرفع على الاستئناف وقرأ الباقون بالنصب فالترادف بالرفع على
الاستئناف وأما بالنصب فللعطف على تعليل المحذوف تقديره ليتقم منهم ويعلم الذين
يجادلون في آياتنا والعطف على التعليل المحذوف غير عز يز في القرآن ومنه قوله تعالى
ولتبعه آية أناس وقوله تعالى خالق السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت
قال صاحب الكشف أو من قرأ على جزم ويعلم فكأنه قال أو أن يشأ يجمع بين ثلثه
أمر هلاك قوم ونجاة قوم وتحذير آخرين إذا عرفت هذا فنقول معنى الآية ويعلم
الذين يجادلون أي ينازعون على وجه التكذيب ان لا تخلف لهم إذا وقفت السفن وإذا
عصفت الزياح فيصير ذلك سببا للاعترافهم بأن الله النافع الضار ليس إلا والله واعلم أنه تعالى
لما ذكر دلائل اتوحيده أردفها بالتغير عن الدنيا وتحذير شأنها لأن الذي يمنع من قبول
الدليل إنما هو الرغبة في الدنيا بسبب الرئاسة وطلب الجاه فإذا صغرت الدنيا في عين
الرجل لم يلتفت إليها فحينئذ ينفع بذكر الدلائل فقال فأو تيقم من شيء فناع الحياة الدنيا
وسماه متاعا فلبها على قلته وحمارته ولأن الحس شاهد بأن كل ما يتعلق بالدنيا فانه يكون
سريع الانقراض والانقضاء ثم قال تعالى وما عند الله خير وأبقى والمعنى ان مطالب الدنيا
خسيسة منقرضة ونبه على خساستها بتسميتها بالمتاع ونبه على انقراضها بأن جعلها من
الدنيا وأما الآخرة فأنها خير وأبقى وصرح العقل بقضى ترجيح الخير الباقي على
الخسيس القاني ثم بين ان هذه الخير بما تحصل لمن كان موصوفاً بصفات (الصفة الاولى)
الاولى ان يكون من المؤمنين بدليل قوله تعالى للذين آمنوا (الصفة الثانية) أن
يكون من المتوكلين على فضل الله بدليل قوله تعالى وعلى ربهم يتوكلون فأما من زعم أن
الطاعة توجب الثواب فهو متكمل على عمل نفسه لا على الله فلا يدخل تحت الآية (الصفة
الثالثة) أن يكونوا مجتنبين لكبار الأثم والفواحش عن ابن عباس كبر الأثم هو الشرك
نقله صاحب الكشف وهو عندى بعيد لان شرط الايمان مذكور أو لا وهو يعني عن
عدم الشرك وقيل المراد بكبار الأثم ما يتعلق بالبدع واستخراج السبهات وبالفواحش
ما يتعلق بالقوة الشهوانية وقوله وإذا ما غضبوا هم يغفرون ما يتعلق بالقوة الغضبية
وأما خص الغضب بلفظ العقران لان الغضب على طبع النار واستلاؤه شديد ومقاومته
صعبة فلهذا السبب خصه بهذا اللفظ والله أعلم (الصفة الرابعة) قوله تعالى والذين

ان خيرا فخير وان شرا فاشمرو فيه تنبيه على حرمة التعدي واطلاق السببة على الثانية لانها تسوء من نزلت به (فن عفا)
على السيئة اليه (واصلح) بينه وبين من عفا عليه بالعتو والاغضاء كما في قوله تعالى فاذا الذي بينك وبينه

عداوة كأنه ولي حميم
(وأجره على الله) عدة
مهمة منبهة من عظم
شأن الموعود وخروجه
عن الحد المعهود (انه
لا يحب الظالمين) البادئين
بالسببة والمتعدين في
الانتقام (ولن انتصم
بعد ظلمه) أي بعد ما ظلم
وقد قري به (فأولئك)
اشارة الى من باعتبار
المعنى كما أن الضعيفين
ايها باعتبار اللفظ (ما
عليهم من سبيل) بالمعاقبة
أو المعاقبة (انما السبيل)
عن الذين يظلمون الناس)
يبدؤونهم بالاضرار أو
يعتدون في الانتقام
(ويبغون في الارض بغير
الحق) أي يتكبرون فيها
تجبر او فسادا (أولئك)
الموصوفون بما ذكر من
الظلم والبغي بغير الحق
(لهم عذاب أليم) بسبب
ظلمهم وبغيهم (ولن
صبر) على الاذى
(وغفر) ان ظلمه ولم
يتصبر وقوض أمره
الى الله تعالى (ان ذلك)
الذي ذكر من الصبر
والمغفرة (لن عزم الامور)
أي ان ذلك منه فحذف

استجابوا لهم والمراد منه تمام الانقياد فان قالوا أنيس انه لما جعل الايمان شرطا فيه
فقد دخل في الايمان اجابة الله قلنا الاقرب عندي أن يحمل هنا على الرضاء بقضاء الله
من صميم القلب وان لا يكون في قلبه منازعة في أمر من الامور ولما ذكر هذا الشرط قال
وأقاموا الصلاة والمراد منه اقامة الصلوات الواجبة لان هذا هو الشرط في حصول
الثواب وأما قوله تعالى وأمرهم شورى بينهم فقبل كان اذا وقعت بينهم واقعة اجتماعوا
وتشاوروا فأثنى الله عليهم أي لا ينفردون برأي بل ما لم يجتمعوا عليه لا يقدمون عليه وعن
الحسن ما تشاور قوم الا هدوا لأرشد أمرهم والشورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور
ومعنى قوله وأمرهم شورى بينهم أي ذو شورى (الصفة الخامسة) قوله تعالى والذين
اذا أصابهم البغي هم ينتصرون والمعنى أن يقتصروا في الانتصار على ما جعله الله لهم
ولا يتعدونه وعن النبي انه كان اذا قراها قال كانوا يكرهون ان يذأوا أنفسهم فيجترأ
عليهم السفهاء فان قيل هذه الآية مشكلة لوجهين (الاول) انه لما ذكر قوله واذا
ما غضبواهم يغفرون فكيف يليق أن يذكر معه ما يجري مجرى النص له وهو قوله والذين
اذا أصابهم البغي هم ينتصرون (الثاني) وهو أن جميع الآيات دالة على أن العفو
أحسن قال تعالى وان تعفوا أقرب للتقوى وقال واذا مروا بياغمر مروا كراما وقال خذ
العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقال وان طافتم فاعفوا عمن يظلمون فاعفوا عنهم به
وإن صبرتم لهو خير للاصبارين فهذه الآيات تناقض مدلول هذه الآية (والجواب)
ان العفو على قسمين (أحدهما) ان يصبر العفو سببا لتسكين الفتنة وجناية الجاني
ورجوعه عن جنائته (والثاني) أن يصبر العفو سببا لمزيد جرأة الجاني وقوة غيظه
وغضبه والآيات في العفو مجمولة على القسم الاول وهذه الآية مجمولة على القسم
الثاني وحينئذ يزول التناقض والله أعلم الا ترى ان العفو عن المصير يكون كالانذار له
وغيره فلو أن رجلا وجد عبده فجر شجارته وهو مصر فلو عفا عنه كان مذموما وروى
أن زينب أقبلت على عائشة فشتها فنهاها النبي صلى الله عليه وسلم عنها فلم تنفد فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فانتصري وأيضاً انه تعالى لم يرغب في الانتصار بل بين
انه مشروع فقط ثم بين بعده أن شرعه مشروط بعبادة المظلوم ثم بين ان العفو أولى بقوله
فن عفا وأصلح فأجره على الله فزال السؤال والله أعلم * قوله تعالى (وجزا سببة سببة
مظلمها فن عفا وأصلح فأجره على الله انه لا يحب الظالمين ولن انتصم بعد ظلمه فأولئك
ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق
أولئك لهم عذاب أليم ولن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور ومن بضل الله غاله من ولي
من بعده وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل الى مرد من سبيل وتراهم يعرضون
عليها خاشعين من الذل يظفرون من طرف حتى قال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين

تقف بغاية ظهوره كافي قولهم السنين منوا بدينهم وهذا في المواد التي لا يؤدى العفو الى التكرار أشير

الآية (ومن يضل الله فإله من دونه) من ناصر يتولاه من بعد خذلانه تعالى إياه (وترى الظالمين لما رأوا العذاب) أي حين يرونه وصيغة الماضي للدلالة على التحقيق (يقولون هل إلى مرد) (٤١٦) أي إلى رجعة إلى الدنيا (من سبيل)

خسر وأضلهم وأهلهم يوم القيامة أذان الظالمين في عذاب مقيم وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضل الله فإله من سبيل) اعلم أنه تعالى للمآل والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون وأردفه بما يدل على أن ذلك الانتصار يجب أن يكون مقيدا بالمثل فإن نقصان حيف وزيادة ظلم والتساوي هو العدل وبه قامت السموات والأرض فلهذا السبب قال وجزاء سبعة سبعة مثلها وفي الآية مسائل (المسألة الأولى) لقتال أن يقول جزاء السبعة مشروح مأذون فيه فكيف سمى بالسبعة أجاب صاحب الكشف عنه كلنا الفعلين الأولى وجزاءها سبعة لأنها تسوء من تنزل به قال تعالى وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك يريد ما يسوءهم من المصائب والبلايا وأجاب غيره بأنه لما جعل أحدهما في مقابلة الآخر أطلق اسم أحدهما على الآخر على سبيل المجاز والحق ما ذكره صاحب الكشف (المسألة الثانية) هذه الآية أصل كبير في علم الفقه فإن مقتضاها أن تقابل كل جناية بمثلها وذلك لأن الإهدار يوجب فتح باب الشر والعدوان لأن في طبع كل أحد الظلم والبغي والعدوان فإذا لم يجر عنه أقدم عليه ولم يتركه وأما الزيادة على قدر الذنب فهو نظم والشرع مبرز عنه فلم يبق إلا أن يقابل بالمثل ثم تأكد هذا النص بخصوص آخر قوله تعالى وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عاقبتم به وقوله تعالى من عمل سيئة فلا تجزى الأمثلة وقوله عز وجل كتب عليكم القصص في القتلى والقصص عبارة عن المساواة والمماثلة وقوله تعالى والجور ح قصاص وقوله تعالى ولكم في القصص حكمة فهذه القصص بأسرها تقتضي مقابلة الشيء بمثله ثم هي نادرة قيمة وهي أنه إذا لم يمكن استيفاء الحق بالإستيفاء الزيادة فهو نادر العارض بين الحق وزيادة الضرر بالجاني وبين منع المجني عليه من استيفاء حقه فأيهما أولى فهو هنا محل اجتهد المجتهدون ويختلف ذلك باختلاف الصور وتفرع على هذا الأصل بعض المسائل تنبيهها على الباقي (المثال الأول) احتج الشافعي رضي الله عنه على أن المسلم لا يقتل بالذمي وإن الحر لا يقتل بالعبد بأن قال المماثلة شرط لجريان القصص وهي مفقودة في هاتين المسئلتين فوجب أن لا يجري القصص بينهما أما بيان أن المماثلة شرط لجريان القصص فهي التصور المذكورة وكيفية الاستدلال بها أن نقول إما أن نحمل المماثلة المذكورة في هذه التصور على المماثلة في كل الأمور الأماخصة الدليل أو نحملها على المماثلة في أمر معين والثاني مرجوح لأن ذلك الأمر المعين غير مذكور في الآية فلو حملنا الآية عليها لزم الأجل والوجه لنا النص على القسم الأول لزم تحمل التخصيص ومعلوم أن دفع الأجل أولى من دفع التخصيص فثبت أن الآية تقتضي رعاية المماثلة في كل الأمور الأماخصة دليل العقل ودليل نقل منفصل وإذا ثبت هذا فنقول رعاية المماثلة في قتل المسلم بالذمي وفي قتل الحر بالعبد لا يمكن لأن الإسلام اعتبره الشرع في إيجاب القتل له عند عدمه كما في حق الكافر الأصلي ولا بقاءه عند وجوده كما في حق

حتى نؤمن وعمل صالحا (وتراهم يعرضون عليها) أي على النار المدلول عليهم بالعذاب والخطاب في الموضعين لكل من يتأذى منه الرؤية (خاشعين من الذل) متذللين متضائلين بما دهاهم (ينظرون من طرف خفي) أي يتدبسون نظرمهم إلى النار من تحريك لأجفانهم منهفك كالصبور ينظر إلى السيف (وقال الذين آمنوا إن الخاسرين) أي المتصفين بحقيقة الخسران (الذين خسروا أنفسهم وأهلهم) بالعرض للعذاب الخالد (يوم القيامة) أما طرف الخسران وأما القول في الدنيا أو قال فالقول يوم القيامة أي يقولون حين يرونهم على تلك الحال وصيغة الماضي للدلالة على تحققه وقوله تعالى (ألان الظالمين في عذاب مقيم) أما من تسام كلامهم أو تصديق من الله تعالى لهم (وما كان لهم من أولياء ينصرونهم) برفع العذاب عنهم (من دون الله) حسبما كانوا يرجون ذلك في الدنيا (ومن يضل الله فإله من سبيل) يؤدى سلوكه إلى الهلاك المرتد

(استجيبوا لربكم) اذعلكم

الى الايمان على اسان

نبيه (من قبل أن يأتي

يوم لا مرد له من الله)

أى لا يردده الله بسعد

ما حكم به على أن من

صلة مرد أو من قبل أن

يأتي من الله يوم لا يمكن

رده (ما لكم من ملجأ

يومئذ) أى مفر تلتجئون

اليه (وما لكم من نكير

لما اقترفوه) لأنه مدون

في صحائف أعمالكم

وتشهد عليكم جوارحكم

(فإن أعرضوا فما

أرسلناك عليهم حفيظا)

تاوون للكلام وصرفه

عن خطاب الناس بعد

أمرهم بالاستجابة

وتوجيهه الى الرسول

عليه الصلاة والسلام

أى فإن لم يستجيبوا

وأعرضوا عند عودهم

اليه فما أرسلناك رقيباً

ومحاسباً عليهم (إن عليك

الابلاغ) وقد فعلت

(وإن اذأذنا الإنسان

منارحة) أى نعمة من

الصحة والغنى والامن

(فرح بها) أريد بالإنسان

المرتد وأيضاً الحربة صفة اعتبر بها الشرع في حق القضاء والامامة والشهادة فثبت ان
المائة شرط لجران القصاص وهي مفقودة ههنا فوجب المنع من القصاص (المثال
الثاني) احتج الشافعي رضي الله عنه في أن الأيدي تقطع باليد الواحدة فقال لا شك انه
اذا صدر كل القطع أو بصدع عن كل أولئك القاطعين أو عن بعضهم فوجب أن يشترع في
حق أولئك القاطعين مثله لهذه النصوص وكل من قال بشرع القطع اماكاه أو بصدع في
حق كلهم أو بعضهم قال بايجابه على الكل بقى أن يقال فليزمن منه استيفاء الزيادة من
الجاني وهو ممنوع منه الا ان تقول لما وقع التعارض بين جانب الجاني وبين جانب المجنى
عليه كان جانب المجنى عليه بالرعاية أولى (المثال الثالث) شرى بك الاب شرع في حقه
القصاص والدليل عليه انه صدر عنه الجرح فوجب أن يقابل بمثله لقوله تعالى والجروح
قصاص وإذا ثبت هذا ثبت تمام القصاص لانه لا قاتل بالفرق (المثال الرابع) قال
الشافعي رضي الله تعالى عنه من حرق حرقتاه ومن غرق غرقناه والدليل عليه هذه
النصوص الدالة على مقابلة كل شيء بمثاله (المثال الخامس) شهود القصاص اذ ارجعوا
وقالوا تعدنا بالكذب يلزمهم القصاص لانهم تلك الشهادة اهدروا مد فوجب أن يسير
دمهم مهدراً لقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها (المثال السادس) قال الشافعي رضي الله
عنه المذكرة يجب عليه القود لانه صدر عنه القتل فلما فوجىب أن يجب عليه مثله امانته
صدر عنه القتل فالحس بدل عليه وأما أنه قتل فلما قاتل المسلمين أجوعا وعلى أنه مكلف من
قبل الله تعالى بان لا يقتل وأجوعا على أنه يستحق به الاثم العظيم والعقاب الشديد واذا
ثبت هذا فوجب أن يقابل بمثله لقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها (المثال السابع) قال
الشافعي رضي الله عنه القتل بالمثل يوجب القود والدليل عليه ان الجاني أبطل حياته
فوجب أن تمكّن ولي المقتول من ابطال حياة القاتل لقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها
(المثال الثامن) الحر لا يقتل بالبدن قصاصا ونحن وان ذكرنا هذه المسئلة في المثال الاول
الا اننا ذكره هنا وجه آخر من البيان فتقول ان القاتل أنف على مالك العبد شيئا يساوي
عشرة دنانير مثلاً فوجب عليه أداء عشرة دنانير لقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها واذا
وجب الضمان وجب أن لا يجب القصاص لانه لا قاتل بالفرق (المثال التاسع) منافع
الغصب مضنونة عند الشافعي رضي الله عنه والدليل عليه ان الغاصب فوت على المالك
منافع تقابل في العرف بدينار فوجب أن يفوت على الغاصب مثله من المال لقوله تعالى
وجزاء سيئة سيئة مثلها وكل من أوجب تقويت هذا القدر على الغاصب قال بانه يجب
أداؤه الى المصوب منه (المثال العاشر) الحر لا يقتل بالعبد قصاصا لانه لو قتل بالعبد
لكان هو مساويا للعبد في المعاني الموجبة للقصاص لقوله من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها
ولسائر النصوص التي تلونها اثم ان عبد غيره يقتل قصاصا بعبد نفسه فوجب أن يكون
عبد غيره مساويا للعبد نفسه في المعاني الموجبة للقصاص لعين هذه النصوص التي ذكرناها

الجنس لقوله تعالى (وان
تصهم سبيته) أى يلا
من مرض وفقر وخوف
(بما قدمت أيديهم قال
الانسان كفور) ببلغ
الكفر يسمى العمة
رأسا ويذكر البايعة
ويستغفرها ولا يتأمل
سببها بل يزعم أنها
أسأبت به فغير استغفارة
لها واستاذ هذه الحصلة
الى الجنس مع كونها من
خواص الجبرمين لغيرهم
فيما بين الافراد وتصدر
الشريعة الاولى باذامع
استناد الاذقة الى نون
العظمة التي تبدي على ان
ايصال العمة تحقق
الوجود كثير الوقوع
وأنه مقتضى الذات
بأن تصدر الثانية بان
واستناد الاصابة الى
السببية وتعليلها بأعمالهم
للإيدان بتدرة وقوعها
وأنها بمنزلة عن الاتظام
في سلك الارادة بالذات
ووضع الظاهر موضع
الضمير للتسجيل على
أن هذا الجنس موسوم
بكفران النعم (لله ملك
المعروف)

فعلى هذا التقدير يكون عبد نفسه مساويا بعد غيره في المعاني الموجبة للتقصص فكان
عبد نفسه مثلالملك نفسه و مثل المثل مثل فوجب كون عبد نفسه مثلالملك نفسه في المعاني
الموجبة للتقصص ولو قتل الحر بعد غيره لقتل عبد نفسه بالبيان الذي ذكرناه ولا يقتل
بعد نفسه فوجب ان لا يقتل بعد غيره فقد ذكرناه هذه الامثلة العشرة في التفريع على
هذه الايدى ومن أخذت الفطانة بيده سهل عليه تفريع كثير من مسائل الشريعة على هذا
الاصلي والله اعلم ثم ههنا بحث وهران بأحقيقة رضى الله عنه قال في قساع الايدى لاسك
انه صدر كل القطع أو بعضه عن كلهم أو عن بعضهم الا انه لا يمكن استيفاء ذلك الحق
الباستيفاء الزيادة لان تقويت عشرة من الايدى أز يد من تقويت يد واحدة فوجب ان
يتقوى على أصل الحرمة قتل الشافعي رضى الله عنه أو كان تقويت عشرة من الايدى في
مقابلة يد واحدة حراما لكان تقويت عشرة من النفوس في مقابلة نفس واحدة حراما
لان تقويت النفس يشتمل على تقويت اليد فتقويت عشرة من النفوس في مقابلة النفس
الواحدة يوجب تقويت عشرة من الايدى في مقابلة اليد الواحدة فلو كان تقويت عشرة
من الايدى في مقابلة اليد الواحدة حراما لكان تقويت عشرة من النفوس لاجل النفس
الواحدة مشتملا على الحرام والمشتل على الحرام حرام فكان يجب أن يحرم قتل النفوس
العشرة في مقابلة النفس الواحدة وحيث أجوبنا على انه لا يحرم علما ان ما ذكرتم من
استيفاء الزيادة غير مجموع منه شرعا والله اعلم (المسئلة الثالثة) قد بينا ان قوله وجزاء
سبيته سبيته مثله يقتضى وجوب رعايته المماثلة لمطابق في كل الاحوال الا فيما خصه الدليل
والفتفاء ادخلوا التخصيص فيه في صور كثيرة فتارة بناء على نص آخر اخص منه وأخرى بناء
على القياس ولا شك ان من ادعى التخصيص فعليه البيان والمكف بكيفية أن يتمك بهذا
النص في جميع المسائل قال مجاهد السدي اذا قال له أخراه الله فليقل له أخراه الله أما
اذا قدفه فتقوى بوجوب الحد فليس اذ ذلك بل الحد الذي أمر الله به ثم قال تعالى فمن عني
وأصلح بينه وبين خصمه بالنفو والاضضاء كما قال تعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه
ولى حميم فأجبه على الله وهو وعدمهم لا يفسد أمر في التعظيم ثم قال تعالى انه لا يحب
الظالمين وفيه قولان (الاول) ان المقصود منه التنبيه على ان المجنى عليه لا يجوز له استيفاء
الزيادة من الظالم لان الظالم فيما وراء ظلمه معصوم والانتصار لا يكاد يؤمن فيه تجاوز
التسوية والتعدي خصوصا في حال الحرب والنهب الحمية فربما صار المظلوم عند الاقدام
على استيفاء التقصاص ظالما وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة نادى
مناد من كان له على الله أجر فليقم قال فبوم خلق فيقال لهم ما أجركم على الله فقولون نحن
الذين عفووا عن ظلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة باذن الله تعالى (الثاني) انه تعالى لما حث على
العفو عن الظالم أخبر انه مع ذلك لا يحمي تبيها على انه اذا كان لا يحب مع ذلك فانه يندب
الى عفو ظالم من الذي هو حبيب الله بسبب ايمانه أول أن يعفو عنه ثم قال تعالى ولمن

انتصر بعد ظلمه أى ظلم الظالم إياه وهذا من باب إضافة المصدر الى المفعول فأولئك يعنى المنتصرين ما عليهم من سبيل كقوله ومواخذة لانهم أتوا بما أبيع لهم من الانتصار واحتج الشافعى رضى الله تعالى عنه بهذه الآية فى بيان أن سرية القود مهدرة فقال الشرع امدان يقال انه أفذل فى القطع مطلقاً أو بشرط ان لا يحصل منه السران وهذا الثانى باطل لان الاصل فى القطع الحرمة فإذا كان تجوز به معلقاً بشرط عدم السران وكان هذا الشرط مجعولاً وجب أن يبقى ذلك القمط على أصل الحرمة لان الاصل فيها هو الحرمة والحال انما يحصل معلقاً على شرط مجعول فوجب أن يبقى ذلك على أصل الحرمة وحيث لم يكن كذلك علمنا ان الشرع أفذل فى القطع كيف كان سواء سرى أو لم يسر وإذا كان كذلك وجب ان لا يكون ذلك السران مضروباً لانه قد انتصر من بعد ظلمه فوجب أن لا يحصل لاحد عليه سبيل ثم قال انما الدليل على الذين يظلمون الناس أى يدون بالظلم وينفون فى الارض بغير الحق أو تلك لهم عذاب أنهم ثم قال تعالى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور والمعنى وان صبر بأن لا يقصص وغفر وتجاوز فن ذلك الصبر والتجاوز من عزم الأمور يعنى ان عزمه على ترك الانتصار لمن عزم الاذوار الجيدة وحذف الزاجع لانه مفهوم كاحذف من قولهم السمن منوان بدرهم ويشكى ان رجلا سب رجلاً فى مجلس الحسن فكان المسبوك يظلم ويعرق فيمسح العرق ثم قام وتلاهذه الآية فقال الحسن عقلها والله وفهمها الماضيه بها الجاهلون ثم قال تعالى ومن يضل الله فإله من ولى من بعده أى فليس له من ناصر يؤوله من بعده خلا لانه أى من بعد اضلال الله إياه وهذا صريح فى جواز الاضلال من الله تعالى وفى ان الهداية ليست فى مقدور احد سوى الله تعالى قال القاضى المراد ومن يضل الله عن الجنة فإله من ولى من بعده ينصره (والجواب) أن تقييد الاضلال بهذه الصورة المعينة خلاف الدلائل وأيضاً فالله تعالى ما أضله عن الجنة على قولكم بل هو أضل نفسه عن الجنة ثم قال تعالى وترى الظالمين لمارأوا العذاب يقولون هل الى امر من سبيل والمراد انهم يطلبون الرجوع الى الدنيا لعظم ما يشاهدون من العذاب ثم ذكر حالهم عند عرض النار عليهم فقال وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل أى حال كونهم خاشعين خفيرين مهانين بسبب ما لحقهم من الذل ثم قال ينظرون من طرف خفى أى يبتدى نظره من تحريك لاجسادهم ضعيف خفى بمسارقة كالتري الذى يتيقن أن يقتل فانه يظن الى السيف كأنه لا يقدر على أن يفتح أجفانه عليه ويلا عينيه منه كما يفعل فى نظره الى المحبوبات فان قيل أليس انه تعالى قال فى صفة الكفار انهم يحشرون عذاباً فكيف قال ههنا انهم ينظرون من طرف خفى قلنا العالهم يكونون فى الابتداء هكذا ثم يجعلون عبداً وأهل هذا فى قوم وذلك فى قوم آخرين ولما وصف الله تعالى حال الكفار حكى ما يقوله المؤمنون فيهم فقال وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهلهم يوم القيامة قال صاحب الكشاف يوم القيامة اما ان يتعلق بخسر أو يكون

والارض) فن قضيته
أن تلك التصرف فيها
وكل ما فيها كيفما يشاء
ومن جلسته أن يقسم
الشمعة واللبية حسبما يريد
(يخلق ما يشاء) بما تعلمه
وبما لا تعلمه (يهب لمن يشاء
انانا) من الاولاد (ويهب
لمن يشاء الذكور) منهم
من غير أن يكون فى ذلك
مدخل لاحد (أو
يزوجهم) أى يقرن بين
الصفين فيهم جميعاً
(ذكرانا وانانا) قالوا
معنى يزوجهم أن تلد
غلاماً ثم جارية أو جارية
ثم غلاماً أو تلد ذكراً
وانثى توأمين (و) يجعل
من يشاء عتياً) والمعنى
يجعل أحوال العباد فى
حق الاولاد مختلفة على
ما تقتضيه المشيئة فيهن
فيهب لبعض اما صنفاً
واحداً من ذكر أو أنثى
واما صنفين ويعقب آخرين
وإل تعديم الاناك لانها
أكثر لكثير النسل أولان
مساق الآية للدلالة على
أن الواقع ما يتعلق به
مشيئته تعالى لا ما يتعلق

به مشيئة الانسان والامان
كذلك أولان الكلام
في البلاء والعرب
تمدهن اعظم البلاء
أولن طيب قلوب آبائهن
أولن طيب قلوب آبائهن
الفواصل ولذلك عرف
الذكور أولن طيب قلوب آبائهن
وتغير العاطف في الثالث
لانه قسم المشترك بين
القسمين ولا حاجة اليه
في الرابع لافصاحه بانه
قسم المشترك بين الاقسام
المقدمة وقيل المراد بيان
أحوال الانبياء عليهم
السلام حيث وهب
اشعب ولوط اناثا
ولا ابراهيم ذكورا وللي
صلى الله عليه وسلم ذكورا
واناثا وجعل يحيى وعيسى
عقيمين (انه عليم قدير)
مبالغ في العلم والقدرة
فيفعل ما فيه حكمة
ومصلحة (وما كان لبشر)
أى وما صح لفرد من
أفراد البشر (أن يكلمه
الله) بوجه من الوجوه
(الاوحيا) أى الابان
يوحى اليه ويأمره
ويغفر في قلبه كما أوحى
الى أم موسى والى

قول المؤمنين واقعاني الدنيا وأما أن يتعلق بقال أى يقولون يوم القيامة اذارأوهم على
تلك الصفة ثم قال أذا ان الظالمين في عذاب مقبم أى دائم قال القاضي وهذا يدل على ان
الكافر والغاسق يدوم عذابهما (والجواب) ان لفظ الظالم المطلق في القرآن مخصوص
بالكافر قال تعالى والكافرون هم الظالمون والذي يؤكد هذا انه تعالى قال بعد هذه
الآية وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله والمعنى ان الاصلنام التي كانوا
يعبدونها لاجل أن تشفع لهم عند الله تعالى ما أثبتت الشفاعة ومعلوم أن هذا لا يليق
بالكفار ثم قال ومن يضل الله فانه من سبيل وذلك يدل على ان المضل واليهادى هو الله
تعالى على ما هو قولنا ومذهبنا والله أعلم * قوله تعالى (استجبوا لربكم من قبل أن يأتي
يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير فان أعرضوا فما أرسلناك
عليهم حفيظا ان عليك الا البلاغ وانا اذا ادقنا الانسان منارحمة فرح بها وان
تصهم سيئة بما قدمت أيديهم فان الانسان كفور لله ملك السموات والارض يخلق
ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل
من يشاء عقيما انه عليم قدير) اعلم انه تعالى لما اطبق في الوعد والوعيد ذكر بعده ما هو
المتصور فقال استجبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله وقوله من الله يجوز أن
يكون صلة لقوله لا مرد له بمعنى لا يرد الله بعد ما حكم به ويجوز أن يكون صلة لقوله لا مرد له
من قبل أن يأتي من الله يوم لا يقدر أحد على رده واختلفوا في المراد بذلك اليوم فقيل هو
يوم ورود الموت وقيل يوم القيامة لانه وصف ذلك اليوم بانه لا مرد له وهذا الوصف
موجود في كلا اليومين ويحتمل أن يكون معنى قوله لا مرد له أنه لا يقبل القديم
والأخير وأن يكون معناه أن لا مرد له الى حال التكليف حتى يحصل فيه التلاقي ثم
قال تعالى في وصف ذلك اليوم ما لكم من ملجأ يرفع في التخلص من العذاب وما لكم من
نكير من نكير ذلك حتى يتغير حالكم بسبب ذلك النكير ويجوز أن يكون المراد من النكير
الانكار أى لا تقدر أن تنكروا شيئا مما افترقتموه من الاعمال فان أعرضوا أى هؤلاء
الذين أمرتهم بالاستجابة ان لم يقبلوا هذا الامر فما أرسلناك عليهم حفيظا بيان تحفظ أعمالهم
وتحصيها ان عليك الا البلاغ وذلك تسليمة من الله تعالى ثم انه تعالى ان تعابين السبب في اصرارهم
على مذاهبهم الباطلة وذلك انهم وجدوا في الدنيا سعادة وكرامة والفوز بمطالب الدنيا فيبد
الغرور والفجور والتكبر وعدم الانقياد للحق فقال وانا اذا ادقنا الانسان منارحمة فرح
بها ونعم الله في الدنيا وان كانت عظيمة الا انها بالنسبة الى السعادات المعدة في الآخرة
كأنه طرة بالنسبة الى البحر فلذلك سماها ذو قفين تعالى أن الانسان اذا فاز بهذا القدر الحقيق
الذي حصل في الدنيا فإنه يفرح بما هو عظم غروره بسببها ويقع في المحب والكبر ويظن أنه
فاز بكل المني ووصل الى أقاصي السعادات وهذه طرفة من يضعف اعتقاده في سعادات

الآخرة وهذه الطبيعة مخالفة لطبيعة المؤمن الذي لا بعدنهم الدنيا الا كالموصله الى نعم
الآخرة ثم بين انه متى أصابتهم سيئة أى شئ يسوءهم في الحال كالمرض والفقر وغيرهما
فانه يظهر منه الكفر وهو معنى قوله فان الانسان كفور والكفور الذي يكون مبالغا
في الكفران ولم يقل فانه كفور ليبين ان طبيعة الانسان تقتضى هذه الحالة الا اذا أدبها
الرجل بالآداب التي أُرشد الله اليها وماذا كراهه اذا فقه الانسان الرحمة واصابته بضدها
اتبع ذلك بقوله لله ملك السموات والارض والمقصود منه ان لا يعثر الانسان بما ملكه من
المال والجاه بل اذا علم ان الكل ملك الله وملكه وانه انما حصل ذلك الله تحت يده لان
الله أنعم عليه به فيجب تذكيره بذلك حاملا له على من يد اطاعة والخدمة وأما اذا اعتقد ان تلك
النعم انما تحصل بسبب عقله ووجه واجتهاده بنى مغرورا بنفسه معرضا عن طاعة الله تعالى
ثم ذكر من أقسام تصرف الله في العالم انه ينقص البعض بالاولاد الاناث والبعض بالذكور
والبعض بهما والبعض بان يجعله محروما من الكل وهو المراد من قوله ويجعل من يشاء
عقما واعلم ان أهل الطبائع يقوون السبب في حدوث الولد صلاح حال النطفة والرحم
وسبب الذكورة استيلاء الحرارة وسبب الانوثة استيلاء البرودة وقد ذكرنا هذا الفصل
بالاستقصاء التام في سورة التحل وابطناء بالدلائل القينية ونظهر ان ذلك من الله تعالى
لانه من الطبائع والانبياء والافلاك وفي الآيات سوالات (السؤال الاول) انه قدم الاناث
في الذكر على الذكور فقال يهب لمن يشاء انا واهب لمن يشاء الذكور ثم في الآية الثانية
قسم الذكور على الاناث فقال أو يزوجهم ذكرانا واهب لنا ما السبب في هذا التقديم
والتأخير (السؤال الثاني) انه ذكر الاناث على سبيل التنكير فقال يهب لمن يشاء انا
وذكر الذكور بلفظ التعريف فقال ويهب لمن يشاء الذكور فما السبب في هذا الفرق
(السؤال الثالث) لم قال في اعطاء الاناث وحدهن وفي اعطاء الذكور وحدهن بلفظ الهمزة
فقال يهب لمن يشاء انا واهب لمن يشاء الذكور وقال في اعطاء الصنفين معا أو يزوجهم
ذكرانا واهب لنا (السؤال الرابع) لما كان حصول الولد هبة من الله فيكون في عدم حصوله ان
لا يهب فأى حاجة في عدم حصوله الى أن يقول ويجعل من يشاء عقما (السؤال الخامس)
هل المراد من هذا الحكم جمع معينين أو المراد الحكم على الانسان المطلق (والجواب)
عن السؤال الاول من وجوه (الاول) أن الكريم يسمى في أن يقع الختم على الخير والراحة
والسرور والبهجة فاذا وهب الولد الانثى أو لائم أعطاه الذكر بعده فكانت نفقه من النعم
الى الفرح وهذا غاية الكرم أما اذا أعطى الولد أو لائم أعطى الانثى ثانيا فكانت نفقه من
الفرح الى النعم فذكر تعالى هبة الولد الانثى أو لائم ثانيا هبة الولد الذكر حتى يكون قد نفقه
من النعم الى الفرح فيكون ذلك ألبق بالكريم (الوجه الثاني) أنه اذا أعطى الولد الانثى أو لائم
علم أنه لا اعتراض له على الله تعالى فيرضى بذلك فاذا أعطاه الولد الذكر بعد ذلك علم ان هذه
الزيادة فضل من الله تعالى واحسان اليه فيزداد شكره وطاعته ويعلم ان ذلك انما حصل

ابراهيم عليهما السلام
في ذبح ولده وقدرى
عن مجاهد أوحى الله
الى يور الى داود عليه
السلام في صدره أو بأن
يسمعه كلامه الذي
يخلفه في بعض الاجرام
من غير أن يصير السامع
من بكلمه وهو المراد
بقوله تعالى (أو من وراء
حجاب) فانه تمثيل له
بحال الملك المتجيب الذي
يكلم بعض خواصه
من وراء الحجاب لسمع
صوته ولا يرى شخصه
وذلك كما كلم موسى
وكاينكم الملائكة عليهم
السلام أو بأن يكلمه
بواسطة الملك وذلك
بقوله تعالى (أو يرسل
رسولا) أى ملكا (فيوحى)
ذلك الرسول الى المرسل
اليه الذي هو الرسول
البشرى (بانه) أى
بأمره تعالى وتيسيره
(ما يشاء) أن يوحى اليه
وهذا هو الذي يجرى
بينه تعالى وبين الانبياء
عليهم الصلاة والسلام
في عامة الاوقات من
الكلام وقبل قوله
تعالى وجبا

وقوله تعالى أو يرسل
مصدران واقعان
موقع الحال وقوله تعالى
أومن وراء حجاب ظرف
واقع موقعها والتقدير
وما صح أن يكلم الاوجبا
أو سمع من وراء حجاب
أو مر سلا وقرئ أو يرسل
بالرفع على افتراء مبتدا
وروي أن اليهود قالت
للنبي عليه الصلاة
والسلام الا تكلم الله
وتنظر اليه ان كنت
نبياً كما كلم موسى ونظر
اليه فانان نؤمن حتى
تفعل ذلك فقال عليه
السلام لم ينظر موسى
عليه السلام الى الله
تعالى فترأت وعن
حائشة رضى الله عنها
من زعم أن محمدا رأى
ربه فقد أعظم على الله
الفرية ثم قالت رضى الله
عنها أول سمعوا ربكم
يقول قالت هذه الآية
(انه على منعال عن
صفات المخلوقين
لا يتأتى جريان المفاوضة
بينه تعالى وبينهم
الا بأحسب قلبه وما وحي
المذكورة موسى والى
يجزى أفعاله على سنن

بعض الفضل والكرم (والوجه الثالث) قال بعض المذكرين الاثنى ضعيفة ناقصة
عاجزة فقدم ذكرها تنبيها على أنه كلما كان العجز والحاجة أتم كانت غناية الله به أكثر
(الوجه الرابع) كأنه يقال أيها المرأة الضعيفة العاجزة ان أباك وأمك بكرهان وجودك
فان كانا قد كرها وجودك فانا قدمك في الذكر لتعلمي أن المحسن المكرم هو الله تعالى فاذا
علمت المرأة ذلك زادت في الطاعة والخدمة والبعد عن موجبات العطن والذم فهذه المعاني
هى التي لأجلها وقع ذكر الاناث متدما على ذكر الذكور وانما قدم ذكر الذكور بعد ذلك
على ذكر الاناث لان الذكر أكمل وأفضل من الاثنى والافضل الاكمل مقدم على الاخص
الارذل والحاصل ان النظر الى كونه ذكر أو أثنى يقتضى تقديم ذكر الذكر على ذكر الاثنى
أما العوارض الخارجية التي ذكرناها فتدأ بوجبت تقديم ذكر الاثنى على ذكر الذكر فلما
حصل المقضى التقديم واتأخير في البابين لاجرم قدم هذا مرة وقدم ذلك مرة أخرى
والله أعلم (وأما السؤال الثانى) وهو قوله لم عبر عن الاناث بالفظ التكبر وعن الذكور
بالفظة التمرى فجوابه أن المقصود منه التنبيه على كون الذكر أفضل من الاثنى (وأما
السؤال الثالث) وهو قوله لم قال تعالى في اعطاء الصنفين أو يزوجهم ذكرانا وانانا فجوابه
ان كل شئيين يقرن أحدهما اباء لاخر فهما زوجان وكل واحد منهما يقال له زوج والمكنية
في يزوجهم عائدة على الاناث والذكور التي في الآية الاولى والمعنى يقرن الاناث
والذكور فيجعلهم أزواجا (وأما السؤال الرابع) فجوابه ان العقيم هو الذى لا يولد له يقال
رجل عقيم لا يلد وامرأة عقيم لا تلد وأصل العقم القطم ومن قبل الملك عقيم لانه يقطع
فيه الارحام بالقتل والعقوق (وأما السؤال الخامس) فجوابه قال ابن عباس يهب لمن
يشاء اننا يريد لوطا وشعبيا عليهما السلام لم يكن لهما الابنات ويهب لمن يشاء الذكور
يريد ابراهيم عليه السلام لم يكن له الا الذكور أو يزوجهم ذكرانا وانانا يريد محمدا
صلى الله عليه وسلم كان له من البنين أربعة القاسم والطاهر وعبد الله و ابراهيم ومن
البنات أربعة زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة ويجعل من يشاء عتيما يريد عسى وشجى
وقال الاكثرون من المفسرين هذا الحكم عام في حق كل الناس لان المقصود بيان نفاذ
قدرة الله في تكوين الاشياء كيف شاء وأراد فلم يكن للتخصيص معنى والله أعلم ثم ختم
الآية بقوله انه عليم قدبر قال ابن عباس علم بما خلق قدبر على ما يشاء ان يخلق الله والله أعلم
وقوله تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله الاوجبا أومن وراء حجاب أو يرسل رسولا
فبوحى) يشاءه على حكمه وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري
ما بالكلام ولا الجمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك انتهدى
الى صراط مستقيم صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض الا الى الله تصير
اعلم انه تعالى لما بين كمال قدرته وعلمه وحكمته اتبعه ببيان انه كيف يخص أنبياءه
بالحكمة وفى الآية مسائل (المسئلة الاولى) وما كان لبشر وما صح لاحد من البشر

أن يكلمه الله الاعلى أحد ثلاثة أوجه اما على الوحي وهو الالهام والقذف في القلب أو
 المنام كما وحي الله الى أم موسى وإبراهيم عليه السلام في ذبح ولده وعن مجاهد أوحى الله
 تعالى الى يوراني داود عليه السلام في صدره واما على أن يسمعه كلامه من غير واسطة مبالغ
 وهذا ايضا روي بدليل أنه تعالى أسمع موسى كلامه من غير واسطة مع أنه سماه وحيا فقال
 تعالى فاستمع لما يوحى واما على أن يرسل اليه رسولا من الملائكة فيبلغ ذلك الملك ذلك
 الوحي الى الرسول البشري فطريق الحصر أن يقال وصول الوحي من الله الى البشر اما
 أن يكون من غير واسطة مبالغ أو يكون بواسطة مبلغ وإذا كان النزول وهو أن يصل اليه
 وحي الله لا بواسطة شخص آخر فهمنا أما أن يقال أنه لم يسمع عين كلام الله أو يسمعه أما
 الاول وهو أنه وصل اليه الوحي لا بواسطة شخص آخر وما سمع عين كلام الله فهو المراد
 بقوله الا وحياما الثاني وهو أنه وصل اليه الوحي لا بواسطة شخص آخر ولكنه سمع عين
 كلام الله فهو المراد من قوله أومن وراء حجاب وأما الثالث وهو أنه وصل اليه الوحي
 بواسطة شخص آخر فهو المراد بقوله أو يرسل رسولا فيوحي بأذنه ما يشاء واعلم ان كل
 واحد من هذه الاقسام الثلاثة وحي الا انه تعالى خصص القسم الاول باسم الوحي لأن
 ما يقع في القلب على سبيل الالهام فهو يقع دفعة فكان تخصيص لفظ الوحي به أول فهمنا
 هو الكلام في تمييز هذه الاقسام بعضها عن بعض (المسئلة الثانية) القائلون بأن الله في
 مكان احتجوا بقوله أومن وراء حجاب وذلك لأن التقدير وما كان لبشر أن يكلمه الله
 الا على أحد ثلاثة أوجه (أحدها) أن يكون الله من وراء حجاب وانما يسمع ذلك لو كان
 مختصا بكن معين وجهه معينة (والجواب) ان ظاهر اللفظ وان أوهم ما ذكرتم الا انه
 ذلك الدلائل العقلية والنقلية على انه تعالى يستمع حصوله في المكان الجهة فوجب حل
 هذا اللفظ على التأويل والمعنى ان الرجل اذا سمع كلاما مع انه لا يرى ذلك الكلام كان
 ذلك شبهها بما اذا تكلم من وراء حجاب والمشابهة سبب لجواز الجواز (المسئلة الثالثة) قالت
 المعتزلة هذه الآية تدل على انه تعالى لا يرى وذلك لأنه تعالى حصر أقسام وحيه في هذه
 الثلاثة واوصفت روي الله لصح من الله تعالى أنه يتكلم مع العبد حال ما يراه العبد
 فيحيث يكون ذلك قصرا رابعا زائدا على هذه الاقسام الثلاثة والله تعالى اني القسم الرابع
 بقوله وما كان لبشر أن يكلمه الله الاعلى أحد هذه الواجهة الثلاثة (والجواب) تزيد في اللفظ
 قيد اذ يكون التقدير وما كان لبشر أن يكلمه الله في الدنيا الاعلى أحد هذه الاقسام
 الثلاثة وحيث لا يلزم ما ذكرتموه وزيادة هذا القيد وان كانت على خلاف الظاهر لكنه
 يجب المصبر اليها بالتوفيق بين هذه الآيات وبين الآيات الدالة على حصول الربوبية في يوم
 القيامة والله أعلم (المسئلة الرابعة) أجمعت الامة على ان الله تعالى متكلم ومن سوى
 الاشعري واتباعه أطبقوا على ان كلام الله هو هذه الحروف المسموعة والاصوات المؤنثة
 وأما الاشعري واتباعه فانهم زعموا ان كلام الله تعالى صفة قديمة يعبر عنها بهذه الحروف

الحكمة فيكم تارة
 بواسطة وأخرى بدونها
 واما الالهاما واما خطابا
 (وكذلك) أي ومثل
 ذلك الانحاء البدع
 (أو حينما اليك روحا
 من أمرنا) هو القرآن
 الذي هو لقلوب بمنزلة
 الروح الابدان حيث
 يحييها حياة أبدية
 وقيل هو جبريل عليه
 السلام ومعنى اختاره
 اليه عليهما السلام
 ارساله اليه بالوحي
 (ما كنت تدري) قبل
 الوحي (ما الكتاب) أي
 أي شيء هو (ولا الايمان)
 أي الايمان بتفاصيل
 ما في تضاعيف الكتاب
 من الامور التي لا تمثدي
 اليها العقول لا الايمان
 بما يستقل به العقل
 والنظر فان درايته
 عليه الصلاة والسلام
 له ما لا ريب فيه قطعا
 (ولكن جطائه) أي
 الروح الذي أوحينا
 اليك (نورا نهدي به
 من نشاء) هدايته (من
 عبادنا) وهو الذي
 يصرف اختياره نحو
 الاهتداء به وقوله تعالى
 (وانك لنهدي) تقرير

لهديته تعالى و بيان
لكيفية ما مفعول انهدى
مخدوف ثقة بفساد
الظهور أى وانك
انهدى بذلك التورم
تشاهداته (الى صراط
مستقيم) هو الاسلام
سائر الشرائع والاحكام
وقرى له هدى أى
له يدك الله وقرى
لندعو (صراط الله)
يدل من الاول واضافته
الى الاسم الجليل ثم
صفه بقوله تعالى (الذى
له ما فى السموات وما
فى الارض) لتفخيم شأنه
وتفخيم استقامته
وتأكيد وجوب سلوكه
فان كون جميع ما فهم ما
من الموجودات له تعالى
خلقا وملكا وتصرفا
ما يوجب ذلك أهم ايجاب
(ألا الى الله تصير
الامور) أى أمورا
فيها فاطبة لالى غيره
ففيه من الوعد للهادين
الى الصراط المستقيم
والوعيد للضالين عنه
ملا يخفى * عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة حم عسق
كان ممن تصلى عليه
الملائكة ويستغفرون
مترجون له

المذكور
بجري أفعاله

والاصوات (أما الفريق الاول) وهم الذين قالوا كلام الله تعالى هو هذه الحروف
والكلمات فهم فريقان (أحدهما) الخبالة الذين قالوا تقدم هذه الحروف وهو لاء
أخس من أن يذكر في زمرة العقلاء وانفق ابنى قلت يوما لبعضهم لو تكلم الله بهذه
الحروف أما أن يتكلم بها دفعة واحدة أو على التعاقب والتوالى والاول باطل لان
التكلم يحمله هذه الحروف دفعة واحدة لا يفيد هذا النظم المركب على هذا التعاقب
والتوالى فوجب أن لا يكون هذا النظم المركب من هذه الحروف المتسوية كلام الله
تعالى والثاني باطل لانه تعالى لو تكلم بها على التوالى والتعاقب كانت محدثة وليس سمع ذلك
الرجل هذا الكلام قال الواجب علينا ان نفهم ونرى معنى ذلك الفاعل وأما العقلاء من الناس
الكلام على وفق ما سمعناه فتجب من سلامة قلب ذلك الفاعل وأما العقلاء من الناس
فقد أطيعوا على ان هذه الحروف والاصوات كائنة بعد ان لم تكن حاصلة بعد ان كانت
معدومة ثم اختلفت عباراتهم في انها هل هي مخلوقة أو لا يقال ذلك بل يقال انها حادثه
أو يعبر عنها بعبارة أخرى واختلفوا ايضا في ان هذه الحروف هل هي قائمه بذات الله تعالى
أو يخلفها في جسم آخر فالاول هو قول الكرامية والثاني قول المعتزلة وأما الاشعرية
الذين زعموا أن كلام الله صفة قديمة تدل عليها هذه الاشارات والعبارات فقد انفقوا على
ان قوله أو من وراء حجاب هو ان الملك والرسول يسمي ذلك الكلام المنزه عن الحروف
والاصوات من وراء حجاب قالوا وكلاهما ان ترى ذات الله مع انه ليس بجسم ولا فى حيز فأبى
بعد في ان يسمي كلام الله مع أنه لا يكون حرفا ولا صوتا وزعم أبو منصور المازني
السرقي أن تلك الصفة القائمة بمنع كونها مسموعة وانما المسموع حروف وأصوات
يخلفها الله تعالى في الشجرة وهذا القول قريب من قول المعتزلة والله أعلم (المسئلة
الخامسة) قال القاضي هذه الآية تدل على حدوث كلام الله تعالى من وجوه (الاول) ان
قوله تعالى أن يتكلم الله يدل عليه لان كنه ان مع المضارع تفيد الاستقبال (الثاني) انه
وصف الكلام بأنه وحى لان لفظ الوحي يفيد أنه وقع على امرع الوجوه (الثالث) ان قوله
أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء يقتضى أن يكون الكلام الذى يبلغه الملك الى الرسول
البشرى مثل الكلام الذى سمعه من الله والذي يبلغه الى الرسول البشرى حادث
كان الكلام الذى سمعه من الله مماثلا لهذا الذى بلغه الى الرسول البشرى وهذا الذى
بلغه الى الرسول البشرى حادث ومثل الحادث وجب أن يقال ان الكلام الذى سمعه
من الله حادث (الرابع) ان قوله أو يرسل رسولا فيوحى يقتضى كون الوحي حاصل بعد
الارسال وما كان حصوله متأخرا عن حصول غيره كان حادثا (والجواب) اننا نعرف جملة
هذه الوجوه التي ذكرتموها الى الحروف والاصوات ونعرف بإذنها حادثه كائنة بعد ان لم تكن
وبديهة العقل شاهدة بان الامر كذلك فأبى حاجة الى اثبات هذا المطلوب الذى علمت صحته
بديهة العقل وبظواهر القرآن والله أعلم (المسئلة السادسة) ثبت ان الوحي من الله تعالى

* (سورة الزخرف مكية
وقيل الاقواله واسأل من
أرسلنا وآيها نسع
وتمانون) *

* بسم الله الرحمن الرحيم *

(حم) الكلام فيه كالذي

مر في فاتحة سورة يس

خلا أن الظاهر على

تقدير اسميته كونه اسما

لاقرآن لالسورة كما قيل

فإن ذلك مخجل لغيره

النظم الكريم

(والكتاب) بالجبر على

أنه مقسم به اما ابتداء

او عطف على حم على

تقدير كونه مجردا باضمار

باء القسم على أن مدار

العطف المغسرة

في العنوان ومناط كير

القسم المباعدة في تأكيد

مضمون الجملة القسمية

(المبين) أي المبين من أنزل

عليهم لكونه بلغتهم

وعلى أساليبهم والمبين

الطريق الهدى من

طريق الضلالة للموضح

لكل ما يحتاج اليه في أبواب

الديانة (اناجعلناه قرآنا

عربيا) جواب القسم

لكن لا على أن مرجع

التأكيد جعله كذلك

كما قيل بل ما هو غاية

اما أن لا يكون بواسطة شخص آخر واما أن يكون بواسطة شخص آخر ومنتع أن يكون
كل وحى حاسلا بواسطة شخص آخر والازم اما التسلسل واما الدور وهو الحملان فلا بد
من الاعتراف بمضمون وحى يحصل لا بواسطة شخص آخر ثم هو بناجيات (البحت الاول)
ان الشخص الاول الذي سمع وحى الله لا بواسطة شخص آخر كيف يعرف ان الكلام
الذي سمعه كلام الله فان قلنا انه سمع تلك الصفة القديمة المنزهة عن كونها حرفا وصوتا لم
يبعدانه اذا سمعها علم بالضرورة كونها كلام الله تعالى ولم يبعد أن يقال انه يحتاج مد ذلك
الى دليل زائد أما ان قلنا ان المسموع هو الحرف والصوت امتنع أن يقطع بكونه كلاما لله
تعالى الا اذا ظهرت دلالة على أن ذلك المسموع هو كلام الله تعالى (البحت الثاني) ان
الرسول اذا سمعه من الملك كيف يعرف ان ذلك المبلغ ملك معصوم لا شيطان مضل والحق
انه لا يمكنه القطع بذلك الا بناء على معجزة تدل على ان ذلك المبلغ معصوم لا شيطان
خيبت وعلى هذا التقدير فالوحى من الله تعالى لا يتم الا بثلاث مراتب في ظهور المعجزات
(المرتبة الاولى) ان الملك اذا سمع ذلك الكلام من الله تعالى فلا بد له من معجزة تدل على
أن ذلك الكلام كلام الله تعالى (والمرتبة الثانية) ان ذلك الملك اذا وصل الى الرسول لا بد
له ايضا من معجزة (والمرتبة الثالثة) ان ذلك الرسول اذا وصله الى الأمة فلا بد له ايضا من
معجزة فثبت ان التكليف لا توجه على الحلق الا بعد وقوع ثلاث مراتب في المعجزات
(البحت الثالث) انه لا شك ان ملكا من الملائكة قد سمع الوحى من الله تعالى ابتداء فذلك
الملك هو جبريل ويقال له جبريل سمعه من ملك آخر فأنكلم تخشى ولو بألف واسطة
ولم يوجد ما يدل على القطع بواحد من هذه الوجوه (البحت الرابع) هل في البشر من سمع
وحى الله تعالى من غير واسطة مشهور أن موسى عليه السلام سمع كلام الله من غير واسطة
بدليل قوله تعالى فاستمع لما يوحى وقبل ان يتحدث صلى الله عليه وسلم سمعه ايضا قوله تعالى
فأوحى الى عبده ما أوحى (البحت الخامس) ان الملائكة يقدرون على أن يظهروا أنفسهم
على اشكال مختلفة فتقدير أن يراه الرسول صلى الله عليه وسلم في كل مرة وجب أن يحتاج
الى المعجزة ليعرف ان هذا الذي رآه في هذه المرة عين مارة في المرة الاولى وان كل ما يرى
شخصه كانت الحاجة الى المعجزة أقوى لاحتمال انه حصل الاستجاب في الصوت الا ان
الاشكال في أن الحاجة الى اظهار المعجزة في كل مرة لم يقل به أحد (المسئلة السابعة) دلت
المنظرات المذكورة في الآيات بين الله تعالى وبين ابيس على انه تعالى كان يشكلم مع
ابليس من غير واسطة فذلك هل يسمى وحيا من الله تعالى الى ابيس أم لا لا يظهر منه ولا بد
في هذا الموضع من بحث غامض كامل (المسئلة الثامنة) قرأنا فاع أو يرسل رسولا يرفع
اللام فيوحى بسكون الباء ومجمله رفع على تقدير او هو يرسل فيوحى والباقون بالنصب
على تأويل المصدر كانه قيل ما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل
حجاب أو يرسل لكن فيه اشكال لان قوله وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل فعل

وعطف الفعل على الاسم فيج فاجيب عنه بان التقدير وما كان لبشر أن يكلمه إلا أن
يوحى اليه وحياً أو يسمع اسماً من وراء حجاب أو يرسل رسولا (المسئلة التاسعة) الصحيح
عند أهل الحق ان عندما يبلغ الملك الوحي الى الرسول لا يقدر الشيطان على القاء الباطل
في أثناء ذلك الوحي وقال بعضهم يجوز ذلك لقوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته وقالوا الشيطان ألقى في أثناء سورة النجم تلك
الترانيم العلى منها الشفاعة ترتجي وكان صديقنا الملك سام بن محمد رحمه الله وكان
أفضل من لقينته من أرباب السلطنة يقول هذا الكلام بعد الدلائل القوية القاهرة باطل
من وجهين آخرين (الاول) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من رأى في المنام بصورة الرسول
فان الشيطان لا يتل بعصرتي فاذا لم يقدر الشيطان على أن يتل في المنام بصورة الرسول
فكيف قدر على التشبه بجبريل حال اشتغال تبليغ وحى الله تعالى (والثاني) أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ما سلك عمر فجا الا وسلك الشيطان فجا آخر فاذا لم يقدر الشيطان
أن يحضر مع عرف فيج واحد وكيف يقدر على أن يحضر مع جبريل في موقف تبليغ وحى
الله تعالى (المسئلة العاشرة) قوله تعالى فيوحى باذنه ما يشاء يعنى فيوحى ذلك الملك باذن
الله ما يشاء الله وهذا يقتضى ان الحسن لا يحسن لوجه عائد عليه وان القبيح لا يقيح لوجه
عائد اليه بل قد أن يأمر بما يشاء من غير تخصيص وان يهيى بما يشاء من غير تخصيص
اذ لو لم يكن الامر كذلك لما صح قوله ما يشاء والله أعلم ثم قال تعالى في آخر الآية انه على
حكيم يعنى أنه على عن صفات الخلقين حكيم يجرى أفعاله على موجب الحكمة فيحكم
تارة بغير واسطة على سبيل الالهام وأخرى بإسماع الكلام وثالثا بتوسيط الملائكة
الكرام ولما بين الله تعالى كيفية أقسام الوحي الى الانبياء عليهم السلام قال وكذلك
أوحينا اليك روحا من أمرنا والمراد به القرآن وسماه روحا لانه بعيد الحياة من موت
الجهل أو الكفر ثم قال تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان واختلف العلماء في
هذه الآية مع الاجماع على انه لا يجوز أن يقال الرسل كانوا قبل الوحي على الكفر وذكرنا
في الجواب وجوها (الاول) ما كنت تدري ما الكتاب أى القرآن ولا الايمان أى الصلاة
لقوله تعالى وما كان الله ليضع ايمانكم أى صلاتكم (الثاني) أن يحمل هذا على
حذف المضاف أى ما كنت تدري ما الكتاب ومن أهل الايمان يعنى من الذى يؤمن ومن
الذى لا يؤمن (الثالث) ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان حين كنت طفلا في المهد
(الرابع) الايمان عبارة عن الاقرار بجميع ما كلف الله تعالى به وانه قبل انشوء ما كان
عارفا بجميع تكاليف الله تعالى بل انه كان فارقا بالله تعالى وذلك لا يتناقى ما ذكرناه
(الخامس) صفات الله تعالى على قسمين منها ما يمكن معرفته بمحض دلائل العقل ومنها
ما لا يمكن معرفته الا بالدلائل السمعية فهذا القسم الثانى لم تكن معرفته حاصلة قبل
النشوء ثم قال تعالى ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا واختلفوا في الضمير

التحقيق والتأكد
لكونهما منته عن الاعتناء
بأمرهم واتمام النعمة
عليهم وازاحة أعذارهم
أى جعلنا ذلك الكتاب
قرأ ما هر يالكي نفهموه
وتحيطوا بما فيه من النظم
الرائق والمعنى الفائق
وتقفوا على ما يفيض منه
من الشواهد الناطقة
بخروجه عن طوق البشر
وتعرفوا حق النعمة في
ذلك ونقطم أعذاركم
بالكفاية (وانه في أم الكتاب)
أى فى الوح المحفوظ فانه
أصل الكتب السماوية
وقد نال أم الكتاب بالكر
(لدينا) أى عندنا (على)
رفع القدر بين الكتب
شريف (حكيم) ذو
حكيم بالقدرة ومحكم وهما
خبران لان وما بينهما
يسار لمحل الحكم كأنه قيل
بعد بيان انصافه بما ذكر
من الوصفين الجليلين
هنا في أم الكتاب ولدينا
والجمله اما عطف على
الجملة المقسم عليها داخله
في حكمها فى الاقسام
بالقرآن على علوقه
عنده تعالى براءة بديعة
وايدان بأنه من علو
الشان بحيث

لا يحتاج في بيانه الى الاستشهاد غلبة بالاقسام ﴿٤٢٧﴾ بغيره بل هو بذاته كاف في الشهادة على ذلك

من حيث الاقسام به
كما أنه كاف فيها من
حيث اعجاز ورمز
الى أنه لا يخاطر بالبال
عند ذكره شيء آخر
أولى منه بالاقسام به
واما مستأنفة مقررة
اعلوا شأنه الذي أنبا
عنه الاقسام به على
منهاج الاعتراض في
قوله تعالى وانه لقم
لوتعلمون عظيم وبعد
ما بين علو شأن القرآن
العظيم وحقق أن ازاله
على لغتهم ليعقلوه
ويؤمنوا به ويعملوا
بموجبه عقب ذلك
بانكار أن يكون الامر
بخلافه فقبل
(أفضرِبْ عَنْكُمْ
الذَكَرَ) أي نَجِدْ
ونعده عنكم مجاز من
قولهم ضرب الغرائب
عن الخوض وفيه
اشعار باقتضاء الحكمة
توجه الذَكَر الهم
وملازمته لهم كأنه
يتهافت عليهم والفاء
للعطف على محذوف
يقضيه المقام أي
أنه ملِككم فنَجِي الذَكَر
عنكم (صفحا) أي

في قوله ولكن جعلناه متهم من قال انه راجع الى القرآن دون الايمان لانه هو الذي يعرف
به الاحكام فلا جرم شبه بالنور الذي يهتدى به ومنهم من قال انه راجع اليهم امامه وحسن
ذلك لان معناه ما واحد كقوله تعالى واذا راوا تجارة أو اهلوا انفضوا اليها ثم قال يهتدى به
من نشاء من عبادنا وهذا يدل على انه تعالى بعد ان جعل القرآن في نفسه هدى كما قال
هدى للذين فانه قد يهتدى به البعض دون البعض وهذه الهداية ليست عبارة عن
الدعوة وايضا الادلة لانه تعالى قال في صفة محمد صلى الله عليه وسلم واليك تهتدى الى
صراط مستقيم وهو يقيد العموم بالنسبة الى النكل وقوله يهتدى به من نشاء من عبادنا
يفيد الخصوص فثبت أن الهداية بمعنى الدعوة عامة والهداية في قوله يهتدى به من نشاء
من عبادنا خاصة والهداية الخاصة غير الهداية العامة فوجب أن يكون المراد من قوله
يهتدى به من نشاء من عبادنا أمرا مغايرا لظاهر الدلائل ولا زالة الاعتذار ولا يجوز أيضا
أن يكون عبارة عن الهداية الى طريق الجنة لانه تعالى قل ولكن جعلناه نورا يهتدى به
من نشاء من عبادنا أي جعلنا القرآن نورا يهتدى به من نشاء وهذا لا يليق إلا بالهداية التي
تحصل في الدنيا وأيضا فالهداية الى الجنة عند كم في حق البعض واجب وفي حق الآخرين
محذور وعلى التقديرين فلا يليق بقوله من نشاء من عبادنا فثبت أن المراد انه تعالى
يهتدى من يشاء ويضل من يشاء ولا اعتراض عليه فيه ثم قال تعالى لحمد صلى الله عليه وسلم
واليك تهتدى الى صراط مستقيم فبين تعالى انه كان القرآن يهتدى فكذلك الرسول يهتدى
وبين انه يهتدى الى صراط مستقيم وبين ان ذلك الصراط هو صراط الله الذي له
ما في السموات وما في الارض شبه بذلك على ان الذي يجوز عبادته هو الذي يملك السموات
والارض والغرض منه ابطال قول من يعبد غير الله ثم قال لا الى الله نصير الامور وذلك
كالوعيد والزجر فبين أن امر من لا يقبل هذه التكليف يرجع الى الله تعالى أي الى حيث
لاحاكم سواء فيجازي كلامهم بما يستحقه من ثواب أو عقاب (قال رضى الله عنه) ثم تفسير
هذه السورة آخر يوم الجمعة الثامن من شهر ذي الحجة سنة ثلاث وستمائة * يامدبر الامور
ويا مدهر الدهور ويا معطي كل خير وسرور ويا دافع البلاء والشروع أو صلنا الى منازل
النور في ظلمات القبور بفضلك ورجحك بأرجح الراحين

﴿سورة الزخرف وهي تسع وثمانون آية مكية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(حم والكتاب المبين ان جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون وانه في أم الكتاب لدينا على
حكيم أفضرِبْ عَنْكُمْ الذَكَر صفحا ان كنتم قوما مسرفين وكم أرسلنا من نبي في الاولين
وما يأتهم من نبي الا كانوا به يستهزئون فأهلكنا أشد منهم بطشا ومضى مثل الاولين)
اعلم ان قوله حم والكتاب المبين يحتمل وجهين (الاول) أن يكون التقدير هدمهم والكتاب

إعراضا عنكم على أنه مفعول له المذكور أو مصدر

مؤكد لما دل هو عليه فان النجوة منة عن الصفح والاعراض * ٤٢٨ * قطعاً كأنه قيل أنصفحك عنكم

صفحة أو بمعنى الجانب
فونصب على الضرفية
أي أفصحكم عنكم جانباً
(أن كنتم قوماً
مسيرين) أي لأن
كنتم منهمكين في
الأسراف مصرين
عليه على معنى أن حالكم
وإن اقتضى تخليصكم
وإنكم حق تموتوا
على الكفر والضلالة
وتتوفى العذاب الخلد
لكننا بسعة رحمتنا
لنفعل ذلك بل نهدىكم
إلى الحق بإرسال
الرسول الأمين وإنزال
الكتاب المبين وقرئ
أن بالكسر على أن
الجملة شرطية مخرجة
للحقيق يخرج المشكوك
لاستجهاالهم والجزاء
معدوف ثقة بدلالة
ما قبله عليه وقوله
تعالى (وكم أرسلنا
من نبي في الأولين وما
يأتيهم من نبي إلا كانوا
به يستهزئون) تقرير
لما قبله ببيان أن اسراف
الاسم السالفة لم يمنع
تعالى من إرسال الأنبياء
إليهم وتسلية رسول الله
صلى الله عليه وسلم

المبين فيكون التسم وافعال على أن هذه السورة هي سورة حم ويكون قوله أنا جعلناه قرآناً
عريياً ابتداء لكلام آخر (والثاني) أن يكون التقدير هذه حم ثم قال والكتاب المبين
أنا جعلناه قرآناً عريياً فيكون المتسم عليه هو قوله أنا جعلناه قرآناً عريياً وفي المراد
بالكتاب قولان (أحدهما) أن المراد به القرآن وعلى هذا التقدير فقد أقسم بالقرآن أنه
جعل عريياً (الثاني) أن المراد بالكتاب الكتابة والخط أقسم بالكتابة لكثرة ما فهم من
المنافع فإن العلوم إنما تكاملت بسبب الخط فإن المتقدم إذا استندط علماً والبتة في كتاب
وجاء المتأخر ووقف عليه أمكن أن يزيد في استنباط النوائد فهذا الطريق تكاثرت
النوائد وانتهت إلى الغايات العظيمة وفي وصف الكتاب بكونه مبيناً وجوه (الأول)
أنه المبين الذي أنزل إليهم لانه بلغتهم ولسانهم (والثاني) المبين والذي أبان طريق الهدى
من طريق الضلالة وأبلى كل باب عما سواه وجعلها منفصلة لمصلحة واعلم أن وصفه بكونه
مبيناً شاع لأن المبين هو الله تعالى يسمى القرآن بذلك توسعاً من حيث أنه حصل البيان
عنده أما قوله أنا جعلناه قرآناً عريياً لعليكم تسفلون ففقد مسائل (المسئلة الأولى) اقتلون
بحدوث القرآن احتجوا بهذه الآية من وجوه (الأول) أن الآية تدل على أن القرآن
مجمول والمجمول هو المصنوع المخلوق فان قالوا لم لا يجوز أن يكون المراد أنه سماه
عريياً قلنا هذا مدفوع من وجهين (الأول) أنه وكان المراد بالجعل هذا الوجه أن من سماه
عجماً أن يصير عجمياً وإن كان لغة العرب ومعلوم أنه اطل (الثاني) أنه لو صرف
الجعل إلى التسمية لزم كون التسمية بمجمله والتسمية أيضاً كلام الله وذلك يوجب أنه
فعل بعض كلامه وإذا صح ذلك في البعض صح في الكل (الثاني) أنه وصفه بكونه قرآناً
وهو ما سمي قرآناً لانه جعل بمضه مقروناً ببعض وما كان كذلك كان مصنوعاً معمولاً
(الثالث) أنه وصفه بكونه عريياً وهو ما كان عريياً لأن هذه الألفاظ إنما اختصت
بسمياتها بوضع العرب واصطلاحاتهم وذلك يدل على كونه معمولاً ومجمولاً (الرابع)
أن القسم بغير الله لا يجوز على ما هو معلوم فكان التقدير حم ورب الكتاب المبين وأنا قد
هذا أيضاً ياروى أنه عليه السلام كان يقول يارب طه ويسن ويارب القرآن العظيم
(والجواب) أن هذا الذي ذكرتموه حق وذلك لأنكم إنما استدلتهم بهذه الوجوه على كون
هذه الحروف المتواليه والكلمات المتعاقبة محدثة مخلوقة وذلك معلوم بالضرورة ومن
الذي ينازعكم فيه بل كان كلامكم يرجع حاصله إلى إقامة الدليل على ما عرف ثبوته
بالضرورة (المسئلة الثانية) كلمة لعل للثني والترجي وهو لا يليق بمن كان علماً بعواقب
الأمور فكان المراد منها ههنا كى أي أنزلناه قرآناً عريياً لكي تعقلوا معناه وتحيطوا
بفحواه قالت المعتزلة فصار حاصل الكلام أنا أنزلناه قرآناً عريياً لاجل أن تحيطوا بمعناه
وهذا يفيد أمرين (أحدهما) أن أفعال الله تعالى معللة بالاعراض والدواعي (والثاني)
أنه تعالى إنما أنزل القرآن ليهدى به الناس وذلك يدل على أنه تعالى أراد من الكل

عن استهزاء قوميه وقوله تعالى ﴿ ٤٢٩ ﴾ (فأهلكنا أشد منهم بطشا) أي من هؤلاء القوم السرفين عذله

عليه الصلاة والسلام
ووعيد لهم بمثل ما جرى
على الأولين ووصفهم
بأشدية البطش لآيات
حكمهم لهؤلاء بطريق
الأولوية (ومضى مثل
الأولين) أي ساف
في القرآن غير مرة ذكر
قصتهم التي حثها
أن تسير مسير المثل (ولئن
سألتهم من خلق
السموات والأرض
ليقولن خلقه من العزير
العلم) أي ليستند
خلقها إلى من هذا
شأنه في الحقيقة وفي نفس
الامر لأنهم يعبرون
عنه بهذا العنوان
وساوك هذه الطريقة
للاشارة بأن انصافه
تعالى بما سرد من جلال
الصفات والافعال
وبما استلزمه ذلك من
البعث والجزاء أمر بين
لاريب فيه وأن الحجة
قائمة عليهم شاؤا أو
أبوا وقد جاز أن يكون
ذلك حين عبادتهم
وقوله تعالى (الذي جعل
لكم الأرض مهادا)
استئناف من جهته
تعالى أي بسطها لكم
تستقرون فيها (وجعل لكم فيها

الهداية والمعرفة خلاف قول من يقول انه تعالى أراد من البعض الكفر والاعراض
واعلم ان هذا النوع من استدالات المعتزلة مشهور وأجوبتنا عنه مشهورة فلا فائدة
في الاعادة والله أعلم (المسئلة الثالثة) قوله لعلكم تعقاون يدل على ان اقرآن معاوم
وايسر فيه شيء مبهم مجهول خلافا لما يقول اقرآن بعضه معلوم وبعضه مجهول ثم قال
تعالى وانه في أم الكتاب لدينا على حكيمة وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأ حرة
والكسائي أم الكتاب بكسر الالف والباقون بالضم (المسئلة الثانية) الضمير في قوله وانه
عائد إلى الكتاب الذي تقدم ذكره في أم الكتاب لدينا واختلفوا في المراد بأمر الكتاب على
قولين (فانقول الاول) انه اللوح المحفوظ لقوله بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ واعلم
ان على هذا التدبر فاصفات المذكورة ههنا كلها صفات اللوح المحفوظ (فاصفه
الاول) انه أم الكتاب والسبب فيه ان أصل كل شيء أمه والقرآن مثبت عند الله في اللوح
المحفوظ ثم نقل إلى السماء الدنيا ثم أنزل حاله بعد حال بحسب المصلحة عن ابن عباس رضي
الله عنده ان أول ما خلق الله انقل فأمره أن يكتب ما يريد أن يخلق فأنزل الكتاب عنده فان
قبل وما الحكمة في خلق هذا اللوح المحفوظ مع انه تعالى علام الغيوب ويستحيل عليه
الجهل بالنسيان قلنا انه تعالى لما ثبت في ذلك أحكام حوادث الخلوقات ثم ان الملائكة
يسجدون ان جميع الحوادث انما تحدث على موافقة ذلك المكتوب استدلوا بذلك
على كمال حكمة الله وعلمه (الصفة الثانية) من صفات اللوح المحفوظ قوله لدينا هكذا
ذكره ابن عباس وانما خصه الله تعالى بهذا التشریف لكونه كتابا جامعاً لحوال جميع
المحدثات فكانت الكتاب المشتمل على جميع ما يقع في ملك الله وملكوته فلا جرم حصل له
هذا التشریف قال الواحدي ويحتمل أن يكون هذا صفة القرآن والتقدير وانه لدينا
في أم الكتاب (الصفة الثالثة) كونه علواً والعنى كونه عالياً عن وجوه الفساد والبطالان
وقيل المراد كونه عالياً على جميع الكتب بسبب كونه معجزاً باقياً على وجه ائدهر (الصفة
الرابعة) كونه حكيمياً أي محكما في أبواب البلاغة والفصاحة وقيل حكيم أي ذو حكمة
بالغة وقيل ان هذه الصفات كلها صفات القرآن على ما ذكرناه (والقول الثاني) في تفسير
أم الكتاب انه الآيات المحكمة لقوله تعالى هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات
هن أم الكتاب ومعناه ان سورة حم واقفة في الآيات المحكمة التي هي الاصل والام
ثم قال تعالى أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين وفيه مسائل (المسئلة
الاولى) قرأ نافع وحزرة والكسائي ان كنتم بكسر الالف تقديره ان كنتم مسرفين
لانضرب عنكم الذكر صفحا وقيل ان يعنى اذ كونه تعالى وفرا وما بقي من الزمان كنتم
مؤمنين بالجملة فالجزء مقدم على الشرط والباقون بفتح الالف على التعليل أي لان
كنتم مسرفين (المسئلة الثانية) قال الفراء والزجاج يقال ضربت عنه وأضربت عنه أي
تركته وامسكت عنه وقوله صفحا أي اعراضا والاصل فيه انك تولى بصفحة عنقك وعلى

سبلا) تسلكونها في أسفاركم (عليكم تهتدون) أي لكي تهتدوا بساواكمها ﴿٤٣٠﴾ إلى مقاصدكم أو بالتفكر فيها إلى

التوحيد الذي هو المقصد الأصلي (والذي نزل من السماء ما يقدر بمقدار تفضيحه مشيئة المنيعة على الحكم والمصالح (فأنشروا به) أي أحينا بذلك الماء (بلدة ميتا) خاليا عن النماء والنبات بالكثبة وقرى ميتا بالتشديد وتذكيره لأن البلدة في معنى الباد والمكان والالفتات إلى نون العظيمة لظهور كال العناية بأمر الأحياء والاشمار يعظم خطره (كذلك) أي مثل ذلك الأحياء الذي هو في الحقيقة إخراج النبات من الأرض (تخرجون) أي تبعثون من قبوركم أحياء وفي التعبير عن إخراج النبات بالانشار الذي هو أحياء الموقوعين وأحيائهم بالانشار تغيم بشأن الانبثاق وتحويل لأمر البعث لتقوم سنن الاستدلال وتوضح منهاج القياس (والذي خلق الأزواج كلها) أي

هذا فقوله أفنضرب عنكم الذكر صفحا تقديره أفنضرب عنكم اضربا أو تقديره أفنصفح عنكم صفحا واختلقوا في معنى الذكر فقبل معناه أفنزد عنكم ذكر عذاب الله وقيل أفنزد عنكم النصائح والمواظع وقبل أفنزد عنكم القرآن وهذا استفهام على سبيل الإنكار يعني أنا لا نترك هذا الإعداد والإنذار بسبب كونكم مسرفين قال قتادة لو أن هذا القرآن رفع حين رده أوائل هذه الأمة لهلكوا ولكن الله برحمته كرره عليهم ودعاهم إليه عشرين سنة إذا عرفت هذا فقول هذا الكلام يحتمل وجهين (الاول) الرحمة يعني أنا لا نترككم مع سوء اختياركم بل نذكركم وننظركم إلى أن ترجعوا إلى الطريق الحق (الثاني) المبالغة في التغليظ يعني أنظنون أن نترككم مع ما تريدون كلابل نلزمكم العمل وندعوكم إلى الدين ونؤاخذكم متى أخلاكم بالواجب وأقدمتم على القبيح (المسئلة الثالثة) قال صاحب الكشف الفاء في قوله أفنضرب للعطف على محذوف تقديره انه لم يكن فنضرب عنكم الذكر ثم قال تعالى وكما أرسلنا من نبي في الاولين وما يأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزئون والمعنى ان عادة الامم مع الانبياء الذين يدعونهم إلى الدين الحق هو التكذيب والاستهزاء فلا ينبغي أن تتأذى من قومك بسبب اقدامهم على التكذيب والاستهزاء لان المصيبة اذا عمت خفت ثم قال تعالى فاهلكنا أئدمتهم بطشا يعني ان أولئك المتقدمين الذين ارسل الله اليهم الرسل كانوا أشد بطشا من قريش يعني أكثر عددا وجلدا ثم قال ومضى مثل الاولين والمعنى ان كفار مكة سلكوا في الكفر والتكذيب مسلك من كان قبلهم فيحذروا أن يزل بهم من الخرى مثل ما نزل بهم فقد ضل بنا لهم مثلهم كآفاق ولا ضل بنا له الامثال وقوله وسكنتهم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلى قوله وضر بنا لكم الامثال والله أعلم ﴿٤٣١﴾ قوله تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الأرض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون) والذي نزل من السماء ما يقدر وأنشروا به بلدة ميتا كذلك تخرجون والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الغلاك والانعام ما تركبون لتستنوا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين واننا إلى ربنا المنتقلون) اعلم انه قد تقدم ذكر المسرفين وهم المشركون وتقدم ايضا ذكر الانبياء فقوله ولئن سألتهم ليقولن انهم مقررون بان خالق السموات والأرض وما بينهما هو الله العزيز الحكيم والمقصود انهم مع كونهم مقررين بهذا المعنى يغفلون عنه ويذكرون قدرته على البعث وقد تقدم الاخبار عنهم ثم انه تعالى ابتدأ بالاعلى نفسه بذكر مصنوعاته فقال الذي جعل لكم الأرض مهدا ولو كان هذا من جملة كلام الكفار لوجب ان يقولوا الذي جعل لنا الأرض مهدا ولان قوله في انشاء الكلام

فأنشرونا به بلدة ميتا لا يلقى الا بكلام الله ونظيره من الكلام الناس أن يسمع الرجل رجلا
يقول الذي ينفي هذا المسجد فلان العالم يقول السامع لهذا الكلام الزاهد الكريم كان
ذلك السامع يقول أنا أعرفه بصفت جديدة فوق ما نعرفه فازيد في وصفه فيكون الثعنان
جميعا من رجلين لرجل واحد اذا عرفت كيفية التنظيم في الآية فتقول انها تدل على
انواع من صفات الله تعالى (الصفة الاولى) كونه خالقاً للسموات والارض والتكلمون
بينوا ان اول العلم بالله العلم بكونه محدثا للعالم فاعل له فلهذا السبب وقع الابتداء بذكر
كونه خالقاً وهذا انما يتم اذا فسرنا الخلق بالاحداث والابداع (الصفة الثانية)
العزيز وهو الغالب وما لاجله يحصل المكنة من الغلبة هو القدرة فكان العزيز اشارة
الى كمال القدرة (والصفة الثالثة) العليم وهو اشارة الى كمال العلم واعلم ان كمال العلم
والقدرة اذا حصل كان الموصوف به قادر على خلق جميع المكنات فلهذا المعنى أثبت
تعالى كونه موصوفاً بهاتين الصفتين ثم فرغ عليه سائر التفاصيل (الصفة الرابعة)
قوله الذي جعل لكم الارض مهدياً وقد ذكرنا في هذا الكتاب ان كون الارض مهدياً انما
حصل لاجل كونها واقفة ساكنة ولجل كونها موصوفة بصفات مخصوصة باعتبارها
يمكن الانتفاع بها في الزراعة وبناء الابنية وفي كونها سائرة لعيوب الاحياء والاموات
ولما كان المهد موضع الراحة للصبي جعل الارض مهدياً لكثرة ما فيها من الراحة
(الصفة الخامسة) قوله وجعل لكم فيها سبلاً والمقصود ان الانتفاع بالناس انما يكمل اذا
قدر كل أحد ان يذهب من بلد الى بلد ومن اقليم الى اقليم ولولا ان الله تعالى هباً تلك
السبل ووضع عليها علامات مخصوصة والا لما حصل هذا الانتفاع ثم قال تعالى اعلمكم
تهتدون بمعنى المقصود من وضع السبل ان يحصل لكم المكنة من الهدى والى السبلى
المعنى انتهتوا الى الحق في الدين (الصفة السادسة) قوله تعالى والذي نزل من السماء
ماء بقدر فأنشرونا به بلدة ميتا وههنا مباحث (أحدها) ان ظاهر هذه الآية يقتضي
ان الماء ينزل من السماء فهل الامر كذلك أو يقال انه ينزل من السحاب وسبى نازلاً
من السماء لان كل ما سلك فوجها وهذا البحث قد مر ذكره بالاستقصاء (وثانيها)
قوله بقدر رأى أنما ينزل الماء من السماء بقدر ما يحتاج اليه أهل تلك البقعة من غير زيادة
ولا نقصان لا كما أنزل على قوم نوح بغير قدر حتى أغرقهم بل بقدر حتى يكون معاشاً
لكم ولانعامكم (وثالثها) قوله فأنشرونا به بلدة ميتا أى خالية من النبات فاحييتها هو
الانشار ثم قال كذلك تخرجون يعنى ان هذا الدليل كما يدل على قدرة الله وحكمته فكذلك
يدل على قدرته على البعث والقيامة ووجد التشبيه انه يجعلهم احياء بعد الامانة كهذه
الارض التي انتشرت بعد ما كانت ميتة وقوله تعالى ونخرجهم من الارض بما كانوا
يكافون وفي قوله تعالى ونخرجهم من الارض بما كانوا يكافون وهذا الوجه ضعيف لانه ليس
في ظاهر اللفظ الاثبات الاعادة فقط

أصناف المخلوقات وهن
ابن عباس رضى الله عنهما
الازواج الضروب
والانواع كالخيل والحمار
والابيض والاسود
والذكر والانثى وقيل
كل ما سوى الله تعالى
فهو زوج كالنوق
والنحل واليهن والبسار
الى غير ذلك (ووجعل لكم
من الفلك والانعام ما
تركبون) أى ما تركبونه
تغلب الانعام على الفلك
فان الركوب متعبد بنفسه
واستعماله في الفلك
وتخوها بكلمة في الرحمن
الى مكانيتها وكون
حر كرتها غير ارادية كما
مر في سورة هود عند
قوله تعالى وقال اركبوا
فيها (لتستويروا على ظهوره)
أى لتستولوا على ظهوره
ما تركبونه من الفلك
والانعام والجميع باعتبار
المعنى (ثم تذكروا نعمته
ربكم اذا استووا على ظهره)
أى تذكروا نعمته بركبكم
مستويين بهما مستعملينها
ثم تصعدوا عليها بالسكنك
(وتقولوا سبحان الذي
سخر لنا هذا) متعجبين
من ذلك كما يروى عن
النبي صلى الله عليه وسلم أنه

خلق الأزواج كلها قال ابن عباس الأزواج الضروب والانواع كالخاو والحامض
والابيض والأسود والدكر والانثى وقال بعض المحققين كل ماسوى الله فهو زوج كالغوق
والنحت واليمين واليسار والقدام والخلف والماضى والمستقبل والذوات والصفات
والصيف والشتاء والربيع والخريف وكونها أزواجاً يدل على كونها ممكنة الوجود فى
ذواتها محدثة مسبقة بالعدم فاما الحق سبحانه فهو الفرد المنزه عن الضد والتد والمقابل
والمعاصد فلهذا قال سبحانه والذي خلق الأزواج كلها أى كل ما هو زوج فهو مخلوق فدل
هذا على أن خالقه مفرد مطلق منزّه عن الزوجية وأقول أيضاً العلماء يعلم الحساب ينو أن
الفرد أفضل من الزوج من وجوه (الاول) ان أقل الأزواج هو الاثنان وهو لا يوجد
الا عند حصول وحدتين فالزوج يحتاج الى الفرد والفرد وهو الوحدة غنية عن الزوج
والغنى أفضل من المحتاج (الثانى) ان الزوج يقبل القسمة بقسمين متساويين والفرد هو
الذى لا يقبل القسمة وقبول القسمة انفعال وتأثر وعدم قبولها قوة وشدة ومقاومة فكان
الفرد أفضل من الزوج (الثالث) ان العدد الفرد لا بدوان يكون أحد قسميه زوجاً والثانى
فرداً فالعدد الفرد حصل فيه الزوج والفرد معا وأما العدد الزوج فلا بد وأن يكون كل
واحد من قسميه زوجاً والمشتل على القسمين أفضل من الذى لا يكون كذلك (الرابع) ان
الزوجية عبارة عن كون كل واحد من قسميه معادلاً للقسم الاخرى فى الذات والصفات
والمقدار واذا كان كل ما حصل له من الكمال فله حاصل غير لم يكن هو كاملاً على الإطلاق
أما الفرد فالفرديّة كاشتهه خاصّة لاغير ولا مثله فكان كماله حاصله لاغير فبكر أفضل
(الخامس) ان الزوج لا بدوان يكون كل واحد من قسميه مشاركاً لقسم الاخرى بعض
الامور ومغايراً لى أمور أخرى وما به المشاركة غير ما به المخالفة فكل زوجين فحما يمكن
الوجود لذاتيهما وكل ممكن فهو محتاج فثبت ان الزوجية منشأ الفقر والحاجة واما
افردانية فمبنى منشأ الاستغناء والاستقلال لان العدد محتاج الى كل واحد من تلك
الوحدات وأما كل واحد من تلك الوحدات فانه غنى عن ذلك العدد فثبت ان الأزواج
ممكنات ومحدثات ومخلوقات وأن الفرد هو القائم بذاته المستقل بنفسه الغنى عن كل
ماسواه فلهذا قال سبحانه والذي خلق الأزواج كلها (الصفة الثامنة) قوله وجعل لكم
من الفلك الانعام ما ترون وذلك لان السفر اما سفر البحر أو سفر البر اما سفر البحر
فالخامل هو السفينة وأما سفر البر فالخامل هو الانعام وههنا سؤالان (الاول) لم يقل
على ظهورها أجاوا عنه من وجوه (الاول) قال أبو عبيدة التذكير قوله ما والقدير
ما ترون (الثانى) قال الفراء أضاف الظهور الى واحد فيه معنى الجمع بمنزلة الخيش
والجند ولذلك ذكر وجع الظهور (الثالث) ان هذا التأنيث ليس تأنيثاً حقيقياً فجازان
يختلف اللفظ فيه كما قال عندي من النساء من يوافقك (السؤال الثانى) يقال ركبوا
الانعام وركبوا فى الفلك وقد ذكر الجنسيتين فكيف قال تركبون (والجواب) غلب

كان اذا وضع رجله فى
الركاب قال بسم الله فاذا
استوى على الدابة قال
الحمد لله على كل حال
سبحان الذى منحنا
هذا الى قوله تعالى لنقلبون
وكبر ثلاثاً وهلل ثلاثاً
(وما كان له مقرنين) أى
أى مطبقين من أقرن
الشيء اذا أطافه وأصله
وجده فربما لان الصعب
لا يكون قربة للضعيف
وقرى بالشديد والمعنى
واحد وهذا من تمام ذكر
نعمته تعالى اذ بدون
اعتراف النعم عليه بالبحر
عن تحصيل النعمة لا يعرف
قدرها ولا حق النعم بها
(وانا الى ربنا لنقلبون)
أى راجعون وفيه ايمان
بأن حق الركب أن
يتأمل فيما لا يبسه من
المسير ويند كرمه
المسافة العظمى التى
هى الانقلاب الى الله
تعالى فى بئى أمور فى مسيره
ذلك على تلك الملاحظة
ولا يخطر بباله فى شيء
مما يأتى ويذكر امرأ
ينافها ومن ضرورته
أن يكون ركوبه لا ممر

(وجعلوا له من عباده جزءا) متصل بقوله تعالى وثمن سألهم الخ أي وقد جعلوا له سبحانه بالسنهم واعتقادهم بعد ذلك الاعتراف من عباده واداء ما عبر عنه بالجزء ٤٣٣

وقرى جزا بضمين (ان)
الانسان لكفور مبين)
ظاهر الكفران مبالغ
فيه ولذلك يقولون
ما يقولون سبحانه الله
عياصفون (أم نخذما
يخلق نبات) أم منقطعة
وما فيها من معنى بل
الانتقال من بيان
بطلان جعلهم له تعالى
ولما على الإطلاق إلى
بيان بطلان جعلهم
ذلك الولد من أخس
صنفه والهجرة للانكار
والتوبيخ والتعجب
من شأنهم وقوله تعالى
(وأصفاكم بالبين) (أما
عطف على أشد داخل
في حكم الانكار والتعجب
أو حال من فاعله بضمير
قد أو بدونه على الخلاف
المشهور والاتفاق إلى
خطابهم لتأكيد الالتزام
وتشديد التوبيخ أي
بل أنخذ من خلقه أخس
الصنفين واختار لكم
أفضلهما على معنى
هو أنكم اجترأتم على
إضافة اتحاد جنس
الولد إليه سبحانه مع
ظهور استحالة امتناعه
أما كان لكم شيء من

المتعدى بغير واسطة أقوته على المتعدى بواسطة ثم قال تعالى ثم تذكروا نعمته ربكم
إذا استويتم عائد ومعنى ذكر نعمته الله أن يذكره في قلوبهم وذلك الذكر هو أن يعرف
أن الله تعالى خلق وجه البحر وخلق الرياح وخلق جرم السفينة على وجهه فكن الانسان
من تصريف هذه السفينة ذاك أي بجانب شاموا إذا تذكروا أن خلق البحر وخلق الرياح
وخلق السفينة على هذه الوجوه القابلة لتصرفات الانسان والبحر يكاته لاس من ذلك
الانسان وانما هو من تدبير الحكيم العليم المقدر عرف ان ذلك نعمته عظيمة من الله تعالى
فجعله ذلك على الانتباه والاعتدال له تعالى وعلى الانشغال بالشكر لنعمته التي لا نهاية لها ثم
قال تعالى وتقولوا سبحانه الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين واعلم انه تعالى عين ذكرنا
معنا الركوب السفينة وهو قوله بسم الله جبراعا ومرساها وذكرنا آخر الركوب انعام
وهو قوله سبحانه الذي سخر لنا هذا وذكرنا عند دخول المنازل ذكرنا آخر وهو قوله رب
أنزلى من السماء ماء فكلنا من شجر التين وفيه ان الدابة التي يركبها الانسان
لا بد وان تكون أكثر قوة من الانسان بكثير وليس لها عقل يهديها إلى طاعة الانسان
ولكنه سبحانه خلق تلك البهيمة على وجه مخصوصة في خلقها الظاهر وفي خلقها الباطن
تحصل منها هذا الانتفاع اما خلقها الظاهر فلا تمشي على أربع فوامم فكل ظاهرها
كأوضع الذي يحسن استقرار الانسان عليه واما خلقها الباطن فلا تمشي فكلها
الشديدة فخلقها الله سبحانه بحيث تصير مفيدة للانسان وسخرها فاذنامل الانسان
في هذه العجائب وغاص بعقله في بحار هذه الاسرار عظم تبيينه من تلك القدرة القاهرة
والحكمة الغير المتناهية فلا بد وان يقول سبحانه الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين قال أبو
عبدة فلان مقرن لفلان أي ضابط لفلان الواحدى وكان اشتاقه من قواك ضرب له قرنا
ومعنى أنقرن لفلان أي مثله في الشدة فكان المعنى انه ليس عندنا من القوة والطاقة ان
نقرن هذه الدابة والافاك وان يضبطها سبحانه من سخرها لنا بعلم وحكمة وكل قدرته
روى صاحب الكشف عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا وضع رجله في الركاب
قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحانه الذي سخر لنا هذا
إلى قوله المقلبون وروى القاضى في تفسيره عن أبي عبد الله الحسن بن على عليه السلام
رأى رجلا ركب دابة فقال سبحانه الذي سخر لنا هذا فقال له ما هذا امرت امرت أن
تقول الحمد لله الذى هدانا لهذا السلام الحمد لله الذى من علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم والحمد
لله الذى جعلنا من خير أمة أخرجت للناس ثم تقول سبحانه الذى سخر لنا هذا وروى أيضا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا سافر وركب راحلته كبير ثلاثم يقول سبحانه
الذى سخر لنا هذا ثم قال اللهم انى أسألك في سفرى هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى
اللهم هون علينا السفر واظعننا بعد الارض اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة على
الاهل اللهم احشني في سفرنا واخفني في أهلي وكن اذا رجعت إلى أهلي يقول آيوني تأيوني

العقل وينبذ من الجفاء حتى ٥٥ سا اجترأتم على التفوه بالعظيمة الخارقة لامتقول من ادعاء أنه تعالى أتركهم
على نفسه بخير الصنفين واعلاهما وتركه شرهما وادناهما وتذكير نبات وتعرف

البين لثنية ما اعتبر فيها من الحقايرة والفتامة (واذا بشر أحدكم بما ضرب للرجن مثلا) الخ استئناف مقرر لما قبله وقبل حال على معنى أنهم نسبوا إليه ما ذكر في ١٣٤ ومن حالهم أن أحدهم اذا بشره اغتم والافتان

للبان باقتضاء ذكر قبائحهم أن يعرض عنهم وتحكي لغبرهم تعجيبا منها أي اذا أخبر أحدهم بولادة ما جعله مثالا سبحانه اذا ولد لآبدان يجانس الوالدو بمثاله (ظل وجهه مسودا) أي صار أسودا في الغاية من سوء ما بشره (وهو كظيم) ملوئ من الكرب والكتابة والجله حال وقرئ مسود ومسودا على أن في ظل ضمير المبشرو وجهه مسود جلته وقعت خبرا له (أومن ينشأ في الحلبه) تكريرا لانكار وتثنية للتوبيخ ومن منصوبه بمنصوبه مضطوف على جعلوا أي أو جعلوا من شأنه أن يربى في الزينة وهو طاهر من الزينة وهو ينفقه فالهجرة لانكار الوقوع واستفاحه وقد جوزنا تصابها بمضمر معضوف على اتخذ فالهجرة حينئذ لانكار الوقوع واستفاحه وافحامها بين المضطوفين لتذكير ما في أم المنقطعة من الانكار وتأكيد

لربنا حامدون قال صاحب الكشف دلت هذه الآية على خلاف قول الحجرة من وجوه (الاول) انه تعالى قال تسووا على ظهوره ثم تذكروا نعمه ربكم فذكره بلام كي وهذا يدل على انه تعالى أراد منا هذا الفعل وهذا يدل على بطلان قولهم انه تعالى أراد الكفر منه وأراد الاصرار على الانكار (الثاني) ان قوله لتسووا يدل على أن فعله معلل بالاعراض (الثالث) انه تعالى بين ان خلق هذه الحيوانات على هذه الطوائف انما كان لغرض أن يصدر الشكر عن العبد فلو كان فعل العبد لله تعالى لكان معنى الآية اني خلقت هذه الحيوانات لاجل أن أخلق سبحانه الله في لسان العبد وهذا باطل لانه تعالى قادر على أن يخلق هذا اللفظ في لسانه بدون هذه الوسائط واعلم ان الكلام على هذه الوجه معلوم فلا فائدة في الاعادة ثم قال تعالى وانالي ربنا المتقلبون واعلم ان وجه اتصال هذا الكلام بما قبله ان ركوب القراك في خطر الهلاك فانه كثيرا ما تنكسر السفينة ويهلك الانسان وراكب الدابة أيضا كذلك لان الدابة قديتقق اهما اتفاقات توجب هلاك الراكب واذا كان كذلك فركوب القراك والدابة يوجب تعرض النفس الهلاك فوجب على الراكب أن يتذكر أمر الموت وان يقطع انه هالك لا محالة وانه منقلب الى الله تعالى وغير منقلب من قضائه وقدره حتى لو اتفق له ذلك المحذور كان وطن نفسه على الموت * قوله تعالى (وجعلوا له من عباد جراً ان الانسان لكفور مبين أم اتخذ منا خلق بنات وأصفاكم البين واذا بشر أحدكم بما ضرب للرجن مثالا ظل وجهه مسودا وهو كظيم أومن ينشأ في الحلبه وهو في الخصام غير مبين وجعلوا للثلاثة الذين هم عباد الرحمن انا اناسموا واخلقهم سنكتب شهادتهم ويسألون) اعلم انه تعالى لما قال ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله بين انهم مع اقرارهم بذلك جعلوا له من عباد جراً والمقصود منه التثنية على قلة عقولهم وتخافتهم من الله في الآية مسائل (المسئلة الاولى) قرأناهم في رواية أبي بكر جراً بضم الزاي والهجرة في كل القرآن وهما لغتان واما حجرة فاذا وقف عليه قل جراً بفتح الزاي بلا هجرة (المسئلة الثانية) في المراد من قوله وجعلوا له من عباد جراً قولان (الاول) وهو المشهور ان المراد انهم أثبتوا له ولدا وتقرر الكلام ان ولدا الرجل جزء منه قال عليه السلام فاطمة بضعة مني ولان المعقول من الوالد ان ينقل عنه جزء من أجزائه ثم يترى ذلك الجزء ويولد منه شخص مثل ذلك الاصل واذا كان كذلك فولد الرجل جزء منه وبعض منه فتقوله وجعلوا له من عباد جراً معنى جعلوا حكموا وأثبتوا قلوبا به والمعنى انهم أثبتوا له جراً وذلك الجزء هو عبد من عباد واعلم انه اوقال وجعلوا العباد منه جزءا لا فاد ذلك انهم أثبتوا انه حصل جزء من أجزائه في بعض عباد وذلك هو الولد فكذلك قوله وجعلوا له من عباد جراً معناه وأثبتوا له جراً وذلك الجزء هو عبد من عباد والخاص انهم أثبتوا لله ولدا وذكرنا في تقرير هذا القول وجوها أخر فقالوا الجزء هو الانثى في لغة العرب واختصوا في اثبات هذه اللغة بينتين فالاول قوله

للبان باقتضاء ذكر قبائحهم أن يعرض عنهم وتحكي لغبرهم تعجيبا منها أي اذا أخبر أحدهم بولادة ما جعله مثالا سبحانه اذا ولد لآبدان يجانس الوالدو بمثاله (ظل وجهه مسودا) أي صار أسودا في الغاية من سوء ما بشره (وهو كظيم) ملوئ من الكرب والكتابة والجله حال وقرئ مسود ومسودا على أن في ظل ضمير المبشرو وجهه مسود جلته وقعت خبرا له (أومن ينشأ في الحلبه) تكريرا لانكار وتثنية للتوبيخ ومن منصوبه بمنصوبه مضطوف على جعلوا أي أو جعلوا من شأنه أن يربى في الزينة وهو طاهر من الزينة وهو ينفقه فالهجرة لانكار الوقوع واستفاحه وقد جوزنا تصابها بمضمر معضوف على اتخذ فالهجرة حينئذ لانكار الوقوع واستفاحه وافحامها بين المضطوفين لتذكير ما في أم المنقطعة من الانكار وتأكيد

والعطف للتأخير العنواي أي اتخذ من هذه الصفة الذميمة صفته (وهو) مع ما ذكر من القصور (في) ان (الخصام) أي الجدال الذي لا يكاد يخلو عنه

١٤ ثمان في العادة (غير مبين) عبادوا على من يرد دعوا واحداً تهتة نقصان عقله وضعف رايه واضاعه غير لا تمنع عمل ما بعده في الجار المتقدم لانه بمعنى التي وقرئ * ١٣٥ * ينشأ وينشأ من الافعال والمفاعلة والكل بمعنى واحد وظاهره غلاء وأغلاء وغلاء (وجعلوا الملائكة

الذين هم عباد الرحمن انانا) بيان ان ضمن كفرهم المذكور لكفر آخر وتذريع لهم بذلك وهو جعلهم آكل العباد أو كرمهم على الله عز وجل انفسهم رأياً وأخسهم صنفاً وقرئ عبيد الرحمن وقرئ عند الرحمن على تشييل زلفهم وقرئ انشا وهو جمع الجمع (أشهدوا خلقهم) أي أحضروا خلق الله تعالى ايهم فشاهدوهم اننا نحن يحكموا بانوثهم فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل لهم وتهمك بهم وقرئ أشهدوا بيمينتين مقنونة حسنة ومضمومة وآ أشهدوا بألف ينهجا (ستكتب شهادتهم) هذه في ديوان أعمالهم (ويستلون) عندها يوم القيامة وقرئ سيكتب وستكتب بالياء والنون وقرئ شهاداتهم وهي قولهم ان الله جزأ وان له بنات وانما الملائكة وقرئ يسأله لون من المسألة للمبالغة (وقالوا) لو شاء الرحمن ما عبدواهم

ان أجزأت حرة يوماً فلا يحب * قد تجزئ الحرة المذكاة أحياناً وقوله زوجتهما بنات الاوس مجزئة * للعوسج الذين في آياتها غزل وزعم الزحاج والزهري وصاحب الكشاف ان هذه الماعة فاسدة وان هذه الايات مصنوعة (واقول الثاني) في تفسير الآية ان المراد من قوله وجعلوا له من عباده جزأ اثبات اشركاه الله وذلك لانهم لما أثبتوا الشركاء لله تعالى فقد دعوا ان كل العباد ليس لله بل بعضهم الله وبعضهم غير الله فهم ما جعلوا له من عباده كاهم بل جعلوا له منهم بعضاً وجزأ منهم قالوا والذي يدل على ان هذا القول أولى من الاول اننا اذا حملنا هذه الآية على انكار اشريك الله وحملنا الآية التي بعدها على انكار اولاد الله كانت الآية جائرة للرد على جيم المبطلين ثم قال تعالى ام اتخذنا خافي بنات وأصفاكم بالبنين واعلم انه تعالى رتب هذه المظاهرة على أحسن الوجوه وذلك لانه تعالى بين ان اثبات الولد لله محال ويتدبر ان يثبت الولد فجعله بناً أيضاً محال أما بيان ان اثبات الولد لله محال فلان الولد لابد ان يكون جزأ من الوالد وما كان له جزء كان مركباً وكل مركب ممكن وأيضاً ما كان كذلك فانه يقبل الاتصال والانفصال والاجتماع والافتراق وما كان كذلك فهو وعبد محدث فلا يكون الهافق بما أزيابا (واما المقام الثاني) وهو ان بتقدير ثبوت الولد فانه بمنع كونه بناً وذلك لان الابن أفضل من البنت فلو قلنا انه اتخذ لنفسه البنات وأعطى البنين عباداً لم أن يصكون حال العبد أكل وأفضل من حال الله وذلك مدفوع في يد مقيم العقل يقال أصفيت فلان بكذا أي أثرته به ايثاراً حصل له على سبيل الصفاء من غير ان يكون له فيه مشارك وهو كقوله وأصفاكم بكم بالبنين ثم بين نقصان البنات من وجوه (الاول) قوله واذا بشر أحدكم بما ضرب للرحمن مثلاً ظل وجهه مسوداً وهو كظيم والمعنى ان الذي بلغ حاله في القصد الى هذا الحد كيف يجوز للعقل اثباته لله تعالى وعن بعض العرب ان امرأته وضعت أنثى فتهجر البيت الذي فيه المرأة فقالت

مالأني حرة لا يأتينا * يظل في البيت الذي يلينا * غضبان أن لاندلاليينا ليس لنا من أمرنا ما شئنا * وانما تأخذ ما أعطينا وقوله ظل أي صار كما يستعمل اكثر الافعال الناقصة قال صاحب الكشاف قرئ مسود ومسود والتقدير وهو مسود فوقع هذه الجملة موقع الخبر (والثاني) قوله أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين وفيه مسائل (المسألة الاولى) قرأ حرة والكسائي وحفص عن عاصم بضم الياء وقبح النون وتشديد الشين على ما لم يسم فاعله أي ير بي والباقون ينشأ بضم الياء وسكون النون وقبح الشين قال صاحب الكشاف وقرئ ينشأ قال وظاهر المناشئة بمعنى الانشاء المفاعلة بمعنى الاغلاء (المسألة الثانية) المراد من قوله أو من ينشأ في الحلية التنبية على نقصانها وهو ان الذي ير بي في الحلية يكون ناقص الذات لانه لو لا نقصان في ذاتها لما احتاجت تزوين نفسها بالحلية ثم بين نقصان حالها بطريق آخر وهو قوله وهو

يانا لئن آخر من كفرهم أي لو شاء عدم عبادتنا للملائكة مشبهة ارتضاء ما عبدناهم أرادوا بذلك بيان أن ما فعلوه حتى مرضى عنده تعالى

وانهم انما ينفون به بشيئة تعالى لا الاعتذار من ارتكاب ما ارتكبه بأنه بشيئة تعالى اياه منهم مع اعتذارهم بفهمه حتى
يتمض ذمهم به لا لئلا يعتزلوه مني كلامهم الباطل ﴿ ٤٣٦ ﴾ على مقدمتين احداهما ان عبادتهم اياهم بمشيئته

تعالى والثانية ان ذلك
مستلزم لكونها امر ضية
عند تعالى ولقد اخطوا
في الثانية حيث جهلوا
ان المشيئة عبارة عن
ترجيح بعض الممكنات
على بعض كانهما كان
من غير اعتبار الرضا أو
السخطة في شيء من
المعروفين ولذلك جهلوا
بقوله تعالى (ما لهم بذلك)
أي بما ارادوا بقولهم
ذلك من كون ما فعلوه
بمشيئة الارضاء لا بمطلق
المشيئة فان ذلك محقق
ينطبق به ما لا يحصى من
الآيات الكريمة (من
علم) يستدلى سندما
(انهم الايخرون)
يتعلمون بحملها بلا وقد
جوز أن يشار بذلك الى
أصل الدعوى كأنه لما
أظهر وجوه فسادها
وحكى شبههم المزيفة
نفى أن يكون لهم بها علم
من طريق العقل ثم
أضرب عنه الى ابطال
أن يكون لهم سند من
جودة الفعل قبل (أم
آتيهم كتابا من قبله)
من قبل القرآن أو من قبل
ادعائهم ينطق بصحة

الرجل الصبر على طاعة الله والعز في زينة القوي قال الشافعي
تدرعت يوما لفقير حصينة * أصون بهما عرضي وأجعلهما ذخرا
ولم أحرص أن أدهر الخون وإنما * قصصاره ان يرمى في الموت والفقرا
فأعددت لأعوت الاله وعفوه * وأعددت للفقير التجلد والصبرا

ثم قال تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن انما وفيه مسائل (المسئلة الاولى)
المراد بقوله جعلوا أي حكموا به ثم قال أشهدوا خالقهم وهذا استفهام على سبيل الإنكار
يعني انه لم يشهدوا خلقهم وهذا مما لا سبيل الى معرفته بالدلائل العقلية واما الدلائل
النقلية فتكلمها معارضة على اثبات النبوة وهؤلاء الكفار منكرون للنبوة فلا سبيل لهم الى
اثبات هذا المطلوب بالدلائل النقلية فثبت انهم ذكروا هذه الدعوى من غير أن عرفوه
لأن ضرورة ولا بد من أن الله تعالى هددهم فقال استكتب شهادتهم ويسألون وهذا يدل على
أن القول بغير دليل منكر وان التقليد يوجب الدم العظيم والعقاب الشديد قال أهل
التحقيق هؤلاء الكفار كفروا في هذا القول من ثلاثة أوجه (أولها) إثبات الولد لله تعالى
(وثانيها) ان ذلك الوالد بنت (وثالثها) الحكم على الملائكة بالانوثة (المسئلة الثانية) قرأ
نافع وابن كثير وابن عامر عند الرحمن يأتون وهو اختيار أبي حاتم واحتج عليه بوجوه
(الاول) انه يوافق قوله ان الذين عند ربك وقوله ومن عنده (والثاني) ان كل الخلق عباد
فلامدح لهم فيه (والثالث) ان التقدير ان الملائكة يكونون عند الرحمن لا عند هؤلاء
الكفار فكيف عرفوا كونهم انما واما الباقيون فمروا بعباد جمع عبد وقيل جمع عابد
كقائم وقيام وصائم وصيام ونائم ونيام وهي قراءة ابن عباس واختيار أبي عبيد قال لانه
تعالى رد عليهم قوالهم انهم بنات الله أخبرناهم عبيد ويؤيد هذا قراءة قوله بل عباد
مكرمون (المسئلة الثالثة) قرأ نافع وحده أشهدوا بحمزة ومدة بعدها خفيفة لينة وضمة
أي أحضروا خلقهم وعن نافع غير محدود على ما لم يسم فاعله والباقيون أشهدوا بفتح الالف
من شهدوا أي أحضروا (المسئلة الرابعة) احتج من قال بتفضيل الملائكة على البشر
بهذه الآية فقال أمارأه عند ياتون فهذه العندية لاشك انهم اعندية الفضل والقرب من
الله تعالى بسبب الطاعة ولقطة هم توجب المحصور والمعنى انهم هم الموصوفون بهذه العندية
لا غيرهم فوجب كونهم أفضل من غيرهم رعاية للفظ الدال على المحصر واما من قرأ عباد

ما دعوتهم (فهم به) بذلك الكتاب (مستمكون) وعليه معاونون (بل قالوا انما وجدنا آية ناعلى آية واناعلى ﴿ جمع ﴾
آثارهم مهدون) أنه المحجة عقلية أو عقلية بل اعترفوا بأن

لاستدلالهم سوى تقليد آباؤهم الجهلة مثلهم والامة الدين والطريقة التي تأم أي تفصدد كالرحلة لما يرخل اليه
وقرى امة بالكسر وهي الحالة التي يكون ﴿ ١٣٧ ﴾ عليها الام أي التصادم وقوله تعالى على آثامهم

مهتدون خبران والظرف

صلة لمهتدون (وكذلك)

أي والامر كما ذكر من

عصرهم عن الحجبة

وتشبههم بذي القلند

وقوله تعالى (ما أرسلنا

من قبلك في قرية من

نذير الاقل متروها

انا وجدنا آباءنا على أسة

وانا على آثامهم مقتدون)

استداف مبين لذلك

دال على أن التقليد

فيما بينهم ضلال قديم

ليس لاسلافهم أيضا

سند غيره وتخصيص

المترفين بتلك المقالة

للايدان بأن انتم وحب

البطالة هو الذي صرفهم

عن النظر الى التقليد

(قال) حكاية لما جرى

بين المنسذرين وبين

أمتهم عند تعالهم بتقليد

آباؤهم أي قال كل نذير

من أولئك المنسذرين

لامهم (أو لو جئتكم)

أي أنفسدون بأذاكم

واو جئتكم (بأهدى)

بدين أهدى (ما وجدتم

عليه آباءكم) من الضلالة

التي ليست من الهداية

في شيء وانما عبر عنها

بذلك مجازة معهم على

مسلك الانصاف وقرى قل على أنه حكاية أمر ماض أوحى حينئذ الى كل نذير لاهل أنه خطاب للرسول

صلى الله عليه وسلم كقيل لقوله تعالى (قالوا انابا أرسلتم به كافرين) فانه حكاية عن الام قطعها أي قال كل أمة

لنذيرها انابا أرسلت به الخ

جمع أهدى فقد ذكرنا ان افخذ العباد مخصوص في أمرأت بالوثنين فتوهم عباد الرحمن
يفيد حصر العبودية فيهم فاذا كان اللفظ الدال على العبودية دالا على الفضل والشرف
كان اللفظ الدال على حصر العبودية دالا على حصر الفضل والتميز والشرف فيهم وذلك
يوجب كونهم أفضل من غيرهم الله أعلم * وقوله تعالى (وقالوا الوشاة الذين هم عبادنا هم
مالهم بذلك من علم انهم الاخرصون أم آيتناهم كتابنا من قبله فهم به مستمسكون بل قالوا
انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثامهم مهتدون وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من
نذير الاقل متروها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثامهم مقتدون قال أولو جئتكم
بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انابا أرسلتم به كافرين فانتقمنا منهم فانظر كيف
كان عافية المكذبين (اعلم انه تعالى حكى نوعا آخر من كفرهم وشبهاتهم وهو انهم قالوا
لوشاء الرحمن ما عبدناهم وفيد مسائل (المسئلة الاولى) قالت المعتزلة هذه الآية تدل على
فساد قول المجبرة في أن كفر الكافر يقع بارادة الله من وجهين (الاول) انه تعالى حكى عنهم
انهم قالوا الوشاة الذين هم عبادناهم وهذا صريح قول المجبرة انه تعالى أبطله بقوله ما لناهم
بذلك من علم انهم الاخرصون فثبت انه حكى مذهب المجبرة ثم أردف فديا لبطال والا فساد
فثبت ان هذا المذهب باطل وظهير قوله تعالى في سورة الانعام سيقول الذين أشركوا الوشاة
الله ما أشركنا الى قوله قل هل عندكم من علم فتخرجوا اننا ان تدعون الا الظن وان انتم
الاتخرصون (والوجد الثاني) انه تعالى حكى عنهم قبل هذه الآية أنواع كفرهم (فالواها)
قوله وجهوا لواله من عباده جزا (وثانيها) قوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن آنا
(وثانيها) قوله تعالى وقالوا الوشاة الذين هم عبادناهم فالحكي هذه الاقاويل الثلاثة
بعضها على اثر بعض وثبت ان القولين الاولين كفر محض وكذلك هذا القول الثالث
يجب أن يكون كفر او اعلم أن الواحدى أجاب في البسيط عنه من وجهين (الاول) ما ذكره
الزجاج وهو ان قوله تعالى مالهم بذلك من علم حائد الى قولهم الملائكة اننا والى قولهم
الملائكة بنات الله (والثاني) انهم أرادوا بقوله الوشاة الذين هم عبادناهم انه أمرنا بذلك
وانه رضى بذلك وافرنا عليه فانكر ذلك عليهم فهنا ما ذكره الواحدى في الجواب وعندى
هذان الوجهان ضعيفان (اما الاول) فلا نه تعالى حكى عن القوم قواين باطلين وبين وجه
بطلانهما ثم حكى بعده مذهبنا ثالثا في مسئلة أجنبية عن المسئلتين الاوليتين ثم حكم
بالبطلان والوعيد فصرف هذا الابطال عن هذا الذي ذكره عقبيه الى كلام مقدم أجنبي
عنه في غاية البعد (واما الوجد الثاني) فهو أيضا ضعيف لان قوله الوشاة الذين هم عبادناهم ليس
فيه بيان متعلق بتلك المشيئة والاجال خلاف الدليل فوجب أن يكون التقدير الوشاة الله
ان لا نعبدهم ما عبدناهم ونظرة لتفديد انتفاء الشيء لانتهاء غيره فهذا يدل على انه لم توجد
مشيئة الله اعدم عبادتهم وهذا عين مذهب المجبرة فالابطال والافساد يرجع الى هذا المعنى
ومن اتأس من أجاب عن هذا الاستدلال بأن قال انهم انما ذكروا ذلك الكلام على

لنذيرها انابا أرسلت به الخ

وقد أجل عند الحكاية للايجاز كما مر في قوله تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات وجعلها حكاية عن قوم عليه الصلاة والسلام يحمل صيغة الجمع على تعاليه ﴿٤٣٨﴾ على سائر المذنبين عليهم السلام وتوجيه كفرهم

الى ما أرسل به الكل من التوحيد لا جماعهم عليه كافي فظاهر قوله تعالى كذبت عاد المرسلين تحمل بعيد رده بالكلية قوله تعالى (فاتقنوا منهم) أى بالاستئصال (فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) من الامم المذكورين فلان كثرت بتكذيب قومك (واذ قال ابراهيم) أى واذكر لهم وقت قوله عليه الصلاة والسلام (لأبيه وقومه) المكبين على التقليد كيف نبأ عنهم فيه بقوله (اننى برأهم اعبدون) وتمسك بالبرهان ليسلكوا مسلكه فى الاستدلال أوليقلدوه ان لم يكن لهم يدمن التقليد فانه أشرف أبائهم و برأه مصدر نعت به مبالغة ولذلك يستوى فيه الواحد والمتعدد والمذكروا المؤنث وقرئ برئ و برأ بضم الباء ككريم وكرام وما اما مصدر بة أو موصولة حذف عائدها أى اننى برئ من عبادتك أو مبودك (الا الذى فطرنى) استثناء مفعول

سبيل الاستهزاء والسخرية فلهذا السبب استوجبوا الطعن والذم وأجاب صاحب الكشف عنه من وجهين (الاول) انه ليس فى اللفظ ما يدل على انهم قالوا مستهزئين وادعاهم بالادلة عليه باطل (الثاني) انه تعالى حكى عنهم ثلاثة أشياء وهى انهم جعلوا له من عباده جزأوا ذمهم جعلوا الملائكة انايا واذمهم قالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم فلو قلنا بانه انما جاء الذم على القول الثالث لانهم ذكروه على طريق الهزول وعلى طريق الجدل وجب أن يكون الحال فى حكاية القولين الاولين كذلك فلزم انهم لو طعنوا بتلك الاشياء على سبيل الجدل ان يكونوا محتمين ومعلوم انه كفر واما القول بأن الطعن فى القولين الاولين انما توجه على نفس ذلك القول وفى القول الثالث لا على نفسه بل على ارادة على سبيل الاستهزاء فهذا يوجب تشويش النظم وانه لا يجوز فى كلام الله واعلم ان الجواب الحق عندى عن هذا الكلام ما ذكرناه فى سورة الانعام وهو ان القوم انما ذكروا هذا الكلام لانهم استدلوا بعشيرة الله تعالى للكفر على انه لا يجوز ورود الامر بالايان فاعتقدوا ان الامر والارادة يجب كونهما متطابقين وعندنا ان هذا باطل فالقوم لم يستحقوا الذم بمجرد قولهم ان الله يريد الكفر من الكافر بل لاجل انهم قالوا لما أراد الكفر من الكافر وجب أن يفتح منه أمر الكافر بالايان واذ صرنا الذم والطعن الى هذا المقام سقط استدلال المعتزلة بهذه الآية وقام النقص يمدحهم فى سورة الانعام والله أعلم (المسئلة الثانية) انه تعالى لما حكى عنهم ذلك المذهب الباطل قال ما لهم بذلك من علم انهم لا يخبرون وتقريره كانه قيل ان القوم يقولون لما أراد الله الكفر من الكافر وخلق فيه مأوجب ذلك الكفر وجب أن يفتح منه ان يأمره بالايان لان مثل هذا التكليف يفتح فى الشاهد فيكون قبيحا فى الغائب فقال تعالى ما لهم بذلك من علم أى ما لهم بحجة هذا القياس من علم وذلك لان افعال الواحد منا وأحكامه مبنية على رعاية المصالح والمفاسد لاجل ان كل ما سوى الله فانه ينفع بمحصل المصالح ويستفتر بمحصل المفاسد فلا جرم ان صريح طبعه وعقله يحمله على بناء أحكامه وأفعاله على رعاية المصالح اما الله سبحانه وتعالى فانه لا ينفعه شئ ولا يضره شئ فكيف يمكن القطع بأنه تعالى يبنى أحكامه وأفعاله على رعاية المصالح مع ظهور هذا الفارق العظيم فتعوله تعالى ما لهم بذلك من علم أى ما لهم بحجة قياس الغائب على الشاهد فى هذا الباب علم ثم قال انهم لا يخبرون أى كالم يثبت لهم حجة ذلك القياس فقد ثبت بالبرهان القاطع كونهم كذابين خراسين فى ذلك القياس لان قياس المزمع من النفع والضرر من كل الوجوه على المحتاج المنفعة المتضرر قياس باطل فى بديةة العقل ثم قال أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستسكون يعنى القول الباطل الذى حكاها الله تعالى عنهم عرفوا صحته بالعقل أو بالنقل اما آياتنا بالعقل فهو باطل لقوله ما لهم بذلك من علم انهم لا يخبرون واما آياتنا بالنقل فهو أيضا باطل لقوله أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستسكون والضيق فى قوله من قبله نأقر أن أول الرسل والمعنى انهم وجدوا ذلك الباطل

أو متصل على أن ماتهم أولى العلم وغيرهم وأنهم كانوا يعبدون الله والاصنام أو صفة على أن ما موصوفة أى اننى برأهم من آلهة تعبدونها غير الذى فطرنى (فانه

سهيدين) أي سيقني على الهداية أو سهيدين إلى ما وراء الذي هداني إليه الآن والوجود أن السيين لنا كيد دون التسوية وصيغة المضارع الدلالة ٤٣٩ ﴿ على الاستمرار (وجعلها) أي جعل ابراهيم كلمة التوحيد التي ما نكلهم

بعبارة عنها (كلمة باقية

في عقبه) أي في ذريته

حيث وصاهم بها كما

نطق به قوله تعالى ووحي

بها ابراهيم بنبيه ويعتوب

الآية فلا يزال فيهم

من يوحد الله تعالى

ويدعوا إلى توحيد

وقرى كلمة وفي عقبه

على التعريف (لعلهم

يرجعون) علة للعمل

أي جعلها باقية في عقبه

رجاء أن يرجع إليها

من أشرك منهم بدعاء

الموحد (بل تمتع

هؤلاء) اضطراب عن

مخدوف ينساق إليه

الكلام كأنه قيل جعلها

كلمة باقية في عقبه بأن

وصى بها بنبيه رجاء

أن يرجع إليها من أشرك

منهم بدعاء الموحد فلم

يحصل ما رجاء بل تمتع

منهم هو لا المعاصرين

لرسول صلى الله عليه

وسلم من أهل مكة

(وآباءهم) بالمدني العمر

والتمعة فاعتروا بالهيلة

وانهم كوا في الشهوات

وشغلوا بها عن كلمة

التوحيد (حتى جاءهم)

أي هؤلاء (الحق) أي

في كيب منزل قبل القرآن حتى جاز لهم أن يقولوا عليه وان يتسكوا به والمقصود منه ذكره في معرض الإنكار ولما ثبت أنه لم يدل عليه لادليل عقلي ولا دليل نقلي وجب أن يكون القول به باطلا ثم قال تعالى بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آناهم مهتدون والمقصود أنه تعالى لما بين أنه لا دليل لهم على صحة ذلك القول البتة بين أنه ليس لهم حامل يحملهم عليه الا التقليد المحض ثم بين أن تمسك الجهال بطريقة التقليد أمر كان حاصلا من قديم الدهر فقال وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير الاقل متروفاها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آناهم مقتدون وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) قال صاحب الكشف قري على أمة بالكسر وكلاهما من الام وهو التقصد فالأمة الطريقة التي تؤم أي تقصد كالرحلة للرجول اليه والامة الحالة التي يكون عليها الام وهو القاصد (المسئلة الثانية) لو لم يكن في كتاب الله الا هذه الآيات لكففت في ابطال القول بالتقليد وذلك لانه تعالى بين أن هؤلاء الكفار لم يتسكوا في اثبات ما ذهبوا اليه لا بطريق عقلي ولا دليل نقلي ثم بين أنهم انما ذهبوا اليه بمجرد تقليد الآباء والاسلاف وانما ذكر تعالى هذه المعاني في معرض الذم والتهجين وذلك يدل على أن القول بالتقليد باطل وما يدل عليه أيضا من حيث العقل أن التقليد أمر مشترك فيه بين المبطل وبين الحق وذلك لانه كما حصل لهذه الطائفة قوم من المقلدة فكذلك حصل لاضدادهم أقوام من المقلدة فلو كان التقليد طريقا إلى الحق لوجب كون الشيء ونقيضه حقا وعاوم أن ذلك باطل (المسئلة الثالثة) أنه تعالى بين أن الداعي إلى القول بالتقليد والحامل عليه انما هو حب النعم في طبقات الدنيا وحب الكسل والبطالة وبعض تحمل مشاق النظر والاستدلال لقوله الاقل متروفاها انا وجدنا آباءنا على أمة والمتروفون هم الذين أترتهم النعمة أي أبطرتهم فلا يحبون الا الشهوات والملاهي ويبغضون تحمل المشاق في طلب الحق واذا عرفت هذا علمت أن رأس جميع الآفات حب الدنيا والآفات الجسمانية ورأس جميع الخيرات هو حب الله والدار الآخرة فلهذا قال عليه السلام حب الدنيا رأس كل خطيئة ثم قال تعالى لرسوله قل أولو جئتمكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم أي بدین اهدى من دين آباءكم فعند هذا حكى الله عنهم أنهم قالوا انا ناثبون على دين آباءنا لا نتفك عنه وان جئتنا بما هو اهدى فانابا ارسلتم به كافرين وان كل اهدى مما كنا عليه فعند هذا لم يبق لهم هذر ولا علة فلهذا قال تعالى فاقمناهم فانظر كيف كان عاقبة المذكبين والمراد منه تهديد الكفار والله أعلم بقوله تعالى (واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه انني راء ما تعبدون الا الذي فطرنى فانه سهيدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون بل تمتع هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون) اعلم أنه تعالى لما بين في الآية المتقدمة أنه ليس لأوثك الكفار داع يدعوهم إلى تلك الاقاويل الباطلة الا التقليد الآباء والاسلاف ثم بين أنه طريق باطل ومنتهج فاسد وان الرجوع إلى الدليل أولي من

القرآن (ورسول) أي رسول (مبين) ظاهر الرسالة واضحا بالمعجزات الباهرة أو مبين للتوحيد بالآيات البينات والنجيب وقرى متعنا و تمتع بالخطاب على أنه تعالى اعترض به على ذاته في قوله

الاعتماد على التقليد أردفه هذه الآية والمقصود منها ذكر وجوب آخر يدل على فساد القول
 بالتقليد وتفريجه من وجهين (الأول) أنه تعالى حكى عن إبراهيم عليه السلام أنه نبأ عن
 دين آباءه بناء على الدليل فنقول أما أن يكون تقليد الآباء في الأديان محرماً أو جائزاً فإن
 كان محرماً فقد بطل القول بالتقليد وإن كان جائزاً فمعلوم أن أشرف آباء العرب هو
 إبراهيم عليه السلام وذلك لأنه ليس لهم فخر ولا شرف إلا أنهم من أولاده وإذا كان كذلك
 فتقليد هذا الأب الذي هو أشرف الآباء أولى من تقليد سائر الآباء وإذا ثبت أن تقليده
 أولى من تقليد غيره فنقول أنه ترك دين الآباء وحكم بالاتباع الدليل أولى من متابعة
 الآباء وإذا كان كذلك وجب تقليده في ترك تقليد الآباء ووجب تقليده في ترجيح
 الدليل على التقليد وإذا ثبت هذا فنقول فقد ظهر أن القول بوجوب التقليد يوجب المنع
 من التقليد وما أفضى ثبوته إلى نفسه كان باطلاً فوجب أن يكون القول بالتقليد باطلاً
 فهو ناظر في دقيق في بطلان التقليد وهو المراد من هذه الآية (الوجد الثاني) في بيان أن
 ترك التقليد والرجوع إلى متابعة الدليل أولى في الدنيا وفي الدين أنه تعالى بين أن إبراهيم
 عليه السلام لما عدل عن طريقة أبيه إلى متابعة الدليل لاجرم جعل الله دينه ومذهبه باقياً
 في عقبه إلى يوم القيامة وأما أديان آباءه فقد اندرست وبطلت فثبت أن الرجوع إلى
 متابعة الدليل يبيح محمود الأثر إلى قيام الساعة وإن التقليد والاصرار يتقطع أثره ولا يبقى
 منه في الدنيا خبر ولا أثر فثبت من هذين الوجهين أن متابعة الدليل وترك التقليد أولى فهذا
 بيان المقصود الأصلي من هذه الآية ولنرجع إلى تفسير الفاظ الآية أما قوله أني براء مما
 تعبدون فقال الكسائي والفراء والمبرد والزجاج براء مصدر لا يثنى ولا يجمع مثل عدل
 ورضا وتقول العرب أنا البراء منك والخلاء منك ونحن البراء منك والخلاء ولا نقولون
 البراءة ولا البراؤون لأن المعنى ذوالبراء وذو البراءة فأن قلت براءى وحلى فثبتت وجمعت ثم
 استثنى خاتمة من البراءة فقال إلا الذي فطرني والمعنى أنا أتبرأ مما تعبدون إلا من الله عز
 وجل ويجوز أن يكون الابعنى لكن فيكون المعنى لكن الذي فطرني فإنه سيهديني إلى
 سبيل الله ويوقيني أضلعتي وأعلم أنه تعالى حكى عن إبراهيم عليه السلام في آية أخرى
 أنه قال الذي خلقتني فهو يهدين وحكى عنه ههنا أنه قال سيهدين فاجمع بينهما وقسركا أنه
 قال فهو يهدين وسيهدين فيدلان على استمرار الهداية في الحاضر والمستقبل وجعلها أي
 وجعل إبراهيم كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي قوله أني براء مما تعبدون جارياً مجرى لآله
 وقوله إلا الذي فطرني جارياً مجرى قوله إلا الله فكان مجموع قوله أني براء مما تعبدون إلا
 الذي فطرني جارياً مجرى قوله لا اله إلا الله ثم بين تعالى أن إبراهيم جعل هذه الكلمة باقية في
 عقبه أي في ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله ويدعو إلى توحيد الله ثم يرجعون إلى أهل
 من أشرك منهم يرجع بدعاه من وحدتهم وقيل وجعلهم الله وقرئ كل على التخفيف وفي
 عقبة ثم قال تعالى بل تمتع هؤلاء يعني أهل مكة وهم من عقب إبراهيم مالد في العمر

تعالى وجعلها كلمة باقية
 الخ متابعة في تعبيرهم
 فإن التشيع بزيادة التبع
 يوجب عليهم أن يحملوه
 سبباً لزيادة الشكر
 والثناء على التوحيد
 والإيمان فجعله سبباً لزيادة
 الكفر أن أقسى مراتب
 الكفر والضلال (ولما
 جاءهم الحق) ليذهبهم
 عنهم فيه من الغفلة
 ويرشداهم إلى التوحيد
 ازدادوا كفراً وعتوا
 وضموا إلى كفرهم
 السابق معاندة الحق
 والاستمسان به حيث
 قالوا هذا سحر وأناه
 كافرون (فسموا
 القرآن سحراً وكفروا به
 واستعصموا الرسول
 صلى الله عليه وسلم

(وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين) أي من إحدى القريتين مكة والطائف على نهي قوله تعالى يخرج
منها الباطل والرجاس (عظيم) أي بالجماء والمال كما وليدين المعرة الخزومي وعروة بن مسعود الثقفي وقيل حبيب بن عمر بن
عمر الثقفي وعن مجاهد عتبة بن ربيعة وكان نذير عبد الله ولم يغتروا بهذه العظيمة حسدا على نزوله إلى الرسول صلى الله
عليه وسلم دون من ذكر من صاحبهم مع اعتقادهم في ٤٤١ بقرآته بل استدلالا على عدمها حتى أنه لو كان قرآنا

انزل إلى أحد هؤلاء
على ما زعموا من أن الرسالة
منصوب جليل لا يابق به
الامن له جلالة من حيث
المال والجماء وليدروا
أنه رتبة روحانية لا ترقى
إليها إلا هم الخواص
المتحصين بالنفوس الركية
المؤيدون بالقوة القدسية
المتحلين بالفضائل
الإنسية وأما المترسرون
بالخارف السنيوية
المتهمون بالحفظ والدينية
فهم من استحقاق تلك
الرتبة بأف منزل وقوله
تعالى (أهم يقسمون رجة
ربك) انكار فيه تجهيل
أهم وتعجب من تحكيمهم
والمراد بالرجة النبوة
(نحن قسمنا بينهم
معيشتهم) أي أسباب
معيشتهم (في الحياة
الدنيا) قسمنا تقضيها
مشيئة المبتدئ على الحكم
والمصالح ولم نفوض
أمرها إليهم علمنا
بعدمهم عن تدبيرها
بالكلية (ورفعنا بعضهم
فوق بعض) في الرزق
وسائر مبادئ المعاش

والنعمه فاعتزوا بالله العزلة واشتغلوا بأنهم وآيات الشهور وطاعة الشيطان عن كلمة
التوحيد حتى جاءهم الحق وهو القرآن ورسول مبين بين رسالة وأوضحها بآياته من
الآيات والنبات فكذبوا به وسعوا ساجرا وما جاد به سحرا وكفروا به ووجه النظم أنهم لما
عولوا على تقليد الآباء ولم يتفكروا في الحق اغتروا بطول الأوهام والامتناع عنه إياهم
بغير الدين باعترضوا عن الحق قال صاحب الكشف أن قيل ما وجه قراءة من قرأتمت
بفتح التاء قلنا كان الله سبحانه اعترض على ذاته في قوله وجعلنا كلمة باقية في عقبه لعلهم
يرجعون فقال بل متعتهم بمعاشرتهم به من طول العمر والسعة في الرزق حتى شغلهم ذلك
عن كلمة التوحيد وأراد بذلك المبالغة في تضييرهم لأنه إذا متعتهم بزيادة النعم وجب عليهم
أن يشعروا ذلك سببا في زيادة الشكر والثناء على التوحيد لأن بشر كوابه ويجهلوا له
أنه إذا غفاه أن يشكو الرجل إساءة من أحسن اليدين فيقبل على نفسه فيقول أنت
السبب في ذلك بعروفتك وإحسانك إليه وغرضنا بهذا الكلام توضيح المسألة وتصحيح فعل
نفسه قوله تعالى (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين) نظم أهم يقسمون
رجة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات
أفضل بعضهم بعضا نفعنا ربنا ورحمة ربك خير مما يجمعون) أعلم أنه هذا هو النوع الرابع
من كفر بآياتهم التي حكاه الله تعالى عنهم في هذه السورة وهو الكفر بما كان قالوا منصوب
رسالة الله منصوب شريف فلا يابق إلا الرجل الشريف وقد صدقوا في ذلك لأنه من ضا
الهم مقدمة فائدة وهي أن الرجل الشريف هو الذي يكون كثير المال والجماء محمد بن
كذلك فلا يتبقى رسالة الله به وإنما يتبقى هذا المنصب بيجل عظيم الجاه كثير المال في
أحدى القريتين وهي مكة والطائف قال المفسرون والذي يمكنه هو الوليد بن المغيرة
والذي باطناف هو عروة بن مسعود الثقفي ثم أبطل الله تعالى هذه الشبهة من وجهين
(الاول) قوله أهم يقسمون رجة ربك وتقرير هذا الجواب من وجوه (أحدها) أنا أوفعنا
التفاوت في مناصب الدنيا ولم يقدر أحد من الخلق على تغييره فانفاوت الذي أوفعناه
في مناصب الدين والنبوة يأن لا يقدر ما على التصرف فيه كان أولي (وثانيها) أن يكون
المراد أن اختصاص ذلك النبي بذلك المال أكثر مما كان لأجل حكمنا وفضلنا
واحساننا إليه فكيف يليق بأعقل أن جعلنا إحساننا إليه بكثر المال حجة علينا في أن
نحسن إليه أيضا بالنبوة (وثانيها) أنا أوفعنا التفاوت في الاحسان بنصيب الدنيا
لأسبب سابق فلم لا يجوز أيضا أن نوقع التفاوت في الاحسان بنصيب الدين والنبوة
لأسبب سابق فهذا تقرير الجواب وزجج إلى تقسيم الانفاظ فتقول اللهم في قوله أهم
يقسمون رجة ربك لا انكار الدال على التجهيل والتعجب من اعراضهم وتحكيمهم
وأن يكذبواهم المدينين لأمر النبوة ثم ضرب بهذا مثلا فقال نحن قسمنا بينهم معيشتهم
في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات وفيه مسائل (المسألة الاولى) أنا أوفعنا

(درجات) مئة وثمة بحسب القرب في ٥٦ ساء والبعده حسب مقتضيد الحكمة من شريف وقوي وقوي
وخادم وتخدم وحكم تحكروم (لنخذلهم) أي بعضنا بعضا (يا) بصرف ففهم بعضنا بعضا سلمهم وليستخدموهم في مهنهم
وليتخروهم في أشغالهم حتى يتعاشوا ويتزادوا ويصلوا إلى مرافقتهم لا لالحال في الموسع

والانتم في الحق والوفاء ذلك الى تبيينهم ايضا عواوهم لكونها كانوا في تدبيرهم بصدده امرهم وما يصلحهم من منافع الدنيا الدينية وهو في طرف التمام على هذه الحال فاختارهم بانفسهم في تدبير امر الدين وهو بعد من مناط العبوق ومن أين لهم البحث عن أمر النبوة والتخير لها من يصلح لها او يقوم بأمرها (ورحمته بك) أي النبوة وما يبعثها من سعادة الدارين (خير ما يجمعون) من حطام الدنيا الدينية الغائبة وقوله تعالى ﴿ ٤٤٢ ﴾ (ولو لا أن يكون الناس أمة واحدة)

استئناف مبين لحقارة متاع الدنيا ودناءة قدره عند الله عز وجل والمغنى أن حقارة شأنه بحيث لا يولاه أن يرغب الناس لحبهم الدنيا في الكفر إذا راوا أهلها في سعة وتتم فيجمعوا عليه إعطيتهم بمصادفهم من هوشهم الخلاق أو أدانهم بمزلة وذلك بقوله تعالى (لجلنا لمن يكفر بالرحن ابيوتهم سقنا من فضة) أي متخذة منها وبيوتهم بدل اشتغال من لمن وجع الضمير باعتبار معنى من كما أن افراد المستكن في يكفر باعتبار لفظها والسقف جمع سقف كرهن جمع رهن وعن اقراء أنه جمع سقفة كسفن وسقفة وقرئ سقفا بسكون السين تخفيفا وسقفا اكفاء بجمع البوت وسقفا كانه لغة في سقف وستوف (ومعارج) أي جعلنا لهم معارج من فضة أي مصاعد جمع معراج وقرئ معارج جمع

هذا التفاوت بين العباد في القوة والضعف والعلم والجهل والحقاقة والبلاهة والشهرة والحمول والناقلات ذلك لانا وسوينا بينهم في كل هذه الاحوال لم نخدم احدا واحدا ولم نهر احد منهم منخر الغيرة وحينئذ يقضى ذلك الى خراب العالم وفساد نظام الدنيا ثم ان احدا من الخلق لم يقدر على تغيير حكمنا ولا على الخروج عن قضائنا فلان عجزوا عن الاعتراض عن حكمنا في احوال الدنيا مع قلتها ودنائها فكيف يمكنهم الاعتراض على حكمنا وقضائنا في تخصيص بعض العباد بمنصب النبوة والرسالة (المسئلة الثانية) قوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا يقضى أن تكون كل أفسام معيشتهم انما تحصل بحكم الله وتقديره وهذا يقضى أن يكون الرزق الحرام والحلال كدمن الله تعالى (والوجه الثاني) في الجواب ماهو المراد من قوله ورحمته بك خير مما يجمعون وتقرير ان الله تعالى اذا خص بعض عبيده بنوع من انواع فضله ورحمته في الدين فبهذه الرحمة خسر من الاموال التي يجمعونها لان الدنيا على شرف الانقضاء والافتراض بفضل الله ورحمته تبقى أبدا لا يبادى بقوله تعالى (ولو لا أن يكون الناس أمة واحدة لجلنا لمن يكفر بالرحن ابيوتهم سقنا من فضة ومعارج عليها يظهرون لبيوتهم أبوابا وسررا) راعى فيها تكرار وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك المتقين ومن يش عن ذكر الرحمن ليقض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليسدوهم عن السبل ويحسون أنهم مهتدون حتى اذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين وان ينفكم اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب مشركون (وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم انه تعالى اجاب عن الشبهة التي ذكروها بناء على تفضيل النبي على الغير بوجود ثلث وهوانه تعالى بين ان منافع الدنيا وطيباتها حقيرة خسيسة عند الله وبين حقارتها بقوله (ولو لا أن يكون الناس أمة واحدة والمعنى لو لا أن يرغب الناس في الكفر اذا راوا الكفار في سعة من الخير الرزق لأعطيتهم كثيرا لاسباب المقيدة للتمتع (أحدها) أن يكون سقفتهم من فضة (وثانيها) معارج أيضا من فضة عليها يظهرون (وثالثها) أن تجعل لبيوتهم أبوابا من فضة وسررا أيضا من فضة عليها يتكئون ثم قال وزخرفا وله تفسيران (أحدهما) أنه الذهب (والثاني) أنه الزينة بدليل قوله تعالى حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت فعلى التقدير الاول يكون المعنى وتجعل لهم مع ذلك ذهابا كثيرا وعلى الثاني اناعطيتهم زينة عظيمة في كل باب ثم بين تعالى ان كل ذلك متاع الحياة الدنيا وانما سماه متاعا لان الانسان يستمتع به قليلا ثم ينشئ في الحال وأما الآخرة فهي باقية دائمة وهي عند الله تعالى وفي حكمه للمتقين عن حب الدنيا المتقين على حب الموتى وحاصل الجواب ان أولئك الجهال ظنوا ان الرجل الغنى أولى بمنصب الرسالة من محمد بسبب فقره فبين تعالى ان المسال والجاه حقير ان عند الله وانهم ما على شرف الزوال

معارج (عليها يظهرون) أي يملكون السطوح والعلالي (ولبيوتهم) أي وجعلنا لبيوتهم (أبوابا) أي فحصولها وسررا (من فضة) (عليها) أي على السرر (يتكئون) ولعل تكرير ذكر بيوتهم لبادء التكرير (وزخرفا) أي زينة عطف على سقفا وذهبها عطف على محل من فضة (وان كل ذلك لمتاع الحياة الدنيا) أي وما كل ما ذكر من البيوت الموصوفة بالصفات المفصلة الاشياء يتم!

به في الحياة الدنيا وفي معناه ما قرئ وما كل ذلك الامتناع الحياة الدنيا وقرئ بالتخفيف ما على ان هي المحققة واللام هي الفارقة وقرئ بكسر اللام على انه لام العلة وما موصولة قد حذف عاندا أي الذي هو امتناع الخ كافي قوله تعالى تماما على الذي أحسن (والآخرة) بما فيها من ذنوب التي تنصيرها البيان (عند ربك المؤمنين) أي عن الكفر والمعاصي وبهذا بين أن العظيم هو العظيم (٤٤٣) في الآخرة لافي الدنيا (ومن أعشى) أي يتعم (عن ذكر الرحمن) وهو

القرآن واصفاته الى اسم الرحمن الايدان بقرؤه رجعة للعالمين وقرئ بعش بالفتح أي يعبر يقال عشى عشى اذا كان في بصره آفة وعشا يعشوا اذا عشى بلا آفة كعرج وعرج وقرئ يمشو على أن من موصولة غير مصدرة بمعنى الشرط والمعنى ومن يعرض عنه لغرض اشتغاله بزهرة الحياة الدنيا وانما كان في حظوظهم الغانية والشهوات (تقبض له) شيطانا فهو له قرين لا يفارقه ولا يزال يوسوسه ويغو به وقرئ يقبض بالياء على استناده الى ضمير الرحمن ومن رفع بعشو فحقه أن يرفع يقبض (وانهم) أي الشياطين الذين قبض كل واحد منهم لكل واحد ممن يعشو (ليصدونهم) أي قرناءهم فمدار جمع الضمير باعتبار معنى من كما أن مدار افراد الضمير السابقة اعتبار لفظها (عن السبيل)

فحصولهما لا يفيد حصول الشرف والله أعلم (المسئلة الثانية) قرأ ابن كثير وأبو عمرو سقفا بفتح السين وسكون القاف على لفظ الواحد لارادة الجنس كافي قوله فقرر عليهم السقف من فوقهم والباقون سقفا على الجمع واختلاف القيل هو جمع سقف كرهن ورهن قال أبو عبيد ولانث لهما وقيل السقف جمع سقوف كرهن ورهن وزبروز بور فهو جمع الجمع (المسئلة الثالثة) قوله لمن يكفر بالرحن لبيوتهم فقوله لبيوتهم بدل اشتمال من قوله لمن يكفر قال صاحب الكشف قرئ معارج ومارج والمعارض جمع معرج أو اسم جمع لمعراج وهي المصاعد الى المساكن العالية كالدرج والسلام عليها يظهرهن أي على تلك المعارج يظهرهن وفي نصب قوله وزخر فاقولان قيل لجعلنا لبيوتهم سقفا من فضة وجعلنا لهم زخرفا وقيل من فضة وزخرف فلما حذف الخافض انتصب وأما قوله وان كل ذلك لامتناع الحياة الدنيا قرأ عامم وحرة لما تشديد الميم والباقون بالتخفيف أما قراءة حرة لما تشديد فانه جعل لساقي معنى الا وحكي سبويه نشدك بالله لما فعلت بمعنى الافعلت ويقوى هذه القراءة ان في حرف أي وما ذلك الامتناع الحياة الدنيا وهذا يدل على ان لما معنى الا وأما القراءة بالتخفيف فتسأل الواحدى لفظه ما أتو والتقدير لمتناع الحياة الدنيا قال أبو الحسن الوجه التخفيف لان لما بمعنى الا لا تعرف وحكي عن الكسائي أنه قال لأعرف وجهه الثقيل (المسئلة الرابعة) قالت المعتزلة دلت الآية على انه تعالى انما يعط الناس نعم الدنيا لاجل انه لو فعل بهم ذلك لدحاهم ذلك الى الكفر فهو تعالى لم يفعل بهم ذلك لاجل أن لا يدعوهم الى الكفر وهذا يدل على أحكام (أحدها) أنه اذا لم يفعل بهم ما يدعوهم الى الكفر فلان لا يخلق فيهم الكفر أولى (وثانيها) أنه ثبت ان فعل اللطف قائم مقام ازاحة العذر والعلل فلما بين تعالى انه لم يفعل ذلك ازاحة للعذر والعلل عنهم دل ذلك على أنه يجب أن يفعل بهم كل ما كان اطفاء داعيا لهم الى الايمان فصارت هذه الآية من هذا الوجه دالة على أنه يجب على الله تعالى فعل اللطف (وثالثها) أنه ثبت بهذه الآية ان الله تعالى انما يفعل ما يفعله ويترك ما يترك لاجل حكمة ومصلحة وذلك يدل على تعاليل أحكام الله تعالى وأفعاله بالصلاح والعمل فان قيل لما بين تعالى انه لو فتح على الكافر أبواب النعم لاصار ذلك سببا لاجتماع الناس على الكفر فلم يفعل ذلك بالمسلمين حتى يصير ذلك سببا لاجتماع الناس على الاسلام قلنا لان الناس على هذا التقدير كانوا يجتمعون على الاسلام لطلب الدنيا وهذا الايمان ايمان المتأقين فكان الاصول أن يضيق الامر على المسلمين حتى ان كل من دخل الاسلام فأنما يدخل فيدلتنا به الدليل ولطلب رضوان الله تعالى في حينئذ يعظم ثوابه لهذا السبب ثم قال تعالى ومن يش عن ذكر الرحمن فقبض له شيطانا فهو له قرين والمراد منه التنبيه على آفات الدنيا وذلك ان من فاز بلال والجاه صار كالأعشى عن ذكر الله ومن صار كذلك صار من جلساء الشياطين الضالين المضلين فهذا وجه تعلق هذا الكلام بما قبله قال صاحب الكشف

المستبين الذي يدعو اليه القرآن (و يحسبون) أي العاشون (انهم) أي الشياطين (مهتدون) أي الى السبيل المستقيم واللا اتباعهم أو يحسبون أن انفسهم مهتدون لان اعتقاد كون الشياطين مهتدين مستلزم لاعتقاد كونهم كذلك لاتحاد مسلكهما والجللة حال من مغفول يصدون بتقدير المبتدأ أومن فاعله أومنها لاشتغالها على ضميريهما أي وانهم ليصدونهم عن الطريق الحق وهم

يحسبون أنهم مهتدون اليه وصفة المضارع في الأفعال الأربعة للدلالة على الاستمرار الجدي لقوله تعالى (حتى إذا جاءنا) فإن حتى وإن كانت ابتدائية داخلية على الجملة الشرطية لكنها تقضي حتماً أن تكون غاية الأمر عند كمال مراراً وأفراد الضمير في جاء وما بعده لما أن المراد حكاية عقوبة كل واحد واحد من العاشين ثم يتلوهم ويل الأمر وتنظيم الحال والمعنى يستمر العاشون على ما ذكر من مقدار الشياطين والصد في ٤٤٤ م والحسبان الباطل حتى إذا جاءنا كل واحد

منهم مع قرينه يوم القيامة (قال) مخاطباً به (يا ليت بيني وبينك) في الدنيا (بعد المشرقين) أي بعد المشرق والمغرب أي يساعد كل منهما عن الآخر فقلب المشرق يعني وأضيف البعد إليهما (فبئس الزين) أي أنت وقوله تعالى (ولن نفعكم) الخ حكاية لما يقال لهم حينئذ من جهة الله عز وجل تعجباً وتقريراً أي لن نفعكم (اليوم) أي يوم القامة تمنىكم لمباعدتهم (اذ ظنتم) أي لأجل ظنكم أنفسكم في الدنيا بما يتبعكم إياهم في الكفر والمعاصي وقيل اذ ظنتم بدل من اليوم أي اثنين عندكم وعند الناس جميعاً أنكم ظنتم أنفسكم في الدنيا وعليه قول من قال * إذا ما نسبنا لم تلدني لئيمة * أي تبين أنني لم تلدني لئيمة بل كريمة وقوله تعالى (انكم في العذاب مشتركون) تعويل لئني النعم أي لأن

فري ومن يش بضم الشين وفحها وانفرد بينهما أنه إذا حملت الآفة في بصره قبل عشي وإذا نظر العشي ولا آفة قبل عشي وظهر عرج ابن به الآفة وعرج من شئ مشبه العرجان من غير عرج قال الخطابة * من نأته عشي إلى عشي نأته أي تنظر إليها نظر العشي لما يصف بصرك من عظم الوفود وتسبب الضوء فري يشو على أن من موصولة ضم مفعلة معنى الشرط وحتى هذا القارئ أن يرفع نفيس ومعنى القراءة بالقبح ومن يعم عن ذكر الرحمن وهو القرآن أوله صم بكم عني وأما القراءة باضم فشاها ومن يتعم عن ذكره أي يعرف أنه الحق وهم يتجهم ويتعالي كقوله تعالى وحجوداها واستبقته أنفسهم نفيس له شيئاً قال مماثل لضم إليه شيطاناً فهو لفرين ثم قال وإفهم ليصد وذهبهم عن السبيل يعني وإن الشياطين ليصدوهم عن سبيل الهدى والحق وذكر الكناية عن الإنسان والشياطين لفظ الجمع لأن قوه ومن يش عن ذكر الرحمن نفيس له شيطاناً يفيد الجمع وإن كان اللفظ على الواحد وبحسب أنهم مهتدون يعني الشياطين يصدون الكفار عن السبيل والكتار خصيون أنهم مهتدون ثم عاد إلى لفظ الواحد فقال حتى إذا جاءنا يعني الكافر وقرئ جأناً يعني الكافر وشيطانه روى أن الكافر إذا بعث يوم القيامة من قبر أخذ شيطانه بيده فلم يفارقه حتى يصيرهما الله إلى النار فذلك حيث يقول يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين والمراد يا ليت حصل بيني وبينك بعد على أعظم الوجوه واختلفوا في تفسير قوله بعد المشرقين وذكروا فيه وجوهاً (الأول) قال الأكثرون المراد بعد المشرق والمغرب ومن عادة العرب تسمية الشئين المتقابلين باسم أحدهما قال القرزقي * لتأقراوا النجوم الطوالع * يريد الشمس والقمر ويقولون للكوفة والبصرة البصرتان والغداة والعصر العصران ولا يكر وعمر العمران والماء والنرا السودان (الثاني) أن أهل النجوم يقولون الحركة التي تتكون من المشرق إلى المغرب هي حركة الفلك الأعظم والحركة التي من المغرب إلى المشرق هي حركة الكواكب الثابتة وحركة الأفلاك المشبهة التي للسيارات سوى القمر وإذا كان كذلك فالمشرق والمغرب كل واحد منهما مشرق بالنسبة إلى شئ آخر فثبت أن إطلاق لفظ المشرق على كل واحد من الجهتين حقيقة (الثالث) قالوا يحمل ذلك على مشرق الصيف والشتاء ويذهبها بعد عظيم وهذا بعيد عني لأن المقصود من قوله يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين المباغة في حصول البعد وهذه المباغة إنما تحصل عند ذكر بعد لا يمكن وجود بعد آخر أو يذمه والبعد بين مشرق الصيف ومشرق الشتاء ليس كذلك فيبدل لفظ المشرق عليه (الرابع) وهو أن الحس يدل على أن الحركة اليومية إنما تحصل بطولوع الشمس من المشرق إلى المغرب وأما القمر فإنه يظهر في أول الشهر في جانب المغرب ثم لا يزال يتقدم إلى جانب المشرق وذلك يدل على أن مشرق حركة القمر هو المغرب وإذا ثبت هذا فالجانب المسمى بالمشرق هو مشرق الشمس ولكنه مغرب القمر وأما الجانب المسمى بالمغرب فإنه

حكمكم أن تشركوا أنفسكم بقرناؤكم في العذاب كما كنتم مشركين في سببه في الدنيا ويجوز أن يسند * مشرق * الفعل إليه لكن لا بمعنى أن ينفعكم اشتراككم في العذاب كما يقع أواقين في شدة الدنيا اشتراكهم فيها لتعاونهم في تحمل أعبائها وتنقسم أعنائها لأن لكل منهم ما لا يبلغه طاقته كما قيل لأن الانتفاع بذلك الوجه مما يحطّر بهالهم حتى يرد

عليهم بئس بل معنى ذلك يحصل لكم التشفي بكون قرائنكم معذبين مثلكم حيث كنتم تدعون عليهم بقولكم ربنا آت بهم
 ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبروا فلو كنتم فأتهم عذابا ضعفا من النار ونظائرهما تتشعقوا بذلك * كان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يبالغ في المجاهدة في دعا، فقدمه وهم لا يريدون الاغيا وتعاميا عما يشاهدونه من شواهد النبوة وتعاميا عما
 يسمعون من ميثاق الله ان يقرن (أفأنت تسمع) ٤٤٥ * نعم أتهدي العمى) وهو انكار تحجب من أن يكون هو

الذي يقدر على هدايتهم
 وهم قد تروا في الكفر
 واستغروا في الضلال
 بحيث صار ما بهم من
 العشى عى مقرونا بالصمم
 (ومن كان في ضلال مبين)
 عطف على العمى باعتبار
 تعابر الوصفين ومدار
 الانكار هو التمكن
 والاستمرار في الضلال
 المفرط بحث لا رعوامه
 متلا توهم القصور من
 قبل اهادى فقه رمن
 الى أنه لا يقدر على ذلك
 الا الله تعالى وحده
 بالقسر والجلد (فاما
 نذهب بك) أى فان
 قبضناك قبل أن نصرك
 عذابهم ونشفي بذلك
 صدرك وصدور المؤمنين
 (فاما منهم من تقومون)
 لا يحق في الدنيا والآخرة
 فامر بدة تبا كيد بمنزلة
 لام التسم في أنها لا تفرق
 النون الموكدة (أوز بك
 الذي وعدناهم) أى أو
 أردنا أن نريك العذاب
 الذي وعدناهم (فاما
 عليهم مقدرون) بحيث
 لا نخلص لهم من تحت

مشرق القمر ولكنه مغرب الشمس وبهذا التقدير يصح تسمية المشرق والمغرب
 بالشرقين وأعل هذا الوجه أقرب الى مطابقة اللفظ ورعاية المقصود من سائر الوجوه
 والله أ لم ثم قال تعالى فليس القرين أى الكافر يقول لذلك الشيطان يا ليت بيني وبينك
 بعد المشرقين فبئس القرين أنت فهذا ما يتعلق بتفسير الالفاظ والمقصود من هذا الكلام
 تحقير استيا وبيان ما في الدال والجاه من المضار العظيمة وذلك لان كثرة المال والجاه
 تجعل الانسان كالاعشى عن مطالعة ذكر الله تعالى ومن صار كذلك صار جليسا للشيطان
 ومن صار كذلك ضل عن سبيل الهدى والحق وبقي حائس الشيطان في الدنيا وفي القيامة
 ومحاسن الشيطان حالة توجب الضرر الشديد في القيامة بحيث يقول الكافر يا ليت بيني
 وبينك بعد المشرقين فبئس القرين أنت فليت بما ذكرنا ان كثرة المال والجاه توجب كمال
 التفتن والحرمان في الدين والدنيا وإذا ظهر هذا فقد ظهر ان الذين قالوا اولازل
 هذا القرآن على رجل من القرينين عظيم قالوا كلاما فاسدا وشبهة باللة ثم قال تعالى
 وان ينصركم اليوم ذلظتم أنكم في العذاب مشركون فقول انكم في محمل الرفع على
 الفاعلية يعنى وان ينصركم اليوم كونكم مشركين في العذاب والسبب فيه ان الناس
 يقولون المصيبة اذا تمت طابت وقالت الخساء في هذا المعنى

وولوا كثرة الباكين حولي * على اخوانهم اقلت نفسى
 ولا يكون مثل أخى ولكن * أعزى النفس عنه بالأسى

فبين تعالى ان حصول الشركة في ذلك العذاب لا يفيد التخفيف كما كان يفيد في الدنيا
 والسبب فيه وجوه (الاول) ان ذلك العذاب شديد فاشتغال كل واحد بنفسه بهذه عن
 حال الآخر فلا جرم الشركة لا يفيد الخفة (الثانى) ان قوما اذا اشتركوا في العذاب
 أعان كل واحد منهم صاحبه بما قدر عليه فيحصل بسببه بعض التخفيف وهذا المعنى
 متعذر في القيامة (الثالث) ان جلوس الانسان مع قرينه يفيد أنواعا كثيرة من السلوة
 فبين تعالى ان الشيطان وان كان قرينه الا ان مجالسته في القيامة لا توجب المساوة
 وخفة العقوبة وفي كتاب ابن محاهد عن ابن عمر قرأ اذ ظلمتم انكم يكسر الالف والماقون
 انكم يفتح الالف والله أعلم * قوله تعالى (أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمى ومن كان
 في ضلال مبين فاما نذهب بك فاما منهم من تقومون أو نريك الذي وعدناهم فاما عليهم
 مقتدره فاستمسك بالذى أوحى اليك انك على صراط مستقيم وانه لذكر لك ولقومك
 وسوف تسئلون واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة
 يعبدون) اعلم انه تعالى لما وصفهم في الآية المقدمة بالعشى وصفهم في هذه الآية
 بالصمم والعمى وما أحسن هذا الترتيب وذلك لان الانسان في أول اشتغاله بطلب الدنيا
 يكون كمن حصل عينه رمد ضعيف ثم كلما كان اشتغاله بتلك الاعمال اكثر كان ميله الى
 الجسمانيات أشد واعراضه عن الروحانيات اكمل لما ثبت في علوم العقل ان كثرة

ملكتنا وقهرنا وقد أراه عليه السلام ذلك يوم بدر (فاستمسك بالذى أوحى اليك) من الآيات والشرائع سواء مجلتنا لك
 الوعود وأخرنا الى يوم الآخرة وفري أوحى على البناء للفاعل وهو لله عز وجل (انك على صراط مستقيم) تعليل
 للاستمسك بالأمر به (وانه لذكر) لشرف عظيم (لك ولقومك وسرف تسألون) يوم القيامة عنه وعن قيامكم

بمخوفة (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا) أي واسأل أعمهم وعلماء دينهم كقوله تعالى فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك وفائدة هذا الجواز التبريد على أن المسؤول عنه عين ما نطق به السنة الرسل لا ما يقوله أعمهم وظواهرهم من تلقاء أنفسهم قال الفراء هم إنما خبروه عنه عن كتب الرسل فإسألهم فكانه سأل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) أي هل حكمهم بالعبادة إلا الوثان وهل جاءت فيهم في ذلك من ملامهم والمراد به الاستشهاد

الأفمال توجب حصول المنكحات الراسخة فيقتل الإنسان من الرمد إلى أن يصبر أعشى فإذا واطب على تلك الحالة أياما أخرى انتقل من كونه أعشى إلى كونه أعمى فهذا ترتيب حسن موافق لما ثبت بالبراهين البينة روى أنه صلى الله عليه وسلم كان يجهد في دعاء قومده وهم لا يزيدون إلا تصيحاً على الكفر وتمادياً في الغي فقال تعالى أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمى يعني أنهم بلغوا في الغشوة عنك وعن دينك إلى حيث إذا سمعهم القرآن كانوا كالأصم وإذا أريتهم المعجزات كانوا كالأعمى ثم بين تعالى أن صممهم وعامهم إنما كان بسبب كونهم في ضلال مبين ولما بين تعالى أن دعوته لا تؤثر في قلوبهم قال فإما نذرتهم بكريد حصول الموت قبل نزول النعمة بهم فإما نعيمهم ثم قومون بعدك أو نذرتهم في حياتك ما وعدناهم من النذر والقتل فإما تتدرون على ذلك وإسلم إن هذا الكلام يفيد كمال اتساع التسليط للرسول عليه السلام لأنه تعالى بين أنهم لا تؤثر فيهم دعوته واليأس إحدى الراحتين ثم بين أنه لا بد وأن ينتقم لأجله منهم إما حال حياته أو بعد وفاته وذلك أيضاً بوجوب التسليط فبعد هذا أمره أن تمسك بما أمره الله تعالى به فقال فاستمسك بالذي أوحى إليك بأن تعتقد أنه حق وبأن تعمل بموجبه فإنه الصراط المستقيم الذي لا يميل عنه الاضلال في الدين ولما بين تأثير التمسك بهذا الدين في منافع الدين بين أيضاً تأثيره في منافع الدنيا فقال وأنه لنذكر لك وأقومك أي أنه يوجب الشرف العظيم لك وأقومك حيث يقال إن هذا الكتاب العظيم أنزله الله على رجل من قوم هؤلاء وأعلم أن هذه الآية تدل على الإنسان لا بد وأن يكون عظيم الرغبة في إنشاء الحسن والنذكر الجليل وأولها يكن الذكر الجليل أمراً مرغوباً فيه لما من الله به على محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال وأنه لنذكر لك وأقومك ولما طلبه إبراهيم عليه السلام حيث قال واجعل لي لسان صدق في الآخرين ولأن الذكر الجليل قائم مقام الحياة الشريفة بل الذكر أفضل من الحياة لأن أثر الحياة لا يحصل إلا في مسكن ذلك الحي أما أثر الذكر الجليل فإنه يحصل في كل مكان وفي كل زمان ثم قال تعالى وسوف تستأثرون وفيه وجوه (الاول) قال الكلبي تسألون هل أدبتم شكر أنعامنا عليكم بهذا الذكر الجليل (الثاني) قال مقاتل المراد أن من كذب به يسأل لم كذبه فيسأل سؤال توبيخ (الثالث) تسألون هل علمتم بمادل القرآن عليه من التكليف وأعلم أن السبب الأقوى في انكار الكفار رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وبفضله له أنه كان ينكر عبادة الأصنام فيبين تعالى أن انكار عبادة الأصنام ليس من خواص دين محمد صلى الله عليه وسلم بل كل الأنبياء والرسل كانوا مطبوعين على انكاره فقال واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمة آلهة يعبدون وفيه أقوال (الاول) معناه واسأل مؤمنى أهل الكتاب أي أهل التوراة والإنجيل فإنهم سيخبرونك أنهم يردون دين أحد من الأنبياء عبادة الأصنام وإذا كان هذا الأمر متفقاً عليه بين كل الأنبياء والرسل وجب أن لا يعملوه سبباً لبعضهم صلى الله

باجتماع الأنبياء على التوحيد والتنبية على أنه ليس يدع أبداً حتى يكذب ويعاذي (واقداً أرسلنا موسى بآياتنا) ملتبساً بها (إلى فرعون وملكه فقال إني رسول رب العالمين) أراد بالتصايد تسليط رسول الله صلى الله عليه وسلم والاستشهاد بدعوة موسى عليه السلام إلى التوحيد ثم ما أشير إلى اجتماع جميع الرسل عليهم السلام عليه (فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون) أي فاجروا وقت ضحكهم منها أي استهزؤا بها أول ما رأوها ولم يأتوا فيها (وما نزيهم من آية) من الآيات (الاهي أكبر من آيتها) الاهي بالغة أقصى مراتب الانجاز بحيث يحسب كل من ينظر إليها أنها أكبر من كل ما يقاس بهامن الآيات والمراد وصف الكل بغاية الكبر من غير ملاحظة قصور في شيء منها والاهي بمخصة بضرب من الانجاز

مفضلة بذلك الاعتبار على غيرها (وأخذناهم بالعذاب) كالسنين والطوفان والجراد وغيرها (عليهم) يرجعون) لكن يرجعوا عنهم عليه من الكفر (وقالوا يا أيها الساحر) نادوه بذلك في مثل تلك الحالة لغاية عتوهم ونهاية حافتهم وقيل كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لاستعظامهم علم

السحر وقرى الساحر بضم الهاء (ادع تبارك) ليكشف عنا العذاب (بما عهد عندك) بعهد عندك من النبوة اومن استجابة دعوتك اومن كشف العذاب عن اهتدى او بما عهد عندك فوفيت به من الايمان والطاعة (اننا لمهندون) أى لؤمنون على تقدير كشف العذاب عنا دعوتك كقولهم لن كشف عنا الرحمن لؤمنا لك (فلما كشفنا عنهم العذاب) بدعوتهم (اذا هم ينكثون) فاجزأ وقت ٤٤٧ نكث عهدهم بالاعتداء وقدمر تفصيله في الاعراف (ونادى

فرعون) بنفسه
أو بناديه (في قومه)
في مجدهم وفيما بينهم
بعد ان كشف العذاب
عنهم مخافة أن يؤمنوا
(قال يا قوم أليس لي
ملك مصر وهذه
الانهار) (الانهار)
وتسبحها أربعة
انهار نهر النيل ونهر
طولون ونهر مياط
ونهر نيلس (تجري
من تحتي) أى من تحت
قصرى وأمرى وقيل
من تحت ممرى
لارتفاعه وقيل بين
يدى في جناتى وبساتينى
والواو اما عاطفة
لهذه الانهار على ملك
مصر تجرى حال منها
أو للحال فهذه مبتدأ
والانهار صفتها
وتجري خبر للمبتدأ
(أفلاتنصرون) ذلك
يريد به استعظام
ملكه (أم أنا خير) مع
هذه المملكة والبسطة
(من هذا الذى هو
مهيمن) ضعيف حقير
من المهانة وهى القلة

عليه وسلم) (واقول اشأني) قال عطاه عن ابن عباس لما أسرى به صلى الله عليه وسلم الى المسجد الأقصى بعث الله له آدم وجميع المرسلين من ولده فأذن جبريل ثم أقام فقال يا محمد تقدم فصل بهم فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة قال له جبريل عليه السلام واسأل يا محمد من أرسلنا من قبلك من رسلنا الآية فقال صلى الله عليه وسلم لأسأل لاني است شاكافيه (والقول الثالث) ان ذكر السؤال في موضع لا يمكن السؤال فيه يكون المراد منه النظر والاستدلال كقول من قال سل الارض من شق انهارك وغرس أشجارك وحنى ثمارك فانها لم تجبك جوابا اجابك اعتبارا فههنا سؤال النبي صلى الله عليه وسلم على الانبياء الذين كانوا قبله تمتع فكان المراد منه انظر في هذه المسئلة بعثك وتدر فيها ففهمك والله أعلم وقوله تعالى (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملأه فكان انى رسول رب العالمين فلما جاءهم بآياتنا اذاهم منها يصحكون وماز بهم من آية الا همى اكبر من آختها وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون وقالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا لمهندون فلما كشفنا عنهم العذاب اذاهم ينكثون ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي أفلاتنصرون أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين فلو لا أنى عليه أسورة من ذهب أوجاءه معه الملائكة مقترنين فاستخف قومه فأطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين فلما أسغفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين فجهلناهم سلفا ونذرا للآخرين) وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم أن المقصود من إعادة قصة موسى عليه السلام وفرعون في هذا المقام تقرير الكلام الذى تقدم وذلك لأن كفار قريش طعنوا في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بسبب كونه قتيلا عديم المال والجاه فينبى الله تعالى أن موسى عليه السلام بعد ان أورد المعجزات القاهرة الباهرة التى لا يشك على صحتها عاقل أورد فرعون عليه هذه الشبهة التى ذكرها كفار قريش فقال انى غنى كثير المال والجاه ألا ترون انه حصل لى ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي وأمامى قاه قاهر مهين وليس له بيان وليس ان والرجل الفقير كيف يكون رسولا من عند الله الى الملك الكبير الذى ثبت ان هذه الشبهة التى ذكرها كفار مكة وهى قولهم ولا تزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم قد أوردنا بعينها فرعون على موسى ثم اننا انتقمنا منهم فأغرقناهم فالتصود من اراد هذه القصة تقرير أمرين (أحدهما) ان الكفار والجاهل أبدا يتحجبون على الانبياء بهذه الشبهة الركيكة فلا يبالى بها ولا يلتفت اليها (والثاني) ان فرعون على غاية كمال حال الدنيا صار مشهورا باطلا فيكون الامر في حق أعدائك هكذا ثبت انه ليس المقصود من إعادة هذه القصة عين هذه القصة بل المقصود تقرير الجواب عن الشبهة المذكورة وعلى هذا فلا يكون هذا تقريراً للقصة البتة وهذا من نقائص الاجتاث والله أعلم

(ولا يكاد يبين) أى الكلام قاله افتراء عليه عليه السلام وتفصيله عليه السلام في أعين الناس باعتبار ما كان في لسانه عليه السلام من نوع رتبة وقد كانت ذهبت عند لقوله تعالى قد أوتيت سؤلك وأم امانه مطعته والهمزة للقرير كانه قال اثر ما عدد اسباب فضله وميسادى خيريته أثبت عندكم واستقر لديكم أنى أنا خير وهذه جالى من هذا الخ وأما مصلة فالعنى أفلا

يتصرون أم يتصرون خلافة وضع قوله أنا خير موضع يتصرون لأنهم إذا قالوا أنت خير فهم عنده بصراء وهذا من باب تنزيل السبب معزلة السبب ويجوز أن يجعل من تنزيل السبب معزلة السبب فإن إصرارهم لما ذكر من أسباب فضله سبب على زعمه حكمهم بخيرته (فلو لا أني عليه أسورة من ذهب) أي فلو لا أني إليه مقابلد الملك أن كان صادقا لما أنهم كانوا إذا سودوا رجلا سوزوه وطوقوه ﴿ ٤٤٨ ﴾ بطوق من ذهب وأسورة جمع سوار وقرى

أساور جمع أسورة وقرى أساور جمع أسوار بمعنى السوار على تعويض النساء من ياء أساور وقد قرئ كذلك وقرئ أني عليه أسورة وأساور على البناء للفاعل وهو الله تعالى (أو جاء معه الملائكة منتزعين) مقرونين يعنيونه أو يصدقونه من قرينه به فافترن أو متفارين من اقترن بمعنى تقارن (فاستخف قومه) فاستفزههم وطلب منهم الخفة في مطاوعته أو استخف أحلامهم (فأطاعوه) فيما أمرهم به (أنهم كانوا قوما فاسقين) فذلك سار عوا إلى طاعة ذلك الفاسق القوي (فلما أسفونا) أي أغضبونا أشد الغضب فنقول من أسف إذا أشد غضب (انتقمنا منهم) فأمر قسائم جمعين في اليم (فجعلناهم سلفا) قدوة لمن بعدهم من الكفار يسلكون مسلكهم في استيهاب مثل ما حل بهم من العذاب وهو ما صدر نعت به أو جمع سالف كخدم جمع خادم وقرى يضم السين واللام على أنه جمع سايف أي فريق قد سلف كغنى أو سالف كصبر أو سالف كأندو قرى سلفا بأبدال صمة اللام قحمة أو على أنه جمع سلفة أي ثلة قد سلفت (ومثلا للآخرين) أي عظة لهم أو قصة عجيبة تسر مسر الامثال لهم فيقال مثلكم مثل قوم فرعون

من الكفار يسلكون مسلكهم في استيهاب مثل ما حل بهم من العذاب وهو ما صدر نعت به أو جمع سالف ﴿ ٤٤٩ ﴾ كخدم جمع خادم وقرى يضم السين واللام على أنه جمع سايف أي فريق قد سلف كغنى أو سالف كصبر أو سالف كأندو قرى سلفا بأبدال صمة اللام قحمة أو على أنه جمع سلفة أي ثلة قد سلفت (ومثلا للآخرين) أي عظة لهم أو قصة عجيبة تسر مسر الامثال لهم فيقال مثلكم مثل قوم فرعون

(والمضروب ابن مريم ثلاثا) أي ضرب به ابن الزبير حين جادل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى انكم
ومانعبدون من دون الله حصص جهنم حيث قال اهدنا ولا آلهتنا أو لجمع الامم فقال عليه الصلاة والسلام هو لكم
ولا آلهتكم و لجمع الامم فقال اللعين خصصتك ورب الكعبة اليس النصارى يعبدون المسيح واليهود عن يراؤ بنو مليح
الملائكة فان كان هؤلاء في النار فقد رضينا أن نكون ﴿٢٤٩﴾ نحن وأهبتنا معهم ففرح به قومهم وتعدوا وأرتفعت

أصواتهم وذلك قوله تعالى
(إذا قومك منه) أي من
ذلك المثل (يصدون) أي
يرفعون الأصوات جلية وضجيج
فرحوا وجدلا وقرئ يصدون
أي من أجل ذلك المثل
يعرضون عن الحق أي يشنون
على ما كانوا عليه من الاعراض
أو يزدادون فيه وقيل هو أيضا
من الصديد وهما اللذان فيه
نحو يعكف ويعكف وهو
الانصب بمعنى المبالغة (وقالوا)
آلهتنا خير أم هو) حكاية
لغيره من المثل المضروب
قايده تهديد لما ينو عليه من
الباطل المسموم بما يغتر به السفهاء
أي ظاهرا أن عيسى خير من
آلهتنا فحث كل هوى النار
فلا بأس بكوننا مع آلهتنا
فيها واعلم أن ما قل عنهم
من الفرح ورفع الأصوات
لم يكن لما قيل من أنه عليه
الصلاة والسلام سكت عند
ذلك إلى أن نزل قوله تعالى
ان الذين سبقوا هم منا الحمقى
الآية فان ذلك مع إيهامه لما
يجب تنزيه سبحانه عليه
الصلاة والسلام عنه من
شائبة الافحام من أول
الامر خلاف الواقع كيف لا
وقد روي أن قول ابن الزبير
خصصتك ورب الكعبة صد

أفلا تبصرون أن تبصرون إلا أنه وضع قوله بأخير موضع تبصرون لانهم إذا قالوا له أنت
خير فهم هذه بصراء وقال آخرون ان تمام الكلام عند قوله أم وقوله أنا خير ابتداء
الكلام والتدبر أفلا تبصرون أم تبصرون لكنه الكفي في فيه بذكر أم كما تقول لغيرك
أنا كل أم أي أنا كل أم لأننا كل تبصر على ذكر كلمة أم ايثارا للاختصاص فكذلك آلهتنا فان
قبل أليس أن موسى عليه السلام سأل الله تعالى أن يزيل الرتبة عن اسائه بقوله واحلل
عقدة من لساني ينفقها وقل ما أعطاه الله تعالى ذلك بقوله قد أوتيت سؤلتي يا موسى
فكيف طاه فرعون بذلك الرتبة (والجواب) عنده من وجهين (الأول) أن فرعون أراد
بقوله ولا يكاديين بحته التي تدل على صدقه فيما يدعى ولم يرد أنه لا قدر له على الكلام
(والثاني) انه طاه بما كان عليه أولا وذلك أن موسى كان عند فرعون يمانا ملو بلا وفي
اسائه حبسة فتنسبه فرعون الى ما عهده عليه من الرتبة لانهم يعلم ان الله تعالى أزال ذلك
العيب عنهم قال فلولا أني عليه أسورة من ذهب والمراد ان عادة القوم جرت بانهم اذا
جعلوا واحدا منهم رئيسا لهم سوره بسوار من ذهب وطوقوه بطوق من ذهب فطاب
فرعون من موسى مثل هذه الخالفة واختلف القراء في أسورة فبعضهم قرأ أسورة وآخرون
أسورة فأسورة جمع سوار الذي العدد كقوله حمار واجرة وغراب وغريبة ومن قرأ
أسورة فذلك لأن أساور يرجع أسوار وهو أسوار فأسورة تكون اللفظ عوضا عن الياء
نحو بطريق وبطارقة وزنديق وزنادقة ووزين وفازنة فتكون أسورة جمع أسوار
وحاصل الكلام يرجع الى حرف واحد وهو ان فرعون كان يقول أنا أكثر ما ذوا جها
فوجب أن أكون أفضل منه فيمتنع كونه رسولا من الله لأن منصب النبوة يقتضي
الخدرية والاختصاص لا يكون محذوما لا لأشرف ثم لم يرد من الناس هي قوله من كل أكثر
ملا وجها فهو أفضل وهي عين المقدمة التي تنسبها كفار قرشي في قولهم لم لا نزل بها
القرآن على رجل من القرشيين معهم ثم قال أو اجابهم الملائكة مقترنين فيوزان يكون
المراد مقترنين به من قولك قرنته به فاعتن وان يكون من قولهم افتقرنا بمعنى افتقرنا وقال
لزوج معناه يشوب بعد فبدون على صحة نبوته ثم قال تعالى فاستخف قومك فاطاهوه أي
طلب منهم الخفة في الاتيان بما كان بأسرهم به فاطاهوه أي ما فاسألتهم حيث
أطاهروا ذلك الجاهل الفاسق فلما أوفونا غصصونا حكي أن ابن جريج غضب في شيء فقال
له أتغضب بأيا حال فقال قد غضب الذي خلق الاحلام ان الله يقول فلما أسفونا أي
أغصصونا ثم قال تعالى انتقمنا منهم واعلم ان ذكر لفظ الأسف في حق الله تعالى محال وذكر
لفظ الانتقام وكل واحد منهما من المشابهات التي يجب أن يسار فيها إلى التأويل ومعنى
الغضب في حق الله ارادة العقاب ومعنى الانتقام ارادة العقاب لجرم سابق ثم قال تعالى
فيعلمناهم سلفا ومثالا السلف كل شيء قد مضى من عمل صالح أو قرض فهو سلف والسلف
أيضاً من تقدم من آياتك وأقاربك واحدهم سالف ومنه قول طفيل يرثي قومه

منه من أول الامر عند سماع ﴿٥٧﴾ سا الآية الكريمة فرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله عليه السلام
ما أجهدك قومه أم أفهمت أن ما لا يستل وانما يخص عليه السلام هذا الحكم بآلهتهم حين سأل الفاجر عن
الخصوص والعموم مما ذكر من اختصاص كل ما بغير العقل لأن اخرج بعض اليهودي منه عند الحاجة موهم للخصصة
في عبادته في الجملة فمعه عليه السلام للكل لكن لا بطريق عبارة النص بل بطريق الدلالة بجامع الاشتراك في العبودية

من دون الله تعالى ثم بين عليه الصلاة والسلام بقوله بل هم عبدوا الشياطين التي أمرتهم بذلك ان الملائكة واسمهم يعزى من ان يكونوا معبودهم كانطق به قوله تعالى سبحانه انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن الا انهم قد سبقوا تحقيق المقام عند قوله تعالى ان الذين سبقوا لهم من الحسنى الا اننا كان ما ظهر وروى من الاحوال المذكورة لمحض وفاحتهم وتها لكهم على المكارة والعناد كانطق به قوله تعالى (ما ضرب بولئك المثل الا لاجل الجسدال ٤٥٠) الا جدلا أى ما ضرب بولئك ذلك المثل الا لاجل الجسدال

مضوا سلفا قصد السبيل عليهم * وصرف النبا بالرجال تغلب

فولى هذا قال القراء والزجاج يقول جعلناهم متقدمين ليتعظ بهم الآخرون أى جعلناهم سلفا للكفار امه محمد عليه السلام واكثر القراء قروا بالفتح وهو جمع سلف كما ذكرناه وقرأ جزة والكسائي سلفا بالضم وهو جمع سلف قال اللبث يقال سلف بضم اللام بسلف سلوفا فهو سلف أى مقدم وقوله ومثلا للآخرين يريد عظة لى بقى بعدهم وآية وعبرة قال ابو علي الفارسي المثل واحد يراد به الجرم ومن ثم عطف على سلف والدليل على وقوعه على أكثر من واحد قوله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شئ ومن رزقناه فأدخل تحت المثل شيئين والله أعلم * قوله تعالى (ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون وقالوا االلهنا خير ام هو ما ضرب بولئك الاجدال بل هم قوم خصمون ان هو الا عبدا نعمننا عليه وجعلناه مثالا لى اسرائيل ولولنا جعلنا منكم ملائكة فى الارض يخلفون وانه لعم للساعة فلا تتن بها واتبعون هذا صراط مستقيم ولا يصدنكم الشيطان انه لكم عدو مبين) فى الآيات مسائل (المسئلة الاولى) اعلم انه تعالى ذكر أنواعا كثيرة من كفر باتهم فى هذه السورة وأجاب عنها بالوجوه الكثيرة (فأولها) قوله تعالى وجعلوا له من عبادته جزا (وثانيها) قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن انانا (وثالثها) قوله وقالوا وشاء الرحمن ما عبدناهم (ورابعها) قوله وقالوا لازل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم (وخامسها) هذه الآية التى نحن الآن فى تفسيرها ونلفظ الآية لا يدل الا على انه لما ضرب ابن مريم مثلا أخذ القوم يضجون ويرفون أصواتهم فاما ان ذلك المثل كيف كان وفى أى شئ كان فاللفظ لا يدل عليه والمفسرون ذكروا فيه وجوها كلها تحتها (فالاول) ان الكفار لما سمعوا ان النصارى يعبدون عيسى قالوا اذا عبدوا عيسى فآلهتنا خير من عيسى وانما قالوا ذلك لانهم كانوا يعبدون الملائكة (الثانى) روى انه لما نزل قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال عبد الله بن الزبيرى هذا خاصة لنا ولا آلهتنا ام لجميع الامم فقال صلى الله عليه وسلم بل لجميع الامم فقال خصمك ورب الكعبة الست تزعم ان عيسى بن مريم نبى وتثنى عليه خيرا وعلى أمه وقد علمت ان النصارى يعبدونها واليهود يعبدون عزرا والملائكة يعبدون فاذا كان هؤلاء فى النار فقد رضينا ان نكون نحن وآلهتنا معهم فسكت النبى صلى الله عليه وسلم وفرح القوم وضحكوا وضجوا فأنزل الله تعالى ان الذين سبق لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ونزلت هذه الآية أيضا ولما ضرب عبد الله بن الزبيرى عيسى بن مريم مثلا وجدال رسول الله بعبادة النصارى اياه اذا قومك فى شئ من هذا المثل يصدون أى يرتفع لهم ضجيج وجلبة فرحا وجدلا وضجعا بسبب ما رأوا ومن اسكت رسول الله فانه قد جرت العادة بان احد الخصمين اذا انقطع أطهر الخصم الثانى الفرح والضحك وقالوا آلهتنا خير ام هو يعنون ان آلهتنا عندك ليست خيرا من عيسى فاذا كان عيسى من حصب

والخصام لا طالب الحق حتى يدعو الله عند ظهوره بيبانك (بل هم قوم خصمون) أى لدشاداد الخصومة مجبولون على المحك واللباح وقيل لما سمعوا قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب قالوا نحن اهدى من النصارى لانهم عبدوا آدميا ونحن نعبد الملائكة فنزلت فتقوهم آلهتنا خير ام هو حيث تفضل آلهتهم على عيسى عليه السلام لان المراد بهم الملائكة ومعنى ما ضربوه الخ ما قالوا هذا القول الالجلد وقيل لما نزلت ان مثل عيسى الآية قالوا ما يريد مجر بهذا الا أن نعبده وأنه يستأهل ان نعبد وان كان بشرا فاعبدت النصارى المسيح وهو بشر ومعنى يصدون يضجون ويضجون والضجون الضجرون والضمير فى أم هو لمحمد عليه الصلاة والسلام وغيرهم بالموازنة بينه عليه السلام وبين آلهتهم الاستعزازه به وقد جوز أن يكون مراده الشخص عما ذكر عليهم من قواهم الملائكة بنات الله تعالى ومن عبادتهم لهم كأنهم قالوا ما فائنا بعامن

القول ولانعلمنا نكرامان الفعل فان النصارى جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه فحين أشف منهم قولوا فلا تجز جهنم * حيث نسبنا اليه الملائكة وهم نسبوا اليه الاناسى فقله تعالى (ان هو الا عبدا نعمننا عليه) أى يا شوة (وجعلناه مثالا لى اسرائيل) أى أمر انجييا حقيقيا بان يسير ذكره كالمثل السائرة على الوجه الاول استئناف مسوق لتزبيد عليه السلام عن أن ينسب اليه ما نسب الى الاصنام بطريق الرمز كانطق به صريحنا قوله تعالى ان الذين سبق لهم منا الحسنى

الآلة وقية شبه على بطلان رأي من رفعه عن زعمه اليهودية وتعر بعض شهاد رأي من يرى رأيهم في شأن الملائكة وعلى الثاني
والأربع كيان أنه قياس باطل أو باطل على زعمهم وما عيسى الاعبد كسائر العبيد قصارى أمره أنه من نعمتنا عليهم بالنسبة
وخصصناه ببعض الخوص البديع من خلقنا بوجد بديع وقد خلقنا آدم بوجه أديع منه فابن هو من رتبنا له بوجد بديع من أين
يتوهم صحة مذهبه عيسيه حتى يتخفف عبدة هو ٤٥١ الملائكة بكونهم أهدي منهم أو يعتذروا بأن حالهم أشف
أو أخف من حالهم وأما على

لوجه الثالث فهو وزعمهم
ونكذيبهم في افتراءهم على
رسول الله صلى الله عليه وسلم
بيان أن عيسى في الحقيقة قد وحيما
أوحى الى الرسول عليهما الصلاة
والسلام ليس إلا أنه عبد منهم
عليه كاذر فكيف يرضى عليه
السلام بمعبودية أو كيف
يتوهم الرضا بمعبودية نفسه
وقوله تعالى (ولو أنشأ الخ
لحقق أن مثل عيسى عليه
السلام ليس يدع من قدرة الله
وأنة تعالى قادر على أبداع من
ذلك وأربع مع التنبية على
سقوط الملائكة أيضا من درجة
المعبودية أى قدرتنا بحيث أو
نشأ (جعلنا) أى خلقنا بطريق
التوالد (متكم) وأتم رجال
ليس من شأنكم الولادة
(ملائكة) كإخلاقهم بطريق
الابداع (في الأرض) مستقرين
فيها كإجعلناهم مستقرين في
السماء (يخلقون) أى يخلقونكم
مثل أولادكم فيماتون وماتدور
ويباشرون الأفاعيل المنوطة
بمباشرتكم مع أن شأنهم التسبيح
والقدس في السماء في شأنهم
بهذه المثابة بالنسبة الى القدرة
الربانية كيف يتوهم استحقاقهم

جهنم كان أمر آلهتنا أهون (الوجه الثالث) في التأويل وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم
لما حكى أن النصارى عبدوا المسيح وجعلوا الهالات أنفسهم قال كفار مكة أن محمدًا يريد أن
يجعل لنا الهالكًا جعل النصارى المسيح الهالات أنفسهم ثم عندهم هذا قائلوا آلهتنا خير أم هو
يعنى آلهتنا خير أم محمد وذكروا ذلك لأجل أنهم قالوا إن محمدًا يدعونا الى عبادة نفسه
وأبأوتار عوا أنه يجب عبادة هذه الاصنام وإذا كان لابد من أحد هذين الأمرين فعبادة
هذه الاصنام أولى لأن أباءنا واسلافنا كانوا مطابقين عليه وأما محمد فانه منهم في أمرنا
بعبادته فكان الاشتغال بعبادة الاصنام أولى ثم انه تعالى بين أن المثل نقل أن الاشتغال بعبادة
المسيح طريق حسن بل هو كلام باطل فان عيسى ليس الاعبد أن نعمتنا عليه فإذا كان الأمر
كذلك فقد زالت شبهتهم في قولهم أن محمدًا يريد أن يأمُرنا بعبادة نفسه فهذه الوجوه
الثلاثة مما يحتمل كل واحد منها لفظ الآية (المسئلة الثانية) قرأنا في ابن عاصم والكسائي
وأبو بكر عن عاصم يصدون بضم الصاد وهو قراءة على بن أبي طالب عليه السلام والباقر
بكسر الصاد وهى قراءة ابن عباس واختلفوا فقال الكسائي همسا بمعنى نحو يبرشون
ويبرشون ويعكفون ويعكفون ومنهم من فرق أما القراءة بالضم فمن الصدود أى من
أجل هذا المثل يصدون عن الحق ويعرضون عنه وأما بالكسرة فعناه يصبجون (المسئلة
الثالثة) قرأنا عاصم وحزرة والكسائي آلهتنا استغفها ما همزتين الثانية مطولة والباقر
استغفها ما همزة ومدة ثم قال تعالى ما خير بولك الأجد لاى ما خير بولك هذا المثل الأجل
الجدل والغلبة في القول لا لطلب الفرق بين الحق والباطل بل هم قوم خضعون بالغنون
في الخصومة وذلك لأن قولهم أنكم وماتعبدون من دون الله لا يتناول الملائكة وعيسى ويانه
من وجوه (الاول) أن كلمة ما لا تتناول العقلاء البتة (والثاني) أن كلمة ما ليست صريحة في
الاستغراق بديل انه يصح ادخال لفظتى الكل والبعض عليه فيقال أنكم وكل ماتعبدون
من دون الله أنكم وبعض ماتعبدون من دون الله (الثالث) أن قولهم أنكم وكل ماتعبدون
من دون الله أو وبعض ماتعبدون خطاب مشافهة فعلمه ما كان فيهم أحد يعبد المسيح
والملائكة (الرابع) أن قولهم أنكم وماتعبدون من دون الله هب انه عالم إلا أن النصوص
الدالة على تعظيم الملائكة وعيسى أخص منه والخاص مقدم على العام (المسئلة الرابعة)
القائلون بدم الجدل تمسكوا بهذه الآية إلا أنافذ ذكرنا في تفسير قوله تعالى ما يجادل في
آيات الله إلا الذين كفروا أن الآيات الكثيرة دالة على أن الجدل موجب للجدح والنشاء
وطريق التوفيق أن تصرف تلك الآيات الى الجدل الذى يفيد تقرير الحق وإن تصرف
هذه الآية الى الجدل الذى يوجب تقرير الباطل ثم قال تعالى إن هو إلا عبداً نعمتنا عليه
يعنى ما عيسى الاعبد كسائر العبيد نعمتنا عليه حيث جعلناه آية بأن خلقناه من غير أب كما
خلقنا آدم وشرفناه بالنسبة وصبرناه عبرة عجيبه كاللؤلؤ السائر ولونشاء جعلنا منكم أولادنا
منكم بارجال ملائكة تخفونكم في الأرض كإخلفكم أولادكم كأولادنا عيسى من أنثى

للمعبودية أو أنشأهم اليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا (وانه) وإن عيسى (للعلم الساعة) أى انه بمنزلة شمر طمن أشراطها وتسميته
علما لحصوله أو بجدوته بغراب أو بإحيائه الموت دلائل على صحة البعث الذى هو معظم ما يكره الكفرة من الأمور الواقعة
في الساعة وقرئ علم أى علامة وقرئ العلم وقرئ لذكر على تسمية ما يذكر به ذكر كالتسمية ما يعمله علما وفى الجديث أن عيسى
عليه السلام يزن على ثنية

بالارض المقدسة فقال لها اذيقى وعليه خمصرتان و يده خربه وبها يغتال الدجال فباتى بيت المقدس والناس فى صلاة المصبح
فياخر الامام فيقدمه عيسى عليه السلام و يصلى خلفه على شرب بعد محمد صلى الله عليه وسلم يقتل الخنازير و يكسر الصليب
و يخرب البعير و انكسار السهم و يقتل النصارى الا من آمن به و قول الغدير ثم ارا فيه الاعلام بالاسعد (فلا تزن بها)
فلا تنكح في وقوعها (والبو) أى واتبعوا هدى اوشرى * ٥٠٢ * أو رسول و قبل هو قول الرسول ما رواه من

من غيب فجعل الامر فواتا لم يزلنا بالقدرة الساهرة واهرقوا ان دخول النول والولد في
اللائكة امر ~~ممكن~~ وذات الله تعالى عن ذلك وان عيسى اتم الساعة أي شرط من
أشراط اتملي دفعي الشرط المال على النبي عظم الوصول العلية وقرأ ابن عباس اتم
وهو العلامة وقري لعلم وقرأ أي الذكر وفي الحديث ان عيسى ينزل على نذبة في الارض
المستقيمة يقال لها اتيق ويدهم به بها يقبل الدجال فيأتي بيت المقدس والناس في
صلاة الصبح والامام يومهم فيأخر الامام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شرب بعد محمد
صلى الله عليه وسلم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويغرب البيعة والسكناس ويقتل
الذناري الامن من به ملائكة من اهل الرقوة السك والتبعون واتيه واهداهي وشرعي
هذا صراط مستقيم أي هذا الذي ادعواكم اليه صراط مستقيم ولا تصدكم الشيطان انه
لكم عدو مبين فبينت عناوته لكم لجله هو الذي أخرج اباكم من الجنة ونزع عنه
لباس النور * قوله تعالى (ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولا بين لكم
بعض الذي تخفون فيه فاتقوا الله وأطيعون ان الله هو ربكم فاعبدوه هذا
صراط مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم هل
ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون) اعلم انه تعالى ذكر انه لمسا عيسى
بالعجرات وياشرا في النبات الواضحات قال قد جئتكم بالحكمة وهي معرفة ذات الله
وصفاة واقائه ولا بين لكم بعض الذي تخفون فيه يعني ان قوم موسى كانوا قد اختلفوا
في اشياء من احكام التنكاف وافتقوا على اشياء فجاء عيسى ليبين لهم الحق في تلك
المسائل الخلافية وبالجملة بالحكمة معناها اصول الدين وبعض الذي يخفون فيه معناه
فروع الدين فان قيل لم يبين لهم كل الذي يخفون فيه قلنا لان الناس قد يختلفون في
اشياء لا حاجة بهم الى معرفتها فلا يجب على الرسول بيانها ولا بين الاصول والفروع قال
فاتقوا الله في الكفر به والاعراض عن دينه وأطيعون فيما ابغاه اليكم من التكليف
ان الله هو ربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم والمعنى ظاهر فاختلف الاحزاب أي
الفرق المنحزبة بعد عيسى وهم الملكانية واليعقوبية والنسطورية وقيل اليهود
وانصارى فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم وهو وعيد يوم الاحزاب فان قيل قوله
من بينهم الضمير فيه الى من رجم قلنا الى الذين خاطبهم عيسى في قوله قد جئتكم بالحكمة
وهم قومه ثم قال هل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة فقلنا ان تأتيهم بدل من الساعة
والمعنى هل ينظرون الا ان الساعة فان قالوا قوله بغتة يفيد عين ما يفيد قوله وهم
لا يشعرون فالقائدة فيه قلنا يجوز ان تأتيهم بغتة وهم يعرفونه بسبب انهم يشاهدونه
* قوله تعالى (الا خلا يومئذ بعضهم لبعض عدو الا الذين ايمانهم لا خوف عليكم اليوم
ولا انتم تحزنون الذين امنوا باياتنا وكانوا مسلمين ادخاوا الجنة انتم وأزواجكم تحمرون
يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهي الانفس وتلك الاعين وأنتم فيها

نجهدهم تعالى (هذا) أي أنفي
 أدعوك إلى الله أو أقرآن على أن
 الضعيف في الله (صراط مستقيم)
 موصل إلى الحق (ولا يصدركم
 الشيطان) عن اتباعي (أنه
 لكم عدو مبين) بين الهدى والضلالة
 حيث أخرج أيًاكم من الجنة
 وعرضكم للبابية (ولما جاء عيسى
 بالبينات) أي بالمعجزات أو بآيات
 الانجيل أو بالشرائع
 الواضحات (قال) أي
 إسرائيل (قد جئتكم بالحكمة)
 أي الانجيل أو الشريعة (ولأبين
 لكم) عطف على مقدر يبيّن
 منه الجبري بالحكمة كأنه قيل
 قد جئتكم بالحكمة لأعلمكم
 أياها ولا يبين لكم (وهو الذي
 تختلفون فيه) وهو ما يتعلق
 بأمور الدين وأما ما يتعلق بأمور
 الدنيا فلا يسبب به من وظائف
 الانبياء عليهم السلام كما قال عليه
 السلام أنتم أعلم بأمور دنياكم
 (فاتقوا الله) في مخالفتي
 (وأطيعوا) فيما أبلغه منه تعالى
 (إن الله هادي ربي وركبكم فأعبدوه)
 بيان لما أمرهم بالاطاعة فيه وهو
 اعتقاد التوحيد والتعبد
 بالشرائع (هذا) أي التوحيد
 والتعبد بالشرائع (صراط
 مستقيم) لا يضل سالكه وهو

اما من تمة كلامه عليه السلام واسئداف من جهة تعالى مقرر لقالة عيسى عليه السلام (فاخذف الاحزاب) ﴿ خالدون ﴾
 الفرقى المحن بة (من بينهم) اى من بين من بعث الهمم من اليهود والنصارى (فويل للذين ظلموا) من المختلفين (من عذاب
 يوم ايامهم) ويوم القيامة (هل ينظرون) اى ما ينظر الناس (الا الساعة ان نأخذهم) اى الاتيان الساعة (بقتة) اى فجأ ولكن
 تدركهم معرقين لهابل غالمين عنهما مشغلين بامور الدنيا منكربن لها وذلك قوله

تعالى (وهو لا يشعرون الاخلاء) المحابون في الدنيا على الاطلاق أو في الامور الدنيوية (يومئذ) يوم اذ تأتيهم الساعة (بعضهم بعض) لا تقطع ما بينهم من علائق الخلقة والحب لظهور كونها اسبابا للساب (الالمتقين) فان خلقتهم في الدنيا كانت في الله تيق على حالها بل تزداد بمشاهدة كل منهم آثار خلتهم من الثواب ورفع الدرجات والاستثناء على الاول متصل - على الثاني منقطع (يا عباد لا خوف عليكم اليوم) ٥٥٢ هـ (ولا أنتم تحزنون) حذابة لما ينادى به المقول المحابون

في الله يومئذ تشريف لهم
وتدبيرنا لقولهم (الذين آمنوا
آياتنا) عطف لما ينادى أو نصب
على المرح (وكاوا مسلمين)
أي تحسن وجوههم لنا
جاءين أنفسهم بالمدح لاعتنا
وهو حال من واثقوا عن
مقال اذ بعث الله الناس فزع
كل أحد فينادي مناديا عبادي
فيرفع الخلائق رؤسهم على
الرجائم يذبحها الذين آمنوا
الآية فينكس أهل الاديان
الباطلة رؤسهم (أدخلوا الجنة
أنتم وأزواجكم) نسأوكم
المؤمنات (تحبرون) تسرون
سرورنا يظهر حباره أي أثره
على وجوهكم أو تزبون من
الحيرة وهو حسن الهيئة
أو تكرمون أكراما بليغا والحيرة
البالغة فيما وصف بحميل
(بطاف عليهم) بعد دخولهم
الجنة حسب أمر إياه (بصحاف)
من ذهب وأكواب) كذلك
والصحاف جمع صحفة قبل هي
كالقصعة وقيل أعظم القصاع
الجنة ثم القصعة ثم الصحفة
ثم الكلبة والأكواب جم كواب
وهو كوز لا عروقه (وفيها)
أي في الجنة (ما تشبه الانفس)
من فنون الملاذ وفري ما تشتهي

خادموه وتلك الجنة التي أوردتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها
تأكلون (الحكم الثاني) لما قال هل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغفزة ذكر عقيبه بعض
ما يتعلق بأحوال القيامة (قاولها) قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين
والله في الاخلاء في الدنيا يومئذ يعني في الآخرة بعضهم لبعض عدو يعني ان الخلقة اذا
كانت على العصبة والكفر صارت عداوة يوم القيامة الالمتقين يعني الوجوديين الذين
يغال بعضهم بعضا على الايمان والشوق فان خلتهم لا تصير عداوة للحكمة كما في تفسير هذه
الآية طردي حسن قانون المحبة أسرى لا يحصل الاعتقاد حصول خيرا أو دفع ضرر
ففي حصول هذا الاعتقاد حصلت المحبة لا محالة وفي حصول اعتقاد انه يوجب ضرر حصل
البغض والسفرة اذ عرفت هذا فنقول تلك الخبرات التي كان اعتقاد حصولها يوجب
حصول المحبة اما أن تكون قابلة للتغير والتبدل أولا تكون كذلك فان كان الواقع هو
التسم الاول وجب أن تبدل تلك المحبة بالنفرة لأن تلك المحبة لما حصلت لا اعتقاد حصول
الخير ولا راحة فاذا زال ذلك الاعتقاد وحصل عقيبه اعتقاد أن الحاصل هو الضرر والالام
وجب أن تبدل تلك المحبة بالبغضة لأن تبدل الفعل يوجب تبدل المعلوم أما اذا كانت
الخبرات الموجبة للمحبة خبرات باقية أبدية غير قابلة للتبدل والتغير كانت تلك المحبة أيضا
محبوبة آمنة من التغير اذ عرفت هذا الاصل فنقول الذين حصلت بينهم محبة ومودة
في الدنيا كان تلك المحبة لاجل طلب الدنيا وطياتها وانذاتها فهذا المطالب لا يتغير في
القيامة بل يصير طلب الدنيا سببا لحصول الآلام والآفات في يوم القيامة فلا جرم تغلب
هذه المحبة الدنيوية بغضة ونفرة في اقيامة أمان كان الموجب لحصول المحبة في الدنيا
الاشتراك في محبة الله وفي خدمته وطاعته فهذا السبب غير قابل للتسخ والتغير فلا جرم
كانت هذه المحبة قوية في القيامة بل كانت تصير أقوى وأصفى وأكمل وأفضل مما كانت
في الدنيا فهذا هو التفسير المطابق لقوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين
(الحكم الثاني) من أحكام يوم القيامة قوله تعالى يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم
تحزنون وقد ذكرنا مرارا ان عادة القرآن جارية بتخصيص لفظ العباد بالمؤمنين المطيعين
المتقين فقوله يا عبادي كلام الله تعالى فكان الحق يخاطبهم بنفسه ويقول لهم يا عبادي
لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون وفيه أنواع كثيرة مما يوجب الفرح (وأولها) ان الحق
سبحانه وتعالى خاطبهم بنفسه من غير واسطة (وثانيها) انه تعالى وصفهم بالعبودية وهذا
تشريف عظيم بدليل انه لما أراد أن يشرف محمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج قال سبحان
الذي أسرى بعبيد (وثالثها) قوله لا خوف عليكم اليوم فزال عنهم الخوف في يوم القيامة
بالتكليف وهذا من أعظم النعم (ورابعها) قوله ولا أنتم تحزنون ففي عنهم الحزن بسبب فوت
الدنيا الماضية ثم قال تعالى الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين قبل الذين آمنوا ميتة أو خبره
مضمر والتقدير يقال لهم ادخلوا الجنة ويحتمل أن يكون المعنى أعني الذين آمنوا قال

(ولمّا لا يخفى) أي تسئلته وتقر بمشاهدته وقرئ وتذ (وأنتم فيها خالدون) اتمام للنعمة وإكمال السرور فكل نعيم له
زوال بالآخرة مقارن لحوقه لا محالة والالفات للتشريف (وتلك الجنة) مبتدأ وخبر (التي أوردتموها) وقرئ ورثوها
(بما كنتم تعملون) في الدنيا من الاعمال الصالحة شبه جزاء العمل بالبراث لانه يخلفه العامل عليه وقيل تلك الجنة
مبتدأ وسفد والوصول مع صلته خبره وقيل هو صفة الجنة كالوجه الاول والخبر بما كنتم تعملون

فمعلق الباء بمحذوف لا باور ثم هو كافى الاوابين (لكم فيها فاكهة كثيرة) بحسب الانواع والاصناف لا بحسب الافراد قط
(منها تاكلون) أى بعضها تاكلون فى كل نوبة وأما الباقى فعلى الاشجار على الدوام لا ترى فيها شجرة خلت عن ثمرها لحظة
فهى مزينة بالثمار أبدا موقرة بها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا يترج رجى فى الجنة من ثمرها الا نبت مثلاها مكانها
(ان المجرمين) أى الراسخين فى الاجرام وهم الكفار ﴿ ٤٥٤ ﴾ حسبا بنبى عنه ابرادهم فى مقابلة المؤمنين بالآيات

(فى عذاب جهنم خالدون)
خير ان أو خالدون هو الخبر
وفى متعلقه (لا يفتر عنهم)
أى لا تخفف العذاب عنهم
من قولهم فترت عنه الحمى
اذا سكنت قليلا والتركيب
للضعف (وهم فيه) أى
فى العذاب وقرئ فيها أى
فى النار (مبلسون) أيسون
من النجاة (وما ظلمناهم) بذلك
(ولكن كانوا هم الظالمين)
لنرى يرضهم أنفسهم للعذاب
الخالد (ونادوا) خازن النار
(يا مالك) وقرئ يا مال على
الترخيم بالضم والكسر وعله
زعم الى ضعفهم وعجزهم
عن تأدية اللفظ بتمامه (لنقض
علينا ربك) أى ليمتحن حتى
نستريح من قضى عليه اذا أماته
والمنفى سل ربك أن يقضى
علينا وهذا لابتائى ما ذكر
من ابلاسهم لانه جوارى ومن
للموت لقرط الشدة (قال انكم
ما كنون) أى فى العذاب أبدا
لا خلاص لكم منه يموت
ولا يغيره عن ابن عباس رضى
الله عنهما انه لا يجيبهم الا بعد
ألف سنة وقيل بعد مائة وقيل
بعد أربعين سنة (لقد جئناكم
بالحق) فى الدنيا برسال الرسل
وانزال الكتب وهو خطاب

مقاتل اذا وقع الخوف يوم القيامة نادى مناد يا بادي لا خوف عليكم اليوم فاداسعوا
النهار فرفع الخلاق رؤسهم فيقال الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين فتنكس أهل الآيات
الباطلة رؤسهم (الحكم الثالث) من وقائع اقامة الله تعالى اذا آمن المؤمن من الخوف
والخزن وجب ان يحاسبهم على أسهل الوجوه وعلى أحسنها ثم يقال لهم ادخلوا الجنة
أنتم وأزواجكم تحبرون والخبرة المبالغة فى الأكرام فىما وصف بالجليل يعنى بكرمون أكراما
على سبيل المبالغة وهذا مما سبق تفسيره فى سورة الروم ثم قال يطاق عليهم بصحاف من
ذهب وأكواب قال الفراء الكوكب المستدير الرأس الذى لأذن له فقوله يطاق عليهم
بصحاف من ذهب إشارة الى المطعوم وقوله وأكواب إشارة الى المشروب ثم انه تعالى ترك
الفصيل وذكر بيانا كليا فقال وفيها ما تشبهه الانفس وتلد الاعين وأنتم فيها خالسون ثم
قال وتلك الجنة التى أوتيتها نعيمها كنتم تعملون وقد ذكرنا فى ورائة الجنة وجهين فى تفسير
قوله أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس ولما ذكر الطعام والشراب فيما تقدم
ذكره هنا حال الفاكهة فقال لكم فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون واعلم انه تعالى بعث
محمد أصلى الله عليه وسلم الى العرب وألغى الى العالمين ثانيا والعرب كانوا فى ضيق شديد
بسبب الماء كولد والمشروب والفاكهة فهذا السبب تقض الله تعالى عليهم بهذه المعانى
مرة بعد أخرى تكملا لرغباتهم وتقوية لقلوبهم ﴿ قوله تعالى ﴾ (ان المجرمين فى عذاب
جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ونادوا
يا مالك لنقض علينا ربك قال انكم ما كنون لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق
كارهون أم أرموا أمرا فانما مبرمون أم يحسبون اننا لنسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا
لديهم يكتبون) اعلم انه تعالى لما ذكر الوعد أردفه بالوعيد على التزيين المستر فى القرآن
وفيه مسائل (المسئلة الاولى) احتج القاضى على القطع بوعيد الفاسق بقوله ان المجرمين
فى عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون ونفط الجرم يتناول الكافر والفاسق
فوجب كون الكل فى عذاب جهنم وقوله خالدون يدل على الخلود وقوله أيضا لا يفتر عنهم
يدل على الخلود والدوام أيضا (والجواب) ان ما قبل هذه الآية وما بعدها يدل على ان
المراد من لفظ المجرمين ههنا الكفار أماما قبل هذه الآية فلانه قال يا عبادى لا خوف
عليكم اليوم ولأنتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين فهذا يدل على أن كل من
آمن بآيات الله وكانوا مسلمين فانهم يدخلون تحت قوله يا عبادى لا خوف عليكم اليوم
ولأنتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين والفاسق من أهل الصلاة آمن بالله تعالى
و بآياته وأسلم فوجب أن يكون داخل تحت ذلك الوعد ووجب أن يكون خارجا عن هذا
الوعيد وأما ما بعد هذه الآية فهو قوله لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون
والمراد بالحق ههنا اما الاسلام واما القرآن والرجل المسلم لا يكره الاسلام ولا القرآن
وثبت ان ما قبل هذه الآية وما بعدها يدل على أن المراد من المجرمين الكفار والله أعلم

توبيخ وتفرع من جهه الله تعالى مقرر لجواب مالك ومبين لسبب مكثهم وقيل فى قال ضمير الله تعالى (ولكن) المسئلة
أكثركم للحق) أى حق كان (كارهون) لا يقبلونه وينفرون عنه وأما الحق المعهود الذى هو التوحيد وألقرآن فكلمهم
كارهون له مشتمون منه (أم أرموا أمرا) كلام مبتدا ناع عن المشركين ما فعلوا من الكيد برسول الله صلى الله عليه
وسلم وأم منقطعة وما فيها من معنى بل الانتقال من توبيخ أهل النار الى حكاية جناية هؤلاء والهجرة

لأنكاره فان أراد بالابرام الاحكام حقيقة فهي لانكار الوقوع واستعباده وان اراد بالاحكام صورة فهي لانكار الواقع واستعباده أى أأبرم مشركوكم كما أمر من كذبهم ومكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم (فانا مبرمون) كيدنا حقيقة لاهم أوفانا مبرمون كيدناهم حقيقة كما ابرموا كذبهم صورة كذوله تعالى أم يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون وكانوا يتناحون في آلتهم و يتشاورون في أموره ﴿٤٥٥﴾ عليه الصلاة والسلام (أم يحسبون) أى بل يحسبون

(أنا لا نسبح سرهم) وهو ما حدثوا به أنفسهم أو غيرهم في مكان خال (ونجواهم) أى ما تكلموا به فيما بينهم بطريق التامى (بلى) نحن نسبحهم ونطالع عليهم (ورسلنا) الذين يحفظون عليهم أعمالهم و بلازمونهم أنما كانوا (لديهم) عندهم (يكتبون) أى يكتبونهم أو يكتبون كل ما صدر عنهم من الافعال والافعال التي من جعلتها ما ذكر من سرهم ونجواهم والجملة ما عطف على ما ترجم عنه بلى أو حال أى نسبحهم ونطالعهم (قل) أى للكفرة تحفة للعق وتنبها لهم على أن تخافنك لهم بعدم عبادتك لما يعبدونه من الملائكة عليهم السلام ليست يفضلك وعداوتك لهم أو لمعبودهم بل انما هو خزع بك باستحالة ما نسبوا اليهم وينوا عليه عبادتهم من كونهم بنات الله تعالى (ان كان للرحمن ولد فانا أول العابدين) أى له وذلك لانه عليه الصلاة والسلام اعلم الناس بشوئنه تعالى وبما يجوز عليه وبما

(المسئلة الثانية) انه تعالى وصف عذاب جهنم في حق المجرمين بصفات ثلاثة (أحدها) الخلود وقد ذكرنا في مواضع كثيرة انه عبارة عن طول المكث ولا يفيد الدوام (وثانيها) قوله لا يفتقر عنهم أى لا يخفف ولا ينقص من قولهم فترث عند الحمى اذا سكنت ونقص حره (وثالثها) قوله وهم فيه ملبسون والملبس اليأس الساكت سكوت يأس من فرج عن الضحك يجعل الجرم في تابوت من نار ثم يعقل عليه فيقبى فيه خالدا لا يرى قال صاحب الكشف وقرئ وهم فيها أى وهم في النار (المسئلة الثالثة) احتج القاضى بقوله تعالى وما ظلماتهم ولكن كانوا هم الظالمين فقال ان كان خلق فيهم الكفر ليدخلهم النار فما الذى نفاه بقوله وما ظلماتهم وما الذى نسب اليهم مما نفاه عن نفسه أو أتبعه ظلما لهم كان لا يزيد على ما يقوله لقوم فان قالوا ذلك الفعل لم يقع بقدره الله عز وجل فقط بل انما وقع بقدره الله مع قدرة العبد ما عاين يكن ذلك ظلما من الله قلنا عندكم ان القدرة على الظلم موجبة للظلم وخالق تلك القدرة هو الله تعالى فكأنه تعالى لما فعل مع خلق الكفر قدرة على الكفر خرج عن أن يكون ظلما لهم وذلك بحال لان من يكون ظلما في فعل فاذا فعل معد ما وجب ذلك الفعل يكون بذلك أحق يقال للقاضى قدرة العبد هل هي صالحة للطرفين أو هي متعينة لاحد الطرفين فان كانت صالحة لكلا الطرفين فلترجع ان وقع للمرجع لزم نفي الصانع وان اختار الى مرجع عاين التقسيم الاول فيه ولا بد وأن يذهب الى داعية مرجعة لثقة بها الله في العبد وان كانت متعينة لاحد الطرفين فحينئذ يلزمك ما أوردته علينا واعلم انه ليس الرجل من يرى وجه الاستدلال فيذكره انما الرجل الذى ينظر فيما قبل الكلام وفيما بعده فان رآه واردا على مذهبه بعينه لم يذكره والله أعلم (المسئلة الرابعة) قرأ ابن مسعود ما لم يحدف الكاف للترخيم فقيل لابن عباس ان ابن مسعود قرأ ونادوا يا مال فقال ما أشغل أهل النار عن هذا الترخيم وأجب عنه بأنه لما حسن هذا الترخيم لانه يدل على انهم بلغوا في الضعف والخافة الى حيث لا يمكنهم ان يذكروا من الكلمة الاربعة (المسئلة الخامسة) اختلفوا في ان قولهم يا مالنا ابتض علينا ربك على اى وجه مطلوب فقال بعضهم على التثني وقال اخرون على وجه الاستغاثه والافهم عالمون بأنه لا خلاص لهم عن ذلك العتاب وقبل لا يبعد ان يقال انهم اشتد ما هم فيه من العذاب نسوا تلك المسئلة فذكروه على وجه الطلب ثم انه تعالى بين ان ما نكاي قول لهم انكم ما تكون وليس في القرآن متى أجابهم هل اجابهم في الحال أو بعد ذلك بعدة وان كان بعد ذلك فهل حصل ذلك الجواب بعد ذلك السؤال بعدة قليلة أو بعدة طويلة فلا يستتم أن توخر الاجابة استخفا فاهلهم وزيادة في نعمهم فمن عبدالله بن عمر بعد اربعين سنة وعن غيره بعد مائة سنة وعن ابن عباس بعد ألف سنة والله أعلم بذلك المقدار ثم بين تعالى ان ما لكما لما أجابهم بقوله انكم ما تكون ذكر بعده ما هو كما اعلمه لذلك الجواب فقال لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون والمراد نفرتهم عن محمد وعن القرآن وشدة

لا يجوزوا ولا هم بمراعاة حقوقه ومن مواجب الوالد تعظيم ولده وفيه من الدلالة على انتفاء كونهم كذلك على أبلغ الوجوه وأقوالها وعلى كون رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوة يقين وثبات قدم باب التوحيد ما لا يخفى مع ما فيه من استئزال الكفرة عن رتبة المبكرة حسبما يعرب عنه ايراد ان مكان لو المنشئة عن امتناع مقدم الشرطية وقيل ان كان للرحمن ولد فزعكم فانا أول العابدين الموحد لله تعالى وقيل فانا أول الآتقين أى المستكفين منه أو من أن يكون له ولد من عبده بعد

كأزعمون (الامن شهد
بالحق) الذي هو التوحيد
(وهم يعاون) بما يشهدون
به عن بصيرة وإيمان
وإخلاص وجع الضمير
باعتبار معنى من كأن
الأفراد أولا باعتبار
لفظها والاستثناء اما
متصل والموصول عام
اكل ما يعبد من دون الله
أو منفصل على أنه خاص
بالاصنام) ولئن سألتهم
من خلقهم أي سألت
العابدين والمعوذين
(ليقولن الله) لتعذر
الانكار لغاية بطلانه
(فأبى بوفكون) فكيف
يصرفون عن عبادته
الى عبادة غيره مع
اعترافهم بكون الكل
مخوفا لله تعالى (وقيله)
بالجرام على أنه عطف
على الساعة أي عبده علم
الساعة وعلم قوله عليه
الصلاة والسلام (يارب)
الح فان القول والقل
والقال كلها مصادر
أو على أن الواو للقسمة
وقوله

الشرط حقا أو باطلا أو يكون الجزاء حقا أو باطلا بل نقول القضية الشرطية الحققة
قد تكون مركبة من قضيتين حقيتين أو من قضيتين باطلتين أو من شرط باطل وجزاء حق
أو من شرط حق وجزاء باطل (وأما القسم الرابع) وهو أن تكون القضية الشرطية
الحققة مركبة من شرط حق وجزاء باطل فهذا محال ولان أمثلة هذه الأقسام الأربعة
فإذا قلنا ان كان الإنسان حيوانا فالإنسان جسم فهذه شرطية حققة وهي مركبة من
قضيتين حقيتين (أحدهما) قولنا الإنسان حيوان والثانية قولنا الإنسان جسم وإذا
قلنا ان كانت الخمسة زوجا كانت منقسمة بتساوي بين هذه شرطية حققة لكنهما مركبة
من قولنا الخمسة زوج ومن قولنا الخمسة منقسمة بتساوي بين وهما باطلان وكونهما
باطلين لا يمنع من أن يكون استلزام أحدهما للآخر حقا وقد ذكرنا أن القضية الشرطية
لاتفقد الانجراد الاستلزام وإذا قلنا ان كل الإنسان حجر فهو جسم فهذا أيضا حق لكنهما
مركبة من شرط باطل وهو قولنا الإنسان حجر ومن جزاء حق وهو قولنا الإنسان جسم
وإنما جاز هذا لأن الباطل قد يكون بحيث يلزم من فرض وقوعه حق فانا وفرضنا
كون الإنسان حجرا يجب كونه جسميا فهذا شرط باطل يستلزم جزاء حقا (وأما القسم
الرابع) وهو تركيب قضية شرطية حققة من شرط حق وجزاء باطل فهذا محال لأن هذا
التركيب يلزم منه كون الحق مستلزما لباطل وذلك محال بخلاف القسم الثالث فإنه
يلزم منه كون الباطل مستلزما للحق ذلك ليس محال إذا عرفت هذا الأصل فنرجع الى
الآية فنقول فونه ان كل نار حرجن ولدينا أن العابدين قضية شرطية حققة من شرط
باطل ومن جزاء باطل لأن قولنا كل نار حرجن ولدينا أن أول العابدين لذلك الولد
باطل أيضا لا أن يكون كل واحد منهما باطلا لا يمنع من أن يكون استلزام أحدهما
للآخر حقا كما ضربنا من الأمثال في قولنا ان كانت الخمسة زوجا كانت منقسمة بتساوي بين
فثبت ان هذا الكلام لا متناقض في اجرائه على ظاهره ويكون المراد منه انه ان كان للرجن
ولدينا أن أول العابدين لذلك الولد فالسلطان اذا كان له ولد فكما يجب على عبده ان يخدمه
فكذلك يجب عليه أن يخدم ولده وقد بينا ان هذا التركيب لا يدل على الاعتراض بآيات واد
أم لا وما يقرب من هذا الباب قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدنا فهذا الكلام قضية
شرطية والشرط هو قولنا فيهما آلهة والجزاء هو قولنا فسدنا فالشرط في نفسه باطل
والجزاء أيضا باطل لأن الحق انه ليس فيهما آلهة وكلمة لوتفقد انتفاء الشيء بانتفاء غيره
لانهما مفسدنا ثم مع كون الشرط باطلا وكون الجزاء باطلا كان استلزام ذلك الشرط
لهذا الجزاء حقا فكذلك ههنا فان قالوا الفرق ان ههنا ذكر الله تعالى هذه الشرطية بصيغة
لو فقال لو كان فيهما آلهة وكلمة لوتفقد انتفاء الشيء لا انتفاء غيره وأما في الآية التي
نحن في تفسيرها انما ذكر الله تعالى كلمة ان وهذه الكلمة لاتفقد انتفاء الشيء لا انتفاء غيره
بل هذه الكلمة تفقد الشك في انه هل حصل الشرط أم لا وحصول هذا الشك للرسول

تعالى (ان هو لا يرد الهموم
لا يؤمنون) جوابه وفي
الاقسام به من رفق شأنه
عليه الصلاة والسلام
وتخيم دعائه والتجانه
اليه تعالى ما لا يخفى وقرئ
بالنصب بالعطف على
سمرهم أو على محل الساعة
أو بأضمار فعله أو بتقدير
فعل انقسم وقرئ بالرفع
على الابتداء والخبر ما
بعد وقد جوز عطفه
على علم الساعة (فاصفح
عنهم) فأعرض عن
دعوتهم واقتطع عن
إيمانهم (أو قل سلام)
أى أمرى تسلم منهم
ومشاركة (فسوف يعلمون)
حالهم البتة وان تأخر
ذلك وهو وعيد من الله
تعالى لهم وتسليبه لرسول
الله صلى الله عليه وسلم
وقرئ تعلمون على أنه
داخل في خبر قول عن
النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الزخرف
كان من يقال له يوم
التيامة بأبواب لا خوف

غير ممكن قلنا الفرق الذي ذكرتم صحيح الآن مقصودنا بيان انه لا يلزم من كون الشرط
صادقة كون جزأها صادقتين أو كاذبتين على ما قررنا، اما قوله ان لفظة ان تفيد حصول
الشك في ان الشرط هل حصل أم لا قلنا هذا ممنوع فان حرف ان حرف الشرط وحرف
الشرط لا يفيد الا كون الشرط مسئلا من الاجزاء واما بيان ان ذلك الشرط معلوم الوقوع
أو مشكوك الوقوع فاللفظ لا دلالة فيه عليه البتة فظهر من المباحث التي لخصناها ان
الكلام ههنا ممكن الاجراء على ظاهره من جميع الوجوه وانه لا حاجة فيه البتة الى
التأويل والمعنى انه تعالى قال قل يا محمد ان كان للرحمن ولد فانا أول العابدين لذلك الولد
وانا أول الخادم مسين له والمقصود من هذا الكلام بيان اني لا انكر ولده لاجل العناد
والمنازعة فان تقدير أن يقوم الدليل على ثبوت هذا الولد كنت مقرا به معترف بوجوب
خدمته الا انه لم يوجد هذا الولد ولم يعم السائل على ثبوته البتة فكيف أقول به بل الدليل
القاطع قائم على عدمه فكيف أقول به وكيف اعترف بوجوده وهذا الكلام ظاهر كامل
لا حاجة فيه البتة الى التأويل والعدول عن الظاهر فهذا ما عندي في هذا الموضوع ونقل
عن السدي من المفسرين انه كان يقول جل هذه الآية على ظاهرها يمكن ولا حاجة الى
التأويل والتقرير الذي ذكرناه يدل على أن الذي قاله هو الحق أما الثنائون بانه لا بد من
التأويل فقد ذكروا فيه وجوها (الاول) قال الواحدى كثرت الوجوه في تفسير هذه
الآية والاقوى أن يقال المعنى ان كل للرحمن ولد في زعمكم فانا أول العابدين أى
الموحدين لله المنكذبين أقول لكم باضافة الولد اليه والمائل أن يقول اما ان يكون تقدير
الكلام ان ثبت للرحمن ولد في نفس الامر فانا أول المنكرين له أو يكون التقدير ان
يثبت لكم ادعاء ان للرحمن ولدا فانا أول المنكرين له والاول باطل لان ثبوت الشيء
في نفسه لا يقتضى كون الرسول منكرا له لان قوله ان كان الشيء ثابتا في نفسه فانا أول
المنكرين يقتضى اصراره على الكذب والجهل وذلك لا يليق بالرسول (والثاني) أيضا
باطل لانهم سواء أثبتوا الله ولدا أو لم يثبتوه له فالرسول منكرا لذلك الولد فلم يكن زعمهم
تأثير في كون الرسول منكرا لذلك الولد فلم يصلح جعل زعمهم اثبات الولد وتأثير في كون
الرسول منكرا للولد (والوجه الثاني) قالوا معناه ان كان للرحمن ولد فانا أول العابدين
الأتين من أن يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتدت انفته فهو عبد وعابد وقرأ بعضهم
عبدن واعلم ان السؤال المذكور قائم ههنا لانه ان كان المراد ان كان للرحمن ولد في نفس
الامر فانا أول الأتئين من الاقرار به فهذا يقتضى الاصرار على الجهل والكذب وان
كان المراد ان كان للرحمن ولد في زعمكم واعتقادكم فانا أول الأتئين فهذا التعليق فاسد
لان هذه اللفظة حاصلة سواء حصل ذلك الزعم والاعتقاد أو لم يحصلوا اذا كان الامر كذلك
لم يكن هذا التعليق جائزا (والوجه الثالث) قال بعضهم ان كلمة ان ههنا هي النافية
والتقدير ما كان للرحمن ولدا فانا أول الموحدين من أهل مكة أن لا ولده واعلم أن التزام

هذه الوجوه العديدة انما يكون للضرورة وقد بينا أنه لا ضرورة البتة فلم يجز المصير اليها
والله أعلم ثم قال سبحانه وتعالى سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون
والمعنى ان الله العالم يجب أن يكون واجب الوجود لذاته وكل ما كان كذلك فهو فرد
مطلق لا يقبل التجزى يوجد من الوجوه والولد عبارة عن ان يفصل عن الشيء جز من
أجزائه فيتولد عن ذلك الجزء شخص مثله وهذا انما يعقل فيما تكون ذاته قابلة للتجزى
والتبعض وإذا كان ذلك محالاً في حق الله العالم امتنع الثبات الولد له ولما ذكره هذا البرهان
القاطع قال قدرهم تخوضوا ويلعبوا حتى يلافوا يومهم الذي يعدون والمقصود
منه التهديد يعني قد ذكرت الحجة القاطعة على فساد ما ذكرناه لهم لم يلتفتوا اليها لاجل
كونهم مستغرقين في طلب المال والجاه والرياسة فانكرهم في ذلك الباطل والملاعب حتى
يصلوا الى ذلك اليوم الذي وعدوا فيه بما وعدوا والمقصود منه التهديد ثم قال تعالى وهو
الذي في السموات وفي الارض الوفي المحدث (البعث الاول) قال أبو علي نظرت فيما يرتفع
به الله فوجدت ارتفاعه يصح بان يكون خبيراً بمبدأ الخلق والقدير وهو الذي في السماء
هو الله (والبعث الثاني) هذه الآية من أدل الدلائل على انه تعالى غير مستقر في السماء
لانه تعالى بين بهذه الآية ان تستند الى السماء بالالهية كاستناده الى الارض فلما كان الهما
للارض مع انه غير مستقر فيها فكذلك يجب أن يكون الهما للسماء مع انه لا يكون مستقراً
فيها فان قيل وأي تعلق لهذا الكلام بنبي الوارد عن الله تعالى قلنا تعلقه بانه تعالى خلق
عيسى بمحض كن فيكون من غير واسطة النطفة والاب فكأنه قبل ان هذا القدر
لا يوجب كون عيسى ولد الله سبحانه لان هذا المعنى حاصل في تخليق السموات والارض
وما بينهما مع انتفاء حصول الولدية هناك ثم قال تعالى وهو الحكيم العليم وقد ذكرنا
في سورة الانعام ان كونه تعالى حكيماً عليماً يتأق حصول الولد له ثم قال وتبارك الذي له
ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون واعلم ان قوله تبارك
اما أن يكون مشتقاً من الثبات والبقاء واما أن يكون مشتقاً من كثرة الخير وعلى
التقديرين فكل واحد من هذين الوجهين يتأق كون عيسى عليه السلام ولد الله تعالى
لان ان كان المراد منه الثبات والبقاء فعيسى عليه السلام لم يكن واجب البقاء والدوام
لانه حدث بعد أن لم يكن ثم عند النصارى انه قتل ومات ومن كان كذلك لم يكن يئده وبين
الباقى الدائم الازلي بمجانسة ومباشرة فامتنع كونه ولد الله وان كان المراد بالبركة كثرة
الخيرات مثل كونه خالقاً للسموات والارض وما بينهما فعيسى لم يكن كذلك بل كان
محتاجاً الى الطعام وعند النصارى انه كان خائفاً من اليهود وبالآخرة أخذوه وقتلوه والذي
هذا صفت كذب يكون ولدا لمن كان خائفاً للسموات والارض وما بينهما وما قولوه وعنده
علم الساعة فالنقص من انه لما شرح كمال قدرته فكذلك شرح كمال علمه والمقصود التنبيه
على ان من كان كاملاً في الذات والعلم والقدرة على الحد الذي شرحناه امتنع أن يكون

عليكم اليوم ولا أنتم
تخزنون ادخلوا الجنة
بغير حساب * سورة
الدخان مكية الاقوله
انا كاشفوا العذاب
الآية وهي سبع وأوسع
وخسون آية *

(بسم الله الرحمن الرحيم)
(حم والكتاب المبين)

الكلام فيه كالذي
سلف في السورة السابقة
(انا أنزلناه) أي الكتاب
المبين الذي هو القرآن
(في ليلة مباركة) هي
ليلة القدر وقيل ليلة
البراءة ابتدئ فيها النزول
أو أنزل فيها جلاله الى
السماء الدنيا من اللوح
واملاه جبريل عليه
السلام على السفرة ثم
كان ينزله على النبي
صلى الله عليه وسلم
نحو ما في ثلاث وعشرين
سنة كما مر في سورة
الفاحة ووصفها بالبركة
لما أن القرآن مستنبح
لأحسانه الدينية
والدنيوية بأجمعها

أولاً فيها من نزل
 الملائكة والرحمة واجابة
 الدعوة وقسم النعمة
 وفصل الاقضية وفضيلة
 العبادة واعطاء تمام
 الشفاعة لرسول الله
 صلى الله عليه وسلم
 وقيل يزيد في هذه الآية
 ما زعم من زيادة ظاهرة
 (انا كنا منذرين)
 استنفذ مابين لما يقضى
 الانزال كانه قبل انا
 انزلناه لان من شأننا
 الانذار والتحذير من
 العقاب قبل جواب
 القسم وقوله تعالى
 انا انزلناه الخ اعترض
 وقيل جواب بغير عاطف
 (فيها يفرق كل امر
 حكيم) استنفذ كاقبله
 فان كونها مفرق الامور
 المحكمة أو الملبسة
 بالحكمة الموافقة لها
 يستدعي أن ينزل فيها
 انقرآن الذي هو من
 عظامها وقيل صفة
 أخرى لليلة وما بينهما
 اعترض وهذا يدل على
 أنها ليلة القدر ومعنى

ولده في البحر وعدم الوقوف على أحوال العالم بالحد الذي وصفه النصارى ولما اطلب الله
 تعالى في نفي الولد أردفه ببيان نفي الشركاء فقال ولا تلك الذين يدعون من دونه الشفاعة
 الا من شهد بالحق وهم يعلمون ذكر المفسرون في هذه الآية قولين (أحدهما) ان الذين
 يدعون من دونه الملائكة وعيسى وعزير والمعنى ان الملائكة وعيسى وعزير لا يشفعون
 الا من شهد بالحق روى أن النضر بن الحرث ونفرامه قالوا ان كان ما يقول محمد
 فحقن تنزل الملائكة فهم احق بالشفاعة من محمد فانزل الله هذه الآية يقول لا يقدر
 هؤلاء ان يشفعوا لاحد ثم استثنى فقال الا من شهد بالحق والمعنى على هذا القول
 هؤلاء لا يشفعون الا من شهد بالحق فأضمر الامم أو يقال التقدير الشفاعة من شهد
 بالحق فحذف المضائق وهذا على لغة من يعنى الشفاعة غير لام فيقول شفعت فلان بمعنى
 شفعت له كما تقول كلمه وكلت له ونحوه ونحوه (والثول اثنى) ان الذين يدعون
 من دونه كل معبود من دونه الله وقوله الا من شهد بالحق الملائكة وعيسى وعزير والمعنى
 ان الاشياء التي عبدها هؤلاء الكفار لا يمكن ان تكون شفاعة الا من شهد بالحق وهم الملائكة
 وعيسى وعزير فان لهم شفاعة عند الله عز وجل ومعنى من شهد بالحق من شهد انه لا اله الا الله
 ثم قال تعالى وهم يعلمون وهذا التقيد يدل على ان الشهادة باللسان فقط لا تقيد البتة
 واحجج القائلون بان ايمان المقلد لا يقع البتة بهذه الآية فقالوا بين الله تعالى ان
 الشهادة لا تتم الا اذا حصل معها اعم والعلم عبارة عن اليقين الذى اوشكت صاحبه
 فيه لم يشكك وهذا لم يحصل الا عند الدليل فثبت ان ايمان المقلد لا يقع البتة ثم
 قال تعالى وثن سألهم من خلقهم ليقول الله فاني يؤفكون وفيه مسئلتان (المسئلة
 الاولى) نزل قوم ان هذه الآية وأمثالها في القرآن تدل على ان اقوم مضطرون الى
 الاعتراف بوجود الاله للعالم قال الجبائي وهذا لا يصح لان قوم فرعون قالوا لا اله الا اله
 غيره وقوم ابراهيم قالوا وانا في شك مما تدعوننا اليه فيقال لهم لا تسلم ان قوم فرعون
 كانوا منكرين لوجود الاله والدليل على قولنا قوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها
 أنفسهم ظلما وقال موسى لفرعون لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض
 بصائر فالفرعاء يفتح التاء في علمت تدل على ان فرعون شك ان عار قابله وأما قوم
 ابراهيم حيث قالوا وانا في شك مما تدعوننا اليه فهو مصروف الى اثبات القسامة
 والاثبات التكاليف واثبات النبوة (المسئلة الثانية) اعلم انه تعالى ذكر هذا الكلام
 في أول هذه السورة وفي آخرها والمقصود التنبيه على أنهم لما اعتقدوا ان خالق
 العالم وخالق الحيوانات هو الله تعالى فكيف أقدموا مع هذا الاعتقاد على عبادة
 أجسام خسيسة وأصنام خبيثة لا تنضر ولا تنفع هي جادات محضة وأما قوله فاني
 تؤفكون معناه لم تكذبون على الله فتقولون ان الله أمرنا بعبادة الاصنام وقد احجج
 بعض أصحابنا به على ان افكهم ليس منهم بل من غيرهم بقوله فاني تؤفكون وأجاب

بفرق أنه يكتب ويفصل
كل أمر حكيم من أرزاق
العباد وأجالهم وجيع
أموالهم من هذه الليلة
إلى الأخرى من السنة
القابلة وقيل يرد في
استنساخ ذلك من اللوح
في ليلة البراءة ويقع الفراغ
في ليلة القدر فتدفع
نسخة الأرزاق إلى
ميكائيل ونسخة الحروب
إلى جبريل وكذا إلى الملائكة
والنفس والمصواعق
ونسخة الأعمال إلى
اسماعيل صاحب سماء
الدنيا وهو ملك عظيم
ونسخة الحساب إلى
ملك الموت عليهم السلام
وقرى بقرآنه بالتشديد
وقرى بقرآنه على البناء
للفاعل أي يفرق الله
تعالى كل أمر حكيم
وقرى بقرآنه بشؤون
العظمة (أمر من
عندنا) نصب على
الاختصاص أي أعني
بهذا الأمر امرأ حاصلا
من عندنا على مقتضى
حكمته وهو بيان

القاضي بأن من يصل في فهم الكلام أو في الطريق يقال له أين يذهب بك والمراد أين
تذهب وأجاب الاصحاب بأن قول القائل أين يذهب بك ظاهره يدل على أن ذهابا آخر
ذهب به فصرف الكلام عن حقيقته خلاف الأصل الظاهر وأيضا فإن الذي ذهب به
هو الذي خلق تلك الداعية في قلبه وقد ثبت بالبرهان الباهر أن خالق تلك الداعية هو
الله تعالى ثم قال تعالى وقيله يارب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون وفيه مباحث (الاول) قرأ
الاكثرون وقيله بفتح اللام وقرأ عاصم وحزرة بكسر اللام قال الواحدى وقرأ أناس
من غير السبعة بالرفع أما الذين قرؤا بالنصب فذكر الاخفش والفراء فيه قولين
(أحدهما) أنه نصب على المصدر بتقدير وقال قيله وشككوا به إلى ربه يعني النبي صلى الله
عليه وسلم فاتصّب قيله باضمار قال (والثاني) أنه عطف على ما تقدم من قوله أنا
لا أسمع سرهم ونجواهم وقيله وذكر الزجاج فيه وجهان ثالثا فقال أنه نصب على موضع
الساعة لأن قوله وعنده علم الساعة معناه أنه علم الساعة والتقدير علم الساعة وقيله ونصيره
قولك عجبت من ضرب زيد وعمرا وأما القراءة بالجر فقال الاخفش والفراء والزجاج أنه
معطوف على الساعة أي عنده علم الساعة وعلم قيله يارب قال المبرر العطوف على المنسوب
حسن إن تباعد المعطوف من المعطوف عليه لأنه يجوز أن يفصل بين المنسوب وعامله
والجبرور يجوز ذلك فيه على فتح وأما القراءة بالرفع ففيها وجهان (الاول) أن يكون وقيله
مبتدأ وخبر ما بعده (والثاني) أن يكون معطوفا على علم الساعة على تقدير حذف المضاف
معناه وعنده علم الساعة وعلم قيله قال صاحب الكشاف هذه الوجوه ليست قوية
في المعنى لاسيما وقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما لا يحسن اعتراضا ثم ذكر
وجه آخر وزعم أنه أقوى مما سبق وهو أن يكون انصب بالجر على اضممار حرف القسم
وحذفه والرفع على قولهم آمين الله وأمانة الله وعين الله ويكون قوله إن هؤلاء قوم
لا يؤمنون جواب القسم كأنه قيل واقسم بقلبه يارب أو وقيله يارب قسمي وأقول هذا
الذي ذكره صاحب الكشاف متكلف أيضا وههنا اضممار امتلاء القرآن منه وهو
اضمار اذكر والتقدير واذا كره قيله يارب وأما القراءة بالجر فالتقدير واذا كره قيله يارب
واذا وجب التزام الاضممار فلان ينضم شيئا جرت العادة في القرآن بالتزام اضمماره أولى
من غيره وعن ابن عباس أنه قال في تفسير قوله وقيله يارب المراد وقيل يارب والماء زيادة
(البحث الثاني) القيل مصدر كالقول ومنه قوله النبي صلى الله عليه وسلم لنهي عن
قيل وقال قال الليث تقول العرب كثر فيه القيل والقال وروى شمر عن أبي زيد يقال
ما أحسن قيك وقولك ومقالك وقالك ومقالك خمسة أوجه (البحث الثالث) الضمير
في قيله لرسول الله صلى الله عليه وسلم (البحث الرابع) أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أخبر
منهم وعرف اصرارهم أخبر عنهم أنهم قوم لا يؤمنون وهو قرىب مما حكى الله عن نوح
أنه قال رب انهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا ثم اتى تعالى قال له فاصفح

لفخامته الاضافية بعد بيان فخامته الذاتية ويجوز كونه حالاً من كل أمر يخصه بالوصف أو من ضمنه في حكمه وقد جوز أن يراد به مقابل النهي ويجعل مصدراً مؤكداً ليعرف لاتحاد الأمر والفرق في المعنى أو لفعله المضمر لما أن الفرق به أو حالاً من أحد ضميرى أنزلناه أى أمرين أو مأموراً به (انا كنا من سلين) بدل من انا كنا منذرين وقيل جواب ثالث وقيل مستأنف وقوله تعالى (رحمة من ربك) غاية للإرسال متأخرة عنه على أن المراد بها الرحمة الواصلة الى العباد وباعت مقدم عليه على أن المراد مبدئياً أى انا أنزلنا القرآن لأن من عادتنا إرسال الرسل بالكتب الى العباد لأجل إفاضة رحمتنا عليهم أو لإقضاء رحمتنا السابقة

عنهم فأمره بان يصفح عنهم وفى ضمنه منع من أن يدعوا عليهم بالعذاب والصفح هو الاعراض ثم قال وقيل سلام قال سيبويه انما معناه التاركة ونظيره قول ابراهيم لآبيه سلام عليك سأستغفر لك ربى وكنوله سلام عليكم لانتفى الجاهلين فسوف يعلمون المقصود منه التهديد وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأنا نافع وابن عامر يعملون بالثاء على الخطأ والباقيون بالياء كناية عن قوم لا يؤمنون (المسئلة الثانية) احتج قوم بهذه الآية على أنه يجوز السلام على الكافر وأقول ان صح هذا الاستدلال فهذا يوجب الافتصاص على مجرد قوله سلام وأن يقال للمؤمن سلام عليكم والمقصود انتبيه على التحية التى تذكر للسلام والكافر (المسئلة الثالثة) قال ابن عباس قوله تعالى فاصفح عنهم وقيل سلام منسوخ بآية السيف وتندى التزام النسخ فى أمثال هذه المواضع مشكك لان الأمر لا يفيد الفعل الأمرة واحدة فإذا أتى به مرة واحدة فقد سقطت دلالة اللفظ فأى حاجة يفيد الى التزام النسخ وأيضا فله عين الفور مشهورة عند الفقهاء وهى دالة على أن اللفظ المطلق قد يتقيد بحسب قرينة العرف وإذا كان الأمر كذلك فلا حاجة فيه الى التزام النسخ والله أعلم بالصواب قال مولانا المؤلف عليه صحائب الرحمة والرضوان تم تفسير هذه السورة يوم الاحد الحادى عشر من ذى الحجة سنة ثلاث وستمائة والحمد لله أولاً وآخراً وباطناً وظاهراً والصلوة على ملائكته المقرين والانباء والمرسلين خصوصاً على محمد صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه أجمعين أبداً آمين ودهر الداهرين

*(سورة النور خجسون وتسع آيات مكية الا قوله انا كاشفوا العذاب) *

*(بسم الله الرحمن الرحيم) *

(حم والكتاب المبين انا أنزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم أمراً من عندنا انا كنا مرسلين رحمة من ربك انه هو السميع العليم رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين لاله الا هو يحيى ويميت ربكم ورب آبائكم الاولين بل هم فى شك يلعبون) فى الآيات مسائل (المسئلة الاولى) فى قوله حم والكتاب المبين وجوه من الاحتمالات (اولها) أن يكون التقدير هذه حم والكتاب المبين كقولك هذا زيد والله (وثانيها) أن يكون الكلام قد تم عند قوله حم ثم يقال والكتاب المبين انا أنزلناه (وثالثها) أن يكون التقدير حم والكتاب المبين انا أنزلناه فيكون ذلك فى التقدير قسمين على شئ واحد (المسئلة الثانية) قالوا هذا يدل على حدوث القرآن لوجوه (الاول) ان قوله حم تقديره هذه حم يعنى هذا شئ مؤلف من هذه الحروف والمؤلف من الحروف المتعاقبة محدث (الثانى) انه ثبت ان الحلف لا يصح بهذه الاشياء بل بالهذه الاشياء فيكون التقدير ورب حم ورب الكتاب المبين وكل من كان مر بوباً فهو محدث (الثالث) أنه وصفه بكونه كتاباً والكتاب مشتق من الجمع فعنه أنه مجموع والمجموع محل تصرف

الغير وما كان كذلك فهو محدث (الرابع) قوله انا أنزلناه والمزمل محل تصرف الغير وما كان كذلك فهو محدث وقد ذكرنا مرارا أن جميع هذه الدلائل تدل على ان الشيء المركب من الحروف المتعاقبة والاصوات المتواليه محدث والعلم بذلك ضروري بلهيه لا ينازع فيه الا من كان عديم العقل وكان غيب عارف بمعنى القديم والمحدث واذا كان كذلك فكيف ينازع في صحة هذه الدلائل انما الذي ثبت قدمه شيء آخر سوى ما تركب من هذه الحروف والاصوات (المسئلة الثالثة) يجوز أن يكون المراد بالكتاب ههنا الكتب المقدمة اني أنزلها لله على أنبيائه كما قال تعالى لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ويجوز أن يكون المراد انوار المحفوظ كما قال يحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب وقال وانه في أم الكتاب لدينا ويجوز أن يكون المراد به القرآن وبهذا التقدير فقد أقسم بالقرآن على انه أنزل القرآن في ليلة مباركة وهذا النوع من الكلام يدل على غاية تعظيم القرآن فقد يقول الرجل اذا أراد تعظيم رجل له حاجة اليه أستشفع بك اليك وأقسم بحضك عليك (المسئلة الرابعة) المبين هو المشتل على بيان ما يناس حاجة اليه في دينهم وديناهم فوصفه بكونه مبينا وان كانت حقيقة الابانة لله تعالى لاجل ان الابانة حصلت به كما قال تعالى ان هذا القرآن يقصص على بني اسرائيل وقال في آية أخرى نحن نقص عليك أحسن القصص وقال أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون فوصفه بالكلام اذا كل غاية في الابانة فكانه ذو لسان ينطق والمعنى فيه المبالغة في وصفه بهذا المعنى (المسئلة الخامسة) احتجوا في هذه الليلة المباركة فقال الاكثرون انها ليلة القدر وقال عكرمة وطائفة آخرون انها ليلة البراءة وهي ليلة التصف من شعبان (أما الاولون) فتداحجوا على صحة قولهم بوجود (أولها) انه تعالى قال انا أنزلناه في ليلة القدر وههنا قال انا أنزلناه في ليلة مباركة فوجب أن تكون هذه الليلة المباركة هي تلك المسماة بليلة القدر لئلا يلزم التناقض (وثانيها) انه تعالى قال شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن فبين ان أنزل القرآن انما وقع في شهر رمضان وقال ههنا انا أنزلناه في ليلة مباركة فوجب أن تكون هذه الليلة المباركة واقعة في شهر رمضان وكل من قال ان هذه الليلة المباركة واقعة في شهر رمضان قال انها ليلة القدر ثبت انها ليلة القدر (وثالثها) انه تعالى قال في صفة ليلة القدر تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر سلام هي وقال أيضا ههنا فيها يفرق كل أمر حكيم وهذا مناسب لقوله تنزل الملائكة والروح فيها وههنا قال أمر من عندنا وقال في تلك الآية باذن ربهم من كل أمر وقال ههنا رحمة من ربك وقال في تلك الآية سلام هي واذا تقاربت الاوصاف وجب القول بأن احدي اليلتين هي الاخرى (ورابعها) نقل محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن قتادة أنه قال نزلت صحف ابراهيم في أول ليلة من رمضان والثورة استلail منه والزبور اثنتي عشرة مضت منه والانجيل ثمان عشرة مضت منه

ارسالهم ووضع الرب موضع الضمير للايدان بأن ذلك من أحكام الربوبية ومقتضياتها واصافته الى ضميره عليه الصلاة والسلام لتشريفه أو تعليل ليفرق اذ لقوله تعالى أمر اعلى أن قوله تعالى رحمة مفعول للارسال كما في قوله تعالى وما يسك فلا مرسل له أي يفرق فيها كل أمر أو تصدر الاوامر من عندنا لان من عادتنا ارسال رحمتنا ولا ريب في أن كلامهم قسمة الارزاق وغيرها والاوامر الصادرة منه تعالى من باب الرحمة فان الغاية لتكليف العباد نفعهم للتنافع وقرى رحمة بالرفع أي تلك رحمة وقوله تعالى (انه هو السميع العليم) تحقيق الربوبية تعالى وانها لا تحق الا لمن هذه نعوته (رب السموات والارض وما بينهما) بدل من ربك أو بيان أوزمت وقرى بالرفع على أنه خبر آخر أو استئناف على ضمير مبتدا (ان كنتم موقنين)

والقرآن لاربع وعشرين مضت من رمضان واليلة المباركة هي ليلة القدر (وخاسها)
 ان ليلة القدر انما سميت بهذا الاسم لان قدرها وشرفها عند الله عظيم ومعلوم انه ليس
 قدرها وشرفها السبب نفس ذلك الزمان لان الزمان شئ واحد في الذات والصفات فيتمتع
 كون بعضه اشرف من بعض لذاته فثبت ان شرفه وقدره بسبب انه حصل فيه امور
 شريفة عالية لها قدر عظيم ومرتبة رفيعة ومعلوم ان منصب الدين اعلى واعظم من
 منصب الدنيا واعلى الاشياء واشرفها منصبها في الدين هو القرآن لاجل ان ثبت نبوة
 محمد صلى الله عليه وسلم وبه ظهر الفرق بين الحق والباطل في سائر كتب الله المتقدمة كما قال
 في صفته ومهيئنا عليه وبه ظهرت درجات ارباب السعادات ودرجات ارباب الشقاوات
 فملئ هذا الشئ الاول القرآن اعظم قدرا واعلى ذكرا واعظم منصبه فلو كان نزوله انما
 وقع في ليلة اخرى سوى ليلة القدر لكانت ليلة القدر هي هذه الثانية لا الاولى رحبت
 اطبقوا على ان ليلة القدر هي التي وقعت في رمضان علما ان القرآن انما انزل في تلك
 اليلة واما قائلون بان المراد من اليلة المباركة المذكورة في هذه الآية هي ليلة
 النصف من شعبان فاريت لهم فيه دليلا يقول عليه وانما قنعوا فيه بان نقول عن بعض
 الناس قال صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه كلام فلا حرج يد عليه والافضل هو
 الاول ثم ان هؤلاء القائلين بهذا القول زعموا ان ليلة النصف من شعبان لها اربعة اسماء
 ليلة المباركة ويلة البراءة ويلة الصلح ويلة الرحمة وقيل انما سميت بليلة البراءة ويلة
 الصلح لان البسدار اذا استوفى الخراج من اهله كتب لهم البراءة كذلك الله عز وجل
 يكتب لعباده المؤمنين البراءة في هذه اليلة وقيل هذه اليلة مختصة بخمس خصال
 (الاولى) تفريق كل امر حكيم فيها قال تعالى فيها يفرق كل امر حكيم (والثانية) فضيلة
 العبادة فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى في هذه اليلة مائة ركعة ارسل الله
 اليه مائة ملك ثلاثون يشرونه بالجنة وثلاثون يؤمنونه من عذاب النار وثلاثون يدفعون
 عنه آفات الدنيا وعشرة يدفعون عنه مكاييد الشيطان (الخصلة الثالثة) نزول الرحمة قال
 عليه السلام ان الله يرحم امتي في هذه اليلة بعدد شعر اغنام بني كلب (والخصلة الرابعة)
 حصول المغفرة قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يغفر لجميع المسلمين في تلك اليلة
 الا لكاهن او مشاحن او مد من خمر او عاق للوالدين او مصر على الزنا (والخصلة
 الخامسة) انه تعالى اعطى رسوله في هذه اليلة تمام الشفاعة وذلك انه سأل ليلة الثالث
 عشر من شعبان في امته فاعطى الثلث منها ثم سأل ليلة الرابع عشر فاعطى الثلثين ثم
 سأل ليلة الخامس عشر فاعطى الجميع الا من شره على الله شراد البعير هذا الفصل نقلته
 من الكشف فان قيل لاشك ان الزمان عبارة عن المدة الممتدة التي تقديرها حركات
 الافلاك والكواكب وانه في ذاته امر متشابه الاجزاء فيمتنع كون بعضها افضل من بعض
 والمكن ايضا عبارة عن الفضاء الممتد والخلاء الخالي فيمتنع كون بعض اجزائه اشرف

اي ان كنتم من اهل
 الايمان في العلوم او
 ان كنتم موقنين في
 اقراركم بانه تعالى رب
 السموات والارض وما
 بينهما اذا سلمتم من
 خلقها فقلتم علمتم ان
 الامر كما قلنا وان كنتم
 مريدين اليقين فاعلموا
 ذلك (لا اله الا هو) جله
 مستأنفه مقرر لما قبلها
 وقيل خبر لقوله رب
 السموات الخ ما بينهما
 اعتراض (يحيى) ميت
 مستأنفه كما قبلها وكذا
 قوله تعالى (اركع ورب
 آياتكم الاولين) باضمار
 مبتدأ او بدل من رب
 السموات على قراءة الرفع
 او بيان او نعت له وقيل
 فاعل اعلمت وفي يحيى
 ضمير راجع الى رب
 السموات وقرى بالجر
 بدلا من رب السموات
 على قراءة الجر (يلهم
 في شك) بما ذكر من شؤنه
 تعالى غير موقنين في
 اقرارهم (يلعبون)
 لا يقولون ما يقولون
 عن جسد واذعان بل
 محسوس طاهر وواعب
 والفاء في قوله تعالى

(فادق) ترتب الارتقاب أو الأمر به على ما قلناه فان كونه في شك مما يوجب ذلك حتماً أي فانه نظرهم (يوم تأتي
 السحاب خاتمين) أي يوم شدة وجعاً فان الجوع يري بينه وبين السماء كهية الدخان اما الضعف بصره أو لان
 في عام القحط يظلم الهواء قتلة الاطمار وكثرة ٢٦٥ الغبار أو لان العرب تسمى النسر الغالب دخاناً وذلك
 من البعض وإذا كان كذلك كان تخصيص بعض أجزائه بمن يد الشرف دون الباقي
 ترجيحاً لا حد طرفي الممكن على الآخر لا ترجيحاً وانه محار قلنا القول بثبات حدوث العالم
 وثبات أن فاعله فاعل مختار بناء على هذا الحرف وهو انه لا يعدم من الفاعل المختار
 تخصيص وقت معين بحدوث العالم فيه دون ما قبله وما بعده فان بطل هذا الأصل فقد بطل
 حدوث العالم وبطل الفاعل المختار وحينئذ لا يكون للغوص في تفسير القرآن فائدة وان
 صح هذا الأصل فقد زال ما ذكرتم من السؤال فهذه الجواب المعتمد والناس قالوا
 لا يبعد أن يخص الله تعالى بعض الاوقات بمن يد تشريف حتى يصير ذلك داعياً للمكلف الى
 الإقدام على الطاعات في ذلك الوقت ولهذا السبب بين انه تعالى أخفاه في الاوقات وما
 لحينه لانه اذا لم يكن معينا جازوا للمكلف في كل وقت معين أن يكون هو ذلك الوقت الشرف
 فيصير ذلك حاملاً له على المواظبة على الطاعات في كل الاوقات وإذا وقفت على هذا الحرف
 ظهر عندك ان الزمان والمكان انما هما بالتشريفات الزائدة تبعاً لشرف الانسان فهو
 الأصل وكل ما سواه فهو تبع له والله أعلم (المسئلة السادسة) روى أن عطية الخروزي سأل
 ابن عباس رضي الله عنهما عن قوله انما أنزلناه في ليلة القدر وقوله انما أنزلناه في ليلة مباركة
 كيف يصح ذلك مع أن الله تعالى أنزل القرآن في جميع اشهر فقال ابن عباس رضي الله
 عنهما يا ابن الاسود لو هلك أنوار وقع هذا في نفسك ولم تجد جوابه له لكتبت لزل القرآن
 جملة من الواح المحفوظ الى البيت المعمور وهو في السماء الدنيا ثم نزل بعد ذلك في أنواع
 النبقات حالاً فحالاً والله أعلم (لمسئلة السابعة) في بيان نظم هذه الآيات اعلم أن المقصود
 منها تعظيم القرآن من ثلاثة أوجه (أحدها) بيان تعظيم القرآن بحسب ذاته (الثاني) بيان
 تعظيمه بسبب شرف الوقت الذي نزل فيه (الثالث) بيان تعظيمه بحسب شرف منزلها
 بيان تعظيمه بحسب ذاته ثلثة أوجه (أحدها) انه تعالى أقسم به وذلك يدل على شرفه
 (وثانيها) انه تعالى أقسم به على كونه نازلاً في ليلة مباركة وقد ذكرنا أن القسم شيء على
 حالة من أحوال نفسه يدل على كونه في غاية الشرف (وثالثها) انه تعالى وصفه بكونه مبيناً
 وذلك يدل أيضاً على شرفه في ذاته (وأما ما وقع في إيهو بيان شرفه لاجل شرف الوقت
 الذي أنزل فيه فهو قوله انما أنزلناه في ليلة مباركة وهذا تنبيه على أن نزوله في ليلة مباركة
 يقتضي شرفه وجلالته ثم نقول ان قوله انما أنزلناه في ليلة مباركة يقتضي أمرين
 (أحدهما) انه تعالى أنزله (والثاني) كونه تلك الليلة مباركة فذكر تعالى عقيب هذه
 الكلمة ما يجرى مجرى البيار لكل واحد منها أي ما بين انه تعالى لم أنزله فهو قوله انما أنزلناه
 منذرين معنى الحكمة في أنزل هذه السورة لئلا تدار الخلق لا يتم الابيه وأما بيان ان هذه
 الليلة ليلة مباركة فهو أمران (أحدهما) انه تعالى يفرق فيها كل أمر حكيم (والثاني) ان
 ذلك الأمر الحكيم يكون مخصوصاً بشرف انه تعالى يظهر من عبده واليه الإشارة بقوله
 أمراً من عندنا (وأما النوع الثالث) فهو بيان شرف القرآن لشرف منزلته وذلك هو قوله

ان قر بشا ما استعصت
 على رسول الله صلى الله
 عليه وسلم دعا عليهم
 فقال اللهم اشدد وطأتك
 على مضر واجعلها
 عليهم سنين كسني يوسف
 فأخذتهم سنة حتى أكلوا
 الجيف والعظام والعلمن
 وكان الرجل يرى بين
 السماء والارض الدخان
 وكان يحدث الرجل
 ويسمع كلامه ولا يراه
 من الدخان وذلك قوله
 تعالى (يغشى الناس)
 أي يحيط بهم (هذا
 عذاب اليم) أي قائلين
 ذلك غشي اليه عليه
 الصلاة والسلام أبو
 سفيان ونفر معه وناشدوه
 الله تعالى والرحم
 وواعده ان دعا لهم
 وكشف عنهم أن يؤمنوا
 وذلك قوله تعالى (ربنا
 اكشف عنا العذاب
 اننا مؤمنون) رها يقول
 ابن عباس وابن مسعود
 رضي الله عنهم وبه أخذ
 مجاهد ومقاتل وهو
 اختيار القراء والزجاج
 وقبله هود خان يأتي من
 السماء قبل يوم القيامة
 فبدل في اسماء الكفرة

حتى يكون رأس الواحد ٥٩ سا كالأرأس الحشد ويعتري المؤمن منه كهية الزلازل وتكون الارض كلها
 كبيت أوفد فيه ليس فيه خصاص وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الآيات الدخان ونزول عيسى ابن مريم

ونار يخرج من قعر عدن آيين تسوق الناس الى الجنة قال جديفة يا رسول الله وما الدخان فلا الآية وقال علا ما بين
الشرق والغرب يكث أربعين يوما و ليلة أما المؤمن فيصيبه كهيشة الزكة واما الكافر فهم كالسكران يخرج من مخزبه
واذنيه وديره الاول هو الذي يستدعيه مساق النظم ٤٦٦ بحج الكريم قطما فان قوله تعالى (أني لهم الذكري) الخ رد

اننا كنا مرسلين فبين ان ذلك الانذار والارسال انما حصل من الله تعالى ثم بين ان ذلك
الارسال انما كان لاجل تكميل الرحمة وهو قوله رحمة من ربك وكان الواجب أن يقال
رحمة منا لانه وضع الظاهر ووضع المضمرا لئلا ينافي الى بويعة تقتضي الرحمة على المربوبين
ثم بين أن تلك الرحمة وقعت على وفق حاجات المحتاجين لانه تعالى يسمع تضرعاتهم ويعلم
أنواع حاجاتهم فلهذا قال انه هو السميع العليم فهذا ما خطر بالبال في كيفية تعلق بعض
هذه الآيات ببعض (المسئلة الثامنة) في تفسير مفردات هذه الالفاظ اما قوله تعالى انا
أنزلناه في ليلة مباركة فقد قيل فيه انه تعالى أنزل كاية القرآن من اللوح المحفوظ الى سكره
الديني في هذه الليلة ثم أنزل في كل وقت ما يحتاج اليه المكلف وقيل يبدأ في استنساخ ذلك
من اللوح المحفوظ في ليلة البراءة ويقع الفراغ في ليلة القدر فتدفع نسخة الارزاق الى
ميكائيل ونسخة الحروب الى جبرائيل وكذلك الزلازل والصواعق والحسف ونسخة
الاعمال الى اسمعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب الى ملك الموت
أما قوله تعالى فيها يفرق أي في تلك الليلة المباركة يفرق أي يفصل بين من قولهم فرقت
الشيء أفرقه فرقا فانما قال صاحب الكشاف وقرئ يفرق بالتشديد و يفرق على اسناد
الفعل الى الفاعل ونصب كل الفارق هو الله عز وجل وقرأ زيد بن علي نفرق بانون أما قوله
كل أمر حكيم فالحكيم معناه ذو الحكمة وذلك لان تخصيص الله تعالى كل أحد بحكمة
معينة من العمر والرزق والاجل والسعادة والشقاوة يدل على حكمة باغة لله تعالى فلما
كانت تلك الافعال والاقتضية دالة على حكمة فاعلمها وصفت بكونها حكيم وهذا من
الاستناد المجازي لان الحكيم صفة صاحب الامر على الحقيقة ووصف الامر به مجاز ثم
قال أمر من عندنا وفي ان تصاب قوله أمر اوجهان (الاول) انه نصب على الاختصاص
وذلك لانه تعالى بين شرف تلك الاقتضية والاحكام بسبب ان وصفها بكونها حكيم ثم زاد في
بيان شرفها بأن قال أعني بهذا الأمر أمر احكامنا من عندنا كما ننم لندنا وكما فضلكم
علمنا وتديرونا (والثاني) انه نصب على الحال وفيه ثلاثة أوجه (الاول) أن يكون حالا من
أحد الضميرين في أنزلناه اما من ضمير الفاعل أي انا أنزلناه أمرين أمر المؤمن ضمير
المفعول أي انا أنزلناه في حال كونه أمر من عندنا بما يجب أن يفعل (والثالث) ما حكاها
أبو علي الفارسي عن أبي الحسن رحمه الله انه حل قوله أمر اعلی الحال وذو الحال قوله
كل أمر حكيم وهو نكرة ثم قال اننا كنا مرسلين يعني انا انما فعلنا ذلك الانذار لاجل اننا كنا
مرسلين يعني الانبياء ثم قال رحمة من ربك أي للرحمة فهي نصب على أن يكون مفعولا له ثم
قال انه هو السميع العليم يعني أن تلك الرحمة كانت رحمة في الحقيقة لان المحتاجين اما أن
يذكروا بالسنتهم حاجاتهم واما أن لا يذكروها فان ذكرها فهو تعالى يسمع كلامهم فيعرف
حاجاتهم وان لم يذكروها فهو تعالى عالم بما ذهبت أن كونه سميعا عليما يقتضي أن ينزل
رحمته عليهم ثم قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين وفيه مسائل

لكلامهم واستدعائهم
الكشف وتكذيب
لهم في الوعد بالايامان
لمني من الذكروا الانعاط
اعتزاهم من الداهية أي
كيف يتذكرون أو من
أين يتذكرون بذلك
ويقون بما وعدوه من
الايامان عند كشف
العذاب عنهم (وقد جاءهم
رسول مبين) أي والحال
أنهم شاهدوا من دواعي
الذكروا وجبات الانعاط
ما هو أعظم منه في
اجتنابها حيث جاءهم
رسول أعظم الشان
وبين لهم مناهج الحق
بأظهار آيات ظاهرة
ومعجزات قاهرة فتعزاهم
صم الجبال (ثم تلو اعنه)
عن ذلك الرسول وهو
هو رؤيا شاهدوا منه
ما شاهدوه من العظام
الموجبة للقبال عليه
ولم يقتعوا بانثولي (وقالوا)
في حقه (معلم مجنون)
أي قالوا انارة يعلمه غلام
أعجمي لبعض ثقيف
وأخرى مجنون أو يقول
بعضهم كذا أو آخرون
كذا فهل يوقع من قوم
هذه صفاتهم أن يتأثروا

بالعظة والذكروا ما مثلهم الاكثل الكلب اذا جاع ضغوا واذا شبع طغى وقوله تعالى (انا كاشفوا العذاب بحج المسئلة
قل لا انكم عائدون) جواب من جهته تعالى عن قولهم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون بطريق

لأنك لم تترك التوبيع والتهديد وما بينهما اعتراضاً على أنالك كشف العذاب اليهود عنكم كشفاً قليلاً أو زماناً قليلاً
نكم تعودون أن ذلك إلى ما كنتم عليه من الغلو والأصرار على الكفر ونسبون هذه الحالة وصيغة الفاعل في الفعلين للدلالة
على حقيقة المحالة ولقد وقع كلاهما في ٤٦٧ حيث كشفه الله تعالى بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم فآلبوا

ان عادوا الى ما كانوا
عليه من العتو والعتاد
ومن فسر الدخان بما هو
من الاشراف اذ اجابه
الدخان تصور المعذبون
به من الكفار والمنافقين
وغيرهم وقالوا ربنا اكشف
عنا العذاب اننا مؤمنون
فيكشفه الله تعالى عنهم
بعد أربعين يوماً وبقا
يكشفه عنهم يرتدين
ولا يتجهنون (يوم يبيض
البعوضة الكبرى)
يوم القيامة وقبل يوم
يذر وهو ظرف لسأل
عليه قوله تعالى
(انما نتقون) لانتقون
لان ان مائة من ذلك
أي يومئذ تنقم انما نتقون
وقيل هو بدل من يوم تأتي
الخ وقرئ يبيض أي
يحمل اللائكة على أن
يبيضوا بهم البعوضة
الكبرى وهو التناول
بعنف وصولاً أو ينجعل
البعوضة الكبرى باطشة
بهم وقرئ يبيض بضم
الطاء وهي لغة (ولقد
فتناقلهم قوم فرعون)
أي امتحنهم بارسال
موسى عليه السلام أو
أوقنهم في القصة

(المسئلة الاولى) قرأ عليهم وحزرة والكسائي بكسر الباء من رب عطف على قوله رحمة من
ربك والباقر بالرفع عطف على قوله هو السميع العليم (المسئلة الثانية) المقصود من هذه
الآية ان المنزل اذا كان موصوفاً بهذه الحالة والكبرياء كان المنزل الذي هو القرآن في
غاية الشرف والرفعة (المسئلة الثالثة) الفائدة في قوله ان كنتم موقنين من وجوه (الاول)
قال أبو مسلم معناه ان كنتم تطالبون اليقين وتريدونه فاعرفوا ان الامر كما قلنا اقولهم
فلان منجدتهم أي يريدون مجداً وتهماته (الثاني) قال صاحب الكشف كانوا يعرفون بأن
السموات والارض ربنا وخالقنا فقبل لهم ان ارسال الرسل وانزال الكتب رحمة من الرب
سبحانه وتعالى ثم قيل ان هذا الرب هو السميع العليم الذي أنتم مقرون به ومعترفون بأنه
رب السموات والارض وما بينهما ان كان اقراركم عن علم ويقين كما تقول هذا اعلم زيد
الذي تسامع الناس بكرمه ان يملك حديثه وممعت قصته ثم انه تعالى رد أن يكونوا
موقنين بقوله بل هم في شك يلعبون وان اقرارهم غير صادر عن علم ويقين ولا عن جد
وحقيقة بل قول مخلوط به ولو لعلم الله تعالى (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان
مبين يفتشى الناس هذا عذاب أليم ربنا اكشف عنا العذاب اننا مؤمنون) أي لهم الذكرى
وقد جاءهم رسول مبين ثم تبوا عنه وقالوا معي مجنون انما اكشفوا العذاب قليلاً انكم طائفون
يوم يبيض البعوضة الكبرى انما نتقون اعلم ان المراد بقوله فارتقب انتظر ويقال ذاك
في المكروه والمعنى انتظر يا مجذبا بهم فخذف مفعول الارتقاب لدلالة ما ذكر بعده عليه
وهو قوله هذا عذاب أليم ويجوز أيضاً أن يكون يوم تأتي السماء مفعول الارتقاب وقوله
بدخان فيه قولان (الاول) ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا على قومه بمكة لما كتبوه فقال
اللهم اجعل سنهم كسني يوسف فارتقم المطر وأجدبت الارض وأصاب قريشاشدة
الجماعة حتى أكلوا العظام والكلاب والجيف فكان الرجل يسأله من الجوع يرى بينه
وبين السماء كالدخان وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما في بعض الروايات ومقابل
ومجاهدوا اختيار القراء والزجاج وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه وكان يكرران
يكون الدخان الا هذا الذي أصابهم من شدة الجوع كالظلمة التي في أبصارهم من شدة الجوع وذكر ابن
قتيبة في تفسير الدخان بهذه الحالة وجهين (الاول) ان في سنة القحط يعظم يمس الارض
بسبب انقطاع المطر ويرتفع الغبار الكثيرو يظلم الهواء وذلك يشبه الدخان ولهذا يقال
اسنة المجاعة الغبراء (الثاني) ان العرب يسمون الشر الغالب بالدخان فيقولون كان بيننا
أمر ارتفع له دخان والسبب فيه ان الانسان اذا اشتد خوفه أو ضعفه أظلم عيناه فبى
الدنيا كالمبلوعة من الدخان (والقول الثاني) في الدخان انه دخان يظهر في العالم وهو احدي
علامات القيامة قالوا فاذا حصلت هذه الحالة حصل لاهل الايمان منه حالة تشبه الزكام
وحصل لاهل الكفر حالة بصير لاجلها رأسه كراس الخنزير وهذا القول هو المتقول عن

بالامهال وتوسع الرزق عليهم وقرئ بالتشديد للمبالغة أو ابتثرة القوم (وجاءهم رسول كريم) على الله تعالى أو على
المؤمنين أو في نفسه لان الله تعالى لا يشاء ان يهلك قومه وكرامهم (أن ادوا الى عباد الله) أي بأن ادوا الى
بنى اسرائيل

وارسلوهم معي اوتاب ادوا الى يعباد الله حقه من الايمان وقبول الدعوة وقيل انما مشرة لان محي الرسول لا يكون
الارسالة ودعوة وقيل تخفف من الشبهة اي جاءهم بالاشارة ادوا الى الحق وبوله تعالى (اني انكم رسول أمين) لتعليل الامر
أولو جوب الامور به اي رسول غير ظنين فداستحي الله تعالى في ٢٦٨ على وحيد وسعد في المنجزات القاهرة

(وأن لا تعملوا على الله)
أي لا تكبروا عليه تعالى
بالاستهانة بوجده وبرسله
وأن كائنات سلفت وقوله
تعالى (إني آتيكم) أي
رجهته تعالى (بسلطان
مبين) لتعليل للنهي أي
آتيكم بحجة واضحة
لا يسبيل الى انكارها
وآتيكم على صيغة الفاعل
أو المضارع وفي إيراد
الاداء مع الامين
والسلطان مع اعلاء
من الجزالة ما لا يخفى
(وإني عدت بربى ربكم)
أي التجأت اليه وتوكلت
عليه (أن ترجون) من
أن ترجوني أي تؤذوني
ضرباً أو شتماً وأن تقتلوني
قبل لما قال وأن لا تعملوا
على الله نوعدوه باقتل
وقرى بادغام النال في
النال (وان لم تؤمنوا لي
فاعتزلون) أي وان كبرت
مقتضى العزل ولم تؤمنوا
الى فحاذوني كذا فالاعلى
ولالى ولا تضرؤالى
بشر ولا أذى فليس ذلك
جزاء من يدعوكم الى ما فيه
فلا حكم وحله على معنى
فاقتضوا أسباب النوصلة
عني فلاموا الاء بيني وبين

على بن أبى طالب عليه السلام وهو قول مشهور لابن عباس (أحجج أقانئون بهذا القول
بوجود (الاول) ان قوله يوم تأتي السماء بدخا يقتضى وجود دخان تأتي به السماء وما
ذكرتموه من الظلمة المستمرة في العين بسبب شدة الجوع وذلك ليس بدخا أتت به السماء
فكانت حل لفظ الآية على هذا الوجه عدولاً عن ظاهر الدليل من فصل وأنه لا يجوز
(الثاني) انه وصف ذلك الدخان كونه مبيد والحالة التي ذكرتموه يستكذلك منها
صارضه تعرض لبعض الناس في أدعهم ومن هذا الايض وصف بكونها خابنا مينا (والثالث)
انه وصف ذلك الدخان بأنه يغشى الناس وهذا انما يصدق اذا وصل ذلك الدخان اليهم
وانصل بهم والحالة التي ذكرتموها لا توصف بأنه يغشى الناس الاعلى سبيل المجاز وقد
ذكرنا ان العدول من الحقيقة الى المجاز لا يجوز الا للدليل منفصل (الرابع) روى عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال أول آيات الدخان ونزول عيسى ابن مريم عليهما السلام ونار
تخرج من قعر عدن تسوق الناس الى المحشر قال حذيفة يارسول الله وما الدخان فتلا
رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية وقال دخان يلا ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين
يوماً وليس له اما المؤمن فيصيبه كهية الزنكة وأما الكافر فهو كاسكران يخرج من
مخزبه وأذنيه وديره رواء صاحب الكشاف وروى القاضي عن الحسن عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال اكرأوا بالاعمال سناؤذ كرمها طلوع الشمس من مغربها والدجال
والدخان والدابة أما القائلون بالقول الاول فلاشك ان ذلك يقتضى صرف اللفظ عن
حقيقته الى المجاز وذلك لا يجوز الا عند قيام دليل يدل على ان جملة على حقيقته ممتنع
واقوم لم يذكروا ذلك الدليل فكان المصير الى ما ذكره مشكلاً جداً فان قالوا الدليل على
أن المراد ما ذكرناه انه تعالى حكى عنهم أنهم يقولون ربنا اكشف عنا العذاب انما مؤمنون
وهذا اذا حلتنا على القمط الذي وقع بمكة اسقام فانه نقل ان القمط لما شدد بمكة مشى
اليه أبو سفيان وناشد بالله والرحم وأوعده انه ان دعاهم وأزال الله عنهم تلك البلية ان
يؤمنوا به فلما أزال الله تعالى عنهم ذلك رجعوا الى شركهم أما اذا حلتنا على ان المراد منه
ظهور علامة من علامات القيامة لم يصح ذلك لان عند ظهور علامات القيامة لا يمكنهم أن
يقولوا ربنا اكشف عنا العذاب انما مؤمنون ولم يصح أيضاً أن يقال لهم انا كاشفوا العذاب
قليلاً انكم عائدون (والجواب) لم لا يجوز أن يكون ظهور هذه العلامة تجاراً يجرى ظهور
سائر علامات القيامة في أنه لا يوجب انقطاع التكليف فتحدث هذه الحسنة ثم ان الناس
يخافون جداً فيضرعون فإذا زالت تلك الواقعة عادوا الى الكفر والفسق وإذا كان
هذا محتملاً قد سقط ما كانوا والله أعلم وليرجع الى التفسير فنقول قوله تعالى يوم تأتي
السماء بدخان مبين أي ظاهر الحال لا يشك أحدني أنه دخان يغشى الناس أي يشملهم وهو
في محل الجرصة لقوله بدخان وفي قوله هذا عذاب ألم قولان (الاول) انه منصوب المحل
بقول مضمر وهو يقولون ويقولون منصوب على المحال أي قائلين ذلك (الثاني) قال

من لا يؤمن بآية المقام (عدار به) بعد ما تموا على تكذيبه عليه السلام (ان هو لا) أي بأن هو لا (الجزاني)
(قوم مجرمون) هو من يضرب بالدعاء عليهم بذكر ما استوجبوه به ولذلك سمى

فدعا وقرئ: يا كاشف عن احوال القوم قبل كان دعاؤهم اللهم جعل لهم ما يستحقونه باجرهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعل قسمة القوم الظالمين (فاسر بعبادي ليلا) باصهار القول اما بعد الفاء أى فقال ربه أسر بعبادي وأما قبلها ثم قبل قال ان كان الامر كما تقول فاسر في ٤٦٩ بعبادي أى بيني اسرائيل فتدبر الله تعالى

ان تتقدموا وقرئ بوسل
الهمزة سرى (نكم
متبعون) أى يذبحكم
فرعون وجنوده بعد
ما علموا بخروجكم (وارك
الجهر رهوا) مفتوحا
ذافجوة واسعة أو ساكنا
على هيئة بعد ما جاوزته
ولا تضرب به بعصاك
ليطبق ولا تغيره عن حاله
ليدخله القبط (انهم جند
مفروقون) وقرئ: انهم
بالفتح أى لانهم (كم
تركوا) أى كثيروا تركوا
بصر (من جنات وعيون
وزروع ومقام كريم)
محافل مزينة ومنازل
محصنة (ونعمة) أى
نعم (كانوا فيها فاكهين)
متنعين وقرئ: فكهين
(كذلك) الكاف في حيز
النصب وذلك اشارة
الى مصدر فعل يدل
عليه تركوا أى مثل
ذلك السلب سلبناهم
ايها (وأورثناها قوما
آخريين) وقيل مثل ذلك
الاخراج أخرجنهم
منها وقيل في حيز الرفع
على الخبرية أى الامر
كذلك فيجئ شديكون
أورثناها معطوفا على

الجرجاني صاحب النظم هذا اشارة الى اخبار عن دنوه واقترابه كما يقال هذا العدو
فاستقبه واقرص منه التنبه على القرب ثم قال ربنا اكشف عنا العذاب فان قلنا التذبر
يقولوا هذا عذاب أليم ربنا اكشف عنا العذاب فلعنى ظاهر وان لم يصغر القول هناك
أصغر اه ههنا والعذاب على القول الاول هو القحط الشديد وعلى القول الثاني الدخان
المهلل امام مؤمنون أى محمد و بالقرآن والمراد منه الوعد بالايان ان كشف عنهم العذاب
ثم قال مالى أى لهم المذكرى يعنى كيف يتذكرون وكيف يتعظون بهذه الحادثة وقد جاءهم
ما هو أعظم وأدخل في وجوب الطاعة وهو ما ظهر على رسول الله من المعجزات القاهرة
والبينات الباهرة ثم تولوا عنه ولم يلتفتوا اليه وقالوا معلم مجنون وذلك لان كفار مكة
كانوا هم في ظهور الشرائع على محمد عليه الصلاة والسلام ولان منهم من كان يقول ان
محمد يعلم هذه الكلمات من بعض الناس لقوله انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه
أعجمى وقوله تعالى وأعاناه عليه قوم آخرون ومنهم من كان يقول انه مجنون والجن
يلقون عليه هذه الكلمات حال ما يعرض له الغشى ثم قال تعالى انا اكشفوا العذاب قليلا
انكم عائدون أى كما يكشف العذاب عنهم تعودون في الحال الى ما كنتم عليه من الشرك
والقصود التنبه على انهم لا يوفون بعهدهم وأنهم في حال العجز يتضرعون الى الله تعالى
فاذا زال الخوف عادوا الى الكفر والتقليد لمذاهب الاسلاف ثم قال تعالى يوم تبطش
البطشة الكبرى انما تتقون قال صاحب الكشاف وقرئ: تبطش بضم الطاء وقرأ الحسن
تبطش بضم النون كأنه تعالى يأمر الملائكة بأن يبطشوا بهم والبطش الاخذ بشدة
وأكثر ما يكون بوقع الضرب المتتابع ثم صار بحيث يستعمل في ابصال الآلام المتتابعة
وفي المراد بهذا اليوم قولان (الاول) انه يوم بدر وهو قول ابن مسعود وابن عباس
ومجاهد ومقاتل وأبي العالية رضى الله تعالى عنهم قالوا ان كفار مكة لما أزال الله تعالى
عنهم القحط والجوع عادوا الى التكذيب فانقم الله منهم يوم بدر (والقول الثانى) انه يوم
القيامة روى عكرمة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال قال ابن مسعود
البطشة الكبرى يوم بدر وأنا أقول هي يوم القيامة وهذا القول أصح لان يوم بدر لا يبالغ
هذا المبلغ الذى يوصف بهذا الوصف العظيم ولان الانتقام انما يحصل يوم القيامة
لغواه تعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت ولان هذه البطشة لما وصفت بكونها كبرى
على إطلاقه جب أن تكون أعظم أنواع البطش وذلك ليس الا في القيامة ولغظ الانتقام
في حق الله تعالى من المشابهات كالعصب والحياء والتعجب والمعنى معلوم والله أعلم
* قوله تعالى (ولقد فتناهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم ادوا الى عباد الله انى
لكم رسول أمين وأن لا تعلموا على الله انى أتاكم بسلطان مبين واتى عدت روى بكم ان
ترجونا ولم تؤمنوا لى فاعتزلون فدعا ربه ان هؤلاء قوم مجرون فاسر بعبادي ليلا
انكم متبعون وارك البحر رهوا انهم جند مفروقون كم تركوا من جنات وعيون وزروع

تركوا وعلى الاوين على الفعل المقدر (فابكت عليهم السماء والارض) مجاز عن عدم الاكثارات بهلاكهم
والاعتساد بوجودهم فبدت لهم بهم وبحالهم المنافية لحال من يعظم فقدته فيقال له بكت عليه السماء والارض
ومنه ما روى ابن المؤمن ليبكى عليه مصلاه وبحل عبادته ومساعد

عمله ومهبط رزقه وآثاره في الأرض وقيل تقديره أهل السماء والأرض (وما كانوا) لما جاء وقت هلاكهم (منظرين) مهملين إلى وقت آخر أو إلى الآخرة بل جعل لهم في الدنيا (ولقد نجينا بني إسرائيل) بأن فعلنا بفرعون وقومه ما فعلنا (من العذاب المهين) ﴿٤٧٠﴾ من استمباد فرعون إياهم وقتل آبائهم واستحياء

نسائهم على الخسف والضيم (من فرعون) بدل من العذاب اما على جعله نفس العذاب لا فراطه فيه واما على حذف المضاف أي عذاب فرعون أو حال من المهين أي كائن من فرعون وقرئ من فرعون على معنى هل تعرفونه من هو في عتوه ونفرته وفي إهسام أمره أو لا وتبينه بقوله تعالى انه كان عالما من المسرفين (نائباً من الافصاح عن كنه امره في الشر والفساد مالا من يد عليه وقوله تعالى من المسرفين اما خبر ثان للكان أي كان متكبراً مسرفاً أو حال من الضمير في ما ليس أي كان رفيع الطبقة من بين المسرفين فانقأ لهم بليغاً في الاسراف (ولقد اخترناهم) أي بني إسرائيل (على علم) أي عالين بانهم أحق بالاختيار أو عالين بأنهم يزعمون في بعض الاوقات ويكثر منهم القرطاس (على العالين) جميعاً لكثرة

ومقام كريم ونعمة كانوا فيها ما كهن كذلك وأورثناها قوماً آخرين فابكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين (اعلم انه تعالى لما بين ان كفار مكة مصرمون على كفرهم بين أن كثيراً من المتقدمين أيضاً كانوا كذلك فينب حصول هذه الصفة في أكثر قوم فرعون قال صاحب الكشف قرئ (ولقد قتلنا) التشديد لئلا يكيد قال ابن عباس ابتلينا قال الزجاج يولوا والمعنى عاملناهم معاملة المختبر بعث الرسول اليهم وجاءهم رسول كريم هو موسى واختلفوا في معنى الكرم هم هنا فقال الكلبي كريم على به يعني انه استحق على به أنواعاً كثيرة من الأكرام وقال مقاتل حسن الخلق وقال الفراء يقال فلان كريم قوم لانه قل ما بعث رسول الا من أشرف قومه وكرامهم ثم قال أن أدوا إلى عباد الله وفي أن قولان (الاول) أنها المفسرة وذلك لان يحيى الرسول إلى من بعث اليهم متضمن لمعنى القول لانه لا يجيئهم الا بشراً ونذيراً وداعياً إلى الله (الثاني) انها المخففة من الثقلية ومعناه وجاءهم بان الشان والحديث أدوا وعباد الله مفعول به وهم بنو اسرائيل يقول أدوهم إلى وأرسلوهم يعني وهو كونه أرسل معاني اسرائيل ولا تعذبهم ويجوز أيضاً أن يكون نداء لهم والتقدير أدوا إلى يا عباد الله ما هو واجب عليكم من الايمان وقبل دعوتي واتباع سبيلي وعلى ذلك بانه رسول أمين فساتمته الله تعالى على وجه رسالته وأن لا تلوا ان هذه مثل الاولى في وجهها أي لا تنكروا على الله باهانة وجهه ورسوله إلى أيكم بسلطان مبين بحجة بينة يعترف بصحتها كل عاقل واني عدت بر في ور بكم أن ترجون قبل المراد ان تقتلون وقيل أن ترجون باقول فتقولوا انه ساحر كذاب وان لم تؤمنوا مني أي ان لم تصدقوني ولم تؤمنوا بالله لاجل ما أنبئكم به من الحجج فاللام في لام الاجل فاعتزلون أي خلوا سبيلي لاني ولا على قال مصنف الكتاب رحمه الله تعالى ان المعتزلة يتصلفون ويقولون ان لفظ الاعتزال أنما جاء في القرآن كان المراد منه الاعتزال عن الباطل لاجل الحق فانفق حضورى معهم في بعض المحافل وذكر بعضهم هذا الكلام فأوردت عليه هذه الآية وقلت المراد من الاعتزال في هذه الآية الاعتزال عن دين موسى عليه السلام وطريقته وذلك لانه اعتزال عن الحق فانقطع الرجل ثم قال تعالى فدا ر به الفاء في فدا عاذل على انه متصل بمحذوف قبله والتأويل انهم كفروا ولم يؤمنوا فدا موسى ر به بان هو لا يقوم بمجرمون فان قالوا الكفر أعظم حالا من الجرم فالسبب في أن جعل صفة الكفار كونهم مجرمين حال ما أراد المبالغة في ذمهم قلت لان الكافر قديكون عدلاً في دينه وقد يكون مجرم ما في دينه وقد يكون فاسقاً في دينه فيكون أخس الناس قال صاحب الكشف قرئ ان هو لا بالكسر على اضمار القول أي فدا ر به فقال ان هو لا فاسر بعبادى ليلقرا ابن كثير ونافع فاسر موصولة الالف والياقون مقطوعة الالف سرى وأسرى لقان أي أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادى ليل انكم متبعون أي يتبعكم فرعون وقومه وبصير ذلك سبباً لهلاكهم واترك البحر وهو وفي الزهري قولان (أحدهما) انه الساكن يقال عيش

الانبياء فيهم أو على زياتهم (وآتيناهم من الآيات) كخلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن ﴿٤٧١﴾ راه والسوى وغيرها من عظام الآيات التي لم يعهد مثلها في غيرهم (ما فيه بلاء مبين) نعمة جليلة أو اختيار ظاهر ليظهر كيف يعملون (ان هو لا) يعني كفار قريش لان الكلام

فيهم وقصة فرعون وقومه مشوقة للدلالة على حماهم في الاصرار على الضلالة والعذير عن حلول مثل ما حل بهم
(يقولون ان هي الاموتنا الاولى) * ٤٧١ * أي ما العاقبة ونهاية الامر الاموتة الاولى المزيلة للحياة الدنيوية

ولا قصد فيه الى اثبات
موتة أخرى كافي فلو كانت
خرج زيدا للحجة الاولى
ومات وقبل لما قبل لهم
انكم تموتون موتة تعقبها
حياة كما تقدمكم موتة
كذلك قالوا ما هي الا
موتتنا الاولى أي ما الموتة
التي تعقبها حياة الاموتة
الاولى وقبل المعنى ليست
الموتة الا هذه الموتة
دون الموتة التي تعقب
حياة القبر كما يزعمون
(وما نحن بمنشرين)
بعبثين (فأتوا بآياتنا)
خطاب لمن وعدهم
بالنشور من الرسول عليه
العلاقة والسلام والمؤمنين
(ان كنتم صادقين)
فيما تعدونه من قيام
الساعة وبعث الموتى
ليظهر أنه حق وقبل
كانوا يعطيلون اليهم أن
يدعوا الله تعالى فينشروا
لهم قصي ابن كلاب
لشاوروه وكان كبيرهم
ومفرعهم في المعجمات
والمات (أهم خير) رد
لقولهم ونهيد لهم أي
أهم خير في القوة والمنفعة
التي يتدفق بها اسباب
الهلاك (أم قوم تبع)

راه اذا كان خافضا وادعوا وفضل ذلك سهوا رهوا أي ساكتا بغير تشدد أراد موسى عليه
السلام لما جاوز البحر ان يضرب به بعصاه فينطبق كما كان فامر الله تعالى بان يتركه ساكتا
على هيئته فاراعى حاله في انقلاق الماء وبقاء الطريق يساحتى بدخله القبط فاذا حصلوا
فيه أطبقه الله عليهم (والثاني) ان الزهو هو الفرجة الواسعة والمعنى ذا رهوا أي ذا فرجة
يعنى الطريق الذي أظهره الله فيما بين البحر انهم جند مغر فون يعنى اترك الطريق كما كان
حتى يدخلوا فيفرقوا وإنما أخبره الله تعالى بذلك حتى يبق فارغ القلب عن شرهم وابتاعهم
ثم قال تعالى كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم دللت هذه الآية على انه تعالى
أغرقهم ثم قال بعد غرقهم هذا الكلام وبين تعالى انهم تركوا هذه الاشياء الخمسة وهي
الجنات والعيون والزروع والمقام الكريم والمراد بالمقام الكريم ما كان لهم من المجالس
والمنازل الحسنة وقيل المناظر التي كانوا يمدحون فرعون عليها ونعمة كانوا فيها فاكهين
قال علماء اللغة نعمة العيش بفتح النون حسنة ونضارته ونعمة الله احسانه وعطاؤه قال
صاحب الكشاف النعمة بالفتح من التعم وبالكسر من الانعام وقرئ فاكهين وفكهمين
كذلك الكاف منصوبة على معنى مثل ذلك الاخراج أخرجنهم منها وأورثناها أوفى
موضع الرفع على تقدير ان الامر كذلك وأورثناها قوما آخرين لبسوا منهم في شيء من
قرابة ولادين ولاولاءهم بنو اسرائيل كانوا مستعبدين في أيديهم فأهلكهم الله على
أيديهم وأورثهم منكمهم وديارهم ثم قال تعالى فابكت عليهم السماء والارض وفيه وجوه
(الاول) قال الواحدى في البسيط روى أنس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
ما من عبد الا وله في السماء بابان باب يخرج منه رزقه وباب يدخل فيه عمله فاذا مات فتداه
وبكيا عليه وتلاهذه الآية قال وذلك لانهم لم يكونوا يعملون على الارض عملا صالحا
فتبكي عليهم ولا يصعد لهم الى السماء كلام طيب ولا عمل صالح فتبكي عليهم وهذا قول أكثر
المفسرين (القول الثاني) التقدير فابكت عليهم أهل السماء وأهل الارض فحنف
المضاف والمعنى ما بكت عليهم الملائكة والمومنون بل كانوا يهلكهم مسرورين
(والقول الثالث) ان عادة الناس جرت بان يقولوا في هلاك الرجل العظيم الشأن انه انظمت
له الدنيا وكسفت الشمس وانقهر لاجله وبكت الريح والسماء والارض ويريدون المبالغة
في تعظيم تلك المصيبة لانفس هذا الكذب ونقل صاحب الكشاف عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال ما من مؤمن مات في غربة غابت فيها بواكيه الا بكت عليه السماء والارض
وقال جرير الشمس طالعة ليست بكاسفة * تبكي عليك نجوم الليل والقمر
وفيه ما يشبه السخرية بهم يعنى انهم كانوا يستعظمون أنفسهم وكانوا يعتقدون في أنفسهم
انهم لوماتوا بكت عليهم السماء والارض فما كانوا في هذا الحذل كلوا دون ذلك وهذا
انما ذكر على سبيل التهكم ثم قال وما كانوا منظرين أي لما جاء وقت هلاكهم لم ينظروا الى
وقت آخر لتوبة وتدارك تقصير * قوله تعالى (ولقد نجينا بنى اسرائيل من الشهاب المميرين

هو بنوهم الجبرى الذى سار بالجيش وحبر الخيرة وبنى ممرقند وقيل هدمها وقان مؤمنات وقومه كافرين ولذلك
ذمهم الله تعالى دونه وكان يكتب في عنوان كتابه بسم الله الذى ملك بحرا وبحرا أي

نحوها كثيرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انبأوا انهم كانوا قد اسلم وعنه عليه الصلاة والسلام ما أدري أكان تيم نبييا
أو غير نبي عن ابن عباس رضي الله عنه ما كان يدعيه قيل ٤٧٢ الملك المين السادة لانهم يدعون كما قال لهم

الاقبال لانهم يتقبلون
(والذين من قبلهم)

عطف على قوم تيم والمراد

بهم عاد وثمود وأضرارهم

من كل جبار عسيدا أولى

بأس شديدوا الاستفهام

لتفريثنا وأنت أقوى

من هؤلاء وقوله تعالى

(أعلكمناهم) استئناف

ليبين عاقبة أمرهم وقوله

تعالى (انهم كانوا يجرمون)

تعليل لاضلالهم ليعلم

أن أولئك حيث أهلكوا

بسبب اجرامهم مع ما

كانوا في غاية القوة

والشدة فلا تيهلك

هؤلاء وهم شركاء لهم

في الاجرام أضعف منهم

في الشدة والقوة أولى

(وما خلقنا السموات

والارض وما بينهما)

أى ما بين الجنين

وقرى وما بينهما (للعين)

لا هي من غير أن يكون

في خلقهم غرض صحيح

رعاية جيدة (والخلقنا

هما) وما بينهما (الا

بالخلق) استثناء مفرغ

من أعم الاحوال أو أعم

الانساب أى ما خلقناهما

ملتبس بشئ من الاشياء

الامتسبا بالخلق أو ما

من فرعون انه كل طابا من المسرفين ولقد اخترناهم على علم على العالمين وآيتهم من

الآيات ما فيه بلاء مبين ان هؤلاء ليقولون ان هى الامم وثنا الاولى ما نحن بمنشرين

فأتوا بآياتنا ان كنتم اءدقين أنهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم أهلكناهم انهم كانوا

مجرمين وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعين ما خلقناهما الا بالحق ولكن

أكثرهم لا يعلمون اعلم انه تعالى لما بين كيفية اهلاك فرعون وقومه بين كيفية احسانه

الى موسى وقومه واعلم ان دفع الضرر مقدم على ايصال النفع فبدأ تعالى ببيان دفع

الضرر عنهم فقال ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين يعنى قتل الابناء واستخدام

النساء والاعقاب في الاعمال الشاقة ثم قال من فرعون وفيه وجهان (الاول) ان يكون

التقدير من العذاب المهين المصادر من فرعون (الثاني) أن يكون فرعون بدلا من العذاب

المهين كأنه في نفسه كان عذابا مهينا لافراطه في تعذيبهم واهانتهم قال صاحب الكشاف

وقرى من عذاب المهين وعلى هذه القراءة فالمهين هو فرعون لانه كان عظيم السعي في اهانة

المحقين وفي قراءة ابن عباس من فرعون وهو يعنى الاستفهام وقوله انه كان عاليا من

المسرفين جوازه كان التقدير أن يقال هل تعرفونه من هو في عنوه وشيظنته ثم عرف حاله

بقوله انه كان عاليا من المسرفين أى كان على الدرجة في طبقة المسرفين ويجوز أن يكون

المراد انه كان عاليا لقوله ان فرعون علا في الارض وكان أيضا مسرفا ومن اسرافه انه على

حقارته وخسته ادعى الالهية ولما بين الله تعالى انه كيف دفع الضرر عن بنى اسرائيل بين

انه كيف أوصل اليهم الخبرات فقال ولقد اخترناهم على علم على العالمين وفيه بحثان البحث

الاول أن قوله على علم في موضع الحال ثم فيه وجهان (أحدهما) أى عالين بكونهم متحققين

لان تخاروا ويرجوا على غيرهم (والثاني) أن يكون المعنى مع علمنا بأنهم قد نبغون

و يصدر عنهم الفرطات في بعض الاحوال (البحث الثاني) ظاهر قوله ولقد اخترناهم على

علم على العالمين يقتضى كونهم أفضل من كل العالمين فقبل المراد على عالى مادام وقبل

هذا عام دخله التخصيص كقوله كنتم خير أمة أخرجت للناس ثم قال تعالى وآيتهم من

الآيات مثل فلق البحر وتظليل الغمام وازال المن والسلوى وغيره من الآيات المتناهية

التي ما أنظر الله مثلها على أحد سواهم بلاء مبين أى نعمة ظاهرة لانه تعالى كان يلو

بالحنه فتدبروا أيضا بآية اختصارا ظاهر التغير الصديق عن الرنديق وهما يتلوا الكلام

في قصة موسى عليه السلام ثم رجع الى ذكر كفار مكة وذلك لان الكلام فيهم حيث قال

بل هم في شك بلعبون أى بل هم في شك من البعث والقيامة ثم بين كيفية اصرارهم

على كفرهم ثم بين أن قوم فرعون كانوا في الاصرار على الكفر على هذه القصة ثم بين انه

كيف أهلكهم وكيف أنعم على بنى اسرائيل ثم رجع الى الحديث الاول وهو كون كفار

مكة منكرا بنى لبعث فقال ار هؤلاء ليقولون ان هى الامم وثنا الاولى وما نحن بمنشرين

بنشر بن

خلقناهما بسبب من الانساب الاسباب الحق الذي هو الايمان والطاعة والبعث والجزاء (ولكن أكثرهم ظان

لا يعلمون) أن الأمر كذلك فيكون البعث والجزاء

المكان على الإطلاق فإنه من الخاص الذي ﴿ ٤٧٥ ﴾ شاع استعماله في معنى العموم وقرئ بضم الميم وهو

موضع إقامة (أمين)
يا من صاحبه الآفات
والاستقال عنه وهو من
الأمن الذي هو ضد
الحيانة وصف به
المسكان بطريق
الاستعارة كأن المكان
الخفيف يخون صاحبه
لما بقي فيه من المكاره
(في جنات وعيون)
بدل من مقام يحيى به
دلالة على نزاهته واشتاله
على طبقات المآكل
والشارب (يلبسون
من سندس واستبرق)
أما خير ثان أحوال من
الضمير في الجسار أو
استئناف والسندس
مارق من الحرير
والاستبرق ما غلظ منه
معرب (متقابلين) في
المجالس ليستأنس
بعضهم ببعض (كذلك)
أي الأمر كذلك أو
كذلك أثبتناهم
(وزوجناهم بحور
عين) على الوصف
وقرئ بالاضافة أي
قرناهم بمن والخورجم
الخوراء وهي البيضاء
والعين جمع العنساء
وهي العظيمة العينين

الطعام بالهمل وهو درى الزيت وعكر القطران ومذاب التماس وسائر الفلزات وتم
الكلام ههنا ثم أخبر عن غلبته في بطون انكفاره فقال يغلي في البطون وقرئ بالثناء فمن
قرأ أبناء فلأثبت الشجرة ومن قرأ بالياء حله على الطعام في قوله طعام الأئيم لأن الطعام
هو الشجرة في المعنى واختار أبو عبيد الياء لأن الاسم المذكور يعنى المهمل هو الذي يلي
الفعل فصار التذكير به أولى وأعلم أنه لا يجوز أن يعمل العلى على المهمل لأن المهمل مشبه
به وإنما يغلي ما يشبه بالهمل كغلي الحميم والماء إذا اشتد غلبته فهو حميم ثم قال خذوه أى
خذوا الأئيم فاعتلوه قرئ بكسر التاء قال الأبيث العتل أن تأخذ بمنكب الرجل فتعته
أى تجره اليك وتذهب به إلى جس أو مخنة وأخذ فلان بزمام الناقة يعتلها وذلك إذا
قبض على أصل الزمام عند الرأس وفادها قودا عتيفا وقال ابن السكيت عتلت إلى
السجن وأعتلته إذا دفعته دفعا عتيفا هذا قول جميع أهل اللغة في العتل وذكروا في
المتقين ضم التاء وكسرها وهما صحيحان مثل يعكفون ويعكفون ويعرشون ويعرشون
قوله تعالى إلى سواء الجحيم أى إلى وسط الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الجحيم وكان
الأصل أن يقال ثم صبوا من فوق رأسه الجحيم يصب من فوق رؤسهم الجحيم إلا أن هذه
طائفة استعارة أكل في المبالغة كأنه يقول صبوا عليه عذاب ذلك الجحيم ونظيره قوله
تعالى ربنا أفرغ علينا صبرا ذنك أنت العزيز الكريم وذكر وافية وجوها (الاول)
أنه يخاطب بذلك على سبيل الاستهزاء والمراد أنك أنت بالضد منه (والثاني) أن أباجهمل
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين جليلها أعز ولا أكرم مني فوالله ما نستطيع أنت
ولأريك أن تفعل فى شأ (والثالث) أنك كنت تعتز بالله فانظر ما وقعت فيه وقرئ أنك
بمعنى لئلا ثم قال إن هذا ما كنتم به تمترون أى إن هذا العذاب ما كنتم به تمترون أى
تشكون والمراد منه ما ذكره في أول السورة حيث قال بل هم في شك يلبعون * قوله تعالى
(ان المتقين في مقام أمين في جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق متقابلين كذلك
وزوجناهم بحور عين يدعون فيها بكل فاكهة آمنين لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى
ووفاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم فاما بسرنا بلسانك لعلمهم
يتذكرون فارتقب انهم مرتقبون) أعلم أنه تعالى لما ذكر الوعيد في الآيات المتقدمة
ذكر الوعد في هذه الآيات فقال ان المتقين قال أصحابنا كل من أتى الشرك فقد صدق
عليه اسم النقي فوجب أن يدخل الفاسق في هذا الوعد واعلم أنه تعالى ذكر من أسباب
تنعيمهم أربعة أشياء (أولها) مساكنهم فقال في مقام أمين واعلم أن المسكن إنما يطيب
بشرطين (أحدهما) أن يكون آمنا عن جميع ما يخاف ويحذر وهو المراد من قوله في
مقام أمين قرأ الجمهور في مقام يفتح الميم وقرأ نافع وابن عامر بضم الميم قال صاحب
الكشاف المقام يفتح الميم هو موضع القيام والمراد المكان وهو من الخاص الذي جعل
مستعملا في المعنى العام وبالضم هو موضع الإقامة والأئيم من قولك آمن الرجل أمانة

اختلف في أنهن نساء الدنيا أو غيرها (يدعون فيها بكل فاكهة) أى يطلبون ويأمرون بالحضار ما يشتهونه
بأنه لا يختص شي منها

يمكن ولا زمان (أمين) من كل ما سوءهم (لا يدوقون فيها الموت) ﴿٤٧٦﴾ (الاموات الاولى) بل يستمرون على الحياة

أبدأوا الاستثناء منقطع أو متصل على أن المراد بيان استحالة ذوق الموت فيها على الإطلاق كأنه قيل لا يدوقون فيها الموت الا اذا أمكن ذوق الموت الاولى حينئذ (وقاهم عذاب المحيم) وقرئ مشددا للمبالغة في الوقاية (فضلا من ربك) أى أعطوا ذلك كله عطاء وتفضلا منه تعالى وقرئ بالرفع أى ذلك فضل (ذلك هو الفوز العظيم) الذى لا فوز وراءه اذ هو خلاص عن جميع المكاه ونيل لكل المطالب وقوله تعالى (فانما يسرناه بلسانك) اعلمهم تذكرون ذلك لئلا يسوءوا الكربة أى انما اترنا لكتاب المبين بلفظك يفهمه قورك ويتذكره ويعملوا بموجبه واذالم يفعاوا ذلك (فارتقب) فانتظر ما يحل بهم (انهم مرتقون) ما يحل بك * روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة

أصبح مغفورا له ﴿سورة الجاثية مكية﴾ وهى سبع وأوست وثلاثون آية ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿الموتة﴾

(ج) الكلام فيه كما مر في فاتحة سورة (٤٧٧) كما آلمن فان جعل اسم السورة فتحه الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف

أي هذا مسمى بحم
والإشارة إلى السورة قبل
جريان ذكرها وقد وقعت
على سره مرارا وان
جعل مسرودا على نمط
التعديد فلاحظ له من
الاعراب وقوله تعالى
(تنزيل الكتاب) على
الاول خبر بعد خبر على
أنه مصدر أطاق على
انفعول مبالغة وعلى
الثاني خبر ابتداء مضمر
يلوح به ما قبله أي الموف
من جنس ما ذكر تنزيل
الكتاب وقيل هو خبر
لحم أي المسمى به تنزيل
النخ وقد مر مرارا ان الذي
يجعل عنوانا للموضع
حتم أن يكون قبل ذلك
معروف الانتساب إليه
واذ لا عهد بالتسمية بعد
فتحها الاخبار بها
وأما جعله خبرا بتقدير
المضاف وأبقاء تنزيل
على أصله أي تنزيل
حم تنزيل الكتاب فمع
صرانه عن فائدة
يذهبها فتمحل على تمحل
وقوله تعالى (من الله
العزيز الحكيم) كما مر
في صدر سورة الزمر
على التفصيل وقبل حم

الموتة الاولى يمكن ذوقها في المستقبل فانهم يذوقونها (الثاني) أن الابعنى لكن والتقدير
لا يذوقون فيها الموت لكن الموتة الاولى قد ذاقوها (الثالث) أن الجنة حقيقة ابتهاج
النفس وفرحها بعرفة الله تعالى واطاعته ومحبة وإذا كان الامر كذلك فان الانسان
الذي فاز بهذه السعادة فهو في الدنيا في الجنة وفي الآخرة أيضا في الجنة وإذا كان الامر
كذلك فقد وقعت الموتة الاولى حين كان الانسان في الجنة الحقيقية التي هي جنة
المعرفة بالله والمحبة فذكر هذا الاسماء كالتنبيه على قولنا ان الجنة الحقيقية هي حصول
هذه الحالة لا الدار التي هي دار الاكل والشرب ولهذا السبب قال عليه السلام أنبياء الله
لا يموتون ولكن ينقلون من دار إلى دار (والرايم) ان من جرب شيئا ووقف عليه صح
أن يقال انه ذاقه وإذا صح أن يسمى ذلك العلم بالذوق صح أن يسمى تذكره أيضا بالذوق
فقوله لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى يعني الا الذوق الحاصل بسبب تذكر الموتة
الاولى (السؤال الثاني) أليس أن أهل النار أيضا لا يموتون فلم يشر أهل الجنة بهذا مع أن
أهل النار يشار كونهم فيه (والجواب) ان البشارة ما وقعت بدوام الحياة بل بدوام الحياة
مع ساقية حصول تلك الخيرات والسعادات فظهر الفرق ثم قال تعالى وواقعهم عذاب الجحيم
قرئ وواقعهم بالتسديد فان قالوا مقتضى الدلول أن يكون ذكر الوفاة عن عذاب الجحيم
متقدما على ذكر الفوز بالجنة لان الذي وقى عن عذاب الجحيم قد يفوز وقد لا يفوز فاذا ذكر
بعده أنه فاز بالجنة حصلت الفائدة أما الذي فاز بخيرات الجنة فقد تحصل عن عقاب الله
لا محالة فلم يكن ذكر الفوز عن عذاب جهنم بعد ذكر الفوز بثواب الجنة مفيدا قلنا التقدير
كانه تعالى قال وواقعهم في اول الامر عن عذاب الجحيم ثم قال فضلا من ربك يعني كل
ما وصل اليه الممتون من الخلاص عن النار والفوز بالجنة فانما يحصل بفضل الله وأما
أصحاب هذه الآية على ان الثواب يحصل تفضلا من الله تعالى لا بطريق الاستحقاق
لانه تعالى للماعدد أقسام ثواب المتقين بين انما يأسرها انما حصلت على سبيل الفضل
والاحسان من الله تعالى قال القاضي أكثر هذه الاشياء وان كانوا قد استحقوه
بعملهم فهو بفضل الله لانه تعالى تفضل بالكليف ورضه منه أن يصيرهم إلى هذه المنة
فهو كما أعطى غيره ما لا يصل به إلى ملك ضيعة فانه يقال في تلك الضيعة انهم من فضله قلنا
مذهب ان هذا الثواب حق لازم على الله وأنه تعالى أو اخل به لصار سفيها وخرج به عن
الالهية فكيف يمكن وصف مثل هذا الشيء بأنه فضل من الله تعالى ثم قال تعالى ذلك هو
الفوز العظيم واحتج أصحابنا بهذه الآية على ان التفضل أعلى درجة من اثواب
المستحق فانه تعالى وصفه بكونه فضلا من الله ثم وصف الفضل من الله بكونه فوزا عظيما
ويدل عليه أيضا ان الملك العظيم اذا أعطى الاجر أجرته ثم خلع على انسان آخر فان تلك
الخدمة على حال من اعطاه تلك الاجرة ولما بين الله تعالى الدلائل وشرح الوعد والوعيد
قال فانما يسرناه بلسانك اعلمهم يتذكرون والمعنى انه تعالى وصف القرآن في اول هذه

مقسم به تنزيل الكتاب صفته وجواب القسم قوله تعالى (ان في السموات والارض لآيات للمؤمنين) وهو على الوجه

المقدمة كلام مستأنف مسوق للتنبيه على الآيات التكوينية الآفاقية ﴿٤٧٨﴾ والانفسية ومحل الآيات امانفس

السموات والارض
فانهما منظومتان من
فنون الآيات على
ما يقصر عنه البيان
واما خلقهما كما في قوله
تعالى ان في خلق السموات
والارض وهو الاوفى
بقوله تعالى (وفي خلقكم)
أى من نقطة ثم من
علقة متقلبة في أطوار
مختلفة الى تمام الخلق
(وما يث من دابة)
عطف على المضاف
دون المضاف اليه اى
وفيما ينشرو ويغرفه من
دابة (آيات) بالرفع على
أنه مبتدأ خبره الظرف
المقدم والجملة معطوفة
على ما قبلها من الجملة
المصدرة بان وقيل آيات
عطف على ما قبلها
من آيات باعتبار المحل
عند من يجوز وقرئ
آية بالتوحيد وقرئ
آيات بالنصب عطفا
على ما قبلها من اسم
ان والخبر هو الخبر كانه
قيل وان في خلقكم وما
يبت من دابة آيات
(لقوم يوقنون) أى
من شأنهم أن يوقنوا
بالاشياء على ما هي عليه

(واختلاف الليل والنهار) بالجر على ضمائر الجار المذكور في الآيتين قبله وقد قرئ بذكره والمراد * ويجوز *
باختلافهما امانعاقبهما أو تفاوتهما طولا وقصرا

السورة بكونه كتابا مبينا أى كثير البيان والقائدة وذكر في خاتمتها ما يؤكده ذلك فقال ان
ذلك الكتاب المبين الكثير القائدة انما يسرناه بلسانك أى انما أزلناه عن يداي عنك
اعلمهم يتذكرون قال القاضي وهذا يدل على انه تعالى أراد من الكل الايمان والعرفه
وانه ما أراد من أحد الكفر وأجاب أصحابنا ان الضمير في قوله اعلمهم يتذكرون عائد الى
أقوام مخصوصين فحينئذ نحمل ذلك على المؤمنين ثم قال فارتقب أى فانتظر ما يحل بهم انهم
مرتقبون ما يحل بك مرتبسون بك السائر والله أعلم * قال المصنف رحمه الله تعالى
تم تفسير هذه السورة ليله الثلاثاء في نصف الليل الثاني عشر من ذى الحجة سنة ثلاث
وسمائة يادائم المرحوف يا قديم الاحسان شهيدك اشراق العرش وضوء الكرسي
ومعارج السموات وأنوار الثوابت والسيارات على منابرها المتوقفة في العلو الأعلى
ومعارجها المقدسة عن غبار عالم الكون والفساد بان الاول الحق الازلى لا يناسبه شئ
من علائق العقول وشوائب الخواطر ومناسبات المحادثات فالتعجب بسبب محوه مقر
بالتقصان والشمس بشهادة المعارج بتغيراتها معترفة بالحاجة الى تدبير الرحمن والطباع
مقهورة تحت القدرة القاهرة فالله في غيبات المعارج العالية والتغيرات شاهدة بعدم
تغيره والمتعاقبات ناطقة بدوام سرمدية وكل ما توجد عليه انه مضي وسياى فهو وخافه
وأعلى منه فيجوده الوجود والابتعاد وبانداه الفناء والفساد وكل ما سواه فهو تائه في
جبروته نائر عند طلوع نور ملكوته وليس عند عقول الخلق الا انه بخلاف كل الخلق له العز
والجلال والقدرة والكمال والجود والافضال ربنا ورب مبادينا اياك نرمو ولك نصلى
ونصوم وهليك المعول وأنت المبدأ الاول سبحانه سبجناك سبحانك

(سورة الجاثية ثلاثون وسبع آيات مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ان في السموات والارض لايات للمؤمنين
وفي خلقكم وما يث من دابة آيات لقوم يوقنون واختلف الليل والنهار وما أنزل الله من
السماء من رزق فاحسب به الارض بعد موتها ونصريف الريح آيات لقوم يعقلون تلك
آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون) وفيه مسائل (المسئلة
الاولى) اعلم ان في قوله حم تنزيل الكتاب وجوها (الاول) ان يكون حم مبتدأ وتنزيل
الكتاب خبره وعلى هذا التقدير فلا بد من حذف مضاف والتقدير تنزيل حم تنزيل
الكتاب ومن الله صلة لتنزيل (الثاني) أن يكون قوله حم في تقدير هدم حم ثم نقول تنزيل
الكتاب واقم من الله العزيز الحكيم (الثالث) أن يكون حم قسما وتنزيل الكتاب نعتا
له وجواب القسم ان في السموات والارض تقدير وح الذي هو تنزيل الكتاب ان الامر
صكنا وكذا (المسئلة الثانية) قوله العزيز الحكيم يجوز جعلهما صفة الكتاب

ويجوز جعلها صفة لله تعالى إلا أن هذا الثاني أولى ويدل عليه وجوه (الاول) أنا إذا جعلناها صفة لله تعالى كان ذلك حقيقة وإذا جعلناها صفة الكتاب كان ذلك مجازا والحقيقة أولى من المجاز (الثاني) أن زيادة التقرب توجب الرجوع (الثالث) أنا إذا جعلناها عن بر الحكيم صفة لله كان ذلك إشارة إلى الدليل الدال على أن الله تعالى هو الحق لا أن كونه عز وجل يدل على كونه قادرا على كل الممكنات وكونه حكيمًا يدل على كونه عالما بجميع المعلومات غنيا عن كل الحاجات ويحصل لنا من مجموع كونه تعالى عز بر حكيمًا كونه قادرا على جميع الممكنات علما بجميع المعلومات غنيا عن كل الحاجات وكل ما كان كذلك امتنع منه صدور العيب والباطل وإذا كان كذلك كان ظهور المعجز دليلا على الصدق فثبت أنا إذا جعلناها كونه عز بر حكيمًا صفتين لله تعالى يحصل منه هذه الفائدة وأما إذا جعلناها صفتين للكتاب لم يحصل منه هذه الفائدة فكان الاول أولى والله أعلم ثم قال تعالى ان في السموات والارض لآيات للمؤمنين وفيه مباحث (الاول) ان قوله ان في السموات والارض لآيات يجوز اجراؤه على ظاهره لانه حصل في ذوات السموات والارض اسوال دالة على وجود الله تعالى مثل مقاديرها وكيفياتها وخرجاتها وأيضاً الشمس والقمر والنجوم والجبال والبحار موجودة في السموات والارض وهي آيات ويجوز أن يكون المعنى ان في خلق السموات والارض كما صرح به في سورة البقرة في قوله ان في خلق السموات والارض وهو يدل على وجوده القادر المختار في تفسير قوله الحمد لله الذي خلق السموات والارض (البحث الثاني) قد ذكرنا النجوم والكثرة في دلالة السموات والارض على وجود الله القادر المختار في تفسير قوله الحمد لله الذي خلق السموات والارض ولا بأس بعبادة بعضهما فتقول انهما يدل على وجود الله من وجوه (الاول) انهما أجسام لا تخلو عن الحوادث ولا يتخاو عن الحوادث فهم حادث فهم هذه الاجسام حادثون وكل حادث فله محدث (الثاني) انهما مركبة من الاجزاء وتلك الاجزاء متماثلة لما بينا ان الاجسام متماثلة وتلك الاجزاء وقع بعضها في العمق دون السطح وبعضها في السطح دون العمق فيكون وقوع كل جزء في الموضع الذي وقع فيه من الجاذبات وكل جاذب فلا بد له من مرجح ومخصص (الثالث) ان ان ذلك والعاصر مع تآثرها في تسام الماهية الجسمية اختص كل واحد منهما بصفة معينة كالحرارة والبرودة والناطقة والكاشفة الغلظية والعنصرية فيكون ذلك أمراً جازماً ولا بد لها من مرجح (الرابع) ان اجرام الكواكب مختلفة في الالوان مثل كودة زحل وبياض المشتري وحمرة المريخ والاضواء الباهر للشمس ودرية الزهرة وصفرة عطارد ومحو القمر وأيضاً فبعضها ساعدو وبعضها نحسة وبعضها تهاوى ذكرنا بعض هذا إلى اني قد بينا ان الاجسام في ذواتها متماثلة فوجب أن يكون اختلاف الصفات لاجل ان الله القادر المختار خصص كل واحد منها بصفة معينة (الخامس) ان كل ذلك فانه مختص بالحركة إلى جهة

(وما أنزل الله من السماء)
عطف على اختلاف
(من رزق) أي من مطر
وهو سبب الرزق عبرة عنه
بذلك تنبيه على كونه
أبدي من جهة القدرة
والرحمة (فأحس به
الارض) بان أخرج منها
أصناف الزروع والثمار
والنبات (بعدمونها)
وعرائنها عن آثار الحياة
وانقفاء قوة التنمية عنها
وخلو أشجارها عن الثمار
(وتصرف الريح)
من جهتها إلى أخرى ومن
حال إلى حال وقرئ
بتوحيد الريح وتأخير
عن انزال المطر مع تقدمه
عليه في الوجود اما
اللايدان بانه آية مستقلة
حيث اورد في الترتيب
الوجودي لربما توهم
أن مجموع تصرف
الريح وانزال المطر آية
واحدة وأما لان كون
التصرف آية ليس
لجبرده كونه مبدأ للأشياء
المطر بل له واساثر المنافع
التي من جليتها سوق
السفن في البحار (آيات)
لقوم يعقلون (بالرفع على
انه مبتدأ أخبر ما تقدم

من الجار والمجرور والجملة معطوفة على أقبلها وقرئ بالنصب

معية وتختص بمقدار واحد من السرعة والبطة وكل ذلك أيضا من الجائزات فلا بد من
 الفاعل المختار (السادس) ان كل فاعل يختص بشئ معين وكل ذلك أيضا من الجائزات
 فلا بد من الفاعل المختار وتمام الوجوه مذكور في تفسير تلك الآيات (البحث الثالث)
 قوله لا آيات للمؤمنين يقتضى كون هذه الآيات مختصة بالمؤمنين وقالت المعتزلة انها
 آيات للمؤمن والكافر الا انه لما انتفع بها المؤمن دون الكافر أضيف كونها آيات الى
 المؤمنين ونظيره قوله تعالى هدى للمؤمنين فانه هدى لكل الناس كما قال تعالى هدى
 للناس الا انه لما انتفع بها المؤمن خاصة لاجرم قبل هدى للمؤمنين فكذلك ههنا وقال
 المصاحب الدليل والآية هو الذى يرتب على معرفته حصول العلم وذلك العلم انما حصل
 بخلق الله تعالى لا بايجاب ذلك الدليل والله تعالى انما خلق ذلك العلم للمؤمن لا للكافر
 فكان ذلك آية دليلا لا حق للمؤمن لا في حق الكافر والله أعلم ثم قال تعالى وفي خلقكم
 وما يت من دابة آيات لقوم يوفون وفيه مباحث (البحث الاول) قال صاحب الكشاف
 قوله وما يت عطف على الخلق المضاف الى الضمير المضاف اليه لان المضاف ضمير
 متصل مجرور والعطف عليه مستفحج فلا يقال مررت بك وزيد وهذا طعنوا في قراءة
 حرة تسالون به والارحام الجار في قوله والارحام وكذلك ان الذين استفيحو اعداء العطف
 فلا يقولون مررت بك أنت وزيد (البحث الثانى) قرأ حرة والكسائي آيات بكسر التاء
 وكذلك الذى بعده وتصريف الرياح آيات والباقون بالرفع فيها أما الرفع فن وجهين
 ذكرهما المبرد والزجاج وأبو على (أحدهما) العطف على موضع ان وما علمت فيه لان
 موضعهما رفع بالابتداء فيحمل الرفع فيه على الموضع كما قول ان زيدا منطلق وعمر ووان
 الله يرى من المشركين ورسوله لان معنى قوله ان الله يرى أن يقول الله يرى من
 المشركين ورسوله (والوجه الثانى) أن يكون قوله وفي خلقكم مستأنفا ويكون الكلام
 جملة معطوفة على جملة أخرى كما تقول ان زيدا منطلق وعمر ووان الله يرى من
 كاتب كلاما آخر كما تقول زيدا في الدار واخرج غدا الى بلد كذا فأنما حدثت بحديثين
 ووصات أحدهما بالآخر بالواو وهذا الوجه هو اختيار أبى الحسن والفراء وأما وجه
 القراءة بالنصب فهو بالعطف على قوله ان في السموات على معنى وان في خلقكم لا كآيات
 ويقولون هذه القراءة انها في قراءة أبى وعبد الله لا آيات ودخول اللام يدل على ان
 الكلام محمول على ان (البحث الثالث) قوله وفي خلقكم معناه خلق الانسان وقوله وما
 يت من دابة إشارة الى خلق سائر الحيوانات ووجه دلالتها على وجود الاله القادر المختار
 ان الاجسام منسوبة فاختصاص كل واحد من الاعضاء بكون المعين وصفته المعينة
 وشكله المعين لابد وأن يكون بتخصيص القادر المختار ويدخل في هذا الباب انتقاله من
 سن الى سن آخر ومن حال الى حال آخر والاستقصاء في هذا الباب قد تقدم ثم قال تعالى
 واختلاف الليل والنهار وهذا الاختلاف يقع على وجوه (أحدها) تبدل النهار بالليل

على الاختصاص وقبل
 على أن اسم ان والمجرور
 المتقدم خبرها بظاهر
 العطف على معمولي
 طالبين مختلفين ههنا
 وفي أقيمت الواو تمامهما
 فعملت الجري في اختلاف
 والنصب في آيات وتكبر
 آيات في المواقع الثلاثة
 للتفخيم كما وكيفا واختلاف
 الفواصل لاختلاف
 مراتب الآيات في الدقة
 والجلال (تلك آيات الله)
 مبتدأ وخبر وقوله تعالى
 (تناوها عليك) حال
 عاملها معنى الإشارة وقبل
 هو الخبر وآيات الله بدل
 أو عطف بيان (بالحق)
 حال من فاعل تناوون
 ههنا وله أى تناوها محذوف
 أو منبسط بالحق (قباي
 حديث) من الاحاديث
 (بعد الله وآياته) أى بعد
 آيات الله وتقديم الاسم
 الجليل لتعظيمها كما في
 قولهم أعجبنى زيد وكرمه
 أو بعد حديث الله الذى
 هو القرآن حسب انقطع
 بقوله تعالى الله نزل أحسن
 الحديث وهو المراد بآياته
 أيضا ومناط العطف
 التغير العنوانى (يؤمنون)

بصيغة العينة وقرئ بانه

(ويل لكل أفاك) كذاب (أنهم) كثير الاستكدام (يسمع آيات الله) صفة أخرى لافاك وقيل استئناف وقيل حال من الضمير في أنهم (تتلى عليه) حال من آيات الله ولا مضاف لجعله مفعولاً ثانياً للسمع لأن شرطه أن يكون ما بعده مما يسمع كقولك سمعت زيدا يقرأ (ثم يصبر) أى يقيم على كفره وأصله من اصرار الجار على العاتق (مستكبرا) عن الإيمان بما سمعهم آيات الله تعالى والاذن لما تنطق به ﴿٤٨١﴾ من الحق من دريا لها معجبا بما عنده من الباطيل

وقيل زلت في النضرين
الحرث وكان يشتري من
أحاديث الاعاجم ويشغل
بها الناس عن استماع
القرآن لكنها وردت
بعبارة عامة ناعية عليه
وعلى كل من يسير صيته
ما هم فيه من الشر وفساد
وكلمة ثم لاستبعاد الاصرار
والاستكبار بعد سماع
الآيات التي حقه أن
تدع لهم القلوب
وتخضع لها الرقاب كما في
قول من قال لا يرى غرات
الموت ثم يزورها *
(كأن اسمها) أى
كان لم اسمها فتخفف
وحذف ضمير الشأن
والجمله حال من يصبر
يصبر شيها فغير الدامع
(فبشره بعذاب أليم)
على اصراره واستكباره
(واذا علم من آياتنا شيئا)
أى اذا بلغه من آياتنا شيء
وعلم انه من آياتنا لا مدخله
كاهو عليه فانه يعزل من
ذلك العلم وقبل اذا علم
منها شيئا يمكن أن ينشئ
به المعاند ويجدهم محلا
فاسدا يتوصل به الى

وبا ضدمنه (وثانها) انه تارة يزداد طول النهار على طول الليل وتارة بالهكس وعقدار
ما يزداد في النهار الضمير يزداد في الليل الشوى (وثانها) اختلاف مطالع الشمس في أيام
السنة ثم قال تعالى وما أنزل الله من السماء من رزق فأحى به الأرض بعد موتها وهو يدل
على التول بالفاضل المختار من وجوه (أحدها) انشاء السحاب وانزال المطر منه (وثانها)
تولد النبات من تلك الحبة الواقعة في الأرض (وثانها) تولد الانواع المختلفة وهي ساق
الشجرة وأغصانها وأوراقها وأثمارها ثم تلك الثمرة منها ما يكون القشر محيطاً باللب كالجوز
وأوز ومنها ما يكون اللب محيطاً بالقشر كالشمس والخوخ ومنها ما يكون خالياً عن القشر
كالبن فلولد أقسام النبات على كثرة أصنافها وتباين أقسامها يدل على صحة القول
والفاعل المختار الحكم الرحيم ثم قال وتصرف الرياح وهي تنقسم الى أقسام كثيرة بحسب
تسميات مخدعة ففيها المشرقية والمغربية والشمالية والجنوبية ومنها الحارة والباردة
ومنها الريح النافعة والريح الضارة ولما ذكر الله تعالى هذه الانواع الكثيرة من الدلائل
قال انها آيات لقوم يعقلون واعلم ان الله تعالى جمع هذه الدلائل في سورة البقرة فقال ان في
خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفقك التي تجري في البحر بما ينفع
الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحى به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة
وتصرف الرياح والسحاب المستخرين السماء والأرض آيات لقوم يعقلون فذكر الله
تعالى هذه الأقسام الثمانية من الدلائل التي توت بين الوضعين من وجوه (الاول) انه
تعالى قال في سورة البقرة ان في خلق السموات والأرض والسموات في السموات
والصالحين عندنا سبحانه ان خلق عين الخلق وقد ذكرنا ان خلق في سورة البقرة ولم يذكر في
هذه السورة تليق على انه لا فرق بين ان يقال السموات وبين أن يقال خلق السموات
فيكون هذا دليل على ان الحق عين الخلق (الثاني) انه ذكر هناك ثمانية أنواع من
الدلائل ذكرهم ثمانية أنواع واهمل منها آيات السحاب والسبب أن مدارج ذكرها في
والسحاب على الرياح الخفة المذكور الرياح الذي هو كالسبب يعني عن ذكرهما (والغافوت
الثالث) انه جمع الكل وذكرها معطافاً حساوه هنارتها على ثلاثة مقاطع والغرض
التبديد على انه لا بد من أفراد كل واحد منهم انفسر تام شاف (والغافوت الرابع) انه تعالى ذكر
في هذا الموضع ثلاثة مقاطع (أو لها) يؤمنون (وثانها) يؤفنون (وثانها) يعقلون وأطن
ان سبب هذا الترتيب انه قيل ان كنتم من المؤمنين فادعوا هذه الدلائل وان كنتم لستم
من المؤمنين بل أنتم من طلاب الحق واليقين فادعوا هذه الدلائل وان كنتم لستم من
المؤمنين ولا من المؤمنين فلا أقل من أن تكونوا من زمرة العاقلين فاجتهدوا في معرفة هذه
الدلائل واعلم ان كثير من العقهاء يقولون انه ليس في القرآن العلوم التي يبحث عنها
المتكلمون بل ليس فيه الامايات بل الاحكام والنقد وذلك غفلة عظيمة لانه ليس في القرآن
سورة طه مفردة بذكر الاحكام وفيه سور كثيرة خصوصاً المكيات ليس فيها الا ذكر دلائل

الظن والغميرة (اتخذها) أى ﴿٦١﴾ سا الآيات كلها (هروا) أى مهرزواها الاما سمعت فقط وقيل الضمير
للشيء والتأنيث لانه في معنى الآية (أو لك) إشارة الى كل أفاك من حيث الانصاف بما ذكر من القبايح والجمع باعتبار
الشمول لكل كافي قوله تعالى كل حزب بما لديهم فرحون كأن الأفراد فيما سبق من الضمائر باعتبار كل واحد واحد
(لهم) بسبب جنابهم المذكورة (عذاب مهين) وصف العذاب

بالاهانة توفيقه لخلق استكبارهم واستهزائهم بآيات الله سبحانه وتعالى (من ورائهم جهنم) أي من قدامهم لانهم متوجهون الى ما أعد لهم أو من خلفهم لانهم معرضون عن ذلك مقبلون على الدنيا فان الذرة اسم للجهة التي يورثها الشخص من خلفه وقدمه (ولا يفي عنهم) ولا يدفع (ما كسبوا) من الأموال والأولاد (شئاً) من عذاب الله تعالى أشياء من العذاب (ولما اتخذوا من دون الله أولياء) أي الأصنام (٤٨٢) ﴿توسط حرف التثنية بعد عينه﴾ أن عدم

غناء الأصنام أظهر وأجلى من عدم غناء الأموال والأولاد قطعاً مبنى على زعمهم الفاسد حيث كانوا يطمعون في شفاعتهم وفيه تهكم (ولهم) فيما وراءهم من جهنم (عذاب عظيم) لا يقادر قدره (هذا) أي القرآن (هدى) في غاية الكمال من الهداية كأنه نفسها (والذين كفروا) أي باقرآن وأمسوا وضع موضع ضميره قوله تعالى (بآيات ربهم) لزيادة تشنيع كفرهم به وتفظير حالهم (لهم عذاب من رجز) أي من أشد العذاب (أليم) بالرفع صفة عذاب وقرئ بالجر على أنه صفة رجز وتويع عذاب في المواقع الثلاثة للتفخيم ورفعها على الابتداء واما على الفاعلية (الله الذي سخر لكم البحر) بأن جعله أملاً مسطحاً يطفو عليه ما يتخذ للبحر كالأخشاب ولا يمنع الغوص

التوحيد والنسبة والبحث والقيامة وكل ذلك من علوم الأصوليين ومن تأمل علمهم في بدع علماء الأصول التفصيل ما اشتمل القرآن عليه على سبيل الاستشهاد في تلك آيات الله تلوها طيات بالحق والمراد من قوله بالحق هو ان صحتها مبنية بالدلائل العقلية وذلك لان العلم بانها حقيقة صحيحة إما أن يكون مستفاداً من النقل أو القل أو الأول باطل لان صحة الدلائل العقلية موقوفة على سبق العلم بآيات الامام العالم القادر الحكيم وبشآت النبوة وكيفية دلالة المعجزات على صحتها فلوا أثبتت هذه الأصول بالدلائل العقلية لزم الدور وهو باطل ولما بطل هذا ثبت ان العلم بحقيقة هذه الدلائل لا يمكن تحصيله إلا بمحض العقل وإذا كان كذلك كان قوله تلك آيات الله تلوها هادئاً بالحق من أعظم الدلائل على الترغيب في علم الأصول وتقرير المباحث العقلية ثم قال تعالى فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون يعني ان من لم ينفع بهذه الآيات فلا شيء بعده يجوز ان ينفع به أو بطل به هذا قول من يزعم ان التقليد كافي وبين انه يجب على المكلف التأمل في دلائل دين الله وقوله يؤمنون قرئ بالياء والتاء واختار أبو عبيد الياء لان قلبه غيبة وهو قوله يقوم يؤمنون ويقوم يعقلون فان قيل ان في أول الكلام خطا با وهو قوله وفي خلقكم قلنا الغيبة التي ذكرنا تأخر إلى الحرف المختلف فيه والأقرب أولى ووجه قول من قرأ على الخطا ان قل فيه مقدار رأى قل لهم فبأي حديث بعد ذلك يؤمنون * قوله تعالى (ويل لكل أثم يسمع آيات الله تلى عليه) ثم يصير مستهزأ كان له سمعاً فبشره بعذاب أليم إذا علم من آياته شيئاً اتخذها هزوا أولئك لهم عذاب عظيم من ورائهم جهنم ولا يفي عنهم ما كسبوا شيئاً ولما اتخذوا من دون الله أولياء ولهم عذاب عظيم هذا هدى والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم) علم انه تعالى لما بين آيات الكفار وبين أنهم أي حديث بعده يؤمنون إذا لم يؤمنوا بها مع ظهورها اتبعه بوجع عظيم لهم فقال ويل لكل أثم يسمع الآيات الكذاب والذين المبالغ في افتراء الآثام وأعلم ان هذا التثنية لمعقمان (الأول) ان يبق مصرأ على التكفار والاستكبار فقال تعالى يسمع آيات الله ثم يصير أي يقيم على كفره اقامة قوة وشدة مستكبراً عن الايمان بالآيات معجبا بما عنده قبل نزول في التنصير الحارث وما كان يشترى من أحاديث الأعاجيب ويشغل بها الناس عن استماع القرآن والآيات عا في كل من كان موصوفاً بصفة المذكورة فان قالوا ما معنى ثم في قوله ثم يصير مستكبراً قلنا نظيره قوله تعالى الحمد لله الذي خلق السموات والأرض الى قوله ثم الذين كفروا بر بهم يعدلون ومعناه انه تعالى لما كان خالق السموات والأرض كان من المستبعد جعل هذه الأصنام مساوياً له في العبودية ككذابهنا سماع آيات الله على قوتها وظهورها من المستبعد ان يقابل بالانكار والاعراض ثم قال تعالى كان لهم سمعاً الأصنام كأنهم يسمعونها والصغير ضئير الشأن ومحل الجملة النصب على الحال أي يصير مثل غير السامع (المقام الثاني) ان يتقل من مقام الأصنام والاستكبار الى مقام الاستهزاء فقال وإذا علم من آياته

والحرق لميعانه (لجبرى الفلك فيه باره) وأتم وأكبوها (وتبتغوا من فضله) بالنجارة والغوص شياً والصيد وغيرها (ولم يكن تشكروا) ولكن تشكروا النعم المترتبة على ذلك (وسخر لكم مافي السموات ومافي الأرض) من الموجودات بأن جعلها مبادراً لتأفكم (جميعاً) إما حال من مافي السموات والأرض أو توكيده (مند) متعلق بحذرف هو صفة لجميعاً أحوال من مافي جميعاً كأنه تعالى أو سخر لكم هذه الأشياء

كأنه منه مخلوقه تعالى وأخبر بخذوف أي هي جبرامته تعالى وقري متد على المفعول له ومنه صلى انه فاعل سخر على الاسناد المجازي وأخبر مبتدأ محذوف أي ذلك منه (ان في ذلك) أي فيما ذكر من الامور العظام (الآيات) عظيمة الشأن كثيرة العدد (لقوم يتفكرون) في بدايع صنع الله تعالى فانهم يقفون بذلك على جلال نعمته تعالى ودقائقها وبوقفون لشكرها (قل للذين آمنوا) حذف المقول ﴿ ٤٨٣ ﴾ لدلالة (يعرفوا) عليه فانه جواب الامر باعتبار تعلقه به لا باعتبار

نفسه فقط أي قل لهم اغفروا يغفروا (للذين لا يرجون أيام الله) أي اغفروا ويصغروا عن الذين لا يتوقعون وفائمه تعالى بأعدائه من قواهم أيام العرب اوقافهم وقيل لا يملكون الاوقات التي وقفها الله تعالى الثواب

المؤمنين ووعدهم الفوز فيها بل زلت قبل آية القتال ثم تسخت بها وقيل زلت في عررضي الله عنه حين شتمه غفاري فهم أن يبطش به وقيل حين قال ابن أبي ماقال وذلك انهم نزوا في غزوة بني المصطلق على بئر يقال لها المريسع فارسل ابن أبي غلامه يستقي فابها عليه فلما أتاه قال له ما حبسك قال غلام عر قد عد على طرف البئر فأتوك أحد استقي حبي ملا قرب النبي صلى الله عليه وسلم وب أبي بكر قال ابن أبي ماجة وسال هؤلاء الاكابر عن ذلك كلك يا كلك فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فاشتد سيفه يدا التوجه اليه فانزلها الله تعالى (ليجزي قوما بما كانوا يكسبون)

شيئا اتخذها هزوا وكان من حق الكلام أن يقال اتخذها هزوا أي اتخذ ذلك الشيء هزوا الا انه تعالى قال اتخذها للاشعار بان هذا الرجل اذا أحس شيئا من الكلام أنه من جملة الآيات التي أنزلها الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم خاض في الاستهزاء بجمع الآيات ولم يقصر على الاستهزاء بذلك الواحد ثم قال تعالى أولئك لهم عذاب مهين أو وثق اشار الى كل أفك أثم لشموله جميع الاتفاكين ثم وصف كيفية ذلك العذاب المهين فقال من وراءهم جهنم أي من قدامهم جهنم قال صاحب الكشف الوراء اسم للجهة التي توارى بها الشخص من خلف أو دمام ثم بين ان ما منكروه في الدنيا لا يتفهم فقال ولا ينبغي عندهم ما كسبوا شيئا ثم بين أن أصنامهم لا تتفهم فقال ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء ثم قال ولهم عذاب عظيم فان قالوا انه قال قبل هذه الآية لهم عذاب مهين فبالتأني في قوله بعده وانهم عذاب عظيم قلنا كون العذاب مهينا يدل على حصول اهانة ثم العذاب وكونه عظيما يدل على كونه بالغالي أقصى الغيات في كونه ضررا ثم قال هذا هدى أي كمال في كونه هدى والذين كفر وآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم والرجز أشد العذاب بدلالة قوله تعالى فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء وقوله لكن كشفت عنا الرجز وقرى أليم بالجر والرفع أما الجرف فقد بده لهم عذاب من عذاب أليم وإذا كان عذابهم من عذاب أليم كان عذابهم الجوار من رجع كان المعنى لهم عذاب أليم ويكون المراد من الرجز الرجز الذي هو النجاسة ومعنى النجاسة فيه قوله ويسقى من ماء صديد وكان المعنى لهم عذاب من تجرع رجس أو شرب رجس فتكون من بيننا للعذاب * قوله تعالى (الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه باعرة ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وسخر لكم مافي السموات ومافي الارض جبرامته ان في ذلك آيات لقوم يتفكرون قل للذين آمنه يغفروا والذين لا يرجون أيام الله ليجزي قوما عما كانوا يكسبون من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليه ثم الى ربكم ترجعون) اعلم انه تعالى ذكر الاستدلال بكيفية جريان الفلك على وجه البحر وذلك لا يحصل الا بسبب تسخير ثلاثا شيئا (أحدها) الرياح التي تهب على وفق الراد (وثانيها) خلق وجه الماء على الملاسة التي تجري عليها الفلك (وثالثها) خلق الخسبة على وجه تين طافية على وجه الماء وتنفوخ فيه وهذه الاحوال الثلاث لا يندرج عليها واحد من البشر فلا يد من موجود قادر عليها وهو الله سبحانه وتعالى وقوله بتدبيره فله معناه ما بسبب التجارة أو بالانغوص على التوافر والمرجان أو لاجل اسخراج اللؤلؤ ثم قال تعالى وسخر لكم مافي السموات ومافي الارض جبرامته والمعنى ان الله تعالى أوقف أجرام السموات والارض في مقارها واحباها لما حصل الانتفاع بتدبيره كور الارض هابطة أو صاعدة لم يحصل الانتفاع بها وبقدرة كون الارض من الذهب أو الفضة أو الحديد لم يحصل الانتفاع بكل ذلك فبدناه فان قيل ما معنى منه في قوله جبرامته فلان معناه انها واقعة موقع الحال والمعنى انه سخر هذه الاشياء كأنه

تعليل الامر بالغفرة والمراد بالقوم المؤمنون والتكثير لدحهم والثناء عليهم أي أمره بذلك ليجري يوم القيامة قوما بما يقوم قوما مخصوصين بما كسبوا في الدنيا من الاعمال الحسنة التي من جلستها الصبر على اذية الكفار والافخاض عنهم بكظم الغيظ واحتمال المكروه ما يقصر عنه البيان من الثواب العظيم هذا

وقد نبهوا أن يراد بالقوم الكفرة و بما كانوا يكسبون سيئاتهم التي من جعلتها ما يحكى من الكلمة الخبيثة والتكبر التحفير
 وفيه أن مطابق الجزاء لا يصلح تعليلا لمر بالعمرة للحكمة على تقديرى العمرة وعدمها فلا بد من تخصيصه بالكل بان
 لا يتحقق بعض منه في الدنيا أو ما يصدر عنه تعالى بالذات وفي ذلك من التكلف ما لا ينبغي وأن يراد الكلا انهم يقين وهو أكثر
 تكافوا واشد تحملا وقرى ليجزى قوم و ليجزى قوم أى ليجزى * ٤٨٤ * الجزء فوما وقرى ليجزى بنون العظمة

(من عمل صالحا فلنفسه
 ومن أساء فعليها) لا يكاد
 يسرى عمل الى غير عامله
 (ثم الى ربكم) مالك أموركم
 (ترجعون) فيجازيكم على
 أعمالكم خيرا كان أو شرا
 (واتقوا نيرانا) إسرائيل
 (الكتاب) أى النورة
 (والحكم) أى الحكمة
 النظرية والعملية الفقه
 فى الدين أو فصل
 الخصومات بين الناس
 اذ كان الملك فيهم
 (والنوة) حيث أكثرهم
 الانبياء ما لم يكفر في غيرهم
 (ورزقناهم من الطيبات)
 مما أحل الله تعالى من
 اللذات كالن والسوى
 (وفضلناهم على
 العالمين) حيث آتيناهم
 ما لم نؤت من عبادهم من
 خلق البحر واخلال العمام
 ونظائرهم أو قبل على عالمي
 زمانهم (وآتيناهم نباتا
 من الامر) دلائل ظاهرة
 فى أمر الدين ومعجزات
 ظاهرة وقال ابن عباس
 رضى الله عنهم هو العالم
 بعث النبي صلى الله عليه
 وسلم وما بين لهم من أمره
 وأنه مهاجر من تهامة الى

منه وحاصله من عنده يعنى انه تعالى مكنونها وهو جدها بقرته وحكمته ثم معجزها
 خلقه قال صاحب الكشف فرأسه بن محارب منه على أن يكون منه فاعلى سخر على
 الأستاذ الجازى أو على انه خبره به ما يحذوف أى ذلك منه وهو منه واعلمه تعالى لما علم
 عباده دلائل التوحيد والقدرة والحكمة اتبع ذلك بتعليم الاخلاق الفاضلة والافعال
 الحميدة بقوله قل الذين آمنوا ينفروا الذين لا يرجون أيام الله والمراد بالذين لا يرجون أيام
 الله الكفار واختلفوا فى سبب نزول الآية قال ابن عباس قل الذين آمنوا يعنى عمر
 ينفروا الذين لا يرجون أيام الله يعنى عبد الله بن أبى وذلك أنهم تزاولوا غزوة بنى المصطلق
 على أثر قتالهم المريسع فأرسل عبد الله غلاما يستقي الماء فابصا عليه فلما أتاه قاله
 ما حبسك قال غلام عمر فقد على طرف ابى فترك أحد ابستقى حتى ملأ فأرسله صلى
 الله عليه وسلم وقر أبى بكر وملا أولاه فقال عبد الله ما شئنا من هؤلاء الاكفول من
 كلبك بالكل فباغ قوله عمر فاشتمل بسفه بر يدان وجد اليه فأرسل الله هذه الآية وقال
 مقاتل شتم رجل من كفار قريش عمر بمكة فهم أن يحط به فامر الله بالعمرة والتجاوز
 وأنزل هذه الآية وروى ميون بن مهران أن فخص اليهودى لما نزل قوله من ذا الذى
 يقرض الله قرضا حسنا قال احتاج ربهم فسمع بذلك عمر فاشتمل على سيفه وخرج فى
 طلبه فبعث النبي صلى الله عليه وسلم فى طلبه حتى رده وقوله الذين لا يرجون أيام الله قال
 ابن عباس لا يرجون ثواب الله ويخشون عقابه ولا يخشون مثل عقاب الامم الخالية
 وذكرنا تفسير أيام الله عند قوله وذكرهم بأيام الله وأكثر المفسرين يقولون انه منسوخ
 وانما قالوا ذلك لانه يدخل تحت العفران أن لا يقتلوا ولا يقاتلوا فلما أمر الله بهذه المقاتلة
 كان نسخها الاقرب ان يقال انه محمول على ترك المنازعة فى المحفريات وعلى التجاوز عما
 يصدر عنهم من الكلمات المؤذية والافعال الموحشة ثم قال تعالى ليجزى قوم بما كانوا
 يكسبون أى لى يجازى بالعمرة قوم ما يعمون الخير فان قيل ما الفائدة فى التكفير فى قوله
 ليجزى قوم ما مع ان المراد بهم هم المؤمنون المذكورون فى قوله قل الذين آمنوا قلنا التكفير
 يدل على تعظيم شأنهم كأنه قيل ليجزى قوم ما أى قوم من شأنهم الصفة مع شغل السيات
 والتجاوز عن المؤذيات ونحو الوحشة وتجزع المكروه وقال أن خرون معنى الآية قل
 للمؤمنين يتجاوزوا عن الكفار ليجزى الله الكفار بما كانوا يكسبون بصون من الاثم كأنه قيل
 لهم لا تسكثوهم أنتم حتى تسكثوهم نحن ثم ذكر الحكم العظم فقال الذل من عمل صاف نفسه
 وهو مثل ضرب به الله الذين ينفرون ومن أساء فعليها مثل ضالمه به الكفار الذين كانوا
 يقدمون على ابداء الرسول والمؤمنين وعلى ما لا يحل فيهن تعالى رذ أن العمل الصالح يعود
 بالنفع العظيم على فاعله والعمل الردى يعود بالضرر على فاعله وهو انه تعالى أمر بهذا ونهى
 عن ذلك لحط العبد لانفع يرجع اليه وهذا ترغيب منه فى العمل الصالح وزجر عن العمل
 الباطل * قوله تعالى (وقد آتينا نبي إسرائيل الكتاب والحكم والنسوة ورزقناهم من

يترى ويكون أنصاره أهل يترى (فما اختلفوا) فى ذلك الامر (الامن بعد ما جاءهم العلم) بحقيقته وحقيقته * (الطيبات)
 فجعلوا ان حب زوال الخلاف موجباً لرسوخه (بغيايتهم) أى عداوة وحسد الاشكافية (ان ربك يقضى بينهم
 يوم التوفى صفة لجملة اخذة والجزاء) (فيما كانوا فيه يختلفون) من أمر الدين (ثم جعلناك

على شريعة) أى سنة وطريقة عظيمة الشأن (من الأمر) أى أمر الدين (فاتبعها) بإجراء أحكامها في نفسك
وفي غيرك من غير إخلال بشئ منها (ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) أى آراء الجاهلة واعتقاداتهم الزائفة التابعة
لشهوواتهم رؤساء قریش كانوا يقولون له عليه الصلاة والسلام ارجع إلى دين أبائك (انهم ان بغوا عنك من الله
شياء) أراد بك ان تبعهم (وان الظالمين) ٢٨٥ (بعضهم أولياء بعض) لا يوالوهم ولا يتبع أهواءهم

الامن كان ظالماتهم
(والله ولي المؤمنين)
الدين أنت قدوتهم
قدم على ما أنت عليه
من توليه خاصة
والاعراض عما سواه بالكلية
(وهذا) أى القرآن
والتابع الشريعة (بصائر
للناس) فان ما فيه من
معالم الدين وشعار
اشرافه بمنزلة البصائر
في القلوب (وهدى)
من ورطة الضلالة
(ورحمة) عظيمة (تقوم
يوقنون) من شأنهم
الايقان بالامور (أم حسب
الذين اجتروا السيئات)
استأنف مسوق لبيان
تباين حالى المسببين
والمحسنين اثر بيان تباين
حالى الظالمين والمؤمنين
وأم منقطعة وما فيها
من معنى بل للانتقال
من ايمان الاول الى
اثنائى والهمزة لانكار
الحسبان لكن لا بطريق
انكار الوقوع ونفيه
كافى قوله تعالى أم يجعل
الذين آمنوا وعملوا
الصالحات كالفسدين

الطيبات وفضلناهم على العالمين وآتيناهم بينات من الأمر فاختلقوا الامن بعد ما جاءهم
العلم بما بينهم انذر بك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك على
شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ان بغوا عنك من الله شياء
وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله على المتقين هذ بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم
يوقنون أم حسب الذين اجتروا السيئات أن يجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات
سواء بحياهم وميتهم ساء ما يحكمون (اعلم انه تعالى بين انه انعم نعم كثيرة على بني اسرائيل
مع انهم فصل بينهم الاختلاف على سبيل البنى والحسد والمقصود ان بين ان طريقة قومه
كطريق قديم تقدم واعلم ان النعم على قديمين الدين ونعم الدنيا ونعم الدين أفضل من نعم
الدنيا فلماذا بدأ الله تعالى بذكر نعم الدين فقال ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم
والنورا والاقراب ان كل واحد من هذه الثلاثة يجب أن يكون غائرا لاصاحبه اما
الكتاب فهو النور واما الحكم فمفيد ويجوز أن يكون المراد العلم والحكمة ويجوز
أن يكون المراد العلم بفصل الحكومات ويجوز أن يكون المراد معرفة أحكام الله تعالى
وهو لم ينفه واما النور فعلومه وامانه الدنيا فهي المراد من قوله تعالى ورزقناهم من
الطيبات ذلك لانه تعالى وسع عليهم في الدنيا وورثهم أموال قوم فرعون وبناهم ثم
أنزلهم بهم الى السواوى ولما بين تعالى انه أعطاهم من نعم الدين ونعم الدنيا نصيبا وافر
قال ومصلحتهم على العالمين يعنى انهم كانوا أكبر درجة وأرفع منزلة ممن سواهم في وقتهم
فلهذا المعنى قال المفسرون المراد وفضلناهم على عالمي زمانهم ثم قال تعالى وآتيناهم
بينات من الأمر وفيه وجوه (الاول) انه آتاهم بينات من الأمر أى أدلة على أمور الدنيا
(الثانى) قل ابن عباس يعنى بين لهم من أمر النبى صلى الله عليه وسلم انه يهاجر من تهامة
الى يثرب ويكون أنصاره أهل يثرب (الثالث) المراد وآتيناهم بينات أى معجزات قاهرة
على صحة نبوتهم والمراد معجزات موسى عليه السلام ثم قال تعالى فاختلقوا الامن بعد
ما جاءهم العلم بما بينهم وهذا مفسر في سورة حم عسق والمقصود من ذكر هذا الكلام
التعجب من هذه الحالة لان حصول العلم يوجب ارتفاع الخلاف وههنا نصارى على العالم
سببا لحصول الاختلاف وذلك لانهم لم يكن مقصودهم من العلم نفس العلم وانما المقصود
منه طلب الرياسة والتقدم ثم ههنا احتمالات يريد انهم علموا ثم عاندوا ويجوز أن يريد بانهم
الدلائل التى توصل الى العلم والمعنى انه تعالى وضع الدلائل والبيانات التى لو تأملوا فيها
لعرفوا الحق لكنهم على وجه الحسد والعناد اختلفوا وأظهروا النزاع ثم قال تعالى ان
ر بك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون والمراد انه لا ينبغي أن تغتر المبطل
بنعم الدنيا فانها وان ساوت نعم الحق أوزادت عليها فانه سيرى في الآخرة ما يسوءه وذلك
كأنزاح لهم ولما بين تعالى انهم أعرضوا عن الحق لاجل البنى والحسد أمر رسوله صلى الله
عليه وسلم بان يدل عن تلك الطريقة وان تمسك بالحق وان لا يكون له غرض سوى اظهار

في الارض أم يجعل المتقين كالغبار بل بطريق انكار الواقع واستباحه والتعجب
لجعلهم) أى نصيرهم في الحكم والاعتبار وهم على ما هم عليه من مس
الصالحات) وهم فيما هم فيه من محاسن الاعمال ونعامهم معاملتهم في الكرم
محباهم وممنهم) أى يحيا القرينين جميعا ومما تنهم حال من الضمير في الظن
الموصول معا لاشتراكه

والاجترار الاكتساب (ان
لاحوال) كالذين آمنوا وعملوا
فهم الدرجة وقوله تعالى (سواء
الموصول معا لاشتراكه

على ضمير يحا على أن السواء بمعنى المستوى ومحباهم ومماتهم مرتفعان به على المقابلة والمعنى أم حسبوا أن يجعلهم
 كائنين مثلهم حال كون الكل مستويا محباهم ومماتهم كالأبستون في شيء منها فان هؤلاء في عزالإيمان والطاعة
 وشرفعها في المحيا وفي رحمة الله تعالى ورضوانه في الممات وأوتك في ذل الكفر والمعاصي وهو انهما في المحيا وفي لعنة الله
 والعذاب الخالد في الممات شتان بينهما وقد قيل ﴿ ٤٨٦ ﴾ المراد انكار أن يستويا في الممات كما استويا

في الحياة لان المستبين
 والمحسنيين مستويا محباهم
 في الرزق والصحة وانما
 يفرقون في الممات وقرئ
 محباهم ومماتهم بالنصب
 على انهما ظرفان
 كقدم الحاج وسواء حال
 على حاله أي حال كونهم
 مستوين في محباهم
 ومماتهم وقد ذكر في
 الآية الكريمة وجوه
 اخر من الاعراب والنبي
 يليق بجزالة التنزيل هو
 الاول فتدبر وقرئ
 سواء بالرفع على أنه خبر
 ومحباهم مبتدأ فقبل
 الجملة بدل من الكاف
 وقيل حال وأياما كان
 فتسبه حسيان التساوى
 اليهم في ضمن الانكار
 التوبيخى مع انهم يعمل
 منه جازمون بفضلهم
 على المؤمنين لبساعة
 في الانكار والتشديد
 في التوبيخ فان انكار
 حسيان التساوى
 والتوبيخ عليه انكار
 لحسيان الجرم الفضل
 وتوبيخ عليه على أبلغ
 وجه وأكده (ساء

الحق وتقرير الصدق فقال تعالى ثم جعلناك على شريعة من الأمر أى على طريقة
 ومنهاج من أمر الدين فاتبع شريعتك الثابتة بالادلة والبيئات ولا تتبع مالا تحبه عليه
 من أهواء الجاهل وأديانهم المبنية على الأهواء والجهل قال الكلبي ان رؤساء قريش قالوا
 للنبي صلى الله عليه وسلم هو بمكة ارجع الى مكة تأتلك فهم كانوا أفضل منك واسن فأزل
 الله تعالى هذه الآية ثم قال تعالى انهم لم يغفوا عنك من الله شيأ أى اوملت الى أديانهم
 الباطلة فصرت مستغنيا عن العذاب فهم لا يقدرمون على دفع عذاب الله عنك ثم بين تعالى ان
 الظالمين يتولى بعضهم بعضا في الدنيا وفي الآخرة لاولي ائهم يفقههم في اتصال الثواب
 وازالة العقاب واما المقرون المهتدون فأنه وابعدهم وناصرهم وهم موالوه وما بين الفرق بين
 الولائين ولما بين الله تعالى هذه البيانات الباقية التامة قال هذا بصائر للناس وهدى
 ورحمة لقوم يوقنون وقد فسرناه في آخر سورة الاعراف والمعنى هذا القرآن بصائر للناس
 جعل ما بينه من البيانات الشافية والبيئات الكافية بمنزلة البصائر في القلوب كما جعل في
 سائر الآيات روحا وحياة وهو هدى من الفضائل ورحمة من العذاب لمن آمن وأيقن ولما بين
 الله تعالى الفرق بين الظالمين وبين المؤمنين من الوجه الذى تقدم بينا في بينهما من وجه
 آخر فقال أم حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات
 وفيه مباحث (البحث الاول) أم كلمة وضعت للاستفهام عن شيء حال كونه معطوفا على
 شيء آخر سواء كان ذلك المعطوف مذكورا او مضمرا والتقدير ههنا أفيعلم المشركون
 هذا أم يحبون ان اتولى هم كاتولى المتقين (البحث الثانى) الاجترار الاكتساب ومنه
 الجوارح وفلان جارية أهله أى كآبهم قال تعالى ويعلم ما جرحتم بالنهار (البحث الثالث)
 قال الكلبي نزلت هذه الآية في علي وحزرة وأبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنهم وفي
 ثلاثة من المشركين عتبة وشيبة والوليد بن عتبة قالوا للمؤمنين والله ما نرى على شيء
 ولو كان ما تقولون حقا لكان أحسننا أفضل من حالكم في الآخرة كما بنا أفضل حالا منكم
 في الدنيا فانكر الله عليهم هذا الكلام وبين انه لا يمكن أن يكون حال المؤمن المطيع
 مساويا لحال الكافر العاصى في درجات الثواب ومنازل السعادات واعلم ان لفظ حسب
 يستدعى مفعولين (أحدهما) الضمير المذكور في قوله ان نجعلهم (والثانى) الكاف في
 قوله كالذين آمنوا والمعنى أحسب هؤلاء المجترحين ان نجعلهم أمثال الذين آمنوا ونظيره
 قوله تعالى أفترى كأنهم منا كمن كان فاسقا لا يستون وقوله انما لنصر رسلنا والذين آمنوا
 في الحياة الدنيا ويوم تقوم الاشماد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم المنة وهم سوء
 الدار وقوله تعالى أفيعلم المسلمون كالمجرمين مالكم كيف تحكمون وقوله أم يحسب الذين
 آمنوا وعملوا الصالحات كالفسدين في الارض أم نجعل المتقين كالفجار ثم قال تعالى سواء
 محباهم ومماتهم وفيه مسائل (المسألة الاولى) وأجرة والكسائي وحقق عن عاصم
 سواء بالنصب والياقوت بالرفع واختار أبى عبيد انصب أما وجه القراءة بالرفع فهو ان

ما يحكمون) أى ساء حكمهم هذا أو بئس شأ يحكموا به ذلك (وخلق الله السموات والارض بالحق) ﴿ قوله ﴾
 استئناف مقرر لما سبق من الحكم فان خلق الله تعالى إلهما ولما فيهما بالحق المقضى للعادل يستدعى لامحالة تفضيل
 المحسن على المسيء في المحيا والممات وانتصار المظلوم من الظالم واذا لم يطر ذلك في المحيا فهو بعد الممات حتما
 (ولتجرى كل نفس بما كسبت) عطف على بالحق لان فيه معنى التعليل اذ معناه خلقها

معه وثمة بالحكمة والصواب ومن الباطل فحاصله خلقها لاجل ذلك وتجري الخ، على علمه بخذوفه مثل ليدل بها على قدرته أو يمدل وتجري (وهم) أي النفوس الدلول عليها بكل نفس (لا يظلمون) بتخص ثواب أو بزيادة عقاب وتسمية ذلك ظلماً لهم وليس كذلك على ما عرف من قاعة أهل السند لبيان غاية تميزه مساحة لطيفة تعالى عن ذكر تميزه بمنزلة الظلم الذي يستحق سدوره عند تعالى ﴿٤٨٧﴾ (أو رأيت من اتخذ أهله هواء) تعجب من حال من ترك متابعة الهدى

إلى مطاوعة الهوى

فكانت عبده أي أنظرت

فرايته فان ذلك مما يقضى

منه العجب وقرى آلهته

هواء لأن أحدهم كان

يستحسن حجراً فعبده

فاذا رأى أحسن منه

رفضه إليه فكانت اتخذ

آلهته شئ (وأضله الله)

وخذله (على علم) أي

علماً بضلاله وتبديله

لفطرة الله تعالى التي

فطر الناس عليها (وختم

على سمعه وقلبه بحيث

لا يأنثر بالمواعظ ولا يتفكر

في الآيات والنذر (وجعل

على بصره غشاوة)

مانعة عن الاستبصار

والاعتبار وقرى بفتح

العين وضنها وقرى

غشوة (فمن يهديه من

بعد الله) أي من بعد

اضلاله تعالى إياه بوجوب

تسميته عن الهدى

وتماذيه في النفي (أفلا

تذكرون) أي ألا

تلاحظون فلا تذكرون

وقرى تذكرون على

الأصل (وقالوا) بيان

لأحكام ضلالهم المحكي

فعله سواء محياهم ومماتهم مبتدأ وجملة في حكم المفراد في محل التصب على البدل من المفعول الثاني أقوله أم نجعل وهو الكافي في قوله كالذين آمنوا ونظيره قوله فذنت زيدا أبوه من الخلق وأما وجه القراءة بالنصب فقال صاحب الكشف أجرى سواء تجرى مستويا فارتفع بحياهم ومماتهم على الفاعلية وكان مفرداً غير جملة ومن قرأ ومماتهم بالنصب جعل محياهم ومماتهم ظرفين كقدم الحاج وخفوق الجهم أي سواء في محياهم ومماتهم قال أبو علي من نصب سواء جعل المحيا والممات بدلا من الضمير المنصوب في جملة من نصب فيصير النقد ير أن نجعل محياهم ومماتهم سواء قال ويجوز أن نجعله حالا ويكون المفعول الثاني هو الكاف في قوله كالذين (المسئلة الثانية) اختلفوا في المراد بقوله محياهم ومماتهم قال مجاهد عن ابن عباس يعني أحسبوا أن حياتهم ومماتهم كحياة المؤمنين وموتهم كالقائمين بعيشون كافرين ويموتون كافرين والمؤمنون يعيشون مؤمنين ويموتون مؤمنين لأن المؤمن مادام يكون في الدنيا فانه يكون وليه هو الله وأنصاره المؤمنون حجة الله معه والكافر بالاضد منه كاذر في قوله وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض وعندنا القرب إلى الموت فإن حال المؤمن ماذا كره في قوله تعالى الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة وحال الكافر ماذا كره في قوله الذين تتوفاهم الملائكة ظالمين أنفسهم وأما في القيامة فقال تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها فترة فهذا هو الإشارة إلى بيان وقوع التفاوت بين الجانبين (وأوجه الثاني) في تأويل الآية أن يكون المعنى النكار أن يستوي في الممات كما استويوا في الحياة وذلك لأن المؤمن والكافر قد يستوي محياهم في الصحة والرزق والكنية بل قد يكون الكافر أرجح حالاً من المؤمن وأما بظاهر الفرق بينهما في الممات (والوجه الثالث) في تأويل أن قوله سواء محياهم ومماتهم مستأنف على معنى أن محيا المستبين ومماتهم سواء وكذلك محيا المحسنين ومماتهم أي كل يموت على حسب ما عاش عليه ثم أنه تعالى صرح بالنكار تلك التسوية بقوله ساء ما يحكمون وهو ظاهر قوله تعالى (وخلق الله السموات والأرض بالحق ويجري كل نفس بما كسبت وهم لا يظنون) أفرايت من اتخذ أهله هواء وأضله الله على علم تختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون قالوا ما هي الاحياتنا الدنيا تموت ونحيا وما نهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم انهم لا يظنون واذا تنلى عليهم آياتنا بينات ما كان جمعتهم الا أن قالوا اتوا ما يأتينا ان كنتم صادقين قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون اعلم انه تعالى لما أفنى بأن المؤمن لا يساوى الكافر في درجات السعادات أتبعه بالذلة الظاهرة على صحة هذه الفتوى فقال وخلق الله السموات والأرض بالحق وأولم يوجد البعث لما كان ذلك بالحق بل كان بالباطل لانه تعالى لما خلق الظالم وسلطه على المظلوم الضعيف ثم لا يقيم المظلوم من الظالم كل ظالم ولو كان ظالماً لبطل انه خلق السموات

أي قالوا من غاية غيهم وضلالهم (ما هي) أي ما الحياة (الاحياتنا الدنيا) التي نحن فيها (تموت ونحيا) أي يصيبنا الموت والحياة فيها وليس وراء ذلك حياة وقيل تكون نطفة ومما قبلها ما بعدها ونحيا بعد ذلك أو نموت بانفسنا ونحيا ببقاء أولادنا أو نموت بعضنا ونحيا بعضنا وقد جوز أن يريدوا به استساخ فانه قد عدا الأولاد ونحيا ونحيا (وما يهلكنا الا الدهر) الامر والزمان وهو في الأصل مدة بقاء العالم من دهره

أى غلبه وقرى الأدهر يمر وكانوا يزعمون أن الموتى في هلاك الأنفس هو ممر والأيام والديار وينكرون ملك الموت وقضه
للأرواح بأمر الله تعالى ونضيفون الحوادث إلى الدهر والزمان ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر قال الله هو
الدهر أى فان الله هو الآتى بالحوادث لا الدهر (وما لهم بذلك) أى بماذا كرم من اقتضار الحياة على ما فى الدنيا واستناد
الحياة والموت إلى الدهر (من علم) ما مستند إلى عقله نقل ﴿ ٤٨٨ ﴾ (إنهم لا يظنون) ما هم الا قديم قصارى

والارض بالحق وتمام تقر برهذه الدلائل المذكور في أول سورة هـ ناس قال الناصى هذه
الآية تدل على أن في مقدور الله ما لو حصل لكان ظلما وذلك لا يصح الاعلى مذهب لمحبرة
الذين يقولون أو فعل كل شئ أراداه لم يكن ظلما وعلى قول من يقول انه لا يوصف بالقدرة
على الظلم وأجاب الأصحاب عنه بان المراد فعل ما لو فعله غيره لكان ظلما كما أن المراد من
الابتلاء والاختبار فعل ما لو فعله غيره لكان ابتلاء واختبارا وقوله تعالى وتجزى فيه
وجبهان (الاول) انه معطوف على قوله بالحق فيكون التقدير وخلق الله السموات
والارض لأجل اظهار الحق وتجزى كل نفس (الثانى) أن يكون العطف على محذوف
والتقدير خلق الله السموات والارض بالحق ليدل بها على قدرته وتجزى كل نفس والمعنى
ان المقصود من خلق هذا العالم اظهار العدل والرحمة وذلك لا يتم الا اذا حصل البعث
والقيامه وحصل التفاوت في الدرجات والدركات بين المحققين وبين المبطلين ثم عادنا الى
شرح أحوال الكفار وقبائح طرائفهم فقال أفرايت من اتخذ الهه هواه يعنى تركوا
متابعة الهدى وأقبلوا على متابعة الهوى فكانوا يعبدون الهوى كإعبد الرجل الهه
وقرى آتته هواه لانه كما مال طبعه الى شئ اتبعه وذهب خالفه فكانه اتخذ هواه آتية
شئ بعد كل وقت واحد منهم قال تعالى وأضل الله على علم يعنى على عظماء جوه روحه
لا قبل الإصلاح وأظهر في جانب التعظيم قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته وحقيق
الكلام فيدان جواهر الأرواح البشرية بخلفه فذهابهم مشرقه نورانية غاوية آتية منها
كدرجة ظلمانية سفلية عظيمة الميل الى الشهوات الجسدية فهو تعالى يقابل كلامهم بحسب
ما يلحق بصوره وما هيته وهو المراد من قوله وأضل الله على علم في حق المردودين بقوله
الله أعلم حيث يجعل رسالته في حق المبشرين ثم قال وختم على سمعه وغطى بصره
غشاوة فقوله وأضل الله على علم هو المذكور في قوله ان الذين كفروا الى قوله لا يؤمنون
وقوله وختم على سمعه وغطى بصره على بصره غشاوة هو المراد من قوله ختم الله على سمعهم
وعلى بصرهم وعلى أصدارهم غشاوة وكل ذلك قد مر تفسيره في سورة البقرة بالاستعصاء
والاستغارة بين آيتين انه في هذه الآية قد ذكر السمع على القلب وفي سورة البقرة قد ذكر
القلب على السمع وأما ان الانسان قد يسمع كلاما فيسمع قلبه منه أثره ان جرحه من
الكفار كانوا يسمعون الى اناس أن النبي صلى الله عليه وسلم شاعر وكاهن وأنه يلطف الملك
والرئاسة فالسامعون اذا سمعوا ذلك أبغضوه ونفرت قلوبهم عنه وأما كفار مكة فهم كانوا
يغضونه بقولهم بسبب الحية الشديد فكانوا يستمعون اليه ولو سمعوا كلامه فهموا
منه شيئا فاعا في الصورة الاولى لأن الأثر يصعد من البدن الى جواهر النفس وفي الصورة
الثانية كان الأثر يغزل من جواهر النفس الى قرار البدن فلما اختف القسم لا يجزم
ارشد الله تعالى الى كلاهذين القسمين بهذين التبيين اللذين نيهنا عليهما ولما ذكر الله
تعالى هذا الكلام قال فمن يهديه من بعد الله أى من بعد ان اضله الله أفلا تدركون أيها

أمرهم الظن والتقليد
من غير أن يكون لهم
شئ يصح أن يمسك
به في الجملة هذا معتقدهم
الفاصدق أنفسهم
(واذا أتى عليهم آياتنا)
الناطقة بالحق الذي
من جملته البعث (بينات)
واضحات الدلالة على
ما نطق به أو ميقات له
(ما كان حجتهم) بالنصب
على انه خير كان أى
ما كان مستكاهم شئ
من الاشياء (الأن قالوا)
أتوا بآياتنا ان كنتم
صادقين في آياتنا ثم
بعد الموت أى الا هذا
القول الباطل الذي
يستحيل أن يكون من قبل
الجنة وتسبيته حجة ما
اسوقهم اليه مساق الجنة
على سبيل التهمكهم بهم أو
لأنه من قبل تحية بينهم
ضرب وجع * وقرى
برمع حجتهم على أنها
اسم كالمعنى ما كان
حجتهم شيئا من الاشياء
الاهذا القول الباطل
(قل الله حيكم) ابتداء
(ثم يمتكم) عند انقضاء
آجالكم لا كما تزعمون
من أنكم تحبون وتموتون
بحكم الدهر (ثم يحكمكم)

بعد الموت (الى يوم القيامة) للجزاء (لا ريب فيه) أى في جميعكم فان من قدر على البقاء فقدر على الاعادة والحكمة للناس
اقتضت الجمع للجزاء بحكمة والوعد المصدق بالآيات دل على وقوعها حتما الاتيان بانهم حيث كان من ارجاء الحكمة
النشر بعبية امتناع ايقاعه (ولكن أكثر اناس لا يعلمون) استدرارك من قوله تعالى لا ريب فيه وهو ما من تمام الكلام بالمأثورة
أو كلام مسوق من جهته تعالى لتحقيق الحق وتبينه على أن ارتباهم لجهنم وقصدهم في النظر والتفكير لان فيه شيئا ريبا

(ولله ملك السموات والارض) بيان لاخصاص الملك المطلق والتصرف الكلى فيهما وفيما بينهما بالله عز وجل اثر بيان تصرفه تعالى في الناس بالاحياء والامانة ﴿ ٤٨٩ ﴾ والبعث والجمع بالجزاء (ويوم تقوم الساعة يومئذ ينحسر

البطالون) العامل في يوم
ينحسر ويومئذ يبدل منه
(وترى كل أمة) من الامم
الجمموعة (جاثية) باركة
على الركب مستوفزة
وقرى جاذبة أى جالسة
على أطراف الاصابع
والجذور أشد استيفازا
من الجنوع عن ابن عباس
رضى الله عنهما جاثية
مجمعة وقيل جماعات من
الجنوة وهى الجماعة (كل
أمة تدعى الى كتابها)
الى صحيفة أعمالها وقرى

كل بالنصب على أنه بدل
من الاول وتدعى صفة
أحوال أو مفعول ثان
(اليوم يحزون ما كنتم
تعملون) أى يقال لهم
ذلك وقوله تعالى (هذا
كتابنا) الخ ثم تمام ما
يقار حينئذ وحيث كان
كتاب كل أمة مكتوبا
بأمر الله تعالى أضيف
الى نون المعظمة تفصيلا
لأنه وهو بلا امره
فهذا مبتدأ وكتابنا
مجرى وقوله تعالى (ينطق
عليكم) أى يشهد عليكم
(بالحق) من غير زيادة
ولا نقص خبر آخر أحوال
وبالحق حال من فاعل
ينطق وقوله تعالى (انما كنا نستنسخ)

الناس قال الواحدى وليس يبقى للقدرة مع هذه الآية عذر ولا حيلة لان الله تعالى
صرح بنعده اياهم عن الهدى حين أخبرانه ختم على سمع هذا الكافر وقفيه وبصره وأقول
هذه المناظرة قد سبقت بالاستقصاء فى أول سورة البقرة واعلم أنه تعالى حكى عنهم بعد ذلك
شبهتهم فى انكار القيامة وفى انكار الاله القادر اما شبهتهم فى انكار القيامة فهى قوله
تعالى وقالوا ما هى الاحياء الدنيا نموت ونحيا فما قالوا الحياة مقدمة على الموت فى الدنيا
فذكر واقية ما كان يجب أن يقولوا نمحي ونموت فما السبب فى تقديم ذكر الموت على
الحياة قلنا فيه وجوه (الاول) المراد بقوله نموت حال كونهم فطشا فى أصلاب الآباء
وأرحام الامهات وقوله نحيا ما حصل بعد ذلك فى الدنيا (الثانى) نموت ونحن نحيا بسبب
بقاء أولادنا (الثالث) نموت بعض ونحيا بعض (الرابع) وهو الذى خطر بالبال عند كتابة
هذا الموضع انه تعالى قد ذكر الحياة فقال ما هى الاحياء الدنيا ثم قال بعده نموت ونحيا
يعنى ان تلك الحياة مدها ما يطرأ عليها الموت وذلك فى حق الذين ماتوا ومنهم الملم بضر الموت
عليها وذلك فى حق الاحياء الذين لم يموتوا بعد واما شبهتهم فى انكار الاله الفاعل المختار فهو
قولهم وما يهلكنا الا الدهر يعنى تولد الاشخاص انما كان بسبب حركات الافلاك
الوجبة لامتنعاجات الطوائف واذا وقعت تلك الامتنعاجات على وجه خاص حصلت الحياة
واذا وقعت على وجه آخر حصل الموت فالوجوب للحياة والموت تأثيرات الطوائف
وحركات الافلاك ولا حاجة فى هذا الباب الى اثبات الفاعل المختار فهذه الطائفة جوهرا
بين انكار الاله وبين انكار البعث والقيامة ثم قال تعالى وما لهم بذلك من علم ان هم
الراظنون والمعنى ان قبل النظر ومعرفة الدلائل لا يحتجوا بأسرها فانه قد قالوا
يحتجوا وضده ايضا يحتجوا ذلك هووا يكون قولنا بالبعث والقيامة حقا وان يكون القول
بوجود الاله الحكيم حقا فالهم لم يذكروا شبهة ضعيفة ولا قوية فى أر هذا الاحتمال
الثانى بالغل ولكنهم حسروا بهم ذلك الاحتمال الذى لم يعمروا به وأصروا عليه من غير حجة
ولا بينة ثبتت أنه ليس لهم علم لا جزم ولا يقين فى صحة القول الذى اختاروه بسبب الضن
والحسبان وقبل القلب البه من غير وجه وهذه الآية من أقوى الدلائل على ان القول
بغير حجة يبدى قول بالغل فاسد ورافعه الطوائف الحسبان منكر عند الله تعالى ثم قال
تعالى واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم الا أن قالوا انشأوا ما بانسان كنتم
صادقين وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرى حجتهم بالنصب والرفع على تقديم خبر كان
وتأخيره (المسئلة الثانية) سمي قولهم حجة لوجوه (الاول) انه فى زعمهم حجة (الثانى)
ان يكون المراد من كان حجتهم هذا فليس لهم البتة حجة كقوله * حجة يذهبهم ضرب وجيع
(الثالث) انه لم يذكروها فى معرض الاحتجاج بها (المسئلة الثالثة) ان حجتهم على انكار
البعث أن قالوا اوضح ذلك ما نشأوا بآياتنا الذى ماتوا اليه هدى لنا بصحة البعث واعلم
ان هذه الشبهة ضعيفة جدا لانه ليس بكل ما لا يحصل فى الحال وجب أن يكون بمنع

ينطق وقوله تعالى (انما كنا نستنسخ) ﴿ ٦٢ ﴾ سا الخ لتبيل لفظه عليهم بأعمالهم من

قام الخطاب الى غيابة النار (ولا هم يستغيثون) أي يطلب منهم أن يستغيثوا بهم أي يرضوه لغوات أوائه (فلا يجد ناصية) رب السموات ورب الأرض رب العالمين (فلا يستغيثون) ١٩٢ الحمد أحد سواه وتكرير الرب للتأكيد

الاذن بان ربو يثبه
على لكل منها طريق
الاسامة وفي يرفع
الثلاثة على الماح
بأخاره و(ولد الكبرياء
في السموات الأرض)
لظهور آثارها واحكامه
فيها واطهارها في
موقع الاضمار تفخيم
شان الكبرياء (وهو
العزيز) الذي لا يغلب
(الحكيم) في كل ما قضى
وقدر فاحسوه وكبروه
وأطيعوه * عن النبي
عليه الصلاة والسلام
من قرأ أح الجاثية ستر
الله تعالى صورته وسكن
روحه يوم الحساب
سورة الاحقاف
مكية وآيها أربع أو
خمس وثلاثون آية
بسم الله الرحمن
الرحيم (تم تنزيل
الكتاب من الله العزيز
الحكيم) الكلام فيه
كان في مطلق
السورة السابقة
(ما خلقنا السموات
والأرض) بما فيها
من حيث الجزئية منها
ومن حيث الاستقرار
فيها (وما بينهما)

باعتل (المسئلة الثامنة) جواب أما نحن في واشتد وأما الذين كفروا فبقسا هم
الذين آتت آياتي تنبأ عليكم فاستكبرتم من قبول الحق وكنتهم قوماً يعجزون فان قالوا كيف
يحسن وصف الكافر بكونه محرم ما في معرض اطعم فيه والدم له فتناءه انهم مع كونهم
كفاراً ما كانوا عدواً في أديان أنفسهم بل كانوا قاطعاً في ذلك الدين والله أعلم * قوله
تعالى (واذا قيل ان وعد الله حقه والساعة آتية فسيقولون ما ندرى ما الساعة ان لنظر
الاطنا وما نحن بمستيقنين وبدلناهم سباً ما عملوا وحق بهم كذا وبه عز وجل
اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا وما لكم بالنعمة ما كنتم تناصرين ذلكم انكم
اتخذتم آيات الله هزوا ونفرتكم الحياة الدنيا فاجمروا بغير حق منها لا هم يستغيثون
فلا الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين ولا الكبرياء في السموات والأرض هو
العزيز الحكيم) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) في معنى والساعة رفعاً ونصباً قال الزجاج
من نصب عطف على الوعد ومن رفع فعلى معنى وقبل الساعة لا ريب فيها قال الاخفش
الرفع أجود في المعنى وأكثر في كلام العرب اذا جاز بعد خبر ان لانه كلام مستقل بنفسه
بعد مجيء الكلام الاول بتمامه (المسئلة الثانية) حكى الله تعالى عن الكفار أنهم اذا قبل
ان وعد الله بالثواب والعقاب حق وان الساعة آتية لا ريب فيها قالوا ما ندرى ما الساعة
ان لنظر الاطنا وما نحن بمستيقنين أقول الاغلب على الظن أن القوم كانوا في هذه المسئلة
على قولين منهم من كان قاطعاً بنى البعث والقيامة وهم الذين ذكرهم الله في الآية
المنقذة بقوله وقالوا ما هي الاحيائنا الدنيا ومنهم من كان شاكاً متخبراً فيه لانهم لكثرة
ما سمعوه من الرسول صلى الله عليه وسلم وكثرة ما سمعوه من دلائل القول بصحته صاروا
شاكين فيه وهم الذين أرادهم الله بهذه الآية والذي يدل عليه انه تعالى حكى مذهب
أولئك القاطعين ثم اتبعه بحكاية قول هؤلاء فوجب كون هؤلاء معارفين للفريق الاول
ثم قال تعالى وبدلناهم أي في الآخرة سباً ما عملوا وقد كانوا من قبل بعددونها حسنات
فصار ذلك أول خسرانهم وحقاق بهم ما كانوا به يستهزئون وهذا كالدليل على ان هذه
الفرقة لما قالوا ان لنظر الاطنا اذ كروه على سبيل الاستهزاء والسخرية وعلى هذا الوجه
فهذا الفريق شر من الفريق الاول لان الاولين كانوا منكربين وما كانوا مستهزئين وهذا
الفريق سخمو الى الاصرار على الانكار الاستهزاء ثم قال تعالى وقيل اليوم ننساكم
كما نسيتم لقاء يومكم هذا وفي تفسير هذا النسيان وجهان (الاول) نترككم في العذاب
كما تركتم الطاعة التي هي الزاد ليوم المعاد (الثاني) نجعلكم بمنزلة الشيء المنسي غير المبالي
به كالميتا والآنتم بقاء يومكم ولم تلقوا الله بل جعلتموه كالشيء الذي يطرح نسباً منسياً
فجمع الله تعالى عليهم من وجوه العذاب الشديد ثلاثاً أشياء (فأولها) قطع رحمة الله تعالى
عنهم بالكيفية (وثانيها) انه يصير ما هم النار (وثالثها) أن لا يحصل لهم أجر من الاعوان

من المخلوقات (الابالحق) استثناء مفرغ من أعم المفاعيل أي الاخلاق ملتبساً بالحق الذي تقتضيه والانصار
الحكمة التكوينية والتشريعة

او من اعم الاحوال من فاعل خلقها او من مفعوله أى ما خلقناها فى حال من الاحوال الاصل ملايستنا بالحق احوال ملاستناه وفيه من الدلالة على ٤٩٣ وجود الصانع تعالى وصفات كماله وايته افعله على حكم باعة

وانتهى بها الى غايات
جليلة ملاينفى (وأجل
مسمى) مضاف على
الحق بتقدير مضاف
أى وبتقدير أجل مسمى
يلزم اليه أمر الكل
وهو يوم القيامة يوم
تبدل الارض غير
الارض والسموات
ورزوا لله الواحد القهار
وقيل هو آخر مدة البقاء
المسدر لكل واحد
وابادة وله تعالى والذين
كفروا عما أنذروا
معرضون فان ما أنذروه
يوم القيامة وما فيه
من العسامة التسامة
والاهوال العامة لآخر
اعمارهم وقد جوز
كون ما مصدرية والجملة
حالصة أى ما خلقنا
الخلق بالخلق وتقدير
الاجل الذى يجازون
عنده والحال أنهم غير
مؤمنين به معرضون
عنه وعن الاستعداد له
(قل) تويعها لهم وتبيكتها
(أرأيتم) أخبروني وقرئ
أرأيتمكم (مائدون)
ما عبدون (من دون الله)
من الاصنام (أرؤى)
ناكدا لأرأيتم (ماذا
خلقوا من الارض)

والانصار ثم بين تعالى انه يقال لهم انكم انما صرتم مستحقين لهذه الوجوه الثلاثة من
العذاب اشديد لاجل انكم أنتم بثلاثة انواع من الاعمال الفبيحة (فأولها) الاصرار
على كابر الحق (وثانيها) الاستهزاء به والسخرية منه وهذا الوجه داخلان
تحت قوله تعالى ذكركم بانكم انخذتم آيات الله هزوا (وثالثها) الاستغراق فى حب الدنيا
والاعراض انكبة عن الآخرة وهو المراد من قوله تعالى وغرتكم احبساء الدنيا ثم
قال انى ما يوم يخرجون منها من أجرة وكنفى يخرجون يفتح الباب الماتون يفتحها
ولا هم يستنون أى ولا يطلب منهم أن يعتصموا بهم أى رضوه واسم الكلام فى هذه
المباحث اشرف الروحانية ختم سورة بحمد الله تعالى فقال فله الحرب السموات
ورب الارض العالمين أى فاحدو الله الذى هو خالق السموات والارض بل خالق كل
الاعيان من الاجسام والارواح والذوات والصفات فان هذه الربوبية توجب الحمد
والشكر على كل أحد من المخلوقين والمربوبين ثم قل تعالى وله الكبرياء فى السموات
والارض وهذا مشعر بمرين (أحدهما) ان التكبير لا بدو أن يكون بعد التخميد
والإسالة الى أن الحامدين اذا حمدوه وجب أن يعرفوا انه أعلى وأكبر من ان
يكور الحمد الذى ذكره لأثباته اعمد بل هو أكبر من حمد الحامدين وأبديه أعلى وأجل
من شكر الشاكرين (والثاني) ان هذا التكبير له لالغيره لان واجب الوجود لذاته ليس
الاهو ثم قال تعالى وهو العزيز الحكيم يعنى انه لكمال قدرته يقدر على خلق أى شئ
أرادو لكمال حكمته يخص كل نوع من مخلوقاته بأثار الحكمة والرحمة والفضل
والكرم وقوله وهو العزيز الحكيم يفيد الحصر فهذا يفيد ان الكمال فى القدرة وفى
الحكمة وفى الرحمة ليس الاهو وذلك يدل على انه لاله للخلق الاهو ولا يحسن ولا متفضل
الاهو قال مولانا رضى الله عنه تم تفسير هذه السورة يوم الجمعة بعد الصلاة الخامسة عشر
من ذى الحجة سنة ثلاث وستائة والحمد لله جدادنا طيبا مباركا تحمدا مؤبدا كى يليق
بعلاوشانه وباهر برهانه وعظيم احسانه والصلاة على ارواح الطاهرة المقدسة من
ساكنى اعلى السموات ونجوم الارضين من الملائكة والانبياء والاولياء والموحدين
خصوصا على سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه أجمعين

(سورة الاحقاف وهى ثلاثون وخمس آيات مكيدة وقيل أربع وثلاثون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم) تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما
الا بالحق وأجل مسمى والذين كفروا عما أنذروا معرضون قل أرأيتم ما تدعون من
دون الله أرؤى ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك فى السموات أنون بكتاب من قبل
هذا أو آثارة من علم ان كنتم صادقين) اعلم ان نظم أول هذه السورة كنظم أول سورة

يسان للإيهام فى ماذا (أم لهم شرك) أى شركة مع الله تعالى (فى السموات) أى فى خلقها أو ملكها وتبديها

سقى نوحهم أن يكون لهم شاة استحقاق للمعبودية فإن ما لم يدخل له في وجوده شيء من الأشياء بوجه من الوجوه فهو
يعمل من ذلك الاستحقاق بالبره وان كان من الاحكام العقلية فاعلموا انكم في ٩٤ بـ بالجد وقوله تعالى (أتوفى بكتابات)

الجائية وقد ذكرنا ما فيه وأما قوله ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق فهذا
يدل على اثبات الاله بهذا العالم ويدل على أن ذلك الاله يجب أن يكون عادلا راحيا لعباده
ناظرا لهم محسنا اليهم ويدل على ان القيامة حق (أما المطلوب) الاول وهو اثبات الاله
بهذا العالم وذلك لان الخلق عبارة عن التقدير وأما التقدير ظاهرة في السموات والارض
من الوجوه العشرة المذكورة في سورة الانعام وقد بينا ان جملة تلك الوجوه تدل على
وجود الاله القادر المختار (وأما المطلوب) الثاني وهو اثبات ان الاله العادل عادل رحيم
فبدل عليه قوله تعالى الابالحق لان قوله الابالحق معناه الا لاجل الفضل والرحمة
والاحسان وان الاله يجب أن يكون فضله زائدا وان يكون احسانه راجعا وان يكون
وصول المنافع منه الى المحتاجين أكثر من وصول المضار اليهم قال الجبتي هدا يدل على
ان كل ما بين السموات والارض من القابض فهو ليس من خلقه بل هو من افعال عباده
والا لزم أن يكون خالق الكل باطل وذلك يتنافى قوله ما خلقناهما الابالحق أجاب أصحابنا
وقالوا خلق الباطل غير والخلق بالبطل غير فحين نقول انه هو الذي خلق الباطل الا انه
خلق ذلك الباطل بالحق لان ذلك تصرف من الله تعالى في ملك نفسه وتصرف المالك
في ملك نفسه يكون بالحق لا بالبطل قاوا والذي يقرر ما ذكرناه ان قوله تعالى ما خلقنا
السموات والارض وما بينهما يدل على كونه تعالى خالق الكل أعمال العباد لان أعمال
العباد من جملة ما بين السموات والارض فوجب كونها مخلوقة لله تعالى ووقوف
التعارض في الآية الواحدة محال فلم يبق الا أن يكون المراد ما ذكرناه فان قالوا افعال
العباد اعراض والاعراض لا توصف بأنها حاصلة بين السموات والارض فتقول فعلى
هذا التقدير سقط ما ذكرتموه من الاستدلال والله اعلم (وأما المطلوب الثالث) فهو دلالة
الآية على صحة القول بالبعث والقيامة وتقريره انه لو لم توجد القيامة لتعطل استيفاء
حقوق المظلومين من الظالمين ولتعطل توفية الثواب على المطيعين وتوفية العقاب على
الكافرين وذلك يمنع من القول بأنه تعالى خلق السموات والارض وما بينهما الابالحق
وأما قوله تعالى وأجل مسمى فالمراد انه ما خلق هذه الاشياء الابالحق والا لجل مسمى
وهذا يدل على ان الله العالم ما خلق هذا العالم ليبي مخلدا سمرمدا بل انما خلقه ليكون دارا
للعمل ثم انه سبحانه يقضيه ثم يعيده فيقع الجزاء في الدار الآخرة فعلى هذا الاجل المسمى
هو الوقت الذي عينه الله تعالى لافناء الدنيا ثم قال تعالى والذين كفروا عما أنذروا
معرضون والمراد ان مع نصاب الله تعالى هذه الدلائل ومع ارسال الرسل وانزال الكتب
ومع مواظبة الرسل على الترغيب والترهيب والاعذار والانداز بقي هؤلاء الكفار معرضين
عن هذه الدلائل غير ملتفتين اليها وهذا يدل على وجوب النظر والاستدلال وعلى أن
الاعراض عن الدليل مذموم في الدين والدنيا واعلم انه تعالى لما قرر هذا الاصل الدال
على اثبات الاله وعلى اثبات كونه عادلا راحيا وعلى اثبات البعث والقيامة بين عليه

الحق تصحيت لهم
بتهجيرهم عن الاتيان
بستد نفلي بعد تبيكيتهم
بالنعيم عن الاتيان بستد
عقلي أي اثوني بكتابات
(من قبل هذا) الكتاب
أي القرآن الناطق
بالتوحيد وإبطال الشرك
دال على صحة دينكم
(أو أنارة من علم) أو بقبه
من علم بقيت عليكم
من علوم الاولين شاهد
باستحقاقهم للعبادة
(ان كنتم صادقين)
في دعواكم فهذا لا تكاد
تصح ما لم يقيم عليها
برهان عقلي أو سلطان
نفلي وحيث لم يقيم عليها
شيء منهما فقد قامت
على خلافها أدلة العقل
والقل تبين بطلانها
وقرى إثارة بكسر الهمزة
أي مناظرة فانها تثير
المعاني وأثرة أي شيء
أورثتم به وخصص من
علم مطوى من غيركم
وأثرة بالجر كانت الثلاث
مع سكون الشاء أما المكسورة
فبمعنى الأثرة وأما المفتوحة
فهى المرة من أثار الحديث
أي رواه وأما المضمومة
فاسم ما يؤثر كالخطبة
الى اسم ما يخطب به (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له) انكارون في لأن يكون أحد في التفاريع

يساوي البشر بين في الضلال وان كان سبب الترتيب لنفي الإصنام منهم من غير تعرض لنفي المساوي كما مر عبرة أي هم
أصل من كل ضال حيث تركوا عبادة خالقهم في ٤٩٥ هـ السميع القادر الجيب الخبير الى عبادة مصنوعهم العاري

عن السمع والقدرة
والاستجابة (الى يوم
القيامة) غاية لنفي
الاستجابة (وهم عن
دعائهم) الضمير الاول

للمفعول يدعوهو الثاني
لفاعل والجمع فيهما باعتبار
معنى من كما أن الأفراد
فيما سبق باعتبار لفظها
(غافلون) اسكونهم
جادات وضائر العقلاء

لاجرائهم ايها مجرى
العقلاء ووصفها بما ذكر
من ترك الاستجابة والعقلاء
مع ظهور حالها التلهم
بهاو يبدئها كقوله تعالى
ان تدعوهم لا يستجيبوا

دعائكم الآية (واذا حشر
الناس) عند قيام القيامة
(كانوا لهم أعداء وكانوا
بعبادتهم كافرين) أي
مكذبين بلسان الحال
أو المقال على ما روى

أنه تعالى يحجب الاصنام
فتتبرأ عن عبادتهم وقد
جوز أن يراد بهم كل
من يعبد من دون الله
من الملائكة والجن

والانس وغيرهم وبين
ارجاع الضمائر واستناد
العداوة والكفر اليهم
على التغليب ويراد

التفريع (فامرع الاول) الرد على عبدة الاصنام فقال قل رأيتم ما تدعون من دون الله
وهي الاصنام أروني أي أخبروني ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك في السموات
والمراد ان هذه الاصنام هل يعقل أن يضاف اليها خلق جزء من أجزاء هذا العالم فإن
لم يصح ذلك فهل يجوز أن يقال انها أعانت اله العالم في خلق جزء من أجزاء هذا العالم ولما
كان صريح العقل حاكماً بأنه لا يجوز استناد خلق جزء من أجزاء هذا العالم اليها وان كان
ذلك الجزء أقل الاجزاء ولا يجوز أيضاً استناد الاعانة اليها في أقل الافعال وأذاها فحينئذ
صحح الخالق الحقيقي لهذا العالم هو الله سبحانه وان المنعم الحقيقي بجميع أقسام النعم هو
الله سبحانه والعبادة عبارة عن الاتيان بأكل وجوه التعظيم وذلك لا يليق الابن صدر
عنه أكل وجوه الانعام فلما كان الخالق الحق والمنعم الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى وجب
أن لا يجوز الاتيان بالعبادة والعبودية الا له ولا لاجله يعني أن يقال انا لا نعبدها لانها تستحق
هذه العبادة بل انما نعبدها لاجل ان اله الخالق المنعم أمرنا بعبادتها فتد هذا ذكر
الله تعالى ما يجري مجرى الجواب عن هذا السؤال فقال اتوني بكتاب من قبل هذا
أو أنارة من علم وتقرير هذا الجواب ان ورود هذا الامر لاسبيل الى معرفته الا بالوحي
والرسالة فتقول هذا الوحي الدال على الامر بعبادة هذه الاوثان اما أن يكون على محمد
أوفي سائر الكتب الالهية المنزلة على سائر الانبياء وان لم يوجد ذلك في الكتب الالهية
لكنت من تقابل الامم المنقولة عنهم والكل باطل اما اثبات ذلك بالوحي الى محمد صلى الله
عليه وسلم فهو معلوم بالعلان واما اثباته بسبب اشتغال الكتب الالهية المنزلة على الانبياء
التي تدعى عليه فهو أيضاً باطل لانه علم بالوحي بالضرورة اطلاق جميع الكتب الالهية
على المنع من عبادة الاصنام وهذا هو المراد من قوله تعالى اتوني بكتاب من قبل هذا
واما اثبات ذلك بالعلوم المنقولة عن الانبياء سوى ملجاء في الكتب فهذا أيضاً باطل
لان العلم الضروري حاصل بأن أحداً من الانبياء مادعا الى عبادة الاصنام وهذا هو
المراد من قوله أو أنارة من علم ولما بطل اسكل ثبت ان الاشتغال بعبادة الاصنام عمل باطل
وقول فاسد وبقى في قوله تعالى أو أنارة من علم نوعان من البحث (النوع الاول) البحث
النفوي قال أبو عبيد والفراء والزجاج أنارة من علم أي بقية وقال المبرد أنارة ما يؤثر من
علم أي بقية وقال المبرد أنارة تؤثر من علم كقولك هذا الحديث يؤثر عن فلان ومن هذا
المعنى سميت الاخبار بالآثار يقال جاء في الآثار كذا وكذا قال الواحدي وكلام أهل اللغة
في تفسير هذا الحرف يدور على ثلاثة أقوال (الاول) البقية واشتقاقها من أثرت
الشيء أثيرة أنارة كانها بقية تستخرج فتأثر (الثاني) من الأثر الذي هو الرابة
(والثالث) هو الأثر بمعنى العلامة قال صاحب الكشف وقرئ أثره أي من شيء أو أثره
وخصصهم من علم لا عاطفة بغير كم وقرئ أثره بالحرركات الثلاث مع سكون الهمزة فالأثر
بالكسر بمعنى الأثر وأما الأثره فالأثره من مصدر أثر الحديث اذا رواه وأما الأثره بالضم

بذلك تبرؤهم عنهم وعن عبادتهم وقيل ضمير كانوا العبدة وذلك قولهم والله ربنا ما كنا مشركين (واذا تنلى عليهم

آياتنا بينات) واضحا ، مبينات (قال الذين كفروا الحق) أى لا بخله وفي شأنه وهو عبارة عن الآيات المتلوة وضع موضع ضمير هاتين صاعلي حقيقةها ووجوب الايمان بها كما وضع الموصول ﴿ ٤٩٦ ﴾ موضع ضمير المتلو عليهم تسجيلا

عليهم بكسال الكفر والضلال (لما جاءهم) أى في أول ما جاءهم من غير تدبر وتأمل (هذا سحر مبين) أى ظاهر كونه سحرا (أم يقولون افتراه) اضراب وانتقال من حكاية شاعتهم السابقة الى حكاية ما هو أشنع منها وما في أم من الهمة للانكار السوء يخفى المتضمن للتعجب أى بل يقولون افترى القرآن (قل ان افتريته) على القرض (فلا تملكونلى من الله شيئا) اذ لا ريب في أنه تعالى بما جاتي حينئذ بالغو به كيف اجترأ على أن افترى عليه تعالى كذبا فأعرض نفسه للعنوة التي لا تناصر عنها (هو أعلم بغير ضرورة فيه) أى تدعون فيه من القدر في وحى الله والظن في آياته وتسميته سحرا تارة ورفقا أخرى (كنى به شهيدا بيني وبينكم) حيث يشهد بالصدق والبلاغ عليكم بالكذب والجود وهو وعيد بجراه افاضتهم وقوله تعالى (وهو الغفور الرحيم) وعد بالغفران والرحمة لمن تاب وآمن واشتعار بحلم الله تعالى ﴿ عليه معهم مع عظم جرائمهم

فاسم ما يوثركا خطبة اسم لما يخطب به وههنا قول آخر في تفسير قوله تعالى أو أتارة من علم وهو ما روى عن ابن عباس انه قال أو أتارة من علم هو علم الخط الذي يخط في الرمل والعرب كانوا يخطونه وهو علم مشهور ومن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كان نبي من الانبياء يخط فن وافق خطه خطه علم علمه وعلى هذا الوجه فعنى الآية أثبتى بعلم من قبل هذا الخط الذي تخطونه في الرمل يدل على صحة مذهبيكم في عبادة الاصنام فمن صح تفسير الآية بهذا الوجه كان ذلك من باب التهكم بهم وبأقوالهم ودلائلهم والله تعالى أعلم ﴿ قوله تعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيمة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا الحق لما حاهم هذا سحر مبين أم يقولون افتراه

قل ان افترته فلا تملكونلى من الله شيئا هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بيني وبينكم (وهو الغفور الرحيم) اعلم أنه تعالى بين فيما سبق أن القول بعبادة الاصنام قول باطل من حيث انها لا القدرة لها البتة على الخلق والفعل والايجاد والاعداد والنفع والضرر فاردفه بدليل آخر يدل على بطلان ذلك المذهب وهي أنها اجادات فلا تسبح دعاء الداعين ولا تعلم حاجات المحتاجين وبالجملة فالدليل الاول كان اشارة الى نفي العلم من كل الوجوه وإذا اتقى العلم والقدرة من كل الوجوه لم يبق عبادة معلومة ببديهة العقل فتدبره ومن أضل ممن يدعو من دون الله استفهام على سبيل الانكار المعنى انه لا امرأ أبعد عن الحق وأقرب الى الجهل ممن يدعو من دون الله الاصنام فيخدرها الهمة ويعبدها وهي اذا دعيت لا تسمع ولا تصح منها الاجابة لا في الحال ولا بعد ذلك ليوم الى يوم القيامة وانما جعل ذلك غاية لان يوم القيامة قد قيل انه تعالى يجيبها وتنع بينها وبين من يعبدونها خطبة فذلك جعله تعالى حجة وإذا قامت القيامة وحشر الناس فهذه الاصنام تعادى هؤلاء العابدين واختفوا فيه فلا يذكرون على انه تعالى يجيب هذه الاصنام يوم القيامة وهي تظهر عداوة هؤلاء العابدين وتبترأ منهم وقال بعضهم بل المراد عبدة الملائكة وعيسى فأنهم في يوم القيامة يظهرون عداوة هؤلاء العابدين فان قيل ما المراد بقوله تعالى وهم عن دعائهم غافلون وكيف يعقل وصف الاصنام وهي اجادات بالعقله وأيضا كيف جاز وصف الاصنام بما يليق بالاعفلاء وهي الهة من وقيل هم غافلون قلنا انهم لما عبدوها ونزلوها منزلة من يضرب وينفع سحر يقر فيها انهم بمنزلة الغافل الذي لا يسمع ولا يجيب وهذا هو الجواب أيضا عن قوله ار لفظه من وانفذه هم كيف يلقى بها وأيضا يجوز أن يراد بكل معبود من دون الله من الملائكة وعيسى وعزير والاصنام الا انه غلب غير الاوثان على الاوثان واعلم انه تعالى لما تكلم في تقرير التوحيد ونفي الاضداد والانداد شكك في النبوة وبين أن محمد صلى الله

وقوله تعالى (وهو الغفور الرحيم) وعد بالغفران والرحمة لمن تاب وآمن واشتعار بحلم الله تعالى ﴿ عليه معهم مع عظم جرائمهم

(قل ما كنت بدعاً من الرسل) البدع بمعنى البديع كالحل بمعنى الخليل وهو ما لا مل له وفري يتجس الدال على أنه ضفة كقيم وزيم أوجع مقدر مضاف أي ذابح وقد جوز ذلك في القراءة الأولى أيضاً على أنه مصدر كانوا يفترحون عليه الصلاة والسلام آيات عجيبة يسألونه ﴿١٩٧﴾ عن المغيبات عناد أو مكابرة فأمر عليه السلام بأن

يقول لهم ما كنت بدعاً من

الرسول فأدرا على ما لم

يقدروا عليه حتى أتيتكم

بكل ما تقرحونه وأخبركم

بكل ما نسألون عنه من

الغيوب فإن من قبلي من

الرسول عليهم الصلاة

والسلام ما كانوا يأتون

الأنبياء أنهم الله تعالى

من الآيات ولا يخبرونهم

الأنبياء أوحى إليهم

(وما أدري ما يفعل بي

ولا بكم) أي أي شيء

يصيبني أفياستقبل من

الزمان من أفعاله تعالى

وماذا يقدر لنا من قضائه

وعن الحسن رضي الله

عنه ما أدري ما يصير

إليه أمرى وأمر كفى

النبأ وعن ابن عباس

رضي الله عنهم ما يفعل بي

ولا بكم في الآخرة

وقال هي منسوخة

بقوله تعالى ليغفر لك

الله ما تقدم من ذنبك

وما تأخر وقيل يجوز أن

يكون المنفي هي الدراية

الفصلة والظاهر لا فوق

لما ذكر من سبب النزول

أن ما عبارة عن عباس

علمه من وظائف

النسبة من الحوادث

والواقعات ﴿٦٣﴾ سا

عليه وسلم كما عرض عليهم نوعاً من أنواع المعجزات زعموا أنه سحر فقال وإذا تنلى عليهم الآيات البينة وعرضت عليهم المعجزات القاهرة وسوها بالسحر ولما بين أنهم ليسون المعجزة بالسحر بين أنهم متى سمعوا القرآن قالوا إن محمداً افتراه واختلقه من عند نفسه ومعنى الهزيمة في أم للانكار والتعجب كأنه قيل دع هذا واسمع القول المنكر العجيب ثم أنه تعالى بين بطلان شتمهم فقال إن افتريتم على سبيل الفرض فإن الله تعالى يعاجلني بعقوبة بطلان ذلك الافتراء وأنتم لا تقدرعون على دفعه عن معاجلتي بالعقوبة فكيف أقدم على هذه الفرية وأعرض نفسي لعنابه يقال فلان لا يملك نفسه إذا غضب ولا يملك عنائه إذا صمم ومثله فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم ومن يراد الله فلتد فلن يملك من الله شيئاً ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا أملك لكم من الله شيئاً ثم قال تعالى هو أعلم بما تفيضون خيداً يريد من القدح في وحى الله تعالى والمعلن في آياته وتسميته سحرانارة وفرة أخرى صفي به شهيداً بيني وبينكم يشهد بالصدق ويشهد عليكم بالكذب والحدود ومعنى ذكر العلم والشهادة وعيدهم على أقامتهم في الظعن والشتم ثم قال وهو الغفور الرحيم بمن رجم عن الكفر وتاب واستعان بحكم الله عليهم مع عظم ما ارتكبوه وقوله تعالى (قل ما كنت بدعاً من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم) ان أتبع الاما يوحى الى وما أنا الا نذير مبين قل أأتيتكم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فأتين واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين وقال الذين كفروا الذين آمنوا لو كان خيراً مما يبيعوننا لبيعنا به وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للذين آمنوا وعملوا الصالحات اعلم انه تعالى لما سبك عنهم أنهم طعنوا في كون القرآن معجزة بان قالوا انه يتخلقه من عند نفسه ثم نسب الى انه كلام الله على سبيل الفرية حكى عنهم نوعاً آخر من الشبهات وهو أنهم كانوا يفترحون منه معجزات عجيبة القاهرة وبطلانها بأن يخبرهم عن المغيبات فأجاب الله تعالى عنه بان قل ما كنت بدعاً من الرسل والبدع والبدع من كل شيء البدأ والبدعة ما اخترع مما لم يكن موجوداً قبله بحكم السنة وفيه وجوه (الاول) ما كنت بدعاً من الرسل أي ما كنت أولهم فلا ينبغي أن تنكروا اخبارى باني رسول الله اليكم ولا تنكروا دعائي لكم الى التوحيد ونهي عن عبادة الاصنام فان كل الرسل انما يمشوا بهذا الطريق (الوجه الثاني) أنهم طلبوا منه معجزات عظيمة واخبارا عن الغيوب فقال قل ما كنت بدعاً من الرسل والمعنى ان الايتان بهذه المعجزات القاهرة والاخبار عن هذه الغيوب ليس في وسع البشر وانما من جنس الرسل واحدهم لم يقدر على ما يروونه فكيف أقدر عليه (الوجه الثالث) أنهم كانوا يعيبونه بأكل الطعام ويمشي في الأسواق وبأنه فقير وبأن أتباعه فقراء فقال قل ما كنت بدعاً من الرسل وكلامهم والواقعات ﴿٦٣﴾ سا

الوحي الناطق بتفاصيل ما يفعل بالجانين هذا وقد روى عن

الضمير في الخبر وسقطت به
كفاي قوله تعالى قل أرايتم

الضمير في الخبر وسطعت بين اجزاء الضمير مسارعة الى التسجيل عليهم بالكفر أو عطف على كان في الآية ﴿

بذلك الشرط المذكور بين الوقوع وعندهم باعتبار رجاى حسبي باعتبار حال المعصوف عليه عندهم قال كثرتم به
أمر يحق عندهم أيضا وانما ترددهم في أن ذلك كفر بما عن عند الله تعالى أم لا وكنا الحال في قوله تعالى (وشهد شاهد
من بني إسرائيل) وما بعده من القولين (٤٩٩) فان النكل أمور محتملة عندهم وانما ترددهم في أنها شهادة وإيمان

بما عن عند الله تعالى
واستكبار عند أولي المعنى
أخبروني أن كان ذلك في
الحقيقة من عند الله
وكفرتم به وشهد شاهد
عظيم الشأن من بني
إسرائيل الوافقين على
شؤون الله تعالى وأسرار
الوحي بما أوثروا من التوراة
(على مثله) أى مثل القرآن
من المعاني المنطوية في
التوراة المطابقة لما
في القرآن من التوحيد
والوعد والوعيد وغير
ذلك فأنعاجين ما فيه
في الحقيقة كما يعرب عنه
قوته تعالى وأنه لفي زبر
الاولين وقوله تعالى ان
هذا في الصحف الاولى
والثانية باعتبار تأديتها
بعباسات أخر أو على
مثل ما ذكر من كونه من
عند الله تعالى والمثلية
لما ذكر وقيل المثل صلة
والفاء في قوله تعالى
(فآمن) للدلالة على أنه
سارع الى الإيمان باقرآن
لما علم أنه من جنس الرشى
الناطق بالحق وهو عبد الله
بن سلام لما سمع تقدم
رسول الله صلى الله عليه
وسلم المدينة أنا فنظروا الى

الآية فقالوا النبي صلى الله عليه وسلم ما قل ولا فعل عالا بالانص الذي أوحاه الله
اليه فوجب أن يكون حالنا كذلك (بيان الاول) قوله تعالى ان أتبع الامايوسى الى
(بيان الثاني) قوله تعالى واتبعوه وقوله تعالى فليحذر الذين يخافون عن أمره ثم قال تعالى
وما أنا الانذير مبين كانوا يباطلون به بالميزات العجيبة وبالأخبار عن الغيوب فقال قل
وما أنا الانذير مبين والقادر على تلك الاعمال الخارجة عن قدرة البشر والعالم بتلك
الغيوب ليس الا الله سبحانه * ثم قال تعالى (قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به
وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين)
وفيه مسائل (المسئلة الاولى) الشرط محذوف والتقدير ان يقال ان كان
هذا الكتاب من عند الله ثم كفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على صحته ثم استكبرتم
لكتمتم من الخاسرين ثم حذف هذا الجواب ونظيره قولك ان أحسنت اليك وأسأت
الى وأقبلت عليك وأعرضت عني فقد ظلمتني فكذلك هذا التقدير أخبروني ان ثبت ان
القرآن من عند الله بسبب عجز الخلق عن معارضته ثم كفرتم به وحصل أيضا شهادة اعلم
بني إسرائيل بكونه معجزا من عند الله فلو استكبرتم وكفرتهم أنتم أفضل الناس
وأظلمهم واعلم أن جواب الشرط قد يحذف في بعض الآيات وقد يدرك كما الحذف فكما
في هذه الآية وكفى وقوله تعالى وأول قرآناسيت به الجبال أوقطعت به الأرض أو كل به
الموتى وأما المذكور فكما في قوله تعالى قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من أفضل
وقوله قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سريدا الى يوم القيامة من له غير الله
بأيتكم بضيائه (المسئلة الثانية) اختلفوا في المراد بقوله تعالى وشهد شاهد من بني إسرائيل
على قولين (الاول) وهو الذي قال به الأكثرون أن هذا الشاهد عبد الله بن سلام روى
صاحب الكشاف انه لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نظر الى وجهه فعلم انه
ليس بوجه كذاب وتأمله وتحقق انه هو النبي صلى الله عليه وسلم المنتظر فقال له انى
سألتك عن ثلاث ما يلهمن الانبياء ما أول اشراط الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة
والولدي يزعم الى أبيه أو الى أمه فقال صلى الله عليه وسلم اما أول اشراط الساعة فزار
تحشرهم من المشرق الى الغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت وأما
الوالد فذا سبق ماء الرجل نزعه وان سبق ماء المرأة نزعه * ثم شهد انك رسول الله
حقا ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وان علوانى * الى قبل ان نسألهم عني بهتوني
عندك فجات اليهود فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم أى رجل عبد الله فيكم فقالوا
خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا فقال أرأيتم ان أسلم عبد الله
فقالوا أعافه الله من ذلك فخرج عليهم عبد الله فقال أشهد ان لا اله الا الله وأشهد ان محمدا
رسول الله فقالوا شربنا وابن شربنا واتبعوه فقال هذا ما كنت أخاف يا رسول الله فنادى
سعد بن أبي وقاص ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاحد يشئ على الأرض

وجهه الكريم فلم انه ليس بوجه كذاب وتأمله فحقق انه النبي المنتظر فقال له انى سألتك عن ثلاث ما يلهمن الانبياء
ما أول اشراط الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة والولدي يزعم الى أبيه

أولى أمة يقال عليه الصلاة والسلام أما أول اشراط الساعة فتأخرهم من المشرق إلى المغرب وأما أول طلع أهل الجنة في يادة كبد حوت وأما الولد فان سبق ما دل الرجل نزعته وان سبق ما المرأة نزعته فقال أشهد أنك رسول الله حقا فقام ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت فان علموا باسلامي ^{٥٠٠} قبل أن تسألهم حتى يهتوني عندك فجاءت

اليهود فقال لهم النبي عليه الصلاة والسلام أي رجل عبد الله فيكم فقالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا وأبنائنا وابن أبنائنا وأرأيتهم ان أسلم عبد الله قالوا أعاده الله من ذلك فخرج إليهم عبد الله فقال أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقالوا اشترنا وابن شترنا وانتصوه قال هذا ما كنت أخاف يا رسول الله وأحذر قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاحد يمشي على الارض انه من أهل الجنة الا عبد الله بن سلام وفيه نزل وشهد شاهد الآيات وقيل الشاهد موسى عليه السلام وشهادته بما في التوراة من بعثة النبي عليهما الصلاة والسلام وبه قال الشعبي وقال مسروق والله ما نزلت في عبد الله بن سلام فان أي حم نزلت بكه وانما أسلم عبد الله بالمدينة وأجاب الكلبي بان الآية مدنية وان كانت السورة مكية فكيف يمكن حل هذه الآية المكية على واقعة حدثت في آخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وأجاب الكلبي بأن السورة مكية الا هذه الآية وكانت الآية تنزل في يوم من رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يضعها في سورة كذا فهذه الآية نزلت بالمدينة وان الله تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يضعها في هذه السورة المكية في هذا الموضع المعين وقائل أن يقول ان الحديث الذي رويتم عن عبد الله بن سلام مشكل وذلك لان ظاهر الحديث يومهم انه لما سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن المسائل الثلاثة وأجاب النبي صلى الله عليه وسلم بتلك الجوابات آمن عبد الله بن سلام لاجل أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر تلك الجوابات وهذا بعيد جدا الوجهين (الاول) ان الاخبار عن أول اشراط الساعة وعن أول طلعهم بأكله أهل الجنة اخبار عن وقوع شيء من الممكنات وما هذا سبيله فانه لا يعرف كون ذلك الخبر صدقا الا اذا عرف أول اكبر الخبر صدقا فقلنا نعم فتصدق الخبر يكون ذلك الخبر صدقا لزم الدور وانه محال (الثاني) اننا علمنا ضرورة ان الجوابات المذكورة عن هذه المسائل لا تبلغ العلم بها الى حد الاستيعاز البتة بل نقول الجوابات القاهرة عن المسائل الصعبة لما لم تبلغ الى حد الانحياز فامثال هذه الجوابات عن هذه السؤالات كيف يمكن أن يقال انها بلغت الى حد الاستيعاز (والجواب) يحتمل انه جاء في بعض كتب الانبياء المتقدمين أن رسول آخر الزمان يسأل عن هذه المسائل وهو يحجب عنها بهذه الجوابات وكان عبد الله بن سلام عالم بهذا المعنى فلما سأل النبي صلى الله عليه وسلم وأجاب بتلك الاجوبة عرف بهذا الطريق كونه رسولا حقا من عند الله وعلى هذا الوجه فلا حاجة بنا الى أن نقول العلم بهذه الجوابات معبر والله أعلم (القول الثاني) في تفسير قوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل انه ليس المراد منه شخصا معينا بل المراد منه ان ذكر محمد صلى الله عليه وسلم موجود في التوراة والبشارة بمقدمة حاصلة فيها فتقدير الكلام لو أن رجلا منصفاعا رافيا لتوراة أقر بذلك واعترف به ثم انه آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وأنكرتم الاستم ظالمين لانفسكم ضالين عن الحق فهذا الكلام مقرر سواء كان المراد بذلك الشاهد شخصا معينا أو لم يكن كذلك لان المقصود الاصل من هذا الكلام انه ثبت بالمعجزات القاهرة ان هذا الكتاب من عند الله وثبت أن التوراة مشتملة على البشارة بمقدم محمد صلى الله عليه وسلم ومع هذين الأمرين كيف يابق بالعقل انكار نبوته (المسئلة الثالثة) قوله تعالى على مثله ذكروا فيه وجوها والا قرب ان نقول انه صلى الله عليه وسلم قال لهم أرأيتهم ان كان هذا القرآن من عند الله كما أقول وشهد شاهد من بني اسرائيل

عليه الصلاة والسلام أي رجل عبد الله فيكم فقالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا وأبنائنا وابن أبنائنا وأرأيتهم ان أسلم عبد الله قالوا أعاده الله من ذلك فخرج إليهم عبد الله فقال أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقالوا اشترنا وابن شترنا وانتصوه قال هذا ما كنت أخاف يا رسول الله وأحذر قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاحد يمشي على الارض انه من أهل الجنة الا عبد الله بن سلام وفيه نزل وشهد شاهد الآيات وقيل الشاهد موسى عليه السلام وشهادته بما في التوراة من بعثة النبي عليهما الصلاة والسلام وبه قال الشعبي وقال مسروق والله ما نزلت في عبد الله بن سلام فان أي حم نزلت بكه وانما أسلم عبد الله بالمدينة وأجاب الكلبي بان الآية مدنية وان كانت السورة مكية فكيف يمكن حل هذه الآية المكية على واقعة حدثت في آخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وأجاب الكلبي بأن السورة مكية الا هذه الآية وكانت الآية تنزل في يوم من رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يضعها في سورة كذا فهذه الآية نزلت بالمدينة وان الله تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يضعها في هذه السورة المكية في هذا الموضع المعين وقائل أن يقول ان الحديث الذي رويتم عن عبد الله بن سلام مشكل وذلك لان ظاهر الحديث يومهم انه لما سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن المسائل الثلاثة وأجاب النبي صلى الله عليه وسلم بتلك الجوابات آمن عبد الله بن سلام لاجل أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر تلك الجوابات وهذا بعيد جدا الوجهين (الاول) ان الاخبار عن أول اشراط الساعة وعن أول طلعهم بأكله أهل الجنة اخبار عن وقوع شيء من الممكنات وما هذا سبيله فانه لا يعرف كون ذلك الخبر صدقا الا اذا عرف أول اكبر الخبر صدقا فقلنا نعم فتصدق الخبر يكون ذلك الخبر صدقا لزم الدور وانه محال (الثاني) اننا علمنا ضرورة ان الجوابات المذكورة عن هذه المسائل لا تبلغ العلم بها الى حد الاستيعاز البتة بل نقول الجوابات القاهرة عن المسائل الصعبة لما لم تبلغ الى حد الانحياز فامثال هذه الجوابات عن هذه السؤالات كيف يمكن أن يقال انها بلغت الى حد الاستيعاز (والجواب) يحتمل انه جاء في بعض كتب الانبياء المتقدمين أن رسول آخر الزمان يسأل عن هذه المسائل وهو يحجب عنها بهذه الجوابات وكان عبد الله بن سلام عالم بهذا المعنى فلما سأل النبي صلى الله عليه وسلم وأجاب بتلك الاجوبة عرف بهذا الطريق كونه رسولا حقا من عند الله وعلى هذا الوجه فلا حاجة بنا الى أن نقول العلم بهذه الجوابات معبر والله أعلم (القول الثاني) في تفسير قوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل انه ليس المراد منه شخصا معينا بل المراد منه ان ذكر محمد صلى الله عليه وسلم موجود في التوراة والبشارة بمقدمة حاصلة فيها فتقدير الكلام لو أن رجلا منصفاعا رافيا لتوراة أقر بذلك واعترف به ثم انه آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وأنكرتم الاستم ظالمين لانفسكم ضالين عن الحق فهذا الكلام مقرر سواء كان المراد بذلك الشاهد شخصا معينا أو لم يكن كذلك لان المقصود الاصل من هذا الكلام انه ثبت بالمعجزات القاهرة ان هذا الكتاب من عند الله وثبت أن التوراة مشتملة على البشارة بمقدم محمد صلى الله عليه وسلم ومع هذين الأمرين كيف يابق بالعقل انكار نبوته (المسئلة الثالثة) قوله تعالى على مثله ذكروا فيه وجوها والا قرب ان نقول انه صلى الله عليه وسلم قال لهم أرأيتهم ان كان هذا القرآن من عند الله كما أقول وشهد شاهد من بني اسرائيل

عليه الصلاة والسلام (واستكبرتم) عطف على شهد شاهد وجواب الشرط على محذوف والمعنى أخبروني ان كان من

حمدا لله تعالى وشهد على ذلك أعلم بنى اسرائيل فآمن به من غير تلعثم واستكبرتم عن الإيمان به بعد هذه المرتبة من أضل منكم بقرينة قوله تعالى قل أرايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من اضل من هو في شقاق بعيد وقوله تعالى (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) فان عدم الهداية مما ينافى عن الضلال فطاعا ومنهم بالظلم للاشعار بعله السليم فان تركه تعالى الهداية لهم لظلمهم ﴿ ٥٠١ ﴾ (وقال الذين كفروا) حكاية لبعض آخر من آفوا بيلهم

على مثل ما قلت فآمن واستكبرتم انتم كذبتم ظالمين انفسكم ثم قال تعالى ان الله لا يهدي القوم الظالمين وفيه مسائل (المسئلة الاولى) انه تمديد وهو قائم مقدم الجواب المحذوف والتقدير قل أرايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به فانكم لا تكونون مهتدين بل تكونون ضالين (المسئلة الثانية) قالت المعتزلة هذه الآية تدل على انه تعالى اما منعهم الهداية بناء على الفعل القبيح الذي صدر منهم أو لافان قوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الظالمين صريح في انه تعالى لا يهديهم لكونهم ظالمين انفسهم فوجب ان يستدلوا في جميع الآيات الواردة في المنع من الإيمان والهداية أن يكون الحال فيها كما هي هنا والله أعلم ثم قال تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه وفيه مسائل (المسئلة الاولى) هذه شبهة أخرى للقوم في انكار شدة محمد صلى الله عليه وسلم وفي سبب نزوله وجوه (الاول) ان هذا كلام كفار مكة قالوا ان عامة من يتبع محمدا افترى والاراذل مثل عمار وصعب وابن مسعود ولو كان هذا الدين خيرا ما سبقنا اليه هو لا (الثاني) قيل لنا سئلت جهينة ومزينة وأسلم وغفار قالت يتوعا مرو غطفان وأسد واشجع لو كان هذا خيرا ما سبقنا اليه رءاه اليهم (الثالث) قيل ان أمة لعمر أسلت وكان عمر يضربها حتى يفتروا يقولون لا نرى فترت لذلك خبر بافكان كفار فريش يقولون لو كان ما يدعوه محمد عليه خيرا ما سبقنا اليه فلانة (الرابع) قيل كان اليهود يقولون هذا الكلام عند اسلام عبدالله بن سلام (المسئلة الثانية) الا ان قوله تعالى للذين آمنوا ذكرنا فيه وجهين (الاول) أن يكون المعنى وقال الذين كفروا للذين آمنوا على وجه الخطاب كما تقول قال زيد لعمر ومثله في الخطاب وتنتقل الى الغيبة كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم (الثاني) قال صاحب المكشاف للذين آمنوا لاجلهم يعني ان الكفار قالوا لاجل ايمان الذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه وعندى فيه وجه ثالث وهو ان الكفار لما سمعوا ان جماعة آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم خاطبوا جماعة من المؤمنين الحاضرين وقالوا لهم لو كان هذا الدين خيرا ما سبقنا اليه أولئك الغائبون الذين أسأوا واعلم انه تعالى لما حكى عنهم هذا الكلام أحاب عنه بقوله واذا لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم والمعنى انهم لما لم يقفوا على وجه كونه معجزا فلا بد من عامل في الطرف في قوله واذا لم يهتدوا به ومن متعلق بقوله فسيقولون وغير مستقيم أن يكون فسيقولون هو العامل في الطرف لتدافع دلالات المضى والاستقبال فوجه هذا الكلام وأجاب عنه بان العامل في ان المحذوف دلالة الكلام عليه واستندوا واذا لم يهتدوا به ظهر عندهم فسيقولون هذا افك قديم ثم قال تعالى ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة كتاب موسى مبتدا ومن قبله ظرف واقع خبر مقدم عليه وقوله اما ان انصب على الحال كقولك في الدار زيد قائما وقرى ومن قبله كتاب موسى والتقدير وآمين الذي قبله التوراة ومعنى اماما أى قدوة ورحمة يؤتم به في دين الله وشراعه كما يؤتم بالامام ورحمة لمن آمن به

الباطلة في حق القرآن العظيم والمؤمنين به أى قال كفار مكة (للذين آمنوا) أى لاجلهم (لو كان) أى ما جابه عليه الصلاة والسلام من اسرار والدين (خيرا ما سبقونا اليه) فان معالى الامور لا يتاها ايدي الاراذل وهم سقاط عوامتهم فقراء وموال ورعاة قاه وزعماء منهم أن الرياسة سبيبة عما ينال بأسباب دنيوية كما قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وذل عنهم أنها منوطة بكلمات نفسانية وملكات روحانية مبناها الاعراض عن زخارف الدنيا الدنية والاقبال على الآخرة بالكتابة وأن من فاز بها فانه دناها بخدا غيرها ومن حرمها فله منها من خلاق وقيل فله بنو عامر وغطفان وأسدوا شجع لما سلم جهينة ومزينة وأسلم وغفار وقيل فاته اليهود حين أسلم عبدالله

بن سلام وأحبابه وبأيدى أن السورة مكية ولابد حينئذ من الالتجاء الى ادعاء أن الآية نزلت بالمدينة (واذا لم يهتدوا به) ظرف لمحذوف يدل عليه ما قبله و يترب عليه ما بعده أى واذا لم يهتدوا بالقرآن قالوا ما قالوا (فسيقولون) غير مكشوف بنى خبر به (هذا افك قديم) كما قالوا أساطير الاولين وقبل المحذوف ظهر عنسادهم وليس بدال (ومن قبله) أى من قبل القرآن وهو خبر لقوله تعالى (كتاب

موسى) قيل والجملة حالية أو مستأنفة وأيا ما كان فهو رد قولهم هذا أمك قديم وأباطله فل كونه مصدقا للكتاب
موشى مقرر لحقيقته قطعا (أماما ورجة) حالان من كتاب موسى أى أماما يقندى به فى دين الله تعالى وشرائعه
كايقندى بالأمام ورجة من الله تعالى لمن آمن به وعمل بوجه (وهذا) الذى يقولون فى حقه ما يقولون (كتاب)
عظيم الشأن (مصدق) أى للكتاب موسى الذى ٥٠٢ هو أمام ورجة وألمانيين يديه من جميع الكتب

الالهية وقد قرئ
كذلك (لساناعربيا)
حال من ضمير الكتاب
فى مصدق أو من نفسه
لتخصصه بالصفة
وعاملها معنى الإشارة
وعلى الاول مصدق
وقبل مفعول لمصدق
أى يصدق ذاللسان
عربى (لينذر الذين
ظلموا) متعلق بمصدق
وفيه ضمير الكتاب أو الله
أو الرسول عليه الصلاة
والسلام ويؤيد الأخير
القرافة بناء الخطاب
(وبشرى للمعسنيين)
فى حيز النصب عطفا
على محل لينذر وقيل
فى محل الرفع على أنه خبر
مبشدا مضر أى وهو
بشرى وقيل على أنه
عطف على مصدق
(ان الذين قالوا ربنا الله
ثم استقاموا) أى جهوا
بين التوحيد الذى هو
خلاصة العلم والاستقامة
فى أمور الدين التى هى
منتهى العمل وشم لدلالة
على تراخي رتبة العمل
وتوقف الاعتماد به

وعمل بما فيه ووجه تعلق هذا الكلام بما قبله ان اتوم طعنوا فى صحة القرآن وقالوا لو
كان خيرا ما سبقنا اليه هؤلاء الصعاليك وكأنه تعالى قال الذى يدل على صحة القرآن انكم
لا تنازعون فى ان الله تعالى أنزل التوراة على موسى عليه السلام وجعل هذا الكتاب
أماما يقندى به ثم ان التوراة مشتملة على البشارة بمقدم محمد صلى الله عليه وسلم فإذا سئمت
كون التوراة أماما يقندى به فاقبلوا حكمه فى كون محمد صلى الله عليه وسلم حقا من الله
ثم قال تعالى وهذا كتاب مصدق لساناعربيا أى وهذا القرآن مصدق لكتاب موسى فى أن
محمد رسول الله حق من عند الله وقوله تعالى لساناعربيا نصب على الحال ثم قال لينذر الذين
ظلموا قال ابن عباس مشركى مكة وفى قوله لينذر قرأتان التاء لكثرة ما ورد من هذا المعنى
بالخطابة كقوله تعالى تنذر به وذكرى للمؤمنين والباء لتقسم ذكر الكتاب فأستدل الانذار
الى الكتاب كما استدل الرسول وقوله تعالى الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب الى قوله
لينذر بأسانا شديدا من آياته ثم قال تعالى وبشرى للمعسنيين قال الزجاج الانجود أن يكون
قوله وبشرى فى موضع رفع والمعنى وهو بشرى للمعسنيين قال ويجوز أن يكون فى موضع
نصب على معنى لينذر الذين ظلموا وبشرى للمعسنيين وحاصل الكلام ان المقصود من
انزال هذا الكتاب انذار المعرضين وبشارة المطيعين وقوله تعالى (ان الذين قالوا ربنا
الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما
كانوا يعملون ووصفنا الانسان بوالديه احسانا لحالته أمه كرها ووضعته كرها وحوله وفصلا
ثلاثون شهرا حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك
التي أنعمت على وعلى والدى وأرا عمل صالحا ترضاه وأصلح لى فى ذرىتى انى تبك اليك
وانى من المسلمين أولئك الذين تتقيل عنهم أحسن ما عملوا وخرجوا عن سياجهم فى أصحاب
الجنة وعدا للمصدق الذى كانوا يوعدون) اعلم انه تعالى لما قرر دلائل التوحيد والنبوة
وذكر شهادت المنكرين وأجاب عنها ذكر بعد ذلك طريقة المحققين والمحققين فقال ان الذين
قالوا ربنا الله ثم استقاموا وقد ذكرنا تفسير هذه الكلمة فى سورة المجدة والفرق بين
الموضعين ان فى سورة المجدة ذكر ان الملائكة يزلون ويقولون ان لا تخافوا ولا تحزنوا
وههنا رفع الواسطة من البين وذكر انه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فإذا جعنا بين
الأتين حصل من مجموعهما ان الملائكة يبلغون اليهم هذه البشارة وان الحق سبحانه
يسمعهم هذه البشارة أيضا من غير واسطة واعلم ان هذه الآيات دالة على أن من آمن بالله
وعمل صالحا فانهم بعد الحشر لا ينالهم خوف ولا حزن ولهذا قال أهل التحقيق انهم يوم
القيامة آمنون من الأحوال وقال بعضهم خوف العقاب زائل عنهم اما خوف الجلال
والهيبة فلا يزول البتة عن العبد ألا ترى ان الملائكة مع علو درجاتهم وكمال عصمتهم
لا يزول الخوف عنهم فقال تعالى يخافون ربهم من فوقهم وهذه المسئلة سبقت بالاستقصاء

على التوحيد (فلا خوف عليهم) من لحوق مكروه (ولا هم يحزنون) من فوات محبوب وانقاء ٥٠٣ فى
لتضمن الاسم معنى الشرط والمراد بيان دوام نفي الحزن لا بيان نفي دوام الحزن كما يوهمه كون الخبر مضارعا
وقدمى بيانه مرارا (أولئك) الموصوفون بما ذكر من الوصفين الجليلين (أصحاب الجنة خالدين فيها) حال
من المستكن فى أصحاب وقوله تعالى (جزاء) منصوب اما بعامل

مقدراً أي يجوز أن جزءاً أو بمعنى ما تقدم فإن قوله تعالى أو ثلث أصحاب الجنة في معنى جاز يتأهم (بما كانوا يعملون) من الحسنات العلمية والعملية (ووصيت الإنسان) بأن يحسن (بوالديه أحساناً) وقرئ حسناً أي بأن يفعل بهما حسناً أي فعلاً ذا حسن أو كأنه في ذاته نفس الحسن لقرط حسنة وقرئ بضم السين أيضاً وبقية ههنا أي بأن يفعل بهما فعلاً حسناً أو وصيته أيضاً ﴿٥٠٣﴾ حسناً (جمله أمدها موضعت كرها) أي ذات كره أو جلاً

ذا كره وهو المشتبه
و قرئ بالتخيخ وهما الغنان
كافقر والفقر وقيل
المضنوم اسم والمفتوح
مصدر (وحله وفصالة)
أي مدة حمله وفصالة
وهو الغطام و قرئ
وفصله والفصل
والفصال كالقطم
والغطام بناء ومعنى
والمراد به الرضاع
التمام المنتهي به كالأراد
بالامد المدة من قال
كل حي مستكمل مدة
العمر * وموداد الزهني
أمده (ثلثون شهراً)
تمضي عليها بمائة
المشاق ومقاساة
الشدائد لاجله وهذا
دليل على أن أقل مدة
الجل ستة أشهر لما أنه
إذا حط عنه للفصال
حولان لقوله تعالى
حولين كاملين لمن أراد
أن يتم الرضاعة يتى
للحمل ذلك قيل ولعل
تعيين أقل مدة الحمل
وأكثر مدة الرضاع
لأنضاب طهما وتحقق

ارتباط النسب والرضاع

في آيات كثيرة منها قوله تعالى لا يحزنهم الفزع الأكبر ثم قال تعالى أو ثلث أصحاب الجنة خالدن فيها جزءاً بما كانوا يعملون قالت المعتزلة هذه الآية تدل على مسائل (أولها) قوله تعالى أو ثلث أصحاب الجنة وهذا يفيد الحصر وهذا يدل على أن أصحاب الجنة ليسوا إلا الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وهذا يدل على أن صاحب الكبرة قبل التوبة لا يدخل الجنة (وثانيها) قوله تعالى جزءاً بما كانوا يعملون وهذا يدل على فساد قول من يقول الثواب فضل لجزاء (وثالثها) أن قوله تعالى بما كانوا يعملون يدل على إثبات العمل للعبد (ورابعها) أن هذا يدل على أنه يجوز أن يحصل الأثر في حال الموت أو أي أن كان موجوداً قبل ذلك دليل أن العمل المتقدم أوجب الثواب المتأخر (وخامسها) كون العبد مستحقاً على الله تعالى وأعظم أنواع هذا النوع الأحسان إلى الوالدين لاجرم أردفه بهذا المعنى فقال تعالى ووصيتنا الإنسان بوالديه حسناً وقد تقدم الكلام في نظير هذه الآية في سورة العنكبوت في سورة لقمان وفيه مسائل (المسئلة الأولى) قرأ عاصم وحمزة والكسائي بوالديه أحساناً والباقرن حسناً واعلم أن الأحسان خلاف الإساءة والحسن خلاف القبح فن قرأ أحساناً فحجته قوله تعالى في سورة بني إسرائيل وبوالوالدين أحساناً والمعنى أمرناه بأن يوصل إليهما أحساناً وحجة آتية ثابتة قوله تعالى في العنكبوت ووصيتنا الإنسان بوالديه حسناً ولم يخلفوا فيه والمراد أيضاً أنا أمرناه بأن يوصل إليهما فعلاً حسناً لأنه سمي ذلك الفعل الحسن بالحسن على سبيل المبالغة كما يقال هذا الرجل علم وكرم واتصّب حسناً على المصدر لأن معنى ووصيتنا الإنسان بوالديه أمرناه أن يحسن إليهما أحساناً ثم قال تعالى جلته أمدها موضعت كرها وفيه مسائل (المسئلة الأولى) قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي كرها بضم الكاف والباقرن بفتحها قيل هما لغتان مثل الضعيف والضعف والفقر والفقر ومن غير المصادر الدف والدف والشهد والشهد قال الواحدي الكرم مصدر من كرهت الشيء كرهه والكراه الاسم لأنه الشيء المكروه وقال تعالى كتب عليكم القتال وهو كره لكم فهذا باضم وقال ابن تروثوا النساء كرهاً فهذا موضع الحال ولم يقرأ الثانية بغير الفتح فما كان مصدراً أو في موضع الحال فالفتح فيه أحسن وما كان اسماً نحو ذهبت به على كرهه كان الضم فيه أحسن (المسئلة الثانية) قال المفسرون جلته أمده على مشقة ووضعته في مشقة وليس يريد ابتداء الحمل فإن ذلك لا يكون مشقة وقد قال تعالى فلما نفاها جات جلات جلاً خفيفاً يريد ابتداء الحمل فإن ذلك لا يكون مشقة فالحمل نطفة وعلقه ومضغة فإذا انفلت فحيت جلات كرها ووضعته كرها يريد شدّة الضيق (المسئلة الثالثة) دلت الآية على أن حق الأم أعظم لأنه تعالى قال أولاً ووصيتنا الإنسان بوالديه حسناً فذكرهما معاً ثم خص الأم بالذكر فقال جلته أمده كرها ووضعته كرها وذلك يدل على أن حقها أعظم وإن وصول المشاق إليها بسبب الولد أكثر والأخبار كثيرة مذكورة في هذا الباب ثم قال تعالى وحله وفصاله ثلثون شهراً

بهما (حتى إذا بلغ أشده) أي اكتمل واستحكم قوته وعقله (و بلغ أر بعين سنة) قبل أن يمضي حتى إذا استوى وبلغ أشده (قال رب أوزعني) أي الهمني وأصله أوزعني من أوزعته بالذ (أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي) أي نعمة الدين أو ماله أو غيرها (وأن أعمل صالحاً ترضاه) التكبير للتفخيم والتكثير (وأصلح لي في ذريتي) أي واجعل الصلاح سارياً في ذريتي راسخاً فيهم كافي

قوله يخرج في فراغها نضلي قال ابن عباس اجاب الله تعالى بذكر رضى الله عنهم فاعتق تسعة من المؤمنين منهم بلال وعامر بن فهيرة ولم يرد شيئا من الخير الا اعانه الله تعالى عليه ودعا ايضا فقال واصلم لي في ذر بتي فاحابه الله عز وجل فلم يكن له ولد الا آمنوا جميعا فاجتمع له اسلام $\frac{504}{1000}$ أبو به واولاده جميعا فأدرك أبوه أو فحافة

رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنه عبد الرحمن بن ابي بكر ابن عبد الرحمن ابوعتيق كلهم ادر كوا النبي عليه الصلاة والسلام ولم يكن ذلك لاحد من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين (انتي تبت اليك) عما لا ترضاء أو عما يشافني عن ذكر ك (واني من المسلمين) الذين اخلصوا لك انفسهم (واولئك) اشارة الى الانسان والجمع لان المراد به الجنس المتصف بالوصف المحكي عنه بما فيه من معنى الجدل لاشارا بعلوم رتبته وبعد منزلته اى ارمك المعنويون يساذكر من التعوت الجليلية (الذين تقبوا عنهم احسن ما عملوا) من الطاعات فان المباح حسن ولا يشاب عليه (وتجاوز عن سيئاتهم) وقرئ القعلان بالياء على اسنادهما الى الله تعالى وعلى بناءهما للمفعول ورفع احسن على انه قائم مقام الفاعل

وفيه مسائل (المسئلة الاولى) هذان باب حذف المضاف والتقدير بومة حمله ودسالة ثلاثون شهرا والقبال القطام وهو فصله عن اللبن فان قيل المراد بيان مدة الرضاعة لا النظام فكيف عبر عنه بالفصال فلما كان الرضاع يليه الفصال وبلائه لانه يذهي ويتم به سمي فصلا (المسئلة الثانية) دللت الآية على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لانه لما كان مجموع مدة الحمل ورضاع ثلاثون شهرا قال والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين فاذا أسقطت الحولين الكاملين وهي أربعة وعشرون شهرا من الثلاثين في أقل مدة الحمل ستة أشهر روى عن عمران امرأة رفعت اليه وكانت قد ولدت لستة أشهر فامر برجمها فقال علي لا رجم عليه أو ذكر الطارق الذي ذكرناه وعن عثمان أنه هم بذلك فرأى ابن عباس عليه ذلك واعلم ان العقل والتجربة يدلان ايضا على ان الامر كذلك قال أصحاب التجارب ان تكون الجنين زمانا مقدرا فاذا تضاعف ذلك الزمان تحرك الجنين فاذا انضاض الى ذلك المجموع مثله ان فصل الجنين عن الام فلنفرض أنه يتم خلقة في ثمانين يوما فاذا تضاعف ذلك الزمان حتى صار ستين تحرك الجنين فاذا تضاعف الى هذا المجموع مثله وهو مائة وعشرون حتى صار المجموع مائة وثمانين وهو ستة أشهر فيحتمل بفصل الجنين فلنفرض أنه يتم خلقة في خمسة وثلاثين يوما فيتحرك في سبعين يوما فاذا انضاض اليه مثله وهو مائة وأربعون يوما صار المجموع ثمانين وعشرة أيام وهو سبعة أشهر انفصل الولد فنفرض أنه يتم خلقة في أربعين يوما فيتحرك في ثمانين يوما فنضاض عند مائتين وأربعين يوما وهو ثمانية أشهر ونفرض انه تمت الخلقة في خمسة وأربعين يوما فيتحرك في تسعين يوما فيضبط عند مائتين وسبعين يوما وهو تسعة أشهر فلهذا انضاض الذي ذكر أصحاب التجارب قال جالينوس اني كنت شديد التفحص عن مقادير ازمة الحمل فرأيت امرأة ولدت في المائة والاربع والثمانين ليلة وزعم أبو علي بن سينا انه شاهد ذلك فقد صار أقل مدة الحمل بحسب نص القرآن وبحسب التجارب الطبيعية شيئا واحدا وهو ستة أشهر واما اثر مدة الحمل فليس في القرآن ما يدل عليه قال أبو علي بن سينا في لفصل السادس من المقالة التاسعة من عنوان الشفاء بالغنى من حيث وثقت به كل الثقة ان امرأة وضعت بعد الاربع من سن الحمل ولدا قد تبنت اسنانه وعاش وحكى عن ارسلها فليس انه قال ازمة الولادة وحبل الحيوان مضبوطة سوى الانسان فر بما وضعت الحبل سبعة أشهر وربما وضعت في الثامن وقيل يعيش المولود في الثامن الاق يلا دمينة مثل مصر والغالب هو الولادة بعد التاسع قال أهل التجارب والذي قلناه من انه اذا تضاعف زمان التكوين تحرك الجنين واذا انضاض الى المجموع مثله انفصل الجنين انما قلناه بحسب الترتيب لا بحسب التحييد فانه ربما زاد أو نقص بحسب الايام لانه لم يتم على هذا الضبط برهان انه هو تقريب ذكره وبحسب التجربة والله اعلم ثم قالوا المدة

وكذا الجار والمجرور (في) أصحاب الجنة أى كائنين في عدادهم منتظرين في سلكهم (وعدا الصدق) يسر روى اني مؤ كد لما أن قوله تعالى تنبيل وتجاوز وعدم من الله تعالى لهم بالتقبل والتجاوز (الذي كانوا يوعدون) على ألسنة الرسل

التي فيها تم خلقه الجنين تنقسم الى اقسام (فالولها) ان الرحم اذا اشتملت على المني ولم
تغذفه الى الخارج استدار المني على نفسه فمحصرا الى ذاته وصار كالكرة ولما كان من
شأن المني أن يفسده الحر كان لاجرم ينحرف في هذا الوقت وبالحرى أن خلق المني من مادة
تجف بالحر اذا كان الغرض منه تكون الحيوان واستحصاف أجزائه و بصير المني زبدا
في اليوم السادس (وثانيهما) ظهور النقطة الثلاثة الدموية فيه (أحداها) في الوسط وهو
الموضع الذي اذا تم خلقته كان قلبا (والثاني) فوق وهو الدماغ (والثالث) على
اليمين وهو الكبد ثم ان تلك النقطة تتابعدها يظهر فيما بينها خيوط حرة وذلك يحصل بعد
ثلاثة أيام أخرى فيكون المجموع تسعة أيام (وثالثهما) ان تغذ الدم يبقى الجميع فيصير
علقة وذلك بعد ستة أيام أخرى حتى يصير المجموع خمسة عشر يوما (ورابعهما) أن يصير
الحمل وقد تميزت الأعضاء الثلاثة وامست رطوبد الخنازير وذلك انما يتم باثني عشر يوما
فيكون المجموع سبعة وعشرين يوما (وخامسها) أن يفصل الرأس على المشكين
والأطراف عن الضلوع والبطن يبرز الحس في بعض ويختفي في بعض في ذلك يتم في تسعة
أيام أخرى فيكون المجموع ستة وثلاثين يوما (وسادسها) أن يتم اتصال هذه الأعضاء
بعضها بعض ويصير بحيث يظهر ذلك الحس ظهورا يلبس وذلك يتم في أربعة أيام أخرى
فيكون المجموع أربعة وعشرين يوما وقد يتأخر الى خمسة وأربعين يوما قائل لاول والثلاثون
فصارت هذه الجوارب الطبية مطابقة لما أخبر عنه الصادق المصدوق في قوله صلى الله
عليه وسلم يجتمع خلق أحدكم بطن أمه أربعين يوما قال صاحب الخبر راء على بعد
الأربعين اذا شق عنه السلالة ووضع في الماء انبرد ظهر شيء صغير متميز الأطراف
(المسئلة الثالثة) هذه الآية دللت على أقل مدة الحمل وعلى أكثر مدة الرضاع اما انها تدل
على أقل مدة الحمل فقد بيناه واما انها تدل على أكثر مدة الرضاع فلقوله تعالى والوالدان
يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة والعقهاء ربطوا بهذين
الضابطتين أحكاما كثيرة في الفقه وأيضا فاذابت ان أقل مدة الحمل هو الأشهر الستة
فتقدير أن تأتي المرأة بالولد في هذه الأشهر يبقى جانبها مصونة على تهمة الزنا والقاحشة
و بتقدير أن يكون أكثر مدة الرضاع ما ذكرناه فاذا حصن الرضاع بعد هذه المدة لا يرتب
عليها أحكام الرضاع فتبقى المرأة مستورة عن الأجانب وعند هذا يظهر ان المقصود من
تقدير أقل الحمل ستة أشهر وتقدير أكثر الرضاع حولين كاملين السعي في دفع المضار
والفسواحش وأنواع التهمة عن المرأة فسيحان من له تحت كل كلمة من هذا الكتاب
الكرام أسرار عجيبة وقد أسس لطيفة نجر العقول عن الاحاطة بكما لها وروى الواحدى
في البسيط عن عكرمة أنه قال اذا حملت تسعة أشهر أرضعته أحد وعشرين شهرا واذا
حملت ستة أشهر أرضعته أربعة وعشرين شهرا والصحيح ما قدمناه ثم قال تعالى حتى اذا
بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التي انعمت على وعلى

(والذى قال لوالديه)
عند دعوتهم الى الإيمان
(أف لكم) هو صوت
يصدر عن المرء عند
تضجره واللام ابيان
الموقف له كما في هيت لك
وفرى أف بالفتح والكسر
بغير تنوين وبالمركات
الثلاث مع التوين
والمرصول عبارة عن
الجنس القائل ذلك
انقول ولذلك أخبره
بالمجموع كما سبق قل
هـ في الكافر العشق
لوانديه المكذب بالهت
وعن

والذي وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اختلف المفسرون في تفسير الاشد قال ابن عباس في رواية عطاه يريد ثمانى عشرة سنة والاكثر من المفسرين على انه ثلاثة وثلاثون سنة واحجج الغراء عليه بأن قال ان الاربعين اقرب في المنسق الى ثلاث وثلاثين منها الى ثمانية عشر الا ترى انك تقول أخذت عامة المال أو كله فكيف يكون أحسن من قولك أخذت أقل المال أو كله ومثله قوله تعالى ار ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثنى الليل ونصفه وثله فبعض هذه الأقسام قريب من بعض تكذا هيما وقال الزجاج الاولى حله على ثلاث وثلاثين سنة لان هذا الوقت الذي يكمل فيه بدن الانسان وأقول تحق في الكلام في هذا الباب أن يقال ار مراتب سن الحيوان ثمة وذلك لان بدن الحيوان لا يتكون الا برطوبة غريزية وحارة غريزية ولا شك ان الرطوبة الغريزية غالبة في أول العمر ونافصة في آخر العمر والاتصال من زيادة الى نقصان لا يعقل حصوله الا اذا حصل الاستواء في وسط مائتين الميتين فثبت امة العمر منقسمة الى ثلاثة أقسام (أولها) ان تكون الرطوبة الغريزية زائدة على الحرارة الغريزية وجبئذ تكون الاعضاء قابلة للتعدد في ذواتها وللزيادة بحسب الطول والعرض والعمق وهذا هو سن النشو والنماء (والمرتبة الثانية) وهي المرتبة المتوسطة أن تكون الرطوبة الغريزية وافية بحفظ الحرارة الغريزية من غير زيادة ولا نقصان وهذا هو سن الوقوف وهو سن الشباب (والمرتبة الثالثة) وهي المرتبة الاخيرة أن تكون الرطوبة الغريزية ناقصة عن الوفاء بحفظ الحرارة الغريزية ثم هذا التقصان على قسمين (فالاول) هو التقصان الحقي وهو سن الكهولة (والثاني) هو التقصان الظاهر وهو سن الشيخوخة فهذا ضبط معلوم ثم ههنا مقدمة أخرى وهي ان دور القمر انما يكمل في مدة ثمانية وعشرين يوما وشئ فاذا قسمنا هذه المدة بأربعة أقسام كان كل قسم منها سبعة فلهذا السبب قدرنا الشهر بالاسباع الاربعة ولمن هذه الاسباع تأثيرات عظيمة في اختلاف أحوال هذا العالم اذا عرفت هذا فنقول ان المحققين من أصحاب التجارب قسموا مدة سن النماء والنشو الى أربعة أسابيع ويحصل للآدمي بحسب انتهاء كل سابع من هذه السوابيع الاربعة نوع من التغير يؤدي الى كماله اما عند تمام السابع الاول من العمر فتصلب أعضاؤه بعض الصلابة وتقوى أفعاله أيضا بعض القوة وتبدل اسنانه الضعيفة الواهية باسنان قوية وتكون قوة الشهوة في هذا السابع أقوى في الهضم مما كان قبل ذلك واما في نهاية السابع الثاني فتقوى الحرارة وتقل الرطوبات وتنسج المجاري وتقوى قوة الهضم وتقوى الاعضاء وتصلب قوة وصلابة كافية ويتولد فيه مادة الزرع وعند هذا يحكم الشرع عليه بالبلوغ على قول الشافعي رضى الله عنه وهذا هو الحق الذي لا يحمده عنه لان هذا الوقت لما قويت الحرارة الغريزية قلت الرطوبات واعتدل الدماغ فتكامل القوى النفسانية التي هي الفكر والذكر فلا جرم يحكم عليه بكمال العقل فلا جرم حكمت

قتادة هو نعت عبيد
عاق والديه فاجر له به
وما روى من أنها زلت
في عبد الرحمن بن أبي
بكر رضى الله عنهما قبل
اسلامه برده ما سألني
من قوله تعالى اولئك
الذين حق عليهم القول
الآية فانه كان من
أفاضل المسلمين
وسروانهم وقد كذبت
الصديقة رضى الله
عنها من قال ذلك
(أن بعد اننى أن أخرج)
أبعث من القبر بعد الموت
وقرى أخرجه من الخروج
(وقد دخلت القرون من
قبلى) ولم يبعث

الشرعية بالبلوغ وتوجه التكليف الشرعية فأحسن قول من ضبط البلوغ الشرعي بخمس عشرة سنة وعلم انه يتفرع على حصول هذه الحالة أحوال في ظاهر البدن (أحدها) انقراض طرف الأربية لأن الرطوبة الغريزية التي هناك تنقص فيظهر الانقراض (وثانيها) تنوؤ الخجرة وظل الصوت لأن الحرارة التي تنهض في ذلك الوقت توسع الخجرة فتنتوؤ ويغلظ الصوت (وثالثها) تغير ريح الأبط وهي الفضلة العفينة التي يدفعها القلب إلى ذلك الموضع وذلك لأن القلب لما قويت حرارته لاجرم قويت على انضاج المادة ودفعها إلى اللحم الغددي الرخو الذي في الأبط (ورابعها) نبات الشعر وحصول الاحتلام وكل ذلك لأن الحرارة قويت فقدرت على توليد البخيرة المولدة للشعر وعلى توليد مادة الزرع وفي هذا الوقت تتحرك الشهوة في الصبايا وينهض دهن ويغزل حبصهن وكل ذلك بسبب ان الحرارة الغريزية التي فيهن قويت في آخر هذا السابوع وأما في السابوع الثالث فيدخل في حد الكمال وينت للذكر اللحية ويزداد حسنه وكاله وأما في السابوع الرابع فلا تزال هذه الأحوال فيه متكاملة بتزايد وعند انتهاء السابوع الرابع نهاية أن لا يظهر الازدياد امامه من الشباب وهي مدة الوقوف فسابوع واحد فيكون المجموع خمسة وثلاثين سنة لما كانت هذه المدة اما قد تزداد واما قد تنقص بحسب الامرجة جعل الغاية فيه مدة أربعين سنة وهذا هو السن الذي يحصل فيه الكمال اللائق بالإنسان سرعا بطمان في هذا الوقت تسكن أفعال القوى الطبيعية بعض السكون وتنتهي له أفعال القوة الحيوانية فاعلم تبدى أفعال القوة النفسانية بالقوة والكمال وإذا عرفت هذه النسخة طهرت ان يتبع للانسان وقت الاشدهشي وبلوغه إلى الأربعين شي آخر فان وقع إلى وقت الاشدهعبارة عن الوصول إلى آخر سن الشو والنماء وأن وقع إلى الأربعين عبارة عن الوصول إلى آخر مدة الشباب ومن ذلك الوقت تأخذ القوى الطبيعية والحيوانية في الانحسار وتأخذ القوة العقلية والنطقية في الانقياض والنفس من وقت الأربعين تأخذ في الاستكمال ولو كانت النفس عين البدن لحصل للشي الواحد في الوقت الواحد الكمال وانتقصان ذلك مجال وهذا الكلام امر في ذكرناه ونخصناه مذكور في صريح لفظ القرآن لا نأينا ان عند الأربعين تنتهي الكمالات الحاصلة بسبب القوى الطبيعية والحيوانية وأما الكمالات الحاصلة بحسب القوى النطقية والعقلية فانها تبدي بالاستكمال والدليل عليه قوله تعالى حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي فهنا يدل على ان توجه الانسان إلى عالم العبودية والاشتغال بطاعة الله انما يحصل من هذا الوقت وهذا نص صريح بان القوة النفسانية العقلية النطقية انما تبدي بالاستكمال من هذا الوقت فسبحان من أودع في هذا الكتاب الكريم هذه الاسرار الشريفة

منهم أحد (وهما يستغيثان الله) بسألانه أن يغنيه ويوفقه للإيمان (ويلاك) أي قائلين له يلاك وهو في الأصل دعاء عليه بالشور أو يديه الحث والتحريض على الإيمان لاحقة الهلاك آمن ان وعد الله حق أي البعث أو صفاء البدن العالي تحقيقا للحق وتبليها على خطئه في اسناد أو عدليه ما ودرى أن وعد الله أي أن بأن وعد الله حق (قبول) مكتبا لهما

المقدسة قال المفسرون لم يبعث نبي قط الا بعد أربعين سنة وأقول هذا مشكل بعيسى عليه السلام فان الله جعله نبيا من أول عمره الا انه يجب أن يقال الاغلب أنه مجاهد الوحي الا بعد الأربعين وهكذا كان الامر في حق رسولنا صلى الله عليه وسلم ويروى ان عمر بن عبد العزيز لما بلغ أربعين سنة كان يقول اللهم أوزعني أن أشكر نعمك الى تمام الداء وروى انه جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يوشم الحافظان أن ارفقا بمبدى من حداثته منه حتى اذا بلغ الأربعين قبل احفظا وحققا فكان راوى هذا الحديث اذا ذكره الحديث يكي حتى يقتل لحبته رواه القاضي في التفسير (المسئلة الثانية) اعلم ان قوله تعالى حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة يدل على ان الانسان كالاحتياج الى مرعاة الوالدين له الى قريب من هذه المدة وذلك لان العقل كالتام فليس فلا بد له من رعاية الابوين على رعاية الصالح ودفع الآفات وقيل تنبيه على ان نعم الله الدين على الوالد بعد دخوله في الوجود فمما الى هذه المدة الطول لله في ذلك يدل على ان نعم الوالد ان كان يخرج عن وسع الانسان مكافأتها لا باعاء وانذكر الجليل (المسئلة الثالثة) حكى الواحدى عن ابن عباس وقوم كثير من متأخري المفسرين ومقدمهم ان هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه قالوا والاصل عليه ان الله تعالى قد رقت الخلق والقصاص ههنا بمقدار يعلم انه قد رقت له بسبب اختلاف الناس في هذه الاحوال فوجب أن يكون المنصوص منه شخصا واحدا حتى يقال ان هذا التقدير اخبار عن حال فيمكن ان يكون أبو بكر كل حمله وفصله هذا التقدير ثم قال تعالى في صفة ذلك الانسان حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني ان أشكر نعمك التي أنعمت على وعلى والنبي ومعلوم انه ليس كل انسان يقول هذا القول فوجب أن يكون المراد من هذه الآية انسانا معينا قال هذا القول واما أبو بكر فقد قال هذا القول في قريب من هذا السن لانه كان أقبل سنا من النبي صلى الله عليه وسلم بستين وشي والنبي صلى الله عليه وسلم بعث عند الأربعين وكان أبو بكر قريبا من الأربعين وهو قد صدق النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به فثبت بما ذكرناه ان هذه الآيات صالحة لان يكون المراد منها أبو بكر واذا ثبت القول بهذه الصلاحية فقول ندعى انه هو المراد من هذه الآية ويدل عليه انه تعالى قال في آخر هذه الآية اولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا و نتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وهذا يدل على ان المراد من هذه الآية افضل الخلق لان الذي يتقبل الله عنه أحسن أعماله ويتجاوز عن كل سيئاته يجب أن يكون من أفاضل الخلق وأكابرهم واجمعت الامة على ان افضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اما أبو بكر واما علي ولا يجوز أن يكون المراد من هذه الآية علي بن أبي طالب رضي الله عنه لان هذه الآية انما نلتق عن أبي بهذه الكلمة عند بلوغ الأشد وعند القرب من الأربعين وعلي بن أبي طالب ما كان كذلك لانه انما آمن في زمان الصبا او عند القرب من

(ما هذا) الذي تسميه انه
وعند الله (الأساطير
الاولين) أباطيلهم اني
سطيروها في الكتب
غير أن يكون نها
حقيقة (أولئك)
اتقانون هذه المات
اباطلة (الذين حق
عليهم القول) وهو
قوله تعالى لا بليس
لاملان جهنم امك
ومن تبعك منهم
أجمعين كما يبنى عنه
قوله تعالى (في ام قد
خلت من قبلهم من
الجن والاناس) وقدمى
تفصيله في سورة الم
المجدة

الصبا فثبت ان المراد من هذه الآية هو أبو بكر والله أعلم (المسئلة الرابعة) قوله تعالى
أوزعني قال ابن عباس معناه ألهمني قال صاحب الصحاح أوزعته بالشيء أعزته به فاوزع
به فهو موزع به أي معزى به واستوزعت الله شكره فاوزعني أي استلهمته فالهمني
(المسئلة الخامسة) أعلم انه تعالى حكى عن هذا الداعي انه طاب من الله تعالى ثلاثة أشياء
(أحدها) ان يوفق الله للشكر على نعمه (والثاني) ان يوفقه للاتباع بالطاعة المرضية عند
الله (والثالث) أن يصلح له في ذريته وفي ترتيب هذه الأشياء الثلاثة على الوجه المذكور
وحجاء (الاول) اننا بينا ان مراتب السعادات ثلاثة أكملها النفسانية وأوسطها البدنية
وأدونها الخارجية والسعادات النفسانية هي اشتغال القلب بشكر آلاء الله ونعمائه
وسعادات البدنية هي اشتغال البدن بالطاعة والخدمة والسعادات الخارجية هي
سعادة أهل والنوال فلما كانت المراتب محصورة في هذه الثلاثة لاجرم ترتيبها الله تعالى على
هذا الوجه (والباب الثاني) لرعاية هذا الترتيب أنه تعالى قدم الشكر على العمل لان
الشكر من أعمال القلوب والعمل من أعمال الجوارح وعمل القلب أشرف من عمل
الجوارح وأيضاً المقصود من أعمال الظاهرة أحوال القلب قال تعالى وأقم الصلاة
لذكرى بين ان الصلاة مطلوبة لاجل انها تفيد الذكر فثبت ان أعمال القلوب أشرف من
أعمال الجوارح والأشرف يجب تقديمه في الذكر وأيضاً الاشتغال بالشكر اشتغال بقضاء
حقوق النعم الماضية والاشتغال بالطاعة الظاهرة اشتغال بإطاب النعم المستقبلية وقضاء
الحقوق الماضية يجري مجرى قضاء الدين وطب للمؤمن المسئلة طلب ان يؤدوم
ان قضاء الدين مقدم على سائر المهمات لمهذ السبب قدم الشكر على سائر الطاعات
وأيضاً أنه قدم طلب التوفيق على الشكر وطلب التوفيق على الطاعة على طلب أن يصلح له
ذريته وذلك لان المطلوبين الاولين اشتغال بالعظيم لامر الله والمطلوب الثالث اشتغال
بالشفقة على خلق الله ومعلوم ان التعظيم لامر الله يجب تقديمه على الشفقة على خلق الله
(المسئلة السادسة) قال أصحابنا ان العبد يطلب من الله تعالى أن يلهمه الشكر على نعم
الله وهذا يدل على انه لا يتم شيء من الطاعات والاعمال الا باعانة الله تعالى ولو كان
العبد مستقلاً بفعاله لكان هذا الطالب عبثاً وأيضاً المفسرون قالوا المراد من قوله
أوزعني ان أشكر نعمك التي أنعمت على هو الايمان أو الايمان يكون داخل فيه والدليل
عليه قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم المراد صراط الذين
أنعمت عليهم بنعمة الايمان واذا ثبت هذا فنقول العبد يشكر الله على نعمة الايمان فلو
كان الايمان من العبد لامن الله لكان ذلك شكر الله تعالى على فعله لا على فعل غيره
وذلك قبيح أقوله تعالى ويحبون أن يمحذوا بما لم يفعلوا فان قيل فهم أن يشكر الله
على ما أنعم به عليه فكيف يشكره على النعم التي أنعم بها على والديه وانما يجب على
الرجل أن يشكر ربه على ما يصل اليه من النعم قلنا كل نعمة وصلت من الله تعالى الى

(انهم جميعاً) كانوا
خاسرين (قد ضيعوا)
فطرهم الاصلية الجارية
بجى رؤس أموالهم
ياتباعهم الشيطان
والجملة تعليل للحكم
بطريق الاستثناف
الحقة في (ولكل)
من القرنيين المذكورين
(درجات مما عملوا) مراتب
من أجزأة ما عملوا
من الخير والشهد والدرجات
المثوبة وإيرادها ههنا
بطريق التعليل
(وليوفهم أعمالهم) أي

أجزية أعمالهم وقرى
بنون العظيمة (وهم
لا يطلون) بنقص ثواب
الاولين وزيادة عقاب
الآخرين والجملة اما
حال مؤكدة للتوفيق
أو استئناف مقرر لها
واللام متعلقة بمحذوف
مؤخر كانه قبل ولوفهم
أعمالهم ولا يظلمهم
حقوقهم فعل مافعل
من تقدير الجزية
على مقادير أعمالهم
فجوز ثواب درجات
والعقاب درجات (ويوم
به ض

والديه فقد وصل منها أثر إليه فلذلك وصاه الله تعالى على ان يشكر ربه على الامرين
(وأما المطلوب الثاني) من المطالب المذكورة في هذا الدعاء فهو قوله وان اعمل صالحا
ترضاه واعلم ان الشيء الذي يعتقد الانسان فيه كونه صالحا على قسمين (أحدهما) الذي
يكون صالحا عنده ويكون صالحا عند الله تعالى (والثاني) الذي يظنه صالحا ولكنه
لا يكون صالحا عند الله تعالى فلما قسم الصالح في ظنه الى هذين القسمين طلب من الله
أن يوفقه لأن يأتي بعمل صالح يكون صالحا عند الله ويكون مرضيا عند الله (والمطلوب
الثالث) من المطالب المذكورة في هذه الآية قوله تعالى وأصلح لي في ذريتي لأن ذلك من
أجل نعم الله على الوالد كما قال ابراهيم عليه السلام واجتنبني وبني أن نعبد الاصنام
فان قيل ما معنى في في قوله وأصلح لي في ذريتي قلنا تقدير الكلام حب لي الصلاح في ذريتي
وأوقعه ففهم واعلم انه تعالى لما حكى عن ذلك الداعي انه طلب هذه الاشياء الثلاثة قال
بعد ذلك اني ثبت اليك واني من المسلمين والمراد ان الدعاء لا يصح الا مع التوبة الا مع
كونه من المسلمين فتبين أني انما أقدمت على هذا الدعاء بعد أن ثبت اليك من الكفر
وم كل قبيح وبعد أن دخلت في الاسلام والانقياد لأمر الله تعالى وفضائه وعلم ان
الذين قالوا ان هذه الآية نزلت في أي بكر قالوا ان أبي بكر أسلم والداه ولم يتقوا لاحد من
صحابة والمهاجرين اسلام الابوين الا انه قابوه أبو قحافة عثمان بن عمرو وأنه أم الخ بنت
صخر بن عمرو وقوله وأراهم صالحا ترضاه قال ابن عباس فاجابه الله اليه حتى تدمع من
أؤمنين يعدون في الله منهم بلال وعامر بن زهير ولم ترد شأ من الخير وصاه الله عليه
وقوله تعالى وأصلح لي في ذريتي قال ابن عباس لم يبق لي بكر ولد من الذكور لانث
الاولد آمنوا ولم يتفق لاحد من الصحابة أن أسلم أبواه وجيم أولده المذكور وانث
الا لا ي بمرحم قال تعالى وأهلك هذا القول الذين يتقبل عنهم قرى ضم لسانه
على بناء الفعل للمفعول وقرى بالنون المفتوحة وكذلك تجاوز وكلاهما في المعنى واحد
لان الفعل وان كان مبنيًا للفعل فاعلم انه لله سبحانه فهو كقولهم يغفر لهم ما قد سلف
فتبين تعالى بقوله وأهلك الذين يتقبل عنهم أحسن ما عملوا أن من تقدم ذكره ممن يدعو
بهذا الدعاء وبسلك هذه الطريقة التي تقدم ذكرها تتقبل عنهم والتقبل من الله هو
ايجاب الثواب له على عمله فان قيل ولم قال تعالى أحسن ما عملوا والله يتقبل احسن
وما دونه قلنا الجواب من وجوه (الاول) المراد بالاحسن الحسن كقوله تعالى واتبعوا
أحسن ما أنزل اليكم من ربكم وكقولهم النفاق والاشجع اعدا لابي مروان أي عاد لابي
مروان (الثاني) ان الحسن من الاعمال هو المباح الذي لا يتعلق به ثواب ولا عقاب
والاحسن ما يغاير ذلك وهو كل ما كان مندوبا وواجبا ثم قال تعالى وتجاوز عن
سيئاتهم والمعنى انه تعالى يتقبل طاعاتهم ويتجاوز عن سيئاتهم ثم قال في أصحاب الجنة
قال صاحب الكشاف ومعنى هذا الكلام مثل قولك أكرمني الامر في مائتين من أصحابه

يريدا كرمي في جملة من أكرم منهم وضئني في عدادهم ومحله النصب على الحال على
معنى كاشين في أصحاب الجنة ومعدودين منهم وقوله وعد الصدق مصدر مؤن كدلان قوله
تقبل وتجاوز وعد من الله لهم بالتقبل والتجاوز والمقصود بيان أنه تعالى يعامل من
صفته ما قدمناه بهذا الجزاء وذلك وعد من الله تعالى فيبين أنه صدق بولا شك * قوله
تعالى (والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما
يسئنيما الله وبك آمن إن وعد الله حق فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين أوئك
الذين حق عليهم لق في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس انهم كانوا خاسرين
ولكل درجات مما عملوا وليوفهم أعمالهم وهم لا يظلمون ويوم يعرض الذين كفروا
على النار اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون
بما كنتم تستكبرون في الأرض فغير لحق وبما كنتم تكفرون) اعلم انه تعالى لما وصف
الولد البار بوالديه في الآية المذكورة فوالد العاق لوالديه في هذه الآية فقال والذي
قال لوالديه أف لكما وفي هذه الآية قولان (الاول) انه انزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر
قالوا كان أبواه يدعونه الى الاسلام فبابي وهو قوله أف لكما واحتج القائلون بهذا القول
على صحته بما لما كتب معاوية الى مروان بأن يابغ الناس ليزيد قال عبد الرحمن بن
أبي بكر لقد جئتم بهاهر فليمة اتبايعون لا يبايعكم فقال مروان يا أباها الناس هو الذي قال
الله به والذي قال لوالديه أف لكما (واقول الثاني) انه ناس المراد منه شخص معين بل
المراد منه كل من كان موصوفا بهذه الصفة وهو كل من دعاه أبواه الى الدين الحق فأباه
وأنكره وهذا القول هو الصحيح عندنا ويدل عليه وجوه (الاول) انه تعالى وصف هذا
الذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني بقوله أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت
من قبلهم من الجن والإنس انهم كانوا خاسرين ولا شك ان عبد الرحمن آمن وحسن
اسلامه وكان من سادات المسلمين فبطل حمل الآية عليه فان قالوا روى انه لما دعاه
أبواه الى الاسلام وأخبراه بالبعث بعد الموت قال أتعدانني أن أخرج من القبر يعني
أبعث بعد الموت وقد خلت القرون من قبلي يعني الامم الخالية فلم أر أحدا منهم بعث فابن
عبد الله بن جده عان وأين فلان وفلان اذا عرفت هذا فنقول قوله أولئك الذين حق عليهم
القول المراد هؤلاء الذين ذكرهم عبد الرحمن من المشركين الذين ماتوا قبله وهم الذين حق
عليهم القول وبالجملة فهو عائد الى المشار اليهم بقوله وقد خلت القرون من قبلي لا الى
المشار اليه بقوله والذي قال لوالديه أف لكما هذا ما ذكره الكلبي في دفع ذلك الدليل وهو
حسن (والوجه الثاني) في إبطال ذلك القول ما روى ان مروان لما خاطب عبد الرحمن
ابن أبي بكر بذلك الكلام سمعت مائسة ففوضت وقالت والله ما هو به ولكن الله أعن
أباك ما انت في صلبه (الوجه الثالث) وهو الأقوى أن يقال انه تعالى وصف الولد البار

الذين كفروا على النار
أى يعذبون بها من أولهم
عرض الاسارى على
السيف أو قوديل
يعرض نساير عليهم
نظر أو الغلب مائة
(أدعيتهم طيباتكم) أى
نسالهم ذات وهو
الاصب الطرف ومضى
أدعيتهم طيباتكم وبأنف
بينهم ما على لاستفهام
انوي يحنى أى أصبتهم
واخذتهم ما كتب لكم
من حظوظ الدنيا
ولذا نذها (في حياتكم
الدنيا

بأبويه في الآية المقدمة ووصف الولد العاق لأبويه في هذه الآية وذكر من صفات
 ذلك الولد أنه بلغ في العقوق إلى حيث لمادعاه أبواه إلى الدين الحق وهو الاقرار بالبعث
 والقيامة أصراً على الإنكار وأبى واستكبر وعول في ذلك الإنكار على شبهات خسيسة
 وكلمات واهية وإذا كان كذلك كان المراد كل ولد اتصف بالصفات المذكورة ولا حاجة
 البتة إلى تخصيص اللفظ المطلق بشخص معين قال صاحب الكشاف قرئ: أفى بالفتح
 والكسر بغير تنوين وبالمركان الثلاث مع التنوين وهو صوت إذا صوت به الإنسان علم
 أنه متعجب كما إذا قال حس علم أنه متوجع واللام للبيان معناه هذا التأنيف لكما خاصة
 ولا جلكمادون غير كما قرئ: أتعداني بنونين وأتعداني بأحدهما وأتعداني بالأدغام وقرأ
 بعضهم أتعداني بفتح التاء كأنه استعمل اجتماع النونين والكسرين والياء ففتح الأولى
 نحر بالتخفيف كإجراه من أدغم ومن طرح أحدهما ثم قال أن أخرج أي أنا بعت
 وأخرج من الأرض وقرئ: أخرج وقد دخلت القرون من قبلي يعني ولم يبعث منهم أحد
 ثم قال وهما يستغيثان الله أي الوالدان يستغيثان الله فإن قالوا كان الواجب أن يقال
 يستغيثان الله قلنا الجواب من وجهين (الأول) أن المعنى أنهما يستغيثان الله من كفره
 وإنكاره فلما حذف الجار وصل الفعل (الثاني) يجوز أن يقال الباء حذف لأنه أريد
 بالاستغاثة ههنا الدعاء على ما قاله المفسرون يدعون الله فلما أريد بالاستغاثة الدعاء حذف
 الجار لأن الدعاء لا يقتضيه وقوله يلاك أي يقولان له يلاك آمز وصدق بآية وهو دعاء
 عليه بالبور والمراد به الخلق والتكرير على الإيمان لاحقية الهلاك ثم قال إن الله
 بالبعث حق فيقول لهما ما هذا الذي تقولان من أمر البعث وتدعوانني إليه الأساطير
 الأولى ثم قال تعالى ألك الذين حق عليهم القول أي حقت عليهم كلمة العذاب ثم ههنا
 قولان فالذين يقولون المراد بنزول الآية عبد الرحمن بن أبي بكر قالوا المراد بهؤلاء الذين
 حقت عليهم كلمة العذاب هم القرون الذين خلوا من قبله والذين قالوا راد به ليس
 عبد الرحمن بل كل ولد كان موصوفاً بالصفة المذكورة قالوا هذا الوعد يختص بهم وقوله
 في أئمة نظير لقوله في أصحاب الجنة وقد ذكرنا أنه نظير لقوله أكرمني الأمير في أناس من
 أصحابه يريد أكرمني في جملة من أكرم منهم ثم قال أنهم كانوا أخاسر بن وقرئ: أن يفتح
 على معنى آمن بأن وعد الله حق ثم قال ولكل درجات مما عملوا وفيه قولان (الأول) أن الله
 تعالى ذكر الولد البار ثم أرففه بذكر الولد العاق فقوله ولكل درجات مما عملوا خاص
 بالموثمين وذلك لأن الموثمين البار بوالديه له درجات متفاوتة ومرة أتب مختلفة في هذا الباب
 (والقول الثاني) أن قوله ولكل درجات مما عملوا عائد إلى الفريقين والمعنى ولكل واحد
 من الفريقين درجات في الإيمان والكفر والطاعة والمعصية فإن قالوا كيف يجوز ذكر
 لفظ الدرجات في أهل النار وقد جاء في الأثر الجنة درجات والنار درجات قلنا فيه وجوه
 (الأول) يجوز أن يقال ذلك على جهة التعليل (الثاني) قال ابن زيد درج أهل الجنة

واستمتع بها فلم يبق
 لكم بعد ذلك شيء منها
 (فالיום تجزون عذاب
 الهون) أي الهوان
 وقد قرئ كذلك (بما
 كنتم) في الدنيا (تستكبرون
 في الأرض بغير الحق)
 بغير استخفاف لذلك
 (وبما كنتم تفسقون)
 أي تخرجون عن طاعة
 الله عز وجل أي بسبب
 استكباركم وفسقكم
 المستترين وقرئ تفسقون
 بكسر السين

(واذكر) أي لكفار مكة (أخاذا) أي هـ دعاهم إلى الإسلام (أذا نذر قومهم) بدل اشتغال منه أي وقت انذارهم (بالاحقاف) جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع وانهاء الحروف (أذا هوج) وكانت عاد أصحاب عبد يسكنون بين رمال مشرفة على البحر يارض يقال لها الشجر من بلاد اليمن وقبل بين عمان ومهرة (وقد خلت انذر) أي الرسل جمع نذر بمعنى النذر (م بين يديه) أي م قبله ﴿٥١٣﴾ (ومن خلفه) أي من بعده والجملة اعتراض مقرر لما قبله مؤكدا

وجوب العمل بوجود الانذار وسط بين انذار قومهم وبين فعله لأن لا تعبدوا الا الله) مساره الى ما ذكر من التقرير التأكيد والذبا بامتناعهم في البنية للحكمة والمعنى واذا نذر قومك انذارهم يوم عابده اشرك والاعذاب العظيم انذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه قومهم مثل ذلك فاذا نذرهم وأما جعلها حلا من فاعل انذر على معنى أنه عليه الصلاة والسلام انذرهم وقال لهم لا تعبدوا الا الله (أي) أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) وقد أعلمهم أن الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره فمع ما فيه من تكلف تقدير الاعلام لابد في نسبة الخلو الى من بعده من الرسل من تنزيل الاتي منزلة الخصال (قالوا) اجئتنا لنا فكننا) أي نصرنا (عن آلهنا) عن عبادتنا (فاننا بما

يذهب علوا ودرجاً هـ النار ينزل هبوطاً) الثالث المراد بالدرجات المراتب المترتبة الان زادات أهر الجنة في الخيرات والطاعات وزادات أهل النار في المعاصي والسيئات ثم قال تعالى اليوم هم فرقى بآلهم هذا تعويل معمله مخدوف للدلالة الكلام عليه كأنه قيل واليوم هم أعمالهم وبطاعتهم وقعودهم قدر جزاءهم على مقادير أعمالهم فجعل الثواب درجات واسباب درجات ولما بين الله تعالى انه يوصل حق كل أحد اليه بين أهل الجنة وأهل النار وبوم يعرض الذين كفروا على النار فويل يدخلون النار فجعل الله ض عليهم النار لئلا يفرحوا بأهلها أفهنت طيباتكم في حياتكم الدنيا أو أن كثيرا أفهنت استغفام بهمرة ومدة وابن عامر استغفام بهمزتين بلامد والباقيون أفهنت بلغه الخبر والمعنى ار كل ما قدر لكم من الطيبات والراحات فقد استوفيتوه في الدنيا وأخذتموه فلم يبق لكم يد استغفام خطكم شئ منها وعن عرلوشث لكتب أطيبكم طعاما وأحسنكم لباسا ولكن استبق طيباتي وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه دخل على أهل الصفة وهم رقعون ثيابهم بالأدم ما يجدون إهارة فلما قال أتم اليوم خير أم يوم يغدو أحسنكم في حلة و يروح في أخرى ويغدى عليه بحقة ويراح عليه بأخرى ويستريته كاستر الكعبة قالوا نحن يومئذ خير قال بل أتم اليوم خير رواه صاحب الكشف قال الواحدى ان الصالحين يؤثرون التقشف والزهد في الدنيا رجاء ان يكون ثوابهم في الآخرة اكمل الا ان هذه الآية لا تدل على المنع من التمتع لان هذه الآية وردت في حق الكافر وانما يوح الله الكافر لانه يتمتع بالدنيا ولم يؤد شكر المنعم بطاعته والايان به وأما المؤمن فانه يؤدى بآيانه شكر المنعم فلا يوح بآيانه والدليل عنه قوله تعالى قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق نعم لا ينكر ان الاحتراز عن التمتع أولى لان النفس اذا اعتادت التمتع صعب عليها الاحتراز والانقياض وجئته فر بما حله الميل الى تلك الطيبات على فعل ما لا ينبغي وذلك مما يجز بعضه الى بعض ويقع في البعد عن الله تعالى بسببه ثم قال تعالى فال يوم تجزون عذاب الهون أى الهوان وقرئ عذاب الهوان ما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون فعمل تعالى ذلك العذاب بأمرين (أولهما) الاستكبار والترفع وهو ذنب القلب (والثاني) الفسق وهو ذنب الجوارح وقدم الاول على الثاني لان أحوال القلوب أعظم وقسا من أعمال الجوارح ويمكن أن يكون المراد من الاستكبار انهم يتكبرون عن قبول الدين الحق ويستكفون عن الايمان بمحمد عليه الصلاة والسلام وأما الفسق فهو المعاصي واحتج أصحابنا بهذه الآية على ان الكفار مخاطبون بفروع الشرائع قالوا لانه تعالى علل عذابهم بأمرين (أولهما) الكفر (وثانيهما) الفسق وهذا الفسق لابد وان يكون مغايرا لذلك الكفر لان العطف يوجب المغايرة فثبت ان فسق الكفار يوجب العقاب لافساقهم ولا معنى للفسق الا ترك المأمورات وفعل المنهيات

تعدنا) من العذاب العظيم (ان كنت) ٦٥ ﴿٦٥﴾ من الصادقين) في وعدك بترؤله بنا (قال انما العلم) أي بوقت نزوله وأعلم بجميع الاشياء التي من جهنم اذناك (عند الله) وحده لأعلم بوقت نزوله ولا مدخل في آيانه وحلوله وانما علمه عند الله تعالى بآياتكم به في وقته لمقدره (وابلغكم ما أرسلت به) من مواجب الرسالة التي من جلالتها

بيان نزول العذاب ان لم تنهوا عن الشرك من غير وقوف على وقت نزوله وقرئ ابلغكم من الابلاغ (ويعني ابلغهم عودا
 تجهلون) حيث فقدت حقون على ما ليس من وظائف الرسل من الايمان بالعذاب وتعيين وقته والقائه (فلما راوه)
 فصحة العنبر امامهم يوضحه قوله تعالى (عارضاً) اما تميزاً او حالاً وراجع الى ما استعملوه بقولهم فأتينا بما تعدنا اى
 فأتاهم فلما راوه صحابهم من في أفق السماء (مستقبل أوديتهم) ٥١٤ هـ أى متوجه أوديتهم والاضافة فيه

والله اعلم بقوله تعالى (واذكر أخاعاد اذ أنذر قومهم بالاحقاف وقد خلت انذار من بين
 يديه ومن خلقه ان لا تعبدوا الا الله انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم قالوا أجئتنا
 لنا فكنا عن آلهتنا وأتانا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال انما العلم عند الله وأبلغكم
 ما أرسلت به ولكنى أراكم قوما تجهلون فلما راوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا
 عارض مطر ناله وما استعملتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شئ بأمر ربها وأصحبوا
 لازى الامسا كنهم كذلك تجزى القوم الجرمين ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه
 وجعلناهم سمعاً وبصاراً وأشد فاعنى عنهم مسمع ولا تبصراهم ولا فقتهم من شئ
 اذ كانوا يحدسون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) اعلم ان تعالى لما أورد أنواع
 الدلائل في اثبات التوحيد والنبوة وكان أهل مكة بسبب استغراقهم في لذات الدنيا
 واشغالهم بطبها أعرضوا عنه ما لم يلتفتوا اليها ولهذا السبب قال تعالى في حقهم ويوم
 يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طياتكم في حياتكم الدنيا فلا كان الامر كذلك
 بين ان قوم عاد كانوا أكثر أموالاً وقوة وجها منهم ثم ان الله تعالى سلب العذاب عليهم
 بسبب شؤم كفرهم فذكر هذه القصة ههنا لتعبر بها أهل مكة فيتركوا الاعتزاز بما جددوه
 من الدنيا و يقبلوا على طلب الدين فلهذا المعنى ذكر الله تعالى هذه القصة في هذا الموضع
 وهو مناسب لما تقدم لان من أراد تقبيل طريقه عند قوم كاذب الضرب في فيه ضرب
 الامثال وتقريره ان من واطب على تلك الطريق يقر به من البلاء كذا وكذا وتو. تعالى
 واذر أخاعاد أى واذكر يا محمد لقومك أهل مكة هودا عليه السلام اذ أنذر قومهم أى
 حذرهم عذاب الله ان لم ينؤمنوا وهوا بالاحقاف قال أبو سبيدة الخفاف الرجل المذبح
 ومنه قيل للمذبح مخوف وقال الغراء الاحقاف واحدها حقف وهو انكسب المكسر
 غير العظيم وفيه اهوجاج قال ابن عباس الاحقاف واديين عمان ومهرة وانذر جمع نذر
 معنى المنذر من بين يديه من قبله ومن خلفه من بعده والمعنى انه ودا عليه السلام قد
 أنذرهم وقال لهم ان لا تعبدوا الا الله انى أخاف عليكم العذاب واعلم ان الرسل الذين
 بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم مندرون نحو انذاره ثم حكى تعالى عن الكفار انهم
 قالوا أجئتنا لنا فكنا اذ لك الصرغ يقال أهلك عن رأيه أى صرفه وقيل بل المراد لتزييلنا
 بضرب من الكذب عن آلهتنا وعن عبادتها وأتينا بما تعدنا من معاجلة العذاب على
 الشرك ان كنت من الصادقين في وعدك فعند هذا قال هود انما العلم عند الله وانما صلح
 هذا الكلام جواباً لقولهم فأتينا بما تعدنا لان قولهم فأتينا بما تعدنا استعجال منهم لذلك
 العذاب فقال لهم هود لا علم عندى بالوقت الذى يحصل فيه ذلك العذاب انما علم ذلك عند
 الله تعالى وأبلغكم ما أرسلت به وهو التحذير عن العذاب وأما العلم بوقته فأوحاه الله الى
 ولكنى أراكم قوما تجهلون وهذا يحتمل وجوها (الاول) المراد انكم لا تعلمون ان الرسل

الفضية كفى قوله تعالى
 قالوا هذا عارض مطرنا
 ولذلك وقع وصفين
 للتكرار (بل هو) أى قال
 هود وقد قرئ كذلك
 وقرئ قل وهو رده عليهم
 أى ليس الامر كذلك
 بل هو (ما استعملتم به)
 من العذاب (ريح) يدل
 ما أوحى الله ليدحضوف
 (فيها عذاب أليم) سفوف
 ريح وكذا قوله تعالى
 (تدمر) أى تهلك (كل
 شئ) من نفسهم
 وأموالهم (بأمر ربها)
 وقرئ يدمر كل شئ
 من دمره اذ اذهاك
 قاله انشائي الموصوف
 منونى أو هو الهاء في رها
 ويهو زان يكون استشف
 وارد البيان أن اكل يمكن
 فتاء فضا منوطا بامر
 بارئ وتكون الهاء لكل
 شئ كونه بمعنى الاشياء
 وفي ذكر الامر والزب
 والاضافة الى الرجح من
 الدلالة على عظمة شأنه
 عز وجل ما لا يخفى والقائه
 في قوله تعالى (فأصبحوا
 لا يرى الامسا كنهم)

فصحة أى فجاءتهم ريح قد مرتهم فأصبحوا بحيث لا يرى الامسا كنهم وقرئ ترى بالباء ونصب مساكنتهم لم
 خطاب الكل احديتانى من الروية تنبيهها على أن حالهم بحيث لو حضر كل أحد بلادهم لا يرى فيها الامسا كنهم
 (كذلك) أى مثل ذلك الجزء الفطيم (تجزى القوم الجرمين) وقد مر تفصيل القصة في سورة الاعراف

فقد روى أن الريح كانت تحمل الغسائط والطعنة فتدفعها في الجحش حتى ترى كأنها جرادة قبل أول من أبصر العذاب امرأة منهم قالت رأيت ريحا فيها كسهب النار وروى أن أول ما عرفوا به أنه عذاب مارا وأما كان في الصحراء من رحالهم ومواشيهم تطير بها الريح بين السماء والأرض فدخلوا بيوتهم وغلقوا أبوابهم فقلعت الريح الأبواب وصرعتهم فأمال الله تعالى الأحقاف فكانوا تحتها ٥١٥ سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين ثم كشف الريح عنهم فاحتلتهم فطرحتهم في البحر وروى أن هودا عليه السلام لما أحس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطا إلى جنب عين تنبع وعن ابن عباس رضي الله عنهما عباسا اعتزل هود ومن معه في حبيسة ما يصيبهم من الريح الأماليين على الجلود وتلدغ الأنفص وانها تمر من عاديان طعن بين السماء والأرض وتدمعهم بها ججارة (ولـ مكناهم) أي قرنا عادا أو أفدرناهم وماذا قوله تعالى (فيما ان مكنناهم فيه) موصولة أو موصوفة وإن نافية أي في الذي أوفى شيء ما مكنناهم فيه من السعة والبسطة وطول الأعمار وسائر مبادئ التصرفات كافي قوله تعالى ألم يروا أنهم أهلكنا من قبلكم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وما يحسن موقع أن ههنا النقص عن ذكر لفظة ما هو

لهم يشواسا ثلثين عن غير ما أذن لهم فيه وإنما يشواسا مبلغين (الثاني) أراكم قوما يجهلون من حيث أنكم بغيرهم مصرين على كفركم وجهلكم فيغلب على ظن أنه قرب الوقت الذي ينزل عليكم العذاب بسبب هذا الجهل المفرط وأوقاة الساعة (الثالث) أني أراكم قوما تجهلون حيث نصبرون على طلب العذاب وهب انهم يظهر لكم كوني صادقا ولكن لم يظهر أيضا لكم كوني كاذبا فالأمر على العذاب أشد لهذا العذاب جهل عظيم ثم قال تعالى فلما رآه ذلك انكره في الضمير في رأيهم (أحرهما) أنه عائد إلى غير المذكور وبينه قوله عارضا كإفلال ما ترك على ظهرها من دابة وإم يذكر الأرض لكونها معلومة فكذلك ههنا الضمير عائد إلى السحاب كأنه قبل فلما رآه السحاب عارضا وهذا اختيار الزجاج ويكون من باب الانضمار لأعلى شريطة التفسير (والقول الثاني) أن يكون الضمير عائدا إلى ما في قوله وأتينا عبثنا أي فلما رآه ما يوعدون به عارضا قال أبو زيد العارص السحابة التي ترى في ناحية السماء ثم تطيق ووقوله مستقيم أوديتهم قال المفسرون كانت عاد قد حبس عنهم المطر أياما فساقت الله إليهم صحابة يسوداء فخرجت عليهم من واد يقال له الغيث فلما رآه مستقبل أوديتهم استبشروا وقالوا هذا عارض ممطرنا والمعنى ممطرنا ما قيل كان هود قائدا في قومه فجاءه سحاب مكثر فقالوا هذا عارض ممطرنا فقال بل هو ما استجبناكم به من العذاب ثم بين ماهيته فقال ربح فيها عذاب أنهم لم وصف تلك الريح فقال تدمر كل شيء أي تهلك كل شيء من الناس والحيوان والنبات بأمر ربها والمعنى أن هذا ليس من باب تأثيرات الكواكب والقرانات بل هو أمر حدث ابتداء بقدرة الله تعالى لأجل تعذيبكم فأصبحوا يعني عاد لا ترى إلا مساكنهم وفيه مسائل (المسئلة الأولى) روى أن الريح كانت تحمل الغسائط فتدفعها في الجحش حتى يرى كأنها جرادة وقيل أول من أبصر العذاب امرأة منهم قالت رأيت ريحا فيها كسهب النار وروى أن أول ما عرفوا به أنه عذاب ألهم أنهم رأوا ما كان في الصحراء من رحالهم ومواشيهم تطير بها الريح بين السماء والأرض فدخلوا بيوتهم وغلقوا أبوابهم فقلعت الريح الأبواب وصرعتهم وأحال الله عليهم الأحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين ثم كشف الريح عنهم فاحتلتهم فطرحتهم في البحر وروى أن هودا لما أحس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطا إلى جنب عين تنبع وكانت الريح التي نصيبهم ريحا لينه هادية طيبة والريح التي نصيب قوم عاد تدفعهم من الأرض وتطيرهم إلى السماء وتضر بهم على الأرض وأثر المجرة أنما ظهر في تلك الريح من هذا الوجه وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما أمر الله خازن الرياح أن يرسل على عاد الأمل مقدار الخاتم ثم إن ذلك القدر أهلكم بكنيتهم والمقصود من هذا الكلام إظهار كمال قدرة الله تعالى وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا رأى الريح فرع وقال اللهم اني أسألك خيرها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها ومن شر ما أرسلت به (المسئلة الثانية) قرأ عاصم

الداعي إلى قلب الها هاء في مهما وجعلها شرطية أوزائدة مما لا يليق بالقام (وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة) ليستعملوها فيما خلقت له ويعرفوا بكل منها ما ينط به معرفته من فنون التعم ويستدلوا بها على شئون منعها عز وجل وبدا وما على شكره (فأغنى عنهم سمعهم) حيث لم يستعملوه في استماع الوحي ومواظبة الرسل (ولأبصارهم) حيث لم يستعملوها في الآيات الكونية المنصوبة

في صحائف العالم (ولا أقصد منهم) حيث لم يستعملوا في معرفة الله تعالى (من شيء) أي شيئاً من الاضداد ومن غير جهة لا لئلا
وقوله تعالى (اذ كانوا يجحدون بآيات الله متعلق بما أغشى وهو ظرف جري مجرى التعليل من حيث ان الحكم من
على ما أضيف اليه فان قولك أكرمه اذا كرمني في قوة قولك أكرمه لا كرامه لانك اذا أكرمته وقت أكرامه في
أكرمه فيه لوجود أكرامه فيه وكذا الحال في حيث (وحاق) ٥١٦ بهم ما كانوا به يستهزئون) من العناد

وحدة لا يرى بالياء ومنها مساكنهم بضم النون قال الكسائي معناه لا يرى شيء
الامساكنهم وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمر وابن عامر والكسائي لا ترى على الخطاب
أي لا ترى أنت أيها المخاطب وفي بعض الروايات عن عاصم لا ترى بالناء مساكنهم بضم
النون وهي قراءة الحسن والتأويل لا ترى من بقايا عادات الامساكنهم وقال الجمهور هذه
القراءة ليست بالقوية ثم قال تعالى كذلك نجزي الشوم الجرمين والمقصود منه تخويف
كفار مكة فان قيل لما قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم فكيف يبنى
التخويف حاصلًا لقوله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم انما نزل في آخر الامر فكان
التخويف حاصلًا قبل نزوله ثم انه تعالى خوف كفار مكة وذكر فضل عاد بالشوة والجسم
عليهم فقال واقدمكنناهم فيما انمكنناكم فيه قال المبرد ما في قوله فيما بمنزلة الذي وان بمنزلة
ما والتقدير واقدمكنناهم في الذي مامكنناكم فيه والمعنى انهم كانوا أقوى منكم قوة وأكثر
منكم أموالاً وقال ابن قتيبة كلغة ان زائدة والتقدير ولقدمكنناهم فيمامكنناكم فيه وهذا
غلط الوجوه (الاول) ان الحكم بأن حرمان كتاب الله عيب لا يقول به عاقل (والثاني)
ان المقصود من هذا الكلام انهم كانوا أقوى منكم قوة ثم انهم مع زيادة القوة مانجوا
من عقاب الله فكيف يكون حالكم وهذا المقصود انما يتبع اودلت الآية على انهم كانوا
أقوى قوة من قوم مكة (والثالث) ان سائر الآيات تفيد هذا المعنى فان تعالى هم احسن
أنانا وأمرنا وقال كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الارض ثم قال تعالى وجعلنا
لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة والمعنى اما ففت عليهم أبواب النعم وأعطيناهم سمعاً وبصراً
استعملوه في سماع الدلائل وأعطيناهم أوصاراً فما استعملوها في تأمل العبر وأعطيناهم
أفئدة فما استعملوها في طلب معرفة الله تعالى بل صرفوا كل هذه القوى الى طلب الدنيا
ولذا انهم افلجروا بما أغشى عنهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من عذاب الله تعالى شيئاً
ثم بين تعالى انه اعلم بما يغش عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم لاجل انهم كانوا يجحدون
بآيات الله وقوله اذ كانوا يجحدون بمنزلة التعليل ولقد اذ فذيد كرافده التعليل يقول
ضربته اذا أساء والمعنى ضربته لانه أساء وفي هذه الآية تخويف لاهل مكة فان قوم عاد
لما غشروا بدينهم واعرضوا عن قبول الدليل والحمد لله ربهم عذاب الله ولم تكن عنهم قوتهم
ولا كثرتهم فاهل مكة مع عجزهم وضعفهم أولى بأن يحذروا من عذاب الله تعالى ويخافوا
ثم قال تعالى وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون يعني انهم كانوا يطلعون نزول العذاب
وانما كانوا يطلعون على سبيل الاستهزاء والله أعلم وقوله تعالى (ولقد أهلكنا ما حولكم
من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون فلولنا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله
قرباناً آلهة بل ضلوا عنهم وذلك افلكهم وما كانوا يعترفون) اعلم ان المراد ولقد أهلكنا
ما حولكم يا كفار مكة من القرى وهي قرى عاد ومود باليمن والشام وصرفنا الآيات
بدينها لعلهم يرجعون فالمراد بالنصر بف الاحوال الهائلة التي

الذي كانوا يستعملونه
بطريق الاستهزاء
ويقولون فأتينا بما عدنا
ان كنت من الصادقين
(ولقد أهلكنا ما
حولكم) يا اهل مكة
(من القرى) كجرح مود
وقرى قوم لوط (وصرفنا
الآيات) كررنا هاهم
(لعلهم يرجعون) لعل
يرجعوا هاهم فيه من
الكفر والمعاصي (فلولا
نصرهم الذين اتخذوا
من دون الله قرباناً آلهة)
القربان ما يقترب به الى
الله تعالى واحداً من
اتخذوا صير الموصول
المحذوف والثاني آلهة
وقرباناً حال والتقدير
فهل انصرهم وخلفهم
من العذاب الذين
اتخذوا هم آلهة حال
كونهم اقرب اليها الى الله
تعالى حيث كانوا
يقولون ما نعبدهم الا
ليقر بونا الى الله زاني
وهو لاه شفعاؤنا عند
الله وفيه تهكم بهم ولا
مسامحة لعل قرباناً
مفعولاً نائباً وآلهة بدلاً
منه لفساد المعنى فان

البديل وان كان هو المقصود ولكنه لا بد في غير بدل الغلط من صحة المعنى بدونه ولا رب في ان قولنا اتخذهم وجعلت
من دون الله قرباناً أي مقرباً به مما لصحة له قطعاً لانه تعالى مقرب اليه لا مقرب به فلا يصح انهم اتخذوا هم قرباناً
مجاوزين الله في ذلك وقرى قرباناً بضم الراء (بل ضلوا عنهم) أي غابوا عنهم وفيه تهكم آخر بهم كأن عدم نصرهم لغيتهم

وضاهواهم أي ظهر ضياعهم عنهم بالكيفية وقيل امتنع نصرهم امتناع نصر الغائب عن المنصور (وذلك) أي ضياع
 لهم عنهم وامتناع نصرهم (افكهم) أي أنرا فكهم الذي هو اتخاذهم إياها آلهة وتجيئة شركهم وقرئ افكهم
 كلاهما مصدر كالخذر والخذر قرئ أدكهم على صيغة الماضي فذلك إشارة حيث ذال الأخذ أي وذلك الأخذ الذي هذه
 عمرته واقبته صرفهم عن الحق ٥١٧ وقرئ افكهم بالتشديد للبالغة وأفكهم من الأفعال أي جعلهم أفكين

وقرئ أفكهم على
 صيغة اسم الفاعل
 مضافا إلى ضميرهم أي
 قولهم الأفك أي
 ذوالافك كما يقال قول
 كاذب (وما كانوا
 يفترون) عطف على
 افكهم أي وأما افتراءهم
 على الله تعالى أو أثر
 ما كانوا يفترونه عليه
 تعالى وقرئ ذلك افك
 مما كانوا يفترن أي
 بعض ما كانوا يفترن
 من الأفك (واذ صرفنا
 اليك نفرًا من الجن)
 أمناهم ليك واقبناهم
 نخوك وقرئ صرفنا
 بالتشديد لا كثير لانهم
 جماعة وهو السرف في جمع
 الضمير في قوله تعالى
 (يستمعون القرآن)
 وما بعده وهو حال
 مقدرة من نفر الخصم
 بالصفة أو صفة أخرى له
 أي واذكر لقومك وقت
 صرفنا اليك نفرًا كأننا
 من الجن مقدرا استماعهم
 القرآن (فلما حضروه)
 أي القرآن عند تلاوته
 أو الرسول عند تلاوته

وجدت قبل الإهلاك قال الجبائي قوله لهم يرجعون معناه ليكن يرجعوا عن كفرهم بل
 بذلك على أنه تعالى أراد رجوعهم ولم يرد أصرارهم (والجواب) أنه فعل ما لو فعله غيره
 لكان ذلك لأجل الإرادة المذكورة واتخاذهم إلى هذا التأويل للدلائل الدالة على أنه
 سبحانه مرید لجميع الكائنات ثم قال تعالى فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا
 آلهة لثربنا ما يترب به إلى الله تعالى أي اتخذوهم شفعاء مقربا بهم إلى الله حيث قالوا
 هو شفعاؤنا عند الله وقالوا ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى وفي اعتراض الآية وجوه
 (المول) قال صاحب الكشاف أحد مفعولى اتخذ الرجاء إلى الذين هو اتخذون
 (وإثباتي) آلهة وقر بانا حال وقيل عليه أن الفعل المتعدي إلى مفعولين لا يتم إلا بذكرهما
 لفعا وإحالة مشعر تمام الكلام ولا شك أن إثبات الحال بين المفعولين على خلاف
 الأصل (الثاني) قال بعضهم قر بانا مفعول ثان قدم على المفعول الأول وهو آلهة فقيل
 عليه أنه يؤدى إلى خلط الكلام عن الرجاء إلى الذين (والثالث) قال بعض المحققين
 بضمير أحد مفعولى اتخذوا وهو الرجاء إلى الذين ويجعل قر بانا مفعولا ثانيا وآلهة عطف
 بيان إذا عرفت الكلام في الاعراب فنقول المقصود أن يقال أن أولئك الذين أهلكتهم
 الله هل نصرهم الذين عبدوهم وزعموا أنهم مقربون بعبادتهم إلى الله ليشفعوا لهم بل
 ضاوع عنهم أي غابوا عن نصرتهم وذلك إشارة إلى أن كون آلهتهم نصرين لهم أمر
 ممتنع ثم قال تعالى وذلك افكهم أي وذلك الامتناع أنرا فكهم الذي هو اتخاذهم إياها
 آلهة وثمرة شركهم وافتراءهم على الله الكذب في إثبات الشرك كاله قال صاحب الكشاف
 وقرئ افكهم والأفك والأفك كالخذر والخذر وقرئ ذلك افكهم بفتح الفاء والكاف
 أي ذلك الأخذ الذي هذا أثره وثمرته صرفهم عن الحق وقرئ افكهم على التشديد
 للبالغة أفكهم جعلهم أفكين وأفكهم أي قولهم الأفك أي ذوالافك كما تقول فون
 كاذب ثم قال وما كانوا يفترن والتقدير وذلك افكهم وافتراءهم في إثبات الشركاء
 لله تعالى والله أعلم وقوله تعالى (واذ صرفنا اليك نفرًا من الجن يستمعون القرآن فلما
 حضروه فاوا أذنهم وعلما قضى واوا إلى قومهم منذرين قالوا يا قومنا اناس سمعنا كتابا أنزل
 من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم يا قومنا أحيبوا
 داعي الله وآتوا به بغفر لكم من ذنوبكم ويخرجكم من غياط اليم ومن لا يجب داعي الله
 فليس يحجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين) في الآية مسائل
 (المسئلة الأولى) اعلم أنه تعالى لما بين أن في الإنس من آمن وفيهم من كفر بين أنصاف
 الجن فهم من آمن وفيهم من كفروا من مؤمنهم معرض للثواب وكافرهم معرض للعقاب
 وفي كيفية هذه الواقعة قولان (الأول) قال سعيد بن جبيرة كانت الجن تستمع لما رجوا
 قالو هذا الذي حدث في السماء انما حدث لشيء في الأرض فذهبوا يطلبون السبب

له على التفات والأول هو الظاهر (قالوا) أي قال بعضهم بعض (أنصتوا) أي اسكتوا لتسمعه (فلما قضى) أي ثم وفرغ
 من تلاوته وقرئ على البناء للفاعل وهو ضمير الرسول عليه الصلاة والسلام وهذا يؤيد دعوى ضمير حضروه إليه عليه
 الصلاة والسلام (واوا إلى قومهم منذرين) مقدرين انذارهم عند رجوعهم إليهم روى أن الجن كانت تسترق
 السمع فلما حرس السماء ورجوا

بالذهب قالوا ما هذا الا لئلا يحدث فيه من سبعة نفر من اشرف جن نصيبين او يذبحوا منهم زو به فصر بوا حتى بلغوا الهامة ثم اندفعوا الى وادي نخلة فوافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم في جوف الليل يصلي اوقى صلاة الفجر فاستمعوا اقراءته وذلك عند منصرفه من الطائف وعن سعيد بن جبير ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم وانما كان تلاو في صلاته فروا به فوقفوا مستمعين ٥١٨ وهو لا يشعر بهم فابى الله تعالى باستماعهم

وقيل بل امره الله تعالى أن ينذر الجن ويقرأ عليهم فصر في اليه نفر منهم جمعهم له فقال عليه الصلاة والسلام اني امرت ان اقرأ على الجن الالهة فمن يتبعني فلهما ثلاثا فاطرقوا الاعداء الله ابن مسعود رضى الله عنه قال فانطلقنا حتى اذا كنا بالى مكة في شعب الجحون خطلى فقال لا تخرج منه حتى اعود اليك ثم افتح القرآن وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغشيت اسوده كثير حالت بيني وبينه حتى ما اسمع صوته عليه الصلاة والسلام ثم انقطعوا كقطع السحاب فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رايت شيئا قلت نعم رجالا اسوداء مستشرى ثياب بيض فقال اولئك جن نصيبين وكانوا اثني عشر الفا والسورة التي قرأها عليهم اقر باسم ربك (قالوا) أى عند رجوعهم الى قومهم (يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى) بوصفين

وقيل قالوا لانهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان الجن لم تكن سمعت بأمر عيسى عليه السلام (مصدقا لما بين يديه) ارادوا به التوراة (بهدى الى الحق) من العقائد الصحيحة (والى طريق مستقيم) موصل اليه وهو الشرائع

وكان قد اتفق ان النبي صلى الله عليه وسلم لما ايس من أهل مكة ان يجيبوه خرج الى الطائف ليدعوهم الى الاسلام فلما انصرف الى مكة وكان يطن لخل قام يقرأ القرآن في صلاة الفجر فمر به نفر من اشرف جن نصيبين لان ابليس بعثهم ليعرفوا السبب الذي اوجب حراسة السماء بالرجم فسمعوا القرآن وعرفوا ان ذلك هو السبب (والقول الثاني) ان الله تعالى امر رسوله ان ينذر الجن ويدعوهم الى الله تعالى ويقرأ عليهم القرآن فصر في اليه نفر من الجن يستمعوا منه القرآن وينذروا قومهم ويتفرع على ما ذكرناه فروع (الاول) نقل عن القاضي في تفسيره الجن انه قال انهم كانوا يهودا لان في الجن ملاكا في الانس من اليهود والنصارى والمجوس وعبيدة الاصنام وأطبق المحققون على ان الجن مكلفون (سئل ابن عباس) هل للجن ثواب فقال نعم لهم ثواب وعليهم عقاب يلتقون في الجنة ويزدحجون على ابوابها (الفرع الثاني) قال صاحب الكشاف التفردون العشرة ويجمع على أنفائهم روى محمد بن جرير الطبري عن ابن عباس ان اولئك الجن كانوا سبعة نفر من اهل نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا الى قومهم وعن زر بن حبیش كانوا تسعة أحدهم زو بعة وعن قتادة ذكر لنا انهم صرّفوا اليه من ساوة (الفرع الثالث) اختلفوا في انه هل كان عبد الله بن مسعود مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن والزوايات فيه مختلفة ومشهورة (الفرع الرابع) روى القاضي في تفسيره عن أنس قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جبال مكة اذ أقبل شيخ منكم على عكازة فقال النبي صلى الله عليه وسلم مشية جنى ونغمته فقال أجل فقال من اى الجن أنت فقال انها هامة بن هم بن لافس بن ابليس فقال ادرى بك وبين ابليس الأباوين فكلمنى عليك فقال أكلت عر الدنيا الأفلها وكنت وقتل قاتيل هابيل امشى بين الآكام وذكر كثير اسم امر به وذكر في جلته ان قال قال لى عيسى بن مريم ان اقيت محمدا فاقربته منى السلام وقد بلغت سلامة وأمنت بك فقال عليه السلام وعلى عيسى السلام عليك يا هامة ما حاجتك فقال ان موسى عليه السلام علمنى التوراة وعيسى علمنى الانجيل فعلمنى القرآن فعلمه عشر سور وقضى صلى الله عليه وسلم ولم يشعه قال عر بن الخطاب ولأراه الاحيا واعلم ان تمام الكلام في قصة الجن مذکور في سورة الجن (المسئلة الثانية) اختلفوا في تفسير قوله واذ صرفنا اليك نفر من الجن فقال بعضهم لما لم يقصد الرسول صلى الله عليه وسلم قراءة القرآن عليهم فهو تعالى ألقى في قلوبهم ميلا وداعية الى استماع القرآن فلهم السبب قال واذا صرفنا اليك نفر من الجن ثم قال تعالى فلما حضروه الضخيم للقرآن أول رسول الله قالوا لى قال بعضهم لبعض انصتوا اى اسكتوا مستمعين يقال انصت لكذا واستنصت له فلما فرغ من القراءة ولوا الى قومهم منذرين ينذرونهم وذلك لا يكون الا بعد ايمانهم لانهم لا يدعون غيرهم الى استماع القرآن والتصديق به الا وقد آمنوا فعنده قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى ووصفوه

عليهم اقر باسم ربك (قالوا) أى عند رجوعهم الى قومهم (يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى) بوصفين

وقيل قالوا لانهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان الجن لم تكن سمعت بأمر عيسى عليه السلام (مصدقا لما بين يديه) ارادوا به التوراة (بهدى الى الحق) من العقائد الصحيحة (والى طريق مستقيم) موصل اليه وهو الشرائع

والاعمال الصالحة (بافئنا حبوا داعي الله واموا به) أرادوا به ما سمعوه من الكتاب وصفوه بالدعوة الى الله تعالى بعد ما وصفوه بالهداية الى الحق والصراط المستقيم لتلازمهمادعواهم الى ذلك بعد بيان حقيقته واستقامته ترغيبا لهم في الاجابة ثم أكدوه بقولهم (بغفر لكم من ذنوبكم) أي بعض ذنوبكم وهو ما كان في خاص حق الله تعالى فان حقوق العباد لا تغفر بالايمان (ويخرجكم من عذاب اليم) ﴿٥١٩﴾ معدا للكفرة واختلف في أن لهم أجرا غير هذا أولا ولا يظهر أنهم

في حكم بني آدم ثوبا
وعقابا وقوله تعالى (ومن
لا يحب داعي الله فليس
يعجز في الارض) ايجاب
للاجابة نظر في الترهيب
ثم ايجابها بطريق
الترهيب وتحقيق لكونهم
منذرين واظهار
داعي الله من غير اكفاء
باحدا الضميرين للبالغة
في ايجاب زيادة
التعريض ووثيقة المهابة
واذخال الروعة وتفديد
الاعجاز بكونه في الارض
لتوسيع الدائرة أي فليس
يعجزه تعالى بالهرب
وان هرب كل مهرب
من أقطارها أو دخل
في أعماقها وقوله تعالى
(وليس له من دونه أولياء)
بيان لاستحالة نجاة
بواسطة الغير اثر بيان
استحالة نجاته بنفسه
وجمع الأولياء باعتبار
معنى من فيكون من باب
مقالة الجمع بالجمع لانقسام
الاتحاد الى الاتحاد
أن الجمع في قوله تعالى
(أولئك) بذلك الاعتبار
أي أولئك الموصوفون

بوصفين (الاول) كونه مصدقا لما بين يديه أي مصدقا لكتب الانبياء والمعنى ان كتب
سائر الانبياء كانت مشتملة على الدعوة الى التوحيد والنسوة والمعاد والامر بطهير
الاخلاق وكذلك هذا الكتاب مشتمل على هذه المعاني (الثاني) قوله يهدي الى الحق والى
طريق مستقيم واعلم ان الوصف الاول يفيد ان هذا الكتاب يماثل سائر الكتب الالهية
في الدعوة الى هذه المطالب العالية الشريفة والوصف الثاني يفيد ان هذه المطالب التي
اشتمل القرآن عليها مطالب حقة صدق في أنفسها يعلم كل أحد بصريح عقله كونها
كذلك سواء وردت الكتب الالهية قبل ذلك بها أو لم ترد فان قالوا كيف قالوا من بعد
موسى قلنا قد قلنا عن الحسن انه قال انهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس ان الجن
ما سمعت أمر عيسى فلذلك قالوا من بعد موسى ثم ان الجن لما وصفوا القرآن بهذه
الصفات الفاضلة قالوا يا قومنا اجيبوا داعي الله واختلفوا في انه هل المراد بداعي الله
الرسول أو الواسطة التي تبلغ عنه والاقرب انه هو الرسول لانه هو الذي يطلق عليه هذا
الوصف واعلم ان قوله اجيبوا داعي الله فيه مسئلتان (المسئلة الاولى) هذه الآية تدل
على انه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى الجن كما كان مبعوثا الى الانس قال مقاتل
ولم يبعث الله نبيا الى الانس والجن قبله (المسئلة الثانية) قوله اجيبوا داعي الله أمر
باجابته في كل أمامه فيه فبدخل فيه الامر بالايمان الا انه أعاد ذكر الايمان على التعيين
لاجل انه أهم الاقسام وأشرفها وقد جرت عادة القرآن بانه يذكر اللفظ العام ثم يعطف
عليه أشرف أنواعه كقوله وملائكته وجبريل وقوله واخذنا من النبيين ميثاقهم
ونذكركم واما أمر بالايمان به ذكر فائدة ذلك الايمان وهي قوله بغفر لكم من
ذنوبكم وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) قال بعضهم كلمة من ههنا زائدة والتقدير يغفر
لكم ذنوبكم وقبل بل الفائدة فيه ان كلمة من ههنا لا بداء الغاية فكان المعنى انه يقع
ابتداء القرآن بالذنوب ثم ينتهي الى غفران ما صدر عنكم من ترك الاولى والاكثر
(المسئلة الثانية) اختلفوا في ان الجن هل لهم ثواب أم لا فقبل لانواب لهم الا لاجابة من
النار ثم يقال لهم كونوا ترابا مثل البهائم واحتجوا على صحة هذا المذهب بقوله تعالى
ويخرجكم من عذاب اليم وهو قول أبي حنيفة والصحيح انهم في حكم بني آدم فيستحقون
الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية وهذا القول قول ابن أبي ليلى ومالك وجرت
بينه وبين أبي حنيفة في هذا السبب مناظرة قال الضحاك يدخلون الجنة وبأكلون
ويشربون والدليل على صحة هذا القول ان كل دليل دل على ان البشر يستحقون
الثواب على الطاعة فهو بعينه قائم في حق الجن والفرق بين البابين بعيد جدا واعلم
ان ذلك الجنى لما أمر قومهم باجابة الرسول والايمان به حذرهم من ترك تلك الاجابة فقال
ومن لا يحب داعي الله فليس يعجز في الارض أي لا ينبغي منه مهرب ولا يسبق قضاءه سابق
ونظيره قوله تعالى واننا نأمن ان لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا ولا نجدها أيضا وابا

مدم اجابة داعي الله (في ضلال مبين) أي ظاهر كونه ضلالا بحيث لا ينبغي على أحد حيث أضرصوا عن اجابة من هذا
نانه (أولم يروا) الهمة للتناكر والاولا عطف على مقدر يستعديه المقام والروية فلية أي لم يتفكروا ولم يعلموا عما جازما
تناخا للتشاهدة والعيان (أن الله الذي خلق السموات والارض) ابتداء من غير مثال

بخطبه ولا قانون يتبعه (ولم يبي تخلفه من) أي لم يتعب ولم ينصب بذلك أصلاً ولم يعجز عنه بقال عيبت الأمر إذ لم يعرف وجهه وقوله تعالى (بقادر) في خير الرفع لأنه خبر أن كالبني عنه قراءة بغيره ووجد دخولها في القراءة الأولى اشتمال التي الواردة في صدر الآية على أن وما في خبرها كأنه قيل أوليس الله بقادر (على أن يحيى الموتى) ولذلك أجيب عنه بقوله تعالى (على أنه على كل شيء قدير) تقر برأه القدرة على وجه عام يكون ﴿٥٢٠﴾ كأنهم انهم على المقصود (وأيوم يعرض

ولا نصبر ولا دافعاً من دوزاقه ثم بين أنهم في ضلال مبين ﴿٥٢١﴾ قوله تعالى (أولم روا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يبي تخلفه بقادر على أن يحيى الموتى بني أنه على كل شيء قدير) يوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق ما عذاب بما كنتم تكفرون) وفي الآية مسائل (المسئلة الأولى) أعلم أنه تعالى ذكر في أول السورة ما يدل على وجود الاله القادر الحكيم المختار ثم فرغ عاينه فرسين (أول) إبطال قول عبدة الأصنام (والثاني) إثبات النبوة وذكر شبهاتهم في النص في النبوة وأجاب عنها وما كان أكثر أعراض كفار مكة عن قول الدلائل بسبب اغتر هذا الدنيا واستغراقهم في استغناء طياتها وشهواتها وبسبب أنه كان يشغل عليهم لا يفتي لمحمد والاعتراف بتقدمه عليهم ضرب لتلك الملاوهم قوم غا فاتهم كانوا أكل في منافع الدنيا من قوم محمد فأنصروا على الكفر بأنهم الله وأهل حكمهم فكان ذلك نحو يغفلوا من مكة باصرارهم على انكار نبوة محمد عليه الصلاة والسلام ثم لما قرر نبوته على الأنس أردفه بإثبات نبوته في الجن والي ههنا فقدم الكلام في التوحيد وفي النبوة ثم ذكر فيه ما تقرير مسئلة المعاد ومن تأمل في هذا البيان الذي ذكرناه علم أن المقصود من كل القرآن تقرير التوحيد والنبوة والمعاد وأما القصص فالمراد من ذكرها ما يجري مجرى ضرب الأمثال في تقرير هذه الأصول (المسئلة الثانية) المقصود من هذه الآية إقامة الدلالة على كونه تعالى قادراً على البعث والدليل عليه أنه تعالى أقام الدلائل في أول هذه السورة على أنه هو الذي خلق السموات والأرض ولا شك أن خلقها أعظم وأفخم من إعادة هذا الشخص حياً بعد أن صار ميتاً والقادر على الأقوى لا كل لا بد وأن يكون قادراً على الأقل الأضعف ثم ختم الآية بقوله أنه على كل شيء قدير والمقصود منه أن تعلم الروح بالجسد أمر يمكن إذا لم يكن يمكناً في نفسه لما وقع أولاً والله تعالى قادر على كل الممكنات فوجب كونه قادراً على تلك الإعادة وهذه الدلائل يقينية ظاهرة (المسئلة الثالثة) في قوله تعالى بقادر احتمال البلاء على خبر أن وأما جاز ذلك لدخول حرف التي على أن وما عاين بها فكانه قيل أليس الله بقادر قال لزجاج لو قلت ظننت أن زيدا بقائم جاز ولا يجوز ظننت أن زيدا بقائم والله أعلم (المسئلة الرابعة) يقال عيبت بالأمر إذا لم تعرف وجهه ومنه أفعبنا بالخلق الأول وأعلم أنه تعالى لما أقام الدلالة على صحة القول بالخير والشر والنشر ذكر بعض أحوال الكفار فقال ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق قاوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون قوله أليس هذا بالحق التقدير يدل لهم أليس هذا بالحق والمقصود التهكم بهم والتوبيخ على استهزائهم بوعده الله ووعيدهم وقولهم وما نحن بمعذبين ﴿٥٢٢﴾ قوله تعالى (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم) كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون) وأعلم

الذين كفروا على النار) ظ في عاله دول مضمر مقوله (أليس هذا بالحق) على أن الإشارة إلى ما يشاهدونه حيث من حيث هو من غير أن يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلاً عن تذكره وتأنيده اذ هو الثاني يتوهم به وتفخيمه وقدم في سورة الأحزاب وقيل هي إلى العذاب وفيه تهكم بهم وتوبيخ لهم على استهزائهم بوعده الله ووعيدهم وقولهم وما نحن بمعذبين (قالوا بلى وربنا) اكدوا جوابهم بالقسم كأنهم يطمعون في الخلاص بالاعتراف بحقيقتها كما في الدنيا وأنى لهم ذلك (قال) فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) بها في الدنيا ومعنى الأمر الإهانة بهم والتوبيخ لهم والفتاق قوله تعالى (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) جواب شرط محذوف أي إذا كان عاقبة أمر الكفرة ما ذكر فاصبر

على ما يصيبك من جهتهم كما صبر أولو الثبات والعزم من الرسل فانك من جللتهم بل من عليتهم ومن التبيين وقيل ﴿٥٢٣﴾ أنه للتبعض والمراد بالي العزم أصحاب الشرائع الذين اجتهدوا في تأسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعاودة الطاعين فيها ومشاهيرهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام وقيل هم

الصبارون على بلاد الله
كروح صبر على أذية
قومه كانوا يصبرونه
حتى يغشى عليه وإبراهيم
صبر على النار على ذبح
ولده والذبيح على الذبح
وعقوب على فقد الولد
والبصرو يوسف على
الجب والسجن وأيوب
على الضر وموسى قال له
قومه انالدركون قال كلا
ان معي ربي سيهدين
وداود بكى على خطيئته
أربعين سنة وعيسى لم
يضع لينة على لينة صلوات
الله تعالى وسلامه عليهم
أجمعين (ولا تستعجل
هم) أى لكفر كفة
بالعذاب فانه على شرف
الزول بهم كأنهم يوم
يرون ما يوعدون من
العذاب (لم يشؤا) فى
الدنيا (الاسعة) بسيرة
(من نهوا) لما يشهدون
من شدة العذاب وطول
مدته وقوله تعالى (بلاغ)
خبر مبتدأ محذوف أى
هذا الذى وعظتم به
كفاية فى الموعظة
أو تبلغ من الرسول

انه تعالى لما قرر المطالب الثلاثة وهى التوحيد والعبادة وأجاب عن الشبهات
أردفه بما يجرى مجرى الوعظ والتهذيب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك لان الكفار كانوا
يذونه ويحسنون صدره فقال تعالى فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل أى أولو الجند
والصبر والثبات وفى الآية قولان (الاول) ان تكون كلمة من الشبيص ويراد بأولو
العزم بعض الانبياء قيل هم نوح صبر على اذى قومه وكانوا يضربونه حتى يغشى عليه
وابراهيم على النار وذبح الولد واسحق على الذبح ويعقوب على فقدان الولد وذهاب
البصرو يوسف على الجب والسجن وأيوب على الضر وموسى قال له قومهم انالدركون
قال كلا ان معي ربي سيهدين وداود بكى على زلته أربعين سنة وعيسى لم يضع لينة على لينة
وقال انها معيرة فاعبروها ولا تعمروها وقال الله تعالى فى آدم ولم نجعل له عن مافى وفى نوح ولا
تكن كصاحب الخوت (والقول الثانى) ان كل الرسل أولو عزم ولم يمت الله رسولا الا
كان ذا عزم وحزم ورأى وكال وعقل ولغظة من فى قوله من الرسل تبين لاتباعه
يقال كسبته من الخبز وكأنه قيل اصبر كما صبر الرسل من قبلك على اذى قومهم وصفهم
بالعزم لصبرهم وشبابهم ثم قال ولا تستعجل لهم ومفعول الاستعجال محذوف والقدير
لا تستعجل لهم بالعذاب قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم ضجر من قومهم بعض الضجر وأحب
أن يزل الله العذاب بن أبى من قومهم وأمر بالصبر وترك الاستعجال ثم أخبر أن ذلك
العذاب منهم قريب وانه نازل بهم لاحتاجة وان تأخر وعند نزول ذلك العذاب بهم
يستقصرون مدة آليهم فى الدنيا حتى يحببونه ساعة من نهار والمعنى انهم اذا طعنوا
العذاب صار طول آليهم فى الدنيا والبرزخ صكاً ساعة من النهار أو كالم يكن لهم
ما طعنوا والاول شئ اذا مضى سار كأنه لم يكن وان كان طويلاً قال الشاعر

كل شئ ما يكن اذا مضى * كان شئ لم يزل اذا تلى

واعلم انه تم الكلام هذه ثم قال الى بلاغ أى هذا بلاغ ونصيره قوله تعالى هذا بلاغ
للناس أى هذا الذى وعظتم به فبه القية فى العزيمة أو هذا تبلاغ من الرسل فهل يهلك
الا الخارجون من لا تعظم واحمل بموجبه والله أعلم قال المصنف رحمه الله تعالى تم
تفسير هذه السورة يوم الاربعاء العشر من ذى الحجة سنة ثلاث وست مائة والحمد لله
رب العالمين والصلاة على سيدنا محمد وآله اصحابه وأزواجه والتابعين لهم باحسان الى
يوم الدين

(سورة محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثون وتسع آيات مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الذين كفروا وصدا عن سبيل الله أصل أعمالهم) أول هذه السورة مناسب لآخر
السورة المتقدمة فان آخرها قوله تعالى فهل يهلك الا القوم الفاسقون فان قال قائل
كيف يهلك الفاسق وله أعمال صالحة كاطعام الطعام وصلة الارحام وغير ذلك

لا يخلو عنه الانسان في طول عمره فيكون في اهلاكه اهدار عمله وقد قال تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره وقال تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اصلهم عند الله أي لم يبق لهم عمل ولم يوجد فلم ينتفع بالاهلاك يستبين كيف ابطال الاعمال مع تحقير القول فيد وتعالى الله عن الظلم وفي التفسير مسائل (المسئلة الاولى) من المراد بقوله الذين كفروا قلنا فيه وجوه (الاول) هم الذين كانوا يطعمون الجبلش يوم بدر منهم أبو جهل والحارث ابناه شام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وغيرهم (الثاني) كفار قريش (الثالث) أهل الكتاب (الرابع) هو عام يدخل فيه كل كافر (المسئلة الثانية) في الصدوق جهات (أحدهما) صدوا أنفسهم معناه انهم صدوا أنفسهم عن السبيل ومنعوا عقولهم من اتباع الدليل (وثانيهما) صدوا غيرهم ومنعواهم كما قال تعالى عن المستضعفين قال الذين استضعفوا للذين استكبروا والاولا انتم لكننا مؤمنين وعلى هذا فيه بحث وهو ان اضلال الاعمال مرتب على الكفر والصدوق المستضعفون لم يصدوا فلا يضل أعمالهم فتقول التخصيص بالذكر لا يدل على نفي ماعداه ولا سيما اذا كان المذكور أولى بالذکر من غيره وههنا الكافر الصادق أدخل في الفساد فصار هو أولى بالذکر أو نقول كل من كفر صار صادقا ، أما المستكبر فظاهر وأما المستضعف فلانه بما بعد أثبت المستكبر ما بعده من اتباع الرسول فانه بعد ما يكون متبوعا يشق عليه بأن يصيرنا بعا لان كل من كفر صار صادقا لمن بعده لان عادة الكفار اتباع المتقدم كما قال عنهم انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آمارهم مهتدون او مستندون فان قيل فعلى هذا كل كافر صادقا الفائدتي ذكر الصدوق بعد الكفر نقول هو من باب ذكر السبب وعطف السبب عليه تقول أكلت كثيرا وشعبت والكفر على هذا سبب الصدوق اذا قلنا بأن المراد منه انهم صدوا أنفسهم ففيه إشارة الى أن ما في الانفس من الفطرة كان داعيا الى الايمان والامتناع لما منع وهو الصدق لنفسه (المسئلة الثالثة) في المصدود عنه وجوه (الاول) عن الاتفاق على محمد عليه السلام وأصحابه (الثاني) عن الجهاد (الثالث) عن الايمان (الرابع) عن كل ما فيه طاعة الله تعالى وهو اتباع محمد عليه السلام وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم على الصراط المستقيم هاد اليه وهو صراط الله قال تعالى وانك لتهدى الى صراط مستقيم صراط الله فمنع من اتباع محمد عليه السلام فقد صد عن سبيل الله (المسئلة الرابعة) في الاضلال وجوه (الاول) المراد منه الابطال ووجهه هو ان المراد انه اضله بحيث لا يجده فاعطال انما يطالبه في الوجود وما لا يوجد في الوجود فهو معدوم فان قيل كيف يبطل الله حسنة أو جدها نقول ان الابطال على وجوه (أحدها) بوزن بسايتهم الحسنات التي صدرت منهم وبسقطها بالوازنة وبقى لهم سياآت محضه لان الكفر يز يدعى غير الايمان من الحسنات والايمان يترجم على غير الكفر من السياآت (وثانيها) ابطالها لتفقد شرط ثبوتها واثباتها وهو الايمان لانه شرط قبول العمل قال تعالى من عمل صالحا من ذكر

ويؤيده أنه قرئ : بالغ وقرئ : بلاغا أي بلغوا بلغا (فعمل بهلاك الاتوم الفاسقون) أي الخارجون عن الاتعاظ به أو عن الطاعة وقرئ : بفتح الباء وكسر اللام وفتحهم ما من هلك وعلاك وبون العظمة من الاهلاك ونصب اقوم وورصفه * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رمله في الدنيا * (سورة محمد صلى الله عليه وسلم وتسمى سورة اقبال وهي مدنية وقيل مكية وآياتها تسع أو ثمان وثلاثون) * (بسم الله الرحمن الرحيم) * الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أي أعرضوا عن الاسلام وسلوك طريقه من صد صدوا او منعوا الناس عن ذلك من صد صدوا كالطامعين يوم بدر وقبلهم اثنا عشر رجلا من أهل الشرك

أو انثى وهو مؤمن واذ لم يقبل الله العمل لا يكون له وجود لان العمل لا يقبله في نفسه بل هو بعدم عقيب ما يوجد في الحقيقة غير ان الله تعالى يكتب عنه فضله ان فلانا عمل صالحا وعندى جزاؤه فيبقى حكما وهذا البقاء حكما خيرا من البقاء الذى الاجسام التى هى محل الاعمال حقيقة فان الاجسام وان بقيت غير ان ما كمالها الى الفناء والعمل الصالح من الباقيات عند الله أبدا واذ ثبت هذا تبين أن الله بالتبطل متفضل وقد أخبرناى لأقبل الامن مؤمن فمن عمل وتعب من غير سبق الايمان فهو المضيع تعب له الله تعالى (والمثلها) لم يعمل الكافر عمله لوجه الله تعالى فليأت بخبر فلا يرد علينا قوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ويثانه هو ان العمل لا يغير الايمان له العمل لا يفسد ولا ينقص العمل وذلك لان من قام ليقول شخص ما لم يتفق قتله ثم قام ليكرمه ولم يتفق الاكرام ولا القتل وأخبره عن نفسه انه قام في اليوم الفلانى لقتله وفي اليوم الآخر لا كرامه يتبين التباين لابلانظر الى القيام فانه واحد ولا بالنظر الى انقائه فانه حقيقة واحدة والتباين بما كان لاجله الشايم وكذلك من قام وقصد بقيامه اكرام الملك وقام وقصد بقيامه اكرام بعض العوام غير أحدهما عن الآخر بمنزلة العمل لكن نسبة الله الكريم الى الاصنام فوق نسبة الملوك الى العوام فالعمل للاصنام ليس بخير ثم ان يتفق ان يقصد واحد بعمله وجهه الله تعالى ومع ذلك بعد الاوثان لا يكون عمله الا نيل ما أتى به لوجه الله أتى به للصنم المحبوت فلا تعظيم (الوجه الثانى) الاضلال هو جعله مستمرا كالحقيقة هو انه اذا كفر وأتى الاحجار والاشخاب بالركوع والسجود فلم يبق لنفسه حرمة وقوله لا يبقى معتبرا بسبب كفره وهذا كن يخدم عند الحراس والسائس اذا قام فسلطان لا يعلم قيامه تعظيما لحسنه كذلك الكافر وأما المؤمن فيقدر ما يشكر على غير الله بظهر تعظيمه لله كالملك الذى لا يشاد لاحدا اذا انتقادى وقت الملك من الملوك يتبين به عظمتهم (الوجه الثالث) أضله أى أهمله وتركه كما يقال أضل بعيره اذا تركه مسيا فضاع ثم ان الله تعالى لما بين حال الكفار بين حال المؤمنين * فقال (والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قد ذكرنا مرارا ان الله تعالى كلما ذكر الايمان والعمل الصالح رتب عليهما المغفرة والاجر كما قال ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم وقال والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزيهم فيها ونفلسا بان المغفرة ثواب الايمان والاجر على العمل الصالح واستوفينا البحث فيه في سورة العنكبوت فقولهم هنا جزاء ذلك قوله كفر عنهم سيئاتهم اشارة الى ما يشبه على الايمان وقوله وأصلح بانهم اشارة الى ما يشبه على العمل الصالح (المسئلة الثانية) قالت المعترلة تكفير السيئات مرتب على الايمان والعمل الصالح فمن آمن ولم يفعل الصالحات يبق في العذاب خالد فقول لو كان كاذرا كرم لكان الاضلال مرتبا على الكفر والصدف يكفر لا ينبغي أن تنزل أعماله أو نقول قد ذكرنا ان

كانوا يصدون الناس من الاسلام ويأمرهم بالكفر وقيل أهل الكتاب الذين كفر واوصدوا من أراد منهم ومن غيرهم أن يدخل في الاسلام وقيل هو عام في كل من كفر وصد (أفضل أعمالهم) أى أبطلها وأحبها وجعلها ضائعة لأثرها أصلا لكن لا معنى أنه أبطلها وأحبها بعد أن لم تكن كذلك بل معنى أنه حكم بطلانها وضباها فان كانوا يعملون من أعمال البر كصلة الارحام وقرى الاضياف وفك الاسارى وغيره من المنكرات ليس لها اثر من أصلها لعدم مقارنتها للايمان أو بطل ما عملوه من التكبد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والصد عن سبيله بنصر رسوله واطهار دينه على الدين كله وهو الاوفق لمسايق من قوله تعالى فعملهم وأفضل أعمالهم وقوله تعالى فاذا قيمتم

الح (والذين آمنوا وعملوا
الصالحات) قيل هم ناس
من فريش وقيل من
الانصار وقيل هم مؤمنو
أهل الكتاب وقيل علم
الكل (وآمنوا بالذي نزل على
محمد) خص بالذكر الايمان
بذلك مع اندراجها فيما
قبله تنويهاً باشأه وتذنيهاً
على سمو مكانه من بين
سائر ما يجب الايمان به
وأنه الأصل في الكل
ولذلك اكد بقوله تعالى
(وهو الحق من ربهم)
بطريق حصر الحقيقة
فيه وقيل حقيقته بكونه
ناسخاً غير منسوخ فالحق
على هذا مقابل الزائل
وعلى الاول مقابل
الباطل وأياً ما كان فقوله
تعالى من ربهم حال من
ضمير الحق وقرئ نزل
على البناء لا فاعل وأنزل
على البناء بن وزل
بالتحقيق (كفر
عنهم سيئاتهم) أي
سترها بالايان والعمل
الصالح (واصلح بالهم)
أي حالهم في الدين
والدنيا بالأيدي

الله تعالى رتب أمرين على امرين في آمن كفر سيئاته ومن عمل صالحاً اصلح بالله وانقول
أي مؤمن يصور رتبه غيرات بالصالحات بحيث لا يصدر عنه صلاة ولا صيام ولا صدقة
ولا اطعام وعلى هذا فقوله وعملوا اعطى السبب على السبب كما ساقى قول لعل أكلت
كثيراً وشبعت (المسئلة الثالث) قوله وآمنوا نزل على محمد مع ان قوله آمنوا وعملوا
الصالحات أفادها المعنى في الحكمة فيه وثبت وجهه دليل ما وجد في بيانه من
وجوه (الاول) قوله والذين آمنوا أي بالله - رسوله واليوم الآخر وقوله وآمنوا بما
نزل أي بجميع الاشياء الواردة في كلام الله - وقوله فاعلموا بما أورثهم من حسن
تقول خلق الله السموات والارض وكل شيء اما على معنى وكل شيء غير ما ذكرنا وما على
العموم بعد ذكر الخصوص (الثاني) أن يكون المعنى آمنوا وآمنوا من قبل بما نزل على
محمد وهو الحق المعجز الفارق بين الكاذب والصادق يعني آسأه أو لا بالعجز أو بقوا بان
القرآن لا يأتي به غير الله فآمنوا وعملوا الصالحات والواو للجمع المطلق ويجوز أن يكون
المأخوذ ذكرهما معاً وهذا نقول ان آمنوا آمن به وكان الايمان به واجبا وان يكون
بيانا لايمانهم كأنهم آمنوا وآمنوا بما نزل على محمد أي آمنوا وآمنوا بالحق كما يقول
القائل خرجت وخرجت مصيباً أي كان خروجي جيداً حيث نجوت من كذا ورجمت
كذا فذلك لما قال آمنوا بين ان ايمانهم كان بما أمر الله وأنزل الله لا بما كان باطلاً من
عند غير الله (الثالث) ما قاله أهل المعرفة وهو ان العلم والعمل والعلم فالعلم يحصل
ليعمل به لمجاه اذا عمل العلم العمل الصالح علم ما لم يكن يعلم فيعلم الانسان مثلاً فقدرته الله
بالدليل وعلمه وامره فيجعله الامر على الفعل ويحثه عليه علمه فعلمه بحاله وقدرته على ثوابه
وعقابه فاذا اتى بالعمل الصالح علم من انواع مقدورات الله وعلوماته الله تعالى ما لم يعلمه
احداً لا باطلاع الله عليه وبكشفه ذلك له فيؤمن وهذا هو المعنى في قوله هو الذي انزل
السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايماناً مع ايمانهم فاذا آمن المكلف بمحمد بالبرهان
وبالمعجزة وعمل صالح حمله علمه على ان يؤمن بكل ما قاله محمد ولم يتحد في نفسه شكاً ولا ريباً
في المرتبة الاولى احوال وفي المرتبة الاخيرة احوال اما في الايمان بالله في الاول يحصل
الله معبوداً وقديساً وغيره في حوائج فيطلب الرزق من زيد وعمره ويجعل امر اسبياً
لامر وفي الاخيرة يجعل الله مقصوداً ولا يقصد غيره ولا يرى الامنة سره وجهه فلا يذب
الى شيء في شيء فهذا هو الايمان الآخر بالله وذلك الايمان الاول واما ما في النبي صلى الله
عليه وسلم فيقول اولاهو صادق فيما ينطق ويقول آخر الانطق له الا بالله ولا كلام يسمع
منه الا وهو من الله فهو في الاول يقول بالصدق وقوعه منسه وفي الثاني يقول بعدم
امكان الكذب منسه لان حاكى كلام الغير لا ينسب اليه الكذب ولا يمكن الا في نفس
الحكاية وقد علم هو انه حاك عنه كما قاله وما في المرتبة الاولى فيحمل الحشر مستقبلاً والحياة
العاجلة حالاً وفي المرتبة الاخيرة يحمل الحشر حالاً والحياة الدنيا ماضياً فيقسم حياة نفسه

في كل لحظة ويجعل الدنيا كما هي معدة لا يلبث اليها ولا يقبل عليها (السئلة الرابعة) قوله
 وآمنوا بما نزل على محمد هو في حق الكافر وصعدوا الانا يدينا في وجهه ان المراد
 بهم سدوا عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وهذا حدث على اتباع محمد صلى الله عليه وسلم
 فهم سدوا أنفسهم عن سبيل الله وهو محمد عليه السلام وما أنزل عليه وهو لا حذر
 أنفسهم على اتباع سبيله لاجرم حصل اهول لا ضد ما حصل لا ذلك فاضل الله حسنة
 أولئك واستر على سيئات هؤلاء (السئلة الخامسة) قوله تعالى وهو الخ من ربه من
 يمكن أن يكون من ربه وصفه فارقا كما يقال رأيت رجلا من بغداد في مصر وصفه للرجل
 فارقا بينه وبين من يكون من الموصل وغيره نقول لا لأن كل ما كان من الله فهو الحق
 فليس هذا هو الحق من ربه بل قوله من ربه خبر بعن خبر كانه قال وهو الحق وهو من
 ربه أو أن كان وصفا فارقا فهو على معنى انه الحق انما نزل من ربه لان الحق في ربه
 مشاهد اقل كون الشمس مضيئة حق وهو ليس نار لا من الرب بل هو علم حاصي بطريق
 بسم الله تعالى ثم قال تعالى (كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم) أي سترها وفيه اشارة الى
 اشارة ما كانت تحصل بقوله أعدها ومحامها لان نحو الشيء لا يثبت أمر آخر مكانه
 وأما الستر في ربه عنده وذلك لأن من ربه يسترئوب بال أو سخر لا يسترئوبه وانما يسترئوب
 نفس نظيف ولا سيما الملك الجواد اذا ستر على عبده من عيبه ثوبه البالي أمر باحضار ثوب
 من الجنس العالي لا يتحصل الا بالثمن العالي فليس هذا هو الستر بينه وبين المحبوب
 وكذلك المغفرة فان المغفرة والتكفير من باب واحد في المعنى وهذا هو المذكور في قوله
 تعالى فأولئك يدرك الله سيئاتهم حسنة وقوله وأصلح بالهم اشارة الى ما ذكرنا من انه
 يبدلها حسنة فان قيل كيف تبدل السيئة حسنة نقول معناه انه يحجز به بعد سيئاته
 ما يجزى المحسن على احسانه فان قال الاشكال باق وباد وما زال بل زاد فان الله تعالى لو
 أتاب على السيئة كما يشيب عن الحسنه لكان ذلك حشا على السيئة نقول ما قلنا انه يشيب
 على السيئة وانما قلنا انه يشيب بعد السيئة بما يشيب على الحسنه وذلك حيث يأتي المؤمن
 بسنة ثم ينسئ ويندم ويقف بين يدي ربه معترف بآذنه مستغفرا لنفسه فيصير أقرب الى
 الرحمة من الذي لم يذنب ودخل على ربه مقتخرا في نفسه فصار الذنب شرم طال الذم والذواب
 ليس على السيئة وانما هو على الذم وكان الله تعالى قال عدي أذنب ورجع الى فعله
 سي لكن ظنه في حسن حيث لم يجد ملجا غيري فأتكل على فضلي والظن على القلب
 والفعل على البدن واعتبار على انقلب أول الأثرى ان التائب والمغفري عليه لا يلبث الى
 على بدنه والمفادج التي لا حذر كماله يعتبر في قلبه ومثال الروح والبدن راكب دابة كرض
 فرسه بين يدي ملك يدفع عنه العدو ويقيه وسنانه الذي يطعم ثوب الملك كرض
 استنانه فهل يلبث الى فعل الدابة مع فعل الفارس بل لو كان راكب فارغا وانقرس
 يؤذى باللويس يحاطب الفارس به وكذلك الروح راكب والبدن مر كواب كانت

والتوفيق (ذلك) اشارة
 الى ما من من اضلال
 الاعمال وكثير السببات
 واصلاح البلاء هو
 سببا خيرة قوله الى
 (أن ليس كذا) واتبعوا
 الدائل وأن الذين آمنوا
 اتبعوا الحق من ربه
 أي ذلك كأن بسبب
 أن الاولين اتبعوا
 الشيطان كما قاله مجاهد
 دفعوا ما فعلوا من التكفر
 والصد فيان سببية
 اتباعه للاضلال المذكور
 متضمن لبيان سببية الله
 لكونه أصلا مستتبعا
 لها فاقطعوا بسبب
 أن الآخر من اتبعوا
 الحق الذي لا يحد عنه
 كأننا من ربه ففعلوا
 ما فعلوا من الايمان به
 وبكتابه ومن الاعمال
 الصالحة فيان سببية
 اتباعه لما ذكر من التكفير
 والاصلاح بعد الاشعار
 بسببية الايمان والعمل
 الصالح له متضمن لبيان
 سببية عمله لكونه مبدأ
 ومنشأ لهما حتما
 الا لله اه الى اسم ما كان
 فلا تدافع بين الاشعار
 واتصريح في شيء

من الموضعين ويجوز أن يحمل الباطل على ما يقابل الحق وهو الزائل الذاهب الذي لا أصل له أصلاً لتصریح بسببية اتباعه لاضلال أعمالهم وابطالها البيان أن ابطالها لبطان منهاها وزواله وأما حله على ما لا ينفع به فليس كما ينبغي لما أن الكفر والصد أفحش منه فلا وجه للتصریح بسببته لما ذكر من اضلال أعمالهم بطريق النقص بعد الاشعار بسببيتها له فتدبر ويجوز أن يراد بالباطل نفس الكفر والصد وبالحق نفس الايمان والأعمال الصالحة فيكون التنصيص على سببتهما لما ذكر من الاضلال ومن التكفير والاصلاح لتصريحاً بالسببية المشر بها في الموقفين (كذلك) أي مثل ذلك الضرب البديع (يضرّب الله) أي بين > للناس أمثالهم أي أحوال الفريقين وأوصافهما الجارية في القرابة

الروح مشغولة بعبادة الله وذكره وبصدر من البدن شيء لا يلتفت اليه بل يستحسن منه ذلك ويزاد في تربية الفرس الرافض ويهجر الفرس الواقف وإن كان غير مشغول فهو مؤاخذاً بأفعال البدن * ثم قال تعالى (ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وإن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم) أي ذلك الاضلال والابطال بسبب اتباعهم الباطل وفيه مسائل (المسئلة الاولى) في الباطل وجوه (الاول) ما لا يجوز وجوده وذلك لانهم اتبعوا الهام غير الله واله غير الله محال الوجود وهو الباطل وغاية الباطل لان الباطل هو المعدوم يقال بطل كذا أي عدمه والمعدوم الذي لا يجوز وجوده ولا يمكن أن يوجد ولا يجوز أن يصبح مقام وجوده فهو في غاية البطلان فبلى هذا فالخلق هو الذي لا يمكن عدمه وهو الله تعالى وذلك لان الحق هو الموجود يقال تحقق الامر أي وجد وثبت والموجود الذي لا يجوز عدمه هو في غاية الشوث (الثاني) الباطل الشيطان بدليل قوله تعالى لا ملأن جهمهم منك ومن تبعك منهم أجمعين فيبين ان الشيطان متبوع واتباعه هم الكفار والفجار وعلى هذا فالخلق هو الله لانه تعالى جعل في مقابلة حزب الشيطان حزب الله (الثالث) الباطل هو قول كبرائهم ودين آبائهم كما قال تعالى عنهم انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون ومتحدون فعلى هذا الحق ما ظاه النبي عليه السلام عن الله (الرابع) الباطل كل ما سوى الله تعالى لان الباطل والهالك بمعنى واحد وكل شيء هالك الا وجهه وعلى هذا فالخلق هو الله تعالى أيضاً (المسئلة الثانية) اوقال قائل من ربهم لا يلائم الاوجهما واحداً من أربعة أوجه وهو قولنا المراد من الحق هو ما أنزل الله وما قال النبي عليه السلام من الله فأما على قولنا الحق هو الله فكيف يصح قوله اتبعوا الحق من ربهم نقول على هذا من ربهم لا يكون متعلقاً بالحق وانما يكون تعلقه بقوله تعالى اتبعوا أي اتبعوا أمر ربهم أي من فضل الله أو هداية ربهم اتبعوا الحق وهو الله سبحانه (المسئلة الثالثة) اذا كان الباطل هو المعدوم الذي لا يجوز وجوده فكيف يمكن اتباعه نقول لما كانوا يقولون انما يضلون الاضنام وهي آلهة وهي تؤجرهم بذلك كانوا متبعين في زعمهم ولا متبعين ذلك (المسئلة الرابعة) قال في حق المؤمنين اتبعوا الحق من ربهم وقال في حق الكفار اتبعوا الباطل من آلهتهم أو اشیطان نقول أما آلهتهم فلا عنهم لا كلام لهم ولا عقل وحيث ينطقهم الله يتكفرون فعلمهم كما قال تعالى ويوم القيامة يكفرون بشرككم وقال تعالى وكانوا يعبدونهم كافرين والله تعالى رضى بفعالهم وثبتهم عليه ويحتمل أن يقال قوله من ربهم عائداً الى الامرين جميعاً أي من ربهم اتبعوا هو لا الحق أي من حكمهم ربهم ومن عندهم ربهم * ثم قال تعالى (كذلك يضرب الله للناس أمثالهم) وفيه وجهان (أحدهما) اضلال أعمال الكفار وتكفير سيئات الابرار (الثاني) كون الكافر متبعاً للباطل وكون المؤمن متبعاً للحق ويحتمل وجهين آخرين

(أحدهما) على قولنا من ربههم أي من عند ربهم اتبع هو لا الباطل وهو لا الحق نقول
 هذا مثل يضرب عليه جميع الامثال فان الكل من عند الله الاضلال وغيره والاتباع
 وغيره (وثانيهما) هو ان الله تعالى لما بين ان الكافر يشل الله تعالى والمؤمن يكفر الله سبحانه
 وكان بين الكفر والايان مبانة ظاهرة فانهما ضدان بيد على أن السبب كذا أي ليس
 الاضلال والتكفر بسبب المضادة والاختلاف بل بسبب اتباع الحق والباطل وإذا علم
 السبب فالضلال قد يتحدان صورة وحقيقة وأحدهما يورث البطلان الاعمال والآثار
 يورث تكفير السببات بسبب ان أحدهما يكون فيه اتباع الحق والآثار اتباع الباطل
 فان من يؤمن ظاهره وقليه مملوء من الكفر ومن يؤمن بقلبه وقليه مملوء من الايمان اتحد
 فعلاهما في الظاهر وهما مختلفان بسبب اتباع الحق واتباع الباطل لا بدع من ذلك فان
 من يؤمن ظاهره وهو يسر الكفر ومن يكفر ظاهره بالذكراه وقليه مملوء بالايمان
 اختلف الفعلان في الظاهر وبطلان الاعمال لمن أظهر الايمان بسبب ان اتباع الباطل من
 جانبه تكاثره تعالى قال الكفر والايمان مثلان ثبت فيهما حكمان وعلم سببهما هو اتباع
 الحق والباطل فكذلك اعلموا ان كل شيء اتبع فيه الحق كان مقبولا مثابا عليه وكل أمر
 اتبع فيه الباطل كان مردودا معاقبا عليه فصار هذا عاما في الامثال على اننا نقول قوله
 كذلك لا يستدعي أن يكون هناك مثل مضروب بل معناه انه تعالى لما بين حال الكافر
 واضلال أعماله وحال المؤمن وتكفير سبباته وبين السبب فيهما كان ذلك غاية الايضاح
 فقال كذلك أي مثل هذا البيان يضرب الله للناس أمثالهم وبين لهم أحوالهم (المسئلة
 الثانية) الغدير في قوله أمثالهم عائد الى من فيه وجهان (أحدهما) الى الناس كافة قال
 تعالى يضرب الله للناس أمثالهم على أنفسهم (وثانيهما) الى الفريقين السابقين في الذكر
 معناه يضرب الله للناس أمثال الفريقين السابقين ثم قال تعالى (فاذا قيمتم الذين كفروا
 فضرب الرقاب حتى اذا اثخنوهم) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) الغاء في قوله فاذا
 لقيمتم يستدعي متعلقا يتعلق به ويترب عليه فواجه التعاق بما قبله تقول هو من وجوه
 (الاول) لما بين ان الذين كفروا أضل الله أعمالهم واعتبار الانسان بالعمل ومن لم يكن له
 عمل فهو وهمج فان صار مع ذلك يوفى حسن اعدائه فاذا لقيمتم بعد ظههور ان لحرمة
 لهم وبعد ابطال أعمالهم فاضربوا عنقهم (الثاني) اذ تبين تباين الفريقين وتباعد
 الطريقين وان أحدهما بقيم الباطل وهو حزب الشيعان والآخر يتبع الحق وهو حزب
 الرحمن حتى قال عند الحرب فاذا لقيمتم فافتلهم (الثالث) ان من الناس من يقول
 لضعف قلبه وقصور نظره ايلام الحيوان من الظلم والطغيان ولا سيما القتل الذي هو
 تخريب ببيان فيقال ردا عليهم لما كان اعتبار الاعمال باتباع الحق والباطل في يقتل في
 سبيل الله لا عظيم أمر الله لهم من الاجرام الصلي والصائم فاذا قيمتم الذين كفروا فافتلهم
 ولا تأخذكم بهما رأفة فان ذلك اتباع الحق والاعتبار به لا بصورة الفعل (المسئلة الثانية)

بحرى الامثال وهى
 اتباع الاولين الباطل
 وخيبتهم وخسرانهم
 واتباع الآخرين
 الحق وفوزهم وفلاحهم
 والقسم في قوله تعالى
 (فاذا قيمتم الذين كفروا)
 لتزيت ما في خبر هامن
 الامر على ما قبلها فان
 ضلال أعمال الكفرة
 وخيبتهم وصلاح أحوال
 المؤمنين وفلاحهم بما
 يوجب ان يرتب على كل
 من الجانبين ما يليق به
 من الاحكام أي فاذا
 كان الامر كذا ذكر فاذا
 لقيمتم وهم في المحاربة
 (فضرب الرقاب) أصله
 فاضربوا الرقاب ضربا
 فعذف الفعل وقد م
 المصدر وأنيب منابه
 مضافا الى المفعول
 وفيه اختصار وتأكيده
 بالغ والتعبير به عن القتل
 تصويره بأشنع صورة
 وهو يدل لامره وارشاده
 للفرقة الى ايسر ما يكون

فضرِب منصوب على المصدر أي فاضر بواضرب الرقاب (المسئلة الثالثة) ما لحكمة في اختيار ضرب الرقبة على غيرها من الاعضاء نقول فيه لما بين أن المؤمن ليس يدفع انما هو يدفع وذلك ان من يدفع الصائل لا ينبغي ان يقصد أولا قتله بل يتدرج و يضرب على غير المقتل فان اندفع ذلك ولا يترقى الى درجة الاهلاك فقال تعالى ليس المقصود الا دفعهم عن وجه الارض واطهير الارض منهم وكيف لا والارض لكم مسجد والمشرق كون نجس والمسجد يطهر عن النجاسة فاذا ينبغي أن يكون قصدكم أولا أن تقتلهم بخلاف دفع الصائل والرقبة أظهر المقاتل لأن قطع الحلقوم والوداج مستلزم للموت لكن في الحرب لا يتهاى ذلك والرقبة ظاهرة في الحرب في ضرر بها حزن العنق وهو مستلزم للموت بخلاف سائر المواضع ولا سيما في الحرب وفي قوله لقتلهم ما ينبغي عن مخالفتهم الصائل لأن قوله لقتلهم يدل على أن القصد من جانبهم بخلاف قولنا لقتلهم ولذلك قال في غير هذا الموضع فافواهم حيث تقتلهم وهم (المسئلة الرابعة) قال ههنا ضرب الرقاب باظهار المصدر وترك الفعل وقال في الانفال فاضر بواضرب الرقاب باظهار المصدر وترك الفعل فائدة نقول نعم وإنما ينهها بتقديم مقدمة وهي ان المقصود أولا في بعض السور قد يكون صدور الفعل من فاعل و يتبعه المصدر ضمنا اذا لم يكن ان يفعل فاعل الا يقع منه المصدر في الوجود وقد يكون المقصود أولا المصدر ولكنه لا يوجد الا من فاعل فيحصل منه ان يفعل مثله من قال اني حلفت أن أخرج من المدينة فيقال له فأخرج صار المقصود منه صدور الفعل منه والخروج في نفسه غير مقصود الاتقاء ولو أمكن أن يخرج من غير تحقق الخروج منه لما كان عليه الا أن يخرج لكن من ضرورات الخروج ان يخرج فإذا قال قائل مضائق في المكان بسبب الاعداء فيقال له مثلا الخروج يعني الخروج فأخرج فان الخروج والمضاييق حتى لو أمكن الخروج من غير فاعل لم يحصل الضرر ولكنه محال فتنبه الفعل اذا عرفت هذا فنقول في الانفصال الحكاية عن الحرب البكائية وهم كانوا فيهم وانما لذلك أنزلوا العسرة من حضر في صف القتال فصعدوا منه فطوب وهو ما الأمر وارد وليس في وقت القتال بدليل قوله تعالى فاذا قتلتم وانهصوديه يكون المصدر مضطوبا تقدم المأمور على الفعل قال فاضرب الرقاب وفيما ذكرنا تبدي فائدة أخرى وهي ان الله تعالى قال هناك واضرب بواضربهم كل بيتان وذلك لانه الوقت وقت القتال فأرشدكم الى اقل وغيره انهم يصيبوا المقتل وههنا ليس وقت القتال فبين ان المقصود اقل وغرض المسلم ذلك (المسئلة الخامسة) حتى لبيان غاية الامر لا يبيح غاية القتل أي حتى اذا أختصمهم لا يبيح الأمر بالقتل ويبقى الجواز ولو كان لبيان القتل لما جاز القتل واقتل جاز اذا التحى المتحن بالشيخ الهرم والمراد كما اذا قطعت يده ورجلاه فهذه عن قتله * ثم قال تعالى (فشدوا الوثاق) أمر ارشاده ثم قال تعالى (فاما من بعد واما فداءه) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اما واما المحصر وحالهم بعد الاسر غير منحصر

منه (حتى اذا أختصمهم) أي أكثرتم قتلهم وأغلظتموه من الشيء الثخين وهو الغليظ أو أثقلوه وهم ياقتل والجراح حتى أذهبتهم عنهم التهموض (فشدوا الوثاق) فأسروهم واحتفظوهم والوثاق اسم لما يوثق به وكذا الوثاق بالكسر وقد قرئ بذلك (فاما من بعد واما فداءه) أي فاما تنون من بعد ذلك أو تفدون فداء والمعنى الخبيسر بين القتل والاسترقاق وان فداءه وهذا ثابت عند النبي رحمه الله تعالى وسندنا منسوخ فاقول ذلك يوم يدرى نسخ حكمكم اما القتل أو الاسترقاق ونحن مجاهد ليس اليوم من لا فداء انما هو الاسلام أو ضرب العنق

وقرى فدا كعصا (حتى تضع الحرب) ﴿ ٥٢٩ ﴾ (أوزارها) أوزار الحرب آلتها وأثقالها التي لا تقوم الا بها

من السلاح والكرع
وأشد وضعها اليها
ومولاهما استنادا
بجوازا وحتى غاية عند
الشافعي لاحد الامور
الاربعة أول المجموع
والعنى أهم الأوزار على
ذلك أبدا الى أن لا يكون
مع المشركين حرب بأن
لا تبقى لهم شوكة وقبل
بأن يتزل هبسى عليه
السلام وأما عند أبي
حنيفة رحمه الله تعالى
فإن حل الحرب على حرب
بدر فمضى غاية لمن
والغداة والعنى عن عليهم
و يفادون حتى تضع
حرب بدر أوزارها وإن
جئت على الجنس فهمي
غاية للضرب والشد
والعنى أنهم يقتلون
ويؤثرون حتى يضع
جنس الحرب أوزارها
بأن لا يبقى للمشركين
شوكة وقيل أوزارها
آلتها أى حتى يترك
المشركون شرهم
ومعا صهيهم بأن أسلوا
(ذلك) أى الامر ذلك
أو أذاعوا ذلك (ولو يشاء
الله لا تنصر منهم)
لا تنتم منهم يهض
أسباب الهدنة

في الامر بل يجوز انقل الاسترقاق والنز والقتل فتقول هذا ارشاد فذكر الامر
العام الجازم في سائر الاجناس والاسترقاق غير جائز في أسر العرب قال النبي صلى الله عليه
وسلم كان معهم فلم يذكر الاسترقاق وأما القتل فلان الضام في المنخن الا زمان لان القتل
ذكره بقوله فضرب الرقاب فلم يبق الا الامران (المسئلة الثانية) منا وفداء متصوبان
لكونهما مصدرين تقديره فامتنون منا واما تفدون فداء وتديم المن على الفداء اشارة
الى ترجيح حرمة النفس على طلب المال والفداء يجوز أن يكون مالا وأن يكون غيره من
الاسرى أو شرط اشتراط عليهم أو عليه وحده (المسئلة الثالثة) اذا قدرنا النعل وهو تمنين
أو تفدون على تقدير النعل حتى نقول فامتنون عليهم منا أو تفدونهم فداء قيل لان
المقصود المن والفداء لاطلهم و بهم كايقول التازل فلان يعطى وينع ولا يقال يعطى
زيدا وينع عرا لان فرضه ذكر كونه فاعلا لا بيان المقعول وكذلك معناه المتصود ارشاد
المؤمنين الى الفضل ثم قال تعالى (حتى تضع الحرب أوزارها) وفي تعلق حتى وجهان
(أحدهما) تعلقها باقتل أقتلهم حتى تضع (وثانيهما) بالبن والفداء ويحتمل أن يقال
متعلقة بشدوا الوثاق وتعلقها بالقتل أظهر وإن كان ذكره أبعد وفي الأوزار وجهان
(أحدهما) السلاح (والثاني) الأنام وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ان كان المراد الاتم
فكيف تضع الحرب الاتم والاتم على المحارب وكذلك السؤال في السلاح لكنه على الاول
اشد توجهها فنقول تضع الحرب الأوزار لا من نفسها بل تضع الأوزار التي على المحارب بين
والسلاح الذي عليهم (المسئلة الثانية) هل هذا كقوله تعالى واسئل القرية حتى يكون
كأنه قال حتى تضع أمه الحرب أو فرقة الحرب أوزارها نقول ذلك محتمل في النظر الاول
لكن اذا أمعنت في المعنى تجد بينهما فرقا وذلك لان المتصود من قوله حتى تضع الحرب
أوزارها انقراض الحرب بالكلية بحيث لا يبقى في الدنيا حرب من أحزاب الكفر بحارب
حزبا من احزاب الاسلام ولو قلنا حتى تضع أمه الحرب جاز أن يضعوا الأسلحة ويتركوا
الحرب وهي ياقية بمدتها كما نقول خصومتنا انفصلت ولكنى تركتها في هذه الايام وإذا
أسندنا الوضع الى الحرب يكون معناه ان الحرب لم يبق (المسئلة الثالثة) لو قال حتى لا يبقى
حرب أو ينقرض الحرب هل يحصل معنى قوله حتى تضع الحرب أوزارها فنقول لا والله لا
بين العبارتين مع قطع النظر عن التصم بل النظر الى نفس المعنى كالنساوت بين قولك
انقرضت دولة بني أمية وقولك لم يبق من دولتهم أثر ولا شأن الثاني البلغ فكذلك ههنا
قوله تعالى أوزارها معناه آثارها فإن أوزار الحرب آثارها (المسئلة الرابعة) وقت
وضع أوزار الحرب متى هو فنقول فيه احوال حاصلها راجع الى أن ذلك الوقت هو الوقت
الذى لا يبقى فيه حزب من احزاب الاسلام وحزب من احزاب الكفر وقبل ذلك عند قتال
الرجال ونزال عسى عليه السلام ثم قال تعالى (إذ لا يشاء الله لا تنصر منهم) في معنى
ذلك وجهان (أحدهما) امر ذلك ولبيد محذوف ويحتمل أن يقال ذلك واجب ومقدم

أسباب الهدنة ﴿ ٦٧ ﴾ ما والاستفصال (ولكن) لم يشأ ذلك (ليلو بهضكة

بهم بن) فامرهم بالقتال ويلاكم بالكافرين لتجاهدوهم ﴿٥٣٠﴾ فتستوجبوا الثواب العظيم بموجب الوعد

كايقول القائل ان فعلت فذاك اى فذاك مقصود ومطلوب ثم بين ان قتالهم ليس طريقا متينا بل الله اوداد اهلكهم من غير جند * قوله تعالى (ولكن ليلبو بعضكم ببعض) اى ولكن ليكلمكم به فيحصل لكم شرف باختياره اياكم لهذا الامر فان قيل ما التحقيق في قولنا التكليف ابتلاء وامتحان والله يعلم السر وأخفى وماذا يفهم من قوله ولكن ليلبو بعضكم ببعض نقول فيه وجوه (الاول) المراد منه يفعل ذلك فعل المبشرين اى كاي فعل المبشئ المتخير ومنها ان الله تعالى يبيّن ليطهر الامر افعيره اما للثبات والامانة والتحقق هو ان الابتلاء والامتحان والاختبار فعل يظهر بسببه امر غير متعين عند العقلاء بالنظر اليه فقصدا الى ظهوره وقولنا فعل يظهر بسببه امر ظاهر الدخول في مفهوم الابتلاء لان ما لا يظهر بشبهه شئ أصلا لا يسمى ابتلاء وما قولنا امر غير متعين عند العقلاء وذلك لان من يضرب بسببه على القناه والخيار لا يقال انه يتحقق لان الامر الذى يظهر منه متعين وهو القطع والقدر يقسمين فاذا ضرب بسببه سعي يقال يتحقق سعيه لان الامر فيه غير متعين وقديقه وقد لا يقده وأما قولنا ليطهر منه ذلك فلان من يضرب سعي بسببه ليدفعه عن نفسه لا يقال انه يتحقق لان ضربه ليس لظهور امر متعين اذا علم هذا فنقول الله تعالى اذا امرنا بفعل يظهر بسببه امر غير متعين وهو اما الطاعة أو المعصية في القول ليطهر ذلك يكون متحققا وان كان عالما به لكون عدم العلم مقارنا فينا لا ابتلاء فاذا ابتلىنا وصدق العلم فينا مستمر امرنا وليس من ضرورات الابتلاء فان قيل الابتلاء فائدة حصول العلم عند المبشئ فاذا كان الله تعالى عالما فائدة فائدة فيه نقول ليس هذا سؤالا يختص بالابتلاء فان قول القائل اى اى كقول القائل لم عاقب الكافر وهو مستغن ولم خلق النار تحرقه وهو قادر على ان يخلقها بحيث تنفع ولا تضر (وجوابه) لا يستل عايقا فنقول حينئذ ما قاله المتقدمون انه لظهور الامر المتعين لاله وبعدها فنقول المبشئ لا حاجة له الى الامر الذى يظهر من الابتلاء فان المتحقق السيف فيما ذكرنا من الصورة لا حاجة له الى قطع ما يجرب السيف فيه حتى انه لو كان محتاجا كاضر بنا من مثال دفع السبع بالسيف لا يقال انه يتحقق وقوله ليلبو بعضكم ببعض اشارة الى عدم الحاجة تفرير قوله تعالى ذلك لو يشاء الله لاتنصرهم منهم * ثم قال تعالى (والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم) اقرى قتلوا وقالوا وانكل مناسب لما تقدم امامنا قرأ قتلوا ولانه لما قال فضرب الرقاب ومعناه فاقتلوهم بين ما للقائل بقوله والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم ردا على من زعم أن القتل فساد محرم اذ هو قضاء من هو مكرم فقال عملهم ليس كعصاة الكافر بل هو فوق حسنات الكافر أضل الله أعمال الكفار وان يضل انقائين فكيف يكون القتل سواء سنة وامان قرأ قاتلوا فهو أكثر فائدة وأعم تناولا لانه يدخل فيه من حصى القتل سواء قتل أولم يقتل وامان قرأ والذين قتلوا على البناء للمفعول فنقول هي مناسبة لما تقدم من وجوه (أحدها) هو انه تعالى لما قال فضرب الرقاب اى اقلوا والقتل لا يتأتى الا بالاقدام

والكافرين بكم ليعاجلهم
هـ الى أيديكم بعض
عذابهم كي يرتدع بعضهم
عن الكفر (والذين
قتلوا في سبيل الله) اى
استشهدوا وقرى قاتلوا
اى جاهدوا وقتلوا
وقتلوا (فلن يضل
أعمالهم) اى فلن
يضيعها وقرى يضل
أعمالهم على البناء
للمفعول ويضل أعمالهم
من ضل وعن قتادة انها
تزلت في يوم أحد
(سجدتهم) في الدنيا
الى أرشد الامور وفي
الآخرة الى الثواب
أوسبب ثبت هـ ما يتهم
(ويصلح بالهم ويدخلهم
الجنة عرفها لهم) في
الدنيا يذكر أو صافها
بحيث اشتاقوا اليها
أو بينها لهم بحيث يعلم
كل أحد منزلته ويهتدى
اليه كأنه كان ساكنه
من خلق وعن مقاتل أن
الملك الموكل بعمله في
الدنيا يمشى بين يديه
فيعرفه كل شئ أعطاه
الله تعالى أو طيبها لهم
لقن العرف وهو طيب
أرائحة أو حذوها لهم

محددة مفروزة والجملة امامستانة أوحال ﴿ ٥٣١ ﴾ بالصغار قدأو بدونه (يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله) اي

دينه ورسوله (ينصركم)
على أعدائكم و يفتح
لكم أبواب أقدامكم)
في مرا طن الحرب
وموافقتها أو على حجة
الاسلام (والذين
كفروا فعسا لهم)
التعس الهلاك والعثار
والسقوط والشر
والبعد والانحطاط
ورجل تاعس وتعمس
واتصاه بفعله الواجب
حذفه سمعا أي فقال
نعمس لهم أو ففضي نعمسا
لهم وقوله تعالى (وأضل
أعمالهم) عطف عليه
داخل معه في حيز
الخبر به للوصول (ذلك)
أي ما ذكر من التعس
واضلال الأعمال
(بأنهم) بسبب أنهم
(كروها ما أنزل الله)
من القرآن لما فيه من
التوحيد وسائر الاحكام
المخالفة لما ألغوه واشتبهت
أنفسهم بالامارة بالسوء
(فأحبط) لاجل ذلك
(أع لهم) التي لو كانوا
عملوها مع الايمان
لا يثبوا عليها (أفلم
يسروا في الارض)
أي أقعدوا في اماكنهم
فلم يسروا فيها (فينظروا كيف كان عقابه الذين

وخوف ان يقتل المقدم بمنعه من الاقدام فقال لا تخافوا قتل فان من يقتل في سبيل الله
له من الاجر والثواب ما لا ينعم المقاتل من القتال بل يحبه عليه (وثانيها) هوانه تعالى
لما قال ليبلو بعضكم بعضا والمبلى بان شئ له على كل وجه من وجوه امثرا الظاهر بالابتلاء
حال من الاحوال فان السيف المحتج تزبد قيمته على تقدير أن يقطع ويتقص على تفسير
أن لا يقطع فعال المبلى ان قتل فله ان لا يضل عمله ويهدى ويكرم ويدخل
الجنة وامان قتل فلا تخفى أمره عاجلا وأجلا وترك بيانه على تقدير كونه قاتلا ادهوره
وبين حاله على تقدير كونه مقتولا (وثالثها) هوانه تعالى لما قال ليبلوكم ولا يثنى الشئ
التفيس بما يخاف منه هلاكه فان السيف المهتد العصب الكبير القيمة لا يجرب بان شئ
الصلب الذي يخاف عليه منه الانكسار ولكن الأدمى مكرم كرمه الله وشرفه وعظمه
فلماذا ابتلاه بالقتال وهو يفضي الى القتل والهلاك افضاء غير نادر فكيف يحسن هذا
الابتلاء فنقول القتل ليس باهلاك بالنسبة الى المؤمن فانه يورث الحياة الابدية فاذا
ابتلاه باقتل فهو على تقدير أن يقتل مكرم وعلى تقدير ان لا يقتل مكرم هذا ان قاتل
وان لم يقاتل فلموت لا بد منه وقد فوت على نفسه الاجر الكبير واما قوله تعالى فان يضل
اعمالهم قد علم معنى الاضلال بين الفرق بين العبارتين في حق الكافر والاضال قال أضل
وقال في حق المؤمن الداعي ان يضل لان المقاتل داع الى الايمان لان قوله حتى تضع الحرب
أوزارها قد ذكر أن معناه حتى لم يبق اثم بسبب حرب وذلك حيث يسلم الكافر بالمقاتل
يقول اما ان تسلم واما ان تقتل فهو داع والكافر صاد وبينهما تبان وتضاد فقال في حق
الكافر أضل بصيغة الماضي ولم يقل يضل اشارة الى ان عمله حيث وجد عدمه وكان له لم يوجد
من أصله وقال في حق المؤمن فلن يضل ولم يقل ما أضل اشارة الى ان عمله ثابت عليه أثبت
له فلن يضل للثبوت بينهما غاية الخلاف كما أن بين الداعي والصادق غاية التبان والتضاد فان
قيل ماعنى الغاء في قوله فلن يضل جوابه لان في قوله تعالى والذين قتلوا معنى الشرط
وقوله تعالى (سيهديهم) ان قرئ قتلوا أو قاتلوا افا الهداية محمولة على الآجلة والعاجلة
وان قرئ قتلوا فهو في الآخرة سيهديهم طريق الجنة من غير وقعة من قبورها الى موضع
حبورها وقوله (ويصلح بهم) قد تقدم تفسيره في قوله تعالى أصليح بهم والماضي
والمستقبل راجع الى ان هناك وعدهم ما وعدهم بسبب الايمان والعمل الصالح وذلك كان
واقعا منهم فاجبر عن الجزاء بصيغة تمل على الوقوع وههنا وعدهم بسبب القتال والقتل
فكان في اللفظ ما يدل على الاستقبال لان قوله تعالى فاذا القيم يدل على الاستقبال فقال
ويصلح بهم ثم قال تعالى (ويدخلهم الجنة) وكان الله تعالى عند حشرهم يهديهم الى
طريق الجنة ويسمهم في الطريق خلع الكرامة وهو اصلاح البال ويدخلهم الجنة فهو
على ترتيب الوقوع وقوله (عرفها لهم) فقيه وجوه (أحدها) هوان كل أحد يعرف
منزله وماواه حتى ان أهل الجنة يكونون أعرف بمنزلهم فيما من أهل الجنة يتشرون

فلم يسروا فيها (فينظروا كيف كان عقابه الذين

من قبلهم) من الأمم المذبذبة فان النار ديارهم تلبي عن اخبارهم ﴿ ٥٣٢ ﴾ وقوله تعالى (دمر الله عليهم)

في الارض كل أحد يأوى الى منزله ومنهم من قال الملك الموكل بأعماله يهديه (الوجه الثاني) عرفها لهم أى طيها يقال يقال طعام معرف (الوجه الثالث) قال الزخشرى يحتمل أن يقال عرفها لهم حدددها من عرف الدار وأرفها أى حدددها وتحديدها في قوله وجنة تعرضها السموات والارض ويحتمل أن يقال المراد هو قوله تعالى وتلك الجنة التي أوردناهم فيها مع آلهما بما كانوا كافرين وفيه وجه آخر وهو أن يقال معناه عرفها لهم قبل القتل فان الشهيد قبل وفاته تعرض عليه منزله في الجنة فيشتاق اليه (وجه ثان) معناه يدخلهم الجنة ولا حاجة الى وصفها فانه تعالى عرفها لهم من اراء وصفها (وجه ثالث) وهو من باب تعريف الضلالة فان الله تعالى لما قال ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة فكانه تعالى قال من يأخذ الجنة ويطلبها بما أو بنفسه فالذي قتل سمع التعريف وبذل ما طلب منه عليها فادخلها ثم انه تعالى لما بين ما على القتال من الثواب والاجر وعدهم بالنصر في الدنيا زيادة في الحث ليرداد منهم الاقدام فقال (يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) وفي نصر الله تعالى وجوه (الاول) ان تنصروا دين الله وطريقه (والثاني) ان تنصروا حربه الله وفريقه (والثالث) المراد نصر الله حقيقة فنقول النصر تحقيق مطلوب أحد المتعاضدين عند الاجتهاد والاختار في تحقيق علامته فالشيطان عدو الله يجتهد في تحقيق الكفر وغلبة أهل الايمان والله يطلب نعم الكفر وأهلاك أهله وإفناء من اختار الاشراك بجوهله فن حقق نصره الله حيث حقق مطلوبه لا تقول حقق مراده فان مراد الله لا يحققه غيره ومطلوبه عند أهل السنة نبي مراده فانه طالب الايمان من الكافر ولم يرد والواقع ثم قال ينصركم فان قيل فعلام قلت اذا نصر المؤمنين الله تعالى فقله حقق ما طلبه فكيف يحقق ما طلبه العبد وهو شيء واحد فنقول المؤمن ينصر الله بخروجه الى القتال واقدامه والله ينصره بتقويته وتثبيت اقدامه وارسال الملائكة الحافظين له من خلفه وقدامه ﴿ ثم قال تعالى (والذين كفروا فعسا لهم) هذا زيادة في تقوية قلوبهم لانه تعالى لما قال ويثبت أقدامكم جازأن يتوهم أن الكافر أيضا يصبر ويثبت للقتال فيدوم القتال والحرب والطعان والضرب وفيه المشقة العظيمة فقال تعالى لكم اشبات وانهم الزوال والتغير والهلاك فلا يكون الثبات وسببه ظاهر لان آلهتهم جادات لا قدرة لها ولا ثبات عندهم له قدرة فهي غير صالحه لدفع ما قدره الله تعالى عليهم من الدمار وعند هذا لابد من زوال القدم والشار وقال في حق المؤمنين ويثبت بصيغة الوعد لان الله تعالى لا يجب عليه شيء وقال في حقهم بصيغة الدعاء وهي أبلغ من صيغة الاخبار من الله لان عسا بهم واجب لان عدم النصر من آلهتهم واجب الوقوع اذ لا قدرة لها والتثبيت من الله ليس بواجب الوقوع لانه قادر بخلافه فعل ما يشاء ﴿ وقوله (واضل اعمالهم) اشارة الى بيان مخافة موتاهم قتلى المسلمين حيث قال في حق قتلاهم فلن يضل اعمالهم وقال في موتى الكافرين أضل اعمالهم ثم بين الله تعالى سبب

استئفاف مبنى على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل كيف كان عاقبتهم فقيل استأصل الله تعالى عليهم ما اختص بهم من أنفسهم وأهليهم وأموالهم يقال دمره أهلكه ودمر عليه أهلك عليه ما يختص به (والكافرين) أى وهؤلاء الكافرين الساترين بسيرتهم (امثالها) أمثال صواقهم أو عقوباتهم لكن لا على أن أهؤلاء أمثال ما لا ونسك وأضما فله بل مثله وانما جمع باعتبار مماثلته لتواقب متعددة حسب تعدد الأمم المعسفة وقيل يجوز ان يكون عذابهم أشد من عذاب الاولين وقد قتلوا وأسرروا بأيدي من كانوا يستخفونهم ويستضعفونهم والقتل بيد المثل أشد الممان الهلاك بسبب عام وقيل المراد بالكافرين المشركون بطريق وضع الظاهر موضع

الضمير كأنه قيل دمر الله عليهم في الدنيا ولهم في الآخرة أمثالها (ذلك) اشارة الى ثبوت أمثال ﴿ ما اختلفوا ﴾ حقوقه الأمم السالفة لهؤلاء (بأن الله مولى الذين آمنوا)

أى ناصهم على أعدائهم وقرئ ﴿ ٥٣٣ ﴾ ولي الذين (وأن الكافرين لا مولى لهم) فيدفع عنهم ما حل بهم

ما لفتة فذبح فقال (ذلك بانهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم) وفيه وجوه (الاول)
الماء القار ووجهه هو ان كيفية العمل الصالح لا تعلم بالعقل واعتاد بك الشرع والشرع
بالله آت فذا عرفوا الم عرفوا العمل الصالح وكيفية الاتيان به فأتوا بالباطل فأحبط أعمالهم
(الثاني) كرهوا ما أنزل الله من بيان التوحيد كما قال الله تعالى عنهم أشكركم كآلهتنا
وقال تعالى أنجعل الآلهة إلها واحدا الى ان قال ان هذا الاختلاف وقال تعالى وإذا
ذكر الله وحده أشتارت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ووجهه ان الشرك يحبط للعمل قال
الله تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك وكيف لا لا العمل من الشرك لا يتبع وأوجد الله فلا يقاء
له في نفسه ولا يقاء له بقاء من له العمل لان كل ماسوى وجه الله تعالى هالك محبض (الثالث)
كرهوا ما أنزل الله من بيان امر الآخرة فلم يعملوا إلها والدينا وما فيها وما آلهها باطل فأحبط
الله أعمالهم * وقوله (افلم يسروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم)
فيه مناسبة للوجه الثالث يعنى فينظروا الى حالهم ويعلموا ان الدنيا قافية * وقوله (دمر
الله لميهم) أى أهلك عليهم متاع الدنيا من الاموال والاولاد والارواح والاجساد * وقوله
تعالى (وللكافرين أمثالها) يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون المراد لهم أمثالها في
الدنيا وحيث يذكرون المراد من الكافرين هم الكافرون بمحمد عليه الصلاة والسلام
(وثانيهما) أن يكون المراد لهم أمثالها في الآخرة فيكون المراد من تقدم كأنه يقول
دمر الله عليهم في الدنيا ولهم في الآخرة أمثالها وفي العاقبة ضمر المؤنث في قوله أمثالها
وجها (أحدهما) هو المذكور وهو العاقبة (وثانيهما) هو المفهوم وهو العقوبة لان
التدمير كان عقوبة لهم فان قيل على قولنا المراد الكافرين بمحمد عليه السلام أمثال
ما كان لهم تقدمهم من العاقبة ردسؤال وهوان الاولين أهلكوا بوقائع شديدة كالزالزل
والنيران وغيرهما من الرياح والعلوفان ولا كذلك قوم محمد صلى الله عليه وسلم نقول جاز
أن يكون عذابهم أشد من عذاب الاولين لكون دين محمد أظهر بسبب تقدم الانبياء عليهم
السلام عليه واخبارهم عنه وانذارهم به على انهم قتلوا واسروا بأيدى من كانوا
يستخفونهم ويستضعفونهم والقيل بيد المثل ألم من الهلاك بسبب عام (وسؤال آخر) اذا
كان الضمير عائدا الى العاقبة فكيف يكون لها أمثال قلنا يجوز أن يقال المراد العذاب
الذى هو مدلول العاقبة أو الالم الذى كانت العاقبة عليه * ثم قال تعالى (ذلك بأن الله مولى
الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم) ذلك يحتمل أن يكون اشارة الى النصر وهو
اختار جماعه ذكره الواحدى ويحتمل وجه آخر أغرب من حيث النقل وأقرب من حيث
العقل وهو انما يبان قوله تعالى وللکافرين أمثالها اشارة الى ان قوم محمد عليه الصلاة
والسلام اهلكوا بأيدى أمثالهم الذين كانوا الارضون بمجساتهم وهواكم من الهلاك
بالسبب العام قال تعالى ذلك أى الاهلاك والهوان بسبب ان الله تعالى ناصر المؤمنين
والکافرون اتخذوا آلهة لاتنفع ولا تضر وتروا الله فلا ناصر لهم ولا شك ان من نصره

من العقوبة والعذاب
ولا يخاف هذا قوله
تعالى ثم ردوا الى الله
مولاهم الحق فان المولى
هناك بمعنى المالك (ان
الله يدخل الذين آمنوا
وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتها
الانهار) بيان سلمهم
ولا يشك تعالى لهم وثمرتها
الآخرة (والذين
كفروا يتعذبون) أى
يتعذبون في الدنيا بما عملوا
(وبالکون كما نأكل
الانعام) غافلين عن
عواقبهم (والنار مشوى
لهم) أى مغزل نواء
واقامة والجحيم اما حال
مقدرة من واولا يكون
أو استثنائي (وكاين)
كلمة مركبة من الكاف
واى بمعنى كم الخبرية
ومحملها الرفع بالابتداء
وقوله تعالى (من قرية)
تمييز لها وقوله تعالى
(هى أشد قوة من
قرينك) صفة لقرينة
كأن قوله تعالى (التي
أخرجك) صفة
أقربك وقد حذف
عنهما المضاف وأجرى
أحكامه عليهما كما

يفصح عنه الخبر الذى هو قوله تعالى (أهلكناهم) أى وكن من أهل قرية

هم أشد قوة من أهل قرنتك الذين كانوا سيدي الخروجك منهم ﴿ ٥٣٤ ﴾ ووصف القرية الأولى بشدة القوة

للإيدان بأولوية الثانية منها بالاهلاك لضعف قوتها كأن وصف الثانية بإخراجه عليه الصلاة والسلام للإيدان بأولويتها به قوة جسيبتها وعلى طريقته قول التائفة * كليب لعمري كان أكثر ناصرا * وأبسر جرما منك صرح بالدم * وقوله تعالى (فلاناصرهم) بيان لعدم خلاصهم من العذاب بواسطة الاعوان والانصار اثر بيان عدم خلاصهم منه بأنفسهم والفناء لتزيب ذكر ما بالغير على ذكر ما بالذات وهو حكاية حال ماضية (أفن) كان على يده من ربه) تفرير لبيان حال فریق المؤمنين والكافرين وكون الأولين في أعلى عليين والآخرين في أسفل سافلين وبيان لعله ما لئلك منها من الحال والهزيمة للإنكار والفناء لا عطف على مقدر يقتضيه المقام وقد قرئ بدونها من عبارة عن المؤمنين المتسكين بأدلة الدين

وجعلها عبارة عن النبي عليه الصلاة والسلام أو عنه وعن المؤمنين لإيساعده النظم الكريم ﴿ وناشأ ﴾ على أن الموازنة بينه عليه الصلاة

والسلام وينهم مما ياباه منصبه الجليل ﴿ ٥٣٥ ﴾ والتقدير ألبس الأمر كما ذكر فن كان مستقرا على حجة ظاهرة

(وثالثها) الانعام تغلف لتسمن وهي غافلة عن الأمر لاتعلم انها كلما كانت أسمن كانت أقرب الى الذبح والهلاك وكذلك الكافر ويناسب ذلك قوله تعالى والنار مثوى لهم (المسئلة الرابعة) قال في حق المؤمن ان الله يدخل بصيغته الوعد وقال في حق الكافر والنار مثوى لهم بصيغته تنبي عن الاستحقاق لما ذكرنا ان الاحسان لا يستدعي أن يكون عن استحقاق فالحسن الى من لم يوجد منه ما يوجب الاحسان كريم والمعذب من غير استحقاق ظالم * قوله تعالى (وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكتناهم فلا تناصرهم) لما ضرب الله تعالى لهم مثلا بقوله أفلم يسيرا في الارض ولم يتفهم مع ما تقدم من الدلائل ضرب للنبي عليه السلام مثلا لتسلية له فقال وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكتناهم وكانوا أشد من أهل مكة كذلك نفعل بهم فاصبر كما صبر رسولهم وقوله فلا تناصرهم قال ان تخشع كيف قوله فلا تناصرهم مع ان الاهلاك ماض وقوله فلا تناصرهم الحال والاستقبال والجواب انه محمول على الحكاية والحكاية كالحال الحاضر ويحتمل ان يقال أهلكتناهم في الدنيا فلا تناصرهم ينصرهم ويختصهم من العذاب الذي هم فيه ويحتمل أن يقال قوله فلا تناصرهم عائدا الى أهل قرية محمد عليه السلام كأنه قال أهلكتنا من تقدم أهل قريتك ولاناصر لأهل قريتك ينصرهم ويخصهم بما جرى على الاولين * ثم قال تعالى (أفن كان على بينة من ربه فكزبن له سوء عمله واتبعوا أهواءهم) اعلم ان هذا اشارة الى الفرق بين النبي عليه السلام والكفار لعلم ان اهلاك الكفار ونصرة النبي عليه السلام في الدنيا محقق وان الحال يناسب تعذيب الكافر واتابة المؤمن وقوله على بينة فرق فارق وقوله من ربه مكمل له وذلك ان البينة اذا كانت نظرية تكون كافية لفرق بين المتسك بها وبين القائل قول الادليل عليه فاذا كانت البينة منزلة من الله تعالى تكون أقوى وأظهر فكون أعلى وأبهر ويحتمل أن يقال قوله من ربه ليس المراد ازالها منه بل المراد كونها من الرب بمعنى قوله يهدي من يشاء وقولنا الهداية من الله وكذلك قوله تعالى كنزبن له سوء عمله فرق فارق وقوله واتبعوا أهواءهم تكملة وذلك ان من زبن له سوء عمله وراجت الشبهة عليه في مقابلة من يدين له البرهان وقبله لكن من راجت الشبهة عليه فديتفكر في الامر ويرجع الى الحق فيكون أقرب الى من هو على البرهان وقد يتبع هواه ولا يتدبر في البرهان ولا يتفكر في البيان فيكون في غاية البعد فاذن حصل النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمن مع الكافر في طرفي التضاد وغاية التباعد حتى مداهم بالبينه والكافر له الشبهة وهو مع الله وأولئك مع الهوى وعلى قولنا من ربه معناه الاضافة الى الله كقولنا الهداية من الله فتقوله اتبعوا أهواءهم مع ذلك القول يفيد معنى قوله تعالى ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وقوله كنزبن له سوء عمله بصيغة التوحيد محمول على لفظة من وقوله واتبعوا أهواءهم محمول على معناه فانها للجمع والعموم وذلك لان التزيين للكل على حد واحد فحمل على

وبرهان نير من مالك
امرهم ومريه وهو الهوان
الكرهم وسائر المعجزات
والجج العقيلة (كنزبن
له سوء عمله) من الشرك
وسائر المعاصي مع كونه
في نفسه أفعج الشبانج
(واتبعوا) بسبب ذلك
التزيين (أهواءهم)
الزائفة وان يكون في فنون
الضلالات من غير أن
يكون لهم شبهة ثوهم
صحفة ما هم عليه فضلا
عن حجة تنيل عليه وجم
الضمير بن الاخبرين
باعتبار معنى من كما أن
افراد الاولين باعتبار
لفظها (مثل الجنة التي
وعدا المتقون) استشفاه
مسوق اشرح بحاسن
الجنة الموعودة أنفا
للمؤمنين وبيان كيفية
أنهارها التي أشبهت
جرياتها من ثقتها وعب
عنهم بالمتقين ايذانا بان
الابن والعمل الصالح
من باب القوى الذي
هو عبارة عن فعل
الواجبات بأسرها
وترك السببات عن
آخرها ومثلها وصفها
العجيب الشأن وهو
مبتدأ محذوف الخبر فقدره النضر بن شبيل مثل الجنة مائسمون وقوله تعالى (فيها أنهار)

الح مفسرله وقد ربه سببه به فيما على عليكم مثل الجنة والاول هو ٥٣٦ * الانسب لصدور النظم الكرم وقبل

المثل زائدة كزيادة الاسم في قول من قال * الى الحول ثم اسم السلام عليكم * والجنة مبتدأ خبره فيها أنهار الخ (من ماء غير آسن) أى غير متغير الطعم والرائحة وقرى غير آسن (وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) بأن صار قارصا ولا أزارا كاللبن الدنيا (وأنهار من خمر لذة للشاربين) لذية ليس فيها كراهة طعم وريح ولا غائلة سكر ولا خمار وانما هي تلذذ محض ولذة اما تأنيث لذة بمعنى اللذيد او مصدر نعت به مبالغة وقرى لذة بالرفع على انها صفة انهار وبالنصب على العلة أى لاجل لذة الشاربين (وأنهار من عسل مصفى) لا يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها وفي هذا تمثيل لما يجرى مجرى الاشربة في الجنة بأنواع ما يستطاب منها ويستند في الدنيا بالتحلية عما يشتهيها ويتغصها والتخينة بما يوجب غراتها ودوامها

اللفظ قر به منه في الحس والذكر وعند اتباع الهوى كل أحد يتبع هوى نفسه فطهر التعدد فعمل على المعنى * قوله تعالى (مثل الجنة التي وعد المتقون) لما بين الفرق بين الفريقين في الاهتداء والضلال بين الفرق بينهما في مربيتهما وما لهما وكأقدم على البينة في الذكر على من اتبع هواه قدم حاله في ما آله على حال من هو بخلاف حاله وفي التفسير مسائل (المسئلة الاولى) قوله تعالى مثل الجنة يستدعى أمرا يمثل به فاهو نقول فيه وجوه (الاول) قول سيبويه حيث قال المثل هو الوصف معناه وصف الجنة وذلك لا ينضى مثالا به وعلى هذا فبقية احتمالات (احدهما) ان يكون الخبر محذوفاً ويكون مثل الجنة مبتدأ يتدبره فيما قصصناه مثل الجنة ثم يستأنف ويقول فيها أنهار وكذلك القول في سورة الرعد يكون قوله تعالى تجرى من تحتها الأنهار ابتداء بيان (والاحتمال الثاني) ان يكون فيها أنهار وقوله تجرى من تحتها خبرا كما يقال صفلى زيداً فقول القائل زيداً أحر قصير والقول الثاني ان المثل زيادة والتقدير الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار (الوجه الثاني) ههنا المثل به محذوف غير مذكور وهو يحتمل قولين (أحدهما) قول الزجاج حيث قال مثل الجنة جنة تجرى فيها أنهار كما يقال مثل زيد رجل طويل أسمر فيذكر عين صفات زيد في رجل منكر لا يكون هو في الحقيقة الا زيدا (الثاني) من القولين هو أن يقال معناه مثل الجنة التي وعد المتقون مثل عجيب أو شئ عظيم أو مثل ذلك وعلى هذا يكون قوله فيها أنهار كلاماً مستأنفاً محققاً لتأنيث المثل عجيب (الوجه الثالث) المثل به مذكور وهو قول الزنجشیری حيث قال يكن هو خالداً في النار شبه به على طريقة الانتكار وحينئذ فهذا كقول القائل حر كات زيداً وأخلاقه كعمرو على أحد التأويلين اما على تأويل تحركات عمرو أو على تأويل زيدنى حر كانه كعمرو وكذلك ههنا كانه تعالى قال مثل الجنة يكن هو الخالق انار وهذا أقصى ما يمكن ان يقرر به قول الزنجشیری وعلى هذا فقله تعالى فيها أنهار وما بعد هاجل اعتراضيه وقعت بين البدأ والخبر كما يقال نظير زيد فيه ممر وقوله عنده علم وله أصل عمرو * ثم قال تعالى (فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى) اختار الأنهار من الاجناس اذ ربة وذلك لان المشروب اما ان يشرب لطعمه واما ان يشرب لآمره فغير عائد الى الطعم وان كان للشمع فالشمع تسعة المر والمالح والحرىف والحامض والعفص والقابض واقفه الخلو والدمسم انهما الخلو والدمسم لكن احلى الاشياء العسل فذكر واما ادمسم الاشياء فانه من لكن الدسومة اذا تحضت لا تطيب الا كل ولا لا يشرب فان الدهن لا يؤكل ولا يشرب كاهو في الغالب واما اللبن فبما ادمسم الكائن في غيره وهو طيب الاكل وانه تغذية الحيوان اولا فذكره الله تعالى واما ما يشرب لآمره عائد الى الطعم فالخمر والخمر فالخمر فيها أمر يشربها الشارب لاجله وهى كريمة الطعم باتفاق من يشرب بها وحصول التواتر به ثم عرى كل واحد من الاشياء الاربع عن صفات انقص التي هى فيها وتغير بها في الدنيا فالله تعالى يقول ان

(ولهم فيها) مع ما ذكر من فنون الانهار ﴿٥٢٧﴾ (من كل الثمرات) اي صنف من كل الثمرات (ومغفرة) أى ولهم

مغفرة عظيمة لا يقادر قدرها وقوله تعالى (من ر بهم) متعلق بمحذوف هو صفة لمغفرة مؤكدة لما افاده التكبير من الغفامة المناسبة بالغفامة الاضافية أى كاشفة من ربههم وقوله تعالى (كن هو خالدي النار) خبر مبتدأ محذوف تقديره أمن هو خالدي هذه الجنة حسبما جرى به الوعد كن هو خالدي النار كما نطق به قوله تعالى والنار مثوى لهم وقيل هو خير لئلا الجنة عسى أن في الكلام حذف تقديره أمثل الجنة كمثل جزاء من هو خالدي النار أو مثل أهل الجنة كن من هو خالدي النار وعسى حرف الانكار وحذف ما حذف تصويرا لمكارة من بسوى بين المسك بالبين وبين التابع لهوى بمكارة من سوى بين الجنة الموصوفة بما فصل من الصفات الجليلة وبين النار (وسقوا ماء حميا) مكان تلك الاشربة

الماء يأسن على وزن آمن بامن فهو آسن وأسن اللين اذا بقي زمانا بغير طعمه والخمر يكرهه الشارب عند الشرب والعلل يشوبه اجزاء من الشمع ومن التحل يموت فيه كثيرا ثم ان الله تعالى خلط الجنسين فذكر الماء الذي يشرب لا لا طعم وهو عام الشرب وقرن به اللبن الذي يشرب لاطعم وهو عام الشرب اذا من أحد الا وكان شربه اللبن ثم ذكر الخمر الذي يشرب لا لا طعم وهو قليل الشرب وقرن به العسل الذي يشرب لاطعم وهو قليل الشرب فان قيل العسل لا يشرب نقول شراب الجلاب لم يكن الامن والعسل والسكر قريب الزمان الا ترى ان السكجيين من سرکه وانكيين وهو الخل والعسل بالفارسية كما أن استخراجهم كان أولا من الخل والعسل ولم يعرف السكر الا في زمان متأخر ولان العسل اسم يطلق على غير عسل التحل حتى يقال عسل التحل للتميز والله أعلم (المسئلة الثانية) قال في الخمر لذة للشاربين ولم يقل في اللبن لم يتغير طعمه لاطعمين ولا قال في العسل مصفى للناظرين لان اللذة تختلف باختلاف الاشخاص فرب طعام يلذبه شخص وبغافه الآخر فقال لذة للشاربين بأسرهم ولان الخمر كرهية الطعم فقال لذة أى لا يكون في خمر الآخرة كراهية الطعم وأما العظم واللون فلا يختلفان باختلاف الناس فان الحلو والحامض وغيرهما بدر كل أحد كذلك لكنه قد يغافه بعض الناس ويلذبه البعض مع اتفاقهم على ان له طعما واحدا وكذلك اللون فلم يكن الى الصريح بالعميم حاجة وقوله لذة يحتمل وجهين (أحدهما) ان يكون تأنيث لذي طعم لاذن وذو طعمة لذذة وتانيها) أن يكون ذلك وصفا بنفس المعنى كما بالمشقة منه كما قال للخبز هو حلم كله والعقل عقل كله ثم قال تعالى ﴿ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم﴾ بعد ذكر المشروب أشار الى الماء كقول ولما كان في الجنة الاكل للدلالة على جوده ذكر ثم فانه أتى كل اللذة بخلاف الخبز واللحم وهذا كقوله تعالى في سورة الرعد مثل الجنة التي وعد المتقين من تحتها الانهار اكلها باثم وظلها حيث أشار الى الماء كقول والمشروب وهو الماء البقي وهو ان الله تعالى قال فيها وظلها ولم يقل ههنا ذلك قول قال ههنا ومغفرة واظن قد معنى الستر والغفرة كذلك ولان المغفور تحت نظر من رحمة الغافر يقال نحن تحت ظل الامير وظلها هو رحمة الله ومغفرته حيث لا يستهم حر ولا برد (المسئلة الثالثة) التي لا يدخل الجنة الا بعد المغفرة فكيف يكون لهم فيها مغفرة فنقول (الجواب) عند من وجهين (الاول) لبس بلازم أن يكون المعنى لهم مغفرة من ربهم فيها بل يكون عطف على قوله لهم كانه تعالى قال لهم الثمرات فيها ولهم المغفرة قبل دخولها (والثاني) هو ان يكون المعنى لهم فيها مغفرة أى رفع التكليف عنهم فيأكلون من غير حساب بخلاف الدنيا فان الثمار فيها عليها حساب أو عقاب ووجه آخر وهو ان الأكل في الدنيا لا يتخلوس استنتاج فيخرج أو مكروه كبرض أو حاجة الى تبرز فقال لهم فيها من كل الثمرات ومغفرة لا فيخرج على الأكل بل هو مستور القبايح مغفور وهذا استفدته من المعنيين في بلادنا فانهم يعودون الصبيان بان يقولوا

(قطع أمعاءهم) من فرط الحرارة قيل اذا دنا منهم

شوى وجوههم وانما ر فروة رؤسهم فاذا شربوه ﴿ ٥٣٨ ﴾ قطع امعاءهم (ومنهم من يستمع اليك)

ووقت حاجتهم الى اراقة البول وغيره ياملم غفر الله لك فيفهم العلم انهم يطلبون الاذن في الخروج لقضاء الحاجة فيأذن لهم فقلت في نفسي معناه هو ان الله تعالى في الجنة يظفر لمن أكل وأما في الدنيا فلان لاكل توابع ولوازم لا بد منها فيفهم من قولهم حاجتهم ﴿ ثم قال تعالى ﴾ (كن هو خالد في النار وسقوا ماء حميا فقطع امعاءهم) وفيه ايضا مسائل (المسئلة الاولى) على قول من قال مثل الجنة معناه وصف الجنة فقوله كن هو بماذا يتعلق نقول قوله لهم فيها من كل الثمرات يتضمن كونهم فيها فكأنه قال هو فيها كن هو خالد في النار فالمشبه يكون مجذوعا مدلول عليه بما سبق وبحتم أن يقال ما قيل في تقرير قول الزنجشري ان المراد هذه الجنة التي مثلها ما ذكرنا كقسام من هو خالد في النار (المسئلة الثانية) قال الزجاج قوله تعالى كن هو خالد في النار راحم الى ما تقدم كأنه تعالى قال أفن كان على بيته من ربه كن زين له سوء عمله وهر خالد في النار فهل هو صحيح أم لا نقول لناظر الى اللفظ فيمكن تصحيحه بتعسف ونظر الى المعنى لا يصح الا بان يعود الى ما ذكرناه اما التصحيح فبحذف كن في المرة الثانية أو جعله بدلا عن المتقدم أو باضمار عاطف يعطف كن هو خالد على كن زين له سوء عمله ولكن هو خالد في النار أو اما التعسف فينظر الى الحذف الى اضمحار مع الفاصل الطويل بين المشبه والمشبه به وأما طريقة البديل فمفسدة والالكان الاعتماد على الثاني فيكون كأنه قال أفن كان على بيته كن هو خالد وهو صحيح في التشبيه تعالى كلام الله عن ذلك والقول في اضمحار العاطف كذلك لان المعطوف أيضا يصير مستقلا في تشبيه اللهم الا أن يقال يقابل المجموع بالمجموع كأنه يقول أفن كان على بيته من ربه وهو في الجنة التي وعد المتقون فيها انهار زين له سوء عمله وهو خالد في النار وعلى هذا تقع المقابلة بين من هو على بيته من ربه وبين من زين له سوء عمله وبين من في الجنة وبين من هو خالد في النار وقد ذكرناه فلا حاجة الى خلط الآية بالآية وكيف وعلى ما قلناه تقع المقابلة بين من هو في النار وسقوا ماء حميا وبين من هو على بيته من ربه وأية مناسبة بينهما بخلاف ما ذكرناه من الوجوه الاخر فان المقابلة فيها بين الجنة التي فيها الانهار وبين النار التي فيها الماء الجيم وذلك تشبيه انكاره مناسب (المسئلة الثالثة) قال كن هو خالد جلا على اللفظ الواحد وقال وسقوا ماء حميا على المعنى وهو جمع وكذلك قال من قبل كن زين له سوء عمله على التوحيد والافراد واتبعوا أهواءهم على الجمع فما الوجه فيه نقول المستدلى من اذا كان متصلا فرعاية اللفظ أولى لانه هو المسموع واذا كان مع انفصال فالعود الى المعنى أولى لان اللفظ لا يبق في السمع والمعنى يبق في ذهن السامع فالجمل في الثاني على المعنى أولى وحل الاول على اللفظ أولى فان قيل كيف قال في سائر المواضع من آمن وعمل صالحا ومن تاب وأصلح نقول اذا كان المعطوف مفردا أو شبيها بالمعطوف عليه في المعنى فالأولى ان يختلفا كما ذكرت فانه عطف مفرد على مفرد وكذلك لو قال كن هو خالد في النار ومعذب فيها لان

المتأقون وافراد الضمير باعتبار لفظ من كأن جمعه فيماني بأشار معناه كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمعون كلامه ولا يرونه ولا يراونه حق رباطه نها وانما منهم (حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم) من الصحابة رضي الله عنهم (ماذا قال أنفا) أى ما الذى قال الساعة على طريقة الاسنن ايمان كان بصورة الاستسلام وأنفا من قولهم أنف الشيء لما تقدم منه مستعار من الجارحة ومنه استأنف الشيء وانف وهو طرف بمعنى وقتنا ونفنا ونحال من الضمير في قال وقرى أنفا (أولئك) الموصوفون بما ذكر (الذين طبع الله على قلوبهم) اسددم توجههم نحو الخير أصلا (واتبعوا أهواءهم) الباطلة فلذلك فعلوا ما فعلوا مما لاخير فيه (والذين اهتموا) الى طريق الحق (زادهم)

(وَأَنَّهُمْ تَقَوَّاهُمْ) أَعْلَاهُمْ عَلَى ٥٣٩ تَقَوَّاهُمْ أَوْ أَعْطَاهُمْ جَزَاءَهَا أَوْ بَيْنَ لَهُمْ مَا يَنْتَقُونَ (فَهَلْ يَنْظُرُونَ

الاساعة) أى القيامة
وقوله تعالى (أَن تَأْتِيَهُمْ
بَغْةٌ) أى تَأْتِيَهُمْ بَغْةٌ
وهى المفاجأة بديل اشتغال
من الساعة والمعنى أنهم
لا يتذكرون بذكر أهوال
الامم الخالية ولا بالآخبار
بآتيان الساعة وما فيها
من عظام الأهوال وما
يتذكرون للتذكر الاتيان
نفس الساعة بغية وقرئ
بغية بفتح الغين وقوله
تعالى (فقد جاء أشراطها)
تعليل لمفاجأتها لا لآتيانها
مطلقا على معنى أنهم لم يبق
من الامور الموجبة للتذكر
أمر مقرب ينظر وانه
سوى آتيان نفس الساعة
اذ قد جاء أشراطها فلم
يرفعوا الهارأسا ولم
يعدوها من مبادئ آتيانها
فيكون آتيانها بطريق
المفاجأة لا بحالة والاشراط
جمع شرط بالتحريك
وهى العلامة والمراد
بها ما بعثه صلى الله عليه
وسلم وانشقاق القمر
ونحوهما وقوله تعالى
(فَأَن تَأْتِيَهُمْ أَذْجَاتُهُمْ
ذَكَرَهُمْ) حكم بخطتهم
وفساد رأيهم في تأخيه
التذكر الى آتيانها

المشابهة تتأني المخالفة واما اذا لم يكن كذلك كما في هذا الموضع فان قوله ستقامه جملة غير
مشابهة لقوله هو خالد وقوله تعالى وسقامه جميعا يان لمخالفتهم في سائر أحوال اهل
الجنة فلمهم أنهار من ماء غير آسن ولهم ما يحيم فان قيل المشابهة الانكارية بالمخالفة على
ما ثبت وقد ذكرت البهوض وقلت بأن قوله على ينة في مقابلة زين له سوء عمله ومن ربه
في مقابلة قوله واتبعوا أهواءهم والجنة في مقابلة النار في قوله خالد في النار والماء الجيم
في مقابلة الانهار فأين ما يقابل قوله ولهم فبهام كل الثمرات ومغفرة فنقول تقطع
الامعاء في مقابلة مغفرة لاننا بئنا على أحد الوجوه أن المغفرة التى في الجنة هى تعرية أكل
الثمرات عما يلزمه من قضاء الحاجة والامراض وغيرها كانه قال للمؤمن أكل وشرب
مطهر طاهر لا يجتمع في جوفهم فيؤذيهم ويحوجهم الى قضاء حاجة والكافر ما يحيم في أول
ما يصل الى جوفهم يقطع امعاءهم ويشتهون خروجه من جوفهم واما الثمار فلم يذكر
مقابلها لان في الجنة زيادة مذكورة فحقها يذكر أمر زائد (المسئلة الرابعة) الماء الحار
يقطع امعاءهم لأم آخر غير الحرارة وهى الحدة التى تكون في السموم المدونة والافجود
الحرارة لا يقطع فان قيل قوله تعالى فقطع بالهاء يقتضى أن يكون القطع بماء ذكره نقول
نعم لكنه لا يقتضى أن يقال يقطع لانه ماء يحيم فمحسب بل ماء يحيم مخصوص بقطع * ثم
قال تعالى (ومنهم من يستمع البك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا
قال آنفأ) لما بين الله تعالى حال الكافر ذكر حال المنافق بأنه من الكفار وقوله ومنهم
يحتمل أن يكون الضمير عائدا الى الناس كما قال تعالى فى البقرة ومن الناس من يقول آمنا
بالله بعد ذكر الكفار ويحتمل أن يكون راجعا الى أهل مكة لان ذكرهم سبق في قوله تعالى
هى أشد قومة من قريتك التى أخرجتك أهلكتهم ويحتمل أن يكون راجعا الى معنى قوله
هو خالد فى النار وسقامه جميعا يعنى ومن الخالدين فى النار قوم يستمعون البك وقوله
حتى اذا خرجوا من عندك على ما ذكرنا حمل على المعنى الذى هو الجمع ويستعمل على اللفظ
وقد سبق التحقيق فيه وقوله حتى للعطف في قول المفسرين وعلى هذا فالعطف بحيث
لا يحسن الا اذا كان المعطوف جزءا من المعطوف عليه اما علاه أو دونه كقول القائل
أكرمى الناس حتى الملك وجاء الحاج حتى المشاة وفى الجملة يذنب أن يكون المعطوف
عليه من حيث المعنى ولا يشترط فى العطف بالواو وذلك فيجوز أن نقول فى الواو جاء الحاج
وما علمت ولا يجوز مثل ذلك فى حتى اذا علمت هذا فوجه التعليق ههنا هو ان قوله حتى اذا
خرجوا من عندك بعيد معنى زائدا فى الاستماع كانه يقول يستمعون استماعا باعانا
جيدا لانهم يستمعون واذا خرجوا يستعبدون من العلماء كما يفعله المجتهد فى العلم الطالب
للتفهم فان قلت فعلى هذا يكون هذا صفة مدح لهم وهو ذكرهم فى معرض الذم نقول
يتبر بابعاده وهو أحد أمرين اما كونهم سم بذلك مستهزئين كالذى يقول للبلد أعد
كلامك حتى أفهمه ويرى فى نفسه انه مستمع اليه غايبة الاستماع وكل أحد يعلم انه

بيان استعماله تفعّل التذكّر حينئذ كقوله تعالى يومئذ تذكّر ﴿٤٥٠﴾ الإنسان وأنى له الذكرى أى وكيف لهم

مستهنّون غير مستعبد ولا مستعبدوا ما كونهم لا يفهمون مع انهم يستعبدون ويستعبدون
ويناسب هذا الثانى قوله تعالى كذلك بطبع الله على قلوب المجرمين والاول يؤكده
قوله تعالى واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن (والثانى) يؤكده
قوله تعالى قالت الاعراب امانا فلما تولوا واولئك قولوا اسلمنا ولمنا دحل الايمان
فى قلوبكم وقوله آنفا قال بعض المفسرين معناه الساحة ومنه الاستناق وهو الابتداء
فعلى هذا فالاولى ان يقال بقولهم ما قال آنفا معنى انهم يستعبدون كلامه من
الابتداء كما يقول المستعبد للمعبد اعد كلامك من الابتداء حتى لا يفوتى شئ منه * ثم
قال تعالى (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وتبوا أوهاءهم) أى تركوا اتباع الحق
اما بسبب عدم الفهم أو بسبب عدم الاستماع فلا فائدة واتبوا أوهاءهم * ثم قال تعالى
(والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) نابين لله تعالى أن المناقق يستمع ولا يدفع
ويستعبد ولا يستعبدون ان حال المؤمن المتهدى يتغلا فدان يستمع فيه هم ويعمل
بما علم والمناقق يستعبد والمتهدى يفسر ويعبد وفيه فائدتان (أحدهما) ما ذكرنا من
بيان التباين بين الفريقين (وثانيهما) دطع عذر المناقق وإيضاح كونه مذموم
الطريقة فانه لو قال ما ذهبته لموضه وكونه معفى يرد عليه وبقول ايس كذلك فان
المتهدى فهم واستنبطوا لازمه وتوابعه فذلك لعماد القلوب لانخفاء المطلوب وفيه مسائل
(المسئلة الاولى) ما الفاعل للزيادة فى قوله زادهم نقول فيه وجوه (الاول) المسموع من
النبي عليه الصلاة والسلام من كلام الله وكلام الرسول يدل عليه قوله ومنهم من يستمع
اليه فانه يدل على مسموع والمقصود بيان التباين بين الفريقين فكانه قال لهم لم يفهموه
وه لا يفهموه (والثانى) ان الله تعالى زادهم هدى ويدل عليه قوله تعالى أولئك الذين طبع
الله على قلوبهم وكانه تعالى طبع على قلوبهم فزادهم هدى والمتهدى زادهم هدى (والثالث)
استهزاء المناقق زاد المتهدى هدى ووجهه هوانه تعالى لما قال واتبوا أوهاءهم قال
والذين اهتدوا زادهم اتباعهم الهدى هدى فانهم استفيحوا فاعلمهم فاجتنبوه (المسئلة
الثانية) ما معنى قوله وآتاهم تقواهم نقول فيه وجوه منقولة ومستنبطة اما المنقولة
فنقول قيل فيه ان المراد آتاهم ثواب تقواهم وقيل آتاهم نفس تقواهم من غير انحصار
يعنى بين لهم القوى وقيل آتاهم توفيق العمل بما عملوا وأما المستنبط فنقول يحتمل أن
يكون المراد به بيان حال المستعبد للقرآن الفاهمين لمعانبه المفسرين له يسانا لغاية
الخلافة بين المناقق فانه استمع ولم يفهمه واستعاد ولم يعلم والمتهدى فانه علمه وبينه لغيره
ويدل عليه قوله تعالى زادهم هدى ولم يقل اهتدوا والهدى مصدر من هدى قال الله
تعالى فيهم هداهم افقه أى خذ بما هدوا واهد كما هدوا وعلى هذا فقوله تعالى وآتاهم
تقواهم معناه جنبهم عن القول فى القرآن بغير برهان وحملهم على الاتقاء من التفسير
بأرأى وعلى هذا فقوله زادهم هدى معناه كانوا مهتدين فزادهم على الاهتداء هدى حتى

بيان استعماله تفعّل التذكّر حينئذ كقوله تعالى يومئذ تذكّر ﴿٤٥٠﴾ الإنسان وأنى له الذكرى أى وكيف لهم
اذاجاءتهم على أن أنى
خبرهم وذكرهم مبتدا
واذ حاتتهم اعتراض
وسمى يدهم مزمرا الى
غايه سرعة مجيئها
واطراف المجيئ عن قيد
انفقت ان مدار استحقاقه
نفس التذكّر كونه عند
مجيئهم مطلقا لا مقيدا بقيد
البغية وقرئ ان تأتهم
على أنه شرط مستأنف
جزاؤه فأنى لهم الخ والمعنى
ان تأتهم الساحة بقية
لانه قد ظهر أماراتها
فكيف لهم تذكرهم
واتعاضهم اذاجاءتهم
(فاعلم أنه لا اله الا الله)
أى اذ حلت أن مدار
السعادة هو التوحيد
والطاعة ومناط الشقاوة
هو الاشرار والعصيان
فأثبت على ما أنت عليه
من العلم بالوحدانية والعمل
بموجبه (واستغفر لذنبك)
وهو الذى رى بايصدر
عنه عليه الصلاة والسلام
من ترك الاول عي عنه
بالذنب نظرا الى منصبه
الجليل كيف لا وحسنات
الابرار سياتى المقر بين
وارشاده عليه الصلاة
والسلام الى التواضع

وهضم النفس واستفصار العمل (والمؤمنين ﴿٥٤١﴾ والمؤمنات) أي الذين هم بالدعاء لهم وترغيبهم

فيما يستدعي غفرانهم
وفي إعادة صلاة الاستغفار
تنبية على اختلاف
تتبعه جنسا وحذف
المضاف وقائمة المضاف
اليه مقادير اشعار
بغرافهم في السذب
وخرط افتقارهم الى
الاستغفار (والله يعلم
مآلاتكم) في الدنيا منها
مراحل لابد من قطعها
لا بحساسة (ومشواكم)
في العقب فانها موطن
اقتكم فلا يأمركم
الاباء وخبركم فيها
فيبادروا الى الامتثال
بما أمركم به فانه المهم لكم
في المقامين وقيل يعلم جميع
أحوالكم فلا يخفى عليه
شيء منها (ويقول
الذين آمنوا) حرصا
منهم على الجهاد
(اولا نزلت سورة) أي
هلا نزلت سورة تؤمر
فيها بالجهاد (فانزلت
سورة تحكما وذكر فيها
القتال) بطريق الامر
به أي سورة مبينة لا تشابه
ولا احتمال فيها الوجه
آخر سوى وجوب
القتال

ارتقوا من درجة المهتدين الى درجة الهادين ويحتمل أن يقل قوله زادهم هدى إشارة
الى العلم وآتاهم تقواهم إشارة الى الأخذ بالاحتياط فيما يعلموه وهو مستندب من
قوله تعالى يبشّر عباده الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وقوله تعالى والذين
في العلم غلوا (المعنى الثالث) يحتمل أن يكون المراد بيان أن المخلص على خطر
فهو أحشى من غيره وتحققه هوانه لما قال زادهم هدى أفاد أنهم ازداد علمهم وقال تعالى
اتمنا بحسن الله من عباده العلماء فقال آتاهم خشيتهم التي يفيدها العلم (والمعنى الرابع)
تقواهم من يوم اقامته كما قال تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم واحشوا يوما لا تجري
والدعوى وادع بدل عليه وقوله تعالى فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة كالذي ذكر
الساعة غيب القوى بدل عليه (المعنى الخامس) آتاهم تقواهم التقوى التي تدل
بالمؤمن وهي التقوى التي لا يخاف معها لومة لائم قال تعالى الذين يبالغون رسالات الله
ويخفونها ولا يخشون أحدا الا الله وكذلك قوله تعالى يا أيها النبي اتق الله ولا تسلط
الكافرين ولما فبين وهذا الوجه مناسب لان الآية لبيان تباين الفريقين وهذا يخفى
ذلك من حيث أن المتناقض كان يخشى الناس وهم الفريقان المؤمنون والكافرون فكان
يتردد بينهما ويرضى الفريقين ويسخط الله فقال الله تعالى المؤمن المهتدى بخلاف
المتناقض حيث عدا ذلك ولم يعلم ذلك واتق الله لا غيره واتق ذلك غير الله * ثم قال تعالى
(فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها) يعني الكافرون والمتناقضون
لا ينظرون الا الساعة وذلك لان البراهين قد صحت والأمور قد انصحت وهم لم يؤمنوا
فلا يتوقع منهم الايمان الا عند قيام الساعة وهو من قبيل بدل الاشتغال على تقدير
لا ينظرون الا الساعة اتيانها بغتة وقرئ فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم على الشرط
وجزاؤه لا ينفعهم ذكرهم بدل عليه وقوله تعالى فأتى لهم اذا جاءتهم ذكراهم وقد ذكرنا
أن القيامة سميت بالساعة لسرعة الأمور الواقعة فيها من البعث والحشر والحساب
وقوله فقد جاء أشراطها يحتمل وجهين (أحدهما) لبيان غاية عنادهم وتحققه هوان
الدلائل لما ظهرت ولم يؤمنوا لم يبق الايمان اليأس وهو عند قيام الساعة لكن أشراطها
بأنه فكان ينبغي أن يؤمنوا ولم يؤمنوا فهم في لجة الفساد وغاية العناد (ثانيهما) أن
يكون تسليية قلوب المؤمنين كأنه تعالى لما قال فهل ينظرون فهم منه تعذيبهم والساعة
عند العوام مستبصرة فكان قائلا قال متى تكون الساعة فقد جاء أشراطها كقوله تعالى
اقتربت الساعة وانشق القمر والاشراط العلامات قال المفسرون هي مثل انشقاق
القمر ورسالة محمد عليه السلام ويحتمل أن يقال معنى الاشرط البينات الموضحة لجواز
الحشر مثل خلق الانسان ابتداء وخلق السموات والارض كما قال تعالى أوليس
الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم والاول هو التفسير * ثم قال
تعالى (فأتى لهم اذا جاءتهم ذكراهم) يعني لا تنفعهم الذكرى اذ لا تقبل التوبة ولا يحسب

من فتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهي محكمة ٥٤٢ لم تنسخ وقرئ فاذا نزلت سورة وقرئ

والإيمان والمراد فكيف لهم الحال اذا جاءتهم ذكراهم ومعنى ذلك يحتمل أن يكون هو قوله تعالى هذا يومكم الذي كنتم توعدون هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون فيذكرون به للهمسر وكذلك قوله تعالى ألميأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ثم قال تعالى (فاعلم أنه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم) وليان المناسبة وجوه (الاول) هو انه تعالى لما قال فقد جاء اشراطها قال فاعلم أنه لا اله الا الله يأتي بالساعة كما قال تعالى أوفت الأوفة ليس لها من دين الله كاشفة (وثانيها) فقد جاء اشراطها وهي آية فكان فائلا قال متى هذا فقال فاعلم أنه لا اله الا الله فلا تشغل به واشغل بما عليك من الاستغفار وكن في أي وقت مستعدا لقيائها ويناسبه قوله تعالى واستغفر لذنبك (الثالث) فاعلم أنه لا اله الا الله ينفعك فان قيل النبي عليه الصلاة والسلام كان طالما بذلك فامعنى الامر بقول الجواب عنه من وجهين (أحدهما) فائت على ما أنت عليه من العلم كقول الغافل لجالس يريد اقيام اجلس أى لا تقم (ثانيها) الخطاب مع النبي عليه الصلاة والسلام والمراد قومه والضمير في انه للسان وتفسير هذا هو انه عليه السلام لما دعا القوم الى الإيمان ولم يؤمنوا ولم يبق شيء يحملهم على الإيمان الا ظهور الامر بالبعث والنشور وكان ذلك مما يحزن النبي عليه الصلاة والسلام فسمى قلبه وقال أنت كامل في نفسك مكمل لعبك فان لم يكمل بك قوم لم يرد الله تعالى بهم خيرا فانك في نفسك عامل بعلمك وعلمك حيث علم ان الله واحد وتستغفر وأنت بحمد الله مكمل تكمل المؤمنين والمؤمنات وأنت تستغفر لهم فقد حصل لك الوصفان فائت على ما أنت عليه ولا تحزنك كفرهم وقوله تعالى واستغفر لذنبك يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون الخطاب معه والمراد المؤمنون وهو بعيد لافراد المؤمنين والمؤمنات بالذكر وقال بعض الناس لذنبك أى لذنب أهل بيتك وللمؤمنين والمؤمنات أى الذين ليسوا منك باهل بيت (ثانيها) المراد هو النبي وذنب هوتك الافضل الذي هو بالنسبة اليه ذنب وحاشاه من ذلك (وثالثها) وجه حسن مستنبط وهو ان المراد توفيق العمل الحسن واجتناب العمل السيئ ووجهه ان الاستغفار طلب الغفران والغفران هو الستر على القبيح ومن عصم فقد ستر عليه فبأنح الهوى ومعنى طلب الغفران أن لا تنقض حسنا وذلك قد يكون بالعصمة منه فلا يقع فيه كما كان للنبي صلى الله عليه وسلم وقد يكون بالستر عليه بعد الوجود كما هو في حق المؤمنين والمؤمنات وفي هذه الآية لطيفة وهي ان النبي صلى الله عليه وسلم له أحوال ثلاثة حال مع الله وحال مع نفسه وحال مع غيره فاما مع الله فوحده واما مع نفسك فاستغفر لذنبك واطلب العصمة من الله واما مع المؤمنين فاستغفر لهم واطلب الغفران لهم من الله والله يعلم متقلبكم ومثواكم يعنى حالكم في الدنيا وفي الآخرة احوالكم في الليل والنهار ثم قال تعالى (ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فاذا نزلت سورة

وذكر على اسناد الفعل الى ضميره تعالى ونصب القتال (رايت الذين في قلوبهم مرض) أى ضعف في الدين وقيل نفاق وهو الاظهر الاوفاق لسياق النظم الكريم (ينظرون اليك نظر الغشى عليه من الموت) أى تشخص أبصارهم جبنوا وهاجا كدأب من أصابته غشية الموت (فأولى لهم) أى فويل لهم وهو أفعى من الولد وهو اقرب وويل من آل ومعناه الدماء عليهم بأن يلبهم المكروه أو يؤول اليه أمرهم وقيل هو مشتق من الويل وأصله أو ويل نقلت العين الى ما بعد اللام فوزنه افلع (طاعة وقول معروف) كلام مستأنف أى أمرهم طاعة الخ أو طاعة وقول معروف خبر لهم أو حكاية لقولهم ويؤيده قراءة أبي يقولون طاعة وقول معروف أى أمرنا ذلك (فاذا عزم الامر) أسند العزم وهو الجد الى الامر وهو لاصحابه مجازا كما في قوله تعالى ان ذلك من عزم الامور وعامل

الظرف محذوف أى خائفوا وتحلفوا ﴿ ٥٤٣ ﴾ وقبل نافضوا وقبل كرهوا وقبل هو قوله تعالى (فلو صدقوا الله)

على طريقة قولك اذا
حضرني طعام فلو جئتني
لاطعمتك أى فلو صدقوه
تعالى في أقوالهم الكلام
الذي عن الحرص على
الجهاد بالجرى على
موجب (لكان) أى
الصدق (خير لهم)
وبه دلالة على شراك
الكل فيما حكى عنهم
من قولة تعالى لو أنزلت
سورة وقبل فلو صدقوه
في الإيمان و طأت
فلو بـ في ذات أنفسهم
وأياها كان عالما بهم
الدين في قلوبهم مرض
وهم المخاطبون بقوله
تعالى (فهل عسيتم)
الخ بطريق الالتفات
لما كبد التوبخ وتشديد
التفريع أى هل يتوقع
منكم (ان توليتهم) أمور
الناس وأنمرتم عليهم
(أن تفسدوا في الأرض
وتقطعوا أرحامكم)
تناحر على الملك وتمالكه
على الدنيا فإن من
شاهد أحوالكم الدالة
على الضعف في الدين
والحرص على الدنيا
حين أمرتم بالجهاد
الذي هو عبارة عن
اجراز كل خير وصلاح ودفع كل

محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشى عليه
من الموت فأولى لهم) لما بين الله حال المنافق والكافر والمهتدى المؤمن عند استماع
الآيات العلمية من التوحيد والمشر وغيرهما بقوله ومنهم من يستمع إليك وقوله والذين
اهتدوا زادهم هدى بين حالهم في الآيات العلمية فان المؤمن كان ينظر ورودها
ويطلب تنزيلها واذا تأخر عنه التكليف كان يقول هلا أمرت بشئ من العبادة خوفا
م أن لا يؤول لها والمنافق اذا نزلت السورة أو الآية وفيها تكليف شق عليه يعلم تبيين
الفرعين في العلم والعمل حيث لا يفهم المنافق العلم ولا يريد العمل والمؤمن يعلم ويحب
العمل وقوله لو أنزلت سورة المراد منه سورة فيها تكليف بحسن المؤمن والمنافق ثم انه
تعالى أنزل سورة فيها القتال فانه أشق تكليف وقوله سورة محكمة فيها وجوه (أدها)
سورة (تنسخ نازها) سورة فيها الفاظ أريدت حقائقها بخلاف قوله الرحمن على العرش
العزيز وقوله في جنب الله فان قوله تعالى فاضرب الرقاب أراد القتل وهو أسخ وقوله
او لموهم وقوله واقتلوههم حيث نفقوا عنهم صريح وكذلك غير هذا من آيات القتال وعلى
اوجهين بقوله محكمة فيها عائدة زائدة من حيث انهم لا يمكنهم ان يفعلوا المراد غير ما يطر
منه أو يقولوا هذه آية وقد نسخت فلان قتال وقوله رأيت الذين في قلوبهم مرض أى
المنافقين ينظرون إليك نظر المغشى عليه من الموت لان عند التكليف بالقتال لا يبقى
لنفاقهم فائدة فانهم قبل القتال كانوا يترددون الى التيسير وعند الأمر بالقتال لم يبق
لهم امكان ذلك فأولى لهم دعاء كقول القائل فويل لهم ويحتمل أن يكون هو خبر مبتدا
محذوف سبق ذكره وهو الموت كان الله تعالى لما قال نظر المغشى عليه من الموت قال
فأولى لهم لان الحياة التي لا طاعة لله ورسوله الموت خير منها وقال الواحدى
يجوز أن يكون المعنى فأولى لهم طاعة أى الطاعة أولى لهم * ثم قال تعالى (طاعة وقول
معروف) كلام مستأنف محذوف الخبر تقديره خير لهم أى أحسن وأمثل لا يقال طاعة
نكرة لا تصلح للابتداء لاننا نقول هى موصوفة يدل عليه قوله وقول معروف فانه موصوف
فكانه تعالى قال طاعة مخلصه وقول معروف خير وقبل معناه قالوا طاعة وقول معروف
أى قولهم أمرنا طاعة وقول معروف يدل عليه قراءة أبى يقولون طاعة وقول معروف
* وقوله تعالى (فاذا عزم الامر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم) جوابه محذوف تقديره فاذا عزم
الامر خائفوا وتحلفوا وهو مناسب لمعنى قراءة أى كانه يقول فى أول الامر قالوا سمعنا
وطاعة وعند آخر الامر خالفوا وأخلفوا موعدهم ونسب العزم الى الامر والعزم
لصاحب الامر معناه فاذا عزم صاحب الامر هذا قول الزمخشري ويحتمل أن يقال هو
مجاز كقولنا جاء الامر وولى فان الامر فى الاول يتوقع أن لا يقع وعند اخلاله
ويجزئ الكاره عن ابطاله فهو واقع فقال عزم والوجهان متقاربان وقوله تعالى فلو
صدقوا فيه وجهان على قولنا المراد من قوله طاعة انهم قالوا طاعة فعنا لو صدقوا في ذلك

شر وفساد وأتم ما مودون شأنكم الطاعة والقول المعروف ﴿ ٥٤٤ ﴾ يتوقع منكم إذا أطلقت اعتنكم وصرت

أمرين ماذا كرم من
الافساد وقطع الارحام
وقبل ان أعرضتم عن
الاسلام أن ترجعوا الى
ما كنتم عليه في الجاهلية
من الافساد في الارض
بالتجاوز والتناهب وقطع
الارحام بمقتله بعض
الافارب بعضا وواد
البنات وفيه أن الواقع
في حيز الشرط في مثل
هذا المقام لا بد أن تكون
محذور شبه باعتبار ما
يستتبعه من المفساد
لأبصار ذاته ولا ريب
في ان الارض عن
الاسلام رأس كل شر
وفساد فحقه أن يجعل
عمدة التوبيخ لآفة سلة
للتوبيخ نادونهم المفساد
وقرى وتبين على البناء
للمعول أي جعلتم لآفة
وقرى توليتهم أي توليتكم
ولآفة جور خرجتم معهم
وساعدتموهم في الافساد
وقطيعه الرحم وقرى
وتقطعوا عن التقاطع
بجذف احدى التاءين
فان تصاب أرحامكم
حينئذ على نزع الجار
أي في أرحامكم وقرى
وتقطعوا من القطع
والحاق الضمير بعسى لآفة أهل الحجاز وأما بنوعهم فيقولون عسى أن تفعل وعسى أن تفعلوا

(أولئك) إشارة إلى المخاطبين بطريق الالتفات ايذانا بأن ذكر هتاهم أوجب اسقاطهم من رتبة الخطاب وحكاية أحوالهم الفضيعة لغيرهم وهو مبتدأ ﴿٥١٥﴾ خبر (الذين لعنهم الله) أي أبعدهم من رحمة (فأصمهم)

عن استماع الحق لتصايرهم
عنه بسوء اختيارهم
(رأعى أبصارهم)
لتعاميمهم عما شاهدونه
من الآيات المنصوبة
في الانفس والآفاق
(أفلا يتدبرون القرآن)
أي ألا يلاحظونه ولا
يتصفحونه وما فيه من
المواعظ والزواجر حتى
لا يقيموا فيما وقفوا فيه
من المواقفات (أم على
قلوب أقفالها) فلا يكاد
يصل إليها ذكر أصلا
وأم منقطع ومافيه
من معنى بل الانتقال من
التوبيخ ليكون قلوبهم
مقفلة لا تقبل التدبر
والتفكر والهمزة التقديرية
وتكبير القلوب أماتة ويل
حالتها وتفتيم شأنها
بإهمام أمرها في انقسار
والجهالة كأنه قيل على
قلوب منكدة لا يعرف
حالتها ولا يقادر قدرها
في التساوق وإما لأن المراد
بها قلوب بعض منهم
وهم المنافقون وإضافة
الأقفال إليها للدلالة
على أنها أقفال مخصوصة
بها مناسبة لها غير
مجانسة لسائر الأقفال

هو الاعراض وهذا مناسب لما ذكرنا أي إن كنتم تتركون القتال وتقولون فيه الفساد
وقطع الأرحام لكون الكفار أظفار بنا فلا يقع منكم الاذنك حيث تغفلون على أمي شيء
كما كان عادة العرب (الاول) يؤكد قراءة من قرأ وليتم وقراءة على عليه السلام تواتر
أي أن تولاكم ولا غلظة جفاء غشمة ومشيئة تحت لوائهم وأفسدتم بأفسادهم معهم وقطعتم
أرحامكم والنبى عليه السلام لا يأمركم إلا بالاصلاح وصلة الأرحام فلم تنفذوا عدون عن
القتال وتباعدون في الضلال ﴿ثم قال تعالى﴾ (أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى
أبصارهم) إشارة لمن سبق ذكرهم من المنافقين أبعدهم الله عنه أو عن الخير فأصمهم
فلا يسمعون الكلام المسنين وأعماهم فلا يذنبون الصراط المستقيم وفيه ترتيب حسن
وذلك من حيث أنهم استمعوا الكلام العلى ولم يفهموه فهم بالنسبة اليه أصم أصمهم الله
وهذا الأمر بالعمل تركوه وعلاوا بكونه افسادا وقطعا للرحم وهم كانوا يتعاطونه عند
التهى عنه فلم يروا حالهم وما هم عليه وتركوا اتباع النبى الذى يأمرهم بالاصلاح وصلة
الأرحام ولودعاهم من يأمر بالافساد وقطعة الرحم لا تبعوه فهم عمى أعمى أبصارهم ولم يقل
أطغفونهم إن الله تعالى قال أصمهم ولم يقل أصم أذانهم وقال أعمى أبصارهم ولم يقل
أعماهم وذلك لأن العين آلة الرؤية ولو أصابها آفة لا يحصل الابصار والاذن لو أصابها
آفة من قطع أو قلع نسمع الكلام لأن الاذن خلقت وخلق فيها تاراج ليكثر فيها الهواء
المتوج ولا يقرع الصماخ بعنف فيؤذى كما يؤذى الصوت القوى فقال أصمهم من غير
ذكر الاذن وقال أعمى أبصارهم مع ذكر العين لأن البصر ههنا بمعنى العين ولما لم يجمع
بالابصار ولو كان مصدرا لما جمع فلم يذكر الاذن إذ لا مدخل لها في الاصم والعمى والعين لها
مدخل في الرؤية بل هي الكل وبدل عليه ان الآفة في غير هذه المواضع لما أضافها إلى
الاذن سماها وقرا كما قال تعالى وفي آذاننا وقرو وقال كان في أذنيه وقرا والقر دون الصم
وكذلك انطرش ﴿ثم قال تعالى﴾ (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) ولندكر
تفسيرها في مسائل (المسئلة الاولى) لما قال الله تعالى فأصمهم وأعمى أبصارهم كيف
يمكنهم التدبر في القرآن قال تعالى أفلا يتدبرون وهو كقول القائل للأعمى أبصر والاصم
اسمع فنقول (الجواب) عنه من ثلاثة أوجه مترتبة بعضها أحسن من البعض (الاول)
تكليفه بالابطاق جاز والله أمر من علم انه لا يؤمن بأن يؤمن فكذلك جاز أن يعصمهم
ويذهبهم على ترك التدبر (الثاني) ان قوله أفلا يتدبرون المراد منه الناس (الثالث) ان
نقول هذه الآية وردت بحقيقة معنى الآية المتقدمة فانه تعالى قال أولئك الذين لعنهم الله
أي أبعدهم عنه أو عن الصدق أو عن الخير أو غير ذلك من الأمور الحسنة فأصمهم
لا يسمعون حقيقة الكلام وأعماهم لا يذنبون طريق الاسلام فاذنهم بين أمرين
إما لا يتدبرون القرآن فيبعدون منه لأن الله تعالى لعنهم وأبعدهم عن الخير والصدق
والقرآن منهما النصف الأعلى بل النوع الأشرف وإما يتدبرون لكن لا تدخل معانيه في

المعهوده وقرى أففلها وأقفالها ﴿٦٩﴾ سا على المصدر (ان الذين ارتدوا على أدبارهم) أي رجعوا إلى ما كانوا

عليه من الكفر وهم المنافقون الذين وصفوا فيمختلف مرض القلوب وغيره من قبائح الافعال والاحوال فانهم قد كفروا به عليه الصلاة والسلام (من بعد ما تبين لهم) ٥٤٦ هـ الهدي) بالدلائل الظاهرة والمجربات

القاهرة وقيل هم اليهود
وقيل أهل الكتابين
جميعا كفروا به عليه
الصلاة والسلام بهما
وجه وانعقد في كتابهم
وعرفوا أنه المنعوت بذلك
وقوله تعالى (الشیطان
سولهم) حجة من مبتدأ
وخبر وقعت خبر الان أي
سهل لهم ركوب العظام
من السؤل وهو الاسترخاء
وقيل من السؤل المنخفض
من السؤل لاستمرار
القلب فغنى سؤل له أمرا
حينئذ أوقعه أمينة فان
السؤل الامنية وقرئ
سؤل مبتدأ للفعول على
حذف المضاف أي كيد
الشیطان (وأملی لهم)
وسد لهم في الامانی
والآمال وقيل أمهلهم
الله تعالى ولم يعاجلهم
بإلغافه بقرئ وأملی
لهم على صيغة المتكلم
فالغنى أن الشیطان
يفو بهم وأنا أنظرهم
قالوا والحال أول الاستئناف
وقرئ أملی لهم على البناء
للفعل أي أمهلوا ومد
في عمرهم (ذلك) إشارة
الى ما ذكر من ارتدادهم
لالى الاملاء كما نقل عن

قوله بهم لكونها مقولة تقديره أفلا يتدبرون أفلا يذكرون فاعونين مبعودين أم على
قرب أفعال فيتدبرون ولا يفهمون وعلم هذا لا يحتاج أن نقول أم على بل هي على
حققتها للاستفهام وأقصد في وسط الكلام والهمزة أحدث مكانها وهو المصدر وأم
دخلت على القلوب التي في وسط الكلام (المسئلة الثانية) قوله على قلوب على التذكير
ما غائبة نقول قال الزمخشري يحتمل أن يكون أحد هما أن يكون التثنية على كونه
موصوفا لأن التكرار بالوصف أولى من المعرفة فكانت قال أم على قلوب قاسية أو مظلمة
(الثاني) أن يكون للتبعض كأنه قال أم على بعض القلوب لأن التكرار لا يتم نقول جاءني
رجال فيهم البعض وجاءني الرجال فيهم الكل ونحن نقول التذكير للقلوب للتثنية على
الانكار الذي في القلوب وذلك لأن القلب إذا كان عارفا كل معروفا لأن القلب خلق
للمعرفة فإذا لم تكن فيه المعرفة فكانه لا يعرف وهذا كما قول القائل في الانسان المؤذى
هذا ليس بانسان وهذا سمع ولذلك يقال هذا ليس بقلب هذا حجر إذا علم هذا خالفنا
بالالف واللام وأما بالاضافة واللام ليعرف الجنس وألا يعهد ولم يمكن ارادة الجنس
إذا ليس على كل قلب فقل ولا نعرف العهد لأن ذلك القلب ليس ينبغي أن يقال له قلب وأما
بالاضافة فإن نقول على قلوب أفعالها وهي لعدم عود فائدة اليهم كأنها ليست لهم فان قيل
فقد قال ختم الله على قلوبهم وقال فويل للقاسية قلوبهم فنقول الأفعال أبلغ من الختم
فذلك الاضافة لعدم انتفاعهم رأسا (المسئلة الثالثة) في قوله أفعالها بالاضافة ولم يقل
أفعال كما قال قلوب لأن الافعال كانت من شأنها فأضافها اليها كأنها ليست الاؤها وفي
الجملة لم يضاف القلوب اليهم لعدم نفعها اليهم وأضاف الأفعال اليها لكونها مناسبة لها
ونقول أراد به أفعالا مخصوصة هي أفعال الكفر والعناد * ثم قال تعالى (ان الذين
ارتدوا على أديارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشیطان سؤل لهم وأملی لهم) إشارة الى
أهل الكتاب الذين تبين لهم الحق في التوراة بعث محمد صلى الله عليه وسلم وبعثه وارتدوا
أو الى كل من ظهرت له الدلائل وسمعها ولم يؤمن وهم جماعة منعهم حب الراسة عن اتباع
محمد عليه السلام وكانوا يقولون انه الحق الشیطان سؤلهم سهل لهم وأملی لهم یعنی قالوا
نعيش أياما ثم نموت من به وقرئ وأملی لهم فان قيل الاملاء والامهال وحده الآجال لا يكون
الامن الله فكيف يصح قراءة من قرأ وأملی لهم فان المولى حينئذ يكون هو الشیطان
نقول الجواب عنه من وجهين (أحدهما) جاز أن يكون المراد وأملی لهم الله فيقف على
سؤل لهم (وثانيهما) هو ان السؤل أيضا ليس هو الشیطان وإنما أسند اليه من حيث ان
الله قدر على يده ولسانه ذلك فذلك الشیطان يملئهم ويقول لهم في آجالكم فسحة ففتحوا
برياستكم ثم في آخر الامر تؤمنون وقرئ وأملی لهم بفتح الياء وضم الهمزة على البناء
للفعل * ثم قال تعالى (ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الامر
والله يعلم اسرارهم) قال بعض المفسرين ذلك إشارة الى الاملاء أي ذلك الاملاء بسبب

الواحدى ولالى التسويل كما قيل لان شيئا منهما ليس مسببا عن القول الآتى وهو مبتدأ خبره قوله (انهم)
تعالى (بانهم) أى بسبب انهم

(قالوا) يعني المنافقين المذكورين لا اليهود الكافرين به عليه الصلاة والسلام بعد ما وجدوا نفعه في التوراة كما قبل فان كفرهم به ليس بسبب هذا القول ولو فرض ^{٥٢٧} صدورهم عنهم سواء كان القول لهم المنافقين أو المشركين

على رأى القائل بل من حين بعثه عليه الصلاة والسلام (للمؤمنين كرهوا ما نزل الله) أى لليهود الكافرين لنزول القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم لم علمهم بأنه من عند الله تعالى حسدا وطمعا في نزوله عليهم للمؤمنين كما قبل فان قوله تعالى (ستطيعكم في بعض الامر) عبارة قطعها عما حكى عنهم بقوله تعالى ألم ترالى الذين ناقضوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لن أخرجنكم من هنا ولا نطبع فيكم أحدا أبدا وان قولنا لن نضربنكم وهم يتوقر بظنة والنضيب الذين كانوا يبايعونهم ويبايعونهم وأرادوا بالعبء الذى أشاروا الى عدم اطاعتهم فيه اظهار كفرهم واعلان امرهم بالفضل قبل قتالهم واخراجهم من ديارهم فانهم كانوا يبايعونهم قبل ساس الحاجة الضرورية الداعية اليه لما كان لهم

انهم قالوا للذين كرهوا وهو اختيار الواحدى وقال بعضهم ذلك اشارة الى التسويل ويحتمل ان يقال ذلك الارتداد بسبب انهم قالوا ستطيعكم وذلك لاننا بين ان قوله ستطيعكم في بعض الامر هو انهم قالوا نوافقكم على ان نعبد ليس برسلا وانما هو كاذب ولكن لانوافقكم في انكار الرسالة والحشر والاشراك بالله مع الاجتنام ومن لم يؤمن بمحمد عليه الصلاة والسلام فهو كافر وان آمن بغيره لا يل من لم يؤمن بمحمد عليه السلام لا يؤمن بالله ولا يرسله ولا بالحشر لان الله كما أخبر عن الحشر وهو جازا آخره عن نبوة محمد عليه الصلاة والسلام وهي جائزة فالذا لم يصدق الله في شئ لا ينفي الكذب بقول الله في غيره فلا يكون مصدقا موفيا بالحشر ولا برسالة أحد من الانبياء لان طريق معرفتهم واحد والمراد من الذين كرهوا ما نزل الله هم المشركون والمنافقون وقبل المراد اليهود فان أهل مكة قالوا لهم نوافقكم في اخراج محمد وقته وقتل اصحابه والاول اصح لان قوله كرهوا ما نزل الله لو كان مستندا الى أهل الكتاب لكان مخصوصا ببعض ما نزل الله وان قلنا بأنه مستند الى المشركين يكون عاما لانهم كرهوا ما نزل الله وكذبوا الرسل باسمهم وانكروا الرسالة رأسا وقوله ستطيعكم في بعض الامر يعنى فيما يتعلق بمحمد من الايمان به فلا يؤمن والكذب به فكذبوه بالقتال معه واما الاشراك بالله واتخاذا لانداده من الاجتنام وانكار الحشر والنبوة فلا وقوله والله يعلم اسرارهم قال أكثرهم المراد منه هو انهم قالوا ذلك سرا فافشاء الله وأظهره لئلا يعلم عليه السلام والاظهر أن يقال والله يعلم اسرارهم وهو ما في قلوبهم من العلم بصدق محمد عليه السلام فانهم كانوا مكابرين معاندين وكانوا يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم كإبرفون أبناءهم وقرى اسرارهم بكسر الهمزة على المصدر وما ذكرنا من المعنى ظاهر على هذه القراءة فانهم كانوا يسرون نبوة محمد عليه الصلاة والسلام وعلى قولنا المراد من الذين ارتدوا المنافقون فكانوا يقولون للجهاديين من الكفرة ستطيعكم في بعض الامر وكانوا يسرون أنهم ان غلبوا انقلبوا كما قال الله تعالى وان جاء نصر من ربك فاعلم انك انت معكم وقال تعالى فاذلجوا الخوف سلوقكم بأستة حد * ثم قال تعالى (فكيف ادنوا منهم الملافة يضربون وجوههم وأدبارهم) انه ناقلا الله تعالى والله يعلم اسرارهم قال فذهب انهم يسرون والله لا يظهره أيوم فكيف يتخفوا وقت وفاتهم أو تقوى كاه تعالى قال والله يعلم اسرارهم وهب انهم يختارون القتال لما فيه من المضارب والامعان مع انه مفيد على الوجهين جميعا ان غلبوا فأنال في الحال والثواب وان غلبوا شهادة والسعادة فكيف حالهم اذا ضرب وجوههم وأدبارهم وعلى هذا فيه لطيفة وهي ان القتال في الحل ان أقدم البارز فرما يهزم الخصم ويسلم وجهه وفقاء وان لم يهزمه فاضرب على وجهه ان صبر ونبت وان لم يثبت وانهم قالوا ان القرن قد سلم وجهه وفقاء وان لم يهزمه فاضرب على فقاء لا غير ويوم الوفاة لانصرته ولا مفر فوجهه وظهره مضروب مطعون فكيف يجترع من الاذى

في اظهار الايمان من المنافع الدنيوية وانما كانوا يقولون لهم ما يقولون سرا كما يبرح عنه قوله تعالى (والله يعلم اسرارهم) أى اخفاءهم لما يقولونه

اليهود وقرئ أسرارهم أي جميع أسرارهم التي من جملتها قولهم هذا واجبة اعتراض مقرر لما قبله متضمن للاقتضاء في الدنيا والنعيب في الآخرة والقائه في قوله تعالى (فكيف اذا توفتهم ﴿٥٤٨﴾ الملائكة) لتركيب ما بعده حاصل.

ما قبلها وكيف منصوب
يفعل محذوف هو
العامل في الظرف كأنه
قيل يفعلون في حياتهم
ما يفعلون من الجبل
فكيف يفعلون اذا
توفتهم الملائكة وقيل
مرفوع على أنه خبر
استدراك محذوف أي
فكيف حالهم اوحيتهم
اذا توفتهم الخ وقرئ
توفاهم على أنه اما مضى
أو مضارع قد حذف
أحدى تايه (يضربون
وجوههم وأديارهم)
حاك من فاعل توفتهم
أو من مفعوله وهو
تصوير لتوفيتهم على
أهول الوجوه وأدفعها
وعن ابن عباس رضي الله
عنهما لا يتوفى أحد
على مصيبة الا يضرب
الملائكة وجوهه وديره
(ذلك) الزوفى الهائل
(بأنهم) أي بسبب
أنهم (اتبوا ما أسخط
الله) من الكفر والمعاصي
(وكرهوا رضوانه)
أي ما يرضاه من الإيمان
والطاعة حيث كفروا
بعد الإيمان وخرجوا
عن الطاعة بمصانعو

ونختار العذاب الأكبر * قوله تعالى (ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه)
وفيه لطيفة وهي ان الله تعالى ذكر أمرين ضرب الوجد وضرب الادبار وذكر بعدهما
أمرين آخرين اتباع ما أسخط الله وكرهه رضوانه فكانت تعالى قابل الأمرين فقال
يضربون وجوههم حيث أقبلوا على أسخط الله فان المتبع للشيء متوجه اليه ويضربون
أديارهم لأنهم تناولوا عافيه رضا الله فان الكاره للشيء يتولى عنه وما أسخط الله يحفل
وجوها (الاول) انكار الرسول عليه الصلاة والسلام ورضوانه الاقرار به ما أسلام
(الثاني) الكفر هو ما أسخط الله والإيمان يرضيه يدل عليه قوله تعالى ان تكفروا فان الله
غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم وقال تعالى ان الذين آمنوا
وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية الى ان قال رضي الله عنهم ورضوا عنه (الثالث)
ما أسخط الله تسويل الشيطان ورضوان الله التعميل على البرهان والبرهان فان قيل هم
ما كانوا يكرهون رضوان الله بل كانوا يقولون ان ما نحن عليه فيد رضوان الله ولا نطلب
الارضاء الله وكيف لا والمشركون بأشراكهم كانوا يقولون اننا نطلب رضا الله كما قالوا
ليتربونا الى الله زباني وقالوا ليشفعونا فنقول معناه كرهوا ما فيه رضا الله تعالى (وفيه
لطيفة) وهي ان الله تعالى قال ما أسخط الله ولم يقل ما أَرْضَى الله وذلك لان رجة الله سابقة
فله رجة ثابتة وهي منشأ الرضوان وغضب الله متأخر فهو يكون على ذنب فقال رضوانه
لانه وصف ثابت لله سابق ولم يقل أسخط الله بل ما أسخط الله إشارة الى أن السخط ليس
بثبوت كبروت الرضوان ولهذا المعنى قال في اللعان في حق المرأة والخامسة أن غضب الله
عليها ان كان من الصادقين فقال غضب الله مضافا لانها تعد سبق مظفر لان قوله
وإيمانه وقيله لم يكن الله غضب ورضوان الله أمر يكون منه الفعل وغضب الله أمر يكون
من فعله ولنضربه مثلا الكريم الذي رسخ الكرم في نفسه يجعله الكرم على الأفعال
الحسنة فاذا كثر من السبى الاساءة فضربه لا امر يعود اليه بل غضبه عليه يكون لا صلاح
حاله وزجرا لامثاله عن مثل فعله فيقال هو كال الكريم فكرمه مساقية من العريضة
الحسنة لكن فلانا أغضبته بظهور منه الغضب فيجمل أغضب ظاهرها من الفعل والفعل
الحسن ظاهرها من الكرم فالغضب في الكريم بعد فعل والفعل منه بعد كرم ومن هذا
يعرف اطفق قوله ما أسخط الله وكرهوا رضوانه * ثم قال تعالى (فأحبط أعمالهم) حيث
لم يطلبوا رضا الله وما طلبوا رضا الشيطان والاصنام * قوله تعالى (أم حسب الذين في
قلوبهم مرض أن نخرج الله أضغاثهم) هذا إشارة الى المنافقين وأم تستدعي جملة
أخرى استفهامية اذا كانت للاستفهام لا كلمة أم اذا كانت متصلة استفهامية تستدعي
سبق جملة أخرى استفهامية يقال أزيد في الدار أم عمرو واذا كانت منقطعة لا تستدعي
ذلك يقال ان هذا زيد أم عمرو كما يقال بل عمرو والمفسرون على انها منقطعة ويحتمل ان
يقال انها استفهامية والسابق مفهوم من قوله تعالى والله يعلم أسرارهم فكانت تعالى قال

من المعاملة مع اليهود (فأحبط) لاجل ذلك (أعمالهم) التي عملوها حال إيمانهم من الطاعات * احسب *
أو بعد ذلك من أعمال البر التي او عملوها حال الإيمان لاتتفعوا بها (أم حسب الذين في قلوبهم مرض)

هم المنافقون الذين فصلت أحوالهم الشيعة وصفوا بوصفهم السابق لكونه مدار المانع عليهم بقوله تعالى (أن لن يخرج الله أضغانهم) فأم مقطعة وأن ﴿٥٤٩﴾ مخففة من أن وصير الشأن الذي هو اسمها مخدوف وإن بما في حيزها

خبرها والأضغان جمع ضغن وهو الخد أي بل أحسب الذين في قلوبهم خدعة وعداوة المؤمنين أنه لن يخرج الله أحتادهم ولن يبرزها لرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين فتقى أمورهم مستورة والمعنى أن ذلك مما لا يكاد يدخل تحت الاحتمال (واونشاء) أرادتهم (لاريناكم) لعرفناكم بدلائل تعرفهم بأعيانهم معرفة شاختة لارؤية والافتات الى نون العطف لاراز العناية بالارادة (فلعرفتهم بسميهم) بعلامتهم التي نسميهم بها وعن أنس رضي الله عنه ما خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية شيء من المنافقين كان يعرفهم بسميهم ولقد كنا في بعض التزوات وفيها نسبة من المنافقين بشكوكهم الناس فناموا ذات ليلة وأصبحوا على كل واحد منهم مكتوب

أحسب الذين كفروا أن يعلم الله أسرارهم أم حسب المنافقون أن لن يظهرها والكل قاصروا عما يعلمها يظهرها ويؤيد هذا أن المقطعة لا تكاد تقع في صدر الكلام ولا يقال ابتداء بل جاز يذول أم جاء عرو والخراج بمعنى الأظهار فانه ابرازوا الأضغان هي الخفود والأمراض واحدها ضغن ثم قال تعالى (واونشاء لاريناكم) فمعرفتهم بسميهم ولنعرفهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم) لما كان مفهوم قوله أم حسب الذين في قلوبهم خدعة أن لن يخرج الله أضغانهم أن الله يظهر خدائهم ويبرز أسرارهم كان قائلا قال فلم يظهر فقال أخرناه لمحض المشبهة بالخوف منهم كالانقشأ أسرار الأكارب خوفناهم واونشاء لاريناكم أي لمانعنا والارادة بمعنى التعرف وقوله فلعرقتهم زيادة فائدة وهي أن التعرف قد يطلق ولا يلزم المعرفة يقال عرفته ولم يعرف وفهسته ولم يعرفه فقال ههنا فلعرقتهم يعني عرفناهم تعرفا تعرفهم به إشارة الى قوة التعرف واللام في قوله فلعرقتهم هي التي تقع في جراء لو كما في قوله لاريناكم أدخلت على المعرفة إشارة الى أن المعرفة كالمرتبة على المشبهة كأنه قال واونشاء لعرفتهم أي فهم أن المعرفة غير متأخرة عن التعرف فغيد تأكيد التعرف أي واونشاء لعرفتناك تعرفناهم المعرفة لابعده وأما اللام في قوله تعالى ولنعرفهم جواب لقسم مخدوف كما قال ولنعرفهم والله وقوله في لحن القول فيه وجوه (أحدها) في معنى القول وعلى هذا فيحتمل أن يكون المراد من القول قولهم أي التعرف فهم في معنى قولهم حيث يقولون ما عهدنا اتفاق قولهم حين محي التصبر انكنا سكم وقولهم نحن رجسنا الى المدينة ليخرجن وقولهم ان يوتنا عذرة وغير ذلك ويحتمل أن يكون المراد قول الله عز وجل أي التعرف فهم في معنى قول الله تعالى حيث قال ما تعلم منه حال المنافقين كقوله تعالى إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا وقوله إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم الى غير ذلك (وثانيها) في قبل القول عن العيوب حيث قالوا ما لم يعتدوا فأما لو كلامهم حيث قالوا انشهد أنك رسول الله والله يعلم أنك لرسوله والله يشهد أن المنافقين لكاذبون وقالوا ان يوتنا عذرة وما هي بعورة ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الدبار الى غير ذلك (وثالثها) في لحن القول أي في الوجد الحفي من القول الذي يفهمه النبي عليه السلام ولا يفهم غيره وهذا يحتمل أمرين أحدهما النبي عليه السلام كان يعرف المنافق ولم يكن يظهر أمره الى أن أذن الله تعالى له في اظهار أمرهم ومنع من الصلاة على جنازتهم والقيام على قبورهم وأما قوله بسميهم فالتظاهر أن المراد أن الله تعالى لو شاء لجعل على وجوههم علامة أو عيظهم كما قال تعالى واونشاء لاسخفناهم وروى أن جماعة منهم أصبحوا على جباههم مككوب هذا منافق وقوله تعالى والله يعلم أعمالكم وعد المؤمنين وبيان لكون حالهم على خلاف حال المنافق فان المنافق له قول بلا عمل وللمؤمن كان له عمل ولا يقول به وأما قوله التسيخ ويدل عليه قوتعالى ربنا لاتواخذنا نسيبنا

المعطوف للتأكيد والغاء لترتيب المعرفة على الإرادة وأما ما في قوله تعالى

(ولم يفهم في حق القول) فلجواب قسم محذوف وحسن القول فهو وأسلوبه أو أماله إلى جهته من بعض وقور به ومنه قيل للمتطعي لأجل عمله بالكلام عن سمات الصواب (والله يعلم أعمالكم) ﴿ ٥٥٠ ﴾ فيجازيكم بحسب قصدكم وهذا وعد

للمؤمنين وايدان بان حالهم بخلاف حال المنافقين (ولنبلو نكم) بالامر بالجهاد ونحوه من التكليف الشاقة (حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين وتبلوا أخباركم) أي لأمر نكم بما لا يكون متعبا لوقوع بل بما يحتمل الوقوع ويحتمل عدم الوقوع كما يفعل التخبر وقوله تعالى حتى نعلم المجاهدين أي نعلم المجاهدين من خير المجاهدين ويدخل في علم الشهادة فانه تعالى قد علمه علم الغيب وقد ذكرنا ما هو التصديق في الابتلاء وفي قوله حتى نعلم وقوله المجاهدين أي المتقدمين على الجهاد والصابرين أي اللاحقين الذين لا يولون الأدبار وقوله وتبلوا أخباركم يحتمل وجوها (أحدها) قوله آمنا لأن المنافق وجد منه هذا الخبر والمؤمن وجد منه ذلك أيضا وبالجهاد يعلم الصادق من الكاذب كما قال تعالى أولئك هم الصادقون (وثانيها) أخبارهم من عدم التوبة في قوله ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار إلى غير ذلك فلو آمن وفي بعده وقال مع أصحابه في سبيل الله كأنهم بنيان مرصوص والمنافق كان كالهباء يزهج بأذى صبيحة (وثالثها) المؤمن كان له أخبار صادقة معصومة من النبي عليه السلام كقوله تعالى تدخلن المسجد الحرام لأغابن أنا ورسلي وإن جندنا لهم الغالبون والمنافق أخباره هي أراجيف كما قال تعالى في حقهم والمرجعون في المذبذبة فعند تحقق الإيجاف يبين الصدق من الأراجيف ثم قال تعالى (إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاءوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئا وسيحيط أعمالهم) وفيد وجهان (أحدهما) هم أهل الكتاب قرينة والضمير (والثاني) كفار قرين يدل على الأول قوله تعالى من بعد ما تبين لهم الهدى قبل أهل الكتاب تبين لهم صدق محمد عليه السلام وقوله لن يضروا الله شيئا تهديد معناه هم يظنون أن ذلك الشقاق مع الرسول وهم به بشاقونه وليس كذلك بل الشقاق مع الله فإن محمدا رسول الله ما عليه إلا التبليغ فأنضروا بضروا المرسل لكن الله مفر عن أن يضمر يكفر كافر وفسق فاسق وقوله وسيحيط أعمالهم عدل معناه فإن قل قد تقدم في أول السورة أن الله تعالى أحبط أعمالهم فكيف يحبط في المستقبل فنقول الجواب عنه من وجهين (أحدهما) أن المراد من قوله الذين كفروا بضروا عن سبيل الله في أول السورة المشركون ومن أول الأمر كانوا مبطلين وأعمالهم كانت على غير شرع والمراد من الذين كفروا ههنا أهل الكتاب وكانت لهم أعمال قبل لرسول فاحبطها الله تعالى بسبب تكذيبهم الرسول ولا يتفهم إيمانهم بالحشر وأرسل والتوحيد والكافر المشرك أحبط عمله حيث لم يكن على شرع أصلا ولا كان معترف بالحشر (الثاني) يجوز المراد بالأعمال ههنا ما كان لهم في القتال وذلك قد تحقق منهم والله سيحبطه حيث يكون الناصر للمؤمنين والمراد بالأعمال في أول السورة هو ما ظنوه حسنة ثم قال

للمؤمنين وايدان بان حالهم بخلاف حال المنافقين (ولنبلو نكم) بالامر بالجهاد ونحوه من التكليف الشاقة (حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) أي لأمر نكم بما لا يكون متعبا لوقوع بل بما يحتمل الوقوع ويحتمل عدم الوقوع كما يفعل التخبر وقوله تعالى حتى نعلم المجاهدين أي نعلم المجاهدين من خير المجاهدين ويدخل في علم الشهادة فانه تعالى قد علمه علم الغيب وقد ذكرنا ما هو التصديق في الابتلاء وفي قوله حتى نعلم وقوله المجاهدين أي المتقدمين على الجهاد والصابرين أي اللاحقين الذين لا يولون الأدبار وقوله وتبلوا أخباركم يحتمل وجوها (أحدها) قوله آمنا لأن المنافق وجد منه هذا الخبر والمؤمن وجد منه ذلك أيضا وبالجهاد يعلم الصادق من الكاذب كما قال تعالى أولئك هم الصادقون (وثانيها) أخبارهم من عدم التوبة في قوله ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار إلى غير ذلك فلو آمن وفي بعده وقال مع أصحابه في سبيل الله كأنهم بنيان مرصوص والمنافق كان كالهباء يزهج بأذى صبيحة (وثالثها) المؤمن كان له أخبار صادقة معصومة من النبي عليه السلام كقوله تعالى تدخلن المسجد الحرام لأغابن أنا ورسلي وإن جندنا لهم الغالبون والمنافق أخباره هي أراجيف كما قال تعالى في حقهم والمرجعون في المذبذبة فعند تحقق الإيجاف يبين الصدق من الأراجيف ثم قال تعالى (إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاءوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئا وسيحيط أعمالهم) وفيد وجهان (أحدهما) هم أهل الكتاب قرينة والضمير (والثاني) كفار قرين يدل على الأول قوله تعالى من بعد ما تبين لهم الهدى قبل أهل الكتاب تبين لهم صدق محمد عليه السلام وقوله لن يضروا الله شيئا تهديد معناه هم يظنون أن ذلك الشقاق مع الرسول وهم به بشاقونه وليس كذلك بل الشقاق مع الله فإن محمدا رسول الله ما عليه إلا التبليغ فأنضروا بضروا المرسل لكن الله مفر عن أن يضمر يكفر كافر وفسق فاسق وقوله وسيحيط أعمالهم عدل معناه فإن قل قد تقدم في أول السورة أن الله تعالى أحبط أعمالهم فكيف يحبط في المستقبل فنقول الجواب عنه من وجهين (أحدهما) أن المراد من قوله الذين كفروا بضروا عن سبيل الله في أول السورة المشركون ومن أول الأمر كانوا مبطلين وأعمالهم كانت على غير شرع والمراد من الذين كفروا ههنا أهل الكتاب وكانت لهم أعمال قبل لرسول فاحبطها الله تعالى بسبب تكذيبهم الرسول ولا يتفهم إيمانهم بالحشر وأرسل والتوحيد والكافر المشرك أحبط عمله حيث لم يكن على شرع أصلا ولا كان معترف بالحشر (الثاني) يجوز المراد بالأعمال ههنا ما كان لهم في القتال وذلك قد تحقق منهم والله سيحبطه حيث يكون الناصر للمؤمنين والمراد بالأعمال في أول السورة هو ما ظنوه حسنة ثم قال

المضاف لتعظيمه وتطبيع مشاقته (وسيحيط أعمالهم) أي مكابدهم التي نصبوها في إبطال ﴿ تعالى ﴾ دينه تعالى ومشاقته رسوله عليه

البصلاة والسلام فلا يصلون بها إلى ما كانوا يفتنون من الفوائد ولا تغرلهم الأتائل والجلاد عن أوطانهم (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا فهو ٥٥١ ﴿ أعمالكم ﴾ بما أبطل به هؤلاء أعمالهم من الكفر والتفاني

والحجب والرياء والمن والاذى ونحوها وبسبب طاعة الله تحمل على طاعة الرسول وهذا إشارة إلى العمل بعد حصول العلم كأنه تعاد قال يا أيها الذين آمنوا علموا الحق فافعلوا الخير وقلوه ولا تبطلوا أعمالكم يحتمل وجوها (أحدها) - وموا على ما أنتم عليه ولا تنسروا قوا فتبطل أعمالكم قل تعالى لأن أشركت ليحبس عنكم (الوجه الثاني) لا تبطلوا أعمالكم بترك طاعة الرسول كما أبطل أهل الكتاب أعمالهم بتكذيب الرسول وعصيانه ويؤيده قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم لي أن قال أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون (الثالث) لا تبطلوا أعمالكم بالإن والافى كما قال تعالى يمتنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على إسلامكم وذلك إن من بين باطلة على الرسول كأنه يقول هذا فعلته لأجل قلبك وأولا رضاك به لما فعلت وهو مناف لا خلاص والله لا يقبل إلا العمل الخالص * ثم قال تعالى (إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار قلن يغفر الله لهم) بين أن الله لا يغفر الشرك وما دون ذلك يغفره إن شاء حتى لا يظن ظان أن أعمالهم وإن بطلت لكن فضل الله باقي يغفرهم بفضله وإن لم يغفر لهم بعملهم * ثم قال تعالى (فلاتهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم) لما بين أن عمل الكافر الذي له صورة الحسنات محبط وذنبه الذي هو أفتح السمات غير مغفور بين أن لحرمة له في الدنيا ولا في الآخرة وقد أمر الله تعالى بطاعة الرسول بقوله وأطيعوا الرسول وأمر بالقتال بقوله فلاتهنوا أى لا تضعفوا بعد ما وجد السبب في الجدق الأمر والاجتهاد في الجهاد فقال فلاتهنوا وتدعوا إلى السلم وفي الآيات ترتيب في غاية الحسن وذلك لأن قوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول يقتضى السعى في القتال لأن أمر الله وأمر الرسول ورد بالجهاد وقد أمروا بالطاعة فذلك يقتضى أن لا يضعف المكلف ولا يكسل ولا يهن ولا يتهاون ثم إن بعد القنصى قد يتحقق مانع ولا يتحقق المسبب والمانع من القتال أما أخروى وأما دنيوى فذكر الأخروى وهو أن الكافر لحرمة له في الدنيا والآخرة لأنه لا عمل له في الدنيا ولا مغفرة له في الآخرة فإذا وجد السبب ولم يوجد المانع ينبغي أن يتحقق المسبب ولم يقدم المانع الدنيوى على قوله فلاتهنوا إشارة إلى أن الأمور الدنيوية لا ينبغي أن تكون مانعة من الاتيان فلاتهنوا فإن لكم النصر أو عليكم بالزيمة على تقدير الاعتراف للهزيمة ثم قال تعالى بعد ذلك المانع الدنيوى مع أنه لا ينبغي أن يكون مانعاً ليس بوجود أيضاً حيث أتم الأعلون والأعلون والمصطفون في الجملة حالة الرفع معلوم الأصل ومعلوم أن الأمر كيف آلا إلى هذه الصيغة في التصريف وذلك لأن أصله في الجمع الموافق لأعلون ومصطفون فسكنت الياء لكونها حرف علة فتحرك ما قبلها والواو كانت ساكنة فالتى ساكنة ولم يكن بد من حذف أحدهما أو تحريكه والتحرك كان يوقع في المحذور الذى اجتنب منه فوجب الحذف والواو كانت

مقررة لمعنى انتهى مؤكدة لوجود الانتهاء وكذا قوله (والله معكم) فإن كونهم الأعلين وكونه

مقررة لمعنى انتهى مؤكدة لوجود الانتهاء وكذا قوله (والله معكم) فإن كونهم الأعلين وكونه

عن رجل ناصرهم من أدوى موجبات الاجتناب عاينهم النذل ﴿ ٥٥٢ ﴾ والضراعة وكذا ثوفية تعالى لاجور

فقد اعنى لا يستغاد الامنها وهو الجمع فاستقطت الباء وبقي اعلون وبهذا الدليل صار في الجبر
اعلين ومصطفين؛ قوله تعالى والله معكم هداه وارشاد يمنع المكلف من الإعجاب بنفسه
وذلك لانه تعالى لما قال أنتم الاعلون كان ذلك سبب الاختيار فقال والله معكم يعنى ليس
ذلك من أنفسكم بل من الله أو نقول لما قال وأنتم الاعلون فكان المؤمنون يرون ضعف
أنفسهم وقلتهم مع كثرة الكفار وشوكتهم وكان يقع في نفس بعضهم أنهم كيف يكون لهم
أغلبة فقال ان الله معكم لا يبقى لكم شك ولا ريب أن أغلبة لكم وهذا كقوله تعالى
لأغلبن أنورسلى وقوله وان جندنا لهم الغالبون وقوله وان يترك أعمالكم وعد آخر وذلك
لان الله لما قال ان الله معكم كان فيه أن النصره بالله لأبكم فكان القائل يقول لم يصدر مني
عمل له اختيار فلا استحق تعظيما فقال هو ينصرك ومع ذلك لا ينص من أعمالكم شيئا
ويجعل كل النصره جعلت بكم ومنكم فكانتكم مستقلون في ذلك ويعطيكم أجر المستبد
والقرة النقص وعنه الموت كأنه نقص منه ما يشفعه ويقول عند القتال ان قتل من
الكافر بن أحد فقد تروا في أهلهم وعلمهم حيث نقص عددهم وضاع علمهم والمؤمن
ان قتل فأنما ينقص من عدده ولم ينقص من عمله وكيف ولم ينقص من عدده أيضا فإنه حي
مرزوق فرح بما هو اليه مسوق ثم قال تعالى (أعمال الحياة الدنيا لعب ولهو وان تؤمنوا
وتنقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم) زيادة في التسلية يعنى كيف تمنعك الدنيا
من طلب الآخرة بالجهاد وهي لا تفوتك لكونك منصورا غالبا وان فاتتكم فعملك غير موثر
فيكيف وما يفوتك فارتفاتت ولم يعوض لا ينبغي لك ان تلتفت إليها لكونها لعبا ولموا
وقد ذكرنا في اللعب واللهو مرارا ان اللعب ما تشغل به ولا يكون فيه ضرورة في الحال
ولا منفعة في المآل ثم ان استعماله الانسان ولم يشغله عن غيره ولم ينش عن اشغاله المهمة
فهو لعب وان شغله ودشه عن مهماته فهو لهو ولهذا يقال ملاهى لآلات الملاهى لانها
مشغلة عن الغير ويقال لما دونه لعب كاللعب بالسطرنج والحمام وقد ذكرنا ذلك غير مرة
وقوله وان تؤمنوا وتقوا يؤتكم أجوركم إعادة للوعد والاضافة للتعريف أى الاجر الذى
وعدكم بقوله أجر كريم وأجر كبير وأجر عظيم وقوله ولا يسألكم أموالكم بمنحمل وجوها
(أحدها) ان الجهاد لا بد له من اتفاق فلو قال قائل أنا لا تنفق مالى ويقال له الله لا يسئلكم
مالكم في الجهات المعينة من الزكاة والغنime وأموال المصالح فيما تحتاجون اليه من المال
لاترعون باخراجه (وثانيها) الاموال لله وهي في أيديكم عارية وقد طلب منكم أو أجاز
لكم في صرفها في جهه الجهاد فلا معنى لاختلكم بماله والى هذا أشار بقوله تعالى ومالككم
أن لا تنفقوا في سبيل الله والله ميراث السموات والارض أى الكل لله (وثالثها) لا يسئلكم
أموالكم كلها وانما يسألكم شيئا يسيرا منها وهو ربع العشر وهو قليل جدا لان العشر هو
الجزء الاول اذ ليس دونه جزء آخر وليس اسما مفردا وأما الجزء من أحد عشر ومن اثني
عشر ومن مائه جزء فالمم يكن . لنتقنا اليه لم يوضع له اسم مفرد ثم ان الله تعالى لم يوجب ذلك

الاعمال حسبا يعرب
عنه قوله تعالى (وان
يتركم اعداؤكم) أى وان
بضياعها من وزرت الرجل
اذا قتلت له قتيلامن ولد
أو أخ أو حميم فأفردته
عنه من الوتر الذى هو
الفرد وعبر عن ترك الانابة
فى مقابلة الاعمال بالوتر
الذى هو اضاءة شئ
معسده به من الانفس
والاموال مع أن الاعمال
غير موجبة للثواب على
قاعدة أهل السنة ارازا
لعاية اللطيف بتصوير
الثواب بصورة الحق
المستحق وتنزيل ترك
الانابة منزلة اصناعة
أعظم الحقوق واتلافها
وقدم فى قوله تعالى
فاستجاب لهم ربهم
أنى لأضع عمل عامل
منكم (انما الحياة الدنيا
لعلم ولهم) لاثبات لها
ولا اعتداد بها (وان
توئموا وتتقوا يؤنسكم
أجوركم) أى ثواب
ايمانكم وتقواكم من
الباقيات الصالحات
التي يناسف فيها
المنافسون (ولا يسئلكم
أموالكم) بحيث يخل
أداؤها بماعاشكم وانما

(ان يسألكموها) أى أموالكم (فيحكمكم) أى يجهدكم بطلب الكل فان الاحفاء والالحاف المبالغة وبلوغ الغاية يقال أحنى شاربها اذا استأصله (يخلو) فلا تملأوا ﴿ ٥٥٣ ﴾ (ويخرج أضغانكم) أى أحقادكم وضرب

يخرج الله تعالى وبعضه
القرارة بنون العظيمة
أو لا يخل لأنه سبب
الأضغان وقرى يخرج
من الخروج بالياء والناء
يستند الى الأضغان (ها)
أنتم هؤلاء) أى أنتم
أيها المخاطبون هؤلاء
الموصوفون وقوله تعالى
(تدعون لتنفقوا في سبيل
الله) استئناف مقرر لذلك
أوصلة له ولأدلى أنه
عنى الذين أى هاتم
الذين تدعون فقيه توبخ
عظيم وتحفر من شأنهم
والانفاق في سبيل الله
يعم نفقة الغزو والزكاة
وغيرهما (فتمكن من
يخل) أى ناس يخلون
وهو في خبر الدليل على
الشرعية السابقة (ومن
يخل قائما يخل عن
نفسه) فان كلاما نفي
التفاق وضررا يخل عائد
اليه واليخل يستعمل
بعن وعلى لتضمنه معنى
الامساك والتدنى
(والله الفنى) دون من
عده (وأنتم الفقراء)
فسا يأمركم به فهو
لاحتياجكم الى ما فيه
من المنافع فان امتثلتم
فليكن وان

في رأس المال بل أوجب ذلك في الربح الذى هو من فضل الله وعطائه وان كان رأس
المال أيضا كذلك لكن هذا المعنى في ربح أظهر وما كان المال منه ما ينفق للتجارة
فيه ومنه ما لا ينفق وما اتفق منه للتجارة أحد قسميه وهو يخل أن تكون التجارة فيه
رابحة ويخل أن لا تكون رابحة فصار القسم الواحد قسمين فصار في التقدير كل ربح
في ربه فأوجب عشر الذى فيه الربح وهو عشر فهو ربع العشر وهو الواجب فعلم ان
الله لأسألكم أموالكم ولا الكثير منه * ثم قال تعالى (ان يسألكموها فيحكمكم بخروا
ويخرج أضغانكم) الغاء في قوله فيحكمكم للاشارة الى أن الاحفاء يقع السؤال بيانا
لشيخ النفس وذلك لان العطف بالواو قد يكون المثلين والمثاق لا يكون إلا لامتثالين أو
متعلقين أحدهما بالآخر فكانه تعالى بين ان الاحفاء يقع عقيب السؤال لان الانسار
يجرد السؤال لا يعطى شيئا وقوله يخلوا يخرج أضغانكم يعنى ما طلبها ولو سلمها الخ
عليكم في الطلب لخلتم كيف وأنتم يخلون باليسير فكيف لا يخلون بالكثير وقوله ويخرج
أضغانكم يعنى يسببه فان الطالب وهو الذى صلى الله عليه وسلم وأصحابه يطلبونكم وأنتم
لحبة المال وشيخ النفس تمتعون فيفضى الى التال وتظهر به الضغائن * ثم قال تعالى
بيانا لما قاله (ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فتمكن من يخل ومن يخل قائما
يخل عن نفسه والله اعنى وأنتم الفقراء) قد طلبت منكم اليسير فخلتم فكيف لو طلبت
منكم الكل وقوله هؤلاء يخل وجهين (أحدهما) ان تكون موصولة كأنه قال أنتم
هؤلاء الذين تدعون لتنفقوا في سبيل الله (وأنتم هؤلاء وحدها خبر أنتم كما يقال أنت
هذا تحقيقا لشبهة والظهور أى ظهر أثركم بحيث لا حاجة الى الاخبار عنكم بأمر مغاير
ثم يبتدىء تدعون وقوله تدعون أى الى الانفاق اما في سبيل الله تعالى بالجهد واما في صرفه
الى المستحقين من اخوانكم وبالجملة فى الجهتين تخزيل الاعداء ونصرة الاولياء فتمكن
من يخل ثم بين ان ذلك يخل ضرر عائد اليه فلا تظنوا انهم لا ينفقونه على غيرهم بل
لا ينفقونه على أنفسهم فان من يخل باجرة الطيب وثمن الدواء وهو مريض فلا يخل الا
على نفسه ثم حقق ذلك بقوله والله العنى غير محتاج الى ما نكم وأتمه بقوله وأنتم الفقراء
حتى لا تفوا بالانما ايضا أغنياء عن القتال ودفع حاجة الفقراء فانهم لا غنى لهم عن ذلك
في الدنيا والآخرة اما في الدنيا فلأنه أولا القتال لقتلوا فان الكافرين لم يغزوا المحتاج
ان لم يدفع حاجته يقصده لاسيما اباح الشارع للمضطرب ذلك وأما في الآخرة فظاهر فكيف
لا يكون فقيرا وهو موقوف مسؤول يوم لا ينفع مال ولا بنون * ثم قال تعالى (وان تنولوا
يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) بيان الترتيب من وجهين (أحدهما) انه ذكره
بيانا للاستغناء كما قال تعالى ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وقد ذكر ان هذا تقرير
بعد التسليم كأنه تعالى يقول الله غنى عن العالم بأسره فلا حاجة له اليكم فان كان ذاهب

توليتكم فعليكم وقوله تعالى (وان تولوا) عطف على ﴿ ٥٥٤ ﴾ ان تولوا أي وان تعرضوا عن الايمان والتقوى

(يستبدل فوما غيركم)
تختلف مكانكم وما
آخرين (ثم لا يكونوا
أمثالكم) في التولي عن
الايمان والتقوى بل
يكونوا راغبين فيهما
فيلهم الانصار وقيل
الملائكة وقيل أهل
فارس لما روى أنه عليه
الصلاة والسلام سئل
عن القوم وكان سلمان
التي جنبه فضر ب على
فجذبه فقال هذا وقومه
والذي نفسى بيده لو كان
الايمان منوطا بالبرياتناوله
رجال من فارس وقيل
كعدة والخم وقيل العجم
وقيل الروم * عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة محمد كان
حقا على الله عز وجل
أن يسقيه من أنهار الجنة
* (سورة الفتح مدنية
نزلت في مرجع رسول
الله صلى الله عليه وسلم
من الجديبية وآبها
تسع وعشرون) *
* (بسم الله الرحمن
 الرحيم) * (انا فتحناك)
فتح البلد عبارة عن
الظفر به عنوة أو صلحا
بحراب أو بدونه فانه

يذهب الى ان ملكه بالعالم وجبروته يظهر به وعظمته بعباده فتقول هان هذا الباطل
حق لكنكم غير متعينين له بل الله قادر على أن يخافى حلا غيركم فيخزوه بعبادته وعالمنا
غير هذا يشهد به عظمته وكبريائه (وثانيها) الله تعالى لما بين الامور وأفاد عيبها للبراهين
وأوضحها بالامثلة قال ان اطعتم فلكم اجر ثم زاد ان تولوا لم يبق لكم الا الاهلاك
فان ما من نبي أنذر قومه وأصروا على تكذيبه فوفى حق عليهم أقول بالاهلاك وظهر
الله الارض منهم وأتى بقوم آخرين طهر من وقوله ثم يكونوا أمثالكم فيه مسألة نحوية
يتبين منها قول عز وجل وهي ان النجاة ما لو اتجوز في المعصية على جواب ان شرط بالواو
والفاء ثم الجزم والرفع جيبا قال الله تعالى ههنا وان تولوا يستبدل فوما غيركم ثم
لا يكونوا أمثالكم بالجزم وقال في موضع آخر وان يقاتلوك يولوكم الادبار ثم لا ينصرون
بالرفع باثبات النون وهو مع الجواز ففيه تدوير وهو ان ههنا لا يكون متعلقا بالتولي لانهم
انما تولوا يكونون من يأتي بهم الله على الطاعة وان تولوا لا يكونون مثلهم لكونهم
عاصين وكور من يأتي بهم مطيعين وأما هك سواء قلنا أولم يقلوا لا ينصرون فلم يكن
للتعليق هناك وجه فرغ بالابتداء وههنا جزم التعليق وقوله ثم لا يكونوا أمثالكم يحتمل
وجهين (أحدهما) أن يكون المراد لا يكونوا أمثالكم في الوصف ولا في الجنس وهو لائق
(الوجه الثاني) وفيه وجوه (أحدها) قوم من العجم (وثانيها) قوم من فارس روى أن
النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن يستبدل بهم ان تولوا وسلمان الى جنبه فقال هذا وقومه
ثم قال لو كان الايمان منوطا بالثرياتنا له رجال من فارس (وثالثها) قوم من الانصار والله
أعلم والمحمد لله رب العالمين وصلاته على خير خلقه محمد النبي وآله وصحبه وعترته وأهل بيته
أجمعين وسلم تسليما كثيرا آمين

(سورة الفتح عشرون وتسع آيات مدنية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(انا فتحناك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) ويتم نعمته عليك ويهديك
صراطا مستقيما ويتصرك الله نصرا عزيزا وفيه مسائل (المسألة الأولى) في الفتح وجوه
(أحدها) فتح مكة وهو ظاهر (وثانيها) فتح الروم وغيرها (وثالثها) المراد من الفتح صلح
الحديبية (ورابعها) فتح الاسلام بالحجة والبرهان والسيف والسنان (وخامسها) المراد
منه الحكم كقولهم ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وقوله ثم يفتح بيننا بالحق والخنا من
الكل وجوه (أحدها) فتح مكة والآخر فتح الحديبية والثالث فتح الاسلام بالآية
والبيان والحجة والبرهان والاول مناسب لاخر ما قبلها من وجوه (أحدها) انه تعالى لما
قال ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله الى أن قال ومن ينجح فلانما ينجح عن نفسه
بين تعالى انه فتح لهم مكة وغنموا ديارهم وحصل لهم اضعاف ما أنفقوا ولو بخلوا اضعاف
عندهم ذلك فلا يكون بخلهم الاعلى أنفسهم (ثانيها) لما قال والله معكم وقال وأنتم

مالم يظفر به منطلق مأخوذ من فتح باب الدار واستناده الى نون العظيمة لاستناده أفعال * الاعلون *

العباد اليه تعالى خلقا واجتادا والمراد به ٥٥٥ فتح مكة شرفها الله وهو المروي عن أنس رضي الله عنه بشربه رسول

الله صلى الله عليه وسلم عند
انصرافه من الحديبية
والتعبير عنه بصيغة
الماضي على سنن سائر
الاخبار الرابطة للايدان
بتحققه لا محالة تأكيد
التبشير كما أن نصدير الكلام
يجوز التحقيق لذلك
وفيه من الفخامة النبوة
عن عظيمة شأن المخبر جل
جلاله وعز سلطانه ما
لا يخفى وقيل هو ما أتبعه
عليه الصلاة والسلام
في تلك السنة من فتح
خير وهو المروي عن
مجاهد وقيل هو صلح
الحديبية فإنه وإن لم يكن
فيه حراب شديد بل
ترام بين الفريقين سهام
وجسارة لكن لما كان
الظهور للمسلمين حيث
سأهم المشركون الصلح
كان فتحا بلا ريب وروى
عن ابن عباس رضي الله
عنها رموا المشركين
حتى أدخلوهم ديارهم
وعز الكبي طهر وأعليهم
حتى سأوا الصلح وقدرى
أنه عليه الصلاة والسلام
حين بلغه أن رجلا قال
ما هذا فتحا قد صددنا
عن البيت وصدهدنا

الاعلون بين برهانه بفتح مكة فإنهم كانوا هم الاعلون (ثانيها) لما قال تعالى فلا تنهوا
وتدعوا الى السلم وكان معناه لتسألوا الصلح من عندكم بل اصبروا فإنهم يسألون الصلح
ويجتهدون فيه كما كان يوم الحديبية وهو المراد بالفتح في أحد الوجوه وكما كان فتح مكة
حيث أتى صناديد قرش مستأمنين ومؤمنين ومسلمين فان قيل ان كان المراد فتح مكة
لمكة لم تكن قد قهرت فكيف قال تعالى فقتلك فقتلناك فقتلناك بلفظ الماضى نقول الجواب
عنه من وجهين (أحدهما) فتحنا في حكمنا وتقدمنا (ثانيهما) ما قدره الله تعالى فهو
كأن فأخبر بصيغة الماضى إشارة الى أنه أمر لا دافع له واقع لا رافع له (المسئلة الثانية)
قوله ليغفر لك الله يبنى من كون الفتح سببا للمغفرة والفتح لا يصلح سببا للمغفرة فالجواب
عنه نقول الجواب عنه من وجوه (الاول) ما قيل ان الفتح لم يمهله سببا للمغفرة وحدها
بل هو سبب لاجتماع الامور المذكورة وهي المغفرة واتمام النعمة والهداية والنصرة
كأنه تعالى قال ليغفر لك الله ويتم نعمته ويهديك وينصرك ولا شك ان الاجتماع لم يثبت
الا بالفتح فان النعمة به تمت والنصرة بعده قد تمت (الثاني) هو ان فتح مكة كان سببا
لتطهير بيت الله تعالى من رجس الاوثان تطهير بيته صار سببا لتطهير عبده (الثالث)
هو ان بالفتح يحصل الحج ثم بالحج تحصل المغفرة ألا ترى الى دعاء النبي عليه الصلاة والسلام
حيث قال في الحج اللهم اجعله حجبا مبرورا وسعيام مشكورا وذنبنا مغفورا (الرابع) المراد
منه التعرف بتقديره اننا فقتلك ليعرف انك مغفور معصوم فان الناس كانوا يعلموا بعد
عام القيل ان مكة لا يأخذها عدو الله المسخوط عليه وانما يدخلها أو يأخذها حبيب الله
المغفور له (المسئلة الثالثة) لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم ذنبا فذا يغفر له قلنا الجواب
عنه قد تقدم مرارا من وجوه (أحدها) المراد ذنب المؤمنين (ثانيها) المراد ترك الفضل
(ثالثها) الصغار فانها جازئة على الانبياء بالسوء والعمد وهو يصونهم عن العجب
(رابعها) المراد العصاة وقد بينا وجهه في سورة اقبال (المسئلة الرابعة) ما معنى قوله
وماتاخرتوني فيه وجوه (أحدها) انه وعد النبي على السلام بأنه لا يذنب بعد النبوة
(ثانيها) ما تقدم على فتح وما أخر عن الفتح (ثالثها) العموم يقال اضرب من لقيت ومن
لا نفاقه مع ان من لا يليق لا يمكن ضربه إشارة الى العموم (رابعها) من قبل النبوة ومن
بعدها وعلى هذا فاقبل النبوة باغفر وما به من العصاة وفيه وجوه أخرى سأفصده منها أقول
بعضهم ما تقسم من أمر ماريه وما تأخر من أمر زين وعمر أبعد الوجوه وأسقطها
لعدم الثام الكلام وقوله تعالى ويتم نعمته عليك يحتمل وجوها (أحدها) هو ان
التكليف عند الفتح تمت حيث وجب الحج وهو آخر التكليف والتكاليف نعم (ثانيها)
يتم نعمته عليك باخلاء الارض لك عن معانديك فان يوم الفتح لم يبق للنبي عليه الصلاة
والسلام عدو وذو اعتبار فان بعضهم كانوا أهل كوا يوم بدر والباقيون آمنوا واستأمنوا
يوم الفتح (ثالثها) ويتم نعمته عليك في الدنيا باستجابة دعائك في طلب الفتح وفي الآخرة

قال بل هو أعظم الفتح وقدرضى المشركون أن يدفعوكم بالراح

ويسألوكم القضية ويرغبوا اليكم في الامان وقد رأوا ﴿ ٥٥٦ ﴾ منكم ما بكرهون وعن الشعبي تزات بالحديثة

وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة ما لم يصب في غزوة حيث أصاب أن يبيع يعة الرضوان وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخره وبلغ الهدى محله وأطمعوا فغل خيبر وظهرت الروم على فارس ففرح به المسلمون وكان في فتح الحديبية آية عظيمة هي نزح ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة فتمضض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه وشبع وقبل فبحاش الماء حتى امتلأت ولم يتقدمواؤها بعد وقبل هوجيم ما فتحه عليه الصلاة والسلام من الفتح وقبل هو ما فتح الله له عليه الصلاة والسلام من الاسلام والشبهة والدعوة بالحجة والسيف ولا فتح أبين منه وأعظم وهو رأس الفتوح كافة اذ لا فتح من فتوح الاسلام الا هو شبهة من شبهة وفرغ من فروعها وقبل الفتح عنى القضاء ومنه الفتحا للحكومة والمعنى

يقول شفاعتك في الذنوب ولو كانت في غاية الفتح وقوله تعالى ويهديك صراطا مستقيما يتحمل وجوها (أظهرها) يديك على الصراط المستقيم حتى لا يبقى من بلغت الى قوله من المضلين أو بمن يقدر على الاصر كراه على الكفر وهذا يوافق قوله تعالى ورضيت لكم الاسلام ديناً حيث أهاكت المجادلين فيه ووجههم على الايمان (وثانيها) ان يقال جعل الفتح سبباً للهداية الى الصراط المستقيم لانه سهل على المؤمنين الجهاد لعلمهم بانها قد انجالت بالفتح والاجلة بالوعد والجهاد سلوك سبيل الله ولهذا يقال للغزى في سبيل الله مجاهد (وثالثها) ما ذكرنا ان المراد التمريض أى يعرف انك على صراط مستقيم من حيث ان الفتح لا يكون الا على يد من يكون على صراط الله بدليل حكاية الغيل وقوله وينصرك الله نصرا عزيزا ظاهر لان بالفتح ظهر النصر واشتهر الامر وفيه مسئلتان (أحدهما) انظية والاخرى معنوية اما انظية ففى ان الله وصف النصر بكونه عزيزا والعز يزعم له النصر والجواب من وجهين (أحدهما) ما قاله الزنجشري انه يتحمل وجوها ثلاثة (الاول) معناه نصر اذا عز كقوله في عيشة رضية أى ذات رضا (الثاني) وصف النصر بما يوصف به المنصور اسنادا بحجاز يا يقال له كلام صادق كاياله له شككم صادق (الثالث) المراد نصرا عز راضا حجة (الوجه الثاني) من الجواب أن نقول انما ياننا ما ذكره الزنجشري من التقديرات اذا قلنا العزة من الغلبة والعز راضا غالب وأما اذا قلنا ان يزهر النفس اقليل النظر أو المحتاج اليه التليل الوجود يقال عزاشى اذا قل وجوده مع انه محتاج اليه فالتصريح كان محتاجا اليه ومثله لم يوجد وهو أخذت الله من الكفار الملتصين فيه من غير عدد (أما المسئلة المعنوية) وهى ان الله تعالى لما قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك ابرز الفعل وهو الله ثم عطف عليه بقوله ويتم وبقوله ويهديك ولم يذكر الله على الوجه الحسن في الكلام وهو ان الافعال الكثيرة اذا صدرت من فاعل يظهرا منه في الفعل الاول ولا يظهر فيما بعده تقول جاء زيد وتكلم وقام وراح ولا تقول جاء زيد وقعدن يداختصارا للكلام بالافتصار على الاول وهما لم يقل وينصرك نصر ابل أعاد لفظ الله فنقول هذا ارشاد الى طريق النصر ولهذا قلنا ذكر الله النصر من غير اضافة فقال تعالى ينصر الله ينصر ولم يقل بالنصر ينصر فقال هو الذى أيدك بنصره ولم يقل أيدك بالنصر وقال اذا جاء نصر الله والفتح وقال نصر من الله وفتح قريب ولم يقل نصر وفتح وقال وما النصر الا من عند الله وهذا ادل الآيات على مطلوبنا وتحقيقه هو ان النصر بالصبر والصبر بالله قال تعالى واصبر وما صبرك الا بالله وذلك لان الصبر سكون القلب واطمئنانه وذلك بذكر الله كما قال تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب فلما قال هنا وينصرك الله أظهر لفظ الله ذكر التعليم ان بذكر الله يحصل اطمئنان القلوب وبه يحصل الصبر وبه يتحقق النصر وههنا مسئلة أخرى وهى ان الله تعالى قال انا فتحناكم قال ليغفر لك الله ولم يقل انا فتحناك فنقولك تعظيما لامر الفتح وذلك لان العفوة وان كانت عظيمة

وأياماً كان فحذق المفعول المقصد الى نفس الفعل والايذان بأن مناط التبشير نفس القبح الصادر عنه سبحانه
لا خصوصية المقطوع (قبحاً مبنياً) بينا * ٥٥٧ * ظاهراً الامر مكشوف الحال أو فارقاً بين الحق والباطل

وقوله تعالى (لنفكر) الله (غاية القبح من حيث انه مترتب على سعيه عليه الصلاة والسلام في اعلاء كلمة الله تعالى بمكابدته مشاق الحروب واقتحام موارد الخطوب والانكسار الى اسم الذات المستنبح لجميع الصفات للاشعار بأن كل واحد مما انتظم في سلك الغاية من أفعاله تعالى صادر عنه تعالى من حبيبة غير حبيبة الآخر مترتبة على صفة من صفاته تعالى (ما تقدم من ذنبك وما تأخر) أي جميع ما فرط منك من ترك الاولى وتسميته ذنباً بالنظر الى منصبه الجليل (وتم نعمته عليك) باعلاء الدين وضم الملك الى النبوة وغيرهما مما أفاضه عليه من النعم الدينية والفنوية (ويهديك صراطاً مستقيماً) في بليغ الرسالة واقامة مراسم الرئاسة وأصل الاستقامة وان كانت حاصلة قبل القبح لكن حصل بعد

لكنها عامة لقوله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعاً وقال ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ولئن قلنا بأن المراد من المغفرة في حق النبي عليه السلام العصمة فذلك لم يخص بنيينا بل غيرة من الرسل كل معصوما وانعام النعمة كذلك قال الله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي وقال يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وكذلك الهداية قال الله تعالى يهدي اليه من يشاء فعمهم وكذلك النصر قال الله تعالى ولقد سبق لكنا لالعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وأما القبح فلم يكن لاحد غير النبي صلى الله عليه وسلم فعظمه بقوله تعالى اننا فتحنا لك فتحاً مبيناً وفيه التعظيم من وجهين أحدهما انا وثانيهما لك أي لاجلك على وجه المنة * ثم قال تعالى (هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ایماناً مع إيمانهم ولله جنود السموات والارض وكان الله عليهما حكيماً) لما قال تعالى وينصرك الله بين وجه النصر وذلك لان الله تعالى قد ينصر رسوله بصيحة يهرك بها أعداءهم أو رجفة تحكم عليهم بالغناء أو جنود يرسله من السماء أو نصرو وقوة وثبات قلب يرزق المؤمنين به ليكون لهم بذلك الثواب الجزيل فقال هو الذي أنزل السكينة أي تحقياً للنصر وفي السكينة وجوه (أحدها) هو السكون (الثاني) الوفاء لله ولرسول الله وهو من السكون (الثالث) اليقين والكل من السكون وفيه مسائل (المسئلة الاولى) السكينة هنا غير السكينة في قوله تعالى اراية ملكه ان يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم في قول اكثر المفسرين ويحتمل هي تلك لان المقصود منها على جمع الوجوه اليقين وثبات القلب (المسئلة الثانية) السكينة المزعومة عليهم هي سبب ذكرهم الله كما قال تعالى ألا يدرك الله طمعاً ان قاب (المسئلة الثالثة) قال الله تعالى في حق الكافرين وقذف في قلوبهم بلطف التدف المزعج وقال في حق المؤمنين وأنزل السكينة بلطف الانزال المثبت وفيه معنى حكيم وهو ان من علم شيأ من قبل وتذكره واستدام تذكره فاذا وقع لا يتغير ومن كان غافلاً عن شيء وقع دفعة رجف فؤاده الا ترى ان من اخبر بوقوع صيحة وقبل له لا تتزعج منها فوقع الصيحة لا يرجف ومن لم يخبر به أو أخبره غفل عنه يرتجف اذا وقعت فكذلك الكافر اذا علم ان الله من حيث لا يحتسب وقذف في قلبه فارتجف والمؤمن انما من حيث لا يدركه فسكن وقوله تعالى ليزدادوا ایماناً مع إيمانهم فيه وجوه (أحدها) أمرهم بتكاليف شأ بعد شيء فآمنوا بكل واحد منها مثلاً أسروا بالزوجه فآمنوا وأطاعوا ثم أسروا بالقتال والحج فآمنوا وأطاعوا فازدادوا ایماناً مع إيمانهم (ثانيها) أنزل السكينة عليهم فصبروا فرأوا هين اليقين بما علموا من النصر علم اليقين إيماناً بالغيب فازدادوا ایماناً مستفاداً من الشهادة مع إيمانهم المستفاد من الغيب (ثالثها) ازدادوا بالفروع مع إيمانهم بالاصول فانهم آمنوا بأن محمداً رسول الله وان الله واحد والحشر كائن وآمنوا بأن كل ما يقول النبي صلى الله عليه وسلم صدق وكل ما يأمر الله تعالى به واجب (رابعها) ازدادوا ایماناً استدلالاً بما مع إيمانهم الفطري

ذلك من اتصاح سبيل الحق واستقامة مناهجه ما لم يكن

حاصلا قيل (وينصرك الله) اظهار الاسم الجليل لكونه خاتمة الغايات ولاظهار كمال العناية بشأن النصرة كما يعرب عنه تأكيد بقوله تعالى (نصرا عزيزا) ﴿ ٥٥٨ ﴾ أى نصرا فيه عزة ومنته اوقويا منصبا على

وصف المصدر بوصف صاحبه مجازا للبالغة أو عززا صاحبه (هو الذى أنزل السكينة) بيان لما أفاض عليهم من مبادئ الفتح من الثبات والعلم أيته أى أنزلها (في قلوب المؤمنين) بسبب الصلح والامن اظهار الفضله تعالى عليهم بتيسير الامن بعد الحوف (ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم) أى يقينا متصفا الى يقينهم أو أنزل فيها السكون الى ما جاء به عليه الصلاة والسلام من الشرائع ليزدادوا ايمانا بها مقرونا مع ايمانهم بأحكامه واليوم الآخر عن ابن عباس رضى الله عنهما أن أول ما أنعم به النبي صلى الله عليه وسلم التوحيد ثم الصلاة والزكاة ثم الحج والجهاد فازدادوا ايمانا مع ايمانهم أو أنزل فيها الوفاء والعظمة لله تعالى ورسوله ليزدادوا باعتقاد ذلك ايمانا الى ايمانهم (ولله جنود السموات

وعلى هذا الوجه نبين لطيفة وهي ان الله تعالى قال في حق الكافر ين انا على لهم ليزدادوا ايمانا ولم يقل مع كفرهم لان كفرهم هتادى وليس في الوجود كفر فطرى لينضم اليه الكفر العنادى بل الكفر ليس الا عناديا وكذلك الكفر بالفروع لا يقال انضم الى الكفر بالاصول لامن ضرورة الكفر بالاصول الكفر بالفروع وليس من ضرورة الايمان بالاصول الايمان بالفروع بمعنى الصلابة والانقياد فقال ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم وقوله ولله جنود السموات والارض فكان قادرا على اهلاك عدوه بجنوده بل بصيحه ولم يفعل بل أنزل السكينة على المؤمنين ليكون اهلاك أعدائهم بأيديهم فيكون لهم الثواب وفي جنود السموات والارض وجوه (أحدها) ملائكة السموات والارض (ثانيها) من في السموات من الملائكة ومن في الارض من الحيوانات والجن (وثالثها) الاسباب السماوية والارضية حتى يكون سقوط كسف من السماء والخسف من جنوده وقوله تعالى وكان الله عليا حكيما لما قال ولله جنود السموات والارض وهددهم غير محصور أثبت العلم اشارة الى أنه لا يعرب عنه مثال ذرة في السموات ولا في الارض وأيضا لما ذكر أمر القلوب بقوله هو الذى أنزل السكينة في قلوب المؤمنين والايمان من عمل القلوب ذكر العلم اشارة الى أنه يعلم السر وأخفى وقوله حكيما بعد قوله عليا اشارة الى أنه يفعل على وفق العلم فان الحكيم من يعمل شيئا متقنا ويعلمه فان من يقع منه صنع عجيب انفا فلا قاله حكيم ومن يعلم ويعمل على خلاف العلم لا يقال له حكيم ﴿ وقوله تعالى (ليدخل) المؤمنين المؤمنين جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) يكفر عنهم سيئاتهم وكل ذلك عند الله فوز عظيم) يستدعى فعلا سابقا ليدخل فان من قال ابتداء لكرمى ايه هم ما لم يشل قلبه جئتكم أو ما يوم مقامه وفي ذلك الفعل وجوه ومصطط الاحكام فيه بأقوال ذلك الفعل اما أن يكون مذكورا بصريحة أو لا يكون وحيد ينبغي ان يكون مضموما فان أن يكون مضموما من لفظ يدل عليه أو لامن لفظ يدل عليه بل فهم بقرينة خاصة فان كان مذكورا فهو محتمل وجوها (أحدها) قوله ليزدادوا ايمانا كأنه تعالى أنزل السكينة ليزدادوا ايمانا بسبب الانزال ليدخلهم بسبب الايمان جنات فار قيل فقوله بعذب عطف على قوله ليدخل وايزداد ايمانهم لا يصلح سببا لتعذيبهم فتوى بل ودمش وجيم (أحدهما) ان التعذيب مذكور لكونه مقصودا للمؤمنين كأنه تعالى يقول بسبب ازديادكم في الايمان يدخلكم في الآخرة جنات وبعذب بأيديكم في الدنيا بكتار والمنافقين (الثاني) تقديره وبعذب بسبب ما لكم من الازدياد يقال فعلته لأجابه العدو والصديق أى لا عرف بوجوده الصديق وبعده العدو فكذلك ليزداد المؤمن ايمانا فيدخل الجنة ويزداد الكافر كفرا فيعذبه به (ووجه آخر ثالث) وهو ان سبب زيادة ايمان المؤمنين بكثرة صبرهم وثباتهم فعبى المنافق والكافر معه وبعذب وهو قرب بما ذكرنا (الثاني) قوله وينصرك الله كأنه تعالى قال وينصرك الله بالمؤمنين ليدخل المؤمنين

بعض ثارة و يوقع بينهما السلم اخرى حسبما تقتضيه مشيئة المنة على الحكم والمصالح (وكان الله عليا) مبالغا في العلم
بجميع الامور (حكيم) في تقديره ﴿ ٥٥٩ ﴾ وتدبيره وقوله تعالى (لبدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري

جنار (الثالث) قوله تعالى ليفغراك الله ما تقدم من ذنبك على قولنا المراد ذنب المؤمن
كانه تعالى قال ليفغراك ذنب المؤمنين ليدخل المؤمنون جنات وامان فلهذا هو مفهوم من
الفاظه صريح فدخل وجوها ايضا (أحدها) قوله حكيم يدل على ذلك كانه تعالى قال الله
حكيم مل ماء ليدخل المؤمنون جنات (وثانيها) قوله تعالى ويتم نعمته عليك في الدنيا
والآخرة فيستجيب دعائك في الدنيا ويقبل شفاعتك في الآخرة ليدخل المؤمنون جنات
(الثاني) قوله ما يفتنك هو وجهه هو انه روى ان المؤمنين قالوا لا اله الا الله صلى الله عليه وسلم
هناك ان الله غفر لك فذا ذنبت فزالت هذه الآية كانه تعالى قال انما فتنتك ففهمنا
تغفر لك وفهمنا المؤمنين ليدخلهم جنات وامان قلنا ان ذلك مفهوم من غير مقال بل
من قوله ليدخلهم جنات وامان قلنا ان ذلك مفهوم من غير مقال بل
القتال فكانه تعالى قال ان الله تعالى أمر بالقتال ليدخل المؤمنين أو نقول عرف من
قريفة الحان ان الله اختار المؤمنين فكانه تعالى قال اختار المؤمنين ليدخلهم جنات
(المسئلة الرابعة) قال ههنا وفي بعض المواضع المؤمنين والمؤمنات وفي بعض المواضع
اكتفى بذكر المؤمنين ودخلت المؤمنات فيهم كافي قوله تعالى وبشر المؤمنين وقوله تعالى
قد أفلح المؤمنون فذا الحكمة فيه نقول في المواضع التي فيها ما يوجب اختصاص المؤمنين
بالجزاء الموعود به مع كون المؤمنات يشتركن معهم ذكرهن الله صريحا وفي المواضع التي
ليس فيها ما يوجب ذلك اكتفى بدخولهم في المؤمنين وقوله وبشر المؤمنين مع انه علم من قوله
تعالى وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا العموم لا يوجب خروج المؤمنات عن
البشارة وأما ههنا فلما كان قوله تعالى ليدخل المؤمنين لفعل سابق وهو اما الأمر بالقتال
أو الصبر فيه أو النصر للمؤمنين أو القمع بأيديهم على ما كان يتوهم لان ادخال المؤمنين
كان للقتال والمرأة لا تقاتل فلا تدخل الجنة الموعود بها صرح الله بذكرهن وكذلك في
المنافقات والمشركات والمنافقة والمشركة لم تقال فلا تعذب فصرح الله تعالى بذكرهن
وكذلك في قوله تعالى ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات لان الموضوع موضع ذكر
النساء وأحوالهن لقوله ولا تبرجن وآثين وأطعن وقوله واذكرن ما ينلن في بيوتكن
فكان ذكر النساء هناك أصلا لكن الرجال لما كان لهم ما للنساء من الاجر العظيم ذكرهم
وذكرهن بلفظ مفرد من غير تبعية لما بينا ان الاصل ذكرهن في ذلك الموضوع (المسئلة
الخامسة) قال الله تعالى ويكفر عنهم سيئاتهم بعد ذكر الادخال مع أن تكفير السيئات
قبل الادخال نقول الجواب عنه من وجهين (أحدهما) الواو لا تقتضي الترتيب (الثاني)
تكفير السيئات والمغفرة وغيرهما من توابع كون المكلف من أهل الجنة فقدم الادخال
في الذكر بمعنى انه من أهل الجنة (الثالث) وهو ان التكفير يكون بالباس خلع الكرامة
وهي في الجنة وكان الانسان في الجنة تزال عنه قبائح البشرية الجرمة كالفضلات
والمغنوية كالغضب والشهوة وهو التكفير وثبت فيه الصفات الملكية وهي أشرف

من تحبها الانهار
خاضعين فيها) متعلق
يدل عليه ما ذكر من
كون جنود السموات
والارض له تعالى من
حي لتصرف والته تبر
أي دبر مدار من تليط
المؤمنين ببره نعمه الله
في ذلك وشكرها
فيدخلهم الجنة (ويكفر
عنهم سيئاتهم) أي
بغطها ولا يظهرها
وتقديم الادخال في
الذكر على التكفير مع
أن الترتيب في الوجود
على العكس للمسارعة
الى ما هو المطلوب الاعطى
(وكان ذلك) أي ما ذكر
من الادخال والتكفير
(عند الله فوزا عظيما)
لا يقدر قدره لانه
متنهي لما يتدلى به اعتناق
الهمم من جلب نفع
ودفع ضرر وعند الله
حال من فوزا لانه صفة
في الاصل فلما قدم
عليه صار حالا أي
كأنه عند الله أي في
علمه تعالى وقضائه
والجللة اعتراض مقرر
لما قبله (ويكفر
المنافقين والمنافقات

والمشركين والمشركات) عطف على بدخل وفي تقديم المنافقين على

المشركين ما لا يخفى من الدلالة على أنهم أحق منهم بالعذاب ﴿ ٥٦٠ ﴾ (الظانين بالله ظن السوء) أي ظن الامر

أنواع الخلق وقوله تعالى وكان ذلك عند الله فوزا عظيما فيه وجهان (أحدهما) مشهور وهو أن الإدخال والكفر في علم الله فوز عظيم يقال عندى هذا الامر على هذا الوجه أى في اعتقادي (وثانيهما) أغرب منه وأقرب منه عللا وهو أن يجعل عند الله كأوصف ذلك كانه تعالى يقول ذلك عند الله أى بشرط أن يكون عند الله تعالى و بوصف أن يكون عند الله فوز عظيم حتى أن دخول الجنة أو لا يمكن فيه قرب من الله بالعندية إذا كان فوزا ثم قال تعالى (ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهنم دائرة السوء) وغضب الله عليهنم ولعنهنم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا والله جنود السموات والأرض وكان الله عز وجل حكيم) اعلم انه قدم المنافقين على المشركين في الذكرك في كثير من المواضع لا دور (أحدها) أنهم كانوا أشد على المؤمنين من الكافر المجاهر لأن المؤمن كان يتوقى المشرك المجاهر وكان يحاطل المنافق لظنه بإيمانه وهو كان يفتشى أسرارهم وإلى هذا أشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله أعدى عدوك نفسك التي بين جنبك والمنافق على صورة الشيطان فإنه لا يأبى الإنسان على أنى عدوك وانسابه على أنى صديقك والمجاهر على خلاف الشيطان من وجهه ولأن المنافق كان يظن أن يتخلص للخداعة والكافر لا يقطع بأن المؤمن أن يغلب يفتديه فأول ما أخبر الله أخبر عن المنافق وقوله الظانين بالله ظن السوء هذا الظن يحتمل وجوها (أحدها) هو الظن الذي ذكره الله في هذه السورة بقوله بل ظنتم أن لن ينقلب الرسول (ثانيها) ظن المشركين بالله في الاشتراك كما قال تعالى انهم انهم الاسماء سميتهموها أتم الى ان قال ان يذيعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا (ثالثها) ظنهم ان الله لا يرى ولا يعلم كإفلال ولكن ظنتم ان الله لا يعلم كثيرا مما يعملون والاول أصح أو نقول المراد جميع ظنونهم حتى يدخل فيه ظنهم الذي ظنوا ان الله لا يخفى الموتى وان العالم خلفه باطل كما قال تعالى ذلك ظن الذين كفروا ويؤيد هذا الوجه الالف واللام الذي في السوء وسذكره في قوله ظن السوء وفيه وجوه (أحدها) ما اختاره المحققون من الادباء وهو ان السوء صار عبارة عن الفساد والصدق عبارة عن الصلاح يقال مررت برجل سوء أى فاسد وسئلت عن رجل صدق أى صالح فاذا كان مجموع قولنا رجل سوء يؤدى معنى قولنا فاسد فالسوء وحده يصحكون بمعنى الفساد وهذا ما اتفق عليه الخليل والزجاج واختاره الرخمشى وتحقق هذا ان السوء في المعاني كالفساد في الاجساد يقال ساء من أجه وساء خلقه وساء ظنه كما يقال فسد اللحم وفسد الهواء بل كل ماساء فقد فسد وكل ما فسد فقد ساء غير أن أحدهما كثير الاستعمال في المعاني والآخرة في الاجرام قال الله تعالى ظهر الفساد في البر والبحر وقال ساء ما كانوا يعملون هذا ما يظهره من تحقيق كلامهم ثم قال تعالى عليهم دائرة السوء أى دائرة الفساد وحق بهم الفساد بحيث لا خروج لهم منه ثم قال تعالى وغضب الله عليهم زيادة في الافادة لأن من كان به بلاء فقد يكون مبتلى به على وجه الامتحان فيكون مصابا

السوء وهو أن لا ينصر رسوله والمؤمنين (عليهم دائرة السوء) أى ما يظنون انه وير بصوته بالؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم وقرئ دائرة السوء بالضم وهم الغافل من ساء كالكره والكره خلا أن المغرور غلب في أن يضاف اليه ما يراد ذمه من كل شيء وأما المضموم فجار مجرى الشر) وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم (عطف على ما استحقوه في الآخرة صلى ما استوجبوه في الدنيا والسواو في الآخرين مع أن حقتهم الغاء المفيدة لسببية ما قبلها للمبالغة لا لبيان باستقلال كل منهما في الوعيد وأصله من غير اعتبار استنباع بعضها البعض (وساءت مصيرا) أى جهنم (ولله جنود السموات والأرض وكان الله عز وجل حكيم) اعادة لمسبق قالوا فأنذرها التنبية على أن لله تعالى جنود

(انا ارسلناك شاهدا) أي على أمك لقوله تعالى ﴿ ٥٦١ ﴾ ويكون الرسول عليكم شهيدا (ومبشرا) على الطاعة

(ونذيرا) على المعصية

(تؤمنوا بالله ورسوله)

الخطاب للذي عليه

الصلاة والسلام ولائته

(وتعزروه) وتوفروه

بقوته دينه ورسوله

(وتوقروه) وتعظموه

(وتسبحوه) وتزهوه

او تصلوا له من السجدة

(بكرة وأصيللا)

خداوة وشباها ابن

عباس رضي الله عنهما

صلاة الفجر وصلاة

الظهر وصلاة العصر

وقرى الأفعال الأربعة

بالياء التختانية وقرئ

وتعزروه بضم الزاء

وتخفيف الزاي المكسورة

وقرى بفتح الشا وضم

الزاي وكسرها وتعزروه

بزاء بن وتوفروه من

أوفره بمعنى وفره (ان

الذين يبايعونك) أي

على قتال فريش تحت

الشجرة وقوله تعالى

(انمسا يبايعون الله)

خبرنا بمعنى أن مبايعتك

هي مبايعة الله عز وجل

لان المقصود توثيق

العهد بمراعاة أوامره

ونواهيه وقوله تعالى

(يدالله فرق أيديهم)

حال أو استئناف مؤكدة

لكي يصير مثابا وقد يكون مصابيا إلى وجه التعذيب فقوله وغضب الله عليهم إشارة إلى
ان الذي حاق بهم على وجه التعذيب وقوله ولعنتهم زيادة أفادة لان المعضوب عليه قد
يكون بحيث يقيم العاصب بالعتب والشتيم أو الضرب ولا يفضي غضبه إلى ابعاد
المعضوب عليه من جنابه وطرده من بابه وقد يكون بحيث يفضي إلى الطرد والابعاد
فقال ولعنتهم ليكون الغضب شديدا ثم لما بين حالهم في الدينابين ما كان في العنبي قال
وأعد لهم جهنم وسات مصيرا وقوله ساءت إشارة لما كان تأنيث في جهنم يقال هذه
الدار نعم المكان وقوله تعالى ولله جنود السموات والارض قد تقدم تفسيره وبقي فيه
مسائل (المسئلة الأولى) ما الفائدة في الاعادة نقول لله جنود الرحمة وجنود العذاب
أوجنود الله انزالهم قد يكون للرحمة وقد يكون للعذاب فذكرهم أولا لبيان الرحمة
بالمؤمنين قال تعالى وكان بالمؤمنين رحما وثانيا لبيان انزال العذاب على الكافرين
(المسئلة الثانية) قال هناك وكان الله عليا حكما وهنا وكان الله عززا حكما لان قوله
ولله جنود السموات والارض قد بينا ان المقصود من ذكرهم الإشارة إلى شدة العذاب
فذكر العزة كما قال تعالى أليس الله بعز يزى انتقام وقال تعالى فأنخذناهم أخذ عزيز
متندر وقال تعالى ان يز الجبار (المسئلة الثالثة) ذكر جنود السموات والارض قبل
ادخال المؤمنين الجنة وذكرهم ههنا بعد ذكر تعذيب الكفار واعداد جهنم نقول فيه
ترتيب حسن لان الله تعالى ينزل جنود الرحمة فيدخل المؤمنين مكرمين معظمين الجنة
ثم يلبسهم خلع الكرامة بقوله وبكفر عنهم سيئاتهم كما بينا ثم تكون لهم القرية والزنى
بقوله وكان ذلك عند الله فوزا عظيما وبعد حصول الغرب والعندية لاتبقي واسطة الجنود
فالجنود في الرحمة أولا يبتلون ويقرَّبون آخرها واماني الكافر فيعضب عليه أولا فيبعد
ويطرد إلى البلاد النائية عن ناحية الرحمة وهي جهنم ويسلط عليهم ملائكة العذاب
وهم جنود الله كما قال تعالى عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ولذلك
ذكر جنود الرحمة أولا والقرية بقوله عند الله آخرها وقال ههنا غضب الله عليهم وانهم
وهو الابعاد أولا ووجنود السموات والارض آخرها ثم قال تعالى (انا ارسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا تؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيللا) قال
المفسرون شاهدا على أمك بما يقولون كما قال تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا والاولى
ان يقال ان الله تعالى قال انا ارسلناك شاهدا وعليه يشهدانه لاله الا الله كما قال تعالى
شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم وهم الانبياء عليهم السلام الذين آتاهم الله
علما من عنده وعلمهم ما لم يكونوا يعلمون ولذلك قال تعالى فاعلم انه لا اله الا الله أي فاشهد
وقوله ومبشرا لمن قبل شهادته وعلم بما هو يوافق فيها ونذيرا لمن رد شهادته ويخالف فيها
ثم بين فائدة الارسال على الوجه الذي ذكره فقال لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه
وتسبحوه بكرة وأصيللا وهذا يحتمل وجهين (أحدهم) ان تكون الامور الأربعة

له على طريقة التخييل والمعنى ان عقد الميثاق مع الرسول ٥٦٢ كعقد مع الله تعالى من غير تفاوت بينهما كقوله

المذكورة مرتوة على الامور المذكورة من قبل قوله لتؤمنوا بالله ورسوله مرتب على قوله انا ارسلناك لان كونه من سلا من الله يقتضى أن يؤمن المكلف بالله والمرسل والمرسل وقوله شاهدا يقتضى أن يعز ر الله ويقوى دينه لان قوله شاهدا على ما بينا معناه ان يشهد انه لا اله الا هو فدينه هو الحق وأحق ان يتبع وقوله بمشرا يقتضى أن يوفر الله لان تعظيم الله عنده على شبه تعظيم الله اياه وقوله نذرا يقتضى أن يتر عن سوء والفحشاء مخافة عذابه الاليم وعقابه الشديد وأصل الارسل مرتب على أصل الايمان ووصف الرسول بترتب عليه وصف المؤمن (وثانيهما) أن يكون كل واحد مقتضيا للامور الاربعة فكونه من سلا يقتضى أن يؤمن المكلف بالله ورسوله ويعز ره ويقره ويسبحه وكذلك كونه شاهدا بالوحدانية يقتضى الامور المذكورة وكذلك كونه مبشرا ونذرا لا يقال ان افتراق اللام بالفعل يستدعي فعلا مقدما يتعلق به ولا يتعلق بالوصف وقوله لتؤمنوا يستدعي فعلا وهو قوله انا ارسلناك فكيف تقترب الامور على كونه شاهدا ومبشرا لاننا نقول يجوز الترتيب عليه معنى لا غطاء كما ان القائل اذا قال بعث اليك عالما للكرمه فاللفظ ينبي عن كون البعث سبب الاكرام وفي المعنى كونه عالما هو السبب للاكرام ولهذا يقال بعث اليك جاهلا للكرمه كان حسنا واذا اردنا الجمل بين اللفظ والمعنى نقول الارسل الذي هو ارسال حال كونه شاهدا سبب كما نقول بعث العالم سبب جعله سببا لا مجرد البعث ولا مجرد العالم وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) قال في الاحزاب انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا نيرا وههنا تقتصر على الثلاثة من الخمسة فالخكمة فيه نقول الجواب عنه من وجهين (أحدهما) ان ذلك المقام كان مقام ذكره لان أكثر السورة في ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم وأحواله وما تقدمه من المباشرة والوعد والدخول ففصل هنالك ولم يفصل ههنا (ثانيهما) أن نقول الكلام مذكور ههنا لان قوله شاهدا لما لم يقتضى أن يكون داعيا لجاز أن يقول مع نفسه أشهد أن لا اله الا الله ولا يدعو الناس قال هنالك وداعيا لذلك وههنا لما لم يكن كونه شاهدا مبيئا عن كونه داعيا قال لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه وقوله تعالى وتعزروه وتوقروه وتسبحوه دليل على كونه سراجا لانه أتى بما يجب من التعظيم والاجتناب عما يحرم من سوء والفحشاء بالترتبة وهو التسبيح (المسئلة الثانية) قد ذكرنا مرارا ان اختيار البكرة والاصيل يحتمل أن يكون اشارة الى المداومة ويحتمل أن يكون أمرا بخلاف ما كان المشركون يعملونه فانهم كانوا يحتملون على عبادة الاصنام في الكعبة بكرة وحشية فأمروا بالتسبيح في اوقات كانوا يذكرون فيها الفحشاء والمنكر (المسئلة الثالثة) الكتابيات المذكورة في قوله تعالى وتعزروه وتوقروه وتسبحوه راجعة الى الله تعالى أرأى الرسول عليه الصلاة والسلام والاصح هو الاول ثم قال تعالى (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله بالله فوق أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد

تعالى من عظيم الرسول فقد اطاع الله وقرئ انما يبايعون الله أى لاجله واوجبه (فمن نكث فانما ينكث على نفسه) أى فمن نقض عهده فانما يعود ضرر رنكته على نفسه وقرئ بكسر الكاف (ومن أوفى بما عاهد عليه الله) بضم الهاء فانه أبى بعد حذف الواو توسلا بذلك الى تفخيم لام الجلالة وقرئ بكسرها أى ومن وفى بعهد (فسوف تدرأه جزا عظيما) هو الجنة وقرئ بما عاهد وقرئ فسوف تدرأه بنون العظمة (سيقول لك المخلفون من الانراب) هم أعراب غدة اريز من بني تميمية وأشجع واسلم والدليل تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استنفر من حول المدينة من الاعراب وأهل البوادي ليخرجوا معه عند ارادته السير الى مكة طام الخديبة معتر احذروا من قرش أن يتعرضوا له بحرب أو بصده عن البيت وأحرم عليه الصلاة والسلام

وساق معه الهدى ليعلم أنه لا يريد الحرب ﴿٥٦٣﴾ وشاقوا من الخروج وقالوا نذهب الى قوم قد غزوه

في حمر داره بالمدينة
وقتلوا أصحابه فقاتلهم
فأوحى الله تعالى اليه
عليه الصلاة والسلام
بانهم سيعتلون ويقتلون
(شغلنا أموالنا وأهلنا)
ولم يكن لنا من خلفنا فيهم
ويقوم بمصالحهم
ويحرمهم من الضرب
وقرى شغلنا بالشد يد
للكبر (فاستغفر لنا) الله
تعالى يغفر لنا تخلفنا عنك
حيث لم يكن ذلك باختيار
ل عن اضطرار (يقولون
بالستم مالمس في قلوبهم)
بل من سيقول أو استغفر
لكنهم في الاعتذار
والاستغفار (قل) ردالهم
عند اعتذارهم البسك
بأباطلهم (فمن يملك لكم
من الله شئاً) أي فمن يقدر
لأجلكم من مشيئة الله
تعالى وقضائه على شئ
من النفع (ان أراد بكم
ضراً) أي ما يضركم
من هلاك الأهل
والمال وضياعتهم
تخلفوا عن الخروج
لحفظهم ودفع الضرر
عنهم وقرى ضرا بالاض
(أو أراد بكم نفعاً) أي

عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً) لما بين انه مرسل ذكر ان من يابسه قد بايع الله وقوله
تعالى يد الله فوق أيديهم يتحمل وجوها وذلك ان اليد في الموضعين امان ان تكون بمعنى
واحد واما ان تكون بمعنىين فانه قلنا انها بمعنى واحد وفيه وجهان (أحدهما) يد الله
بمعنى نعمة الله عليهم فوق أحسانهم الى الله قال تعالى بل الله عن عبيكم أن هذاكم
للإيمان (وثانيهما) يد الله فوق أيديهم أي نصرته أيهاهم أقوى وأعلى من نصرتهم أي يقال
اليد اقلان أي الغلبة والنصرة والقهر واما قلنا انها بمعنىين فنقول في حق الله تعالى
بمعنى الحفظ وفي حق المبايعين بمعنى الجارحة والبد كناية عن الحفظ ما أخذ من حال
المبايعين اذا مد كل واحد منهم يده الى صاحبه في البيع والشراء وبينهما ثالث متوسط
لا يريد أن يتفاسخا العتد من غير تمام البيع فيضع يده على يديهما ويحفظ أيديهما الى أن
يتم العقد لا يترك أحدهما يترك الآخر فوضع اليد فوق الأيدي صار سبب للحفظ على
البيعة فقال تعالى يد الله فوق أيديهم يحفظهم على البيعة كما يحفظ ذلك المتوسط أيدي
المبايعين وقوله تعالى فمن نكث فأنكرت على نفسه أما على قولنا المراد من اليد
النعمة أو الغلبة والقوة فلان من نكث فوت على نفسه الأحسان الجزيل في مقابلة
العمل القليل فقد خسروا نكثه على نفسه وأما على قولنا المراد الحفظ فهو حاد الى قوله
انما يباعدون الله يعني من يبايعك أيها النبي اذا نكث لا يكون نكثه حاداً اليك لان
البيعة مع الله ولا الى الله لانه لا يضر رب شئ فضرره لا يعود الى الله ومن أوفى بما عاهد
عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً وقد ذكرنا ان العظم في الاجرام لا يقال الا اذا اجتمع فيه
الطول الباع والعرض الواسع والسمك الغليظ فيقال للجبل الذي هو مرتفع ولا اتساع
لعرضه جبل عال أو مرتفع أو شاهق فاذا انضم اليه الاتساع في الجوانب يقال عظيم
أو لاجر كذا لان ما كل الجنة تكون من أرفع الاجناس وتكون في غاية الكثرة
تكون ممتدة الى الأبد لا تقطع اهلها فيحصل فيه ما يناسب ان يقال له عظيم والعظيم في حق
الله تعالى اشارة الى كماله في صفاته كإله في الجسم اشارة الى كماله في جهاته ثم قال تعالى
(سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلنا أموالنا وأهلنا فاستغفر لنا يقولون بأسنهم
مالمس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شئاً ان أراد بكم ضراً أو أراد بكم نفعاً بل كان
الله بما تعملون خبيراً) لما بين حال المنافقين ذكر المخلفين فان قوماً من الاعراب امتنعوا
عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنهزم فأنهزم قوماً أهل مكة يقاتلون
عن باب المدينة فكيف يكون حالهم اذا دخلوا بلادهم وأحاط بهم العدو فاعتذروا
وقولهم شغلنا أموالنا وأهلنا فبه أمر ان يقدح وضوح العذر (أحدهما) أموالنا
ولم يقولوا شغلنا الأموال وذلك لان جم المال لا يصلح عذراً لانه لا نهابة له واما حفظ
ما جمع من الشئ ومنع الحاصل من القوات يصلح عذراً قالوا أموالنا أي ما صار مالاً لنا
لا مطلق الأموال (وثانيهما) قوله تعالى وأهلنا وذلك لو أن قائلهم المال لا ينبغي

ومن يقدر على شيء من الضرر ان أراد بكم ما يضركم ﴿ ٥٦٤ ﴾ من حفظ أموالكم وأهلكم فأما حاجة إلى التخلف
 لأجل القيام بحفظهما وهذا تحقيق للعقود
 لهم بموجب ظاهر مقامهم الكاذبة وتعميم الضرر
 والافعال لا توقع على تقدير الخروج من القتل
 والهزيمة والظفر والقيمة يرد قوله تعالى
 (بل كان الله يعلمون خيرا) فانه اضرب عما
 قالوا وبيان لكذبه بعد بيان فساد على تقدير
 صدقه أي ايسر الامر كما تقولون بل كان الله
 خيرا بجميع ما تعملون من الاعمال التي من جملتها
 تخلفكم وما هو من مباديه وقوله تعالى (بل ظننتم)
 الخ يدل من كان الله الخ مفسر لما فيه من الابهام
 أي بل ظننتم (أن لن يتقلب الرسول والمؤمنون إلى
 أهلهم أبدا) بان يستأصلهم المشركون
 بالمرّة فخشيتهم ان كنتم معهم أن يصيبكم ما
 أصابهم فلاجل ذلك تخلفتم لما ذكرتم من
 المعاذير الباطلة والاهلون جمع أهل وقد يجمع على
 أهلات

أن يراج إلى درجة يتحكم حفظه من متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم لكان أهم أن
 يقولوا غافلا هل يمنع الاشتغال بهم وحفظهم عن أهم الامور ثم انهم مع العذر تصرعوا
 وقالوا فاستغفر لنا يعني فنحن مع إقامة العذر معترفون بالاساءة فاستغفروا لنا وعفوا عنا
 أمر اخر وج فكذبهم الله تعالى وقال يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم وهذا يحتمل
 أمرين (أحدهما) أن يكون التكذيب راجعا إلى قولهم فاستغفروا لنا وعفوا عنا هو انهم
 أظهر وانهم يمتنعون انهم مسؤولون بالتخلف حتى استغفروا ولم يكر في اعتقادهم ذلك بل
 كانوا يعتقدون انهم بالتخلف محسنون (ثانيهما) فاستغفروا لنا وعفوا عنا هذا
 لاضير ولم يكن ذلك في اعتقادهم بل كانوا يعتقدون امتناعهم لاعتقاد أن النبي صلى الله
 عليه وسلم والمؤمنين يقهرون ويغلبون كما قال بعده بل ظننتم أن لن يتقلب الرسول
 والمؤمنون إلى أهلهم أبدا وقوله قل فمن يملك لكم من الله شيئا أن أراد بكم ضرا أو أراد بكم
 نفعا معناه انكم تحترزون عن الضرر وتتركون أمر الله ورسوله وتعدون طلبا للسلافة
 ولو أراد بكم الضرر لا يضرهم فمودعكم من الله شيئا ومعناه انكم تحترزون عن ضرر القتال
 والمقاتلين وتعدون أن أهل بكم وبلادكم تحفظكم من العدو فهب انكم حفظتم
 أنفسكم عن ذلك فمن دفع عنكم عذاب الله في الآخرة مع أن ذلك أولى بالاعتزاز وقد
 ذكرنا في سورة نيس في قوله تعالى ان يردن الرحمن بضره في صورة ككون الكلام مع
 المؤمن ادخل الباء على الضر فقال ان أرادني الله بضر وقال وان يمسك الله بضر وفي
 صورة ككون الكلام مع الكافر ادخل الباء على الكافر فقال ههنا ان أراد بكم ضرا وقال
 من ذا الذي يمسكم من الله ان أراد بكم سوءا وقد ذكرنا الفرق الفاسق هناك ولا نعيد
 لكون هذا بابا على مطالعة تفسير سورة يس فانه ادرج الدرر القيمة بل كان الله بما
 تعملون خيرا أي بما تعملون من اظهار الحرب واضرار غيره ﴿ ثم قال تعالى ﴾ (بل ظننتم
 أن لن يتقلب الرسول والمؤمنون إلى أهلهم أبدا و زين ذلك في قلوبكم وظننتم ظل السوء
 وكنتم قوما بورا) يعني لم يكن تخلفكم لما ذكرتم بل ظننتم أن لن يتقلب وأن مخافة من
 الثبيلة أي ظننتم انهم لا يتقلبون ولا يرجعون وقوله و زين ذلك في قلوبكم يعني ظننتم
 أولا فزين الشيطان ظنكم عندكم حتى قطعتم به وذلك لان الشبهة قد رزينا بها الشيطان
 وبضم اليها تخيلا يقطع بها الغافل وان كان لا يشك فيها العاقل وقوله تعالى وظننتم ظن
 السوء يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون هذا العطف عطفا فيد المغايرة فتقوله وظننتم
 ظن السوء غير الذي في قوله بل ظننتم وحينئذ يحتمل أن يكون الظن الثاني معناه وظننتم
 ان الله يخلف وعده أو ظننتم ان الرسول كاذب في قوله (وثانيهما) أن يكون قوله بل ظننتم
 ظن السوء هو ما تقدم من ظن أن لا يتقلبوا ويكون على حد قول القائل علمت هذه المسئلة
 وعلمت كذا أي هذه المسئلة لا غيرها وذلك كأنه قال بل ظننتم ظن أن لن يتقلب
 وظننتم ذلك فاسد وقد بينا التحق في ظن السوء وقوله تعالى وكنتم قوما بورا يحتمل

كأرضات على تقدير تاء التانيث وأما الأهلالي * ٥٦٥ * فاسم جسم كاللبي وقريء الى أهلهم (وزين

ذلك في قلوبكم)
وقيل توه واشغلتهم بشأن
أنفسكم غير مبالين بهم
وقريء زيني على البناء
للفاعل بائنه الى الله
سبحانه والى الشيطان
(وظنتم ظن السوء)
المراد به اما الظن الاول
والتكرير للتشديد
التوبيخ والتسجيل عليه
بالسوء أو مابعده وغيره
من الظنون الفاسدة
التي من جلستها الظن
بعدم صحة رسالته
عليه الصلاة والسلام
فان الجازم بصحتها
لا يحوم حول فكره
ما ذكر من الاستئصال
(وكنتم قوما بورا)
أي هالكين عند الله
مستوجبين لسخطه
وعقابه على انه جمع بأثر
كما تدعو ذأ وفاسدين
في أنفسكم وقلوبكم
وبنائكم لاختير فيكم
وقيل البور من يارك الكهلك
من هلك بناء ومعنى
ولذلك وصف به
الواحد والجمع والمذكر
والمؤنث (ومن لم يؤمن
بالله ورسوله) كلام
مبتدا من جهته تعالى
غير داخل

وجيهين (أحدهما) يصيرتم بذلك الظن بأمرين هالكين (وثانيهما) أنتم في الأصل بأمرين
وظنتم ذلك الظن الفاسد * ثم قال تعالى (ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا أعتدنا للكافرين
سعيرا) على قولنا قوله وظنتم ظن السوء ظن آخر غير ما في قوله بل ظنتم ظاهر لا ينافي ان
ذلك ظنهم بأن الله يخاف وعنده أوظنهم بأن الرسول كاذب فقال ومن لم يؤمن بالله ورسوله
ويظن به خلفا ورسوله كذبا فانا أعتدنا له سعيرا وفي قوله للكافرين بدلا عن أن يقول
فانا أعتدنا له فائدة وهي التعميم كأنه تعالى قال ومن لم يؤمن بالله فهو من الكافرين وانا
أعتدنا للكافرين سعيرا * ثم قال تعالى (ولله ملك السموات والارض يغفر لمن يشاء
ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما) بعد ما ذكر من له أجر عظيم من المبايعين
ومن له عذاب أليم من الفاسقين الصالحين أشار الى أنه يغفر للاولين بمشيتيه ويعذب
الآخرين بمشيتيه وغفرانه ورحمته أعم وأشمل وأنتم وأكل وقوله تعالى ولله ملك
السموات والارض يغفر عظمة الامرين جميعا لان من عظم ملكه يكون أجره وهيبته في
غاية العظم وعذابه وعقوبته كذلك في غاية النكال والالم * ثم قال تعالى (سيفول
المخلفون اذا انطلقتم الى معانكم لمأخذوها ذرونا تتبعكم) أوضح الله كذبهم بهذا حيث
كانوا عند ما يكون السير الى معانهم يتوقعونها يقولون من تلقاء أنفسهم ذرونا تتبعكم
فذا كل أموالهم وأهلهم شفقتهم يوم دعوتكم اياهم الى أهل مكة فاباهم لاشتغالهم
بأموالهم يوم أخذ الغنيمة والمراد من المعانم معانم أهل خير وقتعها وغنم المسلوبون
ولم يكن معهم الا من كان معه في المدينة وفي قوله سيفول المخلفون وعد المبايعين
الموافقين بالغنيمة والمخلفين المخالفين بالحرمان * وقوله تعالى (يريدون أن يبدلوا كلام
الله قل ان تتبعونا كذا لكم قال الله من قبل) يحتمل وجوها (أحدها) هو ما قال الله ان
غنيمة خبير لن شاهد الحديدي وعاهد بها لا غير وهو الأشهر عند المفسرين والظاهر نظرا
الى قوله تعالى كذا لكم قال الله من قبل (ثانيها) يريدون أن يبدلوا كلام الله وهو قوله
وغضب الله عليهم وذلك لانهم لو اتبعواكم لكانوا في حكم بيعة أهل الرضوان الموعودين
بالغنيمة فيكونون من الذين رضي الله عنهم كما قال تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ
يبايعونك تحت الشجرة فلا يكونون من الذين غضب الله عليهم فيلزم تبديل كلام الله
(ثالثها) هو ان النبي صلى الله عليه وسلم لما تخلف القوم أطاعه الله على ما يلزمهم وأظهره
نفاقهم وانه يريد أن يعاقبهم وقال النبي صلى الله عليه وسلم قل ان تخرجوا معي أدوا وان
تقاتلوا معي عدوا فأرادوا أن يبدلوا ذلك الكلام بالخروج معه لابقال الآية التي
ذكرتم واردة في غزوة تبوك لافى هذه الواقعة لانا نقول قد وجد ههنا بقوله ان تتبعونا على
صيغة التثنية بدلا عن قوله لا تتبعونا على صيغة التثنية معنى اطيف وهو ان النبي صلى الله
عليه وسلم بنى على اخبار الله تعالى عنهم النبي لو توفقه وقطعه بصدقه فيجزم وقال ان تتبعونا

في الكلام الملقن مقرر لبراهم ومبين لكيفيته أي ومن لم يؤمن بها كذاب هؤلاء المخلفين (فاما عندنا للكافرين
سعي) أي لهم وانما وضع موضع الضمير الكافرون ﴿ ٥٦٦ ﴾ ايذانا بان من لم يحجم بين الايمان بالله ورسوله

فهو كافر وأنه مستوجب
للسعي بكفره وتكبر
سعيه لانه بل أولاتها
نار مخصوصة (ولله
ملك السموات والارض)
وما فهم ما يتصرف
في الكل كيف يشاء
(يغفر لمن يشاء) أن
يفقره (ويعذب من
يشاء) أن يعذبه من غير
دخل لاحد في شيء
منهما وجودا وبندما
وفيه حكم لاطاعهم
الفرقة في استغفاره
عليه الصلاة والسلام
لهم (وكل الله غفورا
رحيما) مبالغة في الغفرة
والرحمة لمن يشاء ولا يشاء
الامن تنفضي الحكمة
مغفرته بمن يؤمن به
و برسوله وأما من عدا
من الكافرين فهم
يعزل من ذلك قطعا
(سيقول المخلفون) أي
المدكورون وقوله تعالى
(اذا انطلقتم الى معانم
لتأخذوها) طرف لما قبله
لا شرط لما بعده أي
سيقولون عند انطلاقكم
الى معانم خيبر لتعوزوها
حسبا وعدكم ايها
ونخصكم بها عوضا
لما فأنكم من غنائم مكة (ذرونا نبيعكم) الى خبر وتشهد معكم قتال أهلها (ربه ان سدها) ظه

يعني أو أذنتكم وأمر نكم أولو أرتتم واختتم لا يتم لكم ذلك لما أخبر الله تعالى ثم قال
تعالى (فسبقواون بل تحسدونا) ردا على قوله تعالى كذلك قال الله من قبل كأنهم قالوا
ما قال الله كذلك من قبل بل تحسدونا وبلى الاضراب والمضروب عنه محذوف في
الموضعين اما ههنا فهو يتقدم ما قال الله كذلك فان قيل بماذا كان الحسد في اعتقادهم
نقول كأنهم قالوا نحن كنا مصيدين في عدم الخروج حيث رجعوا من الحديبية من غير
حاصل ونحن استرحنا فان خرجنا معهم ويكون فيه غنية بقولهم هم غنمنا معاولم تعبوا
معنا * ثم قال تعالى ردا عليهم كما ردوا عليه (بل كانوا لا يفقهون الا قليلا) أي لم
يفقهوا من قولك لا تخرجوا الاظهار التمهيلي ولم يفقهوا من حكمه الا قليلا فحملوه على
ما أرادوه وعلوه بالحسد ثم قال تعالى (قل للمخلفين من الاعراب سددون الى قوم اولي
باس شديد تغفلونهم اويسلون فان طبعوا يؤثكم الله اجرا حسنا وان تولوا كما توليت
من قبل يعلم بكم عذابا أليما) لما قال النبي صلى الله عليه وسلم قل ان تدبونا بقال قيل ان
تخرجوا معي أبدا فكان المخلفون جمعا كثيرا من قبائل مشعبة دعت الحاجة الى بيان
قبول توحيثهم فانهم لم يتواها الى ذلك ولم يكونوا من الذين مردوا على التفريق بل منهم من
حسن حاله واصلح بالقبول توحيثهم علامة وهو انهم يدعون الى قتال قوم اولي باس
شديدو يطيعون بخلاف حال ثعلبة حيث امتنع من اداء الزكاة ثم أتى بها ولم يقبل منه النبي
صلى الله عليه وسلم واستمر عليه الحال ولم يقبل منه أحد من الصحابة كذلك كان يستمر حال
هؤلاء لولانه تعالى بين انهم يدعون فان كانوا يطيعون يؤتون الاجر الحسن وما كان أحد
من الصحابة يتركهم بنبوته والفرق بين حال ثعلبة وبين حال هؤلاء من وجهين (أحدهما)
ان ثعلبة جاز أن يقال حاله لم يكن يتغير في علم الله فليبين لنبوته علامة وحال الاعراب
تغيرت فان بعد النبي صلى الله عليه وسلم لم يبق من المنافقين على التفريق أحد على مذهب
أهل السنة (وثانيهما) ان الحاجة الى بيان حال الجمع الكثير والجم الغفير أمس لانه لولا
البيان لكان يفضي الامر الى قيام الفتنة بين فرق المسلمين وفي قوله تعالى سددون الى
قوم اولي باس شديد وجوه أشهرها وأظهرها انهم بنو حنيفة حيث تابعوا مسيلة
وغزاهم أبو بكر (وثانيها) هم فارس والروم غزاهم عمر (ثالثها) هم هوازن وثقف غزاهم
النبي صلى الله عليه وسلم وأقوى الوجوه هو ان الدعاء كان من النبي صلى الله عليه وسلم وان
كان الاظهر غيره اما الدليل على قوة هذا الوجه هو ان أهل السنة اتفقوا على ان أمر
العرب في زمان النبي صلى الله عليه وسلم ظهر ولم يبق الاكافر بمجاهر أو مؤمن أتى طاهر
وامتنع النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة على موتى المنافقين وترك المؤمنين مخالطينهم
حتى ان عبادة بن كعب مع كونه بين المؤمنين لم يكلمه المؤمنين مدة وما ذكره الله علامة
اظهر حاله من كان منافقا فان كان طاهر حاله لم يغير هذا فلا معنى لجعل هذا علامة وان

لما فأنكم من غنائم مكة (ذرونا نبيعكم) الى خبر وتشهد معكم قتال أهلها (ربه ان سدها) ظه

كلام الله) بانشار كوافي الغنائم التي خصصها بأهل الحديبية فانه عليه الصلاة والسلام رجع من الحديبية في ذي الحجة من سنة ست وأقام بالمدينة بقيتها ٥٦٧ هـ وأوائل المحرم من سنة سبع ثم هزم أخير بمن شهد الحديبية فتحها

ظهر بهذا والظهور كان في زمان النبي صلى الله عليه وسلم لان النبي عليه الصلاة والسلام لو امتنع من قبولهم لاتباعه لامتنع أبو بكر وعمر لقوله تعالى واتبعوه وقوله فاتبعوني فان قيل هذا ضعيف لوجهين (أحدهما) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان تتبعونا وقال ان تخرجوا معي أبدا فكيف كانوا يتبعونه مع النبي (الثاني) قوله تعالى أولى بأس شديد ولم يبين بعد ذلك للنبي عليه الصلاة والسلام حرب مع قوم أولى بأس شديد فان العرب استولى على قلوب الناس ولم يبق للكفار بعده شدة وبأس وانفاق الجمهور يدل على القوة والظهور نقول اما الجواب عن الاول فنوجهين (أحدهما) ان يكون ذلك مقيدا بتقديره ان تخرجوا معي أبدا وأنتم على ما أنتم عليه ويجب هذا التقيد لانا أجمعنا على أن منهم من أسلم وحسن اسلامه بل أكثر ذلك وما كان يجوز للنبي صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم استم مسلمين لقوله تعالى ولا تقولوا لمن أتىكم السلام لست مؤمنا ومع انقور باسلامهم ما كان يجوز أن يمنهم من الجهاد في سبيل الله مع وجوبه عليهم وكان ذلك مقيدا وقديتين حسن حالهم فان النبي صلى الله عليه وسلم دعاهم الى جهاد فأطاعه قوم وامتنع آخرون وظهر أمرهم وعلم من استقر على الكفر عن استقر فنه على الايمان (الثاني) المراد من قوله ان تتبعونا في هذا القتال فحسب وقوله ان تخرجوا معي كان في غير هذا فمما نقول الذين تخلفوا في عزة تبوك واما اتفاق الجمهور فنقول لاختلافنا بيننا وبينهم لانا نقول النبي صلى الله عليه وسلم دعاهم أولا وأبو بكر رضي الله عنه إضاد دعاهم بعدد فنه جواز ذلك من فعل النبي صلى الله عليه وسلم امانحن ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم دعاهم فان قالوا أبو بكر رضي الله عنه دعاهم لا يكن بين القولين تناف وان قالوا لم يدعهم النبي صلى الله عليه وسلم فالتنفي والجزم به في غاية البعد لجواز أن يكون ذلك قد وقع وكيف لا وان النبي عليه الصلاة والسلام قال من كلام الله ان كنتم تحبون الله فاتبعوني وقال تتبعوني هذا صراط مستقيم ومنهم من أحب الله واختار اتباع انبي محمد صلى الله عليه وسلم لان بقاء جمعهم على النفاق والكفر بعدما اتسعت دائرة الاسلام واجتمعت العرب على الايمان بعيد ويوم قوله صلى الله عليه وسلم ان تتبعونا كان أكثر العرب على الكفر والنفاق لانه كان قبل فتح مكة وقبل أخذ حصون كثيرة واما قوله لم يبق للنبي صلى الله عليه وسلم حرب مع أولى بأس شديد قلنا لان ذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم عام الحديبية دعاهم الى الحرب لانه خرج محرما ومعه الهدى ليعلم فريش انه لا يظبط القتال وامتنعوا فقال استدعوني الى الحرب ولا شك ان من يكون خصمه مسلحا بمحارباً أكثر بأسمان يكون على خلاف ذلك فكان قد علم من حال مكة انهم لا يوقرون حاجا ولا معترا فقوله أولى بأس شديد يعني أولى سلاح من آلة الحديد فان الحديد فيه بأس شديد ومن قال بان الداعي أبو بكر وعمر تسلك بالآية على خلافتهما اود لاله اظهاره وحينئذ نقاتلونهم أو يسلمون اشارة الى ان أحدهما يقع وقرئ أو يسلموا بالنصب باضمار ان على معنى

وغنم أموالا كثيرة فخصها بهم حسبما أمر الله عز وجل وقرئ كلام الله وهو جرم كلة وأياما كلة فلما راد ما ذكر من بعده تعالى غنائم خيبر لاهل الحديبية خاصة لا قوله تعالى ان تخرجوا معي أبدا فان ذلك في غزوة تبوك (قرئ) انطاطاهم (ان تتبعونا) أي لا تتبعونا فانه نفي في معنى النهي للباقة (كذلكم قال الله من قبل) أي عند الانصراف من الحد بديسة (فسيقولون) للمؤمنين عند سماع هذا النهي (بل تحسدونا) أي نيس ذلك النهي حكم الله بل تحسدوننا أن نشاركم في الغنائم وقرئ وتحسدوننا بغير السين وقوله تعالى (بل كانوا لا يفقهون) أي لا يفقهون (الاقتبال) أي الاقبحا قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيار لقولهم الباطل ووصف لهم بما هو أعظم من الحسد وأطم من الجمل المفرط وسوء الفهم

في أمور الدين (قل للحنفليين من الاعراب) كرر ذكرهم بهذا العنوان مبالغة في ذمهم

(سندعون الى قوم أولي بأس شديد) هم بنو حنفية قوم مسئلة الكذاب وغيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
أو المشركون لقوله تعالى (تقاتلونهم أو يسلمون) أي يكون في ٥٦٨ * أحد الأمرين إما المقاتلة أبدأ أو الإسلام

تقاتلونهم إلى أن يسلموا والحق في هذه أو لا تنجي الأبيّن المتغايرين وتلي عن الحصر
فيقال العدد زوج أو فرد ولم هذا لا يصح أن يقال هو زيد أو عمرو وإنما يقال العدد زوج
أو خمسة وغيرهما إذا علم هذا نقول المائل لأنك أنت تقضي حتى يفهم منه أن الزمان
الخاص في قسمين قسم يكون فيه الملازمة وقسم يكون فيه قضاء الحق فلا يكون بين
الملازمة وقضاء الحق زمان لا يوجد فيه الملازمة ولا قضاء الحق فيكون في قوله لأنك
أنت تقضي كما حكى في قول القائل لأنك أنت تقضي لا امتداد زمان الملازمة إلى
القضاء وهذا ما يصف قول القائل الداعي هو عمر والقوم فارس والروم لأن الفريقين
يقران بالجزية فأقول معهم لا يتبدل إلى اسلام لجواز أن يؤدوا الجزية وقوله تعالى فإن
تصعبوا يوم تكلمتم فآجرا حسنا وإن تولوا فكنوا يمين من قبل فيه فائدة لأن التولي إذا كان
بعذر كما قال تعالى ليس على الأعمى حرج لا يكون التولي عذاب ألم فقال وإن تولوا كما
تولين يعني أن كان توليكم بناء على الأمن الفساد والاعتقاد الباطل كما كان حيث علم
بأنفسكم لا تقبلوكم شعثا أمواتا والله يبذركم عذابا أليما ثم إن الله تعالى قال (ليس
على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج) بين من يجوز له التخلف
وترك الجهاد وما يسيده يجوز ترك الجهاد وهو ما يمنع من الكر والفر وبين ذلك بيان ثلاثة
أصناف (الأول) الأعمى فإنه لا يمكنه الإقدام على العدو والطلب ولا يمكنه الاحتراز
والهرب والاعرج كذلك والمريض كذلك وفي معنى الأعرج الأقطع والمعد بل ذلك
أولى بأن يعذر ومن به عرج لا يمنع من الكر والفر ولا يعجز وكذلك المرض القليل الذي
لا يمنع من الكر والفر كالطحال والسعال أذيه يضعف وبعض أوجاع المفاصل لا يكون
عذرا وفيه مسائل (المسئلة الأولى) إن هذه العذار تكون في نفس المجاهد ولنا أعتد
خارجة كالفر الذي لا يمكن صاحبه من استعجاب ما يحتاج إليه والاستغالل من لواه
لضاع كطفل أو مريض والعذار تدل من الفقه ونحن نبحث فيما يتعلق بالتفسير في بيان
مسائل (المسئلة الأولى) ذكر العذار التي في السفر لأن غيرها يمكن الإزالة بخلاف
العرج والعمرى (المسئلة الثانية) اقتصر منها على الأصناف الثلاثة لأن العذر أمان
يكون باخلال في عضو أو باختلال في القوة والذي بسبب اخلال العضو فاما أن يكون
بسبب اختلال في العضو الذي به الوصول إلى العدو والانتقال في مواضع القتال أو في
العضو الذي تتم به فائدة الحصول في الحركة والوصول والأول هو الرجل والثاني هو العين
لأن بالرجل يحصل الانتقال والعين يحصل الانتفاع في الطلب والهرب وأما الأذن
والأنف واللسان وغيرهما من الأعضاء فلا تدخل فيها في شيء من الأمرين بقيت البدان
المتقطوع اليدين لا يشتر على شيء وهو عذر واضح وما يذكره نقول لأن فائدة الرجل وهي
الانتقال تبطل بالخلل في أحدهما وفائدة اليد وهي انضراب والبطش لا تبطل إلا بطلان
اليدين جميعا ومدة طوع اليدين لا يوجد إلا نادرا وأما في جماعة النبي صلى الله عليه وسلم
الاستطاعة وفي نفي الحرج عن كل من الطوائف الممدودة من يد اعتناء بأمرهم وتوسيع دائرة الرخصة * لم يكن

لاغصير كما يفهم عنه
قراءة أو يسلموا وأما من
عدهم فينتهي قتالهم
بالجزية كما ينتهي بالاسلام
وفيه دليل على امامة
أبي بكر رضي الله عنه
اذلم تنفي هذه الدعوة
لغيره إلا اذا صرح أنهم
ثقف وهو ابن قان
ذلك كان في عهد
الشوة فيخص دوام
نفي الاتباع عما في غزوة
خبر كما قاله يحيى السنة
وقبل هم فارس والروم
ومعنى يسلمون يفتادون
فان الروم نصارى وفارس
مجوس يقبل منهم الجزية
(فان تطعوا يؤتكم الله
أجرا حسنا) هو الغنيمة
في الدنيا والجنة في
الآخرة (وان تولوا)
عن الدعوة (كانوا يمين
من قبل) في الحديبية
(يعذبكم عذابا أليما)
لضعاف جرهم
(ليس على الأعمى
حرج ولا على الأعرج
حرج ولا على المريض
حرج) أي في التخلف
عن الغزو لما بهم من
العذر والعاهة فان
التكليف يدور على

رضاه تعالى عنهم مرتب على علة تعالى بما في قلوبهم من الصديق والاخلص من هتد ما بينهم لصلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (فانزل السكينة عليهم) عطف على رضى أى فانزل عليهم الطمأنينة والأمن وسكون النفس بالبط على قلوبهم وقيل بالصالح (وأنا بهم فتحا قريبا) هو فتح خير غيب ﴿ ٥٧٠ ﴾ انصرف عنهم من الجديبة كما رخصه وقري

وأنا بهم (ومعاني كثيرة يأخذونها) أى معاني خير والانتفات الى الخطاب على قراءة الاعمش وظلته ونافع لتشتريهم في مقام الامتنان (وكان الله عز رزاً) غالباً (حكيم) مر اعيال المقضى الحكمة في أحكامه وقضايه (وعدكم الله معاني كثيرة) هي ما يغيب على المؤمنين الى يوم القيامة (تأخذونها) في أوقاتها المقدرة لكل واحدة منها (فعجل لكم هذه) أى غنائم خير (وكف أيدي الناس عنكم) أى أيدي أهل خير وخلفائهم من بني أسد وقطعان حيث جاؤا لنصرتهم فقتل الله في قلوبهم الرعب فكنصوا وقيل أيدي أهل مكة بالصالح (ولنكون آية للمؤمنين) أمانة يعرفون بها صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في وعده اياهم عند رجوعه من الحديبية ما ذكر من الغنائم وفتح مكة ودخول المسجد الحرام واللام متعلقة بما محذوف

السكينة عليهم لالتعقيب الذي ذكرته فانه تعالى رضى عنهم فانزل السكينة عليهم وفي علم بيان وصف الميابة بكونها معتبة بالعلم بالصدق الذي في قلوبهم وهذا توفيق لا يتأتى الا لمن هدا الله تعالى الى معاني كتابه الكريم وقوله تعالى وأنا بهم فتحا قريبا هو فتح خير ومعاني كثيرة يأخذونها معانيها وقيل معاني هجر وكان الله عز رزاً كامل القدرة غنيا عن اعانتكم اياه حكيماً حيث جعل هلاك أعدائه على أيديكم لينيبكم عليه أولان في ذلك اعزاز قوم واذلال آخرين فانه يدل من يشاء بعزته وبغز من يشاء بحكمته ﴿ ثم قال تعالى (وعدكم الله معاني كثيرة) تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم ولنكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيماً) إشارة الى ان ما آتاهم من الفتح والغنائم ليس هو كل الثواب بل الجزاء فداسهم وانما هي لاجل عجل بها وفي الغنائم الموعود بها أقوال أصحابها انه وعد معاني كثيرة من غير تعيين وكل ما غنوه كان منها والله كان عالماً بها وهذا كما يقول الملك الجواد لمن يخدمه يكون لك منى على ما فعلته الجزاء ان شاء الله ولا يريد شيئاً بعينه ثم كل ما أتى به يؤتيه يكون داخل تحت ذلك الوعد غير ان الملك لا يعلم تفاصيل ما يصل اليه وقت الوعد والله عالم بها وقوله تعالى وكف أيدي الناس عنكم لتمام المنية كأنه قال رزقكم غنيمة باردة من غير مس حر القتال ولوتعجبتم فيه لاقتم هذا جزاء تعبنا وقوله تعالى ولنكون آية للمؤمنين عطف على مفهوم لانه لما قال الله تعالى فعجل لكم هذه واللام يبنى عن التفع كان على يدي عن الضر القائل لا على ولا يبنى لاما انضرب به ولا ما انتفع به ولا انضرب به ولا انتفع فكذلك قوله فعجل لكم هذه لتفعلكم ولنكون آية للمؤمنين وفيه معنى لطيف وهو ان الغنائم الموعود بها كل ما أخذته المسلمون فقوله ولنكون آية للمؤمنين يعنى لينفعكم بها وليجعلها لى بعدكم آية تذللهم على ان ما وعدهم الله يصل اليهم كما وصل اليكم أو نقول معناه لتفعلكم في الظاهر وتنفعكم في الباطن حيث يزداد يقينكم اذ أراهم صدق الرسول في اخباره عن الغيوب فجمع اخباركم ويكمل اعتقادكم وقوله ويهديكم صراطا مستقيماً وهو التوكل عليه والتفويض اليه والاعتزاز به ﴿ قوله تعالى (واخرى لم تقدروا عليها فقد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديراً) قيل غنيمة هوازن وقيل غنائم فارس والروم وذكر الزمخشري في أخرى ثلاثة أوجه أن تكون منصوبة بفعل مضمر يشترطه قد أحاط ولم تقدر واعليها صفة لاخرى كأنه يقول وغنيمة أخرى غيره مقدورة قد أحاط الله بها (ثانيها) ان تكون مرفوعة وخبرها قد أحاط الله بها وحسن جعلها مبتدأ ثم كونها نكرة لكونها موصوفة لم تقدر (وثالثها) الجر بالضماء رب ويحمل ان يقال منصوبة بالخطف على منصوب وفيه وجهان (أحدهما) كأنه تعالى قال فعجل لكم هذه وأخرى ما قدرتم عليها وهذا ضعيف لان أخرى لم يعمل بها (وثانيهما) على معاني كثيرة تأخذونها وأخرى أى وعدكم الله أخرى وحينئذ كأنه قال وعدكم الله معاني تأخذونها ومعاني لا تأخذونها أتم ولا تقدرون عليهم وانما يأخذها من يحبى بعدكم من المؤمنين وعلى

مؤخرأى ولنكون آية لهم فعل ما فعل من التعجيل والكف أو بما تعلق به علة أخرى محذوف من أحد الفعلين ﴿ وهذا ﴾ أى فعجل لكم هذه وكف أيدي الناس لتستقوها ولنكون الخ قالوا وعلى الاول اعتراضية وعلى الثاني عاطفة (ويهديكم)

ظلك الآية (متراطا مستغنيا) هو الله بفضل الله تعالى والتوكل عليه في كل ما تاتون وما تذرون (وأخرى) غطف على هذه أي فصل لكم هذه المغائم ومغالم أخرى (لم تذكر وأعلمها) وهي مغامم هوان من خروجه حين ووصفها بدم القدرة عليها لما كان فيها من الجولة قبل ذلك ﴿ ٥٧١ ﴾ زيادة ترغيبهم فيها وقوله تعالى (قد أحاط الله بها) صفة أخرى

لاخرى مفيدة اسهولة
تأتيها بالنسبة الى قدرته
تعالى بعد بيان صعوبة
مثالها بالنظر الى قدرتهم
أي قد قدر الله عليها
واستولى واظهر كم عليها
وقبل حفظها لكم
ومنعها من قبح كم هذا
وقد قيل ان اخرى
منسوب بعصر بفسره
قد احاط الله بها أي
وقضى الله أخرى ولا
ريب في أن الاخبار
بقضاء الله اياها بعد
اندراجها في جملة المغائم
الموعودة بقوله تعالى
وعدكم الله مغامم كثيرة
تأخذونها ليس فيه
من يدق القلعة وانما القلعة
في بيان تعجيلها (وكان الله
على كل شيء قديرا)
لان قدرته تعالى ذاتية
لا تختص بشيء دون
شيء (ولو فائقكم الذين
كفروا) أي أهل مكة
ولم يصالحوكم وقبل
خلفاء خبير (ولو الاذبار)
منهم من (ثم لا يجدون
وليا) بحرسهم (ولانصرا)
ينصروهم (سنة الله التي
قدخلت من قبل) أي
سن الله غلبة أنبيائه سنة

هذاتين أقول الفراء حسن وذلك لانه فسر قوله تعالى قد أحاط الله بها أي حفظها المؤمنين
لا يخفى عليها هلاك الى ان يأخذها المسلمون كاحاطة الحراس بالخرائن * ثم قال تعالى
(واوقاتكم الذين كفروا لولوا الاذبار) وهو يصلح جوابا لما يقول كف ايدي عنهم كان
أمرا اتفقا بل واجتمع عليهم العرب كما عزموا لمنعهم من فتح خيبر واقتحام غنائمها فقال
ليس كذلك بل سواء قاتلوا أو لم يقاتلوا لا ينصرون والغلبة واقعة للمسلمين فليس أمرهم
أمرا اتفقا بل هو أمر الهوى محكوم به بخوم * وقوله تعالى (ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا)
قد ذكرنا مرارا ان دفع الضر عن الشخص اما ان يكون يولي ينفع بالاطف أو ينصير
يدفع بالغف وليس الذين كفروا شيء من ذلك وفي قوله تعالى ثم لطفه وهي ان من يولي دبره
يصيب الخلاص من القتل بالاتحاق بما ينجيهم فقال وليس اذا ولوا الاذبار يتخلصون بل
بعد التولي الهلاك لاحق بهم * وقوله تعالى (سنة الله التي قدخلت من قبل) جواب عن
سؤال آخر يقوم مقام الجهاد وهو ان العلو والعلو لها تأثيرات والاتصالات لها تغيرات فقال
ليس كذلك سنة الله نصرته رسوله واهلاك عدوه * وقوله تعالى (وان تجد لسنة الله تبديلا)
بشارة ودفع وهن يقع بسبب وهم وهو انه اذا قال الله تعالى ليس هذا بآثار فلابد
وقوع تبديل الله فاعل بخلاف ولو اراد ان يملك العباد لهلكم بخلاف قول المتكبر بان الغلب
لن له طالع وشواهد تنقض غلبته قطعا فقال الله تعالى وان تجد لسنة الله تبديلا يعني ان
الله فاعل مختار يفعل ما يشاء ويقدر على اهلاك أعدائه ولكن لا يبدل سنته ولا يغير
قادره * ثم قال تعالى (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم بيطن مكة من بعد ان
أظفركم عليهم) تبين ان تقدم من قوله ولو فائقكم الذين كفروا لولوا الاذبار أي هو بتقدير
الله لانه كف أيديهم عنكم بالفرار وأيديكم عنهم بالرجوع عنهم وتركهم وقوله تعالى بيطن
مكة إشارة الى أمر كان هناك يقتضي عدم الكف ومع ذلك وجد كف ايدي وذلك الأمر
هو دخول المسلمين بيطن مكة فان ذلك يقتضي أن يصير المكفوف على القتال لكون العدو
دخل دارهم طايين نارههم وذلك مما يوجب اجتهاد البليد في الذبح عن الحريم ويقتضي ان
يبالغ المسلمون في الاجتهاد في الجهاد لكونهم اوقصروا الكسر واواصر والبعد ما منهم فتدوله
بيطن مكة إشارة الى بعد الكف ومع ذلك وجد بعشيرة الله تعالى وقوله تعالى من بعد ان
أظفركم عليهم صالح الامرين (أحدهما) ان يكون منه على المؤمنين بان الظفر كان لكم
مع ان الظاهر كان يستدعي كون الظفر لهم لكون البلاد لهم ولكثرة عددهم (الثاني) أن
يكون ذكر أمرين مانعين من الامرين الاولين مع ان الله حققهما من المنافقين اما كف
أيدي الكفار فكان بعيد الكونهم في بلادهم ذابين عن أهلهم وأولادهم واليد اشار بقوله
بيطن مكة وأما كف أيدي المسلمين فلانه كان بعد ان ظفروا بهم ومتى ظفر الانسان بعدوه
الذي لو ظفر هو به لاستأصله بعيدا فكفافة عنه مع ان الله كف اليدين * وقوله تعالى
(وكان الله بما يعملون بصيرا) يعني كان الله يرى فيه من المصلحة وان كنتم لاترون ذلك وبينه

قديمة فمن مضى من الامم (وان تجد لسنة الله تبديلا) أي تغييرا (وهو الذي كف أيديهم) أي أيدي كفار مكة (عنكم
وأيديكم عنهم بيطن مكة) أي في داخلها (من بعد ان أظفركم عليهم) وذلك ان حكيم بن أبي جهل خرج في خمسمائة
الى أحد ليلة فبعث رسول الله صلى الله

عليه وسلم خالدين الوليد على جند فهر منهم حتى أدخلهم حبسكم مكة ثم عاد وقيل كان يوم السبت و ٥٧٢ هـ
خليفة على أن مكة فتحمت عنوة لا صلحا (وكان الله عما عملون) من مقاتلتهم وهرسهم وألوا الكف عنهم بأنسابهم بقتل
الحرام وقرى بالباء (بصبرا) فيجاز بكم بذلك أو يجاز بهم ٥٧٢ هـ (هم الذين كفروا وصدواكم عن المسجد

بقوله تعالى هم الذين كفروا وصدواكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفاً إلى أن قال وألوا
رجالاً مؤمنون ونساء مؤمنات يعني كان الكف محافضة على ما في مكة من المسلمين الخرجوا
منها و أدخلوها على وجه لا يكون فيه إيذاء من فيها من المؤمنين والمؤمنات واختلف
المفسرون في ذلك الكف منهم من قال المراد ما كان عام الفتح ومنهم من قال ما كان عام
الحديبية فإن المسلمين هزموا جيش الكفار حتى أدخلوهم بيوتهم وقبل أن الحرب كان
بالجارة * وقوله تعالى (هم الذين كفروا وصدواكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفاً إلى
يلج محله) إشارة إلى أن الكف لم يكن لآمر فهم لأنهم كفروا وصدوا واحصر واوكل ذلك
يقضي قتالهم فلا يقع لأحد أن الفر يقين اتفقوا ولم يبق بينهم خلاف واصطلحوا ولم يبق
بينهم حارز بل الاختلاف باق والفرع مستمر لأنهم هم الذين كفروا وصدواكم فمعنوا
فازدادوا كفراً وعداوة وإنما ذلك للرجال المؤمنين والنساء المؤمنات وقوله والهدى
منصوب على العطف على كم في صدوكم ويجوز الجر عطفاً على المسجد أي وعن الهدى
ومعكوفاً حال وان يلج تقديره عن أن يلج ويحتمل أن يقال أن يلج مع رفع نصب معكوفاً
بألفه محله كما يقال رأيت زيداً شديداً بألفه ومعكوفاً أي ممنوعاً ولا يخرج من شديداً على
هذا الوجه * وقوله تعالى (ولو لأرجال مؤمنون ونساء مؤمنات) تقديره فلو لم يكن
فصيحكم منهم معرفة بغير علم) وصف الرجال والنساء يعني لو لأرجال مسلمة ومؤمنات
مؤمنين وقوله تعالى أن تطوهم يدل اشتغال كانه قال رجال غيرهم أي الوطء وتصيبكم
منهم مرة عيب أوائم وذلك لأنكم ربما تقتلونهم فلتزكم الكفارة وهي دين الأثم
أو يصيبكم الكفار بأنهم فعلوا باخوانهم ما فعلوا بأنفسهم وقوله تعالى بغير علم قال
المتحشمي هو متعلق بقوله أن تطوهم يعني تطوهم بغير علم وجاز أن يكون بدلاً من الضمير
المنصوب في قوله فاعلموا أن يقول يكون هذا تكراراً لأن على قولنا هو يدل من
الضمير يكون التقدير لم تعلموا أن تطوهم بغير علم فليز تكرار بغير علم لخصوله بقوله لم تعلموا
فلاولى أن يقال بغير علم هو في موضعه تنديده لم تعلموا أن تطوهم فتصيبكم منهم مرة بغير علم
من الذي يعركو عيب عليكم يعني أن وطئوهم غير المألين يصيبكم مسبة الكفار بغير علم أي
بجهل لا يعلمون أنكم معذورون فيه أو تقول تقديره لم تعلموا أن تطوهم فتصيبكم منهم مرة
بغير علم أي تقتلونهم بغير علم أو تؤذوهم بغير علم فيكون الوطء سبب القتل والوطء غير معلوم
لكم والقتل الذي هو سبب العرة وهو الوطء الذي يحصل بغير علم أو تقول العرة قسمان
(أحدهما) ما يحصل من القتل العمد من هو غير العالم بحال المحل (والثاني) ما يحصل من
القتل خطأ وهو غير عدم العلم فقال تصيبكم منهم مرة غير معلومة لا التي تكون عن العلم
وجواب لولا تحذوف تقديره لولا ذلك لما كف أيديكم عنه هذا ما قاله المتحشمي وهو
حسن ويحتمل أن يقال جوابه ما يدل عليه قوله تعالى هم الذين كفروا وصدواكم عن المسجد
الحرام يعني قد استحصوا أن لا يملوا أو لأرجال مؤمنون لوقع ما استحقوه كما يقول القائل

الحرام والهدى) بالنصب
عطفاً على الضمير المنصوب
في صدوكم وقرى بالجر
عطفاً على المسجد بخذف
الضائفة أي وضعر الهدى
وبالرفع على وصد الهدى
وقوله تعالى (معكوفاً)
حال من الهدى أي
محبوس وقوله تعالى (أن
يلج محله) بدل اشتغال من
الهدى أو منصوب بترفع
الخافض أي محبوساً من
أن يلج مكانه الذي يصل
فب تحرره وبه استدلل
أبو حنيفة رحمه الله تعالى
على أن المحصر محل هديه
الحريم قالوا بعض
الحديبية من الحرم وروى
أن خيامه صلى الله عليه
وسلم كانت في الحل
ومصلافة الحرم وهناك
نحرت هداياه صلى الله
عليه وسلم والمراد صدها
عن محلها العهود الذي
هو منى (وأول الرجال
مؤمنون ونساء مؤمنات
لم تعلموهم) لم تعرفوهم
بأعيانهم لا بخلطهم وهو
صفه الرجال ونساء وقوله
تعالى (أن تطوهم) أي
توقعوها بهم وتهلكوهم
بدل اشتغال منهم أو من
الضمير المنصوب في تعلموهم

(فتصيبكم منهم) أي من جهنهم (مرة) أي مشقة ومكره كوجوب * هو
الدبة أو الكفارة بقتلهم والتأسف عليهم وتغيير الكفار وسوء قائلهم والاثم بالتصغير في البحث

منهم وهي مفصلة من سورة اذا ضراء وذهابا بكمهم (بغير علم) متعلق بان تطوهم اي غير طالين بهم وجواب لولا تحذوف
فدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة ان تهلكوا ناسا مؤمنين بين الكافرين غير طالين بهم فتصيبكم بذلك مكروه
لما كف ايديكم عنهم وقوله تعالى ﴿ ٥٧٣ ﴾ (ليدخل الله في رحمته) متعلق بما يدل عليه الجواب المحذوف كانه

قل عقبيه لكن كفها
عنهم ليدخل بذلك
الكف المؤدى الى
القبح بلا محذوف في
رحمة الواحدة بقسمها
(من يشاء) وهم
المؤمنون فانهم كانوا
خارجين من الرحمة
الذيوية التي من جملتها
الامن مستضعفين تحت
أيدى الكفرة وأما
الرحمة الاخرى وبه فهم
وان كانوا غير محرمين
منها بلرة لكنهم
كانوا قاصرين في اقامتها
مراسم العبادة كما ينبغي
فتوفيقهم لاقامتها
على الوجه الاتم ادخال
لهم في الرحمة الاخرى
وفدجوز ان يكون من
يشاء عبارة عن رقب
في الاسلام من المشركين
ويا باه قوله تعالى (لو
تزيلوا) الخ فان فرض
التزيل وترتيب التعذيب
عليه يقتضى تحقق
البينة بين الفريقين
بالايمان والكفر قبل
التزيل جمعا أى لو
تفرقوا وتميز بعضهم
من بعض وفرض لو تزيلوا
(لعذبنا الذين كفروا

هو سارق ولولا فلان لم يفت بدو وذلك لان لولا لاستعمل الالامناع الشيء لوجود غيره
وامتناع الشيء لا يكون الا اذا وجد مقتضى له فممنوع الغير فذكر الله تعالى أولا مقتضى
الناس البالغ وهو الكفر والصد والمنع وذكر ما امتنع لاجله مقتضاء وهو وجود الرجال
المؤمنين وقوله تعالى (ليدخل الله في رحمته من يشاء) لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم
هذا بالآلما فيه ابحاث (الاول) في الفعل الذي يستدعي الالام الذي يسببه يكون الادخال
وفيه وجوه (أحدها) أن يقال هو قوله كف ايديكم عنهم ليدخل لا يقال بانك ذكرت
ان المانع وجود رجال مؤمنين فيكون كانه قال كف ايديكم ثلاثا تطوهم فكيف يكون لشيء
آخر نقول الجواب عنه من وجهين (أحدهما) أن نقول كف ايديكم ثلاثا تطوهم ليدخلوا
كما يقال أطمعته لبشيع يغفر الله لى أى الاطعام للشيع كان يغفر (الثاني) هو انما بدأ
ان لولا جوابه ما دل عليه قوله هم الذين كفروا فيكون كانه قال هم الذين كفروا
واستحقوا التعذيب في اهلاكهم ولولا لرجال لعذب بهم ولكن كف ايديكم ليدخل (ثانيهما)
أن يقال فعل ما فعل ليدخل لان هناك اجلا من الاطراف والهداية وغيرها وقوله
ليدخل الله في رحمته من يشاء يؤمن منهم من نعم الله تعالى انه يؤمن في تلك السنة
أو يخرج من مكة ويهاجر فيدخلهم في رحمته وقوله تعالى لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا
يحتمل أن يقال هو ضمير الرجال المؤمنين والنساء المؤمنات فان قيل كيف يصح هذا وقد
قلتم بان جواب لولا محذوف وهو قوله لما كف أن لعجل ولما كان لو تزيلوا راجعا الى
الرجال لكان لعذبنا جواب لولا نقول وقد قال به الشيخ شمرى فقال لو تزيلوا لعذبنا ذكر
لولا ليحتمل أن يكون لعذبنا جواب لولا ويحتمل أن قال هو ضمير من يشاء كانه قال
ليدخل من يشاء في رحمته لو تزيلوا هم وتبذروا وأمنوا لعذبنا الذين كذب الله عليهم
انهم لا يؤمنون وفيه ابحاث (البحت الاول) وهو على تقدير نفي ضده فالكلام يفيد
ان العذاب الاليم اندفع عنهم اما بسبب عدم التزيل او بسبب وجود الرجال وعلم تقدير
وجود الرجال والعذاب الاليم لا يتدفع عن الكافر نقول المراد هذا عاجلا بأيديكم
يبدأ بالجنس اذا كانوا غير مقرين ولا متقبلين اليهم فيظهرون ويعتذرون يكون آلما
(البحت الثاني) ما الحكمة في ذكر المؤمنين والمؤمنات مع ان المؤنث يدخل في ذكر المذكر
عند الاجتماع قلنا الجواب عنه من وجهين (أحدهما) ما تقدم يعني ان الموضع موضع وهم
اختصاص الرجال بالحكم لان قوله تطوهم فتصيبكم معناه تهلكوهم والمراد لا تقتل
ولا تقتل فكان المانع هو وجود الرجال المؤمنين فقال والنساء المؤمنات ايضا لان تخریب
بيوتهن ودم أولادهن بسبب قتل رجالهن وطاعة شديدة (وثانيهما) ان في محل الشفقة
تعد المواضع لتعقيق القلب يقال لمن سبب شخص لا تصديه وارحمه فله وفره وضيقه وقال
أولاده وصغارهم وأهل الضعفاء العاجزين فكذلك ههنا قال لولا رجال مؤمنون ونساء
مؤمنات لتعقيق قلوب المؤمنين ورضاهم بما جرى من الكف بعد الظفر ثم قال تعالى

منهم عذابا آلما يقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم والجملة مستأنفة مكررة لما قبلها (اذ جعل الذين كفروا) منصوب
بأذكر على المفعولية او لعذبنا على الضرفية وقبل بمضمر هو اجسن الله اليكم وايا ما كان موضع الموصول موضع
ضمير هم لله هم بما في حين الصلة وتبديل اليكم به

والجمل امامي الاثاء فتوله تعالى (في قلوبهم الحية) اي الافة والكبر منطلق به او يعني التصغير فهو منطلق
بمجنوف هو معمول ثان له أي جعلوها ثابتة راسخة في قلوبهم (حية الجاهلية) بدل من الحية أي حية الله
الجاهلية أو الحية الناشئة من الجاهلية وقوله تعالى (فأزل الله) ٥٧٤ هـ سكتنه على رسوله وعلى المؤمنين

اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحية حية الجاهلية فأزل الله سكتنه على رسوله وعلى
المؤمنين وأزعمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شيء عليما) اذ يحتمل
أن يكون نلوا فلا بد من فعل يقع فيه ويكون عاملا له ويحتمل أن يكون مفعولا به فان
فلاناه ظرف فالفاعل الواقع فيه يحتمل أن يقال هو مذكور ويحتمل أن يقال هو مفعول غير
مذكور فان فلانا هو مذكور وفيه وجهان (أحدهما) هو قوله تعالى وصدوكم أي وصدوكم
حين جعلوا في قلوبهم الحية (وثانيها) قوله تعالى لعذبا الذين كفر ومنهم أي لعذبا بهم
حين جعلوا في قلوبهم الحية (والثاني) أقرب قرينه لفظا وشدة مناسبه معنى لانهم اذا جعلوا
في قلوبهم الحية لا يرجعون الى الاستسلام والاعتقاد والمؤمنون لما أزل الله عليهم السكينة
لا يتركون الاجتهاد في الجهاد والله مع المؤمنين فيعذبونهم عذابا أليما وأغبر المؤمنين
وامان قلنا ان ذلك مفعول به فاعامل بمقدر تقديره اذكر أي اذكر ذلك الوقت كما
أن يطوهم وهم الذين كفروا الذين جعل في قلوبهم الحية (وثانيها) أحسن الله اليكم
اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحية وعلى هذا فاقوله تعالى فأزل الله سكتنه تفسير لذلك
الاحسان وامان قلنا انه مفعول به فاعامل بمقدر تقديره اذكر أي اذكر ذلك الوقت كما
نقول ان ذكر اذ قام زيد أي ان ذكر وقت قيامه كما تقول ان ذكر زيد اذ على هذا يكون الظرف
للفعل المضاف اليه عاملا فيه وفيه لطائف معنوية ولفظية (الاولى) هو ان الله تعالى أبان
غاية البون بين الكافر والمؤمن فاشار الى ثلاثة أشياء (أحدها) جعل ما للكافرين يحلهم
فقال اذ جعل الذين كفروا وجعل ما للمؤمنين يجعل الله فقال فأزل الله و بين الفاعلين
ما لا يخفى (ثانيها) جعل للكافرين الحية وللؤمنين السكينة و بين المفعولين تفاوت على
ما سذكره (ثالثها) اضاف الحية الى الجاهلية و اضاف السكينة الى نفسه حيث قال حية
الجاهلية وقال سكتنه و بين الاضافتين ما لا بد من (الثانية) زاد المؤمنين خيرا بعد حصول
مقابله شيء بشي فعملهم بفعل الله والحية بالسكينة والاضافة الى الجاهلية بالاضافة الى الله
تعالى وأزعمهم كلمة التقوى وسنذكر معناه واما اللفظية فثلاث لطائف (الاولى) قال
في حق الكافر جعل وقال في حق المؤمن أزل ولم يقل خلق ولا جعل سكتنه إشارة الى ان
الحية كانت تجمولة في الحال في العرض الذي لا يبق واما السكينة فكانت كالحفوظة
في خزانة الرحمة معدة لعباده فأزلها (الثانية) قال الحية ثم أضافها بقوله حية الجاهلية لان
الحية في نفسها صفة مذمومة وبالإضافة الى الجاهلية تزداد قبحا وللحمة في القبح درجة
لا يعتبر معها قبح القبايح كما يضاف الى الجاهلية واما السكينة في نفسها وان كانت حسنة
لكن الاضافة الى الله فيها من الحسن ما لا يبي معه لحسن اعتبار فقال سكتنه اكتفاء
بحسن الاضافة (الثالثة) قوله فأزل بالفاء لا بالواو إشارة الى ان ذلك كالمقابلة تقول
أكرمني فأكرمتك للمجازاة والمقابلة ولوقلت أكرمني وأكرمتك لا يبي من ذلك وحيث
يكون فيه لطيفة وهي ان عند اشتداد غضب أحد العدوين فالعدو الآخر امانا يكون

على الاول غطف على
يجعل والمراد تذكير
حسن صنيع الرسول
صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين بتوفيق
الله تعالى وسوء صنيع
الكفرة وعلى الثاني
على ما يدل عليه الجملة
الامتناعية كأنه قيل
لم يقرئوا فلم تغضب
فأزل الخ وعلى الثالث
على الصغر فتسبرله
والسكينة الثبات
والوقار ويرى أن رسول
الله صلى الله عليه
وسلم لما أزل الحديبية
بعث قريش سهيل
ابن عمرو القرشي
وحويط بن عبد
العزى ومكر بن حفص
بن الاحنف على أن
يعرضوا على النبي
صلى الله عليه وسلم
أن يرجع من عامه ذلك
على أن تخلى له قريش
مكة من العام القابل
ثلاثة أيام ففعل ذلك
وكتبوا بينهم كتابا
فقال عليه الصلاة
والسلام لعلى رضى الله
عنه اكتب بسم الله
الرحمن الرحيم فقالوا

ما نعرف ما هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله أهل مكة فقالوا لو كنا
نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت وما فذللك اكتب هذا ما صالح عليه محمد ابن عبد الله أهل مكة فقال
صلى الله عليه وسلم اكتب ما يريدون فهم المؤمنون ان يأبوا ذلك ويطلبوا وجه فأزل الله

السكنة عليهم فتوقروا وخلوا (والزهم كلمة التقوى) أي كلمة الشهادة أو اسم الله الرحمن الرحيم أو محمد رسول الله وقيل
كلمة التقوى هي الوفاء بالعهد والثبات عليه وإضافتها إلى التقوى لأنها سبب التقوى وإساسها أو كلمة أهلها (وكانوا أحق
بها) متصفين بمن يداستحقاق لها على أن ﴿٥٧٥﴾ صيغة التفضيل للزيادة مطلقا وقيل أحق بها من الكفار

(وأهلها) أي المستأهل
لها (وكان الله بكل شيء
علما) فيعلم حق كل شيء
فيسوقه إلى مستحقه
(لقد صدق الله رسوله
الرؤيا) رأى رسول الله
صلى الله عليه وسلم قبل
خروجه إلى المدينة
كأنه وأصحابه قد دخلوا
مكة آمنين وقد حللوا
دروسهم وقصر وأقص
الرؤيا على أصحابه
ففرحوا واستبشروا
وحسبوا أنهم داخلوها
في عامهم فلما أخرج ذلك
قال عبدة بن أبي
وعبد الله بن نفييل ورفاعة
بن الحرث والله ما حللنا
ولا قصرنا ولا رأينا
المسجد الحرام فزلات
أي صدقه صلى الله
عليه وسلم في رؤياه كافي
قولهم صدقني سن
يكبر وتحققه أراه الرؤيا
الصادقة وقوله تعالى
(الحق) أما صدق صدر
مؤكد محذوف أي
صدق ملتبساً بالحق أي
بالقرض الصحيح والحكمة
البالغة التي هي التيقن
بين الراسخ في الإيمان
والمترائل فيه أو حال

ضعيفا أو قويا فإن كان ضعيفا ينهزم وينتهر وإن كان قويا فبورت غضبه فيه غضبا وهذا
سبب قيام الفتن والقتال فقال في نفس الجرعة عند حركتهم ما أقدمنا وما أنهرنا وقوله
تعالى فأنزل الله بالفاء يدل تعلق الأنزال بالفاء على ترتيبه على شيء نقول فيه وجهان
(أحدهما) ما ذكرنا من أن اذ طرف كأنه قال أحسن الله أذ جعل الذين كفروا وقوله فأنزل
تفسير لذلك الاحسان كما يقال أكرمني فاعطاني لتفسير الأكرام (وثانيهما) أن يكون الفاء
للدلالة على أن تعاقب أنزال المسكنة يجعلهم المحبة في قلوبهم على معنى المقابلة تقول
أكرمني فأنيت عليه ويخوز أن يكونا فعلين واقعين من غير مقابلة كما تقول جاني زيد
وخرج عمرو وهو هنا كذلك لأنهم لما جعلوا في قلوبهم المحبة فالمسلمون على مجرى العادة
لنظرت إليهم زن أن يوجد منهم أحدا لآخرين إما أقدام وإما انهمام لأن أحدا الصواب
إذا اشتد غضبه فاعادوا لآخران كن مثله في القوة يغضب أيضا وهذا يثير الفتن وإن كان
أضعف منه ينهزم أو يتقاده فأنزل في مقابلة حجة الكافر بن على المؤمنين
سكينة حتى لا يغضبوا ولم ينهزموا بل يصبروا وهو بعيد في العادة فهو من فضل الله تعالى
قوله تعالى على رسوله وعلى المؤمنين فإنه هو الذي أجاب الكافرين إلى الصلح وكان في نفس
المؤمنين أن لا يرجعوا إلا بعد الثلاثة بالبحر في المنهر وأبوا أن لا يكتفوا بحمد رسول الله
وبسم الله فلا سكن رسول الله صلى الله عليه وسلم سكن المؤمنين وقوله تعالى وألزمهم كلمة
التقوى فيه وجوه أظهرها أنه قوله لا اله الا الله فأن بها يقع الاتقاء عن الشرك وقيل هو
بسم الله الرحمن الرحيم ومحمد رسول الله فإن الكافر بن أبو ذكوان والمؤمنون التزموه وقيل
هي الوفاء بالعهد الذي لا غير ذلك ونحن نوضح فيه ما يترجح بالدليل فنقول وألزمهم بحمل أن
يكون عائدا إلى النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين جميعا يعني ألزم النبي والمؤمنين كلمة
التقوى ويحتمل أن يكون عائدا إلى المؤمنين فيحسب فإن قلنا أنه عائدا إليهما جميعا فنقول
هو الأمر بالتقوى فأن الله تعالى قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا أيها النبي اتق الله ولا تطع
الكافرين وقال للمؤمنين يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حتى تقاته والأمر بتقوى الله حتى
تذهله تقواه عن الانغفات إلى ما سوى الله كما قال في حق النبي صلى الله عليه وسلم اتق الله
ولا تطع الكافرين وقال تعالى وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ثم بين له حال من صدقه
بقوله الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا الا الله وأما في حق المؤمنين
فقال يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حتى تقاته وقال فلا تخشوه واخشوني وإن قلنا بأنه
راجع إلى المؤمنين فهو قوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا الآية
إلى قوله واتقوا الله وهو قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله وفي
معنى قوله تعالى وألزمهم كلمة التقوى على هذا معنى لطيف وهو أنه تعالى إذا قال اتقوا
يكون الأمر واردا ثم ان من الناس من يقبله بتوفيق الله ويلتزمه ومنهم من لا يلتزمه ومن
الترمه فقد التزمه بالزام الله إياه فكانه قال تعالى ألزمهم كلمة التقوى وفي هذا المعنى رجحان

من الرؤيا أي ملتبساً بالحق ليست من قبيل أضغاث الأحلام وقد جوز أن يكون قسما بالحق الذي هو من أسماء الله تعالى
أو بضم الباطل وقوله تعالى (لندخان المسجد الحرام) نحوه وهو على الأولين جواب قسم محذوف

أى والله لندخلن الخ وقوله تعالى (إن شاء الله) تعليق للعدة بالنسبة لتعظيم السبأ أو لاشعار بأن بعضهم لا بد من حصوله لموت أو غيبة أو غير ذلك أو هي حكاية لما قاله ملك الرويا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لما قاله عليه الصلاة والسلام لأصحابه (آمين) حال من فاعل لندخلن والشرط معترض ﴿ ٥٧٦ ﴾ وكذا قوله تعالى (لمخلفين رؤوسكم

ومقصرون) أى محلقا بعضهم ومقصرون آخرون وقبل محققين حال من شبر آمين فتكون متداخلة (لا تخافون) حال مؤكدة من فاعل لندخلن أو آسئين أو محققين أو مقصرين أو استئناف أى لا تخافون بعد ذلك (فاعلم ما لم تعلموا) عطف على صدق والمراد بعلمه تعالى العلم الفعلي التعلق بأمر حادث بعد المعطوف عليه أى فاعلم عقيب ما أراه الرويا الصادقة ما لم تعلموا من الحكمة الداعية الى تقديم ما يشهد بالصدق علما فعليا (فجعلا) لاجله (من دون ذلك) أى من دون تحقق مصداق ما رآه من دخول المسجد الحرام الخ (فتهاقريا) وهو فتح خبير والمراد بجعله وعده وانجازه من غير تنويف يستدل به على صدق الرويا حسبما قال وتكون آية للمؤمنين واما جعل ما في قوله تعالى ما لم تعلموا عبارة عن الحكمة فى تأخير فتح مكة الى العام

من حيث ان التقوى وإن كان كاملا ولكنه أقرب الى الكلمة وعلى هذا قوله وكانوا أحق بها وأهلها معناه أنهم كانوا عند الله أكرم الناس فازنوا تقواه وذلك لأن قوله تعالى إن أكرمكم عند الله أتقاكم يتحمل وجهين (أحدهما) أن يكون معناه أن من سيكون أكرم عند الله وأقرب اليه كان أتق كفى قوله والمخلصون على خطر عظيم وقوله تعالى وهم من خشية ربهم مشفقون وعلى الوجه الثانى يكون معنى قوله وكانوا أحق بها لأنهم كانوا أعلم بالله لقوله تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء وقوله وأهلها يتحمل وجهين (أحدهما) أنه يفهم من معنى الاحق أنه ثبت رجحاننا على الكافرين أن لم يثبت الاهلية كما لو اختار الملك اثنين لشغل وكل واحد منهما غير صالح له ولكن أحدهما أبعد عن الاستحقاق فقال فى الأقرب الى الاستحقاق إذا كان ولا بد فهذا أحق كما يقال الحس أهون من القتل مع أنه لاهين هناك فقال وأهلها فقال ذلك (الثانى) وهو أقوى وهو أن يقال قوله تعالى وأهلها فيه وجوه يبينها بعد ما بين معنى الاحق فتقول هو يتحمل وجهين (أحدهما) أن يكون الاحق بمعنى الحق لا المفضل كما فى قوله تعالى خير مقاما وأحسن نديا فى الآخرة فى غيره (والثانى) أن يكون التفضيل وهو يتحمل وجهين (أحدهما) أن يكون بالنسبة الى غيرهم أى المؤمنون أحق من الكافرين (والثانى) أن يكون بالنسبة الى كلمة التقوى من كلمة أخرى غير تقوى تقول زيد أحق بكذا كرامته بالاهانة كما إذا سأل شخص عن زبدها بالطلب اسم أو بالقبض نقول هو بالقبض أعلم أى من الطلب وقوله تعالى (لقد صدق الله رسوله الرويا بالحق لندخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمين) بيان لقصد ما قاله المنافقون بعد أنزال الله السكينة بعلموا فجعل من دون ذلك فتهاقريا) بيان لقصد ما قاله المنافقون بعد أنزال الله السكينة على رسوله وعلى المؤمنين ووقوفهم عند ما أمروا به من عدم الاقبال على القتال وذلك قولهم ما دخلنا المسجد الحرام ولا حلقنا ولا قصرنا حيث كان النبي صلى الله عليه وسلم رأى فى منامه أن المؤمنين يدخلون مكة ويتون الحج ولم يعين له وقتا فقص رؤياه على المؤمنين فقطعوا بأن الأمر كما رأى النبي صلى الله عليه وسلم فى منامه وظنوا أن الدخول يكون عام الحديبية والله أعلم أنه لا يكون الا عام الفتح فلما صالحوا ورجعوا قال المنافقون استهزاء ما دخلنا ولا حلقنا فقال تعالى لقد صدق الله رسوله الرويا بالحق وتعدية صدق الى مفعولين يحتمل أن يكون بنفسه وكونه من الأفعال التى تتمدى الى مفعولين ككلمة جعل وخلق ويحتمل أن يقال عدى الى الرويا بحرف تقديره صدق الله رسوله فى الرويا وعلى الاول معناه جعلها واقعة بين صدق وعده إذ وقع الموعد به وأتى به وعلى الثانى معناه ما أراه الله لم يكذب فيه وعلى هذا فيحتمل أن يكون رأى فى منامه أن الله تعالى يقول سيدخلون المسجد الحرام فيكون قوله صدق ظاهر الان استعمال الصدق فى الكلام ظاهر ويحتمل أن يكون عليه الصلاة

القابل كما جزم اليه الجمهور ذباؤه الفناء فان علم تعالى بذلك متقدم على اراءه الرويا قطعاً ﴿ والسلام ﴾

(هو الذي أرسل رسوله بالهدى) أي ملتبسا به أو بسببه ولا بد له (ودين الحق) ودين الاسلام (ليظهره على الدين كله) ليعليه على جنس الدين بجميع أفرادها التي ٥٧٧ هـ هي اديان الخليفة يسلخ ما كان حقاً من بعض الاحكام المتبدلة

ببديل الاعصار واطهار
ببطلان ما كان باطلا
أو بتسليط المسلمين على
أهل سائر الاديان اذا
من أهل دين الاوقاف
فهرهم المسلمون وفيه
فضل تأكيدهم وعدم
الفتح وتوطيئ للنفوس
المؤمنين على أنه سبحانه
سيقض لهم من البلاد
ويبيع لهم من الغلبة
على الاقانيم ما يستقلون
اليه فتح مكة (وكنى بالله
شعباً) على أن ما وعد
كانت لاجاله أو على نبوته
عليه الصلاة والسلام
بإظهار المعجزات (شهد)
خبر مبتدأ محذوف وقوله
تعالى (رسول الله) بدل
أو بيان أو نعت أي ذلك
الرسول المرسل بالهدى
ودين الحق محمد رسول
الله وقبل محمد مبتدأ
رسول الله خبره والجنه
مدينة للمشهود به وقوله
تعالى (والذين معه)
مبتدأ خبره (أشداً على
الكفار رجاء بينهم)
وأشداً جم شديد
ورجاء جمع رحيم والمعنى
أنهم يظهرون لمن خالف
دينهم الشدة والصلابة

والسلام رأى أنه يدخل المسجد فيكون قوله صدق الله معناه أنه أتى بما يحقق المقام
ويدل على كونه صادقاً يقال صدقني سن بكرة مثلاً فيما إذا حقق الأمر الذي يريه من
نفسه مأخوذاً من الابل إذا قيل له هـ مع سكني فحقني كونه من صغار الابل فإن هـ مع كنه
يسكن بها صغار الابل وقوله تعالى بالحق قال الرخشمي هو حال أو قسم أو سفة صدق
وعلى كونه حالاً تقديره صدقه الرؤيا ملتبساً بالحق وعلى تقدير كونه سفة تقديره صدقه
صدقاً ملتبساً بالحق وعلى تقدير كونه قسماً إما أن يكون قسماً بالله فإن الحق من أسمائه
وأما أن يكون قسماً بالحق الذي هو تقيض الباطل هذا ما قاله ويحتمل أن يقال فيه
وجهين آخرين (أحدهما) أن يقال فيه تقديم وأخير تقديره صدق الله رسوله بالحق
الرؤيا أي الرسول الذي هو رسول بالحق وفيه إشارة الى استنجاح الكذب في الرؤيا لانه
لما كان رسولاً بالحق فلا يرى في مناه الباطل (والثاني) أن يقال بأن قوله لتدخلن
المسجد الحرام أن قلنا بأن الحق قسم فأمر اللام ظاهر وإن لم يقل به فتقديره لقد صدق
الله رسوله الرؤيا بالحق والله لتدخلن وقوله والله لتدخلن إجازاً أن يكون تفسير الرؤيا
يعني الرؤيا هي والله لتدخلن وعلى هذا تبين أن قوله صدق الله كان في الكلام لأن
الرؤيا كانت كلاماً ويحتمل أن يكون تحقيقاً لقوله تعالى صدق الله رسوله يعني والله
ليحقق الدخول ويظهر الصدق فتدخلن ابتداء كلام وقوله تعالى إن شاء الله فيه
وجوه (أحدها) أنه ذكره تعليماً للعباد الأدب وتأكيذاً لقوله تعالى ولا تقولن لشيء إني
فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله (الثاني) هو أن الدخول لما لم يقع عام الجديدة وكان
المؤمنون يريدون الدخول وبأبواب الصلح قال لتدخلن ولكن لا تجلادكم
ولا بارادتكم وإنما تدخلون بمشيئة الله تعالى (الثالث) هو أن الله تعالى لما قال في الوحي
المنزّل على النبي صلى الله عليه وسلم لتدخلن ذكراته بمشيئة الله تعالى لأن ذلك من الله وعد
ليس عليه دين ولا حق واجب ومن وعد بشيء لا يحققه إلا بمشيئة الله تعالى والأفلا يلزمه
به أحد وإذا كان هذا حال الموعود به في الوحي المنزّل صريحاً في القطة فاطنكم بالوحي
بالنمام وهو يحتمل أن أوّل أكثر مما يحتمل الكلام فإذا تأخر الدخول لم يستهزئوا
(الراء) هو أن ذلك تحقيقاً للدخول وذلك لأن أهل مكة قالوا لا تدخلوها إلا بأرادتنا
ولا تريد دخولكم في هذه السنة ونختار دخولكم في السنة القابلة والمؤمنون أرادوا
الدخول في عامهم ولم يقع فكان لقائل أن يقول بقي الأمر موقوفاً على مشيئة أهل
مكة أن أرادوا في السنة الآتية بتركوتنا تدخلها وإن كرهوا لا تدخلها فقال لا تسترط
أرادتهم ومشيتهم بل تمام الشرط بمشيئة الله وقوله محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون
إشارة الى أنكم تنمون الحج من أوله الى آخره فقوله لتدخلن إشارة الى الأول وقوله
محلقين إشارة الى الآخر وفيه مسئلتان (المسئلة الأولى) محلقين حال الدخول
والداخل لا يكون إلا محرماً والمحرر لا يكون محلقاً فقوله آمنين يني عن الدوام فيه الى

المؤمنين أمر على الكافر بن وقرى أشداء ورحما بالصب على المدح أو على الحال من المستكن في معه لوقوعه صلة
فالخير حينئذ قوله تعالى (تراهم ركعا سجدا) أي تشاهدهم ﴿ ٥٧٨ ﴾ حال كونهم راكعين ساجدين لمواظبتهم على

الصلاة وهو على الاول
خبر آخر أو استئناف
وقوله تعالى (يتغنون)
فضلا من الله ورضوانا
أي ثوابا ورضا ما خبر
آخر أو حال من ضمير تراهم
أو من المستقر في ركعا
سجدا أو استئناف مبنى
على سؤال نشأ من بيان
مواظبتهم على الركوع
والسجود كأنه قيل ماذا
يريدون بذلك فقيل
يتغنون فضلا من الله الخ
(سبحاهم) أي سبهم
وقرى سبواؤهم بالياء
بعد الميم والمدو هما لغتان
وفيها لغة ثالثة هي السبواء
بالمدو وهو مبتدأ خبره (في)
وجوههم) أي في
جباههم وقوله تعالى
(من أرا السجود) حال
من المستكن في الجارأى
من التأثير الذي يؤثره
كثرة السجود وما روى
عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قوله عليه
السلام والسلام
لأنه أبوا صدوركم أي
لأنسبوا أفعالهم وفيه إذ
اعتمدت جبهته على الأرض
ليبحث فيها تلك المسحة
وذلك محض رياء ونفاق
والكلام فيما حدث في

الحق فكانه قال تدخلونها آمنين متمكنين من أن تموا الحرج علقين (المسئلة الثانية)
قوله تعالى لا تخافون أيضا حال معناه غير خائفين وذلك حصل بقوله تعالى آمنين فما الغائبة
في أعادته تقول فيه بيان كمال الأمن وذلك لأن بعد الخلق يخرج الإنسان عن الاحرام
فلا يحرم عليه القتال وكان عند أهل مكة يحرم قتال من أحرم ومن دخل الحرم فقال
تدخلون آمنين وتعلقون ويبقى أمنكم بعد خروجكم عن الاحرام وقوله تعالى فعمل ما لم
تعلموا أي من المصلحة وكون دخولكم في سننكم سببا لوطه المؤمنين والمؤمنات أو فعمل
للتعقيب فعمل وقع غيب ما ذاقوه ان قلنا المراد من فعمل وقت الدخول فهو عقب صدق
وان قلنا المراد فعمل المصلحة فاعلم علم الوقوع والشهادة لأهم الغيب والتقدير يعني حصلت
المصلحة في العام المقابل فعمل ما لم تعلموا من المصلحة المتجددة فجعل من دون ذلك قصا قريبا
أما صلح الحديبية وأما فتح خيبر وقد ذكرناه وقوله تعالى وكان الله بكل شيء عليما يدفعهم
حدوث علمه من قوله فعمل وذلك لأن قوله وكان الله بكل شيء عليما يفيد سبق علمه العام لكل
علم يحدث ثم قال تعالى (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله
وكفى بالله شهيدا محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا
سجدا يتغنون فضلا من الله ورضوانا) تأكيد لبيان صدق الله في الروايات وذلك لأنه
لما كان من سلا رسوله ليهدي لا يريد ما لا يكون مهديا للناس فيظهر خلافة فيقع ذلك سببا
للاللال ويحتمل وجوها أقوى من ذلك وهو أن الروايات بحيث توافق الواقع تقع لغير الرسل
لكن روية الاشياء قبل وقوعها في البقطة لا تقع لكل أحد فقال تعالى هو الذي أرسل
رسوله بالهدى وحكى له ما سيكون في البقطة ولا بعد من أن يريه في المنام ما يقع فلا استبعاد
في صدق روياء وفيها أيضا بيان وقوع الفتح ودخول مكة بقوله تعالى ليظهره على الدين
كله أي من يقويه على الاديان لا يستبعد منه فتح مكة والهدى يحتمل أن يكون هو
القرآن كما قال تعالى أنزل فيه القرآن هدى للناس وعلى هذا دين الحق هو ما فيه من
الاصول والفروع ويحتمل أن يكون الهدى هو المعجزة أي أرسله بالحق أي مع الحق
إشارة إلى ما شرع ويحتمل أن يكون الهدى هو الاصول ودين الحق هو الاحكام وذلك
لأن من الرسل من لم يكن له احكام بل بين الاصول فحسب والانف واللام في الهدى يحتمل
أن تكون الاستغراق أي كل ما هو هدى ويحتمل أن تكون للعهد وهو قوله تعالى ذلك
هدى الله يهدي به من يشاء وهو اما القرآن لقوله تعالى كتابا مشاهبا مثاق تشعرا إلى
أن قال ذلك هدى الله يهدي به من يشاء وأما ما اتفق عليه كلمة الرسل لقوله تعالى أو أئلك
الذين هدى الله فبهداهم اقتده والكل من باب واحد لأن ما في القرآن موافق لما اتفق
عليه الانبياء وقوله تعالى ودين الحق يحتمل وجوها (أحدها) أن يكون الحق اسم الله
تعالى فيكون كأنه قال بالهدى ودين الله (وثانيها) أن يكون الحق نقض الباطل فيكون
كأنه قال ودين الامر الحق (وثالثها) أن يكون المراد به الانتقاد إلى الحق والتزامه

وجعل وكان الامام زين العابدين وعلي بن عبد الله بن العباس رضي الله عنهما يقال لهما ذوا الثغفات لما احدثت كثرة
سجودهما في مواضع منها أشباه ثغفات هو ٥٧٩ البعير قال قائلهم * ديار علي والحسين وجعفر * وحجرة

والسجود ذى الثغفات *

وقيل صفرة الوجه

من خشية الله تعالى

وقيل ندى الطهور

وتراب الارض وقيل

استنارة وجوههم من

طول ماصلو بالليل قال

عليه الصلاة والسلام

من كثرت صلاته بالليل

حسن وجهه بالتهار

وقرى من آثار السجود

ومن أثر السجود بكسر

الهمزة (ذلك) اشارة

الى ما ذكر من نعمتهم

الجليلة وما فيه من معنى

البعد مع قرب العهد

بالشار اليه لا يذنب

بعلو شأنه وبعد منزلته

في الفضل وهو مبتدأ

خبره قوله تعالى (مثلهم)

أى وصفهم العجيب

الشان الجارى فى القرابة

مجرى الامثال وقوله

تعالى (فى التوراة) حال

من مثلهم والعامل

معنى الاشارة وقوله

تعالى (ومثلهم فى

الانجيل) عطوف على

مثلهم الاول كائنا قيل

ذلك مثلهم فى التوراة

والانجيل وتكرير مثلهم

لتأكيد غرابته عز وجل

ليظهره أى أرسله بالهدى وهو المجر على أحد الوجوه ليظهره على الدين كله أى جنس
الدين فينبخ والاديان دون دينه وأكثر انفسه من على ان الهاء فى قوله ليظهره
راجعة الى الرسول والظاهر انه راجع الى دين الحق أى أرسل الرسول بالدين الحق
ليظهره أى ليظهر الدين الحق على كل الاديان وعلى هذا فيحتمل أن يكون الفاعل
للاظهار هو الله ويحتمل أن يكون هو النبي أى ليظهر النبي دين الحق وقوله تعالى وكفى
بالله شهيدا أى فى انه رسول الله وهذا ما يسلى قلب المؤمنين فأنهم تأذوا من رد الكفار
عليهم العهد المكتوب وقالوا لانعلم انه رسول الله فلا كتبوا محمد رسول الله بل اكتبوا
محمد بن عبد الله فقال تعالى كفى بالله شهيدا فى انه رسول الله وفيه معنى لطيف وهو ان
قول الله مع انه كافى فى كل شئ لكن فى الرسالة أظهر كفاية لان الرسول لا يكون الا بقول
المرسل فاذا قال ملك هذا رسولى لو أنكر كل من فى الدنيا انه رسول فلا يبعد انكارهم
فقال تعالى أى دخل فى رسالته بانكارهم مع تصديق اياه بانه رسولى وقوله محمد رسول الله
فيه وجوه (أحدها) خب مبتدأ محذوف تقديره هو محمد الذى سبق ذكره بقوله أرسل
رسوله ورسول الله عطف بيان (وثانيها) ان محمد ابتدأ خبره رسول الله وهذا تأكيد
لما تقدم لانهم قال هو الذى أرسل رسوله ولاتوقف رسالته الا على شهادته وقد شهد له
بها محمد رسول الله من غير تكبر (وثالثها) وهو مستشهد وهو ان يقال محمد مبتدأ ورسول
الله عطف بيان سبق للمدح للتأخير والذين معه عطف على محمد وقوله أشداء خبره كانه
قال تعالى والذين معه جبرهم أشداء على الكفار رهاء بذمهم لان وصف الشدة والرجة
وجد فى جميعهم وأما فى المؤمنين فكما فى قوله تعالى أدلة على المؤمنين أعزة على الكافرين
وأما فى حق النبي صلى الله عليه وسلم فكما فى قوله واغلاظ عليهم وقال فى حقه بالؤمنين
روؤف رحيم وعلى هذا قوله تراهم لا يكون خطبا مع النبي صلى الله عليه وسلم بل يكون
عاما أخرج مخرج الخطاب تقديره تراهم أيها السامع كأننا من كان كافلنا ان الواعظ
يقول انبه قبل ان يقع الانباء ولا يريده واحدا بعيد وقوله تعالى يتفنون فضلا
من الله ورضوانا لتبخر ركوعهم وسجودهم عن ركوع الكفار وسجودهم وركوع
المرائى وسجودهم فانه لا ينبغي به ذلك وفيه اشارة الى معنى لطيف وهو ان الله تعالى قال
الراكون والساجدون لوجهه فيوفيه أجورهم ويزيدهم من فضله وقال الراكم
ينبغي الفضل ولم يذكر الاجر لان الله تعالى اذا قال لكم أجر كان ذلك منه تفضلا واشارة
الى أن عملكم جاء على ما طاب الله نيتكم لان الاجرة لا تستحق الا على العمل الموافق
لالمطلب من المالك والمؤمن اذا قال اننا ينبغي فضلا يكون منه اعترافا بالتقصير فقال
يتفنون فضلا من الله ولم يقل أجرأ وقوله تعالى (سيماهم فى وجوههم من أثر السجود)
فيه وجهان (أحدهما) ان ذلك يوم القيامة كما قال تعالى يوم تبص وجوه وقال تعالى
نورهم يسرى وعلى هذا فنقول نورهم فى وجوههم بسبب توجههم نحو الحق كما قال ابراهيم

تقريبها وقوله تعالى (ركرزع أخرج شطاه) الخ تشمل مستأنف أى هم كزرع أخرج

فراخه وقبل هو تفسير ذلك على أنه إشارة مبهمه وقيل خبر لقوله تعالى ومثلهم في الإنجيل على أن الكلام قد تم عند قوله تعالى مثلهم في التوراة وقرى شطاه بفحات وقرى شطاه بفتح ٥٨٠ الطاء وتخفيف الهمزة وشطاه بالمد وشطه بخذف الهمزة ونقل حركاتها إلى ما قبلها وشطوه بقلبها واوا (فأزره) فقواه من الوازرة بمعنى الماعا ونة أو من الأزار وهي الأمانة وقرى أزره بالتخفيف وأزره بالتشديد أي شأزره وقوله تعالى (فاستغلفه) فصار غليظا بعد ما كان رقيقا (فاستوى على سوقه) فاستقام على قصبه جمع ساق وقرى سوقه بالهمزة (يعجب الزراع) بقوته وكشافته وغظله وحسن منظره وهو مثل ضرب به الله عز وجل لأصحابه عليه الصلاة والسلام قلوا

في بده الاسلام ثم كثرا واستحككموا فترقى أمرهم يوما فيوما حيث أعجب الناس ونيل مكتوب في الإنجيل سيخرج قوم ينتون نبات الزرع بأمر من المعروف وينهون عن المنكر وقوله تعالى (ليغيظ بهم الكفار) علة لما يعرب عنه الكلام

عليه السلام أتى وجهه وجهي للذي فطر السموات والأرض ومن يحاذي الشمس يقع شعاعها على وجهه فيبين على وجهه النور مبسطا من الشمس بها نور عارضى يقبل الزوال والله نور السموات والأرض في توجه إلى وجهه يظهر في وجهه نور بهر الانوار (وثانيهما) أن ذلك في الدنيا وفيه وجهان (أحدهما) أن لما أدام الله الجباه بسبب كثرة السجود (والثاني) ما يظهره الله تعالى في وجهه الساجدين للآمن الحسن نهارا وهذا محقق لمن يعقل فإن رجلين يسهران بالليل أحدهما قد اشتغل بالشرب للعب والآخر قد اشتغل بالصلاة والقراءة واستفادة العلم فكل أحد في اليوم الثاني يف في بين الساهر في الشرب واللاعب وبين الساهر في الذكر والشكر * وقوله تعالى (ذلك مثلهم في التوراة) فيه ثلاثة أوجه مذكورة (أحدها) أن يكون ذلك مبتدأ ومثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل خبر الله وقوله تعالى كزرع أخرج شطاه خبر الله مبتدأ محذوف تقديره ومثلهم في التوراة والإنجيل كزرع (وثانيهما) أن يكون خبر ذلك هو قوله مثلهم في التوراة وقوله ومثلهم في الإنجيل مبتدأ وخبره كزرع (وثالثها) أن يكون ذلك إشارة غير معينة أو ضحت بقوله تعالى كزرع كقوله ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وفيه وجه رابع وهو أن يكون ذلك خبر الله مبتدأ محذوف تقديره هذا الظاهر في وجوههم ذلك يقال ظهر في وجهه أثر ضرب فتقول أي والله ذلك أي هذا ذلك الظاهر أو الظاهر الذي تقوله ذلك * وقوله تعالى (ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطاه) فآزره فاستغلف فاستوى سوقه (يعجب الزراع) أي وصغوا في الكتائب به ومثلوا بذلك وانما جعلوا كالزراع لأنه أول ما يخرج يكون ضعيفا وله نمو إلى حد الكمال فكذلك المؤمنون والشطاه الغرض فآزره ويحتمل أن يكون المراد أخرج الشطاه وآزر الشطاه وهو أقوى وأظهر والكلام يتم عند قوله يعجب الزراع * وقوله تعالى (ليغيظهم الكفار) أي تخيبتهم ذلك ليعيظ أو يكون الفعل المعلن هو * وقوله تعالى (وعدا الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي وعد الله عليهم الكفار يقال رغب لانك انعم عليه * وقوله تعالى (منهم مغفرة وأجر أعظيما) لبيان الخس لا التبعض ويحتمل أن يقال هو للتبعض ومعناه ليعيظ الكفار والذين آمنوا من الكفار لهم الأجر العظيم والمغفرة مستقدم مرارا والله تعالى أعلم وههنا لطيفة وهو أنه تعالى قال في حق الزاكين الساجدين أنهم ينتغون فضلا من الله وقال لهم أجز ولم يقل لهم ما يطلبونه من ذلك الفضل وذلك لأنهم من عند العمل لم ينتفع إلى عمله ولم يجعل له اجرا يعتد به فقال لا ينبغي الأفضلاك فإن عملك لا يكون له أجر والله تعالى آتاه ما آتاه من الفضل وسماه أجز الإشارة إلى قبول عمله وقوعه الموقع وعدم كونه عند الله زرا لا يستحق المؤمن عليه أجرا وقد علم بما ذكرنا مرارا أن قوله وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لبيان ترتب المغفرة على الإيمان فإن كل مؤمن يغفر له كما قال تعالى إن الله لا يفر أن يشركه ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء والاجر العظيم على العمل الصالح

من تشبههم بالزراع في زكائهم واستحكامهم وأما بعده من قوله تعالى (وعدا الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات) والله * منهم مغفرة وأجر أعظيما

فان الكفار اذا سمعوا بما اعد للمؤمنين في الآخرة مع ما لهم في الدنيا من آخرة ظاههم ذلك أشد غيظ ومنهم البيان
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ﴿ ٥٨١ ﴾ القح فكان كما كان عن شهد مع رسول الله صلى الله

عليه وسلم قح مكة

﴿ سورة الحرات مدينية

وايها ثمان عشرة آية ﴾ *

بسم الله الرحمن الرحيم

(يا أيها الذين آمنوا)

تصديق الخطاب

بالنداء لتبني المخاطبين

على أن مافي حيزه أمر

خطير يستدعى مز يد

اعتناهم بشأنه وفرط

اهتمامهم بتلقبه

ومراعاته ووصفهم

بالإيمان لتسببهم

والإيمان بانه داع

الى المحافظة عليه

ووازع عن الإخلال به

(لاتقدموا) أى لاتقدموا

التقديم على أن ترك

المفعول المقصد الى

نفس الفعل من غير

اعتبار تعلقه بأمر

من الأمور على طريقة

قوله فلان يعطى ويمنع

أى يفعل الاعطاء

والمنع أو لاتقدموا

أمر من الأمور على

أن حذف المفعول

للقصد الى تعميمه

والاول أو فى مجزئ

المقام لافادته النهى

عن التلبس بنفس

الفعل الموجب لانتفائه

والله أعلم قال المصنف رحمه الله تعالى تم تفسير هذه السورة يوم الخميس السابع عشر
من شهر ذى الحجة سنة ثلاث وستائة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة
والسلام ولحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله
وصحبه أجمعين

(سورة الحرات ثمان عشرة آية مدينية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدي الله ورسوله ولتقوا الله ان الله سميع عليم)
فى بيان حسن الترتيب وجوه (أحدها) ان فى السورة المقدمة للمجرى منهم ميل الى
الامتناع مما أجاز النبي صلى الله عليه وسلم من الصلح وترك آية التسمية والرسالة وأمرهم
بكله التقوى كان رسول الله قال لهم على سبيل العموم لاتقدموا بين يدي الله ورسوله
ولا تتجاوزوا ما أمركم الله تعالى ورسوله (الثانى) هو أن الله تعالى لما بين محل النبي عليه
الصلاة والسلام وعلو درجته بكونه رسوله الذى يظهر دينه وكرامته راجع بالأمم المؤمنين
بقوله رحيمًا قال لاتترسكوا من احترامه شيئًا لا بالفعل ولا بالقول ولا تقفوا برأفه
وانظروا الى رفعة درجته (الثالث) هو أن الله تعالى وصف المؤمنين بكونهم أشداء
ورحاء فمما بينهم راعين ساجدين نظرنا الى جانب الله تعالى وذكرنا لهم من الحرمه عند
الله ما أورثهم حسن النساء فى الكتب المقدمة بقوله ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى
الانجيل فان الملك العظيم لا يدكر أحدًا فى غيبته اذا كان عنده محترما ووعدهم بالاجر
العظيم فقال فى هذه السورة لاتقدموا ما يوجب الخطا ودرجتكم واحباط حسناتكم
ولاتقدموا وقيل فى سبب نزول الآية وجوه قيل نزلت فى صوم يوم اشرك وقيل نزلت
فى التضحية قبل صلاة العيد وقيل نزلت فى ثلاثة قتلوا اثنين من سليم ظنواهما من بنى عامر
وقيل نزلت فى جماعة أكثروا من السؤال وكان قد قدم على النبي صلى الله عليه وسلم
وفود واصحابه ارشاد عام يشمل الكل ومنع مطلق يدخل فيه كل اثبات وتقدم
واستبداد بالأمر وافدام على فعل غير ضرورى من غير مشاورة وفى التفسير مسائل
(المسئلة الاولى) قوله تعالى لاتقدموا يحتل وجهين (أحدهما) أن يكون من التقديم
الذى هو متعد على هذا فقه وجهان (أحدهما) ترك مفعوله برأسه كفى قوله تعالى
يحيى ويميت وقول القائل فلان يعطى ويمنع ولا يريد بهما اعطاء شئ معين ولا منع شئ
معين وانما يريد بهما ازالة منعا واعطاء كذلك ههنا كأنه تعالى يقول لا ينبغي أن
يصدر منكم تقديم أصلا (والثانى) أن يكون المفعول الفعل أو الأمر كأنه يقول
لاتقدموا يعنى لاتقدموا وعلى هذا فهو مجاز ليس المراد هو نفس التقديم بل المراد
لاتجعلوا الانفسكم تقدما عند النبي صلى الله عليه وسلم يقال فلان تقدم من بين الناس

بالكلية المستلزم لانتفاء تعلته بمفعوله بالطريق البرهاني وقد جوز أن يكون التقديم بمعنى

التقدم وحده من الخش للجماعة المقدمة وبعضه قراءة من قرأ لا تقدموا بحذف إحدى التامين من تقدموا
وقرى لا تقدموا من تقدم وقوله تعالى (بين يدي الله) ﴿٥٨٢﴾ (ورسوله) مستعار بما بين الجهتين اسمائتين

ليدى الانسان مجيئا
لما هو عنه والمعنى
لا تقطعوا امر اقبل
أن يحكم به وقيل المراد
بين يدي رسول الله
وذكر الله تعالى لتعظيمه
والايدان بجلالة محله
عنده هز وجل قيل نزل
فيما جرى بين أبي بكر
وعرضي الله عنهما
لدى النبي صلى الله
عليه وسلم في تأمير الأقرع
بن خابس أو القعاقع
بن معبد (واتقوا الله)
في كل ما تأتون وما تذرون
من الأقوال والأفعال
التي من جللتها ما نحن
فيه (إن الله سميع)
لا قولكم (عليم)
يا فضل لكم فمن حقه
أن يتقى ويراقب
(يا أيها الذين آمنوا)
لا ترفعوا أصواتكم
فوق صوت النبي
شروع في النهي
عن التجاوز في كيفية
القول عند النبي عليه
الصلاة والسلام بعد
النهي عن التجاوز
في نفس القول والفعل
وعادة انداء مع قرب
العهد به للبالغة

إذا ارتفع أمره وعلا شأنه والسبب فيه أن من ارتفع يكون متقدما في الدخول في
الأمور العظام وفي الذكر عند ذكر الكرام وعلى هذا تقول سواء جعلناه متبأ ولازما
لا يتعدى إلى ما يتعدى إليه التقديم في قولنا قدمت زيدا قالني واحد لان قوله لا تقدموا
إذا جعلناه متعديا أو لازما لا يتعدى إلى ما يتعدى إليه التقديم في قولنا قدمت زيدا
فتقديره لا تقدموا أنفسكم في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم أي لا تجعلوا لأنفسكم
تقدما ورأيا عنده ولا تقول بأن المراد لا تقدموا أمرا وفعلنا وحيتئذ تعدد القراءتان
في المعنى وهما قراءة من قرأ بفتح الناء والدال وقراءة من قرأ بضم الناء وكسر الدال وقوله
تعالى بين يدي الله ورسوله أي يحضر نهما لأن ما يحضره الإنسان فهو بين يديه وهو ناظر
إليه وهو غضب عينيه وفي قوله بين يدي الله ورسوله فوائده (أحدها) أن قول القائل فلان
بين يدي فلان إشارة إلى كون كل واحد منهما حاضرا عند الآخر مع لاحدهما
علو الشأن والآخر درجة العبيد والغلمان لأن من يجلس يجنب الإنسان يكلفه تغليب
الحذقة البه وتحويل الرأس إليه عند الكلام والامر ومن يجلس بين يديه لا يكلفه ذلك
ولأن اليدن ثلثي من القدرة يقول القائل هو بين يدي فلان أي بقلبه كيف شاء في اشغاله
كما يفعل الإنسان بما يكون موضوعا بين يديه وذلك مما يفيد وجوب الاحترار من
التقدم وتقديم النفس لأن من يكون كمنع بقلبه الإنسان يديه كيف يكون له عنده
التقدم (وثانها) ذكر الله إشارة إلى وجوب احترام الرسول عليه الصلاة والسلام
والانقياد لأوامره وذلك لأن احترام الرسول صلى الله عليه وسلم قد يترك على بعد الرسل
وعدم اطلاعه على ما يفعل برسوله فقال بين يدي الله أي أتم بحضرة من الله تعالى وهو
ناظر إليكم وفي مثل هذه الحالة يجب احترام رسوله (وثالثها) هو أن هذه العبارة كما تقر
النهي المتقدم تقر معنى الامر المتأخر وهو قوله واتقوا لأن من يكون بين يدي الغير
كالمنع الموضوع بين يديه يفعل به ما يشاء بكون جديرا بأن يتقيه وقوله تعالى واتقوا الله
يحتمل أن يكون ذلك عطفًا بوجوب مغيرة مثل المغيرة التي في قول القائل لانتم واشغل
أي فائدة ذلك النهي هو ما في هذا الامر وليس المطلوب به ترك النوم كيف كان بل المطلوب
بذلك الانشغال فكذلك لا تقدموا أنفسكم ولا تقدموا على وجه التقوى ويحتمل أن
يكون بينهما مغيرة أتم من ذلك وهي التي في قول القائل احترم زيدا واخدمه أي اثبت
بالح احترام وكذلك ههنا معناه لا تقدموا عنده وإذا تركتم التقدم فلا شكوا
على ذلك فلا تنتفعوا بل مع انكم قائمون بذلك محترمون له اتقوا الله واخشوه والا
لم تكونوا أنتم بواجب الاحترام وقوله تعالى إن الله سميع عليم يؤكد ما تقدم لانهم قالوا
آمننا لأن الخطأ في فهم بقوله يا أيها الذين آمنوا قد يسمع قولهم ويعلم فعلهم وما في
فلو يسمع من التسوية والحيانة فلا ينبغي أن يختلف قولكم وفعلكم وضير فليكن بل ينبغي
أنتم ما في سماعه من قولكم آمنوا وسعنا وأطعنا وما في علمه من فعلكم الطاهر وهو عدم

في الإيقاظ والتبنيء والاعتراف باستدعاء الاعتناء بشانه أي لا تبلغوا بأصواتكم ﴿٥٨٣﴾ (تقدم)
وراء أحد يلغى عليه الصلاة والسلام بصوته وقرى لا ترفعوا بأصواتكم على أن الباء زائدة (ولا تنجهروا له)

بالقول) اذا كلموه (الجهر بعضهم لبعض) أي بجهرها كأنها كالجهر الجاري فيما بينهم بل اجعلوا صوتكم أخفض من
صوته نداء الصلاة والسلام ونهضوا ﴿ ٥٨٣ ﴾ في مخاطبة الذين اقربتم من الهمس كما هو الدأب عند مخاطبة

المهيب المعظم وحافوا
على مراعاة أهمية النبوة
وجلاله مقدارها وقيل
معنى لا تجهره والبالقول
تجهر بعضهم لبعض
لا تقوا والله يا محمد يا حذ
وخاطبوه بالنبوة قال
ابن عباس رضى الله
عنهما لما نزلت هذه الآية
قال أبو بكر يا رسول الله
والله لأكلك إلا الممرار
أو أخا السرار حتى أتى
الله تعالى وعن عمر
رضي الله عنه أنه كان
يكلمه عليه الصلاة
والسلام كالخى السرار
لا يسمعه حتى يستفهمه
وكان أبو بكر رضى الله
عنه اذا قدم على
رسول الله صلى الله
صلى الله عليه وسلم
الوفود أُرسل إليهم
من يعلمهم كيف يستلمون
ويأمرهم بالسكينة
والوقار عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم
وقوله تعالى (أن تحبط
أعمالكم) أعاقلكم) أي لا تجهر
أن تحبط أو كراهة أن
تجهد كما في قوله تعالى
يبين الله لكم أن تضلوا

التقدم وما في قلوبكم من الضمائر وهو التقوى * ثم قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا
لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضهم لبعض أن تحبط
أعمالكم وأنتم لا تشعرون) لا تقدموا نهى عن فعل يئى عن كونهم جاعلين لانفسهم عند
الله وسوله بالنسبة اليهما وزنا ومقدارا ومدخلا في أمر من أوامرهما وبنواهما وقوله
لا ترفعوا نهى عن قول يئى عن ذلك الأمر لأن من رفع صوته عند غيره يجعل لنفسه
اعتبارا زائدا وعظمة وفيه مباحث (البحث الاول) ما الفائدة في إعادة النداء وما هذا
النمط من الكلامين على قول القائل يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله لا ترفعوا
أصواتكم نقول في إعادة النداء فوائد خمسة منها أن يكون في ذلك بيان زيادة الشفقة
على المسترشد كما في قول لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله يا بني انها إن تك مثقال حبة
يا بني ألم الصلاة لان النداء لتبني المنادى ليقبل على استماع الكلام ويجعل باله منه
فأعادته تعيد ذلك ومنها أن لا يتوهم متوهم ان المخاطب ثانيا غير المخاطب أولا فان من
الجار أن يقول القائل يا زيد فاعمل كذا وقل كذا يا عرو فاذا أعاده مرة أخرى وقال يا زيد
قل كذا يعلم من أول الكلام انه هو المخاطب ثانيا أيضا ومنها ان يعلم ان كل واحد من
الكلامين مقصود ليس الثاني تأكيذا للاول كما تقول يا زيد لا تنطق ولا تكلم بالحق
فانه لا يحسن أن يقال يا زيد لا تنطق يا زيد لا تكلم كما يحسن عند اختلاف المطلوبين
وقوله تعالى لا ترفعوا أصواتكم يتحمل وجوها (أحدها) أن يكون المراد حقيقة وذلك
لان رفع الصوت دليل قلة الاحترام وترك الاحترام وهذا من مسئلة حكيمة وهي ان
الصوت بالخارج ومن خشي قلبه ارتجف وتضعف حركته الدافعة فلا يخرج منه
الصوت بقوة ومن يخف ثب قلبه وقوى فرفع الهواء داليل عدم الخشية (ثانيها) أن
يكون المراد المنع من كثرة الكلام لان من كثر الكلام يكون متكلماً عند سكوت الغير
فيكون في وقت سكوت الغير أصوته ارتفاع وان كان خائفا اذا نظرت الى حال غيره فلا
ينبغي أن يكون لاحد عند النبي صلى الله عليه وسلم كلام كثير بالنسبة الى كلام النبي صلى الله
عليه وسلم لان النبي عليه الصلاة والسلام مبلغ فالتكلم عنده ان أراد الاخبار
لا يجوز وان استخبر النبي عليه السلام عما وجب عليه البيان فهو لا يسكت عما يسأل
وان لم يسأل ور ما يكون في السؤال حديدة رد جواب لا يسهل على المكلف الاثبات به
فبقى في ورطة العقاب (ثالثها) أن يكون المراد رفع الكلام بالعظيم أي لا تجملوا
لكلامكم ارتفاعا على كلام النبي صلى الله عليه وسلم في الخطاب كما يقول القائل اغيره
أمرتك مرارا بكذا عند ما يقول له صاحبه مرني بأمر مثله فيكون أحد الكلامين أعلى
وأرفع من الآخر والاول أصح والكل يدخل في حكم المراد لان المنع من رفع الصوت
لا يكره الا الاحترام واطهار الاحتشام ومن بلغ احترامه الى حيث تخفض الاصوات

أولمنه أي لا تجهره واجل الجيوب فان الجهر حيث كان يصعد الاداء الى الجيوب فكانه فعل لاجله على طريقة
التشابه له تعالى لكم لصدعوا محذرا لا ادع

نهي عنه من الرفع والجهر ما يقارنه الاستخفاف والاستهانة فان ذلك كفر بل ما يتوهم أن يؤدي اليه مما يحرم بينهم في أثناء
المحاربة من الرفع والجهر حسبما عرّف عنه قوله تعالى كجهر بعضهم ٥٨٤ ﴿ بعض خلا أن رفع الصوت فوق

عنده من هيئته وعلو مرتبته لا يكثر عنده الكلام ولا يرجع المنكلم معه في الخطاب وقوله
تعالى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضهم بعض فيه فوائد (أحداها) أن الأول حصل
المنع من أن يعمل الإنسان كلامه أو يصوته أعلى من كلام النبي صلى الله عليه وسلم
وصوته ولقائل أن يقول فامتنعت من المساواة فقال تعالى ولا تجهروا له كالتجهرون
لأقرانكم ونظر أنكم بل اجعلوا كنهه عليا (والثانية) أن هذا أفاد أنه لا ينبغي أن يتكلم
المؤمن عند النبي عليه السلام كالتكلم العبد عند سيده لأن العبد داخل تحت قوله
كجهر بعضهم بعض لأنه لا يرفع صوته للعلو فلا ينبغي أن يجهر المؤمن للنبي صلى الله عليه وسلم كما
يجهر العبد للسيد والألكن قد جهر له كالتجهر بعضهم بعض لا يقال المفهوم من هذا
الخطأ أن لا تجعلوا له كالتفوق بينكم بل بمنزلة أن لا تجهروا عنده أبدا وفيما بينكم
لا تحافضون على الاحترام لأننا نقول ما ذكرنا أقرب إلى الحقيقة وفيه ما ذكرتم من المعنى
وزيادة وهو ما ذكرنا قوله تعالى النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم والسيد ليس أولى
عند عبده من نفسه حتى لو كانا في محبة ووجد العبد ماله لم يأكله مات لا يجب عليه
بذله لسيدته ويجب البذل للنبي صلى الله عليه وسلم وأولم العبد أن يموت فيجواسيده لا يلزمه
أن يلقى نفسه في التهلكة لأنجاء سيده ويجب لانجاء النبي عليه الصلاة والسلام وقد
ذكرنا حقيقة عند تفسير الآية وإن الحكمة تقتضي ذلك كما أن العضو الرأس أولى
بالرعاية من غيره لأن عند خلل القلب مثلا لا ينجى للبدن والرجلين استقامة فلو حفظ
الإنسان نفسه وترك النبي عليه الصلاة والسلام لهلاك هو أيضا بخلاف العبد والسيد
(الفائدة الثالثة) أن قوله تعالى لا ترفعوا أصواتكم لما سكن من جنس لا تجهروا
لم يستأنف النداء ولما كان هو يخالف التقدم لكون أحدهما فعلا والآخر قولا
استأنف كافي قول نعمان يابني لا تشرك وقوله يابني أم الصلاة لكون الأول من عمل القلب
والثاني من عمل الجوارح وقوله يابني أم الصلاة وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر من
غير استئناف النداء لكون الكل من عمل الجوارح واعلم أنا أن قلنا المراد من قوله
لا ترفعوا أصواتكم أي لا تكثروا الكلام فقوله ولا تجهروا يكون محازا عن الاتيان
بالكلام عند النبي صلى الله عليه وسلم بقدر ما يؤمن به عند غيره أي لا تكثروا وقلاو غايه
التقليل وكذلك أن قلنا المراد بالرفع الخطاب فلما أراد بقوله لا تجهروا أي لا تخاطبوه كما
تخاطبون غيره وقوله تعالى أن تحبط أعمالكم فيه وجهان مشهوران (أحدهما) ألا
تحبط (والثاني) كراهة أن تحبط وقد ذكرنا ذلك في قوله تعالى يبين الله لكم أن تضلوا
وأشأله ويحتمل ههنا وجه آخر وهو أن يقال معناه واتقوا الله واجتنبوا أن تحبط
أعمالكم والدليل على هذا أن الضمائر لم يكن منه بد فادل عليه الكلام الذي هو فيه
أولاً أن يضمر الأمر بالتقوى قد سبق في قوله تعالى واتقوا وأما المعنى فنقول قوله أن
تحبط إشارة إلى أنكم أن رفعتم أصواتكم وتقدمتكم تمكن منكم هذه الرذائل وتؤدي

صوته عليه الصلاة
والسلام لما كان منكرا
تحضاما بقيد شيء ولا
ما يقع منهما في حرب أو
تجاذلة ما نداء وأرهاب
تعدوا ونحو ذلك وعن
ابن عباس رضي الله
عنهما نزلت في نابت بن
قيس بن شماس وكان
في ذنقه وقر وكان جهوري
الصوت وربما كان
يكلم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيأذى
بصوته وعن أنس
رضي الله عنه أنه لما نزلت
الآية فقد ثابت وتفقده
عليه الصلاة والسلام
فأخبر بشأنه فدعاه
فسأله فقال يا رسول الله
نقد أنزلت إليك هذه
الآية وإني رجل جهمير
الصوت فأخاف أن
يكون علي قد حبط فقال
له عليه الصلاة والسلام
لست هناك أنك تعيس
بخير وتموت بخير وأما
من أهل الجنة وأما ما
يروي عن الحسن من
أنها نزلت في بعض
المنافقين الذين كانوا
يرفعون أصواتهم فوق
صوته عليه الصلاة

والسلام وقد قيل محمله أن نهيه مندرج تحت نهى المؤمنين بدلالة النص (وأتم لا شعرون) حال ﴿ إلى
من فاعل تحبط أي والجمال أنكم لا تشعرون بحبوطها وفيه من يد تحذير مما نهى عنه وقوله تعالى

(ان الذين يعضون أصواتهم عند رسول الله) الخ ٥٨٥ ﴿ ترغب في الاتماع عنهم واثمة بعد الترهيب عن الاخلال به

أى يخفضونهم امرأاة

الادب أو شدة

مخالفة انتهى ذاك

اشارة الى الموصوب

باعتبار انصافه بما في

خير الصلة وما يقدم من

معنى البعد مع قرب

العهد بالاشارة الى المامر

مراراً من تقويم شأنه

وهو مبتدأ خبره (الذين

اتقن الله قلوبهم

للتقوى) أى جربها

للتقوى ومرمرها عليها

أو عرفها كاشفة للتقوى

خاصة لها فان الامتحان

سبب المعرفة والام صلة

للمحذوف وللفعل باعتبار

الاصل أو ضرب قلوبهم

بضروب المحن والتكاليف

الشاقة لاجل التقوى

فانها لا تظهر إلا بالاصطبار

عليها أو اخلصم للتقوى

من امتحن الذهب اذا

أذابه وميزا برز من

خبثه وعن عمر رضى الله

عنه اذهب عنها الشوائب

(لهم) فى الآخرة

(مقفرة) عظيمة لتقوهم

(وأجر عظيم) لا يفار

قدره والجملة اما خبر

آخر لان الجملة المصدرة

باسم الاشارة أو استئناف

الى الاستعانة وان يفضى الى الانفراد والارتداد المحبط وقوله تعالى وأنتم لاتشعرون

اشار الى ان الردة تمكن من النفس بحيث لا يشعر الانسان فان من ارتكب ذنباً

لم يرتكبه فى عمره تراه نادماً غاية الندامة خائفاً غاية الخوف فاذا ارتكبه مراراً يقل

الخوف والندامة ويصير عادة من حيث لا يعلم انه لا يتمكن وهذا كان للتمكن فى المرة

الاولى أو الثالثة أو الثالثة أو غيرها وهذا كان من بلغ حد التواتر يحصل اليقين ويمكن الاستعداد

للمرة الاولى فاذا تكرر عليه ذلك وبلغ حد التواتر يحصل اليقين ويمكن الاستعداد

ولا يدري متى كان ذلك وعند أى خبر حصل هذا اليقين فقولهم وأنتم لاتشعرون تأكيد

للمنع أى لاتقولوا بأن المرة الواحدة تعنى ولا توجب ردة لان الامر غير معلوم فاحسبوا

الباب وفيه بيان آخروهم وان المكلف اذا لم يحترم النبي صلى الله عليه وسلم ويجعل نفسه

مثله فيما أتى به بناء على امره يكون كإتائى به بناء على أمر نفسه ليكون ما أمر به النفس

لا يوجب الثواب وهو محبط حابط كذلك ما أتى به بغير أمر النبي صلى الله عليه وسلم حيث

حابط بمحبط والله أعلم وأعلم أن الله تعالى لما أمر المؤمنين باحترام النبي صلى الله عليه وسلم

وأكرامه وتقدمه على أنفسهم وعلى كل من خلقه الله تعالى أمر نبيه عليه السلام بالراقة

والرحمة وان يكون أرفأ بهم من الوالد إكافاً واخفض جناحك للعومنين وقال تعالى

واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم وقال ولا تكن كصاحب الحوت الى غير ذلك لئلا

تكون خدمته خادمة الجبارين الذين يستعبدون الاحرار بالقهر فيكون اعبادهم لوجه

الله ثم قال تعالى (ان الذين يعضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله

قلوبهم للتقوى) وفيه الحث على ما أرشدهم اليه من وجهين (أحدهما) ظاهر لكل أحد

وذلك فى قوله تعالى امتحن الله قلوبهم للتقوى وبيانه هو ان من يقسم نفسه ويرفع صوته

يريد اكرام نفسه واحترام شخصه فقال تعالى ترك هذا الاحترام يحصل به حقيقة الاحترام

وبالاضراض عن هذا الاكرام يكمل الاكرام لان به تثبيت تقواكم وان أكرمكم عند الله

اتقاكم ومن القبح ان يدخل الانسان حراماً فيخبر نفسه فيه منصباً ويقوت بسببه

منصبه عند السلطان ويعظم نفسه فى الخلاه والمستراح وبسببه يهون فى الجمع العظيم

وقوله تعالى امتحن الله قلوبهم للتقوى فيه وجوه (أحدها) امتحنها العلم منها التقوى فان

من يعظم واحداً من ابناء جنسه لكونه رسول مرسل يكون تعظيمه المرسل اعظم وخوفه

منه أقوى وهذا كافى قوله تعالى ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب أى تعظيم

أوامر الله من تقوى الله فكذلك تعظيم رسول الله من تقواه (الثاني) امتحن أى علم

وعرف لان الامتحان تعرف الشئ فيجوز استعماله فى معناه وعلى هذا فالام يتعلق بمحذوف

تقديره عرف الله قلوبهم صالحة أى كاشفة للتقوى كإيقول القائل أنت لكذا أى صالح

أو كان (الثالث) امتحن أى اخلص يقال للذهب ممحن أى يخلص فى النار وهذه الوجوه

كلها مذكورة ويحتمل أن يقال معناه امتحنها للتقوى اللام للتعليل وهو محتمل وجهين

ليان جزأهم ايجاد الحالهم ٧٤ سا وتعريضاً بسوئال من ليس مثلهم (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات)

أى من خارجها من خلفها أو قدامها

ومن ابتدائية ذالتهلى أن الندادة نشأت من جهة المراءى ٥٨٦ وان المنادى داخل الحجر لوجوب اختلاف

(أحدهما) أن يكون تعليلا يجري مجرى بيان السبب المتقدم كما يقول القائل جئتكم
لأكرامكم أمس أى صار ذلك السابق سبب المجئ (وثانيها) أن يكون تعليلا يجري مجرى
بيان غاية المقصود المتوقع الذى يكون لاحقا لاسبقا كما يقول القائل جئتكم لاداء
الواجب فان قلنا بالذول فحقيقه هو ان الله علم ما فى قلوبهم من تقوا وامتنع قلوبهم
للقوى التى كانت فيها ولولان قلوبهم كانت لوفى من التقوى لما أمرهم بتعظيم رسوله
وتقديم نبيه على أنفسهم بل كان يقول لهم آمنوا برسولى ولا تؤذوه ولا تكذبوا به فان
الكافر أول ما يؤمن يؤمن بالاعتراف بكون النبي صلى الله عليه وسلم صادقا وبين من
قيل له لا تستهزئ برسول الله ولا تكذب به ولا تؤذيه وبين من قيل له لا ترفع صوتك عنده
ولا تجعل نفسك وزنا بين يديه ولا تجهر بكلامك الصادق بين يديه بون عظيم واعلم ان بقدر
تقديمك للنبي عليه الصلاة والسلام على نفسك فى الدنيا يكون تقديمك للنبي عليه الصلاة
والسلام اياك فى العقبى فانه لا يدخل أحد الجنة ما لم يدخل الله أمته المتقين الجنة وان قلنا
بالثاني فحقيقه هو ان الله تعالى امتحن قلوبهم بمعرفته ومعرفة رسوله بالتقوى أى ليرزقهم
الله التقوى التى هى حق الثقة وهى التى لا تخشى مع خشية الله أحدا فترأى أمتا من كل
مخيف لا يخاف فى الدنيا بخسا ولا يخاف فى الآخرة نخسا والناظر العاقل اذا علم ان
بالخوف من السلطان بأمن جور العلمان ويتجنب الاراذل ينجو من رأس السلطان
فيجعل خوف السلطان جنة فكذلك العالم لو آمن من النظر لعل ان بخشية الله النجاة فى
الدارين وبالخوف من غيره الهلاك فيهما فيجعل خشية الله جنة التى يجرس بها نفسه
فى الدنيا والآخرة ثم قال تعالى (لهم مغفرة وأجر عظيم) وقد ذكرنا ان المغفرة ازالة
السببات التى هى فى الدنيا لازمة للنفس والاجر العظيم اشارة الى الحياة التى هى بعد
مفارقة الدنيا عن النفس فيزيل الله عنه الفاني الجسمية و يلبسه المحاسن الملكية ثم قال
تعالى (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون) بيان الحسالى من كان
فى مقابلة من تقدم فان الاول غرض صوته والآخر رفعه وفيه اشارة الى انه ترك لادب
الحضور بين يديه وعرض الحاجة عليه واما قول القائل للعالم يا فلان من سوء الادب كان
قلت كل أحد يقول يا الله مع ان الله أكبر يقول النداء على قسمين (أحدهما) تنبيه
المنادى (وثانيهما) لاظهار حاجة المنادى (مثال الاول) قول القائل لرفيقه أو غلامه
يا فلان (ومثال الثاني) قول القائل فى الندبة يا أمير المؤمنين أو يا زيدا والقائل ان يقول ان
كان زيد بالمشرق لا تنبيه فانه محال فكيف يتاديه وهو ميت فنقول قولنا يا الله لاظهار
حاجة النفس لا تنبيه المنادى وانما كان فى النداء الامر ان جميعا لان المنادى لا يتادى
الاحاجة فى نفسه يعرضها ولا يتادى فى الأكثر الامم منها أو غلاما فحصل فى النداء
الامر ان يتادى وهم كان للتنبيه وهو سوء ادب واما قول أحدنا الكبير يا سيدى ويا مولائى
فهو جار مجرى الوصف والاخبار (الثاني) النداء من وراء الحجرات فان من يتادى غيره

المبدأ والتبهي بحسب
الجهة بخلاف ما قيل
ينادونك وراء الحجرات
وقرى الحجرات بفتح
الجيم ويسكونها ولا تنها
جمع حجرة وهى القطعة
من الارض المحجورة
بالجائط والنالك يقال
لحظيرة الابل حجرة وهى
قطعة من الحجر بمعنى
مفعول كالفرقة والقبضة
والمراد بها حجرات أمهات
المؤمنين ومناداتهم من
ورائها ما بأنهم أتوها
حجرة حجرة فنادوه عليه
الصلاة والسلام من
ورائها أو بأنهم تفرقوا
على الحجرات متطلبين له
عليه الصلاة والسلام
فناداه بعض من وراء
هذه وبعض من وراء
تلك فاستدفع الابعاض
الى الكل وقد جوز أن
يكونوا قد نادوه من وراء
الحجرة التى كان عليه
الصلاة والسلام فيها
ولكنها جمعت اجلالا
عليه الصلاة والسلام
وقيل ان الذى ناداه
صيته بن حصن انفرادى
والآخر ابن حابس
وقد اعلى رسول الله

صلى الله عليه وسلم فى سبعين رجلا من بني تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقام لا يمشد اخرج البنا وانما أسند ولا

التداء الى الكل لانهم رضوا بذلك ٥٨٧ أو امر وابه وألانه وجد فيما بينهم (أكثرهم لابعقلون) اذ لو كان لهم

ولا حائل بينهما لا يكلفه المشي والحج بل يجيبه من مكانه ويكلمه ولا يطلب المنادى
الاتفات المنادى اليه ومن ينادى غيره من وراء الحائل فيكفيه بريد منه حضوره كمن
ينادي صاحب البستان من خارج البستان (الثالث) قوله الحجرات اشارة الى كون
النبي صلى الله عليه وسلم في ذلته التي لا يحسن في الادب اتيان المحتاج اليه في حاجته في
ذلك الوقت بل الاحسن التأخير وان كان في ورطة الحاجة وقوله تعالى أكثرهم لابعقلون
فيه بيان المعايير بقدر ما في سوء أدبهم من القبايح وذلك لان الكلام من خواص
الانسان وهو أعلى مرتبة من غيره وليس ان دونه كلام لكن التداء في المعنى كالنبيه وقد
يحصل بصوت بضرب شئ على شئ وفي الحيوانات العجم ما يظهر لكل أحد كالتداء فان
الشاة تصبح وتطلب ولدها وكذلك غيرها من الحيوانات والسحرة كذلك فكان التداء
حصل في المعنى لغير الآدمي فقال الله تعالى في حقهم أكثرهم لابعقلون يعني التداء الصادر
منهم لما يمكن معرفته بحسن الادب كانوا فيه خارجين من درجة من يعقل وكان نداؤهم
كصباح صدر من بعض الحيوان وقوله تعالى أكثرهم فيه وجهان (أحدهما) ان العرب
تذكر الأكثر وتريد الكل وانما أتى بالاكثر احترازا عن الكذب واحتياطاً في الكلام لان
الكذب مما يحبط به عمل الانسان في بعض الاشياء فيقول الاكثرو في اعتقاده الكل ثم
ان الله تعالى مع احاطة علمه بالامور أتى بما يناسب كلامهم وفيه اشارة الى لطيفة وهي ان
الله تعالى يقول انما مع احاطة علمي بكل شئ تجرت على عاداتكم استخساناً لتلك العادة وهي
الاحتراز عن الكذب فلا تتركوها واجعلوا اختياري ذلك في كلامي دليلاً قاطعاً على
رضائي بذلك (وثانيهما) ان يكون المراد انهم في أكثر أحوالهم لابعقلون وتحقق هذا هو
ان الانسان اذا اعتبر مع وصف ثم اعتبر مع وصف آخر يكون المجموع الاول غير المجموع
الثاني مثاله الانسان يكون جاهلاً وفقيراً فيصير عالماً وغنياً فيقال في العرف زيد ليس هو
الذي رأيته من قبل بل الآن على أحسن حال فيجمله كأنه ليس ذلك اشارة الى ما ذكرنا اذا علم
هذاهم في بعض الاحوال اذا اعتبرتهم مع تلك الحالة مغايرون لانفسهم اذا اعتبرتهم
مع غيرهما فقال تعالى أكثرهم اشارة الى ما ذكرناه وفيه وجه ثالث وهو ان يقال لعل منهم
من رجع عن تلك الاحوال ومنهم من استمر على تلك العادة الرديئة فقال أكثرهم اخراجا لمن
ندم منهم عنهم ثم قال تعالى (ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم) اشارة الى
حسن الادب الذي على خلاف ما أتوا به من سوء الادب فانهم لو صبروا لمسا احتاجوا
الى التداء واذا كنت تخرج اليهم فلا يصح اتيانهم في وقت اختلافك بنفسك أو
بأهلك أو بربك فان لنفس حقاً وللأهل حقاً وقوله تعالى لكان خيرا لهم فيحمل وجهين
(أحدهما) أن يكون المراد ان ذلك هو الحسن والخير كقوله تعالى خير مستقراً (وثانيهما)
ان يكون المراد هو ان يأنه وعدم الصبر يستفيدون تحييز الشغل ودفع الحاجة في الحال
وهو مطلوب ولكن المحافظة على حرمة النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه خير من ذلك لانها

عقل لما احتجسروا على
هذه المرتبة من سوء
الادب (ولو أنهم صبروا
حتى تخرج اليهم) أي
ولو تحققت صبرهم
وانتظارهم حتى تخرج
اليهم فان أن وان دلت
بما في خبرها على المصدر
انكسرها تعيد بنفسها
التحقق والشبهة للفرق
الذين بين قولك بلغني
قيامك وبلغني أنك قائم
وحتى تفيد أن الصبر
ينبغي أن يكون مغيباً
بجوجه عليه الصلاة
والسلام فانها مختصة
بما هو غاية الشئ في نفسه
ولذلك تقول أكلت
السمكة حتى رأسها
ولا تقول حتى نصفها
أو ثلثها بخلاف ألف
فانها عامة وفي اليهم
استمرار بأنه لو خرج
لاجلهم ينبغي أن
يصبروا حتى يفتاحهم
بالكلام أو يتوجه
اليهم (لكان) أي
الصبر المذكور
(خيرا لهم) من الاستجمال
لما فيه من رغبة حسن
الادب وتعظيم الرسول
الموجبين للشأن والشواب

والاسعاف بالسؤل اذ روى أنهم وفدوا شافعين في أسارى بني العنبر فاطلق النصف وقادى النصف (والله غفور رحيم)

يُجِيعُ الْعَمْرُؤُا وَزَجَّتْ أَسْفُهُا فَمَنْ لِي ذِي نَصِيقٍ إِخْتَصِمَا عَنْ هَؤُلَاءِ اَنْ * ٥٨٩ ﴿ تَابُوا وَاَصْلَحُوا ﴾ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

ان جاءكم فاسق بلساً
فتبينوا) أى تعرفوا
وتتقصروا روى أنه
عليه الصلاة والسلام
بعث الوليد بن عقبة
أخا عثمان رضى الله عنه
إليه مصداقاً لى بنى
المصطفى وكان بينه
وبينهم احبة فلما سمعوا
به اسبقواوه فحسب أنهم
مقاتلوه فرجع وقال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد ارتدوا
ومنعوا الزكاة فهم
عليها الصلاة والسلام
بقتالهم فغزات وقيل
بعث إليهم خالد بن
الوليد فوجدهم منادين
بالصلاة منهجدين
فسلموا إليه المصداق
فرجع وفي ترتيب الامر
بالتين على فسق الخبير
إشارة الى قبول خبر
الواحد العدل فى بعض
الموارد وقرئ فتبينوا
أى توفقوا الى أن تبين
لكم حال (ان تصيبيوا)
حذاران تصيبيوا (قوما
يجهالة) ملتبسين
يجهالهم (فتصحبوا)
بعد ظهور رآتهم
فما أشد البهم) على

تدفع الحاجة الأصلية التي في الآخرة وطابعت الدنيا فضلية والمرفوع الذي يقتضيه كلفه كان اما الصبر وتقديره اوانهم صبروا لكان الصبر خيرا وانخرج من غير نداهم وتقديره لو صبروا حتى تخرج اليهم لكان خروجك من غير نداهم خيرا اليهم وذلك مناسب للحكاية لانهم طالبوا خروجه عليه الصلاة والسلام ليأخذوا ذرارهم فخرج واعتق نصفهم واخذوا نصفهم واوصى لكان يعنى كلهم والاول اوسع ثم قال تعالى (والله غفور رحيم) تحفيضا الامر من (أحدهما) لئلا يصيبهم في التجمل فان الانسان اذا أتى بفتح ولا يعاقبه الملك أو السيد يقال ما أحلم سيده لايبيان حلمه بل ايان عظيم جنابه اعبد (وثانيهما) لحسن الصبر يعنى بسبب اتيانهم وهو خير يغفر الله لهم سيئاتهم ويجعل هذه الحسنة كفارة لكثير من السيئات كما يقال للاتباع اذا رجع الى باب سيده أحسنتم في رجوعكم وسيدك رحيم أى لا يعاقبك على ما تقدم من ذنبك بسبب ما أتيت به من الحسنة ويمكن أن يقال بان ذلك حدث للنبي صلى الله عليه وسلم على الصفيح وقوله تعالى أكثرهم لا يعقلون كالغدر لهم وقد ذكرنا ان الله تعالى ذكر في بعض المواضع التفرغ قبل الرحمة كما في هذه السورة وذكر الرحمة قبل المغفرة في سورة سبأ في قوله وهو الرحمن الغفور رحيم قال غفور رحيم أى يغفر سيئاته ثم ينظر اليه فيراه عاريا محتاجا فيجده ولبسه لباس النكرامة وقد يراه مغفورا في السيئات فيغفر سيئاته ثم يرجعه بعد المغفرة فارة تنع الاشارة الى الرحمة التي بعد المغفرة فيقدم المغفرة وتارة تنع الرحمة قبل المغفرة فيؤخرها ولما كانت الرحمة واسمة توجب قبل المغفرة وبعدها ذكرها قبلها وبعدها ثم قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصيبوا على ما فعتكم نادمين) هذه السورة فيها ارشاد المؤمنين الى مكارم الاخلاق وهي امامهم الله تعالى أو مع الرسول صلى الله عليه وسلم أو مع غيرهما من ابناء الجنس وهم على صفتين لانهم اما أن يكونوا على طريق المومنين وداخلين في رتبة الطاعة أو خارجا عنها وهو الفاسق والداخل في طاعتهم السالك لطاربتهم اما أن يكون حاضر عندهم أو غائبا عنهم فهذه خمسة أقسام (أحدها) يتعلق بجناب الله (وثانيها) بجناب الرسول (وثالثها) بجناب الفاسق (ورابعها) بالؤمن من الحاضر (خامسها) بالؤمن من الغائب فذكر الله تعالى في هذه السورة خمس مرات أيها الذين آمنوا وأرشد في كل مرة الى مكرمة مع قسم من الاقسام الخمسة فقال أولا يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله وذكر الرسول كان لبيان طساعة الله لانها لا تقبل الا بقول رسول الله وقال ثانيا يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي لبيان وجوب احترام النبي صلى الله عليه وسلم وقال ثالثا يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ لبيان وجوب الاحتراز عن الاعتماد على أقوالهم فالهم يريدون الفقه بينكم بين ذلك عند تفسير قوله وإن اتفقتان من المؤمنين اقتتلوا وقال رابعا يا أيها الذين آمنوا لا يمسر قوم من قوم وقال رابعا وتنازروا لبيان وجوب ترك ابناء المؤمنين في حضورهم

ما فاتهم (في حقهم) ناديين (معتين) بما اقامتهم انهم لم يقع فان تركب هذه الاحرف الثلاثة يدومع ثو والازدراء
الدوام (واعلموا ان فيكم رسول الله)

أن بما في جميعها ساد مسدود على اعلموا ٥٨٩ بحكم باعتبار ما بعده من قوله تعالى (لو يطيعكم في كثير من

الأمر اطيعتم) فانه حال
من أخذ الضعيرين
في فيكم والمعنى أن فيكم
رسول الله كأنه على حالة
يجب عليكم تقيدها
أو كائنين على حالة الخ
وهي أنكم تريدون
أن يتبع عليه الصلاة
والسلام رأيكم في كثير
من الحوادث ولو فعل
ذلك أوفعتم في الجهد
والهلاك وفيه الميزان
بأن بعضهم زينوا
لرسول الله صلى الله عليه
وسلم الإقضاع بدنى
المصطاق تصديقا
لقول الوليد وأنه عليه
الصلاة والسلام لم يطع
رأيهم وأما صيغة
المضارع فقد قيل انها
للدلالة على أن امتناع
عنهم لامتناع استمرار
طاعته عليه الصلاة
والسلام لهم لان عنهم
انما يلزم من استمرار
الطاعة فيما بين لهم
من الامور اذ فيه اختلال
أمر الابلية وانقلاب
الرئيس مرؤسا لامن
اطاعته في بعض ما يرويه
نادرا بل فيها استمالهم
بلا معرفة وقيل انها

والا زدرا بها انهم ومنصهم وقال خامسا أي الذين آمنوا اختاروا كثيرا من الظن ان بعض
الظن اثم وقال ولا تجسوا وقال ولا يعتب بعضكم بعضا لبيان وجوب الاحتراز من اهانة
جانب المؤمن من حال غيبته وذكر ما لو كان حاضرا لأذى وهو في غاية الحسن من الترتيب فان
قيل لم يذكر المؤمن قبل الفاسق لتكون المراتب متدرجة الابتداء بالله ورسوله ثم المؤمن
الحاضر ثم يأتى من الغائب ثم الفاسق يقول قدم الله ما هو الا هم على ما دونه فقد كر جانب
الله ثم ذكر جانب الرسول ثم ذكر ما يغضى الى الافتتال بين ملوانك المسلمين بسبب الاصغاء
الى كلام الفاسق والاعتماد عليه فانه يذكر كل ما كل أشد نفاقا لصدور وأما المؤمن
الحاضر وأما الغائب فلا يورثي المؤمن الى حديفضى الى القاتل الا ترى أن الله تعالى ذكر
عقيب نبأ الفاسق آية الافتتال فقال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وفي التفسير مسائل
(المسئلة الاولى) في سبب نزول هذه الآية هو ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث الوليد بن عتبة
وهو أخو عثمان لأمه الى بنى المصطلق والبا ومصدقا فالتقوه فقتلهم مقاتلين فرجع الى
النبي صلى الله عليه وسلم وقال انهم امتنعوا ومنعوا ففهم الرسول صلى الله عليه وسلم
بالإيقاع بهم فتركت هذه الآية وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بانهم لم يفعلوا من ذلك شيئا
وهنا جسدان قالوا بان الآية نزلت في ذلك الوقت وأما ان قالوا بأنها نزلت لذلك مقتصر
عليه ومتعديا الى غيره فلا بل يقول هو نزول عاما لبيان اثبت وترك الاعتماد على قول
الفاسق ويدل على ضعف قول من يقول انها نزلت لكذا ان الله تعالى لم يقل انى نزلتها
لكذا والنبي صلى الله عليه وسلم لم يقل عدائه بين الا يقولت لبيان ذلك فحسب غاية
ما في الباب انها نزلت في ذلك الوقت وهو سبب التاريخ لنزول الآية ونحن نصدق ذلك
وينا كدما ذكر ان ان اطلاق لفظة الفاسق على الوليد شئ بعد لا يهون وظن فاسطو والمخطف
لا يسمى فاسقا وكيف والفاسق في أكثر المواضع المراد به من خرج عن ربه بقاء الايمان وقوله
تعالى ان الله لا يهدي القوم الفاسقين وقوله تعالى ففسق عن أمر ربه وقوله تعالى وأما
الذين فسقوا فلأولهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها الى غير ذلك (المسئلة
الثانية) قوله تعالى ان جانك فاسق بذأ إشارة الى اطيع فذوهى ان المؤمن كان موصوفا بأنه
شديد على الكافر غلبه عليه فلا يمكن الفاسق من أن يخبره بذأ فان تمكن منه يكون نادرا
فقال ان جانك بحرف الشرط الذى لا يذكر الامع التواقع اذ لا يحسن أن يقال ان احمر
البسر وان طلعت الشمس (المسئلة الثالثة) النكرة في معرض الشرط تقع اذا كانت في
جانب النبوت كأنها تم في الاخبار اذا كانت في جانب النبى وتخص في معرض الشرط اذا
كانت في جانب النبى كأنه تخص في الاخبار اذا كانت في جانب النبوت فذكر بيانه بالثال
ودليله اما بيانه بالثال فنقول اذا قال قائل لعبد ان كل رجلا فأت حرف يكون كأنه قال
لا اكلم رجلا حتى يعق بكلم كل رجل واذا قال ان لم اكلم اليوم رجلا فأت حرف يكون
كأنه قال لا اكلم اليوم رجلا حتى لا يعق العبد بترك كلام كل رجل لا لا يظهر الحلف

للدلالة على أن امتناع عنهم لاستمرار امتناع طاعته عليه الصلاة والسلام لهم في ذلك فان المضارع المتى قيدل
على استمرار

التي بحسب المقام كافي لنظار قوله تعالى ولا هم يحزنون ﴿٥٩٠﴾ والتحقيق أن الاستمرار الذي تغديه صيغة

المضارع يعتبر تارة
بالنسبة الى ما يتعلق
بالفعل من الامور الزمانية
المستحددة وذلك بان يعتبر
الاستمرار في نفس الفعل
على الابهاس ثم يعتبر
تعلق ما يتعلق به بيانا
لما فيه الاستمرار وأخرى
بالنسبة الى ما يتعلق به
من نفس الزمان المتجدد
وذلك اذا اعتبر تعلقه
بما يتعلق به أولاً ثم اعتبر
استمراره فيتمين أن
يكون ذلك بحسب
الزمان فان أريد باستمرار
الطاعة استمرارها
وتجددها بحسب تجديد
مواقعها الكثيرة التي
يفصح عنها قوله تعالى
في كثير من الأمر فالحق
هو الاول ضرورة أن
مدار امتناع العت هو
امتناع ذلك الاستمرار
سواء كان ذلك الامتناع
بعدم وقوع الطاعة
في أمر ما من تلك الامور
الكثيرة أصلاً أو بعدم
وقوعها في كلها مع
وقوعها في بعض يسير
منها حتى لو لم يمتنع ذلك
الاستمرار بأحد الوجهين
المذكورين بل وقعت

في كلامه بكلام كل رجل اذا ترك الكلام مع رجل واحد وأما الدليل فلأن النظر أولاً الى
جانب اثبات الأمر انه من غير حرف لما ان الوضع الاثبات والتي بحرف فقول التام
زيد قائم وضع أولاً ويحتاج الى ان يقال مع ذلك حرف يدل على ثبوت القيام زيد وفي جانب
النفي احتجنا الى ان نقول زيد ليس بقائم ولو كان الوضع والتركيب أولاً التي لما احتجنا
الى الحرف الزائد فصار أو اختصاراً وإذا كان كذلك فقول القائل رأيت رجلاً يكنى فيه
ما يصح القول وهو رؤية واحد فاذن ما رأيت رجلاً وهو وضع لمقابلة قوله رأيت رجلاً
وركب تلك المقابلة والمقابلان ينبغي ان لا يصدقا فقول القائل ما رأيت رجلاً لو كفي فيه
انتفاء الرؤية عن غير واحد اصح قولنا رأيت رجلاً وما رأيت رجلاً فلا يكونان متقابلين
فيلزمنا من الاصطلاح الاول الاصطلاح الثاني ولزم منه العموم في جانب التي اذا علم هذا
فقول الشرطية وضعت أولاً ثم ركبت بعد الجزمية بدليل زيادة الحرف وهو في مقابلة
الجزمية وكان قول القائل اذا لم تكن أنت حراما كنت رجلاً معنى التي وكما علم
عموم القول في الفاسق على عموم في الشا فاسق جاءكم بأى نأ قلنت فيه وجب
(المسئلة الرابعة) منسك أصحابنا في ان خبر الواحد حجة وشهادة الفاسق لا تقبل أما في
المسئلة الاولى فقالوا اعلال الأمر بالتوقف بكونه فاسقاً ولو كان خبر الواحد العدل لا يقبل
لما كان للترتيب على الفاسق فائدة وهو من باب النسك بالفهم وأما في الثانية فلو جهين
(أحدهما) أمر بالتبين فلو قبل قوله لما كان الحاكم مأموراً بالتبين فلم يكن قول الفاسق
مقبولاً ثم ان الله تعالى أمر بالتبين في الخبر والنأ وباب الشهادة أحق من باب الخبر
(والثاني) هو انه تعالى قال ان تصيبوا قوماً بجهالة أو الجاهل فوق الخطأ لان المجتهد اذا لم أخطأ
لا يسمى جاهلاً والذي يبنى الحكم على قول الفاسق ان لم يصيب جهل ولا يكون البناء على قوله
جائزاً (المسئلة الخامسة) ان تصيبوا ذكرنا فيه هاجهين (أحدهما) مذهب الكوفيين وهو
ان المراد بالتصيبوا ونائبها مذهب البصريين وهو ان المراد كراهة ان تصيبوا ويحتمل أن
يقال المراد فتبينوا واتقوا وقوله تعالى أن تصيبوا قوماً بين ما ذكرنا ان يقول الفاسق يظهر
التفريق بين أقوام ولا كذلك بالالفاظ المؤقتة في الوجه والعيبة الصادرة من المؤمنين لان
المؤمن يمتنع دينه من الافحاش والمباغحات في الانحاش وقوله بجهالة في تقدير حال أى ان
تصيبوهم جاهلين وفيه اطلاق وهي ان الاصابة تستعمل في البينة والحسنة كافي قوله تعالى
ما أصابك من حسنة فمن الله لكن الاكتر انها تستعمل في ايسوء لكن العطن السوء يذكر
معه كافي قوله تعالى وان تصيبهم سبئة ثم حقي ذلك بقوله فتصيبوا على ما قلتم نادمين بياناً
لان الجاهل لا بد من أن يكون على فعله نادماً وقوله فتصيبوا معناه تصيبوا قال النجاشي اصبح
يستعمل على ثلاث أوجه (أحدها) بمعنى دخول الرجل في الصباح كما يقول القائل أصبحنا
نفضى عليه (وثانيها) بمعنى كان الأمر وقت الصباح كذا وكذا كما يقال أصبح اليوم
مرضنا خيراً مما كان غير انه تغير ضحوة النهار ويريد كونه في الصباح على حاله كأنه يقول كان

الطاعة فيما ذكر من كثير من الأمر في وقت من الاوقات وقع العت قطعاً وان أريد به المريض
استمرار الطاعة الواقعة

في الكل وتعمدها بحسب تجديد الزمان ﴿٥٩١﴾ واستمراره فالحق هو الثاني فان مناط امتناع العنت حينئذ ليس

امتناع استمرار الطاعة المذكورة ضرورة أنه موجب لوقوع العنت بل هو الاستمرار الزماني لامتناع تلك الطاعة الواقعة في تلك الامور الكثيرة بأحد الوجهين المذكورين حتى اولم يسفر امتناعها بان وقعت تلك الطاعة في وقت من الاوقات وقع العنت حتما وعلم أن الاحق بالاختيار والاول بالاعتبار هو الوجه الاول لانه أوفق بالقياس المقضي لاعتبار الامتناع واردا على الاستمرار حسب ورود كلمة لو المفسدة لاول على صيغة المضارع المعبرة للثاني علما باعتبار الاستمرار واردا على الثاني على خلاف القياس بموتة المقام انما يبصر اليه اذا نهذا الجربان فلي موجب القياس أو لم يكن فيه مز يد من به كما في مثل قوله تعالى ولا هم يحزنون حيث حل على استمرار في الحزن عنهم اذ ليس

المريض وقت الصبح خيرا وتغير نحوه النهار (واللهما) يعني صار يقول القائل اصبح زيد غنيا بر يده صار من غير ارادة وقت دون وقت والمراد ههنا هو المعنى الثالث وكذلك أمسى واضحى ولكن لهذا تحقيق وهو ان نقول لا بد في اختلاف الالفاظ من اختلاف المعاني واختلاف الفوائد فنقول الصبرورة قد تكون من ابتداء امر وتدوم وقد تكون في آخر الامر بمعنى آل الامر اليه وقد تكون متوسعة (مثال الاول) قول القائل صار الطفل فاهما أي أخذ فيه وهو في الزيادة (مثال الثاني) قول القائل صار الحق يثنا واجبا أي انتهى حده وأخذ حقه (مثال الثالث) قول القائل صار زيد طالما وقويا اذا لم يرد أخذه فيه ولا بلوغه نهايته بل كونه متلبسا به متصفا به اذا علمت ههنا فاصل استعمال اصبح فيما يصير الشيء أخذنا في وصف ومبتدأ في أمر وأصل امسى فيما يصير الشيء يا غاني الوصف نهايته وأصل اضحى التوسط لا يقال أهل الاستعمال لا يفرقون بين الامور يستعملون الالفاظ الثلاثة بمعنى واحد فنقول اذا تقاربت المعاني جاز الاستعمال وجواز الاستعمال لا ينافي الأصل وكثير من الالفاظ أصله مضى واستعمل استعمالا شاعرا فيما لا يشاركه اذا علم هذا فنقول قوله تعالى فصبروا أي فصبروا وأخذتم في التلم متلبسين به ثم تستدعيونه وكذلك في قوله تعالى وأصبحتم بنعمته اخوانا أي أخذتم في الاخوة وأنتم فيها زائدون ومستفرون وفي الجملة اختار في القرآن هذه اللفظة لان الامر المقرون بهذه اللفظة اعاني الثواب أو في العقاب وكلاهما في الزيادة ولانهاية للامور الالهية وقوله تعالى نادى من التدبر دائم والنون والبدال والميم في مقابلتها الانتفاك عن معنى الدوام كما في قول القائل أدمر في الشرب ومد من أي أقام ومنه المدينة وقوله تعالى فصبروا على ما فعلنم نادى من فيه ثلثان (احداهما) نقرير التحذير وتأكيده ووجهه هو انه تعالى لما قال ان تصبروا قوما بجهالة قال بعده وليس ذلك مما يلفت اليه والايحوز للعاقل ان يقول هب اني أصبت قوما فذا هب لي بل عليكم منه الهم الدائم والحزن المقيم ومثل هذا الشيء واجب الاحترام منه (والثانية) مدح المؤمنين أي استم عن اذا فعلوا سنة لا يفتنون اليها بل تصبرون نادى من هلهما* ثم قال تعالى (واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم ولكن الله حبيب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والعسوق والعصيان) ولقد ذكر في تفسير هذه الآية ما قيل وما يجوز ان يقال اما ما قيل فلنختار احسنه وهو ما اخبره الشيخ فانه بحث في تفسير هذه الآية بمشاطو ولا فقال قوله تعالى لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم ليس كلاما مستأنفا لادائه الى تنافر النظم اذ لا يتبع مناسبة بين قوله واعلموا بين قوله لو يطيعكم ثم وجه التعلق هو ان قوله لو يطيعكم في تقدير حال من الضمير الرفوع في قوله فيكم كأن التقدير كأن فيكم أو موجود فيكم على حال زديدون أن يطيعكم أو يفعل باستصوابكم ولا ينبغي أن يكون على تلك الحال لانه لو فعل ذلك لعنتم أو وقعتم في شدة أو أوتيم به ثم قال تعالى ولكن الله حبيب اليكم الايمان

في نفي استمرار الحزن من يد فائدة وأما اذا انتظم الكلام مع مراعاة ٥٩٢ * موجب القياس حتى الانتظام

خطابا مع بعض من المؤمنين غير المخاطبين بقوله او يطيعكم قال الزمخشري اكنفى بالغاير في الصفة واختصروا لم يقل حجب الى امضكم الايمان وقال ايضا بان قوله تعالى او يطيعكم دون اطاعكم يدل على انهم كانوا يريدون استمرار تلك الحالة ودوام النبي صلى الله عليه وسلم على العمل باستصوابهم ولكن يكون ما بعدها على خلاف ما قبلها وهو هنا كذلك وان لم تحصل المخالفة بصريح اللفظ لان اختلاف المخاطبين في الوصف بدلتنا على ذلك لان المخاطبين اولا بقوله او يطيعكم هم الذين ارادوا ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم يعمل بمرادهم والمخاطبين بقوله حجب اليكم الايمان هم الذين ارادوا عملهم بمراد النبي صلى الله عليه وسلم وهذا ما قاله الزمخشري واختاره وهو حسن والذي يجوز ان يقال وكأنه هو الأقوى ان الله تعالى لما قال ان جاءكم فاسق بنية فتيبوا أي فتيبوا واكشفوا قال بعده وعلما ان فيكم رسول الله أي الكشف سهل عليكم بالرجوع الى النبي صلى الله عليه وسلم فانه فيكم مرشد وهذا كما يقول القائل عند اختلاف تلاميذ شيخ في مسألة هذا الشيخ قاعدا لا يريد به بيان قعوده وانما يريد امرهم بالرجعة اليه وذلك لان المراد منه انه لا يطيعكم في كثير من الامر وذلك لان الشيخ فيما ذكرنا من المثال لو كان يعتد على قول التلاميذ لانطاعت قلوبهم بالرجوع اليه اما اذا كان لا يذكر الامن النقل الصحيح ويفرره بالدليل القوي يراجعة كل أحد فكذلك ههنا قال استرشدوه فانه يعلم ولا يطيع أحد فلا يوجد فيه حيف ولا يروج عليه زيف والذي يدل على ان المراد من قوله او يطيعكم في كثير من الامر لعنم بيان انه لا يطيعكم هو ان الجملة الشرطية في كثير من المواضع ترد لبيان امتناع الشرط لامتناع الجراء كما في قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقوله تعالى واوكان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فانه لبيان انه ليس فيهما آلهة وانه ليس من عند غير الله ثم قال تعالى ولكن الله حبيب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم إشارة الى جواب سؤال يرد على قوله فتيبوا وهو ان يقع الواحد ان يقول انه لاجابة الى المراجعة وحقولنا كافية بها أدركنا الايمان وتركنا العصيان فكذلك نخشع في أمورنا فقال ليس ادراك الايمان بالاجتهاد بل الله بين البرهان وزين الايمان حتى حصل اليقين وبعد حصول اليقين لا يجوز التوقف والله انما أمركم بالتوقف عند تقليد قول الفاسق وما أمركم بالاعتقاد بعد ظهور البرهان فكأنه تعالى قال توفقوا فيما يكون مشكوكا فيه لكن الايمان حبيب اليكم بالبرهان فلا تتوقفوا في قبوله وعلى قولنا المخاطب بقوله حبيب اليكم هو المخاطب بقوله او يطيعكم اذا علمت معنى الآية تجلة فاسمه مفصلا ولا فصله في مسائل (المسئلة الاولى) لو قال قائل اذا كان المراد بقوله واعلموا أن فيكم رسول الله الرجوع اليه والاعتقاد على قوله فلم يقل بصريح اللفظ فتيبوا وراجعوا النبي صلى الله عليه وسلم وما القائفة في العدول الى هذا الجواز نقول القائفة زيادة التأكيد وذلك لان قول القائل فيما ذكرنا من المثال هذا الشيخ قاعدا كدني وجوب المراجعة اليه من قوله

فالعسول عنه يعمل لا يخفى وقوله تعالى (ولكن الله حبيب اليكم الايمان) الخ تجريده للخطاب وتوجيهه الى بعضهم بطريق الاستدراك يسانا لبراءتهم عن أوصاف الاولين واحاد الافعالهم أي وليكنه تعالى جعل الايمان محبوا اليكم (وزينه في قلوبكم) حتى رسخ حبه فيها ولذلك أتيتهم بما يليق به من الاقوال والافعال (وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان) ولذلك اجتنبت عما يليق بها بما لاخير فيه من آثارها وأحكامها ولما كان في التحبيب والتكريم معنى انهاء المحبة والكرامة وإبصاليهما اليهم استعمالا بكلمة الى وقيل هو استدراكه ببيان عذر الاولين كما به فيسأل لم يكن ماصدر عنكم في حق بني المصطلق من خلل في فهمه تسكم بل من فرط حبكم للايمان وكرهتكم للكفر والفسوق والعصيان والاول هو الاظهر لقوله تعالى

* راجعوا *

وكرهتكم للكفر والفسوق والعصيان والاول هو الاظهر لقوله تعالى

راجعوا شيخكم وذلك لان القائل يجعل وجوب المراجعة اليه متقفا عليه و يجعل سبب
عدم الرجوع عدم علمهم بقعوده فكأنه يقول انكم لانتم في أن الكاشف هو
الشيخ وأن الواجب مراجعته فان كنتم لاتعلمون قعوده فهو قاعد فيحصل حسن
المراجعة أظهر من أمر القعود كانه يقول حتى نلتكم قعوده فتركتهم مراجعته ولا يخفى
عليكم حسن مراجعته فيجعل حسن المراجعة أظهر من الأمر الحسن بخلاف ما لو قال
راجعوه لانه حينئذ يكون قائلًا بانكم ما علمتم ان مراجعته هو الطريق وبين الكلامين
بون بعيد فكذلك قوله تعالى واعلموا أن فيكم رسول الله يعني لا يخفى عليكم وجوب
مراجعته فان كان خفي عليكم كونه فيكم فاعلموا أنه فيكم فيجعل حسن المراجعة أظهر
من كونه فيهم حيث ترك بيانه وأخذ في بيان كونه فيهم وهذا من المعاني العزيمة التي توجد
في المعجزات ولا توجد في الصرائح (المسئلة الثانية) اذا كان المراد من قوله لو يطيعكم
بيان كونه غير مطيع لاحد بل هو متبع للوحى فلم يصرح به نقول بيان نفي الشئ مع
بيان دليل اني أنتم من بيانه من غير دليل والجملة الشرطية بيان النفي مع بيان دليله فان
قوله ليس فيهما آلهة اوقال قائل لم قلت انه ليس فيهما آلهة يجب أن يذكر الدليل فقال
لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فكذلك ههنا اوقال لا يطيعكم وقال قائل لم لا يطيع
لوجب أن يقال لو أطاعكم لاطاعكم لاجل مصلحتكم لكن لا مصلحة لكم فيه لانكم
تعتسبون وتأنسون وهو يشق عليه عنتكم كما قال تعالى عز يزعليه ما عنتتم فان
طاعتكم لاتفيده شيئا فلا يطيعكم فهذا اني اطاعة بالدليل وبين نفي الشئ بدليل ونفيده
بغير دليل فرق عظيم (المسئلة الثالثة) قال في كثير من الأمر ليعلم انه فديوقفهم يفعل
بمقتضى مصلحتهم تحقيقا لغائده قوله تعالى وشاورهم في الأمر (المسئلة الرابعة) اذا كان
المراد بقوله تعالى حجب اليكم الايمان فلا تتوقفوا فسلم بصرح به فلما لم يبيانه من
الاشارة الى ظهور الأمر يعني أتم تعاون ان اليقين لا يتوقف فيه اذ ليس بعده مرتبة حتى
يتوقف الى بلوغ تلك المرتبة لان من بلغ الى درجة الظن فانه يتوقف الى أن يبلغ درجة
اليقين فلما كان عدم التوقف في اليقين معلوما متقفا عليه لم يقل فلا تتوقفوا بل قال
حجب اليكم الايمان أي بينه وزينه بالبرهان اليقيني (المسئلة الخامسة) ما المعنى في قوله
حجب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم نقول قوله تعالى حجب اليكم أي قر به اليكم
وادخله في قلوبكم ثم زينه فيها بحيث لاتتأرقونه ولا يخرج من قلوبكم وهذا لان من حب
اشياء فقد فعل شيئا منها اذا حصل عنده وطال ابشده والايمان كل يوم يزداد حسنا ولكن
من كانت عبادته أكثر وتحملة لمشاق التكليف أتم تكون العبادة والتكاليف عنده
ألذوا وكل ولهذا قال في الاول حجب اليكم وقال ثانيا زينه في قلوبكم كانه قر به اليهم ثم
أقام في قلوبهم (المسئلة السادسة) ما الفرق بين الأمور الثلاثة وهي الكفر والنسوق
والعصيان فنقول هذه أمور ثلاثة في مقابلة الايمان الكامل لان الايمان الكامل المزين

(أولئك هم الراشدون)
أى السالكون الى
الطريق السوي الموصل
الى الحق والاتفات الى
الغنية كالذى في قوله
تعالى وما آتيتهم من زكاة
تريدون وجسه الله
فأنك هم المضعفون
(فضلا من الله ونعمة)
أى وانعاما تعليل لما حجب
أو كره وما بينهما
اعتراض ولعل نصيبهما
بفعل مضمر أى جرى
ذلك فضلا وقيل يتبعون
فضلا (والله اعلم)
مبالغ في العلم فيعلم أحوال
المؤمنين وما بينهم من
التفاضل (حكيم) بفعل
كل ما يوصل بموجب
الحكمة

هو ان يجمع التصديق بالجنان والافرار باللسان والعمل بالاركان (أحدها) قوله تعالى
 وكره اليكم الكفر وهو التكذيب في مقابلة التصديق بالجنان والفسوق هو الكذب
 (وثانيهما) هو ما قبل هذه الآية وهو قوله تعالى ان جاءكم فاسق بنبأ سمي من كذب فاسقا
 فيكون الكذب فسوقا (ثالثها) ما ذكره بعد هذه الآية وهو قوله تعالى ينس الاسم
 الفسوق بعد الايمان فانه يدل على ان الفسوق أمر قولي لاقرانه بالاسم وسبب تفسيره
 ان شاء الله تعالى (ورابعها) وجه معقول وهو ان الفسوق هو الخروج عن الطاعة على
 ما علم في قول القائل فسقت الرطبة اذا خرجت وغير ذلك لان الفسوق هو الخروج زيدا
 في الاستعمال كونه الخروج من الطاعة لكن الخروج لا يكون له ظهور بالامر القلبي
 اذا اطلاق على ما في القلوب لاحد الا الله تعالى ولا يظهر بالافعال لان الامر قد يترك
 اما النسيان أو سهو فلا يعلم حال التارك والمترك انه تخطى أو تمعدوا أم لا الكلام فانه
 حصول العلم بما عليه حال التكلم فالدخول في الايمان والخروج منه يظهر بالكلام
 فتخصيص الفسوق بالامر القولي أقرب وأما العصيان فتترك الامر وهو بالفعل ألقى
 فاذ علم هذا ففيه ترتيب في غاية الحسن وهو انه تعالى كره اليكم الكفر وهو الامر الاعظم
 كما قال تعالى ان الشرك اعظم عظيم ثم قال تعالى والفسوق يعني ما يظهر لسانكم أيضا ثم
 قال والعصيان وهو دون الكل ولم يترك عليكم الامر الأدنى وهو العصيان وقال بعض
 الناس الكفر ظاهر والفسوق هو الكبيرة والعصيان هو الصغيرة وما ذكرناه أقوى
 ثم قال تعالى (أولئك هم الراشدون) خطابا مع النبي صلى الله عليه وسلم وفيه معنى
 لطيف وهو ان الله تعالى في أول الامر قال واعلموا ان فيكم رسول الله أي هو مرشدكم
 فخطاب المؤمنين للتبينة على شفقتهم بالؤمنين فقال في الأول كفى النبي مرشدا لكم
 ما تشرشدهم فاشفق عليهم وأرشدهم وعلى هذا قوله الراشدون أي الموافقون للرشد
 يأخذون ما أبيههم وينهون عما ينهاهم ثم قال تعالى (فضلا من الله ولعمرة الله عليهم
 حكيم) وفيه مسائل (المسئلة الأولى) نصب فضلا لاجل أمور اما لكونه مفعولا وفيه
 وجهان (أحدهما) ان العامل فيه هو الفعل الذي في قوله الراشدون فان قيل كيف
 يجوز ان يكون فضل الله الذي هو فعل الله مفعولا بالنسبة الى الرشد الذي هو فعل العبد
 نقول لما كان الرشد توفيقا من الله كان كانه فعل الله فكانه تعالى أرشدهم فضلا أي
 يكون منفصلا عليهم منعما في حقهم (والوجه الثاني) هو ان العامل فيه هو قوله حجب
 اليكم الايمان وكره اليكم الكفر فضلا وقوله أولئك هم الراشدون جلة اعترضت بين
 الكلامين أو يكون العامل فعلا مقدرا فكانه قال تعالى جرى فالت فضلا من الله واما
 لكونه مصدرا وفيه وجهان (أحدهما) ان يكون مصدرا من خبر اللفظ ولان الرشد فضل
 فكانه قال أولئك هم الراشدون رشدا (وثانيهما) هو ان يكون مصدرا لفعل مضمر كانه
 قال حجب اليكم الايمان وكره اليكم الكفر فافضل فضلا وأنعم نعمة والقول بكونه

(وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) أي قاتلوا
 والجمع باعتبار المعنى
 (فأصلحوا بينهما) بالتحصين
 والدعاء الى حكم الله
 تعالى (فان يفت) أي
 تعدت (احدهما) على
 الاخرى (ولم تتأخر
 بالنصيحة) فقالوا الى
 تبنى حتى تفي (أي ترجع
 الى امر الله) الى حكمه
 أو الى ما أمر به (فان
 قامت) اليه وأفلحت عن
 القتال حذرا من قتالكم
 (فأصلحوا بينهما بالعدل)
 بفصل ما بينهما على
 حكم الله تعالى ولا تكفوا
 بحذر دمار كنههما

منصوبا على انه مفعول مطلق وهو المصدر أو مفعوله قول الزمخشري وأما أن يكون فضلا مفعولا به والفعل مضمر دل عليه قوله تعالى أولئك هم الراشدون أي يتفون فضلا من الله ونعمة (المسئلة الثانية) ما الفرق بين الفضل والنعمة في الآية نقول فضل الله اشارة الى ما عنده من الخير وهو مستغن عنه والنعمة اشارة الى ما يصل الى العبد وهو محتاج اليه لان الفضل في الاصل ينبئ عن الزيادة وعنده خزائن من الرحمة لالحاجة اليها ويرسل منها على عباده ما لا يقفون معه في ورطة الحاجة بوجه من الوجوه والنعمة تنبي عن الرأفة والرحمة وهو من جانب العبد وفيه معنى لطيف وهو أن كيدا لاعطاء وذلك لان المحتاج يقول لا غنى اعطني ما فضل عنك وعندك وذلك غير ملتفت اليه وأما به قبلي وبقي فاذا قوله فضلا من الله اشارة الى ما هو من جانب الله الغنى والنعمة اشارة الى ما هو من جانب العبد من اندفاع الحاجة وهذا مما يؤكده قولنا فضلا منصوب بفعل مضمر وهو الابتغاء والطلب (المسئلة الثالثة) ختم الآية بقوله والله اعلم حكم فيه مناسبات عدة منها انه تعالى لما ذكرنا الفاسق قال أن يشبهه على المؤمن كذب الفاسق فلا تمتدوا على تروجه عليكم الزور فان الله اعلم ولا تقولوا كما كان عادة المنافق أولا يعتدب الله بما نقول فان الله حكيم لا يفضل الاعلى وفق حكمته (وثانيها) لما قال الله تعالى واعلموا أن فيكم رسول الله لو اطيعكم لكان ليطيعكم يعني لا يطيعكم بل يطيع الوحي قال فان الله من كونه علما يعلم ومن كونه حكما يأمر بما تقتضيه الحكمة فاتبعوه (ثالثها) المناسبة التي بين قوله تعالى اعلم حكم وبين قوله حبيب اليكم الايمان أي حبيب بعلم الايمان لاهل الايمان واختار له من يشاء بحكمته (رابعها) وهو الاقرب وهو أنه سبحانه وتعالى قال فضلا من الله ونعمة ولما كان الفضل هو ما عند الله من الخير المستغنى عنه قال تعالى هو عليم بما في خزائن رحمة من الخير وكانت النعمة هو ما يدفع به حاجة العبد قال هو حكيم بزال الخير بقدر ما يشاء على وفق الحكمة ثم قال سبحانه وتعالى (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احدهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفي الى أمر الله) لما حذر الله المؤمنين من التبايؤ الصادر من الفاسق اشارة الى ما يلزم منه استدراكا لما يفوت فقال فان اتفق انكم تنون على قول من يوقع بينكم وآل الامر الى اقتتال طائفتين من المؤمنين فاز باوا ما أثبتته ذاك الفاسق وأصلحوا بينهما فان بغت احدهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي أي الضالم يجب عليكم دفعه عنه ثم ان الظالم ان كان هو الرعية فالواجب على الامير دفعهم وان كان هو الامير فالواجب على المسلمين منعه بالتصميحة خافوقها وشرطه ان لا يبر فتنه مثل التي في اقتتال الطائفتين أو أشد منها وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قوله تعالى وان اشارة الى ندرة وقوع القتال بين طوائف المسلمين فان قيل فمن زرى أكثر الاقتتال بين طوائفهم نقول قوله تعالى وان اشارة الى انه ينبغي ان لا يقع الا نادرا غاية ما في الباب ان الامر على خلاف ما ينبغي وكذلك ان جاءكم فاسق بنبأ اشارة الى أن يجي

يكون بينهما قتال في وقت آخر وتشييد الاصلاح بالعدل لانه مظنة الحيف او وقوعه بعد المقاتلة وقد اكد ذلك حيث قيل (واقطوا) أي واعدوا في كل ما اتون وما تدرون (ان الله يحب المقسطين) فيجازيهم أحسن الجزاء والآية نزلت في قتال حدث بين الاوس والخزرج في عهد عليه الصلاة والسلام بالسيف والرمح وفيها دلالة على أن الباغي لا يخرج بالبغي عن الايمان وأنه اذا أمسك عن الحرب ترك لانه في ما امر الله

الفاسق بالنسبة ينبغي ان يقيم قبل الامع أن يجي الفاسق بالنسبة كثير وقول الفاسق صار عند
أولى الامر أشد قبولاً من قول الصادق الصالح (المسألة الثانية) قال تعالى وان طائفتان
ولم يقل وان فرقاناً تحتيننا المعنى الذى ذكرناه وهو التقليل لان الطائفة دون الفرقة
ولهذا قال تعالى فاولاؤنا من كل فرقة منهم طائفة (المسألة الثالثة) قال تعالى من المؤمنين
ولم يقل منكم مع ان الخطاب مع المؤمنين سبق قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم
فاسق بنبأ ثبته على قبح ذلك وتبيننا لهم عنهم كما يقول السبلاب عنه ان رأيت أحداً من
غلمانى يفعل كذا فامنع فبصير بذلك ما دعا للخطاب عن ذلك القول بالطريق الحسن
كأنه يقول أنت حاشاك ان تامل ذلك فان فعل غيرك فامنع كذلك ههنا قال وان
طائفتان من المؤمنين ولم يقل منكم لما ذكرنا من التنبه مع ان المعنى واحد (المسألة
الرابعة) قال تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ولم يقل وان اقتتل طائفتان من
المؤمنين مع ان كلمة ان تصاحبا بالقول أولى وذلك ليكون الابتداء بما يمنع من القتال
فتأكد معنى النكرة المدلول عليها بكلمة ان وذلك لان كونها طائفتين مؤمنتين يقتضى
أن لا يقع القتال بينهما قبل فلم يقل يا ايها الذين آمنوا ان فاسق جاءكم أو ان أحد من
الفاسق جاءكم ليكون الابتداء بما يمنعهم من الاصغاء الى كلامه وهو كونه فاسقاً نقول
الجبى بالنسبة الكاذب يورث كون الانسان فاسقاً أو يزداد بسببه فسقه فالجبى به سبب
الفسق فتقدم وأما الاقتال فلا يقع سبباً للايمان أو لزيادة فقال ان جاءكم فاسق أى
سواء كان فاسقاً أولاً أو جاءكم بالنسبة فاصراً فاستأبه وأوفى قال وان أحد من الفاسق جاءكم كان
لا يتناول الا مشهور الفسق قبل الجبى فاجاءهم بالنسبة (المسألة الخامسة) قال تعالى
اقتتلوا ولم يقل يقتتلوا لان صيغة الاستقبال تنبئ عن الدوام والاستمرار فبفهم منه ان
طائفتين من المؤمنين ان تادى الاقتال بينهما فاصالحوا وهذا لان صيغة المستقبل تنبئ
عن ذلك يقال فلان يتجهد ويصوم (المسألة السادسة) قال اقتتلوا ولم يقل اقتتلا وقال
فاصلحو ايتهما ولم يقل بينهما وذلك لان هذا الاقتال تكون الفتنة قائمة وكل أحد برأسه
يكون فاعلاً فملا فقال اقتتلوا وعند العود الى الصلح تنفق كلمة كل طائفة واللام يكن
يتحقق الصلح فقال بينهما يكون الطائفتين حينئذ كنفسين ثم قال تعالى فان بغت
احدهما اشارة الى تادرة اخرى وهى البغى لانه غير متوقع فان قيل كيف يصح فى هذا
الموضع كلمة ان مع انها تستعمل فى الشرط الذى لا يتوقع وقوعه وبغى أحدهما عند
الاقتال لا بد منه اذ كل واحد منهما لا يكون محسناً فقول له ان تكون من قبيل قول القائل
ان طلعت الشمس نقول فيه معنى لطيف وهو ان الله تعالى يقول الاقتال بين طائفتين
لا يكون الا تدار الوقوع وهو كالتنظير كل طائفة ان الاخرى فيها الكفر والفساد فالاقتال
واجب كما سبق فى الباب المظلمة أو يقع لكل واحد ان القتال جائز بالاجتهاد وهو خطأ
فقال تعالى الاقتال لا يقع الا كذا فان بان لهما أو لاحدهما الخطأ واستمر عليه فهو تادى

تعالى وان يجب معاونة
من بغى عليه بعد تقديم
الصالح والسعى في
المصلحة (انما المؤمنون
اخوة) استئناف مقرر
لما قبله من الامر
بالاصلاح أى انهم
منسبون الى أصل
واحد هو الايمان
الموجب للحياة الابدية
والفاء فى قوله تعالى
(فأصلحوا بين
أخويكم) لا يبدان بأن
الاخوة الدينية موجبة
للاصلاح وو ضم
المظهر مقام المضر
مضافاً الى التامورين
للبالغة فى تأكيد وجوب
الاصلاح والتخصيص
عليه وتخصيص
الاثنين بالذكر

وعند ذلك يكون قد بغى فقال فان بغت احدهما على الاخرى يعنى بعد استبانة الامر
وحينئذ قوله ان بغت في غاية الحسن لانه يفيد الندرة وقلة الوقوع وفيه ايضا مباحث
(الاول) قال فان بغت ولم يقل فان تبغ لما ذكرنا في قوله تعالى اقتتلوا ولم يقل يقتلوا
(الثاني) قال حتى تفي اشارة الى ان القتال ليس بجناية الباغي كعبد الشرب الذي يقام
وان ترك الشرب بل القتال الى حد الفتنة فان قامت الفتنة الباغية حرم قتالهم (الثالث)
هذا القتال لدفع العتائل فيتدرج فيه وذلك لانه لما كانت الفتنة من احدهما
فان حصلت من الاخرى لا يوجد الباغي الذي لاجله حل القتال (الرابع) هذا دليل على أن
المؤمن بالكبيرة لا يخرج عن كونه مؤمنا لان الباغي جعله من احدي الطائفتين وسماهما
مؤمنين (الخامس) قوله تعالى الى امر الله بحمل وجوها (أحدها) الى طاعة الرسول
وأولى الامر لقوله تعالى أطعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم (ثانيها) الى
امر الله أى الى الصلح فانه مأمور به يدل عليه قوله تعالى فأصلحو ذات يمينكم (ثالثها)
الى امر الله بالقوى فان من خاف الله حتى الخوف لا يجلب لعداوة الامع الشرطان كما قال
تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا (السادس) لو قال قائل قد ذكرتم ما يدل على
كون الشرط غير متوقع الوقوع وقلتم بأن القتال والباغي من المؤمنين نادرا فان نكون
الفتنة متوقعة فكيف قال فان قامت نقول قول القائل لعينه ان مت قامت حرم ان
الموت لا بد من وقوعه لكن لما كان وقوعه بحيث يكون العبد محلا للعقوبة بان يكون
باغيا في ملكه حيا يعيش بعد وفاته غير معلوم فكذلك ههنا لما كان الواقع قولهم من
تلقاه أنفسهم فلما لم يقع دل على ما كيد الاخذ بينهم فقال تعالى فان قامت بقتالكم
انهم بعد اشتداد الامر والتهام الحرب وأصلحو اوفيه معنى اطيعوا وهو انه تعالى اشار الى
أن من لم يخف الله وبغى لا يكون رجوعه بقتالكم الاجبر (السابع) قال ههنا فاصلحو
بينهما بالعدل ولم يذكر العدل في قوله وان طاعة من المؤمنين اقتتلوا فاصلحو انقول لان
الاصلاح هناك بازالة الاشتغال نفسه وذلك يكون بالصيغة أو التهديد والجزع والتمذيب
والاصلاح ههنا بازالة آثار القتل بعد اندفاعه من ضمان المتلفات وهو حكم فقال
بالعدل فكانت قل واحكموا بينهما بعد تركهما القتال بالحق وأصلحو بالعدل مما يكون
بينهما الثلاث يودى الى ثوران الفتنة بينهما مرة أخرى (الثامن) اذا قاتل فاصلحو ايتهما
بالعدل فاية فائدة في قوله وأفسطوا نقول قوله فاصلحو ايتهما بالعدل كان فيه تخصيص
بحال دون حال فمعهم الامر بقوله وأفسطوا أى في كل أمر مفض الى أشرف درجة وأرفع
منزلة وهى محبة الله والاقساط ازالة القسط وهو الجور والقاسط هو الجائر والتركيب
دال على كون الامر غير مرضى من التسط والقاسط في القلب وهو ايضا غير مرضى
ولامعنه به فكذلك القسط ثم قال تعالى (انما المؤمنون اخوة فاصلحو ايمن أخو يكم)
تيمنا للارشاد وذلك لانه لما قال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا كان اظان أن يظن

لايات وجوب الاصلاح
فيما فوق ذلك بطريق
الاولوية لتضعاف
الفتنة والفساد فيه
وقيل المراد بالاخوين
الاوس والخزرج وقرى
بين اخوتكم واخوانكم
(واقوا الله) في كل
مانتون وما تدرن
من الامور التي من
جلتها ما أمرتم به
من الاصلاح (لعليكم
ترجون) راجين أن
ترجوا على تقواكم
(بأيتها الذين آمنوا
لا يسخروا قوم) أى منكم
(من قوم) آخرين
ايضا منكم وقوله تعالى
(عسى أن يكونوا خيرا
منهم) تعليل للنهي
أولموجبه

أولئهم أن يتوهم أن ذلك عند اختلاف قوم فأما إذا كان الاقتتال بين اثنين فلا تتم
المفسدة فلا يؤمر بالاصلاح وكذلك الامر بالاصلاح هناك عند الاقتتال وأما إذا
كان دون الاقتتال كالنشائم والتساقف فلا يجب بالاصلاح فقال بين أخويكم وإن لم تكن
الفتنة عامة وإن لم يكن الامر عظيما كالقتال بل لو كان بين رجلين من المسلمين أدى
اختلاف فاسد عاوفي الاصلاح * وقوله (واتقوا الله لعلمكم ترجون) فيه مسائل (المسئلة
الاولى) قوله تعالى إنما المؤمنون أخوة قال بعض أهل اللغة الأخوة جمع الاخ من النسب
والأخوان جمع الاخ من الصداقة قاله تعالى قال إنما المؤمنون أخوة تأكيد
للامر وإشارة إلى أن ما بينهم ما بين الأخوة من النسب والاسلام كالأب قال فلنلهم
أبي الاسلام لأب سواء * إذا افتخروا بقرنس أو عجم

(المسئلة الثانية) عند اصلاح القرينين والطارفتين لم يقل اتقوا وقال ههنا اتقوا مع أن
ذلك أهم يقول الفائدة هو أن الاقتتال بين طائفتين يفضي إلى أن تعم المفسدة ويلحق كل
مؤمن منها شيء وكل يسعى في الاصلاح لامر نفسه فلم يؤكد بالامر بالتحقوى وأما عند
تخاصم رجلين لا يخفى الناس ذلك ويرى بعضهم تأكيدا لخصام بين الخصوم لغرض
فاسد فقال فأصلحو وابن أخويكم واتقوا الله أو يقول قوله فأصلحو وأشار إلى الصلح وقوله
واتقوا الله إشارة إلى ما بصونهم عن التشاجر لأن من اتقى الله شغله شغوه عن الاشغال
بغيره ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم الناس من لسانه لأن المسلم يكون
مقادرا لامر الله مقبلا على عبادة الله فيشغله عبيه عن عيوب الناس ويغتمه أن يرهب
الاخ المؤمن واليه أشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله المؤمن من آمن جاره بواقعه يعني
اتقى الله فلا تتفرغ لغيره (المسئلة الثالثة) إنما العصم أي لآخوة الابن المؤمن وأما بين
المؤمن والكافر فلا لأن الاسلام هو الجامع ولهذا إذا مات المسلم وله أخ كافر يكون ماله
للمسلمين ولا يكون لأخيه الكافر وأما الكافر فكذلك لأن في النسب الاعتبار الأب
الذي هو أب شرطا حتى إن ولدى الزنات من رجل واحد لا يرث أحدهما الآخر فكذلك
الكفر كالجامع الفاسد فهو كالجامع العاجز لا يفيد الأخوة ولهذا من مات من الكفار
وله أخ مسلم ولا وراثته من النسب لا يجعل ماله للكفار ولو كان الدين يجمعهم
لكان مال الكافر للكفار كما كان مال المسلم للمسلمين ههنا عدم الوارث فإن قبل قد ثبت أن
الأخوة للاسلام أقوى من الأخوة النسبية بدليل أن المسلم يرثه المسلمون ولا يرثه الاخ
الكافر من النسب فلم لم يقدموا الأخوة الاسلامية على الأخوة النسبية مطلقا
حتى يكون مال المسلم للمسلمين لا لأخوته من النسب يقول هذا سؤال فاسد وذلك لأن
الاخ المسلم إذا كان أخا من النسب فقد اجتمع فيه اخوتان فصار أقوى والعصو بقل له
القوة ألا ترى أن الاخ من الابوين يرث ولا يرث من الأب معه فكذلك الاخ المسلم
من النسب له اخوتان فيقدم على سائر المسلمين والله أعلم (المسئلة الرابعة) قال النخاعة

أبى عيسى أن يكون
المستخور منهم خبرا
ههنا الله تعالى من
الساحرين والقوم
مخصص بالرجال لأنهم
انقوام على النساء
وهو في الأصل اما جمع
فأتم كصوم وزور في جمع
صائم وزار أو مصدر
نعت به فشاخ في الجمع
وأما عصمة القرينين في
مثل قوم عاد وقوم
فرعون فأما للتغليب
أولاهن توابع واختيار
الجمع لظهور وقوع الشهادة
في المجامع والتكبر اما
للتعميم أو لفصله إلى نهي
بعضهم عن محاربة
بعض لما أنها بما يجري
(بين بعض وبعض ولا نساه) أي

ما في هذا الموضع كافة تكف ان من العمل ولولا ذلك لقبل انما المؤمنين اخوة وفي قوله تعالى فيما رحمة من الله وقوله عما قليل ليست كافة والسؤال الاقوى هو ان رب من حروف الجر والباء وعن كذلك وما في رب كافة وفي عماو باليست كافة والتحقيق فيه هو ان الكلام بعد ربما وانما يكون تاما يمكن جعله مستقلا وواحد في ربما وانما لماضى فتقول ربما قام الامر ور بماز بد في السار وواحد في ربما وقلت زيد في الدار وقام الامر لصح وكذلك في انما ولكنما واما عما وبما فليست كذلك لان قوله تعالى فيما رحمة من الله لثلاث لهم لو اذهب بما وقلت رحمة من الله لثلاث لهم لما كان كلاما قابلا بعد تعلقها بما يحتاج اليها فهم باقية حقيقة ولكنما وانما وربما للاستغنى عنها فكانها لم يبق حكمها ولا عمل للمدوم فان قيل ان اذا لم تكف بما فا بعده كلام تام فوجب ان لا يكون له عمل تقول ان زيدا قائم ولو قلت زيد قائم لكني وتم (تقول) ليس كذلك لان ما بعد ان جاز ان يكون نكرة تقول ان رجلا جاني واخبرني بكذا واخبرني بعكسه وتقول جاني رجل واخبرني ولا يحسن انما رجل جاني كالمولم تكن هناك انما وكذلك القول في انما وانما فانك لو حذفتهما واقتصرت على ما يكون بعدهما لا يكون تاما فليست كافة والكلام في عمل قد تقدم مرارا * ثم قال تعالى (يا ايها الذين امنوا لا تبخروا قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ولا تلبسوا بلباسكم ولا تلبسوا بالالباق) وقد بينا ان السورة للارشاد بهدرا شاد فبعد الارشاد الى ما ينبغي ان يكون عليه المؤمن مع الله تعالى ومع النبي صلى الله عليه وسلم ومع من يخالفهما ويعصيهما وهو الفاسق بين ما ينبغي ان يكون عليه المؤمن مع المؤمن وقد ذكرنا ان المؤمن امان ان يكون حاضرا واما ان يكون غائبا فان كان حاضرا فلا ينبغي ان يبخر منه ولا يلتفت اليه بما ينافي التعظيم وفي الآية اشارة الى امور ثلاثة مرتبة بعضها دون بعض وهي السخرية واللمز والتبر فالسخرية هي ان لا ينظر الانسان الى اخيه بعين الاجلال ولا يلتفت اليه ويسقطه عن درجته وحينئذ لا يذكر ما فيه من المعاييب وهذا كما قال بعض الناس تراهم اذا ذكر عندهم عدوهم يقولون هو ذنوب ان يذكرنا قل من ان يلتفت اليه فقال لا تحقر واخوانكم ولا تستهزؤوهم (الثاني) هو اللمز وهو ذكر ما في الرجل من العيب في غيبته وهذا دون الاول لان في الاول لم يلتفت اليه ولم يرض بان يذكره احد وانما جعله مثل المسخرة الذي لا يعبس له ولا عليه (والثالث) هو التبر وهو دون الثاني لان في هذه المرتبة يضيف اليه وصفا نابيا فيوجب بغضه وخط مزيله واما التبر فهو مجرد النسبة وان لم يكن فيه وذلك لان اللقب الحسن والاسم المستحسن اذا وضع لواحد وعلق عليه لا يكون معناه موجودا فان من يسمى سعدا وسعيدا قد لا يكون كذلك وكذا من لقب امام الدين وحسام الدين لا يفهم منه انه كذلك وانما هو علامه فوزينه وكذلك التبر يلروان ومروان الحمار لم يكن كذلك وانما كان ذلك سمعة ونسبة ولا يكون اللفظ مرادا اذا لم يرد به الوصف كما ان الاعلام

ولا تسخر نساء من
الأمثات (من نساء)
منهن (عسى أن يكن)
أى المسخور منهن (خيرا)
منهن (أى من السخرات)
فان مناط الخيرية في
الفرقين ليس ما يظهر
للتاس من الصور
والاشكال ولا الاوضاع
والاطوار التي عليها
يدور أمر السخرية
غايابا بل انما هو الامور
الكامنة في القلوب

كذلك فانك اذا قلت ان سمي بعد الله أنت عبد الله فلا تعبد غيره وتريد به وصفه لا تكون قد أتيت باسم علمه الاشارة فقال لا تكبروا وتستحقروا اخوانكم وتستصغروهم بحيث لا تنقوا اليهم أصلا واذا نزلتم من هذا من النعم اليهم فلا تعبدوا طالين حط درجتهم والنقص عن منزلتهم واذا تركتم النظر في معانيهم ووصفهم بما يعيبهم فلا تسبهم بما يكرهونه ولا تنقوا هذا ليس يعيب يذكر فيه انما هو اسم يتلفظ به من غير قصد الى بيان صفة وذكر في الآية مباحث (الاول) قوله لا يسخر قوم من قوم ان قوم اسم يقع على جمع من الرجال ولا يقع على النساء ولا على الاطفال لانه جمع قائم كصوم جمع صائم والقائم بالامورهم الرجال فعلى هذا الاقوام الرجال لا النساء (فائدة) وهي ان عدم الالتفات والاستحقار انما يصدر في أكثر الامر من الرجال بالنسبة الى الرجال لان المرأة في نفسها ضعيفة فاذا لم تبلغت الرجال اليها لا يكون لها أمر قال النبي صلى الله عليه وسلم النساء لطم على وضعم الامار ددت عنه وأما المرأة فلا يوجد منها استحقار لرجل وعدم التفاتها اليه لاضطرارها في دفع حوائجها وأما الرجال بالنسبة الى الرجال والنساء بالنسبة الى النساء فيوجد فيهم هذا النوع من القبح وهذا أشهر (المسئلة الثانية) قال في الدرجة العالية التي هي نهاية المنكر عسى أن يكونوا خيرا منهم كسر له وبفضل النكره وقال في المرتبة الثانية لا تلزوا أنفسكم جعلهم كأنفسهم لما نزلوا درجة رفعهم الله درجة وفي الاول جعل المسخور منه خيرا وفي الثاني جعل المسخور منه مثالا وفي قوله عسى أن يكونوا خيرا منهم حكمة وهي انه وجد منهم النكر الذي هو مفض الى الاهمال وجعل نفسه خيرا منهم كما فعل ابليس حيث لم يلتفت الى آدم وقال أنا خير منه فصار هو خيرا ويمكن أن يقال المراد من قوله أن يكونوا يصيروا فان من استحق انسانا لغيره أو وحدته أو ضعفه لا يأمن أن يفتقر هو ويستغنى العقبير ويضعف هو ويقوى الضعيف (المسئلة الثالثة) قال تعالى قوم من قوم ولم يقل نفس من نفس وذلك لان هذا فيه اشارة الى منع التكبر والتكبر في أكثر الامر يرى جبوته على رؤس الاشهاد واذا اجتمع في الخلوات مع من لا يلتفت اليه في الجامع يجعل نفسه متواضعا فذكرهم بلفظ القوم متعاليهم عما يفعلونه (المسئلة الرابعة) قوله تعالى ولا تلزوا أنفسكم فيه وجهان (أحدهما) ان عيب الاخ عائد الى الاخ فاذا عاب عاب نفسه فكأنه عاب نفسه (وثانيهما) هو انه اذا عابه وهو لا يتخلو من عيب يحار به المعيب فيعيبه فيكون هو بعيبه حاملا للتفسير على عيبه وكأنه هو العاب نفسه وعلى هذا يحمل قوله تعالى ولا تنقوا أنفسكم أي أنكم اذا قلتم أنفسنا فتكونوا كأنكم قلتم أنفسكم ويحمل وجه آخر ثالثا وهو ان لا تنقوا لانعيوا أنفسكم أي كل واحد منكم فانكم ان فعلتم فقد عتبتم أنفسكم أي كل واحد عاب كل واحد فاحد فضرتم عائبين من وجه معين من وجه وهذا الوجه ههنا ظاهر ولا كذلك في قوله تعالى ولا تنقوا أنفسكم (المسئلة الخامسة) ان قبل قد ذكرتم ان هذا ارشاد

فلا يجترى أحد على استحقار أحد فاعله أجمع منه لما يخط به الخير به عند الله تعالى فيعلم نفسه بتحقير من وقره الله تعالى والاستهانة بمن عظمه الله تعالى وقرى عسوا أن يكونوا وعسين أن يكن فحسبى حينئذ هي ذات الخبر كما في قوله تعالى فهل عسيتم وأما على الاول فهي التي لا خبر لها (ولا تلزوا أنفسكم) أي ولا يعيب بعضكم بعضا فان المؤمنين كنفس واحدة أو لا تفعلوا ما تلزون به فان من فعل ما يستحق به اللوم فقد ألزم نفسه واللمز الطعن باللسان وقرى بضم الميم (ولا تلزوا بالالقب) أي ولا يدع بعضكم بعضا بلقب السوء فان التبر يخفى به عرفا

(بئس الاسم الفسق
بعد الايمان) أى بئس
الذكر المرتفع للمؤمنين
أن يذكروا بالفسق بعد
دخولهم الايمان أو اشتهار
هم به فإن الاسم ههنا
بمعنى الذكر من قواهم
طوار اسمه في الناس
بالكرم أو باللوم والمراد به
أما تسمين نسبة الكفر
والفسوق الى المؤمنين
خصوصا فذروى أن
الاية نزلت في صفة
بنث حى أنت رسول
الله صلى الله عليه وسلم
فقال ان النساء يقانلى
يايهودية بنث يهوديين
فقال عليه الصلاة
والسلام هلاقلت ان
أبى هرون وعمى موسى
وزوجى محمد عليهم
السلام أو الدلالة على
أن التنازير فسق والجمع
بينه وبين الايمان فيصح
(ومن اربى) عما نهي
عنه (فأوئك هم
الظالمون) بوضع
العصيان موضع الطاعة
وتعريض النفس للعقاب
(يا أيها الذين آمنوا
اجزوا كثيرا من الظن)
أى كونوا على جانب منه

للمؤمنين الى ما يجب ان يفعله المؤمن عند حضوره بعد الاشارة الى ما يفعله في غيبته
لكن قوله تعالى ولا تلزوا قيل فيه بأنه العيب خلف الانسان والهمز هو العيب في
وجسه الانسان نقول ليس كذلك بل العكس أولى وذلك لاما اذا نظرنا الى قلب
الحروف دلان على العكس لأن لمز قبلنا لمز وهمز قبله هزم والاول يدعى القرب والثنى
على البعدان قيل المزم هو الظن والعيب في الوجه كذا أى مع ان كل واحد قيل
بمعنى واحد (المسئلة السادسة) قال تعالى ولا تلزوا أى لا تلزوا ولا تلزوا لان اللام
اذا لمز لمز قد لا يبعد فيه في الحال حين المزم والهمز هو العيب في وجهه على عيب
في وجهه المزم من جانب وأما التنازير فلا تلزوا أى لا تلزوا ولا تلزوا ولا تلزوا
وهو يبرز بالور وغمه فالظاهر ان التنازير يرضى في الحال الى التنازير ولا كذلك المزم
وقوله تعالى (بئس الاسم الفسوق بعد الايمان) قيل فيه ان المراد بئس أن يقول المسلم
يايهودى بعد الايمان أى بعدما آمن فبئس تسميته بالكافرو ويحمل وجهه الحسن من هذا
وهو أن يقال هذا تمام الزجر كأنه تعالى قال يا أيها الذين آمنوا لا تسخر قوم من قوم ولا
تلزوا ولا تنازروا فإنه ان فعل يفسق بعدما آمن والمؤمن يقع منه أن يأتى بعد ايمانه
بفسوق فيكون كقوله تعالى الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم ويصير التقدير بئس
انفسوق بعد الايمان وبئس أن تسموا بانفساق بسبب هذه الافعال بعدما سميتوهم
مؤمنين * قال تعالى (ومن لم يفتأوا ذلك هم الظالمون) وهذا يحتمل وجهين (أحدهما)
ان يقال هذه الاشياء من الصغار فمن يصبر عليه يصير ظالما فاسقا وبالمره الواحدة لا يتصف
بالظلم والفسق فقال ومن لم يترك ذلك ويجعله عادة فهو ظالم (وثانيهما) أن يقال قوله تعالى
لا تسخروا ولا تلزوا ولا تنازروا منع لهم عن ذلك في المستقبل وقوله تعالى ومن لم يفتأ
أمرهم بالثوبة عامضى واطهار الندم عليها مبالغة في التحذير وتشديد فى الزجر
والاصل فى قوله تعالى ولا تنازروا ولا تسخر احدى السائرين كما أسقط
فى استفهام احدى الهمزتين فقال سواء عليهم أنذرتهم والحذف ههنا أولى لان تاء
الخطاب وتاء التفاعل حرفان من جنس واحد فى كلمة وهمة الاستفهام كلمة برأسها وهمة
أنذرتهم أخرى واحتمال حرفين فى كلين أسهل من احتمال فى كلمة ولهذا وجب الادغام
فى قولنا مد ولم يجب فى قولنا مدد وقولنا مردود وقوله أمر ربنا * ثم قال تعالى (يا أيها
الذين آمنوا اجنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغيب بعضكم
بعضا يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله توأب رحيم)
لأن الظن هو السبب فيما تقدم وعليه تبني القبايح ومنه يظهر العدو المكاشح والقائل
اذا أوقف أموره على معين قلما يتيقن فى أحد عيبا فليز به فان الفعل فى الصورة قد
يكون قبيحا وفى نفس الا لا يكون كذلك لجواز أن يكون فاعله ساهبا أو يكون الرافى

وابهام الكثير لا يجاب
 الاحتياط والمأل في كل
 ظن ظن حتى يعلم أنه من
 أي قبيل فان من الظن
 ما يجب اتباعه كالظن
 فيما لا قاطع فيه من
 العمليات وحسن الظن
 بالله تعالى ومنه ما يحرم
 كالظن في الالهيات
 والنبوات وحيث يخالفه
 قاطع وظن السوء بالؤمنين
 ومنه ما يباح كالظن في
 الامور المعاشية (ان بعض
 الظن اثم) لتعليل الامر
 بالاجتناب أولو جبه
 بطريق الاستسفاف
 التحقفي والاثم الذنب
 الذي يستحق العقوبة
 عليه وهمرته متقلبة من
 الواو كانه يثم الاعمال
 أي يكسرها (ولا تجسموا)
 أي ولا تجعلوا من عورات
 المسلمين تفعل من الجس
 لما فيه من معنى الطلب
 كأن التلس بمعنى التطلب
 لما في اللبس من الطلب
 وقد جاء بمعنى الطلب
 في قوله تعالى وأنا لنستأ
 السماء وقرى بالخاء من
 الحس الذي هو أثر الجس
 وغايته ولتقار بهما

مخطنًا وقوله كثيرا اخراج للظنون التي عليها تبني الخبرات قال النبي صلى الله عليه وسلم
 ظنوا بالمومن خيرا وبالجملة كل امر لا يكون بناؤه على اليقين فالظن فيه غير محتجب
 مثاله حكم الحاكم على قول الشهود وبراءة الدمة عند عدم الشهود الى غير ذلك فقوله
 اجتنبوا كثيرا وقوله تعالى ان بعض الظن اثم اشارة الى الاخذ بالاحوط كما كان الطريق
 المتخوفة لا يتفق في كل مرة فيه قاطع طريق لكنك لاتسلك لانساق ذلك فيد مرة ومرة
 الا اذا تعين فتسلكه مع رقة كذلك الظن ينبغي بعد اجتهد اتمام ووثوق بالآثم ثم قال تعالى
 ولا تجسسوا تماما لما سبق لانه تعالى لما قال اجتنبوا كثيرا من الظن فهم منه ان المعتبر
 اليقين فيقول القائل انا اكشف فلانا يعني اعلمه يقينا وأطلع على عيبه مشاهدة فأعيب
 فأكون قد اجتنبت الظن فقال تعالى ولا تتبعوا الظن ولا تجنهدوا في طلب اليقين في
 معايب الناس ثم قال تعالى ولا يغيب بعضكم بعضا اشارة الى وجوب حفظ عرض المؤمن
 في غيبته وفيه معان (أخذها) في قوله تعالى بعضكم بعضا فانه لا عموم في الحقيقة كقوله
 لاتنوا أنفسكم وأما من اغتاب فالغتاب ولا يعلم عيبه فلا يحمل فعله على ان يغتابه فلم يقل
 ولا تغتابوا أنفسكم لمان الغيبة ليست حاملة للغائب على غيبة من اغتابه والعيب حامل
 على العيب (ثانيها) اوقال قائل هذا المعنى كان حاصلا بقوله تعالى لا تغتابوا مع الاقتصار
 عليه نقول لا وذلك لان المنوع اغتياب المؤمن فقال بعضكم بعضا وأما الكافر فيلعب
 ويذكر بما فيه وكيف لا والفاسق يجوز ان يذكر بما فيه عند الحاجة (ثالثها) قوله تعالى
 أيجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا دليل على أن الاغتياب المنوع اغتياب المؤمن
 لا ذكر الكافر وذلك لانه شبهه بأكل لحم الاخ وقال من قبل انما المؤمنون اخوة فلا
 اخوة الا بين المؤمنين ولا منع الا من شئ يشبه أكل لحم الاخ في هذه الآية نهى عن
 اغتياب المؤمن دون الكافر (رابعها) ما الحكمة في هذا التشبيه نقول هو اشارة الى ان
 عرض الانسان كدمه ولحمه وهذا من باب القياس الظاهر وذلك لان عرض المرء اشرف
 من لحمه فاذا لم يحسن من العاقل اكل لحوم الناس لم يحسن منه قرض عرضهم بالطريق
 الاولى لان ذلك أثم وقوله لحم أخيه أكد في المنع لان العدو يحمله الغضب على مضغ لحم
 العدو وقال أصدق الاصدقاء من ولدته أمك فأكل لحمه أقبح ما يكون وقوله تعالى ميتا
 اشارة الى دفع وهم وهو ان يقال القول في الوجه يؤلم فيحرم وأما الاغتياب فلا اطلاع
 عليه للمغتاب فلا يؤلم فقال أكل لحم الاخ رهوميت ايضا لا يؤلم ومع هذا هو في غاية القبح
 لما أنه لو اطلع عليه لتألم كما ان الميت لو أحس بأكل لحمه لتألم وفيه معنى وهو ان
 الاغتياب كأكل لحم الأدمي ميتا ولا يحمل أكله الا لالمضطر بعد الحاجة والمضطر اذا
 وجد لحم الميتة ولحم الأدمي الميت فلا يأكل لحم الأدمي فكذلك الغتاب ان وجد
 حاجة مدفعا غير الغيبة فلا يباح له الاغتياب وقوله تعالى ميتا حال عن اللحم أو عن الاخ
 فان قيل اللحم لا يكون ميتا فلنأبى قال النبي صلى الله عليه وسلم ما بين من حى فهو

ميت فسمى الفلقة ميتا فان قيل اذا جعلناه حالا عن الاخ لا يكون هو الفاعل ولا المفعول فلا يجوز جعله حالا كما يقول القائل مررت بأخي زيد قائما ويريدكون زيدا قائما قلنا يجوز أن يقال من أكل لحمه فقد أكل فصار الاخ مأكولا مفعولا بخلاف المرور بأخي زيد فيجوز أن تقول ضربت وجهه أتمسا أي وهو أتم أي صاحب الوجه كأنك اذا ضربت وجهه فقد ضربته ولا يجوز أن تقول من قتت ثوبه أتما فيجعل الأتم حالا من غيرك وقوله تعالى فكرهتموه فيه مسئلتان (المسئلة الاولى) العائد اليه الضمير يخل وجوها (الاول) وهو الظاهر أن يكون هو الاكل لان قوله تعالى يحب أحدكم أن يأكل معناه يحب أحدكم الاكل لان أن مع الفعل تكون المصدر يعني فكرهتم الاكل (الثاني) أن يكون هو اللحم أي فكرههم اللحم (الثالث) أن يكون هو الميت في قوله ميتا وتقديره يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا متغيرا فكرهتموه فكأنه صفة لقوله ميتا ويكون فيه زيادة مبالغة في التحذير يعني الميتة أن أكلت في الندرة لسبب كان نادرا ولكن اذا أنت وأروح وتغير لا يؤكل أصلا فكذلك ينبغي أن تكون الغيبة (المسئلة الثانية) الفاء في قوله تعالى فكرهتموه تقضي وجود تعلق فإذا ذلك يقول فيه وجوه (أحدها) أن يكون ذلك تقدير جواب كلام كانه تعالى لما قال يحب قيل في جوابه ذلك (وثانيا) أن يكون الاستفهام في قوله يحب لأينكار كأنه قال لا يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه اذا ولا يحتاج الى اضممار (وثالثها) أن يكون ذلك التعلق هو تعلق المسبب بالسبب وترتبه عليه كما تقول جاء فلان ماشيا فعب لان المشي يورث التعب فكذلك ميتا لان الموت يورث الفترة الى حد لا يشتهي الانسان أن يبيت في بيت فيه ميت فكيف يقر به بحيث يأكل منه ففيه اذا كراهته شديدة فكذلك ينبغي أن يكون حال الغيبة ثم قال تعالى واتقوا الله ان الله ثواب رحم عطف على ما تقدم من الاوامر والنواهي أي اجنبوا واتقوا وفي الآية لطائف منها ان الله تعالى ذكر في هذه الآية أمورا ثلاثة مرتبة يساها هو ان الله تعالى قال اجنبوا كسيرا أي لا تقولوا في حق المؤمنين ما لم تعلموه فيهم بناء على الظن ثم اذا سلمتم عن المظنونات فلا تقولوا نحن نكشف أمورهم نستفيها قيل ذكرها ثم ان علمتم منها شيئا من غير تحسس فلا تقولوا ولا تقشوه عنهم ولا تعبوا في الاول نهى عالم يعلم ثم نهى عن طلب ذلك العلم ثم نهى عن ذكر ما علم ومنها ان الله تعالى لم يقل اجنبوا أن تقولوا أمرا على خلاف ما تعلمونه ولا قال اجنبوا الشك بل أول ما نهى عنه هو القول بالظن وذلك لان القول على خلاف العلم كذب وافتراء والقول بالشك والرجح بالغيب سفه وهزؤ وهما في غاية القبح فلم يندعه عنه اكتفاء بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لان وصفهم بالايان يمنعهم من الافتراء والارتساب الذي هو دأب الكفار وانما منعهم عما يكثر وجوده في المسلمين ولذلك قال في الآية لا يسخر ومنها انه ختم الآيتين بذكر التوبة فقال في الاولى ومن لم ينب فأولئك هم الظالمون وقال في

للساخر الحواس بالخاء
والجيم وفي الحديث
لا تتبعوا عورات المسلمين
فان من تتبع عورات
المسلمين تتبع الله عورته
حتى يفضحه ولو في
جوف يده (ولا يغيب
بعضكم بعضا) أي لا
يذكر بعضكم بعضا
بالسوء في غيبته وسئل
رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن الغيبة فقال
ان تذكر أحاك بما يكره
فان كان فيه فقد اغتبته
وان لم يكن فيه فقد سبتته
وعن ابن عباس رضي الله
عنهما الغيبة ادم
كلاب الناس (ايحب
أحدكم أن يأكل لحم
أخيه ميتا) ثم قيل
وتصور يراد يصدر عن
الغتاب من حيث صدوره
عنه ومن حيث تعلقه
بصاحبه على أفحش
وجه وأشنع طبع
وعسلا وشرعا مع
مبالغات من فنون شتى
الاستفهام التقرير
واسناد الفعل الى أحد
اينابا أن أحدا

من الاحدين لايفعل ذلك وتعلق المحبة بما هو في غاية الكراهة وتمثيل الاغشياء باكل لحم

الانسان وجعل الماء كالأكل
أما للأكل وميتا
واخراج مماثلها يخرج
أمرين غنى عن الاخبار
به وقرى ميتا بالشديد
وانتصابه على الحالية
من اللحم وقيل من الاخ
والغاة في قوله تعالى
(فكرهتموه) لارتيب
ما بعدها على ما قبلها
من التثنية كأنه قيل
وحيث كان الامر كما ذكر
فقد كرهتموه وقرى
كرهتموه أى جبلتم على
كراهته (واتقوا الله)
بترك ما أمرتم باجتنابه
والندم على ما صدر
عنكم من قبل (ان الله
تواب رحيم) مبالغ
في قبول التوبة واغاضة
الرحمة حيث يجعل
التائب كمن لم يذنب
ولا يخص ذلك بتائب
دون تائب بل يعم الجميع
وان كثرت ذنوبهم
روى أن رجلا من
الصحابه رضى الله
عنهم بعثا سلمان الى
رسول الله صلى الله
عليه

الآخرى ان الله تواب لكن في الآية الاولى لما كان الابتداء بالنهي في قوله لا يسخر قوم
من قوم ذكر النفي الذى هو قريب من النهي وفي الآية الثانية لما كان الابتداء بالامر في
قوله اجتنبوا ذكر الارتياح الذى هو قريب من الامر * ثم قال تعالى (يا ايها الناس
انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم
ان الله عليم خبير) تبيننا لما تقدم وتقريرا له وذلك لان السخرية من الغير والعيب ان
كان بسبب التفاوت في الدين والايان فهو جائز لما بينا ان قوله لا يغتب بعضكم بعضا
وقوله ولا تلذوا أنفسكم منع من عيب المؤمن وغيبته وان لم يكن لذلك السبب فلا يجوز
لان الناس بعمومهم كفارا كانوا أو مؤمنين يشتركون فيما يقتضيه المتعذر غير الايمان
والكفر والافتقار ان كان بسبب الغنى فالكافر قديكون غنيا والمؤمن فقيرا وبالعكس
وان كان بسبب النسب فالكافر قديكون نسبيا والمؤمن قديكون عبدا أسود وبالعكس
فالناس فيما ليس من الدين والتزوى متساوون متقاربون وشئ من ذلك لا يؤثر مع عدم
التزوى فان كل من يتدين بدين يعرف أن من يوافقه في دينه أشرف من يخالفه فيه وان
كان أرفع نسبا أو أكثر نشأ فكيف من له الدين الحق وهو فيه راسخ وكيف يرجح
عليه من دونه فيه بسبب غيره وقوله تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى فيه
وجهان (أحدهما)) من آدم وحواء (ثانيهما) كل واحد منكم أيها الموجودون وفن
النداء خلقناه من أب وأم فان قلنا ان المراد هو الاول فذلك اشارة الى ان لا يتفاخر
البعض على البعض لكنهم أبناء رجل واحد وامرأة واحدة وان قلنا ان المراد هو الثاني
فذلك اشارة الى أن الجنس واحد فان كل واحد خلق كما خلق الآخر من أب وأم
والتفاوت في الجنس دون التفاوت في الجنس فان من شأن التفاوت أن لا يكون تقدير
التفاوت بين الذئاب والكلاب لكن التفاوت الذي بين الناس الكفر والايمان كان تفاوت
الذى بين الجنسين لان الكافر سعاد اذ هو كالانعام بل أضل والمؤمن انسان في المعنى
الذى ينبغي أن يكون فيه والتفاوت في الانسان تفاوت في الجنس لا في الجنس اذ كلهم
من ذكر وأنثى فلا ينبغي لذلك عند هذا الاعتبار وفيه مباحث (البحث الاول) فان قيل هذا
مبنى على عدم اعتبار النسب وليس كذلك فان للنسب اعتبارا عرفا وشرعا حتى
لا يجوز تزويج الشريفة بالشيطي فنقول اذا جاء الامر العظيم لا يبيح الامر الحقير معتبرا
وذلك في الحس والشرع والعرف أما الحس فلان الكواكب لا ترى عند طلوع الشمس
ولجناح النقيب دوى ولا يسمع عندما يكون زعد قوى وأما في العرف فلان من جاء مع
الملك لا يبيح له اعتبار ولا اليه التفات اذا علمت هذا فيهما في الشرع كذلك اذا جاء
الشرف الديني الالهى لا يبيح لامر هناك اعتبار بالنسب ولا بالنسب لا ترى ان الكافر
وان كان من أعلى الناس نسبيا والمؤمن وان كان من أدونهم نسبيا لا يقاس أحدهما
بالآخر وكذلك ما هو من الدين مع غيره ولهذا يصلح للنسب الدينية كالتفضاء

وسلم يعني لهما اذاما وكان أسامة على ٦٠٥ طعنه عليه الصلاة والسلام فقال ما عندني شيء

فأخبرهما سلمان فقالا
لوبيثنا سلمان الى بيت
سميحة لغار ماؤها
فلما راح الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم
قال لهما مالي ارى
خضرة اللحم في أفواهكما
فقالا ما تناولنا فقال
عليه الصلاة والسلام
انكما قد اغتبتا فانهات
(يا أيها الناس انا خلقناكم
من ذكر وأنثى) من آدم
وحواء أو خلقنا كل
واحد منكم من أب وأم
فالكل سواء في ذلك
فلا يوجد التفاخر بالنسب
وقد جاز أن يكون
تأكيد الله صلى الله عليه وسلم
بشرير الاخوة المانعة
من الاغتياب (وجعلناكم
شعوبا وقبائل) الشعب
الجميع العظيم المنسوبون
الى أصل واحد وهو
يجمع القبائل والقبيلة
يجمع العمار والعمارة
يجمع البطون والبطن
يجمع الافخاذ والفخذ
يجمع الفصائل وفخيمة
شعب وكنانة

والشهادة كل شريف ووضع اذا كان ديننا لصالحا ولا يصلح شيء منها فاسق وان كان
قرشي النسب وقاروني النسب ولكن اذا اجتمع في اثنين الدين المين وأحدهما نسب
ترجح بالنسب عند الناس لا عند الله لان الله تعالى يقول وأن ليس للانسان الاماسعى
وشرف النسب ليس مكتسبا ولا يحصل بسعي (البحث الثاني) بما الحكمة في اختيار
النسب من جملة أسباب التفاخر ولم يذكر المال نقول الامور التي يقتخر بها في الدنيا
وان كانت كثيرة لكن النسب اعلاها لان المال قد يحصل للتفسير فيبطل افتخار
المفتخر به والحسن والسن وغير ذلك غير ثابت دائم والنسب ثابت مستمر غير مقدور
التحصيل لمن ليس له ذلك فاختاره الله للذكور وأبطل اعتباره بالنسبة الى التقوى ليعلم منه
بطلان غيره بالطريق الاولى (البحث الثالث) اذا كان ورود الآية ليبيان عدم جواز
الافتخار بغير التقوى فهل لقوله تعالى انا خلقناكم فائدة تقول نعم وذلك لان كل شيء
يترجح على غيره فاما أن يترجح بأمر فيه الحققة ويترتب عليه بعد وجوده واما أن يترجح عليه
بأمر هو قوله والذي يمدد كالحسن والقوة وغيرهما من الاوصاف المطاوعة من ذلك الشيء
والذي قلناه فلما راجع الى الاصل الذي منه وجد أو الى الفاعل الذي هو له أو وجد كما يقال
في اناء من هذا من النحاس وهذا من الفضة ويقال هذا فلان وهذا فلان فلان فقال
تعالى لا ترجح فيما خلقتم منه لانكم كالكم من ذكر وأنثى ولا بالنظر الى جاعلكم لانكم
كالكم خلقكم الله فان كان بينكم تفاوت يكون بامور تلحقكم وتحصل بعد وجودكم
وأشرفها التقوى والقرب من الله تعالى ثم قال تعالى وجعلناكم شعوبا وقبائل وفيه
وجهان (أحدهما) جعلناكم شعوبا متفرقة لا يدري من نعمكم كالنعم وقبائل
يجمعكم واحد معلوم كالعرب وبين اسرائيل (وثانيهما) جعلناكم شعوبا اخلافت
قبائل فان القبيلة تحتها شعوب وتحت الشعوب البطون وتحت البطون الافخاذ وتحت
الافخاذ الفصائل وتحت الفصائل الاقارب وذكر الاعم لا يذهب للافتخار لان الامر
الاعم منها يدخله فقراء وأغنياء كثيرة غير معصورة ومنفعة وأقرب كثره غير معدودة
ثم بين فائدة ذلك وهي التعارف وفيه وجهان (أحدهما) انما جعلناكم شعوبا لتتعارف
(وثانيهما) ان فائدة التعارف لا انما كروا للفرق المتخرفة والعبية تفضي الى التمايز
لا الى التعارف وفيه معان لطيفة (الاولى) قال تعالى انا خلقناكم وقابل وجعلناكم لان
الخلق أصل تفرع عليه الجمل شعوبا فان الاول هو الخلق والابحاد ثم الانصاف لما
اتصفوا به لكن الجمل شعوبا للتعارف والخلق للعبادة كما قال تعالى وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون واعتبار الاصل متقدم على اعتبار الفرع فاعلم ان النسب
يعتبر بعد اعتبار العبادة كما ان الجمل شعوبا يتحقق بعد ما يتحقق الخلق فان كان فيكم
عبادة تعتبر فيكم أنسابكم والا فلا (الثانية) قوله تعالى خافناكم وجعلناكم اشارة الى
عدم جواز الافتخار لان ذلك ليس لسعيكم ولا قدرة لكم على شيء من ذلك فكيف

قبيلة وقرى بش غارة وقصى بطن وهاشم فخذ ٦٠٦ والعباس فصيلة وقيل الشعوب بطون الحميم

والقبائل بطون العرب
(لعارفوا) يعرف
بعضكم بعضا بحسب
الانساب فلا يعترى
أحد الى غير آياته
لا تتفاخروا بالآباء
القبائل وتدعوا التفاوت
والغاضل في الانساب
وقرى لعارفوا على
الاصل ولعارفوا
بالادغام ولعارفوا (ان)
أكرمكم عند الله
أنفاكم (لعليل للهمي
عن التفاخر بالانساب
المستفاد من الكلام
بطريق الاستئناف
التحقيق كأنه قيل
ان الاكرم عنده تعالى
هو الاتقى فان فاخرتم
ففاخروا بالتقوى وقرى
بان المفتوحة على حذف
لام التعليل كأنه قيل
لم لا تتفاخر بالانساب
فقيل لان أكرمكم
عند الله أنفاكم لأنسبكم
فان مدار كمال النفوس
وتفاوت الاشخاص
هو التقوى فنراهم تباين
الدرجات العالقية
بالتقوى قال عليه
الصلوة والسلام

تفخرون بما لا مدخل لكم فيه فان قيل الهداية والضلال كذلك لقوله تعالى انا هديناه
السبيل نهدي من انشاء فتقول أثبت الله لنا فيه كسبا مينا على فعل كما قال الله تعالى
فن شاء اتخذ لى ربه سبيلا ثم قال تعالى وما تساوتن الا ان يشاء الله وأما في النسب فلا
(الثالثة) قوله تعالى لعارفوا اشارة الى قياس خفى وبينه هو انه تعالى قال انكم
جعلتم قبائل لعارفوا وانتم اذا كنتم أقرب الى شريف تفخرون به فتخلفكم لعارفوا
ربكم فاذا كنتم أقرب منه وهو أشرف الموجودات كان الاحق بالافتخار هناك من
الكل الافتخار بذلك (الرابعة) فيه ارشاد الى برهان يدل على ان الافتخار ليس بالانساب
وذلك لان القبائل للعارف بسبب الانساب الى شخص فان كان ذلك الشخص
شريف يصح الافتخار في ظنكم وان لم يكن شريفا لم يصح فشرى ذلك الرجل الذى تفخرون
به هو بانسابه الى فصيلة أو باكتساب فضيلة فان كان بالانساب لزم الاتهام وان كان
بالاكتساب فالدين القبيح الكريم المحسن صار مثل من يتفخر به المتفخر فكيف يتفخر
بالاب واب الاب على من حصل له من الحفظ والخير ما فضل به نفسه عن ذلك الاب والجد
الاهم الان يجوز شرف الانساب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان أحد الاقرب من
الرسول فى الفضيلة حتى يقول أنا مثل أهلك ولكن فى هذا النسب أثبت النبي صلى الله
عليه وسلم الشرف لمن نسب اليه بالاكتساب ونفاه ان اراد الشرف بالانساب فقال
نحن معاشر الانبياء لانورث وقال العلماء ورثة الانبياء أى لانورث بالانساب وانما نورث
بالاكتساب سمعت أن بعض الشرفاء فى بلاد خراسان كان فى النسب أقرب الناس
الى على عليه السلام غير انه كان فاسقا وكان هناك مولى أسود تقدم بالعلم والعمل ومال
الناس الى التبرك به فاتفق انه خرج يوما من بيته يقصد المسجد فاتبعه خلق فلقبه الشريف
سكران وكان الناس يطردون الشريف ويبعدونه عن طريقه فغلبهم وتعلقوا بطراف
الشيخ وقال له بأسود الخوافر والشوافر يا كافر ابن كافر أنا ابن رسول الله أذل وتجل
وأذم وتكرم وأهان وتعان فهم الناس بضربه فقال الشيخ لا هذا محتمل منه لجدده وضربه
معدود لحذه ولكن يا ايها الشريف ييضت باطنى وسودت باطنك فيرى الناس يياض
قلبي فوق سواد وجهي فحسنت وأخذت سيرة أهلك وأخذت سيرة أبى قرأتى الخلق فى سيرة
أهلك وراؤك فى سيرة أبى فضنوتى ابن أهلك وظنوك ابن أبى فعملوا معك ما يعمل مع أبى
وعملوا معى ما يعمل مع أهلك ثم قال تعالى ان أكرمكم عند الله أنفاكم وفيه وجهان
(أحدهما) ان المراد من يكون أنقى يكون عند الله أكرم أى التقوى تعيد الاكرام
(ثانيهما) ان المراد أن من يكون أكرم عند الله يكون أنقى أى الاكرام يورث التقوى
كما يقال الخالصون على خطر عظيم والاول أشهر والثاني أظهر لان المذكور ثانيا ينبغي أن
يكون محمولا على المذكور أولا فى الظاهر فيقال الاكرام لا تبنى لكن ذوالهموم فى المشهور
هو الاول يقال اذا اطعمت أحلاها أى اللذة بقدر الخلاوة لأن الخلاوة بقدر اللذة وهى

من سمره أن يكون أكرم الناس ﴿ ٦٠٧ ﴾ فليتيق الله وقال عليه الصلاة والسلام يا أيها الناس إنما الناس

رجلان مؤمن تقي كريم
صلى الله تعالى وفاجر
شقي هين على الله تعالى
وعن ابن عباس رضي الله
عنهما كرم الدنيا الغنى
وكرم الآخرة التقوى
(إن الله عليم) بكم
وبأعمالكم (خير)
يدوطن أحوالكم
(فألت الاعراب أمنا)
نزات في نفر من بني
أسد قدموا المدينة في
سنة حبيب فأظهروا
الشهادتين وكانوا
يقولون لرسول الله
صلى الله عليه وسلم
أزيناك بالانقال والعيال
ولم نقسانك كما قاتاك
بنو فلان يريدون
الصدقة ويؤمنون عليه
عليه الصلاة والسلام
ما فعلوا (قل) رداهم
(لم تؤمنوا) إذا لايمان
هو التصديق المقارن
للثقة وطمانينة القلب
والم يحصل لكم ذلك
والأما منتهم على ما
ذكرتم كأيدي هته آخر
السورة (ولكن قولوا
أسلنا)

اثبات لكون التقوى مقدمة على كل فضيلة فإن قيل التقوى من الأعمال والعلم أشرف
قال النبي صلى الله عليه وسلم لقيته واحدا شديدا على الشيطان من ألف عابد يقول التقوى ثمرة
العلم قال الله تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء فلا تقوى إلا للعلم فالتقى العالم ثم علمه
والعالم الذي لا يتقى كشجرة لا ثمرة لها لكن الشجرة المثمرة أشرف من الشجرة التي لا تمر بل
هو حطب وكذلك العالم الذي لا يتقى حصب جهنم وأما العابد الذي يفضل الله عليه الفقيه
فهو الذي لا علم له وحيد لا يكون عنده من خشية الله نصاب كامل ولعله بعدد تخافة
اللقاء في النار فهو كالمكره أو لدخول الجنة فهو يعمل كالفاعل له أجره ويرجع إلى بيته
والتقى هو العالم بالله المواظب لآبائه أي المقرب إلى جنابه عنده بيت وفيه مباحث (البحث
الاول) الخطاب مع الناس والاكرم يقتضي اشتراك الكل في الكرامة ولا كرامة للكافر
فانه أضل من الانعام وأذل من الهوام يقول ذلك غير لازم مع انه حاصل بدليل قوله تعالى
ولقد كرمتنا بني آدم لان كل من خلق فقد اعترف بربه ~~كأنه~~ تعالى قال من استمر
عليه وزاد زيد في كرامته ومن رجع عنه أزيل عنه أثر الكرامة (الثاني) ما حاد التقوى
ومن الاتقى يقول ادنى مراتب التقوى أن يجنب العبد المناهي ويأتي بالأوامر ولا يفر
ولا يامن الا عندهما فان اتقى ان ارتكب منهيا لا يامن ولا يتكل له بل يتبعه بحسنة
ويظهر عليه ندامة وتوبة ومتى ارتكب منهيا ومات في الحال واتكل على المهلة في
الاجل ومنعه عن التذكر طول الامل فليس يمتق أمالاتقى فهو الذي يأتي بما أمر به
وينك ما نهى عنه وهو مع ذلك خاش ربه لا يشتغل بغير الله فيؤثر الله قلبه فان التفت
لحظة إلى نفسه أو ولد جعل ذلك ذنبه والاولين الجاهة اقوله تعالى ثم نجح الذين اتقوا
وللآخرين السوق إلى الجنة اقوله تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم فبين من أعطاه
السلطان بستانا وأسكنه فيه وبين من استخصه لنفسه يستفيد كل يوم بسبب القرب منه
بساتين وضياعا بون عظيم ثم قال تعالى ان الله عليم خبير أي عليم بطواهركم يعلم أنسابكم
خبير بواطنكم لا تخفى عليه أسراركم فاجعلوا التقوى عملكم وزيدوا في التقوى
كأزادكم ﴿ ثم قال تعالى ﴾ قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلنا ولما
يدخل الايمان في قلوبكم وان طيعوا الله ورسوله لا يلبثكم من أعمالكم شيأ ان الله
غفور رحيم) لما قال تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم والاتقى لا يكون الا بعد حصول
التقوى وأصل الايمان هو الاتقاء من الشرك قالت الاعراب لنا النسب الشريف وانما
يكون لنا الشرف قال الله تعالى ليس الايمان بالقول انما هو بالقلب فإيمانكم لانه خير
يعلم ما في الصدور ولكن قولوا أسلنا أي انقدنا واستسلنا قبل ان الآية نزات في بني أسد
أظهروا الاسلام في سنة مجدية طالين الصدقة ولم يكن قلبهم مطمئنا بالايمان وقد بينا ان
ذلك كالنار يخ التزول للاختصاص بهم لان كل من أظهر فعل المتقين وأراد أن يصبره
ما لا تنقباه من الاكرام لا يحصل له ذلك لان التقوى من غم القلب وقوله تعالى

فان الاسلام انقياد ودخول في السلم و اظهار الشهادة وترك ﴿ ٦٠٨ ﴾ المحاربة مشعربة و ايثار ما عليه النظم

الكريم على أن يقال
لا تقولوا آمنا ولكن
قولوا أسلنا أو لم تؤمنوا
ولكن أسلمتم الاحراز
من النهي عن التناقض
بالايمان والتفادي عن
اخراج قولهم مخرج
التسليم والاعتقاد به
مع كونه نقول لا محض
(ولما يدخل الايمان في
قلوبكم) حال من ضمير
قولوا أي ولكن قولوا
أسلنا حال عدم موافقة
قلوبكم لا استنكهم
ومافي لما من معنى التوقع
مشعربان هو لاء قد
آمنوا فيما بعد (وان
تطبعوا الله ورسوله)
بالاخلاص وترك النفاق
(لا يلبسكم من أعمالكم)
لا يفتضحكم (شيأ) من
أجورهم ان لا يلبس
لينا اذا نقص وقرئ
[لا يلبسكم] من الالبس
وهي افة غطفان
أو شيأ من النقص
(ان الله غفور) لما فرط
من المطيعين (رحيم)
بالتفضل عليهم

فلم تؤمنوا في تفسيره مسائل (المسئلة الاولى) قال تعالى ولا تقولوا لمن أتىكم اليكم
السلام لمست مؤمنا وقال ههنا قل لم تؤمنوا مع انهم أقوا اليهم السلام نقول اشارة الى أن
قول القاب غير معلوم واجتناب النظم واجب وانما يحكم بالظاهر فلا يقال لمن يفعل فعلا
معيضا عن المؤمن أسلم فهو منافق ولكن الله خير بما في الصدور اذا خال فلان ليس بمؤمن
حاصل الجزم وقوله تعالى لم تؤمنوا فهو الذي يجوز لنا ذلك القول وكان معجزة للنبي
صلى الله عليه وسلم حيث أسلم الله على الشيب وضمير قوله بهم فقال لنا أنهم لا تقولوا لمن
أتى اليكم السلام لمست مؤمنا لعدم علمكم بما في قلبه (المسئلة الثانية) لم ولما حرفا في
وساوان كذا من حروف التثنية ولم ولسا يجزمان وغيرهما من حروف التثنية لا يجزم
فما الفرق بينهما نقول لم لم يفعلان بالفعل ما لا يفعل به غيرهما فانهما يعبران معناه من
الاستقبال الى الماضي نقول لم يؤمن من أمس وآمن اليوم ولا نقول لا يؤمن من أمس فلما فعلا
بالفعل ما لم يفعل به غيرهما جزم بهما فان قيل مع هذا لم يجزم بهما غاية ما في الباب ان الفرق
حصل ولكن ما الدليل على وجوب الجزم بهما نقول لان الجزم والقطع يحصل في الافعال
الماضية فانه من قال قام حصل القطع بقيامه ولا يجوز أن يكون ما قام والافعال
المستقبلية اما وقوعه الحصول واما يمكنه غير متوقعة ولا يحصل القطع والجزم فيه فاذا
كان لم ولا يقبلان اللفظ من الاستقبال الى الماضي كانا يفيدان الجزم والقطع في المعنى
فجعل لهما تاسيا بالمعنى وهو الجزم لفظا وعلى هذا نقول السبب في الجزم ما ذكرنا وهذا في
الامر يجزم كأنه يجزم على الأمور انه يفعله ولا يتركه فأي فائدة في ان لا يلفظ يجزم مع ان
الفعل فيه لا بد من وقوعه وان في الشرط تغيير ذلك لان ان تغير معنى الفعل من الماضي الى
الاستقبال كما ان لم يتغير من الاستقبال الى الماضي نقول ان جئني جئت وان أكرمتني
أكرمتك فلما كان ان مثل لم في كونه حرفا وفي لزوم الدخول على الافعال وتغييره
معنى الفعل صار جازما للشبه لفظي أما الجزاء فجزم لما ذكرنا من المعنى فان الجزاء يجزم
بوقوعه عند وجود الشرط فالجزم اذا ما المعنى أو أشبه لفظي كما ان الجزاء كذلك في الاضافة
وفي الجزم بحرف (المسئلة الثانية) قوله تعالى ولكن قولوا يقتضى قولنا سابقا مخالفا لما
بعده كقولنا لا تقولوا آمنا ولكن قولوا أسلنا وفي ترك التصريح به ارشاد ونأديب كأنه
تعالى لم يجز النهي عن قولهم آمنا فلم يقل لا تقولوا آمنا وأرشدهم الى الامتناع عن
الكذب فقال لم تؤمنوا فان كنتم تقولون شيأ فقولوا أمرا عاما لا يانزم منه كذبكم وهو
كقولهم أسلنا فان الاسلام بمعنى الانقياد حصل (المسئلة الرابعة) المؤمن والمسلم واحد
عند أهل السنة فكيف يفهم ذلك مع هذا نقول بين العام والخاص فرق فالإيمان
لا يحصل الا بالقلب وقد يحصل بالناسان والاسلام أعم لكن العام في صورة الخاص متحد
مع الخاص ولا يكون أمرا آخر غيره مثاله الحيوان أعم من الانسان لكن الحيوان في
صورة الانسان ليس أمرا ينفك عن الانسان ولا يجوز أن يكون ذلك الحيوان حيوانا

(اعمال المؤمنين الذين آمنوا بالله ورسوله ﴿٦٠٩﴾ ثم لم يرتابوا) لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه اذا وقعه

ولا يكون انسانا فاعلم والخاص مختلفان في العموم متحدان في الوجود فكذلك المؤمن والمسلم وسنين ذلك في تفسير قوله تعالى فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ان شاء الله تعالى (المسئلة الخامسة) قوله تعالى ولما يدخل الايمان في قلوبكم هل فيه معنى غير معنى قوله تعالى لم تؤمنوا قلوبكم لم تؤمنوا نعم وبيان من وجوه (الاول) هو انهم لما قالوا آمنا وقيل لهم لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا قالوا اذا أسلمنا فقد آمننا قبل لا فان الايمان من عمل القلب لا غير والاسلام قد يكون عمل اللسان واذا كان ذلك هل القلب ولم يدخل في قلوبكم الايمان لم تؤمنوا (الثاني) لما قالوا آمنا وقيل لهم لم تؤمنوا قالوا جدا الا قد آمننا عن صدق نية مؤكدين لما أخبروا فقال ولما يدخل الايمان في قلوبكم لان لما يفعل يقال في مقابلة قد فعل ويحتمل أن يقال بان الآية فيها اشارة الى حال المؤلثة اذا أسلموا ويكون ايمانهم بعد ضعيفا قال لهم لم تؤمنوا لان الايمان ايقان وذلك بعدمه يدخل في قلوبكم وسيدخل باطلا عنكم على محاسن الاسلام وان تطيعوا الله ورسوله يكمل لكم الاجر والذي يدل على هذا هو ان فيها معنى التوقع والانتظار والايمان اما ان يكون بفعل المؤمن واكتسابه ونظره في الدلائل واما ان يكون الهاما فيقيم في قلب المؤمن فقل لم تؤمنوا أي ما فعلتم ذلك أنتم وقوله تعالى ولما يدخل الايمان في قلوبكم أي ولما دخل الايمان في قلوبكم الهاما من غير فعلكم فلا ايمان لكم حينئذ انه تعالى عند فعلهم قال لم تؤمنوا بحرف ليس فيه معنى الانتظار لقصور نظرهم وقصور فكرهم وعند فعل الايمان قال لم يدخل بحرف فيه معنى التوقع لظهور قوة الايمان كأنه يكاد يبعث القلوب بأسرها ثم انه تعالى قال وان تطيعوا الله ورسوله لا يلبسكم أي لا ينقصكم والمراد أنكم اذا أنتم بما يليق بضعفكم من الحسنة فهو يؤتيكم ما يليق به من الجزاء وهذا لان من حل الى ملك فأكفه طيبة يكون ثمنها في السوق درهما وأعطاه الملك درهما أو دينارا ينسب الملك الى قلة العطاء بل البخل فليس معناه أنه يعطي مثل ذلك من غير نقص بل المعنى يعطي ما يتوقعون بأعمالكم من غير نقص وفيه تحريض على الايمان الصادق لان من أتى بفعل من غير صدق نية بضم عمله ولا يعطى عليه أجر اذ قال ان تطيعوا وتصدقوا لا ينقص عليكم فلا تضيعوا أعمالكم بعدم الاخلاص وفيه أيضا تسلية لقلوب من تأخر ايمانه كأنه يقول غيبي سبقي وآمن حين كان النبي وحيدا وآواه حسين كان ضعيفا ونحن آمننا عند ما جئنا عن مقاومته وغلبنا بفرته فلا يكون لايماننا وقع ولاننا عليه أجر فقال تعالى ان أجركم لا يتقص وما تتوقعون تعطون غاية ما في الباب ان التقدم يزيد في أجرهم وماذا عليكم اذا أرضاكم الله أن يعطي غيركم من خزان رحمة واسعة وما حالكم في ذلك الاحال ملك أعطى واحدا شيئا وقال لغيره ماذا تمنى فتمنى عليه بلدة واسعة وأموالا فأعطاهم وفاء ثم زاد ذلك الاول أشياء أخرى من خزائنه فان تأذى من ذلك يكون بخلا وحسدا وذلك في الآخرة لا يكون وفي الدنيا هو من صفة الاراذل وقوله تعالى ان الله

في الشك مع التهمة وفيه اشارة الى أن فهم ما يوجب في الايمان عنهم وهم الاشعار بان الله ط عدم الارتياح في اعتبار الايمان ليس في حال الشبهة فقط بل وفيما يستقبل فهمي كافي قوله تعالى ثم استقاموا (وجاءوا) بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله (في طاعته على تكثرتهم من العبادات الدينية المحضة والمالية الصرفة والمشتلة عليهما معا كالجهاد (أولئك) الموصوفون بما ذكر من الاوصاف الجميلة (هم الصادقون) أي الذين صدقوا في دعوى الايمان لا غيرهم روى أنه لما نزلت الآية جاؤا وحلفوا أنهم مؤمنون مصادقون فنزل لتكذيبهم قوله تعالى (قل أنعم الله عليكم أي أنعم الله بدينكم) أي أنعموا به بذكر بقولكم آمنا والتعير عنه بالتعليم لغاية تشجيعهم (والله يعلم ما في السموات وما في الارض) حال من مفصول لعملون

موكدة لتشجيعهم ﴿٧٧﴾ سا وقوله تعالى (والله بكل شيء عليم) تذييل مقرر لما قبله

اي مبالغ في العلم بجميع الاشياء التي من جللتها ما أخفوه ﴿٦١٠﴾ من الكفر عند اظهارهم الايمان وفيه مزيد

غفور رحيم أي يغفر لكم ما قد سلف ورحمكم بما تبتغيه ﴿٦١١﴾ ثم قال تعالى (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) ارشاد الاعراب الذين قالوا انما الى حقيقة الايمان فقال ان كنتم تريدون الايمان فالؤمنون من آمن بالله ورسوله ثم لم يرتابوا يعني أيقنوا بان الايمان ايقان وثم للترخي في الحكاية كانه يقول آمنوا ثم أقول شيئاً آخر لم يرتابوا ويحتمل أن يقال هو للترخي في الفعل تقديره آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا فيما قال النبي صلى الله عليه وسلم من الحشر والنشر وقوله تعالى وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم يمتق ذلك أي أيقنوا ان بعد هذه الدار داراً فجاهدوا طالبين العقبى وقوله أولئك هم الصادقون في ايمانهم لا لاعراب الذين قالوا قولاً ولم يخلصوا عملاً ﴿٦١٢﴾ ثم قال تعالى (قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شيء عليم) فانه عالم به لا يخفى عليه شيء وفيه اشارة الى ان الدين ينبغي أن يكون لله وأنتم اطهرتموه لنا لله فلا يقبل منكم ذلك ﴿٦١٣﴾ وقوله تعالى (عنون عليكم ان أسئلو قل لا تتنوا على اسلامكم بل الله بمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين) يقرر ذلك ويبين ان اسلامهم لم يكن لله وفيه لطائف (الاولى) في قوله تعالى عنون عليكم زيادة بيان لتبيين فعلهم وذلك لان الايمان له شرفان (أحدهما) بالنسبة الى الله تعالى وهو تزيه الله عن الشرك وتوحيدة في العظمة (وثانيهما) بالنسبة الى المؤمن فانه يزه النفس عن الجهل ويزيها بالحق والصدق فهم لا يطلبون اسلامهم بجانب الله ولا يطلبون شرف أنفسهم بل متوا ولوعوا أن فيه شرفهم لما توابه بل شكروا (اللطيفة الثانية) قال قل لا تتنوا على اسلامكم أي الذي عندكم اسلام ولهمذا قال تعالى ولكن قولوا أسئلو لم يقل لم تؤمنوا ولكن أسئلو لئلا يكون تصديقهم في الاسلام أيضاً كما يصدقوا في الايمان فان قيل لم لم يميز أن يصدقوا في اسلامهم والاسلام هو الانقياد وقد وجد منهم قولاً وفعلوا ولم يوجد اعتقاداً وعلماً وذلك القدر كاف في صدقهم فنقول التكذيب يقع على وجهين (أحدهما) ان لا يوجد نفس المخبر عنه (وثانيهما) ان لا يوجد كما أخبر في نفسه فقد يقول ما جئتنا بل جئت بك الحاجة فالله تعالى كذبهم في قولهم أمان على الوجه الاول أي ما أنتم أصلاً ولم يصدقهم في الاسلام على الوجه الثاني فانهم انقادوا للحاجة وأخذ الصدقة (اللطيفة الثالثة) قال بل الله بمن عليكم يعني لامنه لكم ومع ذلك لا تسئلون رأساً برأس بحيث لا يكون لكم علينا ولاننا عليكم منه بل المنه عليكم وقوله تعالى بل الله بمن عليكم حسن أدب حيث لم يقل لا تتنوا على بل لي المنه عليكم حيث بينت لكم الطريق المستقيم ثم في مقابلة هذا الادب قال الله تعالى وانك لتهدى الى صراط مستقيم (اللطيفة الرابعة) لم يقل بمن عليكم أن أسئلو بل قال أن هداكم للايمان لان اسلامهم كان ضلالة حيث كان نفاقاً فامن به عليهم فان قيل كيف من عليهم بالهداية الى الايمان مع انه بين انهم لم يؤمنوا فنقول الجواب عنه من ثلاثة أوجه (أحدها) انه تعالى لم يقل بل الله بمن

تجهيل وتوبيخ لهم (يمنون عليكم أن أسئلو) أي يعدون اسلامهم منته عليكم وهي النعمة التي لا يطلب مواهبها ثواباً ممن أنعم بها عليه من المن بمعنى القسط لان المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن (قل لا تتنوا على اسلامكم) أي لا تعمدوا اسلامكم منته على أولاً تمنوا على باسلامكم فتصيب بيزع الخافض (بل الله بمن عليكم أن هداكم للايمان) على ما زعمتم مع أن الهداية لا تستلزم الاهتداء وقرئ ان هداكم واذهداكم (ان كنتم صادقين) في ادعاء الايمان وجوابه بخدوف يدل عليه ما قبله أي فله المنه عليكم وفي سياق النظم الكريم من اللطف ما لا يخفى فانهم لما سمعوا ما صدر عنهم ايماناً وتوابه فزى كونه ايماناً وصحى اسلاماً قيل يمتنون عليكم بما هو في الحقيقة اسلام وليس بمحذير بل من بل لوصح اذعاهم للايمان فله المنه عليهم بالهداية اليه لا لهم

عليكم أن رزقكم الايمان بل قال أن هذاكم للايمان وارسل الرسل بالآيات البينات هداية (ثانيها) هو انه تعالى يمن عليهم بمازعموا فكأنه قال أنتم قلتم آمنا فذلك نعمة في حقكم حيث تخلصتم من النار فقال هذاكم في رزقكم (ثانيها) وهو الاصح هو أن الله تعالى بين بعد ذلك شرطاً فقال ان كنتم صادقين ﴿ ثم قال تعالى ﴾ (ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون) إشارة الى انه لا يخفى عليه أسراركم وأعمال قلوبكم الخفية وقال بصير بما تعملون يبصر أعمال جوارحكم الظاهرة وآخر السورة مع الثامنة بما قبله فيه تقرير ما في أول السورة وهو قوله تعالى لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله فانه لا يخفى عليه سر فلا تتركوا خوفه في السر ولا تخفى عليه علن فلا تأمنوه في العلانية والمجدده وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ سورة في أربعون وخمس آيات مكية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ في القرآن المجيد ﴾) وقيل التفسير نقول ما يتعلق بالسورة وهي أمور * الأول أن هذه السورة تقرأ في صلاة العيد لقوله تعالى فيها ذلك يوم الخروج وقوله تعالى كذلك الخروج وقوله تعالى ذلك حشر علينا يسيراً فالعيد يوم الزينة فينبغي أن لا ينسى الإنسان خروجه الى عرصات الحساب ولا يكون في ذلك اليوم فرحاً فخوراً ولا يرثى فساداً ولا فجوراً ولما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتذكير بقوله في آخر السورة فذكر بالقرآن من يخاف وعيد ذكرهم بما يناسب حالهم في يومهم بقوله في القرآن ﴿ الثاني هذه السورة وسورة ص يشتركان في افتتاح أولهما بالحرف المجمع والقسم بالقرآن وقوله بل والتعجب ويشتركان في شيء آخر وهو أن أول السورتين وآخرهما متساويان وذلك لأن في ص قال في أولهما والقرآن ذي الذكرو قال في آخرها ان هو الاذكار العالمين وفي في قال في أولها والقرآن المجيد وقال في آخرها فذكر بالقرآن من يخاف وعيد فافتتح بما اختتم به * والثالث وهو أن في تلك السورة صرف العتاب الى تقرير الاصل الأول وهو التوحيد بقوله تعالى أجعل الآلهة الها واحداً وقوله تعالى أن امشوا واصبروا على آلهتكم وفي هذه السورة الى تقرير الاصل الآخر وهو الحشر بقوله تعالى أنذا متنا وكنا تراباً ذلك رجع بعيد ولما كان افتتاح السورة في ص في تقرير المبدأ قال في آخرها اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين وختم بحكاية بدء آدم لانه دليل الوحدةانية ولما كان افتتاح هذه البيان الحشر قال في آخرها يوم نشقق الارض عنهم مصراعاً ذلك حشر علينا يسيراً ﴿ وأما التفسير ففيه مسائل (السئلة الأولى) قيل (ق) اسم جبل محيط بالعالم وقيل معناه حكيمه هي قولنا قضى الامر وفي ص صدق الله وقد ذكرنا أن الحروف تنبيهات قدمت على القرآن ليعني السامع مقبلاً على استماع ما يرد عليه فلا يفوته شيء من الكلام الرائق والمعنى الفائق ﴿ وذكرنا أيضاً أن العبادة منها قلبية

(ان الله يعلم غيب السموات والارض) أي ما غاب فيهما (والله بصير بما تعملون) في سرهم وهلا ينكم فكيف يخفى عليه ما في ضمائرهم وقرى بالياء * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجرات أعطى من الاجر بعدد من أطاع الله وحصاه

﴿ سورة في مكية وهي خمس وأربعون آية ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (ق) والقرآن المجيد) أي ذي الجود والشرف على سائر الكتب أولانه كلام المجيد أولان من علم معانيه وعمل بما فيه مجد عند الله تعالى وعند الناس والكلام فيه كالذي فصل في مطلع سورة ص وقوله تعالى

ومنها السابقة ومنها جارية ظاهرة ووجد في الجارية ماعقل معناه ووجد منها ما لم يعقل
معناه كاعمال الحج من الرمي والسعي وغيرهما ووجد في القلبية ماعقل بدليل كعلم التوحيد
وامكان الحشر وصفات الله تعالى وصدق الرسل ووجد فيها ما لم يعقل كونهما معقولة
المعنى أمور لا يمكن التصديق والجزم بها اولا الصمم كالصراط الممدود الاحد من السيف
الارقي من الشعر والميزان الذي يوزن به الاعمال فكذلك كان ينبغي أن تكون الاذكار
التي هي العبادة اللسانية منها ما يعقل معناه كجميع اقراء الاقليل منه ومنها ما لا يعقل
ولا يفهم كحرف التهجي ليكون التلفظ به محض الانقياد للامر لا لما يكون في الكلام من
طيب الحكاية والقصد الى غرض كقولنا ربنا اغفر لنا وارحمنا ليكون التلفظ به تعبدا
محضاً ويؤيد هذا وجه آخر وهو أن هذه الحروف مقسم بها وذلك لان الله تعالى لما قسم
بالتين والتينون كان نشرهما فاذا قسم بالحروف التي هي أصل الكلام الشريف
الذي هو دليل المعرفة وآلة التعرف كان أول واذا عرفت هذا فنقول على هذا فيه
مباحث (الاول) القسم من الله وقع بأمر واحد كافي قوله تعالى والصبور وقوله تعالى
والعجم وبحرف واحد كافي قوله تعالى ص وث ووقع بأمرين كافي قوله تعالى والضحي
والليل اذا سجي وفي قوله تعالى والسماء والطارق وبحرفين كافي قوله تعالى طه وطس
ويس وح و ثلاثه أمور كافي قوله تعالى والصلوات فالن اجرات فالناتيات وثلاثة أحرف
كافي لم وفي طسم والرو باربعة أمور كافي وانذاريات وفي والسماء ذات البروج وفي والتين
وباربعة أحرف كما في النص والمر وبخمسة أمور كما في والطور وفي والمرسلات وفي
والنازعات وفي والفجر وبخمسة أحرف كافي كهمص وح عسق ولم يقسم بأكثر
من خمسة أشياء الا في سورة واحدة وهي الشمس وضمها ولم يقسم بأكثر من خمسة
أصول لانه يجمع كلمة الاستئصال ولما استئصل حين ركب لمعنى كان استئصاله حين ركب
من غير احاطة العلم بالمعنى أو بالمعنى كان أشد (البحث الثاني) عند القسم بالاشياء المعهودة
ذكر حرف القسم وهي الواو فقال والطور والنجم والشمس وعند القسم بالحروف
لم يذكر حرف القسم فلم يقل وفي وح لان القسم لما كان بنفس الحروف كان احرف
مقسما به فلم يورد في موضع كونه آلة القسم تسوية بين الحروف * (البحث الثالث)
أقسم الله بالاشياء كالتين والطور ولم يقسم بأصولها وهي الجواهر الفردة والماء والتراب
وأقسم بالحروف من غير تركيب لان الاشياء عنده يركبها على أحسن حالها وأما الحروف
ان ركبت بمعنى يقع الحلف بمعناه لا باللفظ كقولنا والسماء والارض وان ركبت لاسم
كان المفرد أشرف فاقسم بمفردات الحروف (البحث الرابع) أقسم بالحروف في أول
ثمانية وعشرين سورة وبالاشياء التي عددها عدد الحروف وهي غير الشمس في أربع
عشرة سورة لان القسم بالامور غير الحروف وقع في أوائل السور وفي أثنائها كقوله تعالى
كلا والقمر والليل اذا أدبر وقوله تعالى والليل وما وسق وقوله والليل اذا سعس
واقسم بالحروف لم يوجد ولم يحسن الا في أوائل السور لان ذكر ما لا يفهم معناه في أثناء

(بل عجبا أن جاءهم
منذر منهم) أي لأن
جاءهم منذر من جنسهم
لأن جنس الملك أو من
يملكهم اضرب عما
في عنه جواب القسم
نحو وف كانه قيل
والقرآن المجيد أنزلناه
اليك لتنذره للناس
حسبا ورد في صدر
سورة الاحراف كانه
قيل بعد ذلك لم يؤمنوا
به بل جعلوا

الكلام المنظوم المفهوم يتخل بالفتح ولما كان القسم بالاشياء له موضعان والقسم
 بالحروف له موضع واحد جعل القسم بالاشياء في أوائل السور على نصف القسم بالحروف
 في أوائلها (البحث الخامس) القسم بالحروف وقع في النصفين جميعا بل في كل سبع
 وبالاشياء المعدودة لم يوجد الا في النصف الاخير بل لم يوجد الا في السبع الاخير غير
 والمصافات وذلك لانا بدنا ان القسم بالحروف لم ينفك عن ذكر القرآن أو الكتاب أو التزويل
 بعده الا نادرا فقال تعالى يس والقرآن الحكيم حم تنزيل الكتاب الم ذلك الكتاب ولما
 كان جميع القرآن معجزة مؤداة بالحروف وجد ذلك علما في جميع المواضع ولا كذلك
 القسم بالاشياء المعدودة وقد ذكرنا شيئا من ذلك في سورة العنكبوت ولذا ذكر ما يخص
 بقاء قبل انه اسم جبل محيط بالارض عليه أطراف السماء وهو ضعيف لوجوه أحدها
 أن القراءة الكثيرة الوقف ولو كان اسم جبل لما جاز الوقف في الادراج لان من قال ذلك
 قال بان الله تعالى أقسم به وثانيها انه لو كان كذلك لذكر بحرف القسم كما في قوله تعالى
 والطور وذلك لان حرف القسم يحدف حيث يكون المقسم به مستحقا لأن يقسم به
 كقولنا الله لأفعلن كذا واستحقاقه لهذا غنى عن الدلالة عليه باللفظ ولا يحسن أن يقال
 زيد لأفعلن ثالثها هو انه لو كان كما ذكرنا كان يكتب قاف مع الالف والفاء كما يكتب عين
 جاريذ ويكتب أليس الله بكاف عبده وفي جميع المصاحف يكتب حرف رابعها هو أن
 الظاهر أن الامر فيه كالامر في ص بن وح وهو حروف لا كلمات وكذلك في ق * فان
 قيل هو مقول عن ابن عباس نقول المثول عند ابن ق اسم جبل وأما ان المراد في هذا
 الموضع به ذلك فلا وقيل ان معناه قضى الامر وفي ص صديق الله وقيل هو اسم الفاعل من
 فقايقفوص من صاد من المصاداة وهي المعارضة ومعناه هذا قاف جميع الاشياء
 بالكشف ومعناه حينئذ هو قوله تعالى ولا تطرب ولا يابس الا في كتاب مبين اذا قلنا ان
 الكتاب هناك القرآن هذا ما قيل في ق * وأما القراءة فبعدة وكثيرة وحصرها بيان معناها
 فنقول ان قلنا هي مبنية على ما بيننا فتحقق الوقف اذا عامل فيها فبشبه بناء الاصوات
 ويجوز الكسر حذرا من النقاء الساكنين ويجوز الفتح اختيارا للاخف فان قيل كيف
 جاز اختيار الفتح ههنا ولم يجوز عند النقاء الساكنين اذا كان أحدهما آخر كلمة والآخر
 أول أخرى كما في قوله تعالى لم يكن الذين كفروا ولا تنظروا الذين نقول لان هناك انما وجب
 التحريك وعين الكسر في الفعل لشبهة تحريك الاعراب لان الفعل محل يرد عليه الرفع
 والنصب ولا يوجد فيه الجرفا خربت الكسرة التي لا ينفخ على أحدانها ليست بجرا لان
 الفعل لا يجوز فيه الجرفا وقبح لاشتباه بالنصب وأما في أواخر الاسماء فلا استنباه لان الاسماء
 محل ترد عليه الحركات الثلاث فلم يكن يمكن الاحتراز فاخترنا للاخف وأما ان قلنا انها
 حرف مقسم به فتحقق الجرفا ويجوز النصب بجملة مفعولا بقسم على وجه الاتصال ونقد
 الباء كأن لم يوجد وان قلنا هي اسم السورة فان قلنا مقسم بهام ذلك فتحقق الفتح لانها

كلام من المنذر والمنذره
 عرضة للتكبر والتعجب
 مع كونها ما وقف شئ
 لقضية العقول وأقرب
 الى الثاني بالقبول وقبل
 التقدير والقرآن المجيد
 انك لمنذر ثم قبل بعده
 انهم شكوا فيه ثم اضرب
 عنه وقبل بل عجبوا أي
 لم يكتبوا بالاشك والرد بل
 جزموا بالخلاف حتى
 جعلوا ذلك من الامور
 العجيبة وقبل هو اضرب
 عما يفهم

لا تنصرف حينئذ فتخرج في موضع الجركا تقول و ابراهيم وأحمد في القسم بهما وان قلنا انه ليس مقسمهما وقلنا اسم السورة فتحققها الرفع ان جعلناها خبرا نقديره هذه في وان قلنا هو من فعما يقعو فحقه التوئين كقولنا هذا داح وراع وان قلنا اسم جبل فالجرك والتوئين ان كان قسما * ولتعد الى التفسير فنقول الوصف قد يكون للتمييز وهو الاكثر كقولنا الكلام القديم لتمييز عن الحادث والرجل الكريم لتمييز عن اللائم وقد يكون للجرد المدح كقولنا الله الكريم اذ ليس في الوجود اله آخر حتى يميزه عنه بالكريم وفي هذا الموضع يحتمل الوجهين والظاهر أنه لجرد المدح وأما التمييز فبان بجعل القرآن اسما للمقروء وبديل عليه قوله تعالى ولو أن قرآناسيرت به الجبال والمجيد العظيم وقيل المجيد هو كثير الكرم وعلى الوجهين اقرآن مجيد أما على قولنا المجيد هو العظيم فلأن القرآن عظيم الغائدة ولانه ذكر الله العظيم وذكر العظيم ولانه لم يقدر عليه أحد من الخلق وهو آية العظمة يقال ملك عظيم اذا لم يكن يغلب ويدل عليه قوله تعالى ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم أى الذى لا يقدر على مثله أحد ليكون معجزة الله على نبوتك وقوله تعالى بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ أى محفوظ من أن يطاع عليه أحد الا باطلاعه تعالى فلا يبدل ولا يغير ولا يابسه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فهو غير مقدور عليه فهو عظيم وأما على قولنا المجيد هو كثير الكرم فالقرآن كريم يدل عليه هو أن المجيد مشروب بالمجيدى قولنا انك حميد مجيد فالحميد هو المشكور والشكر على الانعام والمكرم كريم فالحميد هو الكريم البالغ فى الكرم وفيه مباحث (الاول) اقرآن مقسم به فالقسم عليه ماذا نقول فيه وجوه وضبطها بان نقول ذلك اما أن يفهم بقريته الحالية أو قريته مقابلية والمقالية اما أن نكون متقدمة على المقسم به أو متأخرة فان قلنا بأنه مفهوم من قريته مقابلية متقدمة فلا تقدم هناك لفظا الا فى يكون التقدير هذا فى القرآن المجيد أوقى أنزلها الله تعالى والقرآن كما يقول هذا احاتم والله أى هو المشهور بالسخاء أو يقول الهلال رأيت به والله وان قلنا بأنه مفهوم من قريته مقابلية متأخرة فنقول ذلك أمران أحدهما المنذر والثانى الرجوع فيكون التقدير والقرآن المجيد انك المنذر أو والقرآن المجيد ان الرجوع لكان لان الامرين ورد القسم عليهما ظاهرا أما الاول فيسدل عليه قوله تعالى يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين الى أن قال لنذر قوما ما أنذر آبائهم وأما الثانى فدل عليه قوله تعالى والطور وكتاب مسطور الى أن قال ان عذاب ربك واقع وهذا الوجه يظهر غاية الظهور على قول من قال فى اسم جبل فان القسم يكون بالجبل والقرآن وهناك القسم بالطور والكتاب المسطور وهو الجبل والقرآن * فان قيل أى الوجهين منهما أظهر عندك قلت الاول لان المنذر أقرب من الرجوع ولان الحروف رأيناها مع القرآن والمقسم كونه مرسلًا ومنذرا وما رأينا الحروف ذكرت وبعدها الحشر واعتبر ذلك فى سورتهما

من وصف القرآن بالمجيد
كأنه قيل ليس سبب
امتثالهم من الايمان
بالقرآن أنه لا يجده ولكن
لجملتهم (فقال
الكافرون هذا شئ
عجيب) تفسير لتعجبهم
وبيان لكونه متسارنا
لغاية الانكار مع زيادة
تفصيل لمحل التعجب
وهذا اشارة الى كونه
عليه الصلوة والسلام

لا تصرف حينئذ فتخرج في موضع الجرك تقول و ابراهيم وأحمد في القسم بهما وان قلنا انه ليس مقسمابها وقلنا اسم السورة فتعقها الرفع ان جعلناها خبرا تقديره هذه في وان قلنا هو من قفايقغو فتعق التثنية كقولنا هذا داح وراع وان قلنا اسم جبل فألجر والتثنية ان كان قسما * ولتعد الى التفسير فنقول الوصف قد يكون للتمييز وهو الاكثر كقولنا الكلام القديم لتمييز عن الحادث والرجل الكريم لتمييز عن النائم وقد يكون لجرد المدح كقولنا الله الكريم اذ ليس في الوجود اله آخر حتى يميزه عنه بالكريم وفي هذا الموضع يحتمل الوجهين والظاهر أنه لجرد المدح وأما التمييز فبان بجمل القرآن اسماء المقروء ويدل عليه قوله تعالى ولو أن قرآناسيرت به الجبال والمجيد العظيم وقيل المجيد هو كثير الكرم وعلى الوجهين القرآن مجيد أما على قولنا المجيد هو العظيم فلأن القرآن عظيم القادة ولأنه ذكر الله العظيم وذكر العظيم ولأنه لم يقدر عليه أحد من الخلق وهو آية العظمة يقال ملك عظيم اذا لم يكن يغلب ويدل عليه قوله تعالى ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم أى الذى لا يقدر على مثله أحد لىكون معجزة الدلى على نبوتك وقوله تعالى بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ أى محفوظ من أن يطاع عابه أحد الا باطلاعه تعالى فلا يدل ولا يغيب ولا يابى الباطل من بين يديه ولا من خلفه فهو غير مقدور عليه فهو عظيم وأما على قولنا المجيد هو كثير الكرم فالقرآن كريم كل من طلب منه مقصوده وجدده وانه مغنى كل من لا ذبه واغناه المحتاج غايه الكرم ويدل عليه هو أن المجيد مشروط بالمجيدى قولنا انك حبيب مجيد فالمجيد هو المشكور والشكر على الانعام والمنعم كريم فالمجيد هو الكريم البالغ فى الكرم وفيه مباحث (الاول) القرآن مقسم به فالتقسيم عليه ماذا نقول فيه وجوه وضبطها بان نقول ذلك اما أن يفهم بقريته الحالية أو قريته مقابلية والمقالية اما أن تكون مقدمة على المقسم به أو متأخرة فان قلنا بأنه مفهوم من قريته مقابلية مقدمة فلا تقدم هناك لفظ الا فى يكون التقدير هذاق والقرآن المجيد أوفى أنزلها الله تعالى والقرآن كما نقول هذا حاتم والله أى هو المشهور بالسخاء أو يقول الهلال رأيت الله وان قلنا بأنه مفهوم من قريته مقابلية متأخرة فنقول ذلك أمران أحدهما المنذر والثانى الرجوع فيكون التقدير والقرآن المجيد انك المنذر أو والقرآن المجيد ان الرجوع لكان لان الامرين وردا القسم عليهما ظاهرا أما الاول فيسدل عليه قوله تعالى يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين الى أن قال لتذرقوما ما أنذر آبائهم وأما الثانى فدل عليه قوله تعالى والطور وكتاب مسطور الى أن قال ان عذاب ربك واقع وهذا الوجه يظهر غاية الظهور على قول من قال فى اسم جبل فان القسم يكون بالجبل والقرآن وهناك القسم بالطور والكتاب المسطور وهو الجبل والقرآن * فان قيل أى الوجهين منهما أظهر عندك قلت الاول لان المنذر أقرب من الرجوع ولان الحروف رأيناها مع القرآن والمقسم كونه مرسل ومنذرا وما رأينا الحروف ذكرت وبعدها الحشر واعتبر ذلك فى سورتهما

من وصف القرآن بالمجيد
لأنه قبل لبس سبب
امتناعهم من الايمان
بالقرآن أنه لا يجده ولكن
لجملهم (فقال
الكافرون هذا شئ
عجيب) تفسير لتعجبهم
وبيان لكونه مقارنا
لغاية الانكار مع زيادة
تفصيل لمحل التعجب
وهذا اشارة الى كونه
عليه الصلاام والسلام

قوله تعالى الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه بل هو الحق من
ربك لتنذر ولأن القرآن معجزة دالة على كون محمد رسول الله فالقسم به عليه يكون إشارة
إلى الدليل على طريقته انقسم وليس هو بنفسه دليلا على الحشر بل فيه إشارات مفيدة
للجزم بالحشر بعد معرفة صدق الرسول وأما أن قلنا هو مفهوم بقرينة حالية فهم وكون
محمد صلى الله عليه وسلم على الحق والكمال صفة الصدق فإن الكفار كانوا ينكرون ذلك
والخيار ما ذكرناه (والثاني) بل عجبا يقتضي أن يكون هناك أمر مضرب عنه فاذلك
نقول قال الواحدى ووافقه الخ شسرى انه تقدير قوله ما الأمر كما يقولون وزيد وضوحا
فنقول على ما اخترناه فإن التقدير والله أعلم والقرآن المجيد انك لتنذر فكانه قال بعده
وانهم شكوا فيه فأضرب عنه * وقال (بل عجبا ان جاءهم منذر) يعنى لم يفتنعوا بالشك
فى صدق الأمر وطرحه بالترك وبعد الامكان بل جزموا بخلافه حتى جعلوا ذلك من
الأمور العجيبة فإن قبل فالحكمة فى هذا الاختصار العظيم فى موضع واحد حذف
القسم عابه والمضرب عنه وأتى بأمر لا يفهم إلا بعد الفكر العظيم ولا يفهم مع الفكر
الابتنافيق العزى فنقول انما حذف القسم عليه لان الترك فى بعض المواضع يفهم منه
ظهور لا يفهم من الذكر وذلك لان من ذكر الملك العظيم فى مجلس وأتى عليه يكون قد
عظمه فاذا قال له غيره هو لا يدكر فى هذا المجلس يكون بالارشاد الى ترك الذكر دالا
على عظمته فوق ما يستفيد صاحبه بذكره قاله تعالى يقول لبيان رسالتك أنظهر من أن
يدكر وأما حذف المضرب عنه فلان المضرب عنه اذا ذكر وأضرب عنه بأمر آخر انما يحسن
اذا كان بين المذكورين تفاوت ما فاذا عظم التفاوت لا يحسن ذكرهما مع الاضرب
مثاله يحسن أن يقال الوزير يعظم فلان بالملك يعظمه ولا يحسن أن يقال البواب يعظم
فلان بالملك يعظمه ليكون البون بينهما بعيدا اذ الاضرب لشرج فاذا ترك التكلم
المضرب عنه صريحا وأتى بحرف الاضرب استفيد منه أمر ان أحدهما انه يشتم الى
أمر آخر قبله وثانيهما أنه يجعل الثانى تفاوتنا عظيما مثل ما يكون مما لا يدكر وههنا
كذلك لان الشك بعد قيام البرهان بعيد لكن القطع بخلافه فى غاية ما يكون من البعد
(المبحث الثالث) أن مع الفعل يكون بمثابة ذكر المصدر تقول أمرت بأن أقوم وأمرت
بالقيام ونقول ما كان جوابه إلا أن قال وما كان جوابه الا قوله كذا وكذا واذا كان
كذلك فليزيل عن الاتيان بالمصدر حيث جاز أن يقال أمرت أن أقوم من غير حرف
الاصناف ولا يجوز أن يقال أمرت القيام بل لابد من الباء ولذلك قالوا أى عجبا من مجيئه
نقول أن جاءهم وان كان فى المعنى قائما مقام المصدر لكنه فى الصورة فعل وحرف وحروف
التعديبة كلها حروف جارة والجار لا يدخل على الفعل فكان الواجب أن لا يدخل فلا أقل
من أن يجوز عدم الدخول فجاز أن يقال عجبا أن جاءهم ولا يجوز عجبا مجيئهم لعدم
المانع من ادخال الحرف عليه * وقوله تعالى (منهم) يصلح أن يكون مذكورا كالقصر

منذرا بالقرآن واضمارهم
أولا الاشعار بتعنيهم
بما أسند اليهم واطهارهم
ثانيا للتسهيل عليهم
بالكفر بموجبه أو عطف
لتعنيهم من البعث على
تعنيهم من البعث على
أن هذا إشارة الى مهمم
يفسره ما بعده من الجملة
الانكارية ووضع المظهر
موضع المعنى اما السابق

البعد وقوله هذا اشارة الى الحاضر القريب فينبغي أن يكون المشار اليه بذلك غير المشار اليه بهذا وذلك لا يصح الاعلى قولنا * ثم قال تعالى (أئذ امتنا وكنتا رباذا ذلك رجوع بعيد) فانهم لما أظهروا العجب من رسالته أظهروا استبعاد كلامه وهذا كما قلنا تعالى عنهم قالوا ما هذا الرجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا الا افك مفترى * وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قوله أئذ امتنا وكنتا ربا انكار منهم بقول أو بمفهوم دل عليه قوله تعالى جاءهم منذر لان الانذار للملم يكن الاباء العذاب المقيم والعقاب الاليم كان فيه اشارة للعشر فقالوا أئذ امتنا وكنتا ربا (المسئلة الثانية) ذلك اشارة الى ما قاله وهو الانذار وقوله هذا شئ عجيب اشارة الى المحجى على ما قلنا فلما اختلفت الصفتان نقول المحجى والجائى كل واحد حاضر وأما الانذار وان كان حاضرا لكن ليكون المنذر به لما كان غير حاضر قالوا فيه ذلك والرجع مصدر رجوع يرجع اذا كان متعبدا والرجوع مصدره اذا كان لازما وكذلك الرجعى مصدر عندل ومنه والرجع أيضا يصح مصدر لازم فيتحمل أن يكون المراد بقوله ذلك رجوع بعيد أى رجوع بعيد ويحتمل أن يكون المراد الرجوع المتعدي ويدل على الاول قوله تعالى ان الى ربك الرجعى وعلى الثانى قوله تعالى ائنا لمرءودون أى مرجعون فانه من الرجع المتعدي فان قلنا هو من المتعدي فقد أنكروا كونه مقدورا في نفسه * ثم ان الله تعالى قال (قد علمنا ما تنقص الارض منهم) وعندنا كتاب حفيظ (اشارة الى دلائل جواز البعث وقدرته تعالى عليه وذلك لان الله تعالى عالم بجميع أجزاء كل واحد من الموقى لا يشبهه عليه جزء أحد على الآخر وقادر على الجمع والتأليف فليس الرجوع منه ببعيد وهذا كقوله تعالى وهو الخلاق العليم حيث جعل للعلم مدخلا في الاعادة وقوله قد علمنا ما تنقص الارض يعنى لا تخفى علينا أجزاؤهم بسبب تشتهى في تخوم الارضين وهذا جواب لما كانوا يقولون ائذنا ضلنا في الارض يعنى ان ذلك اشارة الى أنه تعالى كما يعلم اجزاؤهم يعلم أعمالهم من ظلمهم وتعديهم بما كانوا يفعلون وبما كانوا يعملون ويحتمل أن يقال يعنى قوله تعالى وعندنا كتاب حفيظ هو أنه عالم بتفاصيل الاشياء وذلك لان العلم اجمالى وتفصيلى فالاجالى كما يكون عند الانسان الذى يحفظ كتابا ويفهمه ويعلم أنه اذا سئل عن أية مسألة تكون في الكتاب يحضر عنده الجواب ولكن ذلك لا يكون نضب عينه حرفا بحرف ولا يخطر بباله في حاله بايا با أو فضلا فضلا ولكن عند العرض على الذهن لا يحتاج الى تجديد فكر وتجديد نظر والتفصيلى مثل الذى يعبر عن الاشياء والكتاب الذى كتب فيه تلك المسائل وهذا لا يوجد عند الانسان الا في مسألة ومسئلتين أما بالنسبة الى كتاب فلا يقال وعندنا كتاب حفيظ يعنى العلم عندى كما يكون في الكتاب أعلم جزأ جزأ أو شيئا شيئا والحفيظ يحتمل أن يكون بمعنى المحفوظ أى محفوظ من التغير والتبدل ويحتمل أن يكون بمعنى الحافظ أى حافظ أجزاؤه وأعمالهم بحيث لا ينسى شيئا منها والثانى هو الاصح لوجهين أحدهما أن الحفيظ بمعنى الحافظ

(أئذ امتنا وكنتا ربا)

تقرير للعجب ونأكد

الانكار والعامل في اذا

مضمرة فنى عن البيان

لغاية شهرته مع دلالة

ما بعده عليه أى احين

تموت وتصبح ترايا

نرجع كما ينطق به النذر

والمنذر به مع كمال

التباين بيننا وبين

الحياة حينئذ وقرئ

اذا متنا على لفظ الخبر

أو على حذف أداة

الانكار (ذلك) اشارة

الى محل الزاع (رجوع

بعيد) أى عن الواهم

أو العادة أو الامكان

وقبل الرجوع بمعنى

الرجوع الذى هو

الجواب فنا صب

الطرف حينئذ ما ينبي

عنه المنذر من البعث

وارد في القرآن قال تعالى وما أنت عليهم بحفيظ وقال تعالى والله حفيظ عليهم ولان الكتاب على ما ذكرنا للتمثيل فهو يحفظ الاشياء وهو مستغن عن أن يحفظ * وقوله تعالى (بل كذبوا بالحق) رد عليهم فان قيل ما المضروب عنه نقول فيه وجهان (أحدهما) تقديره لم يكذب المنذر بل كذبواهم وتقديره هو أنه تعالى لما قال عنهم انهم قالوا هذا شيء عجيب كان معنى قولهم ان المنذر كاذب فقال تعالى لم يكذب المنذر بل هم كذبوا فان قيل ما الحق نقول يحتمل وجوها (الاول) البرهان القائم على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم (الثاني) القران المنزل وهو قريب من الاول لانه برهان (الثالث) النبوة الثابتة بالمعجزة القاهرة فانها حق (الرابع) الحشر الذي لا بد من وقوعه فهو حق فان قيل بين لنا معنى الباء في قوله تعالى بالحق وأية حاجة اليها يعني أن التكذيب متعد بنفسه فهل هي للتعدية الى مفعول ثان أو هي زائدة كافي قوله تعالى فسنبصرو ويصصرون بأبكم المقنون نقول فيه بحث وتحقيق وهي في هذا الموضع لاظهار معنى التعدية وذلك لان التكذيب هو النسبة الى المكذب لكن النسبة تارة توجد في القائل وأخرى في القول تقول كذبتني فلان وكنت صادقاً وتقول كذب فلان قول فلان ويقال كذبه أي جعله كاذباً وتقول قلت لفلان زيد يعني غداً فآخر غدا حتى كذبتني وكذب قولي والتكذيب في القائل يستعمل بالباء وبدونها قال تعالى كذبت ثمود المرسلين وقال تعالى كذبت ثمود بالذر وفي القول كذلك غير أن الاستعمال في القائل بدون الباء أكثر قال تعالى فكذبوه وقال وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك الى غير ذلك وفي القول الاستعمال بالباء أكثر قال الله تعالى فكذبوا بآياتنا كلها وقال كذبوا بالحق وقال تعالى وكذب بالصدق اذ جاءه والتحقيق فيه هو أن المفعول المطلق هو المصدر لانه هو الذي يصدر من الفاعل فان من ضرب لم يصدر منه غير الضرب غير أن له محلاً يقع فيه فيسمى مضروباً ثم اذا كان ظاهراً لكونه محلاً للفعل يستغنى بظهوره عن الحرف فيه مدي من غير حرف يقال ضربت عمراً وشربت لبناً لعلم بأن الضرب لا بد له من محل يقوم به والشرب لا يستغنى عن مشروب يتحقق فيه واذا قلت مررت يحتاج الى الحرف ليظهر معنى التعدية لعدم ظهوره في نفسه لان من قال مر السحاب يفهم منه مروره ولا يفهم منه من مر به ثم ان الفعل قد يكون في الظهور دون الضرب والشرب وفي الخفاء دون المرور فيجوز الاتيان فيه بدون الحرف لظهوره الذي فوق ظهور المرور ومع الحرف لكون الظهور دون ظهور الضرب ولهذا لا يجوز أن تقول ضربت بعمره اذا جعلته آلة الضرب أما اذا ضربته بسوط أو غيره فلا يجوز فيه زيادة الباء ولا يجوز مرابه الامم الاشتراك وتقول مسحته ومسحت به وشكرته وشكرت له لان المسح امر اراد به الشيء فصار كالمرور والشكر فعل جليل غير أنه يقع بمحسن فالاصل في الشكر الفعل الجليل وكونه واقعا بغيره كالبيع بخلاف الضرب فانه اساس جسم يحسم بعنف فالضرب داخل في مفهوم الضرب أولاً والمشكور

(قد علمنا ما تنقص الاوض منهم) رد لاستبعادهم وازاحة له فان ضم عليه واطف حتى انتهى الى حيث علم ما تنقص الارض من أجساد الموتي وتأكل من لحومهم وعظامهم كيف يستبعد رجوع اياهم احياء كما كانوا ورد عن انبي صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يبلى الا عجب الذنب وقيل ما تنقص الارض منهم ما يموت فيدفن في الارض منهم (وعندنا كتاب حفيظ) حافظ لتفاصيل الاشياء كلها والمحموظ من التغير والمراد اما تمثيل علمه تعالى بكليات الاشياء وجزئياتها يعلم من عنده كتاب محيط يتأني منه كل شيء أو تأكيد علمه تعالى بها بشؤونها في اللوح المحفوظ عنده (بل كذبوا بالحق) اضراب وانتقال من بيان شأنهم السابقة الى بيان ما هو اشنع منه وأقطع

وهو تكذيبهم للشوة
 الشائسة بالمعجزات
 الباهرة (لما جاءهم)
 من غير تأمل وتفكر
 وقرى لما جاءهم بالكسرة
 على أن اللام للتوقيت
 أى وقت مجيئه إياهم
 وقيل الحق القرآن
 أو الأخبسار بالبعث
 (فهم فى أمر مريح)
 أى مضطرب لأقراره
 من مرج الخاتم فى اصبعه
 حيث يقولون تارة أنه
 شاعر وتارة ساحر
 وأخرى كاهن (أفلم
 ينظروا) أى أغفلوا
 أو أعما فلم ينظروا
 (إلى السماء فوقهم)
 بحيث يشاهدونها
 كل وقت (كيف بيناها)
 أى رفعناها بغير عمد
 (وزيناها) بما فيها
 من الكواكب المرتبة
 على نظام يدب (ومالها
 من فروج) من فوق
 للاستنها وسلامتها
 من كل عيب وخلل
 تأخير هذا المراجعة
 الفواصل (والارض
 مددناها) أى بسطناها
 (وأفينا فيها رواسي)

داخل فى مفهوم الشكر ثانيا إذا عرفت هذا فالتكذيب فى القائل ظاهر لأنه هو الذى
 يصدق أو يكذب وفى القول غير ظاهر فكان الاستعمال فيه بالباء أكثر والباء فيه لظهور
 معنى التعديتة * وقوله (لما جاءهم) فى الجائى وجهان (أحدهما) أنه هو المكذب تقديره
 كذبوا بالحق لما جاءهم الحق أى لم يؤخروه إلى الفكر والتدبر (ثانيهما) الجائى ههنا هو
 الجائى فى قوله تعالى بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم تقديره كذبوا بالحق لما جاءهم المنذر
 والاول لا يصح على قولنا الحق هو الرجوع لأنهم لا يكذبون به وقت المجئ بل يقولون هذا
 ما وعد الرحمن * وقوله (فهم فى أمر مريح) أى يختلف مختلفا قال الزجاج وغيره لأنهم تارة
 يقولون ساحر وأخرى شاعر وطورا ينسبونونه إلى الكهانة وأخرى إلى الجنون والاصح أن
 يقال هذا بيان الاختلاف المذكور فى الآيات وذلك لأن قوله تعالى بل عجبوا يدل على أمر
 سابق أضرب عنه وقد ذكرنا أنه الشك وتقديره والقرآن المجيد لك المنذر وأنهم شكوا
 فيه بل عجبوا بل كذبوا وهذه مراتب ثلاث الاولى الشك وقومها التعجب لأن الشك
 يكون الأمران عنده سبين والمتعجب يترجح عنده اعتقاد عدم وقوع العجيب لكنه
 لا يقطع به والمكذب الذى يجزم بخلاف ذلك فكأنهم كانوا أشاكين وصاروا ظانين وصاروا
 حازمين فقال فهم فى أمر مريح ويدل عليه القافى وقوله فهم لأنه حينئذ يصير كونهم فى أمر
 مريح مرتبة أعلى ما تقدم وفيما ذكره لا يكون مرتبة فان قيل المريح المختلط وهذه أمور
 مرتبة متميزة على مقتضى العقل لأن الشك ينتهى إلى درجة الظن والظن ينتهى إلى درجة
 القطع وعند القطع لا يبقى الظن وعند الظن لا يبقى الشك وأما ما ذكره وأفقيه يحصل
 الاختلاط لأنهم لم يكن لهم فى ذلك ترتيب بل تارة كانوا يقولون كاهن وأخرى مجنون ثم
 كانوا يعودون إلى نسبته إلى الكهانة بعد نسبته إلى الجنون وكذا إلى الشر بعد السحر
 وإلى السحر بعد الشر فهذا هو المريح نقول كان الواجب أن ينقلوا من الشك إلى الظن
 بصدقه لعلمهم بأمانته واحتجابه الكذب طول عمره بين أظهرهم ومن الظن إلى القطع
 بصدقه لظهور المعجزات القاهرة على يديه وإسنانه فلما غيروا الترتيب حصل عليه المرح
 ووقع الدرك مع المرح وأما ما ذكره فاللائق به تفسير قوله تعالى انكم لى قول مختلف لأن
 ما كان يصدر منهم فى حقه كان قولاً مختلفاً وأما الشك والظن والجزم فأمور مختلفة وفيه
 لطيفة وهى أن إطلاق لفظ المريح على ظنهم وقطعهم بنبى عن عدم كون ذلك الجزم صحيحاً
 لأن الجزم الصحيح لا يتغير وكان ذلك منهم واجب التغير وكان أمرهم مضطرباً بخلاف
 المؤمن الموفق فإنه لا يتغير فى اعتقاده تردد ولا يوجد فى معتقده تعدد * ثم قال تعالى
 (أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بيناها وزيناها وما لها من فروج) إشارة إلى الدليل
 الذى يدفع قولهم ذلك رجوع بعيد وهذا كما فى قوله تعالى أوليس الذى خلق السموات
 والارض بقادر على أن يخلق مثلهم وقوله تعالى لخلق السموات والارض أكبر من خلق
 الناس وقوله تعالى أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والارض ولم يعي خلقهن بشادر

على أن يحجب الموتى بلى وفيه مسائل (المسئلة الاولى) همزة الاستفهام تارة تدخل على الكلام ولا توافيه وتارة تدخل عليه وبعدها أو فهل بين الخالتين فرق نقول فرق أدنى مما على الفرق وهو أن يقول القائل أزيد في الدار بعد وقد طلعت الشمس يذكره للانكار فإذا قال أزيد في الدار بعد وقد طلعت الشمس يشير بالواو إشارة خفية الى أن فيج فعله صار بمنزلة فعلين فيجعين كما به يقول بعد ما سمع من صدر عن زيد هو في الدار اغفل وهو في الدار بعد لأن الواو تنبي عن صنف أمر مغاير لما بعده وان لم يكن هناك سابق ولكنه يوحى بالواو اليه زيادة في الانكار فان قيل قال في موضع أو لم ينظروا وقال ههنا أفلم ينظروا بالغاء، فما الفرق نقول ههنا سبق منهم انكار الرفع فقال بحرف التعقيب بمخالفه فان قيل ففي بس سبق ذلك بقوله قال من يحجب العظام نقول هناك الاستدلال بالسماوات للملم يعقب الانكار على عقيب الانكار استدل بديل آخر وهو قوله تعالى فل يحجبها الذي أنشأها أول مرة ثم ذكر الدليل الآخر وههنا الدليل كان عقيب الانكار فذكر بالغاء وأما قوله ههنا بلغظ النظر وفي الاحتاق بالغظ الروية فقيد لطيفة وهي أنهم ههنا لما استبعدوا أمر الرفع بقولهم ذلك رجع بعيد استبعاد استبعادهم وقال أفلم ينظروا الى السماء لان النظر دون الروية فكان النظر كان في حصول العلم بانكار الرفع ولا حاجة الى الروية ليقم الاستبعاد في مقابلة الاستبعاد وهناك لم يوجد منهم انكار مذكور فأرشدهم اليه بالروية التي هي أتم من النظر ثم تعالى بكل ذلك وجهه بقوله الى السماء ولم يقل في السماء لان النظر في الشيء ينبي عن التأمل والمبالغة والنظر الى الشيء لا ينبي عنه لان الى الغاية فيدعي النظر عنده في الدخول في معنى الطرف فاذا انتهى النظر اليه ينبغي أن يفد فيه حتى يصح معنى النظر فيه وقوله تعالى فوقهم ناكب آخرا وهو ظاهر فوق رؤسهم غير غائب عنهم وقوله تعالى كيف بيناها وزيناها وما لها من فروج إشارة الى وجه الدلالة وأولو به التوقع وهي للرجع أما وجه الدلالة فان الانسان له أساس هي العظام التي هي كاللدعام وقوى وأنوار كالسمع والبصر فينا السماء أرفع من أساس البدن وزينة السماء اكمل من زينة الانسان اللحم وشحم وأما الأولية فان السماء مالها من فروج فتأليفها أشد وللانسان فروج ومسام ولا شك أن التأليف الأشد كالنسيج الأصق والتأليف الاضعف كالنسيج الاسخف والاول أصعب عند الناس وأعجب فكيف يستبعدون الادون مع علمهم بوجود الاعلى من الله تعالى قالت الفلاسفة الآية دالة على أن السماء لا تقبل الخرق وكذلك قالوا في قوله هل ترى من فطور وقوله سبع اشدادا وتسعوا فيه لان قوله تعالى مالها من فروج صريح في عدم ذلك والاخبار عن عدم الشيء لا يكون اخبارا عن عدم امكانه فان من قال ما قلنا قال لا يدل على نفي امكانه ثم انه تعالى بين خلاف قولهم بقوله واذا السماء قربحت وقال اذا السماء انفطرت وقال فهي يومئذ واهية في مقابلة قوله سيما شدادا وقال فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان الى غير ذلك والكل

جبا لا ثوابت من رسا
الشيء اذا ثبت والتعبير
عنها بهذا الوصف
للايدان بان الغاها
بارساء الارض بها
(وأثبتنا فيها من كل
زوج) من كل صنف
(بهج) حسن (تيسر)
وذكرى) علنا للافعال
المدكورة معنى وان
انصبتا بالفعل الاخير
أو لفعل مقدر بطريق
الاستئناس أي فعلنا
ما فعلنا تبصير او تدكرا
(لكل عبده نيب) أي
راجع الى ربه متفكر
في بدائع صنائعه وقوله
تعالى (وزلنا من السماء
ماء معباركا) أي كثير
المنافع شروع في بيان
كيفية انبات ما ذكره
من كل زوج بهج
وهو عطف على أثبتنا
وما بينهما على الوجه
الاخير اعتراض مقرر
لما قبله ومنبه على ما بعده
(فانبتنا به) أي بذات
الماء (جنات) كثيرة أي
أشجارا ذوات ثمار

في الرد عليهم صريح وما ذكروه في الدلالة ليس بظاهر بل وليس له دلالة خفية أيضاً وأما
 دليلهم المعتبر فاضعف وأسحق من تمسكهم بالقول * ثم قال تعالى (والارض مددناها
 والقين فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج) إشارة الى دليل آخر ووجه دلالة
 الارض هو أنهم قالوا الانسان اذا مات وفارقت القوة العاقبة والنامية لا تعود اليه تلك
 القوى فنقول الارض أشد جوداً وأكثر خيراً والله تعالى ينبت فيها أنواع النبات ويؤتي
 يزيد فكذلك الانسان تعود اليه الحياة وذكري الارض ثلاثة أمور كاذب كرفي السماء
 ثمة أمور في الارض المدد والقاء الرواسي والانبات فيها وفي السماء البناء والترزين وسد
 وج وكل واحد في مقابلة واحد فالد في مقابلة البناء لان المد وضع والبناء رفع
 والرواسي في الارض ثابتة والكواكب في السماء مركوزة من ينبت لها والانبات في
 الارض شقها كما قال تعالى انما صبنا الماء صبا ثم شققنا الارض شققاً وهو على خلاف سد
 الفروج واعدامها اذا علمت هذا في الانسان أشياء موضوعة وأشياء مرفوعة وأشياء
 ثابتة كالانف والاذن وأشياء منخرجة كاللثة واللسان وأشياء مسدودة الفروج كدور
 الرأس والاغشية المنسوجة نسجاً ضيقاً كالصفاق وأشياء لها فروج وشقوق كالناخر
 والسمخ والقم وغيرهما فالقادر على الاضداد في هذا المهاد في السبع الضداد غير عاجز
 عن خلق نظيرها في هذه الاجساد * تفسير الرواسي قد ذكرناه في سورة لقمان والبهيج
 الحسن * وقوله تعالى (تبصرة وذكري لكل عبده منيب) يحتمل أن يكون الامر ان عاين
 الى الامر ين المذكورين وهما السماء والارض على ان خلق السماء تبصرة وخلق
 الارض ذكري ويدل عليه ان السماء زينتها مستمرة غير مستجدة في كل عام فهي كالشيء
 المرنى على مرور الزمان وأما الارض فهي كل سنة تأخذ زخرفها فذكر السماء تبصرة
 والارض تذكرة ويحتمل أن يكون كل واحد من الامرين موجوداً في كل واحد من
 الامرين فالسماء تبصرة والارض كذلك والفرق بين التبصرة والتذكرة هو ان فيها آيات
 مستمرة منصوبة في مقابلة البصائر وآيات متجددة مذكورة عند التناسي وقوله اكل عبد
 منيب أي راجع الى التفكير والتذكر والنظر في الدلائل * ثم قال تعالى (ونزلنا من
 السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات) إشارة الى دليل آخر
 وهو ما بين السماء والارض فيكون الاستدلال بالسماء والارض وما بينهما وذلك انزال
 السماء من فوق واخراج النبات من تحت وفيه مسائل (المسألة الاولى) هذا الاستدلال
 قد تقدم بقوله تعالى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج فالقائدة في اعادته بقوله فأنبتنا به
 جنات وحب الحصيد فنقول قوله فأنبتنا استدلال بنفس النبات أي الاشجار تنمو وتزيد
 فكذلك بدن الانسان بعد الموت تنمو وتزيد بأن يرجع الله تعالى اليه قوة النشوء والنماء
 كما يعيدها الى الاشجار بواسطة ماء السماء وحب الحصيد فيه حذف تقديره وحب الزرع

(وحب الحصيد) أي
 حب الزرع الذي شأنه
 أن يحصد من البر
 والشعير وأما لهما
 وتخصيص انبات حبه
 بالذكر لانه المقصود
 بالذات (والنخل)
 عطف على جنات
 وتخصيصها بالذكر
 مع اندراجها في الجنات
 لبيان فضلها على سائر
 الاشجار وتوسيط
 الحب بينهما لتأكيد
 استقلالها وامتيانها
 عن البقية مع ما فيه
 من مراعاة القواصل
 (باسقات) أي طوالا
 أو حوامل من أبسقت
 الشاة اذا حملت فيكون
 من باب فعل فهو فاعل
 وقرئ بسقات لاجل
 القاف (لها طاع فضيد)
 أي منضود بعضها
 فوق بعض والمراد
 تراكم الطلع أو كثرة
 ما فيه من الثمر

الحصيد وهو المحصول أى أنشأنا جنات تقطف ثمارها وأصولها باقية وزرعها يحصد كل سنة
 ويزرع فى كل عام أو عامين ويحتمل أن يقال التقدير وثبت الحب الحصيد والاول هو
 الخمار وقوله تعالى والتخل باسقات اشارة الى المختلط من جنسين لان الجنات تقطف
 ثمارها وتزرع من غير زراعة فى كل سنة لكن الخمل يوزر والاول التأخير لم يعرفه وحنس مختلط
 من الزرع والشجر فكانه تعالى خلق ما يقطف كل سنة ويزرع وخلق ما لا يزرع كل سنة
 ويقطف مع بقاء اصلها وخلق المركب من جنسين فى الاثمار لان بعض الثمار فاكهة
 ولا قوت فيه وأكثر الزرع قوت والثمر فاكهة وقوت والباسقات الطوال من الخمل
 وقوله تعالى باسقات يؤكده كمال القدرة والاختيار وذلك من حيث أن الزرع ان قيل
 فيه انه يمكن أن يقطف منه ثمرة اضعفه وضعف حجمه وكذلك يحتاج الى اعادته كل سنة
 والجنات لكبرها وقوتها تبقى وتزرع سنة بعد سنة فىقال أليس الخمل الباسقات أكبر
 وأقوى من الكرم الضعيف والخمل يحتاج كل سنة الى عمل عامل والكرم فخير محتاج
 فالتعالى هو الذى قدر ذلك لذلك لانه أكبر واصغر والطول واخصر * قوله تعالى (لها)
 طلع نصيد أى منضود بعضها فوق بعض فى أكمامها كما فى سنبلة الزرع وهو عجيب فان
 الاشجار الطوال اثمارها بارزة متميزة بعضها من بعض لكل واحد منها أصل يخرج منه
 كالجوز واللوز وغيرهما والطلع كالسنبلة الواحدة يكون على أصل واحد * ثم قال
 تعالى (رزقا للعباد) وفيه وجهان أحدهما نصب على المصدر لان الانبات رزق فكانه
 تعالى قال أنبتناها انباتا للعباد والثانى نصب على كونه مفعولا له كانه قال أنبتناها
 لرزق العباد وهنما مسائل (المسئلة الاولى) قال فى خلق السماء والارض تبصرة وذكرى
 وفى الثمار قال رزقا للعباد أيضا فيها تبصرة وفى السماء والارض أيضا منفعة غير التبصرة
 والتذكرة فالحكمة فى اختيار الامر ينقول فيه وجوه أحدها أن نقول الاستدلال
 وقع لوجود امرين أحدهما الاعادة والثانى البقاء بعد الاعادة فان النبى صلى الله عليه
 وسلم كان يخبرهم بحشر وجمع يكون بعده الثواب الدائم والعقاب الدائم وأنكروا
 ذلك فأما الاول فانه قادر على خلق السموات والارض قادر على خلق الخلق بعد الغناء
 وأما الثانى فلان البقاء فى الدنيا بالرزق والقادر على اخراج الارزاق من التجم والشجر
 قادر على أن يرزق العبد فى الجنة ويبقى فكان الاول تبصرة وتذكرة بالخلق والثانى
 تذكرة بالبقاء بالرزق ويدل على هذا الفصل بينهما بقوله تبصرة وذكرى حيث ذكر ذلك
 بعد الايتين ثم بدأ بذكر الماء وانزاله وانباته النبات * ثانياً ان منفعة الثمار الظاهرة هى
 الرزق فذكرها ومنفعة السماء الظاهرة ليست أمر اعادتها الى انتفاع العباد لبعدها عن
 ذنوبهم حتى أنهم لو توهوا عدم الزرع والثمر لظنوا أن يهلكوا ولو توهوا عدم السماء
 فوقهم لظنوا بالاضطرنا ذلك مع ان الامر بالعكس أولى لان السماء سبب الارزاق بتقدير
 الله وفيها غير ذلك من المنافع والثمار ان لم تكن كان العيش كما أنزل الله على قوم المن

والجملة حال من التخل
 كما سقات بطريق
 الترادف أو من ضميرها
 فى باسقات على التداخل
 أو الحمال هو الجار
 والمجرور وطاع مرتفع
 به على الفاعلية وقوله
 تعالى (رزقا للعباد)
 أى لزرعهم علة لقوله
 تعالى فأنبتنا وفى قوله
 بنات بعد تعليل أنبتنا
 الاول بالتبصرة والتذكير
 ينبى على أن الواجب
 على العبد أن يكون
 انتفاعه بذلك من حيث
 التذكر والاستبصار
 أهم وأقدم من تنفعه به
 من حيث الرزق وقيل
 رزقا مصدر من معنى
 أنبتنا لان الانبات رزق
 (وأحيينا به) أى بذلك
 الماء (بلدة ميتا) أرضا
 جديدة لا بناء فيها أصلا
 بأن جعلناها بحيث
 ربت وأنبتت

والسوى وعلى قوم المائدة من السماء فذكر الاظهر للناس في هذا الموضع * ثالثة قوله
 رزقا إشارة الى كونه منعما ليكون تكديهم في غاية الفصح فانه يكون إشارة بالنعيم وهو
 أفصح ما يكون (المسئلة الثانية) قال تبصرة وذكرى لكل عبد منيب فقيد العبد يكونه منيبا
 وجعل خلقها نصرة لعباده المخلصين وقال رزقا باده مطلقا لان الرزق حصل لكل أحد
 غير ان المنيب يأكل ذاكر اشكرا الانعام وغيره يا كل كما تاكل الانعام فلم يخص الرزق
 بقيد (المسئلة الثالثة) ذكر في هذه الآية أمور ثلاثة أيضا وهي انبات الجنات والحب
 والتخل كذا ذكر في السماء والارض في كل واحدة أمور ثلاثة وقد ثبت ان الامور الثلاثة
 في الآيتين المتقدمتين متناسبة فهل هي كذلك في هذه الآية نقول قدينا ان الامور
 الثلاثة إشارة الى الاجناس الثلاثة وهي التي يبقى أصلها سنين ولا تحتاج الى عمل عامل
 والتي لا يبقى أصلها وتحتاج كل سنة الى عمل عامل والتي يحتمل فيها الامر ان ولس شيء من
 الثمار والزروع خارجا عنها أصلا كما ان أمور الارض مقتصرة في ثلاثة ابتداء
 وهو المد ووسط وهو النبات بالجبال الراسية وثالثة هو غاية الكمال وهو الانبات والغرين
 بالزخارف * ثم قال تعالى (وأحيينا بلدة مينا) عطفا على انبتنا به وفيد بمحاث (الاول) ان
 قلنا ان الاستدلال بابات الزرع وانزال الماء كان لا يمكن البقاء بالرزق فقوله وأحيينا به
 إشارة الى أنه دليل على الاعادة كما أنه دليل على البقاء ويدل عليه قوله تعالى كذلك الخروج
 فان قيل كيف يصح قولك استدلالا وانزال الماء كان لبيان البقاء مع أنه تعالى قال بعد ذلك
 وأحيينا به بلدة مينا * وقال (كذلك الخروج) فيكون الاستدلال على البقاء قبل الاستدلال
 على الاحياء والاحياء سابق على الابقاء فينبغي ان يبين أولا أنه يحجب الموت ثم يبين أنه يبقئهم
 نقول لما كان الاستدلال بالسموات والارض على الاعادة كما فيا بعد ذكر دليل الاحياء ذكر
 دليل الابقاء ثم عاد واستدرك فقال هذا الدليل الدال على الابقاء دال على الاحياء وهو غير
 محتاج اليه لسبق دليلين قاطعين فبدأ ببيان البقاء وقال وانبتنا به جنات ثم ثنى بإعادة ذكر
 الاحياء فقال وأحيينا به وان قلنا ان الاستدلال بانزال الماء وانبات الزرع لا لبيان امكان
 الحشر فقوله وأحيينا به ينبغي أن يكون مغايرا لقوله فانبتنا به بخلاف ما لو قلنا بالقول
 الاول لان الاحياء وان كان غير الانبات لكن الاستدلال لما كان به على أمرين متغايرين
 جازا اعطف نقول خرج للتجارة وخرج للزيارة ولا يجوز أن يقال خرج للتجارة وذهب
 للتجارة اذا كان الذهب غير الخروج فقول الاحياء غير انبات الرزق لان بانزال الماء
 من السماء ينحضر وجه الارض ويخرج منها أنواع من الازهار ولا تغنى به ولا يفتات
 وانما يكون به زينة وجه الارض وهو أعظم من الزرع والشجر لانه يوجد في كل مكان
 والزرع والتمر لا يوجدان في كل مكان فكذلك هذا الاحياء فان قيل فكان ينبغي ان يقدم
 في الذكر لان اخضرار وجه الارض يكون قبل حصول الزرع والتمر لانه يوجد في كل
 مكان بخلاف الزرع والتمر نقول لما كان انبات الزرع والتمر أكل نعمة قدمه في الذكر

أنواع النبات والازهار
 فصارت تهنئها بعد
 ما كانت جامدة هامة
 وتذكر ميتا لان البلدة
 بمعنى البلد والمكان
 (كذلك الخروج)
 جملة قدم فيها الخير
 لاقصد الى القصر
 وذلك إشارة الى الحياة
 المستفادة من الاحياء
 وما فيه من معنى البعد
 للاشعار ببعدرتها
 أي مثل تلك الحياة
 البديعة حياتكم
 بالبعث من القبور لا شيء
 يخالف لها وفي التعبير
 عن اخراج النبات من
 الارض بالاحياء وعن
 حياة الموتى بالخروج
 تفخيم لاشان الانبات
 ونحوين لإمر البعث
 وتحقيق للمعاني
 اخراج النبات وحياء

(الثاني) في قوله بلدة ميتا نقول جازا ثبات التاء في الميت وحذفها عند وصف المؤنث بها لان الميت تخفيف للميت والميت فعل بمعنى فاعل فيجوز فيه اثبات التاء لان التسوية في الفعل بمعنى المفعول كقوله ان رحمة الله قريب من المحسنين فان قيل لم سوى بين المذكر والمؤنث في الفعل بمعنى المفعول قلنا لان الحاجة الى التمييز بين الفاعل والمفعول اشد من الحاجة الى التمييز بين المفعول المذكور والمفعول المؤنث نظرا الى المعنى ونظرا الى اللفظ فأما المعنى فظاهر وأما اللفظ فلان المخالفة بين الفاعل والمفعول في الوزن والحرف اشد من المخالفة بين المفعول والمفعول له اذا علم هذا فنقول في الفعل لم يميز الفاعل بحرف فان فعلا جاء بمعنى الفاعل كالنصر والبصر وبمعنى المفعول كالكسر والاسير ولا يميز بحرف عند المخالفة الا الاقوى فلا يميز عند المخالفة الادنى والتحقيق فيه ان فعلا وضع لمعنى لفظي والمفعول وضع لمعنى حقيقي فكان القائل قال استعملوا لفظ المفعول للمعنى القلاني واستعملوا لفظ الفعل مكان لفظ المفعول فصار فعيل كالوضع لفظ المفعول والمفعول كالوضع للمعنى ولما كان تغير اللفظ تابعا لتغير المعنى تغير المفعول لكونه بازاء المعنى ولم يتغير الفعل لكونه بازاء اللفظ في أول الامر فان قيل فما الفرق بين هذا الوضع وبين قوله وآية لهم الارض الميتة أحييناها حيث اثبت التاء هناك نقول الارض أراد بها الوصف فقال الارض الميتة لان معنى الفاعلية ظاهر هناك والبلدة الاصل فيها الحياة لان الارض اذا صارت حية صارت آهلة وأقام بها الناس وعمروها فصارت بلدة فأستقط التاء لان معنى الفاعلية ثبت فيها والذي بمعنى الفاعل لا يثبت فيه التاء وتحقيق هذا قوله بلدة طيبة حيث أثبت التاء حيث ظهر بمعنى الفاعل ولم يثبت حيث لم يظهر وهذا بحث عزيز * وقوله تعالى (كذلك الخروج) أي كالاجلاء والخروج فان قيل الاحياء يشبه به الاخراج لان الخروج فنقول تقديره أحيينا به بلدة ميتة فنفقة وتخرج منها النيات كذلك تشقق ويخرج منها الاموات وهذا يؤيد قولنا الرجوع بمعنى الرجوع في قوله ذلك رجوع بعيد لانه تعالى بين لهم ما استبعدوه فلما استبعدوا الرجوع الذي هو من التعدي لاسباب أن يقول كذلك الاخراج ولما قال كذلك الخروج فهم انكروا الرجوع فقال كذلك الخروج فنقول فيه معنى لطيف على القول الآخر وذلك لانهم استبعدوا الرجوع الذي هو من التعدي بمعنى الاخراج والله تعالى أثبت الخروج وفيهما مبالغة تنبيهها على الرجوع والخروج والسبب اذا انتفى ينفي المسبب جزما واذا وجد وقد يتخلف عنه المسبب لما منع فنقول كسره فلم ينكسر وان كان مجازا والمسبب اذا وجد فقد وجد سببه واذا انتفى لا ينفي السبب لما تقدم اذا علم هذا فهم أنكروا وجود السبب ونفوه وينفي المسبب عند انتفائه جزما فبالغوا وأنكروا الامرين جميعا لان نفي السبب نفي المسبب فأثبت الله الامرين جميعا بالخروج كأنفوا الامرين جميعا بنفي الاخراج * ثم قال تعالى (كذب

الموتى لتوضيح منهاج القياس وتقريبه الى أفهام الناس وقوله تعالى (كذب قبلهم قوم نوح) الخ استئناف وارد لتقرير حقيقة البعث ببيان اتفاق كافة الرسل عليهم السلام عليها وتعذيب منكريها (وأصحاب الرس) قبلهم من بعث اليهم شعب عليه السلام وقيل وقيل كالمر في سورة الفرقان على التفصيل (ونمود وعاد فرعون) أي هو وقومه باللائم ما قبله وما بعده (واخوان لوط) قبل كانوا من أصهاره عليه الصلاة والسلام (أصحاب الايكة) هم من بعث اليهم شبيب عليه السلام خير اهل مدين (وفوم تبع) سبق شرح حالهم في سورة الدخان

(كل كذب الرسل) أي فيما رسلوا به من الشرائع التي من أجلها البعث الذي أجبهوا عليه فاطية أي كل قوم من الأقوام المذكورين كذبوا رسولهم أو كذب جميعهم جميع الرسل بالاعنى المذكوروا أفراد الضمير باعتبار لفظ الكل أو كل واحد منهم كذب جميع الرسل لاتفاقهم على الدعوة إلى حيا لا الأنداء بالبعث الخسران كذب واحد منهم تكذيب

لاكل وهذا على تقدير رسالة تبع ظاهر وأما على تقدير عدمها وهو الاظهر فعنى تكذيب هو د الرسل تكذيبهم عن قبلهم من الرسل المجمعين على التوحيد والبعث وإلى ذلك كان يدعوهم تبع (فحق وعيد) أي فوجب وحل عليهم وعيدى وهى كلمة العذاب وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم (أفبعينا بالخلق الاول) استئناف مقرر لصحة البعث الذى حكيت أحوال المذكور له من الامم المهلكة والمعنى بالامر العبر عنه بقال على الامر وعنى به اذا لم يد لوجد عمله والهمزة للانكار والفاء عاطف على مقدر بنى عنه المعنى من القصد والمباشرة كانه قيل اقصدنا بالخلق الاول فمعبرنا عنه حتى يتوهم بحجرتنا عن الاعادة (بل هم في لبس من خلق جديد) عاطف على مقدر يدل عليه ما قبله كانه قيل هم غير منكرين لشدة تناسل على الخلق الاول بل

قبلهم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون وأحول وطوا أصحاب الأيكة وهم تبع (ذكر المكذبين تكبر انهم يحالهم ويواليهم) أي يندبرهم أي الكفر واستدسانهم وتفسيره ظاهر وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتنبه بأمر حاله كمال من تقدمه من الرسل كذبوا وسبوا فأهلك الله مكذبيهم ونصبرهم وأصحاب الرس فيهم وجوه من المفسرين من قال هم قوم شعيب ومنهم من قال هم الذين جاءهم من أقصى المدينة رجل يسعى وهم قوم عيسى عليه السلام ومنهم من قال هم أصحاب الاخدود والرس موضع نسبوا اليه أو فعل وهو حفر البئر يقال رس اذا حفر بئرا وقيدته في سورة الفرقان ذلك وقال ههنا اخوان لوط وقال قوم نوح لان لوطا كان من سلالة طائفة من قوم ابراهيم عليه السلام معارف لوط ونوح كان من سلالة اخاق عظيم وقال فرعون ولم يقل قوم فرعون وقال قوم تبع لان فرعون كان هو المعتز المستخف بقومه المستبد بامرهم كان معتمدا بقومه فيجعل الاعتبار لفرعون ولم يقل الى قوم فرعون * وقوله تعالى (كل كذب الرسل فحق وعيد) يحتمل وجهين أحدهما ان كل واحد كذب رسوله فهم كذبوا الرسل واللام حينئذ لتعريف العهد وثانيهما هو الاصح هو ان كل واحد كذب جميع الرسل واللام حينئذ لتعريف الجنس وهو على وجهين أحدهما ان الكذب للرسول مكذب لكل رسول وثانيهما وهو الاصح ان المذكورين كانوا منكرين للرسالة والخسر بالكلية وقوله فحق وعيد أي ما وعدنا الله من نصرة الرسل عليهم واهلاكهم * ثم قال تعالى (أفبعينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد) وفيه وجهان أحدهما انه استدلال بدلائل انفسه لا يذكرنا مرارا ان الدلائل اقفية ونفسية كما قال تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وانفسهم ولما قرن الله تعالى دلائل الاتقاق عططف بعضها على بعض بحرف الواو وسال الارض مددناها وفي غير ذلك ذكر الدلائل النفسى وعلى هذا فيه لطائف لغظية ومعنوية * أما اللفظية فهي أنه تعالى في الدلائل الآقفية عططف بعضها على بعض بحرف الواو فقال والارض مددناها وقال وأترتنا من السماء ماء مباركا ثم في الدلائل النفسى ذكر حرف الاستفهام والفاء بعدها اشارة الى أن تلك الدلائل من جنس وهذا من جنس فلم يجعل هذا تبعاً لذلك ومثل هذا مرأى في أواخر يس حيث قال تعالى أوامر الانسان أنا خلقناه ثم لم يعطف الدليل الاقفى ههنا نقول والله أعلم ههنا وجد منهم الاستبعاد بقوله ذلك رجع بعيد فاستدل بالأكبر وهو خلق السموات ثم نزل كانه قال لاجابة الى ذلك الاستدلال بل في أنفسهم دليل جواز ذلك وفي سورة يس لم يذكر استبعادهم فبدأ بالادنى وارتقى الى الاعلى والوجد الثانى يحتمل أن يكون المراد بالخلق الاول هو خلق السموات لانه هو الخلق الاول وكانه تعالى قال فلم ينظروا الى السموات ثم قال أفبعينا هذا الخلق ويدل على هذا قوله تعالى أولم يروا أن الله الذى خلق السموات

هم في خلط وشبهة ٧٩ في خلق مستأنف لما فيه من مخالفة العادة وتشكيك خلق لتفخيم شأنه

والاشمار بخروجهم عن حدود العادات والايذان بانه حقيق بار يبحث عنه ويهتم بمعرفة (ولقد خلقنا الانسان ونلم ماتوسوس به نفسه) أي متحدثه به نفسه وهو ما يخطر بالبال والوسوس انصوت الخفي ومنه وسواس الخلق والضمير ان جعلت م سولة والبال كما في صوت بكذا * ٦٦٦ * والانس ان جعلت مصدرية والبال لاعدية

(ونحن أقرب اليه من جبل اوريد) أي اعلم بحاله من كل أقرب اليه من جبل الوريد عبر عن قرب اعلم بقرب لذات تجوز الله موجب له وجبل الوريد مثل في فرط القرب والجبل العرق واضافته بانية والوريدان هرقان مكتنفان بصفتي العنق في مقدمهما متصلان بالتين يردان من الرأس اليه وقبل سمي وريدان الروح رده (اذيتاني المتلقيان) منصوب بما في أقرب من معنى الفعل والمعنى أنه لطيف يتوصل عمله الى ما لا شيء أخفى منه وهو أقرب من الانسان من كل قريب حين يتلقى ويتلقن الحفيظان ما يتفظ به وفيه ايدان بأنه تعالى غنى عن استحقاقهما لاحاطة عمله بما يخفى عليهما وانما ذلك لما في كتبهما وحفظهما لالعمل العبد وعرض صحائفهم يوم يقوم الاشهاد وعلم العبد بذلك م علمه باحاطته تعالى بته صل

والارض ولم يبعي تخلفهن وبقي هذا الوجد هو أن الله تعالى قال بعد هذه الآية وتقد خلقنا الانسان ونلم ماتوسوس به نفسه فهو كما استدلال بخلق الانسان وهو معطوف بعرف الواو على ما تقدم من الخلق وهو بقاء السماء ومد الارض وتزويل الماء وانبات الجنات وفي تعريف الخلق الاول وتشكيل خلق جديد وجهان أحدهما ما عليه الامر ان لان الاول عرفه كل واحد وعلم نفسه والخلق الجديد لم يعلم نفسه ولم يعرفه كل واحد لان الكلام عنهم وهم لم يكونوا عالين بالخلق الجديد والوجه الثاني ان ذلك لبيان انكارهم للخلق الثاني من كل وجه كأنهم قالوا أليكون لنا خلق ماعلى وجه الانكار له بالكتابة وقوله تعالى بل هم في لبس فثديره ماعيننا بل هم في شك من خلق جديد يعنى لاما نغ من جهة الفاعل فيكون من جانب المفعول وهو الخلق الجديد لانهم كانوا يقولون ذلك محال وامتناع وقوع المحال بالفاعل لا يوجب عجزا فيه ويقال للعشوك فيه ملتبس كما يقال للقيين انه ظاهرو واضح ثم ان اللبس يستدلى الامر كما قلنا انه يقال ان هذا امر ظاهر وهذا امر ملتبس وههنا استدال الامر اليهم حيث قالهم في لبس وذلك لان الشيء يكون وراء حجاب والتاخر اليه بصير فيخفى الامر من جانب الرائي فقال ههنا بل هم في لبس ومن في قوله من خلق جديد فيفيد فائدة وهي ابتداء الغاية كأن اللبس كان حاصل لانهم من ذلك * قوله تعالى (ولقد خلقنا الانسان) فيه وجهان * أحدهما أن يكون ابتداء استدلال بخلق الانسان وهذا على قولنا أقمينسا بالخلق الاول معناه خلق السموات * وثانيهما أن يكون تنميم بيان خلق الانسان وعلى هذا قولنا الخلق الاول هو خلق الانسان أول مرة ويحتمل أن يقال هو تنبيه على أمر يوجب عودهم عن مقالهم وبيانه أنه تعالى لما قال ولقد خلقنا الانسان ونلم ماتوسوس به نفسه كان ذلك اشارة الى أنه لا يخفى عليه خافية ويعلم ذوات صدورهم وقوله (ونحن أقرب اليه من جبل الوريد) بيان لكمال علمه والوريد العرق الذي هو مجرى الدم يجري فيه ويصل الى كل جزء من أجزاء البدن والله أقرب من ذلك بعلمه لان العرق يحجبه أجزاء اللحم ويخفى عنه وعلم الله تعالى لا يحجب عنه شيء ويحتمل أن يقال ونحن أقرب اليه من جبل الوريد بقدر قدرتنا فيه يجري فيه أمرنا كما يجري الدم في عروقه * ثم قال تعالى (اذيتاني المتلقيان من اليمين وعن الشمال) فعيد ما يلفظ من قول الانديه رقيب عتيد) انظرط والعامل فيه ما في قوله تعالى ونحن أقرب اليه من جبل الوريد وفيه اشارة الى أن المكلف غير متروك سدى وذلك لان الملك اذا أقام كتابا على أمر اتكل عليهم فان كان له غفلة عنه فيكون في ذلك الوقت يتكل عليهم واذا كان عند إقامة الكتاب لا يبعد عن ذلك الامر ولا يغفل عنه فهو وعند عدم ذلك أقرب اليه وأشد اقبالا عليه فقول الله في وقت أخذ الملكين منه فعلمه وقوله أقرب اليه من عرقه الخاط له فعند ما يخفى عليه ما شيء يكون حفظنا بحاله أكل وأنهم ويحتمل أن يقال التلق من الاستقبال يقال فلان يلقي الركب وعلى هذا الوجه فيكون معناه وقت ما يتلقا المتلقيان

أحواله خبرا من زيادة اصف له في الكف عن البات والرغبة في الحسنات * وعنه عليه الصلاة * يكون

والسلام ان مقعد ملكيك على ثنيتك

ولسانك فلهما ورثك مدادهم وأنت تجري فيمسا الامتلاك لا تستحي من الله ولا منها وقد جو زان يكون اني الملكين
يما تقرب على معنى اننا قرب اليه طلعون على آله لان حفتنا وكنتنا موكلون به (عن اليمين وعن الشمال قعيد) أي
عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد أي ﴿ ٦٢٧ ﴾ مقاعد كالجلس بمعنى المجلس انفضا ومعنى خذ في الاول دلالة

الثاني عليه كما في قول
من قال ﴿ رماني بامر
كنت منه والدي ﴾
يرأون أجل الطوى
رماني وقبل يطلق الفيل
على الواحد والمتعدد
كما في قوله تعالى والملائكة
بعد ذلك ظهر (ما يلفظ
من قول) ما يرى به من
فيه من خيرا وشرو قري
ما يلفظ على البناء للمفعول
(الالديه رقيب) ملك
يرقب وقوله ويكتبه فان
كان خيرا فهو صاحب
اليمين بعينه والا فهو
صاحب الشمال ووجه
تغير العنوان غنى عن
البيان والافراد مع
وقوعهما معا على ما صدر
عنه لما أن كلامهما رقيب
لما فوض اليه لا لما فوض
الى صاحبه كما ينبغي عنه
قوله تعالى (عقيد) أي
معد مهيبا لكننا بذ
لأمر به من الخير والله
ومر لم يشبه له توهم ان
معناه رقيبان عندسان
وتخصيص القول بالذكر
لأشياء الحكم في الفعل
بدلالة النص وان تنف
فيما يكتبانه فقل بكتبار
كل شيء حتى أتت في
ضنه وقيل انما يكتبان ما في أجر أو وزر وهو الاظهر كما ينبغي عنه قوله صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات عليين

يكون من يمينه وعن شماله قعيدا لثقتان على هذا الوجه هما الملكان اللذان يأخذان
روحه من ملك الموت أحدهما يأخذ ارواح الصالحين وينقلها الى السرور والحبور
الى يوم النشور والاخر يأخذ ارواح الطالحين وينقلها الى الويل والنبور الى يوم
الحشر من القيور فقال تعالى وقت تلقهما وسؤالهما انه من اى القبيلين يكون عند
الرجل قعيد عن اليمين وقعيد عن الشمال يعنى الملكان يفرقان وعنده ملكان آخران
كاتبان لاعماله يسألانها من اى القبيلين كان فان كان من الصالحين يأخذ روحه ملك
السرور ويرجع الى الملك الاخر مسرورا حيث لم يكن مسرورا بمن يأخذها هو وان كان
من الطالحين يأخذها ملك العذاب ويرجع الى الاخر محزن وناحيث لم يكن بمن يأخذها
هو ويؤيد ما ذكرنا قوله تعالى سائق وشهيد فالشهيد هو القعيد والسائق هو المتأني يلقى
اخذ روحه من ملك الموت فيسوقه الى منزله وقت الاعادة وهذا اعرف الوجهين
وأقرهما الى الفهم وقول القائل جلست عن يمين فلان فيه انباء عن تمنع مانعه احترامه
واجتماعه وفيه لطيفة وهي أن الله تعالى قال نعمن أقرب اليه من جبل الورد المخطاط
لاجرائه المداخل في أعضائه والملك منحه عنه فيكون علمنا به أكل من علم الكاتب لكن
من أجلس عنده أحد يكتب أفعاله وأقواله ويكون الكاتب ناهضا خيرا او الملك الذى
أجلس الرقيب يكون جبارا عظيما ففسد أقرب اليه من الكاتب بكثير والقعيد هو
الجليس كان قعيدا يعنى جلس ﴿ وقوله تعالى (وجاءت سكرة الموت بالحق) ذلك ما كنت منه
تحييد) أى شدته التى تذهب العقول وتذهل الفطن وقوله بالحق يحتمل وجوها أحدها أن
يكون المراد منه الموت فانه حق كان شدة الموت تحضر الموت والباء حينئذ للتعديفة يقال
جاء فلان بكذا أى احضره ثانياها أن يكون المراد من الحق ما أتى به من الدين لانه حق وهو
يظهر عند شدة الموت وامان أحد الاوهو في تلك الحالة يظهر الايمان لكنه لا يقبل الايمان
سقى منه ذلك وآمن بالغيب ومعنى الخبي به هو انه يظهر كما يقال الدين الذى جاء به النبي
صلى الله عليه وسلم أى اظهره ولما كانت شدة الموت مظهرة له قيل فيه جاء به والباء حينئذ
يحتمل أن يكون المراد منها لمناسبة يقال جئت بك بأمل فسيح وقلب خاشع وقوله ذلك يحتمل
أن يكون اشارة الى الموت ويحتمل أن يكون اشارة الى الحق وحاد عن الطريق أى مال
عنه والخطاب قبل مع اتى صلى الله عليه وسلم وهو مشرك وقيل مع الكافرين وهو
أقرب والا قوى أن يقال هو خطاب عام مع السامع كما يقول ذلك ما كنت منه تحييد
أبها السامع ﴿ وقوله تعالى (ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد) عطف على قوله وجاءت
سكرة الموت والمراد منه اما النفخة الاولى فيكون بيان لما يكون عند مجئ سكرة الموت
أو النفخة الثانية وهو اظهر لان قوله تعالى ذلك يوم الوعيد بالنفخة الثانية أبقى ويكون
قوله وجاءت سكرة الموت اشارة الى الامانة وقوله ونفخ في الصور اشارة الى الاعادة والاحياء
وقوله تعالى ذلك ذكر الزخشرى أنه اشارة الى المصدر الذى من قوله ونفخ أى وقت

جل وكاتب السيئات

عليه ساره وكان في الحفلات امير على كاتب السبائات فاذا عمل حسنة كتبها في الالفين عشر او اذا عمل سيئة قال صاحب الامين
لصاحب الشمال عد سبع ساعات له ان يستغفر (وحات سكرة الموت بالحق) بعد ما ذكر استبعادهم للبعث والجزاء
واخرج ذلك بتحقيق قدس سره تعالى وعلمه وبين أن جميع ﴿ ٦٢٨ ﴾ أعمالهم محفوظة مكتوبة عليهم أنبع ذلك ببيان

ما يلا فونه لا محالة من الموت والبعث وما يتفرع عليه من الاحوال والاهوال وقد عبر عن وقوع كل منها بصيغة الماضي ايذانا بتحقيقها وغاية اقترابها وسكرة الموت شدته والذهبية باعقل والبلاء امام التعبدية بتأني فواك جاء الرسول بالبرهان على أحضرت سكرة الموت حقيقة الامر الذي نطق به كتب الله ورسله أو حقيقة الامر وجلبه الحل من سعادة الميت وشدة آلامه وقيل الحق الذي لا بد أن يكون لا محالة من الموت أو الجزاء فان الانسان خلق له واما لا يفسد كالتى في قوله تعالى ثبت بالذهن أى ملتبسة فخلق أى بحقيقة الامر أو بالحكمة والغاية الجميلة وقرئ سكرة الحق بالموت والمعنى انها السكرة التى كتبت على الانسان بموجب الحكمة وأنها لشدها توجب زهوق الروح أو تستعقبه وقيل البلاء بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله تعالى على أن الاضافة لتحويل وقرئ سكرات

ذلك النقيض يوم الوعيد وهو ضيق لان يوم لو كان منصوب بالكان ما ذكرنا ظاهرا وأما رفم يوم فيفيد أن ذلك نفس اليوم والمصدر لا يكون نفس الزمان وانما يكون في الزمان فالاول أن يقال ذلك اشارة الى الزمان المفهوم من قوله ويقع لان الفعل لا يدل على الزمان فكأنه تعالى قال ذلك الزمان يوم الوعيد والوعيد هو الذى أوعده من الحشر والالقاء والجزاء * وقوله تعالى (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد) فانه ينم عن قبل أن السائق هو الذى يسوقه الى الموقف ومنه الى مقدمه والشهيد هو كاتب والسائق لازم للبر والافاجر أما البر فيساق الى الجنة وأما الفاجر فالى النار وقال سالى وسين الذين كفروا وسين الذين اتقوا ربهم * وقوله تعالى (لقد كتبنا في غرهم من هذا) اما على تقدير يقال له أو قيل له لقد كتبت كما قال تعالى وقال لهم خزنتها قال تعالى قبل ادخلوا ابواب جهنم والخطاب عام اما الكافر فمعلوم الدخول في هذا الحكم وما لا بد من فانه يرداد علما ويظهر له ما كان مخفيا عنه ويرى على علمه يقينا رأى المتعبد يقينا سيكون بالنسبة الى تلك الاحوال وشدة الاهوال كالعاقل وفيه الوجهان اللذان ذكرناهما في قوله تعالى ما كتبت منه تحيد والغفلة شئ من اخطاء كالبس وأكثر منه لان الشاك يلبس الامر عليه والعاقل يكون الامر بالكتابة متجوعا بقلبه عنه وهو الغافل * وقوله تعالى (فكشفنا عنك غطاءك) أى أزلنا عنك غفلك (فبصرتك اليوم حديد) وكان من قبل كلالا وقرئ حديد أو كان في الدنيا خبيلا واليه الاشارة * بقوله تعالى (وقال قرينه هذا ما الذى عتيد) وفى القرن وجهان أحدهما الشيطان الذى زين التكفر له والعصيان وهو الذى قال تعالى فبدوة فغناهم قرنا وقال تعالى نقيض له شطانا فهو له قرين وقال تعالى فبئس القرين فلاشارة بهذا المسوق الى المركب المتجور والمسوق والعتيد معناه المعد للار وجلبه آية معناه أن الشيطان يقول هذا العاصى شئ هو عتدى مدحجهم أعدته بالأغواء والاضلال والوجد الشان قال قرينه أى القعيد الشهيد الذى سبق ذكره وهو الملك وهذا اشارة الى كتاب أعماله وذلك لان الشيطان في ذلك الوقت لا يكون له من المكانة أن يقول ذلك القول ولان قوله هذا ما الذى عتيد فيكون عتيد صفة وثانية هي أن تكون موصولة فيكون عتيد محذولا للثلاثة أوجه أحدها أن يكون خبر ابعدها والخبر الاول ما الذى معناه هذا الذى هو عتيد وثانيها أن يكون عتيد هو الخبر لا غير وما الذى يقع كالوصف المميز للعتيد عن غيره كما يقول هذا الذى عتدى زيد وهذا الذى عتدى عمر يكون الذى عتدى والذى يعنى التمييز المشابه اليه عن غيره ثم خبر عنه بما بعده ثم يقال السائق أو الشهيد (أقرباى جهنم) فيكون هو أمرا لواحد وفيه وجهان أحدهما أن تكرر الامر كما يقال ألقى ألقى وثانيها إعادة العرب ذلك * وقوله (كل قار عتيد) الكفار يحتمل أن يكون من الكفران فيكون بمعنى كثير

الموت (ذلك) أى الموت (ما كتبت منه تحيد) أى تبيل وتفر عنه والخطاب الانسان فان النفرة عند شمله ﴿ الكفران ﴾ لكل فرد ٦ قوله ثلاثة أوجه قد أخل بالثالث اه

من افراده طيعا (ومعنى في الصور) هي السجدة الثانية (ذلك) اي وقت ذلك المعنى على حذف المضاف (يوم
الوعيد) أي يوم انجاز الوعيد الواقع في الدنيا أو يوم وقوع الوعيد على أنه عبارة عن العذاب الموصود وقيل
ذلك اشارة الى الزمان المفهوم من نفع فان اذعل ﴿ ٦٢٩ ﴾ كما يدل على الحدث يدل على الزمان وتخصيص

الكفران ويحتمل أن يكون من الكفر فيكون بمعنى شديد الكفر والتشديد في لغته فقال
يدل على شدة في المعنى والعنيد فعيل بمعنى فاعل من عنيد عنودا ومنه العناد فان كان
الكفران من الكفران فهو أنكر نعم الله مع كثرتها * وقوله تعالى (مناع الخير) فيه
وجهان أحدهما كثير المنع للمال الواجب وإن كان من الكفر فهو أنكر دلائل وحدانية
الله مع قوتها وظهورها فكان شديد الكفر عنيدا حيث أنكر الأمر اللانح والحق
الواضح وكان كثير الكفران لوجود الكفران منه عند كل نعمة تشديد نكرها مع كثرتها
عن المسحق الطاب والخير هو المال فيكون كقوله تعالى وويل للشركين الذين
لا يؤتون الزكاة حيث بدأ ببيان الشرك ونهى بالامتناع من إتياء الزكاة وعلى هذا فقيه
مناسبة شديدة اذا جعلنا الكفار من الكفران كأنه يقول كفر أنعم الله تعالى ولم يؤد
منها شيئا لشكر نعمه ثانياً ما شدد المنع من الإيمان فهو مناع الخير وهو الإيمان الذي هو
خير محض من أن يدخل في قلوب العباد وعلى هذا فقيه مناسبة شديدة اذا جعلنا الكفار
من الكفر كأنه يقول كفر بالله ولم يقتنع بكفره حتى منع الخير من الغير * وقوله تعالى
(سعت) فيه وجهان أحدهما أن يكون قوله معتد مرتباً على مناع بمعنى مناع الزكاة
فيكون معناه لم يؤد الواجب وتعدى ذلك حتى أخذ الحرام أيضاً بازاء السرقة كما كان
عادة المشركين وثانيهما أن يكون قوله معتد مرتباً على مناع بمعنى منع الإيمان كأنه
يقول منع الإيمان ولم يقتنع به حتى نكسأه وأهان من آمن وأذاه وأطان من كفر وأواه
* وقوله تعالى (مريب) فيه وجهان أحدهما مريب وهذا على قولنا الكفار كثير
الكفران والمناع مانع الزكاة كأنه يشعور لا يعطى الزكاة لأنه في ريب من الآخرة
والثواب فيقول لأقرب إلا من غير عوض وثانيهما مريب بوقع العبر في الريب بالقاء
الشبهة والارابة جاءت بالمعنيين جميعاً وفي الآية ترتيب آخر غير ساذكرناه وهو أن يقال
هذا بيان أحوال الكفار بالنسبة إلى الله وإلى رسول الله وإلى اليوم الآخر فقوله
كفار عنيد اشارة إلى حاله مع الله يكفر به ويعاند آياته وقوله مناع الخمر معتد اشارة إلى
حاله مع رسول الله فيمنع الناس من اتباعه ومن الاتفاق على من عنده ويتعدى بالأيذاء
وكثرة الهداء وقوله مريب اشارة إلى حاله بالنسبة إلى اليوم الآخر بريب فيه
ورتاب ولا يظن أن الساعة قائمة فان قيل قوله تعالى ألتها في جهنم كل كفار عنيد مناع
الخير إلى غير ذلك يوجب أن يكون الاتقاء خاصاً عن اجتماع فيه هذه الصفات بأسرها
والكفر كاف في إرث الاتقاء في جهنم والأمر به فتقول قوله تعالى كل كفار عنيد ليس
المراد منه الوصف المميز كما يقال أعط العالم الزاهد بل المراد الوصف المميز يكون
الموصوف موصوفاً بما على سبيل المدح أو على سبيل الذم كما يقال هذا حاتم السخني
فقوله كل كفار عنيد يفيد أن الكفار عنيد ومناع فالكفار كافر لأن آيات الوحداية
ظاهرة ونعم الله تعالى على عباده وافر وعنيد ومناع الخير لأنه يمدح دينه ويذم دين الحق

منها أو استأناف مبني على سؤال نشأ بمقابلته كأنه قيل فاذا يفعل بها فقيل يقال لقد كنت في غفلة الخ وخطاب
الكل بذلك لما أنه مامن أحد الأوله غفلة ما من الآخرة وقيل الخطاب للكافر وقرئ كنت بكسر التاء

على اعتبار تانيك النفس والشكرك على القراءة المشهورة بأويل الشخص كافي قول جلة بن حريث * يا حسن
انك بالذات مسرور * فاذا كر فهل شغفك اليوم * ٦٣٠ * تذكر (فكشفتنا عنك غطاءك) الغطاء الحجاب

المعطى لامور المعاد وهو
الغسله والانهما في
المحسوسات والالاف
بها وقصر النظر عليها
(بقصرك اليوم حديد)
نافذ والالاف المانع للابصار
وقرى بكسر الكاف
في المواضع الثلاثة
(وقال قرينه) أى
الشيطان المقيض له
مشير اليه (هذا ما لدى
عندي) أى هذا ما عندى
وفي ملكتي عندي بلهتهم
قد هيأت لها باغوائى
واضلالى وقبل قال
الملك الموكل به مشيرا
الى مامعه من كتاب
عمله هذا مكتوب عندى
عندي مهيا للعرض
وما ان جعلت موصوفة
فمعد صفته وان جعلت
موصولة فهي بدل
منها وخبر مبتدأ محذوف
(ألقيا في جهنم كل
كفار) خطاب من الله
تعالى للسائقين والشهيد
أولئك الذين من خزنة
النار اولوا احد على نذر
نذبة الفاسل معزلة
نذبة الفعل وتكرره
كقول من قال * فان
تزعجاني يا ابن عفا
أترجرج * وان تدعاني أحم
عزنا معناه قوله المسئلة الثالثة اطراف الكلام فيها غير ملتزمة كما لا يخفى * (والعظمة)

فهو يمنع ومريب لانه شك في الحشر فكل كافر فهو موصوف بهذه الصفات * وقوله
تعالى (الذى جعل مع الله الها آخر وألقياه في العذاب الشديد) فيد ثلاثة أوجه (أحدها)
أنه بدل من قوله كل كفار عنيد (ثانيها) أنه عطف على كل كفار عنيد (ثالثها) أن يكون
عطف على قوله ألقيا في جهنم كأنه قال ألقيا في جهنم كل كفار عنيد أى والذي جعل مع
الله الها آخر وألقياه بعد ما ألقيتوه في جهنم في عذاب شديد من عذاب جهنم * ثم قال
تعالى (قال قرينه ربنا ما أطغيته) وهو جواب للكلام مقدر كان الكافر حين ما يلقي
في النار يقول ربنا أطفئنى شيطاني فيقول الشيطان ربنا ما أطغيته يدل عليه قوله تعالى
بعد هذا قال لا تخضعوا لى لان الاختصاص يستدعى كلاما من الجانبين وحيد هذا
كما قال الله تعالى في هذه السورة وفي ص قالوا بل أمر حبابكم وقوله تعالى فانوار ربنا
من قديم اننا هذا فزده الى أن قال ان ذلك لخلق تخافهم أهل النار وفيه مسائل (المسئلة
الاولى) قال الرخشى المراد بالقرين في الآية المتقدمة هو الشيطان لالملك الذى هو
شهيد وقعيد واستدل عليه بهذا وقال غيره المراد الملك لا الشيطان وهذا يصلح دليلا
لمن قال ذلك ويانه هو أنه في الاول لو كان المراد الشيطان فيكون قوله هذا ما لدى عندي
معناه هذا الشخص عندي عنيد معذ النار اعتدته باغوائى فان الرخشى صرح في
تفسير تلك بهذا وعلى هذا فيكون قوله ربنا ما أطغيته منا قضا قوله اعتدته وللرخشى
أن يقول الجواب عنه من وجهين أحدهما أن يقول ان الشيطان يقول اعتدته بمعنى
زيت له الأمر وما لجأته فيصح القولان من الشيطان وثانيهما أن تكون الإشارة الى
حالين في الحالة الاولى انما فعلت به ذلك اظهارا للانتقام من بنى آدم وتخصيها للمقاتل
فيعرتك لاغوينهم أجمعين ثم اذارى العذاب وأنه معه مشترك وله على الاغواء عذاب
كما قال تعالى فالحق والحق أقول لاملان جهنم منك ومن تبعك فيقول ربنا ما أطغيته
فيرجع من مقاتله عند ظهور العذاب (المسئلة الثانية) قال ههنا قال قرينه من غيروا
وقال في الآية الاولى يقال قرينه بالواو العاطفة وذلك لان في الاول الإشارة وقعت
الى معنيين مجتمعين وان كل نفس في ذلك الوقت تجبى ومعها سائق ويقول الشهيد ذلك
القول وفي الثاني لم يوجد هالك معنيان مجتمعان حتى يذكر بالواو والفاء في قوله فآلقياه
في العذاب لينااسب قوله تعالى قال قرينه ربنا ما أطغيته مناسبة مقتضية له لطف
بالواو (المسئلة الثالثة ٩) انقول ههنا واحد وقال ربنا ولم يقل ربونى كثير من المواضع
مع كون القائل واحدا قال رب كفى قوله قال رب ارنى أسرارك وقول نوح رب اغفرلى
وقوله تعالى قال رب السجين أحب الى وقوله قالت رب ابنى عندك بيتا فى الجنة الى غير
ذلك وقوله تعالى قال رب أنظرنى الى يوم يبعثون تقول في جمع تلك المواضع القائل
طالب ولا يحسن أن يقول الطالب يارب عمرى واخصصنى وأعطنى كذا وانما يقول
أعطينا لان كونه ربا لا يناسب تخصيص الطالب وأما هذا الموضع فوضع الهيبة

أترجرج * وان تدعاني أحم عزنا معناه قوله المسئلة الثالثة اطراف الكلام فيها غير ملتزمة كما لا يخفى * (والعظمة)

أو على ألف بدل من نون التاكيد على إجراء الوصل بحرى الوقف ويؤيده أنه قرئ **الذين** بالنون الحفيفة (عشيد)
معاند الحق (مناع للخير) كثير النعم ﴿ ٦٣١ ﴾ المال عن حقوقه المعروف وقيل المراد الخير الاسلام قال الآية نزلت

في الوعد من الغيرة لما
منع بني أخيه منه
(معند) ظالم مخيف الحق
(مر يب) شاك في الله
وفي دينه (الذي جعل
مع الله الآخر) مبتدا
متضمن لمعنى الشرط
خبره (فألقياه في العذاب
الشديد) أو بدل من
كل كفار وقوله تعالى
فألقياه تكرر للتوكيد
أو مفعول مضمر يفسره
فألقياه (قال قرينه)
أى الشيطان المفضل له
وأما استؤنف استؤنف
الجل الواقعة في حكاية
المقابلة لما أنه جواب
لخروج دل عليه قوله
تعالى (ربنا ما أطعنيته)
فانه منبئ عن سابقة
كلام اعترض به الكافر
كأنه قال هو أطعاني
فأجاب قرينه بتكذيبه
واستاد الطغيان اليه
بخلاف الجملة الاولى
فانها واجبة العطف
على ما قبلها دلالة على
أن الجمع بين مفهوميهما
في الحصول أعني محي
كل نفس مع الملكين
وقول قرينه (ولكن
كان) هو بالذات (في

والعامة وعرض الحال دون الطلب فقال ربنا ما أطعنيته * وقوله تعالى (ولكن كان
في ضلال بعيد) يعنى أن ذلك لم يكن باقائه وإنما كان ضلالا مغفلا في الضلال فنعني وبيد
مسألة (المسئلة الاولى) ما الوجه في اوصاف الضلال بالبعيد نقول الضلال يكون أكثر
ضلا عن الطريق فإذا تسادى في الضلال وبقي فيه مدة بعد عن المقصد كثير أو إذا علم
الضلال قصر في الطريق من قريب فلا يبعد عن المقصد كثيرا وقوله ضلال بعيد
وصف المصدر بما يوصف به الفاعل كما يقال كلام صادق وعيشة راضية أى ضلال
ذو بعد والضلال إذا بعد مده وأمدت الضلال فيه بصير يبتنا ويظهر الضلال لأن من حاد
عن الطريق وأبعد عنه تغير عليه السمات والجهات ولا يرى عين المقصد ويبين له أنه
ضل عن الطريق ويرى بما يقع في أودية ومغاور ويظهر له امارات الضلال بخلاف من حاد
قليلا فالضلال وصفه الله تعالى بالوصفين في كثير من المواضع فقال تارة في ضلال مبين
وأخرى قال في ضلال بعيد (المسئلة الثانية) قوله تعالى ولكن كان في ضلال بعيد إشارة
الى قوله الاعباد لك منهم المخلصين وقوله تعالى ان عبادى ابس لك عليهم سلطان أى
لم يكونوا من العباد فجعلهم أهل العناد ولو كان لهم في سبيلك قدم لما كان على عليهم
من يد والله أعلم (المسئلة الثالثة) كيف قال ما أطعنيته مع أنه قال لا غو بينهم أجمعين
قلنا الجواب عنده من ثلاثة أوجه وجهان قد تقدم في الاعتذار عما قاله الزمخشري
والثالث هو أن يكون المراد من قوله لا غو بينهم أى لا يمنعهم على الغواية كأن الضلال إذا
قال له شخص أنت على الجادة فلا تتركها يقال انه بضله كذلك همنا وقوله ما أطعنيته أى
ما كان ابتداء الاطاعة مني * ثم قال تعالى (قال لا تختصموا لى) قد ذكرنا ان هذا دليل
على أن هناك كلاما قبل قوله قال قرينه ربنا ما أطعنيته وهو قول الملقى في السار ربنا
أطعاني وقوله لا تختصموا لى يفيد مفهومه أن الاختصاص كان ينبغي أن يكون قبل
الحضور والوقوف بين يدي * وقوله تعالى (وقد قدمت اليكم بالوعيد) تقرير للنوع
من الاختصاص وبيان لعدم فائدته كأنه يقول قد قلت انكم اذا اتبعتم الشيطان
تدخلون النار وقد اتبعتموه فان قيل ما حكم البناء في قوله تعالى بالوعيد قلنا فيها وجوه
أحدها أنها من يده كإني قوله تعالى تثبت بالدهن على قول من قال انها هناك زائدة وقوله
وهكفى بالله ثنائيا معدية قدمت بمعنى تقدمت كإني قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا
لا تقصدوا بين يدي الله ثالثها في الكلام اضمار تقديره وقد قدمت اليكم مقترنا بالوعيد
ما يبدل القول لى فيكون المقدم هو قوله ما يبدل القول لى ربنا ما أطعنيته للصاحبة
يقول القائل اشتريت الفرس للجامة وسرجه أى معه فيكون كأنه تعالى قال قدمت
اليكم ما يجب مع الوعد على تركه بالانذار * وقوله تعالى (ما يبدل القول لى) يحتمل
وجهين أحدهما أن يكون قوله لى متعلقا بالقول أى ما يبدل القول لى وثانيهما أن
يكون ذلك متعلقا بقوله ما يبدل أى لا يقع التبدل عندى وعلى الوجه الاول في القول

ضلال بعيد) من الحق ما عشته عليه بالاغواء والدعوة اليه من غير قسر والجله كإني قوله تعالى وما كان لى عليهم

من سلطان الان دعوتكم فاستجبتم لي (قال) استشفاف مبني على سؤال نشأ مما قبله كأنه قيل فماذا قال الله تعالى فقيل قال (لا تخضعوا لدي) أي من موقف الحساب والجزاء ﴿ ٦٣٢ ﴾ اذ لا فائدة في ذلك (وقد قدمت اليكم بالوعيد) على

الذي ادبره وجوه (أحدها) هو أنهم لما قالوا حتى يبدل ما قبل في حقهم ألقيا بقول الله بعد اعتذارهم لا تقبلاه فقال تعالى لا يبدل هذا القول لدي وكذلك قوله وقيل ادخلوا أبواب جهنم لا يتبدل (ثانيها) هو قوله ولكن حق القول مني لا ملأن جهنم أي لا يتبدل لهذا القول (ثالثها) لا تخف في إيهامه تعالى كالأخلاف في معاد الله وهذا يرد على المرجئة حيث قالوا ما ورد في القرآن من الوعيد فهو تفويض لا يثبت حق الله سبحانه وقالوا الكفر بم اذ عبدنا نجز ووفي وإذا أوعنا أخلف وعفا (رابعها) لا يبدل القول السابق ان هذا شق وهذا سعيد حين خلقت العباد قلت هذا شق ويسمى على الاشقياء وهذا تقي ويعمل عمل الاقياء وذلك التواء عندى لا يتبدل لبسعي ساع ولا مساعدة لا يتوفيق الله تعالى وأما على الوجد الثاني في لا يبدل وجوه أيضا أحدها لا يكذب لدي ولا يفتري بين يدي فاني عالم علمت من طغي ومن أطغي ومن كان ملاغيا ومن كان أطغي فلا يفيدكم قولكم أطفاني شيطاني ولا قول الشيطان ربنا ما أطفيت ثابته اشارة الى معنى قوله تعالى فارجعوا وراءكم فالتسوا نورا كأنه تعالى قال لو اردتم ان لا تقول فالتقياء في العذاب الشديد كنتم بدلتهم هذا من قبل بتبدل الكفر بالايان قبل ان تقفوا بين يدي وأما الآن فما يبدل القول لدي كما قلنا في قوله تعالى قال لا تخضعوا لدي المراد ان اختصاصكم كان يجب ان يكون قبل هذا حيث قلت ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ثالثها معناه لا يبدل الكفر بالايان لدي فان الايمان عند الناس غير مقبول فقولكم ربنا والهنا لا يفيدكم فن تكلم بكلام الكفر لا يفيد قوله ربنا ما أشركنا وقوله ربنا آمنا وقوله تعالى ما يبدل القول اشارة الى نفي الحال ككأنه تعالى يقول ما يبدل اليوم لدي القول لان ما ينفي بها الحال اذا دخلت على الفعل المضارع يقول القائل ماذا فعلت غدا يقول ما أفعل شيأ أي في الحال واذا قال القائل ماذا يفعل غدا يقال لا يفعل شيأ أو لم يفعل شيأ اذا أريد زيادة بيان انني فان قيل هل فيه بين معنوي يفيد افتراق ما ولا في المعنى نقول نعم وذلك لان كلمة لأدل على النفي لكونها موضوعا للنفي وما في معناه كأنه في خاصة لا يفيد الاثبات الا بطريق الخذف أو الاضمار وبالجملة فبطريق المجاز كافي قوله لا أقسم وأما ما في معناه للنفي لانها واردة لغيره من المعاني حيث تكون اسما والنفي في الحال لا يفيد النفي المطلق لجواز أن يكون مع النفي في الحال الاثبات في الاستقبال كما يقال ما يفعل الآن شيأ وسيفعل ان شاء الله فاختص بمالم يتحضر نفيا حيث لم تكن متحضرة للنفي لا يقال ان لا تنفي في الاستقبال والاثبات في الحال فاكنتي في الاستقبال بمالم يتحضر نفيا لا نقول ليس كذلك اذ لا يجوز أن يقال لا يفعل زيد ويفعل الآن نعم يجوز أن يقال لا يفعل غدا او يفعل الآن لكون قولك غدا يجعل الزمان ميمرا فلم يكن قولك لا يفعل للنفي في الاستقبال بل كان للنفي في بعض أزمنة الاستقبال وفي مثالنا قلنا ما يفعل وسيفعل ومافلتا سيفعل غدا وبعد غدا بل ههنا نفيا في الحال واثباتا في الاستقبال من غير

الطغيان في دار الكسب في كسبي وعلى السنة رسلي فلا تطعموا في الخلاص عنه بما أتم فيه من العمل بالاعاذير الباطلة والجملة حال فيها تعاليل لانهي على معنى لا تخضعوا وقد صح عندكم أي قدمت اليكم بالوعيد حيث قلت لا بليس لا ملأن جهنم منك وعن تبعك منهم أجمعين فاتبعتموه معرضين عن الحق فلا وجه للاختصاص في هذا الوقت والباء مزيدة أو معدية على أن قدم بمعنى تقدم وقد جوز أن يكون قدمت واقعا على قوله تعالى (ما يبدل القول لدي) الخ ويكون بالوعيد متعلقا بمخدوف هو حال من المفعول أو الفاعل أي وقد قدمت اليكم هذا القول ملتبسا بالوعيد مقترنا به أو قدمته اليكم موعدا لكم به فلا تطعموا أن أبدل وعيدي والعفو عن بعض المذنبين لاسباب داعية اليه ليس بتبديل فان دلائل العفو تدل على تخصيص الوعيد

مميز زمان من أزمنة الاستقبال عن زمان ومثاله في العكس أن يقال لا يفعل زيد وهو
 بفعل من غير تعيين وتميز ومعلوم أن ذلك غير جائز * وقوله تعالى (وما أنا بظلام للعبيد)
 مناسب لما تقدم على الوجهين جميعا أما إذا قلنا بأن المراد من قوله لدى أن قوله فالتقاء
 وقول القائل في قوله قبل ادخلوا أبواب جهنم لا يتبدل له فظاهرا لأن الله تعالى بين أن
 قوله ألقيا في جهنم لا يكون إلا للكافر العنيد فلا يكون هو ظلاما للعبيد وأما إذا قلنا بأن
 المراد لا يتبدل القول لدى بل كان الواجب التبدل قبل الوقوف بين يدي فكذلك لأنه
 أنذر من قبل وما عذب الأبعد أن أرسل وبين السبل (وقيد مباحث لفظية ومعنوية)
 أما اللفظية فهي في الباء من قوله ليس بظلام وفي اللام من قوله للعبيد أما الباء فتقول الباء
 تدخل في المفعول به حيث لا يكون تعلق الفعل به ظاهرا ولا يجوز ادخالها فيه حيث
 يكون في غاية الظهور ويجوز الادخال والتك حيث لا يكون في غاية الظهور ولا في غاية
 الخفاء فلا يقال ضربت زيد لظهور تعلق الفعل بزيد ولا يقال خرجت وذبحت زيدا
 بدل قولنا خرجت وذبحت زيد لظهور تعلق الفعل بزيد فيهما ويقال شكرته وشكرت له
 لأنوسط فكذلك خبر الماكان مشبها بالمفعول وليس في كونه فعلا غير ظاهر غاية الظهور
 لأن الحاق الضمائر التي تلحق بالأفعال الماضية كالتاء والتون في قولك لست ولستم ولست
 ولستم الصحيح كونها فعلا كما في قولك كنت وكالتك في الاستقبال بين الفرق حيث تقول
 يكون وتكون وكن ولا تقول ذلك في ليس وما يشبهها فصار تأكل الفعل الذي لا يظهر تعلقه
 بالمفعول غايبة اظهر فجاز أن يقال ليس زيد جاهلا وليس زيد جاهلا كما يقال مسخنة
 ومسخت به وغير ذلك مما تعدى بنفسه وبإياه ولم يجز أن يقال كان زيد بخارج وصار عمرو
 بدارج لأن صار وكان فعل ظاهر غاية الظهور بخلاف ليس وما التافية وهذا يؤيد قول
 من قال ما هذا بشر وهذا ظاهر (البحث الثاني) لو قال قائل كان ينبغي أن لا يجوز إخلاء
 خبرها عن الباء كما لا يجوز ادخال الباء في خبر كان وخبر ليس يجوز فيه الأمران وتقرير
 هذا السؤال هو أن كان لما كان فعلا ظاهرا جعلناه بمنزلة ضرب حيث منعنا
 دخول الباء في خبره كما منعناه في مفعوله وليس لما كان فعلا من وجه نظرنا إلى قولنا
 لست ولستم ولم يكن فعلا ظاهرا نظرنا إلى صيغ الاستقبال والأمر جعلناه متوسطا
 وجوزنا ادخال الباء في خبره وتركه كما قلنا في مفعول شكرته وشكرت له وما المالم يكن فعلا
 بوجه كان ينبغي أن يكون بمنزلة الفعل الذي لا يتعدى إلى المفعول إلا بالحرف وكان ينبغي
 أن لا يجزئ خبره الأمع الباء كما لا يجزئ مفعول ذهب الأمع الباء ويؤيد هذا انفارقتا بين ما
 وليس وكان وجعلنا الكل واحدة مرتبة ليست للآخرى فيجوزنا تأخير كان في اللفظ حيث
 يجوزنا أن يقول القائل زيد بخارجا كان وما يجوزنا زيد بخارجا ليس لأن كان فعل ظاهر وليس
 دونه في الظهور وما يجوزنا تأخير ما عن أحد شطري الكلام أيضا بخلاف ليس حيث
 يجوزنا أن يقول القائل زيدا بظلام الآن بعد ما يرجع إليه فيقول زيدا هو بظلام

وقوله تعالى (وما أنا
 بظلام للعبيد) وارد
 لتحقيق الحق على الوجه
 الكلبي وتبين أن هدم
 تبديل القول وتحقيق
 موجب الوعيد ليس من
 جهة تعالى من غير
 استحقاق له منهم بل
 إنما ذلك بما صدر عنهم
 من الجنايات الموجبة
 له حسبا أشد إليه نفاها
 وما أنا بعذب للعبيد
 بغير ذنب من قبلهم
 والتعير عنه باظلم مع
 أن تعد إليهم بغير ذنب
 ليس بظلم على ما تقرر
 من قاعدة أهل السنة
 فضلا

فصار بينهما ترتيب ما يوجه وليس يؤخر عن أحد الشطرين ولا يؤخر في الكلام بالكيفية
 وكان يؤخر بالكيفية لما ذكرنا من الظهور والخفاء فكذلك القول في الحاق الباء كان ينبغي
 ان لا يصح اخلاء خبر ما عن الباء في ليس يجوز الامر ان في كان لا يجوز الادخال وهذا
 هو المعتمد عليه في لغة بني تميم حيث قالوا ان ما بعد ما اذا جعل خبرا يجب ادخال الباء عليه
 فان لم تدخل عليه يكون ذلك معربا على الابتداء أو على وجه آخر ولا يكون خبرا والجواب
 عن السؤال هو ان نقول الاكثر ادخال الباء في خبر ما ولا سيما في القرآن قال الله
 تعالى وما أنت بهادي العمى عن ضلالتهم وما أنت بمسمع ما هم بخارجين وما أنا بظلام
 وأما الوجوب فلا لأن ما أشبه ليس في المعنى في الحقيقة وخالفها في العوارض وهو
 لحق الثاء والتون وأما المعنى فهما اتني الحال فاشبهه مفعول جواز الاخلاء والمخالفة
 مفضية لوجوب الادخال لكن ذلك المتضمن أقوى لأنه راجع الى الامر الحقيقي وهذا
 راجع الى الامر العارض وما بالفس أقوى مما بالعارض وأما التقديم والتأخير فلا يلزم
 منه وجوب ادخال الباء وأما الكلام في اللام فنقول اللام لتحقيق معنى الاضافة يقال
 غلام زيد وغلام زيد وهذا في الاضافات الحقيقية باثبات التنوين فيه وأما في الاضافات
 اللفظية كقولنا ضارب زيد وقاتل عمرو فان الاضافة فيه غير معنوية فاذا خرج الضارب
 عن كونه مضافا باثبات التنوين فقد كان يجب ان يعاد الاصل وينصب ما كان مضافا اليه
 الفاعل بالمفعول به ولا يؤخر في اللام لأنه حينئذ لم يبق الاضافة في اللفظ ولم تكن اضافة في
 المعنى غير ان اسم الفاعل مخطوطة الدرجة عن الفعل فصار تعلقه بالمفعول اضعف من تعلق
 الفعل بالمفعول وصار من باب الافعال الضعيفة التعلق حيث يتنا جواز تعديتها الى
 المفعول بحرف وغير حرف فلذلك جاز ان يقال ضارب زيد واضارب زيد كما جاز مسحة
 ومسحت به وشكرته وشكرته وذلك اذا تقدم المفعول كما في قوله تعالى ان كنتم للربوا
 تعبرون للضعف (وأما المعنوية فباحث) الاول الظلام مبالغة في الظلم ويلزم من اثباته
 اثبات أصل الظلم اذا قال القائل هو كذاب يلزم ان يكون كاذبا كثر كذبه ولا يلزم من نفيه
 نفي أصل الكذب لجواز ان يقال فلان ليس بكذاب كثير الكذب لكنه يكذب أحيانا ففي
 قوله تعالى وما أنا بظلام لا يفهم منه نفي أصل الظلم والله ليس بظالم فالوجه فيه نقول
 الجواب عنه من ثلاثة أوجه أحدها ان الظلام بمعنى الظلم كالتأثر بمعنى التامر وحينئذ
 يكون اللام في قوله للعبيد لتحقيق النسبة لان الفعل حينئذ بمعنى ذي ظلم وهذا وجه جيد
 مستفاد من الامام زين الدين أدام الله فوائده والثاني ما ذكره المحمدي وهو ان
 أمر تقديرى كانه تعالى يقول لو ظلمت عبدي الضعيف الذي هو محل الرحمة لكان ذلك
 غاية الظلم وما أنا بذلك فيلزم من نفي كونه ظلاما نفي كونه ظالما وبحق هذا الوجه اظهار
 لفظ العبيد حيث يقول ما أنا بظلام للعبيد أي في ذلك اليوم الذي امتلأت جهنم مع
 سعتها حتى تصبح وتقول لم يبق طاقة لهم ولم يبق في موضع لهم فهل من مزيد استفهام

عن كونه ظلاما فربما البيان
 كمال زاهته تعالى عن
 ذلك بصورة بصورة
 ما يستحيل صدوره عنه
 سبحانه من الظلم وصية
 المبالغة لتأكيد هذا
 المعنى بابرار ما ذكر من
 التعذيب بغير ذنب في
 معرض المبالغة في الظلم
 وقيل هي رعاية جمعة
 العبيد من قواهم فلان
 ظالم لعبيده وظالم لعبيده
 على أنها

استكثر فذلك اليوم مع اني اتي فيها عددا لا حصر له لا اكون بسبب كثرة التعذيب كثير
الظلم وهذا مناسب وذلك لانه تعالى خصص الذي بالزمان حيث قال ما انا بظلام يوم نقول
أى وما انا بظلام في جميع الازمان ايضا وخصص بالعيد حيث قال وما انا بظلام للعيد ولم
يطلق فكذلك خصص الذي بنوع من انواع الظلم ولم يطلق فلم يلزم منه أن يكون ظلاما في غير
ذلك الوقت وفي حق غير العبيد وان خصص والقاعدة في التخصيص انه اقرب الى التصديق
من التعميم والثالث هذا يدل على ان التخصيص بالذكر لا يدل على نفي ما عداه لانه نفي كونه
ظلاما ولم يلزم منه نفي كونه ظلاما نفي كونه ظلاما للعبيد ولم يلزم منه نفي كونه ظلاما
لغيرهم كما قال في حق الادمي ومنهم ظلم نفسه (البحث الثاني) قال ههنا وما انا بظلام
للعبيد من غير اضافة وقال ما انت بهادى العمى وما انت بسميع من في القبور رهلى وجهه
الاضافة بما الفرق بينهما نقول الكلام قد يخرج أولا مخرج العموم ثم يخصص لامر ما
لا تعرض التخصيص بقول القائل فلان يعطى وينع ويكون غرضه التعميم فان سال سائل
يعطى من وينع من يقول زيدا وعمرا واني بالخصص لا تعرض التخصيص وقد يخرج
أولا مخرج الخصوص فيقول فلان يعطى زيدا ما له اذا علمت هذا قوله ما انا بظلام كلام
اواقتصر عليه لكان للعموم فأتى بلفظ العبيد لانه لا يكون عدم الظلم مختصا بهم بل لكونهم
اقرب الى كونهم محل الظلم من نفسه تعالى وأما النبي صلى الله عليه وسلم فكان في نفسه
هاديا وانما اراد نفي ذلك الخاص فقال ما انت بهادى العمى وما قال ما انت بهادى وكذلك
قوله تعالى أليس الله بكاف عبده (البحث الثالث) العبيد يحتل أن يكون المراد منه
الكفار كما في قوله تعالى يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول يعني أعذبهم وما انا بظلام
لهم ويحتل أن يكون المراد منه المؤمنين ووجهه هو ان الله تعالى يقول لو بدلت القول
ورجت الكافر لكنت في تكليف العباد ظلاما لعمادى المؤمنين لاني منعهم من الشهوات
لاجل هذا اليوم فان كان يقال من لم يأت بالمؤمن ما يناله المؤمن لكان آتيانه بما
أتى به من الايمان والعبادة غير مفيد فائدة وهذا معنى قوله تعالى لا يستوي أصحاب النار
وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم القارئون ومعنى قوله تعالى قل هل يستوى الذين يعملون
والذين لا يعملون وقوله تعالى لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر ويحتل
أن يكون المراد التعميم ثم قال تعالى (يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من
مزيد) العامل في يوم ما ذاقه وجوه الاول ما انا بظلام مطلقا والثاني الوقت حيث قال
ما انا يوم كذا ولم يقل ما انا بظلام في سائر الازمان وقد تقدم بيانه فان قيل فما فائدة
التخصيص نقول النفي الخاص اقرب الى التصديق من النفي العام لان التوهم ذلك فان
قاصر النظر يقول يوم يدخل الله عبده الضعيف جهنم يكون ظالمه ولا يقول بانه يوم
خلفه برقه ويريد يكون ظالما ويتوهم انه يظلم عبده بادخاله النار ولا يتوهم انه يظلم نفسه
أو غيره بعيد المذكورين ويتوهم انه من يدخل خلقا كثيرا لا يحوزه حد ولا يدرك عدد النار

مبالغة كما لا كيفا (يوم
نقول لجهنم هل امتلأت
وتقول هل من مزيد)
سؤال وجواب يحى وهما
على منساج التمثيل
والخيال لتحويل أمرها
والعنى انها مع اتساعها
وتباعد أقطارها تطرح
فيها من الجنة والناس
فوجا بعد فوج حتى تمتلئ
أو انها من السعة بحيث
يدخلها من يدخلها
وفيها بعد محل فارغ
أو انها لغبطها على
المصاة تطلب زيادتهم
وقرى يقول بالباء والمزيد
امام صدر كالحديد والمجد
أو مفعول كالسبع ويوم
امام منصوب باذكر

و يتركهم في زمان لانها به له كثير الظلم ففي ما يتوهم دون ما لا يتوهم وقوله هل امتلأت
 بيان لتصديق قوله تعالى لا ملأن جهم وقوله هل من مزيد فيه وجهان أحدهما انه لبيان
 استكثارها الداخلين كما ان من يضرب غيره ضربا مبرحا أو يشتمه شتما قبيحا فاحشا يقول
 المضروب هل بقي شيء آخر ويدل عليه قوله تعالى لا ملأن لان الامتلاء لا يد من أن يحصل
 فلا يبقى في جهم موضع خال حتى تطلب المزيد والثاني هو انها تطلب الزيادة وحينئذ لو قال
 قائل فكيف يفهم مع هذا معنى قوله تعالى لا ملأن نقول الجواب عنه من وجوه أحدها
 ان هذا الكلام بما يقع قبل ادخال الكل وفيه لطيفة وهي ان جهم تنقبض على الكفار
 فتطلبهم ثم يبقى فيها موضع له صفة المؤمنين فتطلب جهم امتلاءها الظن بها بقاء أحد من
 الكفار خارجا فيدخل المعاصي من المؤمنين فيبرد ايمانها حرارتها ويسكن ايقانها غريظها
 فتسكن وعلى هذا يحمل ما ورد في بعض الاخبار ان جهم تطلب الزيادة حتى يضع الجبار
 قدمه والمؤمن جبار متكبر على ما سوى الله تعالى ذليل متواضع لله الثاني أن تكون
 جهم تطلب أولا سمعة في نفوسهم ثم يداني الداخلين انظر بها بقاء أحد من الكفار الثالث
 ان الملأ له درجات فان الكليل اذا ملأ من غير كبس صح أن يقال ملأ وقوله لا ملأن
 بسم غيره ولا ينافي كونه ملأنا أولا فكذلك في جهم ملأها الله ثم تطلب زيادة تضيقا
 للمكان عليهم وزيادة في التعذيب والمزيد جاز أن يكون بمعنى المفعول أي هل بقي أحد
 تزيد به ثم قال تعالى (وازلت الجنة للمؤمنين غير بعيد) بمعنى قريبا أو بمعنى قربت
 والاول أظهر وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ما وجه التقريب مع ان الجنة مكان
 والاكنة بقرب منها وهي لا تقرب نقول الجواب عنه من وجوه (الاول) ان الجنة لا تزال
 ولا تنقل ولا المؤمن يوم في ذلك اليوم بالانتقال اليها مع بعدهما لكن الله تعالى يطوى
 المسافة التي بين المؤمن والجنة فهو القريب فان قيل فعلى هذا ليس ازال الجنة من
 المؤمن بأولى من ازال المؤمن من الجنة فالفائدة في قوله ازلت الجنة نقول اكراما
 للمؤمن كانه تعالى أراد بيان شرف المؤمن المتقي انه بمن يشي اليه ويدني منه (الثاني) قربت
 من الحصول في الدخول لا بمعنى القرب المكاني يقال بطلب من الملك أمر الخطير والملك
 بعيد عن ذلك ثم اذا رأى منه مخاضا لاجاز حاجته يقال قرب الملك وما زالت أنهي اليه حاله
 حتى قربته فكذلك الجنة كانت بعيدة الحصول لانها باقية لا فية لها ولا فة للمكلف
 على تحصيلها الا فضل الله تعالى كما قال صلى الله عليه وسلم ما من أحد يدخل الجنة
 الا بفضل الله تعالى فقبل ولا انت يا رسول الله فقال ولا أنا وعلى هذا قوله غير نصيب على
 الحال تقديره قربت من الحصول ولم تكن بعيدة في المسافة حتى يقال كيف قربت (الثالث)
 هو ان الله تعالى قادر على نقل الجنة من السماء الى الارض ففقر بها للمؤمن وأمان قلنا
 انه ما قربت فعناه جمعت محاسنها كما قال تعالى فيها ما نشتهى الانفس (المسئلة الثانية) على
 هذا الوجه وعلى قولنا قربت تقرب حصول ودخول فهو يحتمل وجهين أحدهما ان

أو أنذر أو ظرف انفتح
 فيكون ذلك جهنما إشارة
 اليه من خبر حاجة الى
 تقدير مضاف أولقدر
 مؤخر أي يصكون من
 الاحوال والا هوال
 ما يقصر عنه المقال
 (وازلت الجنة للمؤمنين)
 شروع في بيان حال
 المؤمنين بعد انفتح
 ونجس النفوس الى
 موقف الحساب وقدم
 ضر تقديم بيان حال الكفرة
 عليه وهو عطف على
 فتح أي قربت للمؤمنين
 عن الكفر والمعاصي
 بحيث يشاهدونها من
 الموقف ويقفون على
 ما فيها من فنون المحاسن
 فيتمتعون بانهم محمرون
 اليها فائرون بها وقوله
 تعالى (غير بعيد) تأكيد
 للازلاف

يكون قوله تعالى وأزلفت أى في ذلك اليوم ولم يكن قبل ذلك وأما في جمع المحاسن فربما
يزيد الله فيها زينة وقت الدخول وأما في الحصول فلان الدخول قبل ذلك كان مستبعدا
اذ لم يقدر الله دخول المؤمنين الجنة في الدنيا ووعده في الآخرة فقرب في ذلك اليوم
وثانيهما ان يكون معنى قوله تعالى وأزلفت الجنة أى أزلفت في الدنيا اما بمعنى جمع
المحاسن فلانها مخلوقة وخلق فيها كل شئ وأما بمعنى تقرب الحصول فلانها تحصل بكلمة
حسنة وأما على تفسير الازلاف بالتقريب المكاني فلا يكون ذلك محمولا الاعلى ذلك الوقت
أى أزلفت في ذلك اليوم للمؤمنين (المسئلة الثالثة) انحل على القرب المكاني فالقائفة
في الاختصاص بانؤمنين مع ان المؤمن وانكافر في عرصه واحدة فيقول قد يكون شخصان
في مكان واحد وهناك مكان آخر هو الى أحدهما في غاية القرب ومن الآخر في غاية البعد
مثاله مقطوع الرجلين والسليم الشديد العدو اذا اجتمعا في موضع وبحضرتهما شئ
لا تصل اليه اليد بل قد لا يصل اليه المقطوع وهو في غاية القرب من العادي أو نقول اذا
اجتمع شخصان في مكان واحد هما أحيط به مد من حديد ووضع يقربه شئ لا يتأله به بل يد
والآخر يحيط به ذلك السد يصح ان يقال هو بعيد عن المسدود وقرب من المخطوظ
والمحدود وقوله تعالى غير بعيد يحتمل ان يكون نصبا على الطرف يقال اجلس غير بعيد مني
أى مكانا غير بعيد وعلى هذا فقوله غير بعيد التأكيد وذلك لان القرب قد يكون
بعيدا بالنسبة الى شئ فان المكان الذي هو على مسيرة يوم قرب بالنسبة الى البلاد النائية
وبعيد بالنسبة الى مترهات المدينة فاذا قال قائل ايا ما قرب المسجد الأقصى أو البلد الذي
هو بأقصى المغرب أو المشرق يقال له المسجد الأقصى قريب وان قال أيهما أقرب هو
أو البلد يقال له هو بعيد فقوله تعالى أزلفت غير بعيد أى قربت قربا حقيقيا لا نسبيا حيث
لا يقال فيها انها بعيدة عنه مفايسة أو مناسبة ويحتمل أن يكون نصبا على الحال تقديره
قربت حال كون ذلك غاية القرب أو نقول على هذا الوجه يكون معنى أزلفت قربت
وهي غير بعيد فيحصل المعنيان جميعا الاقرب والافتراق أو يكون المراد القرب
والحصول لا للكان فيحصل معنيان القرب المكاني بقوله غير بعيد والحصول بقوله أزلفت
وقوله غير بعيد مع قوله أزلفت على التانيث يحتمل وجوها الاول اذا قلنا ان غير نصب على
المصدر تقديره مكانا غير بعيد الثاني التذكير فيه كافي قوله تعالى ان رحمة الله قريب
اجراء القليل بمعنى فاعل مجرى فيقول بمعنى مفعول الثالث ان يقال غير منصوب نصبا على
المصدر على انه صفة مصدر محذوف تقديره أزلفت الجنة ازلافا غير بعيد أى عن قدرتنا
فانا قد ذكرنا ان الجنة مكان والمكان لا يقرب وانما يقرب منه فقال الازلاف غير بعيد عن
قدرتنا فاننا طوى المسافة بينهما ثم قال تعالى (هذا ما توعدون) قال الرخصى هي جلة
معترضة بين كلامين وذلك لان قوله تعالى لكل أبواب يدل عن المؤمنين كانه تعالى قال أزلفت
الجنة للمؤمنين لكل أبواب كافي قوله تعالى جعلنا لمن يكفر بالرحن لبيوتهم غير ان ذلك يدل

أى مكانا غير بعيد بحيث
يشاهدونها أو حال
كونها غير بعيد أى شئ
غير بعيد يجوز ان يكون
التذكير لانه على رتبة
المصدر الذى يستوى
في الوصف به المذكر
والمؤنث أولتا ويل
الجنة بالستان (هذا
ما توعدون) إشارة
الى الجنة والتذكير لما
المشار اليه هو المسمى
من غير ان يخطر بالبال
لنظير عليه فضلا
عن تذكيره وتأنيسه
فانهم من أحكام اللفظ
العربى كما مر في قوله
تعالى فلما رأى الشمس
بازغة قال هذا ربي
وقوله تعالى ولما رأى
المؤمنون الاحزاب قالوا

الاشتغال وهذا يدل الكل وقال هذا اشارة الى الثواب أى هذا الثواب ما توعدون
أولى الازلاف المدلول عليه بقوله أزلقت أى هذا الازلاف ما وعدتم به ويحتمل أن يقال
هو كلام مستقل ووجهه ان ذلك محمول على المعنى لا ما بوعد به يقال للوعد هذا لك وكانه
تعالى قال هذا ما قلت انكم * ثم قال تعالى (لكل أبواب حفيظ) بدلا من الضمير
توعدون وكذلك ان قرئ بالياء يكون تقديره هذا لكل أبواب بدلا من الضمير والأبواب
الراجع قبل هو الذى يرجع من الذنوب ويستغفر والحفيظ الحافظ الذى يحفظ توابعه من
النقص ويحتمل أن يقال الأبواب هو الرجاء الى الله بفكره والحفيظ الذى يحفظ الله فى
ذكره أى يرجع اليه بالفكر فى كل شئ واقعا به وموجودا منه ثم اذا انتهى اليه حفظه
بحيث لا ينساه عند الرخاء والنعماء والأبواب والحفيظ كلاهما من باب المبالغة أى يكون
كثير الأبواب شديدا الحفيظ وفيه وجوه اخر اذ قد وهو ان الأبواب هو الذى يرجع عن متابعه
هو اه فى الاقبال على ماسواه والحفيظ هو الذى اذا أدركه بأشرف فواه لا يتركه فيكمل بها
تقواه ويكون هذا تفسيرا للمبني لان المتبني هو الذى اتقى الشرك والتعطيل ولم ينكره
ولم يعترف بغيره والأبواب هو الذى لا يعترف بغيره ويرجع من كل شئ غير الله تعالى والحفيظ
هو الذى لم يرجع عنه الى شئ مما عداه * ثم قال تعالى (من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب
منيب) وفى من وجوه أحدها وهو أغربها انه منادى كأنه تعالى قال يا من خشى الرحمن
ادخلوها بسلام وحذف حرف النداء شائع وثانيهما من يدل عن كل فى قوله تعالى لكل أبواب
من غير إعادة حرف الجبر تقديره أزلقت الجنة لمن خشى الرحمن بالغيب ثالثها فى قوله تعالى
أبواب حفيظ موصوف معلوم غير مذكور كأنه يقول لكل شخص أبواب وأبعدا ونعيم ذلك
فقوله تعالى من خشى الرحمن بالغيب يدل عن ذلك الموصوف هذه وجوه ثلاثة ذكرها
المتخشري وقال لا يجوز أن يكون بدلا عن أبواب أو حفيظ لان أبواب وحفيظ قد وصف
به موصوف معلوم غير مذكور كما بيناه والبذل فى حكم المبدل منه فتكون من موصوفاتها
ومن لا يوصف بها لا يقال الرجل من جاني جالسنى كما يقال الرجل الذى جاني جالسنى هذا
تمام كلام المتخشري فان قال قائل اذا كان من والذى يشتركان فى كونهما من الموصولات
فلماذا لا يشتركان فى جواز الوصف بهما فنقول الامر معقول بنبينه فى ما ومنه يبين الامر فيه
فنقول ما سمع منهم يقع على كل شئ فهمومه وشئى لكن الشئى هو اعم الاشياء فان الجوهر
شئى والعرض شئى والواجب شئى والممكن شئى والاعم قبل الاخص فى الفهم لك اذا رأيت
من البعد شيئا تقول أولا انه شئى ثم اذا ظهر لك منه ما يختص بالناس تقول انسان فاذا
بان لك انه ذكر قلت هو رجل فاذا وجدته ذاقوة تقول شجاع الى غير ذلك فالاعم أعرف
وهو قبل الاخص فى الفهم ففهمه ما قبل كل شئ فلا يجوز أن يكون صفة لان الصفة بعد
الموصوف هذا من حيث المفعول وأما من حيث النحو فلان الحقائق لا يوصف بها فلا
يقال جسم رجل جاني كما يقال جسم ناطق جاني لان الوصف يقوم بالموصوف والحقيقة

هذا ما وعدنا الله
ورسوله ويجوز أن يكون
ذلك لتذكير الخبير وقيل
هو اشارة الى الثواب
وقيل الى مصدر أزلقت
وقرى يوعدون والجملة
اماعة ارض بين البذل
والمبدل منه وامام قدر
يقول هو حال من المتقين
أو من الجنة والسالم
أزلقت أى مقولا لهم
أو مقولا فى حقها هذا
ما توعدون (لكل أبواب)
أى رجاء الى الله تعالى
يدل من المتقين باعادة
الجار (حفيظ) حافظ
لتوابعه من النقص وقيل
هو الذى يحفظ ذنوبه
حتى يرجع عنها ويستغفر
منها وقيل هو الحافظ
لاوامر الله تعالى
لما استودعه الله تعالى
من حقوقه (من خشى
الرحمن بالغيب وجاء
بقلب منيب)

تقوم بنفسها لا يغيرها وكل ما يقع وصفا لا غير يكون معناه شئ له كذا فقوله تعالى ما لم يكن له كذا فله علم أو عالمية فبدخل في مفهوم الوصف شئ ثم أمر آخر وهو له كذا لكن المجرى شئ فلا يوجد فيه ما يتم به الوصف وهو الأمر الآخر الذي معناه ذو كذا فلم يجز أن يكون صفة وإذا بان القول فن في العلماء كما في غيرهم وفيهم فن معناه انسان أو ملك أو غيرهما من الحقائق العاقلة والحقائق لا تقع صفات وأما الذي يقع على الحقائق والأوصاف ويدخل في مفهومه تعريفا أكثر ما يدخل في مجاز الوصف بما دون من وفي الآية أطراف معنوية (الاولى) الخشية والخوف معناه واحد عند أهل اللغة لكن بينهما فارق وهو أن الخشية من عظمة المخشى وذلك لأن تركيب حروف خ ش ي في تعاليها يلزمه معنى الهيبة يقال شيخنا السيد والرجل الكبير السن وهما جميعا مهيبان والخوف خشية من ضعف الخاشي وذلك لأن تركيب خ وف في تعاليها يدل على الضعف تدل عليه الخيفة والخفية ولو لا قرب معناه لما ورد في القرآن تضمرنا وخفية وتضمرنا وخفية والخفي فيه ضعف كالخائف اذا علمت هذا تبين لك المناظرة وهي ان الله تعالى في كثير من المواضع ذكر لفظ الخشية حيث كان الخوف من عظمة المخشى قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله فان الجبل ليس فيه ضعف يكون الخوف من ضعفه وانما الله عظيم يخشاه كل قوى وهم من خشية ربهم مشفقون مع ان الملائكة أقوياء وقال تعالى وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه أى تخافهم اعظاما لهم اذ لا ضعف فيك بالنسبة اليهم وقال تعالى لا تخف ولا تحزن أى لا تخف ضعفا فانهم لا عظمة لهم وقال يخافون يوم احيث كان عظمة اليوم بالنسبة الى عظمة الله ضعيفا وقال لا تخافوا ولا تحزنوا أى بسبب مكروه يلحقكم من الآخرة فان المكروهات كلها مدفوعة عنكم وقال تعالى خائفا يترقب وقال انى أخاف أن يقتلون اوحدهم وضعفه وقال هرون انى خشيت لعظمة موسى في عين هرون لا ضعف فيه وقال فخشنا أن يرهنهما طفينا واكفرا حيث لم يكن اضعف فيه وحاصل الكلام انك اذا تأملت استعمال الخشية وجدتها مستعملة لخوف بسبب عظمة المخشى واذا نظرت الى استعمال الخوف وجدته مستعملا لخشية من ضعف الخائف وهذا في الاكثرور بما يختلف المدعى عنه لكن الكثرة كافية (الثانية) قال الله تعالى ههنا خشى الرحمن مع ان وصف الرحمة عابا يقابل الخشية اشارة الى مدح النبي حيث لم تمنعه الرحمة من الخوف بسبب العظمة وقال تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله اشارة الى ذم الكافر حيث لم تحمله الاوهية التي تلي عنها لفظه الله وفيها العظمة على خوفه وقال انما يخشى الله من عباده العلماء لان انما المحصر فكان فيه اشارة الى أن الجاهل لا يخشاه فذكر الله ليعين ان عدم خشيته مع قيام المقضى وعدم المانع وهو الرحمة وقد ذكرنا ذلك في سورة يس وزيد ههنا شأ آخر وهو ان نقول لفظه الرحمن اشارة الى مقضى الخشية لالى المانع

بدل بعد بدل أو بدل
من موصوف أو اب
ولا يجوز أن يكون في
حكمه لان من لا يوصف
به ولا يوصف الا
بالذى أو مبتدأ خبره

وذلك لان الرحمن معناه واهب الوجود بالخلق والرحيم واهب البقاء بالرزق وهو في الدنيا رحمان حيث أوجدنا بالرحمة ورحيم حيث ابقي بالرزق ولا يقال لغيره رحيم لان البقاء بالرزق قد يظن ان مثل ذلك يأتي ممن يطعم المضطر فيقال فلان هو الذي ابقي فلانا وهو في الآخرة أيضا رحمان حيث يوجدنا ورحيم حيث يرزقنا وذكرنا ذلك في تفسير الغائبة حيث قلنا قال بسم الله الرحمن الرحيم إشارة الى كونه رحمانا في الدنيا حيث خلقنا رحيمًا في الدنيا حيث رزقنا رحمة ثم قال مرة أخرى بعد قوله الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم أي هو رحمن مرة أخرى في الآخرة بخلقنا ثانياً واستدليناً عليه بقوله بعد ذلك مالك يوم الدين أي يخلقنا ثانياً ورحيم يرزقنا ويكون هو المالك في ذلك اليوم اذا علمت هذا فمن يكون منه وجود الانسان لا يكون خوفه خشية من غيره فان القائل يقول لغيره أخاف منك أن تقطع رزقي أو تبدل حياتي فاذا كان الله تعالى رحماناً منه الوجود ينبغي أن يخشى فان من يده الوجود بيده العدم وقال صلى الله عليه وسلم خشية الله رأس كل حكمة وذلك لان الحكيم اذا تفكر في غير الله وجدته محل التغير يجوز عليه العدم في كل طرفة عين وربما يقدره الله عدمه قبل أن يتمكن من الاضرار لان غير الله ان لم يقدر الله أن يضره لا يقدر على الضرر وان قدر عليه بتقدير الله فسيؤول الضرر بموت المعبود أو المعذب وأما الله تعالى فلا راد لما أراد ولا آخر لعذابه وقال تعالى يا غيب أي كانت خشيتهم قبل ظهور الامور حيث ترى رأى العين وقوله تعالى وجاء بقلب منيب إشارة الى صفة مدح أخرى وذلك لان الخاشي قدير بهرب و يترك اقرب من الخشي ولا يذنب و اذا علم الخشي انه تحت حكمه تعالى علم انه لا يفتقه الهرب فيأتي الخشي وهو خاش فقال وجاء ولم يذهب كما يذهب الاتقي وقوله تعالى بقلب منيب الباء فيه يحكى وجوها ذكرناها في قوله تعالى وجاءت سكرة الموت بالحق أحدها التعدية أي أحضر قلباً سليماً كما يقال ذهب به اذا أذهب ثانياً المصاحبة يقال اشترى فلان الفرس بسرجه أي مع سرجه وجاء فلان بأهله أي مع أهله ثالثها وهو أعرفها الباء للسبب يقال ما أخذ فلان الا يقول فلان وجاء بالرجاء له فكانه تعالى قال جاء وما جاء الا بسبب انابته في قلبه علم انه لا مرجع الا الى الله فجاء بسبب قلبه المنيب والغلب المنيب كالقلب السليم في قوله تعالى اذ جاء به بقلب سليم أي سليم من الشرك ومن سلم من الشرك يترك غير الله ويرجع الى الله فكان منيباً ومن اناب الى الله برى من الشرك فكان سليماً ثم قال تعالى (ادخلوها بسلام) فالصغير عالم الى الجنة التي في وأزلت الجنة أي لما تكامل حسناتها وقر بها وقبل لهم انها منزل لكم بقوله هذا ما توعدون اذن لهم في دخولها وفيه مسائل (المسئلة الاولى) الخطاب مع من تقول ان قرئ ما توعدون بانه فهو ظاهر لا يخفى ان الخطاب مع الموعودين وان قرئ بالياء فالخطاب مع المتقين أي يقال للمتقين ادخلوها (المسئلة الثانية) هذا يدل على ان ذلك يتوقف على الاذن وفيه من الانتظار ما لا يليق بالاكرام نقول ليس كذلك فان من دعاكم كما الى بستانه بفتح الباء وبجلس

(ادخلوها) بتأويل يقال لهم ادخلوها والجمع باعتبار معنى من وقوله تعالى بالقلب متعلق بمحذوف هو حال من فاعل خشى أو مفعوله أو موصفة لمصدره أي خشية متلبسة بالقلب حيث خشى عقابه وهو غائب عنه أو هو غائب عن الاهين لا يراهم احد والتعرض لعنوان الرحمانية للاشارة بانهم مع خشيتهم عقابه راجعون رحنه أو بان علمهم بسعة رحمة تعالى لا يصدهم عن خشيته تعالى وانهم عاملون بموجب قوله تعالى نبى عبادي انا الغفور الرحيم وان عذابى هو العذاب الاليم ووصف القلب بالانابة لما ان العبرة برجوعه الى الله تعالى (بسلام) متعلق بمحذوف هو حال من فاعل ادخلوها أي متلبسين بسلامة من العذاب وزوال النعم او بسلام من جهة الله تعالى وملائكته

في موضعه ولا يقف على الباب من رجه ويقول اذا بلغت بستاني فادخله وان لم يكن
هناك احد يكون قد اُخِل باكرامه بخلاف من يقف على بابه قوم يقولون ادخل باسم الله
يدل على الاكرام قوله تعالى بسلام كما يقول المضيف ادخل مصاحباً بالسلامة والسعادة
والصكرامة والباء للمصاحبة في معنى الحال أي سالمين مقرنين بالسلامة أو معناه
ادخلوها مسلماً عليكم بسلام الله ولا تكتكه عليكم ويحتل عندي وجهها آخر وهو ان
يكون ذلك ارشاداً للمؤمنين الى مكارم الاخلاق في ذلك اليوم كما أرشدوا اليها في الدنيا
حيث قال تعالى لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسألوا على أهلها فكانه
تعالى قال هذه داركم ومزلكم ولكن لا تتركوا حسن عاداتكم ولا تخلوا بكارم اخلاقكم
فادخلوها بسلام يصحبون سلاماً على من فيها ويسلم من فيها عليهم ويقولون السلام
عليكم ويدل عليه قوله تعالى الا قبلاً سلاماً أي يسلمون على من فيها ويسلم من فيها
عليهم وهذا الوجه ان كل منقولاً فنعم وان لم يكن منقولاً فهو مناسب معقول أيده
دليل منقول (ذلك يوم الخلود) حتى لا يدخل في قلبهم أن ذلك ربما ينقطع عنهم فتبقى
في قلبهم حسرتة فان قيل المؤمن قد علم أنه اذا دخل الجنة خلد فيها فالفائدة في التذكير
والجواب عنه من وجهين أحدهما ان قوله ذلك يوم الخلود قول قاله الله في الدنيا اعلاماً
واخباراً وليس ذلك قولاً يقوله عند قوله ادخلوها فكانه تعالى اخبرنا في يومنا أن ذلك
اليوم يوم الخلود ثانيهما اطمئنان القلب بالقول أكثر قال الزمخشري في قوله يوم الخلود
اصناف تقديره ذلك يوم تقدير الخلود ويحتمل ان يقال اليوم يذكر ويراد الزمان المطلق
سواء كان يوماً أو ليلاً تقول يوم يولد فلان ابن يكون السرور العظيم ولو ولد له بالليل
لكان السرور حاصلًا فتريده الزمان فكانه تعالى قال ذلك زمان الاقامة الدائمة ثم
قال تعالى (لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد) وفي الآية ترتيب في غاية الحسن وذلك لانه
تعالى بدأ ببيان اكرامهم حيث قال وأزلفت الجنة للمتقين ولم يقل قرب المتقون من الجنة
بياناً للاكرام حيث جعلهم ممن تنقل اليهم الجنان بما فيها من الحسان ثم قال لهم هذا لكم
بقوله هذاماتوعدون ثم بين أنه أجر أعمالهم الصالحة بقوله لكل أبواب حفيظ وقوله من
خشى الرحمن قال تصرف المالك الذي ملك شيئاً بعوض أتم فيه من تصرف من ملك بغير
عوض لا مكان الرجوع في التملك بغير عوض ثم زاد في الاكرام بقوله ادخلوها كما بينا
أن ذلك اكرام لان من قمع بابه للناس ولم يقف بابه من رحب الداخلين لا يكون قد أتى
بالاكرام التام ثم قال ذلك يوم الخلود أي لا تخافوا ما لحقكم من قبل حيث أخرج أبو بكر
منها فهدا دخولاً لا خروج بعده منها ثم لما بين أنهم فيها خالدون قال لا تخافوا انقطاع
أرزاقكم وبقاءكم في حاجة كما كنتم في الدنيا من كان يعمر ينكس ويحتاج بل لكم الخلود
ولا يغدما تمنعون به فلکم ما تشاؤون في أي وقت تشاؤون وإلى الله المنتهى وعنده الوصول
اليه والمشول بين يديه فلا يوصف مالد به ولا يطلع أحد عليه وعظمة من عنده تلك

(ذلك) إشارة الى الزمان
الممتد الذي وقسم في
بعض منه ما ذكر من
الامور (يوم الخلود) اذ لا
انتهاء له أبداً (لهم ما
يشاؤون) من فتنون
المطاب كأننا ما كان
(فيها) متعلق بيشاؤون
وقيل محذوف هو حال
من الوصول أو من عائدة
المحذوف من صلته
(ولدينا مزيد) هو ما لا
يخطر ببالهم ولا يندرج
تحت مشيتهم من معالي
الكرامات التي لا عين
رأت ولا أذن سمعت ولا
خطر على قلب بشر
وقيل ان الصحاب عمر
بأهل الجنة ففتطروهم
الخورق فتقول نحن المزيد
الذي قال تعالى ولدينا
مزيد

(وكم أهلكنا قبلهم) أي قبل قومك (من قرنهم أشد منهم) ﴿٦٤٢﴾ بطشا أي قوة كعادوا وأضرابها (فتقبوا)

على فضيلة ما عنده هذا هو الترتيب وأما التفسير ففيه مسئلتان (المسئلة الأولى) قال تعالى ادخلوها بسلام على سبيل المخاطبة ثم قال لهم ولم يقل لكم ما الحكمة فيه الجواب عنه من وجوه الاول هو أن قوله تعالى ادخلوها مقدر فيه يقال لهم أي يقال لهم ادخلوها فلا يكون على هذا التفاتا الثاني هو أنه من باب الالتفات والحكمة الجمع بين الطرفين كأنه تعالى يقول أكرمهم به في حضورهم ففي حضورهم الجور وفي غيبتهم الجور والقصور والثالث هو أن يقال قوله تعالى لهم جاز أن يكون كلاما مع الملائكة يقول للملائكة توكلاوا بخدمةهم واعلموا أن لهم ما يشاؤون فيها فأحضروا بين أيديهم ما يشاؤون وأما أنا فمعدى ما لا يخفى بيالهم ولا يقدرون أنتم عليه (المسئلة الثانية) قد ذكرنا أن غطاء مزيد يحتمل أن يكون معناه الزيادة فيكون كافي قوله تعالى للسذين أحسنوا الحسنى وزيادة ويحتمل أن يكون بمعنى المفعول أي عندنا ما زيد على ما رجون وما يكون مما يشتهون ثم قال تعالى (وكم أهلكنا قبلهم من قرنهم أشد منهم بطشا) لما أئذ بهم ما بين أيديهم من اليوم العظيم والعذاب الأليم أنذرهم بما يحل لهم من العذاب المهلك والاهلاك المذكور وبين لهم حال من تقدمهم وقد تقدم نفسه في مواضع والذي لا يخفى بهذا الموضع أمور (أحدها) إذا كان ذلك للجمع بين الانذار بالعذاب العاجل والعقاب الآجل فلم توسطهما قوله تعالى وأزلفت الجنة للمتقين إلى قوله ولدينا مزيد نقول ليكون ذلك دعاء بالخوف والطمع فذكر حال الكفور المعاند وحال الشكور العابد في الآخرة ترهيبا وترغيبا ثم قال تعالى أن كنتم في شك من العذاب الأبدى الدائم فأنتم في ريب من العذاب العاجل المهلك الذي أهلك أمثالكم فان قيل فلم يجمع بين الترغيب والترهيب في العاجلة كما جزم بينهما في الآجلة ولما يذكر حال من أسلم من قبل وأنعم عليه كذا ذكر حال من أشرك به فأهلكه نقول لأن النعمة كانت قد وصلت إليهم وكانوا متقين في النعم فلم يذكرهم به وإنما كانوا غافلين عن الهلاك فأنذرهم به وأما في الآخرة فكانوا غافلين عن الأمرين جميعا فأنذرهم بهما (الثاني) قوله تعالى (فتقبوا في البلاد) في معناه وجوه أحدها هو ما قال تعالى في حق ثمود الذين جابوا الصخر بالواد من قوتهم خرقوا الطرق ونقبوا وقطعوا الصهور ونقبوها (ثانيها) نقبوا أي ساروا في الأسفار ولم يجدوا ملجأ ومهربا وعلى هذا يحتمل أن يكون المراد أهل مكة أي هم ساروا في الأسفار ورأوا ما فيها من الآثار (ثانيها) فتقبوا في البلاد أي صاروا نقباء في الأرض أراد ما أفادهم بطشهم وقوتهم ويدل على هذا الفاء لأنها تصير جند مفيدة ترتب الأمر على مقتضاه نقول كان زيد أقوى من عمرو فقلبه وكان عمرو من قبله أيضا فقلبه زيد كذلك ههنا قال تعالى هم أشد منهم بطشا فصاروا نقباء في الأرض وقرئ فتقبوا بالتشديد وهو أيضا يدل على ما ذكرنا في الوجه الثالث لأن التقيب البحث وهو من نقب بمعنى صار نقبيا الثالث * قوله تعالى (هل من محيص) يحتمل وجوها ثلاثة (الاول) على قراءة من قرأ بالتشديد يحتمل أن يقال هو مفعول أي بحثوا عن المحيص

البلاد) أي خر قوا فيها ودوخوا وتصرفوا في أقطارها أو جالوا في أكناف الأرض كل مجال حذار الموت وأصل التقيب والنقب التفتير صحن الأمر والبحث والطلب والفاء للدلالة على أن شدة بطشهم أقدرتهم على التقيب لا قيل هي عاطفة في المعنى كأنه قيل أشد بطشهم فتقبوا الخ وقرئ بالتخفيف (هل من محيص) أي هل لهم من مخلص من أمر الله تعالى والجملة أما على أصح أقوال هو حال من واوتقوا أي فتقبوا في البلاد فأنابن هل من محيص أو على اجراء التقيب لما فيه من معنى التتبع والتفتيش مجرى القول أو هو كلام مستأنف وارد لاني أن يكون لهم محيص وقيل ضمير تقبوا الأهل مكة أي ساروا في مسابريهم وأسفارهم في بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يؤملوا مثله لأنفسهم وبعضه القراءة على صيغة الأمر وقرئ

فتقبوا بكسر القاف من التقب وهو أن ينقب خف البعير أي أكثروا السير حتى تفت أقدامهم أو أخفأ بالهم

هل من محبص (الثاني) على القرآت جميعا استغفاهم بمعنى الانكار أى لم يكن لهم محبص
 (الثالث) هو كلام مستأنف كانه تعالى يقول لقوم محمد صلى الله عليه وسلم هم أهل الكوا
 مع قوة بطلانهم فهل من محبص لكم تعمدون عليه والمحبص كالجميد غير ان المحبص معدل
 ومهرب عن الشدة يدلك عليه قوالهم وقموا في حبص يص أى في شدة وضيق والجميد
 معدل وان كان لهم بالاختيار يقال حاد عن الطريق نظرا ولا يقال حاض عن الامر نظرا
 ثم قال تعالى (ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب) الاشارة الى الاهلاك ويحتمل ان يقال
 هو اشارة الى ما قاله من ازلاف الجنة ومل وجههم وغيرهما والذكرى اسم مصدر وهو التذكر
 والتذكرو وهى في نفسها مصدر ذكره بذكره ذكرى وقوله ان كان له قلب قبل المراد
 قلب يوسف بالوحى أى ان كان له قلب واع يقال لفلان مال أى كثير فالتكثير يدل على
 معنى فى الكمال والاولى ان يقال هو لبيان وضوح الامر بعد الذكر وأن لا يخفى فيه لمن
 كان له قلب ما ولو كان غير كامل كما يقال أعطه شيا ولو كان درهما ونقول الجنة لمن عمل
 خيرا ولو حسنة فكأنه تعالى قال ان في ذلك لذكرى لمن يصح ان يقال له قلب وحينئذ فن
 لا يتذكر لا قلب له أصلا كما في قوله تعالى صم بكم عمى حيث لم يكن آذانهم وألسنتهم
 وأعينهم مقيدة لما يطلب منها كذلك من لا يتذكر كانه لا قلب له ومنه قوله تعالى أو تلك
 كالانعام بل هم أضل أى هم كالجماد وقوله تعالى كأنهم خشب مسندة أى هم صور وليس
 لهم قلب للذكر والاسنان للشكر * وقوله تعالى (أو ألقى السمع وهو شهيد) أى استمع والقاء
 السمع كناية فى الاستماع لان من لا يسمع فكأنه حفظ سمعه وامسكه فاذا ارسله حصل
 الاستماع فان قيل على قول من قال التذكير فى القلب للتكثير يظهر حسن ترتيب فى قواه
 أو ألقى السمع وذلك لانه يصير كانه تعالى يقول ان في ذلك لذكرى لمن كان ذا قلب واع ذكى
 يستخرج الامور بذكائه أو ألقى السمع ويستمع من المنذر فيتذكر وأما على قولك المراد من
 صح ان يقال له قلب ولو كان غير واع لا يظهر هذا الحسن نقول على ما ذكرنا بما يكون
 الترتيب أحسن وذلك لان التقدير يصير كانه تعالى قال فيه ذكرى لكل من كان له قلب
 ذكى يستمع ويتعلم ونحن نقول الترتيب من الأدنى الى الأعلى كانه يقول فيه ذكرى لكل
 واحد كيف كان قلبه اظهر والامر فان كان لا يحصل لكل أحد فلن يستمع حاصل ويؤيد
 ما ذكرنا قوله تعالى أو ألقى السمع حيث لم يقل أو استمع لان الاستماع ينبى عن طلب زائد
 وأما القاء السمع فمعناه ان الذكرى حاصلة لمن لا يمسك سمعه بل يرسله ارسله ولم يقصد
 السماع كالسماع فى الصوت الهائل فانه يحصل عند مجرد فتح الاذن وان لم يقصد السماع
 والصوت الخفى لا يسمع الا باستماع وتطلب فنقول الذكرى حاصلة لمن كان له قلب كيف كان
 قلبه اظهور هافان لم يحصل فلن له اذن غير مسدودة كيف كان حاله سواء استمع بجاهد أو لم
 يجتهد فى سماعه فان قيل فقوله تعالى وهو شهيد للحال وهو يدل على ان القاء السمع بمجرد
 غير كاف نقول هذا يصح ما ذكرناه لاننا قلنا بان الذكرى حاصلة لمن له قلب ما فان لم يحصل له

(ان فى ذلك) أى فيما
 ذكر من قصتهم وقيل
 فيما ذكر فى السورة
 (الذكرى) لذكورة
 وعظمة (لمن كان له
 قلب) أى قلب سليم
 يدرك به كنه ما يشاهده
 من الامور ويتفكر فيها
 كما ينبغي فان من كان له
 ذلك يعلم أن مدار
 دمارهم هو الكفر فيرتد
 عنه بمجرد مشاهدته
 الآثار من غير تذكر
 (أو ألقى السمع) أى الى
 ما ينلى عليه من الوحى
 الناطق بما جرى عليهم
 فان من فعله يقف على
 جليلة الامر فيترجم عما
 يؤدى اليه من الكفر
 فكلمة أو تمنع الخلودون
 الجمع فان القاء السمع
 لا يتجسدى بدون سلامة
 القلب كما يلوح به قوله
 تعالى (وهو شهيد)
 أى حاضر بقطبته لان
 من لا يحضر ذهنه
 فكأنه غائب ونجريد
 القلب غما ذكر من
 الصفات للايدان بان
 من عرى قلبه عنها
 كن لا قلب له أصلا

فتمحصل له اذا اتى السم وهو حاضر بباله من القلب وأما على الاول فعنه من ليس له قلب
واع يحصل له الذكر اذا اتى السم وهو حاضر بقلبه فيكون عند الحضور بقلبه يكون له
قلب واع وقد فرض عدمه هذا اذا قلنا بان قوله وهو شهيد بمعنى الحال واذا لم نقل به فلا
يرد ما ذكر وهو يحصل غير ذلك بيانه هو ان يقال ذلك اشارة الى القرآن وتقر برده وان الله
تعالى لما قال في اول السورة ق والقرآن المجيد بل يحببوا ان جاءهم منذر منهم وذكر ما يدفع
تعجبهم وبين كونه منذرا صادقا كون الحشر أمر او اقما ورغب وأرهب بالشوب والعذاب
اجلا وعاجلا وأتم الكلام قال ان في ذلك أى القرآن الذى سبق ذكره لذكرى لم له قلب
اولى يستمع ثم قل وهو شهيد أى المنذر الذى تعجبتم منذرهم كما قال تعالى انا انزلناك
شاهدا وقال تعالى ليكون الرسول عليكم شهيدا ثم قال تعالى (ولقد خلقنا السموات
والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب) اعاد الدليل مرة أخرى وقد ذكرنا
تفسير ذلك في علم السجدة وقلنا ان الاجسام ثلاثة اجناس أحدها السموات ثم حركها
وخصصها بامور وموضع وكذلك الارض خلقها ثم دعها وكذلك ما بينهما خلقا عبيدا
وأصنافها في ستة ايام اشارة الى ستة أطوار والذى يدل عليه ويقرره هو ان المراد من
الايام لا يمكن ان يكون هو المفهوم في وضع اللغة لان اليوم عبارة في اللغة عن زمان مكث
الشمس فوق الارض من الطلوع الى الغروب وقبل خلق السموات لم يكن شمس ولا قر
لكن اليوم بطاق ويراد به الوقت يقال يوم يولد للملك ابن يكون سرور وعظيم ويوم يموت
فلان يكون حزن شديد وان اتفقت الولادة أو الموت بل لا يتعين ذلك ويدخل في مراد
العاقل لانه أراد باليوم مجرد الحين والوقت اذا علمت الحال من اضافة اليوم الى الافعال
فافهم ما عند اطلاق اليوم في قوله ستة ايام وقال بعض المفسرين المراد من الآية الرد على
اليهود حيث قالوا ابدأ الله تعالى خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه في ستة ايام آخرها يوم الجمعة
واستراح يوم السبت واستلقى على عرشه فقال تعالى وما مسنا من لغوب ردا عليهم والظاهر
ان المراد الرد على المشرك والاستدلال بخلق السموات والارض وما بينهما وقوله تعالى
وما مسنا من لغوب أى مانعنا بالخلق الاول حتى لا نقدر على الاعادة ثانيا والخلق الجديد
كما قال تعالى اقمنا بالخلق الاول وأما ما قاله اليهود ونقلوه من التوراة فهو اما تحريف
منهم أولم يعلموا أنه يله وذلك لان الاحد والاثني ازم من متبعض بعضهما عن بعض فلو كان خلق
السموات ابتدئ يوم الاحد لكان الزمان متحققا قبل الاجسام والزمان لا ينفك عن
الاجسام فيكون قبل خلق الاجسام اجسام آخر فيزيم القول بقدم العالم وهو مذهب
الفلاسفة ومن العجب ان بين الفلاسفة والمشبهة غاية الخلاف فان الفلاسفة لا يثبت لله
تعالى صفة أصلا ويقول بان الله تعالى لا يقبل صفة بل هو واحد من جميع الوجود فعلمه
وقدرته وحياته هو حقيقة وعينه وذاته والمشبهي يثبت لله صفة الاجسام من الحركة
والسكون والاستواء والجلوس والصعود والنزول فينبهها متافاة ثم ان اليهود في هذا

(ولقد خلقنا السموات
والارض وما بينهما)
من أصناف المخلوقات
(في ستة ايام وما مسنا)
بذلك مع كونه ما لا يفي
به القوى والقدرة
(من لغوب) من اعيانها
ولا تعب في الجملة
وهذا رد على جملة
اليهود في زعمهم أنه
تعالى بدأ خلق العالم
يوم الاحد وفرغ منه
يوم الجمعة واستراح
يوم السبت واستلقى
على العرش سبحانه
وتعالى غمايقوا لوعاوا
كبرا

(فأصبر على ما يقولون) أي ما يقوله ﴿ ٦٤٥ ﴾ المشركون في شأن البعث من الأباطيل المبينة على الإنكار والاستبعاد

فإن من فعل هذا الأفاعيل
بلا فتور فاهر على بهم
والانتقام منهم أو ما يقوله
اليهود من مقالات
الكفر والتشبيد (وسبح
بحمد ربك) أي زهده
تعالى عن العجز عما يكن
وعن وقوع الخلاف في
أخباره التي من جعلتها
الأخبار بوقوع البعث
وعن وصفه تعالى
بما يوجب التشبيه
حامد له تعالى على
ما أنعم به عليك من أصابة
الحق وخبرها (قبل
طلوع الشمس وقبل
الغروب) هما وقت
العجوة والعصر وفضيلتهما
مشهورة (ومن الليل
فسبحه) وسبحه بعض
الليل (وأدبار السجود)
وأعقاب الصلوات
جمد بروفي بالكسر
من أدبرت الصلاة إذا
أنقضت وثمت ومناه
وقت انقضاء السجود
وقيل المراد بالتسبيح
الصلوات فالمراد بما قبل
الطلوع صلاة الفجر
وبما قبل الغروب الظهر
والعصر وبما بين الليل
العشاء آن والتسبيح
وما يصلى بأدبار السجود
التواقل بعد المكتوبات

الكلام جمعوا بين المسئلتين فأخذوا بمذهب الفلاسفة في المسئلة هي أخص المسائل
بهم وهي القدم حيث أثبتوا قبل خلق الأجسام أياما معدودة وأزمنة محدودة وأخذوا
بمذهب المشبهة في المسئلة التي هي أخص المسائل بهم وهي الاستواء على العرش فأخطوا
وأضلوا في الزمان والمكان جميعا * ثم قال تعالى (فأصبر على ما يقولون) قال من تقدم
ذكرهم من المفسرين ان معناه أصبر على ما يقولون من حديث الثعب بالاستتقاء وعلى
ما قلنا معناه أصبر على ما يقولون ان هذا الشيء عجيب وسبح بحمد ربك وماذا ذكرناه أقرب لانه
مذكور وذكرنا يهود وكلامهم لهم بحجر * وقوله (وسبح بحمد ربك) يستعمل وجوها (أحدها)
ان يكون الله أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالصلاة فيكون قوله تعالى وأقم الصلاة من طرفي
النهار وزلفا من الليل * وقوله تعالى (قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) إشارة الى طرفي
النهار * وقوله (ومن الليل فسبحه) إشارة الى زلفا من الليل ووجه هذا هو أن النبي صلى
الله عليه وسلم شغل أن أحدهما عبادته الله وثانيهما هداية الخلق فإذا هداهم لم يهتدوا
قبل له أقبل على شغلك الآخر وهو عبادة الحق (ثانيها) سبح بحمد ربك أي زهده عما
يقولون ولا تسأم من امتناعهم بل ذكرهم بعظمة الله تعالى وزهده عن الشرك والعجز عن
الممكن الذي هو الحشر قبل الطلوع وقبل الغروب فانهما وقت اجتماعهم ومن الليل
فسبحه أي أوائل الليل فانه أيضا وقت اجتماع العرب ووجه هذا أنه لا ينبغي أن تسأم من
تكذيبهم فإن الرسل من قبلك أودوا وكذبوا وصبروا على ما كذبوا وأودوا وعلى هذا فله
تعالى (وأدبار السجود) فائدة جليلة وهي الإشارة الى ما ذكرنا ان شغل الرسول أمران
العبادة والهداية فتقوله وأدبار السجود أي عقب ما سجدت وعبدت تزدربك بالبرهان
عند اجتماع القوم ليحصل لك العبادة بالسجود والهداية بأدبار السجود (ثالثها) أن يكون
المراد قل سبحان الله وذلك لأن ألفاظا معدودة جاءت بمعنى التلطف بكلامهم فقوله أكبر
يطابق ويراد به قول القائل الله أكبر وسلم يراد به قوله السلام عليكم وحده يقال إن قال
الحمد لله ويقال هلل لمن قال لا اله الا الله وسبح لمن قال سبحان الله ووجه ان هذه أمور
تكرر من الإنسان في الكلام والحاجة تدعو الى الاخبار عنها فلو قال القائل فلان قال
لا اله الا الله أو قال الله أكبر طول الكلام فست الحاجة الى استعمال لفظة واحدة
مفيدة لذلك لعدم تكرار ما في الاول وأما مناسبة هذا الوجد للكلام الذي هو فريد فهي
أن تكذيبهم الرسول وتعميهم من قوله أو استهزاءهم كان يوجب في العادة أن يشغل
النبي صلى الله عليه وسلم بعنهم وسبهم والدعاء عليهم فقال فأصبر على ما يقولون واجعل
كلامك بدل الدعاء عليهم التسبيح لله والحمد له ولا تكن كصاحب الحوت أو كنوح عليه
السلام حيث قال رب لا تدرك علي الأرض من الكافرين ديارا بل ادع الى ربك فإذا
ضجرت عن ذلك بسبب اصرارهم فاشغل بذكر ربك في نفسك وفيه مباحث (الاول)
استعمل الله التسبيح تارة مع اللام في قوله تعالى يسبح لله ويسبحون له وأخرى مع

الباء في قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم وسبح بحمدر بك وثالث من غير حرف في قوله
وسبحه وقوله وسبحوه بك مرة وقوله سبح اسم ربك الاعلى فالفرق بينها نقول اما الباء فهي
الا هم بالتقديم اولى في هذا الموضع كقوله تعالى وسبح بحمدر بك فنقول اما على قولنا
المراد من سبح قل سبحان الله فالباء لامصاحبة أى مقترنا بحمد الله فيكون كأنه تعالى قال
قل سبحان الله والحمد لله وعلى قولنا المراد التنزيه لذلك أى نزهه واقترنه بحمد أى سجد
واشكره حيث وقعت الله لتسبيحه فان السعادة الابدية لمن سجد وعلى هذا فيكون
المفعول غير مذكور لحصول العلم به من غير ذكر تقديره سبح الله بحمدر بك أى لمنسبا
ومقترنا بحمدر بك وعلى قولنا نصل نقول يحتمل ان يكون ذلك أمرا بقرأة الفاتحة في
الصلاة يقال صلى فلان بشورة كذا أو صلى بقل هو الله أحد فكانه يقول صل بحمد الله
أى مقروافها الحمد لله رب العالمين وهو أبعد الوجوه واما التعدية من غير حرف فنقول
هو الاصل لان التسبيح يتعدى بنفسه لان معناه تبعيد من سوء واما اللام فيحتمل
وجهين احدهما ان يكون كما في قول القائل نصحت ونصحت له وشكرته وشكرت له
وثانيهما ان يكون لبيان الاظهر أى يسبحون الله وقلوبهم بوجه الله خالصة (البحث
الثاني) قال ههنا سبح بحمدر بك ثم قال تعالى ومن الليل فسبحه من غير باء فالفرق
بين الموضوعين نقول الامر في الموضوعين واحد على قولنا التقدير سبح الله مقترنا بحمدر بك
وذلك لان سبح الله قول القائل فسبحه غير ان المفعول لم يذكر اولاد لانه قوله بحمدر بك
عليه وثانيا لدلالة ما سبق عليه لم يذكر بحمدر بك الجواب الثاني على قولنا سبح بمعنى صل
يكون الاول أمرا بالصلاة والثاني أمرا بالتنزيه أى وصل بحمدر بك في الوقت وبالليل
نزهه عما يليق وحينئذ يكون هذا اشارة الى العمل والتذكر والفكر فقوله سبح اشارة
الى خير الاعمال وهو الصلاة وقوله بحمدر بك اشارة الى التذكر وقوله ومن الليل فسبحه
اشارة الى الفكر حين هدو الاصوات وصفاء الباطن نزهه عن كل سوء بفكره واعلم انه
لا يتصف بالصفات الكمال ونعوت الجلال وقوله تعالى وادبار السجود قد تقدم بعض
ما يقال في تفسيره ووجه آخر هو أنه اشارة الى الامر بادامة التسبيح فقوله بحمدر بك
قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه اشارة الى أوقات الصلاة وقوله
وإدبار السجود يعنى بعد ما فرغت من السجود وهو الصلاة فلا تترك تسبيح الله وتنزيهه
بل داوم أدبار السجود ليكون جميع أوقاته في التسبيح فيفيد فائدة قوله تعالى واذكر
ربك اذا نسيت وقوله فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب وقرئ وادبار السجود
(البحث الثالث) الفاء في قوله تعالى فسبحه ما وجهها نقول هي تفيد تأكيد الامر
بالتسبيح من الليل وذلك لانه يتضمن الشرط كأنه يقول وأما من الليل فسبحه وذلك لان
الشرط يفيدان عند وجوده يجب وجود الجزاء وكأنه تعالى يقول النهار محل الاشتغال
وكثرة الشواغل فاما الليل فمحل السكون والانقطاع فهو وقت التسبيح أو نقول بالعكس

الليل محل النوم والثبت والغفلة فقال اما التايل فلا تجعله للغفلة بل اذكر فيه ربك وزهده
 (البحث الرابع) من في قوله ومن الليل يحتمل وجهين أحدهما ان يكون لابتداء الغاية
 أي من أول الليل فسبحه وعلى هذا فيلزم كره غاية لاختلاف ذلك بغلبة النوم وعدمها
 يقال انما من الليل أنتظر كذا أي يكون للتعبض أي اصرف من الليل طرفا الى
 التسبيح يقال من مالك منع ومن الليل انبه أي بعظه (البحث الخامس) قوله وادبار
 السجود عطف على ماذا نقول يحتمل أن يكون عطفا على ما قبل الغروب كانه قال
 تعالى وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب وادبار السجود ذكر بينهما
 قوله ومن الليل فسبحه وصلى هذا ففيه ما ذكرنا من الفائدة وهي الامر بالمداومة كانه قال
 سبح قبل طلوع الشمس واذا جاء وقت الفراغ من السجود قبل الطلوع فسبح وسبح قبل
 الغروب وبعد الفراغ من السجود قبل الغروب فسبح فيكون ذلك اشارة الى صرف
 الليل الى التسبيح ويحتمل أن يكون عطفا على ومن الليل فسبحه وعلى هذا يكون عطفا
 على الجار والمجرور جميعا تقديره وبعض الليل فسبحه وادبار السجود * ثم قال تعالى
 (واستمع يوم ينادى من مكان قريب) هذا اشارة الى بيان غاية التسبيح يعني اشتغل
 بتزكية الله وانتظر النادى كقوله تعالى واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وفيه مسائل
 (المسئلة الاولى) ما الذي يستمع فلنا يحتمل وجوها ثلاثة أحدها أن يترك مفعوله
 رأسا ويكون المتصور كن مستمعا لا تكن مثل هؤلاء المعرضين الغافلين يقال هو رجل
 سميع مطيع ولا يراد مستمع بعينه كما يقال فلان وكلس فلان يعطى ويمنع ثانياه استمع
 لما يوحى اليك ثانياه استمع نداء المنادى (المسئلة الثانية) يوم ينادى المنادى منصوب بآي
 فعل نقول هو مبنى على المسئلة الاولى ان فلنا استمع لامفعول له فعامله ما يدل عليه
 قوله تعالى يوم الخروج تقديره يخرجون يوم ينادى المنادى وان فلنا مفعوله لما يوحى
 فتقديره واستمع لما يوحى يوم ينادى ويحتمل ما ذكرنا وجها آخر وهو ما يوحى أي ما يوحى
 يوم ينادى المنادى اسمعه فان قيل استمع عطف على فاصبر وسبح وهو في الدنيا
 والاستماع يكون في الدنيا وما يوحى يوم ينادى المنادى لا يستمع في الدنيا نقول ليس
 بلازم ذلك لجواز أن يقال صل وادخل الجنة أي صل في الدنيا وادخل الجنة في العقبى
 فكذلك ههنا ويحتمل أن يقال بان استمع بمعنى انتظر فيحتمل الجمع في الدنيا وان فلنا
 استمع الصيحة وهونادى المنادى يا عظام انتشروا والسؤال الذي ذكره علم الجواب منه
 وجواب آخر نقوله حينئذ وهو ان الله تعالى قال ونفخ في الصور فصعق من في السموات
 ومن في الارض الا من شاء الله قلنا ان من شاء الله هم الذين علموا وقوع الصيحة
 واستبقوا لها فلم يزعجهم كمن يرى برقا أو مض وعلم ان عقبيه يكون رعد قوى فينظره
 ويستمع له وآخر الخليل فاذا رعد بقوة بما عشى على الغافل ولا يثاثر منه المستمع فقال
 استمع ذلك كي لا تكون من يصعق في ذلك اليوم (المسئلة الثالثة) ما الذي ينادى المنادى

(واستمع) أي لما يوحى
 اليك من أحوال القبياه
 وفيه تمويل ونفطع
 للمخبر به (يوم ينادى
 المنادى) أي اسرافيل
 أو جبريل عليهما السلام
 فيقول أيتها العظام
 البالية واللحوم المتزفة
 والشعور المتزفة ان الله
 يأمركن أن تجتمعن
 لفصل القضاء وقيل
 اسرافيل ينفخ وجبريل
 ينادى بالحشر (من
 مكان قريب) بحيث
 يصل نداءه الى الكل
 على سواء وقيل من
 صخرة بيت المقدس وقيل
 من تحت اقدامهم وقيل
 من منابت شجرهم
 يستمع من كل شجرة ولعل
 ذلك في الاجادة مثل كنى
 في البه

نقول فيه وجوه محتملة متقولة معقولة وحصرها بأن نقول المنادى إما أن يكون هو الله تعالى أو الملائكة أو غيرهما وهم المكلفون من الأنس والجن في الظاهر وغيرهم لابن آدمي فان قلنا هو الله تعالى فيه وجوه أحدها ينادى أحشروا الذين ظلموا واتوا بهم ثانياً ينادى ألقيا في جهنم كل كفار عتيد مع قوله ادخلوها بسلام ومثله قوله تعالى خذوه فقلوه يدل على هذا قوله تعالى يوم يناد المناد من مكان قريب وقال وأخذوا من مكان قريب ثالثها غيرهما لقوله تعالى يناديهم أين شركائي وغير ذلك وأما على قولنا المنادى غير الله ففيه وجوه أيضاً أحدها قول أسرافيل إيتها العظام البالية اجتمعوا وأصعقوا للفصل ثانياً النداء مع النفس يقال للنفس ارجعي إلى ربك لتدخلى مكانك من الجنة أو النار ثالثها ينادى مناد هو لاء الجنة وهو لاء النار كما قال تعالى فربق في الجنة وفربق في السعير وعلى قولنا المنادى هو المكلف فيحتمل أن يقال هو ما بين الله تعالى في قوله ونادوا بأمالك أو غير ذلك إلا أن الظاهر أن المراد أحد الوجهين الأولين لأن قوله المنادى للتعريف وكون الملك في ذلك اليوم منادى معروف عرف حاله وإن لم يجر ذكره فيقال قال صلى الله عليه وسلم وإن لم يكن قد سبق ذكره وأما أن الله تعالى مناد فقد سبق في هذه السورة في قوله ألقيا وهذا نداء وقوله يوم نقول لجهنم وهوناء وأما المكلف فليس كذلك وقوله تعالى من مكان قريب إشارة إلى أن الصوت لا يخفى على أحد بل يستوى في استماعه كل أحد وعلى هذا فلا يجد حمل المنادى على الله تعالى إذ ليس من الممكن القريب نفس المكان بل ظهور النداء وهو من الله تعالى أقرب وهذا كما قال في هذه السورة ونحن أقرب إليه من حبل الوريد وليس ذلك بالشك أن ثم قال تعالى (يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج) هذا تحقيق ما بينا من الفائدة في قوله واستمع أى لا تكن من الغافلين حتى لا تصعق يوم الصيحة وبيانه هو أنه قال استمع أى كن قبل أن تستمع مستيقظاً لوقوعه فإن السمع لا بد منه أنت وهم فيه سواء فهم يسمعون لكن من غسب استماع فيصعقون وأنت تسمع بعد الاستماع فلا يؤثر فيك إلا ما لا بد منه ويوم يحتمل وجوها أحدها ما قاله الزمخشري أنه يدل من يوم في قوله واستمع يوم ينادى المنادى والعامل فيهما الفعل الذى يدل عليه قوله تعالى ذلك يوم الخروج أى يخرجون يوم يسمعون وثانيها أن يوم يسمعون العامل فيه ما في قوله ذلك ويوم ينادى المنادى العامل فيه ما ذكرنا ثالثها أن يقال استمع عامل في يوم ينادى كاذكرنا وينادى عامل في يوم يسمعون وذلك لأن يوم ينادى وإن لم يجر أن يكون منصوباً بالمضاف إليه وهو ينادى لكن غيره يجوز أن يكون منصوباً به يقال إذ كرحال زيد ومذانه يوم ضرب به عمرو يوم كان عمرو واليا إذا كان القائل يريد بيان مثله زيد عند ما صار زيد يكرم بسبب من الأسباب فلا يكون يوم كان عمرو واليا منصوباً بقوله إذ كرحال لأن غرض القائل التذكير بحال زيد ومثله ذلك يوم الضرب لكن يوم كان عمرو ومنسوب بقوله ضرب به عمرو يوم كان واليا فكذلك

(يوم يسمعون الصيحة)
يدل من يوم ينادى الخ
وهى النفخة الثانية
(بالحق) متعلق بالصيحة
والمعامل في الظرف
ما يدل عليه قوله تعالى
(ذلك يوم الخروج)
أى يوم يسمعون الصيحة
متعلقة بالحق الذى هو
البعث يخرجون من
القبور

هم نأقَالَ استمع يوم ينادى المنادى ثلاثون من يفرع و يصعق ثم بين هذا النداء بقوله
ينادى المنادى يوم يسمعون أى لا يكون نداء خفياً بحيث لا يسمعه بعض الناس بل يكون
نداءً بحيث تكون نسبته إلى من في أقصى المغرب كنسبته إلى من في المشرق ولكم
تسمعون ولا شك أن مثل هذا الصوت يجب أن يكون الإنسان متنبهاً لاستماعه وذلك
يشغل النفس بعبادة الله تعالى وذكره والتفكير فيه فظهر فائدة جليلة من قوله فاصبر
وسبح واستمع يوم ينادى المنادى ويوم يسمعون واللام في الصيغة لتعريف وقد عرف
حالها وذكرها الله عز وجل إنا كنا في قوله تعالى إنا كنا في الصيغة واحدة وقوله فإنا هي
زجرة واحدة وقوله نفخة واحدة وقوله بالحق جاز أن يكون متعلقاً بالصيغة أى الصيغة
بالحق يسمعون وعلى هذا فقيه وجوه (الاول) الحق الحشر أى الصيغة بالحشر وهو حق
يسمعونها يقال صاح زيدا قوم اجتمعوا على حد استعمال تكلم بهذا الكلام وتقديره
حيث يسمعون الصيغة بإعظام اجتمعي وهو المراد بالحق (الثاني) الصيغة بالحق أى
باليقين والحق هو اليقين يقال صاح فلان يقين لا بظن وتخمين أى وجد منه الصراح يقينا
لا كالأصدي وغيره هو يجرى مجرى الصفة للصيغة يقال استمع سماحا بطلب وصاح صيغة
بقوة أى قوية فكانه قال الصيغة المحققة (الثالث) أن يكون معناه الصيغة المقترنة بالحق
وهو الوجود يقال كن فيتحقق ويكون ويقال اذهب بالسلامة وارجع بالسعادة أى
مفرونا ومصحوا فإن قيل زدنا قال الباء في الحقيقة للإصاق فكيف يفهم معنى
الإصاق في هذه المواضع نقول العندية قد يتحقق بالباء يقال ذهب زيد على معنى ألصق
الذهب زيد فوجدنا بابه فصار مفعولا فعلى قولنا المراد يسمعون صيغة من صاح بإعظام
اجتمعي هو تعديف المصدر بالباء يقال عجبني ذهب زيد بعمره وكذلك قوله الصيغة بالحق
أى أرفع الصوت هل الحق وهو الحشر وله موعد نبينه في موضع آخر إن شاء الله تعالى
(الوجه) الثاني أن يكون الحق متعلقاً بقوله يسمعون أى يسمعون الصيغة بالحق وفيه
وجهان الأول هو قول القائل سمعت يقين الثاني الباء في يسمعون بالحق قسم أى يسمعون
الصيغة بالله الحق وهو ضعيف وقوله تعالى ذلك يوم الخروج فيه وجهان أحدهما ذلك
إشارة إلى يوم أى ذلك اليوم يوم الخروج ثانيهما ذلك إشارة إلى نداء المنادى * ثم قال
تعالى (إنا نحن نحيي ونميت والينا المصير) قد ذكرنا في سورة يس ما يتعلق بقوله إنا نحن
وأما قوله نحيي ونميت فالمراد من الأحياء الأحياء أولاً ونميت إشارة إلى الموت الأول وقوله
والينا المصير فقد قدم إنا نحن لتعريف عظمتنا يقول القائل إنا أنا أى مشهور ونحيي
ونميت أمور مؤكدة معنى العظمة والينا المصير بيان المقصود * وقوله تعالى
(يوم نشق الأرض عنهم سراعا) العامل فيه هو ما في قوله يوم الخروج من الفعل أى
يخرجون يوم نشق الأرض عنهم سراعا وقوله سراعا حال الخارجين لأن قوله تعالى عنهم
يفيد كونهم مفعولين بالنشق فكان النشق عند الخروج من التبركا يقال كشف عند

(إنا نحن نحيي ونميت)
في الدنيا من خبر أن
بشاركتنا في ذلك أحد
(والينا المصير) للجزاء في
الآخرة لا إلى غيرنا
لا استقلالاً ولا اشتراكاً
(يوم نشق الأرض
عنهم) بمعنى أحدي
التأين من نشق وفري
بنشد يد الشين ونشق
على البناء المفعول من
التفعل ونشق (سراعا)
مصرعين

الملك اذا امر بعض عبيده بشغلين فظهر عجزه في أحدهما يقول له أقبل على الشغل الآخر
منهما ونحن نبحث من نقدر على الذي عجزت عنه منهما فقال اصبر وسبح وما أنت بجبار
أى فما كان اعتناهم بسبب تجبر منك أو تكبر فاشتاؤوا من سوء خلقك بل كنت بهم
رؤفا وعليهم عطوفا و بالغت و بلغت و امتنعوا فأقبل على الصبر والتسليم غير مصروف
عن الشغل الاول بسبب جبروتك وهذا في معنى قوله تعالى ما أنت بنعمة ربك بمجنون الى
أن قال و انك لعلى خلق عظيم (ثانيها) هو بيان ان النبي صلى الله عليه وسلم أتى بما عليه من
الهداية وذلك لانه أرسله منذرا و هاديا للملجأ و محبرا و هذا لكفى قوله تعالى و ما أرسلناك
عليهم حفظا أى تحفظهم من الكفر و النار و قوله و ما أنت عليهم فى معنى قول القائل اليوم
فلان علينا فى جواب من يقول من عليكم اليوم أى من الوالى عليكم (ثالثها) هو بيان
العدم و وقت نزول العذاب بعد ذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم لما نذر و اعذر و انظر
و لم يؤمنوا كان يقول ان هذا وقت العذاب فقال نحن أعلم بما نقولون و ما أنت عليهم
بسلطان فذكر بهذا ان لم يؤمنوا من بقي منهم من تعلم انه يؤمن ثم تسلط عليهم و يؤيد هذا
قول المفسرين ان الآية تزل قبل نزول آية القتال و على هذا قوله فذكر بالقرآن من
يخاف و عبد أى من بقي منهم من يخاف يوم الوعيد و فيه وجوه أخر (أحدها) انما ينسأ
فى أحد الوجوه ان قوله تعالى فاصبر على ما يقولون و سبح معناه أقبل على العبادة ثم قال
ولا تترك الهداية بالكلية بل و ذكر المؤمنين فان الذكرى تنفع المؤمنين و أعرض عن
الجاهلين و قوله بالقرآن فيه وجوه (الاول) فذكر بما فى القرآن و ائله عليهم القرآن
يحصل لهم بسبب ما فيه المنفعة (الثانى) فذكر بالقرآن أى بين به انك رسول لكونه معجزا
و اذ اثبت كونك رسولا لانهم قبول قولك فى جميع ما تقول به (الثالث) المراد فذكر
بمقتضى ما فى القرآن من الاوامر الواردة بالتبليغ و التذكير و حيثئذ يكون ذكر القرآن
لانتفاع النبي صلى الله عليه وسلم به أى اجعل القرآن امامك و ذكرهم بما أخبرت فيه
بان تذكرهم و على الاول معناه ائله عليهم القرآن لينذكروا بسببه و قوله تعالى من يخاف
و عید من جملة ما يبين كون الخشية دالة على عظمة المخشى أكثر مما يدل عليه الخوف
حيث قال يخاف عند ما جعل الخوف عذابه و وعيده و قال اخشوني عند ما جعل
الخوف نفسه العظيم و فى هذه الآية اشارة الى الاصول الثلاثة قوله و ذكر اشارة
الى أنه مرسل مأمور بالتذكير منزل عليه القرآن حيث قال بالقرآن و قوله و عید
اشارة الى اليوم الآخر و ضمير المتكلم فى قوله و عید يدل على الوحدة فانه لو قال
من يخاف و عید الله كان يذهب و هم الجاهل الى كل صوب فلذا قال و عیدى و المتكلم
أعرف المعارف و أبعد عن الاشتراك به و قبول الاشتراك فيه و قد بينا فى أول السورة
أن أول السورة و آخرها متضاربان فى المعنى حيث قال فى الاول ق و القرآن المجيد
وقال فى آخرها فذكر بالقرآن * و هذا آخر تفسير هذه السورة و الحمد لله رب العالمين

* (سورة الذاريات
مكية و ايهـ اسنون) *
(بسم الله الرحمن
 الرحيم) * (والذاريات
 ذروا) أى الرياح التى تذرو
 التراب وغيره و قرئ
 باد غام التاء فى الذال
 (فالحمائم و قرا) أى
 السحب الحاملة للطر
 أو الرياح الحاملة للسحب
 و قرئ و قرا هى تسمية
 المحمول بالمصدر (فالجار
 يات بسرا) أى السفن
 الجارية فى البحر أو الرياح
 الجارية فى مهاجها
 أو السحب الجارية فى
 الجو بسوق الرياح أو
 الكواكب الجارية فى
 مجاريها و منازلها و بسرا
 صفة لمصدر محذوف

وصلاته على خاتم النبيين وسيد المرسلين محمد النبي وآله وصحبه وأزواجه
وذرياته أجمعين

(سورة الذاريات ستون آية مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والذاريات ذروا فالخاملات وقرأ فالجاريات يسرا فالقسمات أمرا) أول هذه
السورة مناسب لآخر ما قبلها وذلك لانه تعالى لما بين الحشر بدلائله وقال ذلك حشر
علينا يسير وقال وما أنت عليهم بجبار أرى تجبرهم وتجيهم الى الايمان اشارة الى اصرارهم
على الكفر بعد اقامة البرهان وتلاوة القرآن عليهم لم يبق الا اليقين فقال والذاريات ذروا
انما توعدون الصادق وأول هذه السورة وآخرها متاسبان حيث قال في أولها انما
توعدون لصادق وقال في آخرها قو بل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون* وفي تفسير
الآيات مسائل (المسئلة الاولى) قد ذكرنا الحكمة وهي في القسم من المسائل الشرعية
والمطالب العظيمة في سورة والصفات ونعيدها ههنا وفيها وجوه (الاول) أن الكفار
كانوا في بعض الاوقات يعترفون بكون النبي صلى الله عليه وسلم غالبا في اقامة الدليل
وكانوا ينسبونونه الى المجادلة والى أنه عارف في نفسه بفساد ما يقوله وأنه يغلبنا بقوة الجدل
لا يصدق المقال كما أن بعض الناس اذا أقام عليه الخصم الدليل ولم يرق له حجة يقول انه
غلبنى لعلمه بطريق الجدل وعجزى عن ذلك وهو في نفسه يعلم أن الحق بيدي فلا يبقى للمتكلم
المبهر من طريق خبر اليقين فيقول والله ان الامر كما أقول ولا أجادل بالباطل وذلك لانه
لوسلك طريق آخر من ذكر دلائل آخر فاذا تم الدليل الاخر يقول الخصم فيه مثل ما قال
في الاول ان ذلك تقرير بقوة علم الجدل فلا يبقى الا السكوت أو النكس بالايمان وترك
اقامة البرهان (الثاني) هو أن العرب كانت تعتز زعن الايمان الكاذبة وتعتقد أنها تدع
الديار بلا قع ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من الايمان بكل شريف ولم يزد ذلك
الارفة وثباتا وكان يحصل لهم العلم بأنه لا يخلف بها كاذبا ولا اصابه شوم الايمان
ولنا اله المكروه في بعض الازمان (الثالث) وهو أن الايمان التي خلف الله تعالى بها كلها
دلائل أخرجهما في صورة الايمان مثاله قول القائل لمن بعد وحق نعمك الكثيرة اني
لا أزال أشكرك فذكر النعم وهي سبب مغيد لدوام الشكر ويسلك مسلك القسم كذلك
هذه الاشياء كلها دليل على قدرة الله تعالى على الاعادة فان قيل فلم أخرجهما خارج الايمان
نقول لان المتكلم اذا شرع في أول كلامه يخلف يعلم السامع أنه يريد أن يتكلم بكلام
عظيم فيصغى اليه أكثر من أن يصغى اليه حيث يعلم أن الكلام ليس بمعتبر فبدل بالخلف
وأدرج الدليل في صورة اليقين حتى أقبل القوم على سماعه فخرج لهم البرهان المبين
والتيان المتين في صورة اليقين وقد استوفينا الكلام في سورة والصفات (المسئلة الثانية)

اي جري اذا يسر (فالقسمات
أمرا) أي اللانكة التي
تقسم الامور من الامطار
والارزاق وغيرها أو
السحب التي يقسم الله
تعالى بها رزاق العباد
وقد جوز أن يراد بكل
الرياح منزلة الاختلاف
العنوان منزلة اختلاف
الذات فانه كما نذر
وما تذروه تنبر السحاب
وتحملة وتجري في الجو
جريا سهلا وتقسم الامطار
بتصرف السحاب
في الافطار فان جلت
الامور المقسم بها على
ذوات مختلفة فالقاء لترتيب
الاقسام باعتبار ما ينشأ
من التفاوت في الدلالة
على كمال القدرة والافهى
لترتيب ما صدر عن الرمح
من الافعال فانها تذرو
الأنجر الى الجوح حتى تعتد
سحبا فتجري به باسطة
له الى ما أمرت به فتقسم
المطر وقوله

في جميع السور التي أقسم الله في ابتدائها بغير الحروف فكان القسم لاثبات أحد
الاصول الثلاثة وهي الوجدانية والرسالة والحشر وهي التي يتم بها الايمان ثم انه تعالى
لم يقسم لاثبات الوجدانية الا في سورة واحدة من تلك السور وهي الصافات حيث قال
فيها ان الهكم واحد وذلك لانهم وان كانوا يقولون اجعل الآلهة الها واحدا على سبيل
الانكار وكانوا يقولون انهم في الشرك لكنهم في تضاعيف أقوالهم وأصناف أحوالهم
كانوا يصرحون بالتوحيد وكانوا يقولون انما نعبدكم ليقربونا الى الله زلفى وقال تعالى
ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فلم يأنفوا في الحقيقة في انكار
المطلوب الاول فاكفى البرهان ولم يكثر من الايمان وفي سورتين منها أقسم لاثبات صدق
محمد صلى الله عليه وسلم وكونه رسولا في احدهما بامر واحد وهو قوله تعالى والجم اذا
هو ما ضل صاحبكم وفي الثانية بأمرين وهو قوله تعالى والضحى والليل اذا سجى
ما ودعك ربك وما قلى وذلك لان القسم على اثبات رسالته قد كثر بالحروف والقرآن كافي
قوله تعالى يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين وقد ذكرنا الحكم فيه انما من معجزات
النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن فاقسم به ليكون في القسم الاشارة واقعة الى البرهان وفي
باقي السور كان القسم على الحشر والجزاء وما يتعلق به ليكون انكارهم في ذلك خارجا
عن الحدود عدم استيفاء ذلك في صورة القسم بالحروف (المسئلة الثالثة) أقسم الله تعالى
بمجموع السلامة المؤثقة في سور خمس ولم يقسم بمجموع السلامة المذكورة في سورة أصلا
فلم يقل والصالحين من عبادي ولا يفرق بين الامر الغالب لمن يعقل وقد ذكرنا أن القسم بهذه
الاشياء ليس لبيان التوحيد الا في صورة ظهور الامر فيه وحصول الاعتراف منه به
ولان رسالة الحصول ذلك في صور القسم بالحروف والقرآن * بقى أن يكون المقصود اثبات
الحشر والجزاء لكن اثبات الحشر لثواب الصالح وعذاب الصالح ففائدة ذلك راجع الى
من يعقل فكان الامر يقتضى أن يكون القسم بغيرهم والله أعلم (المسئلة الرابعة) في
السورة التي أقسم لاثبات الوجدانية أقسم في أول الامر بالسكانات حيث قال
والصافات وفي السور الأربع الباقية أقسم بالمتحركات والذاريات وقال
والمرسلات وقال والتازعات ويؤيده قوله تعالى والسابحات فالسابحات وقال والعاذيات
وذلك لان الحشر فيه جمع وتفريق وذلك بالحركة ألقى أو أن نقول في جميع السور الأربع
أقسم بالرياح على ما بين وهي التي تجمع وتفرق فالتأثير على تأليف السحاب المتفرق
بالرياح العازية والمرسلة قادر على تأليف الاجزاء المتفرقة بطريق من الطرق التي
يختارها يشيئته تعالى (المسئلة الخامسة) في الذاريات أقوال (الاول) هي الرياح تذرو
التراب وغيره كما قال تعالى تذرو الرياح (الثاني) هي الكواكب من فوايدز وإذا
أسرع (الثالث) هي الملائكة (الرابع) رب الذاريات والاول أصح (المسئلة السادسة)

تعالى (ان ما توعدون
لصادق وان الدين
اواقم) جواب للقسم
وفي تخصص الامور
المذكورة بالاقسام بها
رمز الى شهادتها
بتحقق مضمون الجملة
المقسم عليها من حيث
انها امور بدعيه مخالفة
لنقض الطبيعة فن قدر
عليها فهو قادر على
البعث الموعود وما
موصولة أو مصدرية
وصف الوعد بالصدق
كوصف العيشة بالرضا
والدين الجزاء ووقوعه
حصوله (والسماوات
الحبك) قال ابن عباس
وقناعة وعكرمة

الامور الاربعة جاز أن تكون أمورا متباينة وجاز أن تكون أمرا له أربع اعتبارات
والاول هو ما روي عن علي عليه السلام أن الذاريات هي الرياح والحاملات هي السحاب
والجاريات هي السفن والمقسمات هي الملائكة الذين يقسمون الإرزاق والثاني وهو
الأقرب أن هذه صفات أربع للرياح فأنذاريات هي الرياح التي تهب السحاب أولا
والحاملات هي الرياح التي تحمل السحاب التي هي بخار المياه التي إذا سحبت حرت السبول
العضية وهي أوفار أثقل من جبال والجاريات هي الرياح التي تجري بالسحب بعد حلها
والمقسمات هي الرياح التي تفرق الأمطار على الأقطار ويحتمل أن يقال هذه أمور أربعة
مذكورة في مقابلة أمور أربعة بها تتم الإعادة وذلك لأن الأجزاء التي تفرقت بعضها في
تقوم الأرضين وبعضها في فغور البحور وبعضها في جواء الهواء وهي الأجزاء اللطيفة
الجارية التي تنفصل عن الأبدان بقوله تعالى والذاريات يعني الجامع للذاريات من
الأرض على أن الذارية هي التي تذرو التراب عن وجه الأرض وقوله تعالى فالحاملات
وقراهي التي تجتمع الأجزاء من الجو وتحمله حلا فان التراب لا ترفعه الرياح حلا بل تنقله
من موضع وتريه في موضع بخلاف السحاب فانه يحمله وينقله في الجو حلا لا يقع منه
شيء وقوله فالجاريات يسرا إشارة الى الجامع من الماء فان من يجري السفن الثقيلة من
تيار البحر الى السواحل يقدر على نقل الأجزاء من البحر الى البر فاذاتين أن الجامع من
الأرض وجواء الهواء ووسط البحار ممكن وإذا اجتمع يبقى نفخ الروح لكن الروح من أمر الله
كما قال تعالى وبسأؤتيك عن الروح قل الروح من أمر ربي فقال فالمقسمات أمرا الملائكة
التي تنفخ الروح في الجسد بأمر الله وانما ذكرهم بالمقسمات لأن الإنسان في الأجزاء
الجسمية غير مختلف بخلافنا فان لكل أحد رأسا ورجلا والناس متفاوتة في الإعداد
والأقدار لكن التفاوت الكثير في النفوس فان الشريفة والحسنة بينهما غاية الخلاف
ونك القسمة متفاوتة تنقسم بتقسيم مختار وأما مختار فقال فالمقسمات أمرا (المسئلة
السابعة) ماهذه المنصوبات من حيث الحق فنقول أما ذروا فلا شك في كونه منصوبا
على أنه مصدر وأما وقرأ فهو مفعول به كما يقال حل فلان عدلا ثيبلا ويحتمل أن يكون
اسما فقيم مقام المصدر كما يقال ضربه سوطا يؤيده قراءة من قرأ بفتح الواو وأيسر فهو
أبضا منصوب على أنه مفعول مصدر تقديره جردا يسروا أما المقسمات أمرا فهو ما مفعول
به كما يقال فلان قسم الرزق أو المال وأما حال أي على صورة المصدر كما يقال قلته صبرا
أي مصبورا كذلك ههنا المقسمات أمرا أي مأمورة فان قيل ان كان وقرا مفعولا
به فلم يجتمع وما قيل والحاملات أوفار انقول لأن الحاملات على ما ذكرنا صفة الرياح
وهي تتوارد على وقروا حد فان ربحا تهب وتسوق السحابة فتسبق السحاب فتهب أخرى
وتسوقها وربما تحول عنه يمنة ويسرة بسبب اختلاف الرياح وكذلك القول في
المقسمات أمرا إذا قلنا هو مفعول به لأن جماعة يكونون مأمورين بتقسيم أمرا واحدا

ذات الخلق المستوي
وقال سعيد ابن جبير
ذات الزينة وقال مجاهد
هي المقنة البياض وقال
مقاتل والكلي والضحاك
ذات الطرائق والمراد
أما الطرائق المحسوسة
التي هي مسير الكواكب
أو العقول التي يسلكها
النظار والجوم فان لها
طرائق وعن الحسن
حبكها نجومها حيث
تزينها كما تزين الموشى
طرائق الوشى وهي إما
جسم حالك أو حبيكة
كشال ومثل وطريقة
وطرق وقرى الحبك
بوزن القفل والحبك
بوزن السلك والحبك
كالجبل والحبك كالبرق
والحبك كالنعم والحبك
كالابل (انكم اني قول
مختلف)

أو نقول هو في تقدير التكرير كأنه قال فالحمالات وقرا وقرا والمقسمات أمرا أمرا
 (المسئلة الثامنة) ما قلناه انقلنا انما صافات الرياح فليان ترتيب الامور
 في الوجود فان الذاريات تنشيء السحاب فتقسم الامطار على الاقطار وان قلنا انما امور
 اربعة فالغاة للترتيب في القسم لانه ترتيب في القسم به كأنه يقول أقسم بالرياح والذاريات
 ثم بالسحب والحمالات ثم بالسفن الجاريات ثم باللائكة المقسمات وقوله فالحمالات وقوله
 فالجاريات اشارة الى بيان ما في الرياح من القوائد أما في البرق فاشاء السحب وأما في البحر
 فأجراء السفن ثم المقسمات اشارة الى ما يترتب على حمل السحب وجرى السفن من
 الارزاق والارياح التي تكون بقسمه الله تعالى فتجري سفن بعض الناس كما يشتهد
 ولا تريح وبعضهم تريح وهو غافل عنه كما قال تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم * ثم قال
 تعالى (ان ما توعدون لصادق) ما يحتمل أن تكون مصدرة بمعنى معناه الاعداد صادق وان
 تكون موصولة أي الذي توعدون صادق والصادق معناه ذو صدق كعبادة راضية
 ووصف المصدر بما يوصف به الفاعل بالمصدر فيه افادة مبالغة فكما أن من قال فلان لطف
 محض وحلم يجب أن يكون قد بلغ كذلك من قال كلام صادق وبرهان قاهر للخصم أو غير
 ذلك يكون قتيباغ وألوجه فيه هو أنه اذا قال هو لطف بدل قوله لطف فكأنه قال اللطف
 شيء له لطف في اللطف لطف وشئ آخر فأراد أن يبين كثرة اللطف فعمله كله اطلاق في
 الثاني لما كان الصديق يقوم بالتكلم بسبب كلامه فكأنه قال هذا الكلام لايجوز الى
 شيء آخر حتى يصح اطلاق الصديق عليه بل هو كاف في اطلاق الصديق لكونه سببا قويا
 وقوله تعالى توعدون يحتمل أن يكون من وعد ويحتمل أن يكون من أوعد والثاني هو الحق
 لان اليمين مع المنكر بوعيد لا بوعد * وقوله تعالى (وان الدين اواقع) أي الجزاء كأن وعلى
 هذا فالاعداد بالحشر في الموعد هو الحساب والجزاء هو العقاب فكأنه تعالى بين بقوله
 انما توعدون لصادق وان الدين اواقع أن الحساب يستوفى وان العقاب يوفى * ثم قال
 (والسما ذات الحبك) وفي تفسيره مباحث الاول والسما ذات الحبك قبل الطرائق
 وعلى هذا فيحتمل أن يكون المراد طرائق الكواكب ومرتباتها كما يقال في الحساب
 ويحتمل أن يكون المراد ما في السماء من الاشكال بسبب النجوم فان في سميت كواكبها
 طريق التين والعرب والسر الذي يقول به أصحاب الصور ومنطق الجوزاء وغير ذلك
 كالطرائق وعلى هذا فالمراد به السماء المزينة بزيينة الكواكب ومثله قوله تعالى
 والسما ذات البروج وقبل حبكها صفاقها يقال في الثواب الصفيق حسن الحبك
 وعلى هذا فهو كقوله تعالى والسما ذات الرجع لشدتها وقوتها هذا ما قيل فيه (البحث
 الثاني) في القسم عليه وهو قوله تعالى (انكم لفي قول مختلف) وفي تفسيره أقوال
 مختلفة كلها محكمة (الاول) انكم في قول مختلف في حق محمد صلى الله عليه وسلم تارة
 تقولون انه أمين وأخرى انه كاذب وتارة تنسبونه الى الجنون وتارة تقولون انه كاهن

أي مختلف متناقض
 وهو قوالهم في حقه
 عليه الصلاة والسلام
 تارة شاعر وأخرى
 ساحر وأخرى مجنون
 وفي شأن القرآن الكريم
 تارة شعر وأخرى سحر
 وأخرى أساطير وفي هذا
 الجواب تأييد لكون
 الحبك عبارة عن
 الاستواء كإيلوح به
 مانقل عن الضحاك
 من أن قول الكفرة
 لا يكون مستويا إنما هو
 متناقض مختلف وقيل
 الالفة في هذا القسم
 تشبيه اقوالهم في
 اختلافها وتنساق
 أغراضها بطرائق
 السموات في تباعدها
 واختلاف غاياتها
 وليس بذلك (يؤفك
 عنه من أفك)

وشاعر وساحر وهذا محتمل لكنه ضيف اذ لا حاجة الى اليقين على هذا لانهم كانوا يقولون
 ذلك من غير افكار حتى يؤكده يمين (الثاني) انكم لفي قول مختلف أى غير ثابتين على
 أمر ومن لا يثبت على قول لا يكون متيقنا في اعتقاده فيكون كأنه قال تعالى والسماء
 انكم غير جازمين في اعتقادكم وانما تظهرون الجزم لشدة عنادكم وعلى هذا القول فيه
 فائدة وهي انه لما قالوا لا نبي صلى الله عليه وسلم انك تعلم انك غير صادق في قولك وانما
 تبادل ونحن نعجز عن الجدل قال والذاريات ذروا أى انك صادق ولست معاندا ثم قال
 تعالى بل انتم والله جازمون بأنى صادق فنعكس الأمر عليهم (الثالث) انكم لفي قول
 مختلف أى متافض أما في الحشر فلا انكم تقولون لا حشر ولا حياة بعد الموت ثم تقولون
 اننا وجدنا آباءنا على أمة فإذا كان لأحياة بعد الموت ولا شعور للميت فإذا يصيب آباءكم
 اذا خافتموهم وانما يصح هذا من يقولون بأن بعد الموت عذابا فلو علمنا شيئا بكمه الميت
 يبدى فلا معنى لقولكم اننا لنسب آباءنا بعد موتهم الى الضلال وكيف وأنتم تربطون
 الرقاب على قبور الأكارب وأما في التوحيد فتقولون خالق السموات والارض هو الله
 تعالى لا غير ثم تقولون هو الله والآلهة ترجعون الى الشرك وأما في قول النبي صلى الله
 عليه وسلم فتقولون انه يجنون ثم تقولون له انك تغلبنا بقوة جندك والمجنون كيف يقدر
 على الكلام المنتظم المعجز الى غير ذلك من الأمور المتناقضة * ثم قال تعالى (يؤفك عنه من
 أفك) وفيه وجه (أحدها) أنه مدح لأمه ومنين أى يؤفك عن القول المختلف وبصرف من
 صرف عن ذلك القول ويرشد الى القول المستوى (وثانيها) أنه ذم معناه يؤفك عن
 الرسول (ثالثها) يؤفك عن القول بالحشر (رابعها) يؤفك عن القرآن وقرئ يؤفك عنه
 من أفن أى يحرم وقرئ يؤفك عنه من أفك أى كذب * ثم قال تعالى (قتل الخراصون)
 وهذا يدل على ان المراد من قوله اني قول مختلف انهم غير ثابتين على أمر وغير جازمين بل هم
 ينظرون ويخرصون ومعناه لعن الخراصون دعاء عليهم بكمروهم وصفهم فقال (الذين هم
 في غرة ساهون) وفيه مسئلتان احدهما لغظية والآخرى معنوية (أما اللغظية)
 فقوله ساهون يحتمل أن يكون خبرا بعد خبره والمبتدأ هو قوله هم وتقديرهم كانوا في غرة
 ساهون كما يقال زيد جاهل جائر لاعلى قصد وصف الجاهل بالجائر بل الاخبار بالوصفين
 عن زيدو يحتمل أن يكون ساهون هو خبرا في غرة ظرف له كما يقال زيد في بيته فاعذب يكون
 الخبر هو القاعد لا غير وفي بيته لبيان ظرف القعود كذلك في غرة لبيان ظرف السهو الذي
 يصحح وصف المعرفة بالجملة ولولاها لما جاز وصف المعرفة بالجملة (وأما المعنوية) فهي ان
 وصف الخراص بالسهو والافهام الى الباطل يحقق كون الخراص صفة ذم وذلك لان
 ما لا يسيل اليه الا الظن اذا خرس الخراص واطلق عليه الخراص لا يكون ذلك مغيد نقص
 كما يقال في خراص الغوا كه والعساكر وغير ذلك وأما الخرص في محل المعرفة واليقين فهمو
 ذم فقال قتل الخراصون الذي هم جاهلون ساهون لا الذين تعين طريقهم في التخمين والخرن

أى بصرف عن القرآن
 أو الرسول عليه الصلاة
 والسلام من صرف
 اذ لا صرف افطع منه
 واشد وقبل بصرف
 عنه من صرف في علم الله
 تعالى وقضائه ويجوز
 ان يكون الضمير لقول
 المختلف على معنى
 يصدر افك من افك
 عن ذلك القول وقرئ
 من افك أى من افك
 الناس وهم قريش
 حيث كانوا يصعدون
 الناس عن الايمان (قتل
 الخراصون) دعاء
 عليهم كقوله تعالى قتل
 الانسان ما مكفره
 واصله الدعاء بالقتل
 والهلاك ثم جرى
 مجرى لعن الخراصون
 الكذابون المقعدون
 ما لا يصح له وهم اصحاب
 القول المختلف كأنه
 قيل قتل هؤلاء
 الخراصون وقرئ
 قتل الخراصين أى
 قتل الله (الذين هم
 في غرة) من الجهل
 والضلال (ساهون)
 فاقولن عما امروا به

وقوله تعالى ساهون بعد قوله في غمرة يفيد أنهم وقعوا في جهل وباطل ونسوا أنفسهم فيه فلم يرجعوا عنده ثم قال تعالى (يسألون أيان يوم الدين) فان قيل الزمان يجعل ظرف الافعال ولا يمكن أن يكون الزمان ظرفا لظرف آخر وههنا جعل أيان ظرف اليوم فقال أيان يوم الدين ويقال متى يقدم زيد فيقال يوم الجمعة ولا يقال متى يوم الجمعة فالجواب التقدير متى يكون يوم الجمعة وأيان يكون يوم الدين وأيان من المركبات ركب من أي التي يقع بها الاستفهام وأن التي هي الزمان أو من أي وأوان فكانه قال أي وأوان فلما ركب بيني وهذا منهم جواب لقوله وان الدين اواقع فكانهم قالوا أيان يقع استهزاء وترك المسؤول في قوله يسألون حيث لم يقل يسألون من يدل على أن غرضهم ليس الجواب وإنما يسألون استهزاء وقوله تعالى (يومهم على النار يفتنون) يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون جوابا عن قولهم أيان يقع وحينئذ كما أنهم لم يسألوا سؤال مستفهم طالب لحصول العلم كذلك لم يجبههم جواب بحسب معلمين حيث قال يومهم على النار يفتنون وجملهم بالثاني أقوى من جهلهم بالاول ولا يجوز أن يكون الجواب بالآخرى فاذا قال قائل متى يقدم زيد فلو قال المجيب يوم يقدم رفيقه ولا يعلم يوم قدوم الرفيق لا يصح هذا الجواب الا اذا كان الكلام في صورة جواب ولا يكون جوابا كما ان السائل اذا قال كم تعد عدائي وتخلفها الى متى هذا الاخلاق فيغضب ويقول الى انشام يوم عليك الكلامان في صورة سؤال وجواب والاول يريده السؤال والثاني يريده الجواب فكذلك ههنا قال يومهم على النار يفتنون مقابلة استهزائهم بالابعاد لاعلى وجهه الاثبات بالبيان (والثاني) ان يكون ذلك ابتداء كلام تاممه في قوله تعالى (ذوقوا فنتنكم) فان قيل هذا ينضى الى الانصهار تقول الانصهار لا بد منه لان قوله ذوقوا فنتنكم غير متصل بما قبله الا باضمار يقال ويفتنون قبل معناه يحرقون والاولى ان يقال معناه يعرضون على النار معرض المجرب الذهب على النار لان كلمة على تناسب ذلك ولو كان المراد يحرقون لكان بالنار أوفى النار البقي لان الفتنة هي التجر بهوا ما يقال من اخبره ومن انه تجر به الحجارة فعنى بذلك المعنى مصدر الفتنة وههنا قال ذوقوا فنتنكم وانفتحة الامتحان فان قيل فاذا جعلت يومهم على النار يفتنون مقولا لهم ذوقوا فنتنكم فاقله (هذا الذي كنتم به تستعجلون) فلتنا يحتمل أن يكون المراد كنتم تستعجلون بصريح القول كما في قوله تعالى حكاية عنهم ربنا فجعلنا قضانا وقوله واتيناكم بعدنا الى غير ذلك يدل عليه ههنا قوله تعالى يسألون أيان يوم الدين فانه نوع استعجال ويحتمل أن يكون المراد الاستعجال بالفعل وهو الاصرار على العناد وانظهار الفساد فانه يعمل العقوبة ثم قال تعالى (ان المتقين في جنات وعيون) بعد بيان حال المتقين المجرمين بين حال الحق المتقي وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قد ذكرنا ان المتني له مقامات أدناها أن يتنى الشرك واعلاها أن يتنى ماسوى الله وأدنى درجات المتنى الجنة فامن مكلف اجتنب الكفر الا ويدل الجنة فيبرزق نعيمها (المسئلة الثانية) الجنة تارة

(يسألون أيان يوم الدين)
أى متى وقوع يوم الجزاء
لكن لا بطريق الاستعلام
حقيقة بل بطريق
الاستعجال استهزاء
وقرى ايان بكسر الحزة
(يومهم على النار
يفتنون) جواب للسؤال
أى يقع يومهم على النار
يحرقون ويعذبون
ويجوز أن يكون يومهم
خبر المبتدأ محذوف أى
هو يومهم الخ والفصح
لاضافته الى غير ممكن
ويؤيده أنه قرئ بالرفع
(ذوقوا فنتنكم) أى
مقولا لهم

وحدوها كما قال تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون وأخرى جمعها كافي هذا المقام قال ان
 المتقين في جنات ونارة فيها فقال تعالى ولن خافي مقام به جنتان في الحكمة فيه نقول أما
 الجنة عند التوحيد فلأنها لاتصل المنازل والأشجار والأنهار كجنة واحدة وأما حكمة
 الجمع فلأنها بالنسبة الى الدنيا وبالإضافة الى جناتها جئات لا يحصرها عدد وأما التثنية
 فستذكرها في سورة الرحمن غير اننا نقول ههنا الله تعالى عند الوعد وحد الجنة وكذلك
 عند الشراء حيث قال ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة
 وعند الاعطاء همها الإشارة الى أن الزيادة في الوعد موجودة والخلاف ما لو وعد بجئات
 ثم كان يقول انه في جنة لانه دون الوعود (الثالثة) قوله تعالى وعيون يقضى أن يكون
 المتقى فيها ولا لذة في كون الانسان في ما أو غير ذلك من المنافع نقول معناه في خلاف
 العيون وذلك بين الانهار بدليل أن قوله تعالى في جنات ليس معناه الا بين جنات وفي
 خللها لان الجنة هي الأشجار وانما يكون بينها كذلك القول في العيون والتكبر مع أنها
 معرفة للتعظيم يقال فلان رجل أي عظيم في الرجولية * وقوله تعالى (أخذين ما آتاهن
 ربهم) فيه مسائل وإطائف أما المسائل (فالاولى) منها ما معنى أخذين نقول فيه وجهان
 أحدهما قابضين ما آتاهن شيئا فشيئا ولا يستوفونه بكامله لامتناع استيفاء ما لانهما به
 (ثانيها) أخذين قابلين قبول راض كما قال تعالى ويأخذ الصدقات أي يقبلها وهذا
 ذكره الشيخ شري (وفيه وجه ثالث) وهو أن قوله في جنات يدل على السكنى فحسب وقوله
 أخذين يدل على التملك ولذا يقال أخذ بلاد كذا وقلة كذا اذا دخلها ممتلكا لها وكذلك
 يقال لمن اشترى دارا أو بستانا أخذته بمن قليل أي تملكه وان لم يكن هناك قبض حسا
 ولا قبول برضا وحديث فائدة بيان ان دخولهم فيها ليس دخول مستعير أو نصف يسترد
 منه ذلك بل هو ملكه الذي اشتره بماله ونفسه من الله تعالى وقوله آتاهم يكون لبيان ان
 أخذهم تلك لم يكن عنوة وفتوحا وانما كان باعطاء الله تعالى وبلى هذا الوجه ما راجعه
 الى الجنات والعيون * وقوله (انهم كانوا قبل ذلك محسنين) إشارة الى ثمنها أي أخذوها
 وملكوها بالإحسان كما قال تعالى للذين أحسنوا الحسنى بلام المالك وهي الجنة (المسئلة
 الثانية) أخذين حال وهو في معنى قول القائل يأخذون فكيف قال ما آتاهم ولم يقل
 ما يؤتيهم ليتفق اللفظان ويوافق المعنى لان قوله آتاهم ينبئ عن الانقراض وقوله يؤتيهم
 تنبيه على الدوام وإتمام الله في الجنة كل يوم متجدد ولانهما به ولا سيما اذا فسرنا الأخذ
 بالقبول كيف يصح أن يقال فلان يقبل اليوم ما آتاه زيد امس نقول اما على ما ذكرنا
 من التفسير لا يرد لان معناه يملكون ما أعطاهم وقد يوجد الاعطاء امس وبذلك اليوم
 وأما على ما ذكره فنقول الله تعالى أعطى المؤمن الجنة وهو في الدنيا غير أنه لم يكن جنى
 ثمارها فهو يدخلها على هيئة الآخذ ور بما يأخذ خيرا مما آتاه ولا ينساقى ذلك كونه
 داخلها على تلك الهيئة يقول القائل جئتكم خائفا فاذا أنا آمن وما ذكرتم انما بل ان لو

هذا القول وقوله تعالى
 (هذا الذي كنتم به
 تستعجلون) جله من
 مبتدأ وخبر داخل تحت
 القول المضمر أي هذا
 ما كنتم تستعجلون به
 بطريق الاستمراء
 ويجوز أن يكون هذا
 بدلا من فتنتكم بتأويل
 العذاب والذي صغته
 (ان المتقين في جنات
 وعيون) لا يبلغ كثرتها
 ولا يفاد قدرها
 (أخذين ما آتاهن ربهم)
 أي قابلين لما أعطاهن
 راضين به على معنى أن
 كل ما آتاهن حسن

كان أخذهم مقتصرًا على ما آتاهم من قبل وليس كذلك وإنما هم دخلوها على ذلك
 ولم يخطر ببالهم غيره فبؤيتهم الله ما لم يخطر ببالهم فآخذون ما يؤتيهم الله وإن دخلوها
 ليأخذوا ما آتاهم وقوله تعالى إن أصحاب الجنة اليوم في شغل وهم أخذهم ما آتاهم وقد
 ذكرناه في سورة يس (المسئلة الثالثة) ذلك إشارة إلى ماذا نقول يحتمل وجهين (أحدهما)
 قبل دخولهم لأن قوله تعالى في جنات فيه معنى الدخول يعني قبل دخولهم الجنة أحسنوا
 (ثانيهما) قبل ابتداء الله ما آتاهم أحسنوا فاتاهم الجنة وهي الجنة فأخذوها وفيه
 وجوه أخرى وهو أن ذلك إشارة إلى يوم الدين وقد تقدم (وأما اللطائف) فقد سبق بعضها
 ومنها أن قوله تعالى إن المتقين لما كان إشارة إلى التقوى من الشرك كان كأنه قال الذين
 آمنوا لكن الإيمان مع العمل الصالح فيفيد سعادتين ولذلك دلالة أنهم من قول القائل إنهم
 أحسنوا (اللطيفة الثانية) أما التقوى فلأنه لما قال لاله فقد أتى الشرك وأما الاحسان
 فلأنه لما قال لا اله الا الله فقد أتى بالأحسان ولهذا قيل في معنى كلمة التقوى إنها لا اله الا الله
 وفي الاحسان قال تعالى ومن أحسن قولاً من دعا إلى الله وقيل في تفسير هل جزاء الاحسان
 الا الاحسان ان الاحسان هو الايمان بكلمة لا اله الا الله وهما حينئذ لا يتفاضلان بل
 هما متلازمان * وقوله تعالى (كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون) كالتمهيد ليكونهم
 محسنين يقول حاتم كان مخيباً كان يدل موجوده ولا يترك مجهوده وفيه مباحث
 (الاول) قليلاً منصوب على الظرف تقديره يهجعون قليلاً تقول قام بعض الليل فتصعب
 بعض على الظرف وخبر كان هو قوله يهجعون وما زلنا هذا هو المشهور وفيه وجد آخر
 وهو أن يقال كانوا قليلاً معناه في النوم عنهم وهذا منقول عن الضحكاء ومقاتل وأنكر
 الزمخشري كون ما نافية وقال لا يجوز ان تكون نافية لأن ما بعد ما لا يعمل فيما قبلها
 لا تقول زيداً ما ضربت ويجوز ان يعمل ما بعدهم فيما قبلها تقول زيداً لم أضرب وسبب
 ذلك هو ان الفعل المتعدي إنما يعمل في النفي جلاله على الايجاب لأنك اذا قلت ضارب
 زيد عمراً ثبت تعلق فعله بعمره فاذا قلت ما ضرب به لم يوجد منه فعل حتى يتعلق به ويتهدى
 اليه لكن النفي محمول على الاثبات فاذا ثبت هذا فالنفي بالنسبة إلى الاثبات كاسم
 الفاعل بالنسبة إلى الفعل فانه يعمل عمل الفعل لكن اسم الفاعل اذا كان بمعنى الماضي
 لا يعمل فلا تقول زيد ضارب عمراً أمس وتقول زيد ضارب عمراً غداً واليوم والآن لأن
 الماضي لم يبق موجوداً ولا متوقع الوجود فلا يتعلق بالفعل حقيقة لكن الفعل لقوته
 يعمل واسم الفاعل لضعفه لم يعمل اذا عرفت هذا فتقول ما ضرب للنفي في الماضي
 فاجتمع فيه النفي والمضى فضعف وأما لم أضرب وان كان يقرب المستقبل إلى الماضي
 لكن الصيغة صيغة المستقبل فوجد فيه ما يوجد في قول لقائل زيد ضارب عمراً غداً
 فاعمل هذا بيان قوله غير أن القائل بذلك القول يقول قليلاً ليس منصوصاً بقوله يهجعون وإنما
 ذلك خبر كانوا أي كانوا قليلاً ثم قال من الليل ما يهجعون أي ما يهجعون أصلاً بل يحيون

مرضى يتأق بحسن
 القول (انهم كانوا قبل
 ذلك) في الدنيا
 (محسنين) أي لأعمالهم
 الصالحة آتين بها على
 ما ينبغي فلذلك نالوا
 ما نالوا من الفوز العظيم
 ومعنى الاحسان بالاجال
 ما اشار اليه عليه
 الصلاة والسلام بقوله
 أن تعبد الله كأنك تراه
 فان لم تكن تراه فانه يراك
 وقد فسر بقوله تعالى
 (كانوا قليلاً من الليل
 ما يهجعون) أي كانوا
 قليلاً من الليل على أن

الليل جميعه ومن يكون لبيان الجنس لا يتبع بعض وهذا الوجه حيث أنه فيه معنى قوله
 تعالى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وذلك لاننا ذكرنا ان قوله ان المؤمنين
 فيه معنى الذين آمنوا وقوله محسنين فيه معنى الذين عملوا الصالحات وقوله كانوا قليلا
 فيه معنى قوله تعالى وقليل ما هم (البحث الثاني) على القول المشهور وهو ان ما زائدة
 يحتمل أن يكون قليلا صفة مصدر تقديره يهجعون هجوعا قليلا (البحث الثالث) يمكن
 أن يقال قليلا منصوب على انه خبر كان وماه مصدره بتقديره كان هجوعهم من الليل قليلا
 فيكون فاعل كانوا هو الهجوع ويكون ذلك من باب بدل الاشتغال لان هجوعهم متصل
 بهم فكأنه قال كان هجوعهم قليلا كما يقال كان زيد خلقا حسنا فلا يحتاج الى القول
 بزيادة واعلم ان الحاجة لا يقولون فيه انه بدل فيفرون بين قول القائل زيد حسن وجهه
 أو الوجه وبين قوله زيد وجهه حسن فيقولون في الاول صفة وفي الثاني بدل ونحن حيث قلنا
 انه من باب بدل الاشتغال أردنا به معنى الاصطلاح والافتقار عند التقديم ليس في نحو
 مثله عند التأخير حتى قولك فلان قليل هجوعه ليس ببدل وفلان هجوعه قليل بدل
 وعلى هذا يمكن أن تكون ماموصولة معناه كان ما يهجعون فيه قليلا من الليل هذا ما يتعلق
 بالفاظ اماما يتعلق بالمعنى فتقول بتقديم قليلا في الذكر ليس مجرد الجمع حتى يقع بهجوعون
 ويستغفرون في اواخر الآيات بل فيه قائلتان (الاولى) هي ان الهجوع راحلة لهم وكان
 المقصود بيان اجتهادهم وتحملهم السهر لله فلو قال كانوا يهجعون كان المذكور
 أولا راحتهم ثم يصفه بالقلة ويرى ما يغفل الانسان السامع عما بعد الكلام فيقول احسانهم
 وكونهم محسنين بسبب انهم يهجعون واذا قدم قوله قليلا يكون السابق الى الفهم اقله
 الهجوع وهذه القائلة من راعيها يقول فلان قليل الهجوع ولا يقول هجوعه قليل لان
 الغرض بيان قلة الهجوع لبيان الهجوع بوصف القلة أو الكثرة فان الهجوع اولم يكن
 لكان في القلة أولى ولا كذلك قلة الهجوع لانها اولم تكن لكان بدلها الكثرة في الظاهر
 (القائلة الثانية) في قوله تعالى من الليل وذلك لان النوم القليل بالتميز قد يوجد من كل
 أحد وأما الليل فهو زمان النوم لايسهرة في الطاعة الامتداد مقبل فان قيل الهجوع
 لا يكون الا بالليل والنوم نهار الا يقال له الهجوع قلنا ذكر الامر العام واردة التخصيص
 حسن فتقول رأيت حيوانا طلقا فصيحعا وذكر الخاص واردة العام لا يحسن الا في بعض
 المواضع فلا تقول رأيت فصيحعا ناطقا حيوانا اذا عرفت هذا فتقول في قوله تعالى كانوا
 قليلا من الليل ذكر أمرا هو كالعام يحتمل أن يكون بعده كانوا من الليل يسبحون
 ويستغفرون أو يسهرون أو غير ذلك فإذا قال يهجعون فكأنه خصص ذلك الامر العام
 المحتمل له وتغيره فلا اشكال فيه * ثم قال تعالى (وبالاسحار هم يستغفرون) إشارة الى
 انهم كانوا يهجدون ويجهدون ثم يريدون أن يكون عليهم أكثر من ذلك وأخلص منه
 ويستغفرون من التقصير وهذا سيرة الكريم يأتي بأبلغ وجوه الكرم ويستغله ويعتذر

قليلا ظرف أو كانوا
 يهجعون هجوعا قليلا
 على أنه صفة المصدر
 وما زائدة في الوجهين
 ويجوز أن تكون
 مصدرة أو موصولة
 مرتفعة بقلب على
 الغالبة أي كانوا قليلا
 من الليل هجوعهم
 أو ما يهجعون فيه وفيه
 مبالغات في تقليل
 نومهم واستراحاتهم
 ذكر القليل والليل
 الذي هو وقت الراحة
 والهجوع الذي هو
 الغرام النوم وزيادة ما
 ولا مسامحة لمعنى
 مانافعة على معنى

من التفسير والليم بأني بالقليل ويستكثر ويمن به وفيه وجه آخر لطيف منه وهو انه تعالى لما بين انهم يجمعون قليلا والجمع مقتضى الطبع قال يستغفرون أى من ذلك القدر من النوم القليل وفيه لطيفة أخرى تبيها في جواب سؤال وهو انه تعالى ردهم بقلة الجمع ولم يمدحهم بكثرة السهر وما قال **ك** انوا كثيرا من الابل ما يسهرون فما الحكمة فيه مع ان السهر هو الكلفة والاجتهاد لا الجمع مع نقول اشارة الى ان نومهم عبادة حيث مدحهم الله تعالى بكونهم هاجعين قليلا وذلك الجمع أو رسم الاشتغال بعبادة أخرى وهو الاستغفار في وجوه الاستحار ومنههم من الإعجاب بأنفسهم والاستكبار وفيه مباحث (البحث الاول) في الباء فانها استعملت للطرف ههنا وهي ليست للطرف نقول قال بعض النحاة ان حروف الجر يرب بعضها من باب بهض يقال في اطرف خرجت اعشر بقين وبالابل وفي شهر رمضان فيستعمل اللام والياء وفي كذلك في المكان تقول أقت بالدينه كذا وفيها رأيت به بلدة كذا وفيها فان قيل ما التحقيق فيه نقول الحروف لها معان مختلفة كالان الاسماء والافعال كذلك غير ان الحروف غير مستقلة بإعادة المعنى والاسم والفعل مستقلان لكن بين بعض الحروف وبعضها تناف وتباعد كما في الاسماء والافعال فان البيت والمسكن مختلفان متفاوتان وكذلك سكن ومكث ولا كذلك كل اسمين يفرض أو كل فعلين يوجد اذا عرفت هذا فنقول بين الباء واللام وفي مشاركة اما الباء فلامه للاتصاف والمنفك في مكان ملتصق به متصل **ك** ذلك الفعل بالنسبة الى الزمان فاذا قال سار بالنهار معناه ذهب بها بامتصلا بالنهار وكذا قوله تعالى وبالسحار هم يستغفرون أى استغفارا متصلا بالسحار وقترناها لان السكائر فيها مقترن بها فان قيل فهل يكون بينهما في المعنى تفاوت نقول نعم وذلك لان من قال أقت بالابل واستغفرت بالسحار أخبر عن الأمرين وذلك أدل على وجود الفعل مع أول جزء من اجزاء الوقت من قوله أقت في الليل لانه يستدعي احتواش الزمان بالفعل وكذلك قول القائل أقت ببلدة كذا لا يفيد انه كان محاطا بالبلدة وقوله أقت فيها يدل على احاطتها به فاذن قول القائل أقت بالبلدة ودعوت بالسحار أهم من قوله أقت في بلدان القائم فيه قائم به والقائم به ليس قائما فيه من كل بدا اعلمت هذا قوله تعالى وبالسحار هم يستغفرون اشارة الى انهم لا يتخلون وقتا عن العبادة فانهم بالابل لا يجمعون ومع أول جزء من السحر يستغفرون فيكون فيه بيان كونهم مستغفرين من غير ان يسبق منهم ذنب لانهم وقت الانبهاء في السحار لم يخلوا الوقت للذنب فان قيل زدنا يانا فان من الزمان أزمانا لا يتجمل ظرفا بالباء فلا يقال خرجت بيوم الجمعة ويقال بى نقول ان كل فعل جار في زمان فهو متصل به فالخروج في يوم الجمعة متصل مقترن بذلك الزمان ولم يستعمل خرجت بيوم الجمعة نقول الفارق بينهما الاطلاق والتقييد بدليل انك ان قلت خرجت بنهارنا وبلدة الجمعة لم يحسن ولو قلت خرجت بيوم سعد وخرج هو بيوم نحس حسن فالتسار والابل للام يكن فيها خصوص

انهم لا يجمعون من
الابل قليلا بل يمجونه
كله لما ان ما التافيه
لا يعمل ما بعدها فيما
قبلها وبالسحار هم
يستغفرون أى هم مع
قلة هجوعهم وكثرة
تجدهم يدومون على
الاستغفار في السحار
كانهم أسلفوا اليهم
بافتراض الجرائم وفي بناء
الفعل على الضمير اشعار
بانهم الاتقصاء بان
يوصفوا بالاستغفار
كانهم المختصون به
لاستدانتهم له واطنا بهم
فيه (وفي أموالهم حق)

وتقييد جاز استعمال الباء فيهما فاذا قيدت ما وخصصتها زال ذلك الجواز يوم الجمعة
ساكن فيه خصوص لم يجز استعمال الباء وحيث زال الخصوص بالتصكير وقلت
خرجت يوم كذا عاد الجواز والسر فيه ان مثل يوم الجمعة وهذه الساعة وتلك الليلة وجد
فيها امر غير الزمان وهو خصوصيات وخصوصية الشيء في الحقيقة أمور كثيرة غير
محصورة عند العاقل على وجه التفصيل لكنها محصورة على الاجمال مثله اذا قلت هذا
الرجل فالعام فيه هو الرجل ثم انك لو قلت الرجل الطويل ما كان يصير مخصصا لكنه يقرب
من الخصوص ويخرج من القصار فان قلت ان العالم لم يصير مخصصا لكنه يخرج عن الجهال
فاذا قلت الزاهد فكذلك فاذا قلت ابن عمرو خرج عن ابنا يزيد وبكر وخالد وغيرهم فاذا
قلت هذا يتناول تلك التخصصات التي بأجمعها لا تجتمع الا في ذلك فاذن الزمان المتعين
فيه أمور غير الزمان والفعل حدث مقترن زمان لا ناشئ عن الزمان وأما في فصيح لان
ما حصل في العام فهو في الخاص لان العام أمر داخل في الخاص وأما في فصح لان
فيه الشيء فصيح أن يقال في يوم الجمعة وفي هذه الساعة وأما بحث اللام فتؤخره الى
موضعه وقد تقدم بعضه في تفسير قوله تعالى والشمس تجري مستقر لها وقوله لهم غير حال
عن فائدة قال الزمخشري فأنته انحصار المستغفرين أي لكما لهم في الاستغفار كأن غيرهم
ليس يستغفرونهم المستغفرون لا غير يقال فلان هو العالم لكما له في العلم كانه تفرد به وهو
جيد ولكن فيه فائدة أخرى وهي ان الله تعالى لا يعطف ولا يسحرهم يستغفرون على
قوله كانوا قايلا من الليل ما يجمعون فاولم يؤكده معنى الآيات بكلمتهم أصح أن يكون
معناه ولا يسحر قايلا ما يستغفرون تقول فلان قايلا ما يؤذي والى الناس يحسن قديهم
انه قليل الابداء قليل الاحسان فاذا قلت قايلا ما يؤذي وهو يحسن زال ذلك الفهم وظهر
فيه معنى قوله قليل الابداء كثير الاحسان والاستغفار يحتمل وجوها أحدها طلب المغفرة
بالذكر بقولهم ربنا اغفر لنا الثاني طلب المغفرة بالفعل أي بالاسحار يأتيون بفعل آخر طلبا
للعفوان وهو الصلاة أو غيرها من العبادات الثالث وهو أغربها الاستغفار من باب
استحصار الزرع اذا جاء أو ان حصاده فكانهم بالاسحار يستحقون المغفرة ويأتيهم أو ان
المغفرة فان قيل فالله لم يؤخر مغفرتهم الى السحر نقول وقت السحر تجتمع ملائكة الليل
والنهار وهو الوقت المشهود فيقول الله على ملائمتهم اني صغرت لعبدي والاول أظهر
والثاني عند المفسر بن أشهر * ثم قال تعالى (وفي أموالهم حق للسائل والمحروم) وقد
ذكرنا مرارا ان الله تعالى بعد ذكر تعظيم نفسه بذكر الشفقة على خلقه ولا شك ان قليل
الهمجوع المستغفر في وجوه الاسحار وخدمته التعظيم العظيم فأشار الى الشفقة بقوله
وفي أموالهم حق وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اضاف المال اليهم وقال في مواضع
أنفقوا مآثر زككم الله وقال وعمار زقناهم يتفقون نقول سببه ان في تلك المواضع كان
الذكر للثمن فذكر معه ما يدفع الحث ويرفع المانع فزال هورزق الله والله يرزقكم

أي نصيب وافر
يستوجبونه على
أنفسهم تفر إلى الله
تعالى واشفاقا على الناس
(للسائل والمحروم)
للمستجدي والمحتاج
الذي يحسبه الناس غني
فبحرم الصدقة (وفي
الارض آيات للوقنين)
أي دلائل واضحة على
شؤنه تعالى على
التفصيل من حيث انها
مدحوة كالسباط المهد
وفيها مسائل وفجاج
المتقلين في أقطارها
والسالكين في مناكبها
وفيها سهل وجبل وبر

فلا تخافوا الفقر واعطوا وأما ههنا فمدح على ما فعلوه فلم يكن إلى الحرص حاجة (المسئلة الثانية) المشهور في الحق انه هو القدر الذي علم شرعا وهو الزكاة وحيث لا يبيّن هذا صفة مدح لان كون المسلم في ماله حق وهو الزكاة ليس صفة مدح لان كل مسلم كذلك بل الكافر اذا قلنا انه مخاطب بفروع الاسلام في ماله حق معلوم غير انه اذا أسلم سقط عنه وان مات عوقب على تركه وان ادى من غير الاسلام لا يقع الموضع فكيف يفهم كونه مدحا نقول الجواب عنه من وجوه أحدها ان انفسر السائل عن مطلب شرعا والمحرّم هو الذي لا يمكن له من الطلب ومنعه الشارع من المطالبة ثم ان المنع قد يكون لكون الطالب غير مستحق وقد يكون لكون المطلوب منه لم يبق عليه حق فلا يطلب فقال تعالى في ماله حق للطالب وهو الزكاة ولغير الطالب وهو الصدقة المنتطوع بها فان ذلك المالك لا يطلب بها ولا يحرم الطالب منه طلبا على سبيل الجزية والزكاة بل يسأل بل يسأل سؤال اختياريا فيكون حينئذ كانه قال في ماله زكاة وصدقة والصدقة في المسال لا تكون الا بغيره هو ذلك وتقديره وافرازه للفقراء والمساكين الجواب الثاني هو ان قوله وفي أموالهم حق للسائل أى مالهم ظرف لحقوقهم فان كلمة في الظرفية لكن الظرف لا يطلب الا للظروف فكانه تعالى قال هم لا يطلبون المال ولا يجمعونه الا ويجمعونه ظرفا للحق ولا شك ان المطلوب من الظرف هو المظروف والظرف مالهم فجعل مالهم ظرفا للحقوق ولا يكون فوق هذا مدح فان قيل فلوقبل مالهم السائل هل كان أبلغ قلنا لا وذلك لان من يكون له أربعون دينارا فنصدق بها لا تكون صدقته دائمة لكن اذا اجتهد وأجر وطاش سنين وأدى الزكاة والصدقة يكون مقدار المؤدى أكثر وهذا كافي الصلاة والصوم لو أضعف واحد نفسه بهما حتى عجز عنهما لا يكون مثل من اقتصد فيهما واليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق فان التبت لا رضاء قطع ولا ظمرا أبقي وفي السائل والمحروم وجوه أحدها ان السائل هو الناطق وهو الآدمي والمحروم كل ذي روح غيره من الحيوانات المحرمة قال النبي صلى الله عليه وسلم لكل كبد حري أجر (وثانيها) وهو الاظهر والاشهر أن السائل هو الذي يسأل والمحروم المتعفف الذي يحسبه بعض الناس غنيا فلا يعطيه شيئا والاول كقوله تعالى كلوا وارعوا أنعامكم والثاني كقوله وأطعموا القانع والمعتز فالقانع كالمحروم فان قيل على الوجه الاول الترتيب في غاية الحسن فان دفع حاجة الناطق مقدم على دفع حاجة البهائم فما وجه الترتيب في الوجه الثاني نقول فيه وجهان أحدهما ان السائل اندفاع حاجته قبل اندفاع حاجة المحروم في الوجود لانه يعرف حاله بماله ويطلب لقله ماله فيقدم بدفع حاجته والمحروم غير معلوم فلا تندفع حاجته الا بعد الاطلاع عليه فكان الذكر على الترتيب الواقع وثانيها هو ان ذلك إشارة الى كثرة العطاء فيقول يعطى السائل فاذالم يجدهم يسأل هو عن المحتاجين فيكون سائلا ومسؤالا (الثالث) هو ان المحاسن اللفظية غير مبهورة في الكلام الحكيمى فان قول

وبحر وقطع متجاورات
وعيون متفجرة ومعادن
مفتنة وانها تلقح بألوان
النبات وأنواع الاشجار
وأصناف الثمار المختلفة
الالوان والطعوم
والروائح وفيها دواب
متنفة قدر تب كل ما ودبر
لنفسهم سساكتها
ومصالحهم في صحتهم
واعتلالهم (وفي أنفسكم)
أى وفي أنفسكم آيات
اذ ليس في العالم شئ الا
وفي الانفس له نظير
يدل دلالته على ما انفرد
به من الهيئات النافعة
والمناظر البهية

القائل ان رجوعهم الينا وعلينا حسابهم ليس بقوله تعالى ان الينا اياهم ثم ان علينا حسابهم والكلام له جسم وهو اللفظ وله روح وهو المعنى وكأن الانسان الذي نور روحه بالمعرفة يذبح أن نور جسمه الظاهر بالنظافة كذلك الكلام ورب كلمة حكيمه لا تؤثر في النفوس لركاكة لفظها اذا عرفت هذا فقولاه وبالسبحارهم يستغفرون وفي أموالهم حق للسائل والمحروم أحسن من حيث اللفظ من قولنا وبالسبحارهم يستغفرون وفي أموالهم حق للمحروم والسائل فان قيل قدم السائل على المحروم ههنا لما ذكرت من الوجوه ولم قدم المحروم على السائل في قوله القانع والمعتز لان القانع هو الذي لا يسأل والمعتز السائل نقول قد قيل ان القانع هو السائل والمعتز الذي لا يسأل فلافارق بين الموضوعين وقيل بان القانع والمعتز كلاهما لا يسأل لكن القانع لا يتعرض ولا يخرج من بيته والمعتز يتعرض للاخذ بالسلام والتردد ولا يسأل وقيل بان القانع لا يسأل والمعتز يسأل فعلى هذا فلهم البدنة يفرق من غير مطالبة ساع أو مستحق مطالبة جزية والزكاة لها طاب وسائل هو الساعي والامام فتو له للسائل اشارة الى الزكاة وقوله والمحروم أى المنوع اشارة الى الصدقة المتطوع بها واحداهما قيل الاخرى بخلاف اعطاء الخيم * ثم قال تعالى (وفي الارض آيات للوقنين) وهو يحتمل وجهين أحدهما أن يكون متعلقا بقوله انما نوعدون لصادق وان الدين لواقع وفي الارض آيات للوقنين تدلهم على ان الخسر كائن كما قال تعالى ومن آياته انك ترى الارض خاشعة الى ان قال ان الذي أحياها لمحبي الموت وثانيهما أن يكون متعلقا بأفعال المتقين فانهم خافوا الله فعظموا فاعظموا الشفقة على عبادهم وكان لهم آيات في الارض وفي أنفسهم على اصابتهم الحق في ذلك فان من يكون له في الارض الآيات العجيبة يكون له القدرة النامة فيخشى ويتقى ومن له في أنفس الناس حكمة رابعة ونعم سابقة يستحق أن يعبد ويترك الهجوع لعبادته واذا قابل العبد العبادة بالنعمة يجدها دون حد الشكر فيستغفر على التقصير واذا علم أن الرزق من السماء لا يتخلل بماله فالآيات الثلاثة المناخرة فيها تقرر ما تقدم وعلى هذا فتو له تعالى فو رب السماء والارض يكون عود الكلام بعد اعتراض الكلام الاول أقوى وأظهر وفيه مسائل (المسئلة الاولى) كيف خصص الموقنين بكون الآيات لهم مع ان الآيات حاصله لكل قال تعالى وآية لهم الارض الميتة احييناها نقول قد ذكرنا ان الميمين آخر ما أتى به المبرهن وذلك لانه أول ما أتى بالبرهان فان صدق فذلك وان لم يصدق لا بد له من أن ينسبه الخصم الى اصرار على الباطل لانه اذا لم يقدر على قدح فيه ولم يصدق به يعترف له بقوة الجدل وينسبه الى المكابرة فيتمين طريقه في الميمين فاذا آيات الارض لم تفدهم لان الميمين بقوله والذاريات ذروا دلت على سبق اعلمة النباتات وذكر الآيات ولم يقدح فيهما وفي الارض آيات للوقنين وان لم يحصل للمصر المغانم منها فائدة وأما في سورة يس وغيرها من المواضع التي جعل فيها آيات الارض العامة لم يحصل فيها الميمين

والتي ليست العجيبة
والتمكن من الافعال
البديعة واستنباط
الصنائع المختلفة
واستجماع الكمالات
المتنوعة (أفلا تبصرون)
أى ألا تنظرون فلا
تبصرون بعين البصيرة
(وفي السماء رزقكم)
أى اسباب رزقكم أو
تقديره وقيل المراد
بالسحاب السحاب وبالرزق
المطر فانه سبب الاقوات
(وما توعدون) من
الثواب لان الجنة في
السماء السابعة أولان
الاعمال وثوابها مكتوبة
مقدرة في السماء وقيل
انه مبدأ خبره قوله تعالى

وذكر الآيات قبله فجاز أن يقال ان الأرض آيات لمن ينظر فيها (الجواب الثاني) وهو
الاصح أن هنا الآيات بالفعل والاعتبار للمؤمنين أي حصل ذلك لهم وحيث قال لكل
معناه أن فيها آيات لهم ان نظروا وتأملوا (المسئلة الثانية) ههنا قال وفي الأرض آيات
وقال هناك آية لهم الأرض نقول لما جعل الآية للموقنين ذكر بلفظ الجمع لان الموقن
لا يتقل عن الله تعالى في حال ويرى في كل شيء آيات دالة وأما العاقل فلا يشبه الأعمور
كثيرة فيكون الكل له كالآية الواحدة * ثم قال تعالى (وفي أنفسكم أفلا تبصرون)
اشارة الى دليل الانفس وهو كقوله تعالى سزبهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم
وانما اختار من دلائل الآفاق ما في الأرض اظهرها لمن علان ظهورها فان أطرافها
وأكنافها ما لا يمكن عد أصنافها فدليل الانفس في قوله وفي أنفسكم عام ويحتمل أن يكون
مع المؤمنين وانما أتى بصيغة الخطاب لانها أظهر لكون علم الانسان بما في نفسه أتم
وقوله تعالى وفي أنفسكم يحتمل أن يكون المراد وفيكم يقال المجازة في نفسها صلبة ولا يراد
بها النفس التي هي منبع الحياة والحس والحركات ويحتمل أن يكون المراد وفي نفوسكم
التي بها حياتكم آيات وقوله أفلا تبصرون بالاستفهام اشارة الى ظهورها * وقوله تعالى
(وفي السماء رزقكم) فيه وجوه أحدها في السحاب المطر ثانياً في السماء رزقكم مكتوب
ثالثاً تقدير الرزاق كلها من السماء ولولاها لما حصل في الأرض حبة قوت وفي الآيات
الثلاث ترتيب حسن وذلك لان الانسان له أمور يحتاج اليها لا بد من سببها حتى يوجد هو
في نفسه وأمور تقارنه في الوجود وأمور تلحقه وتوجد بعده ليتبين بها فالأرض هي المكان
والله يحتاج الانسان ولا بد من سببها فقال وفي الأرض آيات ثم في نفس الانسان أمور
من الاجسام والاعراض فقال وفي أنفسكم ثم بقاؤه بالرزق فقال وفي السماء رزقكم
ولولا السماء لما كان للناس البقاء وقوله تعالى (وماتوا عدون) فيه وجوه أحدها الجنة
الموعود بها لانها في السماء ثانياً هي من الابعاد لان البناء للمفعول من أوعدهم يوعدهم أي
وماتوا عدون امان الجنة والثار في قوله تعالى يومهم على النار وقوله ان المتقين في جنات
فيكون ابعاداً عاماً واما من العذاب وحينئذ يكون الخطاب مع الكفار فيكون كانه تعالى
قال وفي الأرض آيات للموقنين كافية وأما أنتم أيها الكافرون ففي أنفسكم آيات هي
أظهر الآيات وتكفرون بها لحطام الدنيا وحب الرياسة وفي السماء الرزاق فلو نظرتم
وتأملتم حق التأمل لما تركتم الحق لاجل الرزق فانه اصل بكل طريق ولا جنبتكم
الباطل انتقاء ماتوا عدون من العذاب النازل * ثم قال تعالى (فارب السماء والأرض
انه لحنى مثل ما أنكم تنطقون) وفي المقسم عليه وجوه (أحدها) ماتوا عدون أي
ماتوا عدون لحنى يؤيده قوله تعالى انما تواعدون لصادق وعلى هذا يعود كل ما قلناه في وجوه
ماتوا عدون ان قلنا ان ذلك هو الجنة فالقسم عليه هو هي (ثانيها) الضمير راجع الى القرآن
أي ان القرآن حق وفيما ذكرنا في قوله تعالى يؤفك عنه دليل هنا وعلى هذا فقولته مثل

(فارب السماء والأرض
انه لحنى) على أن الضمير
لما وأما على الاول فاماله
واما لما ذكر من أمر
الآيات والرزق على أنه
مستعار لاسم الاشارة
(مثل ما أنكم تنطقون)
أي كما أنه لاشك لكم
في أنكم تنطقون ينبغي
أن لا تشكوا في حقيقته
ونصبه على الحالية من
المستكن في لحنى أو على
أنه وصف لمصدر
مخدوف أي انه لحنى
حنفاً مثل نطقكم وقبل
انه مبنى على الفتح
لاضافته الى غير متمكن
وهو ما ان كانت عبارة
عن شيء وأن بما في
حيث هان جعلت زائدة
ومحله الرفع على أنه
صفة لحنى وبؤيده
القراءة بالرفع

ما أنكم تنطقون معناه تكلم به الملك النازل من عند الله به مثل ما أنكم تتكلمون
وسنذكره (ناشرا) أنه راجع إلى الدين كما في قوله تعالى وإن الذين أوقع (رابعها) أنه راجع
إلى اليوم المذكور في قوله أيان يوم الدين يدل عليه وصف الله اليوم بالحق في قوله تعالى
ذلك اليوم الحق (شامسها) أنه راجع إلى القول الذي يقال هذا الذي كنتم به تستجلون
* وفي التفسير مباحث الأول الفاء تستدعي تعقيب أمر لأمر فالأمر المتقدم تقول فيه
وجهان أحدهما الدليل المتقدم كأنه تعالى يقول اعلموا عذر الحق بالبرهان المبين ثم
بالقسم واليمين ثانياً بينهما القسم المتقدم كأنه تعالى يقول والذاريات ورب السماء
واذرؤ * وعلى هذا يكون الفاء حرف عطف أعيد معه حرف القسم كإبعاد الفعل إذ
يصح أن يقال وممرت بعمر * وقوله والذاريات ذروا الخاملات وقرأ عطف من غير
إعادة حرف القسم وقوله فورب السماء مع إعادة حرفه * والسبب في وقوع الفصل بين
القسمين ويحتمل أن يقال الأمر المقسم هو بيان اثواب في قوله يومهم على النار
يفتون وقوله المؤمنين في جنات وفيه فائدة وهو أن الفاء تكون تنبيها على أن الحاجة
إلى اليمين مع ما تقدم من الكشف المبين فكانه يقول ورب السماء والارض انه الحق كما
يقول القائل بعد ما يظهد عواء هذا والله ان الامر كما ذكرت فيؤكده قوله باليمين ويشير
إلى ثبوته من غير عين (البحث الثاني) أقسم من قبل الامور الارضية وهي الرياح والسماء
في قوله والسماء ذات الحجب ولم يقسم بربها وههنا أقسم بربها تقول كذلك الترتيب
يقسم التكم أولا بالادنى ثم لم يصدق في رتبة الاسلى وله سندا قال بعض الناس اذا قال
قائل حيايتك والله لا يكفر واذا قال والله وحيايتك لا شك يكفر وهذا استشهاد وان كان
الامر على خلاف ما قاله ذلك القائل لان الكفر ما باناب أو بالانقض الظاهر في أمر القلب
أو بالفعل الظاهر وما ذكره ليس بظاهر في تعظيم جانب غير الله والعجب من ذلك القائل
أنه لا يجعل التأخير في الذكر مفيدا للترتيب في الوضوء وغيره (البحث الثالث) قرئ مثل
بالرفع وحيد يكون وصفا لقوله الحق ومثل وان أضيف إلى المعرفة لا يخرج منه عن جواز
وصف المنكر به يقول رأيت رجلا مثل غرو لانه لا يفقه تعريفا لانه في غاية الإبهام
وقرئ مثل بالنصب ويحتمل وجهين أحدهما أن يكون مفتوحا لاضافة إلى ما هو
ضعيف والاجاز أن يقال زيد قائل من يعرفه أو ضارب من يشتم ثانياً بينهما أن يكون
منصوبا على البيان تقديره الحق حقا مثل ويحتمل أن يقال انه منصوب على أنه صفة مصدر
معلوم غير مذكور ووجهه اننا دللنا أن المراد من الضمير في قوله انه هو القرآن فكانه قال
ان القرآن الحق نطق به الملك نطقا مثل ما أنكم تنطقون ومجاور لا شك فيه * ثم قال
تعالى (هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين) إشارة إلى تسليط قلب النبي صلى الله
عليه وسلم ببيان أن غيره من الانبياء عليهم السلام كان مثله واختار ابراهيم لكونه شيخ
المرسلين وكون النبي عليه الصلاة والسلام على سنته في بعض الاشياء وانذار قومهم بما

(هل أتاك حديث
ضيف ابراهيم) تفخيم
لأن الحديث وتنبية
على أنه ليس مما علمه
رسول الله صلى الله
عليه وسلم بغير طريق
الوحى والضيف في
الاصل مصدر ضافه
ولذلك يطلق على
الواحد والجماعة
كالزور والصوم وكانوا
اثنى عشر ملكا وقبل
تسعة عشرهم جبريل
وقبل ثلاثة جبريل
وميكائيل وملك آخر
معهما عليهم السلام
وتسميتهم ضيفا لانهم
كانوا في صورة الضيف
حيث أضافهم ابراهيم
عليه السلام أولانهم
كانوا في حسبانته كذلك
(المكرمين) أى المكرمين
عند الله تعالى أو عند
ابراهيم حيث خدمهم
بنفسه وبزوجته

(اذخلوا عليه) طرق الحديث ﴿ ٦٦٧ ﴾ أوليا في الضيف من معنى الشغل والمكرمين أنفسنا كرام ابراهيم

(فقالوا سلاما) أى
نسلم عليك سلاما
(قال) أى ابراهيم
(سلام) أى عليكم
سلام عدل به الى الرفع
بالابتداء لاقصد
الى اثبات والدوام
حتى تكون تحيته عليه
الصلاة والسلام أحسن
من تحيتهم وقرئنا
مر فوعين وقرئ سلم
وقرئ منصوبا والمعنى
واحد (قوم منكرون)
أذكرهم عليه الصلاة
والسلام للسلام الذى
هو علم الاسلام أو لانهم
ليسوا من عهد من
الناس أولان أو ضاعهم
وأشكالهم خلاف
ما عليه الناس وأصله
عليه الصلاة والسلام
انما قاله فى نفسه من غير
أن يشعرهم بذلك لأنه
خاطبهم به جهرا
أو سألهم أن يعرفوه
أنفسهم كما قيل والا
لكشفوا أحوالهم
عند ذلك ولم يتصد
عليه الصلاة والسلام
للتقدمات الضابطة

جرى من الضيف ومن ازال الحجارة على المذنبين المضلين وفيه مسائل (المسئلة الاولى)
اذا كان المراد ما ذكرت من التسليية والانداز فأى فائدة فى حكاية الضابطة نقول ليكون
ذلك اشارة الى الفرج فى حق الانبياء والبلاء على الجملة والاعبياء اذ جاءهم من حيث
لا يحتسب * قال الله تعالى فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا فلم يكن عند ابراهيم عليه
السلام خبر من ازال العذاب مع ارتفاع مكانته (المسئلة الثانية) كيف سعادهم ضيفا
ولم يكونوا نقول لما حسبهم ابراهيم عليه السلام ضيفا لم يكذب الله تعالى فى حساباته اكراما
له يقال فى كلمات المحققين الصادق يكون ما يقول والصدىق يقول ما يكون (المسئلة
الثالثة) ضيف لفظ واحد والمكرمين جمع فكيف وصف الواحد بالجمع نقول الضيف يقع
على القوم يقال قوم ضيف ولانه مصدر فيكون كلفظ الرزق مصدرا وانما وصفهم
بالمكرمين اما لكونهم عبادا مكرمين كما قال تعالى بل عباد مكرمون واما لكرام
ابراهيم عليه السلام اياهم قال قبل بماذا أكرمهم قلنا يشاءة الوجد أو لاولا بالاجلاس
فى أحسن المواضع وأطفها ثانيا وتجميل الثرى ثالثا وبعدم التكليف للضيف بالاكل
والجلوس وكانوا عدة من الملائكة وقول ثلاثة جبريل وميكائيل وثالث وفى قول
عشرة وفى آخر اثنا عشر (المسئلة الرابعة) هم ارسلوا العذاب بدليل قواهم انما ارسلنا الى
قوم مجرمين وهم لم يكونوا من قوم ابراهيم عليه السلام وانما كانوا من قوم لوط فا
الحكمة فى مجيئهم الى ابراهيم عليه السلام نقول فيه حكمة بالغة وبيانها من وجهين
أحدهما أن ابراهيم عليه السلام شيخ نرسلين وكل لوط من قومه ومن اكرام الملك الذى
فى عهده وتحت طاعته اذا كان يرسل رسولا الى غيره قول لى اعبر على فلان الملك وأخبر
برسالتك وخذ فيها رأيه ونائبهما هو الله تعالى قد أنزلنا قوما كثيرا وجا غفيرا
وكان ذلك ما يحزن ابراهيم عليه السلام شفقة منه على عباد قال لهم بشروه بغلام يخرج
من صلبه أضاعق ما بهلاك ويكون من صلبه خروجه الانبياء عليهم السلام * ثم قال تعالى
(اذخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون) وفيه مسائل (المسئلة الاولى)
ما العامل فى اذفيه وجوه (أحدها) ما فى المكرمين من الاشارة الى الفعل ان قلنا وصفهم
بكونهم مكرمين بناء على أن ابراهيم عليه السلام أكرمهم فيكون كأنه تعالى يقول
اكرموا اذخلوا وهذا من شأن الكريم أن يكرم ضيفه وقت الدخول (ثانيها) ما فى
الضيف من الدلالة على الفعل لاننا قلنا ان الضيف مصدر فيكون كأنه يقول أضافهم
اذدخلوا (وثالثها) يحتمل أن يكون العامل فيه أنك تقديره ما أنك حديثهم وقت
دخولهم فاسمع الآن ذلك لان هل ليس الاستفهام فى هذا الموضع حقيقة بل للاعلام
وهذا أولى لانه فعل مصرح به ويحتمل أن يقال اذ كر اذخلوا (المسئلة الثانية)
لماذا اختلف اعراب المسلمين فى القراءة المشهورة نقول نبين أولا وجوه النصيب
والرقم ثم نبين وجوه الاختلاف فى الاعراب اما النصيب فيحتمل وجوها (أحدها)

أن يكون المراد من السلام هو التحية وهو المشهور ونصبه حينئذ على المصدر تقديره تسليم
سلاما (ثانيها) وأن يكون السلام نوعا من أنواع الكلام وهو كلام سلم به المتكلم من
أن يلقوا أو يأثم فكانهم لما دخلوا عليه فقالوا أحسبنا سلموا من الأثم وحينئذ يكون
مفعولا للقول لأن مفعول القول هو الكلام يقال قال فلان كلاما ولا يكون هذا من باب
ضربه سوطا لأن المضروب هناك ليس هو السوط وههنا القول هو الكلام ففسره قوله
تعالى وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وقوله تعالى قلا سلاما سلاما (ثالثها) أن
يكون مفعول فعل محذوف تقديره تبلغك سلاما لا يقال على هذا أن المراد لو كان ذلك
لعلم كونهم رسل الله عند السلام فما كان يقول قوم منكرون ولا كان يقرب اليهم
الطعام ولما قال نكرهم وأوجس لانا نقول جاز أن يقال إنهم قالوا تبلغك سلاما
ولم يقولوا من الله تعالى إلى أن سألهم إبراهيم عليه السلام من تبايعوني السلام وذلك لأن
الحكيم لا يأتي بالامر العظيم إلا بالتدريج فلما كانت هيتهم عظيمة فلو ضوا إليه الامر
العظيم الذي هو السلام من الله تعالى لارتج إبراهيم عليه السلام ثم إن إبراهيم عليه
السلام اشتغل يا كرامهم عن سؤالهم وآخر السؤال إلى حين الفراغ فنكرهم بين
السلام والسؤال عن منه السلام هذا وجه النصب وأما الرفع فنقول يحتمل أن المراد
منه السلام الذي هو التحية وهو المشهور أيضا وحينئذ يكون مبتدأ خبره محذوف
تقديره سلام عليكم وكون المبتدأ نكرة يحتمل في قول القائل سلام عليكم وويل له أو خبر
مبتدأ محذوف تقديره جوابه سلام ويحتمل أن يكون المراد قولا يسلم أو ينبي عن
السلامة فيكون خبره مبتدأ محذوف تقديره أمرى سلام بمعنى مسألة لا تعلق بيني
وبينكم لاني لا أعرفكم أو يكون المبتدأ قولكم تقديره قولكم سلام ينبي عن السلامة
وأنتم قوم منكرون فاخطبكم فان الامر أشكل على وهذا ما يحتمل أن يقال في
النصب والرفع وأما الفرق فنقول اما على التفسير المشهور وهو أن السلام في الموضعين
بمعنى التحية فتقول الفرق بينهما من حيث اللفظ ومن حيث المعنى (أما من حيث اللفظ
فنقول سلام عليك إنما يجوز واستحسن لكونه مبتدأ وهو نكرة من حيث أنه كالمتروك
على أصله لأن الأصل أن يكون منصوبا على تقدير أسلم سلاما وعليك يكون لبيان
من أريد بالسلام ولا يكون عليك حظ من المعنى غير ذلك البيان فيكون كالحارج عن
الكلام والكلام التام أسلم سلاما كما أنك تقول ضربت زيدا على السطح يكون على
السطح خارجا عن الفعل والفاعل والمفعول لبيان مجرد الظرفية فاذا كان الامر
كذلك وكان السلام والادعية كثيرا لوقوع قالوا تعدل عن الجملة الفعلية إلى الاسمية
وتجعل عليك حظا في الكلام فتقول سلام عليك فتصير عليك لفائدة لا بد منها وهي
الخبرية ويترك السلام نكرة كما كان حال النصب اذا علم هذا فالنصب أصل والرفع
ما أخذ منه والأصل مقدم على المأخوذ منه فقال قالوا سلاما قال سلام قدم الأصل على

المفرع منه (وأما المعنى) فذلك لأن إبراهيم عليه السلام أراد أن يرد عليهم بالأحسن فأتى بالجملة الاسمية فانها أدل على الدوام والاستمرار فان قولنا جلس زيد يدينى* عنده لأن الفصل لا يدينه من الانبياء عن التجدد والحدوث ولهذا لو قلت الله موجود الآن لاثبت العقل الدوام اذ لا يدينى* عن التجدد واوقال قائل وجد الله الآن انكاد ينكره العاقل لما بينا فلما قالوا سلام ما قال سلام عليكم مستمر دائم وأما على قولنا المراد القول ذو السلامة فظاهر الفرق فانهم قالوا قولا ذوا سلام وقال لهم إبراهيم عليه السلام سلام أى قولكم ذو سلام وأنتم قوم منكرون فالتبس الامر على وان قولنا الرد أمرى مسألة ومتاركة وهم سلوا عليه تسليما فتقول فيه جمع بين أمرين تعظيم جانب الله ورعاية قلب عباده فانه اوقال سلام عليكم وهو لم يعلم ~~ك~~ ومنهم من عباد الله الصالحين كان يجوز ان يكونوا على غير ذلك فيكون الرسول قد آمنهم فان السلام أمل وأمان الرسول أمان المرسل فيكون فاعلا للامر من غير اذن الله تنبأ عن الله فقال أنتم سالمون على وأنا متوقف أمرى متاركة لاتعلق بيشا الى أن يبين الحال ويدل على هذا هو أن الله تعالى قال واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وقال في مثل هذا المعنى النبي صلى الله عليه وسلم فاصفهم عنهم وقل سلام ولم يقل قل سلاما وذلك لان الاختيار المذكورين في القرآن لو سلوا على الجاهلين لا يكون ذلك سببا لحرمة التعرض اليهم وأما النبي صلى الله عليه وسلم اوسلم عليهم لصار ذلك سببا لحرمة التعرض اليهم فقال قل سلام أى أمرهم متاركة تركناه الى أن يأتي أمر الله بأمر وأمان على قولنا معنى نبلغ سلاما فنقول لهم لما قالوا بئنا لك سلاما ولم يعلم إبراهيم عليه السلام أنه من قال سلام أى ان كان من الله فان هذا منه قد ازداد به شرفى والا فدينى* منه سلام وبه شرفى ولا أنشرف بسلام غيره هذا ما يمكن أن يقال فيه والله أعلم بمراده والاول والثاني عليهما الاعتماد فانهما أقوى وقد قيل بهما (المسئلة الثالثة) قال في سورة هود فلما رأى أيديهم لانتصل اليه نكروهم فدل على ان انكارهم كان حاسلا بعد تقريره الجهل منهم وقال ههنا قال سلام قوم منكرون* ثم قال تعالى (فراغ الى أهله فجاء بعجل سمين فقربه اليهم قال ألا تأكلون) فجاء المتعجب فدل على أن تقرير الطعام منهم بعد حصول الانكار لهم فبالوجه فيه نقول جاز أن يحصل ولا عنده منهم نكر ثم زاد عندنا مساكنهم والذي يدل على هذا هو أنهم كانوا على شكل وهية غير ما يكون عليه الناس وكانوا في أنفسهم عند كل أحد منكروين واشترك إبراهيم عليه السلام وغيره في هذا لم يقل أنكر تكلم بل قال أنتم منكرون في أنفسكم عند كل أحد منكم ان إبراهيم عليه السلام تفرد بمشاهدة أمر منهم هو الامساك فنكرهم فوق ما كان منهم بالنسبة الى الكل الحسالة في سورة هود محكية على وجه ابسط مما ذكره ههنا فان ههنا بين البشر به وههنا ذكر باسمه وهو اسحق ولم يقل ههنا ان القوم قوم من وههنا قال قوم لوط وفي الجملة من تأمل السورتين يعلم أن الحكاية محكية هناك على وجه

(فراغ الى أهله) أى
ذهب اليهم على خفية
من ضيفة فان من أدب
الضيف ان يبادره بالقرى
ويبادره حذرا من
أن يكفه ويعذره أو بصير
مشظرا والفاء في قوله
تعالى (فجاء بعجل سمين)
الفاء فصحة مقصحة عن
جل قد حذفت نغمة
بدلالة الحال عليها
وايدانا بكمال سرعة
المجيء بالطعام كما في
قوله تعالى فقلنا اضرب
بعضناك الحجر فانطلق
أى فذبح عجلا فخذ
فجاء به (فقر به اليهم)
بأن وضعه لديهم حسبا
هو المعتاد (قل ألا
تأكلون) انكارا لعدم
نعر منهم الاكل

الاضافة أبسط فذكر فيها النكتة الزائدة ولم يذكر ههنا ولتعادى بيان ما أتى به من آداب
 الاضافة وما أتوا به من آداب الضيافة فلا كرام أو لآمن جاءه ضيف قبل أن يجتمع به ويسلم
 أحدهما على الآخر أنواع من الاكرام وهي اللقاء الحسن والخروج اليه والتمهيد له
 ثم السلام من الضيف على الوجه الحسن الذي دل عليه النصب في قوله سلاما اعالا لكونه
 مؤكدا بالمصدر او لكونه مبلغا من هو أعظم منه ثم الرد الحسن الذي دل عليه الرفع
 والامساك عن الكلام لا يكون فيه وفاء ان قلنا ان ابراهيم عليه السلام لم يقل سلام
 عليكم بل قال امرى مسألة أو قولكم سلام و سلامكم منكر فان ذلك وان كان محلا
 بالاكرام لكن العذر ليس من شيم الكرام وموادة أعداء الله لا تلقى بالانبياء عليهم
 السلام ثم تعجل القرى الذي دل عليه قوله تعالى فإلثب أن جاء وقوله ههنا فراغ فان
 الروغان يدل على السرعة والروع الذي يعنى النظر الخفى أو الاراح الخفى أيضا كذلك ثم
 الاخفاء فالضيف اذا حضر شيئا ينبغي أن يخفيه عن الضيف كي لا ينعمه من الاحضار
 بنفسه حيث راغ هو ولم يقل هاتوا وغية المضيف لحظة من الضيف مستحسن ليستريح
 ويأتى بدفع ما يحتاج اليه وينعمه الحياء منه ثم اختيارا لاجود بقوله سمين ثم تقديم
 الطعام اليهم لانقلهم الى الطعام بقوله فتربه اليهم لان من قدم الطعام الى قوم يكون كل
 واحد مستغنى من غيره لا تخلف عليه المكان فان نقلهم الى مكان الطعام ربما يحصل
 هناك اختلاف جلوس فيقرب الأدنى بضيق على الأعلى ثم العرض الامر حيث قال
 اذا أكلون ولم يقل كلوا ثم يكون المضيف مسرورا بأكلهم غير مسرور بتركهم
 الطعام كما يوجد في بعض الخلاء المسكفين الذين يحضرون طعما كثيرا ويكولونه
 ونظر أهل بيته في الطعام متى تمسك الضيف يده عنه يدل عليه قوله تعالى (وأوحس منهم
 خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم) ثم أدب الضيف أنه اذا أكل حفظ حق
 الماء كله يدل عليه أنه خافهم حيث لم يأكلوا ثم وجوب اظهار العذر عند الامساك يدل
 عليه قوله لا تخف ثم تحسين العبارة في العذر وذلك لان من يكون محتفيا وأحضر اديه
 الطعام قوله فهبتك أمران أحدهما أن الطعام لا يصلح له لكونه مصرا به الثانى كونه
 ضعيف القوة عن هضم ذلك الطعام فينبغى أن لا يقول المضيف هذا طعام غليظ لا يصلح لى
 بل الحسن أن يأتي بالعبارة الاخرى ويقول لى مانع من أكل الطعام وفي يتي لأكل
 أيضا شيئا يدل عليه قوله وبشروه بغلام حيث فهموه أنهم ليسوا بمن يأكلون ولم يقولوا
 لا يصلح لنا الطعام والشراب ثم أدب آخر في البشارة أن لا يخبر الانسان بما يسره دفعة فانه
 يورث مرضا يدل عليه أنهم جلسوا واستأنس بهم ابراهيم عليه السلام ثم قالوا نبشركم
 ذكر وأشرف النوعين وهو الذكور ولم يقتنعوا به حتى وصفوه بأحسن الاوصاف فان
 الابن قد يكون دون البنت اذا كانت البنت كاملة الخلقة حسنة الخلق والابن بالضد
 ثم انهم تركوا سائر الاوصاف من الحسن والجمال والقوة والسلامة واخاروا العلم اشارة

(فاوحس منهم) أضمر
 في نفسه (خيفة) لتوهم
 أنهم جاؤا للشر وقيل
 وقم في قلبه أنهم ملائكة
 جاؤا للعذاب (قالوا
 لا تخف) قيل مسح
 جبريل عليه السلام
 العجل بمخاضه فقام
 يدرج حتى لحق بأمه
 ففرهم وأمن منهم
 (وبشروه) وفي سورة
 الصافات وبشراه أى
 بواسطتهم (بغلام)
 هو امحق عليه السلام
 (عليم) عند بلوغه
 واستوائه

(فاقبلت امرأته) سارة لما سمعت بشارتهم * ٦٧١ أي يتنهاوا كانت في زاوية تنظر إليهم (في صرة) في صهيقة

إلى أن العلم رأس الاوصاف ورئيس النعوت وقد ذكرنا فائدة تقديم الإشارة على الاخبار عن اهلاكم قوم اوط ليعلم أن الله تعالى بها لكمهم إلى خلف و يأتي بيدهم خير امهم * ثم قال تعالى (فاقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم) أي أقبلت على أهلها و أولك لأنها كانت في خدمتهم فلما نكحوا مع زوجها بولادتها استخيت وأغرست عنهم فذكر الله تعالى ذلك بلفظ الاقبال على الأهل ولم يقل بلفظ الإخبار عن الملائكة وقوله تعالى في صرة أي صهيقة كما جرت عادة النساء حيث يستعن شيئاً من أحوالهن يصحن صهيقة معادة لهن عند الاستنجاء أو التعجب ويحتمل أن يقال تلك الصهيقة كانت بقولها يا ويلتنا تدل عليه الآية التي في سورة هود ووصك الوجه أيضاً من عادتهن واستبعدت ذلك لوصفين من اجتماعهما أحدهما كبر السن والثاني اعمق لأنها كانت لا تلد في سنه سنهنا وعندنا من شأنها ثم عجرت وأست فاستبعدت فكأنها قالت يا ليتكم تدعون دعاء قريباً من الاجابة فلما علم أن ذلك منهم كإصدار من الضيف على سبيل الاخبار من الادعية يقول الداعي الله يعطيك مالا و رزقك و لذا فقاوه و هـ امانا ليس بدعا، و اما ذلك قول الله تعالى (قالوا كذلك قال ربك) ثم دعفوا استبعادها بقولهم (انه هو الحكيم العليم) وقد ذكرنا تفسيرهما مرارا فارقيل لم قال ههنا الحكيم العليم وقال في هود جدد مجيد نقول لما بينا أن الحكاية هناك اسط قد كرو ما يدفع الاستبعاد بقولهم أن تعجبين من أمر الله ثم لما صدقت أرشدوهم إلى القيام بشكر نعم الله وذكرهم بنعمته بقولهم جيد فان الحميد هو الذي يتحقق منه الافعال الحسنة وقولهم مجيد إشارة إلى أن الفائق العالی الهمة لا يحمد له فعله الجميل وإنما يحمد ويسبح له نفسه وههنا المسلم يقولون تعجبين أشاروا إلى ما يدفع تعجبها من التنبيه على حكمه وعلمه وفيه لطيفة وهي أن هذا الترتيب مرعى في السورتين فالحميد يتعلق بالفعل والحميد يتعلق بالقول وكذلك الحكيم هو الذي فعله كما ينبغي العلم فاصدا لذلك الوجه بخلاف من يتفق فعله موافقا للحق قصود اتفاقا كان يقلب على جنبه فيقتل حية وهو نائم فانه لا يقال له حكيم وأما اذا فعل فعلا فاصدا لقلتها بحيث يسلم عن نهشها يقال له حكيم فيه والعليم راجع إلى الذات إشارة إلى أنه يستحق الحمد بمجده وإن لم يفعل فعلا وهو فاصد لعله وإن لم يفعل على وفق القاصد ثم قال تعالى (قال فاخطبكم أيها المرسلون) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) لما علم حالهم بدليل قوله منكرون لم لم يبقع بما بشروه لجواز أن يكون نزولهم للبشارة لا غير نقول ابراهيم عليه السلام أتى بما هو من آداب المضيف حيث يقول اضيفه اذا استعجل في الخروج ما هذه العجلة وما شئت الذي يمنعنا من التشرع بالاجتماع ولا يسكر عند خروجهم مخالفة أن يكون سكوتهم يومه استغفارهم ثم انهم أتوا بما هو من آداب الصديق الذي لا يستمر عن الصديق الصدوق لاسيما وكان ذلك باذن الله تعالى لهم في اطلاع ابراهيم عليه السلام

من الصرير ومجلسه
النصب على الخالية
أو المفعولية أن جعل
أقبلت بمعنى أخذت كما
يقال أقبل يستنى
(فصكت وجهها)
أي اطمته من الخلاء لما
أنها وجدت حرارة
دم الطمث وقيل
ضربت باطراف
أصابعها جنبها كما
يفعله المتعجب (وقالت
عجوز عقيم) أي أنا
عجوز عاقر فكيف ألد
(قالوا كذلك) مثل ذلك
القول الكريم (قال
ربك) وأما نحن معبرون
تخبرك به عنه تعالى لا
أنا نقوله من تلقا أنفسنا
(انه هو الحكيم العليم)
فيكون قوله حقا وفعله
متقنا لا محالة * روى
أن جبريل عليه
السلام قال لها انظري
إلى سقف بيتك فظطرت
فاذا جددت مودة
مثمرة ولم تكن هذه
المقايضة مع سارة
فقط بل مع ابراهيم
عليه السلام ايضا حسبا
شرح في صورة الحجر
وإنما لم يذكر ههنا

اكتفاء بما ذكره هناك كما أنه لم يذكر هناك سارة اكتفاء بما ذكره ههنا وفي سورة هود (قال) أي ابراهيم عليه السلام لما علم أنهم ملائكة أرسلوا امرأ (فاخطبكم) أي شأنكم الخطبة الذي لاجله أرسلتم سوى البشارة (أي المرسلون)

على اهلاكمهم وجبر قلبه بتقديم البشارة بخبر التدل وهو أبو الانبياء اسحق عليه السلام
على الصحيح فان قيل فما الذي اقتضى ذكره بالغاء ولو كان كاذرا لم قال ما هذا الاستعجال
وما خطبكم المعجل لكم نقول لو كان أوجس منهم خيفة وخرجوا من غير بشارة وايئاس
ما كان يقول شيئا فلما آتسوه قال ما خطبكم أي بعد هذا الانس العظيم ما هذا الايجاش
الايم (المسئلة الثانية) هل في الخطب فائدة لا توجد في غيره من الالفاظ نقول نعم وذلك
من حيث ان الالفاظ المفردة التي يقرب منها الشغل والامر والفعل وامثالها وكل ذلك
لا يدل على عظم الامر وأما الخطب فهو الامر العظيم وعظم الشأن يدل على عظم من على
يده يتقضى فقال ما خطبكم أي اعظمكم لاترسلون الا في عظيم ولو قال بل فظ مركب بأن
يقول ما خطبكم الخطير وأمركم العظيم للزم التطويل فالخطب أفاد العظيم مع الإيجاز
(المسئلة الثالثة) من اين عرف كونهم مرسلين فنقول (قالوا) له بدليل قوله تعالى انا
أرسلنا الى قوم لوط وانما لم يذكر ههنا لما بينا ان الحكاية يسبغها مذكورة في سورة هود
أو نقول لما قالوا الامر أنه كذلك قال ربك علم كونهم مغررين من عند الله حيث كانوا
يحكون قول الله تعالى يدل على هذا ان قولهم (انا أرسلناك الى قوم مجرمين) كان جواب
سؤاله منهم (المسئلة الرابعة) هذه الحكاية بعينها هي الحكاية في هود وهناك قالوا انا
أرسلنا بعد ما زال عنه الروع وبشروا وهنا قالوا انا أرسلنا بعدما سألهم عن الخطب
وأبضا قالوا هناك انا أرسلنا الى قوم لوط وقالوا ههنا انا أرسلنا الى قوم مجرمين والحكاية
عن قولهم فان لم يقولوا ذلك ورد السؤال أيضا فنقول اذا قال قائل حاكبا عن زيد قال
زيد عمر وخرج ثم يقول مرة أخرى قال زيد ان بكر اخرج فاما ان يكون صدر من زيد
قولان واما أن لا يكون حاكبا فانه لا زيد والجواب عن الاول هو انه لمساخف جاز أنهم
ما قالوا له لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط فلما قال لهم ماذا تفعلون بهم فكأن لهم ان
يقولوا انا أرسلنا الى قوم لوط لنهلكهم كما يقول القائل خرجت من البيت فيقال لماذا
خرجت فيقول خرجت لاني خرجت ههنا فائدة معنوية وهي انهم انما قالوا في جواب
ما خطبكم لنهلكهم بأمر الله لتعلم براءتهم عن ايلام البرئ واهمال الردي فاعادوا
لفظ الارسال وأما عن الثاني فنقول الحكاية قد تكون حكاية اللفظ كما تقول قال زيد
بعمرو مررت فيحكى لفظه المحكى وقد يكون حكاية للكلام بمعنىا تقول زيد قال عمرو
خرج ولك ان تبدل مرة أخرى في غير تلك الحكاية بلفظة أخرى فنقول لما قال زيد بكر
خرج قلت كبت وكبت كذلك ههنا القرآن لفظ معبر وما صدر من تقدم نبينا عليه
السلام سواء كان منهم كان مغرلا عليهم لم يكن لفظه معبرا فلزم ان لا تكون هذه
الحكايات بتلك الالفاظ فكأنهم قالوا له انا أرسلنا الى قوم مجرمين وقالوا انا أرسلنا الى
قوم لوط وله أن يقول قالوا انا أرسلنا الى قوم من آمن بك لانه لا يحكى لفظهم حتى يكون
ذلك واحدا بل يحكى كلامهم بمعناه وله عبارات كثيرة ألا ترى أنه تعالى لما حكى لفظهم

قالوا انا أرسلنا الى قوم
مجرمين (يعنون قوم
لوط

في السلام على أحد الوجوه في التفسير قال في الموضعين سلاما وسلام ثم بين ما لاجله
 أرسلوا بقوله (انزل عليهم نجارة من طين) وقد فسرنا ذلك في العنكبوت وقتلنا ان ذلك
 دليل على وجوب الرمي بالحجارة على اللائط وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اى حاجة الى
 قوم من الملائكة وواحد منهم كان يقابل المدائن بريشة من جناحه تقول الملائكة اننا قد
 بأمر الحقيير باهلاك الرجل الخطير و بأمر الرجل الخطير بخدمة الشخص الحقيير اظهارا
 لنفاذ امره فبحيث اهلك الخلق الكثير بالقمل والجراد والبعوض بل بالريح التي بها الحياة
 كان اظهر في القدرة وحيث أمر آفا من الملائكة باهلاك اهل بدرع قتلهم كان اظهر
 في نفاذ الامر وفيه فائدة اخرى وهى ان من يكون تحت طاعة ملك عظيم ويظهر له عدو
 ويستعين بالملك فيعينه بأكثر عسكره يكون ذلك تعظيما منه وكلما كان العدو اكثر والممدد
 اوفر كان التعظيم اتم لكن الله تعالى اعلان اوطاعه بشرة وتبيننا عليه السلام بخمسة آلاف
 وبين العديدين من التفاوت ما لا يخفى وقد ذكرنا نبيذامنه في تفسير قوله تعالى وما أنزلنا على
 قومه من بعده من جند من السماء (المسئلة الثانية) ما الفائدة في تأكيد الحجارة بكونها من
 طين نقول لان بعض الناس يسمى البرد حجارة فقوله من طين يدفع ذلك التوهم واعلم ان
 بعض من يدعى النظر يقول لا ينزل من السماء الا حجارة من طين مدورات على هيئة البرد
 وهيئة البنادق التي يتخذها الرماة قالوا وسبب ذلك هو ان الاعصار يصعد الغبار من
 الفلوات العظيمة التي لا عمارة فيها والرياح تسوقها الى بعض البلاد ويتفق وصول ذلك
 الى هوا ندى فيصير طينا رطبا والرطب اذا نزل وتفرق استدار بدليل أنك اذا رميت
 الماء الى فوق ثم نظرت اليه رأيته ينزل كرات مدورات كاللالى الكبار ثم في النزول اذا
 اتفق ان تضربه التيران التي في الجو جعلته حجارة كالأجر المضبوخ فينزل فيصيب من
 قدر الله هلاكا وقد ينزل كثيرا في المواضع التي لا عمارة بها فلا يرى ولا يدركه ولهذا اقل
 من طين لان ما لا يكون من طين كالجر الذي في الصواعق لا يكون كثيرا بحيث يعطرو هذا
 تعسف ومن يكون كامل العقل يسند الفكر الى ما قاله ذلك القائل فيقول ذلك الاعصار
 لما وقع فان وقع بمحدث آخر يلزم ان تسلسل ولا بد من الانتهاء الى محدث ليس بمحدث فذاك
 المحدث لا بد وأن يكون فاعلا مختارا او مختار له أن يفعل ما ذكره أن يخلق من الحجارة من
 طين على وجه آخر من غير نار ولا غبار لكن العقل لا يطربق له الى الجرم بطريق احداثه
 وما لا يصل العقل اليه يجب أخذه بالنقل والنص ورد به فأخذنا به ولا نعلم الكيفية وانما
 المعلوم ان الحجارة التي من طين نزولها من السماء أغرب وأعجب من غيرها لانها في العادة
 لا بد لها من مكث في النار * قوله تعالى (مسومة عند ربك للفسرفين) فيه وجوه
 أحدها مكتوب على كل واحد اسم واحد يقتل به ثانيها انها خلقت باسمهم ولعذبهم
 بخلاف سائر الاجزاء فانها مخلوقة بالاتفاق في الابدية وغيرها ثالثها امر سلة للمجرمين لان
 الارسال يقال في السوائم يقال أرسلها الزعى فيجوز أن يقول سومها بمعنى أرسلها وهذا

(انزل عليهم) أى
 بعد ما قبلنا قراهم
 وجعلنا عاليها سافلها
 حسبما فصل في سائر
 السور الكريمة
 (حجارة من طين) اى
 طين متحجر هو السجيل
 (مسومة) مرسلة
 من أسمت الماشية أى
 أرسلتها أو معلمة من السوم
 وهى العلامة وقدمر
 تفصيله في سورة هود
 (عند ربك للفسرفين)
 المجاوزين الحد
 في الشجر وقوله تعالى
 (فاخرجنا) الخ حكاية
 من جهته تعالى لما
 جرى على قوم لوط
 عليه السلام

يفسر قوله تعالى والخليل المسومة اشارة الى الاستغناء عنها وانها ليست للر كوب ليكون
أدل على النفي كما قال والقناطر المنطرة وقوله تعالى للمسرفين اشارة الى خلاف ما يقوله
الطبيعيون ان الحجارة اذا أصابت واحدا من الناس فذلك نوع من الاتفاق فأنها تنزل
بطبعها ثم يتفق شخص لها فتصيبه فتقوله مسومة أى في أول ما خلق وأرسل اذا علم هذا
فانما كان ذلك على قصد اهلاك المسرفين فان قيل اذا كانت الحجارة مسومة للمسرفين
فكيف قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين انزل عليهم مع ان المسرف غير المجرم في اللغة نقول
المجرم هو الآتي بالذنب العظيم لان الجرم فيدلالة على العظم ومنه جرم الشيء لعظمته
مقداره والمسرف هو الآتي بالكبيرة ومن أسرف ولو في الصغار يصير مجرما لان الصغير
الى الصغير اذا انضم صار كبيرا ومن أجرم فقد أسرف لانه آتى بالكبيرة ولو دفعة واحدة
فالوصفان اجتمعا فيهم لكن فيه لطيفة معنوية وهي ان الله تعالى سومها للمسرف المصر
الذي لا يترك الجرم والعلم بالامور المستقبلة عند الله تعالى يعلم انهم مسرفون فأمر
الملائكة برسالها عليهم وأما الملائكة فعلمهم تعلق بالخاضر وهم كانوا مجرمين فقالوا
انا أرسلنا الى قوم تعلمهم مجرمين انزل عليهم حجارة خلقت لمن لا يؤمن وبصرو يسرف
ولزم من هذا علمنا بانهم اوعا شواستين لتعادوا في الاجرام فان قيل اللام لتعريف الجنس
أو لتعريف العهد نقول لتعريف العهد أى مسومة لهمؤلاء المسرفين اذ ليس لكل
مسرف حجارة مسومة فان قيل ما سرفهم نقول مادل عليه قوله سبحانه وتعالى
ما سبقكم بها من أحد من العالمين أى لم يبلغ مبلغكم أحد * وقوله تعالى (وأخرجنا
من كان فيها من المؤمنين) فيدققتان احديهما بيان القدرة والاختيار فان من يقول
بالاتفاق يقول بصيب البر والفاجر فلما ميز الله المجرم عن المحسن دل على الاختيار ثانيا
بيان انه ببركة المحسن يتجوز المسئ فان القرية مادام فيها المؤمن لم تهلك والضحية عاذا
القرية وهي معلومة وان لم تكن مذكورة * وقوله تعالى (وأوجدنا فيها غير بيت من المسلمين)
فيد اشارة الى ان الكفر اذا غلب والفسق اذا شال انتفع معه عدة المؤمنين بخلاف ما لو
كان أكثر الخلق على الطريقة المستقيمة وفيهم شر ذمة يسيرة يسرقون وي زنون وقبل في مثاله
ان العالم كبدين ووجود الصالحين كالاعذبة الباردة والحارة والكفار والفساق كالسموم
الواردة عليه الضارة ثم ان البدن ان خلا عن المنافع وفيه المضار هلك وان خلا عن المضار
وفيه المنافع طاب عيشه وناد وان وجد فيه كلاهما فالحكم للغالب وكذلك البلاد والعباد
والدلالة على أن المسلم بمعنى المؤمن ظاهرة والحق أن المسلم أعم من المؤمن واطلاق العام
على الخاص لا مانع منه فاذا سمى المؤمن مسلما لا يدل على الاتحاد ومفهومها فكانت تعالى
قال أخرجنا المؤمنين فأوجدنا اعم منهم الايتامن المسلمين ويلزم من هذا أن لا يكون
هالك خيرهم من المؤمنين وهذا كالوقال قائل لغيره من في البيت من الناس فيقول له
ما في البيت من الحيوانات أحد غير زيد فيكون مخبره بالبحواليت عن كل انسان غير زيد

بطريق الاجمال بعد
حكاية ما جرى بين
الملائكة وبين ابراهيم
عليه السلام من الكلام
والقاء فصيحة مفصحة
عن جل قد حذف
ثقة بذكره في مواضع
خر كأنه قيل فباشروا
ما أمروا به فأخرجنا
بقولنا فأسرأ هلك
الحج (من كان فيها)
أى في قرى قوم لوط
وأضمارها بغير ذكر
اشهرتها (من المؤمنين)
من آمن باوط (فأ)
وجدنا فيها غير بيت
أى غير أهل بيت
(من المسلمين) قيل هم
لوط وابنتاه وقيل كان
لوط وأهل بيته

ثم قال تعالى (وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم) وفي الآية خلاف قبل هو ماء أسود منقن انشقت أرضهم وخرج منها ذلك وقيل حجارة مرمية في ديارهم وهي بين الشام والحجاز وقوله للذين يخافون العذاب الاليم أى المنتفع بها هو الخائف كما قال تعالى أقوم يعقلون في سورة العنكبوت وبينهما في اللفظ فرق قال ههنا آية وقال هناك آية بينة وقال هناك أقوم يعقلون وقال ههنا للذين يخافون فهل في المعنى فرق نقول هناك مذكور بأبلغ وجه يدل عليه قوله تعالى آية بينة حيث وصفها بالظهور وكذلك منها وفيها فان من للتبعض فكأنه تعالى قال من نفسهاكم آية باقية وكذلك قال أقوم يعقلون فان العاقل أعم من الخائف فكانت الآية هناك أظهر وسببه ما ذكرنا أن القصد هناك تنوير القوم وههنا تسليبه القلب الاترى الى قوله تعالى فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فأوجدنا فيها غيريت من المسلمين وقال هناك انا منجوك وأهلك من غير بيان وافى بنجاة المسلمين والمؤمنين بأسرهم ثم قال تعالى (وفي موسى اذا أرسلناه الى فرعون بساطان مبين) قوله وفي موسى يحتل أن يكون معطوفا على معلوم ويحتمل أن يكون معطوفا على مذكور أما الاول ففيه وجوه (الاول) أن يكون المراد ذلك في ابراهيم وفي موسى لان من ذكر ابراهيم يعلم ذلك (الثاني) لقومك في لوط وقومه عبدة وفي موسى وفرعون (الثالث) أن يكون هناك معنى قوله تعالى تشكروا في ابراهيم ولوط وقومهما وفي موسى وفرعون والكل قريب بعضهم من بعض وأما الثاني ففيه أيضا وجوه (أحدها) أنه عطوف على قوله وفي الارض آيات للمؤففين وفي موسى وهو بعيد بعده في الذكر واعدم المناسبة بينهما (ثانيها) انه عطوف على قوله وتركنا فيها آية للذين يخافون وفي موسى أى وجعلنا في موسى على طريقة قولهم علقتهما بئنا وما باردا وتقلدت سيفا ورماحاً وهو أقرب ولا يخلو عن تعسف اذا قلنا بما قال بعض المفسرين ان الضمير في قوله تعالى وتركنا فيها طائد الى القرية (ثالثها) أن نقول فيها راجع الى الحكاية فيكون التقدير وتركنا في حكايتهم آية أو في قصتهم فيكون وفي قصة موسى آية وهو قريب من الاحتمال الاول وهو العطوف على المعلوم (رابعها) أن يكون عطفا على هل أتاك حديث ضيف ابراهيم وتقديره وفي موسى حديث اذا أرسلناه وهو مناسب اذ جمع الله كثيرا من ذكر ابراهيم وموسى عليهما السلام كما قال تعالى ألم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفي وقال تعالى صحف ابراهيم وموسى والساطان القوة بالجنة والبرهان والمبين الفارق وقد ذكرنا أنه يحتمل أن يكون المراد منه ما كان معه من البراهين القاطعة التي حاج بها فرعون ويحتمل أن يكون المراد المعجز الفارق بين سحر الساحر وأمر المرسلين قوله تعالى (فتولى ركنه) فيه وجوه (الاول) البناء للمصاحبة والركن اشارة الى القوم كأنه تعالى يقول أعرض مع قومه يقال نزل فلان بعسكره على كذا ويدل على هذا الوجه قوله تعالى فأواد الآلة الكبرى فكذب وصصى ثم أدبر برأيه وقال أدبروه بمعنى تول وقوله فيحشم فإدعى في معنى

الذين نجوا ثلاثة عشر
(وتركنا فيها آية
في القرية (آية) أى
علامته دالة على ما
أصابهم من العذاب
قبل هي تلك الاحجار
أو صخر منضود فيها
أو ماء منقن (للذين
يخافون العذاب الاليم)
أى من شأنهم أن يخافوه
لسلامة فطرتهم ورفع
قلوبهم دون من عذابهم
من ذوى القلوب
المناسبة فانهم لا يعتدون
بها ولا يمدونها آية
(وفي موسى) عطوف
على قوله تعالى
وفي الارض أو على
قوله تعالى وتركنا فيها
آية على معنى وجعلنا
في موسى آية كقوله
من قال
علقتهما بئنا
(اذأ) قيل هو
منصوب بآية وقيل

قوله تعالى بركنه (الثاني) فتولى أى اتخذ وليا والباء للتمدية حينئذ يعنى تقوى بجنده
(والثالث) تولى امر موسى بقوته كانه قال اقتل موسى للثلايدل دينكم ولا يظهر في
الارض انفساد فتولى امره بنفسه وحينئذ يكون المفعول غير مذكور وركنه هو نفسه
القوية ويحتمل أن يكون المراد من ركنه هان فانه كان وزيره وعلى هذا الوجه الثاني
أظهر * (وقال ساحر أو مجنون) أى هذا ساحر أو مجنون وقوله ساحر أى يأتى الجن
بسحره أو يقرب منهم والجن يقربون منه وبقصدونه ان كان هولاء يقصدونهم فالساحر
والمجنون كلاهما امره مع الجن غير أن الساحر يأتهم باختياره والمجنون بأنونه من غير
اختياره فكانته أراد صيانة كلامه عن الكذب فقال هو يسحر الجن أو يسحر فان كان
ليس عنده منه خبر ولا يقصد ذلك فالجن بأنونه * ثم قال تعالى (فاخذنا وجنوده فتبدلناهم
فى اليم وهو ملهم) وهو إشارة الى بعض ما أتى به كانه يقول واتخذنا اولياء فلم يفعوه واتخذ
الله وأخذ اركانهم وألقاهم جميعا فى اليم وهو البحر والحكاية مشهورة وقوله تعالى
وهو ملهم نقول فيه بيان شرف موسى عليه السلام وبشارة للمؤمنين أما شرف فلانه تعالى
قال بانه أتى بما يلام عليه بمجرد قوله انى أريد هلاك أعدائك بالله العالمين فلم يكن له سبب
الاهذا وأما فرعون فقال أنار بكم الأعلى فكان سببه تلك وهذا كما قال القائل فلان
عبيه أنه سارق أو قاتل أو يعاشر الناس فبؤذ بهم وفلان عبيه أنه مشغول بنفسه لا يعاشر
فتكون نسبة العيين بعضهم الى بعض سببا لمذح أحدهما وذم الآخر وأما بشارة
المؤمنين فهو بسبب أن من التقه الحوت وهو ملهم بنجاح الله تعالى بسبيحه ومن أهلكه
الله بتعذيبه لم ينفعه إيمانه حين قال آمنت أنه لاله الا الذى آمنت به بنوا اسرائيل
وكلاهما قد أتى بما يلام عليه فذنب المؤمن وقت ظهور اليأس مغفور وإيمان الكافر غير
مقبول * ثم قال تعالى (وفى عاد اذا أرسلنا عليهم الريح العقيم) وفيه ما ذكرنا من الوجوه
التي ذكرناها فى عطف موسى عليه السلام وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ذكرت أن
المقصود ههنا تسليبة قلب النبي صلى الله عليه وسلم وتذكيره بحال الانبياء ولم يذكر فى عاد
وتمودا نبياءهم كما ذكر ابراهيم وموسى عليهما السلام نقول فى ذكر الآيات ست حكايات
حكاية ابراهيم عليه السلام وبشارته وحكاية قوم لوط ونجاة من كان فيها من المؤمنين
وحكاية موسى عليه السلام وفى هذه الحكايات الثلاث ذكر الرسل والمؤمنين لان الناجين
فيهم كانوا كثيرين أما فى حق ابراهيم وموسى عليهما السلام فظاهر وأما فى قوم لوط
فلان الناجين وإن كانوا أهل بيت واحد ولكن المهلكين كانوا أيضا أهل بقعة واحدة
وأما عاد وتمود وقوم نوح فكل عدد المهلكين بالنسبة الى الناجين اضعاف ما كان عدد
المهلكين بالنسبة الى الناجين من قوم لوط عليه السلام فذكر الحكايات الثلاث الاول
للتسليبة بالنجاة وذكر الثلاث المتأخرة للتسليبة باهلاك العدو والكل مذكور للتسليبة
تعالى فى آخر هذه الآيات كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا

بمخذوف أى كائنة
وقت ارسائنا وقبل
بتركنا (الى فرعون
بسلطان مبين) هو
ما ظهر على يديه من
المجرات الباهرة
(فتولى بركنه) أى
فأعرض عن الإيمان به
وازور كقوله تعالى ونأى
بجانبيه وقيل فتولى بما
يتقوى به من ملكه
وعسا كره فان الركن
اسم لما ركن اليه الشئ
وقرى بركنه بضم
الكاف (وقال ساحر)
أى هو ساحر (أو مجنون)
كأنه نسب ما ظهر
على يديه عليه الصلاة
والسلام من الخوارق
والعجبة الى الجن وتردد
لوط أنه حصل باختياره
أه بغير هما
وجنوده

١
 سمي علة لكان لتوهم أن
 قال كل من المبارز الشجاع اخترتك
 من استطاعوا من قيام) يحتمل وجهين (أحدهما)
 من الهرب والفرار على سبيل المبالغة فإن من لا يقدر على قيام كيف يمشي
 من الهرب وعلى هذا فيه لطائف لفظية (أحدها) قوله تعالى فاستطاعوا فإن
 الاستطاعة دون القدرة لأن في الاستطاعة دلالة الطلب وهو يلي عن عدم القدرة
 والاستقلال فمن استطاع شيئا كان دون من يقدر عليه ولهذا يقول المتكلمون
 الاستطاعة مع الفعل أو قبل الفعل إشارة إلى قدرة بطولية من الله تعالى مأخوذة منه
 وإليه الإشارة بقوله تعالى هل تستطيع ربك على قراءة من قرأ البناء وقوله فاستطاعوا
 أبلغ من قول القائل ما قدروا على قيام (ثانيها) قوله تعالى من قيام بزيادة من وقد عرفت
 ما فيه من التأكيد (ثالثها) قوله قيام بدل قوله هرب لما بينا أن العاخر من القيام أولى أن
 يعبر عن الهرب (الوجه الثاني) هو أن المراد من قيام أقيام بالامر أي ما استطاعوا من
 قيام به * وقوله تعالى (وما كانوا منتصرين) أي ما استطاعوا الهزيمة والهرب فمن
 لا يقدر عليه يقال وينتصر بكل ما يمكنه لأنه يدفع عن الروح وهم مع ذلك ما كانوا
 منتصرين وقد عرفت أن قول القائل ما هو ينتصر أي بلغ من قوله ما انتصر ولا ينتصر
 والجواب ترك مع كونه يجب تقديره وقوله ما انتصر أي شيء من شأنه ذلك كما نقول فلان
 لا ينتصر أو فلان ليس ينتصر * ثم قال تعالى (وقوم نوح من قبلهم كانوا قوما فاسقين)
 قرى قوم الجبر والنصب فإوجههما نقول أما الجبر فظاهر عطفا على ما تقدم في قوله تعالى
 وفي عاد وفي موسى تقول لك في فلان عبرة وفي فلان وفلان وأما النصب فعلى تقدير وأهلكنا
 قوم نوح من قبل لأن ما تقدم دل على الهلاك فهم وعطف على المحل وعلى هذا فقوله من قبل
 معناه ظاهر كانه يقول وأهلكنا قوم نوح من قبل وأما على الوجه الأول فتقديره وفي قوم
 نوح لكم عبرة من قبل ثمود وعاد وغيرهم * ثم قال تعالى (والسماء بيننا بأيدينا وأننا لآلهة)
 وهو بيان للوحدانية وما تقدم كان بيانا للحشر وأما قوله ههنا والسماء بيننا بأيدينا وأنتم
 تعرفون أن ما تعبدون من دون الله ما خلقوا منها شيئا فلا يصح الإشراك ويمكن أن يقال
 هذا نود بعد التهديد إلى إقامة الدليل وبناء السماء دليل على القدرة على خلق الأجسام
 ثانيا كما قال تعالى أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم وفيه
 مسائل (المسألة الأولى) النصب على شريطة التفسير يختار في مواضع إذا كان العطف
 على جملة فعلية فأنالك الجملة نقول في بعض الوجوه التي ذكرناها قوله تعالى وفي عاد
 وثمود تقديره وهل أنالك حديث عاد وهل أنالك حديث ثمود عطفا على قوله هل أنالك حديث

العلامات التي بينها
 صالح عليه السلام
 من اصفرار وجوههم
 واحمرارها واسودادها
 غمدوا إلى قله عليه
 السلام فقباه الله تعالى
 إلى أرض فلسطين لما
 كان ضحوة اليوم الرابع
 نخطوا وتكفوا
 بالانطباع فانتهم
 الصيحة فهل كوا
 وقرى الصخرة
 وهي المرة

(وهي المرة)

ويعاينونها
 استطاعوا من قيام
 كقوله تعالى فاصبحوا
 في دارهم جائئين (وما)

ولأن قوله تعالى فسد بهم ور
كلها فعليات فصار النصب مختاراً (الم)

والسماء وما بناها وقال تعالى أم السماء بناها وما

بناها الحكمة فيه نقول فيه وجوه (أحدها) أن البناء باقى الى يوم

شيء ولم يعدم منه جزء وأما الارض فهي في التبدل والتغير فهي كالغرض البشري

ويطوى وينقل والسماء كالبناء المبنى الثابت واليه الاشارة بقوله تعالى سبعا شداد

وأما الاراضى فذكر منها ما صار بحرا وعاد أرضا من وقت حدوثها (ثانيها) أن السما

ترى كالقبة المبنية فوق الرؤس والارض مسطوة مدسوة والبناء بالرفوع أبقى كالأقال

نعالى رفع سمكها (ثالثها) قال بعض الحكماء السما مسكن الارواح والارض موضع

الاعمال والسكن أبقى بكونه بناء والله أعلم (المسئلة الثالثة) الاصل تقديم العامل على

المعمول والفعل وتعامل بقوله بنينا عامل في السما فما الحكمة في تقديم المفعول على

الفعل ولولا بنينا السما بأيد كان أوجز نقول الصانع قبل الصنع عند الناظر في المعرفة

فلما كان الصعود اثبات العلم بالصانع قدم الدليل فقال والسما المزيينة التي لا تشكون

بنيناها فاهر فونابها ان كنتم لاتعرفونا (المسئلة الرابعة) اذا كان القصود اثبات

التوحيد فكيف قال بنيناها ولم يقل بنيتها أو بناها الله نقول قوله بنيناها أدل على عدم

الشريك في التصرف والاستبداد وقوله بنيتها يمكن أن يكون فيه تشريك وتام التقرير

هو أن قوله تعالى بنينا لا يورث ايها ما بان الا كهة التي كانوا يعبدونها هي التي يرجع اليها

الضمر في قوله بنينا لان تلك اما أصنام منحوتة واما كواكب جعلوا الاصنام على صورها

وطباعتها فاما الاصنام المنحوتة فلا يشكون انها ما بان من السما شيئا وأما الكواكب

فهي في السما محتاجة اليها فلا تشكون هي بانيتها وانما يمكن أن يقال انها بنيت لها وجعلت

أما كنهم فلما يتوهم ما قالوا قال بنينا نحن ونحن غير ما يقولون ويدعونه فلا يصلحون لنشركاه

لان كل ما هو غير السما فهو محتاج الى السما ودون السما في المرتبة فلا يكون خالق السما

وبانيتها فاذن علم أن المراد جمع التعظيم وأعاد النص عظمتها فاعظمه أنبي الشريك فثبت

ان قوله بنيناها أدل على نفي الشريك من بنيتها وبنائها الله * فان قيل لم قلت ان الجمع يدل

على التعظيم قلنا الجواب من وجهين (الاول) أن الكلام على قدر فهم السامع والسماع

هو الانسان والانسان يقبس الشاهد على الغائب فان الكبير عندهم من يفعل الشيء يجنده

وخدمه ولا يباشر بنفسه فيقول المالك فعلنا أي فعله عبادنا بأمرنا ويكون في ذلك تعظيم

فكذلك في حق الغائب (والوجه الآخر) هو ان القول اذا وقع من واحد وكان الغيبة

راضيا يقول القائل فعلنا كذا واذا اجتمع جمع على قول لا يقع الا لبعض كذا اذ اخرج

كانوا منتصرين)

بغيرهم كالم يمتنعوا بانفسهم

(وقوم نوح) أي

وأهل كنانة قوم نوح

فان ما قبله بدل عليه

أو واذا كر ويجوز

أن يكون معطوفا

على محل في عادر يوبده

القرارة بالجر وقبل هو

طوف على مفعول

أخذناه (من قبل) أي

أهؤلاء المهلكين

كانوا قوما

مدود فيما كانوا

من الكفر والمعاصي

والسما بنيناها بآيد

ي بقوة (وانا لموسعون)

لقادرون من الوسع

بمعنى الطاقة والموسع

القادر على الاتفاق

لوسعون السما أو ما

يد با وبين الارض

أو الرق

ينظرون إشارة إلى أحد معشيقين إمامه في تسليمهم وعدم قدرتهم على الدفع كما
 للمضروب يضرب بك فلان وأنت تنظر إشارة إلى أنه لا يدفع وإمامه
 لا على غفلة بل أذروا به من قبل بثلاثة أيام وانظروا ولو كان
 يتوهم أنهم أخذوا على غفلة أخذ العاجل إلى
 بقصدى إياك فانهظرني * وقوله تعالى
 أنه لبيان عجزهم
 ففعلوا †

فيه وبهان د ر ما هنا (أحد

اهم المكرمين وعلى هذا يكون ما تقدم جلة فعلية لاختفاء فيه وعلى غير ذلك
 من الى النصب اقرب منه الى الرفع فيكون عطفا على ما بالنصب أولى
 قوله أرسلنا وقوله تعالى فاخذتهم الصاعقة وفاء استطاعوا
 "اله الثانية" كرر ذكر البناء في السموات قال تعالى
 "تعالى جعل الارض قرارا والسماء
 "مقامة لم يسقط منه
 "بسط

(والارض فرشناها)

مهذناها وبسطناها

ليستقروا عليها (فتم

الماهدون) أى نحن

(ومن كل شئ) أى

من الاجناس (خلقنا

زوجين) أى نوعين

ذكرًا وأنثى وقيل

متقابلين السماء والارض

والليل والنهار والشمس

والقمر والبر والبحر

ونحو ذلك (اعلمكم

تذكرون) أى فعلنا ذلك

كله كي تذكروا فتمروا

أنه طابق الكل ورازقه

وأنه المستحق للعبادة

وأنه قادر على إعادة

الجميع فتمعلوا بمقتضاه

وقوله تعالى (فقرؤا

الله) مقدر بقول خوطب به

الذي صلى الله عليه وسلم

بطريق التلوين واللقاء

أما لتزيين الامر على

ما حكي من آثار غضبه

الموجبة للفرار منها

ومن أحكام رحمة

الاستدعية للفرار اليها

كأنه قيل قل لهم

إذا كان الامر كذلك

فاهربوا الى الله الذي

هذه شؤنه

جمع غير وجمع كثير لقل سمع وقيل يقال قلته أهل بلدة كذا رضاء الكل به وقصد الكل
اليها اعرفت هذا فالتعالى كيفما أمر بقول شئ لا يكون لاحد رده وكان كل واحد
منقاد له يقول بدل فعلت فعلنا ولهذا يقول الملك العظيم أجمعنا بحيث لا ينكر أحد
ولا يرده نفس وقوله تعالى بأيدى قوة واليد القوة وهذا هو المشهور به فسر قوله تعالى
ذا الابد انه أبواب ويحتمل أن يقال ان المراد جمع اليد ودليله أنه قال تعالى لما خلقت بيدي
وقال تعالى بما علمت أيدينا أنعاما وهو راجع في الحقيقة الى المعنى الاول وعلى هذا في حيث
قال خلقت قال بيدي وحيث قال بنيينا قال بايد لمقابلة الجمع بالجمع فان قيل فلم يقل بنييناها
بأيدينا وقال بما علمت أيدينا فنقول لفائدة جليلة وهي أن السماء لا تخطر ببال أحد
انها مخلوقة غير الله والانعام ليست كذلك فقال هناك بما علمت أيدينا تصريحا
بان الحيوان مخلوق لله تعالى من غير واسطة وكذلك خلقت بيدي وفي السماء بايد
من غير اضافة الاستغناء عنها وفيه لطيفة أخرى وهي ان هناك لما ثبت الاضافة
بعد حذف الضمير العائد الى المفعول فلم يقل خلقت بيدي ولا قل غلغله أيدينا وقال
ههنا بنييناها لان هناك لم تخطر ببال أحد ان الانسان غير مخلوق وان الحيوان غير معمول
فلم يقل خلقت ولا علمته وأما السماء فبعض الجهال يزعم انها غير مجمولة فقال بنييناها
بعود الضمير تصريحا بانها مخلوقة وقوله تعالى وانا لموسعون فيه وجوه (أحدها) انه
من السعة أى أوسعناها بحيث صارت الارض وما يحيط بها من الماء والهواء بالنسبة
الى السماء وسعتها كسعة في قلاة والبناء الواسع القضاء بحجب فان القبة الواسعة لا يقدر
عليها البناءون لانهم يحتاجوا الى إقامة آفة يصنعونها استدارتها وثبت بها تماسك
أجزائها الى ان يتصل بعضها ببعض (ثانيها) قوله وانا لموسعون أى لقادرون ومنه قوله
تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها أى قدرتها والمناسبة حينئذ ظاهرة ويحتمل ان يقال
بان ذلك حينئذ اشارة الى المقصود الآخر وهو المشر كأنه يقول بنيينا السماء وانا
لقادرون على أن نخلق أمثالها كما في قوله تعالى أوليس الذي خلق السموات والارض
بشادر على أن يخلق مثلهم (الثالث) انا لموسعون الرزق على الخلق ثم قال تعالى
(والارض فرشناها فتم الماهدون) استدلالا بالارض وقد علم ما في قوله والارض
فرشناها وفيه دليل على أن دحو الارض بعد خلق السماء لان بناء البيت يكون في
العادة قبل الفراش وقوله تعالى فتم الماهدون أى نحن أو فتم الماهدون ما هدوها ثم
قال تعالى (ومن كل شئ خلقنا زوجين) استدلالا بما بينتهما والزوجان اما الضدان فان
الذكر والانثى كالضدين والزوجان منهما كذلك واما المنشأ كلان فان كل شئ له
شبيه ونظير وضدونه قال المنطقيون المراد بالشئ الجنس وأقل ما يكون تحت الجنس
نوعان فمن كل جنس خلق نوعين من الجوهر مثلا المادى والجرد ومن المادى النامي
والجامد ومن النامي المدرك والنبات ومن المدرك الناطق والصامت وكل ذلك يدل على

انه فرد لاكثره فيه * وقوله تعالى (اولئك تذكرون) أى اعلمكم تذكرون أن خالق
 الأزواج لا يكون له زوج والالكان ممكننا فيكون مخلوقا ولا يكون خاقا واولئك تذكرون
 أن خالق الأزواج لا يخرج من حشر الأجساد وجمع الأزواج * ثم قال تعالى (ففرروا الى الله
 انى لكم منه نذير مبين) أمر بالتوحيد وفيه لطائف (الاولى) قوله تعالى ففرروا اليه عن
 سرعة الاهلاك كأنه يقول الاهلاك والعذاب أسرع وأقرب من ان يتحمل الحال
 الابطاء في الرجوع فافزعوا الى الله سرعيا وفرّوا (الثانية) قوله تعالى الى الله يبان
 المهروب اليه ولا يذكر الذي منه الهرب لاحد وجهين اما لكونه معلوما وهو هول العذاب
 أو الشيطان الذي قال فيه ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا واما لكونه عاما كأنه
 يقول كل ماعد الله عدوكم ففرّوا اليه من كل ماعده وبيانه وهو ان كل ماعده فانه
 يخلق عليك رأس مالك الذي هو العرو ويقوت عليك ما هو الحق والخير ومتف رأس
 المال ومفوت الكمال هددوا لما اذا فررت الى الله واقبلت على الله فهو يأخذ عرك ولكن
 يرفع أمرك و يعطيك بقاء Lafناء معه (والثالثة) الغاء للترتيب معناه اذا ثبت ان خالق
 الزوجين فرد ففرّوا اليه واتركوا غيره تركا مؤبدا (الرابعة) في تنوع الكلام فائدة
 وبيانه هو أن الله قال والسماء بئناها والارض فرسناها ومن كل شئ خلقناهم
 جعل الكلام للنبى عليه السلام وقال ففرّوا الى الله انى لكم منه نذير مبين ولم يقل ففرّوا
 البنا وذلك لان لاختلاف الكلام تأثيرا وكذلك لاختلاف المتكلمين تأثيرا ولهذا يكثر
 الانسان من التصانيع مع ولده الذي حاد عن الجادة ويحول الكلام مختلفا نوعا ونوعا
 ترهيبا وتنبهيا بالحكايات ثم يقول لغيره تكلم معه لعل كلامك ينفع لاني أذهان الناس
 أن اختلاف المتكلمين واختلاف الكلام كلاهما مؤثر والله تعالى ذكر أنواعا من
 الكلام وكثيرا من الاستدلالات والآيات وذكر طرقا فاصالحا من الحكايات ثم ذكر كلاما
 من متكلم آخر هو النبي صلى الله عليه وسلم ومن المفسرين من يقول تقديره فقل لهم
 ففرّوا قوله انى لكم منه نذير إشارة الى الرسالة وفيه أيضا لطائف (احدها) أن الله تعالى
 بين عظمته بقوله والسماء بئناها والارض فرسناها وهيته بقوله فنبذناهم في اليم
 وقوله تعالى أرسلنا عليهم الریح العقيم وقوله فأخذتهم الصاعقة وفيه إشارة الى أنه
 تعالى اذا عذب قدر على أن يعذب بما به البقاء والوجود وهو التراب والماء والهواء
 والنار فحكاية لوط تدل على أن التراب الذي منه الوجود والبقاء اذا أراد الله جعله سبب
 الفناء والماء كذلك في قوم فرعون والهواء في عاد والنار في ثمود وأهل ترتيب الحكايات
 الأربع للترتيب الذي في العناصر الأربعة وقد ذكر في سورة العنكبوت شيئا منه
 ثم اذا بان عظمته وهيته قال رسوله عرفهم الحال وقل أنارسل يتقدم الآيات ومسرود
 الحكايات فلا ردافه بذكر الرسول فائدة (ثانيها) في الرسالة أمور ثلاثة المرسل والرسول
 والمرسل اليه وهم فاذا ذكر الكل فقول له لكم إشارة الى المرسل اليهم وقوله منه إشارة الى

بإيمان والطاعة كى
 تجوامن عقابه وتقوزوا
 بنوابه واما الالمطف
 على جملة مقدرة مقترية
 على قوله تعالى لعلمكم
 تذكرون كأنه قيل
 قل لهم فذكروا
 ففرّوا الى الله الخ وقوله
 تعالى (انى لكم منه نذير
 مبين) تعليل للأمر
 بالفرار اليه تعالى
 أولوجوب الامتثال به
 فان كونه عليه الصلاة
 والسلام أن بأمرهم
 بالفرار اليه وعليهم
 أن بمشاورته أى انى لكم
 من جهته تعالى منذر
 بين كونه منذر الله تعالى
 أو مظهر لما يجب اطهاره
 من العذاب المنذر به
 وفي أمره تعالى للرسول
 صلى الله عليه وسلم
 بأن يأمرهم بالهرب اليه
 تعالى من عقابه وتعليله
 بأنه عليه الصلاة
 والسلام ينذرهم
 من جهته تعالى لامن
 تلقاء نفسه وعد كرم

بجنايتهم من المهروب
وفوزهم بالظلوب وقوله
تعالى (ولا تجعلوا مع الله
الها آخر) نهى موجب
للفرار من سبب العقاب
بعد الامر بالفرار من
نفسه كما يشعر به قوله
تعالى (انى لكم منه) أى
من الجعل المنهى عنه
(نذير مبين) فان تعالى
كلمة من بالانذار مع كون
صلته الجاه بتضمنه معنى
الافرار يقال فر منه أى
هرب وأفره غيره كأنه
قبل وفروا من أن يجعلوا
معه تعالى اعتقادا أو قولا
الها آخر وفيه تأكيد
لما قبله من الامر بالفرار
من العقاب الذى تعالى
لكن لا بطريق التكرير
كما قبل بل بالنهى عن سببه
وإيجاب الفرار منه
(كذلك) أى الامر مثل
ما ذكر من تكذيبهم
الرسول وتسميتهم له
ساحرا أو مجنونا وقوله
تعالى (ما أتى الذين من
قبلهم) الخ تفسيره أى
ما أتاهم (من رسول)

المرسل وقوله نذير بيان للرسول وقدم المرسل اليه في الذكر لان المرسل اليه أدخل في أمر
الرسالة لان عنده يتم الامر والمالك لولم يكن هناك من يخالفه أو يوافق فيرسل اليه نذيرا
أو بشيرا لا يرسل وان كان ملكا عظيما واذا حصل المخالف أو الموافق يرسل وان كان
غير عظيم ثم المرسل لانه متعين وهو الباعث وأما الرسول فباختياره ولولا المرسل المتعين
لما تمت الرسالة وأما الرسول فلا يتعين لان المالك اختيار من يشاء من عباده فقال منه
ثم قال نذير تأخيرا للرسول عن المرسل (ثالثها) قوله مبين إشارة الى ما به تعرف الرسالة
لان كل ما دلت له سبب وعلامة فالرسول هو الذى به تتم الرسالة ولا بد له من علامة يعرف
بها فتقوله مبين إشارة اليها وهى اما البرهان أو المعجزة * ثم قال تعالى (ولا تجعلوا مع الله
الها آخر) اتصافا للتوحيد وذلك لان التوحيد بين العطل والتشريك وطريقته
التوحيد هى الطريقة فالتعطيل يقول لاله أصلا والمشرک يقول فى الوجود آلهة
والموحد يقول قول الاثنين باطل ونفى الواحد باطل فتقوله تعالى ففروا الى الله أثبت
وجود الله ولما قال (ولا تجعلوا مع الله الها آخر) فى الاكثر من الواحد قصص التوحيد
بالأثنين ولهذا قال مرتين (انى لكم منه نذير مبين) أى فى المقامين والموضعين وقد ذكرنا
مرارا ان المعطل اذا قال لا واجب يحتمل الكل ممكننا فان كل موجود ممكن لكن الله فى
الحقيقة موجود فقد جعله فى تضاعيف قوله كالممكنات فقد أشرك وجعل الله كغيره
والمشرك لما قال بان غيره اله يلزم من قوله نفي كون الاله الها لما ذكرنا فى تقرير
دلالة التسامع من أنه لو كان فيهما آلهة الا الله لارم عجز كل واحد فلا يكون فى الوجود
اله أصلا فيكون نافية للالهية فيكون معطلا فالمعطل مشرك والمشرک معطل وكل واحد
من الفريقين معترف بأن خصمه مبطل لكنه هو على مذهب خصمه يقول انه نفسه
مبطل وهو لا يعلم والحمد لله الذى هدانا لهذا وقوله (ولا تجعلوا فيه لطيفة) وهى انه إشارة الى ان
الآلهة مجعولة لا يقال فآلهة متخذ لقوله فآخذة وكلا قلنا الجواب عنه ظاهر وقد
سبق فى قوله تعالى واتخذوا من دون الله آلهة * ثم قال تعالى (كذلك ما أتى الذين من
قبلهم من رسول الا قالوا سحر أو مجنون) والتفسير معلوم مما سبق وقد ذكرنا أنه يدل على
ان ذكر الحكايات للتسلي غير أن فيه لطيفة واحدة لان تركها وهى أن هذه الآية دليل على
ان كل رسول كذب وحيتن يرد عليه اسئلة (الاول) هو أن من الانبياء من قرر دين النبي
الذى كان قبله وبقى القوم على ما كانوا عليه كانبيا بنى اسرائيل مدة وكيف وأدم لما
أرسل لم يكذب (الثانى) ما الحكمة فى تقدير الله تكذيب الرسل ولم يرسل رسولا مع كثرتهم
واختلاف معجزاتهم بحيث يصدق أهل زمانه (الثالث) قوله ما أتى الا قالوا دليل على
انهم كلهم قالوا سحر وليس كذلك لانه ما من رسول الا آمن به قوم وهم ما قالوا ذلك
(والجواب عن الاول) هو أن نقول أما المقرر فلا نسلم أنه رسول بل هو نبى على دين رسولى
ومن كذب رسوله فهو مكذبه أيضا ضرورة (وعن الثانى) هو أن الله لا يرسل الا عند حاجة

في حقته (ساحرا ومجنون)
ولاسيلا الى انصاب
الكاف يابى لامتاع
عمل ما بعد ما التافيه فيما
قبلها (أتوا صوابه)
انكار وتعجب من حالهم
واجبا عنهم على تلك
الكلمة الشنيعة التي
لا تكاد تخطر بال أحد
من العقلاء فضلا عن
التفوه بها اى اوصى
بهذا القول بعضهم بعضا
حتى اتفقوا عليه وقوله
تعالى (بل هم قوم
طاغون) اضراب عن
كون مدار اتقاهم على
الشر تواصيهم بذلك
واثبت لكونه أمرا
أقبح من التواصي وأشنع
منه من الطغيان الشامل
للكل الدال على أن
صدور تلك الكلمة
الشنيعة عن كل واحد
منهم بمقتضى جبلته
الخليقة لا بموجب وصية
من قبلهم بذلك من غير
أن يكون ذلك مقتضى
طباعهم (فتول عنهم)
فأعرض

الخلق وذلك عند ظهور الكفر في العالم ولا يظهر الكفر الا عند كثرة الجهل ثم ان الله
تعالى لا يرسل رسولا مع كون الايمان به ضروريا لالكان الايمان به ايمان اليأس فلا
يقبل والجاهل اذ لم يكن المبين له في غاية الوضوح لا يقبله فيبقى في ورطة الضلالة فهذا
قد رزقهم بقضاء الله على الخلق على هذا الوجه وقد ذكرنا مرة أخرى أن بعض الناس يقول
كل ما هو قضاء الله فهو خير والشر في القدر فالله قضى بأن النار فيها مصلحة للناس
لانها نور ويجهلون فيها منافع الاسفار وغيرها كما ذكر الله والماء فيه مصلحة الشرب لكن
النار انما تتم فمصلحتها بالحرارة الباغية والماء بالسيلان القوى وكونهما كذلك يلزمهما
باجراء الله عادته عليهما أن يحرق ثوب الفقير ويغرق شاة المسكين فالمنفعة في القضاء
والمضرة في القدر وهذا الكلام له غور والسنة أن تقول يفعل الله ما يشاء ويحكم
ما يريد (وعن الثالث) أن ذلك ليس بعام فانه لم يقل الاقل كلهم وانما قال الاقالوا ولما
كان كثير منهم بل أكثرهم قائلين به قال الله تعالى الاقالوا فان قيل فلم لم يذكر
المصدقين كما ذكر المكذبين وقال الاقل بعضهم صدقت وبعضهم كذبت نقول لان
المقصود التسليية وهى على التكذيب فكأنه تعالى قال لا تأس على تكذيب قومك
فان أقواما قبلك كذبوا ورسلا كذبوا * ثم قال (أتوا صوابه بل هم قوم طاغون) اى بذلك
القول وهو قولهم ساحر أو مجنون ومعناه التعجب اى كيف اتفقوا على قول واحد
كأنهم تواطأوا عليه وقال بعضهم لبعض لا تقولوا الا هذا ثم قال لم يكن ذلك عن التواطؤ
وانما كان لمعنى جامع هو أن الكل أتروا فاستغفروا فاستغفروا فاستغفروا فاستغفروا فاستغفروا
كما أن الملك اذا أمهل أهل بقعة ولم يكفهم شئ ثم قعد بعد مدة وطالبهم الى باب
بصعب عليهم لاتخاذهم القصور والجنان وتحسين بلادهم من الوجوه الحسان فيجعلهم
ذلك على العصيان والقول بطاعة ملك آخر * ثم قال تعالى (فتول عنهم فأنتم تعلمون) هذه
تسليية أخرى وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم كان من كرم الاخلاق ينسب نفسه الى
تقصير ويقول ان عدم ايمانهم لتقصيرى في التبليغ فيجتهد في الانذار والتبليغ فقال
تعالى قد أنيت بما عليك ولا يضرك التولى عنهم وكفرهم ليس لتقصير منك فلا تحزن فالك
لست بمعلوم بسبب التقصير وانما هم المعلومون بالاعراض والعتاد * ثم قال تعالى (وذكر
فان الذكرى تنفع المؤمنين) يعنى ليس التولى مطلقا بل تول وأقبل وأعرض وادع
فلا التولى يضرك اذا كان منهم ولا التذكير ينفع الا اذا كان مع المؤمنين وفيه معنى آخر
الطيف منه وهوان الهادى اذا كانت هدايته نافعة يكون ثوابه أكثر فلما قال تعالى فتول
كان يقع لتوهم أن يقول فحينئذ لا يكون للنبى عليه السلام ثواب عظيم فقال بلى وذلك
لان في المؤمنين كثرة فاذا ذكرتهم زاد هداهم وزاد الهدى من قوله كزيادة القوم
فان قوما كثيرا اذا صلى كل واحد ركعة أو ركعتين وقوما قليلا اذا صلى كل واحد ألف
ركعة تكون العبادة في الكثرة كالعبادة عن زيادة العدد فاللهادى الى على عبادة كل مهتد

أجر ولا ينقص أجر المهتدي قال تعالى ان لك اجرا أي وان توليت بسبب انتفاع المؤمنين بل وحالة اعراضك عن المعاندين وقوله تعالى فان الذي تنفع المؤمنين يحتمل وجوها (أحدها) أن يراد قوة يقينهم كما قال تعالى ليزدادوا إيمانا وقال تعالى فاما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وقال تعالى زادهم هدى وآتاهم تقواهم (ثانيها) تنفع المؤمنين الذين بعدك فمكانك اذا كثرت التذكير بالتكرير نقل عنك ذلك بالتواتر فينتفع به من يحى بعدك من المؤمنين (ثالثها) هو أن الذي كرى ان أقام إيمان كافر فقد نفع مؤمنا لانه صار مؤمنا وان لم يفسد يوجد حسنة و زاد في حسنة المؤمنين فينتفعوا وهذا هو الذي قيل في قوله تعالى وتلك الجنة التي أوردناهم * ثم قال تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) وهذه الآية فيها فوائد كثيرة والتذكير على وجه الاستقصاء فنقول أما تعلقها بما قبلها فلوجوه (أحدها) أنه تعالى لما قال وذكري عن أقصى غاية التذكير وهو ان الخلق ليس الا لعبادة فالله صود من إيجاد الانسان العباد فذكرهم به وأعلمهم ان كل ما عداه تضييع للزمان (الثاني) هو ان ذكرنا مرارا ان شغل الانبياء مختصر في أمرين عبادة الله وهداية الخلق فلما قال تعالى فأنزل عنهم فأنزلت عليهم الهداية قد تستقط عند اليأس وعدم المهتدي وأما العبادة فهي لازمة والخلق المطلق لها وليس الخلق المطابق للهداية فأنزلت عليهم اذا أثبت بالعبادة التي هي أصل اذا تركت الهداية بعد بدل الجهد فيها (الثالث) هو أنه لما بين حال من قبله من التكذيب ذكر هذه الآية ليعين سوء صنيعهم حيث تركوا عبادة الله فما كان خلفهم الا لعبادة وأما التفسير ففيه مسائل (الاولى) الملائكة أيضا من أصناف المكلفين ولم يذكرهم الله مع ان المنفعة الكبرى في إيجادهم هي العبادة ولهذا قال بل عباد مكرمون وقال تعالى لا يستكبرون عن عبادته فلما الحكمة فيه تقول الجواب عنه من وجوه (الاولى) قد ذكرنا في بعض الوجوه أن تعلق الآية بما قبلها بيان قبح ما يفعله الكفرة من ترك ما خلقوا له وهذا يختص بالجن والانس لان الكفر في الجن أكثر والكافر منهم أكثر من المؤمن لما بينا أن المقصود بيان قبحهم وسوء صنيعهم (الثاني) هو أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى الجن فلما قال وذكريهم ما يذكر به وهو كون الخلق للعبادة خص أمته بالذكر أي ذكر الجن والانس (الثالث) ان عباد الاصنام كانوا يقولون بأن الله تعالى عظيم الشأن خلق الملائكة وجعلهم مقر بين فهم يعبدون الله وخلقهم لعبادته ونحن لنزول درجتنا لانصلح لعبادة الله فعبد الملائكة وهم يعبدون الله فقال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ولم يذكر الملائكة لان الأمر فيهم كان مسلميا فيقوم فذكر المتنازع فيه (الرابع) قيل الجن يتناول الملائكة لان الجن أصله من الاستتار وهم مستترون عن الخلق وعلى هذا فتقدم الجن لدخول الملائكة فيهم وكونهم أكثر عبادة وأخلصها (الخامس) قال بعض الناس كلما ذكر الله الخلق كان فيه التقدير في الحرم والزمان قال تعالى خلق السموات

عن جدالهم فقد كرت
عليهم الدعوة فابوا
الا لاياء (فأنت علوم)
على التولى بعدما بذلت
المجهود وبما وزت
في الابلاغ كل حدمهود
(وذكري) أي افعل
التذكير والموعظة
ولا تدعهم بالمرة
أو تذكرهم وقد حذف
الضمير لظهور الأمر
(فان الذي كرى تنفع
المؤمنين) أي الذي قدر
الله تعالى إيمانهم
أو الذين آمنوا بالفعل
فانها تزيدهم بصيرة
وقوة في اليقين (وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون)
استئناف مؤكدا للأمر
مقرر لمضمون تعليله
فان كون خلقهم مقيا
بعبادته تعالى بما يدعو
عليه الصلاة والسلام
الى تذكيرهم يوجب
عليهم التذكير والاعتناء
ولعل تقديم خلق الجن
في الذكر لتقدمه على
خلق الانس في الوجود
ومعنى

والارض وما بينهما في ستة ايام وقال تعالى خلق الارض في يومين وقال خلقت يدي الى
 غير ذلك واما ما ذكره باللفظ الامر قال تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن
 فيكون وقال قل الروح من امر ربي وقال تعالى اذله الخلق والامر والملائكة
 كاذر واح من عالم الامر اوجدهم من غير مرور زمان فقوله وما خلقت اشاره الى من هو
 من عالم الخلق فلا يدخل فيه الملائكة وهو باطل لقوله تعالى خالق كل شيء فالك من عالم
 الخلق (المسئلة الثانية) تقديم الجن على الانس لآية حكمة نقول فيه وجوه الاول بعضها
 مرفى في المسئلة الاولى الثاني هو ان العباد سرية وجهرية والسرية فضل على الجهرية
 لكن عباد الجن سرية لا يدخلها الزياء العظم وأما سبادة الانس فيدخلها الزياء فانه
 قد يعبد الله لا بشاء جنسه وقد يعبد الله ليسخبر من الجن أو يخافه منهم ولا كذلك الجن
 (المسئلة الثالثة) قول الله تعالى ايس اعرض والالكان بالغرض مستكملا وهو في نفسه
 كامل فكيف يفهم الامر الله الغرض والعلة نقول المعترلة تمسكوا به وقاوا افعال الله
 تعالى لا غرض وبالعواقب الانكار على منكري ذلك ونحن نقول فيه وجوه (الاول) ان
 التعليل لفظي ومعنوي واللفظي ما يطلق الناظر اليه اللفظ عليه وان لم يكن له في
 الحقيقة مثاله اذا خرج ملك من بلاده ودخل بلاد العدو وكان في قلبه ان يتعب عسكر
 نفسه لا غير في المعنى المقصود ذلك وفي اللفظ لا يصح واو قال هو انما سافرت الا لا بغية
 اجر او لاستفيد حسنة يقال هذا ليس بشيء ولا يصح عليه ولو قال قائل في مثل هذه الصورة
 خرج ليأخذ بلاد العدو وليرهبه لصدق فالتعليل اللفظي هو جعل المنفعة المتبعة علة
 للفعل الذي فيه المنفعة يقال انجر للرجح وان لم يكن في الحقيقة له اذا عرفت هذا فنقول
 الحائثي غير معلومة عند الناس والمفهوم من التصوص معانيها اللفظية لكن الشيء اذا
 كان فيه منفعة يصح التعليل بها لفظا والتزاع في الحقيقة في اللفظ (الثاني) هو ان ذلك
 تقدير كالتنبي والترجي في كلام الله تعالى وكأنه يقول العباد عند الخلق شيء لو كان ذلك
 من افعالكم لقلتم انه افعالكم في قوله تعالى اياه يتذكر أرى بحيث يصبر تذكره عندكم
 مرجوا وقوله عسى ربكم ان يهلك عدوكم أي يصير اهلا كعندكم مرجوا فتقولون انه قرب
 (الثالث) هو ان اللام قد ثبت فيما لا يصلح غرضا كما في الوقت قال تعالى أقم الصلاة لادلوك
 الشمس وقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن والمراد المقارنة وكذلك في جميع الصور وحينئذ
 يكون معناه قرنت الخلق بالعبادة أي غرض العباد أي خلقتهم وفرضت عليهم العباد
 والذي يدل على عدم جواز التعليل الحقيقي هو ان الله تعالى مسغن عن المنافع فلا يكون
 فعله لمنفعة راجعة اليه ولا الى غيره لان الله تعالى قادر على ايصال المنفعة الى الغير من غير
 واسطة العمل فيكون توسط ذلك لا يكون علة واذ ازم القول بأن الله تعالى يفعل فعلا هو
 لتوسط لآلهة زمهم المسئلة وأما التصوص فاكثر من أن تعدوه هي على أنواع منها ما يدل
 على ان الاضلال بفعل الله كقوله تعالى بضل من يشاء وأمثاله ومنها ما يدل على ان الاشياء

خلقهم لعبادته تعالى
 خلقهم مستعدين لها
 وممكنين منها أتم
 استعدادا أو أكمل تمكن
 مع كونها مطلوبة منهم
 بتزليل ترتب الغاية على
 ما هي ثمرة له منزلة ترتب
 الغرض على ما هو غرض
 له فان استتباع افعاله
 تعالى افعال جليله مما
 لا نزاع فيه قطعاً كيف
 لا وهي رحمة منه تعالى
 وتفضل على عباده وانما
 الذي لا يليق بجناحه
 عز وجل تعليلها بالغرض
 بمعنى الباعث على الفعل
 بحيث لولاه لم يفعله
 لافضائه الى استكمال
 بفعله وهو الكامل بالفعل
 من كل وجه وأما معنى
 نهاية كآية يفضي اليها
 فعل الفاعل الحق فغير
 منفي من افعاله تعالى
 بل كما جارفة على
 ذلك التهاج وعلى هذا
 الاعتبار يدور وصفه
 تعالى بالحكمة ويكفي
 في تحققي معنى

الجليل على ما يقوله
 الفقهاء ويتعارفه أهل
 اللغة هذا المقدار وبه
 يتحقق مداول الام وأما
 ارادة الفاعل لها فليست
 من مقتضيات اللام
 حتى يلزم من عدم صدور
 العبادة عن البعض
 تخلف المراد عن الارادة
 فان تعوق البعض عن
 الوصول الى الغاية مع
 تعاضد المبادئ وتأخذ
 المقدمات الموصلة اليها
 لا يمنع كونها غاية كما
 في قوله تعالى انك
 أنزله انك لتخرج
 الناس من الظلمات الى
 النور ونظاره وقبل المعنى
 الا ليؤمنوا بعبادتي
 كما في قوله تعالى وما
 أمرنا الا ليعبدوا الها
 واحدا وقيل المراد سعاداء
 الجنسين كما أن المراد
 بقوله تعالى وقد ذرأنا
 لجنهم كثيرا من الجن
 والانس أشقياء هما
 ويضد قراءته من قرأ
 وما خلقت الجن

كأها بخلق الله كقوله تعالى خالق كل شيء ومنها الصرايح التي تدل على عدم ذلك
 كقوله تعالى لا يسئل عما يفعل وقوله تعالى يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد والاستقصاء
 مفوض فيه الى التكلم الاصولي لآلئ المفسر (المسئلة الرابعة) قال تعالى يا ايها الناس
 انما خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا وقال يعبدون فهل بينهما
 اختلاف نقول ليس كذلك فان الله تعالى علل جعلهم شعوبا بالعارف وههنا علل خلقهم
 بالعبادة وقوله هناك ان أكرمكم عند الله أتقاكم دليل على ما ذكره ههنا وموافق له لانه
 اذا كان اتقى كان عابدا وأخلص عملا فتكون المطلوب منه أتم في الوجود فيكون أكرم
 وأتم كالشيء الذي منفعة فائدة وبعض افراده يكون أنفع في تلك الفائدة مثاله الماء
 اذا كان مخلوقا للتطهير والشرب فالصافي منه أكثر فائدة في تلك المنفعة فيكون أشرف
 من ماء آخر فكذلك العبد الذي وجد فيه ما هو المطلوب منه على وجه أبلغ (المسئلة
 الخامسة) ما العبادة التي خلق الجن والانس لها قلنا التعظيم لامر الله والشفقة على
 خلق الله فان هذين النوعين لم يخل شرع منهما وأما خصوص العبادات فالشرائع
 مختلفة فيها بالوضع والهيئة والقلة والكثرة والزمان والمكان والشرائط والاركان ولما
 كان التعظيم اللائق بذى الجلال والاكرام لا يعلم عقلا لزم اتباع الشرائع فيها والاخذ
 بقول الرسل عليهم السلام فقد أنعم الله على عباده بارسال الرسل وابطاح السبل في نوعي
 العبادة وقيل ان معناه ليعرفوني روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال قال عن ربه
 كنت كنزا مخفيا فأردت ان أعرف ثم قال تعالى (ما أريد منهم من رزق وما أريد ان
 يطعمون) وفيه جواب سؤال وهو ان الخلق لغرض ينبي عن الحاجة فخلقنا خلقهم
 ليطعمون والرفع فيه لهم لآلئ وذلك لان منفعة العبد في حق السيد أن يكتب له اما
 بتحصيل المال له أو بحفظ المال عليه وذلك لان العبد ان كان الكسب لغرض التحصيل
 فيه ظاهر وان كان الشغل فلا العبد لا يحتاج السيد الى استئجار من يفعل الشغل له
 فيحتاج الى اخراج مال والعبد يحفظ ماله عليه ويغنيه عن الاخراج فهو نوع كسب
 فقال تعالى ما أريد منهم من رزق وما أريد ان يطعمون أي لست كالسادة في طلب العبادة
 بل هم الرابحون في عبادتهم وفيه وجه آخر وهو ان يقال هذا تقرير لكونهم مخلوقين
 للعبادة وذلك لان الفعل في العرف لا بد له من منفعة لكن العبيد على قسمين قسم منهم
 يكون للعظمة والجلال كما يليك الملوك يطعمهم الملك ويسقيهم ويعطيهم الاطراف من
 البلاد ويؤتيهم الطراف بعد التلاد والمراد منهم التعظيم والمثول بين يديه ووضع اليدين
 على الشمال لديه وقسم منهم الانتفاع بهم في تحصيل الارزاق أو لاصلاحها فقال تعالى
 اني خلقتهم فلا بد فيهم من منفعة فليتفكروا في أنفسهم هل هم من قبيل أن يطلب منهم
 تحصيل رزق وليسوا كذلك فإريد منهم من رزق أو هل هم من يطلب منهم اصلاح
 قوت كاطباخ والخوانى الذي يقرب الطعام وليسوا كذلك فإريد ان يطعمون

والانس من المؤمنين
وقال مجاهد واختاره
البعوى معناه لا يعرفون
ومداره قوله صلى الله
عليه وسلم فيما يحكيه
عن رب العزة كنت كثرا
مخفيا فأحييت أن أعرف
فخلقت الخلق لأعرف
وعل السر في التعبير
عن المعرفة بالعبادة
على طريق اطلاق
اسم السبب على المسبب
التبني على أن المتبرهي
المعرفة الخاصة بعبادته
تعالى لا يحصل
بغيرها كحرفة الفلاسفة
(ما أريد منهم من رزق
وما أريد أن يطعمون)
بيان لكون شأنه تعالى
مع عباده متعاليا عن
أن يكون كشأن السادة
مع عبيدهم حيث
يذكرونهم يستعينونهم
في تحصيل معاشهم
وتهئية أرزاقهم أي
ما أريد أن أصرفهم
في تحصيل رزقي
ولأرزقهم بل أنفضل
عليهم برزقهم وبما
يصلحهم ويعيشهم
من عندي فليتقوا عبادي
خلقوا له من عبادتي

فأذنهم عبيد من القسم الأول فينبغي أن لا يتركوا التعظيم وفيه لطائف نذكرها في
مسائل (المسئلة الأولى) ما للفائدة في تكرار الارادتين ومن لا يريد من أحد رزقا لا يريد
أن يطعمه نقول هو لما ذكرناه من قبل وهو أن السيد قد يطلب من العبد الكسب له وهو
طلب الرزق منه وقد يكون للسيد مال وأمر يستغنى عن الكسب لكنه يطلب مند قضاء
حوائجه بجاله من المال واحضار الطعام بين يديه من ماله فالسيد قال لا أريد ذلك ولا هذا
(المسئلة الثانية) لم يقدم طلب الرزق على طلب الاطعام نقول ذلك من باب الارتقاء كقول
القائل لأطلب منك الاعانة ولا من هو أقوى ولا يعكس ويقال فلان يكرمه الامراء بل
السلطين ولا يعكس فقال ههنا لأطلب منك رزقا ولما هودون ذلك وهو تقديم طعام
بين يدي السيد فان ذلك امر كثير الطلب من العباد وان كان الكسب لا يطلب منهم
(المسئلة الثالثة) لو قال ما أريد منهم أن يرزقون وما أريد منهم من طعام هل تحصل هذه
الفائدة نقول على ما فصل لا وذلك لان بالنكس يطلب الغنى لا القل فان من اشتغل
بشغل ولم يحصل له غنى لا يكون كمن حصل له غنى وان لم يشغل كالعبد المتكسب اذا ترك
الشغل لحاجته ووجد مطلبا يرضى منه السيد اذا كان شغله التكسب وأما من يراد منه
الفعل لذات الفعل كالجائع اذا بحث عبده لاحضار الطعام فاشتغل باخذ المال من مطلب
فر بما لا يرضى به السيد فالقصد من الرزق الغنى فلم يقبل بلفظ الفعل والمقصود من
الاطعام الفعل نفسه فذكر بلفظ الفعل ولم يقبل وما أريد منهم من طعام هذا مع ما في
اللفظين من الفصاحة والجرالة للتوابع (المسئلة الرابعة) اذا كان المعنى به ما ذكرت فما
قائدة الاطعام وتخصيصه بالذكر مع ان المقصود عدم طلب فعل منهم غير التعظيم نقول
لما عم في المطلب الاول اكتفى بقوله من رزقي فانه يفيد العموم وأشار الى التعظيم فذكر
الاطعام وذلك لان أدنى درجات الافعال ان يستعين السيد بعبده أو طارية في تهئية أمر
العلماء وفي الأدنى يستتبعه في الأعلى بصر في الأولى فصار كأنه قال تعالى ما أريد منهم
من عين ولا عمل (المسئلة الخامسة) على ما ذكرت لا تخصص المصالب فيما ذكره لان السيد
قد يشترى العبد لأطلب عمل منه ولا يطلب رزق ولا لا تعظيم بل يشترىه للتجارة والرخ فيه
نقول عموم قوله ما أريد منهم من رزقي يتناول ذلك فان من اشترى عبدا يتجر فيه فتد طلب
مند رزقا (المسئلة السادسة) ما أريد في العربية يفيد التفي في الحال والتخصيص بالذكر
يوهم في ما عدا المذكور لكن الله تعالى لا يريد منهم رزقا في الحال ولا في الاستقبال فلم
لم يقل لا أريد منهم من رزق ولا أريد نقول ما لا يفي في الحال ولا في الاستقبال
فالقائل اذا قل فلان لا يفعل هذا الفعل وهو في الفعل لا يصدق لكنه اذا ترك مع فراغه
من قوله بصدق القائل ولو قال ما فعل الساعد في ذكرنا من الصورة مثاله اذا كان
الانسان في الصلاة وقال قائل انه ما يصلي فانظر اليه فاذا كان نظرا اليه الناظر وقد قطع
صلاة نفسه صح أن يقول انا قلت انك لا تصلي ولو قال القائل انه ما يصلي في تلك الحالة

لما صدق فأنما علمت هذا فكل واحد من اللفظين للنسافة فيه خصوص لكن النقي في الحال أولى لأن المراد من الحال الدنيا والاستقبال هو في الأمر الآخرة فالدنيا وأمورها كلها حالية فتبطل ما أر بدى في هذه الحالة الراهنة التي هي ساعة الدنيا ومن المعلوم أن العبد بعد موته لا يصلح أن يطلب منه رزق أو عمل فكان قوله ما أر يد مفيداً للنقي العام وأو قال لا أر يدل على ذلك * ثم قال تعالى (إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) تعليلاً لما تقدم من الأمرين فقوله هو الرزاق تعليل لعدم طلب الرزق وقوله تعالى ذو القوة تعليل لعدم طلب العمل لأن من يطلب رزقاً يكون فقيراً محتاجاً ومن يطلب علامة من غيره يكون عاجزاً لا لقوته فصاركاً أنه يقول ما أر يد منهم من رزق فإني أنا الرزاق ولا عمل فإني قوى وفيه مباحث (الأول) قال ما أر يد ولم يقل أني رزاق بل قال على الحكاية عن الغائب أن الله في الحكمة قد يقول قدروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ إلى أنا الرزاق على ما ذكرت وأما القراءة المشهورة ففيها وجوه (الأول) أن يكون المعنى قل يا محمد إن الله هو الرزاق (الثاني) أن يكون ذلك من باب الالتفات والرجوع من التكلم عن النفس إلى التكلم عن الغائب وفيه ههنا فائدة وهي أن اسم الله يفيد كونه رزاقاً وذلك لأن الإله بمعنى المعبود كما قلنا امرأاً وتسمكنا بقوله تعالى ويدرك وآلهتك أي معبوديك وإذا كان الله هو المعبود ورزق العبد استعمله في غير الكسب أذ رزقه على السيد وههنا لما قال ما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون فقد بين أنه استعملهم لنفسه وعبادته وكان عليه رزقهم فقال تعالى إن الله هو الرزاق بلفظ الله الدال على كونه رازقاً ولو قال أني أنا الرزاق لحصلت المناسبة التي ذكرت ولكن لا يتصل ما ذكرنا (الثالث) أن يكون قل مضمرًا عند قوله تعالى ما أر يد منهم تقديره قل يا محمد ما أر يد منهم من رزق فيكون بمعنى قوله قل ما أسئلكم عليه من أجر ويكون على هذا قوله تعالى إن الله هو الرزاق من قول النبي صلى الله عليه وسلم ولم يقل القوى بل قال ذو القوة وذلك لأن المقصود تقرير ما تقدم من عدم إرادة الرزق وعدم الاستعانة بالغير لكن في عدم طلب الرزق لا يكفي كون المستغنى بحيث يرزق واحداً فإن كثيراً من الناس يرزق ولده وغيره ويستترق والملك يرزق الجنود ويستترق فإذا كثرت الرزق قل منه الطلب لأن المستترق ممن يكثر الرزق لا يستترق من رزقه فلم يكن ذلك المقصود يحصل له الإبلالة في وصف الرزق فقال الرزاق وأما ما يغني عن الاستعانة بالغير فدون ذلك وذلك لأن القوى إذا كان في غاية القوة يعين الغير فإذا كان دون ذلك لا يعين غيره ولا يستعين به وإذا كان دون ذلك يستعين استعانة ما وتتفاوت بعد ذلك ولما قال وما أر يد أن يطعمون كفاه بيان نفس القوة فقال ذو القوة في إفاضة معنى القوى دون القوى لأن لا يقال في الوصف اللازم البين فيقال في الآدمي ذوالمال وموتول وذو جلال وجليل وذو خلق حسن وخلق إلى غير ذلك مما لا يلزمه لزوماً ولا يقال في الثلاثة ذات فردية ولا في الأربعة ذات زوجية ولهذا

(إن الله هو الرزاق)

الذي يرزق كل ما يقدر إلى الرزق وفيه تلويح بأنه غني عنه وقرى إلى أني أنا الرزاق (ذو القوة المتين) بالرفع على أنه نعت للرزاق أولاد أو أخبر بعد خبراً وخبر المضمر وقرى بالجر على أنه وصف للقوة على تأويل الاقتدار أو الأبد

(فان الذين ظلموا) أي ظلموا أنفسهم بغير انضباط الخالد بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم أووه مكان التصديق تكذبا وهم أهل مكة (ذنوباً) أي نصيبوا وفراً * ٦٩٠ * من العذاب (مثل ذنوب أصحاب)

المراد في الأوصاف الحقيقية التي ليست مأخوذة من الأفعال ولذا لم يسمع ذوا الوجود ولا ذوا الحياة ولا ذوا العلم ويقال في الإنسان ذوا علم وذو حياة لأنها عرض فيه عارض لا لازم بين وفي صفات الفعل يقال الله تعالى ذوا الفضل كثيراً وذو الخلق قليلاً لأن ذا كذا بمعنى صاحبه وربه والصحة لا يفهم منها إلا لزوم فضلاً عن اللزوم البين والذي يؤيد هذا هو أنه تعالى قال يفوق كل ذي علم عليم فيقول غير ذاعلم ووصف نفسه بالفعل فيبين ذى العلم والعليم فرق وكذلك بين ذى القوة والقوى ويؤيده أيضاً أنه تعالى قال فاخذهم الله انه قوى شديد العقاب وقال تعالى الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوى العزيز وقال تعالى لا تغلبننا ورسلنا ان الله قوى عزيز لأن في هذه الصور كمن المراد بيان اقيام بالأفعال العظيمة والمراد ههنا عدم الاحتياج ومن لا يحتاج إلى الغير يكفيه من القوة قدر ما ومن يقوم مستتبداً بالفعل لا بد له من قوة عظيمة لأن عدم الحاجة قد يكون بترك الفعل والاستغناء عنه ولو بين هذا البحث في معرض الجواب عن سؤال سائل من الفرق بين قوله ذوا القوة ههنا وبين قوله قوى في تلك المواضع لكان أحسن * فان قيل فقد قال تعالى ليعلم الله من يتصره ورسله بالتعجب ان الله قوى عزيز وفيه ما ذكرنا من المعنى وذلك قوله قوى لبيان انه غير محتاج إلى النصرة وإنما يريد ان يعلم ليتبين الناصر لكن عدم الاحتياج إلى النصرة يكفي فيه قوة ما فإلم يقل ان الله ذوا القوة نقول فيه انه تعالى قال من يتصره ورسله ومعناه انه يغني رسله عن الاحتياج المستعصرين والافاقه من خلقه لجزهم وأما يطلبها ثواب الناصرين لا لاحتياج المستعصرين والافاقه تعالى وعدهم بالنصرة حيث قال ولقد سبق لكاتب العبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون ولما ذكر الرسل قال قوى ليكون ذلك تقوية لقلوب رسله والمؤمنين وتسابيح اصدورهم وصدور المؤمنين (البحث الثاني) قال المتن وذلك لأن ذوا القوة كما بينا لا يدل الاعلى ان له قوة ما فإد في الوصف جانا وهو الذي له ثبات لا يتزلزل وهو هم الثمين من باب واحد لفظاً ومعنى فان متن الشيء هو أصله الذي عليه ثباته والمتن هو الظاهر الذي عليه أساس البدن والمثانة مع القوة كالعزة مع القوة حيث ذكر الله تعالى في مواضع ذكر القوة العزة فقال قوى عزيز وقال القوى العزيز وفيه لطيفة تؤيد ما ذكرنا من البحث في القوى وذى القوة وذلك لأن الثمين هو الثابت الذي لا يتزلزل والعز يز هو الغالب في الثمين انه لا يغلب ولا يقهر ولا يهزم وفي العزيز انه يغلب ويقهر ويزل الأقدام والعزة أكل من المثانة كان القوى أبلغ من ذى القوة فقرر الأكل بالآكل وما دونه بما دونه وانظرت حق النظر وتأملت حق التأمل لرأيت في كتاب الله تعالى لطائف تنبهك على عناد المنكرين وفتح ابتكار المعادين * ثم قال تعالى (فان الذين ظلموا ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون) فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدهم (وهو مناسب لما قبله وذلك لانه تعالى بين ان من يضع نفسه في موضع عبادة غير الله يكون وضع الشيء

مثل انصباء نظرهم من الآدم المحكية وهو مأخوذ من مقالة السقاء الماء بالذنوب وهو الدلو العظيم المملوء (فلا يستعجلون) أي لا يطلبون مني أن أعجل في المجيء به يقال استعجله أي حشد على العجلة وأمره بها ويقال استعجله أي طلب وقوعه بالعجلة ومنه قوله تعالى أتى أمر الله فلا تستعجلوه وهو جواب لتو لهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين (فويل للذين كفروا) وضع الموصول موضع ضميرهم لتعجلا عليهم بما في حيز العجلة من الكفر واشغار بعلة الحكيم واناء الترتيب ثبوت الويل لهم على أن لهم عذاباً عظيماً كما أن العذاب الأولي الترتيب انتهى عن الاستعجال على ذلك ومن في قوله تعالى (من يومهم الذي يوعدهم) (للعادل أي يوعدهم من يوم بدر وقيل يوم اقيامة وهو الانسب بما في صدر السورة الكريمة

الآية والاول هو الاوفى لما قبله من حيث انهما من العذاب الديني * عن النبي صلى الله عليه وسلم في * وسلم من قرأ والذاريات أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعد كل ربح هبت وجرى في الدنيا

في غير موضعه فيكون ظلما فقال اذا ثبت ان الانس مخلوق للعبادة فان الذين ظلموا بعبادة
غيرهم هلاك مثل هلاك من تقدم وذلك لان الشيء اذا خرج عن الانتفاع المطلوب
منه لا يحفظ وان كان موضع يخلى المكان عنه ألا ترى ان الدابة التي لا يلقى
منفعة عابها بالموت أو معرض يخلى عنها الاصطبل والطعام الذي يتعفن يهدو ويرغ منه
الاناء فكذلك الكافر اذا ظلم ووضع نفسه في غير موضعه خرج عن الانتفاع فحسب اخلاء
المكان عنه وحق نزول الهلاك به * وفي التفسير مسائل (المسئلة الاولى) فيما يتعلق به
انقضاء وقد ذكرنا ذلك في وجه العلق (المسئلة الثانية) ما مناسبة الذنوب نقول العذاب
مصيب عليهم كأنه قال تعالى نصب من فوق رؤسهم ذنوبا كذنوب صب فوق رؤس
أولئك وجه آخر وهو ان العرب يستقون من الآبار على اثوبة ذنوبا فذنوبا وذلك
وقت عيشهم الصيب فكانه تعالى قال فان للذين ظلموا من الدنيا وطيبا فها ذنوبا أي ملاءة
ولا يكون لهم في الآخرة من نصيب كما كان عليه حال أصحابهم اسقوا ذنوبا وتركوها
وعلى هذا فالذنوب ليس بعذاب ولا هلاك وانما هو رعد العيش وهو الباقي بالعرية وقوله
تعالى فلا يستعجلون فان الرزق مالم يفرغ لا يأتي الاجل ثم اعاد ما ذكر في أول السورة
فقال فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون والمجد لله رب العالمين وصلى الله على
سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

(سورة الطور أربعون وتسع آيات مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والطور وكتاب مسطور في رق منشور والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر
المسجور) هذه السورة مناسبة للسورة المقدمة من حيث الافتتاح بانقسم وبيان
الحشر فيهما وأول هذه السورة مناسب لآخر ما قبلها لان في آخرها قوله تعالى فويل
للذين كفروا وهذه السورة في أولها فويل يومئذ للكافرين وفي آخر تلك السورة قال
فان للذين ظلموا ذنوبا إشارة الى العذاب وقال هنا ان عذاب ربك لواقع وفيه مسائل
(المسئلة الاولى) ما الطور وما الكتاب المسطور نقول فيه وجوه (الاول) الطور هو
جبل معروف كالم المعروف فويل للذين كفروا من يومئذ الذي قال الله
تعالى وطور سينين (الثالث) هو اسم الجنس والمراد القسم بالجبل غير ان الطور الجبل
العظيم كالطود وأما الكتاب ففيه أيضا وجوه (أحدها) كتاب موسى عليه السلام
(ثانيها) الكتاب الذي في السماء (ثالثها) صحائف أعمال الخلق (رابعها) القرآن
وكيفما كان فهي في رق وسنين فائدة قوله تعالى في رق منشور وأما البيت المعمور
ففيه وجوه (الاول) هو بيت في السماء العليا عند العرش ووصفه بالعمارة الكثيرة
الطائفين به من الملائكة (الثاني) هو بيت الله الحرام وهو معمور بالحاج الطائفين به

* (سورة الطور مكية)
وآياتها تسع أربعون
وأربعون آية *
* (بسم الله الرحمن
الرحيم) * (والطور)
الطور بالسريانية الجبل
والمراد به طور سينين
وهو جبل بدين سمع فيه
موسى عليه السلام كلام
الله تعالى (وكتاب
مسطور) مكتوب على
وجه الانتظام فان السعير
ترتيب الحروف المكتوبة
والمراد القرآن أو ألواح
موسى عليه السلام وهو
الانصب بالطور أو ما
يكتب في الألواح أو ما
يكتب بالحفظ (في رق
منشور) الرق الجلد الذي
يكتب فيه يستعمل بالكتب
ففيه الكتاب من الصحيفة
وتكبرهما للتخمين أو
للاشارة بأنهما ليسا
بما يتعارفان التباس

العاكفين (الثالث) البيت المعمور اللام فيه لتعريف الجنس كأنه يقسم بآبيوت المعمورة والعمائر المشهورة والسقف المرفوع السماء والبحر المسجور قيل الموقد ناراً يقال سحرت التور وقيل هو البحر المملوء ماء المتوج وقيل هو بحر معروف في السماء يسمى بحر الحيوان (المسئلة الثانية) ما الحكمة في اختيار هذه الاشياء نقول هي تختص وجوهاً (أحدها) إن الأماكن الثلاثة وهي الطور والبيت المعمور والبحر المسجور أما كن كانت الثلاثة أندية يتفردون فيها للخلوة برحيم والخلص من الخلق والخطاب مع الله أما الطور فانتقل إليه موسى عليه السلام وأبنت المعمور محمد صلى الله عليه وسلم والبحر المسجور يونس عليه السلام والكل خاطبوا الله هناك فقال موسى أنه لئلا نكفنا بما فعل السفهاء منا إن هي إلا فتنة تفضل بها من تشاء وتهدي من تشاء وقال أرتى أنظر إليك وأما محمد صلى الله عليه وسلم فقال سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين لأحصى ثناء عليك أنت كما أئنت على نفسك وأما يونس فقال لا إله إلا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين فصارت الأماكن شريفة بهذه الأسباب فعلم الله تعالى بها وأما ذكر الكتاب فإن الأنبياء كان لهم في هذه الأماكن مع الله تعالى كلام والكلام في الكتاب واقتزاه بالطور أدل على ذلك لأن موسى عليه السلام كان له مكتوب ينزل عليه وهو بالطور وأما ذكر السقف المرفوع ومعه البيت المعمور ليعلم عظمة شأن محمد صلى الله عليه وسلم (ثانيها) وهو أن القسم لما كان على وقوع العذاب وعلى أنه لا دافع له وذلك لأنه لا مهرب من عذاب لأن من يريد دفع العذاب عن نفسه في بعض الاوقات فيحصى بمثل الجبال الشاهقة التي ليس لها طرف وهي متضايقة بين أنه لا ينفذ التحصن بها من أمر الله تعالى كما قال ابن نوح عليه السلام سأوى الى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحمهم حكاية عن نوح عليه السلام (المسئلة الثالثة) ما الحكمة في تنكير الكتاب وتعريفه بالاشياء نقول ما يحتمل الخفاء من الامور الملتصقة بأمثالها من الاجناس يعرف باللام فيقال رأيت الأمير ودخلت على الوزير فاذا بلغ الأمير الشهرة بحيث يؤمن بالالتباس مع شهرته ويريد الواصف وصفه بالعظمة يقول اليوم رأيت أميراً ماله نظير جالساً عليه سيماً الملوك وأنت تريد ذلك الأمير المعلوم والسبب فيه أنك بالتكبير تشير الى أنه خرج عن أن يعلم ويعرف بكنهه عظيماً فيكون كقوله تعالى الخافة ما الخافة وما أدراك ما الخافة فاللام وإن كانت معرفة لكن أخرجها عن المعرفة بكون شدة هولها غير معروف فكذلك ههنا الطور ليس في الشهرة بحيث يؤمن بالاس عند التكبير وكذلك البيت المعمور وأما الكتاب الكريم فقد تميز عن سائر الكتب بحيث لا يسبق الى افهام السامعين من النبي صلى الله عليه وسلم لفظ ان الكتاب الا ذلك فلما أمن اللبس وحصلت فائدة التعريف سواء ذكر باللام أو لم يذكر فصد الفائدة الاخرى وهي في الذكر بالتكبير وفي تلك الاشياء لما تحصل فائدة التعريف الآية التعريف استعمالها وهذا يؤيد كون

(والبيت المعمور) أى
الكعبة وغارها بالحجاب
والعمار والمجاورين
أو الضراح وهو في السماء
الرابعة وعمرانه كثرة
غاشية من الملائكة
(والسقف المرفوع)
أى السماء ولا يخفى حسن
موقع العنوان المذكور
(والبحر المسجور)
أى المملوء وهو البحر
المحيط أو الموقد من قوله
تعالى وإذا البحار
سحرت فالمراد به الجنس
روى أن الله تعالى يجعل
البحار يوم القيامة ناراً
يسبح بها نارجهنم

المراد منه القرآن وكذلك اللوح المحفوظ مشهور (المسئلة الرابعة) ما الفائدة في قوله تعالى في رق منشور وعظمته الكتاب بالفظه ومعناه لا بخطه ورقه نقول هو اشارة الى الوضوح وذلك لان الكتاب المطوي لا يعلم ما فيه فقال هو في رق منشور ليس كالكتاب المطوية وعلى هذا المراد اللوح المحفوظ فعنه هو منشور لكم لا يعلمكم أحد من مطالعته وان قلنا بأن المراد كتاب اعمال كل أحد فالتكبر لعدم المعرفة بعينه وفي رق منشور لبيان وصفه كما قال تعالى كتابا يلقاه منشورا وذلك لان غير المعروف اذا وصف كان الى المعرفة أقرب شيها (المسئلة الخامسة) في بعض السور أقسم بجمع كافي قوله تعالى والذاريات وقوله والمرسلات وقوله والنازعات وفي بعضها بأفراكا في هذه السورة حيث قال والطور ولم يقل والاطوار والبحار ولا سيما اذا قلنا المراد من الطور الجبل العظيم كأنطود كافي قوله تعالى ورعنا فوقهم الطور أى الجبل فالحكمة فيه نقول في الجموع في أكثرها أقسم بالبحر كات والريح الواحدة ليست بثابتة مستمرة حتى يقع القسم بها بل هي متبدلة بأفرادها مستمرة بانواعها والمتصور منها لا يحصل بالابتدال والتغير فقال والذاريات اشارة الى النوع المسترالى الفرد المعين المستقر واما الجبل فهو ثابت قليل التغير والواحد من الجبال دائم زمانا ودهرا فأقسم في ذلك بالواحد وكذلك قوله والجم والريح ما علم القسم به وفي الطور علم ثم قال تعالى (ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع) اشارة الى القسم عليه وفيه مباحث (الاول) في حرف ان وفيه مقامات (الاول) هي تنصب الاسم وترفع الخبر والسبب فيه هو انها شبهت بالفعل من حيث اللفظ والمعنى اما اللفظ فلكون الفتح لازما فيها واختصاصها بالدخول على الاسماء والمنصوب منها على وزن ان أنينا واما المعنى فنقول اعلم ان الجملة الاثباتية قبل الجملة الانتفاضية ولهذا استغنوا عن حرف يدل على الاثبات فاذا قالوا زيد منطلق فهم متداردة اثبات الانطلاق زيد والانتفاضية لما كانت بعد المثبتة زيد فيها حرف يعبر عن الاصل وهو الاثبات فقل ليس زيد منطلقا فصار ليس زيد منطلقا بعد قول القائل زيد منطلق ثم ان قول القائل ان زيد منطلق مستبطن من قوله ليس زيد منطلقا كأن الواضع لما وضع أول زيد منطلق للاثبات وعند الذي يحتاج الى ما يعبره أى بلفظ مغير وهو فعل من وجه لانك قد تبتى مكانه ما التافية ولهذا قبلت ويسوا فالحق به ضمير الفاعل ولو لانه فعل لما جاز ذلك ثم أراد أن يضع في مقابلة ليس زيد منطلقا جملة اثباتية فيها لفظ الاثبات كان في التافية لفظ النفي فقال ان ولم يقصد أن ان فعل لان ليس بشبه بالفعل لمافيه من معنى الفعل وهو التغير فانها غيرت الجملة عن أصلها الذى هو الاثبات وأما ان لم تغير فالجملة على ما كانت عليه اثباتية فصارت مشبهة بالمشبهة بالفعل وهي ليس وهذا ما يقوله الخويون في ان وأن وكان وليت ولعل انها حروف مشبهة بالافعال اذا علمت هذا فنقول كان ليس لهما اسم كالفاعل وخبر كالفعول نقول ليس زيد شيئا بالرفع والنصب كاتقول بات زيد كريما

(ان عذاب ربك لواقع)
أى لازلل حتما جواب
للقسم وقوله تعالى (ماله
من دافع) اما خبر ثان
لأن اوصفا لواقع ومن
دافع امام بدأ للظرف
أمر تفع به على الغاعلية
ومن مزيدة للتأكيد
وتخصيص هذه الامور
بالاقسام بها لما أنها
أمر عظيم نهي عن
عظم قدرة الله تعالى
وكمال علمه وحكمته
ادالة على احاطته
تعالى بتفاصيل أعمال
العباد وضبطها
الشاهدة بصدق
اخباره التي من جللتها
الجملة المقسم عليها
وقوله تعالى

فكذلك ان لها اسم وخبر لكن اسمها يخالف اسم ليس وخبرها خبرها فان اسم ان منصوب وخبرها مرفوع لان ان لمسا كانت زيادة على خلاف الاصل لانها لاتنصب الا الاثبات الذي كان مستغادا من غير حرف وليس لمسا كانت زيادة على الاصل لانها تغير الاصل واولاها لمسا حصل المقصود جعل المرفوع والمنصوب في ليس على الاصل لان الاصل تقديم الفاعل وان جعل ذلك على خلاف الاصل وقدم المشبه بالفعل على المشبه بالفعل تقديم لازما فلا يجوز أن يقال ان منطلق زيد او هو في ليس منطلقا ز جاز كافي الفعل لانها فعل (المقام الثاني) هي لم تكسر تارة وتفتح أخرى نقول الاصل في الكسرة والقحة اعارض وان كان هذا في الظاهر يخالف قول النحاة لكن في الحق هي كذلك (المقام الثالث) لم تدخل اللام على خبر ان المكسورة دون المفتوحة فلما قد خرج مما سبق ان قول القائل زيد منطلق أصل لان المثبتات هي المحتاجة الى الاخبار عنها فلان الخبر في ذلك وأما العدميات فعلى أصولها مستمرة ولهذا يقال الاصل في الاشياء البقاء ثم ان السامع له قد يحتاج الى الرد عليه فيقول ليس زيد منطلقا فيقول هو ان زيد منطلق فيقول هو ردا عليه ان زيد منطلق وأن ليست في مقابلة ليس وانما هي متفرقة عن المكسورة (المبحث الثاني) قوله تعالى عذاب ربك فيه لطيفة عزيزة وهي انه تعالى اوقال ان عذاب الله اواقع والله اسم مني عن العظمة والهيبة كان يخاف المؤمن بل النبي صلى الله عليه وسلم من ان يلحقه ذلك لكونه تعالى مستغنيا عن العالم بأسره فضلا عن واحد فيه فانه بقوله ربك فانه حين يسمع انظر الرب يأمن (المبحث الثالث) قوله اواقع فيه اشارة الى الشدة فان الواقع والوقوع من باب واحد فالواقع أدل على الشدة من الكائن ثم قال تعالى ماله من دافع والمبحث فيه قد تقدم في قوله تعالى ومار بك بظلام للعبيد وقد ذكرنا ان قوله والطور والبيت المعمور والبحر المسجور فيه دلالة على عدم الدافع فان من يدفع عن نفسه عذابا قد يدفع بالحصن بقل الجبال والجميع البحار ولا ينفع ذلك بل الوصول الى السقف المرفوع ودخول البيت المعمور لا يدفع ثم قال تعالى (يوم تمور السماء مورا وسير الجبال سيرا) وفيه مسائل (المسألة الاولى) ما الناصب اليوم نقول المشهور ان ذلك هو الفعل الذي يدل عليه واقع أي يقع العذاب يوم تمور السماء مورا والذي أظنه انه هو الفعل المتداول عليه بقوله ماله من دافع وانما قلت ذلك لان العذاب الواقع على هذا ينبغي أن يقع في ذلك اليوم لكن العذاب الذي به التخويف هو الذي بعد الحشر ومور السماء قبل الحشر واما اذا قلنا معناه ليس له دافع يوم تمور فيكون في معنى قوله فم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا كأنه تعالى يقول ماله من دافع في ذلك اليوم وهو ما اذا صارت السماء تمور في أعينكم والجبال تسير وتحققون ان الامر لا ينفع شيئا ولا يدفع (المسألة الثانية) مامور السماء نقول خروجها عن مكانها تتردد وتموج والذي شوله الفلاسفة قد علمت ضعفه مرارا وقوله

(يوم تمور السماء مورا)
 ظرف اواقع مبين للكيفية
 الوقوع مني عن كمال
 هوله وفطاعته والمور
 الاضطراب والتردد في
 المجي والذهاب وقيل
 هو محرك في تموج قبل
 تدور السماء كما تدور الرجا
 وتكتأ بأهلها تكفو
 السفينة وقيل تختلف
 أجزاؤها (وتسير الجبال
 سيرا) أي تزول عن وجه
 الارض قصير هباء
 وتأكيد الفعلين
 بمصدرهما الايذان
 بغرابتهما وخروجهما
 عن الحدود المعهودة
 أي مورا عجيبا وسيرا
 بديعا لا يدرك كنههما
 (قويل يومئذ لكذابين)
 أي اذا وقع ذلك أو
 اذا كان الامر كما ذكر
 قويل يوم اذ يقع ذلك
 لهم (الذين هم في
 خوض) أي اندفاع
 عقيم في الاباطيل
 والاكاذيب (يلعبون)
 يلهوون

تعالى وتسير الجبال سيراً يدل على خلاف قواهم وذلك لانهم وافقوا على ان خروج الجبل
 العظيم عن مكانه جائز وكيف لا وهم يقولون بأن زلزلة الارض مع ما فيها من الجبال
 بخلاف مجتمع تحت الارض فيحركها واذا كان كذلك فنقول السماء قابلة للحركة
 باخراجها خارجة عن السموات والجبل ساكن يقتضى طبعه السكون واذا قيل جسم
 الحركة مع انها على خلاف طبعه فلا يتغير بها جرم آخر مع انها على موافقته أول وقواهم
 اقبال للحركة المستديرة لا يقبل الحركة المستقيمة في غاية الضعف وقوله وراي في فائدة
 جديلة وهي ان قوله تعالى وتسير الجبال يحتمل ان يكون بياناً لتكيفية مور السماء وذلك
 لان الجبال اذا سارت وسيرت معها سكانها يظهرون أن السماء كالسيارة الى خلاف ذلك
 الجبهة كما يشاهد ركب السفينة فانه يرى الجبل الساكن متحركاً فكأن القائل ان يقول
 السماء تدور في رأى العين بسبب سير الجبال كما يرى القمر سائراً ركب السفينة والسماء
 اذا سارت كذلك فلا يتبقى مهرب ولا مفرج لافى السماء ولا فى الارض (المسئلة الثالثة)
 ما السبب في مورها وسيرها قلنا قدرة الله تعالى وأما الحكمة فلا يذنب والاعلام بان
 لا يعود الى الدنيا وذلك لان الارض والجبال والسماء والنجوم كلها العمارة الدنيا والارتفاع
 لبني آدم بها فان لم يتفق لهم عود لم يبق فيها تنفع فاعند من الله تعالى (المسئلة الرابعة)
 اوقال قائل كنت وعدت ببحث في الزمان يستفيد العاقل منه فوائد في اللفظ والمعنى
 وهذا موضعه فان الفعل لا يضاف اليه شيء غير الزمان فيقال يوم يخرج فلان حين يدخل
 فلان وقال الله تعالى يوم ينفع الصادقين وقال يوم تمور السموات وقال يوم خلق السموات
 والارض وكذلك يضاف الى الجملة في السبب في ذلك فنقول الزمان ظرف الافعال كما ان
 المكان ظرف الاعيان وكان الجوهر من الجواهر لا يوجد الا في مكان فكذلك عرض
 من الامور لا يتجدد الا في زمان وفيهما متغير خلق عظيم فقالوا ان كان المكان جوهر
 فله مد ومنه يتسلسل الامر وان كان عرضاً فالعرض لا يبدل من جوهره والجوهر لا يبدل
 من مكانه ~~في الامر او يتسلسل وان لم يكن جوهره~~ ولا عرضاً فالجوهر يكون حاصلاً
 فيما لا وجود ~~في الاشارة اليه وليس كذلك~~ وقالوا في الزمان ان كان الزمان غير متجدد
 فيكون كالامور المستمرة فلا يثبت فيه المضي والاستقبال وان كان متجدداً وكل متجدد
 فهو في زمان فلان زمان زمان آخر فيتسلسل الامر ثم ان الفلاسفة التزموا التسلسل في
 الازمنة ووقعوا بسبب هذا في القول بعدم العالم ولم يلتزموا التسلسل في الامكنة وفرقوا
 بينهما من غير طرأ وقوم التزموا التسلسل فيهما جميعاً وقالوا بالقدم وازمان لانها نهائهما
 وبالامتداد وأبعاد لانها نهاية لهما وهم وان خالفونا في المسئلتين جميعاً والفلاسفة وافقونا
 في احدهما دون الاخرى لكنهم سلكوا اجابة الوهم ولم يتركوا على أنفسهم سبيل
 الالتزام في الازمان فان قيل فالتجدد الاول قبله ماذا نقول ليس قبله شيء فان قيل فعدمه
 قبله او قبله عدمه نقول قولنا ليس قبله شيء أعظم من قولك قبله عدمه لانا اذا قلنا ليس قبل

آدم حيوان بألف رأس صدقنا ولا يستلزم ذلك صدق قولنا آدم قبل حيوان بألف رأس
 أو حيوان بألف رأس بعد آدم لا تنفاه ذلك الحيوان أولا وآخرا وعدم دخوله في الوجود
 أزلا وأبدا فكذلك ما علمنا فان قيل هذا لا يصح لان الله تعالى شيء موجود وهو قبل
 العالم نقول قولنا ليس قبل المتجدد الاول شيء معناه ليس قبله شيء بالزمان واما الله تعالى
 فليس قبله بالزمان اذ كان الله ولا زمان والزمان وجد مع المتجدد الاول فان قيل فامعنى
 وجود الله قبل كل شيء غيره نقول معناه كان الله ولم يكن شيء غيره لا يقال ما ذكرتم
 اثبات شيء بشيء ولا يثبت ذلك لشيء الاعتبار ومون اثباته فان بداية الزمان غرضكم وهو
 مبنى على المتجدد الاول والزمان في المتجدد فان عند الخلق ليس في الوجود متجدد اول بل
 قبل كل متجدد متجدد لاننا نقول نحن ما ذكرنا ذلك دليلا وانما ذكرناه بيانا لعدم الالتزام
 وانه لا يرد علينا شيء اذ قلنا بالحدوث ونهاية الابداء والازم والالزام فيسلم الكلام الاول
 ثم يلزم و يقول ألسنت تقول اننا متجدد اولا فكذلك قل له عدم فتقول لا بل ليس قبله
 امر بالزمان فيكون ذلك نفيا عاما وانما يكون ذلك لا تنفاه الزمان كما ذكرنا في المثال اذا
 علمت هذا فصار الزمان تارة موجودا مع عرض وأخرى موجودا بعد عرض لان يومنا
 هذا وغيره من الايام كلها صارت متميزة بالمتجدد الاول والمتجدد الاول له زمان هو معه
 اذ اعرفت الزمان والمكان أمرهما شكل بالتسوية الى بعض الالهام والامر الخفي
 يعرف بالوصف والاضافة فانك اذا قلت غلام لم يعرف فاذا وصفته أو أضفته وقلت غلام
 صغير أو كبير أو أبيض أو أسود قرب من الفهم وكذلك اذا قلت غلام زيد بقرب ولم يكن زيد
 من معرفة الزمان ولا يعرف الشيء إلا بما يختص به فانك اذا قلت في الانسان حيوان
 موجود بعده عن الفهم واذا قلت حيوان طويل القامة قربته منه ففي الزمان كان يجب
 أن يعرف بما يختص به لان الفعل الماضي والمستقبل والحال يختص بالزمان والمصدر له
 زمان مطلق فلو قلت زمان الخروج تميز عن زمان الدخول وغيره فاذا قلت يوم خرج أفاد
 ما أفاد قولك يوم الخروج مع زيادة هو أنه تميز عن يوم يخرج والاضافة الى ما هو أشد تميزا
 أولى كالك إذا قلت غلام رجل ميزته عن غلام امرأة واذا قلت غلام زيد زدت عليه
 في الافادة وكان أحسن كذلك قولنا يوم خرج لتعرف ذلك اليوم خير من قولك يوم
 الخروج فظهر من هذا البحث أن الزمان يضاف الى الفعل وغيره لا يضاف لاختصاص
 الفعل بالزمان دون غيره الا المكان في قوله اجلس حيث يجلس فان حيث يضاف الى الجمل
 لشابهة ظرف المكان لظرف الزمان واما الجمل فهي انما يصح بواسطة تضمنها الفعل فلا
 يقال يوم زيد أو كذا ويقال يوم زيد فيه خارج ومن جملة الفوائد اللفظية ان لا تختص
 استعمالها بالزمان قال الله تعالى ولات حين مناص ولا يقال لات رجل سوء وذلك لان
 الزمان تجدد بعد تجدد ولا يبقى بعد الفناء حياة أخرى وبعد كل حركة حركة أخرى وبعد
 كل زمان زمان واليه الاشارة بقوله تعالى كل يوم هو في شأن أي قبل الخلق لم يخلق شيئا

(يوم يدعون الى نار جهنم دعا) أي يدعون اليها دعاء شديدا بان تغسل ايديهم الى أعناقهم وتجمع نواصيهم الى أقدامهم فيسرفوا الى النار وقرئ يدعون من الدعاء فيكون دعاء سالا بمعنى مدعوين ويوم اميل من يوم تمور أو ظرف لقول مقدر قبل قوله تعالى (هذه النار التي كنتم بها تكذبون) أي يقال لهم ذلك ومعنى التكذيب بها تكذيبهم بالوحي الناطق بها وقوله تعالى (أفسح هذا) توخي وتقرع لهم حيث كانوا يسونه سحرا كأنه قيل كنتم تقولون للقرآن الناطق بهذا سحر فهذا أيضا سحر وتقديم الخبر لانه سخط الإنكار ومدار التوبيخ (أم أتمم لا تبصرون) أي أم أتمم عي عن الخبر عنه كما كنتم عيا عن الخبر أو أم سدت أبصاركم كما سدت في الدنيا

لكنه بعد ما خلق فهو أبدا دائما بخلاف شيئا بعد شيء فبعد حياتنا موت وبعد موتنا حياة وبعد حياتنا حساب وبعد الحساب ثواب دائم أو عقاب لازم ولا يترك الله الفعل فلما بعد الزمان عن النبي زيد في الحروف التافئة زيادة فان قيل فالله تعالى أبعد عن الالتقاء فكان ينبغي أن لا تقرأ تلكه لانه نكول في لات حين مناص تأويل وعليه لا يرد ما ذكرتم وهو أن لا هي المشبهة بليس تغديره ليس الحين حين مناص وهو المشهور ولذلك اخص بالحين دون اليوم والليل لان الحين أدوم من الليل والنهار فليل والنهار قد لا يكون والحين يكون * ثم قال تعالى (فويل يومئذ للمكذبين الذين هم في خوض يلعبون) أي اذا علم أن عذاب الله واقع وأنه ليس له دافع فويل إذ الله المكذبين فالقاء لاتصال المعنى وهو الايمان بامان أهل الايمان وذلك لانه لما قال ان عذاب ربك لواقع لم يبين بأن موقعه بمن فقال فويل يومئذ للمكذبين علم المخصوص به وهو المكذب وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اذا قلت بان قوله ويل يومئذ للمكذبين بيان لمن يقع به العذاب ويترك عليه فن لا يكذب لا يعتد بأهل الكبر لا يعتد بهم لانهم لا يكذبون نقول ذلك العذاب لا يقع على أهل الكبر وهذا كافي قوله تعالى كما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم أنذركم نذيرا ويلي قدسجا ناذر فكذبنا فقول الومن لا ياتي فيها القاء هو ان وانما يدخل فيها لبطها ادخالها مع نوع اكرام فكذلك الويل للمكذبين والويل لمن يفتي عن الشدة وتركيب حروف الواو والياء واللام لا يفتك عن نوع شدة منه الويل اذا دفع ولوى بالويل اذا كان قويا والويل فيه القوة على المولى عليه ويل عليه قوله تعالى يدعون فان للمكذب يدع والمصدق لا يدع وقد ذكرنا جواز التكبير في قوله ويل مع كونه مبتدأ لانه في تقدير المنصوب لانه دعا ومضى وجهه في قوله تعالى فليس سخطم الخوض نفسه خص في استعمال القرآن بالانقفاع في الباطل ولهذا قال تعالى وخضتم كائن خاضوا وقال تعالى وكنا نخوض مع الخاضين وتكبر الخوض تحتل وجهين (أحدهما) أن يكون للتكبير أي في خوض كمال عظيم (ثانيهما) أن يكون التنوين نحو ايضا عن المضاف اليه كافي قوله تعالى الا قوله وان كلاو بعضهم ببعض والاصل في خوضهم المعروف منهم وقوله الذين هم في خوض ليس وصفا للمكذبين بما يميزهم وانما هو لئلا يظن انك تقول الشيطان الرجيم ولا تريف فضله عن الشيطان الذي ليس برجيم بخلاف قولك اكرم الرجل العالم فالوصف بالرجيم لازم به لا لتعريفه تقول في المدح الله الذي خلق والله العظيم للمدح للتمييز ولا لتعريفه عن الله انما يخلق أو الله ليس بعظيم فان الله واحد لا غير * ثم قال تعالى (يوم يدعون الى نار جهنم دعا) وفيه مباحث نقطية ومعنوية أما اللفظية ففيها مسائل (الاولى) يوم منصوب بماذا نقول الظاهر انه منصوب بما بعده وهو ما يدل عليه قوله تعالى هذه النار تغديره يوم يدعون يقال لهم هذه النار التي كنتم بها تكذبون ويحتمل غير هذا وهو أن يكون يوم بدلا عن يوم في يومئذ تغديره فويل يومئذ

للمكذبين يوم يدعون أي المكذبون وذلك ان قوله يومئذ معناه يوم يقع العذاب وذلك اليوم هو يوم يدعون فيه الى النار (المسئلة الثانية) قوله يدعون الى نار يدل على هول نار جهنم لان خزنتها لا يقر بون منها وانما يدعون أهلها اليها من بعيد ويلقونهم فيها وهم لا يقر بونها (الثالثة) دعا صدر وقد كرت فائدة ذكر المصادر وهي الايدان بأن الدع دع معتبر يقال لدع ولا يقال فيه ليس بدع كما يقول القائل في الضرب الخفيف مستحق له هذا ليس بضرب والعدو المهيمن هذا ليس بدعو في غير المصادر والرجل الحقير ليس برجل الاعلى قراءة من قرأ يدعون الى نار جهنم دعا فان دعا حينئذ يكون منصوباً على الحال تقديره يقال لهم هلموا الى النار مدعوين اليها * أما المعنوية فتقول قوله تعالى يوم يدعون الى نار جهنم يدل على ان خزنتها يقذفونهم فيها وهم بعد اعنتها وقال تعالى يوم يسحبون في النار نقول الجواب عنه من وجوه (أحدها) أن الملائكة يسحبونهم في النار ثم اذا قربوا من نار مخصوصة ذهاب نار جهنم يقذفونهم فيها من بعيد فيكون السحب في النار والدفع في نار أشد وأقوى ويدل عليه قوله تعالى يسحبون في الجحيم ثم في النار يسحبون أي يكون لهم سحب في حوة النار ثم بعد ذلك يكون لهم ادخال (الثاني) جاز أن يكون في كل زمان يتولى أمرهم ملائكة فالى النار يدفعهم ملك وفي النار يسحبهم آخر (الثالث) جاز أن يكون السحب بسلاسل يسحبون في النار والساحب خارج النار (الرابع) يتحمل أن يكون الملائكة يدفعون أهل النار الى النار اهانة واستخفافاً بهم ثم يدخلون معهم النار ويسحبونهم فيها * ثم قال تعالى (هذه النار التي كنتم بها تكذبون) على تقدير يقال * ثم قال تعالى (أفسح هذا أم أتم لاتصبرون) تحقيراً الأمر وذلك لان من يرى شيئاً ولا يكون الأمر على ما به فذلك الخلعاً يكون لاجل أحد أمرين اما لامر عائد الى المرنى واما الامر عائد الى الرائي فتقوله أفسح هذا أي هل في المرنى شك أم هل في بصركم خلال استغفم انكار أي لا واحد منهم ما ثابت فالذي ثروته حق وقد كنتم تقولون انه ليس بحق وانما قال أفسح وذلك انهم كانوا ينسبون المرات الى السحر فكانوا يقولون بأن انشقاق النمر وأمثاله سحر وفي ذلك اليوم لمسا لعلى بهم مع البصر الالهم المدرك بحس اللبس وبلغ الايلام الغاية لم يمكنهم أن يقولوا هذا سحر والاملاصح منهم طلب الخلاص من النار * ثم قال تعالى (اصلوها فاصبروا أو لاتصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون) أي اذالم يمكنكم انكارها وتحقق أنه ليس بسحر ولا خلال ابصاركم فاصلوها وقوله تعالى فاصبروا أو لاتصبروا قيد فائدتان (احدهما) بيان عدم الخلاص واتشياء المناص فان من لا يصبر يدفع الشيء عن نفسه أما بأن يدفع العذاب فيعده واما بأن يفضيه فيقتله ويربجه ولا شيء من ذلك فيعده في عذاب الآخرة فان من لا يغلب المصعب يدفعه ولا يتخلص بالاعدام فانه لا يقضى عليه فيموت فاذا

قوله الاعلى قراءة من قرأ يدعون أي من الدعا وهي قراءة زيد بن علي ودعا على حاله كافي الكشف اه
على زعمكم حيث كنتم تقول انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسخرون (اصلوها فاصبروا أو لاتصبروا) أي ادخلوها وقادوا شدائد ها فافعلوا ما شئتم من الصبر وعدمه (سواء عليكم) أي الامر ان في عدم النفع لا يدفع العذاب ولا يخففه وقوله تعالى (انما تجزون ما كنتم تعملون) تعليل الاستواء فان الجزاء حيث كان واجب الوقوع حتماً كان الصبر وعدمه سواء في عدم النفع (ان المتقين في جنات ونعيم) أي في آية جنات وأي نعيم على أن التثنية للتفخيم أو في جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين على أنه للتثنية (فاكهين) ناعمين متلذذين (بما آتاهم ربهم) وقرئ

فكهين وفاكهون على أنه الخبر والظرف

الصبر كعده لان من يصبر يدوم فيه ومن لا يصبر يدوم فيه (الثانية) بيان ما تفاوت به عذاب الآخرة عن عذاب الدنيا فان المعذب في الدنيا صبر ربما انتفع بالصبر اما بالجزاء في الآخرة واما بالحمد في الدنيا فيقال له ما أشجع وما أقوى قلبه وان جزع يذم فيقال يجزع كالصبيان والنسوان وأما في الآخرة لا مدح ولا ثواب على الصبر وقوله تعالى سواء عليكم سواء خير ومبتداه مدلول عليه بقوله فاصبروا ولا نصبروا كأنه يقول الصبر وعدمه سواء فان قيل يلزم الزيادة في التعذيب ويلزم التعذيب على المنوى الذي لم يفعله نقول فيه لطيفة وهي أن المؤمن بآياته استغاد أن الخير الذي ينويه يثاب عليه والشر الذي ينويه ولا يشققه لا لعقاب عليه والكافر بكفره صار على الضد فالخير الذي ينويه ولا يعمله لا يثاب عليه والشر الذي يقصده ولا يقع منه يعاقب عليه ولا ظلم فان الله تعالى أخبر به وهو اختار ذلك ودخل فيه باختياره كأن الله تعالى قال فان من كفر ومات كافرا أعذبه أبدا فأحذروا ومن آمن أتتبه دائما فني ارتكب الكفر ودأوم عليه بعد ما سمع ذلك فإذا عاقبه المعاقب دائما تحققت لما أوعده به لا يكون ظلما * ثم قال تعالى (ان الذين في جنات ونعيم) على ما هو عادة القرآن من بيان حال المؤمن بعد بيان حال الكافر وذكر آثواب عقاب ذكرك العقاب ليعلم أمر الترهيب والترغيب وقد ذكرنا تفسير المتقين في مواضع الجنات وان كانت موضع السرور لكن الناطور قد يكون في البستان الذي هو في غاية الطيبة وهو غير مستمتع بقوله ونعيم فيبدأ أنهم فيها يتنعمون كما يكون المفرج لا كما يكون الناطور * وقوله (فاكهين) يزيد في ذلك لأن المتعم قد يكون آثار التمتع على ظاهره وقابله مشغول فلما قال فاكهين يدل على غاية الطيبة وقوله (بما آتاهم ربهم) يفيد زيادة في ذلك لأن المفك قد يكون خسيس النفس فيسره أدنى شيء ويفرح بأقل سبب فقال فاكهين لاندنوهم بهم بل علونهم حيث هي من عند ربهم * وقوله تعالى (ووقاهم ربهم عذاب الجحيم) يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون المراد أنهم فاكهون بأمرين أحدهما بما آتاهم والثاني بأنه وقاهم (وثانيهما) أن يكون ذلك جملة أخرى منسوقة على الجملة الأولى كأنه بين أنه أدخلهم جنات ونعيم ووقاهم عذاب الجحيم * ثم قال تعالى (كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين) وفيه بيان أسباب التمتع على الترتيب فأول ما يكون المسكن وهو الجنات ثم الأكل والشرب ثم الفرس والبسط ثم الأزواج فهذه أمور أربعة ذكرها الله على الترتيب وذكر في كل واحد منها ما يدل على كاله فقوله جنات إشارة إلى المسكن والمسكن للجسم ضروري وهو المكان فقال فاكهين لأن مكان التمتع قد ينقص بأمور وبين سبب الفكاكة وعلو المرتبة بكونه بما آتاهم الله وقد ذكرنا هذا وأما في الأكل والشرب والاذن المطلق فتذكر المأكول والمشروب لتوعدهما وكثرتهما وقوله تعالى هنيئا

لغو متعلق بالخبر أو خبر آخر (ووقاهم ربهم عذاب الجحيم) عطف على ما آتاهم على أن ما مصدريه أو على خبر أن أو حال باختيار قدما من المستكن في الخبر أو في الحال وأما من فاعل آتى أو من مفعوله أو منهما وإظهار الرب في موقع الاضمار مضافا إلى ضميرهم للترهيب والتعليل (كلوا واشربوا هنيئا) أو أكلوا وشربوا (هنيئا) أو طعما ما وشربا هنيئا وهو الذي لا تنقص فيه (بما كنتم تعملون) بسببه أو بمقابلته وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئا أي هنا كما كنتم تعملون أي جزاؤه (متكئين على سرر مصفوفة) مصطفة (وزوجناهم بحور عين) وقرئ بحور عين على إضافة الموصوف إلى صفته بالتأويل

قوله وقرئ بعين عين
في الكشف وقرئ
بعين عين اه
المشهور وقرئ بعين
عين والباء مع أن التزويج
ما يعمد الى مفعولين
لما فيه من معنى الوصل
والإصاق أو السبيبة
اذ المعنى صبرناهم
أزواجاً بسبيبهن فان
الزوجية لا تتحقق بدون
انضمامهن اليهم وقوله
تعالى (والذين آمنوا)
كلام مستأنف مسوق
ليسأل حال طائفة
من أهل الجنة أثر بيان
حال الكل وهم الذين
شاركتهم ذريتهم
في الإيمان وهو مبتدأ
خبره الحذف بهم وقوله
تعالى (واتبعوهم)
ذريتهم (عطف على
آمنوا وقيل اعتراض
وقوله تعالى (يا أيها
معاذ بالاتباع أي
اتبعتهم ذريتهم ببيان
في الجملة فاصغر عن رتبة
إيمان الآباء واعتبار
هذا القيد بالإيمان
بثبوت الحكم في الإيمان
الكامل أصالة للاحافا
وقرئ ذريتهم للبالغة
في الكثرة

إشارة الى خلوهما ليكون فيهما من المفاسد في الدنيا منهن ان الأكل يخاف من المرض
فلا يهتأله الطعام ومنها انه يخاف الشفاد فلا يستحو بالاكل والكل متنف في الجنة فلا
مرض ولا انقطاع فان كل أحد عنده ما يفضل عنده ولا ثم ولا تنب في تحصيله فان
الإنسان في الدنيا ر بما يترك لذة الأكل لما فيه من تهيشه المأكل بالطبخ والتحصيل من
العب أو المنة أو ما فيه من قضاء الحاجة واستقذار ما فيه فلا يهتأ بها وكل ذلك في الجنة
متنف وقوله تعالى بما كنتم تعملون إشارة الى أنه تعالى يقول أي مع اني ربكم وخلقكم
وأخضتكم بفضل على الجنة وأمانتي عليكم في الدنيا أن هديتكم ووفقتكم للأعمال
الصالحة كما قال تعالى بل الله يبين عليكم أن هديتكم بالإيمان وأما اليوم فلا من عليكم لان
هذا انجاز الوعد فان قيل قال في حق الكفار انما ينجزون ما كنتم تعملون وقال في حق
المؤمنين بما كنتم تعملون فهل بينهما فرق قلت بينهما بون عظيم من وجود (الاول) كلمة
انما للحصر أي لا ينجزون الا ذلك ولم يذكر هذا في حق المؤمن فانه يجوز به أضاعف ما عمل
ويزيد من فضله وحينئذ ان كان عن الله تعالى عبدة فين بذلك بالاكل والشرب (الثاني)
قال هنا بما كنتم وقال هناك ما كنتم أي ينجزون عين أعمالكم إشارة الى المبالغة في
المثالة كما تقول هذا عين ما عملت وقد تقدم بيان هذا وقال في حق المؤمن بما كنتم كان
ذلك أمر ثابت مستمر بعملكم هنا (الثالث) ذكر الجزاء هناك وقال ههنا بما كنتم
تعملون لان الجزاء ينشأ عن الانقطاع فان من أحسن الى أحد فاني جزاءه لا يتوقع
الحسن منه شيئاً آخر * فان قيل فالله تعالى قال في موضع جزاء بما كنتم تعملون في
الثواب تقول في تلك المواضع للمخاطب الجزى لم يقل تجزي وإنما أتى بما يفيد العلم
بالدوام وعدم الانقطاع * وأما في السر فذكر أموراً أيضاً (أحدها) الانكاه
فانه هيئة تخص بالنعم والفارغ الذي لا كلفة عليه ولا تكلف لديه فان من يكون عنده
من يتكلف له يجلس له ولا يتكبر عنده ومن يكون في مهم لا يتفرغ الانكاه فله هيئة دليل
خير ثم الجمع يحتمل أمرين (أحدهما) أن يكون لكل واحد سر وهو الظاهر لان قوله
مصفوفة يدل على انها اواحد لان سر الكل لا تكون في موضع واحد مصفوفة واغظ
السري فبدر حروف السرور بخلاف الخت وغيره وقوله مصفوفة دليل على انه مجرد
العظم فانها لو كانت متفرقة لقل في كل موضع واحد ليتكبر عليه صاحبه اذا
حضر في هذا الموضع وقوله تعالى وزوجناهم إشارة الى النعمة الرابعة وفيها أيضاً ما يدل
على كمال الحال من وجوه (أحدها) انه تعالى هو الزوج وهو يتولى الطرفين زوج عباد
بإمائه ومن يكون كذلك لا يفعل الا ما فيه راحة العباد والاماء (ثانيها) قال وزوجناهم
بحور ولم يقل وزوجناهم حورا مع ان لفظ التزويج يتعدى فعله الى مفعولين بغير حرف
يقال زوجتكها قال تعالى فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكمها وذلك إشارة الى ان
المنفعة في التزويج لهم وإنما زوجوا لأنهم بالحرور للآلة الحور بهم وذلك لان المفعول

بغير حرف يعلق الفعل به كذلك الترويح تعلق بهم ثم بالخور لان ذلك يعنى جعلنا
ازدواجهم بهذا الطريق وهو الخور (ثانيها) عدم اقتصار على الزوجات بل وصفهن
بالحسن واختار الاحسن من الاحسن فان احسن ما في صورة آدمي وجهه واحسن
ما في اوجه العين ولان الخور والعين يدلان على حسن المزاج في الاعضاء ووفرة المادة
في الارواح اما حسن المزاج فعلامته الخور واما وفرة الروح فاسفة العين بسبب كثرة
الروح المصوبة اليها فان قيل قوله وزوجناهم ذكره بفعل ماض ومشتكئين حال ولم يسبق
ذكره بل ماض يعطف عليه ذلك وعطف الماضي على الماضي والمستقبل على المستقبل
احسن نقول الجواب من وجوه اثنان لغضبان ومعنوى (أحدهما) ان ذلك حسن
في كثير من المواضع نقول جاء زيد ويحيى عمر وخرج زيد (ثانيها) ان قوله تعالى ان
المتقين في جنات ونعيم تقديره ادخلناهم في جنات وذلك لان الكلام على تقدير ان في
اليوم الذي يدع الكفار في النار في ذلك الوقت يكون المؤمن قد ادخل مكانه فكأنه تعالى
يقول في يوم يدعون الى نار جهنم ان المتقين كانوا في جنات (والثالث) المعنوى وهو
انه تعالى ذكر بحضرة الحكم فهو في هذا اليوم زوج عباده حورا وعينا وهن منتظرات
الرفق يوم الآخرة * ثم قال تعالى (والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان احقنا بهم
ذرياتهم) وفيه لطائف (الاولى) ان شفقة الابوة كما هي في الدنيا توفرة كذلك في الآخرة
ولهذا طيب الله تعالى قلوب عباده بانه لا يولدهم باولادهم بل يجمع بينهم فان قيل قد
ذكرت في تفسير بعض الآيات ان الله تعالى يسلي الآباء عن الابناء وبالعكس ولا يتذكر
الاب الذي هو من أهل الجنة الابن الذي هو من أهل النار نقول الولد الصغير وجد في
والده الابوة الحسنة ولم يوجد لها معارض ولهذا الحق الله الولد بالوالد في الاسلام في دار
الدنيا عند الصغير واذا كبر استقل فان كفر ينسب الى غير أبيه وذلك لان الاسلام
للمسلمين كالأب ولهذا قال تعالى انما المؤمنون اخوة جمع أخ بمعنى اخوة الولادة
والاخوان جمعة بمعنى اخوة الصداقة والمحبة فاذا الكفر من حيث الحس والعرف أب
فان خالف دينه دين أبيه صار له من حيث الشرع أب آخر وفيه ارشاد الآباء الى أن
لا يشغلهم شيء عن الشفقة على الولد فيكون من اتقيع القاعش أن يشغل الانسان
بالتفرج في البستان مع الاحبة والاخوان عن تحصيل قوت الولدان وكيف لا يشتغل
أهل الجنة بما في الجنة من الخور امين عن اولادهم حتى ذكروهم فاراح الله قلوبهم بقوله
الحنان بهم ذرياتهم واذا كان كذلك فاطناك يا فاسق الذي يذرماله في الحرام ويترك
اولاده يتكففون وجوه اللثام والكرام نعوذ بالله منه وهذا يدل على ان من يورث اولاده
ما لا حلالا يكتسب له به صدقة ولهذا الم يجوز للمريض التصرف في أكثر من الثلث (الاعطيفة
الثانية) قوله تعالى واتبعناهم ذرياتهم فهذا ينبغي أن يكون دليلا على أن في الآخرة
لنحقي بهم لان في دار الدنيا مراعاة الاسباب أكثر ولهذا الم يحرق الله عادته على أن يقدم بين

وذرياتهم بكسر الدال
وقرى واتبعناهم
ذرياتهم أى جعلناهم
تابعين لهم في الايمان
وقرى اتبعناهم (الحقنا
بهم ذرياتهم) أى في
الدرجة كما روى أنه
عليه الصلاة والسلام
قال انه تعالى يرفع
ذرية المؤمن في درجته
وان كانوا ذرية لغيرهم
عنه ثم تلا هذه الآية
(وما آتانا) وما نقصنا
الآية بهذا الحاق
(من علمهم) من ثواب
علمهم (من شيء)
بان أعطينا بعض
مشوياتهم أبناءهم
فتقص مشوياتهم
وتحط درجاتهم وانما
رفعتهم الى منزلتهم
بمحض الفضل
والاحسان وقرى
آلتاهم بكسر اللام
من أت بات كالم يعلم
والاول كضرب
يضرب ولتاهم من لات
يايت وآلتاهم من آت
يؤات واولتاهم
من وات بلك والكل
بمعنى واحد هذا
وقد قيل

يدى الإنسان طعاما من السماء فلم ينسب له بازراعة والطحن والعجن لا يأكله رقى
 الآخرة بوثيق ذلك من غير سعي جزاء له على ما سعى إيمان من قبل فبلغنى أن يجعل ذلك دليلا
 ظاهرا على أن الله تعالى يلحق به ولده وإن لم يعمل عملا صالحا كالتبعة وإن لم يشهد ولم يعقد
 شيئا (اللطيفة الثالثة) في قوله تعالى يايمان فإن الله تعالى اتبع الولد والوالدين في الإيمان
 ولم يتبعه أباه في الكفر بدليل أن من أسلم من الكفار حكم بإسلام أولاده ومن ارتد من
 المسلمين والعياذ بالله لا يحكم بكفر ولده (اللطيفة الرابعة) قال في الدنيا أتبعناهم وقال في
 الآخرة ألحقنا بهم وذلك لأن في الدنيا لا يدرك الصغير المتبع مساواة المتبوع ولا يكون
 هو تبارعا والاب أصلا بفضل الساعى على غير الساعى وأما في الآخرة فإذا ألحق الله بفضل
 ولده به جعل له من الدرجة مثل ما لآبيه (اللطيفة الخامسة) في قوله تعالى وما أتاهم
 قضيبا فلقبهم وازالة وهم المتوهم أن ثواب عمل الاب يوزع على الوالد والولد بل للوالد أجر
 عمله بفضل السعي وللاولاد مثل ذلك فضلا من الله ورحمة (اللطيفة السادسة) في قوله
 تعالى من عملهم ولم يقل من أجرهم وذلك لأن قوله تعالى وما أتاهم من عملهم دليل على
 بقاء عملهم كما كان والأجر على العمل مع الزيادة فيكون فيه الإشارة إلى بقاء العمل الذي له
 الأجر الكبير إلى الله عليه العظم العائد إليه وأوقال ما أتاهم من أجرهم لكان ذلك حاصلا
 بأدى شئ لأن كل ما يعطى الله عبده على عمله فهو أجر كامل ولأنه أوقال تعالى ما أتاهم
 من أجرهم كان مع ذلك يحتمل أن يقال إن الله تعالى تفضل عليه بالأجر الكامل على
 العمل الناقص وأعطاه الأجر الجزيل مع أن عمله كان له ولولده جميعا وفيه مسائل
 (المسئلة الاولى) قوله تعالى والذين آمنوا عطف على ماذا نقول على قوله إن المتقين
 (المسئلة الثانية) إذا كان كذلك فلم أعاد لفظ الذين آمنوا وكان المقصود يحصل بقوله
 تعالى وألحقنا بهم ذرياتهم بعد قوله وزوجناهم وكان يصير التقدير وزوجناهم وألحقنا
 بهم نقول فيه فائدة وهو أن المتقين هم الذين اتقوا الشرك والمعصية وهم الذين آمنوا
 وعملوا الصالحات وقال ههنا الذين آمنوا أى بوجود الإيمان يصبر ولده من أهل الجنة ثم
 إن ارتكب الاب كبيرة أو صغيرة على صغيرة لا يعاقب به ولده بل الوالد ور بما يدخل
 الجنة الابن قبل الاب وفيه لطيفة معنوية وهو أنه ورد في الأخبار أن الولد الصغير
 يشفع لآبيه وذلك إشارة إلى الجزاء (المسئلة الثالثة) هل يجوز غير ذلك نقول نعم يجوز أن
 يكون قوله تعالى والذين آمنوا عطف على حور عين تقديره زوجناهم بحور عين أى
 قرناهم بهن والذين آمنوا إشارة إلى قوله تعالى أخوانا على سرر متقابلين أى جعلنا شملهم
 بالزواج والأخوان والأولاد بقوله تعالى وأتبعناهم وهذا الوجه ذكره الرنخشى
 والأول أحسن وأصح فان قيل كيف يصح على هذا الوجه الأخبار بلفظ الماضى مع أنه
 سبحانه تعالى بعد ما قرن بينهم قلنا يصح في زوجناهم على ما ذكر الله تعالى من تزويجهم منا
 من يوم خلقهم وإن تأخر زمان الافتراق (المسئلة الرابعة) قرئ ذرياتهم في الموضعين

الموصول معطوف
 على حور والمعنى
 قرناهم بالحور وبالذين
 آمنوا أى بالرفقاء
 والجلساء منهم فيمتعون
 تارة بملاعبة الحور
 وأخرى بمواصلة
 الاخوان المؤمنين
 وقوله تعالى واتبعناهم
 عطف على زوجناهم
 وقوله تعالى يايمان متعلق
 بما بعده أى بسبب إيمان
 عظيم رفيع المحل وهو
 إيمان الآباء ألحقنا
 بذرياتهم ذرياتهم
 وإن كانوا لا يستأهلونها
 تفضلا عليهم وعلى
 آبائهم ليتيم سرورهم
 ويكمل نعيمهم أو بسبب
 إيمان ذاتي المنزلة وهو
 إيمان الذرية كأنه قيل
 بشئ من الإيمان
 لا يؤهلهم لدرجة
 الآباء ألحقناهم بهم
 (كل امرئ بما كسب
 رهين) قيل هو فاعل
 بمعنى مفعول والمعنى كل
 امرئ مروهون عند الله
 تعالى بالعمل

بالجمع وذريتهم فيها بالفرد وقرئ في الاول ذرياتهم وفي الثاني ذريتهم فهل الثالث وجه
نقول نعم معنوى لانه على ذلك لان المؤمن يتبعه ذرياته في الايمان وانما توجد على معنى
انه لو وجد له الف ولد لكانوا اتباعه في الايمان حكما واما الاخلاق فلا يكون حكما انما هو
حقيقة وذلك في الوجود فالتابع أكثر من المخوف فيجمع في الاول وأفراد في الثاني (المسئلة
الخامسة) ما الفائدة في تكثير الايمان في قوله وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان نقول هو اما
للتخصيص أو للتكثير كأنه يقول أتبعناهم ذرياتهم بإيمان مختص كامل أو يقول أتبعناهم
بإيمان مأمور شي منه فان الايمان كاملا لا يوجد في الولد دليل أن من آمن وله ولد صغير
حكمه بإيمانه فإذا باع وصرح بالكفر وأنكر التبعية قبل بانه لا يكون مرتدا وتبين
بقوله انه لم يتبع وقيل بانه يكون مرتدا لانه كفر بعد ما حكمه بإيمانه كالسلم الاصل
فاذن بهذا الخلاف تبين أن ايمانه ليس بقوى وهذان الوجهان ذكرهما الزمخشري
ويحتمل أن يكون المراد غير هذا وهو أن يكون التثوين للعوض عن المضاف اليه كما
في قوله تعالى بعضهم ببعض وقوله تعالى وكلا وعد الله الحسنى وبيانه هو أن التقدير
أتبعناهم ذرياتهم بإيمان أي بسبب ايمانهم لان الاتباع ليس بإيمان كيف كان ومن كان
بإيمانه وإيمان الآباء لكن الاضافة تنبي عن تقييد وعدم كون الايمان ايمانا
على الاطلاق فان قول القائل ماء الشجر وماء الرمان يصح واطلاق اسم الماء من غير
اضافة لا يصح فقوله بإيمان يوهم أنه ايمان مضاف اليهم كما قال تعالى فلم يك يتفعهم
ايمانهم لم يارأوا بأسنا حيث أثبت الايمان المضاف ولا يمكن ايمانا فقطع الاضافة مع
ارادتها ليعلم أنه ايمان صحيح وعوض التثوين ليعلم أنه لا يوجد حسب الامان في الدنيا الايمان
الآباء وهذا وجد حسن ثم قال تعالى (كل امرئ بما كسب رهين) قال الواحدى هذا
عود الى ذكر أهل النار فانهم مرتدون في النار وأما المؤمن فلا يكون مرتدا فان قال تعالى
كل نفس بما كسبت رهينة الأحصاء اليعين وهو قول مجاهد وقال الزمخشري كل امرئ
بما كسب رهين عام في كل أحد مرتدون عند الله بالكسب فان كسب خيرا فلك رقبته
والأربع بالرهين والذي يظهر منه أنه عام في حق كل أحد وفي الآخرة وجد آخر وهو
أن يكون الرهين فعلا بمعنى الفاعل فيكون المعنى والله أعلم كل امرئ بما كسب رهين
أي دائم أن أحسن في الجنة مؤبدا وان أساء في النار تغلدا وقد ذكرنا أن في الدنيا دوام
الاعمال بدوام الاعيان فان المرض لا يبق الا في جوهر ولا يوجد الا فيه وفي الآخرة
دوام الاعيان بدوام الاعمال فان الله يبق أعمالهم لكونها عند الله تعالى من البقيات
الصالحات وما عند الله باق والباقي يبق مع عامله ثم قال تعالى (وأمددناهم بغاكة ولم
نمأستهمون) أي زدناهم ما كولا ومشروا بما أمالنا كولا فافكاكة والحلم وأما المشروب
فالكس الذي يتنازعون فيها وفي تفسيرها أطائف (الطيفة الاولى) لما قال المضافينهم
ذرياتهم بين الزيادة ليكون ذلك جارا على عادة الملوك في الدنيا اذا زادوا في حق عبيد من

الصالح فان عمله فكه
والأهلكه وقبل يعنى
الفاعل والمعنى كل امرئ
بما كسب رهين أي
دائم ثابت وهذا أنسب
بالقسام فان الدوام
يتقضى عدم المفارقة
بين المرء وعمله ومن
ضرورته أن لا يتقضى
من ثواب الآباء شي
فالمجلة لتعليل لما قبلها
(وأمددناهم بغاكة
ولم نمأستهمون)
وزدناهم على ما كان
لهم من مبادئ التعم
وقنا فوقنا ما يستهمون
من فنون النعماء وألوان
الأكلاء يتنازعون فيها)
أي يتعاطون فيها هم
وجلسا وهم بكمال
رغبة واشتياق كما ينبغي
عنه التعبير عن ذلك
بالتنازع (كأسا)
أي خرا تسمية لها
باسم محلها (لأفوا
فيها) أي في شربها
حيث لا يتكلمون في أثناء
الشرب بلغوا الحديث
وسقط الكلام (ولا

عبيدهم يزيدون في أقدار أخبارهم وأقطاعهم واختار من المأكول أرفع الأنواع وهو
 الفاكهة واللحم فانهما طعام المتعمين وجع اوصافا حسنة في قوله مما يشتهون لانه لو
 ذكر نوعا فرما يكون ذلك النوع غير مشتهى عند بعض الناس فقال كل واحد يعطى
 مما يشتهى فان قيل الاشتهاهم كالجوع وفيه نوع الم تقول ليس كذلك بل الاشتها به
 البذة والله تعالى لا يترك في الاشتها بدون المشتهى حتى يألم بل المشتهى حاصل مع
 الشهوة والانسان في الدنيا لا يألم الا باخذ امر من اماباشتهاء صادق وعجزه عن الوصول الى
 المشتهى واما بحصول أنواع الاطعمة والاشربة عنده وسقوط شهوته وكلاهما منتف
 في الآخرة (الطبعة الثانية) لما قال وما ألتاهم ونفي نقصان يصدق بحصول المساوى
 فقال ليس عدم النقصان بالافتقار على المساوى بل بظريق آخر وهو الزيادة والامداد
 فان قيل أكثر الله من ذكر الاكل والشرب وبعض العارفين يقولون لخاصة الله بالله
 شغل شاغل عن الاكل والشرب وكل ماسوى الله تقول هذا على العمل ولهذا قال تعالى
 جزاء بما كانوا يعملون وقال بما كنتم تعملون وأما على العلم بذلك وذلك ولهذا قال لهم فيها
 فاكهة ولهم ما يدعون سلام قولاً من رب رحيم أى النفوس ما تشتهى به والارواح
 ما تنهه من القرية والرائق * وقوله تعالى (ينازعون فيها كأساً) فيكون ذلك على عادة
 الملوك اذا جلسوا في مجالسهم الشرب يدخل عليهم بقواكه ولحومهم على الشرب وقوله
 تعالى ينازعون أى يتعاطون ويحتفل أن يقال التنازع التجاذب وحينئذ يكون نجادهم
 تجاذب ملاعبة لتجاذب منازعة وفيه نوع لذة وهو بيان ما هو عليه حال الشرب في الدنيا
 فانهم يتفاخرون بكثرة الشرب ولا يتفاخرون بكثرة الاكل ولهذا اذا شرب أحدهم يرى
 الآخر واجبا أن يشرب مثل ما شرب به حريفة ولا يرى واجبا أن يأكل مثل ما أكل نديعة
 وجلبسة * وقوله تعالى (لا تغوف فيها ولا تأثم) وسواء قلنا فيها عادة الى الجنة أو الى الكأس
 فذكرهما لجرى أن ذكر الشرب وحكاية على ما في الدنيا فقال تعالى ليس في الشرب في
 الآخرة كل ما فيه في الدنيا من الغر بسبب زوال العقل ومن التأثم الذى بسبب نهوض
 الشهوة والغضب عند وفور العقل والفهم وفيه وجه ثالث وهو أن يقال لا يعتريه كإعتري
 الشارب بالشرب في الدنيا فلا يؤثم أى لا ينسب الى اثم وفيه وجه رابع وهو أن يكون
 المراد من التأثم السكر وحينئذ يكون فيه ترتيب حسن وذلك لان من الناس من يسكر
 ويكون رزين العقل عديم اعتياد العريفة فيسكن وينام ولا يؤذى ولا يتأذى ولا يهذى
 ولا يسمع الى من هذى ومنهم من يمر بد فقال لا تغوف فيها * ثم قال تعالى (و يطوف عليهم
 غلمان لهم كأنهم أولو مكنون) أى بالكؤن وقال تعالى يطوف عليهم ولدان مخلدون
 بأكواب وأباريق وكأس من معين وقوله لهم أى ملكهم اعلا ما لهم بتدريتهم على
 التصرف فيهم بالامر والنهي والاستخدام وهذا هو المشهور ويحتل وجوهاً آخر وهو

تأثم (ولا يغفلون
 ما يؤثم به فاعله أى
 ينسب الى الاثم او فاعله
 في دار التكليف كما هو
 ديدن المتسادمين
 في الدنيا واما يتكلمون
 بالحكم وأحسن الكلام
 ويفعلون ما يفعله الكرام
 وقرى لا تغوف فيها
 ولا تأثم بالفتح
 (و يطوف عليهم)
 أى بالكأس (غلمان
 لهم) أى مما ليس
 مخصوصون بهم وقيل هم
 أولادهم الذين سبقوهم
 (كأنهم أولو مكنون)
 مصون في المصنف
 من رياضهم وصفاتهم
 أو مخزون لانه لا يخرن
 الا الثمين الغالى القيمة
 قيل لقادة هذا الخادم
 فكيف المخدوم فقال
 قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم والذى نفسى
 بيده ان فضل المخدوم
 على الخادم كفضل
 القمر ليلة البدر على
 سائر الكواكب وعنه
 عليه الصلاة والسلام
 ان أدنى أهل الجنة
 منزلة من ينادى الخادم
 من خدامه فيجيبه الف
 يسا به ليك ليك

(وأقبل بعضهم على بعض بنساء لون) ﴿٧٠٥﴾ أي يسأل كل بعض منهم بعضا آخر عن أحواله وأغاليه فيكون

كل بعض سائلا
ومسؤولا لأنه يسأل
بعض معين منهم بعضا
آخر معينا (قالوا) أي
المسؤولون وهم كل
واحد منهم في الحقيقة
(أنا كنا قبل) أي
في الدنيا (في أهلنا
مشغقين) أرفقا القلوب
خائفين من عصيان
الله تعالى معشرين بطاعة
أولادهم من العساقبة
(فن الله علينا) بالرحمة
أو التوفيق للعق (ووقانا
عذاب السموم) عذاب
النار النافذة في المسام
نفوذ السموم وقرى
ووقانا بالنشد (أنا
كنا من قبل ندعوه)
أي نعبد أو نساله
الوقاية (انه هو البر)
الحسن (الرحيم) الكثير
الرحمة الذي اذا عبد
أناب واداسل أجاب
وقرى أنه بالفتح بمعنى
لانه (فذكر) فأنبت
على ما أنت عليه من
التذكير بما أنزل اليك
من الآيات والذي ذكر
الحكيم ولا تكثر بما
يقولون مما لاخير فيه
فيه من الاباطيل (فا

انه تعالى لما بين امتياز آخر الآخرة عن آخر الدنيا بين امتياز غلمان الآخرة عن غلمان الدنيا فالغلمان في الدنيا اذا طافوا على السادة والملوك يطوفون عليهم لحظا أنفسهم اما لتوقع النفع أو لتوفر الصفع وأما في الآخرة فطوفهم عليهم متعصص لهم ولشفعهم ولا حاجتهم اليهم والعلام الذي هذا شأنه من يقدر على غيره ويرى ما يبلغ درجة الاولاد وقوله تعالى كأنهم لؤلؤ أي في الصفاء ومكتون ليفيد زيادة في صفاء الوانهم أوليان أنهم كالخندرات لا يرونها ولا يخرج من عندهم فهم في أكنافهم ثم قال تعالى (وأقبل بعضهم على بعض بنساء لون قالوا أنا كنا قبل في أهلنا مشغقين فن الله علينا ووقانا عذاب السموم أنا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم) إشارة الى أنهم يعلمون ما جرى عليهم في الدنيا ويذكرونه وكذلك الكافر لا ينسى ما كان له من النعيم في الدنيا فترداد لذة المؤمن من حيث يرى نفسه انتقلت من السجين الجنة ومن الضيق الى السعة ويرداد الكافر لما حيط يرى نفسه منتقلة من السرف الى التلف ومن النعم الى الحميم ثم تذكرون ما كانوا عليه في الدنيا من الخشية والخوف فيقولون أنا كنا قبل في أهلنا مشغقين وهو أنهم يكون تساولهم عن سبب ما وصلوا اليه فيقولون خشية الله كنا خائفين فن الله علينا ووقانا عذاب السموم وفيه لطيفة وهو أن يكون اشتغالهم على فوات الدنيا والخروج منها ومفارقة الاخوان ثم لما نزلوا الجنة علموا خطاهم ثم قال تعالى (فذكر فأنت سمع بك بكانهم ولا يخجلون) ثم يقولون شاعر نتر بص به ريب المنون فل تر بصوا فاني معكم من المتر بصين) وتعلق الآية بما قبلها فظاهر لانه تعالى بين أن في الوجود قوما يخافون الله ويشفقون في أهلهم والنبي صلى الله عليه وسلم ما مور بتذكير من يخاف الله تعالى بقوله فذكر بالقرآن من يخاف وعيد خلق من يذكره فوجب التذكير وأما الرسول عليه السلام فليس له الا الايتان بما أمر به وفيه مسائل (المسئلة الاولى) في الفاء في قوله فذكر قد علم تعلقه بما قبله فحسن ذكره بالفاء (المسئلة الثانية) معنى الفاء في قوله فأنت أيضا قد علم أي أنك لست بكانهم ولا تغتبر ولا تتبع أهواءهم فان ذلك سيرة المروء فذكر فأنك لست بمزور وذلك سبب التذكير (المسئلة الثالثة) ما وجد تعاقب قوله نتر بص به ريب المنون بقوله شاعر نقول فيه وجهان (الاول) أن العرب كانت تحتز عن إيذاء شعراء وتبقى ألسنتهم فان الشعر كان عندهم يحفظ ويدون وقالوا لا نعارضه في الحال مخافة أن يغلبنا بقوة شعره وانما سبيلنا الصبر وتر بص موت (الثاني) أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول ان الحق دين الله وان الشرع الذي أنبت به يبق أبدا الدهر وكتابي ينزل الى قيام الساعة فقالوا ليس كذلك انما هو شاعر والذي يذكر في حق آلهتنا شعر ولا ناصر له وسيصفيه من بعض آلهتنا الهلاك فتر بص به ذلك (المسئلة الرابعة) ما معنى ريب المنون نقول قبل هو اسم للموت فعول من المن وهو القطع والموت قطوع ولهذا سمي بمنون وقيل المن الدهر ور بيه حوادثه وعلى هذا قولهم نتر بص يحتمل وجه آخر وهو أن

أنت بشمة ريك) بحمده ﴿٨٩﴾ سا وانعامه بصدق النبوة ورجاحة العقل (بكانهم ولا يخجلون) كما يقولون
فانهم الله أنى يؤفكون (أم يقولون شاعر فتر بص به ريب المنون)

وهو ما يلقى النفوس
و يشخص بهما من
حوادث الدهر وقيل
المنون الموت وهو
في الاصل فقول من منه
اذا قطعته لان الموت
قطوع أى بل يقولون
نظفرت به نوائب الدهر
(قل تر بصوا فاني
معكم من المتر بصين)
أتر بص هلاككم كما
تر بصون هلاكى
وفيه عدة كريمة
(أم تأمرهم أحلامهم)
أى عقولهم (بهذا)
أى بهذا التناقض
في المقال فان الكاهن
يكون ذا فطنة ودقة
نظر في الامور والمجنون
مغضى عقله مخجل فكره
والشاعر ذو كلام
وزن متسق مخجل
وكيف يحتمل أوصاف
هؤلاء في واحد وأمر
الاحلام بذلك مجاز
عن أدائها اليه (أم هم
قوم طاغون) مجاوزون
الحدود في المكابرة
والعناد لا يخومون
حول الرشد والسداد
ولذلك يقولون
ما يقولون من الكاذب
الخارجة عن دائرة العقول والظنون وقرئ بل هم

يكون المراد انه اذا كان شاعرا فصريف الزمان بما تضعف ذهنه وتورث وهنه فيبتين
لكل فساد أمره وكساد شعره (المسئلة الخامسة) كيف قال تر بصوا بلفظ الامر وأمر
النبى صلى الله عليه وسلم يوجب التأمر أو يفيد جوازه وتر بصهم ذلك كان حراما يقول
ذلك ليس بأمر وانما هو تهديد معناه تر بصوا ذلك فانا نتر بص الهلاك بكم على حد ما يقول
السيد الغنابلي لعبد افعل ما شئت فاني لست عنك بغافل وهو أمر لتهوين الامر على
النفوس كما يقول ألقا لل من يهدده رجل ويقول أشكوك الى زيد فيقول أشكئ أى
لا يهين ذلك وفيه زيادة غائصة وذلك لانه اوقل لا تشكئ لكان ذلك دليل الخوف وينافيه
معناه فاني بجواب تام من حيث اللفظ والمعنى فان قيل او كان كذلك لقال لقل لقل تر بصوا
أولاً تر بصوا كما قل اصبروا ولا تصبروا نقول ليس كذلك لانه اذا قال القائل فيما ذكرناه
من المثال اشكئ أو لا تشكئ يكون ذلك مقيدا بعدم خوفه منه فاذا قل اشكئ يكون
أدل على عدم الخوف فكانه يقول أنا فارغ عنه وانما أنت تتوهم أنه يفيد فافعل حتى
يبتل اعتقادك (المسئلة السادسة) في قوله تعالى فاني معكم من المتر بصين وهو محتمل
وجوها (أحدها) اني معكم من المتر بصين أتر بص هلاككم وقد أهلكوا يوم بدر وفي
غيره من الايام هذا ما عليه الاكثرون والذي نقوله في هذا المقام هو أن الكلام يحتمل
وجوها وبيانها هو أن قوله تعالى نتر بص به ريب المنون ان كان المراد من المنون الموت
فقوله اني معكم من المتر بصين معناه اني أخاف الموت ولا اتناء لانفسى ولا لاحد اعدم
علمي بما قدمت يداي وانما أنا نذير وأنا أول ما قلر بي افان مات أو قل انقلبتم على أعقابكم
فتر بصوا موتي وأنا متر بصهم ولا يبركم ذلك لعدم حصول ما توقعون بعدى ويحتمل أن
يكون كما قبل تر بصوا موتي فاني متر بص موتكم بالعذاب وان قلنا المراد من ريب المنون
صروف الدهر فغناه انكار كون صروف الدهر مؤثرة فكانه يقول انما من المتر بصين حتى
ابصر ماذا يأتي به دهركم الذي يجعلونه مهينكا ماذا يصيبني منه وعلى التقديرين فنقول
النبى صلى الله عليه وسلم يتر بص ما يتر بصون غير أن في الاول تر بصهم مع اعتقاد الوقوع
وفي الثاني تر بصهم مع اعتقاد عدم التأثير على طريقة من يقفه من يقول أنا أيضا انتظر ما ينتظره
حتى أرى ماذا يكون منكرا عليه وقوع ما توقع وقوعه وانما قلنا هذا لان ترك المفعول
في قوله اني معكم من المتر بصين لكونه مذكورا ومور يرب المنون أولى من تركه واردة غير
المذكور وهو العذاب (الثاني) أتر بص صروف الدهر ايظهر عدم تأثيرها فلم يتر بص
بهم شيئا على الوجوهين وعلى هذا الوجه يتر بص بقاء بعدهم وارتقاء كلهم فلم يتر بص بهم
شيئا على الوجوه التي اخترناها فقال اني معكم من المتر بصين ثم قال تعالى (أم تأمرهم
أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون) وأم هذه أيضا على ما ذكرنا متصلة بتقديرها انزل عليهم
ذكر أم تأمرهم أحلامهم بهذا وذلك لان الاشياء اما ان تثبت بجمع واما ان تثبت بعقل
فقال هل ورد أمر سمعي أم عقولهم تأمرهم بما كانوا يقولون أم هم قوم طاغون يفترون

ويقولون ما لدليل عليه سماعا ولا متصفا له عقلا والحقان مجاوزة الحد في العصبان
وكذلك كل شيء ظاهره مكروه قال الله تعالى المساطني الما وفيه مسائل (الاولى) اذا كان
المراد ما ذكرتم فلم أسقط ما يصدر به فنقول لان كون ما تقولون به مستندا الى نقل معلوم
عنده لا ينبغي باما كونه معتقولا ففهم كانوا يدعون انه معتقول واما كونهم طاغين فهو حق
فخص الله تعالى بالذكور ما قالوا به وقال الله به ففهم قالوا نحن نتبع العقل والله تعالى قال هم
طاغون فذكر الامر من الذين وقع فيها الخلاف (المسئلة الثانية) قوله تأمرهم احلامهم
اشارة الى ان كل ما لا يكون على وفق العقل لا ينبغي أن يقال وانما ينبغي أن يقال ما يجب
قوله عقلا فهل صار واجب عقلا ما مر به (المسئلة الثالثة) ما الاحلام تقول جمع حلم وهو
العقل وهما من باب واحد من حيث المعنى لان العقل يضبط المرء فيكون كالبعير المعقول
لا يتحرك عن مكانه والحلم من الحلم وهو ايضا سبب وفار المرء وثباته وكذلك يقال للعقول
التي من النهي وهو المنع وفيه معنى لطيف وهو ان الحلم في أصل اللغة هو ما يراه الناظر فينزل
ويلزمه الغسل وهو سبب البلوغ وعنده يصير الانسان مكافا وكان الله تعالى من لطيف
حكيمته قرن الشهوة بالعقل وعند ظهور الشهوة كحل العقل فاشار الى العقل بالاشارة الى
ما يقارنه وهو الحلم ليعلم أنه بذكر كمال العقل لا العقل الذي به يتميز الانسان تخطى الشوك
ودخل النار وعلى هذا ففيه تأكيد لما ذكرنا أن الانسان لا ينبغي أن يقول كل معقول
بل لا يقول الاما يأمر به العقل الرزق الذي عنده يصح التكليف (المسئلة الرابعة) هذا
اشارة الى ما ذكرنا في وجوه (الاول) أن يكون هذا اشارة مبهمه أي بهذا الذي يظهر
منهم قولا وفعلنا حيث يبدون الاصنام والاوثان ويقولون الهديان من الكلام
(الثاني) هذا اشارة الى قولهم هو كاهن هو شاعر هو مجنون (الثالث) هذا اشارة الى
انتر بص فاتهم لافا وانتر بص قال الله تعالى اعلمهم تأمرهم بتر بص هلاكهم فان احدا
لم يتوقع هلاك نبيهم الاوهالك (المسئلة الخامسة) هل يصح ان تكون أم في هذا الموضع
بمعنى بل تقول نعم تقديره يقولون انه شاعر قولا بل يعتقدونه عقلا ويدخل في عقولهم ذلك
أي ليس ذلك قولا منهم من غير عقل بل يعتقدون كونه كاهنا ومجنونا ويدل عليه قراءة
من قرأ بل هم قوم طاغون لكن بل ههنا واضح وفي قوله بل تأمرهم احلامهم خفي
ثم قال تعالى (أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون) وهو متصل بقوله تعالى أم يقولون شاعر
نتر بص به وتقديره على ما ذكرنا أن تقولون كاهن أم تقولون شاعر أم تقوله ثم قال بطلان
جميع الاقسام (فليتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين) أي ان كان هو شاعرا فبيكم
الشعراء البلقاء والكمينة الاذ كياء ومن يرتجل الخطب والقصائد ويقص القصص
ولا يختلف الناقص والزائد فليتوا بمثل ما ترى به وانتقول برأيه الكذب وفيه اشارة الى
معنى لطيف وهو ان العقل للتكليف واردة الشيء وهو ليس على ما يرى يقال تعرض فلا في
أي لم يكن مر بضا وأرى من نفسه المرض وحينئذ كأنهم كانوا يقولون كذب وليس

(أم يقولون تقوله) أي
اختلقه من تلقاء نفسه
(بل لا يؤمنون)

فلكفرهم وعنادهم
يرمون بهذه الاباطيل
التي لا ينبغي على أحد
بطلانها كيف لا وما
رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا واحد
من العرب فكيف
أتى بما عجز عنه كافة
الامم من العرب والعجم
(فليتوا بحديث مثله)

مثل القرآن في النوع
التي استقل بها من
حيث التظلم ومن
المعنى (انكار

صادقين) فيما زعموا
فان صدقهم في ذلك
يستدعي قدرتهم على
الايمان بمثله بقضية
مشاركتهم له عليه
الصلاة والسلام
في البشرية والعربية
مع ما بهم من طول
المسارسة للخطب
والاشعار وكثرة
المزاول لاساليب
التظلم والنثر والمبالغة
في حفظ البوقائع والايام
ولارب في أن القدرة
على الشيء من موجبات

الايمان به ودواعي الامر بذلك

يقول انما هو تقول صورته صورة القول وليس في الحقيقة به ليعلم أن المكذب هو الصادق وقوله تعالى بل لا يؤمنون بيان هذا انهم كانوا في زمان نزول الوحي وحصول المعجزة كانوا يشاهدونها وكان ذلك يقتضي أن يشهدوا له عند غيرهم و يكونوا كالحجج بالحواسين كما كانت الصحابة رضى الله عنهم وهم لم يكونوا كذلك بل أقل من ذلك لم يكونوا أيضا وهو أن يكونوا من آحاد المؤمنين الذين لم يشهدوا تلك الامور ولم يظهروا الامر عندهم ذلك الظهور وقوله تعالى فليأتوا الغاء للعقيب أى اذا كان كذلك فيجب عليهم أن يأتوا بمثل ما أتى به ليصح كلامهم ويبطل كلامه وفيه مباحث (الاول) قال بعض العلماء فليأتوا أمر تعجيز يقوله القائل لمن يدعى أمرا أو فعلا ويكون غرضه اظهار عجزه والظاهر ان الامر ههنا مبق على حقيقته لانه لم يقل اتوا مطلقا بل انما قال اتوا ان كنتم صادقين وعلى هذا التقدير وجود ذلك الشرط يجب الاتيان به وأمر التعجيز في كلام الله تعالى قوله تعالى ان الله ياتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر وليس هذا بحجنا يورث خلافا في كلامهم (الثاني) قالت المعتزلة الحديث محدث والقرآن سماه حديثا فيكون محدثا نقول الحديث اسم مشترك يقال للحديث والقديم ولهذا يصح أن يقال هذا حديث قديم بمعنى متقدم العهد لا بمعنى سلب الاولية وذلك لانزاع فيه (الثالث) النحاة يقولون الصفة تتبع الموصوف في التعريف والتكثير لكن الموصوف حديث وهو منكر ومثل مضاف الى القرآن والمضاف الى الماعرف معرفة فكيف هذا نقول مثل وغير لا يعرفان بالاضافة وكذلك كل ماهو مثلهما والسبب ان غيرا ومثلا وأمثالهما في غاية التكثير فانك اذا قلت مارأيت شيئا مثل زيد تناول كل شئ فان كل شئ مثل زيد في كونه شيئا فالجماد مثله في الجسم والحجم والامكان والنبات مثله في الشجر والتماء والذبول والغناء والحيوان مثله في الحركة والادراك وغيرهما من الاوصاف واما غير فهو عند الاضافة ينكر وعند قطع الاضافة بما تعرف فانك اذا قلت غير زيد صار في غاية الابهام فانه يتناول أمورا لا حصر لها واما اذا قطعت عن الاضافة بما تقول الغير والمغايرة من باب واحد وكذلك التغير فتجعل الغير كأسماء الاجناس أو تجعله مبتدأ وتريد به معنى (البحث الرابع) ان كانوا صادقين أى في قوالهم بقوله وقد ذكرنا أن ذلك راجع الى ما سبق من أنه كاهن وأنه مجنون وأنه شاعر وأنه متقول ولو كانوا صادقين في شئ من ذلك لهان عليهم الاتيان بمثل القرآن ولما امتنع كذبوا في الكل (البحث الخامس) قد ذكرنا أن القرآن معجز ولا شك فيه فان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثل ما يقرب منه مع التحدى فاما أن يكون كونه معجزا الفصاحته وهو مذهب أكثر أهل السنة واما أن يكون معجزا بصرف الله عقول العقلاء عن الاتيان بمثله وعقله وألستهم عن الطبق بما يقرب منه ومنع القادر من الاتيان بالقدور كاتيان الواحد بفعل لا يقدر عليه غيره فان من قال لغيره أنا أحرك هذا الجبل يشبهه منه وكذا اذا قال انى أفعل فعلا لا يقدر الخلق على حل تفاسحة من

موضعها يستبعد منه على ان كل واحد فعل محجز اذا اتصل بالدعوى وهذا مذهب بعض المتكلمين ولا فساد فيه وعلى أن يقال هو محجز بهما جميعا * ثم قال تعالى (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون) ومن ههنا لا خلاف أن أم ليست بمعنى بل لكن أكثر المفسرين على أن المراد ما يقع في صدر الكلام من الاستفهام أما بالهمزة فكانه يقول أم خلقوا من غير شيء أو هل ويحتمل أن يقال هو على أصل الوضع الاستفهام الذي يقع في أثناء الكلام وتقديره أما خلقوا أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ما وجه تعلق الآية بما قبلها نقول لما كذبوا النبي صلى الله عليه وسلم ونسبوه الى الكهانة والجنون والشعر وراه الله من ذلك ذكر الدليل على صدقه ابطالا للكذب بهم وبدأ بأنفسهم كانه يقول كيف يكذبونه وفي أنفسهم دليل صدقه لان قوله في ثلاثة أشياء في التوحيد والحشر والرسالة في أنفسهم ما يعلم به صدقه ويانه هو انهم خلقوا وذلك دليل التوحيد لما بينا ان * في كل شيء آية تدل على انه واحد * وقد بينا وجهه مرارا فلانبيده وأما الحشر فلان الخلق الاول دليل على جواز الخلق الثاني وامكانه ويدل على ما ذكرنا ان الله تعالى ختم الاستفهامات بقوله أم لهم الله غير الله سبحانه الله عما يشركون (٢) (المسئلة الثانية) اذا كان الامر على ما ذكرت فلم حذف قوله أما خلقوا نقول اظهر انفاء ذلك ظهورا لا يبقى معه للخالق وجه فان قيل فلم لم يصدر بقوله أما خلقوا ويقول أم خلقوا من غير شيء نقول ليعلم ان قبل هذا أمرا متفيا ظاهرا وهذا المذكور قرىب منه في ظهور البطلان فان قيل قوله أم خلقوا من غير شيء أيضا ظاهر البطلان لانهم علموا انهم مخلوقون من تراب وماء ونطفة نقول الاول اظهر في البطلان لان كونهم غير مخلوقين أمر يكون مدعيه منكرا للضرورة فنكره منكر الامر ضروري (المسئلة الثالثة) ما المراد من قوله تعالى من غير شيء نقول فيه وجوه المقول منها انهم خلقوا من غير خالق وقيل انهم خلقوا لاشيء عشا وقيل انهم خلقوا من غير آب وأم ويحتمل أن يقال أم خلقوا من غير شيء أي ألم يخلقوا من تراب أو من ماء دليله قوله تعالى ألم يخلقكم من ماء مهين ويحتمل أن يقال الاستفهام الثاني ليس بمعنى النفي بل هو بمعنى الاثبات قال الله تعالى أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون أنتم تزرعونهم أم نحن الزارعون أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون كل ذلك في الاول منفى وفي الثاني مثبت كذلك ههنا قال الله تعالى أم خلقوا من غير شيء أي الصادق هو هذا الثاني حينئذ وهذا كما في قوله تعالى هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا فان قيل كيف يكون ذلك الاثبات والآدمي خلق من تراب نقول والتراب خلق من غير شيء فالإنسان اذا نظرت الى خلقه واسندت النظر الى ابتداء أمره وجدته خلق من غير شيء أو نقول المراد أم خلقوا من غير شيء مذكور أو معتبر وهو الماء المهيئ (المسئلة الرابعة) ما الوجه في ذكر الامور الثلاثة التي في الآية نقول هي أمور مرتبة كل واحد منها يمنع القول بالوحداية والحشر فاستفهم بها وقال أما خلقوا

(أم خلقوا من غير شيء)
أي أم أحدثوا وقدروا
هذا التقدير البديع
من غير محدث ومقدر
وقيل أم خلقوا من
أجل لاشيء من عبادة
وجزاء (أم هم
الخالقون) لانفسهم
فلذلك لا يعبدون
الله سبحانه

(٢) لعله ترك الثالث
اظهاره وهو أنه
اذا ثبت حقيقة المبدأ
والمعاد ثبت حقيقة
أمر الرسالة الخ
ما ذكره زاده فراجع

قوله فان قيل فلم
لم يصدر الخ لا يخفى
أن هذا عين ما قبله
فقال

أصلاً ولذلك ينكرون القول بالتوحيد لأنشاء الإيجاد وهو الخير يشكرون الحشمر لأنشاء
الخلق الأول أم خلقوا من غير شيء أم يقولون بأنهم خلقوا من غير شيء فلا إعادة كما قال
أفحسبتم إنما خلقناكم عبداً وعلى قولنا إن المراد خلقوا من تراب ولا من ماء وجه
ظاهر وهو أن الخلق إذا لم يكن شيء بل يكون ابداً عيسى يخفى كونه مخزوقاً على نعم
الأنبياء ولهذا قال بعضهم السماء رفع اتفاقاً ووجد من غير خالق وأما الإنسان الذي
يكون أولاً نطفة ثم علقه ثم مضغة ثم لحماً وعظاماً لا يمكن أحداً من أنكاره بعد مشاهدته

أحواله فقال تعالى أم خلقوا بغير شيء أم خلقوا بغير شيء أم خلقوا بغير شيء من غير
سبق حالة عليهم يكونون فيها تراباً ولا ماء ولا نطفة ليس كذلك بل هم كانوا شيئاً من تلك
الاشياء خالقوا من خلقاً فخلقوا من غير شيء حتى ينكروا الوجدانية ولهذا قال تعالى
يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق ولهذا أكره الله من قوله خلقنا الإنسان
من نطفة وقوله ألم نخلقكم من ماء مهين يتناول الأمرين المذكورين في هذا الموضع لأن
قوله ألم نخلقكم من ماء مهين يتناول الأمرين المذكورين في هذا الموضع لأن
لا من ماء وعلى قول من قال المراد منه أم خلقوا من غير شيء أي غير خالق ففيه ترتيب
حسن أيضاً وذلك لأن في الصانع أماناً أن يكون في كون العالم مخلوقاً فلا يكون بممكناً وأما
أن يكون ممكناً لكن الممكن لا يكون محتاجاً فيقع الممكن من غير مؤثر وكلاهما محال وأما
قوله تعالى أم هم الخالقون فمنهم أمهم الخالقون للخلق فيعجز الخالق بكثرته العمل فإن دأب
الإنسان أنه يعيا بالخلق فاقواهم أما خلقوا فلا يثبت لهم الالبته أم خلقوا وخفي عليهم
وجه الخلق أم جعلوا الخالق مثلهم فنسبوا إليه العجز ومثله قوله تعالى أفعبثت بالخلق
الأول هذا بالنسبة إلى الحشمر وأما بالنسبة إلى التوحيد فهو رد عليهم حيث قالوا الأمور
مختلفة واختلاف الآثار يدل على اختلاف المؤثرات وقالوا أجبم الآلهة الهما واحداً
فقال تعالى أم هم الخالقون حيث لا يقدر الجبار على الخياطة والحياطة على البناء وكل
واحد يشغله شأن عن شأن * ثم قال تعالى (أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون)
وفيه وجوه (أحدها) ما اختاره المخشري وهو أنهم لا يوقنون بأنهم خلقوا وهو جيتد
في معنى قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله أي هم معترفون
بأنه خلق الله وليس خلق أنفسهم (وثانيها) المراد بل لا يوقنون بأن الله واحد وقد رده ليس
الأمر كذلك أي ما خلقوا وإنما لا يوقنون بوحدة الله (وثالثها) لا يوقنون أصلاً من غير
ذكر مفعول يقال فلان ليس بمؤمن وفلان ليس بكافر لبيان مذهبه وإن لم يتو مفعولاً
وكذلك قول القائل فلان يؤذى ويؤذى لبيان ما فيه لأمع القصد إلى ذكر مفعول
وحديثه يكون تقديره أنهم ما خلقوا السموات والأرض ولا يوقنون بهذه الدلائل بل
لا يوقنون أصلاً وإن جشتم بكل آية يدل عليه قوله تعالى بعد ذلك وإن يروا كسفاً من
السماء ساقطاً يقولوا سمحاً مر كونه وهذه الآية إشارة إلى دليل الاتفاق وقوله من قبل

(أم خلقوا السموات
والأرض بل لا يوقنون)
أي إذا سئلوا من
خلقكم وخلق السموات
والأرض قالوا الله
وهم غير موقنين بسا
قالوا والالما أعرضوا
عن عبادته

(أم عندهم خزان ربك) أي خزان ٧١١ رزقه ورزخته حتى يرزقوا النبوة من شأوا ويسكوها عز

شأوا وعندهم خزان
علمه وحكمته حتى يختار
لها من اقتضت
الحكمة اختيارا
(أم هم المسيطرون)
أي القابضون على الأمور
يدبرونها كيفما شاؤوا
حتى يدبروا أمر
الربوبية وينووا
الأمور على إرادتهم
ومشيئتهم وقرئ
المصيطرون بالصاد
لكن الطاء (أم لهم
سلم) منصوب إلى السماء
(يستعصمون فيه)
صاعدين إلى كلام
الملائكة وما يوحى إليهم
من علم الغيب حتى يعلموا
ما هو كائن من الأمور
التي يقولون فيها رجا
بالغيب ويعقلون بها
أطباعهم الفارضة
(فليأت مستمعهم
بسلطان مبین) بحجة
واضحة تصدق
استماعه (أم له البنات
ولكن البنون) تسفيه
لهم وتركب لعقولهم
وايدان بان من هذا
رأيه لا يكاد يعد من
العقلاء فضلا عن الترقى
إلى عالم الملوك

أم خلقوا دليل الانفس ثم قال تعالى (أم عندهم خزان ربك أم هم المسيطرون) وفيه
وجوه (أحدها) المراد من الخزان خزان الرحمة (ثانيها) خزان الغيب (ثالثها) أنه إشارة
إلى الأسرار الإلهية المخفية عن الاعيان (رابعها) خزان مخلوقات التي لم يرها الإنسان
ولم يسمع بها وهذه الوجوه الأولى والثاني منقول والثالث والرابع مستنبط وقوله تعالى
أم هم المسيطرون تنمة للرد عليهم وذلك لأنه لما قال أم عندهم خزان ربك أشار إلى أنهم
ليسوا بخزنة الله فعملوا خزان الله وليس بمجرد انتفاء كونهم خزنة ينفى العلم لجواز أن
يكون مشفرا على الخزانة فإن العلم بالخزان عند الخازن والكتاب في الخزانة فقال لستم
بخزنة ولا بكتابة الخزانة المساطين عليها ولا بعد تفسير المصيطرين بكتابة الخزانة لأن
التركيب يدل على السطر وهو يستعمل في الكتاب وقيل المصيطر المسلط وقرئ بالصاد
وكذلك في كثير من السنن التي مع الطاء كما في قوله تعالى بمصيطر ومصيطر ثم قال
تعالى (أم لهم سام يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبین) وهو أيضا تنمة للدليل فإن
من لا يكون خازنا ولا كاتباً فديطلع على الأمر بالسمع من الخزان أو الكتاب فقال أتم
لستم بخزنة ولا كتابة ولا اجتماع بهم لأنهم ملائكة ولا صعود لكم إليهم وفيه مسائل
(المسئلة الأولى) المقصود نفي الصعود ولا يلزم من نفي السلم لهم نفي الصعود فالجواب
عنه نقول النفي أبغ من نفي الصعود وهو نفي الاستماع وآخر الآية شامل للدليل قال تعالى
فليأت مستمعهم بسلطان مبین (المسئلة الثانية) السلم لا يستمع فيه وإنما يستمع عليه فالجواب
الجواب نقول من وجهين (أحدهما) ما ذكره الزحشمي أن المراد يستمعون صاعدين فيه
(وثانيهما) ما ذكره الواحدي أن في معنى على كافي وقوله تعالى ولا صلبنكم في جذوع النخل
أي على جذوع النخل وكلاهما ضعيف لما فيه من الضمائر والتعريف (المسئلة الثالثة)
لم ترك ذلك مفعول يستمعون وماذا هو نقول فيه وجوه (أحدها) المستمع هو الوحي أي هل
لهم لم يستمعون فيه الوحي (ثانيها) يستمعون ما يقولون من أنه شاعروا أن الله شريكاً وأن
الحشر لا يكون (ثالثها) ترك المفعول رأساً كأنه يقول هل لهم قوة الاستماع من السماء
حتى يلووا أنه ليس برسول وكلامه ليس برسول (المسئلة الرابعة) قال فليأت مستمعهم
ولها فليأتوا كما قاله في فليأتوا بحديث مثله نقول طلب منهم ما يكون أهون على
تقديم صدقهم ليكون اجتماعهم عليه أدل على بطلان قولهم فقال هناك فليأتوا أي
اتبعوا عليه وتعاونوا وأتوا مثله فإن ذلك عند الاجتماع أهون وأما الارتقاء في السلم
للاجماع معتذر لأنه لا يرتقي الواحد بعدواً ولا يحصل في الدرجة العليا الواحد
فقال فليأت ذلك الواحد الذي كان أشد رقباً بسمعه (المسئلة الخامسة) قوله بسلطان
مبین ما المراد به نقول هو إشارة إلى الطبقة وهي أنه لو طلب منهم ما سمعوه وقبل لهم فليأت
مستمعهم بما سمع لكان الواحد أن يقول أنا سمعت كذا وكذا فيعزى كذا فقال لا بل
الواجب أن يأتي بدليل يدل عليه ثم قال تعالى (أم له البنات ولكن البنون) إشارة إلى نفي

والتطلع على الأسرار الغيبية والاتفات إلى الخطاب لتعديد ما في أم المنقطعة من الإنكار والتوبيخ

الشرك وفساد ما يقولون بطريق آخر وهو ان المنصرف الى الشريك لعجز
والله قادر فلا شريك له فانهم قالوا نحن لا نجعل هذه الاصنام وغيرها شركا وانما نعظمها
لانها بنات الله فقال تعالى كيف تجعلون لله البنات وخلق البنات والبنين انما كان
لجواز الغناء على الشخص ولو لا التوالد لانقطع النسل وارتفع الاصل من غير أن يقوم
مقامه انفصل فقد رآه الله التوالد ولهذا لا يكون في الجنة ولادة لان الدار دار البقاء لا موت
فيها للآباء حتى تقام العبارة بحدوث الابناء اذا ثبت هذا فالولد انما يكون في صورة
امكان فناء الاب ولهذا قال تعالى في أوائل سورة آل عمران الحى القيوم أى حى لا يموت
فيحتاج الى ولد يرثه وهو قيوم لا يتغير ولا يضعف فيفتقر الى ولد ليقيم مقامه لانه ورد في
نصارى نجران ثم ان الله تعالى بين هذا بأربع الوجوه وقال انهم يجعلون له بنات ويجعلون
لأنفسهم بنين مع ان جعل البنات لهم أولى وذلك لان كثرة البنات نعين على كثرة الاولاد
لان الاناث الكثيرة يمكن منهن الولادة بأولاد كثيرة من واحد وأما الذكور الكثيرة
لا يمكن منهم احبال أنثى واحدة بأولاد الا ترى ان الغنم لا تذبح منها الاناث الا نادرا وذلك
لمأنت ان ابقاء النوع بالانثى انفع نظرا الى التكثير فقال تعالى انما يقوم الذى لا فناء
ولا حاجة له في بقاء النوع في حدوث الشخص وأنتم معرضون للموت العاجل وبقاء العالم
بالاناث أكثر وتبرأون منهن والله تعالى مستغن عن ذلك وتجعلون له البنات وعلى هذا
فاتقدم كان اشارة الى نفي الشريك نظرا الى انه لا ابتداء لله وهذا اشارة الى نفي الشريك
نظرا الى انه لا فناء له فان قيل كيف وقع لهم نسبة البنات الى الله تعالى مع ان هذا أمر في
غاية العج لا يخفى على عاقل واقوم كان لهم العقول التى هى مناط التكليف وذلك القدر
كافى في العلم بفساد هذا القول فنقول ذلك القول دعاهم اليه اتباع العقل وعدم اعتبار
النقل ومذهبهم في ذلك مذهب الفلاسفة حيث يقولون يجب اتباع العقل الصريح
ويقولون النقل بمنزلة لا يتبع الا اذا وافق العقل واذا وافق فلا اعتبار للنقل لان العقل
هناك كافى ثم قالوا لو ولد يسمى والدانه سبب وجوده والولد ولهذا يقال اذا ظهر شئ من
شئ فهذا تولد من ذلك فيقولون الحى تولد من عفونة الخلط فقالوا الله تعالى سبب وجود
الملائكة سببوا جبا لا اختياره فسموه بالوالد ولم يلتفتوا الى وجوب تزيه الله في تسميته
بذلك عن التسمية بما يوههم النقص ووجوب الاقتصار في أسمائه على الاسماء الحسنى التى
ورد بها الشرع لعدم اعتبارهم النقل فقالوا يجوز اطلاق الاسماء المجازية والحقبة
على الله تعالى وصفاته فسموه عاشقا وممشوقا وسموه أباء والدا ولم يسموه ابناء ولا مولودا
باتفاقهم وذلك ضلالة ثم قال تعالى (أم تسألهم أجر افهم من مغرم مثقلون) وجه التعلق
هو أن المشركين لما طرحوا الشرع واتبعوا ما ظنوه عقلا وسموا الموجود بعد العدم
بمولودا ومتولدا والموجد والد الزمهم الكفر بسببه والاشراك فقال لهم ما الذى
يحكمكم على اطراح الشرع وترك اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم هل ذلك اطلبه منكم

(أم تسألهم أجرا)
رجوع الى خطابه
عليه الصلاة والسلام
واعراض عنهم أى بل
أنسألهم أجرا على
تبليغ الرسالة (فهم)
الذلك (من مغرم)
من التزام غرامة
فادحة (مثقلون)
محملون الثقل فلذلك
لا يتبعونك

شيئا فاما كان يسعهم ان يقولوا نعم فلم يبق لهم الا ان يقولوا لا فتقول لهم كيف اتبعتم قول
الفيلسفي الذي يسوغ لكم قول الزور وما يوجب الاستخفاف بجانب الله تعالى لفظا ان
لم يكن معنى كما تقولون ولا تتبعون الذي يأمركم بالمعسول في المعنى والاحسان في اللفظ
ويقول لكم اتبعوا المعنى الحق الواضح واستعملوا اللفظ الحسن المؤدب وهذا في غاية
الحسن من التقدير . وأما التفسير فبقية مسائل (المسئلة الاولى) ما الفائدة في سؤال النبي
صلى الله عليه وسلم حيث قال أم تسألهم ولم يقل أم يسألون أجرا كما قال تعالى أم يقولون
وقال تعالى أم يريدون كيدا الى غير ذلك نقول فيه فائدتان (احدهما) تسلية قلب
النبي صلى الله عليه وسلم وذلك لانهم لما استمعوا من الاشتماع واستنكفوا من الاتباع
صعب على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ربه أنت أثبت بعابك فلا يضيق صدرك
حيث لم يؤمنوا فأنت غيبر لهم وانما كنت للام لو كنت طلبت منهم أجرا فهل طلبت
ذلك فأنقلهم لا فلاح ج عليك اذا (الثانية) انه لو قال أيسألون لزم في طلب أجره طلقا
وليس كذلك وذلك لانهم كانوا يشركون بطالبوا بالاجر من رؤسائهم وأما النبي صلى
الله عليه وسلم فقال له أنت لا تسألهم أجرا فأنقلهم لا يتسببوا وغرك يسألهم وهم يسألون
ويتبعون السائلين وهذا غاية الضلال (المسئلة الثانية) ان قال قائل ألزمت أن تبين ان أم
لا تقع الا متوسطة حقيقة أو تشديرا فكيف ذلك ههنا نقول كأنه تعالى يقول
أنهدبهم او حده الله أم تسألهم أجرا وترك الاول لعدم وقوع الإنكار عليه كما قلنا في قوله
أم له البنات ان المقدس هو واحد أم له البنات وترك ذكر الاول لعدم وقوع الإنكار عليه
من الله تعالى وكونهم قائلين بأنه لا يريد وجهه الله تعالى وانما يريد الرئاسة والاجر في الدنيا
(المسئلة الثالثة) هل في خصوص قوله تعالى أجرا فائدة لا توجد في غيره او قال أم تسألهم
شيئا او مالا أو غير ذلك نقول نعم وقد تقدم القول مني ان كل لفظ في القرآن فيه فائدة وان
كنا لانعاهم والذي يظهر ههنا ان ذلك اشارة الى أن ما يأتي به النبي صلى الله عليه وسلم فيه
مصلحتهم وذلك لان الاجر لا يطلب الا عند فعل شيء يفيد المطالب منه الاجر فقال أنت
أنتهم بما او طابت عليه أجرا وعلموا كمال ما في دعوتك من المنفعة لهم وبهم لا تترك
جميع أموالهم ولقد ترك بأنفسهم ومع هذا لا تطلب منهم أجرا ولو قال شيئا او مالا لما
حصلت هذه الفائدة والله اعلم (المسئلة الرابعة) هذا يدل على انه لم يطلب منهم اجرا ما
وقوله تعالى قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى يدل على انه طلب اجرا ما فكيف
الجمع بينهما نقول لا تفرقة بينهما بل الكل حق وكلاهما ككلام واحد وبيانه هو ان
المراد من قوله الا المودة في القربى هو اني لا اسئلكم عليه أجرا يعود الى الدنيا وانما
أجرى المحبة في الزاني الى الله تعالى وان عباد الله الكاملين أقرب الى الله تعالى من عباد
الناقصين وعباد الله الذين كلهم الله وكلوه وأرسلهم انكم ميل عباد فكملاوا أقرب الى الله
من الذين لم يرسلهم الله ولم يكملوا وعلى هذا فهو في معنى قوله ان أجرى الاعلى الله واليه

أنتى وقوله صلى الله عليه وسلم فاني أنا هي بكم الامم يوم اقيامة وقوله فهم من مغرم
 مثلون بين ما ذكرنا ان قوله أم تسألهم أجرا المراد أجر الدنيا وقوله قل لأستأنسكم عليه
 أجرا المراد العموم ثم استثنى ولا حاجة الى ما قاله الواحدى ان ذلك منقطع معناه لكن
 المودة في القربى وقد ذكرناه هناك فليطلب منه (المسئلة الخامسة) قوله تعالى فهم من
 مغرم مثقلون اشارة الى أنه صلى الله عليه وسلم ما طلب منهم شيئا ولو طالبهم باجر ما كان
 لهم أن يتركوا اتباعه بادنئ شئ اللهم الا ان أنقلهم التكليف وبأخذ كل ما لهم
 وينعمهم التخفيف فيقتلهم الدين بعد ما لا يبقى لهم العين ثم قال تعالى (أم عندهم الغيب
 فهم يكتبون) وهو على القريب الذي ذكرناه كانه تعالى قال لهم ثم اطرحتم الشرع
 ومحاسنه وقدمت ما قلتم بناء على اتباعكم الامم الفاسدة التي تعمونها المعقولات والتي
 صلى الله عليه وسلم لا يطلب منكم أجرا وانتم لا تعلمون فلا عذر لكم لان العذر اما في
 الغرامة واما في عدم الحاجة الى ما جاء به ولا غرامة عليكم فيه واغنى لكم عنه وقوله
 مسائل (المسئلة الاولى) كيف التقدير فلنا الحاجة الى التقدير بل هو استفهام متوسط
 على ما ذكرناه كانه قال أنه يهديهم اوجه الله تعالى أم تسألهم أجرا فيمتنعون أم لا حاجة لهم
 الى ما تقول لكونهم عندهم الغيب فلا يلزم من (المسئلة الثانية) الاف والام في الغيب
 لتعريف ما ذا الجنس أو العهد تقول الظاهر ان المراد نوع الغيب كما يقول القائل اشتر
 اللعم يريد بيان الحقيقة لكل لهم ولا لغيره والمراد في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة
 الجنس واستغرافه اكل غيب (المسئلة الثالثة) على هذا كيف يصح عندهم الغيب
 وما عذر الشخص لا يفتن غيبا نقول معناه حضر عندهم ما غاب عن غيرهم وقبل هذا
 متعلق بقوله نتر بصيه ريب المتنون أى عندكم الغيب تعلمون انه يموت قبلكم وهو
 ضعيف بعد ذلك ذكر ان قوله تعالى قل تر بصروا متصل به وذلك يمنع اتصال هذا بذلك
 (المسئلة الرابعة) ما الفائدة في قوله فهم يكتبون فنقول وضوح الامر واشارة الى ان
 ما عند النبي صلى الله عليه وسلم من علم الغيب علم بالوحى أمورا واسرارا واحكاما واخبارا
 كثيرة كلها هو جازم بها وليس كما يقول المنفرد الامر كذا وكذا فان قيل اكتب به خطك
 انه يكون يمتنع ويقول أنا لا ادعى فيه الجزم والقطع ولكن اذكره كذا وكذا على سبيل
 الظن والاستنباط وان كان قاطعا يقول اكتبوا هذا عني وأثبتوا في الدواوين ان
 في اليوم الفلاني يقع كذا وكذا فقوله أم عندهم الغيب فهم يكتبون يعنى هل صاروا في
 درجة محمد صلى الله عليه وسلم حتى استغنوا عنه وأعرضوا ونقل عن ابن قتية ان المراد
 من الكتابة الحكم معناه يتحكمون متمسكا بقوله صلى الله عليه وسلم اقض بيننا بكتاب الله
 أى حكم الله وليس المراد ذلك بل هو من باب الاضمار معناه بما في كتاب الله تعالى يقال
 فلان يقضى بمذهب الشافعى أى بما فيه ويقول الرسول الذى معه كتاب الملك للربعة
 اعلموا بكتاب الملك ثم قال تعالى (أم يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون)

(أم عندهم الغيب)
 أى الاوح المحفوظ
 المثلث فيه الغيوب
 (فهم يكتبون) ما فيه
 حتى يتكلموا في ذلك
 بنى أو اثبات (أم
 يريدون كيدا) هو
 كيدهم برسول الله
 صلى الله عليه وسلم
 في دار الندوة (فالذين
 كفروا) هم المذكورون
 ووضع الموصول
 موضع ضميرهم
 لتسجيل عليهم بما
 في حبر الصلوة من الكفر

وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ما وجه التعلق والمناسبة بين الكلامين قلنا بين ذلك بيان
 المراد من قوله أم يريدون كيدا فبعض المفسرين قال أم يريدون أن يكيدوك فهم
 المكيدون أي لا يقدرّون على الكيد فإن الله يصونك بعينه وينصرك بصونه وعلى هذا
 إذا قلنا يقول من يقول أم عندهم الغيب متصل بقوله تعالى نتر بص به ريب المذنون فيه
 ترتيب في غاية الحسن وهوانهم لما قالوا نتر بص به ريب المذنون قبل لهم ألعون الغيب
 فتعلمون أنه يموت قبلكم أم تريدون كيدا فتقولون نقول نعم فموت قبلنا فإن كنتم تدعون
 الغيب فأنتم كاذبون وإن كنتم تطعنون أنكم تقدرون عليه فأنتم غافلون فإن الله يصونه
 عنكم وينصره عليكم وأما على ما قلنا أن المراد منه أنه صلى الله عليه وسلم لا يسألكم على
 الهداية ما لا وأنتم لا تعلمون ما جاء به أولادنايته لكونه من الغيوب فتقول فيه وجوه
 (الاول) أن المراد من قوله تعالى أم يريدون كيدا أي من الشيطان وأزواجه فيحصل
 مرادهم كأنه تعالى قال أنت لتسألهم أجرا وهم لا يعاون الغيب فهم محتاجون إليك
 وأعرضوا فقد اختاروا كيد الشيطان ورضوا بأزواجه وأرادوا معنى الاختيار والحجة
 كما قال تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه وكأفأ أنفكا آلهة دون الله
 تريدون وأظهر من ذلك قوله تعالى إني أريد أن تبوء بأبى وأبك (الوجه الثاني) أن يقال
 أن المراد والله أعلم أم يريدون كيدا الله فهو وواصل اليه وهم عن قريب مكيدون وترتيب
 الكلام هو أنهم لما لم يبق لهم حجة في الاعراض فهم يريدون نزل العذاب بهم والله أرسل
 إليهم رسولا لا يسألهم أجرا ويهديهم إلى ما لا يعلمهم ولا كتاب عندهم وهم يعرضون فهم
 يريدون إذا أن يهلكهم ويكيدهم لأن الاستدراج كيد والاملاء لازياد الاتيم كذلك
 لا يقال هو فاسد لأن الكيد والاساءة لا يطلق على فعل الله تعالى لا بطريق المقابلة
 وكذلك المكر فلا يقال آساء الله إلى الكفار ولا اعتدى الله إلا إذا ذكر أولا ففهم شيء من
 ذلك ثم قال بعد ذلك بسببه لفظا في حق الله تعالى كافي قوله تعالى وجزاء سبعة سيئة مثلها
 وقال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه وقال ومكروا ومكر الله وقال يكيدون كيدا وأكيد
 كيدا لأن تقول الكيد ما يسوء من نزل به وإن حسن ممن وجد منه ألا ترى أن إبراهيم
 عليه السلام قال لا أكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين من غير مقابلة (المسئلة
 الثانية) ما الفائدة في قوله تعالى فالذين كفروا هم المكيدون وما الفرق بين معنى هذا
 الكلام ومعنى قول القائل أم يريدون كيدا فهم المكيدون نقول الفائدة كون
 الكافر مكيدا في مقابلة كفره لافي مقابلة أراذله الكيد ولو قال أم يريدون كيدا
 فهم المكيدون كان يفهم منه أنهم أن لهم يده لا يكونوا مكيدين وهذا يؤيد ما ذكرنا
 أن المراد من الكيد كيد الشيطان أو كيد الله بمعنى عذابه إياهم لأن قوله فالذين
 كفروا هم المكيدون عام في كل كافر كاذب الشيطان ويكيد الله أي بعذبه وصار المعنى
 على ما ذكرناه أنه يهديهم لوجه الله أم تسألهم أجرا فتعلمهم فيمتنعون عن الانبعاث

وتعليل الحكم به أوجع
 الكفرة وهم داخلون
 فيهم دخول أوليا (هم
 المكيدون) أي هم الذين
 يمتنعون بهم كيدهم
 أو يعود عليهم وباله
 لأن أرادوا أن يكيدوه
 وهو ما أصابهم يوم
 بدر وأهم المغلوبون
 في الكيد من كيدته
 فكفته

ام عندهم اتعيب فلا يحتاجون اليك فيعرضون عنك أم ليس شيء هذين الامرين
 الأخيرين فيريدون العذاب والعذاب غير مدفوع عنهم بوجه من الوجوه لكفرهم
 فالذين كفروا معذبون (المسئلة الثالثة) ما الفائدة في تنكير الكيد حيث لم يقل
 أم يريدون كيدك أو الكيد أو غير ذلك ليزول الابهام فنقول فيه فائدة وهي الإشارة
 الى وقوع العذاب من حيث لا يشعرون فكأنه قال بأنهم بغتة ولا يكون لهم به
 علم أو يكون إرادا العظمى كذا ذكرنا مرارا ثم قال تعالى (أم لهم الله سبحانه
 الله عابشر كون) أعاد التوحيد وهو يغيد فائدة قوله تعالى أم له البنات والكن
 البنون وفي سبحانه الله بحث سريفة وهو أن أهل اللغة قالوا سبحانه اسم علم للتسبيح
 وقد ذكرنا ذلك في تفسير قوله فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وأكثرنا من
 انقلوا ذلك قول يجرؤ أن تقول سبحانه اسم مصدر ونقول سبحانه على وزن فلان
 فكذا سبحانه في غير مواضع الارتفاع كما يقال في التسبيح تقول ذلك مثل قول القائل
 من حرف جار وفي كلمة طرف حيث يخبر عنه مع أن الحرف لا يخبر عنه فيجاء به من بابي
 حيث لا جلا كالاسم ولم يترك على أصلهما المستعمل في مثل قولك أخذت من زيد الدرهم
 في الكس فكذا سبحانه فيما ذكر من المواضع لم يترك على مواضع استعماله فانه
 حيث لم يترك علما كما يقال زيد على وزن فعل بخلاف التسليح فيما ذكرنا (المسئلة الرابعة)
 ما في قوله تعالى عابشر كون وجهين (أحدهما) أن تكون مصدرية بمعنى سبحانه
 عن أشرا كههم (ثانيهما) خبرية بمعنى عن الذين يشركون وعلى هذا فيحتمل أن يكون
 عن الولدان منهم كانوا يقولون البنات لله تعالى سبحانه الله عن البنات والبنين ويحتمل أن
 يكون عن مثل الآلهة لأنهم كانوا يقولون هو مثل ما يعبدونه فقال سبحانه الله أن مثل
 ما يعبدونه ثم قال تعالى (وإن يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مراكوم)
 وجه الترتيب فيه هو أنه تعالى لا يبين فساد أقوالهم وسقوط ما عن درجة الاعتبار أشار الى
 أنه لم يبق لهم شيء من وجه الاعتذار فإن الآيات ظهرت والحجج تبين ولم يؤمنوا وبعد ذلك
 أن يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب أي يشكرون الآية لكن الآية إذا
 اظهرت في أظهر الأشياء كانت ظهور بيانه هو أن من يأتي بحسم من الأجسام من بيته
 وادعى فيه أنه فعل به كذا فربما يخطر ببال السامع أنه في بيته ولا يبدع فإذا قال للناس
 هاتوا حسما يردون حتى أجعل لكم منه كذا يزول ذلك الوهم لكن أظهر الأشياء عند
 الإنسان الأرض التي هي مهد وفرشه والسماء التي هي سقفه وعرشه وكانت العرب
 على مذهب الفلاسفة في أصل المذهب ولا يلتفت الى قول الفلاسفة نحن ننزه غاية
 التبريزه حتى لا يجوز رؤيته واتصافه بوصف زائد على ذاته ليكون واحدا في الحقيقة
 فكيف يكون مذهبنا مذهب من يشرك بالله صفا متخوتا فنقول أنهم لما نسبتم الحوادث
 الى الكواكب وشرعتم في دعوة الكواكب أخذوا الجهال عنكم ذلك وأنخذوه مذهبا

(أم لهم الله غير الله)
 يعنيهم وبحر سه من
 عذابه (سبحان الله عما
 يشركون) أي عن
 أشرا كههم أو عن شركة
 ما يشركونه (وإن
 يروا كسفا) قطعة (من
 السماء ساقطا) لنذيرهم
 (يقولوا) من فرط
 ظمئهم وعنادهم (سحاب
 مراكوم) أي هم في
 الله فيان بحيث واسطة
 صبيح حسبما قالوا
 أو قسطة السماء كازعت
 علينا كسفا لها وهذا
 سحاب تراكم بعضه على
 بعض يطرنا ولم يصد
 قوا أنه كسف ساقط
 للعذاب

وإذا ثبت أن العرب في الجاهلية كانت في الأصل على مذهب الفلاسفة وهم يقولون
 بالطبائع فيقولون الأرض طبعها التكوين والسما طبعها يمنع الانفصال والانفكاك
 فقال الله تعالى رداعليهم في مواضع أن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من
 السماء أبطالاً لطبايع وإيضاح الاختيار في الوقائع فقال همنا أن أئينا بشئ غريب في غاية
 الغرابة في أظهر الأشياء وهو السماء التي يرونها أبداً ويعلمون أن أحداً لا يصل إليها ليعمل
 بالأدوية وغيرها ما يوجب سقوطها لا تنكروا ذلك فكيف فيما دون ذلك من الأمور
 والذي يؤيد ما ذكرناه وأنهم كانوا على مذهب الفلاسفة في أمر السماء أنهم قالوا
 أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أي ذلك في زعمك ممكن فاما عندنا فلا والكسفة
 انطباع يقال كسفة من ثوب أي قطعة وفيه مباحث (البحث الأول) استعمال في السماء
 افتقار الكسف والغيبون ذكرنا استعمالها في الثوب لأن الله تعالى شيد السماء بالثوب
 المشوي ولهذا ذكره في المضي فقال والسموات مطويات وقل تعالى يوم نطوي السماء
 (البحث الثاني) استعمال الكسف في السماء والخسف في الأرض فقال تعالى نخسف
 بهم الأرض وهو يدل على قول من قال يقال في القمر خسوف وفي الشمس كسوف
 ووجهه أن يخرج الخاء دون نخرج الكاف ونخرج الكاف فوقع متصل به فاستعمل
 وصف الأسفل للأسفل والاعلى للأعلى فقالوا في الشمس والسماء الكسوف والكسف
 وفي القمر والأرض الخسوف والخسف وهذا من قبيل قولهم في المانع والممانح أن
 مانقطه فوق لم فوق البئر ومانقطه من أسفل عندهم يجوز نقضه من أسفل لمن تحت
 في أسفل البئر (البحث الثالث) قال في السحاب ونجمه كسفا مع أنه تحت القمر
 وقال القمر وخسف القمر وذلك لأن القمر عند الخسوف له نظير فوقه وهو الشمس
 عند الكسوف والسحاب اعتبر فيه نسبتته إلى أهل الأرض حيث ينظرون إليه فلم يقل
 في القمر خسف بالنسبة إلى السحاب وإنما قيل ذلك بالنسبة إلى الشمس وفي السحاب
 قيل بالنسبة إلى الأرض (المسئلة الثانية) ساقطاً يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون
 مفعولاً ثانياً يقال رأيت زيدا عالماً (وثانيهما) أن يكون حالاً كما يقال ضربته قائماً
 والثاني أولى لأن الرؤية عند التعدى إلى مفعولين في أكثر الأمر تكون بمعنى العلم
 نقول أرى هذا المذهب صحيحاً وهذا الوجه ظاهراً وعند التعدى إلى الواحد تكون بمعنى
 رأى العين في الأكثر تقول رأيت زيدا وقال تعالى لما رأوا بأسنا وقال فاما ترى من
 البشر أحد أو المراد في الآية رؤية العين (المسئلة الثالثة) في قوله ساقطاً فائدة لا تحصل
 في غير السقوط وذلك لأن عندهم لا يجوز الانفصال على السموات ولا يمكن نزولها
 وهبوطها فقال ساقطاً ليكون مخالفاً لما يعتقدونه من وجهين (أحدهما) الانفصال
 (والآخر) السقوط وأقال وان يروا كسفا منفصلاً أو معاً لما حصلت هذه الفائدة
 (المسئلة الرابعة) في قوله يقولوا فائدة أخرى وذلك لأنه يفيد بيان العناد الذي هو مقصود

سرد الآية وذلك لانهم في ذلك الوقت يستخرجون وجوه احق لا يلزمهم التسليم فيقولون
 صاحب قولنا من غير عقيدة وعلى هذا يستعمل أن يقول ان يروا المراد العلم ليكون أدخل
 في العناد أي اذا علوا ويتقنوا ان السماء سافضة غيروا وعاندوا وقالوا هذا صاحب
 من كرم (المسئلة الخامسة) قوله تعالى يقولوا أصحاب من كرم اشارة الى انهم حين يعجزون
 عن الكذيب ولا يفتكدهم أن يقولوا لم يقع شيء على الارض يرجعون الى التساويل
 والخييل وقوله من كرم أي من كذب بعضهم على بعض كأنهم يدفعون عن أنفسهم
 ما يورد عليهم أن أصحاب كذابه وانما يقع نفوذ لجسم فيه وهذا أقوى مانع فيقولون انه
 ركلم فصاحوا سلبا قويا (المسئلة السادسة) في انقطاع كلمة الاشارة حيث يقولوا هذا
 اشارة الى وضوح الامر وظهور العناد فلا يستجيبون ارياتوا بما لا يقي معه مرأ
 وتقولون صاحب من كرم مع حذف البتة الذي يقال فيه مجال فيقولون سند تكذيب
 الحق اليهم قد صاحب من كرم شبهة والله ان يمشي الامر مع عوامهم استمروا وهذا
 مجال من تحذف من الكلام ولا يعلم انه يقبل منه أولا يقبل فيجعله ذا وجهين فادري الشكر
 على أحدهم ففسره بالآخر وان رأى القبول خرج برأيه ثم قال تعالى (فذرهم حتى
 يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون) أي اذا تبين انهم لا يرجعون فذرهم حتى يلاقوا فيه
 مسائل (المسئلة الاولى) فذرهم أمر كان يجب أن يقال المتيقن الذي صلى الله عليه وسلم
 يجوز ان دعائهم الى الاسلام وليس كذلك والجواب عنه من وجوه (أحدها) ان هذه
 الآيات مثل قوله تعالى فادري وتقول دعاهم الى غير ذلك كلها منسوخة بآية القائل وهو
 ضعيف (ثانيها) ليس المراد الامر وانما المراد أنهم يد كاي يقول سيد العبد الجاني لمن
 يصحبه دعه فإنه سينال وبال جنائيه (ثالثها) ان المراد من يعاند وهو غير معين والنبي
 صلى الله عليه وسلم كان يدعو والحق على سبيل العموم ويجوز أن يكون المراد بالخطاب
 من لم يظهر عناده لان ظهر عناده فلم يقل الله في حقه فذرهم ويدل على هذا انه تعالى قال
 من قبل فذكر فأنزلت بسمه ربك بكانهم ولا يجنون وقال ههنا فذرهم فمن يذكرهم هم
 المشفقون الذين قالوا انا كنا قبل في أهلنا مشفقين ومن يذرهم الذين قالوا شاعر نثر بص به
 رب النون الى غير ذلك (المسئلة الثانية) حتى لغاية فيكون كأنه تعالى قال ذرهم الى
 ذلك اليوم ولا تكلمهم ذلك اليوم تجدد الكلام ونقول ألم أقل لكم ان الساعة آتية
 وان الحساب يقوم والعذاب يدوم فلان تكلمهم الى ذلك اليوم ثم كلهم لتعلمهم (ثانيها) ان
 المراد من حتى الغاية يستعمل فيها اللام كاي يقول القائل لا تطعمه حتى يموت أي يموت
 لان اللام التي لغرض عندها ينتهي الفعل الذي لغرض فيوجد فيها معنى الغاية ومعنى
 التعليل ويجوز استعمال الكلمتين فيها وعل المراد من قوله تعالى واعبد ربك حتى يأتيك
 اليقين ههنا أي الى أن يأتيك اليقين فان قيل فمن لا يذره أيضا يلاقى ذلك اليوم نقول
 المراد من قوله يصعقون يهلكون فالذكر المشفق لا يهلك ويكون مستغنى عنهم كقائل

(فذرهم حتى يلاقوا)
 وقرئ حتى يلقوا
 (يومهم الذي فيه)
 يصعقون (على الباء
 المفعول من اصعقته
 الصاعقة أو من اصعقه
 بفتح الباء والعين وهو
 يوم يصيبهم الصعقة
 بالمثل يوم يدرا انفعوا
 الاولى كاقيل اذا
 لا يصعق بهم الا من كان
 حيا حينئذ ولان قوله
 تعالى

تعالى فصعق من في السموات ومن في الارض الامن شاء الله وقد ذكرنا غشاك أن من اعترف بالحق واعلم ان يوم الحساب كائن فاذا وقعت الصبيحة يكون كى يعلم ان الردد يرد ويستعد لسماعه ومن لا يعلم يكون كالناسفل فاذا وقعت الصبيحة ارتجف العاقل ولم يرتجف العالم حينئذ لا يكون اتوعد بلاقاء يومهم لان كل أحد بلاق يومه وانما يكون بلاقاء يومهم الذي فيه يصعدون أى اليوم الوصوف بهذه الصفة وهذا كإقال تعالى لو أن تداركه نعمة من ربه لنبتذ بالعراء وهو مذموم فان التنى ليس النبت بالعراء لانه تحقق بدليل قوله تعالى فنبذناه بالعراء وهو سقيم وانما التنى النبت الذى يكون هو معه مذموما وهذا لم يوجد في المسئلة الثالثة حتى ينصب ما لمعهدها من الفعل المستقبل تارة ويرفع أخرى والغافل ينهها ان الفعل اذا كان مستقبلا متقاربا لا يقع في الحال ينصب تقول نعمت ان فقد حتى ترفع درجتي فانك تنظره وان كان حال لا يرفع تقول اكررح حتى تسقط فوقى ثم انام والسبب فيه هو أن حتى في المستقبل للغاية ولان التعامل للعرض والغرض غاية الفعل تقول لم يبنى الدار يقول للسكنى فصار قوله حتى ترفع كقوله لا ترفع وفيها اضممار أن قال قيل ما قلت شيئا وماذ كرت السبب في النصب عند ارادة الاستقبال والرفع عند ارادة الحال تقول الفعل المستقبل اذا كان مستظرا وكان نصب العين ومذموم بالذى الذم من يرقبه بفعل بالظن ما كان في معناه ولهذا قالوا في الاضافة ان المضاف للجرا أمر الى أمر في العى جزء من القنظ الذى يؤيد ما ذكرنا أن الفعل انما ينصب بأن لا روى واذن واخو من الفعل الاستقبال في هذه الواضع ان والرفع الذى يجعل الفعل الحال يمنع النصب حيث لا يجوز أن تقول انما لا ينصب فان قل السين وسوف مع نهما يختصان الفعل الاستقبال لا ينصبان ويختصان النصب بالنصب كما في قوله تعالى هل أن سيكون منكم مرضى تقول سوف والسين ليسا بمعنى غير اختصاص الفعل بالاستقبال وان وان بمعنى لا يصح الا فى الاستقبال فلم يثبت بالسين الا الاستقبال ولم يثبت به معنى فى الاستقبال والمتنظر هو ما فى الاستقبال لانفس الاستقبال مثله اذا قلت أعبد الله كى يغفرلى أو لا يغفرلى أثبت كى غرضنا وهو المغفرة وهى فى المستقبل من الزمان واذا قلت أستغفرلك ربى أثبت السين استقبال المغفرة وفرق بين ما يكون المقصود من الكلام بمان الاستقبال لكن الاستقبال لا يوجد الا فى معنى فاقى بالمعنى ليبين به الاستقبال وبين ما يكون المقصود منه معنى فى المستقبل فتذكر الاستقبال اثنين محل مقصودك * ثم قال تعالى (يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون) لما قال يلاقوا يومهم وكل يروا فجر بلاق يومه اعداد صفة يومهم وذكر ما يتميز به يومهم عن يوم المؤمنين فقال يوم لا يغنى وهو يخالف يوم المؤمنين فانه تعالى قال فيه هذا يوم ينفع الصادقين وفيه مسائل (الاولى) فى يوم لا يغنى وجهان الاول يدل عن قوله يومهم فانيها ظريف يلاقوا أى يلاقوا يومهم يوم فان قيل هذا يلزم منه أن يكون اليوم فى يوم فيكون اليوم

(يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئا) أى شيئا من الاغناء يدل من يومهم ولا يغنى أن التعرض ليسا بعدم نفع كيدهم يستدعى استعما لهم له طمعا فى الانتفاع به وليس ذلك الاماد يروه فى امره صلى الله عليه وسلم من الكيد الذى من جعله منا صيتهم يوم يدر وأما النفخة الاولى فليست مما يجرى فى مدافعتة الكيد والحيل وقيل هم يوم موتهم وفيه ما فيه مع ما تأباه الاضافة المنبهة عن اختصاصه بهم (ولاهم ينصرون) من جهة الغير فى دفع العذاب عنهم

ظرف اليوم تقول هو على حد قول من يقول يأتي يوم قتل فلان يوم تبين جرائمه ولا مانع
 منه وقد ذكرنا بحث الزمان وجواز كونه ظرفا في قوله تعالى يومئذ وجواز اضافة اليوم
 الى الزمان مع انه زمان (المسئلة الثانية) قال تعالى يوم لا يغني عنهم كيدهم ولم يقل يوم
 لا يغنيهم كيدهم مع ان الاغناء يتعدى بنفسه لقائدة جلييلة وهي ان قول القائل اغثنني
 كذا يفهم منه انه نفعتني وقوله اغثنني عنى يفهم منه انه دفع عني الضرر وذلك لان قوله
 اغثنني معناه في الحقيقة افادني غير مستفيد وقوله اغثنني عني اى لم ينجوني الى الحضور
 فاغثنني غيرى عن حضوري يقول من يطلب الامر خذوا عني ولدى فانه يغني عني اى
 يغنيكم عني في دفع عني ايضا مشقة الحضور فتقوله لا يغني عنهم اى لا يدفع عنهم الضرر
 ولا شك ان قوله لا يدفع عنهم ضررا ابلغ من قوله لا ينفعهم نفعا وانما في المؤمن لو قال يوم
 يغني عنهم صدهم لما فهم منه نفعهم فقال يوم ينفع كانه قال يوم يغنيهم صدهم فكانه
 استعمل في المؤمن يغنيهم وفي الكافر لا يغني عنهم وهو مما لا يطالع عليه الامر يكون
 عنده من علم البيان طرف ويتفكر بقريحة وقادة آيات الله ووقته الله (المسئلة الثالثة)
 الاصل تقديم الفاعل على المفعول والاصل تقديم المضمر على المظهر اما في الاول فلان
 الفاعل متصل بالفعل ولهذا قالوا فعات فاسكنوا اللام فلا يلزم اربع محركات في
 كلمة واحدة وقالوا ضربك ولم يسكنوا لان الكاف ضمير المفعول وهو متصل واما تقديم
 المضمر فلانه يكون اشد اختصارا فانك اذا قلت ضربني زيد يكون اقرب الى الاختصار
 من قولك ضرب زيد اى فان لم يكن هناك اختصار كقولك ضربني زيد ومرزبني
 فالاولى تقديم الفاعل وههنا لو قل يوم لا يغنيهم كيدهم كان الاحسن تقديم المفعول
 فاذا قال يوم لا يغني عنهم صار كقولنا في مرزبني فلم لم يقدم الفاعل تقول فيه فائدة
 مستفادة من علم البيان وهو ان تقديم الهم اولى فلو قال يوم لا يغني كيدهم كان السامع
 لهذا الكلام ربما يقول لا يغني كيدهم غيرهم فيرجو الخير في حقهم واذا سمع
 لا يغني عنهم انقطع رجاءه وانتظرا الامر الذي ليس يغني (المسئلة الرابعة) قد ذكرنا ان
 معنى الكيد هو فعل يسوء من نزل به وان حسن من صدر منه فما الفائدة في تخصيص
 العمل الذي يسوء بالذكر ولم يقل يوم لا يغني عنهم أفعالهم على الاطلاق نقول هو قياس
 بالطريق الاولى لانهم كانوا ياتون بفعل يسي النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وكانوا
 يعتقدون انه احسن اعمالهم فقال ما اغثنى احسن اعمالهم الذي كانوا يعتقدون فيه
 ليقطع رجاءهم عما دونه وفيه وجه آخر وهو انه تعالى لما قال من قبل امر يريدون كيدا
 وقد قلنا ان اكثر المفسرين على ان المراد به تدبيرهم في قتل النبي صلى الله عليه وسلم
 قالهم المكيدون اى لا ينفعهم كيدهم في الدنيا فاذا يفتاؤون يوم لا ينفعهم ذلك
 الكيد بل يضرهم وقوله ولاهم ينصرون فيه وجوه (أحدها) انه متمم بيان وجهه هوان
 الداهى أولا يرتب أمور الدفع المكروه ببحث لا يحتاج الى الاختصار بالغير والمتمم اذا

لم ينفعه ذلك ينصرف بانغيار فقال لا ينفعهم افعال انفسهم ولا ينصرفهم غيرهم عند
 ابأس وخسوف الابس عن افعالهم (ثانيها) ان المراد منه ما هو المراد من قوله تعالى
 لا تغنى عنى شفاعتهم شيئا ولا يقتضون عقوبه يوم لا يغنى عنهم ~~صكبتهم~~ شيئا أى عبادتهم
 الاضنام وقواهم عونا لشفاعتهم وقواهم فانفسهم ان لا يغنى يومنا وقواهم ولاهم ينصرفون
 أى لا يصبرون كما تشفع دفع العذاب لعابث فاعنه شفع أو ينصرف ناصر (ثالثها) أن
 نقول الاضافة ان كيدهم اضافة المصدر الى المفعول لا اضافة الى الفاعل فكأنه قال
 لا يغنى عنهم كيد الشيطان الهم وبيانه هو لك قول أعجبت ضرب زيد عمرا وأعجبت
 ضرب عمرو فإذا اقتصرت على المصدر بالمضارع لا يعلم بالقرينة والنية فإذا سمعت
 قول ما قبل أعجبت ضرب زيد يحتمل أن يكون زيدا ضارا أو محتملا أن يكون مضروبا فإذا
 سمعت قول ما قبل أعجبت قطع الهم على يد رمة ذلك القرينة على انه مضاف الى المفعول
 فاقول هذا فاسم من حيث انه ايضا حياض لا يصح ان يصكب دالا كذا لا ينفع فطعا ولا ينفع
 ذلك على أحب فلا يخرج الى بيان لكن عند لكأنه بظن انه ينفع فقال تعالى ذلك لا ينفع
 نقول كيد الشيطان ياعم على عبادة الاضنام وهم كانوا يعنون انها تنفع وأما كيدهم
 الذى صلى الله عليه وسلم كانوا يعلمون انه لا ينفع فى الآخرة وإنما طلبوا ان ينفعهم
 فى الدنيا لا فى الآخرة فذلك كمال غش على صاحب الوجه الاول ولا شك على الوجهين
 جميعا اذ تفكرت فيما قلناه ثم قال تعالى (ان الذين ظلموا عذابا دون ذلك ولكن
 أكرهم لا يعلمون) فى اتصال الكلام وجهان (أحدهما) متصل بقوله تعالى فذره يوم ذلك
 لانه يدل على عدم جواز ائتمان وفدليل انه نازل قبل شرح التال وحشد كانه قال
 فذره ولا تذرهم مطاعا من غير قتال بل انهم قبل يوم القيامة عذاب يوم بدر حيث تؤمر
 بقتالهم فيكون بياناً ورسداً ينسخ فذره بالمراد يوم بدر (ثانيها) هو متصل بقوله
 تعالى لا يغنى ذلك لانه ثابتين أن كيدهم لا يغنى عنهم قال ولا ينصرف على عدم الاغناء بل
 لهم مع ان كيدهم لا يغنى بل آخر وهو العذاب المتعدهم ووقال لا يغنى عنهم كيدهم
 كان يومهم انه لا ينفع ولكن لا ينصرف بالمقابل مع ذلك وان الذين ظلموا عذابا زان ذلك وفيه
 مسائل (المسألة الاولى) الذين ظلموا هم أهل مكة ان قلنا العذاب هو عذاب يوم بدر وان
 قلنا العذاب هو عذاب القبر فالذين ظلموا عام فى كل ظلم (المسألة الثانية) ما المراد من
 الظلم ههنا نقول فيه وجوه (الاول) هو كيدهم بينهم والثاني عبادتهم الاوثان والثالث
 كفرهم وهذا مناسب للوجه الثاني (المسألة الثالثة) دون ذلك على قول أكثر المفسرين
 معناه قبل ذلك وبؤده قوله تعالى ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر
 ويعمل وجهين آخرين (أحدهما) دون ذلك أى اقل من ذلك فى الدوام والشدة يقال
 الضرب دون القتل فى الايلام ولأنك ان عذاب الدنيا دون عذاب الآخرة على هذا
 المعنى وعلى هذا فبأنه القبيح على ان عذاب الآخرة العظيم وذلك لانه اذا قل عذابا

(وان الذين ظلموا) أى
 لهم ووضع الموصوف
 موضع الضمير لما ذكر
 من قبل أى وان هؤلاء
 الظلمة (عذابا) آخر
 (دون ذلك) دون
 ملاقيه من القتل أى
 قبله وهو القمط الذى
 أصابهم سبع سنين
 أو راءه كما فى قوله
 ترك القذى من دونها
 وهو دونها وهو عذاب
 القبر وما بعده من فزون
 عذاب الآخرة وقضى
 دون ذلك قريبا (ولكن
 أكثرهم لا يعلمون) أن
 الامر كما ذكر وفيه
 اشارة الى أن فهم من
 يعلم ذلك وإنما يصبر
 على الكفر عنسادا أو
 لا يعلمون شيئا أصلا

دون ذلك أى قتلا وعذابا فى القبر فينفذ كذا المتفق ذكر ويقول ما يكون المشل دونه لا يكون
 الاعظما فان قيل فهذا المعنى لا يمكن أن يقال فى قوله تعالى وانذيتهم من العذاب الاذنى
 دون العذاب الاكبر قلنا نسل ذلك ولكن لا مانع من أن يكون المراد ههنا هذا الثانى على
 طريقة قول القائل تحت لجأك مفاصد ودون غرضك متاعب وبانه هو انهم لما عبدوا
 غير الله ظلوا أنفسهم حيث وضعوها فى غير موضعها الذى خلقت له فقيل لهم ان لكم
 دون ذلك الظلم عذابا (المسئلة الرابعة) ذلك اشارة الى ماذا نقول ان الظاهر انه اشارة
 الى اليوم وفيه وجهان أخران (أحدهما) فى قوله بصعقون وقوله لا يغنى عنهم
 اشارة الى عذاب واقع فقله ذلك اشارة اليه ويمكن أن يقال قد تقدم قوله ان عذاب
 ربك لو اقم وقوله دون ذلك أى دون ذلك العذاب (ثانيهما) دون ذلك أى كيدهم فذلك
 اشارة الى الكيد وقدينا وجهه فى المثال الذى مثلنا وهو قول القائل تحت لجأك
 حرمانك والله أعلم (المسئلة الخامسة) ولكن اكثرهم لا يعلمون ذكرنا فيه وجوها
 (أحدها) انه جرى على عادة العرب حيث تعبر عن الكل بالاكثر كما قال تعالى اكثرهم
 بهم مؤمنون ثم ان الله تعالى تكلم على تلك العادة ليعلم ان الله استحسنها من المتكلم حيث
 يكون ذلك بعيدا عن الخلف (ثانيها) منهم من آمن فلم يكن من لا يعلم (ثالثها) هم فى أكثر
 الاحوال لم يعلموا وفى بعض الاحوال علموا وأقله انهم علموا حال الكشف وان لم ينفعهم
 (المسئلة السادسة) مفعول لا يعلمون جاز أن يكون هو ما تقدم من الامر وهو أن لهم عذابا
 دون ذلك وجاز أن لا يكون له مفعول أصلا فيكون المراد أكثرهم غافلون بجاهلون ثم قال
 تعالى (فاصبر لحكم ربك فانك باعيننا وسبح بحمدي ربك حين تقوم) وقد ذكرناه فى تفسير
 قوله تعالى فاصبر على ما يقولون وسبح بحمدي ربك قبل طلوع الشمس ونشير الى بعضه ههنا
 فان طول العهد ينسب فقول لما قال تعالى فذرهم كان فيه اشارة الى انه لم يبق فى
 نصيحهم نفع ولا سيما وقد تقدم قوله تعالى وان يروا كسفا من السماء وكان ذلك مما يجعل
 النبي صلى الله عليه وسلم على الدماء كما قال نوح عليه السلام رب لا تذرنى على الارض من
 الكافرين ديارا وكادعا يونس عليه السلام فقال الله تعالى اصبر ووامر بديل اللعن بالتسبيح
 وسبح بحمدي ربك بديل قولك انهم أهلكهم الا ترى الى قوله تعالى فاصبر لحكم ربك ولا
 تكن كصاحب الحوت وقوله تعالى فانك باعيننا فيه وجوه (الاول) انه تعالى لما بين أنهم
 يكيدونه كان ذلك مما يقتضى فى العرف المبادرة الى اهلاكهم ثلاثيم كيدهم فقال اصبر
 ولا تخف فانك محفوظ باعيننا (ثانيها) انه تعالى قال فاصبر ولا تدع عليهم فانك بما رأى منا
 نراك وهذه الحالة تقتضى أن تكون على أفضل ما يكون من الاحوال لكن كونك مسجونا لنا
 أفضل من كونك داعيا على عباد خلقناهم فاختر الأفضل فانك بما رأى منا (ثالثها) أن
 من يشكوا له عند غيره يكون فيه ابناء عن عدم علم المشكوا اليه بحال الشاكى فقال
 تعالى اصبر ولا تشك حالك فانك باعيننا نراك فلا فائدة فى شكواك وفيه مسائل مختصة

(فاصبر لحكم ربك)
 بامها لهم الى يومهم
 الموعود وابقاك فيما
 بينهم مع مقاساة
 الاحزان ومعاناة
 الهجوم (فانك باعيننا)
 أى فى حفظنا وحمايتنا
 بحيث نراقبك ونكذلك
 وجمع العين لجمع الضمير
 والابتنان بغاية الاعتناء
 بالحفظ (وسبح) أى
 زهم تعالى عما لا يليق به
 ملتبها (بحمدي ربك)
 على نعمائه انفاضة
 للحمير (حين تقوم)
 من أى مكان وقت قال
 سعيد بن جبير وعطاء
 أى قل حين تقوم من
 مجلسك سبحانه اللهم
 وبحمدي وقال ابن
 عباس رضى الله عنهما
 معناه صل لله حين
 تقوم من منامك
 وقال الضحاك والربيع
 اذا قمت الى الصلاة
 فقل سبحانك اللهم
 وبحمدي وتبارك
 اسمك وتعالى جدك
 ولا اله غيرك وقوله
 تعالى

بهذا الوضع لا توجد في قوله **فأصبر** على ما يقولون (المسئلة الاولى) اللام في قوله **فأصبر** لحكمه تحتل وجوها (الاول) هي بمعنى الى أى أصبر الى أن يحكم الله (الثاني) الصبر فيه معنى الثبات فكأنه يقول فثبت لحكم ربك يقال ثبت فلان لجل قرنه (الثالث) هي اللام التي تستعمل بمعنى السبب يقال لم خرجت فيقال لحكم فلان على الخروج فقال **فأصبر** واجعل سبب الصبر امتثال الامر حيث قال **فأصبر** أى **فأصبر** لهذا الحكم عليك لا شيء آخر (المسئلة الثانية) قال ههنا بأعيننا وقال في موضع آخر ولتضع على عيني تقول لما وجدنا الضمير هناك وهو ياء المتكلم وحده وحده العين ولما ذكر ههنا ضمير الجمع في قوله بأعيننا وهو النون جمع العين وقال بأعيننا هذا من حيث اللفظ وأما من حيث المعنى فلان الحفظ ههنا أتم لان الصبر مطبقة الرحمة بالنبي صلى الله عليه وسلم حيث اجتمع له الناس وجموعه مكاليد وتشاوروا في أمره وكذلك أمره بالهلك وأمره بالانقاذ عند عدم الماء وحفظه من الغرق مع كون كل البقاع مغورة تحت الماء تحتاج الى حفظ عظيم في نظرها الخالق فقال بأعيننا (المسئلة الثالثة) ما وجد تعلق الباء ههنا قلنا قد ظهر من جميع الوجوه أمان قلنا بأنه الحفظ فتقديره محفوظ بأعيننا وان قلنا للعلم فغناه بما رأى مثاى يمكن نراك وتقديره فأنك بأعيننا مرئى وحينئذ هو كقول القائل رأيتك بمعنى كما يقال كتب بالعلم والآلة وان كان رؤية الله ليست بآلة فان قيل فما الفرق في الموضعين حيث قال في طه على عيني وقال ههنا بأعيننا وما الفرق بين على وبين الباء تقول معنى على هناك هو انه يرى على ما يرضاه الله تعالى كما يقول افعله على عيني أى على رضاى تقديره على وجه يدخل في عيني وألفت اليه فان من يفعل شيئا لغيره ولا يرضيه لا ينظر فيه ولا يغلب عليه اليد والباء في قوله وسبح بحمديك قد ذكرناها وقوله حين تقوم فيه وجوده (الاول) تقوم من موضعك والمراد قبل القيام حين ما نعرزم على القيام وحين يحى القيام وقد ورد في الخبر أن من قال سبحان الله من قبل أن يقوم من مجلسه يكتب ذلك كفارة لما يكون قد صدر منه من اللفظ والالتفات في ذلك المجلس (الثاني) حين تقوم من النوم وقد ورد أيضا فيه خبر يدل على انه صلى الله عليه وسلم كان يسبح بعد الانبأه (الثالث) حين تقوم الى الصلاة وقد ورد في الخبر أنه صلى الله عليه وسلم كان يقوم في افتتاح الصلاة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك (الرابع) حين تقوم لامر ما ولا سيما اذا قامت متصبها لمجاهدة قومك ومعاداتهم والدعاء عليهم فسبح بحمديك وبدل قيامك للمعاداة وانتصباك للاتقام بقيامك اذكر الله وتسبيحه (الخامس) حين تقوم أى بالنهار فان الليل محل السكون والنهار محل الانبغاء وهو بالقيام أولى وعلى هذا يكون كقوله ومن الليل فسبحه اشارة الى ما تبقى من الزمان وكذلك ادبار التجوم وهو اولى الصبح * وقوله تعالى (ومن الليل فسبحه وادبار التجوم) قد تقدم تفسيره وهو كقوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وقد ذكرنا فائدة الاختصاص بهذه الاوقات

(ومن الليل فسبحه)

افراد بعض الليل

بالتسبيح لما أن العباد

فيه أشق على النفس

وأبعد عن الرباء

كما يوح به تقديمه على

الفعل (وادبار التجوم)

أى وقت ادبارها

من آخر الليل أى غيبتها

بضوء الصباح وقيل

التسبيح من الليل

صلاة العشاءين

وادبار التجوم صلاة

الفجر وقرئ أدبار

التجوم بالفتح أى

في أعقابها اذا غربت

او خفيت * عن النبي

عليه الصلاة والسلام

من قرأ سورة والطور

كان حقا على الله تعالى

أن يؤمنه من عذابه

وأن ينعمه في جنته

* (سورة النجم مكية
وآيها احدى أو اثنتان
وستون *

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والنجم اذا هوى)

المراد بالنجم اما النريا
فانه اسم غالب له أو جنس

النجوم ويهوى به

غروبه وقيل طلوعه

يقال هوى هو بالوزن

قبول اذا غرب وهو يا

بوزن دخول اذا علا

وصعد وأما النجم

من نجوم القرآن

فهو به نزوله والعامر

في اذا فعل القسم فانه

بمعنى مطلق الوقت

فمفسر من معنى الاستقبال

كما في قولك أتيت اذا

احمر البسر وفي الاقسام

بذلك على زاهته عليه

المصلاة والسلام

عن شائبة الضلال

والعواية من البراعة

البدعية وحسن الموقف

مالا غاية وراءه أماغى

الاولين فلان النجم

شأنه أن يهتدى به

السارى الى مسالك

الدين كما أنه قيل

والنجم الذى يهتدى

به السابلة الى سواء

ومعناه ونختم هذه السورة بغائده وهى أنه تعالى قال ههنا اديار النجوم وقال في ق واديار
السجود ويحتمل أن يقال المعنى واحد والمراد من السجود جمع ساجد والنجوم سجود
قال تعالى والنجم والشجر يسجدان وقيل المراد من النجم نجوم السماء وقيل النجم مالا
ساقله من النبات قال الله تعالى وثمة يسجد من في السموات ومن في الارض أو المراد
من النجوم الوظائف وكل وظيفة نجم في لغة أى اذا فرغت من وظائف الصلاة فقل
سبحان الله وقد ورد في الحديث من قال تعقيب الصلاة سبحان الله عشر مرات والمجد لله
عشر مرات والله أكبر عشر مرات كتب له ألف حسنة فيكون المعنى في الوضوء
واحدا لان السجود من الوظائف والشجر الطاهر أو المراد من اديار النجوم وقت
الصبح حيث يدبر النجم ويخفى ويذهب ضياء ما بضو الشمس وحائلتين ماذكرنا من
الوجه الخامس في قوله حين تقوم أن المراد منه النهار لانه يحل القيام ومن الليل النذر
الذى يكون الانسان يقفان فيه واديار النجوم وقت الصبح فلا يفرج عن استباح الا
وقت النوم وهذا آخر تفسير هذه السورة والله اعلم ولله رب العالمين وصلى الله
على سيدنا محمد وآله وسلم

(سورة النجم ستون آيتين مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والنجم اذا هوى) وقبل الشروع في التفسير تقدم مسائل ثم تنشرغ للتفسير وان لم تكن
منه (الاولى) اول هذه السورة مناسب لآخر ما قبلها نفسها ومعنى أما المفسر فلان نختم
والطور بالنجم وافتتاح هذه بالنجم مع واو القسم وأما المتن فيقول الله تعالى لما قال
انبيى صلى الله عليه وسلم ومن الذين فسجه واديار النجوم بين ما أنه جزأه في أجزاء مكينة
التي صلى الله عليه وسلم بالنجم وبعده فقال ما ضل صاحبكم وما غوى (المسئلة الثانية)
السورة التي تقدمت وافتتاحها بالقسم باللام دون الحروف هى والصافات والذاريات
والطور وهذه السورة بعدها فالأولى فيها القسم لاثبات الوجدانية كما قال تعالى ان
الهمك واحد وفي الثانية لوقوع الحشر والجزاء كما قال تعالى انما وعدون اصادق وان
الدين لواقع وفي الثالثة لدوام العذاب بعد وقوعه كما قال تعالى ان عذاب ريك لواقع مثله
من دافع وفي هذه السورة لشبهة النبي صلى الله عليه وسلم تكمل الاصول الثلاثة
الوجدانية والحشر والشبهة (المسئلة الثالثة) لم يقسم الله على الوجدانية ولا على النبوة
كثير أماغى الوجدانية فلانه أقسم بأمر واحد في سورة الصافات وأماغى النبوة
فلانه أقسم بأمر واحد في هذه السورة وأمرين في سورة الضحى وأكثر من القسم
على الحشر وما يتعلق به فان قوله تعالى والميل اذا قوله تعالى والشمس وضحاها
وقوله تعالى والسماء ذات البرج الى غير ذلك كلها الحشر وما يتعلق به وذلك لان
دلائل الوجدانية كثيرة كلها عناية كما قيل

وفي كل شيء له آية * تدل على أنه واحد

ودلائل النبوة أيضا كثيرة وهي المعجزات المشهورة والمواترة وأما الخشرفا مكانه ثبت
بالقول أم وقوعه فلا يمكن اثباته إلا بالسبع فأكثر انقسم ليقطع به المكلف ويعتقده
اعتقاد الجاهل ما أو أما لتفسير فقيه مسائل (الاول) الواو انقسم بالتجيم أو رب التجم فقيه
خلاف منه انه والظاهر أنه قسم بالتجيم يقال ليس انقسم في الأصل بحرف أصل لكن الباء
والواو يستعملان في معنى عارض وذلك لأن الباء في أصل القسم هي الباء التي لا تصادق
والاستعمال فكم يقول القائل استعمل بالله يقول أقسمت بالله وكل قول أقوم بيمين الله
على القسم يقول أقسم بحق الله فالباء فيها بمعنى كما تقول كتب بالقلم فالباء في الحقيقة
ليست بالقسم غير أن انقسم كثير في الكلام فتستغنى عنه ذكره وغيره لم يكن يستغنى عنه
فإذا قلنا القائل يحذف ياء القسم لأن الماد أو كان هو مثل حرفه الأصل يحذف ياء أو
أذهب بحق زيد أو لم يقسم بحق زيد لئلا يتركز في هذه الأسماء لعدم الاستغناء فلما
لم يتركز شيء علم أن الحذف شهرة والاستغناء وذلك ليس في غير القسم فعلم أن الحذف فعل
القسم فكانه ما انقسم بحق فالباء في الأصل ليس انقسم لكن لما عارض وإذا كررنا من
الكثير والتميزا قبل الباء انقسم ثم إن الحكم في الحذف فالباء تحذف عن التماس فاني
إذا قرأ بالله توخف السامع فإن سمع بعد فاعلا غير انقسم كتبت يا بلة استعملت وبالله صرت
وبالله سببت وأخذت لا يستعمل على انقسم وإنما يسمع حمله على القسم الثاني توهم وجود
فعل در ارتبه ولم يسمع اعلان توهم أني ذكرت مع قول بالله شيئا آخر وما سمعته «وأيضا
يتوقف فيه في انقسمه توقف فإذا أراد المتكلم الحكيم اذهب ذلك مع الاحتصار وترك
ما سقى منه وهو فعل انقسم أبدل الواو بالياء وقال بالله فذلكم يعني كلمة الله لا شهارة كلمة
الله وإنه من ان التماس فإن البناء في أوائل الكلمات قد تكون أصلية وقد تكون
للخطاب ولتأنيده فلو انقسم بحرف البناء عن اسمه داعي أو راعي أو هادي أو عادي يقول
لداعي أو راعي أو هادي أو عادي فيلبس وكذلك في اسمه روم أو توران إذا قلت
تروم أو توران على أنك تقسم بالياء تنبس ببناء الخطاب وتأنيث في الاستقبال
فأبدلها والواو يقال عليه أشكال (الاول) مع الواو لم يؤمن من الالتباس نقول ولي تنبس
الواو أصلية باني القسم لا نقول ذلك لم يلزم في ذهنا له وإنما كل ذلك في الواو حيث
يدل وينبئ عن اعطف وإن لم يستعمل الواو انقسم كيف وذلك في البناء التي هي كالأصل
مختص نقول برام في جمع برمة وبهم في جمع بمة ويغال لبسه البناء الأصلية التي في
الغال والبرام بالياء التي تلصقها بقولك مال ورأى فقول ببال وأما البناء لما استعملت
للقسم لزم من ذلك الاستعمال الالتباس حيث لم يكن من قبل حرفا من الأدوات كالباء
والواو (والشكل الثاني) لم تترك الباء مما لا التباس فيه كقولك تار حيم وتأنيظ
نقول نسا كل كلمة الله في غاية الشهرة والظهور استعملت البناء فيها على خلاف

(ماضل صاحبكم) أي
ما عدل عن طريق
الحق الذي هو مسالك
الآخرة (وماغوى)
أي وما اعتد باطلا ف
أي «وقى غايه الهدى
والرشد وليس مما تشوهوه
من الضلال والغبية
في شيء أصلا وأما على
الثالث فلأنه تنويه
بشأن القرآن كما أشير
إليه في مطلع سورة
يس وسورة الزخرف
وتنبه على مناط الهداء
عليه الصلاة والسلام
ومدار رشاده كأنه
تدبر القرآن الذي هو
أني الهداية إلى سابع

الأصل بمعنى لم يحجز أن يقاس عليها إلا ما يكون في شهرتها وأما غيرها فربما يخفى عند البعض فإن من لم يسمع الرحيم وسمع في الندوة ترجيم بمعنى قطع ر بما يقول ترجيم فعل وفاعل أو فعل ومفعول وإن كان ذلك في غاية البعد لكن الاستواء في الشهرة في المنقول منه والمنقول إليه لازم ولا مشهور مثل كلمة الله على أنا نقول لم قلت إن عند الأمن لا تستعمل الأثرى أنه نقل عن العرب رب الكعبة والذي يؤيد ما ذكرنا أنك تقول أقسم بالله ولا تقول أقسم بالله لأن التاء فيه مخافة الالتباس عند حذف الفعل من القسم وعند الاتيان به لم يخف ذلك فلم يحجز (المسئلة الثانية) اللام في قوله تعالى والجم لتعرف العهد في قول ولتعرف بق الجنس في قول والاول قول من قال والجم المراد منه الثريا قال فائلهم ان بدأ الجم عشيا * ابغى الراعى كسبا

والثاني فيه وجوه (أحدها) النجم هو نجم السماء التي هي ثابتة فيها للاهتداء وقيل لأبل النجوم المقضة فيها التي هي رجوم للشياطين (ثانيها) نجوم الأرض وهي من الثبات ما لا ساق له (ثالثها) نجوم القرآن منذ كر مناسبة كل وجه وبنين فيه المختار منها ما على قولنا المراد الثريا فهو أظهر النجوم عند الرائي لانه علامة لا يلبس بغيره في السماء ويظهر لكل واحد والنبي صلى الله عليه وسلم تميز عن الكل بآيات بينات فأقسم به ولأن الثريا إذا ظهرت من المشرق بالبركان أدراك الثمار وإذا ظهرت بالعشاء وأخرها لخر يف تقل الأمراض والنبي صلى الله عليه وسلم لما ظهر قل الشك والأمراض القلبية وأدركت الثمار الحكيمة والحلية وعلى قولنا المراد هي النجوم التي في السماء للاهتداء بقول النجوم بها الاهتداء في البراري فأقسم الله بهم لما بينهما من المشابهة والمناسبة على قولنا المراد الرجوم من النجوم فالنجوم تبع الشياطين عن أهل السماء والانباء يبعدون الشياطين عن أهل الأرض وعلى قولنا المراد القرآن فهو استدلال بمعجزة النبي صلى الله عليه وسلم على صدقه وبراهنه فهو كقوله تعالى بس والقرآن الحكيم انك ان المرسلين على صراط مستقيم ما ضلت ولا غويت وعلى قولنا النجم هو الثبات فنقول الثبات به ثبات القوى الجسمانية وصلاحها والقوة العقلية أولى بالاصلاح وذلك بالارسل وايضاح السبل ومن هذا يظهر أن المختار هو النجوم التي هي في السماء لانها أظهر عند السامع وقوله اذا هوى ادل عليه ثم بعد ذلك القرآن أيضا فيه ظهور ثم الثريا (المسئلة الثالثة) القول في والنجم كقول في الطور حيث لم يقل والنجوم ولا الاطوار وقال والذاريات والمرسلات وقد تقدم ذكره (المسئلة الرابعة) ما الفائدة في تقيد القسم به بوقت هو به نقول النجم اذا كان في وسط السماء يكون بعدا عن الأرض لا يهتدى به السارى لانه لا يعلم به المشرق من الغرب ولا الجنوب من الشمال فاذا زال تبين بزواله جانب المغرب من المشرق والجنوب من الشمال كذلك النبي صلى الله عليه وسلم خفف جناحه للمؤمنين وكان على خلق عظيم كما قال تعالى وانك لعلى خلق عظيم وكما قال تعالى فجارح من الله

الدين ومسالك الحق
ماضل عنهم محمد عليه
الصلاة والسلام
وما غوى والخطاب
لقر يش وإيراده عليه
الصلاة والسلام
بعنوان صاحبه لهم
للإيدان بوقوفهم
على تفاصيل أحواله
الشريفة وإحاطتهم
خبراً بعبادته عليه
الصلاة والسلام
بقافية الهدى والرشاد
فإن طول صحبتهم له
عليه الصلاة والسلام
ومشاهدتهم لمحاسن
شؤنه العظيمة متضمنة
لذلك حتماً

لنت اليهم ولو كنت فظا غليظا لقلب لانفضوا من حولك فان في هذا الاهتداء بالجهم اذا كان على أفق المشرق كان هتداء به اذا كان على أفق المغرب فلم يبق ما ذكرت جوابا عن السؤال فنقول الاهتداء بالجهم وهو ما نزل الى المغرب أكثر لانه يهدي في الطريقين الدينوي والديني أما الدينوي فلما ذكرنا وأما الديني فكما قال الخليل لأحب الآقلين وفيه لطيفة وهي أن الله لما أقسم بالجهم شرفه وعظمه وكان من المشركين من بعده فقرر بتعظيمه وصفا يدل على أنه لم يبلغ درجة العبادة فانه هو آفل * ثم قال تعالى (ما ضل صاحبكم وما غوى) أكثر المفسرين لم يفرقوا بين الضلال والغي والذى قاله بعضهم عند محاولة الفرق ان الضلال في مقابلة الهدى والغي في مقابلة الرشd قال تعالى وان يروا سبيلا الرشd لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيلا الغي يتخذوه سبيلا وقال تعالى قد تبين الرشd من الغي وتحقق القول فيه أن الضلال أعم استعمالا في الوضع تقول ضل بعيري ورحلي ولا تقول غوي فالمراد من الضلال ان لا يجد السالك الى مقصده طريقا أصلا والغواية أن لا يكون له طريق الى المقصد مستقيما يداك على هذا انك تقول المؤمن الذي لبس على طريق السداد انه سفيه غير رشيد ولا تقول انه ضال والضال كالنكافر والغاوي كالنفاق فكأنه تعالى قال ما ضل أى ما كفر ولا أقل من ذلك فافسق و يؤيد ما ذكرنا قوله تعالى فان أنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم او تقول الضلال كعدم الغواية كالوجود الفاسد في الدرجة والمرتبة وقوله صاحبكم فيه وجهان (الاول) سيدكم والآخره صاحبكم يقال صاحب البيت ورب البيت ويحتمل أن يكون المراد من قوله ما ضل أى ما جن فان المجنون ضال وعلى هذا فهو كقوله تعالى والنار وما سطر ون ما أنت بنعمة ربك بمجنون وان لك لأجرا غير ممنون فيكون إشارة الى انه ما غوى ال هور شيد مرشدا الى على الله ما رشاد آخر كما قال تعالى قل ما أسألكم عليه من أجر وقال ان أجرى الاعلى الله وقوله تعالى وانك اعلى خلق عظيم إشارة الى قوله ههنا (وما ينطق عن الهوى) فان هذا خلق عظيم له تسعين الترتيب فتقول قال أولا ما ضل أى هو على الطريق وما غوى أى طريقه الذى هو عليه مستقيم وما ينطق عن الهوى أى هو راكب مثله أخذ سميت المقصود وذلك لان من يسلك طريقا يصل الى مقصده فر بما يتبعه بلا طريق وور بما يجد اليه طريقا بعيدا فيه متاعب ومهالك وربما يجد طريقا وادعانا ولكنهم يحمل بمنه وبسرة فيبعده منه المقصد ويتأخر عليه الوصول فاذا سلك الجادة وركب متنها كان أسرع وصولا ويمكن أن يقال وما ينطق عن الهوى دليل على انه ما ضل وما غوى تقديره كيف يضل أو يغوى وهو لا ينطق عن الهوى وانما يضل من يتبع الهوى ويدل عليه قوله تعالى ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله فان قيل ما ذكرت من الترتيب الاول على صيغة الماضي في قوله ما ضل وصيغة المستقبل في قوله وما ينطق في غاية الحسن أى لمضل حين اعتزل لكم وما تعبدون في صغره وما غوى بخين اخنلى بنفسه ورأى في منامه ما رأى وما ينطق عن الهوى الآن حيث أرسل اليكم

وتفريد القسم بوقت
الهوى على الوجبة
الاخير ظاهر وأما على
الاولين فلان الجهم
لا يهتدى به السارى
عفسد كونه في وسط
السما ولا يعلم المشرق
من المغرب ولا الشمال
من الجنوب وانما
يهتدى به عند هبوطه
او صعوده مع ما فيه
من كمال الظلمة لما
يخفى من ندى جبريل
من الافق الاعلى ودنوه
منه عليهما السلام
هذا هو الاثنى بشأن
التنزيل الجليل وأما
حل هويه على الظاهر

وجعل رسولا شاهدا عليكم فلم يكن أولاه ضالا ولا غاويا وصار الآن متفلا من اضلاله
ومر شواها يا أوامعلى ما ذكرت أن تقديره كف بضل وهو لا ينطق عن الهوى فلا توافقه
الصيغة نقلا ليلى وبانه أن الله تعالى يصون من يريد إرساله في صغره عن الكفر والعاب
التيحة كاسترقاق الزنا واعتياد الكذب فقال تعالى ماضل في صغره لأنه لا ينطق عن الهوى
وأحسن ما يقال في تفسير الهوى أنها المحبة لكن من النفس يقال هو يتبعه أحييته
الكن المعروف التي في هوى تدل على الدنو والغزو والسقوط ومنه الهوى به بالنفس اذا
كانت دنيئة وترك الماعلى وتغلبت بالفساد فقد هوت فاختص الهوى بالنفس
الإشارة بالسوء بلوقلت أهوى بقايل زال ما فيه من السفاة لكن الاستعمال بعد استبعاد
استعمال القرآن حيث لم يستعمل الهوى إلا في الموضع الذي يتنافى المحبة فالهوى استعماله
في موضع الماسح والذي يدل على ما ذكرنا قوله تعالى فأما عن طغيي وآراية الدنيا لي قوله
وهي النفس عن الهوى إشارة إلى أوامر تبت النفس * ثم قال تعالى (أهوى الواسي برجي)
بكلمة البيل وذلك لأنه تعالى لما قال ما يتناقض عن الهوى كل قائلا قال فيما ينطق
أعن الدليل أو الاجتهاد فقال لا والتناقض عن الله الواسي وفيه مسائل (المسئلة الأولى)
ان استعمال مكان ما في كاستعملت ما بشرط مكان قال تعالى ما نسخ من آية أن نسخها
نأت بخبر منها والمشاركة بينهما من حيث القلق والمعنى أما اللفظ فلان الله من الهمة
والنون وامن النيم والاعوا والتف كاهمة والنون كاليم أما الاول فبدليل جواز القلب
وأما الثاني فبدليل جواز الادغام ووجوبه وأما المعنى فلان ان تدل على ان من وجه
وعلى الثبات من وجه ولكن دلالتها على انني أقوى وأبلغ من الشرط والجاء في صورة
استعمال نقطة ان يجب أن يكون في الحال معدوما اذا كان المقصود الحث الزماني تقول
ان تحسن ذلك الثواب وان تسي تلك العذاب وان كان المراد بيان حال القسمين المشكوك
فيهما كقولك ان كل هذا الفص زجاجا فعيته نصف وان كان جوهر افعيته ألف فههنا
وجود شيء منهما غير معلوم وعدم العلم حاصل وعدم العلم ههنا كعدم الحصول في الحث
والنعم فلا بد في صور استعمال ان من عدم اما في الامر واما في العلم وأما في الوجود فذلك
عند وجود الشرط في بيان المكان وهذا قال النجاة لا يحسن أن يقال ان ابحر البسرا تك
لان ذلك أمر سيوجد لا محالة وجوزوا استعمال ان في لا يوجد أصليا يقال في قطع الرجاء
ان ابيض القار تغلبي قال الله تعالى فان استقر مكانه فسوف ترائي ولم يوجد الاستقرار
والالوية فعمل أن دلالتهم على التي أنهم ما زالوا مدلول ما أقرب فاستعمل أحدهما
مكان الآخر هذا هو الظاهر وما يقال ان وما حرقان فافيان في الاصل فلا حاجة الى
الترادف (المسئلة الثانية) هو ضميره معلوم أو ضميره مذكور نقول فيه وجهان (أشهرهما)
أنه ضميره معلوم وهو القرآن كأنه يقول ما القرآن الاوحى وهذا على قول من قال النجم
ليس المراد منه القرآن وأما على قول من يقول هو القرآن فهو ما تدل الى مذكور (بالوجه

يوم القيامة أو على
انقضاء النجم الذي
يرجم به أو جعل النجم
على الثبات وجعل
هوى به على سقوطه
على الارض أو على
ظهوره منها فما لا يناسب
المقام وما ينطق عن
الهوى أي وما يصدر
نطقه بالقرآن عن هواه
ورأيه أصلا فلان المراد
استقرار في النطق عن
الهوى لانني استمرار
النطق عنه كما مر ارا
(ان هو) أي ما الذي
ينطق به من القرآن
(الاوحى) من الله
تعالى وقوله تعالى
(يوسى) صفة مؤكدة
لوسى رافعة لاحتمال
الحجاز مغيدة للاستمرار
التجسدي

الثاني) أنه عائد الى المذكور ضمنا وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم وكلامه وذلك لان قوله تعالى وما ينطق عن الهوى في ضمنه النطق وهو كلام وقول فكانه تعالى يقول وما كلامه وهو نطقه الا وحى وفيه وجه آخر أبعد وأدق وهو أن يقال قوله تعالى ماضل صاحبكم قد ذكر أن المراد منه في وجه أنه ما جن وما مسد الجن فليس بكاهن وقوله وما خوى أى ليس بينه وبين الغواية تعلق فليس بشاعر فان الشعراء يتبعهم الغاؤون وحيتئذ يكون قوله وما ينطق عن الهوى ردا عليهم حيث قالوا قوله قول كاهن وقالوا قوله قول شاعر فقال ما قوله الا وحى فليس يقول كاهن ولا شاعر كما قال تعالى وما خوى بقول شاعر قليلا ما ننون ولا يقول كاهن قليلا ما نذكرون (المسئلة الثالثة) الوحي اسم أو مصدر نقول يتحمل الوجهين فان الوحي اسم معناه الكتاب ومصدر وله معان منها الارسال والالهام والكتابة والكلام والاشارة والافهام فان قلنا هو ضمير القرآن فالوحي اسم معناه الكتاب كانه يقول ما القرآن الا كتاب ويوحى بمعنى يرسل ويحمل على هذا أيضا ان يقال هو مصدر أى ما القرآن الارسال والهام بمعنى المفعول نرى مرسل وان قلنا المراد من قوله ان هو قوله وكلامه فالوحي حينئذ هو الالهام بمعنى ملهم أى كلامه ملهم من الله أو مرسل وفيه مباحث (البحث الاول) الظاهر خلاف ما هو المشهور عند بعض المفسرين وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم ما كان ينطق الا وحى ولا يجع لمن توهم هذا في الآية لان قوله تعالى ان هو الا وحى يوحى ان كان ضمير القرآن فظاهر وان كان ضميرا عائدا الى قوله فالمراد من قوله هو القول الذى كانوا يقولون فيه انه قول شاعر ورد الله عليهم فقال ولا يقول شاعر وذلك القول هو القرآن وان قلنا بما قالوا به فينبغي أن يفسر الوحي بالالهام (البحث الثانى) هذا يدل على أنه صلى الله عليه وسلم لم يجتهد وهو خلاف الظاهر فانه في الحروب اجتهد وحرم ما قال الله لم تجرم واذن لمن قال تعالى عفا الله عنك لم اذن لهم نقول على ما ثبت لاندل الآية عليه (البحث الثالث) يوحى يحتمل أن يكون من وصى ويوحى ويحتمل أن يكون من أوحى يوحى نقول عدم وعدم وأعدم وعدم وكذلك علم يعلم وأعلم يعلم فنقول يوحى من أوحى لامن وصى وان كان وصى وأوحى كلاهما جاء بمعنى ولكن الله في القرآن عند ذكر المصدر لم يذكر الايحاء الذى هو مصدر أوحى وعند ذكر الفعل لم يذكر وصى الذى مصدره وصى بل قال عند ذكر المصدر الوحي وقال عند ذكر الفعل أوحى وكذلك القول في حب واحب فان حب واحب بمعنى واحد والله تعالى عند ذكر المصدر لم يذكر في القرآن الاحباب وذكر الحب قال أو أشد حبا وعند الفعل لم يقل حبه الله بل قال يحبهم ويحبونه وقال أبحى أحدكم وقال لن تناو البر حتى تنفقوا مما تحبون الى غير ذلك وفيه سر من علم الصبر وهو أن المصدر والفعل الماضى الثلاثى فيهما خلاف قال بعض علماء الصرف المصدر مشتق من الفعل الماضى والماضى هو الاصل والدليل عليه وجهان لفظى ومعنى أمله اللفظى فانهم يقولون مصدر فعل يفعل اذا كان متعديا فعل يسكون العين واذا كان لازما

(علمه شديد القوى)
أى ملك شديد قواه
وهو جبريل عليه
السلام فانه الواسطة
في ابداء الخوارق
وناهبك دليلا على
شدة قوته أنه قلع قرى
قوم لوط من الماء الاسود
الذى هوت تحت الثرى
وحملها على جناحه
ورفعها الى السماء
ثم قلبها وساح بمود
صبيحة فاصبحوا جاثمين
وكان هبوطه على الانبياء
وصدوده في أمرع من
رجسة الطرف (ذو
مرة) أى حصافة في
عقله ورأيه ومثاقفة
في دينه (فلسفى)
عطف على علمه
بطريق التفسير فانه الى

قوله تعالى ما أوحى بيان
لكيفية التعليم أى
فاستقام على صورته
التي خلقه الله تعالى
عليه ادون الصورة التي
كان يتمثل بها كما هبط
بالوحى فذلك ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم
أحب أن يراه في صورته
التي جبل عليها وكان
رسول الله صلى الله
عليه وسلم بجرا فطام له
جبريل عليه السلام
من المشرق فسد
الارض من المغرب
وملا الافق فخر رسول
الله صلى الله عليه وسلم
فتزل جبريل عليه
السلام في صورة
الآدميين

فمقول في الاكثر ولا يتولون اشمل الماضي من فمقول فعل وهذا دليل ما ذكرنا وأما
المعنى فلان ما يوجد من الامور لا يوجد الا وهو خاص وفي ضمنه العام مثاله الانسان
الذي يوجد و يتحقق يكون زيدا أو عرا أو غيرهما ويكون في ضمنه انه هندي أو تركي
وفي ضمن ذلك انه حيوان وناطق ولا يوجد الا الانسان ثم يصير تركيا ثم يصير زيدا أو عرا
اذا علمت هذا فالفعل الذي يتحقق لا ينفك من أن يكون ماضيا أو مستقبلا وفي ضمنه
أنه فعل مع قطع النظر عن مضيه واستقباله مثاله الضرب اذا وجد فاما أن يكون قد
معنى أو بعد لم يعض والاول ماض والثاني حاضر أو مستقبل ولا يوجد الضرب من
حيث انه ضرب خاليا عن العنى والحضور والاستقبال غير أن العاقل يدرك من فعل
وهو يفعل الآن وسيفعل غدا أمرا مشتركا فيسميه فعلا وكذلك يدرك في ضرب وهو
يضرب الآن وسيضرب غدا أمرا مشتركا فيسميه ضربا فاضرب يوجد أولا ويستخرج
منه الضرب والالفاظ وضعت لأمور تتحقق فيها فيعبر بها عنها والامور المشتركة لا تتحقق
الا في ضمن اشياء أخرى فالوضع أولا لما يوجد منه لا يدرك منه قبل الضرب وهذا ما يمكن
أن يقال لمن يقول الماضي أصل والمصدر مأخوذ منه * وأما الذي يقول المصدر اصل
والماضي مأخوذ منه فله دلائل منها أن الاسم أصل والفعل متفرع والمصدر اسم ولأن
المصدر معرب والماضي مبنى والاعراب قبل البناء ولأن قال وقال راع راع اذا أردنا
الفرق بينهما ما زلنا نثبتهما الى المصدر فله دلائل الاف متقبلة من واه بدليل القول
وقال آله متقبلة من ياء بدليل القيل وكذلك الروع والراع وأما المعقول فلان
الالفاظ وضعت للامور التي في الالذهان والعام قبل الخاص في الذهن فان الموجود
اذا أدرك معناه يقول المدرك هذا الموجود جوهر أو عرض فاذا أدرك أنه جوهر يقول
انه جسم أو غير جسم عنده من يجعل الجسم جوهرًا وهو لا يصح الاظهر ثم اذا أدرك كونه
جسمًا يقول هو ثامن وكذلك الامر الى أن يذهب الى اخص الاشياء أن أمكن الانتهاء اليه
بالتقسيم فالوضع الاول الفعل وهو المصدر من غير زيادة ثم اذا انضم اليه زمان تقول
ضرب أو سيضرب فالمصدر قبل الماضي وهذا هو الاصح اذا علمت هذا فنقول على
مذهب من يقول المصدر في الثلاثي من الماضي فالحب وأحب كلامهما في درجة واحدة
لان كليهما من حب يحب والمصدر من الثلاثي قبل مصدر المنشعبة بمرتبة وعلى مذهب من
يقول الماضي في الثلاثي مأخوذ من المصدر فالمصدر الثلاثي قبل المصدر في المنشعبة
بمرتبتين فاستعمل مصدر الثلاثي لانه قبل مصدر المنشعبة وأما الفعل في أحب وأوحى
فلان الالف فيهما تفيد فائدة لا يفيدها الثلاثي المجرد لان أحب أدخل في التعدية وأبعد
عن توهم الزم فاستعمله (المسئلة الرابعة) ان هو الاوحى أبلغ من قول القائل هو وحى
وفيه فائدة غير المبالغة وهي أنهم كانوا يقولون هو قول كاهن هو قول شاعر فارادني قوامهم
وذلك يحصل بصيغة التي فقال ما هو كاهن يقولون وزاد فقال بل هو وحى وفيه زيادة فائدة

أخرى وهو قوله يوحى وذلك كقوله تعالى ولا طائر يطير بجناحيه وفيه تحقيق الحقيقة
فإن الغرس الشديد العدور بما يقال هو طائر فاذا قال يطير بجناحيه يزل جواز المجاز
كذلك يقول بعض من لا يحترز في الكلام ويبتاع في المبالغة كلام فلان وحى كما يقول
شعره سحر وكما يقول قوله معين فاذ قال يوحى يزل فثبت المجاز أو يبعد * ثم قال تعالى
(علمه شديد القوى) وفيه وجهان أشهر هما عند المفسرين أن الضمير في علمه عائداً إلى
الوحى أى الوحى علمه شديد القوى والوحى إن كان هو الكتاب فظاهر وإن كان
الالهام فهو كقوله تعالى نزل به الروح الأمين والاولى أن يقال الضمير عائداً إلى محمد صلى
الله عليه وسلم تقديره علم محمد شديد القوى جبريل وحيتئذ يكون عائداً إلى صاحبكم
تقديره علم صاحبكم وشديد القوى هو جبريل أى قواه العلمية والعملية كلها شديدة فيعلم
ويعمل وقوله شديد القوى فيه فوائد (الاولى) أن مدح العلم مدح المتعلم فلو قال علمه
جبريل ولم يصفه ما كان يحصل النبي صلى الله عليه وسلم به فضيلة ظاهرة (الثانية) هي أن
فيه رداً عليهم حيث قالوا أساطير الأولين ممدوها وقت سفره إلى الشام فقال لم يعلمه أحد من
الناس بل معلمه شديد القوى والإنسان خاق ضعیفاً وما أتى من العلم الا قليلاً (الثالثة)
فيه وثوق بقول جبريل عليه السلام فقوله تعالى شديد القوى جمع ما يوجب الوثوق لأن
قوة الإدراك شرط الوثوق يقول القائل لانا نظننا بواحد فساد ذهن ثم نقل السنان
بعض الاكابر مشكلة مشككة لاشق بقوله ونقول هو ما فهم ما قال وكذلك قوة الحفظ حتى
لا نقول أدركها لكن نسبها وكذلك قوة الامانة حتى لا نقول حرفها وغيرها فقال شديد
القوى ليجمع هذه الشرائط فيصير كقوله تعالى ذى قوة عند ذى العرش مكين الى أن
قال أمين (رابعة) فيه تسليمة النبي صلى الله عليه وسلم وهي من حيث إن الله تعالى لم يكن
مختصاً به كان فسيته الى جبريل كنسبته الى محمد صلى الله عليه وسلم فاذا علم بواسطته
يكون نقصاً عن درجته فقال ليس كذلك لأنه شديد القوى يثبت لكاملتنا وأنت بعد
ما استويت فتكون كموسى حيث خرفك أنه تعالى قد علمه بواسطته ثم علمه من غير واسطة
كما قال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وقال صلى الله عليه وسلم أدبني ربي فاحسن تأديبي
* ثم قال تعالى (ذو مرة فاستوى) وفي قوله تعالى ذو مرة وجوه (أحدها) ذو قوة
(ثانيها) ذو كمال في العقل والدين جميعاً (ثالثها) ذو منظر وهيبه عظيمة (رابعها) ذو خاق
حسن فإن قيل على قولنا المراد ذو قوة قد تقدم بيان كونه أقوى في قوله شديد القوى
فكيف نقول قواه شديدة وله قوة نقول ذلك لا يحسن أن جاء وصفاً بعد وصف وأما أن
جاء بدلاً يجوز كأنه قال علمه ذو قوة وترك شديد القوى فليس وصفاً له وتقديره ذو قوة
عظيمة أو كماله وهو حيث كقوله تعالى إنه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش
مكين فكانه قال علمه ذو قوة فاستوى والوجه الآخر في الجواب هو أن أفراد قوة
بالذكر ربما يكون لبيان أن قواه المشهورة شديدة وله قوة أخرى خصه الله بها يقال فلان

فضمه الى نفسه وجعل
يسخ الغبار عن وجهه
قبل ما رآه أحد من
الانبياء في صورته غير
التي عليه الصلاة
والسلام فانه رآه فيها
مرتين مرة في الارض
ومرة في السماء وقبل
استوى بقوته على
ما جعل له من الامر
وقوله تعالى (وهو
بالأفق الأعلى) أى
أفق الشمس حال من
فاعل استوى (ثم دنا)
أى أراد الدنو من النبي
عليهما الصلاة والسلام
(فندل) أى استرسل
من الأفق الأعلى مع
تعلق به فدنا من النبي
يقال ندات

كثير المال وله مال لا يعرفه أحد أي أمواله الظاهرة كثيرة وله مال باطن على أنا نقول
 المراد ذو شدة وتقديره علمه من قواه شديدة وفي ذاته أيضا شدة فان الانسان رب ما تكون
 قواه شديدة وفي جسمه صغرو حقا وقهارة وفيه لطيفة وهي أنه تعالى أراد بقوله شديد
 القوى قوته في العلم * ثم قال تعالى ذميرة أي شدة في جسمه فقدم العملية على الجسمية
 كما قال تعالى وزاد بسطة في العلم والجسم وفي قوله فاستوى وجهان المشهور ان المراد
 جبريل أي فاستوى جبريل في خلقه * ثم قال تعالى (وهو بالافق الاعلى) والمشهور أن
 هو ضمير جبريل وتقديره استوى كما خلقه الله تعالى بالافق الشرقي فسد المشرق
 لعظمته والظاهر ان المراد محمد صلى الله عليه وسلم معناه استوى بمكان وهو بالمكان العالي
 رتبة وميزلة في رفعة القدر لاحقيقة في الحصول في المكان فان قيل كيف يجوز هذا والله
 تعالى يقول ولقد رآه بالافق المبين اشارة الى أنه رأى جبريل بالافق المبين نقول وفي ذلك
 الموضع أيضا نقول كما قلنا ههنا انه صلى الله عليه وسلم رأى جبريل وهو بالافق المبين
 يقول القائل رأيت الهلال فيقال له أين رأيته فيقول فوق السطح أي أن الرائي فوق
 السطح لا المرتضى والمبين هو الفارق من أين أي فرق أي هو بالافق الفارق بين درجة
 الانسان وميزلة الملك فانه صلى الله عليه وسلم انتهى وباع الغاية وصار نبيًا كما صار بعض
 الانبياء نبيًا بآية الوحى في نومه وعلى هيبته وهو واصل الى الافق الاعلى والافق الفارق
 بين الميزتين فان قيل ما بعده يدل على خلاف ما ذهب اليه فان قوله ثم دنا فتدلى الى غير
 ذلك وقوله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى كل ذلك يدل على خلاف ما ذكرته
 نقول سنبين موافقته لما ذكرنا ان شاء الله تعالى في مواضعه عند ذكر تفسيره فان قيل
 الاحاديث تدل على خلاف ما ذكرته حيث ورد في الاخبار أن جبريل صلى الله عليه وسلم
 أرى النبي صلى الله عليه وسلم نفسه على صورته فسد المشرق فتقول نحن ما قلنا انه لم يكن
 وليس في الحديث أن الله تعالى أراد بهذه الآية تلك الحكاية حتى يلزم مخالفة الحديث
 وانما نقول ان جبريل أرى النبي صلى الله عليه وسلم نفسه مرتين وبسط جناحيه وقد ستر
 الجانب الشرقي وسده لكن الآية لم ترد لبيان ذلك * ثم قال تعالى (ثم دنا فتدلى) وفيه
 وجوه مشهورة (أحدها) ان جبريل دنا من النبي صلى الله عليه وسلم أي بعد ما مد
 جناحه وهو بالافق عادالى الصورة التي كان يعتاد النزول عليها وقرب من النبي صلى الله
 عليه وسلم وعلى هذا فتدلى ثلاثة وجوه (أحدها) فيه تقديم وتأخير تقديره ثم تدلى من
 الافق الاعلى فدنا من النبي صلى الله عليه وسلم (الثاني) الدنو والتدلى بمعنى واحد كانه
 قال دنا فاقرب (الثالث) دنا أي قصد القرب من محمد صلى الله عليه وسلم وتجرع من المكان
 البرى كان فيه فتدلى فنزل الى النبي صلى الله عليه وسلم (الثاني) على ما ذكرنا من
 الوجه الاخير في قوله وهو بالافق الاعلى ان محمدا صلى الله عليه وسلم دنا من الخلق والامة
 ولان لهم وصار كواحد منهم فتدلى أي فتدلى اليهم بالقول اللين والدعاء الرفيق فقال أنا

الثرثرة وذلى رجله
 من السرير وأدلى
 دلوه والدوالى الثمر
 المعاق (فكان) أي
 مقدار امتداد ما بينهما
 (فاب فوسين) أي
 مقدارهما قال القصاب
 والقيوب وانقادوا القيد
 والنيس المقدار وقيل
 فكان جبريل عليه
 السلام كان قولك هو
 فنى معند الازار
 (أو ادنى) أي على
 تقدير كم كافي قوله تعالى
 او يزيدون والمراد
 تمثيل ملكة الاتصال
 وتحقيق استماعه لما
 أوحى اليه بنى البعد
 الميس (فأوحى)
 أي جبريل عليه السلام

بشر لكم يوحى الى وعلى هذا فى الكلام كالان كانه تعالى قال الاوحى يوحى جبريل
على محمد فاستوى محمد واكل فدان من الخلق بعد علوه وتلى اليهم وبلغ الرسالة (لثالث)
وهو ضعيف مخفف وهو ان المراد منه هو ربه تعالى وهو مذهب القائلين بالجبهة والتمكار
الله الان يريد القرب بالترتبة وعلى هذا يكون فيه ماى قوله صلى الله عليه وسلم حكاية
عن ربه تعالى من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا ومن تقرب الى ذراعا تقربت اليه
بأعاش ومن مشى الى أئنته هرولة إشارة الى المعنى المجازى وههنا لما بين ان النبي صلى الله
عليه وسلم استوى وعلا فى المنزلة العقلية لافى المكان الحسى قال وقرب الله منه تحقيقا
لما قوله من تقرب الى ذراعا تقربت اليه بأعاش ثم قال تعالى (فكان قاب قوسين
أو أدنى) أى بين جبرائيل ومحمد عليهما السلام مقدار قوسين أو أقل ورد هذا على
استعمال العرب وعادتهم فان الاميرين منهم أو الكبيرين اذا اصطلحا وتعاهدا خرجا
بقوسيهما ووتر كل واحد منهما طرف قوسه بطرف قوس صاحبه ومن دونهما من الرعية
يكون كفه بكفه فينهان باعيهما ولذلك تسمى مبايعة وعلى هذا فقيه لطيفة وهى ان قوله
قاب قوسين على جعل كونيهما كبيرين وقوله أو أدنى افضل أحدهما على الآخر فان
الامير اذا بايعه الرعية لا يكون مع المبايع قوس فصاحفه الامير فكأنه تعالى أخبر انها
كأمرين كبيرين فكان بينهما مقدار قوسين أو كان جبرائيل عليه السلام سفيرا بين
الله تعالى ومحمد صلى الله عليه وسلم فكان كالشبع لمحمد صلى الله عليه وسلم فصار كالبايع
الذى يد الباع لا القوس هذا على قول من يفضل النبي صلى الله عليه وسلم على جبرائيل
عليه السلام وهو مذهب أهل السنة الاقلي منهم اذ كان جبرائيل رسولا من الله واجب
التعظيم والاتباع فصار النبي صلى الله عليه وسلم عنده كالشبع له على قول من يفضل جبريل
على النبي صلى الله عليه وسلم وفيه وجه آخر على ما ذكرنا وهو أن يكون القوس عبارة
عن بعد من قاس يقوس وعلى هذا فنقول ذلك البعد هو البعد النوعى الذى كان للنبي
صلى الله عليه وسلم فانه على كل حال كان بشرا وجبريل على كل حال كان ملكا فالنبي
صلى الله عليه وسلم وان زال عن الصفات التى تخالف صفات الملاك من الشهوة والغضب
والجهل والهوى لكن بشرية كانت باقية وكذلك جبريل وان ترك الكمال واللاطف
الذى يمنع الروية والاحجاب لكن لم يخرج عن كونه ملكا فلم يبق بينهما الا اختلاف
حقبةيهما وأماسا الصفات الممكنة الزوال فزالت عنهما فارتفع النبي صلى الله عليه
وسلم حتى بلغ الافق الاعلى من البشرية وتلى جبريل عليه السلام حتى بلغ الافق الادنى
من الملكية فتقاربا ولم يبق بينهما الا حقيقة قتهما وعلى هذا فى فاعل أوحى الاول وجهان
(أحدهما) ان الله تعالى أوحى وعلى هذا فى عبده وجهان (أحدهما) انه جبريل عليه
السلام ومعناه أوحى الله الى جبريل وعلى هذا فى فاعل أوحى الاخير وجهان
(أحدهما) الله تعالى أيضا والمعنى حينئذ أوحى الله تعالى الى جبريل عليه السلام الذى

(الى عبده) عبد الله
تعالى واضماره قبل
الذكر لغاية ظهوره كما
فى قوله تعالى ما ترك
على ظهرها (ما أوحى)
أى من الامور العظيمة
التي لا تفى بها العبارة
أو فاحش الله تعالى
حينئذ بواسطة جبريل
ما أوحى قبل أوحى اليه
ان الجنة محرمة على
الانبياء حتى تدخلها
وعلى الامم حتى تدخلها
أمتك (ما كذب القواد)
أى فواد محمد عليه
الصلاة والسلام
(ماروى) أى ماراه
ببصرة من صورة جبريل
عليهما السلام أى ما
قال فواده لمساره لم
أعرفك ولو قال ذلك
لكان كاذبا لانه عرفه
بقلبه كما رآه ببصرة

أوحاه إليه تفخيما وتعظيما للوحى (ثانيهما) عمل أوحى ثاني جبريل والمعنى أوحى الله إلى جبريل ما أوحى جبريل إلى كل رسول وفيه بيان أن جبرائيل أمين لم يخن في شيء مما أوحى إليه وهذا كقوله تعالى نزل به الروح الأمين وقوله مطاع ثم أمين (الوجه الثاني) في عبده على قولنا الموحى هو الله لي محمد صلى الله عليه وسلم معناه أوحى الله إلى محمد ما أوحى إليه للتفخيم والتعظيم وهذا على ما ذكرنا من التفسير ورد على ترتيب في غاية الحسن وذلك لأن محمدا صلى الله عليه وسلم في الأول حصل في الأفق الأعلى من مراتب الإنسان وهو النبوة ثم دنا من جبريل وهو في مرتبة النبوة فصار رسولا فاستوى وتكامل ودنا من الأمة باللطيف وتدل اليهم بأقول الرفيق وجعل يتردد مرارا بين أمته وربه فأوحى الله إليهم غير واسطة جبريل ما أوحى (والوجه الثاني) في فاعل أوحى أولاهو أنه جبريل أوحى إلى عبده أي إلى عبد الله والله معلوم وإن لم يكن مذكورا وفي قوله تعالى ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول لللائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن ما بهوجب النطق بعدم جواز إطلاق هذا اللفظ على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى هذا ففاعل أوحى ثانيا يحتمل وجهين (أحدهما) أنه جبريل أي أوحى جبريل إلى عبد الله ما أوحاه جبريل للتفخيم (وثانيهما) أن يكون هو الله تعالى أي أوحى جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم ما أوحى الله إليه وفي الذي أوحى بجوه (أولها) الذي أوحى الصلاة (ثانيها) أن أخدام من الأنبياء لا يدخل الجنة قبل أمة من الأمم لا تدخل الجنة قبل أمك (ثالثها) أن العموم والمراد كل ما جاء به جبريل وهذا على قولنا بأن المراد جبريل صحيح والوجهان المتقدمان على قولنا المراد محمد عليه الصلاة والسلام أظهر وفيه وجه غريب من حيث العربية مشهور معناه عند الأصوليين ولينين ذلك في معرض الجواب عن سؤال وهو أن يقال بم عرف محمد صلى الله عليه وسلم أن جبريل ملك من عند الله وليس أخدام من الجن والذي يقال أن خديجة ككشفت رأسها امتحانا في غاية الضعف أن ادعى ذلك القائل أن المعرفة حصلت بامثال ذلك وهذا أن أراد أنقصه والحكاية وإن خديجة فعلت هذا لأن فعل خديجة غير منكر وإنما المنكر دعوى حصول المعرفة بفعلها وامثالها وذلك لأن الشيطان ربما تستر عند كشف رأسها أصلا فكان يشبه باللائكة فيحصل اللبس والابهام والجواب الصحيح من وجهين (أحدهما) أن الله أظهر على يد جبريل معجزة عرفه النبي صلى الله عليه وسلم بها كما أظهر على يد محمد معجرات عرفناه بها (وثانيهما) أن الله تعالى خلق في محمد صلى الله عليه وسلم علما ضروريا بأن جبريل من عند الله ملك لا جن ولا شيطان كان الله تعالى خلق في جبريل علما ضروريا أن المتكلم معه هو الله تعالى وأن المرسل له ربه لأخبره إذا علم الجوابان فتقول * قوله تعالى (فأوحى إلى عبده ما أوحى) فيه وجهان (أحدهما) أوحى إلى محمد صلى الله عليه وسلم ما أوحاه إلى جبريل أي كلمة الله أنه وحي

وقرى ما كذب أي صدقه ولم يشك أنه جبريل بصورته (أفتمارونه على ما يرى) أي أنكذبونه فتجادلونه على ما يراه معصية أو أبعد ما ذكر من أحواله النافية للمماراة تمارونه من المراء وهو الملاحة والمجادلة واشقاقه من مرى الناقة كان كلا من المتجادلين يمرى ما عند صاحبه وقرى أفتمروا أي أفعلبونه في المراء من ماريته فريته ولما فيه من معنى الغلبة عدى على كذا يقال غلبته على كذا وقيل أفتمروا أفتمجبونه من مرأه حته إذا مجده (ولقد رآه نزلة أخرى) أي

أو خلق فيه علما ضروريا (ثانيهما) أوحى إلى جبريل ما أوحى إلى محمد دليله الذي به يعرف انه وحي فعلى هذا يمكن أن يقال ما مصدرية تقديره فأوحى إلى محمد صلى الله عليه وسلم الالهام أى العلم بالإتيان ليفرق بين الملاك والجن * ثم قال تعالى (ما كذب الفؤاد ما رأى) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) الفؤاد فؤاد من نقول المشهور انه فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم معناه انه ما كذب فؤاده واللام تشير يف ما علم حاله اسحق ذكر محمد عليه الصلاة والسلام في قوله الى عبده وفي قوله وهو بالافق الاعلى وقوله تسالى ماضل صاحبكم ويحتمل أن يقال ما كذب الفؤاد أى جنس الفؤاد لان المكذب هو الوهم والخيال بقول كيف يرى الله أو كيف يرى جبريل مع انه اللطف من الهواء والهواء لا يرى وكذلك يقول الوهم والخيال ان رأى به رأى في جهته ومكان وعلى هيئة والكل يتنافى كون المرئى الهوا ولا يرى جبريل عليه السلام مع انه صار على صورة دحية أو غيره فماتعالت حقيقةه وأوحاز ذلك لا ترتفع الامان عن المراتب فنقول رؤية الله تعالى ورؤية جبريل عليه السلام على ما رأى محمد عليه الصلاة والسلام جائزة عند من له قلب فالفؤاد لا ينكر ذلك وان كانت النفس المتوهمة والتخيلة تنكره (المسئلة الثانية) ما معنى ما كذب نقول فيه وجبه (الوجود الاول) ما قاله ابن خنيسرى وهو ان قلبه لم يكذب وما قال ان ما رآه بصره ليس بصحيح ولو قال فؤاده ذلك لكان كاذبا فيما قاله وهو قريب مما قاله المبرد حيث قال معناه صدق الفؤاد فيما رأى شيئا فصدق فيه (الثاني) قرئ ما كذب الفؤاد بالتشديد ومعناه ما قال ان المرئى خيال لا حقيقة له (الثالث) هو ان هذا مقرر لما ذكرنا من أن محمد صلى الله عليه وسلم لما رأى جبريل عليه السلام خلق الله علما ضروريا علم انه ليس بخال وليس هو على ما ذكرنا قصدا للحق وتقديره ما جوز أن يكون كاذبا ونفى الوقوع وإرادة نفي الجواز كثير قال الله تعالى لا تخفى على الله منهم شيء وقال لا تدركه الابصار وقال ومار بك بغافل والكل نفي الجواز بخلاف قوله تعالى لا تضع أجر المحسنين ولا تضع أجر من أحسن عملا ولا يغفر أن يشرك به فانه نفي الوقوع (المسئلة الثالثة) الرأى في قوله ما رأى هو الفؤاد أو البصر أو غيرها تقول فيه وجوه (الاول) الفؤاد كأنه تعالى قال ما كذب الفؤاد ما رآه الفؤاد أى ما يقبل انه جنى أو شيطان بل يتبين ان ما رآه بفؤاد صدق صحيح (الثاني) البصر أى ما كذب الفؤاد ما رآه البصر ولم يقل ان ما رآه البصر خيال (الثالث) ما كذب الفؤاد ما رأى محمد عليه الصلاة والسلام وهذا على قولنا الفؤاد للجنس ظاهر أى انقلب تشبهه بجملة ما رآه محمد صلى الله عليه وسلم وان كانت الاوهام لا تعرف بها (المسئلة الرابعة) ما المرئى في قوله ما رأى نقول على الاختلاف السابق والذي يحتمل الكلام وجوه ثلاثة (الاول) الرب تعالى (والثاني) جبريل عليه السلام (والثالث) الآيات العجيبة الالهية فان قيل كيف تمكن رؤية الله تعالى بحيث لا يدع فيه ولا يلزم منه كونه جسما في جهته نقول أعلم أن العاقل اذا تأمل

وبالله لقد رأى جبريل
في صورته مرة أخرى
من النزول نصبت
النزلة نصب الطرف
الذى هو مرة لان الفعلة
اسم للمرة من الفعل
فكانت في حكمها وقبل
تقديره ولقد رآه نازلا
أخرى فنصبها على
المصدر (عنه سدره
المنتهى) هى شجرة
نبت في السماء السابعة
عن عمن العرش ثم رآها
كقلال هجر وورقها
كاذان الغول تنبع من
أصلها الانهار التى
ذكرها الله تعالى في
كتابه يسير الراكب في
ظلمها سبعين عاما
لا يقطعها والمنتهى
موضع الانتهاء
أو الانتهاء كأنها

وتفكر في رجل موجود في مكان وقال هذا مرئي الله تعالى يراه الله وتفكر في أمر لا يوجد أصلا وقال هذا مرئي الله تعالى يراه الله تعالى يجذب بينهما فرقا وعنه يصح الكلام الاول ويكذب الكلام الثاني فذلك ليس بمعنى كونه معلوما لانه لو كان موجود معلوم الله والمعلوم معلوم الله لما وجد في كلامه خلا واستبعادا فالحق راء بمعنى كونه علما ثم ان الله يكون رأيا ولا يصير مقابلا للمرئي ولا يحصل في جهة ولا يكون مقابلا وانما يصعب على الوهم ذلك من حيث انه لم يرشنا الا في جهة فيقول ان ذلك واجب وما يصح هذا انك ترى في الماء قرا وفي الحقيقة ما رأيت القمر حرا نظرك الى السماء الا في مكانه فوق السماء فرايت القمر في السماء لان الشعاع الخارج من البصر اتصل به فرد الماء ذلك الشعاع الى السماء لكن وهمك لما رأيت أكثر ما رأه في المقابلة لم يبعد رؤية شيء يكون خلفه الا بالوجه اليه قال اني أرى القمر ولا رؤية الا اذا كان المرئي في مقابلة الحقيقة ولا مقابل للحقيقة الا السماء فتحكم اذن بناء على هذا انه يرى القمر في الماء فالوهم يغلب العقل في العالم لكون الامور العاجلة أكثرها وهمية حسية وفي الآخرة تزول الاوهام وتجلي الافهام فترى الاشياء اوجودها لا تخيرها واعلم ان من ينكر جواز رؤية الله تعالى يلزمه أن ينكر جواز رؤية جبريل عليه السلام وفيه انكار لسأله وهو كفر وفيه ما يناد أن يكون كفرا وذلك لان من شك في رؤية الله تعالى يقول لو كان الله تعالى جازرا رؤية لكان واجب الرؤية لان حواسنا سليمة والله تعالى ليس من وراء حجاب ولا هو في غاية البعد عنا لعدم كونه في جهة ولا مكان فلو جاز أن يرى ولا تراه لزم القدر في المحسوسات المشاهدات اذ يجوز حينئذ أن يكون ههنا جبل ولا تراه يقال لذلك القائل قد صرح ان جبريل عليه السلام كان ينزل على محمد صلى الله عليه وسلم وعنده غيره وهو يراه ولو وجب ان يجوز لراه كل أحد فان قيل ان هناك حجابا نقول وجب أن يرى هناك حجابا فان الحجاب لا يحجب اذا كان مرئيا على مذهبهم ثم ان النصوص وردت أن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه بقوله فجعل بصره في فؤاده وأراه ببصره فجعل فؤاده في بصره وكيف لا وعلى مذهب أهل السنة الرؤية بالارادة لا بقدره ان عبد فاذا حصل الله تعالى اعلم بالشئ من طريق البصر كان رؤية وار حاصله من طريق القلب كال معرفة والله قادر على أن يحصل العلم بخاق مدرك للمعلوم في البصر كما قدر على أن يحصله بخاق مدرك في القلب والمسئلة مختلفة فيها بين الصحابة في الوقوع واختلاف الوقوع مما ينبغي عن الاتفاق على الجواز والمسئلة المذكورة في الاسول فلا نسؤلها * ثم قال تعالى (أفتمارونه على ما يرى) أي كيف تجادلونه وتوردون شكوككم عليه مع انه رأى ما رأى عين اليقين وذلك بعد الرؤية فهو جازم مشيق وأنتم تقولون اصابه الجن ويمكن أن يقال هو مؤكد للمعنى الذي تقدم وذلك لان من يقين شيئا فديكون بحيث لا يزول عن نفسه تشكيك * وأكده بقوله تعالى (واقدره آخرة عند سدره المنتهى)

في منتهى الجنة وقيل اليها ينتهى علم الخلائق وأعمالهم ولا يعلم أحد ما وراءها وقيل ينتهى اليها أرواح الشهداء وقيل ينتهى اليها ما يبط من فوقها أو يصعد من تحتها قيل اضافة السدره الى المنتهى اما اضافة الشئ الى مكانه كقولك أشجار البستان أو اضافة المحل الى الحال كقولك كتاب الفقه ولتقدير سدره عند ما ينتهى علوم الخلائق اضافة المالك الى المالك على حذف جار والمجرور أي سدره المنتهى اليه وهو الله عز وجل قال تعالى الى ربك المنتهى

عندها جنة المأوى) أى الجنة التى ﴿ ٧٣٧ ﴾ يأوى اليها المتقون وأرواح الشهداء والجملة حالية وقبل الاحسن

وذلك لانه صلى الله عليه وسلم لما رآه وهو على بسيط الارض كان يحتمل أن يقال انه من الجن احتمالا فى غاية البعد لما بينا انه صلى الله عليه وسلم حصل له العلم الضرورى بانه ملك رسل والاحتمال البعيد لا يقدح فى الجزم واليقين ألا ترى اننا اذا كنا بالليل وانبهنا بالنهار جزم بان البحار وقت نومنا ما نشفت ولا غارت والجبال ما عدمت ولا سارت مع احتمال ذلك فالله قادر على ذلك وقت نومنا وبعبدها الى ما كانت عليه فى نومنا فلما رآه عند سدرة المنتهى وهو فوق السماء السابعة لم يحتمل أن يكون هناك جن ولا انس ففى ذلك الاحتمال أيضا فقال تعالى أفتمارونه على ما يرى رأى العين وكيف وهو قد رآه فى السماء فإذا اتقدرون أن تقولوا فيه وفيه مسائل (المسئلة الاولى) الولو يحتمل أن تكون عاطفة ويحتمل أن تكون للحال على ما بينا أى كيف تجادلونه فيما رآه على وجه لا يشك فيه ومع ذلك لا يحتمل إيراد الشكوك عليه فان كثيرا ما يشك المستند اشئ فيه ولكن ترد عليه الشكوك ولا يمكنه الجواب عنها ولا تريب مع ذلك فى أن الامر كاذكرنا من المثال لانا لانشك فى أن البحار ما صارت ذهبوا والجبال ما صارت ههنا وإذا أورد علينا مورد شكا وقال وقت نومك يحتمل ان الله تعالى قلبها ثم أعادها لا يمكننا الجواب عنه مع اننا لانشك فى استمرارها على ما هى عليه لا يقال اللام تنافى كون الواو للحال فان استعمل يقال أفتمارونه وقدر أى من غير لام لانا نقول الواو التى للحال تدخل على جملة والجملة تتركب من مبتدأ وخبر أو من فعل وفاعل وكلاهما يجوز فيه اللام (المسئلة الثانية) قوله نزلة فعلة من النزول فهى كجلسة من الجلوس فلا بد من نزول فذلك النزول لمن كان نقول فيه وجوه وهى مرتبة على أن الضمير فى رآه عائد الى من وفيه قولان (الاول) عائد الى الله تعالى أى رأى الله نزلة أخرى وهذا على قول من قال ما رأى فى قوله ما كذب القواد ما رأى هو الله تعالى وقد قبل بان النبى صلى الله عليه وسلم رأى به بقلبه مرتبين وعلى هذا فالنزلة تحتمل وجهين (أحدهما) انه الله وعلى هذا وجهان (أحدهما) قول من يجوز على الله تعالى الحركة والانتقال وهو باطل (وثانيهما) النزول بالقرب المعنوى لاجسى فان الله تعالى قريب بالرحمة والفضل من عبده ولا يراه العبد ولهنا قال موسى عليه السلام رب أرنى أى ازل بعض حجب العظمة والجلال وادن من العبد بالرحمة والافضال لاراك (والوجه الثانى) ان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى الله نزلة أخرى وحينئذ يحتمل ذلك وجهين (أحدهما) ان النبى صلى الله عليه وسلم نزل على متن الهوى ومركب النفس ولهذا يقال لمن ركب متن هواه انه علا فى الارض واستكبر قال تعالى علا فى الارض (ثانيهما) ان المراد من النزلة ضدها وهى العرجة كانه قال رآه عرجة أخرى وانما اختار النزلة لانا العرجة التى فى الآخرة لانزلة لها فقال نزلة ليعلم انها من الذى كان فى الدنيا (والقول الثانى) انه عائد الى جبريل عليه السلام أى رأى جبريل نزلة أخرى والنزلة حينئذ يحتمل أن تكون لمحمد صلى الله عليه وسلم كاذكرناه لان النبى صلى الله

أن يكون الحال هو الظرف وجنة المأوى مرتفع به على القاعلية وقوله تعالى (اذنشى) السدرة ما يغشى) ظرف زمار لآه لما بعده من الجملة المنفية كما قبل فان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيمل قبلها والغشيان بمعنى التغطية والستر ومنه الغواشى أو بمعنى الاثيان يقال فلان يغشاني كل حين أى يأتينى والاول هو الايق بالمقام وفى ابهام ما يغشى من التغميم ما لا يخفى وتأخيره عن المفعول للتشويق اليه أى ولقد رآه عند السدرة وقت ما غشها ما غشها مما لا يكتفه الوصف ولا يبنى به البيان كيفا ولا كما وصفة المضارع لحكاية الحال بالمسألة استحضارا لصورتها البديعة وللايدان باستمرار الغشيان بطريقه

الجدد وقيل يغشاها الجحيم الفقير من الملائكة يعبدون الله تعالى * ٧٣٨ * عندها وقيل يزورونها متبر

عليه وسلم على ما ورد في بعض اخبار ليلة المعراج جاوز جبريل عليه السلام وقال
جبريل عليه السلام اودنوت ائمة لاحترقت ثم عاد اليه فذلك نزلت فان قيل فكيف
أخرى تقول لان النبي صلى الله عليه وسلم في امر الصلاة تردد مرارا فربما كان يجاوز
كل مرة ويتزل الى جبريل ويحتمل أن تكون جبريل عليه السلام وكلاهما منقول وعلى
هذا الوجه فذلة أخرى ظاهرا لان جبريل كان له زلات - كانه زلزال عليه وهو على
صورته وقوله تعالى عند سدره المنتهى المشهور ان اسدرة شجرة في السماء السابعة
وعليها مثل النبق وقيل في السماء السادسة ورد في خبراته - صلى الله عليه وسلم قال يقفها
كهلال هجر وورقها كاذان القلعة - قيل سدره المنتهى هي الحيرة القصوى من السدر
والسدره كالركبة من الركاب يعني عند ما يجارعت حيرة لاحية فوقها اما حار النجم
صلى الله عليه وسلم وما غاب ورأى مارأى وقوله عند طرف مكان أو ظرف زمان في هذا
الموضع نقول المشهور انه ظرف مكان تقديره رأى جبريل أو غيره بقرب سدره المنتهى
وقيل ظرف زمان كما يقال صليت عند طلوع الفجر وتقديره رآه عند الحيرة القصوى أى في
الزمان الذي تحارفيه عقول العقلاء والرواية من أتم العلوم وذلك الوقت من أشد أوقات
الجهل والحيرة فهو عليه الصلاة والسلام ما حار وقتا من شأنه ان يحار العاقل فيه والله
أعلم (المسئلة الثانية) ان قلنا معناه رأى الله كيف يفهم عند سدره المنتهى قلنا فيه اقوال
(الاول) قول من يجعل الله في مكان وهو باطل وقد بالغنا في بيان بطلانه في سورة السجدة
(الثاني) رآه محمد صلى الله عليه وسلم وهو عند سدره المنتهى لان الظرف قد يكون ظرفا
للرأى كما ذكرنا من المثال يقال رأيت الهلال فيقال لقائله أين رأيته فيقول على السطح
وربما يقول عند الشجرة القلابة وأمان قلنا ان المراد جبريل عليه السلام فالوجهان
ظاهرا ونكون النبي صلى الله عليه وسلم مع جبريل عند سدره المنتهى أظهر (المسئلة
الثالثة) اضافة السدره الى المنتهى من أى الاضافة نقول يحتمل وجوها (أحدها) اضافة
الشيء الى مكانه يقال أشجار بلدة كذا لان طول من البرد ويقال أشجار الجنة لا تيس
ولا تخلو من الثمار فالتنهي حينئذ موضع لا يتعداه لك وقيل لا يتعداه روح من الارواح
(وثانيهما) اضافة المحل الى الحال فيه يقال كتاب الفقه ومحل السواد وعلى هذا فالمنتهى
عند السدره تقديره سدره عند منتهى العلوم (ثالثها) اضافة الملك الى مالكة يقال دار
زيد وأشجار زيد وحينئذ فالمنتهى اليه محذوف تقديره سدره المنتهى اليه قال الله تعالى
الى ربك المنتهى فالمنتهى اليه هو الله واطراف السدره اليه حينئذ كاطراف البيت اليه
للتشريف والعظيم ويقال في التسليم يا غاية مناه ويا منتهى أملة * ثم قال تعالى
(عندها جنة المأوى) وفي الجنة خلاف قال بعضهم جنة المأوى هي الجنة التي وعد بها
المؤمنون وحينئذ الاضافة كافي قوله تعالى دار المقامة وقيل هي جنة أخرى عندها يكون
أرواح الشهداء وقيل هي جنة للملائكة وقرئ جنة بالهاء من جن بمعنى اجن يقال جن

بها كما يزور الناس
الركبة وقيل يغشاها
سبعات أنوار الله
عز وجل حين يتجلى
له كما يجلى للجليل لكنها
كانت أقوى من الجبل
وأثبت حيث لم يصبها
ما أصابه من الدك
وقيل يغشاها فراش
أو جراد من ذهب وهو
قول ابن عباس وابن
مسعود والضحك
وروى عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال
رأيت السدره يغشاها
فراش من ذهب
ورأيت على كل ورقة
ملكا قائما يسبح الله
تعالى وعنه عليه
الصلاة والسلام
يفشاها رفر من
طير خضر (ما زاغ
البصر) أى ما مال
بصر رسول الله صلى
الله عليه وسلم عما رآه
(وما طغى) وما تجاوزه
مع ما شاهد هناك
من الامور العجيبة
الذهلة ما لا يحصى
بل اثبت اثباتا صحيحا
متقنسا أو ما عدل
عن رؤية العجايب
التي أمر

منتها ويمكن منها وما جاوزها ﴿ ٧٣٩ ﴾ (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) أى والله لقد رأى الآيات التى

هى كبرها وعظماها
حين عرج به الى السماء
فأرى من عجائب الملك
والملكوت ما لا يحيط به .
نطاق العبارة ويجوز
أن تكون الكبرى صفة
للآيات والمفعول
مخدوف أى شئنا عظيما
من آيات ربه وان يكون
من مزينة (أفرايم
اللات والعزى ومناة
الثالثة الاخرى) هى
أصنام كانت لهم
فاللات كانت لتقيف
بالطائف وقيل لقرش
بنخلة وهى فعلة من
لوى لانهم كانوا
يلوون عليها ويطوفون
بها وقرى بتشديد
التاء على انه اسم فاعل
أشهر به رجل كان
يلت السمن مالزمت
ويطعمه الحاج وقيل
كان يلت العسويق
بالطائف ويطعمه
الحاج فلما مات عكفوا
على قبره بعدونه وقل
كان يجلس على حجر
فلما مات سمي الحجر
باسمه وعبد من دون الله
وقيل كان الحجر
على صورته والعزى
تأيت

بذلك وأجن وعلى هذه القراءة يحتمل أن يكون الضمير فى قوله عندها عائدا الى النزلة أى
بلد النزلة جن مجمدا الماوى والظاهر انه عائدا الى السدرة وهى الاصح وقبل ان عائشة
ركرت هذه القراءة وقبل انها اجازتها * وقوله تعالى (اذ يغشى السدرة ما يغشى) فيه
سائل (المسئلة الاولى) العامل فى اذ ما قبلها أو ما بعدها فيه وجهان فان قلنا ما قبلها
ففيه احتملا ان أظهرهما رآه أى رآه وقت ما يغشى السدرة الذى يغشى والاحتمال
بآخر العامل فيه الفعل الذى فى النزلة تقديره رآه نزلة أخرى تلك النزلة وقت ما يغشى
سدرة ما يغشى أى نزوله لم يكن الابدع ما ظهرت العجائب عند السدرة وغشيتها ما غشى
بجئته نزل محمد نزلة اشارة الى انه لم يرجع من غير فائدة وان قلنا ما بعده فالعامل فيه ما زاغ
ببصر أى ما زاغ ببصره وقت غشيان السدرة ما غشيتها وسند كره عند تفسير الآية
والمسئلة الثانية (قد ذكرنا فى بعض الوجوه سدره المنتهى هى الخبرة القصوى وقوله
غشى السدرة على ذلك الوجه ينادى بالبطلان فهل يمكن تصحيحه نقول يمكن أن يقال
لمراد من الغشيان غشيان حالة أى ورد على حالة الخبرة حالة الروبة واليقين ورأى
محمد صلى الله عليه وسلم عندما حار العقل ماراه وقت ما طرأ على تلك الحالة ما طرأ من فضل
الله تعالى ورحمته والاول هو الصحيح فان النقل الذى ذكرنا من ان السدرة نبقها كلال
هجر يدل على انها شجرة (المسئلة الثالثة) ما الذى غشى السدرة نقول فيه وجوه (الاول)
فراش أو جراد من ذهب وهو ضعيف لان ذلك لا يثبت الابدليل سمعى فان صح فيه خبر فلا
بعد من جواز التأويل واما بل يصح فلا وجه له (الثانى) الذى يغشى السدرة ملائكة
بنسبونها كأنهم طيور وهو قريب لان لمكان مكان لا تعداد الملك فهم يرتقون اليه
متشرفين به متبركين زائرين كاي زوار الناس الكعبة فيحتمل عن عليها (الثالث) أنوار الله
تعالى وهو ظاهر لان النبى صلى الله عليه وسلم لما وصل اليها تجلى ربه لها كما تجلى للجبل
وظهرت الانوار لكن السدرة كانت أقوى من الجبل وأثبت فجعل الجبل دكا ولم تتحرك
الشجرة وخرم موسى صعدا ولم يزل محمد (الرابع) هو بهم للتعظيم يقول القائل رأيت
مارأيت عند الملك يشير الى الاظهار من وجهه والى الاحفاء من وجهه (المسئلة الرابعة)
يغشى بسنة ومنه الغواشى أو من معنى الاتيان يقال فلان يغشى كل وقت أى يأتى
والوجهان محتملان وعلى قول من يقول الله يأتى ويذهب فالآيتان أقرب * ثم قال تعالى
(ما زاغ البصر وما طغى) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اللام فى البصر يحتمل وجهين
(أحدهما) المعروف وهو بصر محمد صلى الله عليه وسلم أى ما زاغ ببصر محمد وعلى هذا
فعدم الزاغ على وجوه ان قلنا الغاشى للسدرة هو الجراد والفراش فعنا لم يلتفت اليه
ولم يلتفت به ولم يقطع نظره عن المقصود وعلى هذا فغشيان الجراد والفراش يكون ابتلاء
وامتحانا لمحمد صلى الله عليه وسلم وأن قلنا أنوار الله فغشيه وجهان (أحدهما) لم يلتفت
بمنه وبسرة واشتغل بمطالعته (وثانيهما) ما زاغ البصر بصعقة بخلاف موسى عليه

الاعز كانت لقطعان
وهي سمرة كانوا يعبدونها
فبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم
خالد بن الوليد فقطعها
فخرجت منها شيطانة
ناشرة شعرها واضعة
يدها على رأسها وهي
تولول فحصل خالد
ببصرها بالسيف
حتى قتلها فاخبر
رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال تلك
العزى وإن تعبد أبدا
ومئة صخرة لهذيل
وخراطة وقيل ثقب
وكأنها سبت مئة
لأن دماء النساء تسمى
عندها أى نراق وفرى
مئة وهى مفعلة
من النوء كأنهم كانوا
يستطرون عندها
الانواء تبركاسها
والاخرى صفة ذم لها
وهى المتأخرة الوضعة
المقدرة وقد جوز
ان تكون الاولى والتقدم
عندهم للات والعزى
ثم انهم كانوا مع
ما ذكر من عبادتهم
لها يقولون ان الملائكة
وتلك الاصنام بنات الله
تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فقبل لهم توابنا وتبكتنا أفرأيتم الخ والهمزة للانكار والفاء

السلام فانه قطع النظر وغشى عليه وفى الاول بيان أدب محمد صلى الله عليه وسلم
الثانى بيان قوته (الوجه الثانى) فى اللام انه لعريف الجنس أى مازاغ بصرا أصلا فى
الموضع لعظمة الهيبة فان قيل لو كان كذلك اقل مازاغ بصرا لانه أدل على العموم
النكرة فى معرض النفي نعم نقول هو كقوله لا تدركه الابصار ولم يقل لا يدركه به
(المسئلة الثانية) ان كان المراد محمد اقل مازاغ قلبه كان يحصل به فائدة قوله مار
البصر نقول وذلك لان من يحضر عند ملك عظيم يرى من نفسه انه بهابه ويرتجف
اظهارا لعظمته مع ان قلبه قوى فاذا اقل مازاغ البصر يحصل منه فائدة ان الامر كان
عظيما ولم يزغ بصره من غير اختيار من صاحب البصر (المسئلة الثالثة) وما طغى عطف
جمله مستقلة على جملة أخرى أو عطف جملة مقدرة على جملة مثال المستقلة خرج زيد
ودخل عمرو ومثال المقدرة خرج زيد ودخل فنقول الوجهان جائزان (أما الاول) فكانه
تعالى قال عند ظهور النور مازاغ بصر محمد صلى الله عليه وسلم وما طغى محمد بسبب
الالفتات ولواتفت لكان طاغيا (وأما الثانى) فظاهر على الوجه أعلى قولنا غشى
السدره جراد فلم يلف اليد وما طغى أى ما لفت الى غير الله فلم يلف الى الجراد ولا الى
غير الجراد سوى الله وأما على قولنا غشيتها نور فوله مازاغ أى ما مال عن الانوار وما طغى
أى ما طلب شيئا وراءها (وفيه لطيفة) وهى أن الله تعالى قال مازاغ وما طغى ولم يقل ما مال
وما جاوز لان الميل فى ذلك الموضع والمجازة مذمومة فاستعمل الزين والطغيان فى
وفيه وجه آخر وهو أن يكون ذلك بيانا لوصول محمد صلى الله عليه وسلم الى سدره البقيع
الذى لا يقين فوقه ووجه ذلك ان بصر محمد صلى الله عليه وسلم مازاغ أى ما مال عن
العرض فلم يرق الى شئ على خلاف ما هو عليه بخلاف من ينظر الى عين الشمس مثلا ثم ينظر الى
شئ أبيض فانه يراه أصفر وأخضر بزغ اصفره من جادة الابصار وما طغى ما تخيل المعلوم
موجودا فى أى المعلوم مجاوز الحد * ثم قال تعالى (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) وفيه
مسائل (المسئلة الاولى) فيدليل على ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى ايلة المعراج آيات
الله ولم ير الله وفيه خلاف وجهه هو أن الله تعالى ختم قصة المعراج ههنا بروية الآيات
وقال سبحانه الذى أسرى به ليلة الى ان قال نزيه من آياتنا ولو كان رأى ربه لكان
ذلك أعظم ما يمكن فكانت الآية الروية وكان أكبر شئ هو الروية الا ترى أن من له مال
يقاله سافر لترمح ولا يقال سافر لتفرج لما أن الرمح أعظم من التفرج (المسئلة
الثانية) قال بعض المغيرين لقد رأى من آيات ربه الكبرى هى أنه رأى جبريل عليه
السلام فى صورته فهل هو على ما قاله نقول الظاهر أن هذه الآيات غير تلك وذلك لان
جبريل عليه السلام وان كان عظيما لكن ورد فى الاخبار ان الله ملائكة أعظم منه
والكبرى تأنيث الاكبر فكانه تعالى يقول رأى من آيات ربه آيات هن أكبر الآيات فان
قبل قال الله تعالى انها لاحدى الكبرى مع ان أكبر من سقر عجائب الله فكذلك الآيات

تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فقبل لهم توابنا وتبكتنا أفرأيتم الخ والهمزة للانكار والفاء

لوجبه الى ترتيب الروية ﴿٧٤١﴾ على ما ذكر من شؤون الله تعالى المتأففة لها غاية التأففة وهي قلبية

ومفعولها الشئ
محذوف للدلالة الحال
عليه فالعنى أعقب
ما سمعتم من آثار كمال
عظمة الله عز وجل
في ملكه وملكوته
وجلاله وجبروته
واحكام قدرته ونفاذ
أمره في الملأ الاعلى
وماتحت الثرى وما بينهما
رأيتهم هذه الاصنام
مع غاية حقارتها وقهاتها
بنات له تعالى وقيل
المعنى أفرأيتهم هذه
الاصنام مع حقارتها
وذلتها شر كاد الله
تعالى مع ما تقدم من
عظمته وقيل أخبروني
عن آلهتكم هل لها
شي من القدرة والعظمة
التي وصف بها رب
العرى فى الآتى السابقة
وقيل المعنى أظنتم
أن هذه الاصنام التي
تعبدونها تنفعكم وقيل
أظنتم أنها تشفع لكم
فى الآخرة وقيل
أفرأيت الى هذه
الاصنام ان عبدتموها
لا تشفعكم وان تركتموها
لا تضركم والاول

الكبرى تكون جبريل ومافيه وان كان الله آيات أكبر منه نقول سفر احدى الكبرى
احدى الدواهي الكبرى ولا شك ان فى الدواهي سفر عظيمة كبيرة وأما آيات الله فليس
جبريل أكبرها ولان سفر فى نفسها أعظم وأعجب من جبريل عليه السلام فلا يلزم من
صفتها بالكبر صفتها بالكبرى (المسئلة الثالثة) الكبرى صفة ماذا نقول فيه وجهان
أحدها صفة محذوف تقديره لقد رأى من آيات ربه الآتية الكبرى ثانياً صفة آيات ربه
وعلى هذا يكون مفعول رأى محذوفاً تقديره رأى من الآيات الكبرى آية أو شيئاً ثم قال
تعالى (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) لما قرر الرسالة ذكر ما ينبغي أن
يتبدى به الرسول وهو التوحيد ومنع الخلق عن الاشرىك فقوله تعالى أفرأيتم إشارة الى
ابطال قولهم بنفس القول كما ان ضعيفا اذا ادعى الملك منكرين عليه غير مستدلين بدليل
يدعيه يقولون انظروا الى هذا الذى يدعى الملك منكرين عليه غير مستدلين بدليل
لظهور أمره فلذلك قال أفرأيتم اللات والعزى أى كماها فكيف تشركونها بالله والتاء
فى اللات تاء تأنيث كفى المناة لكنّها مكتبة مطولة ثلاث يوقف عليها فتصير هاء فيشبه باسم
الله تعالى فان الهاء فى الله أصلية ليس تاء تأنيث وقف عليها فأنقلب إهاء وهى صم كانت
لثقيف بالظانف قال الزمخشري هى فصلة من لوى يلوى وذلك لانهم كانوا يلويون
عليها وعلى ما قال فاصله لوىة اسكنت الياء وحذفت لاء السكون فثبت لوه قلبت
الواو والفاء فتح ما قبلها فصار تلات وقرى اللات بالشد من ل قبل انه مأخوذ من رجل
كان يلت بالسن الطعام ويضع الناس فعبداً اتخذ على صورته وثن وصموه باللات وعلى
ها فاللات ذكر واء العزى فتأنيث الاعز وهى شجرة كانت تعبد فبعث النبي صلى الله
عليه وسلم خالدين الوليد رضى الله عنه قطعها واخرجت منه شيطانة مكشوفة الرأس
منشورة الشعر تضرب رأسها وتدعو بالويل والشور فقتلها خاندوهو يقول
(يا عزى كفرانك لاسمى الله قدأهانك) ورجع الى النبي صلى الله عليه وسلم
واخبره بأمرى وفعل فقال تلك العزى وان تعبد أبداً وأمانة فهى فعلة صم الصفا وهى
صخرة كانت لهذيل وخراعة وفيه مسائل (المسئلة الاولى) الآخر لا يصح ان يقال الا اذا
كان الاول مشاركاللثانى فلا يقال رأيت امرأة ورجلاً آخر ويقال رأيت رجلاً ورجلاً
آخر لا شراك الاول والثانى فى كونهما من الرجال وهما نقوله الثالثة الأخرى يقتضى على
ما ذكرنا ان تكون العزى ثالثة أولى ومناة ثالثة أخرى وليس كذلك والجواب عنه من
وجوه (الاول) الأخرى كماهى تستعمل للذم قال الله تعالى وقالت أولاهم لا خراهم أى
لما خربهم وهم الاتباع ويقال لهم الاذنب لتأخرهم فى المراتب فهى صفة ذم كانه تعالى
يقول ومناة الثالثة المتأخرة الذليلة ويقول على هذا الاصنام الثلاثة ترتيب وذلك لان
الاول كان وشاعلى صورة آدمى والعزى صورتها صورة نبت ومناة صورتها صورة صخرة
هى جاد فالأدمى أشرف من النبت والنبات أشرف من الجاد فالجاد متأخر والمتأخر الجاد

هو الحق كما يشهد به قوله تعالى (ألكم الذكر وله الأنثى) شهادة ﴿ ٧٤٢ ﴾ بينة فانه توابع مبنى على التوابع

الاول وحيث كان مداره تفضيل جانب أنفسهم على جنابه تعالى بنسبتهم اليه تعالى الاناث مع اختيارهم لانفسهم المذكور وجب أن يكون مناط الاول نفس تلك النسبة حتى ينتج بناء التوابع الثاني عليه وظاهر ان ليس في شيء من التقديرات المذكورة من تلك النسبة عين ولا أثر وأما ما قيل من أن هذه الجملة مفعول ثان للروية وخلوها عن العائد الى المفعول الاول لما أن الأصل أخبروني أن اللات والعزى ومناة أمكم المذكورة هن أمي تلك الاصنام موضع موضعها لا في إرادة الفواصل ويحذف مناط التوابع دفع مافيه من اشتمالات التي ينبغي تزجها ساحة التزجيل عن أمثالها يقتضي اقتصار التوابع على ترجيح جانبهم الخفي على جناب الله العزيز الجليل من غير تعرض للتوابع على نسبة الولد اليه سبحانه (تلك) إشارة الى القسمة المنفصلة من الجملة ﴿ ٧٤٢ ﴾ والذلة

فهى في الاخرى من المراتب (الجواب) الثاني فيه محذوف تقديره أفرأيتم اللات والعزى المعبودين بالباطل ومناة الثالثة المعبودة الاخرى (الجواب الثالث) هو أن الاصنام كان فيها كثرة واللات والعزى اذا أخذنا متقدمين فكل ضمة توجد فهي ثالثة فهناك ثلاث فكانه يقول لهما ثلاث كثيرة وهذه ثالثة أخرى وهذا كقول انقائل يوما ويوما (الجواب الرابع) فيه تقديم وتأخير تقديره ومناة الاخرى الثالثة ويحتمل أن يقال الاخرى نستعمل لموهوم أو مفهوم وإن لم يكن مشهورا ولا مذكورا يقول من يكثر تأذيه من الناس اذا آذاه الانسان الآخر جاء يؤذينا و بما يسكت على قوله أنت الآخر فيهم غرضه كذلك ههنا (المسئلة الثانية) وهى في الترتيب أولى ما فائدة الغاء في قوله أفرأيتم اللات والعزى وقد استعمل في مواضع غير الغاء قال تعالى أفرأيتم ما تدعون من دون الله أفرأيتم شركاءكم نقول لما قدم من عظمة آيات الله في ملكوته ان رسول الله الى الرسل الذى يسد الآفاق ببعض أجنحته ويملك المدائن بشدته وقوته لا يمكنه أن يتعدى السدرة في مقام جلال الله وعزته قال أفرأيتم هذه الاصنام مع ذلتها وحقارتها شركاء الله مع ما تقدم فقال بالغاء أى عقيب ما معتم من عظمة آيات الله تعالى الكبرى ونفاذ أمره في الملأ الاعلى وما تحت الثرى فانظروا الى اللات والعزى تعلموا فساد ما ذهبت اليه وعولتم عليه (المسئلة الثالثة) أين تمة الكلام الذى يفيد فائدة ما نقول قد تقدم بيانه وهو أنه يقول هل رأيتم هذه حق الروية فان رأيتها علمتم انها لاتصلح شركاء نصبر وما ذكر فحين يكثر كون ضعيف يدعى ملكا يقول لصاحبه اما تعرف فلانا مقتصرنا عليه مشبرا الى بطلان ما يذهب اليه ثم قال تعالى (ألكم الذكر وله الأنثى) وقد ذكرنا ما يجب ذكره في سورة والطور في قوله أم له البنات ولكم البنون وتعيد ههنا بعض ذلك أو ما يقر منه فنقول لما ذكر اللات والعزى ومناة ولم يذكر شيئا آخر قال ان هذه الاشياء التي رتبوها وعرفوها تجعلونها شركاء الله وقد سمعتم جلال الله وعظمته وان الملائكة هم منتهى علمهم يتجهون الى السدرة ويقفون هناك لا يبق شئ في كونهم بعد من عن طريقه المفعول أكثر ما يدعوا عن طريقه المفعول فكانهم قالوا نحن لأنشك ان شيئا منها ليس مثله تعالى ولا قربا من أن يماثله وانما صورنا هذه الاشياء على صور الملائكة المعطمين الذين اعترف بهم الانبياء وقالوا انهم يرتقون ويقفون عند سدرة المنتهى ويرد عليهم الامر والنهى ويتجهون الى الله ما يصدر من عبادته في أرضه وهم نباتات الله فانخذنا صورها على صور الاناث وسميها اسماء الاناث فاللات تأنيث اللو وكان أصله ان يقال الانلاهة لكن في التأنيث يوقف عليها فتصير الانلاهة فاسطة احدى الهاتين وبقيت الكلمة على حرفين أصليين وتاء التأنيث فجعلناها كالاصلية كما فعلنا بذات مال وذامال والعزى تأنيث الاعز فقال لهم كيف جعلتم الله نباتات وقد اعترفت في أنفسكم ان النبات ناقصات والبنين كاملون والله كامل العظمة فالمنسوب اليه كيف جعلتموه ناقصا وأنتم في غاية الحفارة

تعرض للتوابع على نسبة الولد اليه سبحانه (تلك) إشارة الى القسمة المنفصلة من الجملة ﴿ ٧٤٢ ﴾ والذلة

الاستفسامية (اذافسة ضبري) أي ﴿ ٧٤٣ ﴾ جارة حيث جعلتم له تعالى ما تستكفون منه وهي فعلى من الضير

وهو الجور لكنه كسر
فاؤه لتسلم الياء كما فعل
في بعض فان فعلى
بالكسر لم يأت في
الوصف وقرئ ضبري
بالهمزة من ضارده اذا
ظلمه على انه مصدر
نعت به وقرئ ضبري
اما على انه صفة
كسرى وهطشى
(ان هي) الضمير
للاصنام أي ما
الاصنام باعتبار
الالوهية التي يدعونها
(الاسماء) محضة
ليس تحتها مما تنبئ هي
عنه من معنى الالوهية
شيء ما أصلا وقوله
تعالى (سبحوها)
صفة لاسماء وضبرها
لها لا للاصنام والمعنى
جعلوها أسماء
لجعلكم لها أسماء
فان التسمية نسبة بين
الاسم والمسمى فاذا
قيست الى الاسم فمعناها
جعلها اسما للمسمى وان
قيست الى المسمى
فمعناها يجعله مسمى
للاسم وانما اختير
ههنا المعنى الاول
من غير تعرض للمسمى

والله حيث جعلتم أنفسكم أذل من حجار وعبدتم صخرة وشجرة ثم نسبتم ان أنفسكم
الكامل فهذه القسمة جارة على طريقكم أبضا حيث اذلالتم أنفسكم ونسبتم اليها الاعظم
من الانبياء وانضمتم البنات ونسبتمهن الى الاعظم وهو الله تعالى وكان على عادتكم ان
تجعلوا الاعظم العظيم والانقص للتحير فاذا أنتم خالفتم الفكر والعقل والعادة التي
لكم وقوله تعالى (تلك اذافسة ضبري) فيه مسائل (المسئلة الاولى) تلك اشارة الى
ماذا يقول الى محدود تقديره تلك القسمة قسمة ضبري أي غير عادلة ويحتمل ان يقال
معناه تلك النسبة قسمة وذلك لانهم ما قسموا وما قالوا لنا البنون وله البنات وانما نسبوا
الى الله البنات وكانوا يكرهون ان يقولوا لله ما يكرهون فلان نسبوا الى الله
البنات حصل من تلك القسمة قسمة جارة وهذا الخلاف لا يرقى (المسئلة الثانية)
اذاجواب ماذا نقول يحتمل وجوها (الاول) نسبتم البنات الى الله تعالى اذا كان لكم
البنو قسمة ضبري (الثاني) نسبتم البنات الى الله تعالى مع اعتقادكم انهن ناقصات
واختاركم البنين مع اعتقادكم انهم كاملون اذا كنتم في غايبة الحقارة والله تعالى في نهاية
العظمة قسمة ضبري فان قيل ما أصل اذ قلنا هو اذا التي للظرف قطعت الاضافة عنها
فحصل فيها تنوين وبيانه هو انك تقول آتيتك اذا طلعت الشمس فكانك أضفت اذا اطلوع
الشمس وقلت آتيتك وقت طلوع الشمس فاذا قال قائل آتيتك فتقول له اذا أكرمك أي
اذا آتيتني أكرمك فلما حذف الالوان لسبق ذكره في قول القائل آتيتك بدله بنون وقلت
اذا كما يقول وكلا آتيانه (المسئلة الثالثة) ضبري قرئ بالهمز وبغير همز وعلى الاولى هي
فعلى بكسر الفاء كذا قرئ على انه مصدر وصف به كرجل عدل أي قسمة ضائرة وعلى
القرأة الثانية هي فعلى وكان أصلها وضوى لكن عين الكلمة كانت يائية فكسرت
الفاء لتسلم العين عن القلب كذلك فعل يبيض فان جمع افعل فعل تقول أسود وسود وأجر
وجر وتقول أبيض ويبيض وكان الوزن يبيض وكان يلزم منه قلب العين فكسرت
الياء وترك الياء على حالها وعلى هذا ضبري للمبالغة من ضائرة تقول فاضل وأفضل
وفاضلة وفضلى وكبر وكبر وكبرى كذلك ضائر واضور وضائرة وضوزى وعلى
هذا نقول اضور من ضائر وضبري من ضائرة فان قيل قد قلت من قبل ان قوله أمه البنات
ولكن البنون ليس بمعنى انكار الامر بل بمعنى انكار الاول واطهار النكر بالامر
الثاني كما تقول ان تجعلون لله أندادا وتعلمون انه خلق كل ما سواه فانه لا ينكر الثاني وههنا
قوله تلك اذافسة ضبري دل على انه أنكر الامرين جميعا نقول قد ذكرنا هناك ان
الامرين محتملان اما انكار الامرين فظاهر في المشهور اما انكار الاول فثبت بوجوه
واما الثاني فلما ذكرنا انه تعالى قال كيف تجعلون لله البنات وقد صار لكم البنون بقدرته
كما قال تعالى يهب لمن يشاء آنا وإيهب لمن يشاء الذكور وخالق البنين لكم لا يكون له
بنات وأما قوله تعالى تلك اذافسة ضبري فنقول قد بينا ان تلك عائد الى النسبة أي

لتعقبن ان تلك الاصنام التي يسمونها آلهة أسماء مجردة * ٧٢٤ * ليس لها سميات قطعا كما في قوله تعالى

ما تعبدون من دونه
الاسماء سميتوها
الآية لان هناك
سميات لكنها
لا تستحق التسمية وقيل
هي للاسماء الثلاثة
الذكورة حيث كانوا
يطلقونها على تلك
الاصنام لاعتقادهم
انها تستحق العكوف
على عبادتها والاعزاز
والقرب اليها بالقرابين
وانت خبير بانها لوسلم
دلالة الاسماء المذكورة
على ثبوت تلك المعاني
الخاصة للاصنام
فليس في سلبها عنها
مزيد فائدة بل انما هي
في سلب الألوهية عنها
كما هو زعمهم المشهور في
حق جميع الاصنام على
وجه برهاني فان انتفاء
الموصوف يفتضي انتفاء
الوصف بطريق
الاولوية أي ما هي
الاسماء خالية عن
السميات وسميتوها
(أنتم وأباؤكم) بمقتضى
أهو انكم إليا طلة
(ما أنزل الله بها من
سلطان) برهان
تعلقون به

نسبتكم النبات الى الله تعالى مع ان لكم البنين قسمة ضائرة فالمنكر تلك النسبة وان كان
المنكر القسمة نقول يجوز أن يكون تقديره أي يجوز جعل النبات لله تعالى كما ان واحدا
اذا كان بينه وبين شريكه شئ مشترك على السوية فأي أخذ نصفه لنفسه و أعطى من
النصف الباقي نصفه لظالمه ونصفه لصاحب فقال هذه قسمة ضائرة لالكونه أخذ النصف
فذلك حقه بل لكونه لم يوصل اليه النصف * ثم قال تعالى (ان هي الا أسماء
سميتوها) ثم وأباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان) وفيه مباحث تدق عن ادراك القوى
ان لم يكن عنده من العلوم حظ عظيم ولذا ذكر ما قيل فيه أولا فنقول قبل معناه ان هي
الاسماء أي كونها انا وكونها معبودات اسماء لامسمى لها فانها ليست باناث حقيقة
ولامعبودات وقيل اسماء أي قديم بعضها عزي ولا عزة لها وقيل قديم انها آلهة وليست
بآلهة والذي نقوله هو ان هذا جواب عن كلامهم وذلك على ما بينا انهم قالوا نحن لانك
في ان الله تعالى لم يلد كما ولد النساء ولم يولد كما يولد الرجال بالجماعة والاحبال غير اننا لفظ
الولد مستعملا عند العرب في المسبب تقول بنت الحبل وبنت الشفة لما يظهر منهما
ويوجد لكن الملائكة أولاد الله بمعنى انهم وجدوا بسببه من غير واسطة فقلنا انهم أولاده
ثم ان الملائكة في هاتاه التأنيث فقلناهم أولادهم وثنية والولد المؤنث بنت فقلنا لهم بنات الله
أي لواسطة بينهم وبين الله تعالى في اليجاد كما تقول الفلاسفة فقال تعالى هذه الاسماء
استنبطتوها أنتم بهوى أنفسكم واطلقتهم على الله ما يوههم النقص وذلك غير جائز وقوله
تعالى يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وقوله يده اخيرا اسماء موهمة غير انه تعالى أنزلها
وله ان يسمى نفسه بما اختار وليس لاحد أن يسميه باسم يوههم النقص من غير ورود الشرح
به ولينين التفسير في مسائل (الاولى) هي ضمير عائدة الى ما اذا نقول انما هي عائدة الى
امر معلوم وهو الاسماء كما نه قال ما هذه الاسماء التي وضعتموها أنتم وهو المشهور ويحتمل
ان يقال هي عائدة الى الاصنام بانفسها أي ما هذه الاصنام الاسماء وعلى هذا فهو على
سبيل المبالغة والجواز يقال لتحقير انسان ما زيد الاسم وما الملك الا اسم اذا لم يكن
مستملا على صفة تعتبر في الكلام بين الناس ويؤيد هذا القول قوله تعالى ما تعبدون من
دونه الا أسماء أي ما هذه الاصنام الاسماء (المسئلة الثانية) ما الفائدة في قوله سميتوها
مع ان جميع الاسماء هم وضعوها أو بعضها هم وضعوها ولم ينكر عليهم نقول المسئلة
مختلف فيها ولا يتم الذم الا بقوله تعالى ما أنزل الله بها من سلطان ويانه هو ان الاسماء ان
أنزلها الله تعالى فلا كلام فيها وان وضعها الناس للتفاهم فينبغي ان لا يكون في ضمن تلك
الفائدة مفسدة أعظم منها لكن ايها النقص في صفات الله تعالى أعظم منها فالله تعالى
ما يجوز وضع الاسماء للحقائق الاحبث نسلم عن المحرم فلم يوجد في هذه الاسماء دليل نقلي
ولا وجه عقلي لان ارتكاب المفسدة العظيمة لاجل المنفعة القليلة لا يجوز للعاقل فاذا
ما أنزل الله بها من سلطان ووضع الاسم لا يجوز الابدليل نقلي أو عقلي وهو أنه يقع خالبا

عن وجوه المضار الراجحة (المسئلة الثالثة) كيف قال سميتوها أنتم مع أن هذه الاسامي
 لاصنامهم كانت قبلهم فنقول فيه لطيفة وهي أنهم لو قالوا ما سميتها وانما هي موضوعة
 قبلنا قبل لهم كل من يطلق هذه الالفاظ فهو كالمتدنى الواضع وذلك لان الواضع الاول
 لهذه الاسماء للملم يكن واضعا بدليل نقل ولا واضعا بدليل عقل لم يجب اتباعه لمن يطلق
 اللفظ لان فلانا أطلقه لا يصح منه كالا يصح أن يقول أضلني الاعشى و لوقاله اقبل
 له بل أنت أضللت نفسك حيث اتبعت من عرفت أنه لا يصلح للاقتداء به (المسئلة
 الرابعة) الاسماء لا تسمى وانما يسمى بها فكيف قال سميتوها فنقول عنه جوابا ن
 (أحدهما) لغوى وهو أن التسمية وضع الاسم فكانه قال أسماء وضعتوها فاستعمل
 سميتوها استعمال وضعتوها ويقال سميت زيداً وسميته يزيد فسميتوها بمعنى سميت بها
 (وثانيهما) معنوى وهو أنه لو قال أسماء سميت بها لكان هناك غير الاسم شيء يتعلق به الباء
 في قوله بها لان قول القائل سميت به يستدعي مفعولا آخر فنقول سميت يزيد أبني أو عبيدي
 أو غير ذلك فيكون قد جعل للاصنام اعتبارا وراه أسمائها وإذا قال ان هي الأسماء
 سميتوها أي وضعتوها في أنفسها لاسميات لها لم يكن ذلك فان قبل هذا باطل بقوله تعالى
 وإني سميتها مريم حيث لم يقل وإني سميتها مريم ولم يكن ما ذكرت مقصودا والا لكانت
 مريم غير ملتق بها كما قلت في الاصنام فنقول بينهما بون عظيم وذلك لان هناك قال
 سميتها مريم فذكر المفعولين فاعتبر حقيقة مريم بقوله سميتها واسمها بقوله مريم وأما
 ههنا فقال ان هي الأسماء سميتوها أي ما هناك الأسماء موضوعة فلم تعتبر الحقيقة ههنا
 واعتبرت في مريم (المسئلة الخامسة) ما أنزل الله بها من سلطان على أي وجه استعملت
 الباء في قوله بها من سلطان فنقول كما يستعمل القائل ارتحل فلان بأهله ومناعه أي ارتحل
 ومعه الأهل والمناخ كذلك ههنا ثم قال تعالى (ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس
 ولقد جاءهم من ربهم الهدى) وفيه مسائل (الاولى) قرئ ان يتبعون بالياء على الخطأ
 وهو ظاهر مناسب لقوله تعالى أنتم وآباؤكم وعلى المعايبة وفيه وجهان (أحدهما) أن
 يكون الخطأ معهم لكنه يكون التثاناً كأنه قطع الكلام معهم وقال لتبسه انهم
 لا يتبعون الا الظن فلا تلتفت الى قولهم (ثانيهما) أن يكون المراد غيرهم وفيه احتمالان
 (أحدهما) أن يكون المراد آباؤهم وتقدره هو أنه لما قال سميتوها أنتم كأنهم قالوا هذه
 ليست أسماء وضعتا نحن وانما هي كسائر الاسماء تلقيناها من قبلنا من آباءنا فقال
 وسمها آباؤكم وما يتبعون الا الظن فان قيل كان ينبغي أن يكون بصيغة الماضي فنقول
 وبصيغة المستقبل أيضا كأنه يفرض الزمان بعد زمان الكلام كافي قوله تعالى وكابهم باسط
 ذراعيه (ثانيهما) أن يكون المراد عامة المكفار كأنه قال ان يتبع الكافرون الا الظن
 (المسئلة الثانية) ما معنى الظن وكيف ذمهم به وقدوجب علينا اتباعه في افقه وقال
 صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى أنا عند ظن عبدي فنقول اما الظن فهو خلاف العلم

(ان يتبعون) التثان
 الى القبيصة للإيدان
 بأن تعدد قبا نحبهم
 اقتضى الاعراض
 عنهم وحكاية جنائياتهم
 لغيرهم أي ما يتبعون
 فيما ذكر من التسمية
 والعمل بوجوبها
 (الا ظن) الاتوهم
 أن ما هم عليه حق
 توهمها باطلا (وما
 تهوى النفس) أي
 تشبهه أنفسهم الامارة
 بالسوء (واقد جاءهم
 من ربهم الهدى)
 قبل هي حال من فاعل
 يتبعون أو اعتراض
 وأيا ما كان فقيه تأكيد
 لبطان اتباع الظن
 وهوى النفس وزيادة
 تقبيح لحسا لهم فان
 اتباعهم من أي شخص
 كان قبيح وعن هدا
 الله تعالى بارسال
 الرسول صلى الله عليه
 وسلم وانزال الكتاب أفتح

وقد استعمل مجازا مكان العلم والعلم مكانه وأصل العلم الظهور ومنه العلم والعالم وقد بينا
 في تفسير العالمين أن حروف علم في تعاليتها فيها معنى الظهور ومنها لمع الآل اذا ظهر
 وميض السراب ولمع الغزال اذا عدا وكذا النعام وفيه الظهور وكذلك علمت والظن اذا
 كان في مقابلة العلم ففيه الخفاء ومنه يترطون لا يدري أفيها ماء أم لا ومنه الظنين
 المتهم لا يدري ما يظن نقول يجوز بناء الامر على الظن الغالب عند العجز عن درك اليقين
 والاعتقاد ليس كذلك لان اليقين لم يتعذر علينا والى هذا أشار بقوله ولقد جاءهم من
 ربهم الهدى أى اتبعوا الظن وقد أمكنهم الأخذ باليقين و في العمل يمتنع ذلك أيضا
 (المسئلة الثالثة) ما في قوله تعالى وما نهوى الانفس خيرية أو مصدرية نقول فيه
 وجهان (أحدهما) مصدرية وكأنه قال ان يتبعوا الا الظن وهوى الانفس فان
 قيل ما الفائدة في العدول عن صريح المصدر الى الفعل مع زيادة ما فيه تطويل نقول
 فيه فائدة وانها في أصل الوضع ثم نذكرها هنا فنقول اذا قال العائل أعجبتني صنعك يعلم
 من الصيغة أن الإعجاب من مصدر قد تحقق وكذلك اذا قال أعجبتني ما تصنع يعلم أن الإعجاب
 من مصدر هو فيه فلو قال أعجبتني صنعك وله صنع أمس وصنع اليوم لا يعلم أن المعجب
 أى صنع هو اذا علمت هذا فنقول ههنا قوله وما نهوى الانفس يعلم منه أن المراد انهم
 يتبعون ما نهوى أنفسهم في الحال والاستقبال اشارة الى انهم ليسوا بثابتين على ضلال
 واحد وما هوت أنفسهم في الماضي شيئا من أنواع العبادة فالترنوا به وداموا عليه بل
 كل يوم هم يستخرجون عبادة واذا انكسرت أصنامهم اليوم أتوا بغيرها غدا وغيروا
 وضع عبادتهم بمقتضى شهواتهم اليوم (ثانيهما) انها خبرية تقديرية والذي تشبهه
 أنفسهم والفرق بين المصدرية والخبرية ان المتبع على الاول الهوى وعلى الثاني مقتضى
 الهوى كما اذا قلت أعجبتني مصنوعك (المسئلة الرابعة) كيف قال وما نهوى الانفس بلفظ
 الجمع مع انه لا يتبعون ما نهوا كل نفس فان من النفوس ما لا نهوى ما نهوا غيرها
 نقول هو من باب مقابلة الجمع بالجمع معناه اتبع كل واحد منهم ما نهوا نفسه يقال خرج
 الناس بأهلهم أى كل واحد بأهله لا كل واحد بأهل الجمع (المسئلة الخامسة) بين لنا
 معنى الكلام جملة نقول قوله تعالى ان يتبعوا الا الظن وما نهوى الانفس أمران
 مذكورين يحتمل أن يكون ذكرهما لأمريين تقديرين يتبعون الظن في الاعتقاد
 ويتبعون ما نهوى الانفس في العمل والعبادة وكلاهما فاسدان الاعتقاد ينبغي أن
 يكون مبناه على اليقين وكيف يجوز اتباع الظن في الامر العظيم وكما كان الامر أشرف
 وأخطر كان الاحتياط فيه أوجب وأحذر وأما العمل بالعبادة مخالفة للهوى فكيف
 تبني على متابعتها ويحتمل أن يكون في أمر واحد على طريقة الغزل درجة فقال ان
 يتبعون الا الظن وما نهوى الانفس أى وما دون الظن لان القرونة نهوى ما لا يظن به
 خير وقوله تعالى ولقد جاءهم من ربهم الهدى اشارة الى أنهم على حال لا يعتد به لان

الدين مقدور عليه وتنفق بجنى الرسل * وانهدى فيه وجوه ثلاثة (الاول) القرآن
 (الثاني) الرسل (الثالث) المعجزات * ثم قال تعالى (أم الانسان ما كفى) المشهور ان أم
 منقطة معناه الانسان ما اختاره واشتهاه وفي مائتي وجوه (الاول) الشفاعة
 تمنوها وليس اهم شفاعة (الثاني) قواهم * ثم جئت الى ربي انى عند الحسنى (الثالث)
 قول الوليد بن المغيرة لا وتين مالا وورسا (الرابع) تنى جماعة أن يكونوا أنبياء ولم تحصل
 لهم تلك الدرجة الرفيعة فان قلت هل يمكن أن تكون لهم ههنا متصلة نقول نعم وبالجملة
 الاولى حينئذ نحتمل وجهين (أحدهما) انها مذكورة في قوله تعالى ألكم الذكر وله
 الانثى كله قال ألكم الذكر وله الانثى على الحقيقة أو يجعلون لانفسكم ما تشتهون
 وتتمون وعلى هذا فقولنا انك اذا فسدت ضيرى وغيره اجل اعترضت بين كلامين متصلين
 (ثانيهما) انها مخدوفة وتقرير ذلك هو اننا بيننا قوله أقرأ بتم لبيان فساد قواهم
 والاشارة الى ظهور ذلك من غير دليل كما اذا قال قائل فلا يصلح للملك فيقول آخر ثلاث
 أمارات هذا الذى يقوله فلان ولا يذكر انه لا يصلح للملك ويكون مراده ذلك فيذكره
 وحده منبها على عدم صلاحه فتم ههنا قال تعالى أقرأ بتم اللات والعزى أى يستحقان
 العبادة أم للانسان أن يعبد ما يشتهي طبعه وان لم يكن يستحق العبادة وعلى هذا فقولنا
 أم للانسان أى هل له أن يعبد بالتمنى والاشتهاء ويؤيد هذا قوله تعالى وما تهوى الانفس
 أى عبادته تهوى أنفسكم ما لا يستحق العبادة فهل لكم ذلك * ثم قال تعالى (فقله الآخرة
 والاولى) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) في تعلق الغاء بالكلام وفيه وجوه (الاول) ان
 تقديره الانسان اذا اختار معبودا في دينه على ما يشتهي واشتهاه فقله الآخرة والاولى
 بعاقبه على فعله في الدنيا وان لم يعاقبه في الدنيا بعاقبه في الآخرة وقوله تعالى وكم من ملك
 الى قوله تعالى لا تنفى شفاعتهم يكون مؤكدا لهذا المعنى أى عاقبهم بغير ولا يشفع
 فيهم أحد ولا يفتيهم شفاعة شافع (الثاني) انه تعالى لما بين ان اتخاذ اللات والعزى باتباع
 الظن وهوى الانفس كانه قرره وقال ان لم تعملوا هذا فقله الآخرة والاولى وهذه الاصنام
 ليس لها من الامر شئ فكيف يجوز الاشرار وقوله تعالى وكم من ملك على هذا الوحد
 جواب كلام كانهم قالوا لا نشرك بالله شيئا وانما هذه الاصنام شفعاءنا فانها صور ملائكة
 مقر بين فقال وكم من ملك في السموات لا تنفى شفاعتهم شيئا (الثالث) هذا تسليية كانه
 تعالى قال ذلك لتبني حيث بين رسالته ووحداية الله ولم يؤمنوا فقال لئلا نأس فقله الآخرة
 والاولى أى لا يعجزون الله (الرابع) هو ترتيب حق على دليله بيانه هو أنه تعالى لما بين
 رسالة النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ان هو الاوحى يوحى الى آخره وبين بعض ما جاء
 به محمد صلى الله عليه وسلم وهو التوحيد قال اذا علمتم صدق محمد ببيان رسالة الله تعالى
 فقله الآخرة والاولى لانه صلى الله عليه وسلم أخبركم عن الحشر فهو صادق (الخامس)
 هو ان الكفار كانوا يقولون للمؤمنين أهولاء أهدي منا وقالوا لو كان خيرا ما سبقونا

(أم للانسان ما كفى) أم
 منقطة وما فيها من دل
 الانتقال من بيان ان ما هم
 عليه غير مستند الا الى
 توهمهم وهوى أنفسهم
 الى بيان أن ذلك مما
 لا يجدى نفعا أصلا
 والهمزة للانكار
 والنفى أى ليس للانسان
 كل ما يشتهي ونشئ به
 نفسه من الامور التى
 من جعلها أطماعهم
 الفارغة في شفاعة
 الآلهة ونظارها
 التى لا تكاد تدخل تحت
 الوجود (فقله الآخرة
 والاولى) لتعليل لتفاء
 أن يكون للانسان
 ما يشتهي حتما فان
 اختصاص أمور
 الآخرة والاولى جميعا
 به تعالى مقتضى لتفاء
 أن يكون أمر من الامور

اليه قال تعالى ان الله اختار لكم الدنيا واعطاكم الاموال ولم يعط المؤمنين بعض ذلك الامر بل قلتم لو شاء الله لاغناهم وتحققتم هذه القضية فله الآخرة والاولى فواووا في الآخرة ما قلتم في الدنيا يهدي الله من يشاء كما يهدي الله من يشاء (المسئلة الثانية) الآخرة صفة ما تقول صفة الحياة أو صفة الدار وهي اسم فاعل من فعل غير مستعمل تقول آخرته فآخر وكان من حقه أن تقول فأخر كما تقول غيرته فغير فغنت منه سماعا ولهذا البحث فائدة ستأتي ان شاء الله تعالى (المسئلة الثالثة) الاولى فعلى للتأنيث فالاول اذن افعال صفة وفيه مباحث (الاول) لا بد من فاعل أخذ منه الافعل وانفعلى فان كل فعلى وافعل للتأنيث والتذكير أصل فليؤخذ منه كالفعل والافضل من اغاضلة والغاضل فاذا كان قولهم ههنا أخذ من أصل غير مستعمل كما قلنا ان الآخر فاعل من فعل غير مستعمل وسبب ذلك هو أن كل فعل مستعمل فله آخر وذلك لان له ماضياً فاذا استعملت ماضياً لزم فراغ الفعل والالكان الفاعل بعد في الفعل فلا يكون ماضياً فانك لا تقول لمن هو بعد في الاكل أكل الامتجوزا عندما يتيق له قليل فيقول أكل اشارة الى أن مابقي غير معدية وتقول لمن قرب من الفراغ فرغت فيقول فرغت بمعنى ان مابقي قليل لا يعدية فكان في فرغت وأما الماضي في الحزقة لا يصح الاعتد تمام الشيء والفراغ عنه فاذا للفعل المستعمل آخر فلو كان لقولنا آخر على وزن فاعل فعمل هو آخر بأخر كما أمر يأمر لكان معناه صدر مصدره كجلس معناه صدر الجلوس منه بالتمام والكمال فكان ينبغي أن السائل اذا قال فلان آخر كان معناه وجدته تمام الآخرة وفرغ منها فلا يكون بعده ما يكون آخر الكن تقدم ان كل فعل فله آخر بعده لا يقال بشكل بقولنا تأخر فان معناه صار آخر لاننا نقول وزن الفعل يتأدى على صحة ما ذكرنا فانه من باب التكليف والتكبر اذا استعمل في غير التكبر أى يرى انه آخر وليس في الحقيقة كذلك اذا علمت هذا فنقول الآخر فاعل ليس له فعل ومبالغة بأفعل وهو كقولنا آخر فقلت الهمزة الى مكان الف والالف الى مكان الهمزة فصارت الالف همزة والهمزة ألفا ويدل عليه التأويل في المعنى فان آخر الشيء جزء منه متصل به والآخر مبين عند منفصل والمنفصل بعد المتصل والآخر أشد آخر اعن الشيء من آخره والاول افعال ليس له فاعل وليس له فعل والاول أبعد عن الفعل من الآخر وذلك لان الفعل الماضي علم له آخر من وصفة بالماضي والاول ذلك الوصف للماعلمه آخروا أما الفعل لتفسير كونه فعلا علمه أول لان الفعل لا بد له من فاعل يقوم به أو يوجد منه فاذا الفاعل أو لائم الفعل فاذا كان الفاعل أول الفعل كيف يكون الاول له فعل يوجد منه فلا فعل له ولا فاعل فلا يقال آل الشيء بمعنى سبق كما يقال قال من القول أو نال من النبل لا يقال أن قولنا سبق أخذه منه السابق ومن السابق الاسبق مع ان الفاعل يسبق الفعل وكذلك يقال تقدم الشيء مع ان الفاعل متقدم على الفعل الى غير ذلك نقول اما تقدم قدمضى الجواب عنه في تأخر وأما سبق

وقوله تعالى (وكم من ملك في السموات) * ٧٤٩ * لا تغنى شفاعتهم شيئا) اقناط لهم عما علقوا به اطماعهم

من شفاعة الملائكة
لهم موجب لاقباطهم
من شفاعة الاصنام
بطريق الاول وهو كم
خبرية مفيدة للتكثير
محلهما الرفع على الابتداء
والجبر هي الجملة المنفية
وجمع الضمير في شفاعتهم
مع افراد الملك باعتبار
المعنى أى وكثير
من الملائكة لا تغنى
شفاعتهم عند الله
تعالى شيئا من الاعناء
في وقت من الاوقات
(الامن بعد ان يأذن الله)
لهم في الشفاعة (لمن
يشاء) أن يشفعوا له
(ويرضى) ويراه أهلا
للشفاعة من أهل
التوحيد والايمان
وأمن عداهم من
أهل الكفر والطغيان
فهم من أذن الله تعالى
بعمول وعن الشفاعة
بألف منزل فاذا كان
حال الملائكة في باب
الشفاعة كما ذكر
فاطنهم محال الاصنام

يقول القائل سابقته فسبقته فيجب عنه بان ذلك مقتدر الى أمر يصدر من فاعل
السابق ان استعمل في الاول فهو بطريق المشابهة لا بطريق الحقيقة والفاعل أول
الفعل بمعنى قبل الفعل وليس سابق الفعل لان الفاعل والفعل لا ينسبان فلفاعل
لا يسبقه والذي يوضح ما ذكرنا ان الآخر أبعد من الاول عن الفعل بخلاف الآخر
وما يقان ان أول بمعنى جعل الآخر أولا لاستخراج معنى من الكلام فبعد والام يكن
آخر دونه في افادة ذلك بل التأويل من آل الشيء اذا رجع أى رجعته الى المعنى المراد
وبعد من النقطتين قبل وبعد فان الآخر فاعل من غير فعل والاوّل أفعال من غير فاعل
ولا فاعل وقبل وبعد لا فاعل ولا فاعل فلا يفهم من فعل أصلا لان الاول أول لما قبله من
معنى قبل وليس قبل قبل لما قبله من معنى الاول والآخر آخر لما قبله من معنى بعد وليس
بعد بعد لما قبله من معنى الآخر بذلك عليه انك تعال أحدهما بالآخر ولا تنكسه فتقول
هذا آخر من جاء لانه جاء بعد الكل ولا تقول هو جاء بعد الكل لانه آخر من جاء يؤيده أن
الآخر لا يتحقق الابدعية بخصوصه وهي التي لا بعدية بعدها وبعد ليس لا يتحقق الا
بالآخر فان المتوسط بعد الاول ليس بآخر وهذا البحث من ابحاث الزمان ومنه يعلم معنى
قوله صلى الله عليه وسلم لا تنسبوا الدهر أى الدهر هو الذى يفهم منه القبلية والبعدية والله
تعالى هو الذى يفهم منه ذلك والبعدية والقبلية حقيقة لا يثبت الله ولا مفهومة للزمان
الامابة القبلية والبعدية فلا تنسبوا الدهر فان ما تفهمونه منه لا يتحقق الا فى الله والله
ولولاه لما كان قبل ولا بعد (البحث الثانى) ورد فى كلام العرب الاولة تأنيث الاول هو
ينافيه صحة استعمال الاولى لان الاولى تدل على ان الاول أفضل للتفضيل وأفضل
للتفضيل لا يلحقه تاء التأنيث فلا يقال زيد اعلم وزيد اعلم لسبب بطول ذكره وسنذكره
فى موضع آخر ان شاء الله تعالى نقول الجواب عنه هو ان أول لما كان أفضل وليس له
فاعل شابه الاربع والارب فجاز الحاق التاء به ولما كان صفة شابه الاكبر والصغر فتدل
أولى (المسئلة الرابعة) أولى تدل على ان أول لا ينصرف فكيف يقال أفعله أولا ويقال
جاء زيد أولا وعمر وثانيا فان قيل جاز فيه الامر ان يناء على أوله وأولى فمن قال بأن تأنيث
أول أوله فهو كالاربع والاربعة فجاز التنوين ومن قال أولى لا يجوز نقول اذا كان
كذلك كان الاشهر ترك التنوين لان الاشهر أن تأنيثه أولى وعليه استعمال القرآن
فاذن الجواب ان عند التأنيث الاول ان يقال أولى نظرا الى المعنى وعند العرب أوله لانه
هو الاصل ودل عليه دليل وان كان أضعف من الغير وربما يقال بان منع الصرف من
أفضل لا يكون الا اذا لم يكن تأنيثه الا فاعلى وأما اذا كان تأنيثه بالتاء أوجاز ذلك فيه
لا يكون غير منصرف * ثم قال تعالى (وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا) الا من
بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى) وقد علم وجه تعلقها بما قبلها فى الوجوه المقدمة فى
قوله تعالى فله الآخرة ان قلنا ان معناه ان اللات والعزى وغيرهما ليس لهم من الامر

شيء فله الآخرة والاولى فلا يجوز اشراكهم فيقوانون نحن لانشارك بالله شيئا وانما
نقول هؤلاء شفعاؤنا فقال كيف تشفع هذه ومن في السموات لا يملك الشفاعة فيه مسائل
(المسئلة الاولى) كم كلمة تستعمل في المقادير اما لاستنباتاتها فتكون استفهامية كقولك
كم ذراعا طوله وكم رجلا جالك أي كم عدد الجائين تسنين المقدار وهي حينئذ مثل كيف
لاستنبات الاحوال واي لاستنبات الافراد واما لاستنبات الحقائق واما لبيانها على اجمال
فتكون خبرية كقولك كم رجل اكرمني أي كثير منهم أكرموني غير ان عليه أسئلة
(الاول) لم لم يجز ادخال من على الاستفهامية وجاز على الخبرية (الثاني) لم نصب بميز
الاستفهامية وجر الذي للخبرية (الثالث) هي تستعمل في الخبرية في مقابلة رب فلم جعل
اسما مع ان رب حرف أما الجواب عن الاول فهو ان من يستعمل في الموضع المتعين
بالاضافة نقول خاتم من فضة كما نقول خاتم فضة ولما تضاف في الاستفهامية لم يجز
استعمال ما يضاهد وسنين هذا الجواب والجواب عن السؤال الثاني هو ان نقول ان
الاصل في الميز الاضافة وعن الثالث هو ان كم يدخل عليه حرف الجر فنقول الى كم نصبر
وفي كم يوم جئت وبكم رجل مررت ومن حيث المعنى ان كم اذا قرن بها من وجهين مميزة
جعا كما في قول القائل كم من رجال خدمتهم يكون معناه كثير من الرجال خدمتهم
ورب وان كانت للتقليل لكن لا تقوم مقام القليل فلا يمكن ان يقال في رب انها عبارة عن
قليل كما قلنا في كم انه عبارة عن كثير (المسئلة الثانية) قال شفاعتهم على عود الضمير
الى المعنى ولو قال شفاعته لكان العود الى اللفظ فيجوز ان يقال كم من رجل رأيت
وكم من رجل رأيتهم فان قلت هل بينهما فرق معنوي قلت نعم وهو انه تعالى لما قال لا تغني
شفاعتهم بمعنى شفاعة الكل ولو قال شفاعته لكان معناه كثير من الملائكة كل واحد لا تغني
شفاعته فر بما كان يحظر يبال أحدان شفاعتهم تغني اذا اجتمعت وعلى هذا في الكلام
أمر كل ما تشير الى عظام الامر (أحدها) كم فانه للتكثير (ثانيها) لفظ الملك فانه أشرف
أجناس المخلوقات (ثالثها) في السموات فانها اشارة الى علو منزلاتهم ودنوا منزلتهم من مقر
السعادة (رابعها) اجتماعهم على الامر في قوله شفاعتهم وكل ذلك لبيان فساد قولهم ان
الاصنام يشفعون أي كيف تشفع مع حقارتها وضعفها ودناءة منزلتها فان الجماد أخس
الاجناس والملائكة أشرفها وهم في أعلى السموات ولا تقبل شفاعة الملائكة فكيف
تقبل شفاعة الجمادات (المسئلة الثالثة) ما الفائدة في قوله تعالى كم من ملك بمعنى كثير من
الملائكة مع ان كل من في السموات منهم لا يملك الشفاعة نقول المقصود الرد عليهم في
قولهم هذه الاصنام تشفع وذلك لا يحصل ببيان ان ملكا من الملائكة لا تقبل شفاعة
فا كتني بذكر الكثير ولم يقل ما منهم أحد يملك الشفاعة لانه أقرب الى المنازعة فيه
من قوله كثير مع ان المقصود حاصل به ثم ههنا بحث وهو ان في بعض الصور تستعمل
صيغة العموم والمراد الكثير وفي البعض يستعمل الكثير والمراد الكل وكلاهما على

طريقة واحدة وهو استقلال الباقي وعدم الاعتداد في قوله تعالى تدمر كل شيء كانه
يخرج الخارج عن الحكم غير ملتفت اليه وفي قوله تعالى وكم من ملك وقوله بل أكثرهم
لا يعلمون وقوله أكثرهم بهم مؤمنون يجعل المخرج غير ملتفت اليه فيجعل كأنه ما أخرجه
كالأمر الخارج عن الحكم كأنه ما خرج وذلك يختلف باختلاف المقصود من الكلام
فإن كل الكلام مذكورا لا مرفقته يبالغ يستعمل الكل مثاله يقال للملك كل الناس
يدعون لك إذا كان الغرض بيان كثرة الداء له لا غير وإن كان الكلام مذكورا
لا مرفق خارج عنه لا يبالغ فيه لأن المقصود غيره فلا يستعمل الكل مثاله إذا قال الملك لمن
قال له اغتتم دعائي كثير من الناس يدعون لي إشارة إلى عدم احتياجه إلى دعائه لا بيان
كثرة الداء له فكذلك ههنا (المسألة الرابعة) قال لا تغني شفاعتهم ولم يقل لا يشفعون
مع أن دعواهم إن هؤلاء شفعوا لنا لأن شفاعتهم تنفع أو تغني وقال تعالى في مواضع
آخر من ذا الذي يشفع عنده الأبدان في الشفاعة بدون الأذن وقال ما لهم من ولي ولا
شفيع أني الشفيع وههنا في الأغناء يقولون هم كانوا يقولون هؤلاء شفعوا لنا وكانوا
يعتقدون نفع شفاعتهم كما قال تعالى ليقر بونا إلى الله زاني يقولون في دعواهم يشتم على
فائدة عظيمة أمانتي دعواهم لأنهم قالوا الأصنام تشفع لنا شفاعة مقر به مغنية فقال لا تغني
شفاعتهم بدليل أن شفاعة الملائكة لا تغني وأما الفائدة فلأنه لما استثنى بقوله الأمن بعد
أن يأذن الله أي فيشفع ولكن لا يكون فيه بيان أنها تقبل وتغني أولا تقبل فإذا قال
لا تغني شفاعتهم ثم قال الأمن بعد أن يأذن الله فيكون معناه تغني فيحصل البشارة لأنه
تعالى قال الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به
ويستغفرون للذين آمنوا وقال تعالى ويستغفرون لمن في الأرض والاستغفار شفاعة
وأما قوله من ذا الذي يشفع عنده الأبدان فليس المراد في الشفاعة وقبولها كافي هذه
الآية حيث رد عليهم قولهم وإنما المراد عظيمة الله تعالى وأنه لا ينطق في حضرته أحد
لا يتكلم كما في قوله تعالى لا يتكلمون الأمن بعد أن يأذن الله لمن يشاء (المسألة
الخامسة) اللام في قوله لمن يشاء ويرضى تحتل وجهين (أحدهما) أن تتعلق بالأذن
وهو على طريقين (أحدهما) أن يقال الأمن بعد أن يأذن الله لمن يشاء من الملائكة في
الشفاعة لمن يشاء الشفاعة ويرضى (الثاني) أن يكون الأذن في المشفوع له لأن الأذن
حاصل للكل في الشفاعة للمؤمنين لأنهم جميعهم يستغفرون لهم فلامعنى التخصيص
ويمكن أن يتراع فيه (وثانيهما) أن تتعلق بالأغناء يعني الأمن بعد أن يأذن الله لهم في
الشفاعة فتغني شفاعتهم لمن يشاء ويمكن أن يقال بأن هذا بعيد لأن ذلك يقتضي أن تشفع
الملائكة والأغناء لا يحصل إلا من يشاء فيحجب عنه بأن فيه التنبيه على معنى عظيمة الله تعالى
فإن الملك إذا شفع فآله تعالى على مشيئته بعد شفاعتهم يغفر لمن يشاء (المسألة السادسة)
ما الفائدة في قوله تعالى ويرضى تقول فيه فائدة الإرشاد وذلك لأنه لما قال لمن يشاء كان

المكلف مترددا لا يعلم مشيئته فقال يرضى ايعلم انه العابد الشاكر للمعاند الكافر فانه
تعالى قال ان تكفروا فان الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه
لكم فكذا قال لمن يشاء ثم قال و يرضى بيانا لمن يشاء وجواب آخر على قولنا لا تغنى
شفاعتهم شيئا من يشاء هو ان فاعل يرضى المدلول عليه لمن يشاء كانه قال و يرضى هو اى
تغنيه الشفاعة شيئا صالحا فيحصل به رضاه كما قال و يرضى هو اى تغنيه الشفاعة وحينئذ
يكون يرضى للبيان لانه لما قال لا تغنى شفاعتهم اشارة الى نفي كل قليل وكثير كان اللازم
عنده بالاستثناء ان شفاعتهم تغنى شيئا ولو كان قليلا و يرضى المشفوع له ليعلم انها تغنى
أكثر من اللازم بالاستثناء ويمكن أن يقال و يرضى لتبيين ان قوله يشاء ليس المراد المشيئة
التي هي الرضا فان الله تعالى اذا شاء الضلالة بعبد لم يرض به واذا شاء الهداية يرضى فقال
لمن يشاء و يرضى ليعلم ان تلك المشيئة ليست هي المشيئة العامة انما هي الخاصة * ثم قال
تعالى (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الانبيى) وقد بينا ذلك فى
سورة الطور واستدلنا بهذه الآية ونذكر ما يقرب منه ههنا فقول الذين لا يؤمنون
بالآخرة هم الذين لا يؤمنون بالرسول ولا يتبعون الشرع وانما يتبعون ما يدعون انه
عقل فيقولون اسماء الله تعالى ليست توقيفية ويقولون الولد هو الوجود من الغيب
و يستدلون عليه بقول اهل اللغة كذا يتولد منه كذا يقال الزاج يتولد من الآخر بمعنى
يوجد منه وكذا القول فى بنت الكرم وبنت الحبل نعم قالوا الملائكة وجدوا من الله
تعالى فهم اولاد بمعنى الاجداد ثم انهم رأوا فى الملائكة ناء التأنيث وصح عندهم
ان يقال سجدت الملائكة فقالوا بنات الله فقال ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون
الملائكة تسمية الانبيى اى كاسمى الاناث بنات وفيه مسائل (المسئلة الاولى) كيف يصح
ان يقال انهم لا يؤمنون بالآخرة مع انهم كانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وكان
من عادتهم أن يربطوا امر كعبا على قبر من يموت ويعتقدون انه يحشر عليه فقول
الجواب عنه من وجهين (احدهما) انهم لما كانوا لا يجزمون به كانوا يقولون لاحشر
فان كان قلنا شفعا يدل عليه قوله تعالى وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي
ان لى عنده للحسنى (ثانيهما) انهم ما كانوا يعترفون بالآخرة على الوجه وهو ما ورد به
الرسول (المسئلة الثانية) قال بعض الناس اننى فعلى من افعال يقال فى فعلها آتت ويقال
فى فاعلها أتيت يقال حديد ذكر وحديد أنثى والحق أن الانثى يستعمل فى الأكثر
على خلاف ذلك بدليل جمعها على اناث (المسئلة الثانية) كيف قال تسمية الانبيى ولم يقل
تسمية الاناث تقول عنه جوابان (احدهما) ظاهر والآخر دقيق اما الظاهر فهو ان المراد
بيان الجنس وهذا اللفظ اليق بهذا الموضع للمجاء على وقته آخر الآيات والدقيق هو
انه لو قاله يسمونهم تسمية الاناث يحتمل وجهين احدهما البنات وثانيهما الاهلام
المعتادة للاناث كعائشة وحفصة فان تسمية الاناث كذلك تكون فاذا قال تسمية الانبيى

(ان الذين لا يؤمنون
بالآخرة) وبما فيها
من العقاب على ما
يتعاطونه من الكفر
والمعاصى (ليسمون
الملائكة) المزهين
عن سمات نقصان
على الاطلاق اى
يسمون كل واحد منهم
(تسمية الانبيى) فان
قولهم الملائكة بنات
الله قول منهم بان
كلامهم بئس سبحانه
وهى التسمية بالانبيى
وفى تعليلها عدم الايمان
بالآخرة اشعار بانها فى
الشناعة والفظاعة
واستنباع العقوبة فى
الآخرة بحيث
لا يجترئ عليها الا من
لا يؤمن بها رأسا

نعين ان تكون للجنس وهي البنت والبنات ومناسبة هذه الآية لما قبلها هي انهم لما
 قيل لهم ان الصنم جاد لا يشفع وبين لهم ان أعظم أجناس الخلق لا شفاعته لهم
 الا بالاذن قالوا نحن لانعبد الاصنام لانها جادات وانما نعبد الملائكة بعبادتها فانها على
 صورها ننصبها بين أيدينا لئلا نكرنا الشاهد الغائب فعظم الملك الذي ثبت انه مقرب
 عظيم الشأن رفيع المكان فقال تعالى رداعليهم كيف تعظمونهم وأنتم تسمونهم تسمية
 الاناث ثم ذكر فيه مستندهم في ذلك وهو فظ الملائكة ولم يقل ان الذين لا يؤمنون
 بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى بل قال ليسمون الملائكة فانهم اغتروا بالنساء
 واغترزهم باط لان التاء نجى المعاني غير التأنيث الحقيقي والتاء لا تطلق الا على المؤنث
 الحقيقي بالاطلاق واتاء فيها لتأكيد معنى الجمع كما في صياقته وهي تشبه تلك التاء
 وذلك لان الملائكة في المشهور جمع ملك والملاك اختصار من الملائكة بخذف الهمزة
 والملاك قلب المالك من الالوكة وهي الرسالة فالملائكة على هذا اقول مقابلة ولاصل
 مفاعل ورد الى ملائكة في الجمع فهي تشبه فمائل وفمالة والظاهر ان الملائكة فعالة
 جمع ملكي منسوب الى الملك بدليل قوله تعالى عند ملك مقدر في وعد المؤمن وقال
 في وصف الملائكة فالذين عند ربك وقال ايضا في الوعد وان له عندنا لاني وقال في وصف
 الملائكة ولا الملائكة لفرعون فهم اذن عباد مكرمون اختصهم الله بزيد قرب
 ويفعلون ما يؤمرون كأمير الملوك والمستخدمين عند السلاطين الواقفين بأبوابهم
 منتظرين أو رواد أمر عليهم فهم منتسبون الى الملك المقدر في الحل فهم ملكيون
 وملائكة فالهاء للنسبة في الجمع كما في الصيارفة والبيطرة فان قبل هذا باطل من وجوه
 (الاول) ان احدا لم يستعمل لواحد منهم ملكي كما استعمل صير في (والثاني) ان الانسان
 عندما يصير عند الله تعالى يجب أن يكون من الملائكة وليس كذلك لان المفهوم من
 الملائكة جنس غير الآدمي (الثالث) هو ان فعالة في جمع فعيل لم يسم وانما يقال فعلة
 كما يقال جاء بالنعمة والحفيضة (الرابع) لو كان كذلك لما جمع ملك * نقول اما عدم
 استعمال واحده فسلم وهو لسبب وهو ان الملك كلما كان أعظم كان حكمه وخدمته
 وحشمه أكثر فاذا وصف بالفضيلة وصف بالجمع فيقال صاحب العسكر الكثير ولا يوصف
 بواحد وصف تعظيم وأما ذلك الواحد فان نسب الى الملك عين الخبر بأن يقال هذا ملكي
 وفلك عند ما تعرف عينه فيجعله مبتدأ وخبر بالملكي عنه والملائكة لم يعرفوا بأعيانهم
 الا قليلا منهم كجبريل وميكائيل وحيتند لأفائدة في قولنا جبريل ملكي لان من عرف
 المبتدأ عرف الخبر ولا يصاغ الجمل الا لبيان ثبوت الخبر للمبتدأ فلا يقال للانسان حيوان
 أو جسم لانه اوضح واضمح الالهم الآن يستعمل ذلك في ضرب مثال وفي صورة نادرة
 لغرض واما أن ينسب الى الملك وهو مبتدأ فلا لان العظمة في أن يقول واحد من
 الملائكة فنبه على كثرة المقرين اليه كما تقول واحد من أصحاب الملك ولا تقول صاحب

وقوله تعالى (وماله من به
 من علم) حال من فاعل
 يسمون أي يسمونهم
 والحال أنه لا علم لهم
 بما يقولون أصلا
 وقرئ بها أي بالملائكة
 أو بالتسمية (ان يسمون)
 في ذلك (الالطن)
 انما سد (وان الظن)
 أي جنس الظن كما يوضح
 به الاظهار في موقع
 الاختصار (لا يعني من الحق
 شيئا) من الاغناء فان
 الحق الذي هو عبارة
 عن حقيقة الشيء
 لا يدرك الا بالعلم والظن
 لا اعتداده في شأن
 المعارف الحقيقية وانما
 يعتد به في العمليات
 مما يؤدى اليها

الملك فاذا اردت التعظيم البالغ فعند الواحد استعمل اسم الملك غير منسوب بل هو موضوع لشدته وقوته كما قال تعالى ذو قرة وذوقوه فقال شديد القوى وم ل ك تدل على الشدة في تقاليلها على ما عرف وعند الجميع استعمل الملائكة للتعظيم كما قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو واما الجواب عن الثاني فنقول قد يكون الاسم في الاول بوصف يختص به من يتصف به وغيره لو صار متصفا بذلك الوصف يسمى بذلك الاسم كالدابة فاعلة من دب ولا يقال للمرأة ذات الدب دابة اسما ور بما يقال لها صفة عند حالة ما تدب بدب مخصوص غير الدب العام الذي في الكل كما وردت بدليل لاخذ شيء أو غيره أو يقال انما سميت الملائكة ملائكة لطول انسابهم من قبل خلق آدمي بسنين لا يعلم عددها الا الله فمن لم يصل الى الله ويقوم بآية لا يحصل له العهد والانساب فلا يسمى بذلك الاسم واما عن الثالث فنقول الجموع انما سميت لانها كعمال في جمع فعل كعمال وثمار وافعال كاتقال وأشجار وفعلان وغيرها واما السماع وان لم يرد الاقبلا فاكثرت في ما فيه من التعظيم من نسبة الجمع اكثير الى باب الله ويكون من باب المرأة والنساء واما الجواب عن الرابع فالمنع ولعل هدامته أو يقول جل فعيل على فعل في الجمع كما جعل فعيل في الجمع على فعل قيل في جمع جيد جباد ولا يقال في فعل افاعل ويؤيد ما ذكرنا ان ابلis عندما كان واقفا بالباب كان داخل في جملة الملائكة فنقول قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس عند ما صرف وأبعد خرج عنهم وصار من الجن واما ما قاله بعض أهل اللغة من أن الملائكة جمع ملائك وأصل ملائك ملائك من الأتوكه وهي الرسالة ففيه تعسفات أكثر مما ذكرنا بكثير منها ان الملك لا يكون فعل بل هو مفعول وهو خلاف الظاهر ولم يستعمل ملائك على أصله كما رب وما تم وما كل وغيرها مما لا يعد الابتساف ومنها ان ملكا لم يجعل ملائك لم يفعل ذلك باخوانه التي ذكرناها ومنها ان التأء لم الحقت بجمع ولم يقل ملائك كما في جمع كل مفعول والذي يرد قولهم قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا فهي غير الرسل فلا يصح أن يقال جعلت الملائكة رسلا كما لا يصح جعلت الرسل مرسلين وجعل المقرب قرية الان جعل لا بد فيه من تغيير ومما يدل على خلاف ما ذكرنا ان الكل منسوبون اليه موقوفون بين يديه منتظرون امره لورود الاوامر عليهم * ثم قال تعالى (وما لهم به من علم ان ينبئوا الا الظن) وفيما يعود اليه الضمير في به وجوه (أحدها) ما نقله الزمخشري وهو انه عائد الى ما كانوا يقولون من غير علم (ثانيها) انه عائد الى ما تقدم في الآية المقدمة من علم أي ما لهم بالله من علم فيشير كون وقرى ما لهم بها وفيه وجوه أيضا (أحدها) ما لهم بالآخرة (ثانيها) ما لهم بالتسمية (ثالثا) ما لهم بالملائكة فان قلنا ما لهم بالآخرة فهو جواب لما قلنا انهم وان كانوا يقولون بأن الاصنام شفعوا عند الله وكانوا يرطون الابل على قبور الموتى ليركبوها لكن ما كانوا يقولون به عن علم وان قلنا بالتسمية ففيه اشكال وهو ان العلم

(فاعرض عن تولي
عن ذكرنا) أي عنهم
ووضعت الموصول
موضع ضميرهم للتوسل به
الى وصفهم بما في خبر
صته من الاوصاف
التي يحجبها وتعليل الحكم
بها أي فاعرض عن
أعرض عن ذكرنا
المعقد للعلم اليقيني وهو
القرآن المنظوم على
علوم الاولين والآخرين
المدكر لأمور الآخرة
أو عن ذكرنا كما ينبغي
فان ذلك مستبعد لذكر
الآخرة وما فيها
من الامور المرغوب
فيها والمروء عنها
(لم يرد الا الحياة الدنيا)
راضيا بما قاصر انظره
عليها والمراد

بالسمية حاصل لهم فانهم يعلمون انهم ليسوا في شك اذا التسمية قد تكون وضعا اوليا
وهو لا يكون بالظن بل بالعلم بأنه وضع وقد يكون اسما لا معنويا ويظهر الى الكذب
والصدق والعلم مثال الاول من وضع أو لا اسم السماء لموضوعها وقال هذا سماه مثال
الثاني اذا قلنا بعد ذلك للهاء والحجر هذا سماه فانه كذب ومن يعتقد فهو جاهل وكذلك
قولهم في الملائكة انها بنات الله لم تكن تسمية وضعية وانما أرادوا به انهم موصوفون
بامر يجب استعمال لفظ البنات فيهم وذلك كذب ومعتقد جاهل فهذا هو المراد بما
ذكرنا ان الظن يتبع في الامور المصلحية والافعال العرفية أو الشرعية عند عدم الوصول
الى اليقين واما في الاعتقادات فلا ينبغي الظن شيئا من الحق فلن قيل ليس الظن قد يصيب
فكيف يحكم عليه بانه لا ينبغي أصلا نقول المكلف يحتاج الى يقين تميز الحق من الباطل
ليعتقد الحق ويميز الخير من الشر ليعمل الخير لكن في الحق ينبغي ان يكون جازما لا اعتقاد
مطابقه والظن لا يكون جازما وفي الخير ربما يعتبر الظن في مواضع ويحتمل أن يقال
المراد من الحق هو الله تعالى ومعناه ان الظن لا يفيد شيئا من الله تعالى أي الاوصاف
الالهية لاستحقاق بالظن يدل عليه قوله تعالى ذلك بان الله هو الحق وفيه اطمينة وهي
ان الله تعالى في ثلاثة مواضع منع من الظن ووجه جمع تلك المواضع كان المنع عقيب
التسمية والسماء باسم موضعان منها في هذه السورة (أحدهما) قوله تعالى ان هي
الاسماء سميت موهما اتم وآياتكم ما انزل الله بها من سلطان ان يذعنوا الا بالظن (والثاني)
قوله تعالى ان يذعنوا الا بالظن وان الظن لا يغني عن الحق شيئا (والثالث) في الحجرات
قال الله تعالى ولا تتنازروا بالاغاب يس اسم الغسق بعد الايمان ومن لم يذب فاولئك
هم الظالمون يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من امراض عقيب الدعا بالقلب وكل ذلك
دليل على ان حفظ الاسماء الى ما حفظ غيره من الاركان وان الكذب اقبح من
البنات الظاهرة من الايدي والارجل هذه المواضع الثلاثة (أحدها) مدح من
لا يستحق المدح كاللات والعزى من العزى (وثانيها) ذم من لا يستحق الذم وهم الملائكة
الذين هم عباد الرحمن يسمونهم تسمية الانبيى (وثالثها) ذم من لم يعلم حاله وأما مدح من حاله
لا يعلم فلم يقل فيه لا يذعنون الا بالظن بل الظن فيه معتبر والاحذ بظواهر حال العاقل واجب
ثم قال تعالى (فأعرض عن تولي عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا) أي اترك مجادلتهم
فقد بلغت وأنت بما كان هلك وأكثر المفسرين يقولون بان كل ما في القرآن من قوله
تعالى فأعرض منسوخ بآية القتال وهو باطل فان الامر بالاعراض موافق لآية
القتال فكيف ينسخ به وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم كان مأمورا بالدعا بالحكمة
والموعظة الحسنة فلما عارضوه باباطيلهم قبل له وجادلهم بالتي هي أحسن ثم لما لم ينفع
قاله ربه فأعرض عنهم ولا تقابلهم بالدليل والبرهان فانهم لا يذعنون الا بالظن ولا يذعنون
الحق وقابلهم بالاعراض عن المناظرة بشرط جواز المناظرة فكيف يكون منسوخا

التي عن دعوته
والاعتناء بشانه فان
من أعرض عما ذكر
وانهمك في الدنيا
بحيث كانت هي مذهبي
همنه وقصارى سعيه
لا تزيد الدعوة الى
خلافها الاعنادا
واصرارا على الباطل
(ذلك) أي ما أدهم
الى ما هم فيه من التولي
وقصر الارادة على
الحياة الدنيا (يلغهم
من العلم) لا يكادون
يتجاوزونه الى غيره حتى
تجسد بهم الدعوة
والارشاد وجمع الضمير
في مبلغهم باعتبار معنى
من كما أن افراده فيما
سبق باعتبار لفظها
والمراد بالعلم مطلق
الادراك

والاعراض من باب أشكاه والهمزة فيه للسلب كأنه قال ازل العرض ولا تعرض عليهم
 بعد هذا أمرا وقوله تعالى عن تولى عن ذكرنا لبيان تقديم فائدة العرض والمناظرة
 لأن من لا يصحى إلى القول كيف يفهم معناه وفي ذكرنا وجوه (الاول) القرآن (الثاني)
 الدليل والبرهان (الثالث) ذكر الله تعالى فإن من لا ينظر في الشيء كيف يعرف صفاته
 وهم كانوا يقولون نحن لا نتفكر في آلاء الله لعدم تعلقنا بالله وإنما أمرنا مع من خلفنا وهم
 الملائكة أو الدهر على اختلاف أقوالهم وتباين أبيابيلهم وقوله تعالى ولم يرد إلا الحياة
 الدنيا إشارة إلى انكارهم الخسر كما قالوا ان هي إلا حياتنا الدنيا وقال تعالى أَرْضَيْتُمْ
 بالحياة الدنيا يعني لم يثبتوا ورادها شيئا آخر يملكون له بقوله عن تولى عن ذكرنا إشارة
 إلى انكارهم الخسر لانه اذا ترك النظر في آلاء الله تعالى لا يعرفه فلا يتبع رسوله فلا ينفعه
 كلامه واذا لم يقل بالخسر والحساب لا يخاف فلا يرجع عما هو عليه فلا يبقى اذن فائدة في
 الدعاء واعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان طبيب القلوب فأتى على ترتيب الاطباء
 وترتيبهم ان الحال اذا أمكن اصلاحه باخذاء لا يستعملون لدواء وما أمكن اصلاحه
 بالدواء الضعيف لا يستعملون الدواء القوي ثم اذا عجزوا عن المداواة بالشروبات وغيرها
 عدلوا إلى الحديد والكي وقيل آخر الدواء النكي فأتى صلى الله عليه وسلم أولا أمر
 القلوب بذكر الله فحسب فان بذكر الله تعاضل القلوب كما ان باخذاء تطمئن النفوس فالدكر
 غذاء القلب وهذا قال أولا قولوا لا اله الا الله لا اله الا الله لا اله الا الله لا اله الا الله
 فمن انتفع ومن لم ينتفع ذكر لهم الدليل وقال أولم يتفكروا قل انظروا أفلا ينظرون إلى ضرب
 ذلك ثم أتى بأوعيد والتهديد فلما لم ينفعهم قال أعرض عن المعالجة واقطع الفساد لئلا
 يفسد الصالح * ثم قال تعالى (ذلك مبغى من العلم) ذلك فيه وجوه (الاول) أنظرها
 انه عالم إلى الظن أي غاية ما يبلغون به انهم يأخذون بالظن (وثانيتها) إشار الحياة الدنيا
 مبغى من العلم أي ذلك الاشارة غاية ما بلغوه من العلم (ثالثها) فأعرض عن تولى وذلك
 الاعراض غاية ما بلغوه من العلم والعلم على هذا يكون المراد منه العلم بالعلوم وتكون
 الآلاف والالام للتعريف والعلم بالعلوم هو ما في القرآن وتقرر هذا أن القرآن لما ورد
 بعضهم تلقاء بالقبول وانشرح صدره فبلغ الغاية القصوى وبعضهم قبله من حيث انه
 معجزة واتباع الرسول فبلغ الدرجة الوسطى وبعضهم توقف فيه كإبي طالب وذلك أدنى
 المراتب وبعضهم رده وعابه فالاولون لم يجز الاعراض عنهم والآخرين وجب الاعراض
 عنهم وكان موضع بلوغه من العلم انه قطع الكلام معه وأعرض عنه وعليه سؤال وهو ان
 الله تعالى بين ان غايتهم ذلك ولا يكلف الله نفسا الا وسعها والمجنون الذي لا عقل له والصبي
 لا يؤمر بما فوق احتماله فكيف بعاقبهم الله فنقول ذكر قبل ذلك انهم تولوا عن ذكر الله
 فكان عدم علمهم لعدم قبولهم العلم وانما قدر الله توليهم ليضاف الجهل إلى ذلك فيحقق
 العقاب قال الزمخشري ذلك مبغى من العلم كلام معترض بين كلامين والمتصل قوله

المنظم للظن الفاسد
 والجملة اعتراض مقرر
 لمضمون ما قبلها من
 قصر الارادة على
 الحياة الدنيا وقوله
 تعالى (ان ربك هو اعلم
 بمن ضل عن هديته وهو
 اعلم بمن اهتدى) تعليل
 للأمر بالاعراض
 وتكرير قوله تعالى هو
 اعلم لزيادة التقرر
 والايدان بكه لتباين
 العلومين والمراد بمن
 ضل من أصر عليه
 ولم يرجع إلى الهدى
 أصلا ومن اهتدى من
 من شأنه الاهتداء في
 الجملة أي هو المباح في
 العلم بمن لا ردى عن
 الضلال أبدا ومن
 قبل الاهتداء في الجملة

تعالى فأعرض عن تولي عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وعلى ما ذكرنا المقصود لا يتم إلا به ويكون كأنه تعالى قال أعرض عنهم فإن ذلك غايهم ولا يوجد وراء ما ظهر منهم شيء وكان قوله عن تولي إشارة إلى قطع عذرهم بسبب الجهل فإن الجهل كان بالتولي وإيثار العاجل * ثم ابتداء وقال (إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى) وفي المناسبة وجوه (الأول) أنه تعالى لما قال للذي صلى الله عليه وسلم أعرض وكان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الميل إلى إيمان قومه كان ربما هجس في خاطره إن في الذكرى بعد منفعة وربما يؤمن من الكافرين قوم آخرون من غير قتال فقال له ربك أعلم بمن ضل عن سبيله علم أنه لا يؤمن بمجرد الدعاء أحد من المكلفين وإنما ينفع فيهم أن يقع السيف والقتال فأعرض عن الجدال وأقبل على القتال وعلى هذا قوله بمن اهتدى أي علم في الازل من ضل في تقديره ومن اهتدى فلا يشبه عليه الأمر ولا بأس في الأعراض ويعد في العرف مصلحة (ثانيها) هو على معنى قوله تعالى ونأوأياكم على هدى أو في ضلال مبين وقوله تعالى الله يحكم بيننا ووجهه أنهم كانوا يقولون نحن على الهدى وأنتم مبطلون وأقام النبي صلى الله عليه وسلم الحججة عليهم فلم ينفعهم فقال تعالى أعرض عنهم وأجرك وقع على الله فإنه يعلم أنكم مهتدون ويعلم أنهم ضالون والمتناظران إذا تناظرا عند ملك قادر مقصودهم ظهور الأمر عند الملك فإن اعترف الخصم بالحق فذلك والا فعرض المصيب يظهر عند الملك فقال تعالى جادل مع أحسنه والله أعلم بالحق من البطل (ثالثها) أنه تعالى أسأمر نبيه بالأعراض. كان قد صدر منهم إبادة عظيم وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتحمله رجاء أن يؤمنوا فسخ جميع ذلك فلم يؤمنوا فكانت له قال سعي وتحمل لا يذنبهم وقم هباء فقال الله تعالى إن الله يعلم حال المضلين والمهتدين لله ما في السموات والأرض ليجزي الذين أسأوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا من المهتدين وفيه مسائل (المسئلة الأولى) هو يسمى عمادا وفضلا ولو قال إن ربك أعلم أتم الكلام غير أن عند دخول الكلام عن هذا العماد ربما يتوقف السامع على سماع ما بعده ليعلم أن أعلم خبر ربك أو هو مع شيء آخر خبر مثاله لو قال إن ربك أعلم منه عمر ويكون خبر زيد الجملة التي بعده فإن قال هو أعلم انتهى ذلك انشورهم (المسئلة الثانية) أعلم يقضي مفضلا عليه يقال زيد أعلم من عمرو وأفه أعلم من تقول أفعل يعني كثير بمعنى عالم بالأعمال مثله وحينئذ إن كان هناك عالم فذلك مفضل عليه وإن لم يكن ففي الحقيقة هو العالم لا غير وفي كثير من المواضع أفعل في صفات الله بذلك المعنى يقال الله أكبر وفي الحقيقة لا كبير مثله ولا أكبر الأهو والذي يناسب هذا أنه ورد في الدعوات يا أكرم الأكرمين كأنه قال لا أكرم مثلك وفي الحقيقة لا أكرم الأهو وهذا معنى قول من يقول أعلم بمعنى عالم بالهتدى والضال ويمكن أن يقال أعلم من كل عالم يفرض عالم غيره (المسئلة الثالثة) علمته وعلمت به مستعملان قال الله تعالى في الأنعام هو أعلم من يضلل عن سبيله ثم

لا غيره فلا تنع نفسك
في دعوتهم فإنهم من
القبيل الأول وفي تعليل
الأمر بأعراضه عليه
السلام عن الاعتناء
بأمرهم باقتصار العلم
بأحوال القرى بين عليه
تعالى رمز إلى أنه تعالى
يعاملهم بموجب علمه
بهم فيجزي كل منهم
بما يلقى به من الجزاء
ففيه وعيد ووعد ضمنا
كما سيأتي صريحا (والله
ما في السموات وما في
الأرض) أي خلقا
وملاكا لا غير أصلا
الاستقلال ولا اشتراكا
وقوله تعالى (ليجزي)
أخ متعلق بمادل هلايد
أعلم الخ

ينبغي ان يكون المراد من المعلوم ان العلم اذا كان تعلقه بالمعلوم اقوى اما قوة العلم واما
 لظهور المعلوم واما تأكيد وجوب العلية واما كون الفعل له قوة اما قوة العلم فكما في
 قوله تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وقال الم يعلم بان الله يرى لما
 كان علم الله تعالى تاما شاملا علقه بالفعل الذي هو حال من أحوال عبده الذي هو
 برأى منه من غير حرف ولما كان علم العبد ضعيفا حادثا علقه بالفعل الذي هو وصفه من
 صفات الله تعالى الذي لا يحيط به علم البشر بالحرف أولما كان كون الله رابيا لم يكن
 محسوسا به مشاهدا علق الفعل به بنفسه وبالأخر بالحرف واما ظهور المعلوم فكما قال
 تعالى أولم يعلموا ان الله يسقط الرزق لمن يشاء وهو معلوم ظاهر وأما تأكيد وجوب العلم
 به كافي قوله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله ويمكن ان يقال هو من قبيل الظاهر وكذلك قوله
 تعالى واعلموا انكم غير معجزي الله وأما قوة الفعل فقال تعالى علم ان ان تحصى وقال
 تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى لما كان المستعمل صفة الفعل علقه بالفعل بغير
 حرف وقال تعالى ان ربك أعلم عن هولما كان المستعمل اسما دالاعلى فعل بضعف عنه لتعلقه
 بالفعل (المسئلة الرابعة) قدم العلم بمن ضل على العلم بالمهتدى في كثير من المواضع منها
 في سورة الانعام ومنها في سورة ن ومنها في هذه السورة لان في المواضع كلها المدح وتبديده
 صلى الله عليه وسلم والماعندون فذكرهم أولاتهديد اللهم وتسلية لقلب تبيد عليه صلاة
 والسلام (المسئلة الخامسة) قال في موضع واحد من المواضع هو أعلم بصل سبيله
 وفي غيره قال بمن ضل فهل عندك فيه شيء فلتدعهم وتبين ذلك بحث على وآخر تعالى (أما
 العقول) فهو ان العلم القديم يتعلق بالمعلوم على ما هو عليه ان وجد أمس لم يجد أمس
 في نهار أمس وايس مثل علمنا حيث يجوز ان يتحقق الشيء أمس ونحن لا نعلم الا بى يومنا
 هذا بل لا يعرف عنه مثقال ذرة في السموات والارض ولا يتأخر الواقع عن علمه طرفه عين
 (وأما النبلى) فهو ان اسم الفاعل يعمل عمل الفعل اذا كان بمعنى المستقبل ولا يعمل
 عمله اذا كان ماضيا فلا تقول انا ضارب زيدا وأمس والواجب ان كنت تنصب ان
 تقول ضربت زيدا وان كنت تستعمل اسم الفاعل فالواجب الاضافة تقول ضارب
 زيدا مس انا ويجوز ان يقال انا ضارب زيدا والسبب فيه ان الفعل اذا وحده فلا
 تجديد له في الاستقبال ولا تحقق له في الحال فهو هدم وضعف عن ان يعمل وأما الحال وما
 يتوقع فله وجود فممكن اعماله اذا ثبت هذا فنقول لما قال ضل كان الامر ماضيا وعلمه
 تعلق به وقت وجوده فعلم وقوله أعلم بمعنى عالم فهو صير كانه قال عالم بمن ضل فلو ترك البناء
 لكان امعلا للفاعل بمعنى الماضى ولما قال بصل كان يعلم الضلال عند الوقوع وان كان
 قد علم في الازل انه سيضل لكن العلم بعد ذلك تعلق آخر سيوجد وهو تعلقه بكون الضلال
 قد وقع وحصل ولم يكن ذلك في الازل فانه لا يقال انه تعالى علم ان فلانا ضل في الازل وانما
 الصحيح ان يقال علم في الازل انه سيضل فيكون كانه يعلم انه بصل فيكون اسم الفاعل بمعنى

وما بينهما اعتراض
 مقرر لما قبله فان كون
 الشكل مخلوقا لله تعالى
 بما يقرر علمه تعالى
 بأحوالهم الا يعلم من
 خلق كانه قيل فيعلم
 ضلال من ضل واهتداء
 من اهتدى وبخلفهما
 الجزى (الذين اساءوا
 بما عملوا) أى يعاقب
 ما عملوا من الضلال
 الذى عبر عنه بالاساءة
 بيان حاله أو سبب
 ما عملوا (و يجوز
 الذين احسنوا) أى
 اهتدوا (بالحسن) أى
 بالثبوت الحسنى التى
 هى الجنة أو بسبب
 اعمالهم الحسنى وقيل
 متعلق بما دل عليه
 قوله تعالى والله

المستقبل وهو يعمل عمل الفعل فلا يقال زيد اعلم مسئلتنا من عمرو وإنما الواجب ان يقال
زيد اعلم بمسئلتنا من عمرو ولهذا قالت النخاعة في سورة الانعام ان ربك هو اعلم من بضل بعلم
من بضل وقالوا اعلم للتفضيل لا يبنى الامن فعل لازم غير متعد فان كان متعديا يرد الى لازم
وقولنا اعلم كانه من باب علم بالضم وكذا في التعجب اذا قلنا ما اعلمه بكذا كانه من فعل لازم
وأما انافعا جنب عن هذا بان قوله اعلم من بضل معناه عالم وقد قدمنا ما يجب ان يعتقد
في أو ساف الله في أكثر الامر ان معناه انه عالم ولا علم مثله فيكون اعلم على حقيقته وهو
أحسن من ان يقال هو بمعنى عالم لا غير فان قيل قلنا ههنا بمن ضل وقال منك بضل قلنا
لان ههنا حصل الضلال في الماضي وتأكد حيث حصل بإس الرسول صلى الله عليه وسلم
وأمر بالأرض وأما هناك فقال تعالى من قبل وان تطع أكثر من في الأرض بضلوك
عن سبيل الله ثم قال تعالى ان ربك هو اعلم من بضل بمعنى ان ضللت يعلمك الله فكان
الضلال غير حاصل في ذلك يستعمل صيغة الماضي (المسئلة السادسة) قال في الضلال عن
سبيله ولم يقل في الاهتداء الى سبيله لان الضلال عن السبيل هو الضلال وهو كاف
في الضلال لان الضلال لا يكون الا في السبيل وأما بعدا وصور فلا ضلال أولان من ضل
عن سبيله لا يصل الى المقصود سواء سلك سبيلا أو لم يسلك وأما من اهتدى الى سبيل فلا
وصوله ان لم يسلكه وبمخرج هذا ان من ضل في غير سبيله فهو ضال ومن اهتدى اليها
لا يكون مهتديا الا اذا اهتدى الى كل مسألة يضل الجاهل بها بالايان فكان الاهتداء
البقى هو الاهتداء المطلق فقال ابن اهتدى وقال بالمهتدين ثم قال تعالى (ولله مافى
السموات وما فى الأرض ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى)
اشارة الى كمال غناه وقدرته ليدكر بعد ذلك ويقول ان ربك هو اعلم من الغنى القادر
لان من علم ولم يقدر لا يتحقق منه الجزاء فقال والله مافى السموات وما فى الأرض وفى الآية
مسائل (المسئلة الاولى) قال الشيخ شمرى ما يدل على انه يعتقد ان اللام فى قوله ليجزى كاللام
فى قوله تعالى والخليل والبالغ والحمير لتركبوها وهو جرى فى ذلك على مذهبه فقال والله
ما فى السموات وما فى الأرض معناه خلق ما فيها لغرض الجزاء وهو لا يتحاشى بما ذكره لما
عرف من مذهب الاعتزال وقال الواحدى اللام للعاقبة كما فى قوله تعالى ليكون لهم عدوا
أى احذوه وعاقبته انه يكون لهم عدوا والتحقيق فيه هو ان حتى ولام الغرض متقاربان
فى المعنى لان الغرض نهاية الفعل وحتى للغاية المطلقة فبينهما مقاربة فيستعمل أحدهما
مكان الآخر يقال سمرت حتى أدخلها ولكي أدخلها فلام العاقبة هى التى تستعمل فى
موضع حتى للغاية ويمكن ان يقال هنا وجه أقرب من الوجهين وان كان أخفى منهما
وهو ان يقال ان قوله ليجزى متعلق بقوله ضل واهتدى لا بالعلم ولا بالخلق ما فى السموات
تقديره كانه قال هو اعلم بمن ضل واهتدى ليجزى أى من ضل واهتدى يجزى الجزاء
والله أعلم به فيصير قوله والله مافى السموات وما فى الأرض كلاما معترضا ويحتمل ان

ما فى السموات وما
فى الأرض كانه قيل
خلق ما فيها ليجزى
الخ وقيل متعلق بضل
واعندى على أن اللام
للعاقبة أى هو اعلم
بمن ضل لئول أمره
الى أن يجزى به الله تعالى
يعمله وبمن اهتدى
ليؤول أمره الى أن يجزى به
بالحسنى وفيه من البعد
ما لا يخفى وتكرر الفعل
لا يراز كمال الاعتناء
بأمر الجزاء والتنبيه
على تبين الجزاء بين
(الذين يحبثون كبار
الاثم) بدل من الوصول
الثانى وصيغة الاستقبال
فى صلتها للدلالة على
تجسدد الاجتساب
واستمراره أو بيان

يقال هو متعلق بقوله تعالى فأعرض أي اعرض عنهم ليقع الجزاء كما يقول المريد فعلا لان
 منع منه ذرني لافعله وذلك لان مادام النبي صلى الله عليه وسلم لم يأس ما كان العذاب
 يترد والاعراض وقت اليأس وقوله تعالى ويجري الذين أحسنوا بالحسنى حينئذ يكون
 مذكورا ليعلم ان العذاب الذي عند اعراضه يتحقق ليس مثل الذي قال تعالى فيه
 واتقوا فتنة لا تصيب الذين ظلموا منكم خاصة بل هو مختص بالذين ظلموا وغيرهم لهم
 الحسنى وقوله تعالى في حق المسئ بما عملوا وفي حق المحسن بالحسنى فيه لطيفة لان جزاء
 المسئ عذاب فنيه على ما دفع الظلم فقال لا يعذب الا عن ذنب وأما الحسنى فلم يقل بما
 عملوا لان الثواب ان كان لا على حسنة يكون في غاية الفضل فلا يعمل بالهني هذا اذا قلنا
 الحسنى هي الثواب بالحسنى وأما اذا قلنا الاعمال الحسنى فنيه لطيفة غير ذلك وهي ان
 اعمالهم لم يذكر فيها التساوي وقال في أعمال المحسنين الحسنى اشارة الى الكرم والصفح
 حيث ذكر أحسن الاسمين والحسنى صفة أقيمت مقام الموصوف كأنه تعالى قال الاعمال
 الحسنى كقوله تعالى الاسماء الحسنى وحينئذ هو كقوله تعالى لتكفرن عنهم سيئاتهم
 ولتجزينهم احسن الذي كانوا يعملون أي ياخذوا احسن اعمالهم ويعمل ثواب كل ما وجد
 منهم لجزاء ذلك الاحسن أو هي صفة المثوبة كأنه قال ويجزي الذين أحسنوا بالثوبة
 الحسنى أو بالعاقبة الحسنى أي جزاؤهم حسن العاقبة وهذا جزاء فحسب وأما زيادة التي
 هي الفضل بعد الفضل فغير داخله فيه ثم قال تعالى (الذين يحبون كبار الآثم
 والقوا أحسن الآثم) الذين يحبون أن يكون بدلا عن الذين أحسنوا وهو الظاهر وكانه تعالى
 قال يجزي الذين أساءوا ويجزي الذين أحسنوا وتبين به ان المحسن ليس يرفع الله باحسان
 شيئا وهو الذي لا يبس ولا يرتكب القبيح الذي هو سيئة في نفسه عند ربه فالذين أحسنوا
 هم الذين اجتنبوا ولهم الحسنى وبهذا يتبين المسئ والمحسن لان من لا يحب كبار الآثم
 يكون مسيئا والذي يحبها يكون محسنا وعلى هذا فنيه لطيفة وهو ان المحسن لما كان هو
 من يحب الآثم فالذي يأتي بالثواب يكون فوق المحسن لكن الله تعالى وعد المحسن
 بزيادة فالذي فوقه يكون له زيات فوقها وهم الذين لهم جزاء الضعيف ويحتمل أن يكون
 ابتداء كلام تقديره الذين يحبون كبار الآثم يعقر الله لهم والذي يدل عليه قوله تعالى ان
 ربك واسع المغفرة وعلى هذا تكون هذه الآية مع ما قبلها مبنية لحال المسئ والمحسن
 وحال من لم يحسن ولم يبس وهم الذين لم يرتكبوا سيئة وان لم تصدر منهم الحسنات وهم
 كالصبيان الذين لم يوجد فيهم شرائط التكليف ولهم الغفران وهو دون الحسنى ويظهر
 هذا بقوله تعالى بعده هو اعلمكم اذ أنشأكم من الارض واذا تم أجنة أي يعلم الحالة التي
 لا احسان فيها ولا اساءة كما علم من أساء وضل ومن أحسن واهدى وفيه مسائل (المسئلة
 الاولى) اذا كان بدلا عن الذين أحسنوا فلم يخالف ما بعده بالضي والاستقبال حيث قال
 تعالى الذين أحسنوا وقال الذين يحبون ولم يقل اجتنبوا نقول هو كما يقول القائل الذين

اونعت أو منصوب
 على المدح وكبار الآثم
 ما يكبر عقابه من الذنوب
 وهو ما رتب عليه الوعيد
 بخصوصه وقرى كبير
 الآثم على ارادة الجنس
 او الثمر كمن الكبار
 خصوصا (الا اللهم)
 أي الاما قبل وصرفه
 مغفور ممن يحب
 الكبار قيل هي النظرة
 والغمرة والقلة وقيل
 هي الخطرة من الذنب
 وقيل كل ذنب لم يذكر
 الله عليه حدا ولا عقابا
 وقيل عادة النفس الحين
 بعد الحين والاستثناء
 منقطع

سألوني أعطيتهم الذين يترددون الى سائلين اى الذين طاعتهم التردد والسؤال سألوني
واعطيتهم فكذلك ههنا قال الذين يجتنبون اى الذين طاعتهم وادبهم الاجتناب لا الذين
اجتنبوا مرة وقدموا عليها أخرى فان قيل في كثير من المواضع قال في الكبار والذين
يجتنبون كبار الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون وقال في عباد الطاغوت
والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأتوا الى الله فافترق يقول عبادة الطاغوت
راجعة الى الاعتقاد والاعتقاد اذا وجد دأما ظاهرا فمن اجتنبها اعتقد بطلانها فيستمر
وأما مثل الشرب والزنا أمر يختلف أحوال الناس فيه فيترك زمانا ويعود اليه ولهذا
يستبرأ الناس اذا تاب ولا يستبرأ الكفار اذا أسلم فقال في الاثم الذين يجتنبون دائما
ويستبرأون على الترتيب أبدا وقال في عبادة الاصنام اجتنبوا بصيغة الماضي ليكون أدل
على الحصول ولأن كبار الاثم لها عدد وأنواع فينبغي ان يجتنب عن نوع ويجتنب عن آخر
ويجتنب عن ثالث فزيد تكرر وتجدد فاستعمل فيه صيغة الاستقبال وعبادة الصنم أمر
واحد متحد فترك فيه ذلك الاستعمال وأتى بصيغة الماضي الدالة على وقوع الاجتناب لها
دفعه (المسئلة الثانية) الكبار جمع كثيرة وهي صفة لموصوف تدل على صفة القهالة
كأنه يقول القهلات الكبار من الاثم فان قيل فما بال اختصاص الكبيرة بالذنوب في
الاستعمال ولو قال قائل القهالة الكبيرة الحسنة لا يمنع مانع يقول الحسنة لا تكون كبيرة
لانها اذا قوبلت بما يجب ان يوجد من العبد في مقابلة نعم الله تعالى تكون في غاية الصغر
ولو ان الله يقبلها كانت عباءة لكن السيئة من العبد الذي أنعم الله عليه بأنواع النعم
كبيرة ولو لا فضل الله لكن الاشتغال بالاكل والشرب والاعراض عن عبادته سيئة
لكن الله غفر بعض السيئات وخفف بعضها (المسئلة الثالثة) اذا ذكر الكبار
فالفواحش بعدها فنقول الكبار اشارة الى ما فيها من مقدار السيئة والفواحش اشارة
الى ما فيها من وصف القبح كأنه قال عظيمة المقادير فيجوز الصور والفواحش في اللفظ تختص
بالفيح الخارج قبحه عن حد الخفاء وتركيب الحروف في التقاليد يدل عليه فأنك اذا
قلبتهم وقلت حشف كان فيه معنى الرداء الخارجة عن الحد ويقال فشكت الناقة اذا
وفقت على هيئة مخصوصة البول فالتعشيل لازمة للفيح ولهذا لم يقل بالفواحش من الاثم
وقال في الكبار كبار الاثم لان الكبار انما يعبرها بالاضافة الى الاثم لما حصل
المقصود بخلاف الفواحش (المسئلة الرابعة) كثرت الاقوال في الكبار والفواحش
فقيل الكبار ما وعد الله عليه بالنار صريحاً وظاهراً والفواحش ما أوجب عليه حد في
الدنيا وقيل الكبار ما يكفر مستحله وقيل الكبار ما لا يفر الله لفاعله الا بعد التوبة وهو
على مذهب المعتزلة وكل هذه التعريفات تعربف الشيء بما هو مثله في الخفاء أو فوقه وقد
ذكرنا ان الكبار هي التي مقدارها عظيم والفواحش هي قبحها واضمحف الكبيرة
صفة عائدة الى المقدار والفاحشة صفة عائدة الى الكيفية كما يقال مثلاً في الارض علته

(ان ربك واسع المغفرة)
حيث يغفر الصغائر
باجتناب الكبار فالجمله
فعلى لاستغناء اللهم
وتنبه على أن اخراجه
عن حكم المؤاخذه به
ليس مخلوه عن الذنب
في نفسه بل اسمه المغفرة
الربانية وقيل المعنى له
أن يغفر لمن يشاء من
المؤمنين ما يشاء من
الذنوب صغيرها وكبيره
وامسح تعقيب وعيد
المسيئين ووعد المحسنين
بذلك حينئذ لا يأس
صاحب الكبيرة من
رحمة تعالى ولا نوحهم
وجوب العقاب عليه
تعالى (هو أعلم بكم) أي
بأحوالكم بعلمها (اد
أنشأكم) في ضمن انشاء
أيكم آدم عليه السلام
(من الارض) انشاء
اجماليا جسيما يمر تقرأ

بياض لطخه كبيرة ظاهرة اللون فالكبيرة لبيان الكمية والظهور لبيان الكيفية وهى
 هذا فنقول على ما قلنا ان الاصل في كل معصية ان تكون كبيرة لان نعم الله كثيرة ومخالفة
 النعم سببه عظيمة غير ان الله تعالى حط عن عباده الخطأ والنسيان لانهما لا يدان على ترك
 التعظيم اما لعمومه في الابدان اولئك ووجوده منهم كالكذب والغيبة مرة او مرتين
 والنظرة والتبايح التى فيها شبهة فان المحتجب عنها قایل في جميع الاعصار ولهذا قال
 أصحابنا ان استماع الغناء الذى مع الاوتار يفسق به وان استمع من أهل بلده لا يعتدون
 أمر ذلك لا يفسق فعادت الصغيرة الى ما ذكرنا من أن العقلاء لم يعدوه تاركاً للتعظيم
 لا يكون مرتكباً للكبيرة وعلى هذا تختلف الامور باختلاف الاوقات والاشخاص فالعالم
 المتقى اذا كان يتعمق النساء أو يكثر من اللعب يكون مرتكباً للكبيرة والدلال والباعة
 والمتفرغ الذى لا شغل له لا يكون كذلك وكذلك اللاعب وقت الصلاة واللعب في غير ذلك
 الوقت وعلى هذا كل ذنب كبيرة الا ما علم المكلف أو ظن خروجه بفضل الله وعفو عنه
 الكبائر (المسئلة الخامسة) في اللهم وفيه أقوال (أحدها) ما يقصده المؤمن ولا يتحققه
 وهو على هذا القول من لم يلم اذا جتمع فكأنه جمع عن عمد وأجمع عليه (وثانيها) ما يأتي به
 المؤمن ويندم في الحال وهو من اللهم الذى هو من الجنون كأنه مسه وفارقه ويؤيد
 هذا قوله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاسغفروا لذنوبهم
 (ثالثها) اللهم الصغير من الذنب من ألم اذا نزل نزولاً من غير بث طویل ويقال ألم بالطعام
 اذا قلل من أكله وعلى هذا قوله الا اللهم يحتل وجوها (أحدها) ان يكون ذلك استثناء
 من الفواحش وجبت فيه وجهان (أحدهما) استثناء منقطع لان اللهم ليس من
 الفواحش (وثانيها) غير منقطع لما يبين ان كل معصية اذا نظرت الى جانب الله تعالى
 وما يجب ان يكون عليه فهى كبيرة وفاحشة ولهذا قال الله تعالى واذا فعلوا فاحشة غير أن
 الله تعالى استثنى منها أموراً يقال الفواحش كل معصية الا ما استثناء الله تعالى منها
 ووعدها بالعفو عنه (ثانيها) الابعثى غير تقديره والفواحش غير اللهم وهذا الوصف ان
 كان للتمييز كما يقال الرجال غير أولى الاربية فاللهم عين الفاحشة وان كان لغيره كما يقال
 الرجال غير النساء جأوتى لنا كيد وبيان فلا (وثالثها) هو استثناء من الفعل الذى يدل
 عليه قوله تعالى الذين يحنثون لان ذلك يدل على انهم لا يقر بونه فكأنه قال لا يقر بونه
 الامقاربة من غير موافقة وهو اللهم ثم قال تعالى (ان ربك واسع المغفرة) وذلك على
 قولنا الذين يحنثون ابتداء الكلام في غاية الظهور لان المحسن مجرى وذنبه مغفور
 ويحتجب الكبائر كذلك ذنبه الصغير مغفور والمقدم على الكبائر اذا تاب مغفور الذنب
 فلم يبق من لم تصل اليهم المغفرة الا الذين أساءوا أو أسروا عليها فالمغفرة واسعة وفيه معنى آخر
 لطيف وهو انه تعالى لما أخرج المسمى عن المغفرة بين ان ذلك ليس بضيق فيها بل ذلك بشبهة
 الله تعالى ولو اراد الله مغفرة كل من أحسن وأساء لفعل وما كان بضيق عنهم مغفرته

مرارا (واذا تم أجنته)
 أى ووقت كونكم أجنته
 (في يطون أمهاتكم)
 على أطوار مختلفة مترتبة
 لا يخفى عليه حال من
 أحوالكم وعمل من
 أعمالكم التى من جعلها
 اللهم الذى لولا المغفرة
 الواسعة لاصابكم وباله
 فالجمله استثنافى مقررها
 قبلها والفساد فى قوله
 تعالى (فلا تركوا
 انفسكم) لترتيب النهى
 عن ترك النفس على
 ما سبق من أن عدم
 المؤاخذه باللهم ليس اعدم
 كونه من قبيل الذنوب
 بل المحض مغفرته تعالى
 مع عفو بصدوره عنكم
 أى اذا كان الامر كذلك
 فلا تثنوا عليها بالطهارة
 من المعاصى بالكبيرة
 أو بما يستلزمها

والمنفرة من الستروه ولا يكون الاعلى قبيح وكل من خلقه الله اذا نظرت في فعله ونسبته
الى نعم الله تجده مقصرا مسيا فان من جازى النعم بنعم لا تخصي مع استغنائها الظاهر
وعظمته الواضحة بدمهم أو قل منه يحتاج الى ستر ما فعله ثم قال تعالى (هو أعلم بكم اذ
أنشأكم من الارض واذا أنتم أجنة في بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن
أتى) وفي المناسبة وجوه (أحدها) هو تقرر لما مر من قوله هو أعلم بمن ضل كان العامل
من الكفار يقول نحن نعمل أمورا في جوف الليل المظلم وفي البيت الخالي فكيف يعلم
الله تعالى فقال ليس علمكم أخفى من أحوالكم وأنتم أجنة في بطون أمهاتكم والله عالم
بتلك الأحوال (ثانيها) هو إشارة الى ان الضال والمهتدى حصلوا على ما هم عليه بتقدير
الله فان الحق علم أحوالهم وهم في بطون الامهات فكذب على البعض انه ضال والبعض
انه مهتد (ثالثها) تأكيد بيان الجزاء وذلك لانه لما قال ليجزي الذين أساءوا بما عملوا قال
الكافرون هذا الجزاء لا يفتق الابالحشر وجمع الاجزاء بعد تفرقها واعادة ما كان لزيد
من الاجزاء في بدنه من غير اختلاط غير ممكن فقال تعالى هو أعلم بكم اذ أنشأكم فيصعبها
بقدرته على وفق علمه كما أنشأكم وفيه مسائل (المسئلة الاولى) العامل في اذ يحتل ان
يكون ما يدل عليه أعلم أى علمكم وقت الانشاء ويحتل ان يكون اذكروا فه يكون تقرر
لكونه علما لو يكون تقديره هو أعلم بكم وقد تم الكلام ثم يقول ان كنتم في شك من علمه بكم
فاذكروا حال انشاءكم من التراب (المسئلة الثانية) ذكرنا مرارا ان قوله من الارض من
الناس من قال آدم فانه تراب وقزنا ان كل أحد أصله من التراب فانه يصير غذاء ثم يصير
دما ثم يصير نطفة (المسئلة الثالثة) او قال قائل لا بد من صرف اذ أنشأكم من الارض الى
آدم لان واذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم صلد الى غير فانه لم يكن جنينا ولو قلت بان قوله
تعالى اذ أنشأكم كالمعنى الى جميع الناس فينبغي ان يكون جميع الناس أجنة في بطون
الامهات وهو قول القلاسة نقول ليس كذلك لانا نقول الخطاب مع الموجودين حالة
الخطاب وقوله تعالى هو أعلم بكم خطاب مع كل من بعد الانزال على قول ومع من حضر
وقت الانزال على قول ولا شك ان كل هؤلاء من الارض وهم كانوا أجنة (المسئلة الرابعة)
الاجنة هم الذين في بطون الامهات وبعد الخروج لا يسمى الاولاد أوسمة طافا فائدة قوله
تعالى في بطون أمهاتكم نقول التنبيه على كمال العلم والقدرة فان بطن الام في غاية الظلمة
ومن علم بحال الجنين فيها لا يخفى عليه ما ظهر من حال العباد (المسئلة الخامسة) لقائل ان
يقول اذ قلنا ان قوله هو أعلم بكم تقرر لكونه علما بمن ضل قوله تعالى فلا تزكوا أنفسكم
تعلقه به ظاهر وأما ان قلنا انه تأكيد وبيان للجزاء فانه يعلم الاجزاء فيعيدها الى أبدان
أشخاصها فكيف يتعلق به فلا تزكوا أنفسكم نفوك معناه حينئذ فلا تبرئوا أنفسكم من
العذاب ولا تقولوا تفرقت الاجزاء فلا يقع العذاب لان العالم بكم عند الانشاء عالم بكم عند
الاعادة وعلى هذا قوله أعلم بمن أتى أى يعلم اجزاء فيعيدها اليه ويثيبه بما أقدم عليه

من زكا العمل ونساء
الخير بل اشكروا الله
تعالى على فضله ومغفرته
(هو أعلم بمن أتى)
المعاصي جميعا وهو
استشف مقرر للنهي
ومشعر بأنهم من
يتقها بأسرها وقيل كان
ناس يعملون أعمالا حسنة
ثم يقولون صلاتنا
وصيامنا وجناتنا
وهذا اذا كان بطر يتي
الاعجاب أو الزيادة ما من
اعتقد ان ما عمله من
الاعمال الصالحة من
الله تعالى وبتوفيقه
ونأيده ولم يقصد به
التدحيم يمكن من المزكين
أنفسهم فان المصرة
بالطاعة وذكرها شكر
ما أفرأت الذي تولى
أى عن اتباع الحق
والثبات عليه (وأعطى)
قليلأ أى شيئا قليلا
أو أعطاه قليلا
(وأكدى أى)

(المسئلة السادسة) الخطاب مع من فيه ثلاث احتمالات (الاول) مع الكفار وهذا على قولنا انهم قالوا كيف يعلم الله فرد عليهم قولهم (الثاني) كل من كان زمان الخطاب وبعده من المؤمنين والكفار (الثالث) هو مع المؤمنين وتقديره هو ان الله تعالى لما قال فاعرض عن تولى عن ذكرنا قال لنبه صلى الله عليه وسلم قد علم كونك ومن معك على الحق وكون المشركين على الباطل فاعرض عنهم ولا تقولوا نحن على الحق وانتم على الضلال لانهم يقابلونكم بنقل ذلك وفوض الامر الى الله تعالى فهو اعلم بمن اتقى ومن طغى وعلى هذا فتقول من قال فاعرض منسوخ اظهر وهو كقوله تعالى وانا اياكم لعلى هدى اوفى ضلال مبين والله اعلم بجملة الامور ويحتمل أن يقال على هذا الوجه الثالث انه ارشاد للمؤمنين فخطبهم الله وقال هو اعلم بكم ايها المؤمنون علم ما كنتم من اول خلقكم الى آخر يومكم فلا تزكوا انفسكم رياء وخيلاء ولا تقولوا لا آخر انا خير منك وانا ازكى منك واتقى فان الامر عند الله ووجه آخر وهو اشارة الى وجوب الخوف من العقابة أى لا تقطعوا بخلاصكم ايها المؤمنون فان الله يعلم عقابة من يكون على التقي وهذا يؤيد قول من يقول انا مؤمن من ارشاد الله تصرف الى العقابة ثم قال تعالى (أفرأيت الذى تولى واعطى قليلا) والكذب اعنده علم الغيب فهو يرى) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قال بعض المفسرين زلت الآية في الوليد بن المغيرة جلس عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وسمع رعه واثرت الحكمة فبدا يهاجرا قويا فقال له رجل لم تترك دين اباك ثم قال له لا تخف واعطى كذا وانا اتحمل عنك اوزارك فاعطاه بعض ما التزمه وتولى عن الوعظ وسمع السكلام من النبي صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم زلت في عثمان رضى الله عنه كان يعطى ماله ههنا كثيرا فقال له اخوه من أمه عبد الله بن مسعود بن أبي سرح يوشك ان يغنى مالك فامسك فقال له عثمان انى لذنى يا أرجو ان يغفر الله لى بسبب العطاء فقال له اخوه انا اتحمل عنك ذنوبك ان تعطنى فانك مع كذا فاعطاه ما طلب وامسك يده عن العطاء فزالت الآية وهذا قول باطل لا يجوز ذكره لانه لم يتواتر ذلك ولا اشتهر وظاهر حال عثمان رضى الله عنه أبى ذلك بل الحق ان يقال ان الله تعالى لما قال لنبه صلى الله عليه وسلم من قبل فاعرض عن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياه الدنيا وكان التولى من جملة أنواعه تولى المستغنى فان العالم بالشئ لا يتعجب مما ليس ذكر ذلك الشئ ويسعى في تحصيل غيره فقال أفرأيت الذى تولى عن استغناء اعلم بالغيب (المسئلة الثانية) الغاء تقتضى كلاما يرتب هذا عليه فاذا هو يقول هو ما تقدم من بيان علم الله وقدرته ووعدته المسمى بالمحسن بالجراءه وتقديره هو أنه تعالى لما بين أن الجراء لا بد من وقوعه على الاساءة والاحسان وان المحسن هو الذى يجتنب كبار الاثم فلم يكن الانسان مستغنيا عن سماع كلام النبي صلى الله عليه وسلم واتباعه فبعد هذا من تولى لا يكون توليه الا بعد غاية الحاجة ونهاية الافتقار (المسئلة الثالثة) الذى على ما قال بعض المفسرين عائد الى معلوم وهو ذلك الرجل وهو الوليد والظاهر انه عائد الى المذكور

قطم العطاء من قولهم
أكدى الحافر اذا باغ
الكذبة أى الصلابة
كالصخرة فلا يمكنه
أن يحفر قالوا زلت في
الوليد بن المغيرة كان يتبع
رسول الله صلى الله عليه
وسلم فبعض بعض المشركين
وقال له تركت دين الاشياخ
وضللتهم فقال اخشى
عذاب الله فضمن أن
يحمل عنه الذنوب ان
أعطاه بعض ماله فارتد
وأعطاه بعض المشركين
ونخل بالباقي وقبل زلت
في العاص بن وائل
السهمى لما أنه كان يوافق
النبي صلى الله عليه وسلم
في بعض الامور وقيل
في أبى جهل كان ربما
يوافق الرسول صلى الله
عليه وسلم في بعض الامور
وكان يقول والله ما
أمرنا بحمد

فإن الله تعالى قال من قبل فأعرض عن تولى عن ذكرنا وهو المعلوم لأن الأمر بالأعراض
غير مخصوص بواحد من المعاندين فقال أفرأيت الذي تولى أى الذى سبق ذكره فإن قيل كان
ينبغي أن يقول الذين تولوا لأن من فى قوله عن تولى للموم نقول العود إلى اللفظ كثير
صنائع قال تعالى من جاء بالحسنة فله وللمسلم ثوابها ولم يقل فله (المسئلة الرابعة) قوله تعالى وأعطى قليلاً
ما المراد منه نقول على ما تقدم هو المقدار الذى أعطاه الوليد فبقوله وأكدى هو
ما أمسك عنه ولم يعط الكل وعلى هذا القول قائل أن الاكداء لا يكون مذموماً لأن
الاعطاء كان بغير حق فالامتناع لا يذم عليه وأيضاً فلا يفتى لقوله قليلاً فائدة لأن الاعطاء
حيث نفسه يكون مذموماً نقول فيه بيان خروجهم عن العقل والعرف أما العقل فلأنه
منع من الاعطاء لأجل حل الوزر فإنه لا يحصل به وأما العرف فلأن عادة الكرام من
العرب الوفاء بالعهد وهو لم يف به حيث أقرم الاعطاء وامتنع والذي يابى بما ذكرناه وأن
نقول تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحيوة الدنيا يعنى اعطاء ما وجب اعطاءه فى مقابلة ما يجب
للاصلاح أمور الآخرة ويقوم قوله تعالى أعنده علم الغيب فى مقابلة قوله تعالى ذلك مبلغهم
من العلم أى لم يعلم الغيب وما فى الآخرة وقوله تعالى أم لم ينباى بما فى صحف موسى وإبراهيم
الذى وفى أن لا زواجرة وزر أخرى فى مقابلة قوله هو أعلم بمن ضل إلى قوله ليجزى الذين
أساؤا لأن الكلامين جميعاً لبيان الجزاء ويمكن أن يقال إن الله تعالى لما بين حال
المشركين المعاندين للعابدين للآل والعزى والقائلين بأن الملائكة بنات الله شرع فى بيان
أهل الكتاب وقال بعد ما رأيت حال المشرك الذى تولى عن ذكرنا أفرأيت حال من تولى وله
كتاب وأعطى قليلاً من الزمان حقوق الله تعالى ولما بلغ زمان محمد أكدى فهل علم الغيب
فقال شيئاً لم يرد فى كتبهم ولم ينزل عليهم فى الصحف المقدمة ووجد فيها بأن كل واحد يؤخذ
بفعله ويجازى بعمله وقوله تعالى أم لم ينباى بما فى صحف موسى وإبراهيم الذى وفى يخبر أن
المتولى المذكور من أهل الكتاب (المسئلة الخامسة) أكدى قيل هو من باع الكدبة
وهى الأرض الصلبة لا تحفر وحافر البئر إذا وصل إليها فامتنع عليه الحفر وأنه سرق قال
أكدى الحافر والأظهر أنه الرذ والمتمنع يقال أكديته أى رددته وقوله تعالى أعنده علم
الغيب فهو يرى قد علم تفسيره جله أن المراد جهل المتولى وحاجته وبيان فجع التولى مع
الحاجة إلى الإقبال وعلم الغيب أى العلم بالغيب أى علم ما هو غائب عن الخلق وقوله فهو
يرى تمة بيان وقت جواز التولى وهو حصول الرؤية وهو الوقت الذى لا ينفع الإيمان فيه
وهناك لا يبنى وجوب متابعة أحد فيما رآه لأن الهادى يهتدى إلى الطريق فإذا رأى
المهتدى مقصده بعينه لا ينفعه السماع فقال تعالى هل علم الغيب بحيث رآه فلا يكون علمه
علماً نظرياً بل علماً بصرياً فبئس قول وقوله تعالى فهو يرى يحتمل أن يكون مفعول يرى هو
احتمال الواحد وزر الآخر كأنه قال فهو يرى أن وزره محمول أم يسمع أن وزره غير محمول
فهو عالم بالجل وغافل عن عدم الحمل ليكون معذوراً يحتمل أن لا يكون له مفعول تقديره

الابتكار الاختلاق
وذلك قوله تعالى وأعطى
قليلاً وأكدى والاول
هو الاشهر المناسب لما
بعده من قوله تعالى
(أعنده علم الغيب
فهو يرى) الخ أى
علم بالامور الغيبية التى
من جملتها تحمل
صاحبه عنه يوم القيامة
(أم لم ينباى بما فى صحف
موسى وإبراهيم الذى
وفى) أى وفروا ثم
ما ينسب به من الكلمات
أو امر به أو بالغى فى الوفاء
بما عهد الله وتخصيصه
بذلك لاحتماله ما لم
يحمّله غيره كالصبر
على نار نمرود حتى أنه
أنه جبريل عليه السلام
حين يلقى فى النار فقال
ألك حاجة فقال أما
الك فلا وهى ذبح الولد
ويروى أنه كان
يمشى كل يوم

فهو يرى رأى نظير محتاج الى هادونذير * قوله تعالى (ألم ينبأ عافى صحف موسى
 و ابراهيم الذى وفى) حال أخرى مضادة للاولى يعذر فيها المتولى وهو الجهل المطلق فان من
 علم الشئ علماً تاماً لا يؤمر بتعلمه والذى جهله جهلاً مطلقاً وهو العاقل على الإطلاق كما أتم
 أيضاً لا يؤمر فقال هذا المتولى هل علم السلك فجازله التولى أو لم يسمع شياً وما بلغه دعوة
 أصلاً فيعذرو ولا واحد من الأمرين بكأن فهو فى التولى غير معذور وفيه مسائل (المسئلة
 الاولى) قوله تعالى عافى بحقل وجهين (أحدهما) ان يكون المراد ما فيها لا بصفة كونه فيها
 فكأنه تعالى يقول ألم ينبأ بالتوحيد والحشر وغير ذلك وهذه أمور مذكورة فى صحف
 موسى مثاله يقول الفائل لمن توضع المائدة توضعاً بما توضع به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
 لا يريد به نفس المائدة التى توضع به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى هذا فالكلام مع السلك لان
 المشرك وأهل الكتاب نبأهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بما فى صحف موسى (ثانيهما) ان يكون
 المراد بما فى الصحف مع كونه فيها كما يقول الفائل فيما ذكرنا من المثال توضعاً بما فى القرية
 لا بما فى الجرة فيريد عين ذلك لاجنسه وتلى هذا فالكلام مع أهل الكتاب لانهم الذين نبأوا به
 (المسئلة الثانية) صحف موسى و ابراهيم هل جمعها كنوعاً كثيراً ولكنها مضافه
 الى الاثنين كما قال تعالى فقد صنعت قلوبكم انظاراً لهما كثيرا قال الله تعالى وأخذنا الألواح
 وقال تعالى وألقى الألواح وكل اوح صحيفه (المسئلة الثالثة) ما المراد بالذى فيها نقول قوله
 تعالى أن لا تزروا زرة وزر أخرى وأن ليس للانسان الاماسى وما بعده من الأمور المذكورة
 على قراءة من قرأ أن بالفتح وعلى قراءة من يكسرو يقول وان الى ربك المنتهى فيه
 وجوه (أحدها) هو ما ذكره بقوله أن لا تزروا زرة وزر أخرى وهو الظاهر وانما احتمل غيره
 لان صحف موسى و ابراهيم ليس فيها هذاف قط وليس هذاف معظم المقصود بخلاف قراءة الفتح
 فان فيها تكون جميع الاصول على ما بين (ثانيها) هو أن الآخرة خير من الاولى يدل عليه
 قوله تعالى ان هذا الى الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى (ثالثها) أصول الدين كلها
 مذكورة فى الكتب بأسرها وام تخلص الله كتابا عنها ولهذا قال لئيد صلى الله تعالى عليه وسلم
 فيها هم افقه وليس المراد فى الفروع لان فروع دينه مغايرة لفروع دينهم من غير شك
 (المسئلة الرابعة) قدم موسى ههنا ولم يقل كما قال فى جميع اسم ربك الاعلى فهل فيه فائدة
 نقول مثل هذا فى كلام المتصدين لا بطلان له فائدة بل التقديم والتأخير سواء فى كلامهم
 فيصح أن يقتصر على هذا الجواب ويمكن ان يقال ان الذكر هنا مجرد الاخبار والالذار
 وههنا المقصود بيان انتفاء الاعذار فذكر هنا على ترتيب الوجود صحف ابراهيم قبل
 صحف موسى فى الاتزال واما ههنا فقد قلنا ان الكلام مع أهل الكتاب وهم اليهود فقدّم
 كتابهم وان قلنا لخطابهم فصحف موسى عليه السلام كانت كثيرة الوجود فكانه قيل
 لهم انظروا فيها تعلمون ان الرسالة حق وارسل من قبل موسى رسل والتوحيد صدق
 والحشر واقع فلما كانت صحف موسى عند اليهود كثيرة الوجود قدّمها وأما صحف ابراهيم

فرسخاير نادى بها فان
 وافقه اكرموا الانوى
 الصوم وتقدم موسى
 لما ان صحفه التى هى
 النوراة أشهر عندهم
 وأكثر (ان لا تزروا زرة
 وزر أخرى) اى انه
 لا تحمل نفس من شأنها
 الحمل حمل نفس أخرى
 على ان ان هى الخففة
 من الثبيلة وضيم الشأن
 الذى هو اسمها محذوف
 والجملة المنقبة خبرها
 ويحل الجملة الجر على
 انها بدل عما فى صحف
 موسى او الرفع على انها
 خبر مبتدأ محذوف كأنه
 قيل ما فى صحفهما قبل
 هو ان لا تزرا الخ والمعنى
 انه لا يؤخذ احد مذنب
 غيره ليتخلص الثانى
 عن عقابه ولا يقدح
 فى ذلك قوله عليه الصلاة
 والسلام من سن سنة سنة

فكانت بعيدة وكانت المواظبة التي فيها غير مشهورة فيما بينهم كصحف موسى فأخذ ذكرها
 (المسئلة الخامسة) كثير اما ذكر الله موسى فأخبر عليه السلام لانه كان مبتلى في أكثر
 الامر من حوالبه وهم كانوا مشركين ومتهودين والمشركون كانوا يعظمون ابراهيم عليه
 السلام لكونه أباهم وأما قوله تعالى وفي غيبه وجهان (أحدهما) انه من الوفاء الذي
 يذكر في اليهود وعلى هذا فالتشديد للبالغة يقال وفي وفي كقطع وقطع وقيل وقيل
 وهو ظاهر لانه وفي بالنذر واضمح ابنه للذبح ورد في حقه قد صدقت الروايات وقال تعالى
 ان هذا هو البلاء المبين (وثانيهما) انه من التوفية التي من الوفاء وهو التمام والتوفية
 الاتمام يقال وفاه أي اعطاه تاما وعلى هذا فهو من قوله واخايتي ابراهيم ربه بكلمات
 فأتمهن وقيل وفي أي أعطى حقوق الله في بدنه وعلى هذا فهو على ضد من قال تعالى فيه
 وأعطى قليلا وأكدي مدح ابراهيم ولم يصف موسى عليه السلام نقول أما بيان توفيقه
 ففيه لطيفة وهي انه لم يهدأ الا وفي به وقال لا يسهل استغفر لك ربي فاستغفر وفي
 بالعهد ولم يغفر الله له فلم أن ليس الانسان الاماسي وأن وزره لا تزره نفس أخرى
 وأما مدح ابراهيم عليه السلام فلانه كان منقاعا عليه بين اليهود والمشركون والمسلمين
 ولم يشكر أحد كونه وفيا وموفيا وربما كان المشركون يتوقفون في وصف موسى عليه
 السلام ثم قال تعالى (ان لا تزر وزره) وزر أخرى (وقد تقدم تفسيره في سورة الملائكة
 والذي يحسن بهذا الموضع مسائل (الاولى) أنها ينسب الظاهر أن المراد من قوله بماسي
 صحف موسى هو ما ينسب بقوله أن لا تزر فيكون هذا بدلا عن ما وتقدمه أمل بدأبان لا تزر
 وذكرنا هناك وجهين أحدهما المراد أن الآخرة خير وثانيهما الأصول (المسئلة
 الثانية) أن لا تزر وأن خفيفة من الثقلية كانه قال انه لا تزر وتخفيف الثقلية لازم وغير لازم
 جائز وغير جائز فاللزم عند ما يكون بمد ما فعل او حرف داخل على فعل وزم فيها التخفيف
 لانها مشبهة بالفعل في اللفظ والمعنى والفعل لا يمكن ادخاله على فعل فأخرج عن شبه الفعل
 الى صورة تكون حرفا مختصا بالفعل فتناسب الفعل فتدخل عليه (المسئلة الثالثة) ان
 قال قائل الآية مذكورة لبيان ان وزر المسمى لا يحمل عنه وبهذا الكلام لا نحصل هذه
 الفائدة لان الوزر تكون مثله بوزرها فيعلم كل أحد انها لا تحمل شيئا واولا لا تحمل
 فارضة وزر أخرى كان أبلغ بقول ليس كما ظننت وذلك لان المراد من الوزر هي التي يتوقع
 منها الوزر والجل لا التي وزرت وحملت كما يقال شقائي الحمل وان لم يكن عليه في الحال حمل
 واذا لم تزل تلك النفس التي يتوقع منها ذلك فكيف تحمل وزر غيرها فتكون الفائدة كاملة
 * وقوله تعالى (وان ليس للانسان الاماسي) نعمة بيان أحوال المكلف فانه لمساكين له ان
 سبته لا يتحملها عنه أحد بين له ان حسنة الغير لا تجدي بنفسها ومن لم يعمل صالحا لا ينسب
 خيرا فيكمل ما يظهر أن المسمى لا يجذب بسبب حسنة الغير ثوابا ولا يتحمل عنه لمحمد تقابا
 وفيه أيضا مسائل (الاولى) ليس للانسان فيه وجهان (أحدهما) انه عام وهو الحق وقيل

فعليه وزرها ووزر من
 عمل بها الى يوم القيامة
 فان ذلك وزر الاضلال
 الذي هو وزره وقوله تعالى
 (وان ليس للانسان الا
 ماسي) بيان لعدم انتفاع
 الانسان بعمل غيره من
 حيث جلب النفع اليه اثر
 بيان عدم انتفاعه به من
 حيث دفع الضرر عنه
 واما شفاعة الانبياء عليهم
 السلام واستغفار الملائكة
 عليهم السلام ودعاء
 الاحياء للاسوات
 وصدقهم عنهم وغير
 ذلك مما لا يكاد يحصى
 من الامور النافعة
 للانسان مع انها ليست
 من عمله قطعا فحيث كان
 مناهة منفعة كل منها
 عمله الذي هو الايمان
 والصالحات ولم يكن لشيء
 منها نفع ما يدونه جعل
 النافع

عليه بان في الاخبار ان ما يأتي به القريب من الصدقة والصوم يصل الى الميت والدعاء
 أيضا نافع فلانسان شيء لم يسع فيه وأيضاً قال الله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها
 وهي فوق ماسعي والجواب عنه أن الانسان ان لم يسع في أن يكون له صدقة القريب
 بالايان لا يكون له صدقته فليس له الاماسعي وأما الزيادة فتقول ان الله تعالى لما وعد المحسن
 بالامثال والعشرة وبالأضعاف المضاعفة فإذا أتى بحسنة راجياً أن يؤتيه الله مائة فضل
 به قد سعى في الامثال فان قيل أنتم اذن حملتم السعي على المبادرة الى الشيء يقال سعى
 في كذا اذا أسرع اليه والسعي في قوله تعالى الاماسعي معناه العمل يقال سعى فلان أي
 عمل ولو كان كما ذكرتم اقال الاماسعي فيه نقول على الوجهين جيباً لا بد من زيادة فان قوله
 تعالى ليس للانسان الاماسعي ليس المراد منه ان له عين ماسعي بل المراد على ما ذكرنا ليس له
 الاثواب ماسعي أو الأجر ماسعي أو يقال بان المراد ان ماسعي محفوظ له مصون عن الاحباط
 فاذن له فعله يوم القيامة (الوجه الثاني) أن المراد من الانسان الكافرون المؤمن وهو
 ضعيف وقيل بان قوله ليس للانسان الاماسعي كان في شرع من تقدم نعم ان الله تعالى نعمه
 في شرع محمد صلى الله عليه وسلم وجعل للانسان ماسعي وما لم يسع وهو باطل اذ لا حاجة الى
 هذا التكلف بعد ما بان الحق وعلى ما ذكرناه ماسعي مبق على حقيقته معناه حسين
 ماسعي محفوظ عند الله تعالى ولا نقصان بدخله ثم يجزي به كما قال تعالى فمن يعمل مثقال ذرة
 خيراً يره (المسئلة الثانية) ان ما خبر به أو مصدرية تقول كونها مصدرية أظهر بدليل
 قوله تعالى وأن سعيه سوف يرى أي سوف يرى السعي والمصدر للمفعول يجزي كثيراً يقال
 هذا خلق الله أي مخلوقه (المسئلة الثالثة) المراد من الآية بيان ثواب الاعمال الصالحة
 او بيان كل عمل يقول المشهور أنها لكل عمل فالخير مثاب عليه والشر معاقب به والظاهر
 انه لبيان الخيرات يدل عليه اللام في قوله تعالى للانسان فان اللام لعود النافع وعلى لعود
 المضار تقول هذا له وهذا عليه ويشهد له ويشهد عليه في النافع والمضار والقاتل الاول
 أن يقول بان الامر ين اذا اجتمع اغلب الافضل كجموع السلامة تذكر اذا اجتمعت
 الاثبات مع الذكور وايضا يدل عليه قوله تعالى ثم يجزاه الجزاء الاوفى والافى لا يكون الا
 في مقابلة الحسنة وأما في السينة فالمثل أو دونه أو العفو بالكلية (المسئلة الرابعة) الا
 ماسعي بصيغة الماضي دون المستقبل لزيادة الحث على السعي في العمل الصالح وتقريره
 هو انه تعالى لو قال ليس للانسان الاماسعي تقول النفس اني أصلي غداً كذا ركعة
 واتصدق بكذا درهماً ثم يجعل مثبتاً في صحيفتي الآن لانه أمر يسعي فيه وله ما يسعي فيه
 فقال ليس له الاما قد سعى وحصل وفرغ منه وأما نسو يلات الشيطان وعداته فلا اعتداد
 عليها ثم قال تعالى (وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى) أي يعرض عليه
 ويكشف له من أرسته الشيء وفيه بشارة للمؤمنين على ما ذكرنا وذلك ان الله يري به أعماله
 الصالحة ليفرح بها أو يكون يرى ملائكته وسائر خلقه ليقفوا العامل به على ما هو

نفس عمله وان كان
 بالتصميم على غيره اليه
 وان تخففه ككأختها
 معطوفة عليها وكذا
 قوله تعالى (وأن سعيه
 سوف يرى) أي يعرض
 عليه ويكشف له يوم
 القيامة في صحيفته وميزانه
 من أرسته الشيء (ثم يجزاه)
 أي يجزي الانسان سعيه
 يقال جزاه الله بعمله
 وجزاه على عمله وجزاه
 الله بخلاف الجار وابصل
 الفعل ويعوز ان يجعل
 الضمير للجزاء ثم يفسر قوله
 تعالى (الجزاء الاوفى)
 او يبذل هو عنه كما في
 قوله تعالى وأسرؤا
 التجوى الذين ظلموا

المشهور وهو مذكور لفرح المسلم ولحزن الكافر فان سعيه يرى الخلق ويرى نفسه
ويحتمل ان يقال هو من رأى يرى فيكون كقوله تعالى وقل اعملوا فسيرى الله عملكم
ورسوله وفيها وفي الآية التي بعدها مسائل (الاولى) العمل كيف يرى بعد وجوده
ومضيه نقول فيه وجهان (أحدهما) يراه على صورة جبلة ان كان العمل صالحا
(ثانيهما) هو على مذهبا غير بعيد فان كل موجود يرى والله قادر على إعادة كل معدوم
فبعد الفعل يرى وفيه وجه ثالث وهو ان ذلك مجاز عن الثواب يقال سسزى احسانك
عند الملك أى جزاه عليه وهو بعيد لما قال بعده ثم يجزاه الجزاء الاوفى (المسئلة الثانية)
الهاء ضمير السعي أى ثم يجزى الانسان سعيد بالجزاء والجزاء يتعدى الى مفعولين قال
تعالى وجزاهم بما صبروا الجنة وحريرا ويقال جزاك الله خيرا ويتعدى الى ثلاث
مفاعيل بحرف يقال جزاه الله على عمله الخير الجنة ويحذف الجار ويوصل الفعل
فيقال جزاه الله عمله الخير الجنة هذا وجه وفيه وجه آخر وهو ان الضمير الجزاء وتقديره
ثم يجزى جزاء ويكون قوله الجزاء الاوفى نفسيرا أو بدلا مثل قوله تعالى وأسروا الجوى
الذين ظلموا فان التقدير والذين ظلموا أسروا الجوى الذين ظلموا والجزاء الاوفى على
ما ذكرنا يليق بال مؤمنين الصالحين لانه جزاء الصالح وان قال تعالى فان جهنم جزاؤكم
جزاء موفورا وعلى ما قبل يجاب أن الاوفى بالنظر اليه فان جهنم ضررها أكثر بكثير
من نفع الآثام فهي في نفسها أوفى (المسئلة الثالثة) ثم لتراخي الجزاء أول تراخي الكلام
أى ثم نقول يجزاه فان كان ل تراخي الجزاء فكيف يؤخر الجزاء عن الصالح وقد ثبت أن
الظاهر أن المراد منه الصالح نقول الوجهان محتملان وجواب السؤال هو أن الوصف
بالاوفى يدفع ما ذكرت لان الله تعالى من أول زمان يموت الصالح يجزى به جزاء على خبره
ويؤخر له الجزاء الاوفى وهي الجنة أو نقول الاوفى اشارة الى الزيادة فصار كقوله تعالى
للذين أحسنوا الحسنى وهي الجنة وزيادة وهي الرؤية فكأنه تعالى قال وإن سعيه سوف
يرى ثم يرزق رؤية وهذا الوجه يليق بتفسير اللفظ فان الاوفى مطلق غير مبين فلم يقل أوفى
من كذا فينبغي أن يكون أوفى من كل واف ولا يتصف به غير رؤية الله تعالى (المسئلة
الرابعة) في بيان لطائف في الآيات (الاولى) قال في حق المسمى لاتر وازرة وزر أخرى
وهو لا يدل الاعلى عدم الخلل عن الوازرة وهذا يلزم منه بقاء الوزر عليهما من ضرورة
اللفظ لجواز أن يسقط عنها وتحول الله ذلك الوزر فلا يبقى عليها ولا يتحمل عن غيرها
ولو قال لاتر وازرة الاوزر نفسها كان من ضرورة الاستثناء انها تر وقال في حق المحسن
ليس للانسان الاماسعي ولم يقل ليس له ما لم يسم لان العبارة الثانية ليس فيها ان له ماسعي
وفي العبارة الاولى أن له ماسعي نظرا الى الاستثناء وقال في حق المسمى بعبارة لاتقطع
رياءه وفي حق المحسن بعبارة تقطع خوفه كل ذلك اشارة الى سبق الرحمة الغضب ثم
قال تعالى (وان لى ربك المنتهى) القراءة المشهورة فتح الهمة على العطف على ما يعنى ان

(وان الى ربك المنتهى)
أى انتهاه الخلق
ورجوعهم اليه تعالى
لا لى غيره استغلا لا ولا
اشتراكا وقرئ بكسر
ان على الاشياء

هذا أيضا في الصحف وهو الحق وقرئ بالكسر على الاستئناف وفيه مسائل (الاولى)
 ما المراد من الآية قلنا فيه وجهان (أحدهما) وهو المشهور بيان المعاد أي للناس بين
 يدي الله وقوف وعلى هذا فهو يتصل بما تقدم لأنه تعالى لما قال ثم يجزيه كان قائلًا قال
 لا يزى الجزاء ومتى يكون فقال ان المرجع الى الله وعند ذلك يجازى الشكور ويجزي
 الكفور (وثانيهما) المراد التوحيد وقد فسر الحكماء أكثر الآيات التي فيها الانتهاء
 والرجوع بما سنده غير ان في بعضها تفسيرهم غير ظاهر وفي هذا الموضع ظاهر فقول
 هو بيان وجود الله تعالى ووحدانيته وذلك لأنك اذا نظرت الى الموجودات الممكنة
 لا تجد لها بدا من موجود ثم ان موجودها ربما يظن انه يمكن آخر كالحرارة التي تكون
 على وجه يظن انها من اشراق الشمس أو من النار فيقال الشمس والنار ممكنتان فم
 وجودهما فان استندنا الى يمكن آخر لم نجد العقل بدا من الانتهاء الى غير ممكن فهو واجب
 الوجود فاليد ينتهي الامر فارب هو المنتهى وهذا في هذا الموضع ظاهر معقول موافق
 للقول فان المروي عن أبي بن كعب انه قال عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال وان
 الى ربك المنتهى لا فكرة في الرب أي انتهى الامر الى واجب الوجود وهو الذي
 لا يكون وجوده بموجد ومنه كل وجود وقال أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
 اذا ذكر الرب فانتبهوا وهو محتمل لما ذكرنا وأما بعض الناس فيبالغ و يفسر كل آية
 فيها الرجعي والنتهي وغيرهما بهذا التفسير حتى قيل اليه يصعد الكلام الطيب بهذا
 المعنى * هذا دليل الوجود وأما دليل الوحدانية فمن حيث ان العقل انتهى الى واجب
 الوجود من حيث انه واجب الوجود لأنه لو لم يكن واجب الوجود لما كان منتهى بل
 يكون له موجد قبله فالمنتهى هو الواجب من حيث انه واجب وهذا المعنى واحد
 في الحقيقة والعقل لأنه لا بد من الانتهاء الى هذا الواجب أو الى ذلك الواجب فلا يثبت
 للواجب معنى غير انه واجب فيبعد اذا وجوبه ولو كان واجبا في الوجود لكان كل
 واحد قبل المنتهى لان المجموع قبله الواجب فهو المنتهى وهذا دليلان ذكرتهما
 على وجه الاختصار (المسئلة الثانية) قوله تعالى الى ربك المنتهى في الخطاب وجهان
 (أحدهما) انه عام تقديره الى ربك أيها السامع أو العاقل (ثانيهما) الخطاب مع النبي
 صلى الله عليه وسلم وفيه بيان صحة دينه فان كل أحد كان يدعى ربا والها لكنه صلى الله
 عليه وسلم لما قال ربى الذي هو أحد وصمد يحتاج اليه كل ممكن فاذا ربك هو المنتهى وهو
 رب الارباب ومسبب الاسباب وعلى هذا القول الكاف أحسن موقفا أما على قولنا ان
 الخطاب عام فهو تهديد ببلغ السيئ وحث شديد للمحسن لان قوله أيها السامع كأننا
 مع كل الى ربك المنتهى يفيد الامر ين افادة بالغة حد الكمال وأما على قولنا
 الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم فهو تسلية لقلبه كأنه يقول لا تحزن فان المنتهى الى الله
 فيكون كقوله تعالى فلا تحزن ربك قولهم اننا نعلم ما يسرون وما يعلنون الى أن قال تعالى

في آخر السورة واليه ترجعون وأمثاله كثيرة في القرآن (المسئلة الثالثة) اللام على الوجه الاول للعهد لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول أبدا ان مرجعكم الى الله فقال وان الى ربك المنتهي الوعود المذكور في القرآن وكلام النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الوجه الثاني للعموم أى الى الرب كل منتهى وهو مبدأ وعلى هذا الوجه نقول منتهى الادراكات المدرجات فان الانسان أو لا يدرك الاشياء الظاهرة ثم يعين النظر فينتهي الى الله فيقف عنده ثم قال تعالى (وأنه هو أضحك وأبكى) وفيه مسائل (الاولى) على قولنا اليه المنتهى المراد منه اثبات الوجدانية هذه الآيات مثبتات لمسائل يتوقف عليها الاسلام من جلته اقدرته لله تعالى فان من الغلاصة من يعترف بان الله التامى وأنه واحد لكن يقول هو موجب لا قادر فقال تعالى هو أوجد ضدين الضحك والبكاء في محل واحد والموت والحياة والذكورة والانوثة في مادة واحدة وان ذلك لا يكون الا من قادر واعترف به كل عاقل وعلى قولنا ان قوله تعالى وان الى ربك المنتهى بيان المعاد فهو إشارة الى بيان أمره وهو كما يكون في بعضه اضداد كافرما وفي بعضه ايا كيا محزوننا كذلك يفعل به في الآخرة (المسئلة الثانية) أضحك وأبكى لامفعول لهما في هذا الموضع لانهما مسوقتان لندرة الله لا لبيان المقدور فلا حاجة الى المفعول يقول القائل فلان بيده الاخذ والعطاء يعطى وينزع ولا يريد رعا معطى (المسئلة الثالثة) اختار هذين الوصفين للذكر والانثى لانهما أمران لا يعلمان فلا يقصرا أحسن الطبيعيين أن يندى في اختصاص الانسان بالضحك والبكاء وجهها وسببها واذا لم يعطى بامر ولا بدله من موجد فهو لله تعالى بخلاف الصخرة والسمسم فيقولون سببهما اختلال المزاج وخروجه عن الاعتدال وبذلك على هذا انهم اذا ذكروا في الضحك أمر الله الضحك قالوا قوه التعجب وهو في غاية ابطال لان الانسان ربما يهت عند رؤية الامور العجيبة ولا يضحك وقيل قوة الفرح وليس كذلك لان الانسان يفرح كثيرا ولا يضحك والحزين الذي عنده غاية الحزن يضحك المضحك وكذلك الامر في البكاء وان قيل لاكثرهم علما بالامور التي يدعونها الطبيعيون ان خروج الدمع من العين عند امور مخصوصة لماذا لا يقدر على تعليل صحيح وعند الخواص كالتى في المغناطيس وغيرها تقطع الطبيعي كما ان عند اوضاع الكواكب ينقطع هو والمهندس الذى لا يفوض أمره الى قدرته تعالى وارادته ثم قال تعالى (وأنه هو أمات وأحى) والبحث فيه كما في الضحك والبكاء غير ان الله تعالى في الاول بين خاصة النوع الذى هو اخص من الجنس فانه أظهر وعن التعليل أبعد ثم عطف عليه ما هو اعم منه ودونه في البعد عن التعليل وهى الامانة والاحياء وهما صفتان متضادتان أى الموت والحياة كالضحك والبكاء والموت على هذا ليس بمجرد العدم والالكان المشتع مينا وكقما كان فالامانة والاحياء أمر وجودى وهما من خواص الحيوان ويقول الطبيعي في الحياة لاعتدال المزاج والمزاج من أركان متضادة هى النار والهواء والماء

(وأنه هو أضحك وأبكى) أى هو خلق فوق الضحك والبكاء (وأنه هو أمات وأحى) لا يقدر على الامانة والاحياء فبزه فان اثر اقبال نفخ البيئة وتفريق الاتصال وانما يحصل الموت عنده بذله الله تعالى على العادة

(وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى)

والتراب وهي متداعية الى الانفسكالك وما لا تركيب فيه من المتضادات لاموت له لان المتضادات كل أحد يطلب مفارقة مجاوره فقال تعالى الذى خلق ومزج العناصر وحفظها مدة قادر على أن يحفظها أكثر من ذلك فاذامات فليس عن ضرورة فهو يفعل فاعل مختار وهو الله تعالى فهو الذى أمات وأحيا فان قبل منى أمات وأحيا حتى يعلم ذلك بل مشاهدة الاحياء والامانة بناء على الحياة والموت نقول فيه وجوه (احدها) أنه على القديم والتأخير كأنه قال أحيا وأمات (ثانيا) هو بمعنى المستقبل فان الامر قريب يقال فلان وصل والليل دخل اذا قرب مكانه وزمانه فكذلك الاحياء والامانة (ثالثا) أمات أى خلق الموت والجود في العناصر ثم ركبها وأحيا أى خلق الحس والحركة فيها ثم قال تعالى (وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى) وهو أيضا من جملة المتضادات التي تتوارد على النطفة فيعضها الخلق ذكر او بعضهما أنثى لا يصل اليه فهم الطبيعى الذى يقول انه من البرد والرطوبة في الانثى قرب امرأة أليس من اجامن الرجل وكيف واذا انطرت في المميزات بين الصغير والكبير تجدها امور اعجبية منها نبات اللحية وأقوى ما قالوا في نبات اللحية انه مهم قالوا الشهور مكونة من بخار دخان يهضر الى المسام فاذا كانت المسام في غاية الرطوبة والخلل كفى مزاج الصبي والمرأة لا ينبت الشعر لخروج تلك الادخنة من المسام في غاية الرطوبة بسهولة قبل أن يتكون شعر او اذا كانت في غاية السيوسة والتكاثف ينبت الشعر لمسر خروجه من المخرج الضيق ثم ان تلك المواد تجذب الى مواضع مخصوصة فتندفع اما الى الرأس فتندفع اليه لانه مخلوق كقبة فوق الابخرة والادخنة فتصاعد اليه تلك المواد فلهذا يكون شعر الرأس أكثر وأطول ولهذا في الرجل مواضع تجذب اليها الابخرة والادخنة منها الصدر لحرارة القلب والحرارة تجذب الرطوبة كالسراج الزيت ومنها يقرب آفة الناسل لان حرارة الشهوة تجذب أيضا ومنها الحيان فانه كثيرة الحركة بسبب الاكل والكلام والحركة أيضا جاذبة فاذا قبل اهم في السبب الموجب للآدم نبات شعر اللحية وآلة الناسل فانه اذا قطعت لم تنبت اللحية وما الفرق بين سن الصباوسن الشباب وبين المرأة والرجل في بعضها يهت وفي بعضها يتكلم بامور واهية ولو فوضها الى حكمة الهية لكان أولى وفيه مسئلتان (الاولى) قال تعالى وأنه خلق ولم يزل وأنه هو خلق كما قال وأنه هو أضعفك وأبكي وذلك لان الضحك والبكاء ربما يتوهم متوهم انه بفعل الانسان وفي الامانة والاحياء وان كان ذلك التوهم بعيدا لكن ربما يقول به جاهل كما قال من حاج ابراهيم الخليل عليه السلام حيث قال أنا حبي وأميت فاكد ذلك بذكر الفصل وأما خلق الذكر والانثى من النطفة فلا يتوهم أحدا انه بفعل أحد من الناس فلم يؤكده بالفصل الا ترى الى قوله تعالى وأنه هو أغنى وأفنى حيث كان الاغناء عندهم غير مستند الى الله تعالى وكان في معتقدهم ان ذلك بفعلهم كما قال قارون انما أوتيته على علم عندي ولذلك

قال وانه هو رب الشعري لانهم كانوا يستبدون أن يكون رب محمد هو رب الشعري
فانك في مواضع استبعادهم النسبة الى الله تعالى الاستناد ولم يتركه في غيره (المسئلة
الثانية) الذكر والانثى اسمان هما صفة أو اسمان ليسا بصفة المشهور عند أهل اللغة
الثاني والظاهر وانهما من الاسماء التي هي صفات فاندكر الحسن والعرب والانثى كالحبلى
والكبرى وانما قلنا انهما صفتان في رأي لانها حياها الشئ لا كالكبرى وان
قلنا انها كالكبرى في رأي وانما قلنا ان الظاهر انهما صفتان لان الصفة ما يطلق على
شئ ثبت له أمر كالعلم يطلق على شئ له عمل والمحرك يقال لشيء له حركة بخلاف الشجر والحجر
فان الشجر لا يقال لشيء بشئ طائر ثبت له أمر بل هو اسم موضوع لشيء معين والذكر اسم
يقال لشيء له أمر ولهذا يوصف به ولا يوصف بالشجر يقال جاءني شخص ذكر أو انسان
ذكر ولا يقال جسم شجر والذي ذهب الى انه اسم غير صفة انما ذهب اليه لانه لم يره
فعلا والصفة في الغالب فعل كالعلم والجمال والحسن والعرب والكبرى والحبلى
وذلك لا يدل على ما ذهب اليه لان الذكورة والانوثة من الصفات التي لا يتبدل بعضها
بعض فلا يصاغ لهما افعال لان الفعل لما يتوهم له تجديد في صورة الغالب ولهذا لم
يوجد للاضافات افعال كالابوة والبنوة والاخوة اذ لم تكن من الذي يتبدل ويوجد
للاضافات المتبدلة افعال يقال وانما وتبناه للمم يكن مثنا يتكلف فقبل التبدل
* وقوله تعالى (من نطفة) أى قطعة من الماء * وقوله تعالى (اذاتنى) من أمى الى اذا
نزل أو من منى يعنى اذا قدر وقوله تعالى من نطفة تنبيه على كمال القدرة لان النطفة
جسم متناسب الاجزاء ويخلق الله تعالى منه أعضاء مختلفة وطبعا متباينة وخلق
الذكر والانثى منها أعجب ما يكون على ما بينا ولهذا لم يقدر أحد على أن يدعيه
كالم يقدر أحد على أن يدعي خلق السموات ولهذا قال تعالى ولئن سألتهم من خلقهم
ليقولن الله كما قال ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله * ثم قال تعالى
(وأن عليه النشأة الاخرى) وهى في قول أكثر المفسرين اشارة الى الحشر والذي ظهر لى
بمد طول التفكير والسؤال من فضل الله تعالى الهداية فيه الى الحق انه يحتمل أن يكون
المراد نفع الروح الانسانية فيه وذلك لان النفس الشريفة لا الامارة تغالب الاجسام
الكثيفة المظلمة وبها كرم الله بنى آدم واليه اشارة في قوله تعالى فكسونا العظام لحما
ثم أنشأناه خلقا آخر غير خلق النطفة علقه والعلقة مضعة والمضعة عظاما وهذا الخلق
الاخر تميز الانسان عن أنواع الحيوانات وشارك الملك في الادراكات فكما قال
هنالك أنشأناه خلقا آخر بعد خلق النطفة قال ههنا وأن عليه النشأة الاخرى فجعل
نفع الروح نشأة أخرى كما جعله هنالك انشاء آخر والذي أوجب القول بهذا هو ان قوله
تعالى وأن الدرك الشئى عند الاكثرين لبيان الاعادة وقوله تعالى ثم يحجزه الجراء
الوفى كذلك فيكون ذكر النشأة الاخرى اعادة ولانه تعالى قال بعد هذا وانه هو اعنى

من نطفة اذاتنى) تدفق
في الرحم او تخلق او يقدر
منها الولد من منى بمعنى
قدر (وان عليه النشأة
الاخرى) اى الاحياء
بعد الموت وقابوعدة
وقرى النشأة بالمدوهى
ايضا مصدر نشأه

وأفنى وهذا من أحوال الدنيا وعلى ما ذكرنا يكون الترتيب في غاية الحسن فانه يقول تعالى خلق الذكر والانثى ونفخ فيهما الروح الانسانية الشريفة ثم أغناهم بلبن الام وبنفخة الاب في صغره ثم أفتاه بالكسب بعد كبره فان قيل فقد وردت النشأة الاخرى للعشر في قوله تعالى فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الاخرة نقول الاخرة من الآخر لان الآخر لان الآخر أقبل وقد تقدم على ان هناك لما ذكر البدء حل على الاعادة ومهنا ذكر خلقه من نضاعة كافي فوله ثم خلقنا النطفة علقه ثم قال أنشأناه خلقا آخر وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) على الوجوب ولا يجب على الله الاعادة فاعني قوله تعالى أن عليه قال الزمخشري على ما هو مذهبه عليه ههنا فان من الحكمة الجزاء وذلك لانهم الايمان صر فيجب عليه عتلا الاعادة ثم لانقول بهذا القول ونقول فيه وجهان (الاول) عليه بحكم الوعد فانه تعالى قال ان نحن نجزي الوقي فعليه شكم الوعد لا بعمل ولا بالشرع (الثاني) عليه للعين فان من حضر بين جمع وحاولوا أمر او عجزوا عنه يقال وجب عليك ان تفعله أي عينته (المسئلة الثانية) قرى النشأة على المصدر كالمصدر يعني وزن فاعني النشأة بالمدح المصداق على وزن ضمرين أي مرة بعد مرة بمعنى النشأة مرة أخرى عليه وقرى النشأة بالمدح المصداق على وزن ضمرين أي كالكفالة وكيفما قرى فهي من نشأ وهو لازم وكان الواجب أن يقال عليه الانشاء لان النشأة نقول فيه فائدة وهي ان الجزم يحصل من ما يوجد الخلق مرة أخرى ولو قال عليه الانشاء ربما يقول قائل الانشاء من باب الاجلاس حيث قيل في السعة أجلسه فاجلس وأقنع فاقام فيقال انشاء وما نشأ أي قصده لينشأ ولم يوجد فاذا قيل عليه النشأة أي يوجد النشأ ويحققه بحيث يوجد جرما (المسئلة الثالثة) هن بين قول القائل عليه النشأة مرة أخرى وبين قوله عليه النشأة الاخرى فرق نقول نعم اذ قال عليه النشأة مرة أخرى لا يكون النشأ قد علم أولوا اذ قال عليه النشأة الاخرى يكون قد علم حقيقة النشأة الاخرى فنقول ذلك المعلوم عليه ثم قال تعالى (وانه هو أغنى وأفنى) وقد ذكرنا تفسيره فنقول أغنى يعني دفع حاجته ولم يترك محتاجا لان الفقير في مقابلة أغنى فمن لم يبق فقيرا بوجه من الوجوه فهو أغنى مضطرا ومن لم يبق فقيرا من وجه فهو أغنى من ذلك الوجه قال صلى الله عليه وسلم أغنوهم عن المسئلة في هذا اليوم وحل ذلك على زكاة الفطر ومعناه اذا اتاه ما احتاج اليه وقوله تعالى أفنى ومعناه وزاد عليه الافناء فوق الاغناء والذي عندي ان الحروف متشابهة في المعنى فنقول لما كان يخرج القاف فوق مخرج العين جعل الاقضاء حالة فوق الاغناء وعلى هذا فالاغناء هو ما آتاه الله من العين والاسنان وهده الى الارتضاع في صباه أو هو ما أعطاه الله تعالى من القوة واللباس المحتاج اليهما وفي الجملة كل ما دفع الله به الحاجة فهو اغناء وكل ما زاد عليه فهو افتاء * ثم قال تعالى (وانه هو رب الشرى) اشارة الى فساد قول قوم آخرين وذلك لان بعض

(وانه هو أغنى وأفنى)
واعطى القنية وهي
ما تأكل من الاموال
وافرادها بالذكر لانها
اشرف الاموال او ارضى
وتحقيقه جعل الرضاه
قنية (وانه هو رب
الشرى) أي رب
معبودهم وهي البور
وهي أشد ضياء من
الغيم صاود كانت خزاعة
تعبدها من لهم ذلك
ابوكشة رجل من
أشرافهم وكانت قرىش
تقول رسول الله صلى
الله عليه وسلم ابوكشة
تشبهه عليه الصلاة
والسلام به لخالفته
ايامهم في دينهم

الناس يذهب الى أن الفقر والغنى يكسب الانسان واجتهاده فمن كسب استغنى ومن كسل افقر وبعضهم يذهب الى أن ذلك بالبخت وذلك بالجوم فقال هو أغنى وأغنى وان قائل الغنى بالجوم غلط فتقول هورب الجوم وهو محر كها كما قال تعالى هورب الشعري وقوله هورب بالشعري لانكارهم ذلك أكد بالفصل والشعري نجم مضى وفي الجوم شعريان احدهما شامية والاخرى بمانية والظاهر أن المراد للممانية لانهم كانوا يعبدونها * ثم قال تعالى (وأنها أهلك عاد الاولى) لما ذكر انه اغنى وأغنى وكان ذلك بفضل الله لا بعطاء الشعري وجب أشكر لمن قد أهلك وكفى لهم دليلا حال عاد وثمود وغيره وعادا الاولى قيل بالاولى تميزت عن قوم كانوا بتكعة هم عاد الآخرة وقيل الاولى لبيان تقدمهم لا تميزهم تقول زيد العالم جافى فتصفه بالتميز ولكن لتبين علمه وفيه قرأت عاد الاولى بكسر نون التثنية لالتقاء الساكنين وعاد الاولى بالساقطون التثنية أيضا لالتقاء الساكنين كقراءة عن يربن الله وقيل هو الله أحد الله الصمد وعاد الاولى بادغام النون في اللام ونقل ضمة الهمة الى اللام وعاد الاولى بهمز الواو وقرأها القاري على سوفه ودليله ضعيف وهو يحتل هذا في موضع المؤقتة والمؤقتة للضمة والواو فمضى من هذا الموضع تجرى على الهمة وكذا في سورة اوجود الهمة الاصل وفي موسى وقوله لا يحسن * ثم قال تعالى (وثمود ذابقي) يعني وأهلك ثمود وقوله ذابقي عائد الى عاد وثمود أى ذابقي تسليمهم ومن المفسرين من قال ذابقي عنهم أى ذابقي منهم أحدا ويؤيد هذا قوله تعالى فهل ترى لهم من باقية وتسلح الحجاج الى من قال ان ثقيفا من ثمود بقوله تعالى ذابقي * (ووقوم نوح) أى أهلكهم (من قبل) والمسئلة مشهورة في قبل وبعد تقطع عن الاضافة فتصير كالغاية فتبنى على الضمة أما البناء فلتضمنه الاضافة وأما على الضمة فلانها لو بنيت الى الفتحة لكان قد أثبت فيه ما يستحب بالاعراب من حيث انها ظروف زمان فتستحق النصب والقبح مثله ولو بنيت على الكسر لكان الامر على ما ينقض به الاعراب وهو الجار بالجار فبنى على ما يخالف حالتي اعرابها * وقوله تعالى (انهم كانوا هم أظلم وأطغى) اما اظلم فلانهم هم البادئون به المتقدمون فيه ومن سن سنة سبته فعليه وزرها ووزر من عمل بها والبادي أظلم وأما أطغى فلانهم سمعوا المواعظ وطال عليهم الامد ولم يرتدعوا حتى دعا عليهم نبيهم ولا يدعونى على قومه الا بعد الامرار العظيم والظلم واضع الشيء في غير موضعه والطاغى المجاوز الحد فالطغى أدخل في الظلم فهو كالغيار والمخالف فان المخالف مغاير مع وصف آخر زائد وكذا المغاير والمضاد وكل ضد غير وليس كل غير ضد او عليه سؤال وهو ان قوله وقوم نوح المقصود منه تخويف البطالم بالهلاك فاذا قال هم كانوا في غابة الظلم والظلميان فاهلكوا يقول الظالم هم كانوا أظلم فاهلكوا لمباغتتهم في الظلم ونحن ما افنا فلان هلاك وأما وما أهلكوا لانهم ظلموا لخلاف

(وأنها هلك عاد الاولى)
هى قوم هود عليه السلام
وعاد الاخرى ارم وقيل
الاولى القدماء لانهم
الامم هلاكا بعد قوم نوح
وقرى عاد الاولى بخذف
الهيرة ونقل ضمها الى
اللام وعاد لولى بادغام
التثنية في اللام وطرح
هيرة اولى ونقل حركتها
الى لام التعريف
(وثمود) عطف على
عاد لان ما بعده لا يعمل
فيه وقرى وثمودا
بالتثنية (ذابقي) أى
أحدا من الفريقين
(ووقوم نوح) عطف
عليه أيضا (من قبل)
أى من قبل اهلاك عاد
وثمود (انهم كانوا هم
أظلم وأطغى) من الفريقين
حيث كانوا يؤذونه
ويشغرون الناس عنه
وكانوا يجذرون صبيانهم
أن يسموا منه وكانوا
يضر بومه عليه الصلاة
والسلام حتى لا يكون
به حراك وماثر فيهم
دعاء قريبا من الق
سنة

(والمؤتفكة) هي قري قوم لوط أتفكت بأهلها أي ٧٧٦ انقلب بهم (أهوى) أي أسقطها إلى الأرض

كل ظالم فإلغائه في قوله أظلم نقول المقصود بيان شدتهم وقوة أجسامهم فانهم لم يقدموا على الظلم والاضغاث الشديد إلا بتأديهم وطول أعمارهم ومع ذلك ما نجا أحد منهم فأحال من هود ونهم في العمر والقوة فهو كقوله تعالى أشد منهم بطشا وقوله تعالى (والمؤتفكة أهوى) المؤتفكة المنقلبة وفيه مسائل (المسئلة الأولى) قري والمؤتفكات والمشهور فيه أنها قري قوم لوط لكن كانت لهم مواضع أتفكت فهي مؤتفكات ويحتمل أن يقال المراد كل من انقلب مساكنه ودثرت اما كنه ولهذا ختم المهلكين بالمؤتفكات كن يقول مات فلان وفلان وكل من كان من أمثالهم وأشكالهم (المسئلة الثانية) أهوى أي أهواها بمعنى أسقطها فقبل أهواها من الهوى إلى الأرض من حيث حلها جبريل عليه السلام على جناحه ثم قلبها وقيل كانت عارنهم سر تفعه فأهواها بالزلزلة وجعل عائلها أسافلها (المسئلة الثالثة) قوله تعالى والمؤتفكة أهوى على ما قلت كقول الفاضل والمنقلبة قلبها وقلب المنقلب تحصيل الحاصل نقول ليس معناه المنقلبة ما انقلبت بنفسها بل الله قلبها فانقلبت (المسئلة الرابعة) ما الحكمة في اختصاص المؤتفكة باسم الموضع في الذكر وقال في عاد وثمود وقوم نوح اسم القوم نقول الجواب عنه من وجهين (أحدهما) أن ثمود اسم الموضع فذكر عادا باسم القوم وثمود باسم الموضع وقوم نوح باسم القوم والمؤتفكة باسم الموضع ليعلم أن القوم لا يمكنهم صون أما كنهم عن عذاب الله تعالى ولا الموضع يحصن القوم عنه فان في العادة تارة يقوى الساكن فيذب عن مسكنه وأخرى يقوى المسكن فيذب عن ساكنه وعذاب الله لا يمنع مانع وهذا المعنى حصل للمؤمنين في آيتين (أحدهما) قوله تعالى وكف يدي الناس عنكم وقوله تعالى وظنوا أنهم مائة منهم حصونهم من الله في الأول لم يقدر الساكن على حفظ مسكنه وفي الثاني لم يقو الحصن على حفظ الساكن (والوجه الثاني) هو أن عاد وثمود وقوم نوح كان أمرهم متقدما وأما كنهم كانت قد دثرت ولكن أمرهم كان مشهورا متواترا وقوم لوط كانت مساكنهم وأثار الانقلاب فيها ظاهرة فذكر الظاهر من الأمر في كل قوم ثم قال تعالى (ففساها ما غشي) يحتمل أن يكون ما مفعولا وهو الظاهر ويحتمل أن يكون فاعلا يقال ضرب به من ضرب به وعلى هذا نقول يحتمل أن يكون الذي غشي هو الله تعالى فيكون كقوله تعالى والسماء وما بناها ويحتمل أن يكون ذلك إشارة إلى سبب غضب الله عليهم أي غشاها عليهم السبب بمعنى أن الله غضب عليهم بسببه يقال لمن أغضب مدكا بكلام فغضب به الملك كلاما الذي ضرب بك ثم قال تعالى (فبأي آلاء بك تنماری) قبل هذا أيضا مما في الصحف وقيل هو ابتداء كلام والخطاب عام كأنه يقول بأي التهم أيها السامع تشك أو تجادل وقيل هو خطاب مع الكافر ويحتمل أن يقال مع النبي صلى الله عليه وسلم ولا يقال كيف يجوز أن يقول للنبي صلى الله عليه وسلم تنماری لأننا نقول هو من باب لن أشرك ليحبط

بعد أن رفعها على جناح جبريل عليه السلام إلى السماء (ففساها ما غشي) من فنون العذاب وفيه من التهور والفظيع ما لا غاية وراءه (فبأي آلاء بك تنماری) تشكك والخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام على طريقة قوله تعالى لن أشرك ليحبطن علك أو لكل أحد أو استأذنك أو لك إلى الواحد باعتبار تعدده بحسب تعدد متعلقه فان صيغة التفاضل وإن كانت موضوعة لا فائدة صدور الفعل عن التعدد ووقوعه عليه بحيث يكون كل من ذلك فاعلا ومفعولا معا لكنها قد تجرد عن المعنى الثاني فبراد بها المعنى الأول قطع كافي بتداعونه أي يدعونهم وقد تجرد عنهم أيضا فكيف بتعدد الفعل بتعدد متعلقه كما فيما نحن فيه فان المراد متعدد بتعدد الآلاء قدبر وتسمية الأمور المفردة الآلاء ان بعضها نغم لما أنهما أيضا من حيث أنها نصرة للأنبياء والمؤمنين وانتقام لهم وفيها عظمت وعبر للمعتبرين

يعني التذير من المصدر بمعنى هذا اما الإشارة الى القرآن والتذير مصدر اولى الرسول عليه الصلاة والسلام والتذير
بمعنى التذير وأما ما كان قائلون للتخميم ومن ٧٧٧ * متعلقة بمحذوف هو نعت التذير مقدر له ومتضمن للوعيد أى

هذا القرآن الذى
تشاهدونه نذير من
قبيل الانقارات المتقدمة
التي سمعتم عاقبتها
أو هذا الرسول منذر من
جنس المنذرين الاولين
والاولى على تأويل
الجماعة لمراعاة القواصل
وقد علمت احوال قومهم
المنذرين وفي تعقيبه
يقوله تعالى (أزفت
الآزفة) اشعار بان
تذيرهم مؤخر الى يوم
القيامة أى ذنت الساعة
الموصوفة بالدنو في نحو
قوله تعالى اقتربت
الساعة (ليس لها من
دون الله كاشفة) أى
ليس لها نفس قادرة على
كشفها عند وقوعها
الا الله تعالى لكنه
لا يكشفها أو ليس لها
ألا أن نفس كاشفة
تأخيرها الا الله تعالى فانه
المؤخر لها وليس لها
كاشفة وقتها الا الله تعالى
كقوله تعالى لا يجليها
لوقتها الا هو أو ليس
لها من غير الله تعالى
كشف على أن كاشفة
مصدر كالعافية (أفن
هذا الحديث) أى القرآن

عملك يعلم ببقية امكان الشك حتى ان فارضا لو فرض النبي صلى الله عليه وسلم من
يشك أو يجادل في بعض الامور الخفية لما كان يمكنه المراء في نعم الله والعيوم هو الصحيح
كانه يقول بآي آذر بك تتارى أي الانسان كما قال يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم
وقال تعالى وكان الانسان أ كثر شيئا جدلا فان قيل المذكور من قبل نعم والآلاء نعم
فكيف قال آذر بك نقول لما عد من قبل النعم وهو الخلق من الطغاة ونفخ الروح
الشريفة في دواب الانعام والافتاء وذكر ان الكافر ينعمه اهلا قال فبأي آذر بك تتارى
فيصيبك مثل ما أصاب الذين تماروا من قبل أو نقول لما ذكر الاهلاك قال لك الشايات
ما أصابك الذي أصابهم وذلك بحفظ الله لك فبأي آذر بك تتارى وسنريده بياناً في قوله
تعالى فبأي آذر بك تتارى في مواضع العذاب * ثم قال تعالى (هذا نذير من النذر
الاولى) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) المشار اليه بهذا ماذا نقول فيه وجوه (أحدها)
نحمد صلى الله عليه وسلم من جنس النذر الاولى (ثانيها) القرآن (ثالثها) ما ذكره من اخبار
المهلكين ومعناه حينئذ هذا بعض الامور التي هي منذرة وعلى قولنا المراد محمد صلى الله
عليه وسلم فالنذير هو المنذر ومن لبيان الجنس وعلى قولنا المراد هو القرآن يحتمل ان يكون
التذير بمعنى المصدر ويحتمل ان يكون بمعنى الفاعل وكون الإشارة الى القرآن بعيد لفظاً
ومعنى أما معنى فلان القرآن ليس من جنس الصحف الاولى لانه معجز وتلك لم تكن معجزة
وذلك لانه تعالى لما بين الوحداية وقال فبأي آذر بك تتارى قال هذا نذير إشارة إلى
محمد صلى الله عليه وسلم وإثباتاً للرسالة وقال بعد ذلك أزفت الآزفة إشارة الى القيامة
ليكون في الآيات الثلاث المرتبة اثبات أصول ثلاث مرتبة فان الاصل الاول هو الله
ووحدايته ثم الرسول ورسالته ثم الحشر والقيامة وأما فظ فلان النذيران كان كمالاً
فأذكره من حكمة المهلكين أولى لانه أقرب ويكون على هذا من بقى على حقيقة التبعيض
أى هذا الذى ذكرنا بعض ما جرى ونبتدع ما وقع أو يكون لا ابتداء ابتغية بمعنى هذا انذار
من المنذرين المتقدمين يقال هذا الكتاب وهذا الكلام من فلان وعلى الاقوال كلها
ليس ذكر الاولى لبيان الموصوف بالوصف وتمييزه عن النذر الآخرة كما يقال الفرقة الاولى
احتراراً عن الفرقة الآخرة وانما هو لبيان الوصف للموصوف كما يقال زيد العالم جاني
فيذكر العالم ما لبيان ان زيدا عالم غير انك لا تذكره لفظ الخبر فتأتى به على طريقة الوصف
واما المدح زيد به واما الامر آخر والاوى على العود الى لفظ الجمع وهو النذر ولو كان معنى
الجمع لقال من النذر الاولين يقال من الاقوام المتقدمة والمتقدمين على اللفظ والمعنى
* ثم قال تعالى (أزفت الآزفة) وهو كقوله تعالى وقعت الواقعة ويقال كانت الكائنة
وهذا الاستعمال يقع على وجوه منهما اذا كان الفاعل صار فاعلاً لثبوت ذلك الفعل من
قبل ثم صدر منه مرة أخرى مثل الفعل فيقال فعل الفاعل أى الذى كان فاعلاً صار فاعلاً
مرة أخرى يقال حاك كالحائك أى من شغله ذلك من قبل فعله ومنها ما يصير الفاعل فاعلاً

أبعد شئ من ذلك (ولا تكون) حزننا على ما فرطتم في ٧٧٨ * شانه وخوفنا ان يحرق بدم ماحاق بالام

بذلك الفعل ومنه يقال اقامات البيت انقطع عمله واذا غصب العين غاصب ضمنه فقول
 أزفت الأزفة يحتمل أن يكون من القيل الاول أي قربت الساعة التي كل يوم يزداد
 قربها فهي كأنه قريبة وازدادت في القرب ويحتمل أن يكون قوله تعالى وقعت الواقعة
 أي قرب وقوعها وأزفت فاعلمها في الحقيقة القيامة أو الساعة فكأنه قال أزفت القيامة
 الأزفة أو الساعة أو مثلها * وقوله تعالى (ليس لها من دون الله كاشفة) فيه وجوه
 (أحدها) لا مظهر لها الا الله فن يعلمها لا يعلم الا بعلم الله تعالى اياه واطهاره اياه له فهو
 قوله تعالى ان الله عنده علم الساعة وقوله تعالى لا يجليها اوقتها الا هو (ثانيها) لا يأتي بها
 الا الله كقوله تعالى وان يدركك الله بضر فلا كاشف له الا هو وفيه مسائل (الاولى) من
 زائدة تقديره ليس لها غيره كاشفة وهي تدخل على النفي فتؤكد معناه تقول ما جاني
 أحد وما جاني من أحد وعلى هذا يحتمل أن يكون فيه تقديم وتأخير تقديره ليس لها من
 كاشفة دون الله فيكون نفيا عاما بالنسبة الى الكواشف ويحتمل أن يقال ليست بزيادة
 بل معنى الكلام انه ليس في الوجود نفس تكشفها أي تخبر عنها كما هي ومتى وقتها من غير
 الله تعالى يعني من يكشفها فانما يكشفها من الله لانه غير الله يقال كشف الامر من زيد
 ودون يكون بمعنى غير كما في قوله تعالى أثبتنا آلهة دون الله تريدون أي غير الله (المسئلة
 الثانية) كاشفة صفة لمؤنث أي نفس كاشفة وقيل هي للبالغة كما في العلامة وعلى
 هذا يقال بانه نفي أن يكون لها كاشفة بصيغة المبالغة ولا يلزم من نفي الكاشف الثاني
 نفي نفس انكشف لاننا نقول لو كشفها أحد ركان كاشف بالوجه الكامل فلا كاشف لها
 ولا يكشفها أحد وهو قوله تعالى وما أنا بظالم للعبيد من حيث نفي كونه ظالما مبالغا
 ولا يلزم من نفي كونه ظالما وقلنا هناك انه لو ظلم عبده الضمعة بغير حق لكان في غاية الظلم
 وليس في غاية الظلم فلا يظلمهم أصلا (المسئلة الثالثة) اذا قلت ان معناه ليس لها نفس
 كاشفة فقول من دون الله استثناء على الاشهر من الاقوال فيكون الله تعالى نفسا لها
 كاشفة فنقول الجواب عنه من وجوه (الاول) لافساد في ذلك قال الله تعالى ولا أعلم ما في
 نفسك حكاية عن عيسى عليه السلام والمعنى الحقيقة (الثاني) ليس هو صريح الاستثناء
 فيجوز فيه ان لا يكون نفسا (الثالث) الاستثناء الكاشف المباليغ * ثم قال تعالى (أفمن
 هذا الحديث تعجبون) قيل من القرآن ويحتمل أن يقال هذا اشارة الى حديث أزفت
 الأزفة فانهم كانوا يتعجبون من حشر الاجساد وجمع العظام بعد الفساد * وقوله تعالى
 (وتضحكون) يحتمل أن يكون المعنى وتضحكون من هذا الحديث كما قال تعالى فلما جاءهم
 بآياتنا اذا هم منها يضحكون في حق موسى عليه السلام وكانهم أيضا يضحكون من
 حديث النبي والقرآن ويحتمل أن يكون انكارا على مطلق الضحك مع سماع حديث
 القيامة أي انضحكون وقد سمعتم أن القيامة قريب فكان حقاً ان لا تضحكوا حينئذ
 * وقوله تعالى (ولا تكون) أي كان حقاً لكم ان تبكوا منه فتكون ذلك وتأتون بضده

الذكورة (وأنتم
 سامدون) أي لاهون
 أو مستكبرون من سمع
 البعير اذا رفع رأسه
 أو مغنون لتشغلوا الناس
 عن استماعه من اليهود
 بمعنى الفناء على لغة حبر
 أو ناشون جامدون من
 السمود بمعنى الجمود
 والخشوع كما في قول من قال
 * رمى الحدان نوء آل سعد
 * بمقدار سعد له سعد *
 فرد شعورهن السود
 بيضا * ورد وجوههن
 البيض سودا * والجملة
 حال من فاعل لا تكون
 خلا أن مضونها على
 الوجه الاخير قيد للمعنى
 والانتكار وورد على نفي
 البكا والسوداء وعلى
 الوجوه الاول قيد للنفي
 والانتكار متوجه الى
 نفي البكا ووجود السمود
 والاول أوفى بحق المقام
 فدبر والفساد في قوله
 تعالى (فاجحدوا لله
 واعبدوا) لترتيب الامر
 أو موجبه على ما قرر
 من بطلان مقابلة
 القرآن بالانكار والاستهزاء
 ووجوب تلقيه بالامان مع
 كمال الخضوع والخشوع
 أي واذا كان الامر كذلك فاسجدوا لله الذي أنزلوه واعبدوه * عن النبي عليه الصلاة

والسلام من قرأ سورة النجم أعطاه الله تعالى ﴿ ٧٧٩ ﴾ عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجمعه بمكة

شرفها الله تعالى

* (سورة القمر مكية

وآياتها خمس وخمسون

آية) *

* (بسم الله الرحمن

الرحيم) * (اقتربت

الساعة وانشق القمر)

روى أن الكفار سألوا

رسول الله صلى الله عليه

وسلم أية فانشق القمر قال

ابن عباس رضي الله عنهما

انفلق فلقتين فلقة ذهبت

وفلقة بقيت وقال ابن

مسيور رأيت حرايين

فلقتي القمر وعن عثمان

بن عطاء عن أبيه أن

معناه سينشق يوم القيامة

ويرده قوله تعالى (وان

يروا آية يعرضوا ويقولوا

سحر مستر) فانه ناظم

بانه قد وقع وانهم قد

شاهدوه بعد مشاهدة

نظائرهم وقرى وقد انشق

القمر أي اقتربت الساعة

وقد حصل من آيات

اقتربها أن القمر قد انشق

ومعنى الاستمرار الاطراد

أو الاستحكام أي وان

ير أو آية من آيات الله

يعرضوا عن التأمل فيها

ليفوتوا على حقيقتها وعلو

مقبتها ويقولوا سحر

* وقوله تعالى (وانتم سامعون) أي غافلون وذكر باسم الفاعل لان الغفلة دأبه واما الضحك والعجب فهما أمران يتجددان ويعدمان * وقوله تعالى (فاسجدوا لله واعبدوا) يحتمل أن يكون الامر عاما ويحتمل أن يكون النفسا فيكون كأنه قال أيها المؤمنون اسجدوا شكرا على الهداية واشتغلوا بالعبادة ولم يقل اعبدوا الله اما لكونه معلوما واما لان العبادة في الحقيقة لا تكون الا لله فقال واعبدوا أي أشوا بالأمور ولا تعبدوا غير الله لانها ليست بعبادة وهذا يناسب السجدة عند قراءته مناسبة أشد واتم ما اذا حلقناه على العموم والمجد لله رب العالمين وصلاته على سيدنا محمد سيد المرسلين وخاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين

* (سورة القمر خمسون وخمس آيات مكية) *

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اقتربت الساعة وانشق القمر) أول السورة مناسب لآخر ما قبلها وهو قوله أرقت الآرقة فكانه أعاد ذلك مع الدليل وقال قلت أرقت الآرقة وهو حق اذ القمر انشق والمفسرون بأسرهم على أن المراد أن القمر انشق وحصل فيه الانشقاق ودلت الاخبار على حديث الانشقاق وفي الصحيح خبر مشهور رواه جمع من الصحابة وقالوا سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم آية الانشقاق بعينها معجزة فقال ربه فشفه ومضى وقال بعض المفسرين المراد سينشق وهو بعيد ولا معنى له لان من منع ذلك وهو الفاسق بمنعه في الماضي والمستقبل ومن يجوز له لاحاجة الى التأويل وانما ذهب اليه ذلك المذهب لان الانشقاق أمر هائل فلو وقع لم وجه الارض فكان ينبغي أن يبلغ حد التواتر تقول النبي صلى الله عليه وسلم لما كان يتحدث بالقرآن وكانوا يقولون اننا نأثني بإفصح ما يكون من الكلام وعجزوا عنه فكان القرآن معجزة بقاء على قيام القيامة لا يتسك بمعجزة أخرى فلم ينقله العلماء بحيث يبلغ حد التواتر وأما المؤرخون تركوه لان التواريخ في أكثر الامم يستعملها المنجم وهو لما وقع الامر قالوا بانه مثل خسوف القمر وظهور شيء في الجوف على شكل نصف القمر في موضع آخر فتركوا حكاية في تواريخهم والقرآن أدل دليل وأقوى مثبت له وامكانه لا يشك فيه وقد أخبر عنه الصادق فيجب اعتقاد وقوعه وحديث امتناع الخرق والانشام حديث الثام وقد ثبت جواز الخرق والتخريب على السموات وذكرناه مرارا فلا نعيده * وقوله تعالى (وان ير أو آية يعرضوا ويقولوا سحر مستر) تقديره وبعد هذا ان ير أو آية يقولوا سحرا فانهم رأوا آيات أرضية وآيات سماوية ولم يؤمنوا ولم يتركوا هذاهم فان يروا ما يرون بعد هذا الا يؤمنون وفيه وجه آخر وهو أن يقال المعنى ان عادتهم انهم ان ير أو آية يعرضوا فلما رأوا انشقاق القمر أعرضوا تلك العادة وفيه مسائل (الاول) قوله آية ماذا تقول آية اقتربت الساعة فان انشقاق القمر من آياته وقد ردوا

مطرد دائما يأتي به محمد على مر الزمان لا يكاد يختلف بحال كسائر أنواع السحر وأقوى مستحكم لا يكثر ازالته وقيل سحر ذهاب يزول ولا يبقى

ممنية لانفسهم وتعليلا وهو الانسب يغلوهم في العناد والمكابرة ﴿ ٧٨٠ ﴾ ويؤيده ما سأتى رده وقرئ وان يروا

وكذبوا فان يروا غيرها ايضا عرضوا أو آية الانشقاق فاليها معجزة أما كونها معجزة ففي غاية الظهور وأما كونها آية الساعة فلان منكر خراب العالم ينكر انشقاق السماء وانفطارها وكذلك قوله في كل جسم سماوي من الكواكب فاذا انشق بعضها هابت خلاف ما يقول به وبان جواز خراب العالم وقال أكثر المفسرين معنى ان من علامات قيام الساعة انشقاق القمر عن قريب وهذا ضعيف حلهم على هذا القول ضيق المكان وخفاء الامر على الاذهان وبيان ضعفه هو ان الله تعالى لو اخبر في كتابه ان القمر ينشق وهو علامة قيام الساعة لكان ذلك أمرا لا بد من وقوعه مثل خروج دابة الارض وطلوع الشمس من المغرب فلا يكون معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم كإن هذه الاشياء عجائب وليست بمعجزة للنبي لا يقال الاخبار عنهما قبل وقوعها معجزة لاننا نقول فيمثل يكون هذا من قبيل الاخبار عن الغيوب فلا يكون هو معجزة رأسه وذلك فاسد ولا يقال بان ذلك كان معجزة وعلامة فاخبر الله في الصحف والكتب السالفة أن يكون معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم وتكون الساعة قريبة حينئذ وذلك لان بعثة النبي صلى الله عليه وسلم علامة كاشفة حيث قال بعثت انا والساعة كهاتين ولهذا يحكى عن سطيح أنه لما أخبر بوجود النبي صلى الله عليه وسلم قال عن أمور تكون فكان وجوده دليلا أمور وأيضاً القمر لما انشق كان انشقاقه هندا استدلال النبي صلى الله عليه وسلم على المشركين وهم كانوا غافلين عما في الكتب وأما أصحاب الكتب فلم يقفروا الى بيان علامة الساعة لانهم كانوا يقولون بها فهي اذا آتت دالة على جواز تخريب السموات وهو العدمة الكبرى لان السموات اذا طويت وجوز ذلك فالارض ومن عليها لا يستبعد فناؤها اذا ثبت هذا فنقول معنى اقتربت الساعة يحتمل أن يكون في القول والاذهان يقول من يسمع أمرا لا يقع هذا بعيد مستبعد وهذا وجه حسن وان كان بعض ضعفاء الاذهان ينكره وذلك لان حله على قرب الوقوع زمانا لا مكانا يمكن الكافر من محادثة فاسدة فيقول قال الله تعالى في زمان النبي صلى الله عليه وسلم اقتربت ويقولون بأن من قبل أيضا في الكتب كان يقول اقترب الوعد ثم مضى مائة سنة ولم يقع ولا يبعد أن يعضى ألف آخر ولا يقع ولو صح اطلاق لفظ القرب زمانا على مثل هذا لا يثبت وثوق الاخبارات وأيضاً قوله اقتربت لا تنهاز الفرصة والايان قبل أن لا يصح الايمان فللكافر أن يقول اذا كان القرب بهذا المعنى فلا خوف منها لانها لا تدركني ولا تدرك أولادى ولا أولاد أولادى واذا كان مكانا كما انها قربا في العقول يكون ذلك رداً على اهل المشركين والفلاسفة والله سبحانه وتعالى أول ما كلف الاعتراض بالوحدانية واليوم الآخر وقال اعلموا أن الحشر كان في مخالف المشرك والفلسفي ولم يتبع معجزة ذكر ماورد الشرع ببيانه ولم يقل لا ينعم أوليس بكائن بل قال ذلك بعيد ولم يقع بهذا أيضا بل قال ذلك غير ممكن ولم يقع به ايضا بل قال فان امتناعه ضرورى فان مذهبهم ان إعادة المدوم واحياء الموتى محال

على البناء المحمول من الارادة (وكذبوا) أى بالنبي صلى الله عليه وسلم وما عاينوه مما أظهره الله تعالى على يده من المعجزات (وانبعوا أهواءهم) التي زينها الشيطان لهم أو كذبوا الآية التي هي انشقاق القمر واتبعوا أهواءهم وقالوا سحر القمر أو سحر أعيننا والقمر بحسب الوصفية الماخى للدلالة على التحقير وقوله تعالى (وكل أمر مستقر) استئناف مسوق لاقطاعهم عما غلووا به أما بنهم الفارغة من عدم استقرار أمره عليه الصلاة والسلام حسبما قالوا سحر مستقر يدين ثباته ورسوخه أى وكل أمر من الامور مستقر أى منه الى غاية يستقر عليها لا محالة ومن جعلها أمر النبي صلى الله عليه وسلم فيصير الى غاية يبين عندها حقيقة وعلو شأنه وإبهام المستقر عليه للتنبيه على كمال ظهور الحال وعدم الحاجة الى التصريح به

وقيل المعنى كل أمر من أمرهم وأمره عليه ٧٨١ الصلاة والسلام مستقر أى مثبت ويستقر على

حالة خذلان أو نصره
في الدنيا وشقاوة
أو سعادة في الآخرة
وقرى بالفتح على أنه
مصدر أو اسم مكان
أو اسم زمان أى ذو استقرا
أو ذو وضع استقرار
أو ذو زمان استقرار
وبالكسر والجر على
أنه صفة أمر وكل
عطف على الساعة
أى اقتربت الساعة
وكل أمر مستقر (ولقد
جاءهم) أى في القرآن
وقوله تعالى (من الانبياء)
أى أنباء القرون الخالية
أو أنباء الآخرة متعلق
بمحذوف هو حال بمابعة
أى والله لقد جاءهم
كأنهم الانبياء ما فيه
مزيج (أى ازدجار
من تعذيب أو وعيد
أو موضع ازدجار على
أنه في تجريدية والمعنى
أنه في نفسه موضع
ازدجار وناء الافعال
تقلب دال مع الدال
والدال والزاي للتناسب
وقرى مزجر بقلبه
زادوا غامها (حكمة
بالفسه) فانيها لاخلل
فيها وهي بدل من ما
أو خبر لمحذوف وقرى بالنصب حال منها

بالضرورة ولهذا قالوا أنذارنا أنذارا عظيما أنذارنا في الأرض بالظن الاستفهام
بمعنى الإنكار مع ظهور الأمر فلما استبعدوا لم يكتف الله ورسوله ببيان وقوعه بل قال إن
الساعة آتية لا ريب فيها ولم يقتصر عليه بل قال وما يدرك لعل الساعة تكون قريبا
ولم يتركها حتى قال اقتربت الساعة واقترب الوعد الحق اقتراب الناس حسابهم اقترابا
عقليا لا يجوز أن ينكر ما يقع في زمان طرفه عين لأنه على الله بسبب كان تغلب الحدة
علينا يسر بل هو أقرب منه بكثير والذي يقويه قول العامة أن زمان وجود العالم زمان
مديد والباقي بالنسبة إلى الماضي شيء يسير ولهذا قال اقتربت الساعة وأما قوله صلى الله
عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين ولا شك أن الزمان زمان النبي صلى الله عليه وسلم
فزمانى والساعة متلاصقان كهاتين ولا شك أن الزمان زمان النبي صلى الله عليه وسلم
وبادات وأمره نافذة فالزمان زمانه وإن كان ليس هو فيه فكان المكان الذي تنفذ فيه
أوامر الملك مكان الملك يقال له بلاد فلان فإن قيل كيف يصح حله على القرب بالاعتقول مع
أنه مقطوع به فأتى كما صرح قوله تعالى لعل الساعة تكون قريبا فانها لعل للترجي والأمر عند
الله معلوم وفادته أن قيام الساعة ممكن لا ممكنا بعيدا عن العادات كحمل آدمي في
زمانه لافي غاية الثقل أو قطعه مسافة بعيدة في زمان يسير فأن ذلك ممكن أمكنا بعيدا
وأما تغليب الحدة فممكن أمكنا في غاية القرب (المسئلة الثانية) الجمع الذي يكون
الواو ضميرهم في قوله يروا ويعرضوا غير مذكور فنهم نقول هم معلومون وهم الكفار
تقديره هؤلاء الكفار أن يروا آية يعرضوا (المسئلة الثالثة) التكثير في الآية للتعظيم
أى أن يروا آية قوية أو عظيمة يعرضوا (المسئلة الرابعة) قوله تعالى ويقولوا سحر مستمر
ما الفائدة فيه نقول فادته بيان كون الآية بخالية عن شوائب الشبه وان الاعتراف لزمهم
لانهم لم يقدروا أن يقولوا نحن نأتى بثلاثها وبيان كونهم معرضين لاعتراض معذور فان
من عرض اعتراض مشغول بامرهم فلم ينظر في الآية لا يستخرج منه الاعتراض مثل
ما يستخرج لمن ينظر فيها إلى آخرها ويعجز عن نسبتها إلى أحد ودهوى الاتيان بثلاثها
ثم يقول هذا ليس بشئ هذا سحر لأن ما من آية الا يمكن المعتاد أن يقول فيها هذا
القول (المسئلة الخامسة) ما المستمر نقول فيه وجوه (أحدها) دائم فان محمدا صلى الله
عليه وسلم كان يأتي كل زمان بمعجزة قولية أو فعلية أرضية أو سماوية فقالوا هذا سحر مستمر
دائم لا يختلف بالنسبة إلى النبي عليه السلام بخلاف سحر السحرة فان بعضهم يقدر على
أمر وأمرين وثلاثة ويعجز عن غيرهما وقد اراد على الكل (ثانيها) مستمر أى قوى من حبل
مر والقتل من المرة وهي الشدة (وثالثها) من المارة أى سحر مر مستبشع (ورابعها)
مستمر أى ما رذاهب فان السحر لا يبقاه ثم قال تعالى (وكذبوا واتبعوا أهواءهم) وهو
يحمل أمرين (أحدهما) وكذبوا محمدا بالخبر عن اقتراب الساعة (وثانيها) كذبوا بالآية
وهي انشاقق القمر فان كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقولوا واتبعوا أهواءهم أى

أو خبر لمحذوف وقرى بالنصب حال منها

لأنها موصولة أو موصوفة
تخصصت بصفتها
فبإغناء نصب الحال عنها
(فإن تعني النذر) أي الإغناء
أو إنكاره وإلغاء الترتيب
عدم الإغناء على محي
الحكمة البالغة مع كونه
مظنة للإغناء وصيغة
المضارع للدلالة على
تجدد عدم الإغناء
واستمراره حسب تجديد
محى الزواجر واستمراره
وما على الوجه الثاني
منصوبة أي فأي إغناء
تعني النذر وهو جمع نذر
يعني المنذر أو مصدر
بمعنى الإنذار (فول عنهم)
لعلكم بان الإنذار لا يؤثر
فيهم البتة (يوم يدع
الداع) منصوب بخروج
أو بذكر والداعي
استرافيل عليه السلام
ويجوز أن يكون الداع
فيه كالامر في قوله تعالى
كن فيكون واسقاط الباء
للاكتفاء بالكسر تخفيف
(إلى شيء نكر) أي منكر
فقطع بتركه النفوس لعدم
العهد بمثله وهو هول
القيامة وقرئ نكر
بالتحفيف ونكر بمعنى
إنكر (خشعاً أبصارهم)

تركوا الحجة وأولوا الآيات وقالوا هو مجنون تعينه الجن وكاهن يقول عن الجحوم
ويشتار الأوقات للأفعال وساحر فهذه أهواؤهم وإن قلنا كذبوا بانشقاق القمر قوله
واتبعوا أهواؤهم في أنه سحر القمر وأنه خسوف والقمر لم يصبه شيء فهذه أهواؤهم
وكذلك قولهم في كل آية * وقوله تعالى (وكل أمر مستقر) فيه وجوه (أحدها) كل أمر
مستقر على سنن الحق ثبت والباطل يزهر وحينئذ يكون تهديداً لهم وتسليماً للذي صلى الله
عليه وسلم وهو كقوله تعالى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم أي بانها حق (ثانيها) وكل
أمر مستقر في علم الله تعالى لا ينفى عيدين شيء فهم كذبوا واتبعوا أهواؤهم والانباء صدقوا
ويلغوا ما جاءهم كذره تعالى لا يخفى على الله منهم شيء وكألف تعالى في هذه السورة وكل
شيء فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر (ثالثها) هو جواب قولهم سحر مستمر أي
ليس أمره بذهاب بل كل أمر من أموره مستقر * ثم قال تعالى (ولقد جاءهم من الأنبياء
ما فيه من دجر) إشارة إلى أن كل ما هو لطف بالعباد قد وجد فآخبرهم الرسول باقتراب
الساعة وأقام الدليل على صدقه وإمكان قيام الساعة عقيب دعواه بإشفاق القمر الذي هو
آية لأن من يكذب بها لا يصدق بشيء من الآيات فكذبوا بها واتبعوا الباطل الذاهبة
وذكروا الأقاويل الكاذبة فذكرهم أنباء المهلكين بالآيتين تحويفاً لهم وهذا هو
الترتيب الحكيم ولهذا قال بعد الآيات حكمة بالغة أي هذه حكمة بالغة والانباء هي
الأخبار العظام ويدل على صدقه أن في القرآن لم يرد النبأ والانباء إلا لما وقع قال
وجئت من سبأ ينباييين لأنه كان خبراً عظيماً وقال إن جاءكم فاسق بنبأ أي بحاربة
أو مسانعة وما يشبهه من الأمور العرفية وإنما يجب التثبت فيما يتعلق به حكمه ويزداد
عليه أمر ذوبال وكذلك قال تعالى تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك فكذلك الأنبياء همنا
وقال تعالى عن موسى لعل آتيتكم منها بخبر أو جدوة حبش لم يكن يعلم إنه يظهر له شيء عظيم
يصلح أن يقال له نبا ولم يقصده والظاهر أن المراد أنباء المهلكين بسبب التكذيب وقال
بعضهم المراد القرآن وتقديره جاءكم فيه الأنبياء وقيل قوله جاءكم من الأنبياء يتناول جميع
ما ورد في القرآن من الزواجر والمواعظ وما ذكرنا أظهر لقوله فيه من دجر وفي ما وجهان
(أحدهما) أنها موصولة أي جاءكم الذي فيه من دجر (ثانيها) موصوفة تقديره جاءكم
من الأنبياء شيء موصوف بأن فيه من دجر وهذا أظهر والمزدجر فيه وجهان أحدهما
ازدجار وثانيهما موصوفاً بآثاره في لغز المفعول بمعنى المصدر كمثل أن المصدر هو
المفعول الحقيقي * ثم قال تعالى (حكمة بالغة) وفيه وجوه (الأول) على قول من قال ولقد
جاءهم من الأنبياء المراد منه القرآن قال حكمة بالغة يدل كانه قال ولقد جاءهم حكمة بالغة
(ثانيها) أن يكون بدلاً عن ما في قوله ما فيه من دجر (الثاني) حكمة بالغة خبر مبتدأ محذوف
تقديره هذه حكمة بالغة والإشارة حينئذ تحتمل وجوهاً (أحدها) هذا الترتيب الذي
في إرسال الرسول وإيضاح الدليل والإنذار بمن مضى من القرون وانقضى حكمة بالغة

(من الاجداث) اذلة ابصارهم من شدة **٧٨٣** الهول وقرى خاشعا والافراد والتذكير لان فاعله ظاهرا

غير حقيقي التائب
وقرى خاشعة على
الاصل وقرى خشع
ابصارهم على الابتداء
والخبر على ان الجملة
حال (كانهم جراد
منشور) في الكتبة والتنج
والفرق في الاقطار
(مهمطين الى الداع)
مسرعين مادي اعناقهم
اليه او ناظرين اليه
(يقول الكافرون)
استنشاف وقم جوابا
عما شام من وصف اليوم
بالاهوال واهله بسوء
الحال كانه قبل فاذا
يكون حينئذ يقول
الكافرون (هذا يوم
عسير) أي صعب شديد
وفي اسناد القول المذكور
الى الكفار تارة ويحان
المؤمنين ليسوا في تلك
المرتبة من الشدة
(كذب قبلهم قوم
نوح) شروع في تعداد
بعض ما ذكر من الانبياء
الموجبة للازدجار
ونوع تفصيل لها
ويبان لعدم تأثرهم
بها تفررا

(ثانيها) انزال ما فيه الانبياء حكمة بالغة (ثالثها) هذه الساعة المقررة والآية الدالة عليها
حكمة (الثالث) قرى بالنصب فيكون حالا وذو الحال ما في قوله ما فيه من دجراى جاءكم
ذلك حكمة فان قيل ان كان ما موصولة تكون معرفة فيحسن كونه ذا الحال فاما ان كانت
بمعنى جاءهم من الانبياء شئ فيه ازدجار يكون منكرا وتكبر ذى الحال فيصح نقول كونه
موصوفا يحسن ذلك وقوله (فانفى انذار) فيه وجهان (أحدهما) ان ما نافية ومعناه
ان النذر لم يبعثوا ليعنوا ويلجؤا مقومهم الى الحق واتمالوا سلوا . بلعين وهو كقوله تعالى
فان اعرضوا فاعلنا رسلناك عليهم حفيظا وبوئدهما قوله تعالى فتول عنهم أي ليس عليك
ولا على الانبياء الاغناء والالقاء فاذا بانفت قدأوتيت بماعليك من الحكمة البالغة التي
أمرت بها بقوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وتول اذا لم تغدر
(ثانيها) ما استسهامة ومعنى الآيات حينئذ انك أتيت بماعليك من الدعوى واطهار
الآية عليهم او كذبوا فانذرتهم بما جرى على المكذبين فيقدمهم فهذه حكمة بالغة وما الذي
نعني النذر غير هذا فيبقى عليك شئ آخر * قوله تعالى (فتول عنهم) قد ذكرنا ان المفسرين
يقولون ان قوله تول منسوخ وليس كذلك بل المراد منه لا تنظرهم بالكلام ثم قال تعالى
(يوم يدع الداع الى شئ نذر) قد ذكرنا أيضا ان من ينصح شخصا لا يؤثر فيه النصيح
بعرض عنه ويقول مع غيره ما فيه نصيح المعرض عنه ويكون فيه قصدا رشادا أيضا فقال
ما قال فتول عنهم يوم يدع الداع يخرجون من الاجداث للتخويف والعامل في يوم
هو ما بعده وهو قوله يخرجون من الاجداث. والداعي معرف كالننادي في قوله يوم
ينادي لا دلالة لمعلوم أخبر عنه فقيل ان ناديا ينادي وداعيا يدعو وفي الداعي وجوه
أدب انه اسرافيل وثانيها انه جبريل وثالثها انه ملك موكل بذلك والتعريف حينئذ
لا يلح حد العلوية وانما يكون ذلك كقولنا جاء رجل فقال الرجل وقوله تعالى الى شئ
أي منكرو وهو يحتمل وجوها (أحدها) الى شئ نكر في يومها هذا لانهم أنكروه أي
يوم يدعوا الداعي الى الشئ الذي أنكروه يخرجون (ثانيها) نكر أي منكرو يقول ذلك
القاتل كان ينبغي ان لا يكون أي من شأنه ان لا يوجد يقال فلان ينهي عن المنكر وعلى
هذا فهو عندهم كان ينبغي ان لا يقع لانه يردى في الهاوية فان قيل ماذا الشئ النكر
نقول الحساب أو الجملة أو النشر للجمع وهذا أقرب فان قيل النشر لا يكون منكرا فانه
احياء ولان الكافر من أين يعرف وقت النشر وما يجري عليه لينكره نقول يعرف ويعلم
بدليل قوله تعالى عنهم ياويلنا من بعثنا من مردنا ثم قال تعالى (خاشعا ابصارهم
يخرجون من الاجداث كأنهم جراد منشور) وفيه قرأت خاشعا وخاشعة وخشعا فمن
قرأ خاشعا على قول القائل نخشع ابصارهم على ترك التائب لتقديم الفعل ومن قرأ خاشعة
على قوله نخشع ابصارهم ومن قرأ خاشعا فله وجوه (أحدها) على قول من يقول نخشع من
ابصارهم على طريقته من يقول أكلوني البراغيث (ثانيها) في نخشعا ضمير ابصارهم بدل عنه

(فكذبوا عبدا) تفسير لذلك التكذيب المهم كافي قوله تعالى ونادى نوح به فقال رب الخ وفيه مزيد تقرير وتحقيق للتكذيب وقيل معناه كذبوه تكذبا اثر تكذيب كلما خلا منهم قرن مكذب جاء عقبيه قرن آخر مكذب مثله وقيل كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدا لانه من جهلهم وفي ذكره عليه الصلاة والسلام بعنوان العبودية مع الاضافة الى نون العظمة تفخيم له عليه الصلاة والسلام ورفع لمحله وزيادة تشنيع لمكذبه (وقالوا مجنونون) أى لم يفتضروا على مجرد التكذيب بل نسبوه الى الجنون (وازدجر) هطف على قالوا أى وزجر عن التبليغ بأنواع الاذية وقيل هو من جلبة ما قالوه أى هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطنه

تقديره يخشعون أبصارهم على بدل الاشتمال كقول القائل أعجبونى حسنهم (ثالثها) فيه فعل مضمر يفسره يخرجون تقديره يخرجون خشعا أبصارهم على بدل الاشتمال والصحيح خاشعا روى أن مجاهدا رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه فقال له يا نبي الله خشعا أبصارهم أو خاشعا أبصارهم فقال عليه السلام خاشعا ولهذه القراءة وجه آخر أظهر مما قالوه وهو أن يكون خشعا منصوبا على أنه مفعول بقوله يوم يدع الداع خشعا أى يدعو هؤلاء فلان قبل هذا فاسد من وجوه (أحدها) ان التخصيص لافائدة فيه لان الداعى يدعو كل أحد (ثانيها) قوله يخرجون من الاجداث بعد الدعاء فيكونون خشعا قبل الخروج وانه باطل (ثالثها) قراءة خاشعا بطل هذا نقول اما الجواب عن الاول فهو أن يقال قوله الى شئ نكر يدفع ذلك لان كل أحد لا يدعى الى شئ ذكر وعن الثاني المراد من شئ نكر الحساب العسر يعنى يوم يدعو الداعى الى الحساب العسر خشعا ولا يكون العامل في يوم يدعو يخرجون بل اذكروا أو فأتاني النذر كما قال تعالى فأتاهم شفاعة الشافعين ويكون يخرجون ابتداء كلام وعن الثالث أنه لا منافاة بين القراءتين وخاشعا نصب على الخلق أرغى أنه مفعول يدعو كأنه يقول الداعى قوم خاشعا أبصارهم والخشوع السكون قال تعالى وخشعت الاصوات لخشوع الابصار سكونها على حال لا تقلب ينة ولا يسرة كافي قوله تعالى لا يرتد اليهم طرفهم وقوله تعالى يخرجون من الاجداث كأنهم جراد منتشر مثلهم بالجراد المنتشر في الكثرة والنموذج ويحتمل أن يقال المنتشر مطاوع نشره اذا أحياء فكانهم جراد يتحرك من الارض وببب اشارة الى كيفية خروجهم من الاجداث وضد فهمهم ثم قال تعالى (مهطعين الى الداع) أى مسرعين اليه انقيادا (يقول الكافرون هذا يوم عسر) يحتمل أن يكون العامل الناصب ليوم في قوله تعالى يوم يدع الداع أى يوم يدعو الداعى يقول الكافرون هذا يوم عسر وفيه فائدتان (أحدهما) تنبيه المؤمن ان ذلك اليوم على الكافر عسر فعسب كما قال تعالى فذلك يومئذ يوم عسر على الكافر بن غير يسير يعنى له عسر لا يسر معه (ثانيهما) هى ان الأخر من متفقان مشتركان بين المؤمن والكافر فان الخروج من الاجداث كأنهم جراد والاهطاع الى الداعى يكون للمؤمن فانه يخاف ولا يأمن العذاب الايمان الله تعالى اياه فيؤتيه الله الثواب فينبى الكافر فيقول هذا يوم عسر* ثم انه تعالى أعاد بعض الانباء فقال (كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدا وقالوا مجنونون وازدجر) فيها تمويه ونسبية لقلب محمد صلى الله عليه وسلم فان حاله كحال من تقدمه وفيه مسائل (المسئلة الاولى) الحاق ضمير المؤمن بالفاعل قبل ذكر الفاعل جائز بالاتفاق وحسن والحاق ضمير الجميع به قبيح عند الأكثرين فلا يجوزون كذبوا قوم نوح ويجوزون كذبت قال الفرق نقول التأنيث قبل الجمع لان الانوثة والذكورة للفاعل أمر لا يبدل ولم تحصل الانوثة للفاعل بسبب فعلها الذى هو فاعله فليس اذا قلنا ضربت هذه كانت هذه أنثى لاجل

الضرب بخلاف الجمع لان الجمع للفاعلين بسبب فعلهم الذي هم فاعلوه فانما اذا قلنا نجمع
ضربوا وهم ضاربون ليس مجرد اجتماعهم في الوجود بل صحيح قولنا ضربوا وهم ضاربون
لانهم ان اجتماعهم في مكان فجمع ولكن ان لم يضرب الكل لا يصح قولنا ضربوا فضعف
الجمع من الفعل فاعلونه جمعهم بسبب الاجتماع في الفعل والفاعلية وليس بسبب الفعل
فلم يجوز ان يقال ضربوا جمع لان الجمع لم يفهم الاسباب انهم ضربوا جمعهم فبينى أن يعلم
أو لا اجتماعهم في الفعل فيقول الضاربون ضربوا أو ما ضربت هتد فصحح لانه لا يصح
أن يقال التأييد لم يفهم الاسباب أنها ضربت بل هي كانت أشي فوجد منها ضرب
فصارت ضاربة وليس الجمع كانوا جمعاً فضرربوا فصاروا ضاربين بين يدي صاروا ضاربين
لا اجتماعهم في الفعل ولهذا ورد الجمع على اللفظ بعد ورود التأييد عليه فقبل ضاربة
وضاربات ولم يجمع اللفظ أولاً لا شئ ولا نذكر ولهذا لم يحسن أن يقال ضرب هتد وحسن
بالاجماع ضرب قوم والمسلمون (المسئلة الثانية) لما قال تعالى كذبت ما انفائدة في قوله
تعالى فكذبوا عبداً نقول الجواب عنه من وجوه (الاول) ان قوله كذبت قبلهم قوم
نوح اى بآياتنا وآية الانشقاق فكذبوا (الثاني) كذبت قوم نوح الرسل وقالوا لم يبعث
الله رسولا وكذبوهم في التوحيد فكذبوا عبداً كما كذبوا غيره وذلك لان قوم نوح كانوا
مشركين يعبدون الاصنام ومن بعد الاصنام يكذب كل رسول وينكر الرسالة لانه
يقول لا نعلق لله بالعالم السفلى وانما امره الى الكواكب فكان مذهبهم التكذيب
فكذبوا (الثالث) قوله تعالى فكذبوا عبداً نالتصديق والرد عليهم تقديره كذبت قوم نوح
وكان تكذيبهم عبداً أى لم يكن تكذيباً بحق كما يقول القائل كذبتى فكذب صادقاً
(المسئلة الثالثة) كثيراً ما يخص الله الصالحين بالاضافة الى نفسه كما في قوله تعالى ان
عبادى يا عباى واذكر عبداً ناله من عبادنا وكل واحد عبده فما السرفيه نقول الجواب
عنه من وجوه (الاول) ما قيل في المشهور ان الاضافة اليه تشريف منه فمن خصصه بكونه
عبده شرف وهذا كقوله تعالى أن طهراً بيتى وقوله تعالى ناقة الله (الثاني) المراد من
عبداً ناله أى الذى عبداً فالكل عباد لانهم مخلوقون للعبادة لقوله وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون ولكن منهم من عبد فتعق المقصود فصار عبده وبؤ بهذا قوله تعالى
كونوا عباداً الى أى حققوا المقصود (الثالث) الاضافة تفيد الحصر فعنى عبداً ناله
الذى لم يقل بعبود سوا من اتبع هواه فقد اتخذها فاعبد المضاف هو الذى بكلية
في كل وقت لله فأكده وشربه وجميع أموره لوجه الله تعالى وقيل ما هم (المسئلة الرابعة)
ما الفائدة في اختيار لفظ العبد مع انه لو قال رسولنا لكان أدل على قبح فعلهم بقوله
عبداً أدل على صدق قبح تكذيبهم من قوله رسولنا لقوله لان العبد أقل تحريفاً
للكلام السيد من الرسول فيكون كقوله تعالى ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا
منه باليمين ثم لم نطعنا منه الوتين (المسئلة الخامسة) قوله تعالى وقالوا يحبون إشارة الى انه

أني بالآيات الدالة على صدقه حيث رأوا ما عجزوا عنه وقالوا هو مصاب الجن أو هو زيادة
 بيان فصح صنعهم حيثام يفتعوا بقولهم انه كاذب بل قالوا نحنون أى يقول ما لا يقبله
 عاقل والكاذب العاقل يقول ما يظن به أنه صادق فقالوا نحنون أى يقول ما لم يقبل به
 عاقل فبين مباغتهم في التكذيب (المسئلة السادسة) وازدجر اخبار من الله تعالى
 أو حكاية قولهم نقول فيه خلاف منهم من قال اخبار من الله تعالى وهو عطف على كذبوا
 وقالوا أى هم كذبوا وهو ازدجر أى أودى وزجر وهو كقوله تعالى كذبوا وأوذوا وعلى
 هذا ان قيل لو قال كذبوا عبدنا وزجره كان الكلام أكثر مناسبة نقول لا بل هذا
 ابلغ لان المقصود تقوية قلب النبي صلى الله عليه وسلم بذكر من تقدمه فقال وازدجر
 أى فعلوا ما يوجب الانزعاج من دعائهم حتى ترك دعوتهم وعدل عن الدماء الى الايمان
 الى الدماء عليهم واوقال زجره ما كان يفيد أنه تأذى منهم لان في السعة يقال آذوني
 ولكن ما تأذيت وأما أذيت فهو كاللازم لا يقال الا عند حصول الفعل لا قبله ومنهم من
 قال وازدجر حكاية قولهم أى هم قالوا ازدجر تقديره ما لا ونحنون من دجروهم معناه ازدجره
 الجن أو كاتمهم قالوا جن وازدجروا الاول أصح وينترب عليه * قوله تعالى (فدعاه به انى
 مغلوب فانتصر) ترتيبا في غاية الحسن لانهم لما زجره وازجره عن دعائهم دعاه به انى
 مغلوب وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرئ انى بكسر الهمزة على انه دعا، فكأنه قال
 انى مغلوب والفتح على معنى باني (المسئلة الثانية) ما معنى مغلوب نقول فيه وجوه
 (الاول) غلبني الكفار فانتصرى منهم (الثاني) غلبني نفسي وحملني على السوء عليهم
 فانتصرى من نفسي وهذا الوجه نقله ابن عطية وهو ضعيف (الثالث) وجه مركب من
 الوجهين وهو أحسن منهما وهو أن يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدع على قومه
 مادام في نفسه احتمال وحلم واحتمال نفسه يمتد مادام الايمان منهم بمحمد صلى الله عليه وسلم
 يحصل والاحتمال يفر بعد اليأس بمدة بدليل قوله تعالى محمد صلى الله عليه وسلم لعنك
 باخع نفسك فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقال الله تعالى ولا تخاطبني في الذين ظلموا
 انهم مفروقون فقال نوح يا الهي ان نفسي غلبتني وقد أمرتني بالدعاء عليهم فأهلكهم
 فيكون معناه مغلوب بحكم البشرية أى غلبت وعيل صبري فانتصرى منهم لامن نفسي
 (المسئلة الثالثة) فانتصر معناه انتصرى أولئك فانتصرى فأنهم كفروا بك وفيه وجوه (احدها)
 فانتصرى مناسب لقوله مغلوب (ثانيها) فانتصرى ولديك فاني غلبت وعجرت عن
 الانتصار لديك (ثالثها) فانتصرى الحق ولا يكون فيه ذكر ولا ذكر ربه وهذا بقوله قوى
 النفس يكون الحق معه بقول القائل اللهم أهلك الكاذب منا وانصر الحق منا ثم قال
 تعالى (ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر) عقيب دعائه وفيه مسائل (المسئلة الاولى)
 المراد من الفتح والابواب والسماء حقائيقها او هو مجاز نقول فيه قولان (احدهما)
 حقائيقها والسماء ابواب تفتح وتعلق ولا استبعاد فيه (وثانيها) وهو على طريق

(فدعاه به انى) أى
 باني وقرئ بالكسر على
 ارادة القول (مغلوب)
 أى من جهة قوى
 مالى قدرة على الانتقام
 منهم (فانتصر) أى
 فانتقمى منهم وذلك بعد
 نقرر يأسه منهم بعد اللبث
 والى فقد روى أن الواحد
 منهم كان يلقاه فيضيقه
 حتى يخر مغشيا عليه
 ويقول اللهم اغفر لقومى
 فانهم لا يعلمون (ففتحنا
 أبواب السماء بماء منهمر)
 منصب وهو تمثيل
 لكثرة الامطار وشدة
 انصبابها وقرئ ففتحنا
 بالشد يد لكثرة الابواب

الاستعارة فان الظاهر ان الماء كان من السحاب وعلى هذا فهو كما يقول القائل في المطر
 الوابل جرت ميازيب السماء وفتح أفواه القرب أى كأنه ذلك فالطر في الطوفان كان
 يبحث يقول القائل فتحت أبواب السماء ولا شك ان المطر من فوق كان في غاية الهطلان
 (المسئلة الثانية) قوله تعالى ففتحنا بيسان أن الله اتصم منهم واتهم بماء لا يجند أنزله كما
 قال تعالى وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا متمثلين ان كانت
 الاصيحة واحدة بيان الكمال اقدرة ومن العجيب أنهم كانوا يطلبون المطر سنين فاهلكهم
 بطولوبهم (المسئلة الثالثة) الباء في قوله بماء ممر ما وجهه وكيف موقعه نقول فيه
 وجهان (أحدهما) كما هي في قول القائل فتحت الاباب بالفتح جرت قدره هو أن يعمل
 كأن الماء جاء بفتح الباب وعلى هذا تفسير قول من يقول يفتح الله لك خبر أى بقدر خبرا
 بأن ويفتح الباب وعلى هذا فية اضافة وهي من بدائع المعاني وهي أن يجعل المقصود
 مقدما في الوجود ويقول كان مقصودك جاء الى باب مغلق ففتح وجاءك وكذلك قول
 القائل لعل الله يفتح برزق أى بقدر زفائى الى الباب الذى كالمغلق في دفعه ويفتحة
 فيكون الله قد فتحه بالرزق (ثانيهما) فتحنا أبواب السماء ممرونة بماء منهمر والانهمار
 الانسكاب والانصباب صبا شديدا والتعقيق فيه ان المطر يخرج من السماء التى هي
 السحاب خروج مترشح من ظرفه وفي ذلك اليوم كان يخرج خروج مرسل خارج من باب
 ثم قال تعالى (وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر) وفيه من البلاغة
 ما ليس في قول القائل فجرنا عيون الارض وهذا بيسان التميز في كثير من المواضع افما
 قلت ضاق زيد ذراعا ثبت ما لا يشبه قولك ضاق ذرع زيد وفيه مسائل (المسئلة الاولى)
 قال وفجرنا الارض عيونا ولم يقل ففتحنا السماء أبوابا لان السماء اعظم من الارض وهي
 للبلاغة ولهذا قال أبواب السماء ولم يقل أنابيب ولا منافذ ولا مجارى أو غيرها واما قوله
 تعالى وفجرنا الارض عيونا فهو أبلغ من قوله وفجرنا عيون الارض لأنه يكون حقيقة
 لا مبالغة فيه ويكنى في صحة ذلك القول أن يجعل في الارض عيونا ثلاثة ولا يصلح مع هذا
 في السماء الا قول القائل فانزلنا من السماء ماء أو مياهها ومثل هذا الذى ذكرناه في المعنى
 لافى المعجز والحكمة قوله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض
 حيث لا مبالغة فيه وكلامه لا يماثل كلام الله ولا يقرب منه غير أن ذكرته مثلا والله المثل
 الأعلى (المسئلة الثانية) العيون في عيون الماء حقيقة أو مجاز نقول المشهور أن لفظ
 العين مشترك والظاهر أنها حقيقة في العين التى هي آلة الابصار ومجاز في غيرها أمانى
 عيون الماء فلانها تشبه العين الباصرة التى يخرج منها الدمع ولأن الماء الذى في العين
 كالنهر الذى في العين غير أنها مجاز مشهور صار غالبا حتى لا يفتقر الى القرينة عند
 الاستعمال الا لتمييز بين العينين فكما لا يحمل اللفظ على العين الباصرة الا بقرينة كذلك
 لا يحمل على الفوارق الا بقرينة مثل شربت من العين واغتسلت منها وغير ذلك من الامور

(وفجرنا الارض عيونا)

أى جعلنا الارض كلها

كأنها عيون متفجرة

وأصله وفجرنا عيون

الارض فقير قضاء لمحق

المقام (فالتقى الماء أى

ماء السماء وماء الارض

والافراد لتعقيق أن

التقاء الماء لم يكن بطريق

المجاورة والتغارب بل

بطريق الاختلاط

والاتحاد وقرى الماوان

بقلب المهر واوا (على

أمر قد قدر) أى كأننا

على حال قد قدرها الله

تعالى من غير تغات أو على

حال قدرت وسويت

وهو أن قدر ما أنزل على

قدر ما أخرج أو على

أمر قدره الله تعالى وهو

هلاك قوم نوح بالطوفان

التي توجد في الينوع و يقال طانه بعينه اذا اصابه بالعين وعينه تعيينا حقيقته جعله
 بحسب تقع عليه العين وعيانه معاينة وعيانا وعين أي صار بحسب تقع عليه العين (المسئلة
 الثالثة) وقوله تعالى فالتقى الماء قري فالتقى الماء أي النواتج منه ماء السماء وماء
 الارض فتنى أسماء الاجناس على تأويل صنف وتجمع أيضا يقال عندى تمران وتمور
 وتمر على تأويل نوعين وأنواع منه والصحيح المشهور فالتقى الماء له معنى لطيف وذلك
 انه تعالى لما قال ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر ذكر الماء وذكر الانهيار وهو الغزول بقوة
 فلما قال وفجرنا الارض عيوننا كان من الحسن البديع أن يقول ما يفيد أن الماء نبع منها
 بقوة فقال فالتقى الماء أي من العين فار الماء بقوة حتى ارتفع والتي عياء السماء ولو جرى
 جر ياضعيفا لما كان هو يلتقي مع ماء السماء بل كان ماء السماء يرد عليه ويتصل به ولعل
 المراد من قوله وفجرنا التور مثل هذا وقوله تعالى على أمر قد قدر فيه وجوه (الاول) على
 حال قد قدرها الله تعالى كإشاء (الثاني) على حال قدر احد الماءين بقدر الآخر (الثالث)
 على سائر المقادير وذلك لان الناس اختلفوا فيهم من قال ماء السماء كان أكثر ومنهم من
 قال ماء الارض ومنهم من قال كانا متساويين فقال على أي مقدار كان والاول اشارة الى
 عظمت أمر الطوفان فان تكبير الامر يفيد ذلك يقول القائل جرى على فلان شئ لا يمكن
 أن يقال اشارة الى عظمت وفيه احتمال آخر وهو أن يقال اتقى الماء أي اجتمع على أمر
 هلاكهم وهو كان مقدورا مقدرا وفيه رد على المنجمين الذين يقولون ان الطوفان كان
 بسبب اجتماع الكواكب السبعة حول برج مائي والغرق لم يكن مقصودا بالذات وانما
 ذلك أمر لازم من الطوفان الواجب وقوعه فقال لم يكن ذلك الا لامر قد قدر ويدل عليه أن
 الله تعالى أوحى الى نوح بأنهم من المفرقين وقوله تعالى (وجعلنا على ذات ألواح ودسر
 تجري باعيننا) أي سفينته حذف الموصوف وأقام الصفه مقامه اشارة الى انها كانت من
 ألواح مركبة وثقة دسر وكان انفكاكها في غاية السهولة ولم يقع فهو بفضل الله
 واليسر السامير وقوله تعالى تجري أي سفينته ذات ألواح جارية وقوله تعالى باعيننا أي
 برأى منا أو بحفظنا لان العين آلة ذلك فتستعمل فيه وقوله تعالى (جزاء لمن كان كفر)
 يحتمل وجوها (أحدها) أن يكون نصبه بقوله جعلناه جزاء أي ليكون ذلك الجمل
 جزاء الصبر على كفرانهم (وثانيها) أن يكون بقوله تجري باعيننا لان فيه معنى حفظنا أي
 ما تركناه عن عيونا وعونا جزاءه (ثالثها) أن يكون بفضل حاصل من مجوع ما ذكره كأنه
 قال فتحنا أبواب السماء وفجرنا الارض عيوننا وجعلناه وكل ذلك فعلناه جزاءه وانما ذكرنا
 هذا لان الجزاء ما كان يحصل الا بحفظه وانجائه لهم فوجب أن يكون جزاءه منصوبا بكونه
 منفعلا له بهذه الافعال ولذا ذكر ما فيه من الاطائف في مسائل (المسئلة الاولى) قال في
 السماء ففتحنا أبواب السماء لان السماء ذات الرحم ومالها فطور ولم يقل وشقنا السماء
 وقال في الارض وفجرنا الارض لانها ذات الصدع (الثانية) لما جعل المطر كالسقاء الخارج

(وجعلناه) أي نوحا عليه
 السلام (على ذات
 ألواح) أي أخشاب
 مربعة (ودسر) ومسامير
 جمع دسر من الدسر
 وهو الدفوع وهي صفة
 للسفينة أفقيت مقامها
 من حيث انها كالشرح
 لها تدوى موجهاها
 (تجري باعيننا) برأى
 منا أي بحفظنا بحفظنا
 (جزاء لمن كان كفر) أي
 فعلنا ذلك جزاءه
 عليه السلام لانه كان
 نعمة كفرها فان كل نبي
 نعمة من الله تعالى على
 أمته ورحمة وأي نعمة
 وأي رحمة وقد جوز
 أن يكون على حذف الجار
 وإيصال الفعل الى الضمير
 واستناره في الفعل بعد
 انقلابه من فوعا وفري
 لمن كفر أي للكافرين

من ابواب مفتوحة واسعة ولم يقل في الارض واجري بنا من الارض بحارا وانهارا بل قال
 حيونا واخراج من العين دون الخارج من الباب ذكر في الارض انه تعالى فجرها كلها
 فقال وفجرنا الارض لتقابل كثرة عيون الارض سعة ابواب السماء فيحصل بالكثرة ههنا
 ما حصل بالسعة (الثالثة) ذكر عند الغضب سبب الاهلاك وهو قبح ابواب السماء وفجر
 الارض بالعيون وأشار الى الاهلاك بقوله تعالى هلي امر قد قدر اى امر الاهلاك ولم
 يصرح وعند الرحمة ذكر الانجاء مبني بقوله تعالى وجلناه وأشار الى طريق النجاة بقوله
 ذات الواح وكذلك قال في موضع آخر فاخذهم الطوفان ولم يقل فاهلكوا وقال فانجيئنا
 واجحاب السفينة فصرح بالانجاء ولم يصرح بالاهلاك اشارة الى سعة الرحمة وغاية الكرم
 اى خلقنا سبب الهلاك ولورجعوا لما ضرهم ذلك السبب كما قال صلى الله عليه وسلم يابى
 اربك معنا وعند الانجاء انجاء وجعل للنجاة طريقا وهو اتخاذ السفينة ولو انكسرت
 لما ضر بل كان نجيها فالله صود عند الانجاء هو النجاة فذكر الحبل والمقصود عند الاهلاك
 اظهار البأس فذكر السبب صريحا (الرابعة) قوله تعالى تجرى بأعيننا ابلغ من
 حفظنا يقول القائل اجعل هذا نصب عينك ولا يقول أحفظه طلبا للباتنة (الخامسة)
 بأعيننا يحتمل ان يكون المراد بحفظنا ولهذا يقال الرؤى لسان العين (السادسة) قال
 كان ذلك جزاء على ما كفرناه لاعلى ايمانه وشكره فاجوزى به كان جزاء صبره على
 كفرهم وأما جزاء شكرنا فباق وقرى جزاء بكسر الجيم أى مجازاة كقتال ومقاتلة
 وقرى لمن كان كفر يفتح الكاف وأما كفر فقيه وجهان (أحدهما) أن يكون كفر
 مثل شكر يعنى بالحرف وبغير حرف يقال شكرته وشكرته قال تعالى وأشكر والى
 ولا تكفرون وقال تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله (ثانيهما) أن يكون من الكفر
 لامن الكفر أن جزاء لمن ستر أمره وأنكر شانه ويحتمل أن يقال كفر به وترك لظهور
 المراد ثم قال تعالى (واقدر كتناها آية) وفي العائد اليه الضمير وجهان (أحدهما)
 ما دلى مذكور وهو السفينة التى فيها ألواح وعلى هذا فقيه وجهان (أحدهما) ترك
 الله عينها مدة حتى رويت وحملت وكانت على الجودى بالجزيرة وقيل بارض الهند
 (وثانيهما) ترك مثلها فى الناس يذكر (وثانى الوجهين الاولين) أنه عائدى معلوم أى
 تركنا السفينة آية والاول أظهر وعلى هذا الوجه يحتمل ان يقال تركناها أى جعلناها
 آية لانها بعد الفراغ منها صارت متروكة ومجمولة يقول القائل تركت فلانا مثله أى جعلته
 لما بينا انه من فرغ من أمر تركه وجعله فذكر أحد الفعلين بدلا عن الآخر وقوله
 تعالى (فهل من مذكر) إشارة الى ان الامر من جانب الرسل قد تم ولم يبق الاجاب
 المرسل اليهم بأن كانوا منذرين متفكرين بهتدون بفضل الله فهل من مذكر مهتد
 وهذا الكلام يصلح حثا و يصلح تحذيرا وفيه مسائل (الاولى) قال ههنا واقدر
 تركناها وقال فى العنكبوت وجعلناها آية قلنا ههنا وان كانا فى المعنى واحدا على ما تقدم

(واقدر كتناها) أى
 السفينة أو الفعلة (آية)
 يعتبر بها من يقف على
 خبرها وقال قتادة أبناها
 الله تعالى بارض الجزيرة
 وقيل على الجودى دهر
 طويلا حتى نظر اليها
 أوائل هذه الأمة (فهل
 من مذكر) أى معتبر
 بتلك الآية الخفية
 بالاعتبار وقرى مذكر
 على الاصل ومذكر
 يقرب التاء ذالا والادغام
 فيها

بيانه لكن لفظ الترك يدل على الجمل والفراغ بالايام فكانها هنا مذكورة بالتفصيل
 حيث بين الامطار من السماء وتغيير الارض وذكر السفينة بقوله ذات ألواح ودسر
 وذكر جريها فقال تركناها اشارة الى تمام الفعل المقدور وقال هناك وجعلناها اشارة الى
 بعض ذلك فان قيل ان كان الامر كذلك فكيف قال ههنا وحده ولم يقل وأصحابه وقال
 هناك وأنجيئناه وأصحاب السفينة نقول النجاة ههنا مذكورة على وجه أبلغ مما ذكره
 هناك لانه قال تجري بأعيننا أي حفظنا وحفظ السفينة حفظ لأصحابه وحفظ لأموالهم
 ودوابهم والحيوانات التي معهم فقوله وأنجيئناه وأصحاب السفينة لا يلزم منه انجاء
 الأموال الا ببيان آخر والحكاية في سورة هود أشد تفصيلا وأتم فلهذا قال قلنا اجل فيها
 من كل زوجين اثنين يعني المحمول ثم قال تعالى واستوت على الجودي تصريحا بخلاص
 السفينة واطارة الى خلاص كل من فيها وقوله آية منصوبة على انها معقول لان الترك لانه
 يعني الجمل على ما تقدم بيانه وهو الظاهر ويحتمل أن يقال حال فالتك تقول تركتها وهي
 آية وهي ان لم تكن على وزن الفاعل والمفعول فهي في معناه كأنه قال تركناها اذا لم يحتمل
 ان يقال نصبها على التمييز لانها بعض وجوه الترك كقوله ضربته سوطا (المسئلة الثانية)
 مذكر مفعول من ذكر يذكر وأصله مذكر وكان مخرج الدال قريبا من مخرج التاء
 والحرروف المتقاربة المخرج يصعب النطق بها على التوالي ولهذا اذا نظرت الى الدال مع
 التاء عند النطق تقرب الدال من ان تصير تاء والتاء تقرب من ان تصير دالا فيعمل التاء دالا
 ثم ادغمت الدال فيها ومنهم من قرأ على الاصل مذكر مذكر منهم من قلب التاء دالا وقرأ
 مذكر ومن اللغويين من يقول في مذكر مذكر فيقلب التاء ولا يدغم ولكل وجهة
 والمذكر المعبر المتفكر وفي قوله مذكر اما اشارة الى ما في قوله ألسنت بر بكم فالواو الى
 أي هل من يتذكر تلك الحالة واما الى وضوح الامر كأنه حصل لكل آيات الله ونسوها
 فهل من مذكر يتذكر شأنها * ثم قال تعالى (فكيف كان عذابي ونذر) وفيه وجهان
 (أحدهما) أن يكون ذلك استفهاما من النبي صلى الله عليه وسلم تنبيهه له ووعدا بالعاقبة
 (وثانيهما) أن يكون عاما تنبيهه للخلق ونذر استعظمته به الاضافة كما حذف يا أيه سرى في
 قوله تعالى والليل اذا يسر وذلك عند الوقف ومثله كثير كافي قوله تعالى فإبى فاعبدون
 ولا تشكركون وقوله تعالى يا عباد فاتقون وقوله تعالى ولا تكفرون وقرى بآيات الباء عذابي
 ونذري * وفيه مسائل (الاولى) ما الذي اقتضى التاء في قوله تعالى فكيف كان عذابي
 ان قلنا ان الاستفهام من النبي صلى الله عليه وسلم فكانه تعالى قاله قد علمت اخبار من
 كان قبلك فكيف كان أي بعد ما أحاط بهم علمك بنقلها اليك وأما ان قلنا الاستفهام طم
 فنقول لما قال هل من مذكر فرض وجودهم وقال يا من يتذكر وعلم الحال بالانكسار
 فكيف كان عذابي ويحتمل أن يقال هو متصل بقوله فهل من مذكر تقديره مذكر كيف
 كان عذابي (المسئلة الثانية) ما رآوا العذاب ولا النذر فكيف استفهم منهم نقول

٦ قوله والحرروف المتقاربة

الخ ليس هنا توالي
 وعسارة المحلى أصله
 مذكرا بذكر التاء دالا
 مهملة وكذا المعجمة
 وأدغمت فيها اه

(فكيف كان عذابي
 ونذر) استفهام تعظيم
 وتعجب أي كأنه على
 كبرية هائلة لا يحيط بها
 الوصف والنذر جمع
 نذير بمعنى الانذار

أما على قولنا الاستفهام من النبي صلى الله عليه وسلم فقد علم للمعلم وأما على قولنا عام فهو على تقدير الادكار وعلى تقدير الادكار يعلم الحال ويحتمل أن يقال إنه ليس باستفهام وإنما هو اخبار عن عظمة الامر كافي قوله تعالى الحاقة ما الحاقة والقارعة ما القارعة وهذا لأن الاستفهام يذكر للاخبار كأن صيغة الاخبار تذكر للاستفهام فيقال زيد في الدار بمعنى هل زيد في الدار ويقول المنجز وعده هل صدقت فكأنه تعالى قال عذابي وقع وكيف كان أي كان عظيما وحيث لا يحتاج إلى علم من يستفهم منه (المسئلة الثالثة) قال تعالى من قبل ففقتنا وفجرنا وباعيننا ولم يقل كيف كأن عذابنا نقول لوجهين (أحدهما) لفظي وهو أن بابه المتكلم يمكن حذفها لأنها في اللفظ تسقط كثيرا فيما إذا التقي ما كتمان تقول غلامي الذي وداري التي وهنا حذفنا نواحي آخر الآيات وأما التوث والالاف في ضمير الجمع فلا تحذف (وأما الثاني) وهو المعنى فنقول إن كان الاستفهام من النبي صلى الله عليه وسلم فتوحيد الضمير للأنبياء وفي فقتنا وفجرنا بالترهيب العصاة ونقول قد ذكرنا أن قوله مذكر فيد الإشارة إلى قوله أليس بربكم فلما وجد الضمير بقوله أليس بربكم قال فكيف كان (المسئلة الرابعة) التذرع نذير فهل هو مصدر كالنسيب والتعب أو فاعل كالكبير والصغير نقول أكثر المفسرين على أنه مصدر ههنا أي كيف كان عاقبة عذابي وعاقبة الذاري والظاهر أن المراد الأنبياء أي كيف كان عاقبة أعداء الله ورسله هل أصاب العذاب من كذب الرسل أم لا فإذا علمت الحال يا محمد فأصبر فان عاقبة أمر ككافة أو تلك النذر ولم يجمع العذاب لأنه مصدر ولوجع اللفظ في جمته تقدير وفرض ولا حاجة إليه فان قيل قوله تعالى كذبت ثمود بالنذر أي بالانذارات لأن الانذارات جاءت منهم وأما الرسل فقد جاءهم واحد نقول كل من تقدم من الأمم الذين أشركوا بالله كذبوا بالرسل وقالوا ما أنزل الله من شيء وكان المشركون مكذبين بالكل ما خلا إبراهيم عليه السلام فكانوا يعقدون فيه الخير لكونه شيخ المرسلين فلا يقال كذبت ثمود بالنذر أي بالأنبياء بأسرهم كما أنكم أيها المشركون تكذبون بهم * ثم قال تعالى (ولقد بسرنا القرآن للذكر) وفيه وجوه (الاول) المحفوظ فيمكن حفظه وبسمل ولم يكن شيء من كتب الله تعالى يحفظ على ظهر القلب غير القرآن * وقوله تعالى (فهل من مذكر) أي هل من يحفظه ويقلوه (الثاني) سهلناه للانعاط حيث أتينا فيه بكل حكمة (الثالث) جعلناه بحيث يعلق بالقول ويستلذ سماعه ومن لا يفهم يتفهمه ولا بأس من سمعه وفهمه ولا يقول قد علمت فلا سمعه بل كل ساعة يزداد منه لذة وعلم (الرابع) وهو الاظهار أن النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر بحال نوح عليه السلام وكان له مخرج قيل له ان معجزات القرآن ولقد بسرنا القرآن للذكر كره لكل أحد وتهدى به في العالم ويبقى على مرور الدهور ولا يحتاج كل من حضره إلى دعاء ومسئلة في الظاهر معجزة وبعدك لا ينكر أحد وقوع ما وقع كما ينكر البعض انشقاق القمر وقوله تعالى فهل من مذكر

(ولقد بسرنا القرآن)
المنجزة فسمية وردت
في او اخر القصص
الاربع تقرير المضمون
ما سبق من قوله تعالى
ولقد جاءهم من الانبياء
ما فيه من دجر حكمة بالغة
فانفقت النذر وتنبها على
ان كل قصة منها مستقلة
باجاب الادكار كافية
في الازدجار ومع ذلك
لم تقع واحدة في حيز
الاعتبار اي وبالله لقد
سهلنا القرآن لقومك
بان نزله على لغتهم
ووشهنا بأنواع الوعظ
والعبر ومصرفنا فيه من
الوعيد والوعد (للكر)
أي للتذكر والانعاط
(فهل من مذكر) انكار
ونفي للتعط على أبلغ
وجهد واكده حيث يدل
على أنه لا يقدر أحد أن
يجيب المستفهم بنعم وحل
تفسيره على تسهيل حفظه
بجزالة نظم وعذوبة
ألفاظه وعباراته مما
لا يساعد المقام

اي مذكر لان الافتعال والتفعل كثيرا ما يجيء بمعنى وعلى هذا فلو قال قائل ههنا يقتضي وجود امر سابق فتسئ نقول ما في الفطرة من الانقياد للحق هو كالنسي فهل من مذكر يرجع الى ما فطر عليه وقيل فهل من مذكر أي حافظ أو متعظ على ما فطرنا به قوله تعالى يسرنا القرآن للذكر وقوله فهل من مذكر وعلى قولنا المراد مذكر إشارة الى ظهور الامر فكانه لا يحتاج الى فكر بل هو امر حاصل عنده لا يحتاج الى معاودة ما عند غيره * ثم قال تعالى (كذبت عاد فكيف كان عذابنا ونذر) وفيه مسائل (الاولى) قال في قوم نوح كذبت قوم نوح ولم يقل في عاد كذبت قوم هود وذلك لان التعريف كلما أمكن أن يوثق به على وجه أبلغ فالاول أن يوثق به والتعريف بالاسم العلم أولى من التعريف بالاضافة اليه فقلت اذا قلت بيت الله لا يغيد ما يفيد قولك الكعبة فكذلك اذا قلت رسول الله لا يفيد ما يفيد قولك محمد فعاد اسم علم للقوم لا يقال قوم هود اعرف اوجهين (أحدهما) ان الله تعالى وصف عاد بقوم هود حيث قال الابدال عاد قوم هود ولا يوصف الاظهر بالاخفى والاختص بالاعم (ثانيهما) ان قوم هود واحد وعاد قبل انه لفظ يقع على أقوام ولهذا قال تعالى عادا الاولى لانهما قول اما قوله تعالى عاد قوم هود فليس ذلك صفة وانما هو يدل ويجوز في البديل أن يكون دون المبدل في المعرفة ويجوز أن يبدل عن المعرفة بالثكرة واما عادا الاولى فقد قدمنا ان ذلك لبيان تقدمهم أي عادا الذين تقدموا وليس ذلك للتمييز والتعريف كما تقول محمد النبي شفيعي والله الكر بمر بي ورب الكعبة المشرفة لبيان الشرف لا لبيانها وتعريفها كما تقول دخلت الدار المعمورة من الدارين وخدمت الرجل الزاهد من الرجلين فتبين المقصود بالوصف (المسئلة الثانية) لم يقل كذبوا هودا كما قال فكذبوا عبدا وذلك اوجهين (أحدهما) ان تكذيب نوح كان أبلغ وأشد حيث دعاهم قريبا من ألف سنة وأصروا على التكذيب ولهذا ذكر الله تعالى تكذيب نوح في مواضع ولم يذكر تكذيب غيره نوح صريحا وانبه عليه واحد منها في الاعراف قال فيجنيه والذين معه في الفلك وقال حكاية عن نوح قال رب ان قومي كاذبون وقال انهم عصوني وفي هذه المواضع لم يصرح بتكذيب قوم غيره منهم الا قبلا ولذلك قال تعالى في مواضع ذكر شعيب فكذبوه وقال الذين كذبوا شعيبا وقال تعالى عن قومه وانا لنظنك من الكاذبين لانه دعا قومه زمانا مديدا (وثانيهما) ان حكاية عاد مذكورة ههنا على سبيل الاختصار فلم يذكر التكذيبهم وتعذيبهم فقال كذبت عاد كما قال كذبت قوم نوح ولم يذكر دعاه عليهم واجابته كما قال في نوح (المسئلة الثالثة) قال تعالى فكيف كان عذابنا قبل ان بين العذاب وفي حكاية نوح بين العذاب ثم قال فكيف كان فالحكمة فيه نقول الاستفهام الذي ذكره في حكاية نوح مذكور ههنا وهو قوله تعالى فكيف كان عذابنا ونذر كما قال من قبل ومن بعد في حكاية نوح غير انه تعالى حكى في حكاية عاد فكيف كان مرتين المرة الاولى استفهام لبيان كاذبوا للمعلم

(كذبت عاد) اي هودا
عليه السلام ولم يتعرض
لكيفية تكذيبهم له
روما للاختصار وسارعة
الى بيان ما فيه الازدجار
من العذاب وقوله تعالى
(فكيف كان عذابنا
ونذر) لتوجيه قلوب
السامعين نحو الاصغاء
الى ما يلقي اليهم قبل
ذكره لانه هو له وتعظيمه
وتعجبهم من حاله بعد
بيانه كما قبله وما بعده
كأنه قبل كذبت عاد فعل
سمعتهم أو فاستمعوا كيف
كان عذابنا وانذارنا فيهم

لا يعرف كيف المسئلة الغالبة ليصير المسؤول سائلا فيقول كيف هي فيقول انها كذا وكذا فكذلك ههنا قال كذبت عاد فكيف كان عذابى فقال السامع بين أنت فاني لأعلم فقال انا أرسلنا وأما المرة الثانية فاستفهمم للتعظيم كما يقول القائل للعارف المشاهد كيف فعلت وصنعت فيقول نعم ما فعلت ويقول أتيت بعجبة فيحقق عظمة الفعل بالاستفهام وانما ذكر ههنا المرة الاولى وانه ذكر في موضع آخر لان الحكاية ذكرها مختصرة فكان يفوت الاعتبار بسبب الاختصار فقال كيف كان عذابى حشا على التدبر والتفكر وأما الاختصار في حكايتهم فلان أكثر أمرهم الاستكبار والاعتماد على القوة وعدم الالتفات الى قول النبي صلى الله عليه وسلم ويدل عليه قوله تعالى يا ساحدا فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من أشد مناقرة وذكر استكبارهم كثيرا وما كان قوم محمد صلى الله عليه وسلم مباغين في الاستكبار وانما كانت مباغتهم في التكذيب ونسبته الى الجنون وذكر حالة نوح على التفصيل فان قومه جمعوا بين التكذيب والاستكبار وكذلك حال صالح عليه السلام ذكرها على التفصيل لشدة مناسبتها بحال محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى (انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نخس مسمر) وفيه مسائل (المسئلة الثانية الاولى) قال تعالى فكيف كان عذابى بنوحيد الضمير هناك ولم يقل عذابنا وقال ههنا انا ولم يقل انا والجواب ما ذكرناه في قوله تعالى ففتحنا أبواب السماء (المسئلة الثانية) الصرصر فيه اوجوه (أحدها) الريح الشديدة الصوت من الصرير والصرة شدة الصياح (ثانيا) دأمة الهبوب من أصر على الشيء اذ دام وثبت وفيه بحث وهو ان الاسماء المستفهم هي التي تفصل لان يوصف بها وأما أسماء الاجناس فلا يوصف بها سواء كانت أجراما أو معاني فلا يقال انسان رجل جاء ولا يقال اون أبيض وانما يقال انسان طالم وجسم أبيض وفولنا أبيض معناه شيء له بياض ولا يكون الجسم ما خورفا فيه ويظهر ذلك في قولنا رجل عالم فان العالم شيء له علم حتى الحداد والحجاز ولو أمكن قيام العلم بهما لكان عالما ولا يدخل الحى في المعنى من حيث المفهوم فانا اذا قلنا عالم يفهم أن ذلك حى لان اللفظ ما وضع لحي يعلم اللفظ وضع لشيء يعلم ويرى يدهظهورا قولنا معلوم فانه شيء يعلم أو أمر يعلم وان لم يكن شيئا ولو دخل الجسم في الابيض لكان قولنا جسم أبيض كقولنا جسم له بياض فيقع الوصف بالجنة اذا علمت هذا فن المستفاد بالجنس شيء دون شيء فان قولنا الهندى يقع على منسوب الى الهند وأما المهند فهو سيف منسوب الى الهند فيصح أن يقال عبد هندى ومهندى ولا يصح أن يقال مهند وكذا الأبلق واو آخر في فرس ولا يقال الثوب أبلق كذلك الأفطس أنف فيه تفعير اذا قال القائل انف أفطس فيكون كأنه قال انف به فطس فيكون وصفه بالجنة وكان ينبغي أن لا يقال فرس ابلق ولا انف افطس ولا سيف مهند وهم يقولون فالجواب وهذا السؤال يرد على الصرصر لانها الريح الباردة فاذا قال ريح صرصر فليس ذلك كقولنا ريح باردة فان الصرصر هي

وقوله تعالى (انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا)
استثنافى بيان ما أجل
أولأى أرسلنا عليهم
ريحا باردة أو شديدة
الصوت (في يوم نخس)
شؤم (مسمر) أى شؤمه
أو مسمر عليهم الى أن
أهلكهم أو شامل
لجميعهم كبيرهم وصغيرهم
أو مشند مرارته وكان
يوم الاربعاء آخر الشهر

الريح الباردة فحسب فكأنه قال ريح ريح باردة فتقول الالفاظ التي في معانيها
امر ان فصاعدا كقولنا عالم فانه يدل على شيء لم يعلم فقه شيء وعلم هي على ثلاث اقسام
(احدها) ان يكون المحال هو المقصود والمحل تبع كافي العالم والضارب والابيض فان
المقاصد في هذه الالفاظ العلم والضرب والابيض بخصوصها واما المحل فمقصود من
حيث انه على غونه حتى ان البياض لو كان يدل بلون غيره اختلف مقصوده كالاسود
والجسم الذي هو محل البياض ان امكن ان يبدل وامكن قياس البياض بجوهر غير
جسم لما اختلف المرض (ثانيها) ان يكون المحل هو المقصود كقولنا الحيوان لانه اسم
لجنس ماله الحياة لا كالحى الذي هو اسم لشيء له الحياة فالقصد هنا المحل وهو الجسم حتى
لو وجد حى ليس بجسم لا يحصل مقصود من قال الحيوان ولو حللنا لفظه على الله الحى
الذى لا يموت لحصل غرض المتكلم ولو حلل لفظ الحيوان على فرس قائم او انسان قائم
تفارقا للحياة لما لبق السامع نفع ولم يحصل للمتكلم غرض فان القائل اذا قال لانسان قائم
وهو ميت هذا حيوان ثم بان موته لا يرجع عما قال بل يقول اما قلت انه حى بل قلت انه
حيوان فهو حيوان فارقته الحياة (ثالثها) ما يكون الامر ان مقصودين كقولنا رجل
وامرأة وثاقفة وجل فان الرجل اسم موضوع لانسان ذكر والمرأة لانسان أنثى والثاقفة
لغير أنثى والجل لغير ذكر فالثاقفة ان أطلقت على حيوان فظهر فرسا أو ثورا اختلف
المرض وان بان جلا كذلك اذا علمت هذا ففى كل صورة كان المحل مقصودا أما وحده
وامامع المحال فلا يوصف به فلا يقال جسم حيوان ولا يقال بغير ثاقفة وانما يجعل ذلك جملة
فيوصف بالجملة فيقال جسم هو حيوان و بغير هو ثاقفة ثم ان الابلق والافطس شأنه
الحيوان من وجه وشأنه العالم من وجه وكذلك المهنت لكن دليل ترجيح المحال فيه ظاهر
لان المهنت لا يذكر المندح السيف والافطس لا يقال الا لوصف الانثى لاختلافه وكذلك
الابلق بخلاف الحيوان فانه لا يقال اوصفه وكذلك الثاقفة اذا علمت هذا فالمرصصر يقال
لشدة الريح أو لبردها فوجب أن يعمل به ما يعمل بالبارد والشديد فجاء الوصف وهذا
بحث عزيز (المسئلة الثالثة) قال تعالى ههنا انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا وقال في
الطور وفي عاد اذا أرسلنا عليهم الريح العقيم فعرف الريح هناك ونكرها ههنا لان العقيم
الريح أظهر من البرد الذى يضر الشبث أو الشدة اننى تصف الاشجار لان الريح العقيم
هى التي لا تنشىء محبا ولا تلتقي شجرا وهى كثيرة اوفوع وأما الريح المهلكة الباردة فعلمنا
توجد فقال الريح العقيم أى هذا الجنس المعروف ثم زاده بيانا بقوله ما ندر من شيء أنت
عليه الاجلعت كالريم فتميزت عن الرياح العقيم وأما المرصصر فقليلة الوقوع فلا تكون
مشهورة فنكرها (المسئلة الرابعة) قال ههنا فى يوم نحس مستمر وقال فى السجدة فى أيام
نحسنا وقال فى الخاقعة سبع ليال وثمانية أيام حسوما والمراد من اليوم ههنا الوقت
والزمان كفى قوله تعالى يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حبا و قوله مستمر يفيد ما يفيد

الايام لان الاستمرار ينبي عن امرار الزمان كما ينبي عنه الايام وانما اختلف اللفظ مع اتحاد المعنى لان الحكاية هنا مذكورة على سبيل الاختصار فذكر الزمان ولم يذكر مقداره ولذلك لم يصفها ثم ان فيه قراءتين احدهما يوم نحس اضافة يوم وتسكين نحس على وزن نفس وانتهى بها يوم نحس بثنتين الميم وكسر الحاء على وصف اليوم بالنحس كما في قوله تعالى في ايام نحسات فان قيل ايتهما اقرب قلنا الاضافة اصح وذلك لان من يقرأ يوم نحس مستمرا يحول المستر صفة ليوم ومن يقرأ يوم نحس مستمرا يكون المستر وصفا للنحس فيحصل منه استمرار النحوسة فالاول اطهر والابق فان قيل من يقرأ يوم نحس يسكون الحاء فاذا يقول في النحس نقول يحتمل أن يقول هو تخفيف نحس كتحذوف في غير الاصافات ونصير ونصير وورد وورد وعلى هذا يلزمه أن يقول تقديره يوم كائن نحس كما تقول في قوله تعالى يجازيهم يوم رد وجر هو اقرب واصح (المسئلة الخامسة) ما معنى مستر نقول فيه وجوه (الاول) تمتد ثابت مدة متديدة من استمرار الامر اذا دام وهذا كقوله تعالى في ايام نحسات لان الجمع يفيد معنى الاستمرار والامتداد وكذلك قوله حسوما (الثاني) شديد من المرة كما قلنا من قل في قوله سحر مستر وهذا كقولهم ايام الشدائد واليه الاشارة بقوله تعالى في ايام نحسات لنذهبهم بعض الذي فاته يذهبهم المر المضمر من العذاب * ثم قال تعالى (تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر) فيه مسائل (المسئلة الاولى) تنزع الناس وصف أحوال نقول يحتمل الامر بن جيم اذا فصح أن يقال أرسل وبخا صرعى انما نعمة للناس ويصح أن يقال أرسل الریح نازعة فان قيل كيف يمكن جعلها حالا وفوا الحال نكرة نقول الامر هنا أهون منه في قوله تعالى ولقد جاءهم من الانبياء ما فيه من دجر فانه نكرة وأجابوا عنه بان ما موصوفة فتخصصت فحسن جعلها ذات الحال فكذلك نقول ههنا الریح موصوفة بالصرصر والتكبر فيه للعظيم والافهى ثلاثة فلا يبعد جعلها ذات حال وفيه وجه آخر وهو انه كلام مستأنف على فعل وفاعل كما تقول جاء زيد جذبي وتقديره جاء فجذبني كذلك ههنا قال انارسلنا عليهم ريحا فاصبحت تنزع الناس وبذل عليه قوله تعالى فترى القوم فيها صرعى فانه في قوله تنزع الناس اشارة الى ما اشار اليه بقوله صرعى وقوله تعالى كأنهم أعجاز نخل منقعر فيه وجوه (احدها) نزعهم فصرعتهم كأنهم أعجاز نخل كما قال صرعى كأنهم أعجاز نخل (ثانيها) نزعهم فهم بعد النزاع كأنهم أعجاز نخل وهذا اقرب لان الانفعال قبل الوقوع فكان الریح تنزع وتقرر فينقعر فيقع فيكون صرعى ففعلوا الموضع منه فيخربى وقوله في الحاقة فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية اشارة الى حاله بعد الانفعال الذي هو بعد النزاع وهذا يفيد ان الحكاية ههنا مختصرة حيث لم يشر الى صرعتهم وخلو منازلهم عنهم بالكلية فان حال الانفعال لا يحصل الخلو التام اذ هو مثل الشروع في الخروج والاخذ فيه (ثالثها) نزعهم نزعاً

(تنزع الناس) تغلقهم
 روى أنهم دخلوا
 الشعاب والحفر وتمسك
 بعضهم ببعض فترعتهم
 الریح وصرعتهم موتى
 (كأنهم أعجاز نخل
 منقعر) أى منقاع عن
 مفارسته قيل شبهوا
 بأعجاز النخل وهى
 أصولها بلا فروع لان
 الریح كانت تغلق رؤسهم
 فتبقى أجسادا وجننا
 بلا رؤس وتذكر صفة
 نخل للنظر الى اللفظ كما
 أن نابتها في قوله تعالى
 أعجاز نخل خاوية للنظر
 الى المعنى

بغف كانهم اعجاز نخل فنعمرهم فينعروا اشارة الى قوتهم وثباتهم على الارض وفي
 المعنى وجوه (احدها) انه ذكر ذلك اشارة الى عظمة اجسادهم وطول اقدادهم
 (ثانيها) ذكره اشارة الى ثباتهم في الارض فكانهم كانوا يعملون أرجلهم في الارض
 ويقصدون النع به على الريح (وثالثها) ذكره اشارة الى بسهم وجفافهم بالريح
 فكانت تغفلهم وتحرقهم ببردها المفرط فيقعون كأنهم أخشاب بابسة (المسئلة
 الثانية) قال ههنا متعمر فذكر النخل وقال في الحاقه كأنهم اعجاز نخل خاوية فانها
 قال المفسرون في تلك السورة كانت أو اخر الآيات تقتضي ذلك لقوله مستمر ومنهم
 ومنشتر وهو جواب تحسن فن الكلام كما يزين بحسن المعنى يزين بحسن اللفظ ويمكن
 أن يقال النخل لفظه لفظ الواحد كالنخل والنخل ومعناه معنى الجمع فهو كأن يقال فيه
 نخل متعمر ومتعمرات ومتعمرات ونخل خاوية وخاويات ونخل باسقى وباسقة
 وباسقات فاذا قال قائل متعمر أو خاوية أو باسقى جرد النظر الى اللفظ ولم يراع جانب المعنى
 واذا قال متعمرات أو خاويات أو باسقات جرد النظر الى المعنى ولم يراع جانب اللفظ واذا
 قال متعمر أو خاوية أو باسقة جمع بين الاعتبارين من حيث وحدة اللفظ وجماع
 متعمر على الافراد من حيث اللفظ والحق به تارة التأنيث التي في الجماعه اذا عرفت هذا
 فتقول ذكر الله تعالى لفظ النخل في مواضع ثلاثة ووصفها على الوجوه الثلاثة فقال
 والنخل باسقات فانها حال منها وهي كالوصف وقال نخل خاوية وقال نخل متعمر
 فحيث قال متعمر كان المختار ذلك لان المتعمر في حقيقة الامر كالفعول لانه الذي ورد
 عليه القمر فهو متعمر والخاوية والباقى فاعل ومعناه اخلاء ماهو مفعول عن علامة
 التأنيث أولا كما تقول امرأة كفل وامرأة كفيلة وامرأة كبيرة وامرأة كبيرة وأما
 الباسقات فهي فاعلات حقيقة لان السوق أمر قام بها وأما الخاوية فهي من باب حسن
 الوجه لان الخاوية موضعها فكانه قال نخل خاوية بالمواضع وهذا غاية الاعجاز حيث
 أن، يلفظ مناسب للافاظ السابقة واللاحقة من حيث اللفظ فكان الدليل يقتضي
 ذلك بخلاف الشاعر الذي يختار اللفظ على المذهب الضعيف لاجل الوزن والقافية
 ثم قال تعالى (فكيف كان عذابي ونذر ولقد بسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)
 وتفسيره قد تقدم والتكرير للتقرير وفي قوله عذابي ونذر لطيفة ما ذكرناها وهي ثبتت
 بسؤال وجواب لو قال القائل أكثر المفسر بن علي ان النذر في هذا الموضع جمع نذر الذي
 هو مصدر معناه انذار فالحكمة في توحيد العذاب حيث لم يقل فكيف كان انواع
 عذابي وويل انذارى لقول فيه اشارة الى غلبة الرحمة الغضب وذلك لان الانذار اشفاق
 ورحمة فقال الانذارات التي هي نعم ورحمة تواترت فلما لم تنفع وقع العذاب دفعة واحدة
 فكانت النعم كثيرة والثمة واحدة وسنين هذا زيادة بيان حين نفسره قوله تعالى فبأى
 آلاء ربكما تكذبان حيث جمع الآلاء وكثر ذكرها وكررها ثلاثين مرة ثم بين الله تعالى حال

وقوله تعالى (فكيف
 كان عذابي ونذر)
 فهو يلهمها ونعجب من
 أمرها بعد بيانها
 فليس فيه شأية تكرار
 وما قبل من أن الاول
 لما حق بهم في الدنيا
 والثاني لما بحق بهم
 في الآخرة برده ترتيب
 الثاني على العذاب
 الدنيوي (ولقد بسرنا
 القرآن للذكر فهل من
 مدكر) الكلام فيه
 كما لدى مر فيما سبق

قوم اخرين * فقال (كذبت ثمود بالنذر) وقد تقدم تفسيره غير انه في قصة عاد قال كذبت ولم يقل بالنذر وفي قصة نوح قال كذبت قوم نوح بالنذر فتقول هذا يؤيد ما ذكرنا من أن المراد بقوله كذبت قبلهم قوم نوح ان عادتهم ومذهبهم انكار الرسل وتكذيبهم فكذبوا نوحا بناء على مذهبهم وانما صرح به هنا لان كل قوم يأتون بعد قوم وانما هما رسولان فالكذب المتأخر بكذب المرسلين جميعا حقيقة والاولون يكذبون رسولا واحدا حقيقة ويلزمهم تكذيب من بعده بناء على ذلك لانهم لما كذبوا من تقدم في قوله الله تعالى واحدا والحشر كائن ومن ارسل بعده كذلك قوله ومذهبه لزم منه أن يكذبوه ويدل على هذا ان الله تعالى قال في قوم نوح فكذبوه فانجيناه وقال في عاد وثمود عاد جمعوا آيات ربهم وعصوا رسله وأما قوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين فاشارة الى انهم كذبوا وقالوا ما ينضى الى تكذيب جميع المرسلين ولهذا ذكره بلفظ الجمع المعرف للاستغراق ثم اتى تعالى قال هناك عن نوح رب ان قومى كذبون ولم يقل كذبوا رسلا اشارة الى ما صدر منهم حقيقة لان ما زعمهم لزمه اذا عرفت هذا فلما سبق قصة ثمود ذكر رسولين ورسولهم لئلا يظن قال كذبت ثمود بالنذر هذا كله اذا قلنا ان النذر جمع نذير بمعنى منذرا ما اذا قلنا انها الانذارات فتقول قوم نوح وعاد لم تستمر المعجزات التي ظهرت في زمانهم وأما ثمود فانذر واوخر اخرجهم ناقة من صخرة وكانت تدور بينهم وكذبوا فكان تكذيبهم بالنذارات وآيات ظاهرة فصرح بها وقوله فقالوا أبشرا منا واحد ننبه يؤيد الوجه الاول لان من يقول لا تتبع بشرا مثلى وجميع المرسلين من البشر يكون مكذبا بالرسول والنبه في قوله بالنذر يؤيد الوجه الثانى لاننا بينا ان الله تعالى في تكذيب الرسل عدى التكذيب بغير حرف فقال كذبوه وكذبوا رسلا وكذبوا عبدا وكذبوني وقال كذبوا بآيات ربهم وبآياتنا فعدى بحرف لان التكذيب هو النسبة الى الكذب والقتال هو الذى يكون كاذبا حقيقة والكلام والقول يقال فيه كاذب مجازا وتعلق التكذيب بالقتال أظهر فيستغنى عن الحرف بخلاف القول وقد ذكرنا ذلك ويؤيد بياننا شافيا * وفي قوله تعالى (فقالوا أبشرا منا واحدا ننبه) مسائل (المسئلة الاولى) زيد اضربه زيد ضربه كلاهما جاز والنصب محذور في مواضع منها هذا الموضع وهو الذى يكون ما يرد عليه النصب والرفع بعد حرف الاستفهام والسبب في اختيار النصب أمر معتول وهو ان المستفهم يطلب من السؤال أن يجعل ما ذكره بعد حرف الاستفهام مبدأ للكلامه ويخبر عنه فاذا قال زيد عندك عناء أخبرني عن زيد واذكر لي حاله فاذا انضم الى هذه الحالة فعل المذكور ترجع جانب النصب فيجوز أن يقال زيد اضربه وان لم يجب فلا حسن ذلك فان قيل من قرأ أبشرا منا واحدا ننبه كيف ترك الاجود نقول نظر الى قوله تعالى فقالوا اذا بعد القول لا يكون الاجلة والاسمية أولى والاولى أقوى وأظهر (المسئلة الثانية) اذا كان بشرا منصوبا ينفصل بالحكمة في تأخر الفعل في الظاهر نقول قد تقدم مرارا

(كذبت ثمود بالنذر) أى
الانذارات والواعظ التي
سموها من صالح
أو بالرسل عليهم السلام
فان تكذيب أحدهم
تكذيب لكل لاتفاقهم
على أصول الشرائع
(فقالوا أبشرا منا) أى
كائن من جنسنا واتصابه
بفعل يفسمه ما بعده
(واحد) أى منفردا
لا تبع له أو واحدا من
أحدهم لأن أشرا فهم
وهو صفة أخرى للبشر
وتأخير عن الصفة المؤولة
للتنبه على أن كلام
الجنسية والوحدة بما يعم
الاتباع ولو قدم عليها
لغانت هذه النكتة وقرئ
أبشرا منا واحدا على
الابتداء وقوله تعالى
(ننبه) خبره والاول
أوجه للاستفهام

ان ابلغ يقدم في الكلام ما يكون تعلق غرضه به أكثر وهم كانوا يريدون تبين كونهم
مؤمنين في ترك الاتباع فزوها وأنشع بشرا يمكن أن يقال نعم اتبعوه وماذا يمنعكم من اتباعه
هنا قد مواعاه وقالوا هو من نوبنا بشروا من صنفنا رجل ليس غريبا فنفقه انه يعلم
ما نعلم أو يفكر على ما نشتد وهو واحد وحيد وليس له جند وحشم وخيل وخدم
فكيف يتبعه فيكون قد هدوا الموجب لجواز الامتناع من الاتباع واعلم ان في الآية
اشارات الى ذلك (أحدها) نكروه حيث قالوا أبشروا لم يقولوا أنشع صالحا والرجل
المدعى النبوة وغير ذلك من المعرفات والتشكيك تعبير (ثانيها) قالوا أبشروا لم يقولوا
أرجل (ثالثها) قالوا ما نوه ويحتمل أمرين أحدهما من صنفنا ليس غريبا وثانيها حمائنا
أى تبعنا يقول القائل غيره أنت منافقة أذى السامع ويقول لا بل أنت منا ولست أنا
منكم وتحقيقه ان من التبويض والبعض يتبع الكل لا الكل يتبع البعض (رابعها)
واحد لا يحتمل أمرين أيضا * أحدهما وحيد الإشارة الى ضعفه * وثانيها ما واحد أى هو
من الآحاد لا من الأكابر المشهورين وتحقيق القول في استعمال الآحاد في الأصاغر
حيث يقال هو من آحاد الناس هو ان لا يكون مشهورا بحسب ولا نسب اذا حدث
عنه من لا يعرفه فلا يمكن أن يقول عند قال فلان أو ابن فلان فيقول قال واحد وفعل
واحد فيكون ذلك غاية الحمول لان الأردل لا ينضم اليه أحد فيبقى في أكثر أو قاته واحدا
فيقال للأردل آحاد * وقوله تعالى عنهم (انا اذا نفي ضلال وسعر) يحتمل وجهين
(أحدهما) أن يكونوا قد قالوا في جواب من يقول لهم ان لم تتبعوه تكونوا في ضلال
فيكونون له لا بل ان تبعنا نكون في ضلال (ثانيها) ان يكون ذلك ترتيبا على ما مضى أى
حاله ما ذكرنا من الضعف والوحدة فان اتبعناه نكون في ضلال وسعر أى جنون على هذا
الوجه فان قلنا ان ذلك قاله على سبيل الجواب فيكون القائل قال لهم ان لم تتبعوه فانا اذا
في الحلال في ضلال وفي سعر في العقبى فقالوا لا بل اوتينا فانا اذا في الحلال في ضلال وفي
سعر من الذل والعبودية مجازا فانهم ما كانوا يعرفون بالسعر (المسألة الثالثة) السعير
الآخر واحد فكيف جمع بقول الجواب عنده من وجوه (أحدها) في جهنم دركات يحتمل
أن تكون كل واحدة سعيرا أو فيها سعير (ثانيها) لدوام العذاب عليهم فانه كلما نصبت
جلودهم يبدلهم جلودا كأنهم في كل زمان في سعير آخر وعذاب آخر (ثالثها) لسعة
السعير الواحد كأنها سعر يقال للرجل الواحد فلان ليس رجل واحد بل هو رجال
* ثم قال تعالى عنهم (ألقى الذكر عليه من بينا بل هو كذاب أشعر) وقد تقدم ان
الذي بطريق الاستفهام أبلغ لأن من قال ما أنزل عليه الذكر ربما يعلم أو يظن أو يتوهم
ان السامع يكذبه فيه فاذا ذكر بطريق الاستفهام يكون معناه ان السامع يحجب بقوله
ما أنزل فيجعل الامر خبيثا منقبضا ظاهرا لا يخفى على أحد بل كل أحد يقول ما أنزل
والذكر الرسالة أو الكتاب ان كان ويحتمل أن يراد به ما يذكره من الله تعالى كما قال الحق

انا اذا اى على تقدير
باعتنا له وهو مفرد
نحن أمة جمة (فى
ضلال) عن الصواب
وسعر) أى جنون
ان ذلك بمنزل من
مقتضى العقل وقيل كان
يقول لهم ان لم تتبعوني
كتم في ضلال عن الحق
وسعر أى نيران جمع سعير
مكسوا عليه عليه السلام
لغاية عنوهم فقالوا ان
اتبعنا لكنا ذنن كما تقول
(ألقى الذكر) أى
الكتاب والوحي (عليه
من بينا) وفيما من هو
أحق منه بذلك (بل هو
كذاب أشعر) أى ليس
الامر كذلك بل هو
كذا وكذا حله بطره
على الترفع علينا بما ادعاه

وراد به ما فعل من الله وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قولهم ألقى بدل أنزل وفيه إشارة إلى ما كانوا ينكرونه من طريق المباغة وذلك لأن الإلقاء أنزل بسرعة والنبي كان يقول جاءني الوحي مع الملك في لحظة يسيرة فكانهم قالوا الملك جسم والسماء بعيدة فكيف ينزل في لحظة فقالوا ألقى وبلغوا أنزل وقولهم عليه انكار آخر كانهم قالوا ما ألقى ذكر أصلا ثم قالوا أن ألقى فلا يكون عليه من ينشأ وفيما من هو فوقه في الشرف والذكر وقولهم ألقى بدلا عن قولهم ألقى الله للإشارة إلى أن الإلقاء من السماء غير ممكن فضلا عن أن يكون من الله تعالى (المسئلة الثانية) عرفوا الذكر ولم يقولوا ألقى عليه ذكر وذلك لأن الله تعالى حكى انكارهم لما ينبغي أن ينكر فقال انكروا الذكر الظاهر المبين الذي لا ينبغي أن ينكر فهو كقول القائل نكروا المعلوم (المسئلة الثالثة) بل يستدعي أمرا مضمر وأما عن سابقه فاذنك تقول قولهم ألقى الانكار فهم قالوا ما ألقى ثم ان قولهم ألقى عليه الذكر لا يقتضي إلا أنه ليس بنبي ثم قالوا بل هو ليس بصديق (المسئلة الرابعة) الكذب فعال من فاعل للمباغة أو يقال بل من فاعل للنسب كخطاط ومارتوتول الاول هو الصحيح الاظهر على ان الثاني من باب الاول لان المنسوب إلى الشيء لا بد له من أن ينكر من مزاوله الشيء فان من خاطب يوما ثوبه مرة لا يقال له خياط اذا عرفت هذا فنقول المباغة اما في الكثرة واما في الشدة فالكذب اما شديد الكذب يقول ما لا يقبله العقل أو كثير الكذب ويحتمل أن يكونوا وصفوه به لاعتقادهم الامر فيه وقولهم أشر إشارة إلى انه كذب بالضرورة وحاجة إلى خلاص كالكذب الضعيف وانما هو استغنى ويطر وطلب الرياسة طبعكم وأراد اتباعكم له فكان كل وصف مانع من الاتباع لان الكاذب لا يلتفت اليه ولا سيما اذا كان كذبه بالضرورة وقرئ أشر فقال المتسمرون هذا على الاصل المرفوض في الاشر والآخر على وزن أفعول التفضيل وانما رفض الاصل فيه لان أفعول اذا فسر قد يفسر بأفعول أيضا والثاني بأفعول ثالث مثاله اذا قال ما معنى العلم يقال هو الأكثر علما فاذا قيل الأكثر ماذا يقال الا يزيد عددا أو شيء مثله فلا بد من أمر يفسر به الأفعول لامن يابه فقالوا أفعول التفضيل والتفضيلة أصلها الخير والخير أصل في باب أفعول فلا يقال فيه أخرجتم من الاشر في مقابلة الخبر بفعل به ما يفعل بالخبر فقال هو شر من كذا وخير من كذا والاشر في مقابلة الاخير ثم ان خيرا يستعمل في موضعين (أحدهما) مباغة الخبر بفعل أو أفعول على اختلاف يقال هذا خير وهذا خير ويستعمل في مباغة خبر على المشابهة لا على الاصل فمن يقول أشر يكون قسرك الاصل المستعمل لانه أخذ في الاصل المرفوض بمعنى هو شر من غيره وكذا معنى العلم ان علمه خير من علم غيره أو هو خير من غيره الجهل كذلك القول في الاضعف وغيره * ثم قال تعالى (سيعلمون غدا من الكذاب الاشر) فان قال قائل سيعلم بالاستقبال ووقت انزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم كانوا قد علموا لان بعد الموت تدوين الامور وقد علموا ما علموا فكيف القول فيه نقول

وقوله تعالى (سيعلمون غدا من الكذاب الاشر) حكاية لما قاله تعالى لصالح عليه السلام وصداله ووعيد لقومه والسبب لتقريب مضمون الجملة وتأكيده والمراد بالقد وقت نزول العذاب أي سيعلمون البتة عن قريب من الكذاب الاشر الذي جعله أشره وطره على الترفع أصالح هو أم من كذبه وقرئ سيعلمون على الالتفات لتشديد التوبيخ أو على حكاية ما أجابهم به صالح وقرئ الاشر كقولهم حذر في حذر وقرئ الاشر أي البالغ في الشرارة وهو أصل مرفوض كالأخير وقبل المراد بالقد يوم القيامة وأباه

فيه وجهان (احدهما) أن يكون هذا القول مفروض الوقوع في وقت قولهم بل هو كذاب أشعر فكانت تعالى قال يوم قالوا بل هو كذاب أشعر سيعلمون غدا (وثانيهما) أن هذا التهديد بالعذاب لا يحصل العلم بالعذاب الا لغيره وهو عذاب جهنم لعذاب القبر فهم سيعذبون يوم القيامة وهو مستقبل وقوله تعالى غدا قرب الزمان في الامكان والاذهان ثم ان قلنا ان ذلك للتهديد بالعذاب لا بالكذب فلا حاجة الى تفسيره بل يكون ذلك اعادة لقولهم من غير قصد الى معناه وان قلنا هو الرد والوعدين انكشاف الامر فقوله تعالى سيعلمون غدا معناه سيعلمون غدا انهم الكاذبون الذين كذبوا بالحاجة وضرورة بل بطروا وأشروا لما استغفروا وقوله تعالى غدا يحتمل أن يكون المراد يوم القيامة ويحتمل أن يكون المراد يوم العذاب وهذا على الوجه الاول ثم قال تعالى (انامر سلوا الناقة فتنافسوا فيها فارتقبتهم واصطبر) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قوله انامر سلوا الناقة بمعنى الماضي أو بمعنى المستقبل ان كان بمعنى الماضي فكيف يقول فارتقبتهم واصطبر وان كان بمعنى المستقبل فالفرق بين حكاية عاد وحكاية ثمود حيث قال هناك انا ارسلنا وقال ههنا انامر سلوا الناقة بمعنى انارسل نقول هو بمعنى المستقبل وما قبله وهو قوله سيعلمون غدا يدل عليه فان قوله انامر سلوا الناقة كالبان له كأنه قال سيعلمون حيث نزل الناقة وما بعده من قوله فارتقبتهم ونبتهم أيضا يقتضي ذلك فان قيل قوله تعالى فتنادوا دليل على ان المراد الماضي قلنا سنجيب عنه في موضعه وأما الفارق فنقول حكاية ثمود مستقصاة في هذا الموضع حيث ذكر تكذيب القوم بالنذر وقولهم لرسولهم وتصدىق الرسل بقوله سيعلمون وذكر المعجزة وهي الناقة وما فعلوه بها والعذاب والهلاك ليدكر حكاية على وجه الماضي والمستقبل ليكون وصفه للنبي صلى الله عليه وسلم كأنه حاضرها فيفتدى بصالح في الصبر والدعاء الى الحق وينقبر به في النصرة على الاعداء بالحق فقال انى مؤيدك بالمعجزة القاطعة واعلم ان الله تعالى ذكر في هذه السورة خمس قصص وجعل القصة المتوسطة مذكورة على اتم وجه لان حال صالح كان اكثر مشابهاة بحال محمد صلى الله عليه وسلم لانه انى بأمر عجيب ارضى كان أعجب مما جاء به الانبياء لان عيسى عليه السلام احبوا الميت لكن الميت كان محملا للحياة فثبت باذن الله الحياة في محل كان قابلا لها وموسى عليه السلام انقلب عصاه ثعبانا فثبت الله في الخشبة الحياة لكن الخشبة نبات كان له قوة في النماء يشبه الحيوان في النمو فهو أعجب وصالح عليه السلام كان الظاهر في يده خروج الناقة من الحجر والحجر جراد لا محل للحياة ولا محل للنمو والنبي صلى الله عليه وسلم انى بأعجب من الكل وهو التصرف في جرم السماء الذى يقول المشرك لا وصول لاحد الى السماء ولا مكان لشقه وخرقه وأما الارضيات فقالوا انها أجسام مشتركة المواد يقبل كل واحد منها صورة الاخرى والسموات لا تقبل ذلك فلما انى بما عرفناه انه لا يقدر على مثله آدمى كانى أنهم وأبلغ من معجزة صالح عليه السلام التى هى اتم معجزة من

معجزات من كان من الانبياء غير محمد صلى الله عليه وسلم (وفيه لطيفة) وهو ان اسم الغافل اذا كان بمعنى الماضي وذكر معه مفعوله فالواجب الاضافة تقول وحشي قاتل عم النبي صلى الله عليه وسلم قال قلنا قاتل عم النبي بالاعمال فلا بد من تقدير الحكاية في الحال كما في قوله تعالى وكابهم باسط ذراعيه علي انه يحكي القصة في حال وقوعها وتقول خرجت أمس فاذا زيد ضارب عمرا كما تقول بضرب عمرا وان كان الضرب قد مضى واذا كان بمعنى المستقبل فالاحسن الاعمال تقول اني ضارب عمرا غدا فان قلت اني ضارب عمرا وغدا حيث كان الامر وقع وكان جاز لكنه غير الاحسن والتحقيق فيه ان قولنا ضارب وسارق وقاتل أسماء في الحقيقة غيران لها دلالة على الفعل فاذا كان الفعل تحق في الماضي فهو قد عدم حقيقة فلا وجود للفعل في الحقيقة ولا في التوقع فيجب الحمل على ما لا اسم من الاضافة وتزول بالفعل من الاعمال لغلبة الاسمية وقد ان الفعل بالماضي واذا كان الفعل حاضرا او متوقعا في الاستقبال فله وجود حقيقة أو في التوقع فيجوز الاضافة بصورة الاسم والاعمال لتوقع الفعل أو لوجوده ولكن الاعمال أولى لان في الاستقبال ان يضرب يفيد لا يكون ضاربا فلا ينبغي أن يضاف أما الاعمال فهو ينبغي عن توقع الفعل أو وجوده لانه اذا قل زيدا ضارب عمرا فالسمع اذا سمع يضرب ثم وعلم أنه يفعل فاذا لم يره في الحال يتوقعه في الاستقبال غير ان الاضافة تفيد تخفيضا حيث سقط بها التنوين والتون فتختار لفظا لا معنى اذا عرفت هذا فنقول مر ملو النافقة مع ما فيه من التخفيف فيه تحقيق الامر وتقديره كأنه وقع وكان بخلاف ما لو قيل اننا نرسل النافقة (المسئلة الثانية) فتنة مفعوله فتكون الفتنة هي المقصودة من الارسال لكن المقصود منه تصديق النبي صلى الله عليه وسلم وهو صالح عليه السلام لانه معجزة فالتحقيق في تفسيره نقول فيه وجهان (أحدهما) ان المعجزة فتنة لان بها يتميز حال من يشأب من يعذب لان الله تعالى بالمعجزة لا يعذب الكفار الا اذا كان ينبغيهم بمصدق من حيث نيوته فالمعجزة ابتلاء لانها تصديق وبعد التصديق يتميز المصدق عن المكذب (وثانيهما) وهو ادق بأن اخراج النافقة من الصخرة كان معجزة وارسالها اليهم ودورانها فيهم وقسم الماء كان فتنة ولهذا قال انما مرسلو النافقة فتنة ولم يقل انما خرجوا النافقة فتنة والتحقيق في الفتنة والابتلاء والامتحان قد تقدم مرارا واليه اشارة حقيقة وهي ان الله تعالى يهدي من يشاء والهداية طرق منها ما يكون على وجه يكون للانسان مدخل فيه بالكسب مثاله يخلق شيئا دالا ويقع تفكر الانسان فيه ونظره اليه على وجه يترجع عنه الحق فيتبعه وتارة يلجئه اليه ابتداء وبصوته عن الخطأ من صغرة فاطهار المعبر على يد الرسول أمر يهدي به من يشاء اهتداه مع الكسب وهداية الانبياء من غير كسب منهم بل يخلق فيهم علوما غير كسبية فقولنا انما مرسلو النافقة فتنة اشارة اليهم ولهذا قال لهم ومعناه على وجه يصلح لان يكون فتنة وعلى هذا كل من كانت معجزته أظهر يكون ثواب قومه أقل

وقوله تعالى فارتقبهم أي فارتقبهم بالعذاب ولم يقل فارتقب العذاب إشارة إلى حسن
الادب والاجتناب عن طلب الشر وقوله تعالى واصطبر يؤيد ذلك بمعنى أن كانوا يؤيدونك
فلا تستجلب لهم العذاب ويحتل أن يكون ذلك إشارة إلى قرب الوقت إلى أمرهما والأمر
بحيث يعجز عن الصبر ثم قال تعالى (ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب مختصر) أي
مقسوم وصف بالمصدر مراد به المشتق منه كقوله ماء ملح وقول زور وفيه ضرب من
المباغة يقال للكرم كرم كانه هو عين الكرم ويقال فلان اطف محض ويحتل أن يكون
القسمة وقعت بينهما لأن الناقة كانت عظيمة وكانت حيوانات القوم تنفر منها ولا ترد
الماء وهي على الماء فصب عليهم ذلك فجعل الماء بينهما يوم الناقة ويوم القوم ويحتل
أن تكون لقلة الماء فشر به يوما للناقة ويوم للحيوانات ويحتل أن يكون الماء كان
بينهم قسمة يوم قوم ويوم لقوم ولما خلق الله الناقة كانت ترد الماء يوما فكان الذي لهم
الماء في غير يوم وردوها بقولون الماء كله لنا في هذا اليوم ويومكم كان أسس والناقة
ما أخرجت شئاً فلا تمسكنكم من الورود أيضاً في هذا اليوم فيكون القصاص أريد على الكل
وكانت الناقة تشرب الماء بأسرها وهذا أيضاً ظاهر ومقول والمشهور هنا الوجه الأوسط
وقولون فوما كانوا يكتفون بلبثها يوم وردوها الماء والكل يمكن ولم يرد شي مخبر
متواتر والثالث قطع وهو من القسمة لأنها مثبتة بكتاب الله تعالى أما كيفية القسمة
والسبب فلا وقوله تعالى كل شرب مختصر ما يؤيد الوجه الثالث أي كل شرب مختصر
للقوم بأسرها لانه لو كان ذلك ليان كونه الشرب مختصراً للقوم أو الناقة فهو معلوم
لأن الماء ما كان يترك من غير حضور وان كان ليان انه تخصره الناقة يوماً والقوم يوماً
فلا دلالة في اللفظ عليه وأما إذا كانت العادة قبل الناقة على أن يرد الماء قوماً في يوم
وآخرين في يوم آخر ثم لما خلت الناقة كانت تنقص شرب البعض وتترك شرب الباقين
من غير نقصان فقال كل شرب مختصر كم أيها القوم فردوا كل يوم الماء وكل شرب ناص
تقاسمه وكل شرب كامل تقاسمه ثم قال تعالى (فنادوا أصحابهم) ناداء المستغيث كأنهم
قالوا يا لقسار القوم كما يقول الغائل بالله للمسلمين وصاحبهم قدار وكان أشجع وأهجم
على الأمور ويحتل أن يكون رئيسهم وقوله تعالى (فعاطى فمقر) يحتل وجوها
(الاول) فعاطى آلة العقر فمقر (الثاني) فعاطى الناقة فمقرها وهو أضعف (الثالث)
الفاطى يطلق ويراد به الإقدام على الفعل العظيم والتحقيق هو أن الفعل العظيم يقدم
كل أحده فيه صاحبه ويرى نفسه منه في يقبله ويقدم عليه يقال فعاطاه كأنه كان في
تدافع فآخذه هو بعد التدافع (الرابع) أن القوم جعلوا له على علمه جعلوا فعاطاه وعقر
الناقة ثم قال تعالى (فكيف كان عذابي ونذر) وقد تقدم بيانه وتفسيره غير أن
هذه الآية ذكرها في ثلاثة مواضع ذكرها في حكاية نوح بعد بيان العذاب وذكرها هنا
قبل بيان العذاب وذكرها في حكاية عاد قبل بيانه وبعد بيانه فبحث ذكر قبل بيان العذاب

وقوله تعالى (انما سئلوا
الناقة) الخ فانه استثناف
مسوق لبيان مبادى
المسعود حتماً أى
تخرجوها من الهضبة
حسب أسألوا (فنته لهم)
أى اعتكفنا (فارتقبهم)
أى فانتظرهم وتبصر
ما يصنعون (واصطبر)
على أذنبهم (ونبئهم أن
الماء قسمة بينهم) مقسوم
لها يوم ولهم يوم وينهم
لتغليب العقلاء (كل
شرب مختصر) مختصره
صاحبه في نوبته
(فنادوا أصحابهم) هو
قدار بن سالف أحجم
ثمود (فعاطى فمقر)
فاجترأ على فعاطى
الامر العظيم غير مكثرت
له فاحدث العقر بالناقة
وقبل فعاطى الناقة
فمقرها أو فعاطى السيف
فقتلها أو فعاطى تناول
الشئ بشكل (فكيف
كان عذابي ونذر)
الهلاك فيه كالذى
مر في صدر قصة عاد

ذكرها للبيان كما نقول ضربت فلانا أي ضرب وأما ضرب وتقول ضربته وكيف
ضربته أي فوينا وفي حكاية عاد ذكرها مرتين للبيان والاستفهام وقد ذكرنا السبب فيه
في حكاية نوح ذكرنا الذي للتعظيم وفي حكاية نود ذكرنا الذي للبيان لأن عذاب قوم نوح كان
بأمر عظيم عام وهو البعوثان الذي عم العالم ولا كذلك عذاب قوم هود فإنه كان مختصا
بهم ثم قال تعالى (إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحطّر) سمعوا صيحة
فأتوا وفيه مسائل (المسألة الأولى) كان في قوله فكانوا أي الأقسام نقول قال النحاة
نجي تارة بمعنى صاروا تسكو ويقول القائل

بشيء، قفر والمطى كأنها * فها الحزن قد كانت فواخا يوضها

بمعنى صارت فقال بعض المفسرين في هذا الموضع إنها بمعنى صاروا التحقيق إن كان
لا يتخالف غيرها من الأفعال الماضية اللازمة التي لا تعدى والذي يقال إن كان تامة
وناقصمة وزائدة بمعنى صار وليس ذلك بوجوب اختلاف أحوالها اختلاف في غيها
من الأفعال ذلك لأن كان بمعنى وجد وحصل أو تحقق غير أن الذي وجد تارة يكون
حقيقة الشيء وأخرى صفة من صفاته فإذا قلت كانت الكائنة وكن فيكون جعلت
الوجود والحصول الشيء في نفسه فكانك قلت وجدت الحقيقة الكائنة وكن أي
أحصل فيوجد في نفسه وإذا قلت كان زيد عالما أي وجد علم زيد غير أننا نقول في وجد زيد
عالما إن عالما حال وفي كان زيد عالما نقول أنه خبر كقولنا حصل زيد عالما غير أن قولنا
وجد زيد عالما رتبة عليهم منه أن الوجود والحصول لزيد في تلك الحال كما نقول قام زيد
منحبا حيث يكون القيام لزيد في تلك الحال وقولنا كان زيد عالما ليس منتهى كان زيد وفي
تلك الحال هو عام لكن هذا لا يوجب أن كان على خلاف غيره من الأفعال اللازمة التي
لها الحال تعلق شديد لأن من يفهم من قولنا حصل زيد اليوم على أحسن حال ما يفهمه
من قولنا خرج زيد اليوم في أحسن زى لا يتعدى مانع من أن يفهم من قولنا كان زيد على
أحسن حال مثل ما يفهم هناك * إذا عرفت هذا فنقول الفعل الماضي يطلق تارة على
ما يوجد في الزمان المتصل بالحاضر كقولنا قام زيد في صباه ويطلق تارة على ما يوجد في
الزمان الحاضر كقولنا قام زيد فقم وقم فإن زيد أقام وكذلك القول في كان رتبة يقال كان
زيد قائما عام كذا ويرى يقال كان زيد قائما الآن كذا في قام زيد بقوله تعالى فكانوا فيه
استعمال الماضي فيما اتصل بالحال فهو كقولك أرسل عليهم صيحة فأتوا أي متصلا
بتلك الحال إنهم لو استعمل في هذا الموضع صار يجوز لكن كان وصار كل واحد بمعنى في
نفسه وأما يلزم حل كان على صار إذا لم يكن أن يقال هو كذا كذا في البيت حيث لا يمكن
أن يقال البيوض فراخ وأما هنا يمكن أن يقال هم كهشيم ولو لا الكاف لا يمكن أن يقال
يجب حل كان على صار إذا كان المراد أنهم انقلبوا هشيمًا كإقبال المسوخ وليس
المراد ذلك (المسألة الثانية) ما الهشيم نقول هو المهشوم أي المكسور وسمى هاشم

(إنا أرسلنا عليهم صيحة

واحدة) هي صيحة

جبريل عليه السلام

(فكانوا) أي فصاروا

(كهشيم المحطّر)

أي كالشجر اليابس الذي

يخذله من يعمل الخطيرة

لأجلها وكالحشيش

اليابس الذي يجمعه

صاحب الخطيرة لما شئت

في الشئ وقرئ بفتح

الطاء أي كهشيم

الخطيرة أو الشجر

المتخذ لها

هاشما الهشمة اثر يد في الجفان غير ان الهشيم استعمل كثيرا في الخطب المتكسر الياس
فقال المفسرون كانوا كالخشب الذي يخرج من الخطأ بعد البلاية فت واستدلوا
عليه بقوله تعالى هشيم تدور الرياح وهو من باب اقامة الصفة مقام الموصوف كما
يقال رأيت جريحا وولده اشعر (السئلة الثانية) اما اذا شبههم به فقلنا يحتمل أن يكون
اشبهه بكونهم يأسين كالخشب بين الموتى الذين ماتوا من زمان، وكأنه يقول سمعوا
الصبيحة فكانوا كأنهم ماتوا من أيام ويحتمل أن يكون لانهم انضموا بعضهم الى بعض كما
ينضم الرعاء عند الحرف داخلين بعضهم في بعض فاجتمعوا بعضهم فوق بعض كخطب
الخطاب الذي يصفه شيأ فوق شيء منتظرا حضور من يشترى منه شيأ فان الخطاب الذي
عنده الخطب الكثير يجعل منه كالظيرة ويحتمل أن يكون ذلك لبيان كونهم في الحميم
أى كانوا كالخطب الياس الذي لا وفيد فهو محقق لقوله تعالى انكم وما تعبدون من دون
الله حصب جهنم وقوله تعالى فكانوا الجهنم خطبا وقوله آخر قوا فادخلوا انارا كذلك ماتوا
فصاروا كالخطب الذي لا يكون الا لاراق لان الهشيم لا يصلح للبناء * ثم قال تعالى
(ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) والتكرار للتذكير ثم بين حال قوم آخرين
وهم قوم لوط * فقال (كذبت قوم لوط بالنذر) ثم بين عذابهم واهلاكهم * فقال
(انا ارسلنا عليهم حاصبا الا لوط نجينا امر بسحر) وفيه مسائل (الاولى) الحاصب
فاعل من حصب اذا رمى الحصباء وهي اسم الحجارة والمرسل عليهم هو نفس الحجارة قال الله
تعالى وامطرنا عليهم حجارة من سجيل وقال تعالى عن الملائكة انزل عليهم حجارة من طين
فالمرسل عليهم ليس بحاصب فكيف الجواب عنه نقول الجواب من وجوه (الاول)
ارسلنا عليهم رجما حاصبا بالحجارة التي هي الحصباء وكثر استعمال الحاصب في الريح الشديدة
فاقام الصفة مقام الموصوف (فان قيل) هذا ضعيف من حيث اللفظ والمعنى اما اللفظ
فلان الريح مؤنثة قال تعالى ربح صرصر عاتية بريح طيبة وقال تعالى انا سنخرناله الريح
تجري بأمره وقال تعالى غدوها شهر وقل تعالى في الرياح اواقع وما قال لقاحا ولا نفعه
وأما المعنى فلان الله تعالى بين أنه ارسل عليهم حجارة من سجيل مسومة عليهم علامة كل
واحد وهي لا تسمى حصباء وكان ذلك بأيدي الملائكة لا بالريح (نقول) نأثبت الريح ليس
حقيقة وانما أصناف الغالب فيها التذكير كالاعصار قال تعالى اعصار فيه نار فاما كان
حاصب حجارة كان كالذي فيه نار وأما قوله كان الرمي بالسجيل لا بالحصباء وبأيدي
الملائكة لا بالريح فنقول كل ربح يسمى بحجارة يسمى حاصبا وكيف لا والسحاب الذي
يأتي بالبرد يسمى حاصبا يشبه البرد بالحصباء فكيف لا يقال في السجيل وأما الملائكة
فانهى حركوا الريح وهي حصباء الحجارة عليهم (الجواب الثاني) المراد عذاب حاصب
وهذا أقرب لتأوله الملك والسحاب والريح وكل ما يفرض (الجواب الثالث) قوله حاصبا
هو أقرب من اكل لان قوله انا ارسلنا نيدل على مرسل هو مرسل الحجارة وحاصبها فان

(ولقد يسرنا القرآن
للكر فهل من مدكر
كذبت قوم لوط بالنذر
انا ارسلنا عليهم حاصبا)
أى رجما تحصبهم أى
ترمهم بالحصباء (الآكل
لوط نجينا امر بسحر)
فى سحر وهو آخر الابل
وقبل هو السدس الاخير
منه أى ملتبس بسحر

قبل كان ينبغي أن يقول حاصبين نقول للمريد ذكر الموصوف رجع بجانب اللفظ كانه قال
شيئا حاصبا اذا لم يفسد بيان جنس العذاب لا يثبت من علي يد العذاب وهذا يدل على من
قال الرجح مؤنث لان ترك التأنيث هناك كترك علامة الجمع هذه (المسئلة الثانية) ما رتب
الامر سال على التكذيب بلقاء فلم يقل كذبت قوم لوط بالندب فامرسلنا كما قال ففحصنا أبواب
السماء لان الحكاية مسوقة على مشاق ما تقدم من الحكايات فكانه قال فكيف كان
عذابي ونذر كما قال من قبل ثم فيك لا علم لنا به وانما أنت العنيم فاجبرنا فقال انما أرسلنا
(المسئلة الثالثة) ما الحكمة في ترك العذاب حيث لم يقل فكيف كان عذابي كما قال
في الحكايات الثلاث نقول لان التكرار ثلاث مرات بالغ وهذا قال صلى الله عليه وسلم
أهل بلغت ثلاثا وقال صلى الله عليه وسلم فتكاحها باطل باطل باطل والادكار
تكرر ثلاث مرات فثلاث مرار حصل التأكيذ وقدينا أنه تعالى ذكر فكيف كان
عذابي في حكاية نوح للتعظيم وفي حكاية نوح والبيان وفي حكاية عاد هار من تين للتعظيم
والبيان جيعا واعلم أنه تعالى ذكر فكيف كان عذابي في ثلاث حكايات أربع مرات فالمرّة
الواحدة للانذار والمرات الثلاثة لتلاذكرا لان المقصود حصل بالمرّة الواحدة وقوله تعالى
فبأي آلاء ربكمنا تكذبان ذكره مرة للبيان وأعادها ثلاثين مرة غير المرة الاولى كما أعاد
فكيف كان عذابي ونذر ثلاث مرات غير المرة الاولى فكان ذكر الآلاء عشرة أمثال
من العذاب إشارة الى الرحمة التي قال في بيانها من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن
جاء بالسيفة فلا يجزي الأمثالها وسنين ذلك في سورة الرحمن (المسئلة الرابعة) الآل لوط
استثناء مما إذا ان كان من الذين قال فيهم أنا أرسلنا عليهم حاصبا فالضعيف في عليهم
عائد الى قوم لوط وهم الذين قال فيهم كذبت قوم لوط ثم قال أنا أرسلنا عليهم لكن لم يستثن
عند قوله كذبت قوم لوط وألمن قومه فيكون آله قد كذبوا ولم يكن كذلك الجواب عنه
من وجهين (أحدهما) أن الاستثناء ممن عاد اليهم الضعيف في عليهم وهم القوم بأسرهم
غير ان قوله كذبت قوم لوط لا يوجب كون آله مكذبين لان قول القائل عصي أهل بلدة كذا
يصح وان كان فيها شر ذمة قليلة يطيعون فكيف اذا كان فيهم واحد أو اثنان من المطيعين
لا غير فان قيل ماله حاجة الى الاستثناء لان قوله أنا أرسلنا عليهم يصح وان نجا منهم طائفة
بسيرة نقول القائدة لما كانت لا تحصل الا ببيان اهلاك من كذب وانجاء من آمن فكان
ذكر الانجاء مقصودا وحيث يكون القليل من الجمع الكثير مقصودا لا يجوز التعميم
والاطلاق من غير بيان حال ذلك المقصود بالاستثناء أو بكلام منفصل مثاله فسجدوا
للملائكة كلهم أجمعون الا إبليس استثنى الواحد لانه كان مقصودا وقال تعالى وأوتيت
من كل شيء ولم يستثن اذا المقصود بيان انها أوتيت لا بيان انها ما أوتيت وفي حكاية إبليس
كلاهما مراد ليعلم أن من تكبر على آدم هو قوب ومن تواضع أنيب كذلك القول ههنا
وأما عند التكذيب فكان المقصود ذكر المكذبين فلم يستثن (الجواب الثاني) ان

الاستثناء من كلام مدلول عليه كانه قال انا ارسلنا عليهم حاصبا فانجيتهم من الحساب
الا لوط وجاز ان يكون الارسلان عليهم والهلاك يكون عاما كافي قوله تعالى واتقوا
فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة فكان الحساب اهلك من كان الارسلان عليه
مقصودا ومن لم يكن كذلك كاطفالهم وودوا بهم ومساكنهم فأنجيتهم من الحساب
فان قيل اذا لم يكن الاستثناء من قوم لوط بل كان من امر عام فيجب ان يكون لوط ايضا
مستثنى نقول هو مستثنى عقلا لان من المعاموم انه لا يجوز تركه وانجاء اتبعه والذي يدل
عليه انه مستثنى قوله تعالى عن الملائكة نحن اعلم بما فيها نجيتهم واهله الا امرته
في جوابهم لاراهيم عليه السلام حيث قال ان فيه الوطافان قيل قوله في سورة الحجر الا ان
لوط انا لنجوه من الاستثناء من المجرمين وان لوط لم يكونوا مجرمين فكيف استثنى منهم
والجواب مثل ما ذكرنا (فاحد الجوابين) انا ارسلنا الى قوم يصدق عليهم انهم مجرمون
وان كان فيهم من لم يجرم (ثانيهما) الى قوم مجرمين بالهلاك بعم الكل الا لوط وقوله
تعالى نجيتهم بسحر كلام مستأنف لبيان وقت الانجاء والبيان كيفية الاستثناء لان آل
لوط كان يمكن ان يكونوا فيهم ولا يصيبهم الحساب كافي عاد كانت الى مح تلغ الكافر
ولا يصيب المؤمن منها مكره او يجعل لهم مدفعا كافي قوم نوح فقال نجيتناهم بسحر اى
امرناهم بالخروج من القرية في آخر الليل والصحري قيل الصحيح وقيل هو السخس الاخير
من الليل * ثم قال تعالى (نعمة من عندنا كذلك نجري من شكر) اى ذلك الانجاء كان
فضلا منا كما ان ذلك الهلاك كان عقلا ولو اهلكوا لكان ذلك عقلا لا تعالى واتقوا
فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة قال الحكماء انفسوا الفاسد يقطع ولا بد ان يقطع
مع جزء من الصحيح ليحصل استئصال الفساد غير ان الله تعالى قادر على التمييز التام فهو
مخاران شاء اهلك من آمن وكذب ثم ثبت الذين اهلكهم من المصدقين في دار الجزاء وان
شاء اهلك من كذب فقال نعمة من عندنا اشارة الى ذلك وفي نصيبها وجهان (أحدهما)
انه مقوله كانه قال نجيتناهم نعمة منا (ثانيهما) على انه مصدر لان الانجاء منه انعام
فكانه تعالى قال أنعمنا عليهم بالانجاء انعاما وقوله تعالى كذلك نجري من شكر فيه
وجهان (أحدهما) ظاهر وعليه أكثر المفسرين وهو انه من آمن كذلك نجيت من
عذاب الدنيا ولا تهلكه وعد الامم محمد صلى الله عليه وسلم المؤمنين بانه يصونهم عن
الاهلاك العامة والسيات المطبقة الشاملة (وثانيهما) وهو الاصح ان ذلك وعذبهم
وجزاؤهم بالثواب في دار الآخرة كانه قال كانجيتناهم في الدنيا اى كانعمنا عليهم بنعم
عليهم يوم الحساب والذي يؤيد هذا أن النجاة من الاهلاكات في الدنيا ليس بلام ومن
عذاب الله في الآخرة لازم بحكم الوعيد وكذلك ينهى الله الشاكرين من عذاب النار
ويذر الظالمين فيه ويدل عليه قوله تعالى من يرد نواب الدنيا نوته منها ومن يرد نواب
الآخرة نوته منها وسنجزي الشاكر وقوله تعالى فانابهم الله بما قالوا جنات تجري

(نعمة من عندنا) اى
انعاما منا وهو علة النجاة
(كذلك) اى مثل ذلك
الجزاء العجيب (نجري
من شكر) نعمة بالايان
والطاعة

من نعتها الا انها خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين والشاكر بحسن فعلهم ان المراد جزاؤهم في
 الآخرة ثم قال تعالى (ولقد أنذرهم بطشتنا فتمأروا بالنذر) وفيه تبرئة لوط عليه
 السلام وبيان أنه أتى بما عليه فانه تعالى لما رتب التعذيب على التكذيب وكان من
 الرحمة أن يؤخره ثم يقدم عليه الانذارات البالغة بين ذلك فقال أهلكناهم وكان وقد
 أنذرهم من قبل وفي قوله بطشتنا وجهان (أحدهما) المراد البطشة التي وقعت وكان
 يخوفهم بها ويدل عليه قوله تعالى أيا أرسنا عليهم فحاصبا فكانه قال انا أرسلنا عليهم
 ما سبق ذكره الا انذارها والتخويف (وثانيهما) المراد ما في الآخرة كما في قوله تعالى
 يوم تبطش البطشة الكبرى وذلك لان الرسل كلهم كانوا يندرون قوتهم بعذاب الآخرة
 كما قال تعالى فأنذرتكم نارا تلظى وقال وأنذرهم يوم الآزفة وقال تعالى انا أنذرناكم
 عذابا قريبا الى غير ذلك وهي هذا فقيه لطيفة وهي ان الله تعالى قال ان بطش ربك
 لشديد وقال ههنا بطشتنا ولم يقل بطشتنا وذلك لان قوله تعالى ان بطش ربك شديد
 بطشه فذا كان جنسه شديدا فكيف الكبري منه وأما لوط عليه السلام فذكر لهم
 البطشة الكبرى لئلا يكون مقصرا في التبليغ وقوله تعالى فتمأروا بالنذر يدل على أن
 النذر هي الانذارات ثم قال تعالى (ولقد راودوه عن ضيقه فطمسنا أعينهم فذوقوا
 عذابي ونذر) والمراد من راودوه منه الارادة وهي قرينة من المطالبة غير أن المطالبة
 تستعمل في العين يقال طالب زيد عرا بلندراهم والمرادة لا تستعمل الا في العمل يقال
 راوده عن المساعدة ولهذا تعدى المرادة الى مفعول ثان وعن المطالبة بالباء وذلك لأن
 الفعل منوط باختيار الفاعل والعين قد توجد من غير اختياره وهذا فرق الحال فاذا
 قلت أخبرني بأمر معين عليه الخبر بالعين بخلاف ما اذا قيل عن كذا أو يزيد هذا ظهورا
 قول القائل أخبرني زيد عن محي فلان وقوله أخبرني بجميعه فان من قال عن محي رعا
 يكون الاخبار عن كيفية المحي لا عن نفسه وأخبرني بجميعه لا يكون الا عن نفس المحي
 والاضيف يقع على الواحد والجماعة وقد ذكرناه في سورة الذاريات وكيفية المرادة
 مذكورة فيما تقدم وهي انهم كانوا فاسدين وسعوا بضيغ دخلوا على لوط فراوده عنهم
 وقوله فطمسنا أعينهم يقول ان جبريل كان فيهم فضرب بهمض جناحه على وجوههم
 فأعماهم وفي الآية مسائل (الاولى) الضمير في راودوه ان كان عائدا الى قوم لوط
 فافى قوله أعينهم ايضا عائدا اليهم فيكون قد طمس أعين قوم لوط ولم يطمس الأعين قليل
 منهم وهم الذين دخلوا دار لوط وان كان عائدا الى الذين دخلوا الدار فلا ذكر لهم فكيف
 القول فيه نقول المرادة حقيقة حصلت من جمع منهم لكن لما كان الامر بالقوم
 وكان غيرهم ذلك مذهبه أسندها الى الكل ثم بقوله راودوه حصل قوم هم المرادون
 حقيقة فعاد الضمير في أعينهم اليهم مثاله قول القائل الذين آمنوا صلوا فصحت صلاتهم
 فيكون هم في صلاتهم عائدا الى الذين صلوا بعدما آمنوا ولا يعود الى مجرد الذين آمنوا الا ان

(ولقد أنذرهم) لوط

عليه السلام (بطشتنا)

أي اخذنا الشديدة

بالعذاب (فتمأروا) فكذبوا

(بالنذر) متشاكين

(ولقد راودوه عن ضيقه)

قصدا للنجور بهم

(فطمسنا أعينهم)

فمخضها وسويتها

كسائر الوجه روى

أنهم لما دخلوا داره عنوة

صفقه جبريل عليه

السلام صفقه فتركهم

بترددون لا يهتدون الى

الباب حتى أخرجهم

لوط عليه السلام

(فذوقوا عذابي ونذر)

أي فقلنا لهم ذوقوا على

أسنة الملائكة أو ظاهر

الحال والمراد به الطمس

فانه من جملة ما أنذروه

من العذاب

لواقصرت على الذين آمنوا فصحت صلاتهم لم يكن كلاما فلما واصلوا وقلت الذين صلوا
فصحت صلاتهم صح الكلام فعلم أن الضمير تأدلى ما حصل بعد قوله راودوه والضمير في
راودوه تأدلى المنذرين المتأثرين بالنذر (المسئلة الثانية) قال ههنا فطمسنا أعينهم
وقال في يس واولئنا لطمسنا على أعينهم فالفرق نقول ههنا يؤيد قول ابن عباس
فانه نقل عنه أنه قال المراد من الطمس الحجب عن الادراك فاجعل على بصرهم شئ فغير
انهم دخلوا ولم يروا هناك شئنا فكانوا كالعموسين وفي يس أراد انه لو شاء لجعل على
بصرهم شياؤه أى الزق احد الجفتين بالآخر فيكون على العين جلدة فيكون قد طمس
عليها وقال غيره انهم عموا وسارت عنهم مع وجوههم كالصفحة الواحدة ويؤيد قوله
تعالى فدوقوا عذابي لانهم ان بقوا بصري ولم يروا شئنا هناك لا يكون ذلك عذابا
والطمس بالمعنى الذى قاله غير ابن عباس فنقول الاولى أن يقال انه تعالى حكى
ههنا ما وقع وهو طمس العين واذهب ضوؤها وصورتها بالكلية حتى صارت وجوههم
كالصفحة المساء ولم يمكنهم الانكار لانه امر واقع وأما هناك فقد خوفهم بالممكن المقدور
عليه فاخترنا ما يصدق على أحد ويعرف به وهو الطمس على العين لان اطباق الجفن على
العين أمر كثير الوقوع وهو بقدره الله تعالى وارادته فقال ولو شاء لطمسنا على أعينهم
وما شقنا جفونهم عن عيניהم وهو أمر ظاهر الامكان كثير الوقوع والطمس على ما وقع
لقوم بوط نادر فقال هناك على أعينهم ليكون أقرب الى القبول (المسئلة الثالثة) قوله
تعالى فدوقوا عذابي ونذر خطاب بمن وقع ومع من وقع فلنا فيه وجوه (أحدها) فيه
اضمار تقديره قلت على لسان الملائكة فدوقوا عذابي (ثانيها) هذا خطاب مع كل
مكذب تقديره كنتم تكذبون فدوقوا عذابي فانهم لما كذبوا إذا قوه (ثالثها) ان هذا
الكلام خرج من فم كلام الناس فان الواحد من الملوك إذا أمر بضرب مجرم وهو شديد
الغضب فإذا ضرب ضربه بغير حاو هو يصرخ والمالك يسمع صراخه يقول عند سماع
صراخه ذى المك مجرم مستاهل ويعلم الملك أن المذنب لا يسمع كلامه ويخطب بكلامه
المستغيب الصراخ وهذا كثير فكذلك لما كان كل أحد يرى من الله تعالى يسمع إذا
عذب معاندا كان قد سخط الله عليه يقول ذى المك أنت انظرى الكريم فدوقوا عذابي يومكم
هذا فدوقوا عذابي ولا يكون به مخاطبة بل يسمع ويحجب وذلك اظهار العدل أى لست
بفاصل عن تعذيبك فتخلص بالصراخ والضراعة وانما تأبئك عالم وأنت له أهل لما قد صدر
منك فان قيل هذا وقع بغير الغاء وانما بالغاء فلا نقول بالغاء فانه ربما يقول كنتم
تكذبون فدوقوا (المسئلة الرابعة) النذر كيف يذاق نقول معناه ذى فمك أى مجازاة
فمك وموجبه ويقال ذى الألم على فمك وقوله فدوقوا عذابي كقولهم ذى الألم وقوله
ونكر كقولهم ذى فمك أى ذى ما لزم من النذارى فان قيل فعلى هذا لا يصح العطف لان
قوله فدوقوا عذابي وما لزم من النذارى وهو العذاب يكون كقول القائل فدوقوا عذابي

وعذابي نقول قوله تعالى ذوقوا عذابي أي العاجل منه وما لزم من انذارى وهو العذاب
 الآجل لان الانذار كان به على ما تقدم يسانه فكانه قال ذوقوا عذابي العاجل وعذابي
 الآجل فان قيل هما لم يكونا في زمان واحد فكيف يقال ذوقوا نقول العذاب الآجل
 أوله متصل بآخر العذاب العاجل فهما كالواقع في زمان واحد وهو قوله تعالى أغرقوا
 فادخلونا ناراً ثم قال تعالى (ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر) أي العذاب الذي
 عها قوم بعد الخاص الذي طمس بحين البعض وفيه مسائل (المسئلة الاولى) صبحهم
 فيدلالة على الصبح فاصبح بكرة نقول فائدته تبين انظر افة فيه فقوله بكرة يحتمل وجهين
 (احدهما) انها منصوبة على انها ظرف ومثله نقول في قوله تعالى لسرى بعبد ليل
 وفيه بحث وهوان الخشعري قال ما الفائدة في قوله ليل وقال جواباً في التكبر دلالة
 على أنه صكان في بعض الليل وتمسك بقراءة من قرأ من الليل وهو غير ظاهر والظاهر
 فيه ان يقال بأن الوقت المبهم يذكر لبيان ان تعيين الوقت ليس بمقصود المتكلم وانه
 لا يريد يسانه كما يقول خرجنا في بعض الاوقات مع ان الخروج لا بد من ان يكون في
 بعض الاوقات فانه لا يريد بيان الوقت المعين واو قال خرجنا بغير ما يقول السامع مني
 خرجنا فماذا قال في بعض الاوقات أشار الى أن غرضه بيان الخروج لا تعيين وقته فكذلك
 قوله تعالى صبحهم بكرة أي بكرة من البكر وأسرى بعبد ليل أي ليل من الليالي فلا يبينه
 فان المقصود نفس الاسراء ولو قال أسرى بعبد من المسجد الحرام لكان للسامع أن
 يقول بما ليله فإذا قال ليله من الليالي قطع سؤاله وصار كأنه قال لا يبينه وان كان التذييل
 من يجوز عليه الجهل فانه يقول لا أعلم الوقت فهذا أقرب فإذا علمت هذا في أسرى ليل فاعلم
 مثله في صبحهم بكرة ويحتمل ان يقال على هذا الوجه صبحهم بمعنى قال لهم عواصبا
 استمروا بهم كما قال فبشرهم بعذاب أليم فكانه قال جاءهم العذاب بكرة كالصبح والاول
 أصح ويحتمل قوله تعالى صبحهم بكرة على قولنا انها منصوبة على الظرف ما لا يحتمله
 قوله تعالى أسرى بعبد ليل وهو أن صبحهم معناه أتاها وقت الصبح لكن التصحيح بطلق
 على الايمان في أمانة كثيرة من أول الصبح الى ما بعد الاسفار فإذا قال بكرة افادته
 كان اول جزء منه وما أخر الى الاسفار وهذا الوجه واليق لان الله تعالى اوعدهم به وقت
 الصبح بقوله ان موعدهم الصبح وكان من الواجب بحكم الاخبار تحققه بمجيء العذاب
 في أول الصبح ومجرد قوله صبحهم ما كان يفيد ذلك وهذا اقوى لانك تقول صبيحة
 امس بكرة واليوم بكرة فيأتي فيه ما ذكرنا من ان المراد بكرة من البكر (الوجه الثاني)
 انها منصوبة على المصدر من باب ضرب به سوطا ضرب باقان المنصوب في ضربته ضربا
 على المصدر وقد يكون غير المصدر كما في ضربته سوطا لا يقال ضربته سوطا بين احد
 انواع الضرب لان الضرب قد يكون بسوط وقد يكون بغيره وأما بكرة فلا يبين ذلك لانا
 نقول قد بينا ان بكرة بين ذلك لان الصبح قد يكون بالانبات وقت الاسفار وقد يكون بالانبات

(ولقد صبحهم بكرة)
 وقرئ بكرة غير مصروفة
 على أن المراد بها أول
 نهار مخصوص (عذابه)
 مستقر لا ينافيهم حتى
 يسلمهم الى النار وهي وصفه
 بالاستقرار ايما الى أن
 ما قبله من عذاب الطمس
 ينتهي اليه

بالإبكار فإن قيل مثله يمكن أن يقال في أسرى بعده لئلا قلنا نعم فإن قيل ليس هنالك بيان
نوع من أنواع الأسراء نقول هو كقول القائل ضربته شيئا فاشيا لا بد منه في كل ضرب
ويصح ذلك على أنه نصب على المصدر وفأذنه ما ذكرنا من بيان عدم تعلق الغرض
بأنواعه وكان القائل يقول اني لا بين ما ضربته به ولا احتاج الى بيانه لعدم تعلق المقصود
به لقطع سؤال السائل فإذا ضرب به بسوط او بعصا فكذلك القول في أسرى بعده ايلا
يقطع سؤال السائل عن الأسراء لان الأسراء هو السير اول الليل والسرى هو السير آخر
الليل او غير ذلك (المسئلة الثانية) مستقر يحتمل وجوها (أحدها) عذاب لا مدفع له اي
يستقر عليهم ويثبت ولا يقدر احد على ازالته ورفعته واحالته ودفعه (ثانيها) دائم قائم
لما اهلكوا ونقلوا الى الجحيم فكان ما اتاهم عذاب لا يدفع بموتهم فان الموت يخلص من
الآلم الذي يجده المضروب من الضرب والمحبوس من الحبس وموتهم ما خلسهم (ثالثها)
عذاب مستقر عليهم لا يتغير غيرهم أي هو امر قد قدره الله عليهم وقرره فاستقر وليس كما
يقال انه امر اصابهم اتفاقا كالبرد الذي يضرب زرع قوم دون قوم ويظن به انه امر
اتفاق وليس اوخر جوامن أما كنهم لنجوا كنجاء آل لوط بل كان ذلك ينبتهم لانه كان
أمر افاستقر (المسئلة الثالثة) الضمير في صيغهم طائفة الذين عاد اليهم الضمير في أعينهم
فيعود لفظا اليهم القرب ومعنى الى الذين تماروا بالندرا والذين عاد اليهم الضمير في قوله
ولقد نذرهم بطشتنا ثم قال تعالى (فذوقوا عذابي ونذر) مرة أخرى لان العذاب كان
مرتين (أحدهما) خاص بالرؤدين والآخر عام (ولقد يسرنا القرآن للذكر
فهل من مذكر) قد فسرنا مرارا وينا ما لاجله كرر تكرار الله ثم قال تعالى (ولقد جاء آل
فرعون النذر كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر) وفيه مسائل (المسئلة
الاولى) ما الغائبة في لفظ آل فرعون بدل قوم فرعون نقول القوم أعظم من الآل فالقوم
كل من يقوم الرئيس بأمرهم أو يقومون أمره والآل كل من يؤل الى الرئيس خسرهم
وشرهم أو يؤل اليهم خيرهم وشيهر فالعبد الذي لا يعرفه الرئيس ولا يعرف هو عين الرئيس
وأنما يسمى اسمه فليس هو بآله اذا عرفت الفرق نقول قوم الانبياء الذين هم خير موسى
عليهم السلام لم يكن فيهم قاهر يهراكل ويجهدهم على كلمة واحدة وانما كانوا هم
رؤساء واتباعا لرؤساء اذا كثرت الابق لاحد منهم حكم نافذ على احدها ما على من هو مثله
فظاهر وأما على الاراذل فلا تهم يلجئون الى واحد منهم ويدفون به الآخر فيفسر كل
واحد برأسه فكان الارسال اليهم جميعا وأما فرعون فكان قاهرا يهراكل وجعلهم
بحيث لا يخالفونه في قليل ولا كثير فارسل الله اليه الرسول وحده غير انه كان عنده جماعة
من التابعين المقربين مثل قارون تقسم عنده للماله العظيم وهامان لدهائه فاعتبرهم الله في
الارسال حيث قال في مواضع ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملأه وقال تعالى
بآياتنا الى فرعون وهامان وقارون وقال في العنكبوت وقارون وفرعون وهامان ولقد

(فذوقوا عذابي ونذر)
حكاية لما قيل لهم حينئذ
من جهنم تعالى تشديد
للعذاب (ولقد يسرنا
القرآن للذكر فهل من
مدكر) مرافيه من الكلام
(ولقد جاء آل فرعون
النذر) صدرت قصتهم
بالتوكيد القسبي لا يراز
كإلي الاعتناء بشأنها الغاية
عظم ما فيها من الآيات
وكثرة ما هول ما لا قوة
من العذاب وقوة إيجابها
للاعتاظ والاكتفاء بذكر
آل فرعون العلم بان نفسه
أولى بذلك أي وبالله لقد
جاءهم الانذرات وقوله
تعالى (كذبوا بآياتنا كلها)
استثناف مبنى على سؤالا
نشأ من حكاية يحيى النذر
كأنه قيل فماذا فعلوا
حينئذ قيل كذبوا بجميع
آياتنا وهي الآيات النسخ
(فأخذناهم أخذ عزيز
لا يغال) (مقدر) لا يعجزه
شيء

جاءهم موسى لانهم آمنوا آمن الكل بخلاف الاقوام الذين كانوا قبلهم وبعدهم
وقال ولقد جاء آل فرعون النذر وقال كثيرا مثل هذا كما في قوله ادخلوا آل فرعون أشد
العذاب وقال تعالى وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه وقال بلفظ الملائكة ايضا
كثيرا (المسئلة الثانية) قال ولقد جاء ولما يقبل في غيرهم جاء لان موسى عليه السلام ما جاءهم
كجاء المرسلون اقوامهم بل جاءهم حقيقة حيث كان غالبا عن القوم فتقدم عليهم
وامهذا قال تعالى فلما جاء آل لوط المرسلون وقوله تعالى ولقد جاءكم رسول من انفسكم
حقيقة ايضا لانه جاءهم من الله من السموات بعد المعراج كجاء موسى قومه من الطور
حقيقة (المسئلة الثالثة) النذران كان المراد منها الانذارات وهو الظاهر فالكلام الذي
جاءهم على لسان موسى ويده تلك وان كان المراد الرسل فهو لان موسى وهرون عليهما
السلام جاءهم وكل مرسل تقدمهما جاء لانهم كلهم قالوا اما فلا من التوحيد وعبادة الله
وقوله بعد ذلك كذبوا باياتنا من غير فاه تقتضي ترتب التكذيب على الجحى فيه وجهان
(أحدهما) ان الكلام ثم عند قوله ولقد جاء آل فرعون النذر وقوله كذبوا كلام
مستأنف والضمير عائد الى كل من تقدم ذكرهم من قوم نوح الى آل فرعون (ثانيهما)
ان الحكاية مسوقة على سياق ما تقدم فكانه قال فكيف كان عذابي ونذري وقد كذبوا
باياتنا كلها فاخذناهم وعلى الوجه الاول آياتنا كلها ظاهرة وهى الوجه الثانى المراد
آياته التى كانت مع موسى عليه السلام وهى التسع فى قول أكثر المفسرين ويحتمل
أن يقال المراد انهم كذبوا بايات الله كلها السمعية والعقلية فان كل شئ له آية تدل
على انه واحد وقوله تعالى فاخذناهم اشارة الى انهم كانوا كالأبقين أو الى انهم عاصون
يقال أخذ الامر فلانا اذا حبسه وفى قوله عز يز مقتدر لطيفة وهى ان العزيز المراد منه
الغالب لكن العزيز قد يكون يغلب على العدو ويظفر به وفى الاول يكون غير ممكن
من أخذه لبعده ان كان هاربا ولتبعه ان كان محاربا فقال أخذ غالب لم يكن عاجزا وانما
كان ممهلا ثم قال تعالى (أ كفاركم خيرا من أولئك أم لكم برادة فى الزبر) تنبيههم
لثلاثا بانوا العذاب فانهم ليسوا بخير من أولئك الذين أهلكوا وفيه مسائل (المسئلة
الاولى) الخطاب مع أهل مكة فينبغى أن يكون كفارهم بعضهم والافعال أنهم خير من
أولئك واذا كان كفارهم بعضهم فكيف قال أم لكم برادة ولم يقل أم لهم كما يقول
القائل جانا الكرماء فأكرمناهم ولا يقول فأكرمناكم نقول الجواب عنه من
وجهين (أحدهما) ان المراد منه أكفاركم المستمر على الكفر الذين لا يرجعون وذلك
لان جمعا عظيما ممن كان كافرا من أهل مكة يوم الخطاب ابقوا بوقوع ذلك والعذاب
لا يقع الا بعد العلم بانه لا يبق من القوم من يؤمن فقال الذين بصرون منكم على الكفر
يا أهل مكة خيرا من الذين اصروا من قبل فيصح كون التهديد مع بعضهم واما قوله تعالى
أم لكم برادة ففيه وجهان (أحدهما) أم لكم لعمومكم برادة فلا يخاف المصير منكم

(أ كفاركم) بانه مشر
العرب (خير) قوة وشدة
وعدة وعدة أو مكانة
(من أولئك) الكفار
المعدودين والمعنى أنه
أصابعهم ما أصابهم مع
ظهور خيريتهم منكم
فيما ذكر من الامور فهو
نظمه وان لا يصيبكم
مثل ذلك وأنتم شر منه
مكانا وأساوأ حال وقوله
تعالى (أم لكم برادة
فى الزبر) اضرب
وانتقال من التبكيت
بما ذكر الى التبكيت
بوجه آخر أى بل لكم
برادة وأن من تبعات
ما تعملون من الكفر
والعاصى وغوائلها
فى الكتب السماوية
فذلك تصرون على
ما أنتم عليه وقوله تعالى

لكونه في قوم لهم براءة (وثانيهما) أم لكم براءة أن أصبرتم فيكون الخصب طاموا التهديد
كذلك فالشرط غير مذكور وهو الاصرار (المسئلة الثانية) ما المراد بقوله خير وقول
القائل خير يقتضي اشتراك امرين في صفة محمودة مع رجحان احدهما على الآخر ولم
يكن فيهم خير ولا صفة محمودة نقول الجواب عنه من وجوه (احدها) منع اقتضاء
الاشتراك يدل عليه قول حسان * فشر كالحبر كالفداء * مع اختصاص الخير بالنبي عليه
السلام والفرع عن هجاء وعدم اشتراكهما في شئ منهما (ثانيها) ان ذلك عائد الى ما في
زعمهم اى يزعم كفاركم انهم خير من الكفار المتقدمين الذين اهلكوا وهم كانوا
يزعمون في انفسهم الخير وكذا فيمن تقدمهم من عبدة الاوثان ومكذبي الرسل وكانوا
يقولون ان الهلاك كان باسباب سماوية من اجتماع الكواكب على هيئة مذمومة
(ثالثها) المراد اكفاركم اشد قوة فكانه قال اكفاركم خير في القوة والقوة محمودة في
العرف (رابعها) ان كل موجود يمكن فيه صفات محمودة واخرى غير محمودة فاذا انظرت
الى المحمود في الموضعين وقابلت احدهما بالآخرى تستعمل فيها لفظ الخير وكذلك في
الصفات المذمومة تستعمل فيها لفظ الشر فاذا انظرت الى كافرين وقلت احدهما خير
من الآخر فلك حينئذ ان تريد احدهما خيرا من الآخر في الحسن والجمال واذا انظرت
الى مؤمنين بوذيانك قلت احدهما شر من الآخر اى في الاذية لا الايمان فكذلك ههنا
اكفاركم خير لان النظر وقع على ما يصلح بخلاص الهمم من العذاب فهو كما يقال اكفاركم
خير من اشرى مما يخلصهم اى يمكن في غيرهم فهم خيرا من اشرى فيهم يخلصهم لكن الله يفضلهم
لاختصاصهم (المسئلة الثالثة) أم لكم براءة اشارة الى سبب آخر من اسباب الخلاص
وفلك لان الخلاص اما ان يكون بسبب امر فيهم أو لا يكون كذلك فان كان بسبب
امر فيهم وذلك السبب لم يكن في غيرهم من الذين تقدموهم فيكونون خيرا منهم وان كان
لا بسبب امر فيهم فيكون بفضل الله ومناجته اياهم وايمانه اياهم من العذاب فقال
لهم انتم خير منهم فلا تهلكن ام لستم بخير منهم لكن الله امنكم وأهلكم وكل واحد
منهما آمن فلان آمنوا وقوله تعالى أم لكم براءة في الزر اشارة الى اطيعه وهى ان العاقل
لا يأمن الا اذا حصل له الجزم بالامن أو صار له آيات تقرب الامر من القطع فقال لكم براءة
يوثق بها وتكون متكررة في الكتب فان الحاصل في بعض الكتب ربما يحتج بالتأويل
أو يكون قد تعرض الى التحريف والتبديل كافي التوراة والانجيل فقال هل حصل لكم
براة متكررة في كتب تأمنون بسببها العذاب فان لم يكن كذلك لا يجوز الايمان لكن
البراة لم تحصل في كتب ولا في كتاب واحد ولا في شبه كتاب فيكون أمنهم من غابة الغفلة
وعند هاتين فضل المؤمن فانه ما في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا
من خلفه من الوعد لا يأمن وان بلغ درجة الاولياء والانبياء لما في آيات الوعد من احتمال
التخصيص وكون كل واحد من سنن من الأمة ويخرج عنها فالؤمن خائف والكافر

آمن في الدنيا وفي الآخرة الامر على العكس * ثم قال تعالى (أم يقولون نحن جميع منتصر) تيمنا ببيان أقسام الخلاص وحصره فيها وذلك لان الخلاص اما ان يكون لاستحقاق من يخص من العذاب كما ان الملك اذا عذب جماعة ورأى فيهم من أحسن اليه فلا يذب عليه ، واما ان يكون لامر في الخلاص كما اذا رأى فيهم من له ولد صغيرا وام ضعيفة فبرحه وانما يستحق ويكتب له الخلاص واما ان لا يكون فيه ما يستحق الخلاص بسببه ولا في نفس المعتذب مما يوجب الرجعة لكنه لا يقدر عليه بسبب كثرة اعوانه وتغصب اخوانه كما اذا هرب واحد من الملك والتجأ الى عسكر ينعون الملك عنه فكما اني القسمين الاولين كذلك في القسم الثالث وهو التمتع بالاعوان وتغيب الاخوان وفيه مسائل (المسئلة الاولى) في حسن الترتيب وذلك لان المستحق لذاته اقرب الى الخلاص من المرحوم فان المستحق لم يوجد فيه سبب العذاب والمرحوم وجد فيه ذلك ووجد المسالم من العذاب وما لا سبب له لا يتحقق أصلا وماله مانع ر بما لا يقوى المانع على دفع السبب وما في نفس المعتذب من المانم اقوى من الذي بسبب الغير لان الذي من عنده يمنع الداعية ولا يتحقق الفعل عند عدم الداعية والذي من الغير بسبب التمتع لا يقطع قصده بل يجتهد فيه و ربما غاب فيكون تعذيبه اضماى ما كان من قبل بخلاف من يرق له قلبه وتغيبه الرجعة فانها وان لم تمنعه لكن لا يزيد في حله وحبسه وزيادته في التعذيب عند اقدرة فهذا ترتيب في غاية الحسن (المسئلة الثانية) جميع فيه قائدان احدهما الكثرة والاخرى الاتفاق كانه قال نحن كثير متفقون قلنا الانتصار ولا يقوم غير هذه اللفظة مقامها من الالفاظ المفردة انما قلنا ان فيه قائدين لان الجميع يدل على الجماعة بحرفه الاصلية من جمع و بوزنه وهو فعيل بمعنى مفعول على انهم جمع واجمعيتهم العصبية ويحتمل ان يقال معناه نحن الكل لا خارج عنا اشارة الى ان من اتبع النبي صلى الله عليه وسلم لا اعتدابه قال تعالى في نوح ائمنوا منكم واتبعك الارضون الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي وعلى هذا جميع يكون التووين فيه لقطع الاضافة كانهم قالوا نحن جميع الناس (المسئلة الثالثة) ما وجه افراد المنتصر مع ان نحن ضمير الجمع نقول على الوجه الاول ظاهر لانه وصف الجراء الاخر الواقع خبرا فهو كقول القائل ائمن جنس منتصروهم عسكرا غالب والجمع كالجنس لفظه لفظ واحد ومعناه جمع فيه الكثرة وأما على الوجه الثاني فالجواب عنه من وجهين (احدهما) أن المعنى وان كان جميع الناس لا خارج عنهم الا من لا يعتد به لكن لما قطع ونون صارا كالنكر في الاصل فجاز وصفه بالنكر نظرا الى اللفظ فعاد الى الوجه الاول (وثانيهما) أنه خبر بعد خبر ويجوز أن يكون أحد الخبرين معرفة والاخر نكرة قال تعالى وهو العفور الودود ذو العرش المجيد فعال لا يريد وعلى هذا فقله نحن جميع منتصر افراد لمجاورة جميع ويحتمل ان يسأل معنى نحن جميع منتصر ان جميعا بمعنى كل واحد كانه قال نحن كل واحد منا منتصر كما تقول هم جميعهم اقويا بمعنى ان كل واحد منهم قوى وهم

(أم يقولون نحن جميع منتصر)
التيكبت المذكور الى وجه آخر من التيكبت والاتفات لا يذ ان باقتضائهم للاعراض عنهم واسقاطهم من رتبة الخطاب وحكاية قبائحهم لغيرهم أى بل يقولون واثنين بشوكهم نحن أولو حزم ورأى امرنا يجتمع لان ارام ولا نضار او منتصر من الاعداء لا تغلب او متا صبر بنصنا بعضنا والافراد باعتبار افظ الجميع

وقوله تعالى (سبهم الجمع) ردم ابطال الثالث ٨١٤ والذين التاكيد أي سبهم جمعهم البنية (و يولون الدبر) أي الادبار وقد قرئ كذلك واستوجب لارادة الجنس او ارادة ان كل واحد منهم يولى دبره وقد كان كذلك يوم بدر قال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لما تزأت سبهم الجمع ويولون الدبر كنت لا أدري أي جمهم بهم فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع يقول سبهم الجمع ويولون الدبر فرففت نأوا بلها وقرئ سبهم الجمع أي الله عز وجل (بل الساعة موعدهم) أي ليس هذا تمام عقوبتهم بل الساعة موعداصل عذابهم وهذا من طلائعه (والساعة ادهى وامر) أي في اقصى غاية من الغضاضة او المرارة والداهية الامر الفظيع الذي لا يهتدى الى الخلاص عنه وظاهر الساعة في موقف اضماره لزية تهو بلها

كلهم علماء كل واحد طمق ترك الجمع واختار الافراد هوذا الخبر الى كل واحد فانهم كانوا يقولون كل واحدنا غلب محمد صلى الله عليه وسلم كما قال أبي بن خلف الجمعي وهذا فيه معنى لطيف وهو انهم ادعوا الى كل واحد غالب والله رد عليهم باجمعهم بقوله (سبهم الجمع يولون الدبر) وهو انه ردوا القوة العامة بحيث يغلب كل واحد منهم محمد صلى الله عليه وسلم والله تعالى بين ضعفهم الظاهر الذي نعمهم بجمعهم بقوله ويولون الدبر وحيث يظهر سؤال وهو انه قال يولون الدبر ولم يقل يولون الادبار وقال في موضع آخر يولون الادبار لم ينصرون وقال ولقد كانوا صاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار وقال في موضع آخر فلا تولوهم الادبار فكيف تصحج الافراد وما للفرق بين المواضع نقول أما التصحج فظاهر لان قول القائل فعلوا كقوله فعل هذا وفعل ذلك وفعل الآخرون وفي الجمع تنوب مناب الواو التي في العطف وقوله يولون بمثابة يول هذا الدبر ويول ذلك ويول الآخر أي كل واحد يولى دبره وأما الفرق فنقول اقتضاء أو آخر الآيات حسن الافراد فقوله يولون الدبر افراده اشارة الى انهم في التولية كنفس واحدة فلا يتخلف أحد عن الجمع ولا يثبت أحد لا زحف فهم كانوا في التولية كدبر واحد وأما في قوله فلا تولوهم الادبار أي كل واحد يوجد به ينبغي أن يثبت ولا يولى دبره فليس المنهى هناك توليتهم باجمعهم بل المنهى أن يولى واحد منهم دبره فكل أحد منهي عن تولية دبره فيعمل كل واحد برأسه في الخطاب ثم جمع الفعل بقوله فلا تولوهم ولا يتم الا بقوله الادبار وكذلك في قوله ولقد كانوا صاهدوا الله أي كل واحد قال أنا ثبت ولا أولى دبري وأما في قوله يولون الادبار فان المراد المتأقون الذين وعدوا اليهود وهم متفرقون بدليل قوله تعالى تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى وأما في هذا الموضع فهم كانوا ايدا واحدة على من سواهم ثم قال تعالى (بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر) اشارة الى ان الامر غير مقتصر على انهم اجمعهم وادبارهم بل الامر اعظم منه فان الساعة موعدهم فانه ذكر ما يصيبهم في الدنيا من الدبر ثم بين ما هو منه على طريقة الاصرار هذا قول أكثر المفسرين والظاهر ان الانذار بالساعة تام لكل من تقدم كانه قال اهلكنا الذين كفروا من قبلك وأصر واوقوم محمد عليه السلام ليسوا بخير منهم فصيبهم ما أصابهم ان أصر واتم ان عذاب الدنيا ليس لتمام المجازاة فان تمام المجازاة بالآلهم الدائم وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ما الحكمة في اختصاص كون الساعة موعدهم مع انهم وعد كل أحد نقول الموعد الزمان الذي فيه الوعد ولو عبد والمؤمن موعود بالخير ومأمور بالصبر فلا يقول هو مستحق يكون بل يفرض الامر الى الله وأما الكافر فغير مصدق فيقول متى يكون العذاب فيقال له اصبر فانه آت يوم القامة ولهذا كانوا يولون عجل لنا فطنا وقال يستعملونك بالعذاب (المسئلة الثانية) ادهى من أي شيء نقول شتم وجهين (احدهما) بما مضى من انواع عذاب الدنيا (ثانيهما) ادهى الدوامي فلا داهية مثلهما (المسئلة الثالثة) ما المراد من قوله وامر قلنا فيه وجهان (احدهما) هو

مبالغة من المر وهو مناسب لقوله تعالى فذوقوا عذابي وقوله فذوقوا من سقر وعلى هذا فأدهي أي اشد وأمر أي ألم والفرق بين الشديد والأليم أن الشديد يكون إشارة إلى أنه لا يطيقه أحد لقوته ولا يدفعه أحد بقوته مثاله ضعيف التي في ماء يغليه أو نار لا تقدر على الخلاص منها وقوى التي في بحر أو نار عظيمة يستويان في الألم والعذاب ويتساويان في الأيلام لكن يفترقان في الشدة فإن نجاة الضعيف من الماء الضعيف بإعانة معين ممكن ونجاة القوى من البحر العظيم غير ممكن (ثانيهما) أمر مبالغة في النار أدهى أكثر مروا بهم إشارة إلى الدوام فكانه يقول أشد وأدوم وهذا مختص بعذاب الآخرة فإن عذاب الدنيا ان اشتد قتل المذنب وزال فلا يدوم وإن دام بحيث لا يقتل فلا يكون شديدا (ثالثها) أنه المر يروى من المرة التي هي الشدة وعلى هذا فاما أن يكون الكلام كما يقول القائل فلان نخيف نخيل وقوى شديد فإني بلغظين متزاد في إشارة إلى التأكيد وهو ضعيف وأما أن يكون أدهى مبالغة من الداهية التي هي اسم الفاعل من دهاه أمر كذا إذا أصابه وهو أمر صعب لأن الداهية صارت كالاسم الموضوع للشديد على وزن الباطنة والسائبة التي لا تكون من أسماء الفاعلين وإن كانت الداهية أصلها ذلك غير أنها استعملت استعمال الأسماء وكتبت في أبوابها وعلى هذا يكون معناه ألزم وأضيق أي هي بحيث لا تدفع عنهم قال تعالى (أن مجرمين في ضلال وسعر) وفي الآية مسائل (الاولى) فيمن ترات الآية في حقه أكثر المفسرين اتفقوا على أنها نازلة في القدرية روى الواحدى في تفسيره قال سمعت الشيخ رضى الدين المؤيد الطوسى يثيبا بور قال سمعت عبد الجبار قال اخبرنا ابو واحدى قال اخبرنا ابو القاسم عبد الرحمن بن محمد السراج قال اخبرنا ابو محمد عبد الله الكعبى قال حدثنا حمدان بن صالح الاشجى حدثنا عبد الله بن عبد العزيز بن ابى داود حدثنا سفيان الثوري عن زياد بن اسمعيل الخزمي عن محمد بن عباد بن جعفر عن ابى هريرة قال جاء مشركو قريش يخاضعون رسول الله صلى الله عليه وسلم في القدر فأُنزل الله تعالى أن المجرمين في ضلال وسعر إلى قوله أنا كل شيء خلقناه بقدر وكذلك نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم أن هذه الآية ترات في القدرية روى عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال فجوس هذه الآلة القدرية وهم المجرمون الذين معاهم الله تعالى في قوله أن المجرمين في ضلال وسعر وكثرت الأحاديث في القدرية * وفيها ما بحث (الاولى) في معنى القدرية الذين قال النبي صلى الله عليه وسلم ترات الآية فيهم فيقول كل فريق في خلق الأعمال يذهب إلى أن القدرى خصمه فالجبرى يقول القدرى من يقول الطاعة والمعصية ليست بخلق الله وقضائه وقدره فهم قدرية لأنهم ينكرون القدر والمعتزلى يقول القدرى هو الجبرى الذى يقول حين يرتى ويسرق الله قدرى فهو قدرى لا بانه القدر وهما جميعا يقولان لاهل السنة الذى يعترف بخلق الله وليس من أعبد أنه قسدرى والحق أن القدرى الذى نزل فيه الآية هو الذى ينكر القدر ويقول بأن

(أن المجرمين) من
الاولين والآخرين
(في ضلال وسعر) أي
في هلاك ونيران مسخرة
وقبيل في ضلال عن
الحق في الدنيا ونيران
في الآخرة وقوله تعالى
(يوم يسحبون) الخ
منصوب اما بما يفهم
من قوله تعالى في ضلال
أي كائون في ضلال
وسعر يوم يجزون
(في النار على وجوههم)
واما بقول مقدر بعده
أي يوم يسحبون يقال
لهم (ذوقوا من سقر)
أي فاسوا حرها وألها
وسقر علم جهنم ولذلك
لم يصرف من سفرته
النار وصفرته إذا لوحته
والقول المنسدر على
الوجه الاول حال من
ضخيم يسحبون

الحوادث كلها حادثة بالكواكب وانصا لانها ويدل عليه قوله جاء مشرك كافر يش
 يحاجون رسول الله صلى الله عليه وسلم في القدر فان مذهبه في ذلك وما كانوا يقولون مثل
 ما يقول المعتزلة ان الله خلق على سلامة الاعضاء وقوة الادراك ومكنى من الطاعة
 والمعصية والله قادر على ان يخلق في الطاعة الجلاء والمعصية الجلاء وقادر على ان يطعم
 الفقير الذي اطعمه انما فضل الله والمشركون كانوا يقولون انهم من لو يشاء الله اطعمه
 منكرين لقدرة الله تعالى على الاطعام واما قوله صلى الله عليه وسلم بحسب هذه الامة هم
 القدرية فيقول المراد من هذه الامة اما الامة التي كان محمد صلى الله عليه وسلم مرسلها
 اليهم سواء آمنوا به او لم يؤمنوا بكلفوا القوم واما منة الذين آمنوا به فان كان المراد الاول
 فان قدر بقاء زمانه هم المشركون الذين أنكروا قدرة الله على الحوادث فلا يدخل فيهم
 المعتزلة وان كان المراد هو الثاني فقولهم بحسب هذه الامة يكون معناه الذين نسبتهم الى
 هذه الامة كنسبة المجوس الى الامة المتقدمة لكن الامة المتقدمة اكثرهم كفر
 والمجوس نوع منهم اضعف شبهة واشد مخالفة للعقل فكذلك القدرية في هذه الامة
 تكون نوعا منهم اضعف دليلا ولا يقتضي ذلك الجرم بكونهم في النار فالحق ان القدرية
 هو الذي ينكر قدرة الله تعالى ان قلنا ان النسبة لاني او الذي يثبت قدرة غيره الله تعالى
 على الحوادث ان قلنا ان النسبة للآيات وحينئذ يقطع بكونه في ضلال وسعر وانه ذاتي
 من سفر (البحث الثاني) في بيان من يدخل في القدرية التي في النص ممن هو منسوب
 الى ان من امة محمد صلى الله عليه وسلم ان قلنا القدرية سموها بهذا الاسم لتفهم قدرة الله
 تعالى والذي يقول لاقدرته الله على تحريك العبد بحركة هي الصلاة وحركته هي الزنا مع ان
 ذلك امر ممكن لا يبعد دخوله فيهم واما الذي يقول بان الله قادر غير انه لم يجبر وتركه مع
 داعية العبد كالوالد الذي يجرب الصبي في حمل شيء تركه معه لاجل العبد والدي لا يبتلاه
 والامهان لا كالمفلوج الذي لا قوته اذا قال لغيره احمل هذا فلا يدخل فيهم ظاهرا وان
 كان مخطئا وان قلنا ان القدرية سموها بهذه الاسم لآياتهم القدرة على الحوادث
 لغير الله من الكواكب والنجوى الذي قال هو الحائط الساقط الذي لا يجوز تكليفه
 بشيء لصدور الفعل من غيره وهم اهل الاباحة فلا شك في دخوله في القدرية فانه يكفر
 بتعبه التكليف واما الذي يقول خلق الله تعالى فينا الافعال وقدرها وكلفنا ولا يسل
 عما فعلنا فهو منهم (البحث الثالث) اخلف القائلون في التعصب ان الاسم بالمعتزلة
 احق أم بالاشاعرة فقالت المعتزلة الاسم بكم احق لان النسبة تكون للآيات لا للشيء يقال
 للدهري دهرى لقوله بالدهر والبيات والبيات اباي لآياته الاباحة وللثوية ثوية
 لآياتهم الاثنين وهما النور والظلمة وكذلك أمثاله وانتم تثبتون القدر وقالت الاشاعرة
 النصوص تدل على ان القدرية من ينسب قدرة الله تعالى ومشر كافر يش ما كانوا قديرية
 الا لآياتهم قدرة لغير الله قالت المعتزلة انما يسمى المشركون قديرية لانهم قالوا ان كان

فأدرا على الحوادث كما تقول يا محمد فلو شاء الله لهدانا ولو شاء لاطعم الفقير فاعتقدوا
أن من لوازم قدرة الله تعالى على الحوادث خلقه الهداية فيهم إن شاء وهذا مذهمكم أيما
الاشاعة والحق الصراح ان كل واحد من المسلمين الذين ذهبوا الى المذهبين خارج
عن القدرة ولا يصبر واحد منهم قدر بالاداء صار الثاني نافيا للقدرة والمثبت مشكرا
للتكليف (المسئلة الثانية) المجرمون هم المشركون ههنا كما في قوله تعالى ولو ترى اذ
المجرمون ناكسوا رؤسهم وقوله يود المجرم لو يفتدى وفي قوله يعرف المجرمون بسيماهم
قالا يظلمة وان زلت في قوم خاص وجرهم تكذيب الرسل والندب بالاشراك وانكار
الحشر وانكار قدرة الله تعالى على الاحياء بعد الاماتة وعلى غيرهم الحوادث (المسئلة
الثالثة) في ضلال وسر يحتمل وجوها ثلاثة (أحدها) الجمع بين الامرين في الدنيا أي هم
في الدنيا في ضلال وجنون لا يعقلون ولا يفتدون وعلى هذا فقله يسحبون بيان حالهم في
تلك الصورة وهو أقرب (ثانيها) الجمع في الآخرة أي هم في ضلال الآخرة وسر أيضا
اما السر فكونه فيها ظاهرا واما الضلال فلا يجدون الى مقصدهم أو الى ما يصلح مقصدا
وهم ضيعون سبيلا فان قيل الصحيح هو الوجه الاخير لا غير لان قوله تعالى يوم يسحبون
ظرف القول أي يوم يسحبون يقال لهم ذوقوا وسنين ذلك فنقول يوم يسحبون يحتمل أن
يكون منصوبا باسم من ذكر أو مفهوما غير مذكور والاحتمال الاول له وجهان
(أحدهما) العامل سابق وهو معنى كائن ومشتق غير ان ذلك صار نسيان نسيان (ثانيهما)
العامل متأخر وهو قوله ذوقوا فتدبره ذوقوا من سقر يوم يسحب المجرمون والخطاب
حينئذ من خوطب بقوله أكلتم خير من أولئكم أم لم يكن براءة (والاحتمال الثاني) ان
المفهوم هو أن يقال لهم يوم يسحبون ذوقوا وهذا هو المشهور وقوله تعالى ذوقوا
استعارة وفيه حكمة وهو أن الذوق من جملة الادراكات فان المذوق اذا لاقى اللسان
يدرك أيضا حرارته وبرودته وخشونته وملاسته كما يدرك سائر أعضائه الحسية ويدرك
أيضا طعمه ولا يدرك غير اللسان فأدراك اللسان أهم فاذا نادى من نار نادى بصرارته
ومرارته ان كان الحار أو غيره لا نادى بالبحرارة فان الذوق ادراك لمسى أنهم من غيره
في اللبوسات فقال ذوقوا اشارة الى أن ادراكهم بالذوق أنهم الادراكات فيجتمع في
العذاب شدته وإيلا منه بط مدته ودوامه ويكون المدرك له لاحذر له بشغله وانما هو
على أنهم ما يكون من الآلام يحصل الام العظيم وقد ذكرنا ان على قول الأكثرين يقال
لهم أو نقول مضمر وقد نه لا حاجة الى الاضمار اذا كان الخطاب مع غير من قيل في
جمعهم ان المجرمين في ضلال فانه يصير كأنه قال ذوقوا ايها المكذبون بمحمد صلى الله عليه
وسلم فس سقر يوم يسحب المجرمون المتقدمون في النار ثم قال تعالى (ان اناكل شئ) خلقناه
بقدر (وفي مسائل (الاولى) المشهور ان قوله اناكل شئ متعلق بما قبله كأنه قال ذوقوا
فاناكل شئ خلقناه بقدر أي هو جزء لمن أنكر ذلك وهو كقوله تعالى ذق انك انت المرز

اناكل شئ (من الاشياء
(خلقناه بقدر) أي
متنيسا بقدر معين اقتضته
الحكمة التي عليها يدور
أمر التكوين أو مقدر
مكتوب في اللوح قبل وقوعه
وكل شئ منصوب بفعل
يفسره ما بعده وقرئ
بالرفع على أنه مبتدأ
وخلقناه خبره

ه قوله وجوها ثلاثة سقط
الثالث وهو التفریق
فقوله في ضلال أي
في الدنيا وما عرأى نيران
في الآخرة وقوله هو
الوجه الاخير فيه انه
يناسب الثاني أيضا
وبالجملة فاعلة بارة نحتاج
لتحريره

الكريم والظاهر انه ابتداء كلام وتم الكلام عند قوله ذو قوامس سقر ثم ذكر بيلان
 اعداب لان عطف وما امرنا الا واحدة يدل على ان قوله انا كل شيء خلقناه بقدر ليس آخر
 الكلام ويدل عليه قوله تعالى انا الخلق والامر وقد ذكر في الآية الاولى الخلق بقوله انا
 كل شيء خلقناه فيكون من اللائق ان يذكر الامر فقال وما امرنا الا واحدة وأما ما ذكر
 من الجدل فنقول النبي صلى الله عليه وسلم تمسك عليهم بقوله ان المجرمين في ضلال الى قوله
 ذو قوامس سقرو والآية أخرى على قصد التلاوة ولم يقر الآية الأخيرة اكتماء بعلم من علم
 الآية كما يقول في الاستدلالات لا تأكلوا أموالكم الآية ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله
 عليه الآية وإذا تدانتم الآية الى غير ذلك (المسئلة الثانية) كل قرى بالنصب وهو الاصح
 المشهور وبالرفع فمن قرأ بالنصب فنصبه بفعل مضمر يفسره الظاهر كقوله والقرى
 قدرنا وقوله والظالمين أعداهم وذلك الفعل هو خلقناه وقد فسره قوله خلقناه كما قالنا
 خلقنا كل شيء بقدر وخلقناه على هذا لا يكون صفة لشيء كما في قوله تعالى ومن كل شيء
 خلقنا زوجين فغير ان هناك يمنع من ان يكون صفة كونه خالبا عن ضمير عائد الى الموصوف
 وههنا لم يوجد ذلك مانع وعلى هذا فلا يثبت جمعة على المعتزلة لان أضما لشيء فتكون
 داخلة في كل شيء فتكون مخلوقة لله تعالى ومن قرأ بالرفع لم يمكنه أن يقول كما يقول في
 قوله وأما ما هو قد بيناهم حيث قرى بالرفع لان كل شيء منكرة فلا يصلح مبتدأ قبل منه أن
 يقول كل شيء خلقناه فهو بقدر كقوله تعالى وكل شيء عنده بمقدار في المعنى وهذان
 الوجهان ذكرهما ابن عطية في تفسيره وذكر ابن المعتز في تمسك بقراءة الرفع ويحتمل أن
 يقال القراءة الاولى وهو ان نصبه وجه آخر وهو أن يقال نصبه بفعل معلوم لا بمضمر
 مفسر وهو قدرنا أو خلقنا كأنه قال انا خلقنا كل شيء خلقناه بقدر أو قدرنا كل شيء
 خلقناه بقدر وأما قلنا انه معلوم لان قوله ذللكم الله ربكم خالق كل شيء دل عليه وقوله
 وكل شيء عنده بمقدار دل على انه قد روي حيث لا يكون في الآية دلالة على بطلان قول
 المعتزلي وإنما يدل على بطلان قوله الله خالق كل شيء وأما على القراءة الثانية وهي الرفع
 فنقول جاز أن يكون كل شيء مبتدأ أو خلقناه بقدر خبره وحيث تكون الجملة قائمة عليهم
 بابلج وجهه وقوله كل شيء منكرة فلا يصلح مبتدأ صعب لان قوله كل شيء نعم الاشياء كلها
 بأسرها فليس فيه المحذور الذي في قولنا رجل قائم لانه لا يفيد فائدة ظاهرة وقوله كل شيء
 بقيد ما يفيد خلقناه وعمرو خلقناه مع زيادة فائدة ولهذا يجوز ما أحذر منك
 لانه أفاد العموم ولم يحسن قول القائل أحد خير منك حيث لم يفد العموم (المسئلة
 الثالثة) ما معنى القدر قلنا فيه وجوه (أحدها) التقدير كما قال تعالى وكل شيء عنده بمقدار
 وعلى هذا قيل شيء مقدر في ذاته وفي صفاته أما المقدر في الذات فالجسم وذلك ظاهر فيه
 وكذلك القائم بالجسم من المحسوسات كالبياض والسواد وأما الجواهر الفردة لا مقدار
 له والقائم بالجواهر لا مقدار له بمعنى الاشتداد كالعلم والجهل وغيرهما فتقول ههنا

مقادير لا يعنى الامتداد اما الجوهر الفرد فان الاثنين منه اصغر من الثلاثة ولولا ان له
 حجما يزداد به الامتداد واللاحصل دون الامتداد فيه واما القائم بالجوهر فله نهاية
 وبداية فقدر العلوم الحادثة والقدر الخلوقة متناهية واما الصفة فلان لكل شئ ابتدئ
 زمانا فله مقدار في البقاء لكون كل شئ حادثا فان قيل الله تعالى وصف به ولا مقدار له
 ولا ابتداء لوجوده نقول المتكلم اذا كان موصوفا بصفة او مسمى باسم ثم ذكر الاشياء
 المسماة بذلك الاسم والاشياء الموصوفة ب تلك الصفة واسند فعلا من افعاله اليه يخرج
 هو عنه كما يقول القائل رأيت شئ في هذا البيت فرأيتهم كلهم اكرمني ويقول ما في
 هذا البيت أحد الا وضربني او ضربته يخرج هو عنه لا لعدم كونه مفضى الاسم بل بما
 في التركيب من الدليل على خروجه عن الارادة فكذلك قوله خلقناه وخالق كل شئ يخرج
 عنه لا بطريق التخصيص بل بطريق الحقيقة اذا قلنا ان التركيب وضعي فان هذا
 التركيب لم يوضع حينئذ الا لغير المتكلم (ثانيهما) القدر التقدير قال الله تعالى فقدرنا نعم
 القادرون وقال الشاعر وقد قدر الرحمن ما هو قادر أي قدر ما هو مقدر وعلى هذا
 فالعنى ان الله تعالى لم يخلق شيئا من غير تقدير كما يرى في الرأى السهم فيقع في موضع لم يكن
 قد قدره بل خلق الله كما قدر بخلاف قول الفلاسفة انه فاعل لذاته والاختلاف للقوابل
 فالذي جاء قصيرا او صغيرا فلا سداد مادته والذي جاء طويلا وكبيرا فلا سداد آخر فقال
 يا بلى كل شئ خلقناه بقدرنا فالصغير جاز أن يكون كبيرا والكبير جاز خلقه صغيرا
 (الثالث) بقدر هو ما يقابل مع القضاء يقال بقضاء الله وقدره وقالت الفلاسفة في القدر
 الذي مع القضاء ان ما يقصد اليه قضاء وما يلزمه قدر فيقولون خلق النار حارة بقضاء
 وهو مقضى به لانها ينبغي أن تكون كذلك لكن من لوازمها انها اذا تعلقت بظن عجوز
 أو وقعت في قصيب معلوك تحرق فهو بقدر لا بقضاء وهو كلام فاسد بل القضاء معي في العلم
 والقدر ما في الارادة وقوله كل شئ خلقناه بقدر أي بقدره مع ارادته لا على ما يقولون انه
 موجب ردا على المشر كين ثم قال تعالى (وما أمرنا الا بالوحدة كلهم بالبصر) أي الاكلة
 واحدة وهو قوله كن هذا هو المشهور الظاهر وعلى هذا قاله اذا اراد شيئا قل له كن
 فهناك شيان الارادة والقول فالارادة قدر والقول قضاء وقوله واحدة تحتل أمرين
 (أحدهما) بيان انه لا حاجة الى تكرير القول اشارة الى نفاذ الامر (ثانيهما) بيان عدم
 اختلاف الحال فامر عند خلق العرش العظيم كآمره عند خلق النمل الصغير فامر عند
 الكل واحد وقوله كلهم بالبصر تشبيه الكون لاتشبيه الامر فكانه قال أمرنا واحدة
 فان المأمور كان كلهم بالبصر لانه لو كان راجعا الى الامر لا يكون ذلك صفة مدح
 يليق به فان كلمة كن شئ ايضا يوجد كلهم بالبصر هذا هو التفسير الظاهر المشهور وفيه
 وجه ظاهر ذهب اليه الحكماء وهي ان مقدرات الله تعالى هي الممكنات يوجد ما بقدرته
 وفي عدمها خلاف لا يليق بيانه بهذا الموضع اطوله لا لسبب غيره ثم ان الممكنات التي

(وما أمرنا الا واحدة) أي
 كلمة واحدة سريعة
 التكوين وهو قوله
 تعالى كن أو الأفعلة
 واحدة هو الابتداء بلا
 معالجه (كلهم بالبصر)
 في السر والسرعة وقبل
 معناه قوله تعالى وما أمر
 الساعة الا كلهم بالبصر

يوجد الله تعالى قسمان (أحدهما) أمور لها اجزاء ملتحمة عند انشائها بغير وجودها كالإنسان والحيوان والاجسام النباتية والمعدنية وكذلك الاركان الاربعة والسموات وسائر الاجسام وسائر ما يقوم بالاجسام من الاعراض فهي كلها مقدرة له وحوادث فان اجزائها توجد أو لا توجد يوجد فيها التركيب والالتصام بعينها فبغيرها تنذر انظر الى الاجزاء والتركيب والاعراض (وثانيهما) أمور ليس لها اجزاء ومقاسل ومقادير امتدادية وهي الارواح الشريفة المنورة للاجسام وقد ألفتها جميع الفلاسفة الاقليد منهم ووافقهم جمع من المتكلمين وقطع بها كثير من له قلة أصحاب الرضايات وأرباب المجاهدات فذلك الامور وجودها واحد ليس يوجد ولا اجزاء وثانيها تحقق تلك الاجزاء بخلاف الاجسام والاعراض القائمة بها اذا عرفت هذا قالوا الاجسام خلقية بقدرية والارواح ابداعية امرية وقالوا البد الاشارة بقوله تعالى ألاله الخلق والامر فالخلق في الاجسام والامر في الارواح ثم قالوا لا ينبغي أن يظن بهذا الكلام انه على خلاف الاخبار فانه صلى الله عليه وسلم قال أول ما خلق الله العقل وروى عنه عليه السلام انه قال خلق الله الارواح قبل الاجسام بالي عام وقال تعالى الله خالق كل شيء فالخلق أطلق على إيجاد الارواح والعقل لان اطلاق الخلق على ما يطلق عليه الامر جائز وان العالم بالكلية حادث واطلاق الخلق بمعنى الاحداث جائز وان كان في حقيقة الخلق تقدير في أصل اللغة ولا كذلك في الاحداث واولا الفرق بين العبارتين والاستقبح الفيلسوف من أن يقول الخلق قديم كما يستقبح من أن يقول الخلق قديم فاذن قوله صلى الله عليه وسلم خلق الارواح بمعنى أحسنها بامرهم وفي هذا الامتداد فائدة عظيمة وهي أنه صلى الله عليه وسلم اوضح العبارة وقال في الارواح انها موجودة بالامر والاجسام بالخلق اظن الذي لم يرضه الله العلم الكثير أن الروح ليست بخلق بل بمعنى ليست بمحدثة فكان بضل والنجي صلى الله عليه وسلم بعث رحمة وقالوا اذا نظرت الى قوله تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي والى قوله تعالى خلق السموات والارض في ستة أيام والى قوله تعالى خلقنا النطفة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المصغة عظما ما تجد التفاوت بين الامر والخلق والارواح والاشباح حيث جعل خلق بعض الاجسام زمانا ممتدا هو ستة أيام وجعل لبعضها زائدا وتربيا بقوله ثم خلقنا وبقوله فخلقنا ولم يجعل للروح ذلك ثم قالوا ينبغي أن لا يظن بقولنا هذا ان الاجسام لا بد لها من زمان ممتد أيام حتى يوجد الله تعالى فيه بل الله مختار ان اراد خلق السموات والارض والإنسان والنبات والشجر والنبات في أسرع من لمح البصر خلقها كذلك ولكن مع هذا لا يخرج عن كونها موجودات حصلت لها اجزاء ووجود اجزائها قبل وجود التركيب فيها ووجودها بعد وجود الاجزاء والتركيب فيها فهي ستة ثلاثة في ثلاثة كما خلق الله الكسبر والانكسار في زمان واحد ولها ترتيب على فالجسم ان كان كيفما فرضت خلقه ففيه تقدير وجودات

كلها باليجاد الله على الترتيب والروح لها وجود واحد باليجاد الله تعالى هذا قولهم
 ولقد كرمنا في الخلق والامر من الوجوه المنقولة والمعقولة (أحدها) ما ذكرنا أن الامر هو
 كلمة كن والخلق هو ما بالقدرة والارادة (ثانيها) ما ذكرنا في الاجسام ان منها الارواح
 (ثالثها) هو ان الله له قدرته بها باليجاد وارادتها التخصيص وذلك لان المحدث له وجود
 مختص بزمان وله مقدار معين فوجوده بالقدرة واختصاصه بالزمان بالارادة فالذي بقدرته
 خلق والذي بالارادة امر حيث يخصصه بأمره بزمان ويدل عليه المنقول والمعقول
 أما المنقول فقوله تعالى اذأمرنا أن يقول له كن فيكون جعل كن تعلق الارادة واعلم أن
 المراد من كن ليس هو الحرف والكلمة التي من الكافي والتون لان الحصول أسرع من كلمة
 كن اذا جعلتها على حقيقة اللفظ فان الكافي والتون لا يوجد من متكلم واحد الاصل
 الترتيب في كن لفظ زمان والكون بعده بدليل قوله تعالى فيكون بالغاء فاذن لو كان المراد
 بكن حقيقة الحرف والصوت لكان الحصول بعده زمان وليس كذلك فان قال قائل
 يمكن أن يوجد الحرفان معا وليس كلام الله تعالى كذلك يحتاج الى الزمان قلنا قد جعل
 له معنى غير ما نفهمه من اللفظ وأما المنقول فلان الاختصاص بالزمان ليس معنى وعلة
 وان كان بعض الناس ذهب الى أن الخلق واليجاد الحكمة وقال بان الله خلق الارض
 لتكون مقر الناس أو مثل هذا من الحكم ولم يمكنه أن يقول خلق الارض في الزمان
 المخصوص لتكون مقر لهم لانه لو خلقها في غير ذلك لكانت أيضا مقر لهم فاذن
 التخصيص ليس اعني فهو لمحض الحكمة فهو يشهد أمر الملك الجبار الذي بأمره لا يقال
 له لم أمرت ولم فعات ولا يعلم مقصود الأمر (الرابعة) هو ان الاشياء المخلوقة
 لا تنفك عن أوصاف ثلاثة أعز وصفين متقابلين مثاله الجسم لا بد له بعد خلقه أن يكون
 متغيرا ولا بد له من أن يكون ساكنا أو متحركا فيجادها ولا تخلقه وما عو عليه بأمره يدل
 عليه قوله تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام الى أن قال
 مستغرات بأمره فجعل بالها بعد خلقها من الحركة والسكون وغيرهما بأمره ويدل
 عليه قوله صلى الله عليه وسلم أول ما خلق الله تعالى العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال
 ادبر فادبر فجعل الخلق في الحقيقة والامر في الوصف وكذلك قوله تعالى خلق السموات
 والارض وما بينهما في ستة أيام ثم قال يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يرجع اليه
 في يوم كان مقداره وقد ذكرنا تفسيره (خامسها) مخاوقات الله تعالى على قسمين (أحدهما)
 خلقه الله تعالى في أسرع ما يكون كالعقل وغيره (ثانيها) خلقه بمهلة كالسموات
 والإنسان والحيوان والنبات فالمخلوق عمر بها أطلق عليه الامر والمخلوق بمهلة أطلق
 عليه الخلق وهذا مثل الوجه الثاني لاساسها ما قاله فخر الدين الرازي في تفسير قوله
 تعالى فقال لها وللارض انبيا طوعا أو كرها وهو ان الخلق هو التقدير واليجاد بعده
 بعدية ترتيبية لازمة فاني علم الله تعالى ان السموات تكون سبع سموات في يومين

تقديرية فهو قدر خلقه كاعلم وهو إيجاد فالاول خلق والثاني وهو الإيجاد أمر وأخذ
هذا من المفهوم اللغوي قال الشاعر * وبعض الناس يخلق ثم لا يفرى * أي يقدر
ولا يقطع ولا يفصل كالخياط الذي يقدر أو لا يقطع ثانيا وهو قريب إلى اللغة لكنه
بعيد الاستعمال في القرآن لأن الله تعالى حيث ذكر الخلق أراد الإيجاد مثد قوله تعالى
وأن سألهم من خلق ومنه قوله تعالى أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة وليس المراد
أننا قدرنا أنه سوجد منها إلى غير ذلك (سابعها) الخلق هو الإيجاد ابتداء والأمر هو ما به
الاعادة فإن الله خلق الخلق أو لا بعلمة ثم يوم القيامة يبعثهم في أسرع من لحظة فيكون
قوله وما أمرنا إلا واحدة كتموله تعالى فأنما هي زجر واحدة وقوله صحيحة واحدة
ونفخة واحدة وعلى هذا فتوله ناكل شيء خلقناه بقدر إشارة إلى الوحدة وقوله تعالى
وما أمرنا إلا واحدة إشارة إلى الحشر فكأنه بين الأصل الأول والأصل الآخر بالآيات
(ثامنها) الإيجاد خلق والاعدام أمر يعني يقول للملائكة الغلاظ الشداد أهلكوا
وأفعلوا فلا يصون الله ما أمرهم ولا يوفون الامتثال على اعادة الأمر مرة أخرى
فأمر مرة واحدة بعنف عدم والهلاك (وفيه لطيفة) وهي إن الله تعالى جعل الإيجاد
الذي هو من الرحمة بيده والاهلاك بسلط عليه رساله وملائكته وجعل الموت بيد ملك
الموت ولم يجعل الحياة بيد ملك وهذا مناسب لهذا الموضع لأنه بين النعمة بقوله ناكل شيء
خلقتنا بقدر وبين قدرته على النعمة فقال وما أمرنا إلا واحدة وأنا على زهابه قادرون
وهو كقولهم إذا جاء أمرنا وفار الثور عند العذاب وقوله تعالى فلما أمر ناجيها أصالحا
وقوله تعالى فلما أمر ناجيها سافها وكذا ذكر في هذه الحكايات العذاب بلفظ
الأمر وبين الاهلاك به كذلك ههنا ولا سيما إذا نظرت إلى ما تقدم من الحكايات
ووجدتها عين تلك الحكايات بقوى هذا القول وكذلك قوله تعالى وقد أهكنا أشياهم
فهل من مدكر يدل على صحة هذا القول (تاسعها) في معنى الصح بالبصر وجهان
(أحدهما) النظر بالعين يقال لحجة بصري كما يقال نظرت إليه بعيني والباء حينئذ كما يذكر
في الآلات فيقال كتبته بالعلم واختار هذا المثال لأن النظر بالعين أسرع حركة توجد
في الإنسان لأن العين وجد فيها أمور تعين على سرعة الحركة (أحدها) قرب المحرك منها
فإن المحرك العصبية ومنيتها الدماغ والعين في غاية القرب منه (ثانيها) صغر حجمها فأنها
لا تعصى على المحرك ولا تشل عليه بخلاف المظالم (ثالثها) استدارة شكلها فإن درجة
الكرة أسهل من درجة المربع والمثلث (رابعها) كونها في رطوبة مخلوقة في العضو
الذي هو موضعها وهذه الحكمة في أن الرئيات في غاية الكثرة بخلاف الماكولات
والمجموعات والمقاصد التي تقصد بالأرجل والموقوفات فلو لاسرعة حركة الأكلة التي
بها أدراك البصرات لما وصل إلى الكل إلا بعد طول زمان (وثانيهما) الصح بالبصر
معناه البرق يخطف بالبصر ويمر به سر وما والباء حينئذ للإصاق بالإستمتاع كقولهم

مررت به وذلك في غاية السرعة وقوله بالبصر فيه فائدة وهي غاية السرعة فانه لو قال كلح
البرق حين يرق ويبتدى حركته من مكان وينتهي الى مكان آخر في أقل زمان يفرض
الصحيح لكن مع هذا فالتقدير الذي مروره يكون بالبصر أقل من الذي يكون من مبتداه الى
منتهاه فقال كلح لا يقل من المبدأ الى المنتهى بل التقدير الذي يمر بالبصر وهو في غاية
القلة ونهاية السرعة * ثم قال تعالى (ولقد اهلكنا أشياءكم فهل من مدكر) والاشباع
الاشكال وقد ذكرنا ان هذا يدل على ان قوله وما أمرنا بالارادة ثم يدب بالهلاك والثاني
ظاهر * وقوله تعالى (وكل شيء فعاقبه في الزبر) اشارة الى ان الامر غير مقتصر على
اهلاكهم بل الاهلاك هو العاجل والعذاب الآجل الذي هو معد لهم على ما فعلوه
مكتوب عليهم والزبر هي كتب الكتب الذين قال تعالى فيهم كالابل تكذبون بالدين وان
عليكم لحافظين كراما كاتبين وفعلوه صفة شيء والتكرار توصف بالجلل * وقوله تعالى
(وكل صغير وكبير مستطر) نعميم للحكم أي ليست الكتابة مقتصرة على ما فعلوه بل
ما فعله غيرهم أيضا مسطور فلا يخرج عن الكتب صغيرة ولا كبيرة وقد ذكرنا في قوله تعالى
لا يعز عنكم مثال ذرة في السموات ولا في الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب
ان قوله أكبر فائدة عظيمة وهي ان من يكتب حساب انسان فانما يكتبه في غالب الامر
ثلاثينسي فاذا جاءه الجملة العظيمة التي يأمن نسيانها ر بما يترك كتابتها وبشتغل بكتابة
ما يخاف نسيانه ففانها ولا أكبر من ذلك أشار الى الامور العظام التي يؤمن من نسيانها
انها مكتوبة أي ليست كتابتها مثل كتابتكم التي يكون المقصود منها الامن من النسيان
فكذلك نقول ههنا وفي قوله تعالى مال هذا الكتاب لا يعاد صغيرة ولا كبيرة الأحصاها
وفي جميع هذه المواضع قدم الصغيرة لانها أليق بالثبوت عند الكتابة فيبتدى بها حفظا
عن النسيان في عادة الخلق فاجرى الله الذكر على عادتهم وهذا يؤيد ما ذكرنا من قبل
ان كلا وان كان نكرة يحسن الابتداء به للعموم وعدم الابهام * ثم قال تعالى (ان المتقين
في جنات ونهر) قد ذكرنا تفسير المتقين والجنات في سور منها الطور وأما النهر
ففيه قرأت فتح النون والهاء كجهر وهو اسم جنس ويقوم مقام الانهار وهذا هو الظاهر
الأصح * وفيه مسائل (المسئلة الاولى) لاشك ان كمال اللذة بالنسيان ان يكون الانسان
فيه وليس من اللذة بالنهر أن يكون الانسان فيه بل لذته بان يكون في الجنة عند النهر فسا
معنى قوله تعالى ونهر نقول قد اجبنا عن هذا في تفسير قوله تعالى ان المتقين في جنات
وهيون في سورة الذاريات وقلنا المراد في خلال العيون وفيما بينهما من المكان وكذلك
في جنات لان الجنة هي الاشجار التي تستر شمس الشمس ولهذا قال تعالى في ظلال وعيون
واذا كانت الجنة هي الاشجار الساترة فالانسان لا يكون في الاشجار وانما يكون بينها
أو في ظلالها فكذلك النهر (وتزدهننا ونرجعها آخر) وهوان المراد في جنات وعند نهر
لا يكون المجاورة تحسن اطلاق اللفظ الذي لا يحسن اطلاقه عند عدم المجاورة كما قال

١) لقد اهلكنا أشياءكم
٢) أي أشباهكم في الكفر
٣) في الآثم وقيل أنباءكم
٤) فهل من مدكر (يتعظ
بذلك) (وكل شيء فعلوه)
من الكفر والمعاصي
مكتوب على التفصيل
(في الزبر) أي في ديوان
الحفظة (وكل صغير
وكبير) من الأعمال
(مستطر) مسطور
في اللوح المحفوظ
٥) يتفصيله ولما كان بيان
سوء حال الكفرة بقوله
تعالى ان المجرمين الخ
مما يستدعي بيان حسن
حال المؤمنين ليتكافأ
الترهب والترقيب بين
مالهم من حسن الحال
بطريق الاجمال قبل
(ان المتقين) أي من
الصكفر والمعاصي
(في جنات) عظيمة
الشان (ونهر) أي
أنهار كذلك والافراد
الاكفاء باسم الجنس
مرعاة لفواصل وقري
نهر جمع نهر كاسد وأسد

صلتها تبتنا وما باردا وقالوا تغلقت سيفاور محاور الماء لا يغلف والريح لا يتقلد ولكن لمجاورة
 النين والسيف حسن الاطلاق فكذلك هنا لم يأت في الثاني بمسألة به في الاول من كلمة في
 (المسئلة الثانية) ووجد النهر مع جم الجنات وجم الانهار في كثير من المواضع كما في قوله
 تعالى تجري من تحتها الانهار الى غيره من المواضع فالحكمة فيه نقول أما على الجواب
 الاول فنقول لما بين ان معنى في نهر في خلال فلم يكن السامع حاجزا الى سماع الانهار لعله
 بان النهر الواحد لا يكون له خلال وأما في قوله تعالى تجري من تحتها الانهار فلولم يجمع
 الانهار لجواز ان يفهم ان في الجنات كلها انهارا واحدا كما في الدنيا فقد يكون نهر واحد تمتد
 جاري جنات كثيرة ونسأل على الثاني فنقول الانسان يكون في جنات لا يابينا ان الجمع في
 في جنات اشارة الى سميتها وكثرة اشجارها وتنوعها والتوحيد عند ما قال مثل الجنة وقال
 ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة لا اتصال اشجارها ولولم
 وقوع التعبان الحر به بينها واذا علمت هذا فالانسان في الدنيا اذا كان في بيت في دار وتلك
 الدار في محله وتلك الجنة في مدينة يقال انه في بلدة كذا وأما القرب فاذا كان الانسان
 في الدنيا بين نهرين بحيث يكون قرب به منهما على الدوام يقال انه جالس عند نهرين فاذا
 قرب من أحدهما يقال هو عند احد النهرين دون الآخر لكن في دار الدنيا لا يمكن أن
 يكون عند ثلاثة انهار وانما يمكن أن يكون عند نهرين والثالث منه أبعد من النهرين
 فهو في الحقيقة ليس يكون في زمان واحد عند انهار والله تعالى يذكر أمر الآخرة على
 ما تنفهمه في الدنيا فقال عند نهر لما بين ان قوله ونهر وان كان يقتضي في نهر لكن ذلك
 للمجاورة كما تغلقت سيفاور محاور وأما قوله تجري من تحتها الانهار فحقاقتنه مفهومة
 عندنا لان الجنة الواحدة قد تجري فيها انهار كثيرة أكثر من ثلاثة وأربعة فهذا ما فيه
 مع ان أواخر الآيات يحسن فيها التوحيد دون الجمع ويحتمل أن يقال ونهر التنكير
 للتعظيم وفي الجنة نهر وهو أعظم الانهر وأحسنها وهو الذي من الكثر ومن عين
 الرضوان وكان الحصول عنده شرفا وغبطة وكل أحد يكون له مقعد عنده وسائر الانهار
 تجري في الجنة ويراه أهلها ولا يرون القاعد عندها فقال في جنات ونهر أي ذلك النهر
 الذي عنده مقاعد المؤمنين وفي قوله تعالى ان الله مبتليكم بنهر لكونه غير معلوم لهم وفي
 هذا وجه حسن أيضا ولا يحتاج على الوجهين ان نقول نهر في معنى الجمع لكونه اسم جنس
 (المسئلة الثالثة) قال ههنا في نهر وقال في الداريات وعبون فالفرق بينهما نقول انان
 قلنا في نهر معناه في خلال فالانسان يمكن أن يكون في الدنيا في خلال عيون كثيرة تحيط به
 اذا كان على موضع مرتفع من الارض والعبون تنجير منه ونجى فصبها راحدا
 الامتداد ولا يمكن أن يكون في خلال انها وانما هي نهران فصب واما ان قلنا ان المراد
 عند نهر فكذلك وان قلنا نهر أي عظيم عليه مقاعد فنقول يكون ذلك النهر متدا واصلا
 الى كل واحد وله عند مقعده عيون كثيرة تابعة فالتنهر للتشريف والعبون للتفرج والتمتد

مع النهر العظيم يجمع مع العيون الكثيرة فكان النهر مع وحدته يقوم مقام العيون مع كثرتها وهذا كله مع النظر الى آخر الآيات ههنا وهناك يحسن ذكر لفظ الواحد ههنا والجمع هناك (المسئلة الرابعة) قرئ في جنات ونهر على انها جمع نهارا ذلاليل هناك وعلى هذا فكلمة في حقيقة فيه فقوله في جنات ظرف مكان وقوله ونهر أى وفي نهر إشارة الى ظرف زمان وقرئ ونهر يسكون الهاء وضم التثنية على انه جمع نهر كما ساء في جمع أسد نقله الزمخشري ويحتمل أن يقال نهر بضم الهاء جمع نهر كثر في جمع ثمر * ثم قال تعالى (في معد صدق عند ملك مقتدر) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) في معة صدق كيف يخرجها نقول يتعمل وجهين (أحدهما) ان يكون على صورة يدل بما يقول القائل فلان في بلدة كذا في دار كذا وعلى هذا يكون مقعد من جملة الجنات موضعا مختارا للمزبة على ما في الجنات من المواضع وعلى هذا قوله عند ملك لاننا اذا في احد الوجوه ان المراد من قوله في جنات ونهر في جنات عند نهر فقال في معة صدق عند ملك مقتدرو يتعمل أن يقال عند ملك صفة معة صدق نقول درهم في ذمة على خير من دينار في ذمة معسر وقيل هندا من أفضل من كثير عندنا فيكون صفة والا لما حسن جملة مبتدأ (ثانيهما) أن يكون في معة صدق كالصفة لجنات ونهر أى في جنات ونهر موصوفين بانهم على مقعد صدق نقول وقعه في سبيل الله أفضل من كذا وعند ملك صفة بعد صفة (المسئلة الثانية) قوله في معة صدق يدل على ابش لا يدل عليه المجلس وذلك لان مقعد وجلس ليسا على ما يظن انهما بمعنى واحد لا فرق بينهما بل بينهما فرق ولكن لا يظهر الا بالاربع والعرق هو أن القعود جلوس فيه مكث حقيقة واقتضاء ويدل عليه وجوه (الاول) هو أن الزمن يسمى مقعدا ولا يسمى بمجلس الطول المكث حقيقة ومنه سمى قواعده البيت والقواعد من النساء قواعده ولا يقال لهن جواسل لعدم دلالة الجلوس على المكث الطويل فنذكر القواعد في الموضوعين لكونه مستقر بين الدوام واللبات على حالة واحدة ويقال للركوب من الابل قعود لدوام اقتضاه وان لم يكن حقيقة فهو لصونه من الحمل واتخاذ الركوب كانه وجد فيه نوع قعود دائم اقتضى ذلك ولم ير الا لجلال (الثاني) النظر الى تغليب الحروف فالك اذا نظرت الى ق ومعها تهاجده معنى المكث في الكل فاذا قدمت القاف رأيت قعود وقع بمعنى ومنه تغادع الفراش بمعنى تهاجت فاذا قدمت العين رأيت قعود وصدق بمعنى المكث في غابة الظهور وفي صدق خفاء يقال أعدق يدك الدلو في البئر اذا أمر به بطلبه بعد وقوده فيها والعود قة خشبة عليها كلاب يخرج معه الدلو الواقع في البئر واذا قدمت الدال رأيت دفع ودعق والمكث في الدعق ظاهر والدفعاء هي التراب الملتصق بالأرض والقفر المدقم هو الذي يلصق صاحبه بالتراب وفي دعق أيضا الدحق مكان نطوء الدواب بمخاها فيكون صلبا جزاؤه متداخلا بعضها ببعض لا يتحرك شيء منها من موضعه (الوجه الثالث) الاحتشالات في القعود اذا اعتبرت ظهر ما ذكرنا قال

(في معة صدق)

مكان مرضى

في مقاعد صدق

ملك مقتدر أى مقرب

عند ملك لا يقدر

ملكه وساطاته فلا شيء

الا وهو تحت ملكه

سبحانه ما أعظم شأنه

عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم من قرأ سورة

القمر في كل غيب بعثه الله

تعالى يوم القيامة ووجهه

مثل القمر ليلة البدر

تعالى لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمراد الذي لا يكون بعده اتباع
وقال تعالى مقاعد القتال مع أنه تعالى قال إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم
بنيان مرسوس فأشار إلى اثبات العظيم وقال تعالى إذا قمتم فئة فابتنوا فالفاعدافن
هي المواضع التي يكون فيها القتال بذات ومكث واطلاق مقعدة على العضو الذي عليه
القوم أو يضادله عليه إذا عرفت هذا الفرق بين الجلوس والوقوف حصل لك فوائد منها
فأنه يدل على دوام المكث وطول البث ومنها في قوله تعالى عن المؤمنين وعن الشمال فعيد فإن
القيود بمعنى الجلوس والتدبير ثم إذا عرفت هذا وقيل للمفسرين الظاهر من الآية القادة في
اختيار اللفظ التمهيد لفظ الجلوس مع أن الجلوس أشهر يكون جوابهم إن آخر الآيات
من قوله جبل الوريد ولدي عند وقوله تجار عند يناسب القعود ولا يناسب الجلوس
والتجارات القرآن ليس في السجود وإذا نظرت إلى ما ذكرته من تلك قاعدة جارية من الحكم في
وضع اللفظ المناسب لأن القيد يدل على أنهم لا يفارقونه ويدوامان الجلوس معه وهذا
هو المعبر وذلك لأن الشاعر يختار اللفظ القاسد لضرورة الشعر والسجع ويجعل المعنى
تبع اللفظ والله تعالى بين الحكمة على ما ينبغي وجا باللفظ على أحسن ما ينبغي وقاعدة أخرى
في قوله تعالى بأيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجلس فافسحوا ففسحوا ففسحوا ففسحوا
وإذا قيل انشروا فانشروا فإن قوله فافسحوا إشارة إلى الحركة وقوله فانشروا إشارة إلى
ترك الجلوس فذكر المجلس إشارة إلى أن ذلك موضع جلوس فلا يجب ملازمته وليس
بمقعد حتى لا يفارقونه (المسئلة الثالثة) في مقعد صدق وجهان (أحدهما) مقعد صدق
أي صالح يقال رجل صدق للصالح ورجل سوء للقاسد وقد ذكرناه في سورة أنا فتحنا
قوله تعالى وظننتم ظن السوء (وثانيهما) الصدق المراد منه ضد الكذب وعلى هذا
ففيه وجهان (الأول) مقعد صدق من أخبر عنه وهو الله ورسوله (الثاني) مقعد ناله من
صدق فقال بان الله واحد وأن محمداً رسوله ويحتمل أن يقال المراد منه مقعد لا يوجد فيه
كذب لأن الله تعالى صادق ويستحيل عليه الكذب ومن وصل إليه امتنع عليه الكذب
لأن مظنة الكذب الجهل والواصل إليه يعلم الأشياء كما هي ويستغنى بفضل الله عن أن
يكذب ليستفيد بكذبه شيئاً فهو مقعد صدق وكلمة عند قد عرفت معناها والمراد منه قرب
الذلّة والشان لأقرب المعنى والمكان وقوله تعالى عليك مقتدر لأن القرية من الملوك للنبذة
كلما كان الملك أشد اقتداراً كان المتقرب منه أشد اتذا وفيه إشارة إلى مخالفة معنى
أقرب منه من معنى الأقرب من الملوك فإن الملوك يقرّبون من يكون ممن يحبونه ومن
يرهبونه مخافة أن يعصوا عليه ويتهازوا بالدعوة فيغلبونه والله تعالى قال مقتدر لا يقرب
أحداً إلا بفضل الله والحمد لله وصلاته على سيدنا محمد خير خلقه وآله وصحبه وسلامه

* (فهرسة الجراء السابع من تفسير الفخر الرازي) *

صحيفة

- ٢ * (سورة سبا وفيها المسائل الآتية) *
- ٣ المسئلة الثالثة في بيان معنى الحكمة
- ٩ المسئلة الرابعة في بيان كيفية تحضير الجبال وتسبيحها مع داود
- ١١ المسئلة الخامسة في بيان المراد من قوله تعالى وقبل من عبادي الشكور
- ١٥ الكلام في بيان المذاهب المغضية الى الشرك
- ٢٩ * (سورة قاطر) *
- ٥٧ * (سورة يس وفيها المسائل الآتية) *
- ٥٧ الكلام على حكمة افتتاح بعض السور ببعض حروف التهجي
- ٧٢ الكلام في بيان اطائف قوله تعالى وما لي لأعبد الذي فطرني الآية
- ٨٦ الكلام على نبذة من علم الهيئة
- ٨٨ المسئلة الثالثة في بيان الخلاف في أن السماء هل هي مبسوطة أو مستديرة
- ٩٠ المسئلة الرابعة في بيان نبذة من علم الهيئة
- ٩٧ المسئلة الثالثة في بيان مباحث لغوية ومعنوية في لفظة ماوان
- ١٠٧ المسئلة الرابعة في بيان المراد من تخافة الشيطان وعدمها
- ١٠٩ المسئلة الاولى في بيان سبب حصول العداوة بين الشيطان والانسان
- ١١٢ الكلام في بيان اطائف لفظية ومعنوية في قوله تعالى اليوم نختم على أفواههم
- ١١٧ الكلام في بيان لطيفة غريبة في قوله تعالى فاذا هو خصيم مبين
- ١١٩ الكلام في بيان استدلال المعزاة على أن المدوم شيء والجواب عنه
- ١٢٢ * (سورة الصافات وفيها المسائل الآتية) *
- ١٢٢ المسئلة الثانية في بيان المراد من الاشياء الثلاثة المقسم بها في هذه السورة
- ١٢٧ المسئلة الثانية في بيان نبذة من علم الهيئة
- ١٤٤ المسئلة الرابعة في بيان احتجاج أهل السنة على أن الهدى والضلال من الله تعالى
- ١٥٥ المسئلة الثانية في بيان حكاية أقوال الناس في الذبيح
- ١٥٨ المسئلة السابعة في بيان حكمة مشاورة ابراهيم مع ولده في الذبح وفي كيفية الذبح
- ١٦٤ المسئلة الثالثة في بيان قصة يونس عليه السلام
- ١٦٩ المسئلة الثانية في بيان احتجاج أهل السنة على انه لا تأبير لافواه الشيطان
- ١٧٢ * (سورة ص وفيها المسائل الآتية) *
- ١٩٦ المسئلة الثانية في بيان الاستدلال على صحة الحشر والنشر
- ٢٠١ الكلام في بيان المراد من فتنة سليمان عليه السلام

- ٢١٩ المسئلة الرابعة في بيان الرد على من يثبت لله تعالى الجوارح
- ٢٢٢ الكلام في بيان ان النار اشرف ام العطين
- ٢٢٦ * (سورة الزمر وفيها المسائل الآتية) *
- ٢٥٢ المسئلة الاولى في بيان احتجاج القائلين بحدوث القرآن والجواب عنه
- ٢٨٩ * (سورة المؤمن وفيها المسائل الآتية) *
- ٣٠١ المسئلة الاولى في بيان استدلال اكثر العلماء على اثبات عذاب القبر
- ٣٠٩ المسئلة الثانية في بيان اصل عظيم من اصول الفقه
- ٣٢٤ المسئلة الرابعة في بيان حكاية تاريخية
- ٣٢٦ الكلام في بيان حقارة الدنيا وكل حال لاخرة
- ٣٢٩ المسئلة الاولى في بيان احتجاج اهل السنة على اثبات عذاب القبر
- ٣٣٧ الكلام في ان دلائل وجود الله تعالى بوقدرته
- ٣٤٥ * (سورة حم السجدة وفيها المسائل الآتية) *
- ٣٤٦ المسئلة الاولى في بيان احتجاج ائمة الفلاس على انهم يتخلف القرآن والجواب عنه
- ٣٤٧ المسئلة الخامسة في بيان اقسام فضائل اللغات
- ٣٦٢ ٣ المسئلة الثانية في استدلال المجتهدين على ان بعض الايام يكون نحسا وبعضها سعيذا
- ٣٧١ ٧ المسئلة الثانية في بيان استدلال اهل السنة على انه تعالى يريد الكفر من الكافر
- ٣٧٢ ٢ المسئلة الثانية في بيان مراتب الدعوة الى الله تعالى
- ٣٨٥ * (سورة شورى وفيها المسائل الآتية) *
- ٣٨٨ الكلام في بيان اقسام الموجودات
- ٣٩١ المسئلة الثالثة في بيان احتجاج نفاة القياس على قولهم والجواب عنه
- ٣٩٢ المسئلة الاولى في بيان احتجاج علماء التوحيد على ان الله ليس جنسا من كبر
- من الاعضاء
- ٤١٦ المسئلة الثانية في بيان اصل كبير من اصول الفقه
- ٤٢٣ المسئلة الرابعة في بيان اختلافهم في حقيقة كلام الله تعالى
- ٤٢٧ * (سورة الزخرف) *
- ٤٣٩ المسئلة الثانية في بيان الاستدلال على ابطال القول بالتقليد
- ٤٦٢ * (سورة الدخان) *
- ٤٦٣ المسئلة الخامسة في بيان اختلافهم في البلية المباركة
- ٤٧٨ * (سورة الجاثية) *
- ٤٩٣ * (سورة الاحقاف) *

ص ٥٢١	* (سورة القتال) *
٥٥٤	* (سورة الفتح) *
٥٨١	* (سورة الحجرات) *
٦١١	* (سورة ق) *
٦٥٢	* (سورة النازعات) *
٦٥٢	المسئلة الاولى في بيان حكمه القسم بالاشياء المقسم بها في أوائل السور
٦٨٥	الكلام في بيان ذواته قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
٦٩١	* (سورة الطور) *
٦٩٥	المسئلة الرابعة في بيان بحثه عظيم في معنى الزمان والمكان
٧٢٤	* (سورة النجم) *
٧٦١	المسئلة الرابعة في بيان الفرق بين الفواحش والكبائر
٧٧٩	* (سورة القمر) *
٧٩٣	المسئلة الثانية في بيان الفرق بين الاسماء المشتقة وبين اسماء الاجناس
٨٠١	الكلام في بيان لطيفة تحوية تتعلق باسم الفاعل
٨١٥	المسئلة الاولى في بيان ان القدرية من هم
	* (تمت) *

